عدد الهج
ومعه
الهـ
هـدية ا

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة — العدد ٦١ — محرم ١٣٩٠ — ٩ مارس (آذار) ١٩٧٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم



الا تنصروه فقد نصره ال

اقرأ فى هذا العدد

« الا تنصروه فقد نصره اللـــه اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمـــة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم . »

« قرآن كريم »

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادســة

العـــــدد الحادى والستون

محرم ١٣٩٠ هـ

٩ مارس (آذار) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقــاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســياسية

الثمـــن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريـال
العـــراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيـا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		فرنـك وربـع
المغرب		درهم وربـــع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكــويت ١ دينــار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاســترلينى)
أما الافراد فيشتركون رأســـا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنــوان المراسلات

مديـــر ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقـــاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ــ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

عام جديد

نقف اليوم على بداية عام جديد في تاريخ أمتنا الاسلامية العظيمة ، وهو عام تدل كل الأحداث والشواهد على أنه يقربنا من معركتنا المصيرية مع العصابات الصهيونية أن لم يكن موعدا لها ، وقد تكون المعركة أسرع من ذلك ، فتدور رحاها ، وتندلع نارها أقرب من رد الطرف أو ومض البرق ، ولا يستطيع أحد من المراقبين والمطلعين أن يتنبأ أو يتكهن بمن يكون البادىء بها — العرب أو اسرائيل ، غير أن التجارب الثلاث التى مرت بنا فى سنة ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ تشير ، بل ترجح أن العدو لن يغير من خطته التى نفذها فينا ، والتى كسب بها نصره الرخيص فى المعارك الثلاث الخاطفة التى شنها علينا .. لقد لدغتنا العقرب مرة ومرتين وثلاثا ، فهل نعطيها الفرصة حتى تكون اللدغة الرابعة المجهزة — لا قدر الله ..

ان الأسلحة الهجومية الحديثة التى تتدفق على العدو ، والتى يحصل عليها بأساليبه الصريحة والملتوية ، والثقة التى يشعر بها نتيجة الوعود الممنوحة له من أصدقائه بتأييده ومساندته ، والأطماع التوسعية التى تراوده ، والحقد الدينى الذى يتحرك فى صدره ، والأضغان التى تغلى فى دمه على الانسانية .. كل هذا جعله يعمل لانهاء المعركة والحصول على النصر بواحد من اثنين :

الأول : الضغط على الشعوب العربية ، وتشديد الوطأة عليها حتى تفقد الثقة بنفسها ، وتفقد القدرة على مقاومته والوقوف فى وجهه ، فتركع على قدميه ، وتستسلم .. وحينئذ يأمر وينهى ، ويأخذ ما يشاء ، ويدع ما يشاء ويفرض شروطه التى تضرب علنا الذلة الى الأبد ، وهذا هو ما يمارسه الآن بالأساليب

البربرية التى يعامل بها العرب فى الأراضى المحتلة ، وملاحقة المقاومة الفلسطينية ، والغارات التى تجاوزت خطوط المواجهة فى الدول العربية الثلاث الى العمق داخل أراضى هذه الدول ، وقد باءت كل هذه المحاولات بالفشل والخيبة ، بل انها زادت النار اشتعالا والصدور حقدا وكراهية والعزائم ثباتا ومضاء ، وحيث فشلت محاولات الضغط لحمل العرب على الاستسلام ، فلم يبق أمام العدو الا الأمر الثانى ..

والأمر الثانى هو الأخذ بزمام المبادرة وشن الحرب الخاطفة علينا على طريقته ، وهذا ما يبيته ويعد له العدة وهذا هو أسلوبه فى حروبه مع المسلمين فى عهد النبوة ، غير أن المسلمين الأولين لم يؤخذوا على غرة ، بل كانوا أعرف بنفسية العدو ، وأعلم بطويته ، فلم يمهلوه لحظة ، وفاجأوه قبل أن يفاجئهم .

ان الدراسات النفسية للأمم والشعوب عامل كبير من عوامل الانتصار فى الحروب قديما وحديثا ، ولها فى الدول المتقدمة فى العصر الحديث هيئات علمية كبيرة تعتمد فى دراستها على جوانب عقائدية وتاريخية واجتماعية تؤدى الى نتائج يقينية تساند وتوجه الخطط الحربية ، وعلى هذا الأساس يجب أن نعرف أعداءنا .. نعرفهم من واقع طبيعتهم التى تختلف كثيرا عن طبائع البشر ، وأن يكون نظرنا لهم وتصرفنا معهم من واقع هذا الفهم والمعرفة ، والقرآن الكريم عنى بتسجيل أكثر الوقائع التى جرت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اليهود أعداء الله وأعداء الانسانية ، وفى خلال هذا التسجيل ألقى القرآن الكثير من الأضواء على ما فى حنايا ضلوعهم المظلمة ، وما يتحرك فى قلوبهم من غل وضغينة .. القرآن الكريم وضع فى يد المسلمين مفاتيح الدراسات النفسية لهؤلاء المجرمين ، وعرى الطبيعة اليهودية من زيفها ، وكشف عن حقيقتها ودخائلها .. فاليهود يغلب عليهم الصلف والغرور وهذا قولهم : ((نحن أبناء الله وأحباؤه)) وليس فى ضمائرهم مكان للقيم والمبادىء ، وهذا منطقهم : ((ليس علينا فى الأميين سبيل)) ولا يؤثر فيهم المنطق ولا تجدى معهم المسالمة والمفاوضة ، ولا يثنيهم عن أحقادهم وعنادهم الا القوة القاهرة : ((واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة)) ، وعلى الرغم من حصونهم المانعة ، وخطوط دفاعهم الحصينة ، فهم أجبن من أن يلقوا عدوهم وجها لوجه : ((لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر)) .

والوحى الالهى الصادق لم يكشف للمسلمين عن هذه الجوانب من طبيعة اليهود ونفسيتهم لمجرد الاخبار ، أو المعرفة النظرية البحتة ، أو مجرد البحث التاريخى ، أو الترف العقلى ، بل جلاها لنا لتكون ركائز ثابتة نحدد على أساسها موقفنا معهم فى جميع الظروف والعصور .

وعلى أساس الادراك الواعى لنفسية اليهود الغادرة الخائنة كان تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم معهم، فلم يعطهم الفرصة للانقضاض على المسلمين ، بل أخذ زمام المبادرة بيده وفاجأهم فى عقر دارهم ، ولو لم يتخذ هذه الخطة الحاسمة . خطة

المباغتة والمفاجأة لأوقعوا بالمسلمين فى الصـــــدر الأول ما أوقعوه بهم اليوم ، ولكان لهم بالأمس مع المسجد النبوى ــ حفظه الله ــ ما كان لهم اليوم مع المسجد الأقصى من التدمير والاحراق .

وهذه واقعة حية ، لخطة المسلمين السابقين معهم يجب أن نضعها نصب أعيننا ، وأن نتخذها منطلقا لتحركاتنا معهم .

فى غزوة الأحزاب انضـم اليهود الى الحلفاء ، وتوقع المســـلمون هجوما كاسحا عليهم ، ولولا العناية الالهية التى أنقذتهم لكان فناؤهم أمرا محققا ، والقضـــــاء على الدعوة الاســــلامية لا شك فيه ولكن الله سبحانه رد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وتشتت شمل الحلفاء ، وفشلوا فى غزوة الخندق ، ووضع المسلمون السلاح ، وباتوا يستريحون .. ولكن رسول الله صلى الله عليه وســــلم لم ينم بعد ما تبين له غدر اليهـــود ، ولم يمهلهم ، بل بادر بالتحرك نحوهم ومحاصرتهم فى اليوم التالى مباشرة لجلاء الأحزاب ، ورأى أن يفــاجئهم قبل أن يســـتكملوا عدتهم ، ويقووا حصونهم ، فما كاد يصلى الظهر من يومه ذاك حتى بعث بلالا ينادى فى النــــاس : من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة ، فأخذ المســـلمون يلبسون ســـلاحهم ويتوافدون سراعا على حصون بنى قريظة ، فمنهم من أدركته صلاة العصر بعد وصوله ، ومن أدركته فى الطريق فصلاها حيث أدركته ، ومنهم من أعجله الأمر ففوت الفريضـــة عن وقتها ، وأبى الا أن يصليها حيث أمر رســـول الله أن تصلى .. وهذا يصـــــور لنا مقدار السرعة والمباغتة التى أرادها رسول الله للقضــــاء على هؤلاء الاوغاد الغادرين ، ولم تأت العشاء الآخرة حتى كان المسلمون جميعا معسكرين عنـــد بئر (أبى) بـكامل عددهم وعدتهم : ثلاثة آلاف راجل ، وستة وثلاثون فارسا ، فحاصروا اليهود ، وأجبروهم على الاســـتسلام بعد خمســة عشر يوما من الحصـــار المفاجىء العاجل ، وحكم الله فيهم من فوق سبع سموات : « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الـــكتاب من صـــياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقـــا . وأورثكم أرضـــهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شىء قديرا » .

وواضح أننا حين نتحدث عن أهمية المفاجأة والمباغتة كعامل من عوامل النصر ، ونستشهد على ذلك بوقائع حية من تاريخنا ــ أعتقد أننا لا نبعد كثيرا عن منطق الحذر والحيطة ، ولا نتجـــاهل ضرورة الاعداد للخطـــة والتدبير لها .. انما الذى نخشـــاه ونحاذره أن يصـــل العدو بتهديداته ودعاياته الى أن ييئسنا من التفوق عليه والقدرة على دحره حتى يسبقنا الى المفاجأة .. وكما أن الاغراق فى التفاؤل حمق وتهلكة ، كذلك الغلو فى التشاؤم والتخوف مصيدة محكمة وهزيمة منكرة ..

ولا يغيب عنا أننا أصحاب الحق ، أصحاب الأرض ، أصحاب المقدسات .. والحق يمنح صاحبه قوة خارقة يجب أن يعتد بها ، ويحسب حسابها كسلاح فعال ، من أسلحة النصر ، ومن هنا كان حديث القرآن الكريم عن

قوة المؤمن ، ومقابلته مرة بعشرة من الكافرين ، ومرة باثنين منهم .

ومع هذه البداية القلقة للعـــام الهجرى الجديد الذى لا يعلم الا الله وحده ما تتمخض عنه أيامه ولياليه ، بل لحظاته وثوانيه ــ يجىء الاحتفال التقليدى بذكرى الهجرة النبــوية ، وهو منذ وعينا احتفال يســـــتطيع المسلم أن يحدد مسبقا مكانه وزمانه فى البلد الذى يقيم فيه ، وأن يعرف المتحدثين ، والخطوط العريضـــــة والطويلة لأحاديثهم ، بل يســـتطيع ذوو الحيثية أن يعرفوا من الرجوع الى قوائم الولائم فى الأعوام الماضية الدعوات التى توجه اليهم فى هـــذا العـــام والأعوام التالية ان كان فى العمر بقية ــ (ابتهــــاجا بذكرى الهجرة النبوية الشريفة وجريا على المعتاد ســـــنويا ، وكل عام وأنتم بخير) .

ولئن كان الاحتفال بهذا الاسلوب مستساغا لدى بعض الناس فى أيام الأمن والطمأنينة ، فما أتخيل أن فردا واحدا من المسلمين يســـــتسيغ أن يجرى الاحتفال ــ بالمراسيم المعتادة ــ فى هذه الأيام الحالكة السواد ..

يجب أن تتحول جموع الوافدين على الاحتفال الى كتائب تأخذ طريقها الى الأغوار والمرتفعـــــات وخطوط المواجهة ..

يجب أن تطل الأموال الفائضـــة بأعناقها ، وتخرج الى النور والنار طائرات وزوارق ومدافع وصواريخ وقنابل يسلح بها المجاهدون ..

ان تاريخ وجودنا كأمة بدأ بالهجرة .. بتجاوز الضغط على الاســـلام والمسلمين مداه .. ببلوغ الحقد على صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم حد الاغتيال والتآمر على حياته ..

وقد اعتبر القرآن الـــكريم الهجرة معركة ، وســـــمى نهايتها نصرا : ((ألا تنصروه فقـــــد نصره الله

فليكن احتفالنا بالهجرة النبوية متسقا مع منطقها الايمانى فى تعبئة القوى من أجل الدفاع عن العقيدة والحق والكرامة .. القوى العســـكرية ، والقوى المالية ، والقوى الاعلامية ، ونقصد بالقوى الاعلامية قوة الكلمة المؤمنة التى أمر الله بها رســـــوله القائد المجاهد : ((يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال)) .

ومع أول عدد من أعداد الســـنة السادسة لمجلة ((الوعى الاسلامى)) نتطلب ــ شاكرين ــ من الأساتذة الذين يسهمون فى تحريرها ، وكلهم من أعلام الفكر والبيان فى الجامعات والمعاهد والتأليف ، وعددهم قارب المائة والعشرين ، فى العام الماضى ــ نتطلب منهم المزيد من التركيز على خطر الصهيونية العالمية على العقائد والأخلاق والحضارة الانسانية عامة والاسلامية خاصة .

أما القراء الذين تصـــــدر هذه المجلة لهم ومن أجلهم فقد كان اقبالهم على المجلة ، وحرصـــــهم على اقتنـــــائها ، ومطالبتهم بالمزيد من اعدادها ــ يفوق كل ما كنا نتوقعه ، وسيجدون فى الأعداد التـــالية ان شاء الله تجديدا فى الموضــــوعات والتبويب والتنســــيق والاخراج ، ونرجو أن نــكون عند حسن ظنهم بعون الله وتوفيقه .

رضوان النبلي

مدير ادارة الدعوة والارشاد

تخرصات بعض سفهاء المبشرين في مدى إعجاز القرآن الكريم

للاستاذ : محمد عزة دروزة

— ١ —

كتب الخوري يوسف الحداد الذى سمى نفسه (الاستاذ الحداد) كتبا عديدة بعنوان مشترك (دروس قرآنية) محشوة بكثير من التخرص والتمحل والافتراء وسوء الفهم والتأويل والادب ، ولقد تطرق فيما تطرق اليه فيها الى مسألة (اعجاز القرآن) فقال : (ان المسلمين يلتمسون للقرآن الشمول من كل وجه ، ويحاولون أن يجدوا فيه اعجازا الهيا فى العقيدة ، واعجازا الهيا فى الشريعة ، واعجازا الهيا فى الفلسفة ، واعجازا الهيا فى العلم الحديث ، وفاتهم جميعا أن تاريخ الاسلام يجهل مثل هذا التفكير ومثل هذه المحاولات ، وان القدماء انما اجمعوا على أن اعجاز القرآن هو فى نظمه) .

وقد لمحنا حين قراءة سائر فصوله فى كتابه المرقم برقم (٣) انه قد اختط خطة خبيثة ولكنها غبية ، فقد أراد أن يركز على أن المسلمين القدماء ، وهم أول المتلقين للقرآن لم يروا الاعجاز الا فى نظمه ، فيكون ما يقوله المحدثون خلاف ذلك شذوذا عن أمر أجمع عليه الاعرف والاعلم والاقدم من المسلمين ، فلا يكون له اعتبار وأساس يصح الاركان اليهما ، والتعويل عليهما ، ثم ترسم فى مباحثه التالية الطعن فى نظم القرآن ، ونقض رأى القدماء فى اعجازه أو التشكيك فيه أو توهينه ،

ظنا منه أنه يكون بذلك قد نقض دعوى اعجاز النظم القرآنى التى يدعيها القدماء بزعمه بعد أن يكون قد نقض دعوى اعجازه من النواحى الشاملة الاخرى التى يقول ان المحدثين يدعونها له .

والخورى كاذب من حيث الاصل فى قوله : ان القدماء مجمعون على أن اعجاز القرآن هو فى نظمه وحسب ، فهناك آثار واقوال قديمة كثيرة ينطوى فيها تقرير كون اعجاز القرآن هو فى نظمه وفى محتواه على السواء .

— ٢ —

وقبل أن نورد النصوص الدالة على ذلك يحسن أن ننبه على أمر جوهرى فى الموضوع ، وهو أن القرآن نفسه حينما يقرر انه هدى ورحمة وشفاء للناس ويهدى للتى هى أقوم ، وتبيانا لكل شىء مما جاء فى آيات عديدة منها الامثلة التالية :

١ — (ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) . (البقرة ١ و ٢)

٢ — (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) . (المائدة : ١٥ ، ١٦) .

٣ — (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد .) (ابراهيم ١) .

٤ (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (النحل ٦٤) .

٥ — (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) (النحل ٨٩) .

٦ — (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) (الاسراء ٩) .

٧ — (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين [1]) . (الاسراء ٨٢) .

وواضح بكل قوة من هذه الآيات وما من بابها ، ان القرآن حينما يقرر التقريرات التى فيها انما يقرر كون اعجازه هو فى المحتوى فى الدرجة الاولى ، وهو ما يتمثل ما فى القرآن المكى والمدنى معا من اعجاز الهى فى التشريع ، واعجاز الهى فى العقيدة ، واعجاز الهى فى الحكمة ، واعجاز الهى فى الارشاد ، الى خير سبل السعادة والنجاة فى الدنيا والآخرة ، واعجاز الهى فى التبشير والانذار ، والترغيب والترهيب ، واعجاز الهى فى عرض بدائع الكون ومشاهد عظمته وروعته ، ونواميسه الماثلة فى كل شىء ، والبرهنة بها على وجوب وجود الله وقدرته واحاطته ، واعجاز الهى فى ما احتواه من فصول الجدل والحجاج والافحام والالزام ، واعجاز الهى فى ما احتواه من الغيبيات السالفة ، والغيبيات الآتية ، واعجاز الهى فى صلاح ما أتى به من كل ذلك لكل زمان ومكان وجنس ولون وعقل وثقافة .

وكل هذا بارز ملموح بكل قوة وبكل روعة ، وبكل نفوذ ، وبكل قطعية فى مختلف سور القرآن المكية والمدنية ، ولا يمكن أن يكابر فيه ويتعامى عنه الا أحمق غبى أو حقود مغرض .

(١) فى القرآن آيات عديدة اخرى من باب هذه الآيات ، فاكتفينا بما نقلناه تفاديا من التطويل .

والقرآن فى متناول جميع الناس فى كل زمان ومكان .

ومن هذا المنطق قرر القرآن انه المعجزة الكافية لصدق رسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم على ما تضمنته آيات سورة العنكبوت هذه (٥٠ ، ٥١) : « وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين . أولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) .

— ٣ —

ونقطة اخرى ايضا يحسن أن ننبه اليها قبل ايراد نصوص القدماء ، وهى أن لكون اعجاز القرآن هو فى محتواه بالدرجة الاولى ، لم يفت نبهاء قريش الذين ناوأوا رسالة النبى صلى الله عليه وسلم فى العهد المكى على ما تدل عليه محاولتهم تخفيف مدى هذا المحتوى التى تستفاد مما حكاه القرآن عنهم فى قولهم : (لو نشاء لقلنا مثل هذا أن هذا إلا أساطير الاولين) (سورة الانفال ٣١) حينما كانت تتلى عليهم آيات القرآن البينات ، كما جاء قبل هذه الآية (واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء .. الخ) وقد حكت آية سورة الفرقان هذه (٥) : « وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا .. » ذلك القول مرة اخرى عنهم .

وواضح أن هذا لا يفيد انهم كانوا يعنون نظم القرآن ، وانما يفيد انهم كانوا يعنون محتواه ، ويعنون انه مقتبس عن كتب الاولين وقصصهم ، ولم يكن تحدى القرآن لهم حين تحداهم بالاتيان بمثله أو بعشر سور ، أو بسورة أو بحديث ، كما جاء فى هذه الآيات :

١ — (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين) (البقرة ٢٣) .

٢ — (ام يقولون أفتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) (يونس ٣٨) .

٣ — (ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) (هود ١٣) .

٤ — (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين) (القصص ٤٩) .

٥ — (ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) (الطور ٣٣ ، ٣٤) .

فان هذا التحدى لم يكن تحديا لهم بنظم القرآن وانما بمحتواه حتما ولان نظمه مشابه لنظمهم . وكلماته وقواعده هى كلماتهم وقواعدهم . وفى جملة (اساطير الاولين) التى حكيت عنهم الدليل الحاسم على ذلك .

— ٤ —

وهناك حديث نبوى ذو مغزى عظيم فى هذا الباب . رواه الترمذى عن الحارث الاعور عن على بن أبى طالب قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الا انها ستكون فتنة . فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال : (كتاب الله ، فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو

الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد ، من قاله صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم) .

وهذا الوصف الشائق السامى الشامل للقرآن المروى عن من أنزل عليه القرآن ، والذى هو ادرى الناس بمدى اعجازه ، ليس كما هو واضح بقوة وصفا لاعجاز نظمه ، وانما هو وصف لاعجاز محتواه فى الدرجة الاولى .

ولقد توقف بعضهم فى الحديث كحديث مروى عن النبى ، وقالوا : انه من كلام على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ولو صح هذا القول فمعناه أن هذا المفهوم لمدى اعجاز القرآن صادر عن أناس من الرعيل الاول ، ومن الذين كانوا أقرب الناس للنبى صلى الله عليه وسلم ، وأفهمهم لمدى القرآن ، ومع ذلك فهناك نصوص اخرى مروية عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فيها تماثل لنص هذا الحديث وهى : (قال النبى صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، ان هذا القرآن حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد) . ونصوص الاحاديث بعد متساوقة مع الاوصاف الواردة فى القرآن للقرآن مما تضمنته الآيات التى أوردناها قبل .

ولقد كان معظم اهل الكتاب الذين يسميهم القرآن احيانا باسم أهل العلم ، وأولى العلم ايضا ، والذين سجل القرآن خشوعهم وسجودهم وبكاءهم وفرحهم وايمانهم ، حينما سمعوا القرآن كما جاء فى هذه الآيات :

١ ــ (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين . وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) (المائدة ٨٣ ، ٨٤) .

٢ ــ (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك) (الرعد ٣٦) .

٣ ــ (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يَخِرّون للأذقان سجدا . ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا . ويَخِرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا .) (الاسراء ١٠٧ ــ ١٠٩) .

من الجاليات الاجنبية ، وبعضهم كان وفدا من الخارج من الحبشة أو الشام ، وبعضهم لم يكن يحسن العربية بل كان اعجمى اللسان على ما تلهمه آية سورة النحل هذه « ١٠٣ » (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين) حيث يعنى هذا بصورة حاسمة أن تأثرهم بالقرآن ، وفرحهم به ، وخشوعهم وسجودهم وبكاءهم وايمانهم حينما كان يتلى عليهم ، انما كان من تأثير ما احتواه من صدق وحق وروحانية نافذة ، وليس من تأثير اعجاز نظمه .

ــ ٥ ــ

والان نورد الدليل على كذب الخورى ، فالخورى يجعل كتاب الاتقان فى علوم القرآن للامام السيوطى مصدرا رئيسيا من مصادره ، وينقل عنه كثيرا ، ومع أن السيوطى أورد حقا أقوالا لبعض العلماء بأن اعجاز القرآن هو فى

نظمه وبلاغته فانه قال : ان جمهور العلماء يقررون ان اعجازه هو فى نظمه ومعانيه على اختلاف نواحيها) وقد تعامى الخورى عن هذا القول الذى فيه تكذيب صريح لـــه ، ولقد أورد السيوطى مقتطفات عديدة من اقوال عدد منهم ، ومن جملة ذلــك فصل للخطابى احد علماء القــرآن ونورده كمثال عــلى اقوال العلماء القدماء : (وانما تعذر على البشر الاتيان بمثله لامور منها : ان علمهم لا يحيط بجميع اسماء اللغة العربية وأوضاعها التى هى ظروف المعانى ، ولا تــدرك افهامهم جميع معــانى الاشياء المحمولة على تلك الالفاظ ، ولا تكمل معرفتهم باستيفــاء جميع وجوه المنظوم التى بها يكون ائتلافها وارتباط بعضهــا ببعض فيتواصلوا باختيار الافضل مــن الاحسن مــن وجوهها الى أن يأتوا بكــلام مثله ، وانما يقوم الكلام بهذه الاشياء الثلاثة لفظ حاصل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم ، واذا تأملت القرآن وجــدت هذه الامور منه فى غــاية الشرف والفضيلــة حتى لا ترى شيئــا من الالفــاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاوة وتشاكلا من نظمه ، وأما معانيه فكل ذى لب يشهد لــه بالتقدم فى أبوابه ، والترقى الى أعلى درجاته ، وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق فى انواع الكلام ، فأما أن توجد مجموعة فى نوع واحد منه ، فلم توجد الا فى كــلام العليم القدير ، فخرج من هــذا ان القرآن انما صار معجزا لانــه جاء بأفصح الالفــاظ فــى أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعانى من توحيد الله وتنزيهه فــى صفاته ودعــائه الى طاعته ، وبيان لطــريق عبادته من تحليل وتحريم وحظر واباحة ، ومن وعظ وتقويم ، وأمر بمعروف ونهى عــن منكر وارشاد الــى محاسن الاخلاق وزجر عن مساوئها ، واضعا كل شىء منها موضعه الذى لا يرى شىء أولى منه ، ولا يتوهم فى صورة العقل أمر أليق به منه ، مودعا أخبار القرون الماضية وما نزل من مثلات الله بمن مضى وعاند منهم ، منبئا عن الكوائــن المستقبلة فى الاعصار الاتية من الزمان ، جامعا فى ذلك بين الحجة والمحتج لــه ، والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك آكد للزوم ما دعا اليه وأنبأ عن وجوب ما أمر به ونهى عنه ، ومعلــوم أن الاتيان بمثل هذه الامور والجمع بين اشتاتها حتى تنتظم وتتسق أمر تعجز عنــه قــوى البشر ، ولا تبلغــه قدرتهم فانقطع الخلق دونه وعجزوا عــن معارضته بمثلــه ، أو مناقضته فى شكله ، ثم صار المعاندون له يقولون مرة انه شعر لما رأوه منظوما ، ومرة انه سحر لما رأوه معجوزا عنه غير مقدور عليه ، وقد كانوا يجدون له وقعا فى القلوب وقرعا فى النفوس ، يرهبهم ويحيرهم فلــم يتمالكوا ان يعترفوا به نوعــا من الاعتراف ، ولذلك قالــوا ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة ، وكانوا مرة بجهلهم يقولون أساطير الاولــين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ، مــع علمهم أن صاحبهم امى ، وليس بحضرته من يملى أو يكتب فى نحو ذلك من الامور التى أوجبها العناد والجهل والعجز ، وانك لا تسمــع كــلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا اذا قرع السمع خلص له القلب من اللذة والحــلاوة فى حــال ذوى الروعة والمهابة فى حال آخر ما يخلص منه اليه ، قال تعالى : (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعــا متصدعــا من خشية اللــه) ، وقال (اللــه نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى

تقشعر منه جلـود الـذين يخشون ربهم) .

ونورد مثالا آخر من بابه لمفسر قديم مشهور هو الامام ابن كثير من رجال القرن السابع الهجرى قال : (ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الاعجاز فنونا ظاهرة وخفية ، من حيث اللفظ ومن جهة المعنى ، قـال تعالى (الر كتاب أحكمت آياتـه ثم فصلت من لدن حكيم خبير) فأحكمت ألفاظـه وفصلت معانيه ، وكل من لفظه ومعانيه لا يجارى ولا يدانى ، فقد اخبر عن مغيبات ماضية كانت ووقعت طبق ما اخبر سواء بسواء . وأمر بكل خير . ونهى عن كل شر . كما قال تعالى : « وتمت كلمة ربـك صدقا وعدلا » اى صدقا فى الاخبار وعدلا فى الاحكام ، فكله حق وصدق وعدل وهدى ، ليس فيه مجازفة ولا كذب ، ولا افتراء كما يوجد فى أسفار العـرب وغـيرهم من الاكـاذيب والمجازفات التى لا يحسن شعرهم الا بها ، كما قيل فى الشعر : (ان أعذبه أكذبه) وتجد القصيدة الطويلة المديدة قد استعمل غالبها فى وصف النساء أو الخيل أو الخمر ، أو فى مدح شخص معين أو فرس أو ناقة أو حرب أو مخافة سـبع أو شىء من المشاهد المتعينة التى لا تفيد شيئا الا قدرة المتكلم المتعين على الشىء الخفى أو الدقيق ، أو ابرازه الـى الشىء الواضح ، ثم تجد له فيه بيتا أو بيتين أو أكثر هى بيوت القصيد وسائرها هذر لا طائل تحته .

وأما القرآن فجميعه فصيح فـى غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلا واجمالا بمن فهم كـلام العرب وتصاريـف التعبير ، وان تأملت اخباره وجـدتها فى غـاية الحلاوة ، سواء كانت مبسوطة أم وجيزة ، وسواء تكررت أم لا ، وكلما تكرر حلا وعلا ، لا يخلق على كثرة الرد ، ولا يمـل منه العلماء ، وان أخذ فى الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصم الراسيات ، فما ظنك بالقلوب الفاهمات ، وان وعد أتى بما يفتح القلوب والآذان ، ويشوق الى دار السلام ، ومجاورة عرش الرحمن ، كما قال فى الترغيب (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وقال : (وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيهـا خالـدون) وقال فـى الترهيب : (ءأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور . أم أمنتم من فى السماء أن يرسـل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير) وقال فى الزجر : (فكلا اخذنا بذنبه) وقال فى الوعظ (أفرأيت ان متعناهم سنين . ثم جاءهم ما كانوا يوعدون . ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) الى آخر ذلك من أنواع الفصاحة والبلاغة والجلاوة ، وان جاءت الآيات فـى الاحكام والاوامر والنواهى، اشتملت على الامر بكل معروف حسن نافـع طيب محبوب ، والنهى عن كل قبيح رذيل دنىء ، وان جاءت الآيات فى وصف المعاد وما فيه من الاهوال ، وفى وصف الجنة وما وعد الله فيهما لأوليائه وأعدائه من النعيم والجحيم والملاذ والعذاب بشرت به وحذرت وأنذرت ، ودعت الـى فعل الخير واجتناب المنكرات ، وزهـدت فى الدنيا ، ورغبت فى الاخرى وثبتت على الطريقـة المثلى ، وهدت الى صراط اللـه المستقيم ، وشرعـه القويم ، ونفت عـن القلوب رجس الشيطان الرجيم) .

ولو كان الخـورى يخضع للحق والحقيقة أو يتحراهما ، لكان راعى ما قاله جمهور العلماء القدماء ، ولما قال ما قاله عنهـم ، وغـاب عنه ان كتب القـدماء والكتب التى ينقل عنها ليست عنده وحده .

— ٦ —

ومع ذلك وبعد كل ذلـك فليس

مستنكرا كما يريد الخورى أن يوهمه أن يتصدى المسلمون المعاصرون لهذه المسألة ويلتمسون الشمول فى اعجاز القرآن لكل جيل وقبيل ، وفى أيدى كل جيل وقبيل ، وقد وصل الى الناس كما بلغه رسول الله عن وحى الله ، وكما دون حين بلغه ، فصار بذلك الكتاب الالهى الفريد فى هذا الباب ، وكل مسلم بل كل انسان مدعو الى تدبر آياته ، وكل ذى لب مدعو الى التذكر به ، كما جاء فى آيات عديدة منه كما ترى فى الامثلة التالية :

١ — (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ..) (النحل ٤٤) .

٢ — (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب .. (ص ٢٩) .

٣ — كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ..) (فصلت ٣)

وقرر انه هدى ورحمة وذكرى وشفاء لكل مؤمن ، ولمن حسنت نيته ورغب فى الحق والحقيقة ، كما جاء فى آيات عديدة أوردناها قبل :

فليس ما يمنع المسلم فى اى ظرف أن يلتمس فى القرآن اعجازا الهيا فى العقيدة ، واعجازا الهيا فى التشريع ، واعجازا الهيا فى الحكمة ، واعجازا الهيا فى التلقين السياسى والاجتماعى والاخلاقى والشخصى والانسانى العام ، واعجازا الهيا فى العلم الحديث ، بالاضافة الى الاعجاز الالهى فى الاسلوب والبيان ، ونفوذ الخطاب الى أعماق النفوس والقلوب والضمائر ، بل ان التماس ذلك واجب على كل مسلم ، وعلى كل انسان فى كل وقت ، وعلى المعاصرين أن يفعلوا ذلك كما فعل القدماء ، وتقدم العلوم والفنون والحضارة يجعل هذا الواجب أشد بالنسبة للمعاصرين حتى يثبتوا لابناء أجيالهم الذين اشتد انحرافهم عن الاديان مصداق قول الله : (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا) . ويثبتوا كون القرآن الذى يمثله هذا الدين الذى رشحه الله ليكون دين الانسانية عامة — وليظهره على الدين كله — قد احتوى كل مظاهر الاعجاز الالهى ، وكل ما يحتاج اليه البشر لسعادتهم ونجاتهم وسلامتهم وكرامتهم وطمأنينتهم ، واحتوى حلا لكل مطلب ومشكلة فى كل ظرف ومكان وبيئة ، وانهم لواجدون فيه ذلك من الدلائل القطعية والبراهين الحاسمة والشواهد الناصعة والحجة البالغة ما يثبت أن القرآن فريد فى كل ذلك ، وانه وحى الله حقا وصدقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ولقد كتب كثير من علماء المسلمين المعاصرين وكتابهم خلال الحقبة الممتدة من مطلع هذا القرن ، وما يزالون يكتبون كتبا كثيرة فى اثبات الاعجاز الالهى فى القرآن من كل ناحية فيها المقنع لمن اراد الحق والحقيقة، وتغلب على الحقد والغرض والهوى ، وساهمنا نحن بتوفيق الله والحمد له فى ذلك فى كتبنا .

واذا نحن ركزنا الكلام على ناحية الاعجاز الالهى فى المحتوى القرآنى ، فليس ذلك منا اغفالا عن الاعجاز الالهى فى النظم القرآنى .

فهذا من المسلمات التى لا تتحمل أطنابا جديدا ، وقد وفاها العلماء قديما وحديثا حقها ، بما لا محل للمزيد عليه ، وانما كان ذلك منا لانه مقتضى الكلام والحافز عليه من جهة ، ولاننا نعتقد أن الاعجاز القرآنى هو فى محتواه فى الدرجة الاولى من جهة اخرى ، وهو ما اهتم القرآن للتنويه به أكثر ، والله تعالى أعلم ، والحمد لله رب العالمين .

الى أين نحن مسوقون ؟

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الارض : الله ، الله)) .

رواه البخارى ومسلم وأحمد

١ — عرفته منذ أمد بعيد رجلا يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، صادق الايمان ، لا يصده عن دينه صاد ، ولا يدفعه عن القيام بواجباته نحو ربه دافع ، ولا تعوقه دنيا أفاءها الله عليه عن غدوه ورواحه الى بيوت الله ، طبق على سلوكه أحكام الله أكمل تطبيق ، وجاهد ويجاهد فى الله حق جهاده بكل ما استطاع وما يستطيع من قول وعمل وبذل ، وهو سائر فى نفس الخط المستقيم دون حيدة أو التواء ، حتى ليخاله من يخالطه عن كثب أنه لا يعايش عصره ، ولا يحس بما يدور فيه من مجون وزيف سلوك ، وانما هو رجل عصر النبوة الصافى الذى لم تدنسه أفكار فجة وقحة ، ولم تستطع أن تنمو فيه تلك الفسائل الحقيرة ذات الريح العفن الكريه ، هو سليل من بكى يوم ألمت بماله الملمات فافتقده فى عرض البحار وابتلعه اليم ، وما كان جوابه حين سئل عن دواعى حزنه ومصادر ألمه الا أن قال : انى جزع أسيف لا على عرض زال وقد يعود ، وانما أسفى ومثار غمى أنى لم أعمل عملا يحتسب لى عند الله ، عملا يكون فى ميزانى يوم القيامة ، وانى أعاهد الله لو أقبلت أم دفر ثانية ، أن يكون أول ما أقوم به عمارة بيوت الله والبر بعياله ، وقد وفى ما عاهد الله عليه ، فشاد لله بيتا لا يزال يحمل اسمه الى اليوم وغدا ، وحكى عنه معاصروه أنه كان يحمل مواد البناء بنفسه ليعلى لله منارا فى زمن ما كان أحوج البلاد فيه الى تلك المنارات ..

التقيت بصاحبى ذات صباح بعيدا عن صخب الحياة ومفاتنها فى هدأة عمل وسكون ليل ، وجرى الحديث متناولا وقائع العصر بعد جولة قمنا بها فى أحياء مدينة أوربية اشتهرت بالعلوم والمعارف منذ عصور ، والجمال جمال التنسيق والابداع الذى لا يزيده مرور الايام الا فتنة وروعة وقوة ، وقال صاحبى : حبذا لو كان هذا مصروفا فيما خلق لأجله ، ووجه للانتاج النافع والبناء الداعم للحضارة الانسانية ، المساير لتعاليم رب كل شىء التى أوحاها الى رسله ، اذن لكان لها سياج عظيم يحمى من الفتنة والضياع ، فالعقل مهما كشف وفقه فهو عن ادراك سر الحياة الدفين محجوب ، فذلك غيب مكنون ، استأثر به فاطره ، والشهوات عامل معوق معاكس لاستقامة الحقيقة ، وها نحن أولاء نرى الى جانب المظهر الحضارى البادى ، بقعا سوداء تشوه انسجامه ، وتذهب بروائه ، وتكاد تأتى على الاثر الخير فيه ، مع أنه ما من ممنوع يبدو مغريا جذابا الا والى جانبه مباح أكثر اغراء وأشد جاذبية لو أحسن التوجيه اليه والاخذ بأسبابه ، ولكن الامر كما قلت : هو شيطان الغرور ، وحب المخالفة ، ومحاولة الوصول الى كل شىء دون رقابة أو محاسبة ، بل وافراغ

كل العنــاية فى جانب المــادة وحدها ، مادة تشيد المصنع ولا تبنى الروح ، تؤمن بالانسانية بمقدار ما تدر مواردها ما يكفل للمصنع الاستمرار فى طريقه ، وما يديم صخب الآلة ، حتى ولو كان ما ينتج سما ومدفعا وقنابل ، فرأيى أن التقدم العلمى فرس جموح ، ولا يكبح جماحه الا شكيمة ولجام ، وما هى الا ايقاظ الروح لتعمل الى جانب المادة ، فتحول منتجاتها الى بلسم وعافية وبناء ، والا فالى أين نحن مسوقون ؟!

٢ ــ سؤال وارد ولا شك ! ويحتاج الى جواب ، وجوابه لا يستقى الا من الشريعة ، من الدين ، من المصدر الصافى ، من الــكتاب والسنة ، ومن المعلوم بداهة أن السنة شارحة وموضحة ومؤسسة أحيانا ، يقول سيد الخلق : « أوتيت الكتاب ومثله معه » والكتاب قد أشار وأكد أن للعالم نهاية ، وأن للدنيا فناء سيلحقها قريبا ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، ولــــكن متى وكيف ؟! أما المتى فالله أعلم به (لا يجليها لوقتها الا هو) ، وأما الكيف فقد فصلته بعض آى القرآن الكريم وأفاضت فيه السنة الشريفة ، فالقرآن يقول : « ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون » ٦٨ سورة الزمر . وفى أوائل كثير من ســور القرآن ما يزيد المسألة تفصيلا والأمر وضوحا ، كسورة الانبياء والحج والحاقة والمعراج والقيامة .. الخ ، وفى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وســلم تفاصيل وافية عن أحوال الساعة وما يسبقها من أحداث وامارات تشير الى دنوها وتؤذن بقرب وقوعهــا ، وقد مررنا بطرف منها فى أحاديث ســلفت ، ويعنينى هنا جواب صاحبى على سؤاله : الى أين نحن مســـوقون ؟! رأى صاحبى وشاهد ، ورأيت معه وشاهدت ، وعرف الكثيرون الذين جابوا آفاق الدنيا المعاصرة طولا وعرضا ، أن العمل بما أوحى الله الى رسله بات منزويا فى دور العبادة لا يتعداها ، بل انه فارقها فى بعض بلاد العالم المتمدين ــ كما يســـمونه ــ فكثير من الشـــباب اذا أراد زيارة معبد ما لا يراعى اللياقة والاحترام ، وانما يدخل باستهتار واستهزاء ، والواقع أن تلك المعابد صارت قاصرة ــ تقريبا ــ على العجائز الذين يودعون الحياة ويشعرون بأن دورهم على المسرح قد ألغى نهــائيا ولن يعود ، وهناك ــ والحق يقال ــ لا تتدخل الحــكومات فى شئون الناس وخاصــة فى معتقداتهم ، بل انها تعينهم على التدين أحيانا ، ففى كل أسبوع يعرض فيلم دينى على شـــاشة « التلفاز » فضلا عن محاولة اثارة النخوة والنعرة الدينية ضد الآخرين لســبب أو لآخر بأســـاليب متعددة يعلمها من عاش هناك ، فالعائق ليس رسميا ، وانما هو نابع من قادة الفكر ، وأكثر ما بدا من مذاهب وفلسفات بعد الحرب العــالمية الثانية يكاد يكون منشؤه عوامل شخصية تفاعلت بها نفس صــاحبها لمؤثرات بيئية خاصة ، ثم بدىء بتطبيقها على السلوك ، ولما كانت الى المادة أقرب منها الى الروح اعتنقها شباب من الجنسين وزادها رسوخا ، ومكن لها أن بعض مثيريها والذين تبنوها أساتذة فى جامعات مرموقة ، ومنبت البعض من صميم الطبقة التى تحمل المال والترف الى القصــور وتكدح فى جمعه وتنميته دون أن يكون لها حظ فيه ، وتلك الفئة تمثل الكثرة الكاثرة من كل الشـــعوب ، ولم تنصــــفها أديان هناك ولا أحكام ، ونتج عن تلك الفلســفات ما تتخبط فيه تلك المجتمعات بعيدا عن القيم الانســـانية الفاضلة التى يقررها ويقرها وحى الســـماء ، كما يؤيدها العقلاء ، فما العقل فى أصـــالته ببعيد عن الوحى الالهى ، وأشير دائما الى الوحى والى السماء لا هروبا من مقـــاييس عقلية خاصة ، وانما لأنى أجد تلك المقاييس ان صدقت وصدرت عن اخلاص

للعلم والانسانية بعيدا عن الانانية والنوازع الفردية البحتة متلاقية مع الوحى أيما تلاق ، ومتجاوبة كل التجاوب .

وبعد .. فقد سرت عدوى تلك المبادىء والآراء الينا لأنها متعانقة مع منتجات المصنع التى لا نملك أن نبتعد عنها ، والا تعرت منا الاجساد ، ودكت البيوت ، ولطالت علينا المسافات وفقدنا كل مقومات الحضارة المادية ، فلو أمسكت بأى من شرقنا فى أى بقعة من أرضنا لألفيته من قمة رأسه الى اخمص قدمه لا يملك الا لحمه ودمه حين يريد أن ينتسب الى ترابه ، والمصنع لا يقدم لنا وسائل الحياة الا مع تمهيد لها يحطم المثل الموروثة والقيم الاصيلة ، والامر لا يحتاج الى مزيد بيان ، فالحديث الى أولى الالباب .

٣ — وندلف الى أوطاننا — أوطان العرب والمسلمين — باحثين متسائلين : لماذا ننسلخ بهذه السرعة من أصالتنا ، ولأى داع نتبع كل ناعق ، ونغفل سريعا مقومات وجودنا ، فمن المعلوم أن لكل شعب مميزاته ، ولكل أمة مقوماتها التى لا تعرف الا بها ؟! أيعود ذلك الى ضعف فى الاصول ؟ أم الى تخلخل الايمان بها ؟ أم الى عجز حراسها ؟ أم أن ما نحن فيه وهو تمهيد لتنفيذ قضاء مبرم سابق لا يد لنا فى رده ؟! فسيحدث رضينا أو كرهنا ، أردنا أو لم نرد ! والاجابة على هذه الاسئلة مجتمعة ، تمثل الاجابة الكاملة على السؤال الرئيسى ، الى أين نحن مسوقون ؟! فلنتعرض للاجابة عليها الواحد تلو الآخر ، ولو طال البحث وتشعب !

أ) قامت على أصول التوجيه الاسلامى دراسات ، وأنشئت باسمه كراس فى جامعات غربية أكثر منها شرقية ، وتناولتها أقلام صديقة وأخرى محايدة وثالثة سافرة العداء ، ووضعت لتوضيح نضوجها أو فجتها كتب ومؤلفات ، ولم يعد فيها سر خاف نخشى أن يتعرض للهواء فيفسد ، أو لضوء الشمس فيتبدد !!

فأما الصديق — لا المعتقد (٢) — فرأى بعد استقصاء وتعمق دراسة ، أن كل أمر الاسلام خير ، لأن ما ينشده الباحث عن السعادة قد وفرته تلك الاصول تماما ، فالمجتمع الذى تطبق فيه تعاليم الاسلام نصا وروحا يبيد فيه كل أعداء الانسانية وتنمو على أرضه مقومات الحياة الحرة الكريمة فى ظل حراسة ساهرة واعية !! وأعداء الانسانية : الجهل والمرض والفقر ، ومقومات الوجود الفاضل : اخاء وحرية ومساواة ، وموقف الاسلام من الاعداء والمقومات معلوم واضح ، فما أكثر ما تحدث عنها كتابه الكريم ، وما أوضح بيانا فسرته سنة نبيه صلى الله عليه وسلم . ولنعرج على مواقفه من كل منها !!

١ — فالاسلام الحق نور يبدد ظلام الجهل ، وما يزال به حتى يمحوه نهائيا من بيئة يعيش فيها ، وقول القرآن هو الفيصل ، والسنة مؤكدة ، والتاريخ شاهد عدل .

ففى القرآن : نجد أول خطاب الهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجه الى العلم الماحى للجهل ، فالدعوة الى القراءة توجيه الى مفتاح العلوم ، اذ هى النافذة التى يطل منها العقل على نتاج صفوة العلماء فى الماضى والحاضر ، وفى حث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت على تعلم العبرية كما رواه ابن الاثير فى تاريخه توجيه آخر لكل عاقل أن يلم بلغة ذات قيمة فى عصره لينفذ منها الى علوم لم تسجلها لغته ولم يعها تراث آبائه أو معاصروه من بنى قومه ، وفى قوله تعالى : « ... قل هل يستوى الذين يعلمون والذين

(٢) لأن المعتقد لتلك الاصول لا كلام لنا معه ولا استدلالنا بفعاله أو أقواله ، فأمره دائر بين أمرين ، فهو اما وارث لا يناقش ولا يقتدى به ، واما ناظر باحث يوكل الى نظره وبحثه ويصح أن يقتدى به .

لا يعلمون . . » ٩ سورة الزمر توضيح لفائدة العلم فهو الموصل الى أسـمى ما يطلبه مؤمن من عمله وهو معرفة ربه وعبادته على هدى وبصيرة ، فالذى لا يعلم يخبط خبط عشـواء لأنه لا يدرك الهدف فيما يأتى وما يذر لأنه جاهل بالنتائج ، والجاهل لا يصلح أن يكون من عباد الله المصطفين الاخيار ، فمن علم بلغ أعلى معارج الخير ومن جهل درج فى دركات الشر ، ولا يخفى هـذا على ذى لب يفهم وعقل يفكر ، فالمعتبرون بحجج الله المتعظون بها هم أهل الحجا والعقل لا أهل الجهالة والغفلة . . وأية اشادة بقيمة العلماء أعظم من تلك التى يشير اليها قوله تعالى « انما يخشى الله من عبـاده العلماء . . » والعلماء هنا ليسوا الفقهاء بالمعنى التقليدى الاصلاحى المعروف لدى المسلمين ، وانما تعنى الآية الكريمة المسلم العالم بكل الظواهر الـكونية وخفايا الوجود بالقدر الذى يسـتطيع الوصول اليه انسان عاقل باحث مفكر ، واستعراض آيات الكتاب الحكيم التى تحتوى على مادة (ع ل م) لا يدع مجالا لشك فى أن هذا التنزيل المبارك اشتمل على أوفى ما يمكن أن يقول به قائل فى تمجيد العلم ، وعلى الدفع القوى الى محو الجهل من بلاد يسودها الاسـلام شريعة ونظاما ، فلم يسبقه ولم يأت بعده من وفى العلم حقه ، وأنزل العلماء منازلهم السـامية فى قمة رعاة الانسـانية فى الحياة الدنيا ، وفى أعلى درجات الفردوس فى الآخرة : « يرفع الله الذين آمنوا منـكم والذين أوتوا العـلم درجات » .

وفى السنة : يكفى حديث واحد من عشرات المئات من الأحاديث الشريفة الداعية الى العلم والمشيدة بفضل العلماء . . عن قيس بن كثير قال : كنت جالسا مع أبى الدرداء فى مسجد دمشق فجاء رجل فقال : يا أبا الدرداء (انى جئتك من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئت لحاجة ، قال : فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة ، وأن الملائكة لتضـع أجنحتها رضى لطالب العلم ، وان العالم ليستغفر له من فى السـموات ومن فى الارض والحيتان فى جوف الماء ، وأن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وأن العلماء ورثة الانبياء ، وأن الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العـلم ، فمن أخذه أخذ بحـظ وافر » . رواه أحمد والترمذى وأبو داود وابن ماجه والدارمى .

وأخيرا يبقى حديث التاريخ : وتاريخ المدرسة الاسلامية معلوم مشهور وواضح غير خفى وقد ترجمت آثارها الى كل اللغات الحية ، ولم يعد أمرها خافيا فى عالم علماء الدنيا المعاصرة على الاخص ، وأسماء المعلمين والمتعلمين لا تكاد تحصى خصوصا من تصدروا للعلوم الاصيلة فى كل فن وعلم ، وكانوا اللبنات السليمة القوية التى قامت عليها حضارة العالم المعاصر شرقيه وغربيه ، العالم الذى لا يمكن أن ينسى أسماء الفلاسفة المسـلمين ولا الفقهاء من أمثال الكندى ، الفارابى ، ابن سيناء ، ابن رشد ، أبو حنيفة ، مالك ، الشافعى ، أحمد ، وابن تيمية أخيرا ، وليس آخرا وكذلك تلاميذه وتأثير مدرسته فى علماء العصر شرقا وغربا ، وغير هؤلاء ممن يعيى بهم الحاضر ويقف دون بلوغ عددهم العاد الحصيف ، فقد أخرجت المدرسة الاسلامية علماء فى كل علم وفن ، كما أسلفنا ، وذلك مشهور معلوم ، وهل يخفى القمر أو هل تجحد ذكاء .

وحين أقف تاركا الحديث الآن الى عدد قادم ــ بعون الله تعالى ــ أهيب بالقارىء الكريم ألا يتعجل معرفة الصلة بين حديث الباب وبين ما ذكرنا ، فذلك آت بفضل الله ، فالصـلة وثيقة وان غدا لنـاظره قريب . والله الموفق والمستعان .

ذكرى الهجرة

إعداد للنفوس وتجميع للقوى وحماية للدعوة

للشيخ : عبد الحميد السائح

أيها المسلمون :

لقد هاجر الرسول الأعظم سيدنا ومولانا محمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ، كما هاجر صحبه الأكرمون الذين اختاروا أن يكونوا له أعوانا فى دعوته ، وزملاء فى هجرته ، وشركاء فى جهاده وتضحياته .

وهذه هى السنة الثالثة التى تمر فيها هذه الذكرى وقد فقدنا فلسطيننا العزيزة ، وقدسنا الخالدة وأقصانا الحبيب ، وأراضى عربية عزيزة أخرى من الشام والكنانة ، وقد تركنا فيها أهلنا وأحبابنا ، ثابتين صامدين ، يناضلون العدوان ويكافحون الشر والآثام ، ويتعرضون لمختلف أنواع التنكيل والتعذيب ، وتهديم المساكن والمتاجر ، وانتهاك حرمة الأعراض ، والمقدسات ، وهم كالطود الشامخ ، يزدادون ثباتا وايمانا فى مقاومة الاحتلال ، وانواع الظلم امعانا ،

مهما عظمت التضحيات ، وثقلت وطأة النكبات ، يذكرون آل ياسر رضى الله عنهم وأرضاهم ، وقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم لهم ((صبرا آل ياسر ، فان موعدكم الجنة)) ويذكرون أيضا ، موقف بلال ، وأمثال بلال ، من الأصحاب الكرام ، فى تحمل مختلف أنواع العذاب والهوان ، فى سبيل المبدأ والعقيدة ، وما آل اليه حالهم نتيجة الصبر ، من النصر والعزة ورفعة الشأن ، ويضعون نصب أعينهم قول الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، فيما رواه البخارى ومسلم ((لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، واذا استنفرتم فانفروا)) .

وانهم لهم المرابطون المجاهدون الصادقون ، الذين يفوتون على العدو فرصته وهدفه ، فى تخلية البلاد ، وتهجير السكان ، ومع هذا يكونون ردءا لاخوانهم الفدائيين ، صفوة المجاهدين الأبرار ، والمؤمنين الأخيار .

واذا كان اخواننا الصامدون فى المناطق المحتلة ، يتمتعون عند الله ، فى صيانتهم ديار العروبة والاسلام ، ومكافحتهم الأغيار ، بمزية المهاجرين ، فان اخوانهم الذين يمدونهم بما يثبت أقدامهم ، ويعينهم فى جهادهم ، ويزودون الفدائيين بما يصعد عملهم ، ويقوى جلادهم ، من السلاح والمال ، يمتازون بدرجة الأنصار .

أيتها الشعوب العربية والاسلامية فى المشارق والمغارب :

لقد تحدتكم الصهيونية العالمية ، والاستعمار والامبريالية ، تختبر ايمانكم ، وتتفحص يقينكم واسلامكم وتمتحن قواكم وتتعرف مشاعركم :

هل أنتم على احتلال الديار صامتون ساكنون ؟
هل أنتم لاحراق الأقصى ، وأبعاده ، متحملون ؟
هل لكرامتكم ومقدساتكم ثائرون ؟
هل لشرفكم وكرامتكم منقذون ؟
هل على وجودكم وشخصيتكم محافظون ؟
أو أنكم فى حقوقكم مفرطون ؟
وعن أرضاء الله معرضون ؟
وفى سبيل الدنيا تتكالبون ؟
ومن أجل ملذاتكم وشهواتكم غارقون ؟
وتتحملون أبعاد قول الله العلى القدير :

« وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم »(١) .

أيها المسلمون :

يحدثنا التاريخ انه فى موقعة عمورية ، تعرضت امرأة واحدة لانتهاك عرضها ، فاستغاثت بأمير المؤمنين المعتصم ، قائلة : وامعتصماه ! فينتفض المعتصم ، ويحرك جيشه ، لانقاذ المرأة ، والشرف والكرامة ، ولا يقر له قرار ، حتى أعاد للمؤمنين عزتهم ورفيع شأنهم .

فكم من امرأة انتهك عرضها فى فلسطين وسائر الأراضى المحتلة ؟ وكم من حرمات فى تلك الديار استبيحت ؟ وكم من مقدسات دنست ؟

(وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) ؟ (٢) .

(يايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم أنفروا فى سبيل الله أثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل . إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير) (٣) (انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) (٤) .

أيها المسلمون حيثما وجدتم :

انه لا يجدينا فى ديننا ، وتبرئة ذمتنا ، أن نذكر مناسباتنا الدينية ، ونغض الطرف عن واقعنا ، ولا تتحرك فينا دواعى الايمان ، وبواعث الجهاد ، وقد أصبح من نافلة القول : ان الجهاد بالمال والنفس فرض عين على كل مسلم ، وكل محاولة أو التواء ، عن المبادرة للقيام بهذه الفريضة ، هو تخلف عن المشاركة ، وتقصير فى المساهمة ، وابقاء على نفوذ العدو ، وتمكين له من الاستمرار فى غطرسته وعنفوانه ، وتدنيس المقدسات

---

(١) الآية ٣٨ من سورة محمد .
(٢) الآية ٧٥ من سورة النساء .
(٣) الآيتان ٣٨ و ٣٩ من سورة التوبة .
(٤) الآية ٤١ من سورة التوبة .

البقيـــة ص ٢٧

كاتب المقال ــ أمورا ذات بال ، منها أن الولايات المتحدة مثلا تنفق سبعين ألف مليون دولار على معدات القتال . وأن شركاتها الكبرى تعامل شعوب العالم الثالث بنهم مستغرب لا مكان معه للرحمة بهؤلاء الجياع المساكين .

يقول : « وهناك صيغة شائعة فى أمريكا الجنوبية فحواها : أن خمسة من سكانها يموتون جوعا كل دقيقة ، فى حين أن الشركات المستغلة العاملة بها تكسب خمسة آلاف دولار كل دقيقة ، أى ألف دولار من كل ميت » . . !!

ومع شعورنا باتجاه الكاتب الا أننا نعرف أن المساعدات الاستعمارية مغشوشة النية ، سيئة الهدف ، فقد توزع على الاطفال مقادير من الالبان والجبن ، ولكنها تفرض على بيئتهم قيود الفقر الأبدى الى هذا النوع من المساعدات . .

هذه البرامج توزع المواد الاستهلاكية وحسب ، على الأمم المتخلفة ، وتمتنع امتناعا غريبا عن تصنيع البيئة ، واعانتها على أن تخدم نفسها بنفسها ، وتستغل مواردها الوطنية بقدراتها الخاصة !!

كأن شعوب هذا العالم الثالث ــ كما تسمى ــ ينبغى أن تظل مشلولة المواهب مكشوفة العجز ، لا تستطيع ارتفاق ما لديها من خيرات . . .

وعليها ــ بعد ــ أن تسمع الحكم بأن القيامة بعد كذا من السنين !!

ويتلقى هذا الكلام بعض قصار العقل فيطيرون به هنا وهناك ينذروننا بالويل والثبور وعظائم الأمور فاذا حاولنا التفاهم معهم قالوا : انكم رجعيون تائهون عن مقررات علم الاجتماع ، وأخطار يوم القيامة الذى سيجىء حتما مع زيادة السكان !!

ولنتناول الآن صميم المشكلة : هل حق أن بلاد العالم الثالث لا تكفى حاجات أهلها ، وبالتالى لا تتسع لمزيد من الأفواه التى تطلب القوت ، والأجساد التى تطلب الكسوة ؟

تلك هى الأكذوبة الكبرى التى يضخم الاستعمار صداها ويزعج الدنيا بطنينها !!

ان أقطار العالم الثالث مشحونة بخيرات تكفى أضعاف سكانه ، بيد أن هذه الخيرات تتطلب العقول البصيرة والأيدى القديرة .

ولو رزقت هذه الأقطار المتخلفة نهضة انسانية نزيهة ، تستهدف ايقاظ الملكات الغافية ، والحواس المخدرة ، وتطارد الخمول والوهن ، وتجند القدرات والخبرات ، وتمنع التظالم والترف ، وتضرب سياجا منيعا حول مصالح الشعوب يرد عنها غوائل الاستعمار بجميع أنواعه ، لكانت هذه الشعوب تحيا فى رغد من العيش تحسدها أقطار الغرب عليه !

ليست المشكلة اقتصادية كما يزعم الخبثاء من المستعمرين ، ومقلدوهم من الصياحين الذين يهرفون بما لا يعرفون . . .

الفقر فقر أخلاق ومواهب لا فقر أرزاق وامكانات !!

لماذا يكون المولود القادم أكالا لا شغالا ، مستهلكا لا منتجا ، عبئا على الحياة لا عونا على الحياة ؟؟

لماذا تهون الانسانية فى هذه الأجيال الوافدة فيكون وجودها مبعث قلق لا مثار استبشار ؟؟

ان الجهود المادية والمعنوية التى يبذلها المتشائمون لقتل هذه الأنفس أو للحيلولة دون وجودها لو بذلت فى تصحيح الأخطاء الاجتماعية ، وتقويم الانحرافات العقلية لكانت أقرب الى الرشد وأدنى الى الغاية !!

ولكن الاستعمار الأنانى الشره يريد التهام كل شىء لنفسه وحده ، بل الأنكى من ذلك أنه يعترض طريق كل نهضة تصحح الأوضاع ، لماذا ؟ كى تبقى الأمور كما هى ، ويبقى منطقه السقيم فى علاج الأمور !!

على أن تخلف العالم الثالث ليس علة أزلية ولا أبدية ، فقد كان الأوروبيون والامريكيون أسوأ حالا منذ قرون تعد على الأصابع ، وكانت الخرافة تفتك بعقولهم فتك الأدران والعلل بأبدانهم ، فاذا صعدوا فى سلم الترقى ، وهبط غيرهم بعد رفعة أو بدأ لأول مرة يخطو على درب المدنية فلا معنى للاختيال عليه والتشفى منه !! (كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم) .

والأمر لا يستدعى أكثر من تغيير الظروف المؤثرة فى أحوال المجتمعات فهناك مكان ينبت العز — كما يقول المتنبى — ومكان ينبت الذل — وهناك آخر يوقظ العقل أو ينيمه ..!!

والمعتوهون الذين يصرخون جزعين : قفوا نسل الأرانب حتى لا تقوم الساعة أو حتى ترقى الأمة .

لا يعلمون أن العالم الثالث لن يرقى ولو فقد تسعة أعشار عدده ما بقيت ظروفه النفسية والفكرية جامدة على أوضاعها الحالية ..

ونعود مع كاتب الأهرام لنبصر الواقع حيث يقول : « ان موارد العالم ، خصوصا موارد البلاد المتخلفة ما زالت تفوق كثيرا زيادة أعداد السكان ، فالفائض الاقتصادى المحتمل يمكن تحويله الى ضروب من النشاط المنتج بدلا من أن يذهب الى جيوب المرابين والوسطاء وملاك الأرض ، أو يتبدد فى وجوه السرف المختلفة ، وهذا الفائض هو ما يعرفه الاقتصاديون بأنه الفرق بين الانتاج فى ظروفه الطبيعية ، وبين ما يعد استهلاكه ضروريا للجماعة المنتجة ، ويقدر هذا الفرق بنحو ٢٠٪ من الانتاج القومى ، وهو يكفل عند استثماره زيادة سنوية فى الدخل تبلغ ٨٪ وهذه الزيادة تكفى بل تفيض عن متطلبات الزيادة السكانية .. » !

الفقر الواقع أو المتوقع لا يعود اذن الى علل طبيعية ، بل الى سوء تصرف واضطراب ادارة ..!!

أو كما يقول الاقتصادى الامريكى المشهور (بول باران) : « اننا يجب أن ندق ناقوس الخطر لا لأن القوانين الابدية فى الطبيعة قد جعلت من المستحيل اطعام سكان الأرض ، بل لأن النظام الاقتصادى الاستعمارى يحكم على جموع كثيفة من الناس ، لم يسمع بضخامتها من قبل ، أن تعيش فى كنف الفاقة والتدهور والموت قبل الأوان .!!

ثم أنهى الكاتب كلمته مؤكدا أنه لا حل لمشكلات التخلف ، ومن بينها ضغط السكان على الموارد الا بتنمية بلدان العالم الثالث لثرواتها ، ومضاعفة اعتمادها على نفسها ..

ثم على القدر الميسور من المعونات الأجنبية المنزهة .. » .

......

لقد قررت هذه الأحكام تقريبا فى كتابى (من هنا نعلم) المطبوع من ربع قرن ، ولذلك فقد انشرح صدرى عندما قرأت هذه الأيام ما يزيد الحق وضوحا ... وما يبدد ضبابا كثيرا نشره فى أفق الحياة العامة أقوام قصار الباع طوال الألسنة .

وانى ـ اذ أؤكد المعانى الآنفة ـ أوجه كلمة الى نفر من المتحدثين باسم الاسلام أساءوا الى حقائقه مرارا وهزموه فى مواطن كثيرة .

ان الاسلام ليس هو بالدين المحلى لأهل قطر من الأقطار ..

انه دين القارات الخمس ! وداره الرحبة الخصبة تمزج بين اجناس أمته فى أخوة جامعة لا تعرف الحدود الضيقة المفتعلة التى صنعها الاستعمار !! فكيف يعالجون مشكلة السكان وهم لا يدركون هذا الأساس المبين ؟ ثم أن هذا الدين يتعرض لحرب ابادة فى هذه الايام من تحالف الصهيونية والاستعمار ، فكيف تصدر الأوامر من رؤساء الاديان الأخرى بتكثير الاتباع ، ومباركة النسل ، ويفتون هم بالتعقيم والتقليل ؟ اننى لا أدرى علة هذا الزيغ ؟ أهى قلة العلم أو ليونة الضمير ؟؟

وتحذير آخر الى هؤلاء : ان أحدهم يقع على الكلمة تخدم غرضه منسوبة الى عمرو(١) بن العاص أو غيره من الرجال فيطير بها غير آبه بقيمة سندها ولا مكترث بأنها ملتقطة من كتب تجمع الجد والهزل والخطأ والصواب ...

ولو فرضنا جدلا صحة نسبتها الى عمرو ، فما كلام عمرو بالنسبة الى كلام الله ورسوله ؟ والى طبائع الأشياء وفق منطق الفطرة وحالة الدين وأوضاع المسلمين ؟؟

أرجو بعد كلمة الاهرام التى لخصتها فى مقالى أن تنتهى هذه المأساة ...



(١) ينسبون الى عمرو أنه أوصى بتقليل الاولاد ويبنون على ذلك أشياء كثيرة .

بقيـــة ذكرى الهجرة ص ٢١

وتهديدها ، وقضاء على الكرامات ولا يرضى بذلك مؤمن بالله ورسالاته .

أيها المسلمون :

ان هجرة الرسول الأعظم صلوات الله وســلامه عليه كانت أعدادا للنفوس ، وتجميعا للقوى ، وحماية للدعوة ، فلما أن أتم الله الوسائل استعاد الـــوطن والكرامة والعزة والشرف ، وجاء نصر الله والفتــح ، وتمكنت الدعوة ، وحينئذ أعلنها ، لا هجرة بعد الفتح .

فواجبنا اليوم حشد الطاقات ، وجمع الامكانات ، وتوجيه الضربات القاصمات ، التى تجعل العدو يفيق من سكراته وتشــعره أن فى العرين أســودا ، وفى الجموع ايمانا ، واستبسالا ، وتجعل المظاهرين لــه والمؤيدين من دول الاستعمار أكثر تنبها ووعيا ، لما قد يصيب مصالحها من أضرار واخطار ، اذا استمروا فى استخفافهم بالمشاعر الاسلامية ، والمصالح العربية .

وليعلم الجميع أن المسلمين والعرب ، حيثما وجدوا لن يسكتوا على ذل أصابهم ، وعار لحقهم ، وشر هــدد عقائدهم ووجودهم ، وزلزل مقدساتهم ، وهم مدركون لابعاد قول الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، فيمــا رواه ابو يعلى فــى مسنده ، ((اذا ذلت ذل الاسلام)) .

كما أن الهجرة النبوية كانت سببا فى عزة المؤمنين ، ونصرة الموحدين فلتكن الذكرى سببا لتوحيد القوى ، وتحقيق أهداف الهجرة ، والعمل الجدى المثمر السريع ، (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (٥) .

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) (٦) .

---

(٥) الآية ٧ من سورة محمد .

(٦) الآية ١٠٥ من سورة التوبة .

تفضيل بعض الورثة على بعض

هل يجوز لرب الأسرة أن يمنح بعض ورثته جزءاً من ماله تمييزاً له على غيره ؟

للشيخ عبد الجليل عيسى

قال كثير من العلماء لا يجوز له ذلك ، وهو حرام ، ورأى بعض هؤلاء أنه تصرف باطل ، ومن هؤلاء البخارى ، وطاووس والثورى ، وأحمد بن حنبل ، واسحق وبعض المالكية . قال الحافظ بن حجر : والمشهور عن هؤلاء أن هذا التصرف باطل ، وعن أحمد أنه يصح لكنه حرام يجب الرجوع فيه ، وتجرأ بعضهم على القول بأنه مكروه فقط .

استدل الاولون بأن الله سبحانه لم يفصل تفصيلا دقيقا فى حكم من الاحكام كما فصل فى تقسيم المواريث ، فبينما تراه فى الصلاة يكتفى سبحانه بقوله : « وأقيموا الصلاة » ويترك بيان عدد ركعاتها ، وكيفية أعمالها ، وأوقاتها لبيان الرسول صلى الله عليه وسلم ، تنفيذا لقوله تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » (١) .

وكذلك الزكاة بقوله سبحانه : « وآتوا الزكاة » ويبين الرسول صلى الله عليه وسلم ، أنواع ما تجب فيه ، ومقادير كل نوع ، وأوقات استحقاقها ، وغير ذلك .

وكذلك الحج بقوله سبحانه : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » وبين الرسول فرائضه ، وواجباته وشروطه وغير ذلك .

نقول بينما نراه سبحانه فى كل ذلك يكتفى بالامر مجملا ، ويترك البيان للرسول ، نراه فى المواريث يسلك غير ذلك ، فيفصلها تفصيلا دقيقا ، فيقول : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » الى آخر آيتى ١١ و ١٢ من سورة النساء ، ثم لم يرض سبحانه بهذا التفصيل الدقيق ، بل يذكر أمامه آية تعتبر مقدمة هامة له ، فيقول : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو أكثر نصيبا

(١) آية ٤٤ من سورة النحل .

اتقوا الله واعدلوا بين أبنائكم

(حديث شريف)

وهل صحيح ما يقال من أنه مكروه فقط أو هو حرام ؟

مفروضا » (٢) ثم عقب على ذلك التقسيم بآيتى ١٣ و١٤ يبين فيهمـــا أن تلك الاحكام هى حدود الله ، وأنه وعد من أطاعه فى تنفيذها بالجنة ، وأوعد من عصاه بالنار .

فاذا تأملنا آية ٧ نراه سبحانه اختار طريق النص والتفصيل ، ولم يقل : « للرجال والنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون .. الخ » بل ذكر النساء على حدة ، كما ذكر الرجال سواء بسواء ، فماذا يريد القرآن من هذا ؟

يريد تهجين عادة جاهلية ، كانت تقترفها بعض قبائل العرب (٣) تلك هى عادة حرمان النساء من الميراث ، ومن المحزن أن الدوافع على هذه العـــادة الشنيعة جرت ذيولها الى يومنا هذا ، حيث تحـــايل بعض من ينسبون الى الاسلام للوصول اليها حتى انغمسوا فى أوحالها ، كما ستراه فيما بعد ، ثم مما يؤكد استهجان هذه العادة قوله تعالى : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » .

---

(٢) آية ٧ من سورة النساء .

(٣) قلنا بعض القبائل لـــا ثبت أن كثيرا من القبائل كانت تنفر من العوائد المستهجنة ، قال أبو اسحاق الشاطبى المتوفى سنة ٧٩٠ هـ فى كتابه الموافقات جزء ٢ صفحة ٥١ طبع دمشق : « ان للعرب فى الجاهلية عوائد قبيحة ، أبطلها الاسلام كما كان لهم عوائد حميدة أقرها الاسلام ، ومن هـــذا النوع الاخير تقدير الدية ، وفرضـــها على العاقلة ، وتوريث الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين وغير ذلك) وقال الحافظ ابن حجر جزء ١٢ صفحة ٧١ طبع الخشاب : (مما كان عند العرب فى الجاهلية وأقره الاسلام قطع يد السارق ، ومن العوائد القبيحة التى حاربها الاسلام ولكنها لم تكن عامة فى العرب ، بل كانت محصورة فى بطن من بطون تميم ، ولم تعمر طويلا ، عادة قتل البنات بدفنهن تحت التراب وهن أحياء ونزل فيها قوله تعالى : (واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون) آيتى ٥٨ و٥٩ من سورة النحل ، وكان أول من ابتدع هذه العادة القبيحة هو قيس بن عاصم التميمى ، وكان ذلك قبل ظهور الاسلام بزمن يسير ، لأن قيسا أدرك الاسلام وأسلم وحسن اسلامه ، فقضى على هذه العادة الشنيعة قبل أن تستفحل .

ولنذكر الآن أدلة هؤلاء المانعين ، ثم نتلوها بأدلة المجيزين مع مناقشتها بما يوضح موطن الحق فى هذا الموضوع .

استدل المانعون :

أولا : بقوله تعــــالى فى آخر آية ١١ المتقدم الاشــارة اليها « آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لــكم نفعا » أى لا تقيدوا ما شرعه الله لــكم فى قســمة أموالكم بين ورثتكم ظانين أن من تميزونه ينفعكم ، لأنكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا ، فاتركوا الأمر للعليم الخبير بعباده .

ثانيا : قوله تعالى فى هذه الآية أيضا : « يوصيكم الله .. الخ » ثم كرر الوصية بذلك فى آخر آية ١٢ فقال : « وصية من الله » فمعنى هذا أن الموصى بهذا التقسيم هو الله سبحانه وتعالى ، واذا كان الرجل منكم اذا أوصى بشىء من ماله فى حدود الثلث فانه يجب عليكم شرعا تنفيذ وصيته ، فكيف والحال أن الموصى هنا هو العزيز العليم ، أليس هذا يحتم على المؤمن أن يحافظ على ماأوصى به ربه أشد من محافظته على وصية رجل من أهله ؟

ثالثا : قوله تعالى فى آخر آية ١١ « فريضة من الله » أى أن هذه السهام التى بينت لكم فرضها الله عليكم فرضا محتما ، فيجب عليكم المحافظــة على فرائضه لأنها صادرة من العليم بأحوال عباده ، الحكيم فيما يشرع .

رابعا : ختم سبحانه هذا التقسيم بآيتى ١٣ و١٤ ليغلق منافذ التلاعب حيث جاء بتلك العبارة الحازمة التى تحمل فى طياتها ارعادا وابراقا يزعجان كل من تحدثه نفسه بالتلاعب بها ، تلاعب بنى اسرائيل بأحكام الله حيث تحايلوا على ابطال ما أمر الله به فى كثير من الامور (٤) .

فقال سبحانه فى هاتين الآيتين : « تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيهــا وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » .

قد يقول قائل : لم كانت عناية القرآن بتقسيم الثروات على هذا الوجه المفصل دون غيرها ؟

نقول لأن الله سبحانه الذى خلق الانسان ، ويعلم ما ركب فى نفسه من الشح (٥) يعلم أن المال هو عصب الحياة ، وأنه زينة الحياة الدنيا (٦) ، ويتفانى الانسان فى الحصول على القناطير المقنطرة منه (٧) .

مال هذا منزلته فى نفوس البشر ، لا جرم أن كل امرىء يحرص أشــد الحرص على جذبه الى جانبه ، ويكره أن يفلت منه شىء كان ينتظره ، لكل ذلك تولى سبحانه تقسيمه بنفسه ، ليستل من الصدور ما قد يحيك فيها اذا ترك توزيعه لغيره ، ويكون سبحانه بذلك أغلق أبواب شرور كثيرة ، كما سنعلمه بعــد .

---

(٤) من ذلك تلاعبهم عندما نهاهم الله سبحانه عن صيد السمك يوم السبت ، فكانوا يضعون الشباك حول السمك فى الماء ليمنعوه من الرجوع الى داخل البحر يوم الاحد ، وعند ذلك يأخذونه بسهولة ويزعمون أنهم لم يخالفوا أمر الله حيث لم يخرجوا السمك فى يوم السبت من الماء فقال سبحانه فيهم : « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) آيات ١٦٣ الى آخر ١٦٦ من سورة الاعراف .

(٥) آية ١٢٨ من سورة النساء .

(٦) آية ٤٦ من سورة الكهف .

(٧) آية ١٤ من سورة آل عمران .

رب قائل من بعض العلماء يقول : ان هـــذه الآيات القرآنية وردت فى الكلام عن تقسيم تركة الميت ، فهى لا تمس تصرف الحى فى ماله الذى هو محل النزاع ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول فيها : « مما ترك الوالدان والاقربون » ويقول : « ولكم نصف ما ترك أزواجكم .. الخ » الى غير ذلك ، فهى آيات خاصة بالتركة جاءت لتقضى على عادات شاذة ، وتقرر المبادىء الصالحة لكل زمان ومكان ، وقد كان بعض غلاظ القلوب يورثون الذكور دون الاناث ، كما علمت ، وبعضهم يورثون الكبار دون الصغار حتى ولو كانوا ذكورا ، كما تضمنت أيضا اغلاق باب دعوة ، تهب آنا ، وتسكت آنا منادية بالتسوية بين الرجل والمرأة فى الميراث .

نقول .. قد يقال كل هذا . ولدفعه نقول : ان الاسلام أعطى الوسائل حكم المقاصد ، والمقدمات حكم ما توصل اليه ، فحرم النظر الى الاجنبية لا لذاته ، بل لأنه يريد الزنا المحرم لذاته ، وحرم الخطوات الموصلة الى السرقة وأوجب الخطوات الموصلة الى صلاة الجمعة مثلا ، لأن ما لا يتم الواجب الشرعى الا به فهو واجب شرعا أيضا ، وما لا يتم الحرام الشرعى الا به فهو حرام شرعا أيضا ، واذا كان تفضيل الاولاد على بعض يعتبر نوعا من الحيل التى يتوصل بها الى تعطيل ما أمر الله به فى تقسيم المواريث فانه يكون محظورا لـــا فيه من المفاسد التى نرى ونسمع كثيرا منها ، فقد فضل رجل طفلين صغيرين من زوجته الشابة على ولدين كبيرين من امرأة أخرى بقراريط من الارض ، فغلا الغضب فى رأس هذين الكبيرين فدفعهما الى دفن الطفلين البريئين فى كومة من (التبن) عند رجوعهما من المدرسة ، فماتا شهيدين لهذا الجور الذى ارتكبه والدهما ، ومن ذلك تحايل رجل ثرى كان يمتلك أكثر من مائتى فدان ، فمنح هذه الثروة جميعها لطفل صغير له من امرأته الشابة ، وحرم من ثرواته من بقى من ذريته ، وسلك لذلك حيلة البيع الصادر منه لابنه الطفل فتقطعت أواصر الاسرة وعلا صراخها حتى وصل الصحف ، فاذا لم يحرم الاسلام عملا تترتب عليه هذه الآثار السيئة فماذا يحرم اذن ؟

والدليل على أن هذا هو مراد الله سبحانه من هذا التقسيم الذى ذكره القرآن ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الموضوع ، وما قاله العلماء فى ذلك :

١ ـــ فقد روى البخارى ومسلم وغيرهما من علمـــاء كتب السنة عن النعمان بن بشير (٨) أنه قال « أعطانى أبى عطية (٩) فقالت عمرة (١٠) بنت رواحة لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١١) وقال يا رسول الله ، انى أعطيت ابنى هذا من عمرة بنت رواحة عطية ، وطلبت منى أن أشهدك عليها فقال صلى الله عليه وسلم ، هل لك أولاد غيره ؟ وفى رواية : هل له أخوة ؟ فقال بشير : نعم فقال صلى الله عليه وسلم : هل أعطيت بقية أولادك مثل هذا ؟ قال لا فقال صلى الله عليه وسلم : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ، ارجع العطية ، فرجع النعمان فرد عطيته .

٢ ـــ وفى رواية لمسلم ، قال صلى الله عليه وسلم : أشهد على هذا

---

(٨) هو بشير بن سعد الانصارى الخزرجى .

(٩) قيل : كانت هذه العطية غلاما .

(١٠) هى عمرة بفتح العين وســكون الميم ، بنت رواحة بفتح الراء والحاء ، الانصـــارية الخزرجية زوج بشير وأم النعمان .

(١١) وفى رواية : فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقودنى بيده .

غيرى فانى لا أشهد على جور .

٣ — وفى رواية جابر ، فليس يصح هذا ، وانى لا أشهد الا على حق .

٤ — وفى رواية أحمد بن حنبل ، لا تشهدنى على جور ، وان لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم .

٥ — وفى رواية مسلم عن الشعبى ، قال صلى الله عليه وسلم « اعدلوا بين أولادكم فى العطايا كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر » .

فيؤخذ من كل هذه الروايات :

أولا : أن الرسول صلى الله عليه وسلم امتنع عن الشهادة .

ثانيا : وسمى هذا التفضيل جورا .

ثالثا : وجعله بعيدا عن العدل الذى أمر الله به المؤمنين ، ولا شك أن تعليل امتناعه صلوات الله عليه عن الشهادة بأن هذا العمل جور ، يدل على الحرمة ان لم يدل على البطلان ، وعلل العلماء حرمة ذلك بأنه يقضى الى العقوق وتباغض الاولاد وتقاتلهم ، ولا جرم أن ما يفضى الى هــذا المنكر يكون حراما قطعا ، ولذلك قال ابن دقيق العيد . . ان صيغة الحديث مشعرة بالتنفير الشديد من ذلك العمل ، حيث امتنع صلى الله عليه وسلم عن الشهادة عليه معللا ذلك بأنه جور .

وقال المهلب : يؤخذ من الحديث أن الامام يرد العطية ممن يعرف منــه هروبا من بعض الورثة ، وقد تمسك من يقول بالبطلان بقوله صلى الله عليه وسلم فى رواية جابر رقم ٣ (فليس يصح هذا) وبرجوع النعمان عن الاستمرار فى انجاز عطيته .

هذه أدلة من منع تفضيل بعض الورثة على بعض من الكتاب والسنة .

فما هى أدلة من أجاز ذلك ؟ وماذا يقولون فى هذه الادلة السابقة ؟

قالوا :

أولا : ان من المقرر شرعا أن للمالك حق التصرف فى ملكه كما يشاء ، فاذا فضل بعض أولاده مثلا على بعض فهو تصرف فى حدود هذا الحق .

ثانيا : ان العلماء اتفقوا على أنه يجوز لمالك المال أن يعطى منه أجنبيــا فاعطاؤه بعض ورثته أولى بالجواز من الاجنبى . وقالوا فى الحديث أن قوله صلى الله عليه وسلم : (أشهد غيرى) يدل على الاذن باشهاد الغير ، وهــذا بدوره يدل على صحة التصرف ، وقالوا فى امتناعه صلى الله عليه وسلم عن تحمل الشهادة لأنه الامام ، والامام لا يتحمل الشهادة .

ورد المانعون كل ما ذكر بما يأتى :

أما أن المالك يتصرف فى ملكه كما يشاء فهو كلام صحيح ، ولكنه ليس على اطلاقه ، اذ ليس له أن يتصرف الا فى الحدود التى رسمها له الشرع ، ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم منع الرجل الذى أراد أن يتصدق بكل ماله ، ولمــا قال الرجل ، أتصدق بالنصف ، قال له صلى الله عليه وسلم : لا ، ولا النصف ، فقال الرجل ، أتصدق بالثلث ؟ فقال النبى : (الثلث والثلث كثير ، لأن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يتكففون الناس) . وأيضا منع الشارع صاحب المال من التبذير أو التقتير فقال : (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) آيتى ٢٦ و٢٧ من سورة الاسراء ، وقال سبحانه : (و لاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) آية ٢٩ من سورة الاسراء ، وقال سبحانه فى صفة عباد الرحمن : (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) آية ٦٧ من سورة الفرقان ، فترى من ذلك أنه سبحانه

رب قائل من بعض العلماء يقول : ان هـــذه الآيات القرآنية وردت فى الكلام عن تقسيم تركة الميت ، فهى لا تمس تصرف الحى فى ماله الذى هو محل النزاع ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول فيها : « مما ترك الوالدان والاقربون » ويقول : « ولكم نصف ما ترك أزواجكم .. الخ » الى غير ذلك ، فهى آيات خاصة بالتركة جاءت لتقضى على عادات شاذة ، وتقرر المبادىء الصالحة لكل زمان ومكان ، وقد كان بعض غلاظ القلوب يورثون الذكور دون الاناث ، كما علمت ، وبعضهم يورثون الكبار دون الصغار حتى ولو كانوا ذكورا ، كما تضمنت أيضا اغلاق باب دعوة ، تهب آنا ، وتسكت آنا منادية بالتسوية بين الرجل والمرأة فى الميراث .

نقول .. قد يقال كل هذا . ولدفعه نقول : ان الاسلام أعطى الوسائل حكم المقاصد ، والمقدمات حكم ما توصل اليه ، فحرم النظر الى الاجنبية لا لذاته ، بل لأنه يريد الزنا المحرم لذاته ، وحرم الخطوات الموصلة الى السرقة وأوجب الخطوات الموصلة الى صلاة الجمعة مثلا ، لأن ما لا يتم الواجب الشرعى الا به فهو واجب شرعا أيضا ، وما لا يتم الحرام الشرعى الا به فهو حرام شرعا أيضا ، واذا كان تفضيل الاولاد على بعض يعتبر نوعا من الحيل التى يتوصل بها الى تعطيل ما أمر الله به فى تقسيم المواريث فانه يكون محظورا لـــا فيه من المفاسد التى نرى ونسمع كثيرا منها ، فقد فضل رجل طفلين صغيرين من زوجته الشابة على ولدين كبيرين من امرأة أخرى بقراريط من الارض ، فغلا الغضب فى رأس هذين الكبيرين فدفعهما الى دفن الطفلين البريئين فى كومة من (التبن) عند رجوعهما من المدرسة ، فماتا شهيدين لهذا الجور الذى ارتكبه والدهما ، ومن ذلك تحايل رجل ثرى كان يمتلك أكثر من مائتى فدان ، فمنح هذه الثروة جميعها لطفل صغير له من امرأته الشابة ، وحرم من ثرواته من بقى من ذريته ، وسلك لذلك حيلة البيع الصادر منه لابنه الطفل فتقطعت أواصر الاسرة وعلا صراخها حتى وصل الصحف ، فاذا لم يحرم الاسلام عملا تترتب عليه هذه الآثار السيئة فماذا يحرم اذن ؟

والدليل على أن هذا هو مراد الله سبحانه من هذا التقسيم الذى ذكره القرآن ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الموضوع ، وما قاله العلماء فى ذلك :

١ ــ فقد روى البخارى ومسلم وغيرهما من علمـــاء كتب السنة عن النعمان بن بشير (٨) أنه قال « أعطانى أبى عطية (٩) فقالت عمرة (١٠) بنت رواحة لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١١) وقال يا رسول الله ، انى أعطيت ابنى هذا من عمرة بنت رواحة عطية ، وطلبت منى أن أشهدك عليها فقال صلى الله عليه وسلم ، هل لك أولاد غيره ؟ وفى رواية : هل له أخوة ؟ فقال بشير : نعم فقال صلى الله عليه وسلم : هل أعطيت بقية أولادك مثل هذا ؟ قال لا فقال صلى الله عليه وسلم : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ، ارجع العطية ، فرجع النعمان فرد عطيته .

٢ ــ وفى رواية لمسلم ، قال صلى الله عليه وسلم : أشهد على هذا

---

(٨) هو بشير بن سعد الانصارى الخزرجى .

(٩) قيل : كانت هذه العطية غلاما .

(١٠) هى عمرة بفتح العين وسكون الميم ، بنت رواحة بفتح الراء والحاء ، الانصارية الخزرجية زوج بشير وأم النعمان .

(١١) وفى رواية : فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقودنى بيده .

غيرى فانى لا أشهد على جور .

٣ — وفى رواية جابر ، فليس يصح هذا ، وانى لا أشهد الا على حق .

٤ — وفى رواية أحمد بن حنبل ، لا تشهدنى على جور ، وان لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم .

٥ — وفى رواية مسلم عن الشعبى ، قال صلى الله عليه وسلم « اعدلوا بين أولادكم فى العطايا كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر » .

فيؤخذ من كل هذه الروايات :

أولا : أن الرسول صلى الله عليه وسلم امتنع عن الشهادة .

ثانيا : وسمى هذا التفضيل جورا .

ثالثا : وجعله بعيدا عن العدل الذى أمر الله به المؤمنين ، ولا شك أن تعليل امتناعه صلوات الله عليه عن الشهادة بأن هذا العمل جور ، يدل على الحرمة ان لم يدل على البطلان ، وعلل العلماء حرمة ذلك بأنه يقضى الى العقوق وتباغض الاولاد وتقاتلهم ، ولا جرم أن ما يفضى الى هـذا المنكر يكون حراما قطعا ، ولذلك قال ابن دقيق العيد . . ان صيغة الحديث مشعرة بالتنفير الشديد من ذلك العمل ، حيث امتنع صلى الله عليه وسلم عن الشهادة عليه معللا ذلك بأنه جور .

وقال المهلب : يؤخذ من الحديث أن الامام يرد العطية ممن يعرف منـه هروبا من بعض الورثة ، وقد تمسك من يقول بالبطلان بقوله صلى الله عليه وسلم فى رواية جابر رقم ٣ (فليس يصح هذا) وبرجوع النعمان عن الاستمرار فى انجاز عطيته .

هذه أدلة من منع تفضيل بعض الورثة على بعض من الكتاب والسنة .

فما هى أدلة من أجاز ذلك ؟ وماذا يقولون فى هذه الادلة السابقة ؟

قالوا :

أولا : ان من المقرر شرعا أن للمالك حق التصرف فى ملكه كما يشاء ، فاذا فضل بعض أولاده مثلا على بعض فهو تصرف فى حدود هذا الحق .

ثانيا : ان العلماء اتفقوا على أنه يجوز لمالك المال أن يعطى منه أجنبيـا فاعطاؤه بعض ورثته أولى بالجواز من الاجنبى . وقالوا فى الحديث أن قوله صلى الله عليه وسلم : (أشهد غيرى) يدل على الاذن باشهاد الغير ، وهـذا بدوره يدل على صحة التصرف ، وقالوا فى امتناعه صلى الله عليه وسلم عن تحمل الشهادة لأنه الامام ، والامام لا يتحمل الشهادة .

ورد المانعون كل ما ذكر بما يأتى :

أما أن المالك يتصرف فى ملكه كما يشاء فهو كلام صحيح ، ولكنه ليس على اطلاقه ، اذ ليس له أن يتصرف الا فى الحدود التى رسمها له الشرع ، ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم منع الرجل الذى أراد أن يتصدق بكل ماله ، ولمـا قال الرجل ، أتصدق بالنصف ، قال له صلى الله عليه وسلم : لا ، ولا النصف ، فقال الرجل ، أتصدق بالثلث ؟ فقال النبى : (الثلث والثلث كثير ، لأن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يتكففون الناس) . وأيضا منع الشارع صاحب المال من التبذير أو التقتير فقال : (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) آيتى ٢٦ و٢٧ من سورة الاسراء ، وقال سبحانه : (و لاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) آية ٢٩ من سورة الاسراء ، وقال سبحانه فى صفة عباد الرحمن : (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) آية ٦٧ من سورة الفرقان ، فترى من ذلك أنه سبحانه

منع اضاعة المال فى غير فائدة دينية أو دنيوية ، كما يفعل بعض السفهاء .
ومحل النزاع هنا : (وهو تفضيل بعض الاولاد على بعض) من هذا النوع الذى حرمه الله ، وليس مما أجاز للمالك أن يتصرف فيه كما يشاء .
وأما الاستدلال بأنه يجوز للمالك أن يعطى بعض ماله لأجنبى فاعطاؤه بعض ورثته أولى فانه استدلال مردود :
أولا : بما قاله الحافظ ابن حجر فى شرحه للبخارى من أن هذا قياس فاسد ، لأنه قياس فى مواجهة نص يخالفه ، وقد أجمع العلماء على ابطال قياس هذا حاله .
وثانيا : بأن يقال إن هذا الاجنبى ان كان مما لا يجوز اعطاؤه شرعا ، كما نقرأ ونسمع كثيرا عن رجال من الاثرياء ممن بلغ من الكبر عتيا ، ثم وقع فى شباك فتاة لعوب فاستنزفت جل ماله ان لم يكن كله ، وترك أولاده وأمهم فى حال يرثى لها وألجأت بعضهم الى طلب الحجر عليه . فبذل المال فى هذا السبيل لا شك فى أنه محرم شرعا على المؤمن ، ولا يجوز القياس عليه للوصول الى الجواز .
وان كان هذا الأجنبى مما يجوز البذل له كالفقير أو ذى الرحم المحتاج ، وأراد الوالد أن يدخر لنفسه ثوابا عند الله ، فأعطى مثل هؤلاء فى حدود الثلث فان أولاده لا يغضبهم ذلك ، لأنهم لا يكرهون خيرا يناله والدهم عند ربه فلا يسبب لهم ذلك التباغض والتقاطع الذى يحصل اذا فضل بعضهم على بعض بدون سبب ، لأن من طبيعة النفوس البشرية أنها يسرع اليها الفساد من تفاضل يحصل بين متماثلين يتجلى فيه تحيز الوالد لأحدهما .
وأما دعوى أن قوله صلى الله عليه وسلم : (أشهد غيرى) تفيد الجواز .. الخ . فمردودة بأن هذا القول من أشد أساليب النهى والتوبيخ ، قال ابن حيان : قوله صلى الله عليه وسلم : (اشهد غيرى) صيغة أمر يراد به نفى الجواز ، ويؤيده تسميته صلى الله عليه وسلم ذلك جورا وأنه ليس حقا .. الى آخر ما تقدم . فهو من قبيل قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث القدسى عن الله عز وجل : (من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى فليلتمس ربا سواى) ، ونظير هذا الاسلوب فى الزجر والتهديد قوله تعالى : (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) آية ٢٩ من سورة الكهف ، فهل يقول عاقل .. ان فى هذا الحديث الاذن فى اتخاذ رب غير الله ؟ أو فى الآية الاذن بالكفر ؟
وأما القول بأن الامام لا يتحمل الشهادة فمردود بأنه ليس من شأن الامام ولا من شروطامامته أن يمتنع عليه تحمل الشهادة ولا أداؤها .
قال الحافظ ابن حجر : والحق أن التسوية واجبة ، وأن التفاضل بغير ريب شرعى حرام .

النتيجــــة

ان الذى يؤخذ من آراء المحققين فى هذا الموضوع :
أنه اذا كان تفضيل بعض الورثة على بعض بسبب مشروع جاز ، قال أحمد بن حنبل : (ان كان للتفاضل سبب كأن يكون أحد الاولاد مريضا مرضا مزمنا جاز) لأن اخوته لا يغضبهم ذلك ، اذ الاخوة الصحيحة تتطلب منهم أن ينفقوا على أخ لهم فى مثل هذه الحال حتى من عنــد أنفسهم ، وكذلك يجوز التفاضل اذا كان أحد الورثة صغيرا يحتاج الى تربيــة أو تعليم أو زواج فى المستقبل مثلا ، وكان اخوته الكبار قد نالوا حظهم من ذلك ، فهنا يحسن أن يتساوى بهم أخوهم الصغير .

اعرف عدوك

اليهود في فلسطين وخارجها

فى الحديث عن قيام دولة اليهود بفلسطين يتحتم على البحث أن يحتوى ثلاث نقاط مهمة هى :

الأولى : الزراعة وسيلة اليهودى لاستعمار فلسطين
الثانية : علاقة اليهود خارج فلسطين بدولة اليهود
الثالثة : الى أى مدى استطاعت الصهيونية أن تكون دولة على أساس الدين وحده ... ؟

وللاجابة على النقطة الأولى نلجأ الى مؤرخ صهيونى هو (روفائيل ماهلر) الذى وضع دراسة عميقة عن وضع اليهود الاقتصادى فى البلاد المختلفة ، رأسمالية وشيوعية واشتراكية ، ويقرر هذا المؤرخ ان اليهود يتجنبون مهنة الزراعة وأنه ليس بينهم فلاحون قط ، فيما عدا مناطق صغيرة نائية فى بولندا وروسيا فى عهد القيصرية ، وكما تجنب اليهود الزراعة فانهم تجنبوا الصناعة كذلك ، فليس لهم فى المناجم عامل واحد ، وليس لهم أى دور فى النشاط الصناعى ، أما الاعمال التى تخصصوا فيها فهى التجارة والمال والمهن الحرة كالطب والمحاماة والصحافة .

ويقرر المؤرخ الصهيونى ان هذا الوضع يثير الناس ضد اليهود لانهم لا يسهمون فى عمليات الانتاج ولا يحملون عبء العمل مع المناضلين ويروى المؤرخ انه طالما سمع فى بولندا من العمال هذا السؤال : لماذا لا نجد من بين اليهود أى عامل صناعى مثلنا ؟ لماذا لا نراهم فى هذه الأعمال المجهدة ؟ ويروى أنه قرأ أخيرا ان الاتحاد السوفياتى قرر انه ليس من حق أية قومية من قوميات الاتحاد السوفياتى ان يكون لها نسبة بين طلبة الجامعات أكثر مما لها من

طبيعة اليهود الاعتماد على وسائل الكسب الرخيص وعدم ولائهم في أي مكان إلا لإسرائيل

للدكتور احمد شلبي

نسبة بين عمال المناجم ويعقب المؤرخ على هذا بقوله انه لا يوجد عامل مناجم يهودى واحد فى روسيا ولا فى أمريكا .

ويشرح لنا Hormer السبب فى عدم اقبال اليهود على الزراعة والصناعة فيقول : ان اليهود فى خلال عصور التشرد لم يكن يسمح لهم بشراء الارض ، اذ لم يكن يسمح لهم بالاستقرار فى البلاد التى نزلوا بها ، ومن ثم لم يتجهوا للزراعة ، كما ان اليهود لم يكن يسمح لهم بدخول المصانع والمناجم اذ كان يخشى ان يكونوا بها عوامل تخريب واضطراب ، وبذلك اتجهوا الى المهن الفردية ، كالطب والمحاماة والكتابة والتجارة ، على ان ميولهم للتجارة ، كانت أوسع لانهم يربحون خلالها دون ان يقدموا للمجتمع الذى يعيشون فيه اية خدمات .

ولكن الحركة الصهيونية ادركت منذ وقت مبكر ان الزراعة هى التى تمنح الشعب استقراره وتغرس جذوره فى الارض ، ولذلك كان من أول اتجاهاتها خلق الفلاح اليهودى والمزرعة اليهودية ، فخلق المزرعة اليهودية كان قرارا سياسيا وليس قرارا اقتصاديا ، من أجل هذا حرص اليهود بفلسطين على توسيع مزارعهم وللوصول لهذا الهدف ملكوا الارض بوسائل متعددة وحاولوا اغتصاب ماء الاردن بتحويل مجراه .

واتجه اليهود بالمزرعة لتكون وحدة زراعية وعسكرية فى نفس الوقت فرجالها يعنون بالزراعة ويدافعون عن المستعمرة دفاعا عسكريا حتى اذا قامت اسرائيل بحرب أصبحت المزارع المتجاورة بمثابة حصون دفاعية يسكنها الفلاح الجندى وتمتد على طول الحدود بين اسرائيل والبلاد العربية .

ويتصل بهذه الخطة ما شرحه

ايزمان زعيم اسرائيل بقوله — ان أيى هو ان الوطن القومى له سبيل احد لتحقيقه ، وذلك السبيل هو سم دونم الى مزرعـة ، وبقرة الى قرة ،...، وبهذا كانت الزراعة هى لسبيل الذى ارتآه اليهـود طريقا تحقيق أهدافهم الصهيونية ، ولكن ليهود لن يصبروا على شظف الزراعة يوم يحسون بالاستقرار سيتركون لزراعة الى وسائل الكسب الرخيص السهل وما اكثرها عند اليهود .

وللاجابة عن النقطة الثانية نذكر ان وعد بلفور نفسه تنبأ بخطر العلاقة ين اليهود خارج فلسطين وبين دولة اليهود ، فلمن يكون ولاء اليهود الذين يعيشون فى غير فلسطين .. ؟ هل سيكون ولاؤهم للبلد الـذى ينتمون اليه سياسيا ؟ أو للبلد الذى ينتمون اليه روحيا . وشمل وعد بلفور نصا يقرر ان الوطن القومى لليهود فى فلسطين لا يتنافى مع الحقوق والمركز السياسى الذى يتمتع به اليهود فى غير فلسطين ..

وعلى هذا فاليهود فى غير اسرائيل مواطنون ، ولاؤهم — نظريا — للبلاد التى يعيشـون فيهـا ويحملون جنسياتها ، ولكن العلاقة بين اسرائيل وبين اليهود خارجها لم تسر علـى هذه النظرية واتخذت من الناحيـة العلميـة الاتجاهات التى تحملهـا الافكار التالية :

— أعلنت الصهيونيـة ان اليهود المقيمين خـارج اسرائيل طوائف مشتتـة تعيش فى المنفى وانهـم مواطنون اسرائيليون قبل كل شىء ، ويتحتم عليهم الولاء المطلق لهذه الدولة الجديدة مهما تكن جنسيتهم الرسمية التى يسبغونها على أنفسهم ، وتقول (جولدا ماير) عن هذا ان اليهودى الانجليزى الذى ينشد بحكم انجليزيته نشيد (حفظ الله الملكة) لا يمكن ان يكون فى نفس الوقت — صهيونيا .

— تقول الصهيونية انه اذا كان اليهود لا يتعرضون للاضـطهاد فى العهد الحاضر كما تعرضوا من قبل فى روسيا القيصرية ، وفى المانيـا النازية فان تعرضـهم للاضـطهاد محتمل ، فهم ساميون وهم شـعب مختار ممتاز ، وسيظل العالم لهذا يصطنع الوسائل لاضطهادهم .

— أما (آرى تاتاكودار) استاذ علم الاجتماع فى الجامعة العبريـة فيضع الامر بحيث لا يحتمل شـكا ، ويلزم اليهود ان يحسوا بالاضطهـاد ولو لم يكن هناك احتمال له .

وهو يقول فى ذلك — ان اليهودى حقا هو من يشعر بأن هناك (مشكلة يهودية) حتى ولو عاش بمفرده فى جزيرة نائية ليس بهامن يضطهده .

— رفعت الحركة الصهيونية فوق راس اليهود خارج اسرائيل سـلاح التهديد ، ولم يكن التخلص من هذا السلاح ممكنا الا بكتابة شيك على احد البنوك تبرعا لاسرائيل .

— من اجل هـذا كان كثير من المفكرين اليهود يعارضون قيام دولة اسرائيل ايمانا منهم بأن قيامها قـد يكون سببا فى اضطهاد اليهـود من الدول الأخرى فى المسـتقبل ، لان اسرائيل كدولة لا بد ان تكون لها مع الزمن مواقفها المؤيدة والمعادية لدولة أخرى وفى حالات العداء سوف يكون لليهود بهذه الدولة وضع لا يحسدون عليه ، ولكن هذه الاصـوات خفتت بعد قيام اسرائيل وان بقى أصحابها يضعون ايديهم على قلوبهم .

وعن النقطة الثالثة نذكر ان علماء الاجتماع قرروا ان مقومات التجانس تشمل ثمانية أسس ، هى اللغة والدين والارض والتاريخ والاقتصاد والآمال والجنس والأمن الداخلى والخارجى ، وقد اقام اليهود دولتهم على اساس الدين فقط ، وواضح ان الفشل لا بد ان يكون نصيب مثل هذا المجتمع لما بين معتنقى هذا الدين من تفاوت واسع ، وقد دل تعداد اسرائيل الذى أجرى سنة ١٩٥٦ م على ان اليهود باسرائيل يبلغون ١٫٦٦٧٫٤٥٥ منهم ١٨٫٨١٠ اشخاص غير معروفى الأصل وأما الباقون فمنهم ٣١٫٥٪ من ابناء آسيا و ٢٤٫٤ من ابناء افريقية و ٤٣٫٣ من ابناء أوروبا و ٠٫٨ من ابناء أمريكا فما هى العلاقة بين هؤلاء اليهود بعضهم والبعض الآخر ؟

ان كل المعلومات والأنباء تؤكد ان الصهيونيين الأوروبيين يحتقرون الصهيونيين الأفريقيين والآسيويين ، وقد صرح الدكتور موشين وهو من كبار اليهود الشرقيين بان الاضطهاد العنصرى ضد اليهود الشرقيين اضطهاد حقيقى وليس مختلقا .

ويتضح من دراسة المؤلف الحافل الذى وضعه عن اليهود ان ما يعانيه المجتمع اليهودى الآن من فرقة وتشعب عميق الجذور يرجع اصله الى عهد العودة من سجن بابل ويقرر ان المجتمع اليهودى عقب العودة من هذا السجن كان منقسما قسمين بينهما حاجز حاد ، وكان احدهما يكون الطبقة العليا ويكون الثانى الطبقة السفلى ، وكان القسم الأول يصف نفسه بأنه الجنس المقدس او البذور المقدسة التى لم تختلط بدم اجنبى وعادت من بابل لتعيد بناء الهيكل ومن هذا القسم يختار كبار القسس وكبار الرجال بالمدن ، أما القسم الثانى فيشمل اولئك الذين قيل ان دماءهم اختلطت بدماء أجنبية ويتحتم ان يقنع هؤلاء بالمهن الحقيرة وبالحياة فى القرى ولا ينافسون افراد القسم الأول فى امتيازاتهم ولا فى القيادة التى هى حق من حقوقهم .

ويقول الدكتور هومر أوجل وهو قس أمريكى وقد زار اسرائيل انه رأى فى اسرائيل اقواما مختلفين نجحوا فى اقامة مزارع ومدن وفشلوا فى اقامة وطن موحد ولم يكن هذا هو الشىء الوحيد الذى هزه فى اسرائيل وانما هزه ايضا اختلاف القيم والمبادىء والاخلاق مما جعله يقرر ان استمرار هذه الدولة فيه قضاؤها على نفسها .

ويرى انتونى ناتنج ان الجنس الاوروبى من اليهود غير مستقر فى اسرائيل وان هؤلاء الاوروبيين لم يجدوا مطلقا اماكنهم هناك ولم ولن يشعروا بأى استقرار بالرغم من كونهم الجنس الحاكم او المسيطر .

وعلى هذا يبنى انتونى ناتنج نظريته التى تتنبأ بتقلص الجنس الاوروبى من ناحية وامتصاص الجنس العربى لما بقى فى فلسطين من اجانب من ناحية أخرى فى تطور تدريجى ويقرر ناتنج ان من الطبيعى او من المحتم ان تستوعب فلسطين ابناءها المشردين خارجها وان تلفظ الاجانب الذين لا ينماعون فى الحياة الجديدة ، ثم تنشأ دولة فلسطين من حكومة عربية اقليمية مزدوجة العنصر يعيش فيها العرب واليهود جنبا الى جنب ، وهذا يتفق مع الاتجاه الذى يقول به كثير من قادة فلسطين فى الوقت الحاضر .

وسيجىء اليوم الذى ينتصر فيه الحق ويعود المشرد الى داره والارض السليبة لأصحابها ... ››

مائدة القارئ

« فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد وأما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة عرفها لهم »
صدق الله العظيم

فى طريق الهجرة :

مر الرسول وأبو بكر فى طريقهما الى المدينة بخيمة أم معبد ، فسألها النبى صلى الله عليه وسلم — وهى لا تعرفه — عن شىء من القوت ، فقدمت له شاة هزيلة ، فمسح على ضرعها بيده غدر منه اللبن الغزير ، فشرب السفر منه ، وظلت أم معبد فى عجب حتى عاد زوجها بغنماته ، فأخبرته بأمر ضيوفها ، فعرف أن هذا شأن الرجل الذى سمع به فى قريش — محمد — وعلى اثر ذلك سمع أهل مكة من ينشد هذه الابيات :

جزى الله رب العرش خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به ... وأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شأنها وانائها ... فانكموا أن تسألوا الشاة تشهد

دعاء

هبنى اللهم الصبر والقدرة
لأرضى بما ليس منه بد
وهبنى اللهم الشجاعة والقدرة
لأغير ما تقوى على تغييره يد
وهبنى اللهم السداد والحكمة
لأميز بين هذا وذاك

ماقل ودل

- اذا أردت أن تتكلم عن ميت ، فضع نفسك فى موضعه ثم تكلم .
- لو اجتمع الذين ملأوا الدنيا بشهرتهم — ما ملأوا دارا صغيرة .
- للتاريخ حدود كممالك الارض ، فلا يتسع الا لعدد محدود .

اعدها : ابو نزار

خمس مدمرات :

يا معشر المهاجرين : خمس خصـــال اذا ابتليتم بهن ــ واعوذ بالله ان تدركوهن :

١ ــ لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الطاعون والاوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا .

٢ ــ ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم .

٣ ــ ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من الســـماء ولولا البهائم لم يمطروا .

٤ ــ ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذ بعض ما فى أيديهم .

٥ ــ وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله تعالى ويتخيروا فيما أنزل الله : الا جعل الله بأسهم بينهم .

أبو علقمـــة :

قال أبو علقمة يوما لغلامه : خذ من غريمنا هـــذا كفيلا ، ومن الكفيل أمينا ، ومن الامين زعيما ، ومن الزعيم غريما .

فقال الغلام للغريم : مولاى هذا كثير الكلام ، فهل معك شىء فأرضـــاه الغريم ، فخلاه الغلام ، فلما انصرف قال أبو علقمة :

يا غلام ما صنع غريمنا ؟ قال :

سقع (بمعنى ذهب) قال : ويلك ما معنى سقع ؟ قال : بقع (ذهب) قال : ويلك ما معنى بقع ؟ قال : استقلع (رحل) قال : ويلك : ما معنى استقلع ؟ قال : انقلع ، قال : ويلك ولم طولت على ؟ قال : منك تعلمت .

منطق الجبان :

قيل لجبان : انهزمت ، فغضب عليك الامير ، فقال يغضب على الامير وأنا حى أحب الى من أن يرضى عنى وأنا ميت .

نفطـــويه :

جاء نحوى يعود مريضا ، فطرق بابه ، فخرج اليه ولده ، فقال له : كيف وجدت أباك ؟ قال : يا عم ورمت رجليه ، قال : لا تلحن قل رجلاه ، ثم ماذا ؟ قال : ثم وصل الورم الى ركبتاه ، قال : لا تلحن قل ركبتيه ، ثم ماذا ؟ قال : مات وأدخله الله فى عيالك وعيال سيبويه ونفطويه وجحشويه .



ماذا يُراد بالمسجد الأقصى المبارك

- نقل الصخر من ولاية «انديانا» لبناء الهيكل
- رقم (٧) يتكرر في تنفيذ المخططات العدوانية
- خطر الصهيونية على المقدسات الإسلامية والمسيحية

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

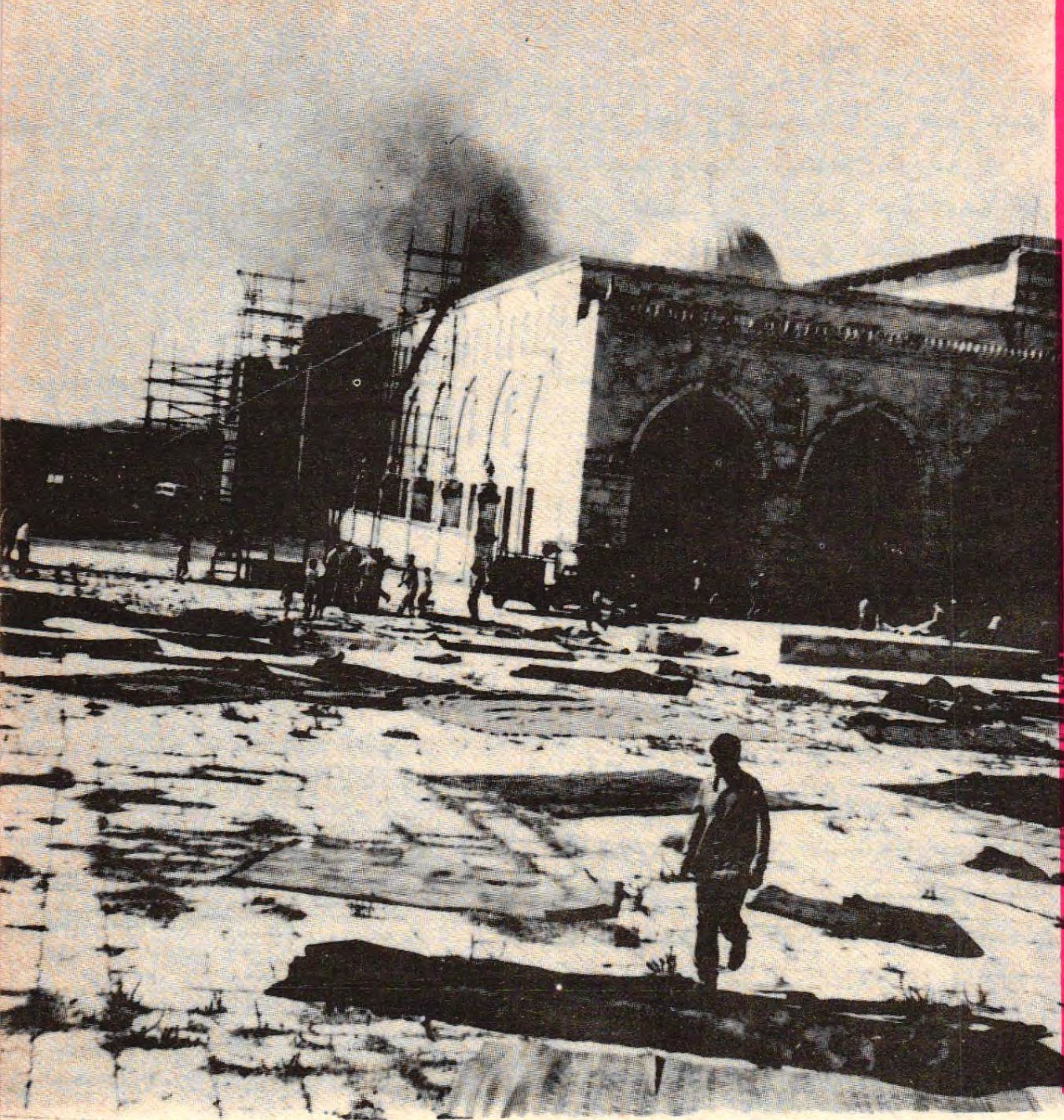
فى يوم الخميس الثامن من جمادى الثانية سنة (١٣٨٩) الهجرية المصادف ٢١ آب (أغسطس) سنة ١٩٦٩ م حرقت اسرائيل المسجد الاقصى المبارك . وقد دمر الحريق القسم الجنوبى الشرقى من المسجد ، كما أتى على منبره الاثرى .

وقد تركت اسرائيل القسم الباقى من المسجد الذى تزعزعت أركانه وتصدعت جذرانه من جراء الحريق ، عرضة للسيول الجارفة فى الشتاء المقبل ، لتجرف ما تبقى منه خلال الشتاء القادم ، دون أن تفعل شيئا مذكورا لصيانته من تلك السيول .

ان اسرائيل تريد أن يصبح المسجد الاقصى أثرا بعد عين ، لتقيم على انقاضه هيكل سليمان بأقرب فرصة ممكنة .

ومن المؤسف حقا ، أن حرق المسجد الاقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، لم يكن مفاجأة للعارفين بنيات الصهيونية العالمية واسرائيل ، لان نياتهم معروفة قبل أن يكون لاسرائيل وجود فى الارض المقدسة وبعد أن أصبح لها كيان فى فلسطين .

ولو أردت تعداد ما ورد من وثائق وتصريحات تكشف نيات الصهاينة



ألسنة اللهب التى التهمت الجزء الجنوبى من المسجد الاقصى وترتفع مئات الاقدام فى سماء القدس نتيجة الحريق المتعمد الذى شب فى ١٩٦٩/٨/٢١ .

المبيتة حول تدمير المسجد الاقصى وبناء هيكل سليمان على انقاضه ، لطال المدى وبعد الشوط ، وحسبى أن أذكر لمحات منها هى فى الواقع غيض من فيض لعل فيها فائدة للقراء .

قبل مولد اسرائيل :

جاء فى دائرة المعارف اليهودية المطبوعة فى لندن سنة ١٩٠٤ ما نصه : « ان اليهود يجمعون أمرهم بغية الزحف على القدس وقهر العرب واعادة العبادة الى الهيكل واقامة ملكهم هناك » .

وجاء فى دائرة المعارف البريطانية ما نصه : « ان اليهود يتطلعون الى امتداد اسرائيل واستعادة الدولة اليهودية واعادة بناء الهيكل » .

وقد طالب اليهود اثناء الانتداب البريطانى على فلسطين الحكومة البريطانية أن تسلمهم الحرم الشريف فى القدس بحجة انه ملك لهم .

وفى سنة ١٩٢٩ أعلن الزعيم اليهودى (جلوزتز) أن المسجد الاقصى القائم على قدس الاقداس ملك لهم .

وقال الوزير البريطانى اليهودى

ـورد (متشت) : ان اليوم الذى يعاد فيه بنـاء الهيكل اصبح قريبا ـا ، واننى أكرس ما بقى من حياتى ـاء هيكل سليمان فى مكان المسجد ـصى .

د مولد اسرائيل :

بعد مولـد اسرائيل صرح (بن ـريون) مرات عديدة ولا يزال : لا معنى لاسرائيل بـدون القدس ، معنى للقدس بدون الهيكل » .

وقد هدمت اسرائيل بعد احتلال ـدس يـوم ٦ يونيو (حزيران) ١٩٦ جميع الابنية الاثريـة وغير ثرية الواقعة حول المسجد الاقصى ثا عن آثار عبرانية يمكن أن تكشف ن بقايا هيكل سليمان .

وقد صرح وزير الاديان الاسرائيلى مؤتمر دينى عقد فى القـدس يد احتلالها قال فيـه : « أرض حرم (يريد أرض المسجد الاقصى) ك يهـودى بحق الاحتـلال وبحق راء اجدادهم لها منذ ألفى سنة » .

وقد انشأت اسرائيل صندوقـا مع التبرعات اطلقت عليه اسم : صندوق اعادة بناء هيكل سليمان)، قد استطاعت جمع مبالغ طائلة من يهود واشياعهم فى العالم .

وفى ٣٠ آذار (مارس) سنة١٩٦٨ ب امريكى من البحرية الامريكية ـالـة الى المجلس الاعلى للشؤون لاسلامية فى القـدس قال فيها : ان هيكـل سليمان كـان المحفل ماسونى الاصلـى ، وان سليمان ان رئيس المحفل ، وان مسجد عمر يقصد المسجد الاقصى) واقع على الهيكل هو والصخرة التى قدم عليها ابراهيم ولـده اسحق قربانا لله . وانى كماسونى أرأس جماعـة فى أمريكا نطمح أن نرى هيكل سليمان وقد اعيد بناؤه ، وان هذه الجماعة تقوم بجمع مائـة مليون دولار لهذا الغرض » .

وقد مهـدت الصحف الاسرائيلية قبل شهر واحد من حرق المسجـد الاقصى الجو المناسـب لازالته من الوجود ، فدعت الى اتخاذ اجراءات عاجلة لتحقيق ذلك .

وكمثال على ذلك ، نشرت صحيفة (لامرحاب) مقـالا تحت عنوان : (هيكل سليمان بالقدس) قالت فيه حرفيا : « يجب الاستيلاء بسرعـة على المقـدسات الاسلامية ووضعها تحت سلطـة اسرائيـل مهما كان الثمن » .

وكشف المجلس الاسلامى الاعلى فى القدس عن استمرار المؤامـرة الصهيونية علـى المسجد الاقصى ، فطالب فى أوائل تشرين الاول اكتوبر سنة ١٩٦٩ (جولدا مائير) رئيسة وزراء اسرائيـل بأن توقف فـورا اعمال الحفر التى تقوم بها السلطات الاسرائيلية أسفل المسجد الاقصى ، وأنذر بأن هـذا الحفر يهدد بتقويض المسجد من أساسه .

واعـرب زعماء المسلمين فـى القدس عن مخـاوفهم من أن تسفر اعمال الحفر هذه التى وصلت الـى عمق أربعين قدمـا علـى تعريض المسجد للخطر ، وقد سبق لاعمال الحفر أن أصابت الجانب الجنوبى من المسجد بأضرار جسيمة قبل جريمة حرق المسجد الاقصى .

وفى افادة المتهم بحرق المسجد الاقصى التى اذيعت يوم ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٩ ذكر بصراحة : « انه اقدم على حرق المسجد الاقصى ، ليقوم على انقاضه هيكل سليمان » .

اثر الدين اليهودى فى الصهيونية :

ان العقيدة الصهيونية تنبع من صميم الدين اليهودى ، وعلى اساس الدين قامت العقيدة الصهيونية وقام عليه الحل الصهيونى للمشكلة اليهودية ايضا .

واختيار فلسطين وطنا قوميا لليهود دون سائر بقاع الارض أساسه دينى بحت على اعتبار أن فلسطين هى الوطن القومى التاريخى للشعب اليهودى حسب نصوص التوراة والكتب المقدسة اليهودية كالتلمود .

قال (هيرتزل) فى خطابه الافتتاحى الذى القاه فى المؤتمر الصهيونى العالمى الاول الذى عقد فى مدينة (بال) السويسرية عام ١٨٩٧ : « الصهيونية هى العودة الى حظيرة اليهودية قبل أن تصبح الرجوع الى أرض اليهود » .

وكتب هيرتزل فى كراس : (الدولة اليهودية) : « الايمان يوحد فيما بيننا » . وقال : (اريد تربية أولادى وتنشئتهم على الاعتقاد بالاله التاريخى » . وقال : « لم يكن الله ليبقينا على قيد الحياة طيلة العصور الفائتة ، لو لم يبق لنا دور لنلعبه فى تاريخ البشرية » .

ولرجال الدين فى اسرائيل اثر كبير ، وأيام السبت يبرز بوضوح اثر اليهودية فى الحياة العامة الاسرائيلية ، ومما يذكر أن بن غوريون حضر تشييع جنازة تشرشل الذى جرى يوم السبت ، فسار على أقدامه مسافة طويلة وهو قد بلغ من العمر عتيا وكاد يموت من التعب رافضا ركوب سيارته لان ذلك محرم فى يوم السبت !

والخلاصة ان الصهاينة يلتزمون بتعاليم دينهم ، ولا يبالون أن يتمسكوا بالخرافات التى لا يستطيع عاقل أن يصدقها التزاما بما جاء فى التوراة وكتبهم المقدسة وأساطيرهم التى اثبت التاريخ زيفها .

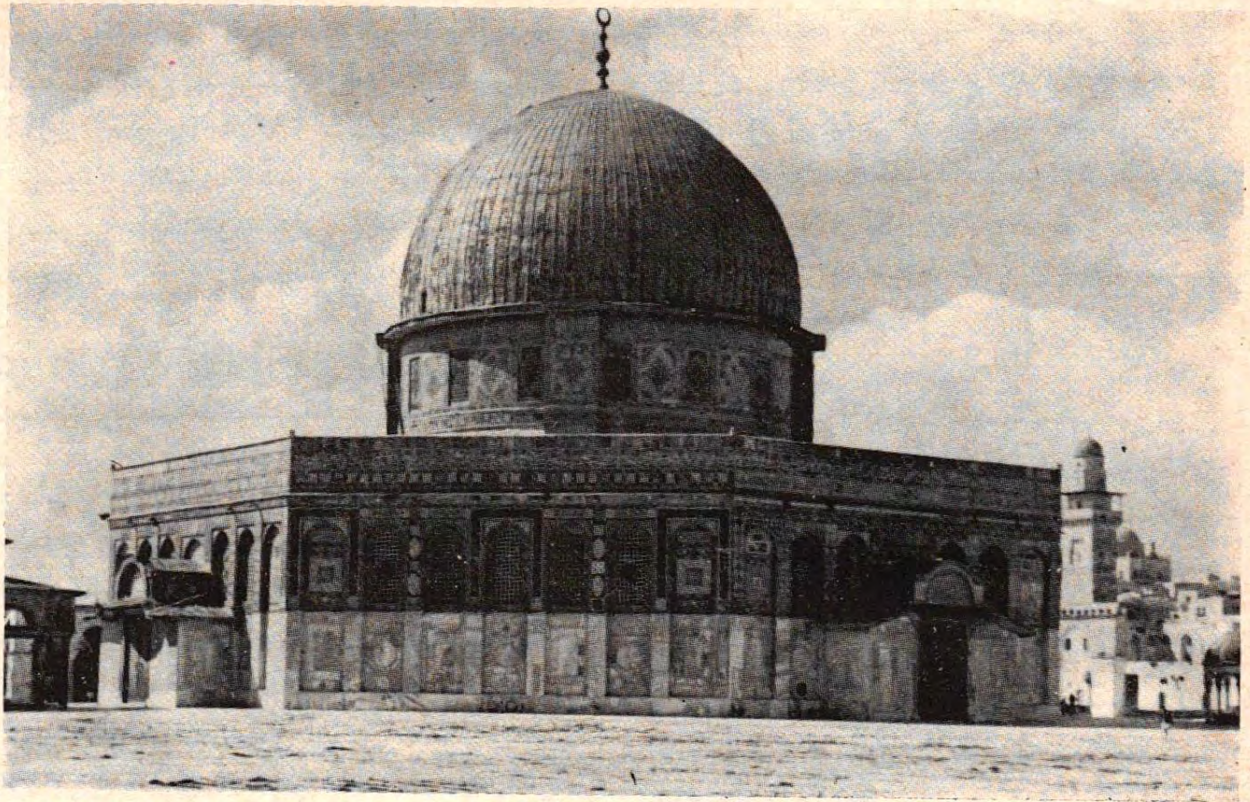
توقيتات غريبة :

ذكر المؤرخ (غارستانك) أن يهود مصر خرجوا من مصر سنة ١٤٤٧ قبل الميلاد وقد قررت الامم المتحدة فرض التقسيم وانشاء دولة اسرائيل سنة (١٩٤٧) م .

وكان عدد يهود مصر الذين غادروها مع موسى عليه السلام الى فلسطين حسب رواية التوراة (٦٠٠٠٠٠) ، وقد صدر قرار التقسيم حين اصبح عدد اليهود فى فلسطين سنة ١٩٤٧ نفس عددهم وقت خروجهم من مصر اى (٦٠٠٠٠٠) نسمة .

وقد دمر تيتوس هيكل سليمان يوم ٢١ آب (اغسطس) سنة ٧٠ ميلادية ، وجرى حرق المسجد الاقصى يوم ٢١ آب ــ (اغسطس) كما هو معروف !

والسؤال الان : هل من الصدف أن يتم احراق المسجد الاقصى فى



قبة الصخرة المشرفة

نفس اليوم الذى احرق فيه هيكل سليمان ؟

ان من الملاحظ أن اليهود يتفاءلون بالرقم (٧) لانهم يعتبرونه رقما ربانيا ، لذلك يقدمون على تنفيذ اعمالهم الكبرى فى موعد تاريخه فيه هذا الرقم .

والامثلة على ذلك لا تعد ولا تحصى .

فى تاريخهم القريب ، اى منذ عقد المؤتمر الصهيونى الاول حتى اليوم ، نجد أن الصهاينة يعتمدون على الرقم (٧) بصورة واضحة جلية .

فى سنة ١٨٩٧ عقد المؤتمر الصهيونى الاول فى مدينة بال السويسرية ، وقد أقر هذا المؤتمر دستور الصهيونية العالمية لتحقيق انشاء دولة اسرائيل ، وانشأ المنظمات السياسية والاقتصادية واللجان وذلك بوضع هذا الدستور فى حيز التنفيذ .

وفى سنة ١٩٠٧ بدأت هجرة اليهود المنظمة الى فلسطين ، وبدأ انشاء المستعمرات الصهيونية على أرض فلسطين حسب خطة مرسومة بدعم مادى ومعنوى من الصهيونية العالمية .

وفى سنة ١٩١٧ صدر وعد بلفور ، وهو مكسب سياسى كبير للصهيونية العالمية ، لانه يسر لهم الدعم السياسى المنشود من اكبر دولة استعمارية فى حينه وهى بريطانيا .

وفى سنة ١٩٢٧ زادت كثافة الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وزاد عدد المستعمرات اليهودية فى الارض العربية بالشراء والاغتصاب باسناد الاستعمار البريطانى .

وفى سنة ١٩٣٧ بدأ انشاء القوات المسلحة النظامية للصهاينة فى الارض المقدسة بشكل واسع

وعلنى ، واصبح للصهاينة عصابات ارهابية قوية مسلحة بكميات ضخمة من السلاح والذخيرة .

وفى سنة ١٩٤٧ صدر قرار التقسيم الذى اقرته المنظمة الدولية ، فأصبح للصهاينة حق شرعى معترف به دوليا فى انشاء وطن قومى لهم على جزء من فلسطين .

وفى سنة ١٩٥٧ انطلقت التجارة الاسرائيلية عبر خليج العقبة الى آسيا وافريقية ، واصبحت اسرائيل تمتلك حرية الملاحة فى هذا الخليج مستندة على (ايلات) الاسرائيلى .
وفى سنة ١٩٦٧ استولت اسرائيل على الضفة الغربية فى الاردن وعلى قطاع غزة وصحراء سيناء حتى قناة السويس وعلى الهضبة السورية .

ان معظم المؤرخين متفقون على أن (بروتوكولات حكماء صهيون) قد وضعت وأقرت فى المؤتمر الصهيونى الاول الذى عقد فى بال السويسرية سنة ١٨٩٧ ، وقد قدر ذلك المؤتمر لتنفيذ مخطط الصهيونية العالمية التوسعى الاستيطانى كما جاء فى (البروتوكولات) مائة سنة (١٨٩٧ — ١٩٩٧) ، اى أن الصهاينة يطمعون فى تكوين اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات سنة (١٩٩٧)!
هكذا يتكرر الرقم (٧) فى توقيت تنفيذ مخططاتهم العدوانية .

اعادة بناء هيكل سليمان :

ان النار التى احرقت المسجد الاقصى المبارك لا تزال تضطرم فى قلوب الصهاينة حماسا لتحقيق فكرة تاريخية قديمة تنص على : « اعادة بناء هيكل سليمان الذى هدمه (تيتوس) سنة ٧٠ ميلادية فى نفس المكان الذى يقع فيه المسجد الاقصى والمنطقة المجاورة له ، ويجب أن يتم ذلك فى ذكرى تهديم الهيكل التى تصادف الحادى والعشرين من شهر آب) .

هذا النص المذكور حرفيا فى التاريخ الصهيونى الحديث . جاء ذكر الجزء الثانى منه فى الاسفار التاريخية التى تعرض تاريخ بنى اسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين وبالتحديد فى (سفر الملوك) ، أما الجزء الاول منه فقد جاء نصه فى (اسفار التلمود) المسماة (بالجمارا) شروح المشنات المؤلفة باللغة الآرامية — مدرسة بال .

ان اسرائيل ملتزمة باعادة بناء هيكل سليمان على انقاض المسجد الاقصى ، وهى تعمل جاهدة على تنفيذه . ولم تمر مناسبة منذ استيلائها على القدس يوم ٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ حتى الان ، الا وكشفت اسرائيل نياتها المبيتة على الالتزام القاطع بهذه النصوص ابتداء من تهجير السكان حول المسجد الاقصى وانتهاء بحرق المسجد الاقصى .

وقد أرسلت الحكومة الامريكية حمولة (٥٠٠) شاحنة كبيرة من الحجارة الصخرية من (بيدفورد) بولاية (انديانا) الى اسرائيل كما جاء فى مجلة المسيحية المعاصرة ، وتعتبر حجارة (انديانا) من افضل صخور البناء فى العالم . أما الغرض من استيراد هذه الحجارة ، فهو اعادة بناء هيكل سليمان . وقد اذاعت هذا السر مصادر عليمة فى ساسبورغ انديانا التى ذكرت أن

حجر الزاوية للهيكل في القدس قد وصل الى اسرائيل ، وان تحضير مواد بناء هيكل سليمان يجرى بصورة سرية منذ سبع سنوات ، وقد تبرعت حكومة الولايات المتحدة الامريكية بعمودين من البرونز لنفس الغرض .

متى تشرع اسرائيل فى اعادة بناء الهيكل ؟

ان عام (١٩٧٠) هو ذكرى مرور (١٩٠٠) عام على هدم الهيكل ، لذلك ستشرع اسرائيل باعادة بناء الهيكل فى ٢١ آب (اغسطس) سنة ١٩٧٠ .

وليس هذا الذى ذكرته تنبؤا ، بل هو نتيجة منطقية للسلوك الاسرائيلى دينيا وسياسيا واجتماعيا .

ان حكام اسرائيل يلتزمون بالدين اليهودى وبما جاء فى كتبهم المقدسة من أساطير ، وكل ما فعلوه حتى الآن يثبت ذلك بشكل قاطع .

وقد ذكرنا تصريحات زعماء اسرائيل السياسيين والدينيين حول اعادة بناء هيكل سليمان على انقاض المسجد الاقصى المبارك وعزمهم الاكيد على تنفيذ خططهم وتصاميمهم لاقامة الهيكل .

وقد أعلنت الوزارة الاسرائيلية الجديدة التى تشكلت فى شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ برنامجها الجديد ، لعل اهم سماته :

١ ـ عدم قبول اى تسوية أو حل يفرض من الخارج .

٢ ـ ضرورة كفالة أمن اسرائيل واستقلالها داخل حدود مأمونة ومعترف بها .

٣ ـ عدم العودة الى خطوط ما قبل حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

٤ ـ التمسك بالقدس بشقيها العربى واليهودى عاصمة موحدة لاسرائيل .

والواقع أن هذه النقطة الاخيرة بالذات ، وهى موضوع القدس ، هى اهم ما يجب أن نهتم به ، لما تنطوى عليه المشاريع الاسرائيلية بالنسبة للقدس من خطورة .

ان الاسلام ومقدساته سيتعرضان لأحلك ايامهما على يد الوزارة الجديدة .

ان الاغلبية التى حصل عليها التحالف العمالى فى الوزارة الاسرائيلية الجديدة ، له دلالة بالغة الاهمية ، لان البيان السياسى المتضمن برنامج عمل التحالف العمالى والذى خاض على أساسه الانتخابات العامة الاخيرة وربحها ، والذى صدر يوم ١٩٦٩/٨/٥ بعد أن انتهى الحزب من مؤتمره الذى ناقش فيه برنامجه الانتخابى ، قد تضمن نقطة خطيرة للغاية عند الحديث عن القدس هى بالحرف الواحد : **« سوف تتخذ الاجراءات المناسبة لضمان الوضع الدينى للاماكن المقدسة لاسرائيل والمسيحية والمحافظة عليها وكفالة حرية الوصول اليها من قبل الاشخاص من جميع العقائد »** .

والامر الذى يلفت النظر ، ونوجه اليه انظار العرب والمسلمين ، هو اغفال ذكر الاماكن المقدسة للاسلام وضمان وضعها الدينى فى البرنامج الرسمى لاقوى الاحزاب الاسرائيلية،

وهو الحزب الحاكم الآن بالفعل ، الامر الذى يقطع بأن النية مبيتة على القضاء نهائيا على الوضع الدينى للاماكن المقدسة الخاصة بالمسلمين !

كما أن الوزارة الاسرائيلية الجديدة تضم وزراء من الاحزاب الدينية المتعصبة الى أبعد الحدود لفكرة اعادة بناء هيكل سليمان ، ومناهجها الحزبية المعروفة خير دليل على ذلك .

وينبغى الا يتطرق الشك الى احد من العرب والمسلمين ، بأن الصهاينة متعصبون لليهود قوما ، ولليهودية دينا ، والا فلا معنى للصهيونية بدون هذا التعصب العنصرى الذى فاق تعصب النازى وبدون هذا التعصب الدينى . ولعل القراء يذكرون الازمة التى نشبت فى اسرائيل فى اواخر شهر تشرين الاول اكتوبر ١٩٦٩ حول تشغيل المذياع المصور (التلفزيون) الاسرائيلى فى أيام السبت ، اذ اعتبر رجال الدين اليهودى هذا العمل محرما تحريما قاطعا .

وقد بدر من جانب السلطات الاسرائيلية عدد من التصرفات تثبت وتؤكد بما لا يترك مجالا للشك فى نيات اسرائيل بالنسبة للاماكن الاسلامية المقدسة عامة والمسجد الاقصى المبارك خاصة .

فقد حرقت اسرائيل القسم الجنوبى الشرقى من المسجد فأصبح ما تبقى منه آيلا للسقوط ، اذا لم يعد بناؤه فورا .

وقد أصابت حفريات اسرائيل تحت المسجد الأقصى القسم الجنوبى منه بأضرار جسيمة ، اذ بقى هذا القسم فوق أرض مجوفة لا تقوى على تحمل ثقل البناء مدة طويلة .

اما القسم الغربى من المسجد فهو معرض للسيول التى تكون عاصفة فى أيام الشتاء نظرا لغزارة الامطار التى تهطل على القدس فى اواخر أيام الخريف وفى الشتاء وفى اوائل ايام الربيع من كل عام .

ان مصير المسجد الاقصى المبارك مهدد بأفدح الاخطار ، اذا لم يسارع العرب والمسلمون لاتخاذ الاجراءات الرادعة لصيانة هذا المسجد المقدس .

انه أمانة فى عنق كل عربى مسلما كان أو مسيحيا ، لان الصهاينة اذا بدأوا اليوم بالمسجد الاقصى ، فسيثنون غداً بهدم كنيسة القيامة ، ولان نياتهم تجاه المقدسات الاسلامية والمسيحية وتجاه الاسلام والمسيحية معروفة وهى مسطرة فى كتبهم المقدسة وفى مؤلفات زعمائهم قديما وحديثا .

وهو أمانة فى عنق كل مسلم ، لانهم اذا لم يدافعوا عن أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين بالمال والانفس ، فسيندمون على ما فرطوا فى جنب الله وفى جنب انفسهم ، ولات ساعة مندم .

انى انذر العرب والمسلمين بأن مصير المسجد الاقصى المبارك قد تقرر بالنسبة للصهاينة اذا لم يثبت العرب والمسلمون وجودهم بالبذل والتضحية والفداء .

ولست اشك لحظة بنصر الله ، لان للبيت ربا يحميه ، ولكن علينا أن نتخذ اسباب النصر ، وانما هى احدى الحسنيين : الشهادة أو النصر .

علمتني الحياة

للاستاذ انور العطار

القول والفعل

علمتنى الحيـــاة ان مـــن الافعـــــال ما يرتـدى رداء الجمـــال
هـــى امضى حـــدا واحمـــد آثـــا را واعلـــى صوتـــا من الأقـــوال
يذهب القول ان تخلـــى عن الفعـــل ويطوى طـــى الرؤى والظلال
فاذا قلت فاشفـــع القـــول بالفعـل فان الفعـــال شطر الكمـــال

التوانى عجز

علمتنـــى ان التوانـــى عجـــز ملـــؤه خيبـــة وهمز ولمـــز
ليس يرقـــى الى مريـــديه حمـد لا ولا يصحـــب المحبيه عـــز
فاحفـــز العزم وادرع نشـــرة الحـزم فـــدرب الخلـــود شـــد وحفـــز
واكنز الحمـــد ـ ان هديت الى الرشـــد محمـــدا فالحمـــد ذخـــر وكنز

البطـــولة

علمتنـــى ان البطولـــة ان انـــ ـــذر للحق طارفى وتليـــــدى
وامد الفؤاد بالعـــزم وقـــا دا كانـــى منـــه بخلق جديـــد
آفـــة النصر ان يســـاوره الوهـــ ـــن فيناى عن يومـــه الموعـــود
ويضيـــع الكفـــاح فى خيبـــة السعـ ـــى وفى غمرة العنـــاء الشديـــد

الاخفـــاق

علمتنى الحيـــاة ان مـــن الاخـــ ـــفاق ما يلهـــب الجوانـــح عزما
ويعيـــد النضـــال اوفر ايمـــا نـــا واوفى عهـــدا واسطـــع نجمـــا
ليس منـــا من اســـتنام الى اليـــا س وظن العـــلا سرابا ووهمـــا
فاتخـــذ من دياجـــر الخطـــب نورا واملأ الارض والسمـــوات حزمـــا

التنـــازع

علمتنـــى ان التنـــازع لا يعـــ ـــقب الا التشتيـــت والتمزيقـــا
يذر الأهـــل والصحـــاب ابأديـــ ـــد ويرمى بجمعهـــم تفريقـــا
القـــوى الأمين فيه ضعـــيف غـــاب عنه الهـــدى وضل الطريقا
والشفيـــق الشفيق من حارب الخلـ ـــف وابقى حبـــل الوداد وثيقـــا

العسر واليسر

علمتنى الحيـــاة ان مـــن العســـ ـــر سبيـــلا الى اغتنائـــى ويسرى
فتسربـــلت بالتعفـــف والصـــبـ ـــر وكان الرضـــا عتـــادى وذخرى
ليس يطغى غناى ان ساده الشـــك ـر ولا يعرف الضراعـــة فقـــرى
ابصر الفجـــر فى غياهـــب ليلـــى وأرى اليســـر فى تضاعيـــف عسرى

الاستزادة من الخير

علمتنى أن استزيـــد من الخيـــ ـــر وان أسبق الغمـــامة نفعـــا
فازرع البر ما قـــدرت على البـــر فان الاحســـان يخصـــب زرعـــا
وأردع النفس ان دعتـــك الى الشـــح ولا تألهـــا عقابـــا وردعـــا
وتاهـــب فانمـــا أنت ظـــل ولكم تمحى الظـــلال وتنعـــى

الشماتة لؤم

علمتنـــى أن الشماتـــة لـــؤم ووبال عـــلى ذويهـــا وشـــوم
ليس يرضى بها الألـــى خبروا الده ـــر ، ونعمى الأيام ليست تـــدوم
انما الدهـــر لو تدبرت ـ يومـــا ن فيـــوم بؤس ويـــوم نعيـــم
والمنايـــا روائـــح وغـــواد وعـــلى أنفس الأنيس تحـــوم

التأمين

في الشريعة والقانون

للاستاذ سعد صادق محمد

نشرت مجلة الوعى الاسلامى الغراء (١) بحثا للاستاذ توفيق على وهبة تناول فيه موضوع التأمين بجميع انواعه من الوجهتين القانونية والشرعية . ثم عرض آراء الذين يجيزون التأمين على الحياة والمانعين له شرعا ، ثم ختم بحثه بأن اجاز التأمين على الحياة باعتبار أن فيه ضرورات اقتصادية تقتضيها مصلحة الدولة ، وان فيه درءا للخطر عن الفرد حين يصيبه الخطر فى نفسه أو ممتلكاته .

(١) انظر العددين « ٥٣ ، ٥٥ » .

والى جانب ما سنكتبه فى هذا الموضوع الهام ، سنحاول الرد على ما أثاره الكاتب الفاضل من امور فى حل عقد التأمين على الحياة .

التأمين فى القوانين الوضعية

كان التأمين البحرى هو أول ما عرف عن نظام التأمين نظرا لما كان تتعرض له البضائع المنقولة بالسفن المارة عبر البحار من اخطار بحرية جسيمة ، وكان ذلك فى اوائل القرن الرابع عشر الميلادى ، وكان هذا التأمين محصورا فى تعويض صاحب البضاعة عما يصيب بضاعته من ضرر الحريق أو الغرق أو التلف تعويضا يوازى ما فقده فقط من البضائع المؤمن عليها دون تحقيق اى ربح أو ثراء . وهذا النوع من التأمين هو المعروف بـ (التأمين بالاكتتاب) أو (التأمين التعاونى) .

ولما ظهر لهذا النوع من التأمين من آثار وثمرات نافعة وضعت له اسس ونظم ثابتة تنظم هذه العملية وأصبح هذا أول نظام معروف للتأمين البحرى سمى باسم (اوامر برشلونة) وقد صدرت هذه الاوامر عام ١٤٣٥ م وشملت عناصر التأمين البحرى وقواعده وشرائطه وآثاره وطريقة تنفيذه ، كما نظمت له المحاكم التى تفصل فى منازعاته .

وبعد فترة زمنية كبيرة من نشوء التأمين البحرى ظهر التأمين البرى ، ثم التأمين على الحياة ، ثم انتشر بعد ذلك فشمل كل جوانب الحياة مما يتعرض له الانسان من المخاطر ، وانشئت لذلك الشركات المعروفة باسمه من مختلف الدول ، ووضعت له نظم وقوانين عامة وخاصة ، كما وضعت له المؤلفات الكثيرة بمختلف اللغات .

وربما يكون من قبيل (الحديث المعاد) أن نذكر هنا نظام التأمين وعقده ، كما جاء فى مصادره القانونية ، العربية والاجنبية ، ومراجعه المختلفة ، مثل تعريف التأمين واقسامه من حيث الشكل والموضوع وأركانه واسسه ومزاياه ، فيمكن الرجوع الى كل هذا فيما سبق أن كتبه الاستاذ توفيق على وهبه فى بحثه عن التأمين .

هكذا نشأ التأمين ... وهكذا ظهرت وتعددت موضوعاته .

موقف المجيزين للتأمين على الحياة

والذين يؤيدون التأمين على الحياة ينظرون اليه من زاوية واحدة لا ثانى لها ، هى زاوية الاقتصاد الحديث ، والنظم المالية السائدة فمع تيار المدنية الحديثة وفد الينا نظام التأمين على الحياة ضمن القوانين الوضعية والنظم الاقتصادية التى وضعها أصحابها للتعامل على اساسها فى كافة المجالات المالية ، ومن هنا اخذنا نحن بهذه النظم الاقتصادية ، وانشأنا الشركات بكافة انواعها على اساس أن أساليب الاصلاح والعمران والنهوض والقوة تستدعى تجميع الاموال من الافراد باسم التأمين لتستغل فيما ينفع الامة فى اقتصادها ، ثم فيما يرفع الضرر الذى قد يصيب الفرد فى نفسه أو ماله . وتستدعى كذلك الاقتراض من الحكومات أو من الشعوب أموالا تضمنها بسندات ذات ربح مقدر ، فتمتص بذلك الاموال المدخرة المعطلة ، وتحولها الى منافع ترقى بها الامة وتنهض .

وكان من رأى هؤلاء كذلك انه ليس من مصلحة الامة فى شىء أن تترك البيوت المالية الاجنبية تفيد دوننا من ثمرات هذا التعامل

خاصة ، وقد ارتبطت الدول بعضها ببعض ، وصار التعامل على اساس النظم الاقتصادية العالمية الموضوعة حديثا ، فلم يعد من الممكن اذن أن نستقل بنوع خاص من المعاملات لا يعرفه غيرنا .

نظرة الاسلام الى التأمين

هذا هو موقف المؤيدين للتأمين ، فما هو موقف الاسلام منه ؟ هل كان التأمين معروفا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو فى عهد احد من خلفائه الابرار أو صحابته الاطهار ، أو احد من التابعين رضى الله عنهم ؟ الواقع أن التاريخ الاسلامى بجميع مصادره لم يثبت لنا أن التأمين كان فى اى عهد من تلك العهود أو اى قرن من القرون الثلاثة التى شهدت فجر الاسلام وشبابه .

رأى ابن عابدين (١)

ونعرض هنا آراء فقهاء الدين المعارضين للتأمين .

سئل ابن عابدين عن التجار الذين يستأجرون مركبا من حربى يدفعون له اجرته ويدفعون ايضا مالا معلوما لرجل حربى مقيم فى البلاد الاسلامية ، ويسمى ذلك المال (سوكره) وله وكيل عنه يقيم فى البلاد الاسلامية يقوم بتحصيل مال السوكره من التجار ، فاذا تعرض من مالهم شىء فى البحر لحرق أو غرق أو نهب أو غيره يؤدى ذلك الوكيل للتجار بدل ما يهلك من مالهم .

ولابن عابدين رأيان فى هذا الموضوع وكلاهما يقضى بفساد عقد التأمين :

الرأى الاول — اذا عقد التأمين فى دار الاسلام فانه لا يحل للتاجر اخذ التأمين ، وفى هذا يقول : « ويتبين من هذا أن بدل التأمين الذى يجرى عليه التعاقد اليوم لا يحل ، لان التعاقد يجرى فى « بلاد الاسلام » وفى مكان آخر من الفتوى يقول ابن عابدين « والذى يظهر لى انه لا يحل للتاجر اخذ بدل الهالك من ماله ، لانه التزام ما لا يلزم ، ويريد ابن عابدين بقوله « التزام ما لا يلزم » أن صاحب السوكره (المؤمن) قد التزم أن يدفع للتاجر عند هلاك ماله تعويضا لا يلزمه به الشرع ، لعدم وجود سبب شرعى يقتضى الضمان(٢) .

الرأى الثانى — اذا عقد العقد فى بلاد غير دار الاسلام فانه يحل للتاجر أخذه عن طريق شريك له حربى اجرى عقد التأمين مع الحربى الضامن ، ويسمى ابن عابدين هذا العقد بأنه عقد فاسد ، فيقول « قد يكون للتاجر شريك حربى فى بلاد الحرب فيعقد شريكه هذا العقد مع صاحب السوكره فى بلادهم ويأخذ بدل الهالك ويرسله الى التاجر ، فالظاهر ان هذا يحل للتاجر أخذه لان العقد الفاسد جرى بين حربيين فى بلاد الحرب » .

---

(١) هو واحد من الفقهاء الذين احتج بهم الذين يرون اباحة التأمين .

(٢) جاء فى كتاب البحر الزخار الجامع لمذاهب فقهاء الامصار ، ما يؤيد فتوى ابن عابدين ببطلان الضمان ففيه (ان ضمان مايغرق و يسرق باطل) راجع البحر الزخار ج ٥ ص ٧٥ .

رأى الشيخ محمد بخيت المطيعى

وفى فتــوى للشيخ محمد بخيت مسجلة فى رسالة له بعنوان « فى أحكام السوكرتاه » يقول فيها ردا على سؤال ورد له فى التأمين « ورد خطابكم تذكرون بــه أن المسلم يضع ماله تحت ضمانة أهــل « قومبانية السوكرتاه » أصحابها مسلمــون أو ذميون أو مستأمنون ، ويدفــع لهم نظير ذلك مبلغا معينا من الــدراهم حتى اذا اهلك مالــه الذى وضعه تحت ضمانتهم يضمنونه لــه بمبلغ مقرر من الدراهم ، وتستفهمون عما اذا كان له شرعــا أن يضمنهم ماله المذكور اذا هلك بحرق أو نحوه أم لا يكــون له ذلك ، وعما اذا كان يحل له ما أخذه من الدراهم اذا ضمنوا له ما هلك من ماله أو لا يحل له ذلك ؟

ويرد الشيخ بخيت على الفتوى وفى نهاية الرد يقول (.. والعقد المذكــور لا يصلح أن يكــون سببا شرعيا لوجوب الضمان ، ولا يجــوز أن يكون عقد المضاربــة كما فهمه بعض العصريين ، لان عقد المضاربة يلزم فيه أن يكون المال من جانب رب المال ، والعمل من جانب المضارب ، والربح علــى ما شرطــا ، والعقد المذكور ليس كــذلك ، لان اهــل القومبانية يأخــذون المال علــى أن يكون لهم يعملون فيه لانفسهم فيكون عقدا فاسدا ، وذلك لانه معلق على خطر ، تارة يقع وتارة لا يقع فهــو قمار » (١) .

رأى الشيخ عبد الله القلقيلى مفتى الديار الاردنية :

السؤال ــ ما قولكم فى شخص يريد أن يتعامل مع جماعة مثلا على أن يدفع لهم مالا من ماله الخــاص على اقساط معينة ليعملوا بــه فى التجــارة ، كانشاء العمارات وان ربحه منها غير محدود بقليل أو كثير ، بل على اساس ربح هؤلاء الجماعة فى هذه العملية ، واشترط معهم اذا قام بما ذكر وانتهت مــدة الاتفاق المعين بانتهــاء الاقساط المعينــة ، وكانوا قد عملوا فى ذلك المال ، وكان حيا فيأخذون ما يكون من المال مع ما يخصه من الارباح ، واذا مات فى أثناء المدة فيكون لورثته أو لمن له حق الولاية فى ماله أن يأخذوا المبلغ الذى تعلق به مورثهم من الارباح .

الجــواب ــ كنا قــد سئلنا عن التأمين على البضاعة وعلى الحياة ، فبينا أن ذلك غير جائــز ، لانه غير جــار على قاعــدة المعاوضــات والمعاملات المشروعة وطرق الكسب الطبيعية الخالية من الغبن والغــرر والتى بين اعواضها تكافؤ ما ويكون كلا عوضيها منتفعا بــه ومقصورا ، وأنت لا تجــد فى هــذا التأمين ما ينطبق عليه مثل ما بينا ، فالــذى يدفع المال فى التأمين يكــون قصده أن يربح مقدارا كبيرا من المــال ، ببذل مقدار يسير من المال لا مكافأة بينه وبين ما ينتظر اخذه ، فهو فى هذه الناحية قمار ، وفيه اعظم غبن ، وقــد جاء فى السؤال تصوير مسألة التأمين لمن استفتته الشركــة بما يشبه المضاربة ، وهى اعطاء مبلغ من المال لمن يتاجر فيه ، وهذا جائز بشــروط منهــا ألا يكــون الربح

---

(١) راجع رسالة أحكام السوكرتاه للشيخ محمد بخيت ص ٢٤ ، وراجع ايضا رأى الشيخ احمد ابراهيم « فى التأمين علــى الحياة » بمجلة الشبان المسلمين السنة ١٣ عــدد ٣ الصــادر فى ٤١/٢/٧ فى معارضته لاباحة التأمين .

مشتركا (١) وفى عقد التأمين يشترط ويتعين فيه على الشركة أن تدفع مبلغا فيح ربح كبير يكون اضعاف ما دفعه بل لا نسبة بين ما يدفعه المستأمن ، وما تعوض بـه الشركة .. وهـذا ينطبق على الربا من حيث أن المرابى لـه مالـه من الربح لا محالة ، والمستأمن لا يتحمل شيئا من خسارة كما لا يتحمل المرابى ، وهذا فى ذاته ظلم كبير ولا بد فى المضاربة التى قيس عليها التأمين من بيان ما لكل من الطرفين من الربح ومقداره شائعا ، ومعرفة ما على كل منهما ولا بد من التزام حدود تدخل فى معنى المضاربة شرعا وعرفا ، وهذا كله مجهول فى هـذا العقد ، سوى انه اذا مضت مـدة معينة لم يمت فيها المستأمن مثلا فان له مبلغ كذا وكذا ، وهو فى هذه الناحية يدخل فى حـدود الخـاطرات التى منعها الشرع الحكيم ، وهى المنطبقة على المقامـرات ، ولا يجـوز أن يكون العقد المذكور عقـد مضاربة ، كمـا فهمـه بعض العصريين لان عقـد المضاربة يلزم أن يكـون المال من جانب رب المال والعمل من المضارب والربح علـى ما شرطـا ، والعقد المذكـور ليس كـذلك ، لان اهل القومبانية (الشركة) يأخذون المال على أن يكون لهم يعملون فيه لانفسهم فيكون عقدا فاسدا شرعا ، وذلك لانه معلق على خطر ، تارة يقـع وتارة لا يقع فهو قمار (٢) .

((التأمين ليس عقد مضاربة))

رأى الشيخ محمد عبده

والسؤال الذى وجه للشيخ محمد عبده يفيد أن رجلا اتفق مع جماعـة (قومبانية) علـى أن يعطيهم مبلغا معلوما فى مدة معلومة على اقساط معينة للاتجار فيه لهم ، فيه الحظ والمصلحة ، وانه اذا مضت المـدة المذكورة ، وكان حيا يأخذ منهم هـذا المبلغ مع ما ربحه من التجارة فـى تلك المدة ، واذا مات فـى خلالهـا تأخذ ورثته أو من يعينه حال حياته المبلغ المذكور مع الربح الذى ينتج مما دفعـه فهل ذلك يوافق شرعا ؟

وكان جواب الشيخ كما يأتى ــ اتفاق هذا الرجل مع هؤلاء الجماعة على دفع ذلك المبلغ على وجه ما ذكر يكـون من قبيل شركة المضاربة ، وهذا جائز شرعا . . .

واذا فان المسألة التى أفتى فيها الشيخ محمـد عبده لا ينطبق عليها عقد التأمين مطلقـا ، بل هـى من شركات المضاربة الشرعية ، ونبين فيما يلى ما بين عقد المضاربة وعقد التأمين من فـروق بعيدة .

أولا ــ **فى عقد المضاربة : ــ** المبلغ الذى يدفعه رب المال للعامل يظل ملكا لصاحبه ، ولا يدخل فى ملك العامل ، ويؤخذ المال للاتجار فيه ، وهـذا مـن خصائص عقـد المضاربة ، وهو ما سئل فيه الشيخ محمد عبده وأفتى بحله .

فى عقد التأمين :ــ تظل الاقساط التـى يدفعهـا المـؤمن له فى يد الشركة ، وهى مطلقة اليد فى أن تتصرف فيها كيفما شاءت ، ويؤخذ المال للتأمين لا للتجارة .

---

(١) وفى هذا أيضا يقـول الامـام ابن تيمية تفسد المضاربة اذا شرطا لاحدهما ربحا معينا أو اجرة معلومة فى الذمة راجع فتاوى الامام ابن تيمية الجزء التاسع كتاب الفقـه (البيع والصلح) ص ١٠٣ ص الرياض .

(٢) أسبوع الفقه الاسـلامى ومهرجان ابن تيمية المنعقد فى دمشق فى شـوال ١٣٨٠ ص ٤٣٠ .

ثانيا — **فى عقد المضاربة :—** يكون الربح بين رب المال والعامل المضارب شائعا .

فى عقد التأمين : يشترط فيه ربح مقدر على الشركة تدفعه للمؤمن له ، وهو ربح كبير يفوق أضعاف ما دفعه وهذا ينطبق على الربا اذ أن المرابى له ربح مقدر سلفا ، وهو مطمئن لهذا الربح ، وشركة التأمين لا تتحمل شيئا من الخسارة ، ويقول الامام ابن تيمية فى صحة العقود (متى عين فيها اى العقود شىء معين فسد العقد كما تفسد المضاربة اذا شرطا لاحدهما ربحا معينا أو اجرة معلومة فى الذمة (١) .

ثالثا — **فى عقد المضاربة :—** اذا مات رب المال استحقت ورثته المال الذى دفعه مع الربح ان وجد ، اما فى حالة الخسارة فانهم يتحملونها ولا شىء لهم الا ما يتبقى من رأس المال .

فى عقد التأمين : تأخذ الورثة عند موت مورثهم المؤمن له المبلغ الذى اتفق عليه مع الشركة بالغا ما بلغ ، فلو أن شخصا أمن على حياته بألف جنيه ، ثم مات بعد أن دفع للشركة مائة جنيه فقط فان ورثته أو من يعينه المؤمن له يستحقون الالف جنيه كاملة ، ففى مقابل اى شىء دفعت الشركة هذا المبلغ لورثته ؟ هل يجوز أن يقال ان الشركة تبرعت بالزائد عما دفعه ؟

رابعا — **فى عقد المضاربة :—** فى حالة موت رب المال يكون المال الذى يتاجر به العامل المضارب ضمن تركة المتوفى ، ويجرى فيه ما يجرى فى سائر اموال التركة .

فى عقد التأمين : فان المال المستحق لا يذهب للورثة مطلقا فى حالة ما اذا عين المؤمن له مستفيدا ، وهذا من حقه ، فالمال يذهب لهذا المستفيد ، ولو لم يكن للمتوفى مال غيره وليس لورثته حق الاعتراض ، وهذا فوق ما فيه من مخالفة لعقد المضاربة فان فيه مخالفة لقانون الميراث الذى يقضى بأن يذهب هذا المال للورثة ، أو أن يكون لهم نصيب من التركة اذا أوصى المتوفى لمستفيد آخر بشىء معلوم .

خامسا — **فى عقد المضاربة :** اذا انفضت الشركة بين رب المال والعامل ، فان المال يعود لصاحبه ،

فى عقد التأمين : اذا عجز المؤمن له عن دفع قسط قبل ان تمر مدة معينة منذ اشتراكه فليس من حقه المطالبة بما يكون قد دفعه ، وهذا ربح للشركة استولت عليه دون وجه حق .

واذن فان فتوى الشيخ محمد عبده بعيدة كل البعد عن موضوع التأمين ، ولا تصلح أن تكون حجة لمن يقولون بجواز عقد التأمين على الحياة باعتبار انه عقد مضاربة .

عقد الموالاة :

وقياس عقد التأمين على عقد (ولاء الموالاة) قياس غير صحيح .. صحيح أن عقد الموالاة كان موجودا فى الاسلام أول الامر ، وقد روى ابو حنيفة انه كان اذا أسلم رجل على يد رجل تعاقدا على أن يرثه ويعقل عنه اى يقول له أنت تعقل من جناية خطأ ، وترثنى اذا مت . والذى صح عن ابن عباس رضى الله عنهما عن البخارى وابى داود أن النبى صلى الله عليه وسلم لما

---

(١) راجع (مجموع فتاوى الامام ابن تيميةص ١٠٣ ج ٩ باب الفقه (البيع والمصلح) الرياض .

آخى فى أول الهجرة بين المهاجرين والانصار ، كان المهاجر يرث اخاه الانصارى (١) فلما نزل قوله تعالى من سورة الاحزاب (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطورا) لما نزلت هذه الآية نسخ العمل بهذا الارث (٢) .

أما علاقة المؤمنين ببعض بعد نزول هذه الآية فقد حددتها الآية الكريمة من قول الله عز وجل (الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا) اى ذهب الميراث بهذه الصورة ونسخ ، وأصبحت العلاقة بين المؤمنين على أساس النصرة والبر والاحسان والاخوة تطبيقا لقوله تعالى (انما المؤمنون اخوة) (وتعاونوا على البر والتقوى) .

فالقرآن اذن لم يشرع للناس الارث بالتحالف (عقد الموالاة) بل أبطله ، ونسخ ما كان عليه الناس قبل نزول آية الميراث (٣) .

التأمين من عقود الغرر :

من خصائص عقد التأمين انه عقد احتمالى ومن عقود الغرر(٤) هو عقد احتمالى لان الخطر فيه غير محقق الوقوع ، فتارة يقع وتارة لا يقع ، فلا يعرف المؤمن له متى يعرف كذلك وقت تحرير العقد مقدار ما يعطى أو يأخذ ، وكذلك شركة التأمين لا تستطيع تحديد ما تأخذ أو تعطى بالنسبة لكل عقد بمفرده ، وهو من عقود الغرر ، والغرر من التغرير وهو المخادعة ، وقيل فى معناه هو ما خفيت عاقبته وانطوى أمره ، والمغرر بالشىء المخاطر ، والمخاطر المتردد بين السلام والعطب ، فهو ما كان مترددا بين أن يسلم للمشترى فيحصل المقصود بالعقد ، وبين أن يعطب فلا يحصل المقصود بالعقد(٥) والغرر أيضا هو كما يوضحه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى نهيه عن بيع الثمرة قبل تمام صلاحها فيقول (لا تبتاعوا الثمر حتى يبدو صلاحها(٦) وفى هذا الحديث يقول الرسول للسائل (أرأيت لو منع الله الثمرة فيم يستحق احدكم مال أخيه ؟) وفى حديث آخر أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الغرر لما فيه من المخاطرة التى تتضمن أكل الاموال بالباطل(٧) وهذه كلها مناه نبوية فى بيع الغرر ، وانواع الغرر من طبيعة واحدة تدل على نوع المقصود .

والغرر ايضا كما فسره الامام ابن تيمية مثل بيع الفرس الشارد أو الطير الذى خرج من قفصه ونحو

---

(١) راجع تفسير المنار للشيخ رشيد رضاج ٥ ص ٦٥ ، ٦٦ ط ١٣٢ هـ .
(٢) راجع تفسير هذه الآية « بتفسير ابن كثير » ج ٣ ص ٤٦٧ ط الحلبى .
(٣) راجع المصدر الاول بنفس الصفحتين .
(٤) ينص القانون المصرى والسورى والعراقى أن عقود التأمين من عقود الغرر .
(٥) راجع نظرية العقد لابن تيمية ص ٢٢٤ مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٨ هـ .
(٦) صحيح مسلم ص ١٣ كتاب البيوع ج ٥ .
(٧) راجع نظرية العقد لابن تيمية ص ٢٢٥ وقد فسر الزمخشرى الباطل بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا ، راجع احكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٢٠٩ .

ذلك فان بيع هذه الامــور من بــاب (المخاطرة والقمار (١)).

ستقع الحادثــة المؤمن ضدها ، ولا كذلك عقد التأمين فمحل العقــد فيه غير ثابت وغير محقق الوجود ، فهو مثل الفرس الشارد أو الطيــر الخارج من قفصه بعــد صيده غير موثوق بــه .

اجتهادات الصحابة :

ويحتج المجــوزون للتأميــن بما استحدثه الصحابة من امور لم تكن معروفة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يرد فيها نص بالتحريم أو الاباحــة ، ويقيسون عليها عقد التأمين باعتباره نظاما حديثا ايضا ، لكننا اذا نظرنــا بعمق الــى اعمال الصحابة نجد أن هــذا القياس لا محل له ، فجمع ابى بكر وعمر للقرآن وتحديد الجلد لشارب الخمر والزيادة فيه ، وانشاء عمر بن الخطاب لنظم حديثة للحكم كل هذه الامور لا تدخل فى عداد المحظورات بأى حال ، حتى نقول ان هــذه الضرورات ألجــأت الصحابة اليها ، والصحابــة الذين فعلوا هذا هم الذين اوصانا رسول الله بشأنهم فقــال « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى » وما كان لاولئك الصحابــة الكرام أن يستحدثوا شيئا محظــورا وهــم الــذين سبقــونا بالايمــان والتقوى .

التأمين .. والضرورات

على انه من الظلم الصارخ ادخال التأمين علــى الحياة تحــت قاعدة « الضروريات تبيح المحظــورات » بدعوى انها ضرورة اقتصادية تحتمها مصلحــة الامة ، لكــى لا تضطرب احوالها الاقتصادية ، فان للضرورة حالات تستوجب اتيان المحظور معها اذا لم يجد الانسان بديلا لها ، وكاد أن يهلك من جوع أو عطش أو فقر أو اكراه أو نحــو ذلك فلو سلمنــا بهذا المبدأ فى غير حالاته الاضطرارية لجاز للناس أن يحلــوا لانفسهم ما شاءوا بحجة أن مصلحتهم فى ذلك ، فيصبح الزنا للزانى حلالا ، لانــه مضطر اليــه وقضى به وطــره ، والسرقة حلالا للسارق ، لانه مضطر اليها ، وقضى بها مصلحته ، وبهذا نكون قد فتحنا الباب ليدخل منه كل من يريد التحلل من أحكام الدين ، ويجعل الضرورات معبرا يصل منه الى ما حرم الله تعالى .

وقاعــدة الضرورات تنطبق على حالات فردية ، ولا يجوز أن نتخذ هذا المبدأ قاعدة عامــة اساسية يسير عليها كل الناس فاتخاذ المسائــل الشاذة قواعد عامة قلب للاوضاع ، واباحة لما حرم الله ، فالاسلام اباح للمضطر مثلا أن يأكل الميتة ، لكنه لم يبح أكلها للجميع .

علــى أن الضرورة التــى تبيح للانسان اتيان المحظور من أجلها هى التى يصورها قول الرسول صلــى الله عليه وسلم « ان يجىء الصبوح ــ « الصباح » والغبوق « المساء » ولا تجد ما تأكله » اى أن تمر أربــع وعشرون ساعة لا تجــد فيها ما تأكلــه ، فهــل يوجد معنى هــذه

---

(١) راجع مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تميمــة ص ٤٢٦ ج ٩ باب الفقــه البيــع والصلح .

(٢ الاكراه هو المعنى بقول الله عز وجل(الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) ونحو ذلك من الامــور التى يكره الانسان عليها وهومؤمن بضدها .

الضرورة ، فيمن يؤمنون على حياتهم فى شركات التأمين ؟

واذا عرفنا أن عقود التأمين على الحياة هى من عقود الغرر الذى جاء فيه النهى من المعصوم عليه الصلاة والسلام ، فان كل ما قيل عن عقود التأمين من انها جائزة عن طريق العرف أو المصلحة او الالتزام ، كل هذا باطل بنصوص الشريعة التى بيناها .

وبعد فان التأمين على الحياة نظام ربوى ، لانه يعطى للشخص ارباحا أكثر مما يدفع تأتى له من غير طرق الكسب الطبيعية المشروعة .

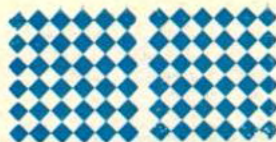
والتأمين نظام يهودى فان معظم النظم الاقتصادية الحديثة السائدة ، والمعمول بها اليوم يسيطر عليها اليهود ، وهم قوم عرفوا من قديم بالتعامل بالربا فلعنهم الله تعالى بقوله (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه)

أما ما يأخذه الموظفون والعمال فى حالة الوفاة من نظام التأمين والمعاشات الحكومى اكثر بكثير مما يعطون ، فانه يمكن القول بأن هذه الزيادة لا تعتبر ربا لان الدولة هى الملزمة شرعا برعاياها ، ولو لم تستقطع منهم شيئا وهم فى خدمتها ، فكفالة الدولة لرعاياها فى حالات العجز نظام معمول به فى كل الدول ، غير انه يجب أن تخلص هيئة التأمين والمعاشات أموالها من استثماره بالربا .

وهناك فرق ملحوظ بين التأمين الحكومى والتأمين الخاص الفردى فان الدولة حين تعطى للموظف أو العامل معاشا يبلغ اضعاف ما يدفع، فذلك لانه كان يعمل فى خدمتها ، وهى المكلفة شرعا كما سبق القول بتوفير المعيشة الكريمة له فى حالات العجز ، وفضلا عن ذلك فان اجهزة الدولة التى يعمل بها موظفوها وعمالها لم تنشأ أصلا لعمليات التأمين ، أما شركات التأمين فانها انشئت أصلا لهذا الغرض وهى لا تعطى معاشا شهريا للمستفيد ، وليست مكلفة بالانفاق عليه ، وانما هى عمليات اخذ وعطاء مؤقتة وهى تشبه (القرض) تتم فى صورة تأمين ، تقترض الشركة من الفرد مبلغا على اقساط ، ثم تحصل الفائدة المؤكدة للجانبين ، ويمكن ادخال هذه العملية ضمن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم « كل قرض جر نفعا فهو ربا » .

وبهذا فانه لا يمكن اعطاء شركات التأمين حكم هيئة التأمين الحكومى ، بدعوى انها شركات مؤمنة ، والدولة هى تتولى العملية ، فالفرق قائم وواضح ولا يمكن التسوية بينهما .

ولو كان للاسلام اليوم دولة وقوة لكان تشريعه هو المتبع ، ولكان لشعوبه واممه من الوسائل الاقتصادية الاسلامية ما يغنيهم عن الربا الذى حرمه الله ، ولاستطاعوا أن يقيموا مدنيتهم واقتصادهم على اساس التراحم والتعاون، ومساعدة المحتاج ، واغاثة المنكوب باقراضه قرضا حسنا بنظام التأمين التعاونى الذى لا ينتظر من ورائه كسب ، فالتأمين التعاونى هو الذى يحض عليه الاسلام لقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) .



عباءة الملك « روجر الثانى » حاكم صقلية وهى من صنع العرب

الحضَارة والفنـون

الإسلامية

وأثرهَا في الحضَارة العَالميَّة

للاستاذ : محمد الحسيني عبد العزيز

أخذ الفن الاسلامى ينمو ويتطور ويتدرج نحو التقدم وأصبح له طابع خاص معروف عند العرب قبل اتصالهم بأمم الشرق الأدنى ذات الحضارة القديمة ، وقد تطور هذا الفن وأينع ليساير الزمن ، وشق لنفسه طريقا نحو السمو بخطى ثابتة كما انفرد بأسلوب مميز بعد أن ظل فى تجربة طويلة وتمحيص دقيق تذوق خلالها الفنون القديمة وصهرها فى بوتقته ، وأخذ عنها ما يناسب تقاليد الدين الحنيف ، وطبعها كلها بطابع اسلامى مميز حتى تبلورت شخصيته ، واتضحت معالم هذا الفن الصاعد أيام الأمويين والعباسيين .

وقد اعتمد الفنان المسلم على خياله وبيئته وأصول دينه ، وكان لتشجيع خلفاء المسلمين ورعايتهم للصناع أثره الكبير فى ازدهاره ، وابتكار أساليب وأنماط جديدة ، وليس أدل على حيوية هذا الفن وقوته مما ابتكره من زخارف هندسية ونباتية ، وأساليب فى فنون العمارة والهندسة والطراز والصناعات التطبيقية ، كما أبدع الفنان المسلم فى تطوير رسوم الطير والحيوان بطريقة ابتعد بها عن الواقع والطبيعة احتراما للدين ومع هذا فكانت الرسوم معبرة تنطق بالذوق وتوحى بالخيال الخصب مما جعله موضع تقدير مؤرخى الفنون الأوروبيين ومثار اعجابهم فاتخذوه قبسا ومنهجا ، وهكذا تأثر الفن الاسلامى بالدين أبلغ تأثير ، كما اكتسب فن الهندسة المعمارية طريقة بناء المسجد الذى تتجلى فيه بساطة الدين أول الأمر والتصرف الفنى فى بناء الايوانات حول الصحن فيما بعد ، ولم يكن المسجد الأول الذى أسسه النبى

عملة من صقلية حيث يظهر الخط العربى بجانب الخط اللاتينى .

صلى الله عليه وسلم فى المدينة سوى قطعة مربعة أحيطت بجدران الحجر وقوامها من الطين ، وأقيمت ناحية الشمال تجاه بين المقدس سقيفة من جريد النخل فوق عمد من جذوعه .

ولما تحولت القبلة الى الجنوب تجاه مكة أقيمت سقيفة ثانية ، وصار للمسجد صحن مكشوف فى الوسط وظلتان احداهما فى الشمال وأخرى فى الجنوب كانت سنة التطور هى التى دفعت المعمار الى وصل ما بين السقيفتين ، وبهذه الصور المنسقة ولد تصميم المساجد الاسلامية الأولى، ثم اتسعت الدولة الاسلامية وزادت ثروتها ، واقتضت أساليب التطور أن يهتم المعمار ببيوت الله ، فاتخذت فيها أعمدة الرخام ، وغرشت أرضها بالحصباء وعمد الفنان الى زخرفتها وتنميقها بالزخارف الجصية وتزيينها بالآيات القرآنية بالخط الكوفى اجلالا للمساجد وتعظيما لشأنها بعد أن أصبحت أندية للشورى ومكانا للحكم ومدارس دينية وعلمية يتلقى فيها الناس أصول دينهم وثقافتهم اللغوية والعلمية ، وكانت كعبة يؤمها طلاب العلم من أوروبا .

العمارة :

وكانت سفارة الامبراطور البيزنطى « تيوفيلوس » فى أول القرن التاسع الميلادى — التى أرسلها لدراسة فن المعمار الاسلامى والعادات الاسلامية — دليلا على شغف أعظم حكام أوروبا بتقليد العمارة الاسلامية التى طبقت شهرتها الآفاق مما دفع الامبراطور الى بناء قصر بالقرب من بوابات القسطنطينية عام ٨٣٥م على طراز قصور بغداد ، كمااستبدلت حاشيته اللباس البيزنطى بالزى العباسى ، وصمم الحدائق على نمط الحدائق الاسلامية ، ووضعت فى ردهة الاستقبال فى القصر الاشجار المذهبة وفوقها العصافير التى تغرد آليا ومع اندثار هذا العصر الا أن أحد الأديرة التى أقيمت عام ٩٠٨م بالقسطنطينية ما زال به افريز من النسور لها أجنحة بنفس الأسلوب العباسى .

وقصر رافلو الذى شيد فى القرن الحادى عشر بشمال ايطاليا تدل تفاصيله على الأسلوب الاسلامى ، هذا بجانب كثير من مبانى مقاطعة « توسكاتى وبيزا » وغيرهما ويندر أن يخلو أى قصر من عقد أو قبة طرازهما اسلامى .

ويعتبر مسجد قرطبة فى أسلوب عمارته وطريقة بناء عقوده وزخارفه قبسا للفنانين الأسبان والفرنسيين فى بناء عمائر القصور (١) والمعابد ، ويظهر الى يومنا هذا تأثر الفن الأندلسى بنظام العقود المزدوجة والقباب والزخارف الهندسية والنباتية والجصية المفرغة المبتكرة فى العمائر الأوروبية التى استمر المعمار يقلدها وينهج على أسلوبها قرونا عدة .

ولا يقتصر التأثير على فرنسا وايطاليا بل انتقل الفن المعمارى الاسلامى الى انجلترا ، ففى أحد مداخل مدينة كنيلورث عقد داخله اطار مستطيل تملأ الزخارف النباتية ما بين العقدين (٢) المتجاورين كما كان يشاهد فى المبانى والقصور فى

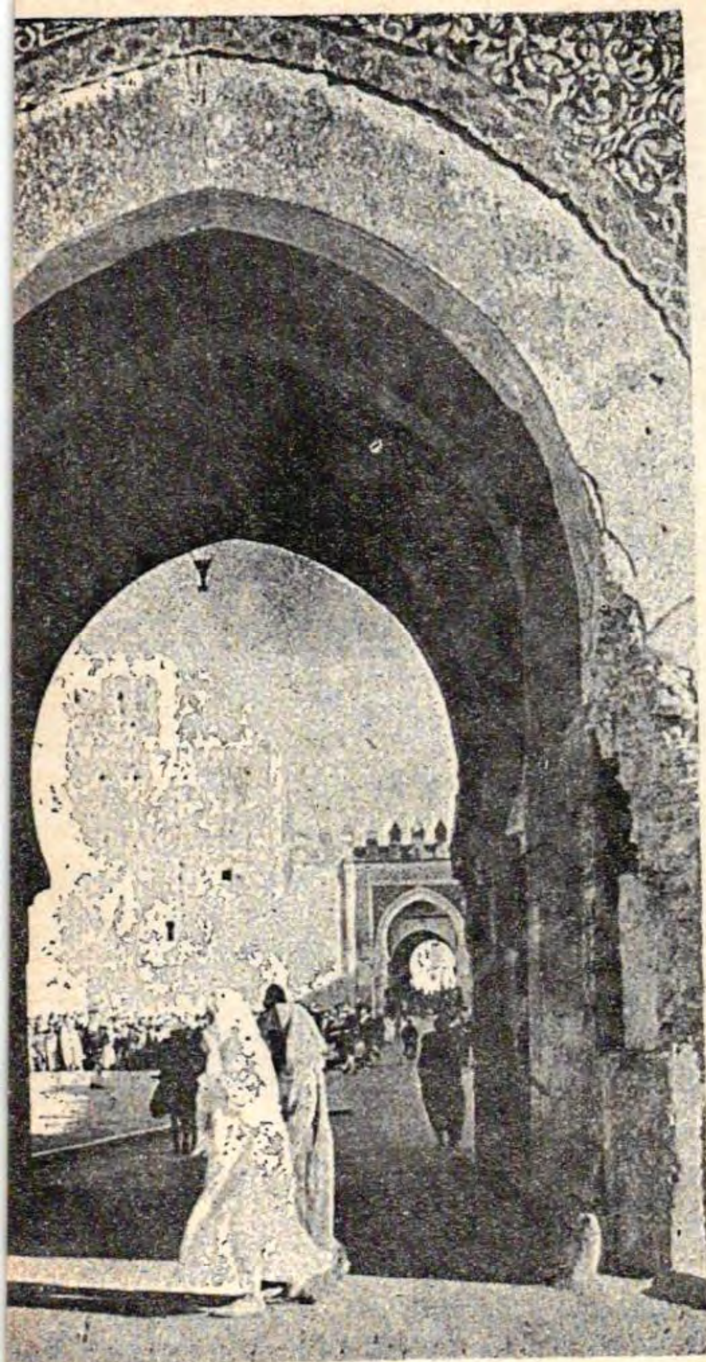
(١) كشفت الحفريات الأثرية عن بناء فى شمال أسبانيا من القرن الثالث عشر الميلادى عن زخارف خصية طرازها اسلامى .

(٢) هذا الأسلوب الزخرفى يلاحظ فى محراب جامع القرطبة .

مصر والأندلس ، وليس غريبا أن يكون المعمار الانجليزى قد زار الأندلس ابان الحكم الاسلامى أو تلقى علومه فى معاهدها بقرطبة ، واقتبس عن مساجدها وقصورها ما أغرم به وما أثار اعجابه .

الكتابة الكوفية :

انتشر استخدام الكتابة الكوفية والزخارف القائمة عليها فى المخطوطات الفرنسية منذ القرن الحادى عشر الميلادى فصاعدا ، وتوجد لوحة مطلية فى متحفى فكتوريا والبرت بلندن صنعت فى القرن الثالث عشر الميلادى فى مدينة « ليموج » وعلى جوانبها زخرفة شبيهة بالخط الكوفى ، وأبرز الأمثلة على استخدام الخط الكوفى بشكل مقروء موجود فى صحيفة مخطوطة رسمها « أدمار دى شابان » فى النصف الأول من القرن الحادى عشر الميلادى ، والذى لا زال محفوظا بمكتبة جامعة ليدن وعلى الصحيفة ثلاثة أسطر من الخط الكوفى أولها « بسم الله الرحمن الرحيم » وهناك مخطوط آخر يحتوى على عدد من الأحزمة الزخرفية مؤسسة على الحروف الكوفية للراهب « سيفر » من القرن الحادى عشر الميلادى وكلها تدل على وضوح التأثير الاسلامى ، كما استخدمت الكتابات الكوفية فى « الميداليات أو المخطوطات المستمدة من قواعد الزخارف التى تنسب الى أسرة بنى بويه التى ترجع الى القرن الحادى عشر الميلادى والموجودة فى متحف المنسوجات بواشنطن .



بوابة بشكل مدبب على الاسلوب ا الاندلسى للعقود .

النسيج :

ولقد أخذ الفنانون الأوروبيون فى العصور الوسطى الخط الكوفى كفكرة للزخرفة فى المنسوجات البيزنطية والتى أشهرها حرير الأسد التى تؤرخ ٩٢٣م ويدل سطحها المستوى والرسوم الهندسية التى زينت بها على أنها نسيج شرقى اسلامى بالاضافة الى الخط الكوفى الذى



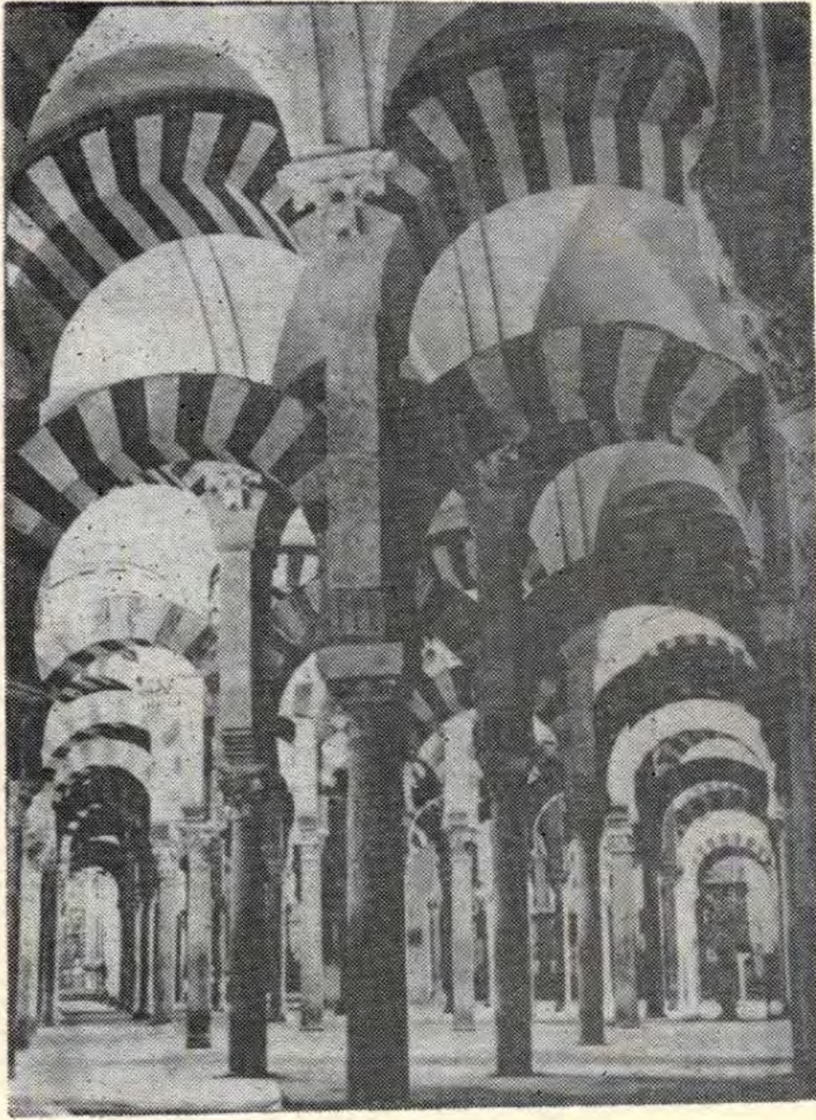
الاسطرلاب الذى ابتكره العــرب لتحديد
واقع النجوم .

يطبعهـــــا بالفـــن الاســلامى
وقد ظلت المدن الايطاليــة تقلد النسيج الاســـلامى فى تصميمــه وزخارفه حتى القرن الخــامس عشر الميلادى حيث أقام رجال الصناعة من الايطاليين مساكن خاصـــة لرجال الصناعة العرب الذين شجعهم حكام ايطاليا ، وصقيلية عــلى العمل فى المصانع الايطالية مما جعل أثر الفن الاسلامى واضـــحا فى الزخارف النباتية والهندسية التى تميزت بهـــا الصناعة الايطالية وهذا بدوره جعل البندقية تتخذ الأزياء الاسلامية نموذجا فى أزيائها وفى رسوم الــكتب التى طبعت فى هذه المدينة التجارية ذات الصلة الوثيقة بشرق البحر المتوسط (مصر والشـــام) فى العصـــور الوسطى .

ويذكر ابن جبير أن النســـاء فى بالرمو بصقلية فى عهد الملـك وليم الثانى كن يلبسن أزيـــاء النســـاء المسلمات كما أشار الى مصنع أقيم فى هذه المدينة ، وقام بصنعها عامل عربى يدعى (يحيى) وطرزها بالخيوط الذهبية ، كما أن عبـــاءة شرلمان الموجودة بمتحف « متيز » تنسب الى صقلية ، ويعود تاريخها الى القرن الثانى عشر ، وقد صيغت على طراز فارسى أو طراز ما بين النهرين مـــع وجود الكتابات العربية عليها .

العملة :

وقد وجدت قطعة من العملـــة الذهبية التى ضربت للملك « أوفا » (٧٣٧ — ٧٧٦ م) وعلى كل وجه من وجهيها توجد ثلاثة أســـطر من الكتابة الكوفية محاطة بكتابة كوفية أخرى ، وتكاد تكون صورة كاملـــة للدينار الذى أصدره الخليفة أبو جعفر المنصور العباسى (١٥٦هـ — ٧٤٤م) وربما يكون الملك قد تلقى هذا الدينار هدية من الخليفـــة العباسى لكن الراجح أن يكون الدينار قد وصـــل الى انجلترا عن طريق التجارة مـــع العراق ، كما وجدت دنانير اسلامية فى النرويج والسويد وشمال أوروبا بسبب مكانة الدينار الاسلامى كعملة دولية فى ذلك العصر ، ويتعامل به التجار كما يتعاملون الآن بالعمـــلات العالمية هذا فضلا عن أن صقلية قد



مسجد قرطبة حيث تظهر العقود المزدوجة التى تميز بها الفن الاندلسى .

ضربت بها عملة محلية تحمل كتابة عربية الى جانب الخط اللاتينى .

الأسوار والحصون :

تأثرت الحصون الأوروبية بنظام التحصين العربى من الشرفات التى يحتمى خلفها المدافعون من هجــوم خارجى ، كما أن الأسوار والأبراج التى تدعم الحصون تتخللهـــا فتحات السهام ، هذا بخــــلاف الجيوش الصليبية التى غزت ساحل الشـــام ووجدت من أسوار القاهرة وقلعة حلب وغيرها نموذجا يحتذى فعملوا على تعميمه فى امارات الاقطاع التى انتشرت فى أوروبا فى العصــــور الوسطى ، ففى كل قلعة يتضح الأثر الاسلامى فى نظام البناء واستخدام العقود المدببة التى ظهرت فى مسجد ابن طولون ولم تستخدم فى أوروبا الا فى القرن الرابع عشر الميلادى .

المراكز الحضارية الاسلامية :

كانت بغداد فى العراق ، والقاهرة فى مصر ، وقرطبة فى الأندلس ، ودمشق وبيت المقدس بالشام مراكز حضارية انتقلت منها الصـــناعات التطبيقية من نسيج وزخرف وزجاج وغيره ، لكن الأندلس بعمائرهـــا ومساجدها وصناعاتها ومعاهدهـــا

العلمية التى ازدهرت على يد العرب كانت المشعل الذى أنار الظلمات فى أوروبا حيث كانت قرطبة وطليطلة مراكز ثقافية ينهل منها الطلبة الوافدون من أنحاء أوروبا ، وكان مفكرو الاندلس وفلاسفتها أساتذة الأجيال ، ولن يستطيع أى جاحد انكار فضل العلماء والفلاسفة والأطباء أمثال ابن رشد الفيلسوف ، وابى القاسم الزهراوى الطبيب العالم الذى كان رائد الجراحين ومبتكر الآلات الجراحية فى عصره .

وفى الكيمياء :

كان العرب واضعى أساس هذا العلم ورواد البحث فى مجاهل العلوم الطبية والكيميائية ويذكر الكيميائيون جابر بن حيان صاحب المنهج التجريدى وأبحاثه ودراسته العميقة التى صححت أخطاء اليونانيين ، وقد أسهم فى خدمة البشرية بكشف الأدوية وتحليل المواد من النباتات والمعادن ، واتخذ معملا كيميائيا يمارس فيه أبحاثه وتجاربه ، وكان يشرح لطلبته ومريديه الأسلوب العلمى الصحيح فى المواد الكيميائية ، وقد ظلت كتبه ومؤلفاته قبسا للدارسين من الصيادلة والأطباء فى الجامعات الأوروبية حتى القرن الماضى ، وهكذا ظلت المصطلحات الكيمائية تحتفظ بأسمائها العربية اعترافا بفضل العرب على العلم الحديث .

وكان الزجل والشعر الأندلسى حافزا للأسبان فى ابتكار الشعر الحماسى ، كما أدى الى ظهور شعر « التروبادور » الذى اعتمد على العاطفة أما فى علوم الجغرافيا والفلك فدراسات العرب ومؤلفاتهم ومراجعهم فى هذين الميدانين وأبحاثهم فى النجوم واستخدامهم الاسطرلاب اسهمت مساهمة فعالة فى حركة الكشف الجغرافى ، ولن ننسى أن أحمد بن ماجد الملاح العربى هو الذى قاد سفن البرتغاليين الى الهند ، وأرشدهم الى الطرق الملاحية واستفادوا من خبراته فى كشف المحيط الهندى وجزره .



هذه صورة معبرة عن الفنون الاسلامية والعمارة العربية والعلوم التى قدمها العرب للعالم ، وكانت أبحاثهم وفنونهم وعلومهم هى القبس الذى سار العلماء الأوروبيون على نهجه حتى بلغوا الذروة ، وابتكروا العلوم والتكنولوجيا الحديثة التى وضع العرب أساسها وأرسوا قواعدها بأساليبهم التجريبية التى أصبحت أسس النظريات العلمية الحديثة ، وهكذا كان العرب حملة المشاعل ورواد العلم حين كانت أوروبا غارقة فى ظلمات فى العصور الوسطى .



وصية لقائد الجيش الإسلامي في فلسطين

كتب أبو بكر ليزيد بن أبى سـفيان ، قائد المسـلمين فى جبهـة فلسطين يقول له :

((أنى قد وليتك لأبلوك وأجربك ، فان أحسنت رددتك الى عملك وزدتك ، وان أسأت عزلتك !!

فعليك بتقوى الله ، فانه يرى من باطنك مثل الذى يرى من ظاهرك.

وان أولى الناس بالله أشدهم توليا له ، وأقرب الناس من اللـه أشدهم تقربا اليه بعمله .

وقد وليتك عمل خالد بن سـعيد بن العـاص الـوالى السـابق فاياك ونخوة الجاهلية ، فان الله يبغضها ويبغض أهلها .

واذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم ، وابدأهم بالخير وعدهم ايـاه ...

واذا وعظت فأوجز ، فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا ...

وأصلح نفسك يصلح الله لك الناس ، وصل الصلاة لأوقاتـها ، باتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها .

واذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم ، وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون .

ولا ترينهم ــ حقيقة جيشك ــ فيروا خللك ، ويعلموا علمك .

وأنزلهم فى ثروة عسكرك ، وامنع من قبلك من محادثتهم .

وكن أنت المتولى لكلامهم ، ولا تجعل سرك لعلانيتك فيختلط أمرك ؟

واذا استشرت فاصـدق الحديث تصدق المشورة ،

واسمر بالليل فى أصحابك تأتك الأخبار وتنكشف عندك الأستار .

وأكثر حرسك وبدلهم فى عسكرك ، وأكثر مفاجأتهم فى محارسهم بغير علم منهم بك .

فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه ، وعاقبه فى غير افراط .

واعقب بينهم بالليل والنهار ، واجعل النوبـة الأولى أطول مـن الأخيرة ، فانها أيسرها لقربها من النهار .

ولا تخف من عقوبة المستحق ، ولا تلجن فيها ، ولا تسرع اليها .

ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده ، ولا تجسس عليهم فتفضحهم ، ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكتف بعلانيتهم ، ولا تجالس العابثين .

وجالس أهل الصـدق والوفاء ، وأصـدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس .

واجتنب الغلول فانه يقرب الفقر ويدفع النصر .

وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له)) .

من
المعارك
الخالدة
في
تاريخ
الإسلام

فتح خيبر

تركت غزوة « بنى قريظة » فى نفوس اليهود أثرا بالغ العمق ، وشعورا مضطرب الأحاسيس مختلف النزعات ، فظلوا حيارى لا يدركون ماذا يفعلون . فهناك نار مشتعلة فى صدورهم ، وعداوة كامنة للمسلمين ، ورغبة فى الانتقام والى جانب ذلك جبن وتردد وحرص على الحياة ، وكان لهم العذر فى هذه الحيرة ، فهم قد تلقوا عدة ضربات كانت شديدة الوقع على نفوسهم ، وعلمتهم التجربة والخبرة أن المسلمين أقوياء الشكيمة ، لا يغلبهم غالب ، ولا تهزمهم قوة ، ولكنهم يريدون أن يطفئوا نيران ما فى صدورهم من حقد وغل بالانتقام من عدوهم الذى أذلهم ، وفجعهم فى خيرة أبنائهم وزعمائهم .

ومع أن اليهود كانوا هم البادئين بالشر دائما ، وكانت الهزيمة تلحق بهم فى كل اشتباك ، فانهم لم يرتدعوا أو يعتبروا ، أو يحاولوا أن يهدئوا من شعور العداوة ، وأن يعيشوا مع المسلمين فى حياة قوامها السلام والأمن والاستقرار بل لم يكن يسيطر عليهم سوى فكرة واحدة ملكت عليهم نفوسهم وتواصوا بها ، هذه الفكرة هى القضاء على الاسلام وأهله بأى شكل من الأشكال ، وكلما رأوا رقعة الاسلام تمتد ، وقدمه ترسخ ، كلما زادت تلك الفكرة فى نفوسهم رسوخا فاندفعوا تحت تأثيرها يفكرون ويخططون ، ويتخذون لتنفيذها كل الوسائل ، ويتحينون لذلك الفرص المناسبة .

مدى كراهية اليهود للاسلام والمسلمين

وظلت الايام والحوادث تذكى نيران الحقد والعداوة ، وتظهرها فى كل مظهر يدل على مدى كراهيتهم لما يصيب المسلمين من خير ، فعندما نصر اللــه

للأستاذ : محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

« وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم اللـــه من حيث لـــم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب » .
آية (٢) من سورة « الحشر »

. . . .

« الفتح الذى كان من نتائجـــه القضـــاء على القوة السياسيـــة والاقتصادية التى كانت لليهود فى أقاليم الحجاز » .

. . . .

« لم تكن قريش تتوقع أن تنهار خيبر بهذه السرعـــة وهى على ما هى عليه من القوة والمنعة والحصانة » .

. . . .

المسلمين فى غزوة « بدر » بدأ اليهود يصرحون بما فى نفوسهم من الألم لهـــذا النصر ، وذهب شاعرهم كعب بن الأشرف يندب قتلى « بدر » من المشركين ، ويحرض قريشا على الانتقام والأخذ بالثأر ، فلما لقى مصرعه على أيدى رجال من المسلمين ، وجد يهود « بنى قينقاع » فى ذلك فرصتهم الذهبية ، فأخـــذوا يتحدون المسلمين ويعتدون على حرماتهم ، ويستفزونهم لمحاربتهم بكافة الوسائل والطرق ، فأجلاهم المسلمون عن « المدينة » .

عندئذ ذهب « بنو النضير » يحاولون اغتيال الرسول صلى الله عليـــه وسلم ، فأجلاهم المسلمون أيضا عن « المدينة » ، فما كان من زعيمهم حيى بن أخطب الا أن أخذ يحزب الأحزاب ضد الرسول والمسلمين ، وحينما لقى جزاءه مع رجال « بنى قريظة » لتحريضه اياهم على الغدر والفتك بالمسلمين فى أحرج الأوقات ، قام من بعده سلام بن أبى الحقيق يؤلب من جديد على الرســـول وصحبه ، باذلا فى ذلك ماله ، مستخدما نفوذه فى تجميع القبائل لحربهم ، فلما لقى مصرعه قام من بعده أسير بن رزام ناهجا نهجه ومترسما خطاه ، فأخـــذ يجتمع بـــ « بنى غطفان » ليعقد معهم العقود والاتفاقات ، ليكونوا مع اليهود عند دخول أهل « خيبر » (١) فى معركة مع المسلمين .

وهكذا كان الرسول يحاول بكل جهده أن يجعل حياته مع اليهود حيـــاة مسالمة وموادعة ، الا أن اليهود كانت تغلب عليهم صفة الغدر والخيانة المتأصلة فيهـــم .

---

(١) خيبر : معناها بالعبرية القلعة أو الحصن .

السلام قبل الحرب

أراد الرسول ألا يدخل فى حرب مع اليهود الا بعد استنفاد كافة الوسائل للوصول الى حلول سلمية ، فبعث عبد الله بن رواحة ومعه ثلاثون رجلا من الأنصار الى أسير بن رزام ، فقدموا عليه فى « خيبر » ، وبعد أن أخذ كل من الطرفين الأمان لنفسه من الطرف الآخر عرضوا عليه أن يترك ما عزم عليه من حرب ، وأن يقوم معهم الى رسول الله ، ليحالفه ويوليه على « خيبر » ، ويعيش أهلها فى سلام مع المسلمين بدلا من الحرب وسفك الدماء ، فاستجاب أسير لذلك أول الأمر ، وخرج مع وفد المسلمين ومعه ثلاثون رجلا من اليهود قاصدا رسول الله .

وبعد أن قطع أسير ومن معه مرحلة من الطريق ندم على خروجه ، وهم بالغدر بالمسلمين ، فهوى الى سيف عبد الله بن رواحة يريد انتزاعه منه ليقتله به ، ففطن لذلك عبد الله وقال له : « أغدرا يا عدو الله ؟ » ، ثم نزل وضربه بسيفه ضربة أسقطته عن بعيره وقتلته ، ومال المسلمون على من كان معه من اليهود فقتلوهم .

عزم اليهود على غزو المدينة

وبعد قتل أسير تولى زعامة اليهود فى « خيبر » سلام بن مشكم ، وكان رأيه فى محاربة المسلمين كرأى كل من سبقه من زعماء اليهود .

وعندما تم الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش فى « الحديبية » ، وتم الاتفاق على المهادنة ، وعلى تأمين بعضهم البعض ، يئس اليهود من معاونة العرب ، ومن تقديم يد المساعدة لهم .

وصرح سلام لزعماء اليهود بأن هناك خطرا يتهدد الكيان اليهودى فى أراضى « الحجاز » ، وأن الواجب عليهم أمام هذا الخطر هو أن يبادروا الى تأليف كتلة واحدة تتكون من يهود « خيبر » ومن يهود « وادى القرى » و « تيماء » ، ثم أوضح لهم خطته التى وضعها للقضاء على الاسلام ، وهى أن يزحفوا على « المدينة » بدون أدنى اعتماد على القبائل العربية ، وبذلك ينفردون بفخر مقاتلة المسلمين وهزيمتهم ، وقد ذهب وفد منهم الى « بنى غطفان » فتعاقدوا وتحالفوا معهم على أن يحاربوا محمدا بكل ما أوتوا من قوة .

وقد علم الرسول بما يدور فى خلد يهود « خيبر » ، فأخذ يتهيأ ويستعد لمواجهتهم وقتالهم ، وكانت خطته هى أن يفاجىء عدوه قبل أن يفاجئه ، وهذا هو ما يحتمه عليه سلامة دينه وتأمين دعوته ، وقد علم يهود « خيبر » بتهيؤ واستعداد الرسول والمسلمين لقتالهم .

ويرجع بعض الرواة علم اليهود الى رأس النفاق عبد الله بن أبى ، فقد أرسل اليهم من يقول لهم : ان محمدا سائر اليكم فخذوا حذركم . فلما سمعوا ذلك أخذوا يعدون له ، فكانوا يخرجون كل يوم فى عشرة آلاف مقاتل مسلحين مستعدين صفوفا ، ثم يقولون : محمد يغزونا ؟ هيهات هيهات ! وأدخلوا أطفالهم وأموالهم فى حصون « الكتيبة » ، وجمعوا المقاتلين فى حصون « النطاة » .

حصون خيبر

كانت بلاد « خيبر » مقسمة الى ثلاث مناطق حربية ، وكل منطقة مؤلفة من عدة حصون ، وهى الآتى :

المنطقة الأولى : منطقة « النطاة » ، وهى مؤلفة من حصن « الناعم » وحصن « الصعب بن معاذ » ، وحصن « الزبير » وهو حصن « قله » ، وحصن « الكتيبة » .

المنطقة الثانية : منطقة « الشق » ، وهى مؤلفة من حصن « أبى » ، وحصن « البرىء » .

المنطقة الثالثة : منطقة « الكتيبة » ، وهى مؤلفة من حصن « القموص » وحصن « السلالم » ، وحصن « الوطيح » .

وكانت تلك الحصون من الحصون القوية المنيعة المشيدة على رؤوس الجبال ، ورجالها مدربون على القتال والنضال ، وكانت جموع اليهود فى « خيبر » تعد من أقوى الطوائف اليهودية بأسا ، وأوفرها مالا ، وأكثرها سلاحا ولكنهم ـ كعادتهم دائما ـ يهابون الحرب والالتحام فى الميدان ، ولا يحاربون الا أمام الحصون ، فاذا انهزموا رجعوا مسرعين اليها وأغلقوها عليهم ، وقد سجل القرآن الكريم عليهم هذه الخصلة من خصال الجبن ، فقال تعالى : « لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » .

وقد عرف الرسول الكريم هذه الطبيعة فيهم ، فوضع خطته على أساسها عندما سار اليهم ليغزوهم فى عقر دارهم .

موقع خيبر

تقع « خيبر » على بعد نحو مائة ميل من شمال « المدينة » جهة « الشام » وهذه المسافة تقطعها الابل فى مدى خمسة أيام ، وهى عبارة عن واحة كبيرة ذات حدائق ومزارع ونخيل ، ولم يكن سكانها مجتمعين فى صعيد واحد ، بل كانوا متفرقين فى الوديان المتجاورة ، يسكنون بيوتا حصينة تقع فى وسط النخيل والمزارع ، وكانت « خيبر » لمنعة حصونها وطبيعة أرضها يعتقد اليهود والعرب بأن الرسول لن يستطيع أن يغزوها .

خروج الرسول الى خيبر

كانت قوة المسلمين تتألف من ألف وستمائة مقاتل ، مجهزين تجهيزا حسنا من بينهم مائتا فارس ، ويمتلك كل مقاتل راحلة سريعة ، وكان مع الجيش نساء عهد اليهن الرسول بالقيام بشئون الجرحى .

وغادر الرسول بجيشه « المدينة » بعد أن استخلف عليها سباع بن عرفطة فى شهر المحرم من السنة السابعة للهجرة وبعد أن استنفر من حوله من الاعراب ممن شهد « الحديبية » ليجاهدوا معه (١) .

---

(١) كانت هذه الغزوة مقصورة على من شهد صلح الحديبية .

وكانت المسافة بين « المدينة » وبين « خيبر » خمسة أيام اذا سارها الجيش بالسرعة المعتادة ، وكان الرسول يعلم أن الطريقة الوحيدة التى يستطيع أن يهزم بها عدوه هى المفاجأة والمباغتة ، فقطع المسافة على طولها فى ثلاث مراحل مجهدة .

وعبأ المسلمون قواتهم تعبئة عسكرية منظمة ، وقسموها الى قسمين ، أعد القسم الأكبر لمهاجمة حصون اليهود حصنا حصنا ، وانطلق القسم الآخر الى الطرق بين « خيبر » و « غطفان » لقطع الاتصال بينهما لأنهم كانوا أحلافا ، وحتى لا يفاجئوا المسلمين من الخلف ، وقد وصل جيش المسلمين الى حصون الاعداء قبل فجر اليوم الرابع .

ويقول بعض الرواة : ان يهود « غطفان » أرادوا أن يظاهروا يهود « خيبر » ، ولكنهم بعد خروجهم سمعوا صياحا فى ديارهم ، فخيل اليهم أن المسلمين قد خالفوهم الى أهليهم وأموالهم فرجعوا ، ويقول البعض الآخر : ان الرسول طلب منهم ألا يعينوا يهود « خيبر » فى هذه الغزوة ، على أن يعطيهم من « خيبر » شيئا مما سماه لهم . وعلى كل فان يهود « غطفان » لم يعينوا يهود « خيبر » وخلوا بين رسول الله وبينهم .

ووقفت « قريش » ووقفت شبه الجزيرة العربية كلها متطلعة الى هذه الغزوة ، حتى لقد كان من « قريش » من يتراهن على نتائجها ، ولمن يتم الانتصار فيها ، وكان الكثير منهم يتوقع أن تدور الدائرة على المسلمين ، لما يعرفونه من قوة حصون « خيبر » ، وبنيانها فوق الصخور والجبال ، وطول ممارسة أهلها للحرب والقتال ، مما يجعل فتح هذه الحصون شيئا متعذرا ، بل يكاد يكون مستحيلا .

ونزل الرسول بجيشه قريبا من حصون منطقة « النطاة » . فقال له الحباب بن المنذر : « ان أهل النطاة ليس قوم أبعد مدى منهم ، ولا أعدل رمية منهم ، وهم مرتفعون علينا ، وهو أسرع لانحطاط رميهم ، ولا نأمن من بياتهم ، يدخلون فى حمر النخل ، فتحول يا رسول الله » ، فقال له صلى الله عليه وسلم : « أشرت بالرأى » . وتحول الى مكان بعيد عن مدى نبلهم وعسكر فيه .

وعمى الله على يهود « خيبر » ما كان من أمر رسوله وجيشه ، فباتوا آمنين مطمئنين ، وكان أول من شاهدهم الفلاحون الذين تعودوا البكور للقيام بأعمالهم فى المزارع والحقول ، فأخذوا من الرعب والهول ، وما هى الا لحظة حتى ترددت الاصوات من حقل لحقل صائحة : محمد والخميس محمد والخميس!(١)

وكأنما رأى رسول الله أن يزيد فى فزعهم ، فصاح فى أعقابهم مكبرا : « الله أكبر . خربت خيبر ! انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » .

وما ان انتشرت الصيحة حتى أسرع اليهود يجرون هنا وهناك ، وقد أخذت عليهم المفاجأة كل طريق للهجوم ، فلم يبق أمامهم من وسيلة سوى الدفاع فلجأوا الى حصونهم يحتمون بها « وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب » .

وكان الرسول يعلم أن من طبائع اليهود شدة حرصهم على المال ، وأنه قد يكون أحب اليهم من أرواحهم ، فأراد أن يرهبهم باتلاف بعض مالهم علهم يسلمون اليه بدون قتال ، فأمر بقطع نخيلهم ، فقطع المسلمون حوالى أربعمائة نخلة ، وعندما رأى أن اليهود مصممون على القتال نهى عن قطع النخيل .

---

(١) الخميس : الجيش العظيم ، سمى خميسا لأنه خمسة أقسام : المقدمة ، والميمنة ، والميسرة ، والقلب ، والساقة .

ابتدأ القتال مع اليهود فى حصن « ناعم » ، وكانوا قد حشدوا فيه قواتهم وأعدوا أنفسهم لمعركة مريرة طاحنة ، وكانوا كلما حاولوا الخروج من الحصن يشتبك معهم المسلمون ، فيرتدون الى الحصن ليحتموا خلف جدرانه القوية ، وظل الرسول سبعة أيام يقاتل أهل هذا الحصن حتى فتحه الله على يد على ابن أبى طالب .

وفى أثناء الحصار توفى زعيم اليهود سلام بن مشكم ، فتولى القيادة بعده الحارث بن أبى زينب .

ولما سقط حصن « ناعم » فر اليهود الى حصن « الصــعب بن معــاذ » واحتموا به ، وقاتلوا المسلمين قتالا شديدا ، ولكن المسلمين اقتحموا عليهــم الحصن وفتحوه عنوة .

وقد وجد فيه المسلمون طعاما كثيرا وذخيرة ، ووجدوا أيضا فى بيت تحت الأرض منجنيقا ودبابات ودروعا وسيوفا ، وكميات كبيرة من آلات الحرب التى دلهم عليها بعض اليهود ، وقد انتفع المسلمون بهذه الأدوات فى هذه الموقعــة انتفاعا كبيرا .

وبعد سقوط حصن « الصعب بن معاذ » لجأ اليهود الى حصن « الزبير » وهو حصن قوى منيع قائم على قمة عالية ، فحاصره المسلمــون ثلاثــة أيام ، واستعصى عليهم فتحــه ، وعلم الرسول من أحــد اليهود أن وراء هــذا الحصن جدولا يمد من فيه بالماء ، فأمر الرسول بقطع الماء وتعطيشهم ، فخرج اليهود من الحصن وقاتلوا المسلمين ، ولكن الدائرة دارت عليهم ولحقتهم الهزيمة . وبسقوط هذا الحصن سقطت منطقة « النطاة » كلها فى أيدى المسلمين .

وفر اليهود من منطقة « النطاة » الى منطقة « الشق » واعتصمــوا بحصن « أبى » ، فحاصرهم المسلمون فيه ، ثم تحاملوا على الحصن وفى مقدمتهم أبو دجانة الانصارى حتى دخلوه ، فهرب من فيه من جنود اليهود ، وأخذوا يقتحمون الجدر الى حصن « البرىء » .

وزحف الرسول فى أصحابه اليهم ، وأمر بأن ينصب على الحصن المنجنيق فوقع فى قلوب أهل الحصن الرعب والخوف ، فأسلموا الحصن وهربوا . وكما سقطت منطقة « النطاة » سقطت منطقة « الشق » .

وذهب اليهود الى منطقة « الكتيبة » واحتموا بحصن « القموص » ، وكان حصنا هائلا ، بنى من الصخر الحى وحصنت مداخله تحصينا قويا ، وعــلى المتاريس حراس مجهزون تجهيزا جيدا ، ويملكون كثيرا من المؤن ، ودارت حول الحصن معارك عنيفة بين الفريقين ، قاتل فيها المسلمون واستبسلوا استبسالا شديدا عظيما .

ولم يكن الأمر سهلا كما ظنه المسلمون ، فقد كانوا يعتمــدون فى تموينهــم على موارد الأعداء ، والآن أخذ اليهــود يشعلون النيــران فى مزارعهــم ، ويسحبون أنعامهم الى داخل الحصن .

وبدأت المجانيق تعمل عملها ، وتجددت القيادة برئاسة أبى بكر وعمــر وعلى ، لأن الرسول كان قد أصيب بما يشبه الصداع فاعتكف ، واستمــرت أعمال المجانيق حتى فتحت ثغرة صغيرة فى جدران الحصن ، بعد أربعة عشر يوما من الحصار ، تدفق منها المسلمون وكأنهم فيضان عارم جارف ، وســقط

الحصن ، وقد خسر المسلمون نحو عشرين شهيدا ، بينما كانت خسارة اليهود نحو قرابة المائة قتيل . وقد سبى من هذا الحصن جمع من النساء والذرارى ، من بينهم صفية بنت حيى .

سقوط خيبر

قصد المسلمون بعد سقوط حصن « القموص » حصنى « الوطيح » و « السلالم » ، وكانا آخر حصون « خيبر » ، فحاصرهما المسلمون بضع عشرة ليلة ، ولما أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله الصلح ، فصالحهم على أن يحقن دماء من فى الحصنين من المقاتلين ، ويترك الذرية لهم ويخرجوا من « خيبر » وأرضها ، ويخلوا بين المسلمين وبين مالهم من مال وخيل وسلاح .

غير أن نفوسهم رغبت عن الهجرة ، فطلبوا من الرسول أن يبقيهم فى الأرض ويعطوه نصف ثمارها ، فوافق الرسول وأبقاهم فى الأرض ، ولم يجعل ذلك الى الأبد ، مخافة عبثهم ، بل قال لهم : « ان شئنا أن نخرجكم أخرجناكم » .

ويزعم بعض المستشرقين بأن المسلمين لم يتركوا ليهود « خيبر » شيئا من المتاع سوى ثوب واحد لكل منهم ، وهذا القول مردود لما هو معروف من أن اليهود قد طلبوا بعد فتح « خيبر » شراء بعض الغنائم وفداء السبايا من أيدى المسلمين ، فمن أين اذن جاء اليهود بالثمن لو أنهم قد خرجوا عرايا ؟

ويزعم الدكتور اسرائيل ولفنسون فى كتابه « اليهود فى جزيرة العرب » أن الرسول ما ترك يهود « خيبر » الا ليفلحوا له الأرض للحاجة الى ثمارها وغلاتها ، ولأن أصحابه ليس فى وسعهم ذلك فضلا عن اشتغالهم بالأعمال الحربية .

وهذا ليس بصحيح ، لأن الرسول قد صالحهم على البقاء فى « خيبر » ، فظلوا بها الى أن أجلاهم عمر بن الخطاب فى خلافته لقول الرسول : « لا يجتمع بجزيرة العرب دينان » (١) .

يهود فدك ووادى القرى

وعندما وصل الى سمع يهود « فدك » نبأ سقوط « خيبر » ، وبالصلح الذى تم بين رسول الله وبينهم ، رغبوا عن الحرب وجنحوا الى السلم ، وبعثوا الى الرسول ليصالحوه على مثل ما صالح عليه أهل « خيبر » ، فأجابهم الى طلبهم ، وتم الصلح بدون قتال .

ثم انصرف الرسول الى « وادى القرى » وحاصرها حتى سلم أهلها ، وصالحهم على مثل صلح « خيبر » ، أما يهود « تيماء » فقد قبلوا الجزية بدون حرب . وبذلك دانت اليهود لسلطان الرسول ، وأصبح المسلمون بمأمن من ناحية الشمال الى « الشام » ، كما صاروا بعد صلح « الحديبية » بأمن من ناحية الجنوب .

مغانم خيبر

كانت مغانم « خيبر » أكثر المغانم التى حصل عليها المسلمون منذ غزوا فى

---

(١) الكامل فى التاريخ : لابن الأثير ج ٢ ص ١٥١ ، سيرة ابن هشام ص ١٠٥ ، صحيح البخارى ، باب غزوة خيبر .

سبيل الله حتى ذلك اليوم ، وقد قسم الرسول هذه المغانم بعد أن خمسها ، فأعطى الجندى من المشاة سهما ، والفارس ثلاثة أسهم ، وأعطى من خمسه لزوجاته ، وذى القربى [بنى هاشم ، وبنى عبد المطلب] ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل .

وكان من بين المغانم التى غنمها المسلمون صحائف من التوراة ، فجاء اليهود يطلبونها ، فأمر الرسول بتسليمها اليهم ، وفى ذلك يقول ولفنسون (١) : « ويدل هذا على ما كان لهذه الصحائف فى نفس الرسول من المكانة العالية ، مما جعل اليهود يشيرون اليه بالبنان ، ويحفظون له هذه اليد ، حيث لم يتعرض لصحفهم المقدسة بسوء ، ويذكرون بازاء ذلك ما فعله الرومان حيث تغلبوا على أورشليم وفتحوها سنة ٧٠ قبل الميلاد ، اذ أحرقوا الكتب المقدسة وداسوها بأرجلهم ، وما فعله المتعصبون من النصارى فى حروب اضطهاد اليهود فى الأندلس حيث أحرقوا أيضا صحف التوراة ، هذا هو البون الشاسع بين الفاتحين ممن ذكرناهم وبين رسول الاسلام » .

وليست هذه أول مرة يتسامح فيها الرسول ويترك لليهود صحائفهم المقدسة ، دون التعرض لها بسوء ، أو تحقيرها لشدة عداوتهم له ، فقد سمح لهم قبل ذلك بأخذ صحفهم المقدسة المشتملة على وصية سيدنا موسى عليه السلام لبنى اسرائيل ، عند اجلائهم من « المدينة » فى غزوة « بنى النضير » .

زواج الرسول من صفية

لم تكن هناك غاية يبغيها الرسول من اليهود بعد أن ألقوا سلاحهم ، وأمن الرسول جانبهم ، سوى حرصه على أن تكون العلاقة بينه وبينهم قائمة على أساس من المودة والصفاء ، لا على العداوة والبغضاء ، فاتخذ فيهم صهرا ، واصطفى من نسائهم صفية بنت حيى ، وخيرها بين أن يعتقها ويتزوجها وبين أن يلحقها بأهلها ، فاختارت أن تكون له زوجة ، فأعتقها وتزوجها مقتفيا بذلك أثر الفاتحين العظماء ، الذين كانوا يتزوجون من بنات عظماء الممالك التى يفتحونها ، ليخففوا من مصابهم ، ويحفظوا من كرامتهم .

وقد خشى أبو أيوب خالد الأنصارى أن تمثل صفية دور « يهوديت » مع « هلوفرن » ، لأن محمدا قتل أباها وزوجها ، وخرب قومها ، فيكون ذلك مدعاة لتحرك عوامل الضغينة فى نفسها ، فبات مسلحا حول الخيمة التى أعرس فيها الرسول بصفية . فلما أصبح الرسول ورآه سأله : « مالك ؟ » . قال : « خفت عليك من هذه المرأة وقد قتلت أباها وزوجها وقومها وقد كانت حديثة عهد بكفر » .

ولكن صفية كانت وفية للرسول ومعجبة به ، فأخلصت له الى أن توفى ، وعندما حضرته الوفاة كان نساؤه حوله ، فقالت صفية : « أما والله يا نبى الله لوددت أن الذى بك بى » . فتغامز أزواج الرسول عليها ، فقال الرسول لهن : « مضمضن » . فقلن : « من أى شىء يا نبى الله ؟ » . فقال الرسول « من تغامزكن بصاحبتكن ، والله انها لصادقة » .

---

(١) اليهود فى جزيرة العرب . صفحة ١٧٠ .

معاملة الرسول لليهود

كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا على اقامة العدل فى معاملة اليهود ، يريد أن يزيل من نفوسهم آثار عداوتهم للاسلام والمسلمين ، فالعداوة بينه وبينهم لم تكن عداوة شخصية ، وانما كانت خلافا على العقيدة التى غيروا وبدلوا فيها .

روى أن اليهود شكوا الى الرسول من أن المسلمين يقعون فى حرثهم وبقلهم بعد الصلح ، فأمر الرسول بجمع المسلمين ، ثم قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « ان يهود شكوا الى أنكم وقعتم فى حظائرهم ، وقد أمناهم على دمائهم وعلى أموالهم التى فى أيديهم فى أراضيهم وعاملناهم (١) . وأنه لا تحل أموال المعاهدين الا بحقها » . فكان المسلمون بعد ذلك لا يأخذون من بقولهم شيئا بدون ثمن .

فهل حفظ اليهود جميل الرسول وقدروه ؟

وهل عرفوا أن محمدا أصدق الناس قولا وأكثرهم عدلا وأطهرهم قلبا ؟

وهل أدركوا أن الاسلام لم يكن يريد بهم شرا ، وأن مبادئه تقوم على العدل واحترام حقوق الغير ، وأنه يعدل فى أعدائه مثلما يعدل فى أصحابه ؟

كلا ، لم يقدر اليهود شيئا من هذا ، وانما ظلوا على ما هم عليه من الغدر والخيانة ونكران الجميل ، وقاربت قلوبهم تحترق من كثرة الحقد على الرسول .

لقد رجعوا الى قديم عادتهم ومألوف حياتهم ، رجعوا يتآمرون عليه ويفكرون فى الغدر به ، والقضاء عليه بحيلة ماكرة .

أهدت زينب بنت الحارث زوجة سلام بن مشكم الى الرسول شاة مشوية فجلس الرسول وأصحابه حولها ليأكلوها ، وتناول عليه الصلاة والسلام ذراع الشاة فلاك منها مضغة فلم يسغها وكان بشر بن البراء معه ، فتناول منها مثل ما تناول الرسول فأساغها وازدردها ، ولكن الرسول لفظها وهو يقول : « ان هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم » وأمر أصحابه برفع أيديهم عن الطعام ، ثم دعا بزينب فاعترفت بأن الشاة مسمومة . فقال لها : « ما حملك على ذلك ؟ » . فأجابته : بلغت من قومى ما لم يخف عليك . فقلت : ان كان ملكا استرحت منه ، وان كان نبيا فسيخبر ، وقد استبان لى أنك صادق ، وأنا أشهدك ومن حضرك أنى على دينك وأن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فعفا عنها الرسول ولم يعاقبها ، مقدرا لها عذرها بعد الذى أصابها فى أبيها وزوجها ، ومات بشر ابن البراء من أكلته التى أكلها بعد ما سرى السم فى جسمه .

اهتمام قريش بأنباء خيبر

كان فتح « خيبر » حدثا عظيما اهتزت له « قريش » ، لأنها لم تكن تتوقع أن تنهزم « خيبر » بهذه السرعة المذهلة ، وهى على ما هى عليه من القوة والمنعة والحصانة ، ولم تكن تظن أن الرسول وأصحابه سيبلغون فى يوم من الأيام هذا المبلغ العجيب من القوة .

لقد كان اليهود من القوة بحيث لا يظن أحد أو يتوقع أن يهزموا فى يوم ما ، كان جيشهم مكونا من عشرة آلاف مقاتل ، مجهزين بالعتاد والأسلحة ، ومدربين

---

(١) عاهدناهم على أن تكون الأرض لهم يعملون فيها ولنا نصف ثمارها وغلاتها .

على فنون القتال ، ووراءهم حصونهم القوية وآلاتهم الثقيلة ومؤنهم الوفيرة ، على حين كان جيش المسلمين لا يزيد عن الف وستمائة ، وليس معهم سوى السيوف والرماح والقسى والسهام والمجانيق ، وليس وراءهم حصن يحتمون به ، وكانوا على ذلك فى قلة من الطعام وشح من القوت وبعد عن المدد .

ومع كل هذا التباين الظاهر بين الفريقين ، والفارق الملموس فى تكافؤ الفرص وتهيؤ الأسباب ، انتصر المسلمون هذا الانتصار العجيب على اليهود .

ولا ريب أن هذا النصر الكبير قد أدهش قريشا وأذهلها ، وأذهل معها العرب وغير العرب فى شبه الجزيرة العربية ، وملأ القلوب بالرعب من هذه القوة الخارقة التى لا تعوقها حصون ، ولا يحول بينها وبين الوصول الى غاياتها شىء من الأشياء .

لقد كان الرعب الذى قذفه الله فى قلوب اليهود من أهم العوامل فى انتصار المسلمين عليهم ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقرر هذه الحقيقة فيقول : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » .

وكان من نتائج فتح « خيبر » القضاء التام على القوة السياسية والاقتصادية والدينية التى كانت لليهود فى أقاليم « الحجاز » ، فأخذت ظلالهم تتقلص شيئا فشيئا حتى انمحت آثارهم تماما .

وكما قضت غزوة « خيبر » على استغلال اليهود ونفوذهم ، قضت على عنفوان « قريش » وكبريائها ، وأوقفتها أمام قوة الاسلام مغلولة اليدين ، لا تدرى ماذا تصنع حيال هذا السيل الجارف الذى لا تستطيع له صدا ، وأيقنت « قريش » وأيقن العرب معها أنه لا حيلة لهم فى مقاومة هذا الدين ، فاستسلموا للأمر الواقع ، ولم يعد هناك من يفكر فى مناوأة الاسلام .

العودة الى المدينة

وعاد الرسول بجيشه الى « المدينة » بعد أن أخضع معظم شمال « الحجاز » ، وعندما لاحت له « المدينة » بنخيلها كانت تنتظره مفاجأة سارة ، فقد وصل الى « المدينة » أثناء غيابه عنها ابن عمه جعفر ابن أبى طالب والمهاجرون الى « الحبشة » ، فاستقبلهم الرسول بسرور بالغ ، وقبل جبهة جعفر وعانقه ثم قال : « والله ما أدرى بأيهما أفرح ؟ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » وقال لجعفر : « أشبهت خلقى وخلقى » . فاهتز جعفر من فرط سروره ، ولما أصابه من الفرح .

لقد كان لقاء الرسول بالمهاجرين رائعا ، فان آخر مرة رأى فيها الرسول هؤلاء الصحابة الكرام كانت فى أيام « مكة » المظلمة ، يوم كانوا يتسللون فى جماعات للبحث عن مأوى ، وما كان أحد ليفكر فى أنهم قد يرى بعضهم بعضا مرة أخرى .

وقد أشركهم الرسول فى مغانم « خيبر » مع أهل « الحديبية » ، ولم يقسم لأحد غيرهم معهم . لأن الله سبحانه قد جعل « خيبر » مكافأة سخية لمن بايعوا على الموت تحت شجرة الرضوان .

ولم يمض وقت طويل على أولئك العائدين حتى اكتسبوا مافاتهم من علم بالقرآن والسنة ، وانتظموا فى موكب الجهاد مع من سبقوهم باحسان .

التوكل على الله

أعلى درجات السلوك الإيجابي

للأستاذ : أحمد مختار قطب

التوكل على الله ركن بارز من أركان سلوك المسلم .. وقد كان فى الماضى مصدر قوة لا حد لها عند المسلمين ، وكان مجرد الاعتقاد الجازم غير المرتاب فى هذه القاعدة من قواعد السلوك يفجر فيمن يعتقدها كل الطاقات الكامنة ، ويمنحه قدرة تكاد تكون كاملة على التفكير الموضوعى المتجرد ...

كان هذا فى الماضى البعيد بالنسبة للغالبية من المسلمين وفى الماضى القريب بالنسبة لأقلية منهم . أما فى الحاضر فاننا نسمع من يقول ان فكرة التوكل عليه هى السر الكامن وراء تأخر المسلمين وانها الحائل بينهم وبين الادراك الحقيقى لطاقات الانسان ، وهى المرادف للايمان بالغيبيات الداخلة فى معنى الاساطير ، وأن الشخص المتوكل على الله هو الانسان القاعد الهمة البعيد عن التفكير الموضوعى غير المتدبر والمتفهم لاحكام وقوانين الحياة وهو الذى انعدمت عنده كل القوى الحافزة .

أما أن فكرة التوكل على الله لعبت دورا خلاقا ومفجرا للطاقات فى الماضى .. فهذا صحيح بغير شك .. وأما أن الكثيرين يحاولون الان تحميلها معظم مظاهر تخلفنا فليس هناك شك فى ذلك أيضا .. فكيف يتأتى ذلك وكيف يمكن أن تكون الفكرة الواحدة مصدرا للنقيضين ومؤدية للسبيلين المتعارضين .

الاصل أن الفكرة الواحدة تخدم غرضا واحدا فالاتجاه بالذهن للخطو الى الامام لا يمكن أن يؤدى بالانسان الى التقهقر للخلف الا اذا كان هناك خطأ فى الخطوة الى الامام منعها أن

تؤدى وظيفتها ، أو خطأ فى ذهن الانسان حيث حسب أنه يأمر ذهنه بالاتجاه الى الامام فى حين انه أمره بالارتداد الى الخلف أو لم يكن هذا الذهن يفهم معنى لفظ التقدم ، وحسب أن لفظ الارتداد يؤدى هذا المعنى .. وخلاصة الامر أن الخطأ لا بد وأن يكون كامنا فى الطريقة التى فهمنا بها أية فكرة .

فان فهمنا معنى التوكل على الله بأن الله لا يكون وكيلا الا لمن آمن به والتزم بكل احكامه ، كان هذا الفهم منا مؤديا الى نتائج ... وان فهمنا أن معنى التوكل عليه معنى مستقل عن الالتزام بالواجب وانه انتظار للشىء من غير اسبابه وتوقع الامر من غير مقدماته المحدثة له ادى هذا الفهم الى نتائج متعارضة ومتناقضة مع النتائج الاولى .. فحيث نقول ان حقنا فى التوكل على الله لا يتقرر الا اذا اوفينا بما امرنا به تحدث هذه الفكرة فينا ما احدثته فى اوائل المسلمين .. وان اسقطنا واجبنا فى الطاعة وطالبنا بحقنا فى التوكل ادخلنا هذا الفهم فى باب التواكل وتغيرت الصورة تغيرا كاملا وارتددنا الى الخلف ونحن نعجب كيف لا تقودنا خطانا الى الامام .

فالعلة كامنة فى الانسان ابدا .. وكل حق يقابله واجب .. والالتزامان متقابلان .. ونقول ان التوكل على الله حق للانسان الذى يؤدى الواجب الذى قال به من نتوكل عليه وهو الله سبحانه وتعالى لا ما نادت به اهواؤنا ولا ما نادى به من لا يتبعون صراط الله المستقيم .

هذا هو السر فى اختلاف النتيجتين .. بل تناقضهما .

ـــ . ـــ . ـــ

وعلى ذلك فمفتاح المسألة هو فى فهم أن المتوكَّل عليه يسعف المتوكِّل وشرط هذا الاسعاف هو قيام المتوكِّل بكل ما يطلبه منه المتوكَّل عليه ليوصله للنتيجة التى وعده بها وهذا هو الذى وصلنا اليه من محاولة تفهم النصوص القرآنية فضلا عما توحى به البديهة من أنه من غير المعقول أن يأمر الله عباده بقاعدة سلوك فيها تخلفهم وهلاكهم والشاهد من الاستقراء التاريخى كما قلنا انها كانت بمثابة التفجير الذرى لكل الطاقات الكامنة فى النفس البشرية ..

ولنقرأ معا الآيات الثلاث الاولى التى جاءت فى سورة الاحزاب لنرى هذا المعنى واضحا كل الوضوح :

« يأيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما . واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا . وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا »

والخطاب فى هذه الآيات الكريمة موجه للنبى صلى الله عليه وسلم وهو يتضمن ثلاثة أوامر يمكن بعد التزامها التوكل عليه .

فهو يؤمر باتقاء الله اى بتجنب كل ما يمكن أن يؤدى الى مخالفة الله وهى درجة سابقة على الوقوع فى الخطأ سدا للذرائع المؤدية اليه .

وهو يؤمر بألا يطيع الكافرين والمنافقين أمرا عاما لا استثناء فيه بحيث يشمل فيما يشمل كل ما جاءوا به من علم انتهى بهم الى الكفر لان ما عند الله من العلم والحكمة هو الحق « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » (الاحزاب آية ٤) ..

ونلاحظ فى هـذا النهى انه اقتصر على الطاعـة ولم يشمـل المعرفة والتقصى والبحث لما فـى المعرفـة والعلم من فوائـد جمة أيا كـان مصدرها .

وأخيرا فانه يؤمر وقد ترك هذه المصادر من المعرفة بأن يتبع ما يوحى اليه من ربـه لان هذا الوحى منزل عليه من الخبير العليم الذى يعتبر وحـده المصدر الحقيقـى للمعرفة الواجبة الاتباع .

فاذا تم ذلـك ورفض الرسـول الكريم اتباع كل ما تعج بـه الدنيا من تقلبات فكرية يأتى بها الكافرون والمنافقون وأمعن فـى اتقـاء الله وتجنب كل المزالق التى وان كانت فى مظهرها بريئة ويحسب الانسان انه قـادر على التحكم فى مسارها الا انها حتما أقوى منه ومؤدية به الى الوقوع فيما يغضب الله .. اذا فعل الرسـول الكريم ذلك فلا خوف عليه ولا يجب أن يساوره أدنى شك فيما نصحه بـه الله وما أنزل عليه من وحى وليثق كل الثقـة ان وعد الله حق وليؤمن ايمانا لا يتزعزع ان كل ما أمره الله باجتنابه لن يوصله الى شىء وما عليه الا أن يمتثل لما يقوله ربـه « وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا » .

أما ان حدثت الصورة العكسية وارتاب القلب وخشى أن يقطع قطعا جازمـا بهذا الرأى ولابسه خـوف أن تكون أهواء الكافرين والمنافقين وتقلبات أفكارهم وافئدتهم حاوية لما قد ينفع فليس للشخص اذن أن ينتظر نصرا من الله ولن يكون وكيله فيما خالفـه فيه ولينتظر من سبيل هؤلاء الكافرين أن يؤدى بـه الى ما هو مقدر لمثلـه من نتائج سيئـة مهما حوى فى بعض مراحله من أضواء تصلح للخـداع ولا تصلح للانـارة الحقيقية وفـى ذلـك تقول الآيـة الكريمة :

« ولن ترضى عنـك اليهـود ولا النصـارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهـدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ما لك من الله من ولى ولا نصير » . (سورة البقرة آية ١٢٠) .

هذا حديث الله سبحانه وتعالى الى رسوله الكريم يبشره فيه بوكالته عنه وهو متبع لطريقـه ويحذره فيه ايضا من ان اتباع السبل ستكون نتيجته الحتمية أن يوكل المرء لهذه السبل تجرفه حيث قدر لها أن تجرف تابعيهـا .

والخطاب الموجـه الى الرسول الكريم موجه بدوره الى كل المؤمنين ومع ذلـك نجد الكثير مـن الآيات تخاطب المؤمنين بهذا الذى خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم وتقول لهم ان الله تكفل بمن يتبع سبيله وأما الناكصون عن هذا السبيل فهم وما تؤدى بهـم سبلهم .. من ذلك ما نراه فى سورة ابراهيم من ربط واضح بين سبيـل الله والتوكـل عليه .

« ومالنا الا نتوكل على الله وقد هـدانا سبلنا ولنصبرن علـى ما آذيتمونـا وعلـى الله فليتوكـل المتوكلون » (سورة ابراهيم آية ١٢)

وتقول الآيـة ١١٥ مـن سورة النساء :

« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين لـه الهدى ويتبـع غير سبيل

المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

وفى ذلك تبصرة كافية بأن من يعزف عن سبيل المؤمنين تتولاه السبل الاخرى بقوانينها .

. . . .

هذه هى القاعدة العامة فى التوكل عمادها الايمان المطلق بكل ما امرنا به مع الثقة الكاملة فى وعد الله بنصر المؤمنين .. ولا شك أن الالتزام بالواجب قد يكون شاقا وتزيد المشقة عندما يكون الملتزمون به أقلية تعيش فى مجتمع تنشأ قيمه من احتياجاته المؤقتة .. وتمعن فى الزيادة عندما يكون الوفاء بالواجب قائما على بذل النفس والتضحية بالحياة فى صورة الاستشهاد عند القتال فى سبيل الله وقد تبدو فى كل هذه الحالات القيم المخالفة للشرع ذات بريق وأقرب الى تحقيق الاغراض العاجلة ، وقليل من الناس من يستطيع التصرف لحساب الآجل لا العاجل ، وكان طبيعيا أن يمر المسلمون بهذه الامتحانات وأن يرق ايمان بعضهم وأن يتزعزع من بعضهم القلب والوجدان ويحسبون أن طرق غير المؤمنين ادعى وأقرب لاستجابة متطلبات الحياة ويقول البعض كما قال القرآن الكريم « هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا » كان هذا طبيعيا وكان من الطبيعى أيضا أن يقابله القرآن بالتعليم والارشاد والتوجيه وضرب المثل فاذا تكالب الناس على جمع المال وظنوا أن التحلل من كل قيمة فى جمعه وفى التصرف فيه ـ هى الطريقة المثلى ينبههم القرآن الى أن الرزق الواسع والضيق أمر مقدر وهو خاضع لآلاف بل ملايين من العناصر التى لا يمكن لنا الاحاطة التامة بها وان علينا التزام الرشاد فى الحصول على الرزق وتنكب هذا السبيل لا يؤدى الا الى بريق لا بد أن يخبو ، وما نسميه حسن الحظ وسوءه فى جمع المال لا يخرج عن كونه ارادة الله فى توزيع الرزق على عباده .. وقد يكون جامع المال سىء الحظ فلن يقدر على شىء منه ولن تغنيه كل وسائل الانحراف والعكس صحيح .. فما دام الامر كذلك فلا مصلحة لنا فى الخروج على أوامر الله ، وضرب الله للناس مثلا لذلك ما كان من شأن قارون الذى أبى ان يستجيب لنداء الله ورفض أن يخضع فى ماله لما أمر الله به من احسان وحسن قصد فى استعمال القدرات المالية وزعم انه هو السبب الاول والاخير فيما وصل اليه من ثروة ولذلك فهو القانون ورغباته هى الدستور الذى يحكم كل تصرفاته وإلهه هواه .. وأصبح هذا الموقف فتنة للكثيرين ممن تمنوا مكانته . . . والاعجاب بالقدرة قد يتطور الى تكوين قيم وقواعد سلوك تقليدا للقادر المنتصر فلما ذهب المال وحلت بقارون الكارثة أدرك الذين كانوا مفتونين به أن خطايا قارون لم تكن هى السبب فى ثرائه كما انها لم تستطع أن تحمى هذه الثروة وان هناك ما هو أعلى من الاسباب الظاهرة وهو ما درجنا على تسميته بالحظ وان الذى يجب أن يستقر فى اذهاننا هو التمسك من هذه الاسباب الظاهرة بما أمرنا الله بالتمسك به فهو وحده يملك الظاهر والباطن .

« واصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون » . (سورة القصص آية ٨٢) .

ولن نمضى فى ضرب الامثال وحسبنا أن نضيف الى ما قلناه ما اتصل بالواجب الاشد وهو واجب الاستشهاد فى سبيل الله ان دعت لذلك الاسباب ولقد بدأ هذا الواجب عندما فُرض القتال وهو ما لا تألفه النفس البشرية وتؤثر عليه الدعة ولكن القرآن الكريم وقد فرضه على الناس عندما يكون فى سبيل الله لا لأى غرض من الاغراض التى لا حصر لها لقتال الناس بعضهم بعضا قال لهم ان الاقبال على أداء هذا الواجب هو السبيل لحياتهم وان الامم التى آثرت الدعة تفريطا فيما أمرها الله به انتهت بها الحياة الى المذلة وأدت بها المذلة الى الاسترقاق وهذا أدى الى الفناء والهلاك كان هذا حال بنى اسرائيل عندما قالوا لنبيهم اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وكان ايضا حال غيرهم من الامم ، ثم يعرج القرآن الكريم الى الحجة الفاصلة فيقول للقاعدين انكم تحسبون أن فى قعودكم حماية لكم وانكم اكثر حصافة واصالة فى الرأى ولكن هذا وهم فارغ ، فالموت آت لا ريب فيه والحياة الى أجل ، وفرق أن يأتى هذا الاجل على شرف وبين أن يأتى على مذلة وهوان .

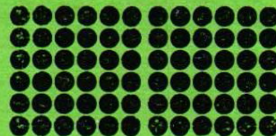
« الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين » .
(سورة آل عمران آية ١٦٨) .

« وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون . قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .
(سورة التوبة آية ٥٠ و٥١) .

فالحرص والقعود والهرب سبب للمذلة لا للنجاة فلكل أجل نهاية لن يؤجل وقوعها اىّ ترخص أو تحلل أو تفريط واذ تقع هذه النهاية الحتمية لن يتبقى الا الندامة على ما فرط فيه الانسان ليتفادى ما لا يمكن تفاديه .

— • — • —

هذا هو التوكل على الله .. أعلى درجات السلوك الايجابى .. وغاية ما يكلف به المؤمن من صدق وايمان .. فاذا كان يمثل لدى بعض المسلمين غير ذلك فالعلة فيهم لا فى عقيدتهم .. واذا حاول غير المسلمين القول بأن التوكل على الله هو التواكل فهو أما بسبب عدم فهمهم للعقيدة واما بسبب رغبتهم الخبيثة فى تشكيك المسلمين فى قيمهم وقواعد السلوك لديهم ، واذا تشكك الانسان فى قيمه وقواعد سلوكه طرحها وبحث عن غيرها من المعروض فى الاسواق .. والعجيب أن كثيرا من المسلمين يؤمنون بقاعدة السلوك التى ألقيت لهم فى هذه العبارة « أد الواجب ودع ما يكون » ويجهلون أن قاعدة التوكل على الله تشمل هذه القاعدة وتستوعبها فأداء الواجب هو ما قلناه من اداء ما أمر به الله وترك ما يكون بعد ذلك هو التوكل عليه ...



داعية الإسلام

محب الدين الخطيب

للأستاذ : أنور الجندي

أكتب هذا مسرعا الى مجلة (الوعى الاسلامى) الزاهرة لتسجيل صورة خاطفة لشخصية من ابرز أعلام الفكر الاسلامـــى المعـاصر ومصلـح حمل لواء الدعوة الاســـلامية منذ أكثر من أربعين عاما عندما أصدر مجلتيه ((الزهراء والفتح)) فكانتـا امتدادا للمنار الذى كان يصدره السيد محمد رشيد رضا منذ أوائل القـــرن العشرين الميلادى ، وكان هذا امتدادا للعروة الوثقى التى أصدرها السيد جمال الدين الأفغانى والامام محمـــد عبده قبـــل الربع الأخير من القرن التاسع عشر فى باريس ، فأمتد منذ ذلك الوقت خط الصحافة الاسلامية الذى جاءت (الوعى) لتمثل مـــع الصحف الاســـلامية المعاصرة بعدا جديدا له .

ومن الحق أن السيد محب الدين الخطيب قد حمل فى العـــالم لواء الدعوة الاسلامية منذ وقت بـــاكر ، وكان من أكبر العـــاملين لتأسيس جمعية الشبان المسلمين التى انتشرت فروعها فى العالم الاسلامى كله ، وفى المكتبة السلفية التى أسسها منذ عام ١٩٠٩ (والتى أتصلت بها مطبعة الفتح ١٩٢١ وجريدة الفتح ١٩٢٥) وبين طائفة كريمة من اهل الفضل فى مقدمتهم الشيخ الخضر حسين واحمد تيمور باشا أمكن اقامة هذا البناء الذى ضم فى أول تشكيل له : الدكتور عبد الحميد سعيد ، والشيخ عبد العزيز جاويش ، والدكتـــور يحيى الدرديرى ، وغيرهم .

وكان من وراء هؤلاء جميعا هذا الرجل الصامت المتوارى الذى يكره الدعاية والاعلان ، وحملت جمعيـــة الشبان لواء الدعـــوة الاســـلامية ومقاومة حركة التبشير الضخمة التى كانت تجتاح الأمة العربية كما حملت مجلة الفتح لواء الدفاع عن ـ حرية الأقطار العربية وجاهدت جهاد الأبطال مع حــــركات التحـــرير فى تونس والجزائر وليبيا ومراكش حتى حظرت

فرنسا دخولها فكانت تغير اسمها وتدخل تحت اسماء أخرى وتهرب فى الازواد التى تحملها قوافل الجمال الضاربة فى الصحراء ، ومن خلال هاتين المؤسستين عمل السيد محب الدين الخطيب فى حماسة وايمان وبعد عن الشهرة والأضواء حتى ليمكن القول بأن أبرز كتاب الأمة العربية اليوم من المتخصصين فى الدراسات الاسلامية قد بدأوا خطواتهم الأولى فى الفتح.

وقد صور هدفه من انشاء مجلة (الفتح) التى عاشت بضعة وعشرين عاما (١٩٢٦ — ١٩٤٨) بفضل صموده وقوة ارادته الغلابة فى مواجهة الصحافة ذات الموارد الضخمة : يقول :

((ان الفكرة التى تمثلها الفتح فكرة عظيمة فى ذاتها ، وهى وليدة الاسلام فليس لنا ولا لغيرنا فضل فى ايجادها وتكوينها ، وانما الفضل كل الفضل هو فى الاكثار من العاملين لها والعارفين بمزاياها والمجاهدين فى سبيلها ..)) .

وقد سجل مبادىء الفتح على صفحتها الاولى على هذا النحو الذى يمثل فى ايجاز شديد فلسفته ومفاهيمه ويدل على مزاجه النفسى (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، الفتح لأهل القبلة جميعا ، العالم الاسلامى وطن واحد ، المسلمون الى خير ولكن الضعف فى القيادة ، انت على ثغرة من ثغور الاسلام فلا تؤتين من قبلك ، اعمل ليراك الله وحده ، وتوار عن انظار الناس ، الفتح رسالة الاقطار الاسلامية بعضها الى بعض)) .

وهو يكشف عن رسالة القلم عنده فى عمق عجيب ، وتبدو كلماته اليوم وبعد وفاته أشد اثارة وأبعد مدى فى تصوير ايمانه واخلاصه واعتداده بذاته وهو الذى لا حول له ولا قوة من نفوذ أو منصب : (انا فى نفسى كثير العيوب وأنى كأمثالى من البشر محل العجز والنقص ، ولكنى ساعة أمسك القلم لاكتب ما اكتبه للفتح لا أجد أمام عينى اللتين سيأكلهما الدود الا ذلك الميزان الذى أزن به الأحداث والآراء ولا أقيسها الا بمقاييس الاسلام كما فهمه الصحابة والتابعون غير ملاحظ شيئا غير مصلحة المسلمين العامة وافقت أهواء الناس ومصالحهم أو خالفتها ، وأفقت مصلحتى ومنفعة الفتح المادية أو خالفتهما) .

(أنا فى نفسى صغير فقير ، قليل النصير ، ولكنى ساعة أدفع السوء عن حقائق الاسلام أو ابتغى المصلحة لعامة المسلمين لا أشعر بأن فى هذه

الارض قوة للباطل أخشـــاها على الحق الذى أنطق بلسانه لأن اللسان الذى انطق به هو لسان الاســـلام القوى ، وليس لسان الانســـان الضعيف) .

وبين آن وآخر ، وعـــلى مر السنوات يؤكد موقفه ويعاود قطـع العهود على الحق الـــذى يتبعه : ((قطعت على نفسى عهدا بينى وبين ربى ، وأهتف به الآن عـــلى مسمع من الموافق والمخالف بأنى ما أدخرت ولا أدخر وسعا فى العمل من جهتى على المضى فى هذا السبيل ما حييت ، وعهد آخر قطعته على نفسى ، وبينى وبين ربى ، اهتف به ((بأنى ما وزنت ولا ازن احـداث البشـر وآراءهم الا بميزان الاســـلام ، كما فهمه الصحابة والتابعون ، ولا حـكمت ولا أحكم على تلك الأحداث والآراء الا بما تقتضيه وحدة المســـلمين ومصـــلحتهم العامـة المجردة من الأغراض والأهواء)) .

تلك انطلاقة هذه الشخصية التى عملت فى صمت وجد وقوة فى مجال الدعوة الاسلامية منذ عام ١٩٠٩ حتى نهاية عام ١٩٦٩ ، حيث توفى يوم ٣٠ ديسمبر وهو يراجع تجارب المجلد الثالث عشر فوق سريره بالمستشفى الذى دخله لفترة قصيرة ـ من كتابه الضخم (فتح البـــارى فى تحقيق صحيح البخارى) والذى عكف عليه منذ عشر سنوات كاملة بعد أن ترك رئاسة تحرير مجلة الأزهر التى وليها خمس سنوات كاملة والتى قدم فيها عصارة كاملة للفكر الاسلامى من خلال أكثر من (٦٠) بحثا تمثل افتتاحيات هذه المجلة العالمية شهريا .

ومن خلال عديد من كتاباتـه فى مجلة (الفتح) استطعت أن أحصل على صورة واضحة لمطالع حياتـه ومفتاح شخصيته كتبها بقلمه خلال فترات متباعدة وهى تشـــكل فى تنسيقها اليوم (صورة حياة) خصبة عريقة فى مجالها الذى اختارتـــه وصمدت فيه صمودا مليئـا بالايمان واليقين فى حياة أمتدت ٨٦ عامـا هجريـا = (١٣٠٣ ـ ١٣٨٩ هـ) ـ (١٨٨٥ ـ ١٩٦٩ م .)

((كان أبى أمين دار الكتب الظاهرية ومات أبى وأنا ابن اثنتى عشرة سنة فأخذ الشيخ طاهر الجزائرى بيدى ووجهنى الى الاسلام الحق ، وأوجدنى فى البيئة التى أشرفت منها عـــلى حقائق المجتمع ، وكانت له حلقة بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع وتضم (جمال الدين القاسمى ، عبد الرزاق البيطار ، ســـليم النجارى ، رفيق العظم ، محمد كرد على ، ســـليم الجزائرى ، شكرى العســـلى ، عبد الوهاب المسلمى ، عبد الحميد

الزهراوى ، عبد الرحمن شهبندر ، فارس الخورى) وأكثر ما كـــانوا يجتمعون فى الدار الكبرى التى كان يملكها رفيق العظم فى حى مئذنــة الشحم بدمشق ، وكان مجلس هذه الحلقة يستعرض كل ما يهم المفكرين استعراضه عن الحركـــة العلمية والفكرية والسياسية من خلال أسبوع وكان الشيخ طاهر يسدد اتجاهاتهم ويوقظهم لما خفى عليهم من أسباب الاصابة فى الرأى)) .

ويقول أنه تأثر بكتابين هامين : كتاب أم القرى لعبد الرحمن الكواكبى وكتاب الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية لمحمد عبده .

ويتحدث عن شيخـــه وأستاذه ، أما شيخه فهو (طاهر الجزائرى) : ((هو الذى ربى عقلى وهو الذى حبب الى هذا الاتجاه الفكرى منذ كنت طفلا الى أن صرت رجلا ، ولا أعرف مؤلفا ولا حامل قلم نشأ فى دار الشــام الا وكانت له صلة بهذا المربى الأعظم واستفادت من عقله وسعة فضله وهو على الجملة نواة الخير الأولى ، وأهم كتب السلف النافعـــة التى نشرها الناشرون انما نشروها باشارتـــه وتحريضه ، وأنا وكل ما نشرته لسنا الا قطرة فى بحر الخير الذى كـان يتدفق من هذا العالم الذى كانت الدنيا لا تساوى عنده جناح بعوضة)) .

أما استاذه فى الصحافة فهو (على يوسف) يقول : ((التحقت بتحريـر (المؤيد) (سبتمبر ١٩٠٩) وقـد وجدت منه عطفا وتشجيعا ، وبقيت أعمل فى تلك الصحافة الاسلاميـــة التى كانوا يسمونها (تيمس مصر) الى ما بعد وفاة صاحبهـــا ، وقد استفدت من أساليبه الصحفية ومن خطته الاسلامية ما أنا مدين له به ما دمت حيا ، وفيها صاحبت المنفلوطى وتعرفت بحافظ ابراهيم ، واتصلت يومئذ من طريق (المؤيد) بكل ذى مكانة سامية من رجـــالات مصر وعظمائها فكان ذلك عونا لى عــلى أدراك حقائق الحياة)) .

أما مجلة (الفتح) فيقول ((ان سبب وجودها هو (أحمد تيمور) وأنه لولا (تيمور) باشا لما وجـد الفتح وأقـول مقتنعـــا أنه لولا وجـود الفتح لما وجدت هـــذه الصـــحف الاسلامية بعده ، وعندما صـحت العزيمة على اصدار الفتح لم يـكن فى مصر صحيفة اسلامية غير مجلـــة (المنار) ، وكانت منتشرة فى دائرة ضيقة لانها شهرية ولانها ذات ابواب محددة لا تتسع لاكثر ما يكتبه منشئها رحمه الله .

وعن طريق الفتح بدأت دراسات اسلامية استكملت من بعد وأصبحت مؤلفات هامة ، وتصـحـحت حقائق كثيرة وأزيلت شـــبهات وعرضت (الفتح) لكل التحديات التى واجهت الفكر الاسلامى والثقافة الاســلامية ودحضت كل كذبة مضللة ، وواجهت دعاة التغريب وحطمت مخططاتهم ، وكان من أكبر أعمالهـــا تحريض الشاعر أحمد محرم على كتابه الالياذة الاسلامية .

وقد بلغ من أمر الفتح ان ذكر كثير من المراقبين((ان دار المطبعة السلفية كانت نبع القلوب الصادية تردها من

الشباب فئة قليلة الصبر على ضيم ينزل بالأمـة العربيـــة من ظـلم الاستعمار)) .

وقد صور الدكتور زكـى عـلى : جهاد السيد محب الدين الخطيب فى مجال الدعوة الاسلامية فقال ((انه أعلم المصريين بسير الدعوة الاسلامية وأحوال العالم الاسلامى ، وهو أول من لخص فى سطور توج بها صحيفته برنامج اتحاد اسلامى على الوضع الأمثل وأثبت فى طليعتها ، أن العالم الاسلامى وطن واحد ، وهو يعتقد أن النيل وبردى والأردن ودجلـــة والسند تجرى فى وطن واحد ، وان المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها أخوة تظلهم فكرة واحدة وان اختلفت السنتهم وألوانهم وأقطارهم ثم يمتاز محب الدين الخطيب بأنه ما حاد يوما عن الطريق الذى رسمه لنفسه منذ حمل لواء الجهاد والنضال والذود عن كرامة الاسلام ومصالح المسلمين فى كل بقعـة من بقـاع الارض ، فهو لم يجعل صحيفته سلعة ولم يتخذ من قلمه صناعة ، وهو اذا قال أو كتب فهو أقدر الناس عـلى تصوير نفسية المسلم الحقيقى)) .

هذا ما قاله الدكتور زكى على عام ١٩٤٠ أى منذ ثلاثين عاما وقد أكدت الأحداث حياة السيد محب الـــدين الخطيب حتى لقى ربه صدق هـذا الايمان وعمق هذا الاباء ، وبعد هذا المصلح عن المطامع الخاصة والشهرة والأضواء حتى انه كـان يحذف من القصائد أو المقالات ما يعرض لـه الكتاب خاصا بتقديره ، ويقول عن قصيدة للدكتور زكى أبو شادى : ((لشد ما كانت دهشته عندما رأى القصيدة بعد نشرها مطويا منها أبيات يتمنى الكثيرون ممن طارت شهرتهم فى الآفاق أن تكون قيلت فيهم وان يبذلوا فى سبيل ذلك أعز المعطيات))

وقد خلف السيد محب الـــدين الخطيب تراثا ضخما من الأبحـاث والدراسات يمكن أن يشكل اذا عرض ونسق أيدلوجيا كاملا للفكر الاسلامى الحديث فى مواجهـة الحضـــارة والتغريب والتطور ، وقد كان أسلوبه رقيقا طيعا ، فقد اتاحت له دراسته للفرنسية والتركية الى جوار تعمقه فى اللغـة العربية والادب العربى قدرة فائقـة على الاداء والبيـان فضــلا عن قـوة عارضـته فى دحض الشبهات وكشف عظمة الاسلام والدفاع عنه بأسلوب هـادىء بعيد عن الحدة أو الهجاء أو الارتطام ، فقد كانت غايته أن يكشف الحقائق دون أن يجرح الكاتبين ، وان يرد عادية الخصوم دون أن يشتبك معهم على النحو الذى يخرجه عن دائرة النضال .

ولقد عرفت السيد محب الـدين الخطيب منذ أواخر الحرب العالمية الثانية ، وجلست اليه طويلا ، ورأيت سماحته واشراق طلعته وهيبتـــه وعناده فى الحق ، لا يتراجـع عما يعتقده الحق ، الى ايمانه وايجابيته وبعده عن الضوء ، ولقد تابعت مع الايام لقاءه وكنت أعجب فى السنوات الأخيرة من صبره الدائب فى تحقيق البخارى وربط أحاديثـه ومراجعته مع كتب الصحاح وتحقيق أعلامـه وكتابه وتراجمهم ، ومـا زلت أرى أعجابه بمقامه فى الروضـــة وفى شارع الفتح المسمى باسم صحيفته ، قريبا من أول خطـا ((عمـرو بن العاص)) فى مصر القديمة وعـــلى

مرمى البصر من ســـاعات التاريخ الاسلامى الأول .

ولعل السيد محب الدين الخطيب هو أول مفكر عربى صــاغ فلسفة العروبة والاسلام متصلة ملتقيــة ، ويشاركه فى هذا شكيب أرســلان وعبد العزيز جاويش ولكنــه يفوقهما تقييما لفلسفة العروبة والاسلام فى ابحاث علمية ، ولعــل ابرز ملامح حياته الفكرية ذلك الايمان الخالص بالاســلام نقيا صــافيا معــارضا فى كـــل ذلـــك كـــل دعـــوة تحمل اسم الاسلام ولا تؤمن به ، ولقد كان للسيد محب الدين الخطيب موالاته والمامه بكل ما طبع ونشر من التراث العربى الاسلامى ومن كتب السيرة والفقه والتاريخ ، فى عديد من طبعاتها وما يتصل بها مــن نقص وزيادة ، وما يتصل بالفرق الاسلامية من آراء ومذاهب وانحرافات ، وهو جرىء فى الحق يقول كلمتـــه فى صراحة لا تعرف المجاملة .

وأبرز ما خلف السيد محب الدين الخطيب مكتبته التى بلغت حتى اليوم مائتى ألف مجلد ، والتى جمعها فى خلال ستين عاما وما تزال بعد أكبر المكتبات الخاصة فى العالم العربى ، فقد سابقت مكتبة أحمد تيمور التى بلغت (١٢٠ ألفا) وأحمد زكى التى بلغت (١٧٠ ألفا) وتضم مكتبـــة الخطيب ، أضابير وجذاذات وأوراقا ورسائـــل ومذكرات حافلة بالآراء والأخبار التى يمــكن اذا نشرت أن تضيف كثيراً وتحقق كثيراً من وقائع التاريخ والاحداث فى الخمسين عاما الماضية من تاريخ الامة العربية ومن بين هذه الأضابير رسائل جرت بينه وبين الأمير شكيب أرسلان قيل أنها بلغت ألف رسالة ولعل الابن البــار لأبيه الأستاذ قصى القائم على دار الفتح والمكتبة السلفية يعمل مع محبى والده على أبراز هذه الآثار وتحقيقها .

ولعل خير ما نختم به هذه الكلمة عبارة المترجم له التى كان يرددهــا كثيرا : ان رياح النصر فى الجهــاد لا تهب الا على رجال يريدون وجــه الله فى كل ما يعملون عرف لهم ذلك أم جهلوه ، اعترفوا لهم به أو أنكروه وآفة جهادنا أعجاب المرء بنفســه وانتباه شهوة الظهور فى بعض أهل الفضل فينقلب كل خير الى شر وبذلك تخمد جذوة الجهاد ويتســلل الناس لواذا من قادته ودعاته .



كتاب الشهر



سفر قيم لعالم جليل

الدين .. بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان

للمغفور له الدكتور محمد عبد الله دراز

عرض وتلخيص للأستاذ : حمدى متولى مصطفى صالح

. . . .

صدرت عن القاهرة (مطبعة السعادة) منذ شهور الطبعة الثانية من كتاب المغفور له الدكتور محمد عبد الله دراز (١) « الدين .. بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان » وقد نشر الكتاب فى طبعته الأولى سنة ١٣٧١ هـ الموافقة ١٩٥٢ م .

ويقع الكتاب فى مائتى صفحة من القطع المتوسط تتضمن مقدمة وأربعة بحوث .

فى المقدمة نقرأ عرضا سريعا لتاريخ الأديان فيقول د. دراز انه رغم حداثة كلمة (تاريخ الأديان) فان العقائد البشرية قديمة قدم البشرية ذاتها :

---

(١) د. محمد عبد الله دراز (١٨٩٤ ــ ١٩٥٨) ولد بمحلة دياى (دسوق) من قرى (ج. ع. م) تعلم بالأزهر ومعاهده حصل على الدكتوراه من السربون سنة ١٩٤٨ وقام بالتدريس بالأزهر والجامعات المصرية حصل على عضوية جماعة كبار العلماء (١٩٤٩) ومثل مصر فى المؤتمر الاسلامى الذى انعقد فى لاهور من ٥٧/١٢/٢٩ الى ٥٨/١/٨ وتوفى وهو يستعد لالقاء بحثه فى المؤتمر عن علاقة الاسلام بالديانات الأخرى وموقفه منها .

ففى العصر الفرعونى :

كان للمصريين دياناتهم التى كانت تتصف فى الأعم الأغلب بالتسامح ، ومحاولة التوفيق بين كافة المقدسات والمعبودات بافتراض أنها تنتمى الى أسرة واحدة .

وفى العصر الاغريقى :

تتلمذ الفلاسفة على الحضارة المصرية ، وقدموا دراسات وصفية للاديان المعروفة وقتئذ ، اتسمت فى الغالب بالطابعين الأسطورى والتمثيلى ، كما ظهرت مذاهب فلسفية تراوحت بين الشك واليقين ، منها السوفطائية واللا أدرية والابتيورية والرواقية الى جانب الفلسفة التحقيقية الايجابية التى تعترف بوجود حقيقة ثابتة للاشياء وبأمكان العلم بها ، ومن أعلامها سقراط وأفلاطون وأرسطو .

وفى العصر الرومانى :

انتقلت مذاهب الاغريق الى الأمة الرومانية بفضل الفتوح ، وان كان انتقالها شكليا محرفا يتسم بالتردد والتلفيق واللامبالاة أكثر مما يتسم بالتسامح الدينى .

وفى العصر المسيحى :

أعلنت المسيحية دينا رسميا للدولة بفضل الامبراطور قسطنطين (٣٢٥ م) ، وعرفت مدافعين عنها ضد النحل الجديدة المنافسة لها على رأسهم القديس (أوغسطين) .

وجاء الاسلام فأيقظ غرب أوروبا من عزلته الأدبية اذ لم ينتبه الغربيون لكنوز الحضارتين اليونانية والرومانية الا وهى فى أيدى العرب المسلمين ـ ففلسفة أرسطو مثلا لم يسمع بها الغرب الا على لسان ابن رشد واتباعه ـ وتميز أثر المسلمين فى علم الاديان بطابعين مبتكرين .

١ ـ صار علم الأديان علما مستقلا عن العلوم والمعارف الأخرى .

٢ ـ قام على دراسات وصفية واقعية لكافة الاديان والعقائد ، معتمدة على مصادرها الأولى الموثوق بها ، وقدم العرب المسلمون كثيرا من المؤلفات فى علم الأديان ، منها الملل والنحل للشهرستانى ، والفصل فى الملل والنحل لا بن حزم وغيرهما .

وببداية عصر النهضة اتجهت ، أوروبا الى التنقيب عن الآثار الاسطورية ، وتفسير ما ترمز اليه من عقائد ، ثم ظهرت حركة الاصلاح المسيحى (البروتستنتية) ، واهتمت بفهم نصوص الكتاب المقدس والتمسك بحرفيته ... وفى أواخر القرن الثامن عشر صار (علم الأديان) ذا شعبتين .

١ ـ شعبة قديمة مجددة

تقوم على وصف وتحليل كل ملة مع تجديدها ، بتوسيع مادة البحث ليشمل العالم أجمع بدلا من حوض البحرين الأبيض والأحمر ، وكذلك الاستفادة بما تقدمه العلوم والمعارف الأخرى من وسائل للبحث .

٢ ـ شعبة جديدة مبتكرة :

وهى ضرب من الدراسات النظرية والاستنباطات الكلية التى تهدف الى اشباع نهم العقل فى التطلع الى أصول الأشياء ومبادئها العامة ، حين تتشعب عليه جزئياتها وتفصيلاتها .

.. ..

وفى البحث الأول : يقدم المؤلف تحديدا لمعنى الدين اللغوى ، فيؤكد أصالة مادة (الدين) فى اللغة العربية ، بخلاف ما ظنه بعض المستشرقين من أنها دخيلة معربة عن العبرية أو الفارسية ، ويضيف أن كلمة الدين عند العرب تشير الى علاقة بين طرفين ، يعظم أحدهما الآخر ، ويخضع له ، فاذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعا وانقيادا ـ واذا وصف بها الطرف الثانى كانت أمرا وسلطانا وحكما والزاما ، واذا نظر بها الى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هى الدستور المنتظم لتلك العلاقة أو المظهر الذى يعبر عنها .

أما المعنى العرفى للدين فيعبر عنه علماء المسلمين بأنه (وضع الهى يرشد الى الحق فى الاعتقادات ، والى الخير فى السلوك والمعاملات) .

أما الغربيون فيعبرون عنه تعبيرات كثيرة تتراوح بين تضييق دائرة الدين كتعريف (ماكس ميلر) الدين بأنه محاولة تصور ما لا يمكن تصوره ، وبين ابعاد فكرة الألوهية من التعريف كقول (اميل دور كايم) الدين مجموعة متساندة من الاعتقادات والاعمال المتعلقة بالاشياء المقدسة أى المعزولة المحرمة ـ اعتقادات وأعمال تضم أتباعها فى وحدة معنوية تسمى الملة ـ ويستنكر د. دراز ما ذهب اليه (دور كايم) ، ويؤكد مع (أرنست شلايرماخر) بأن حقيقة الدين هو ذلك الشعور بالحاجة والتبعية المطلقة لقوة قاهرة والخضوع لها خضوعا كليا .

غير أن ثمة فروقا بين الخضوع الدينى واللادينى يتمثل فى صفات الشىء الذى يقدسه المتدين ويخضع له وطبيعة هذا الخضوع ذاته :

(فالقوة التى يقدسها المتدين ليست فكرة مجردة وصورة عقلية خالصة ، بل هى حقيقة خارجية .. وليست مادة يقع عليها الحس بل هى سر غيبى لا تدركه الأبصار .. وهى تتصرف بالارادة لا بالضرورة كالمغناطيس والكهرباء ـ ولها عناية مستمرة بشئون العالم تدبره ، ولها تجاوب نفسى مع نفوسه وهى قوة علوية سبحانية قاهرة غير مقهورة) .

وهذا ما يفرق بينها وبين كل من القوى المادية التى يخضع لها العالم ـ والقوى السرية التى يدعوها الساحر أو الكاهن ويحاول تسخيرها .

وفيما يتعلق بطبيعة الخضوع الدينى ، فان خضوع المتدين شعورى اختيارى مملوء بالأمل فى ذات المعبود وقدراته ـ وليس خضوعا آليا لا شعوريا قسريا يدفع لليأس والاستسلام ، أو الركون الى الأمن الغافل ، الذى تبعثه العادة الجارية ، شأن الخضوع للقوانين والظواهر الطبيعية .

وخلاصة القول فى معنى الدين أنه من حيث هو حالة نفسية بمعنى التدين هو (الاعتقاد بوجود ذات أو ذوات غيبية علوية لها شعور واختيار ـ ولها تصرف وتدبير للشئون التى تعنى الانسان اعتقادا من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية فى رغبة ورهبة وفى خضوع وتمجيد) .

ومن حيث هو حقيقة خارجة موضوعية هو (جملة النواميس النظرية التى تحدد صفات تلك القوة الالهية ، وجملة القواعد العملية التى ترسم طريق عبادتها) .

وفى البحث الثانى : يعرض المؤلف لعلاقة الدين بأنواع الثقافة والتهذيب من أخلاق وفلسفة وغيرهما .

١ ـ الدين والاخلاق من الناحية التجريدية .. يمكن القول أنه لما كان الدين هو معرفة (الحق) الأعلى وتوقيره ، ولما كان (الخلق) هو قوة النزوع الى فعل الخير ، وضبط النفس عن الهوى فان الدين والخلق حقيقتان مستقلتان ، يمكن تصور احداهما بدون الأخرى ، فتختص أولاهما بالفضيلة

النظرية ، والأخرى بالفضيلة العملية ، ولكنهما يلتقيان فى نهايتهما ، لأن الدين لا يقرر الألوهية فقط ، بل هو مصدر حكم وتشريع أيضا ، لأن القانون الاخلاقى الكامل هو الذى يرسم طريق المعاملة الالهية والانسانية معا .

ومن الوجهة الواقعية :

فاننا نرى أن الشعور الأخلاقى أقدم وأرسخ فى نفس الطفل من الشعور الدينى ، ولا يشعر الطفل بحاجة الى تعليل ظواهر الكون ، وتقديس سر الوجود الا فى دور متقدم ، وفى المجتمعات المختلفة تمتزج الاخلاق بالدين ، أو ينفصلان على درجات متفاوتة .

أما من الناحية اللغوية :

(فانه يلوح لنا أن هاتين الكلمتين ــ الدين والخلق لا تزالان تخضعان فى استعمالنا للقاعدة المعروفة فى الكلمات العربية التى من أسرة واحدة مثل (الرأفة والرحمة) ، (والبر والتقوى) ، (الايمان والاسلام) وغير ذلك ــ وهى أن هذه الكلمات التوائم كلما اجتمعت فى العبارة افترقت فى المعنى ، وكلما افترقت فى العبارة اجتمعت أو مالت الى الاجتماع فى المعنى بقدر الامكان) فاذا قلنا (فلان ذو دين وخلق) قصدنا بالدين الجانب الالهى ، وبالخلق الجانب الانسانى ــ أما اذا قلنا (فلان ذو دين) أو (فلان ذو خلق) كان المعنى غالبا أنه يقوم بالفروض الالهية ــ كما يقوم بالواجبات الانسانية بالتبعية .

الدين والفلسفة :

يتفق الدين والفلسفة فى موضوع البحث فكلاهما مطلبه معرفة أصل الوجود وغايته ، ومعرفة سبيل السعادة الانسانية فى العاجل والآجل ــ ولكنهما رغم ذلك قد يتفقان أو يختلفان فى النتائج بأقدار مختلفة فهناك الفلسفات المادية التى لا تعترف بشىء فى الوجود وراء الحس والمشاهدة ، مخالفة بذلك جميع الأديان وسائر الفلسفات ــ وهناك فلسفات روحية رغم اقرارها للالوهية فان بعضها قد تنكر قيام الاله ببدء الخلق من العدم ، قائلة بأنه قام بتنسيقها كصانع ماهر ، بعد أن وجدها أمامه ، كما يقول الافلاطونيون ، وبعضها الآخر قد ينكر عنصر الربوبية أى عناية الآله المستمرة بشئون خلقه مشبها اياه بالبناء الذى تنقطع صلته بالبيت بعد اتمام بنائه ، كما يقول أبيقور ، وعليه فليس ثم ما يبرر أن يرجو الناس خيرها أو يخشوا غضبها .

وحتى الفلسفات التى تلتقى مع الديانات فى الموضوع وفى الأصول العامة لا تزال تقوم بينها فروق كثيرة .

١ ــ فالفارابى :

يقول نقلا عن قدماء اليونان ان الفلسفة تعتمد فى اثباتها على البراهين اليقينية ، أما الأديان فأسلوبها اقناعى وتمثيلى ....

وهذه التفرقة لا تنطبق على كل الأديان ، ولا على جميع الفلسفات ، فالاسلام يعتمد على الوسائل الثلاث « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » كما

أن التعارض بين الفلسفات دليل واضح على أنه ليس كل واحد منها يمثل الحقيقة المطلقة ، أو يقول فيها الكلمة الأخيرة .

٢ ـ وابن سينا :

يشير الى أن الاديان تولى الناحية العملية عناية أشد من النظرية ، وهذا وان كان منطقيا بوضوح فى الاسلام ، فليس ذلك شأن باقى الديانات والفلسفات .

أما علماء الغرب فيرون الفرق بين الدين والفلسفة من الوجوه الآتية :

١ ـ مشكلات الفلسفة يحلها الأفذاذ المستنيرون ، ومسائل الدين تحلها الجماهير ـ ولذلك كانت نشأة الأديان وتاريخ واضعيها غامضة .

٢ ـ الدين يورث عن السلف ، أما الفلسفة فمصدرها عقل الفيلسوف .

٣ ـ الدين يميل للثبات وعدم التطور ، والفلسفة متجددة .

٤ ـ الدين يحتل مكان الصدارة بحكم شيوعه وأسبقيته الزمنية .

٥ ـ الدين بعكس الفلسفة فى حاجة الى التجسيد والمظاهر الاجتماعية والطقوس .

٦ ـ الدين يعيش بسلطان ونفوذ الدولة ، والفلسفة لا تعيش الا فى جو الحرية .

ويفند د. دراز هذه الدعاوى بردوده الآتية :

١ ـ هذه الفروق لا تصور الديانة والفلسفة فى جميع أدوارهما ، وانما فى حالتهما الحاضرة فقط ، وفى أوروبا المسيحية بالتخصيص مما يجعل المقارنة غير صائبة .

٢ ـ الديانات أيضا تعرف الأفذاذ فضلا عن أن وضوح تاريخ الاسلام يؤكد أن القول بغموض تاريخ مؤسسى الديانات ليس قاعدة عامة .

٣ ـ الفلسفة والعلوم أيضا ـ وليس فقط الدين ـ يميلان الى الثبات الذى وصل الى الركود فى أحيان كثيرة .

٤ ـ الأديان العامة فقط ينطبق عليها حديث المظاهر الاجتماعية فى الشعائر ، بعكس الأديان الفردية التى لا يتخذ أصحابها شعارا خاصا ، مثلما كان الحنفاء يفعلون قبل الاسلام ، فضلا عن أن بعض الفلسفات مثل مذهب (أوجست كونت) له نظمه وشعائره المماثلة .

٥ ـ الأديان دائما على الأقل فى أول عهدها ، تقوم بالرفق والتسامح ، وتؤكد حرية الضمير ، ومن المشاهد أن كل الأمم فى كل العصور كانت تضم ديانات وعقائد شتى ، والذى يميز الأديان ، ولا تطمح الفلسفة اليه هو ما لها على نفوس أتباعها من سلطان ، يقوم على الايمان الذى يمثل غاية الدين ، وليس فقط على المعرفة التى هى غاية الفلسفة .

« الفلسفة تعمل اذا فى جانب من جوانب النفس ـ والدين يستحوذ عليها فى جملتها ـ الفلسفة ملاحظة وتحليل وتركيب ، فهى صناعة تقطع أوصال الحقيقة وتزهق روحها ، ثم تؤلف بينها لتعرضها من جديد فى نسق صناعى على مرآة الفطنة ، فتنطبع على سطح النفس قشرة يابسة ـ أما الدين فهو حداء ونشيد يحمل الحقيقة جملة ، فيعبر بها هذه القشرة السطحية ، لينفذ منها الى أعماق القلوب وأغوارها ، فتعطيها النفس كليتها وتملكها زمامها » .

فالفرق الدقيق بين الدين والفلسفة وهو أن غاية الفلسفة نظرية حتى فى قسمها العلمى ، وغاية الدين عملية حتى فى جانبه العلمى ـ وأول مظاهر ذلك الفرق أن الدين ليس ايمانا ومعرفة فحسب بل هو فوق ذلك وهو ما تفتقده الفلسفة تماما ـ التفات روحى متبادل بين المتدين وما يؤمن به ، وثانى هذه المظاهر هو ميل الفكرة الدينية ـ بعكس الفلسفة أيضا ـ الى التدفق فى الميدان الاجتماعى .

فاذا انتقلنا الى المقارنة بين الفلسفة وبين الاديان السماويـــة رأينا أن (الفلسفـــة فى كل صورها عمل انسانى يتحكم فيه كل ما فى طبيعة الانسان من قيود وحدود ، وتدرج بطء فى الوصول الى المجهول ، وقابلية للتغير والتحول ، وتقلب بين الهدى والضلال ، واقتراب أو ابتعاد عـــن درجة الكمال) .

« أما الأديان السماوية فانها (صفة الهبة) لها كل ما للالهيات من ثبات الحق الذى لا تبديل لكلماته ، وصرامة الصدق الذى لا يأتيه البـاطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم هى فوق ذلـــك (منحة كريمة) تصل الى حامليها وسفرائها عفوا بلا كدح ولا نصب ــ وتغمرهم بنورها فى فترات خاطفة كلمح البصر أو هو أقرب .)

« فاذا انفردت الفلسفة فى حكم لم يؤمن عليها العثار ، واذا التقى العقل والوحى على أمر فقد اتصلت مشاعر الليل بضوء النهار « نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء » .

الدين وسائر العلوم :

كل العلوم تبحث عن الكائنات ، وليس شىء منها يبحث عن مبدئها الأول وغايتها القصوى ، كما يبحث الدين ــ غير أنها كلها تستطيع أن تزجى لهذا المطلب خدمة ما من قريب أو بعيد ، ولن يستغنى الدين عن العلوم الا لو استغنت المقاصد عن وسائلها ومقدماتها ــ وليس ثم تعارض أو تناقض حقيقى بين الدين والعلوم ــ فليس يعقل أن يقوم ذلك بين أمرين لا اشتراك بينهما فى موضوع واحـــد .

. . . .

ويخصص المؤلف البحث الثالث للحديث عن نزعة التدين ومدى اصالتها فى الفطرة فيقول :

ان المفكرين الذين مهدوا للثورة الفرنسية ادعوا أن الديانات والقوانين ما هى الا منظمـــات مستحدثة أخذ عنها الكهنة الماكرون فصدقهم الحمقى والسخفاء غير أن الرحلات التى اكتشفت العقائد والاساطير المختلفة أثبتت أن فكرة التدين فكرة مشاعة لم تخل منها أمة قديمة أو حديثة ، همجية أو متقدمة ، وأثبتت كما يقول برجسون انه (وجدت وتوجد جماعات انسانية من غير علوم وفنـــون وفلسفات ، ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة) .

وفى مجال بحث « مصير الديانات أمام التقدم العلمى » يرد المؤلف على نظرية (أوجســت كونت) القائلة بأن العقلية الانسانية مرت بأدوار ثلاثة هى الفلسفة الدينية ثم التجريدية ثم الواقعية وأن الأديان وان كانت عريقة فى القدم الا أنها قد شاخت ومصيرها الى الفناء ــ فيقول د. دراز : ان هذه المراحل الثلاث توجد متعاصرة ومتجاورة ومتكاملة فى كل شعب بل فى نفسية كل فرد ــ وأنها لا تمثل مراحل منتهية ، وانما قد تمثل سلسلة دورية تعود الى الظهور متتابعة كلما انتهت دورتها ، وأن الترتيب الصحيح للحاجات النفسية على العكس تماما مما تخيله الفيلسوف ، وهو حاجة الحس أولا ثم حاجة العقل القانع فحاجة العقل المتسامى .

ويضيف د. دراز ان اتساع نطاق المعلومات كان بنفسه اتساعا لنطاق المجهولات ، فلا يسع العقل الا التسليم بوجود حقيقة كبرى واله أزلى باق « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » وأى شهادة على أن نهاية العلم البشرى ليست هى اطفاء غريزة التدين بل زيادة اشعالها من أن (كونت) نفسه الذى كان يتنبأ بفناء الديانات نتيجة لتقدم العلوم قد عاد فى آخر أمره متصوفا عجيبا ، وواضع ديانة جديدة على النظام الكاثوليكى .

(ان هذا المشوق الفريزى الى الأزلى الأبدى ــ وهذا المطلب الحثيث للكلى اللانهائى لـــه دلالتان عميقتان ، احداهما دلالة على مطلوبه لا كدلالة الحركة القسرية على مصدر جاذبيتها كما يقول أرسطو بل كدلالة الأثر على صانعه أو الخاتم على طابعه (حسب تعبير ديكارت) ، وثانيتهما دلالة

على أن فى الانسان عنصرا نبيلا سماويا خلق للبقاء والخلود ، وان تناساه الانسان وتلهى عنه حينا قانعا بالدون من الحياة الجثمانية المنحطة .)

فالانسان كما صح أن يعرف بأنه حيوان مفكر ، أو مدنى بطبعه ، يسوغ لنا كذلك أن نعرفه بأنه حيوان متدين بفطرته .

ونستطيع أن نلخص وظيفة الأديان فى المجتمع كما فصلها المؤلف فيما يلى :

١ — الفكرة الدينية هى الغذاء الوافى لقوى النفس المختلفة والمداد الخالد لحيويتها .

٢ — ليس على وجه الأرض قوة تكافىء قوة التدين أو تدانيها فى كفالة احترام القانون ، وضمان تماسك المجتمع واستقراره .

٣ — الأديان تربط بين قلوب معتنقيها برباط من المحبة والتراحم لا يعدله رباط آخر من الجنس أو اللغة أو الجوار أو المصالح المشتركة .

أما البحث الرابع فيفرده المؤلف لمناقشة (نشأة العقيدة الالهية) فيقول : ان ظاهرة التدين تستند فى أصلها الى قانونين بديهيين أولهما أن كل شىء ممكن لا يحدث بنفسه من غير شىء ، وهذا هو قانون السببية — وثانيهما أن كل نظام مركب متناسق مستقر لا يمكن أن يحدث عن غير قصد ، وأن كل قصد يهدف الى غاية تؤدى الى غيرها ، وهكذا حتى تنتهى الى كلية ثابتة هى غاية الغايات — وهذا هو قانون الغائية .

ويقول المؤلف : انه من الناحية التاريخية للمسألة الدينية ، فان ثمة ثلاث نظريات أو مذاهب تعالج نشأة العقيدة الالهية .

١ — مذهب التطور التقدمى أو التصاعدى ..

ومضمونه ان الدين بدأ فى صورة الخرافة والوثنية ، وترقى حتى وصل الى كمال التوحيد الذى يعتبره هذا المذهب عقيدة جد حديثة .

٢ — نظرية فطرة التوحيد وأصالته ..

وملخصها أن عقيدة الخالق الأكبر هى أقدم ديانة ظهرت فى البشر ، وما الوثنية الا عرض طارىء أو مرض متطفل — ويؤيد هذه النظرية مشاهير علماء الأجناس والانسان والنفس ،منهم (لانج) ، و (بروكلمان) وغيرهما .

ويقف التحليل النفسى وشواهد التاريخ والتطور الصحيح فى صف النظرية الثانية معارضا للنظرية التطورية وان كان ذلك لا يرفع نظرية الفطرة الى صف الحقائق التاريخية المفروغ منها .

٣ — نظرية تقرر أن الرشد والضلال فى الفكرة الدينية ليستا ظاهرتين متعاقبتين فقط ، بل هما متعاصرتان فى كل أمة وجيل ..

وهذه أقرب النظريات تصويرا للواقع المعروف .

أما الكتب السماوية فتؤكد أولية العقيدة الالهية الصحيحة لا فى الغريزة فحسب « فطرة الله التى فطر الناس عليها » بل فى التطور الزمانى كذلك « وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا » ، « كل مولود على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

وينتقل المؤلف الى عرض النظريات التى حاولت تحديد ديانة الانسان الأول قياسا على ديانات القرون الماضية أو الأمم الهمجية ، فيقدم لنا نظريات تنتظمها عدة مذاهب هى المذاهب الكونية أو الطبيعية والروحية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية والتعليمية ، وذلك على النحو التالى :

١ — المذاهب الكونية أو الطبيعية ، تضم مذهبين :

أ) مذهب الطبيعة العادية — وأشهر أعلامه (ماكس ميلر) وفحوى المذهب أن العامل الأول

فى اثارة الفكرة الدينية كان هو النظر فى مشاهد الطبيعة ولا سيما الافلاك والعناصر ..

وتتولد العقيدة الالهية والحركة العبادية من تزاوج مبدأين نفسيين أحدهما غريزة عقلية ، وهى غريزة التطلع لفهم الطبيعة ، والثانى حاسة وجدانية وهى حاسة التذوق الفنى لما فى الطبيعة من جمال وجلال ، ولا يزال هذا المذهب أصح المذاهب وأقواها رغم أوجه النقد التى قدمها اليـــه (دور كايم) والتى تقوم فى معظمها على فكرة ان استمرار الطبيعة على نسق واحد يجعلها أمرا مألوفا ، لا يلفت النظر ، ولا يحتاج الى تعليل .

ب) مذهب الطبيعة الشاذة العنيفة ، ويعزو الشعور الدينى الى تأثر المشاعر الغافلة بحوادث الطبيعة الشاذة والعنيفة ، مثل العواصف والزلازل والفيضانات وما اليها .

٢ ــ المذاهب الروحية أو الحيوية :

وتقول ان الاصل كان عبادة أرواح الموتى ، ومن أعلام هذه النظرية تيلور ، هربرت سبنسر فالتصور الطبيعى لظاهرة الموت أنها انفصال لعنصرى المادة والروح يرجع به كل منهما الى طبيعته وبيئته فتعود المادة الى عالمها ، وتأخذ الروح صورة أخرى من صور الوجود الغيبى ، وهكذا ينشأ الاعتقاد بوجود أرواح مستقلة عن الابدان سواء أكانت فى الأصل أرواحا انسانية انتقلت عن أبدانها أم كانت منذ بدايتها أرواحا مستقلة كالجن والملائكة أم كانت روحا أعلى من ذلك وأسمى ، وهذه الأرواح لها حرية العمل فى الميدان الذى تختاره ان نفعا وان ضرا من حيث لا يشعر بها أحد .

وقد تولدت العقيدة الالهية عن التجربة الروحية وفق تفسير تيلور على مرحلتين .

١ ــ الاعتقاد فى بقاء أرواح الموتى تفسيرا لرؤيتهم فى الحلم كما يرى الأحياء .

٢ ــ الاعتقاد بوجود أرواح للأفلاك والعناصر .

٣ ــ المذاهب النفسية :

وترجع الوصول الى العقيدة الالهية نتيجة لتجارب الانســـان النفسية ، بخلاف المذاهــب السابقة ويتفرع عنها .

١ ــ نظرية ساباتيه : وتتلخص فى أن الشعور الدينى ينبثق من شعور الانسان منذ نشأته بالنزاع الحاد بين شعوره الذاتى بالأشياء ، وبين قصوره الذى تكشفه التجربة الخارجية ، هــذا النزاع والتمزق الذى ينتهى به الى الشعور بخضوع القوتين معا وتبعيتهما المطلقة لسطان قوة عاقلة عليـــا .

٢ ــ نظرية بيرجسون : وتدعى أن المحظورات الاجتماعية قد صورت فى النفوس بصــورة مخيفة تجعل من المخاطرة انتهاكها ــ وبالغت الفطرة الانسانية فى تصويرها حتى خيلت للنفس أن هذه المحظورات يقوم على حمايتها حارس معنوى آمر ناه محاسب ، وذلك هو معنى الاله ، وهو عند بيرجسون وان كان معنى وهميا الا أنه وهم تفرضه الحياة ومتطلبات الحياة اليومية .

٣ ــ نظرية ديكارت : وترجع العقيدة الالهية لدى الانسان الى ما فى نفسه من تطلــع الى (الكمال) الذى ينقصه ، وما هذا التطلع الا صورة منعكسة على مرآة النفس من حقيقة ايجابية وذات خارجية هى مادة الكمال المطلق ومصدره وهى المثل الأعلى .

٤ ــ المذهب الأخلاقى :

ذهب (عمانويل كانت) الى أن وجود (الذات الالهية) لا يثبت بالبرهان أو بالتجربة لأنـــه بديهية مسلمة تعتمد على مقدمات ثلاث :

١ ــ القانون الاخلاقى الذى يخضع له الانسان منذ طفولته ، ويجعله قادرا على استحسان الأفعال الحسنة الواجبة الأداء ، واستهجان الأفعال القبيحة الواجبة الاجتناب ــ هذا القانون الذى يعبر عن ضرورة تحقيق الخير المطلق ، وأداء الواجب للواجب وبالواجب أى تحت سلطان فـــكرة الواجب لا حب الواجب .

٢ ــ ازاء استحالة تحقيق الخير المطلق فى حياتنا القصيرة ، فلا بد من قبول فكرة خلود الروح ليصح فى العقل وجود ذلك القانون الأخلاقى .

٣ ــ فاذا حققنا (الخير المطلق) بتحصيل الفضيلة الكاملة فقد بقى أن نحقق (الخير الأعلى) وذلك هو جماع الفضيلة والسعادة اللتين قلما يلتقيان .. فلا بد اذا من التسليم بوجود الله تعالى تصحيحا لمعقولية القانون الأخلاقى .

ويدحض د. دراز مذهب (كانت) الاخلاقى بقوله :

١ ــ القانون الأخلاقى لا يلزم كل العقول فضلا عن قلبه للاوضاع حين يفضل من يفعل الواجب وهو ممتثل كاره على من يفعله عن أريحية ورضى .

٢ ــ الأساس الذى بنى عليه فكرة خلود الروح واه ضعيف لأن الخير المطلق ان لم يكن ممكنا فى هذه الحياة لم يكن واجبا ــ وان كان ممكنا لم يكن هناك حاجة الى فرض الخلود .

٣ ــ (كانت) يذكر السعادة بمعناها الدارج ، وهو تحقيق المطالب المادية فى حين أن الفضلاء يسعدون بارضاء ضميرهم ولو فى ظل الحرمان والتضحية .

٥ ــ المذهب الاجتماعى :

يخالف (دور كايم) الجميع زاعما أن التدين ليس حالة نفسيــــة فطرية ، وانما هو وليــد أسباب اجتماعية ويزعم دليلا على ذلك أن العشائر البدائية التى تدين بنظام (الطوطم) لا تــدرك حقيقة التدين الا فى حفلاتها الصاخبة المتهتكة التى تذوب فيها شخصيات الأفراد الفردية فى شخصية الجماعة وهو مبدأ الدين وغايته ، وتكون الجماعة انما تعبد نفسها من حيث لا تشعر .

ويرد على هذا التفسير الاجتماعى للتدين بالحجج التالية :

١ ــ المعلومات التى يجمعها الرحالة عن البدائيين ليست فوق مستوى الشكوك إما لقصور أيهما أو كليهما أو سوء نية أو لقصور وسائل التعبير والادراك عند البدائيين ذاتهم .

٢ ــ ان مما يجافى المنطق السليم أن تتخذ نتيجة البحث فى العشائر البدائية قاعدة عامــة تعرف منها حقيقة الدين ــ شأنه فى ذلك شأن من يحدد حقيقة الانسانية من النظر فى أول أطوار الجنين .

٣ ــ ان نظام الطوطم باعتراف (لانج) ، (فريزر) ليس نظاما دينيا ، وانما نظام مدنى قضائى اقتصادى يعرف معتنقيه أنسابهم وينمى فيهم الولاء للمجتمع .

٤ ــ من المخالف للمنطق أيضا أن تتخذ حالة استثنائية من حياة هذه العشائر وهى حالـــة الصخب والمجون والاباحة أساســـا للحكم ، ويهمل ما وراء ذلك من معتقدات وعبادات تكاد تصل الى التوحيد .

٥ ــ لا يكفى أن تحدث الظواهر الدينية فى جماعة وتختلف باختلافها لكى تكون ظواهر اجتماعية حقيقية ، واذا كانت الطقوس الدينية ذات طابع الزامى جماعى ، فان الاعتقادات والتصورات تبقى دائما لأفكار الفرد ووجداناته .

٦ ــ التاريخ يثبت دائما أن الجماعات تقاوم كل ديانة جديدة يحمل لواءها فى البدء أفراد أعلام ــ ولم يكن موقف أى جماعة فى بدء أى دين أن تحمل الأفراد عليه وتلزمهم به .

٧ ــ اذا كانت فكرة الاله تكبر مع كبر حجم الجماعة كما يزعم (دور كايم) فيتطور اله العشيرة الى اله الفصيلة الى اله القبيلة الى اله الشعب فمن أين جاءتنا فكرة الاله الأكبر فاطر السموات والأرض وليس لها مثال من تجمع الجماعات أو اتحادهم .

ورغم ما للجماعات من أثر خطير فى التمهيد لنشأة الأديان والتمكين لها ، فليس لنا أن نزعم أنها تخلقها من العدم وتبرزها الى الوجود ، الا اذا صح أن نزعم أن المعدة هى التى تخلق الطعام وأن البصر هو الذى يحدث الضياء .

٦ ــ المذهب التعليمى أو مذهب الوحى :

تشترك كل المذاهب السابقة فى أن العقيدة الالهية وصل اليها الانسان بنفسه عن طريــق عوامل انسانية فردية أو جماعية ، أما المذهب التعليمى فيقرر أن الأديان هبطت الى الانسان ، ولم يصعد هو اليها ، وأن الناس لم يعرفوا ربهم بنور العقل بل بنور الوحى .

هذا المذهب لم يزل سائدا عند كبار رجال الدين فى أوروبا ، كما أننا نجد فى الكتب السماوية مصداق الجانب الايجابى منه .

والنظرة الجامعة لكل هذه المذاهب تقودنا الى حقيقتين :

١ ــ ان آيات الألوهية مبثوثة فى كل شىء « ان فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين . وفى خلقكم » .

٢ ــ ان كل فئة من الناس لها طريقها الخاص فى الاسترشاد ببعض تلك الآيات قبــل بعض « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » والقرآن يجمع الجوانب الايجابية لكافة المذاهب المتقدمة ويزيــد عليها .

١ ــ فيقول فى مذهب الطبيعة العادية .. « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناهــا وزيناها وما لها فروج » ويزيد على هذا المذهب عنصرين .

أ) عنصر الاختلاف بين المتشابهات « وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعنــاب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بما واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل » .

ب) عنصر الحياة « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم » .

٢ ــ وفى مذهب الطبيعة الشاذة « ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا » .

٣ ــ وفى المذهب الروحى .. « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها » .

٤ ــ وفى المذاهب النفسية .. يورد تأكيدا لعجز الانسان أمام المقادير العليا « أم للانسان ما تمنى . فلله الآخرة والأولى » .

ويزيد القرآن عنصرا جديدا دليلا على الألوهية هو تحول الارادات الانسانية عن الثورة الى السكون وعن الكراهية الى المحبة .. « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم » « واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه » .

٥ ــ والمذهب الأخلاقى .. نجد لبه وجوهره فى القرآن « ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها » .

٦ ــ والمذهب الاجتماعى نراه فى القرآن حين يذكر ما للبيئة من سلطان على الأفراد يكاد يبلغ الاستبعاد الفكرى « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » ويعلن القرآن طريق التحرر من هذا الأمر ، وهو التفكير الفردى الهادىء القائم على البداهة والمنطق السليم .

« قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا » .

٧ ــ والمذهب التعليمى سار فى القرآن كله حين يقرر أن الرحمة الالهية لم تكتف بدلائل العقل حتى أيدتها بشواهد النقل ، وانها قطعت حجة كل غافل وكل متواكل فأرسلت رسلا مبشرين ومنذرين « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » .

ويختم المغفور له الدكتور محمد عبد الله دراز بحثه عن تاريخ الأديان بأحسن ما يختم به مثل هذا البحث فيقول :

« وانه لن يسع الباحث المنصف متى تحقق من هذه الاحاطة العلمية الشاملة الا أن يرى فيها آية جديدة على أن القرآن المجيد ليس صورة لنفسية فرد ، ولا مرآة لعقلية شعب ، ولا سجلا لتاريخ عصر ، وانما هو كتاب الانسانية المفتوح ، ومنهلها المورود ، فمهما تتباعد الأقطار والعصــور ، ومهما تتباعد الأجناس والألوان واللغات ، ومهما تتفاوت المشارب والنزعات سيجد فيه كل طالب للحق سبيلا ممهدا يهديه الى الله على بصيرة وبينة .

« ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر .... ! »





الوهم القاتل

للدكتور
محمد أبو شوك

دخل علـــى حجرة الفحص ـــ وهو يرتجف ـــ شاحب اللـــون ـــ تختلج الكلمـــات فى نفسه ـــ ويكاد الدمع يذرف من عينيه ، لولا انه اخذ يتمالك أعصابه ـــ ويجمع قواه ليقول « لم أنم الليل يا طبيب فأنـــى أحس بألم فـــى منطقة القلب ـــ وأخـــاف أن تحدث لى جلطة أو سكتة قلبية ـــ » أرجوك يا طبيب .

وآخر لا أنساه يكـــاد الهلع يأخذ بقلبه ، وقد انتابه الخوف واخذ يسرد قصته ـــ وما حـــدث لـــه فى أيامه الاخيرة من فقـــدان لشهية الاكل بل وعدم قدرته حتى للنظر الى الطعام ـــ ويخشى أن يكون عنده سرطان .

وقصة ذلك الذى توفى لـــه احد اقربائـــه من جلطـــة بالقلب وأحس بوخزة بسيطة حول القلب وظن ذلك انما هى الجلطة القاتلة ، فذهـــب لتوه الى المستشفى ، وأخذت اقنعه بشتى الوسائل ان هـــذا ليس هو مرض الجلطة ، وانه الم فى عضلات

الصـــدر يشبه الروماتيزم ـــ ولكن انى لـــه أن يقتنع ، وأنـــى لنفسه السقيمة أن تعـــود الى رشدها ـــ واخذ كل يوم يشكو من عرض جديد ، ويأبى الا أن يساعده مساعد فـــى حركاته وسكناته ، فـــى إلباسه ، وإطعامه ـــ وظل طريح الفراش من الوهم لا يقـــدر علـــى شىء الى أن انتابته نوبة التهـــاب رئوى شديد . وقضى الله أمرا كان مفعولا .

وأمثال لا تحصى ولا تعد ـــ يقابلها الطبيب منا كل يوم ـــ يا لله ـــ خوف يملـــك القلـــوب ـــ ورعب يفتـــت الاكباد ـــ وسهد وأرق ـــ ونفور اى نفور من الحياة ـــ وضاقت الدنيـــا على سعتها بهـــؤلاء واولئك ـــ ولم يجدوا ملاذا لهم الا عيادات الاطباء يترددون على هذا وذاك لعل الواحد منهم يستقر على قـــرار ـــ وأنى له ذلـــك .

ولعلنى لا اكون مبالغا عندما اقول ان ما يقـــرب مـــن نصـــف المرضى المـــترددين علـــى عيادات الاطبـــاء يتوهمـــون أمراضا لا تمت الـــى ما يشكون منه بصلة ـــ كلها أوهـــام فى أوهـــام ثم انها تكـــون الطامة الكبرى اذا قلت لاحدهم هـــذا وهم فيقول « كيف يكون ذلك يا طبيب ، وأنا أعلم ما فى جسمى وقرأت عن هذا المرض » ـــ وكأنه هو ، ولسان حاله يقول « لا تنكر علـــى مرضى ودعنى أذهب الى غيرك فلعلنى أجد عنده ما يستهوى نفســـى ويشبـــع رغبتى ، ويجعلنى على حق » .

واذا تعرضت من الناحية الطبية ، ارى أن المقالات والمقـــالات لا تكفى للامراض غير العضويـــة ـــ أو ما يسمونهـــا بالامراض التـــى تعترى عمل العضو Functional Diseases فكل جهاز فى الجسم يمكن أن يصاب بمثل هذه الامراض .

ففى الجهاز العصبى : الصداع البسيط الذى يحسبه صاحبه انـــه ناتج عن سرطان بالمخ ـــ والاحساس بخـــدور فى اليد أو الرجل أو اى جزء فـــى الجسم ـــ أو ضعف أحد الاطراف والتوهم بأن الشلل واقـــع لا محالـــة . الاضطرابات النفسية ، وهزات اليدين ـــ والارق ـــ وغير ذلك ، ورده كلـــه الى مرض خبيث بالجسم .

الجهاز الـــدورى : وخزات حول منطقة القلب وحسبها انها مـــرض الجلطـــة ، الدقات الزائـــدة التى تعترى القلب فـــى بعض الحـــالات والناتجـــة من اضطرابـــات نفسية والتـــدخين المـــفرط ، واحساس صاحبها أن قلبه فى حالة يرثى لها .

الغازات التى تملأ المعدة وتضغط على القلب فى الليل والنهار ويؤولها صاحبها ان المرض فى القلب ـــ وانه يخـــاف أن لا يجد نفسه عشية أو ضحاها .

الجهاز الهضمى : القىء العصبى الذى يصيب المعـــدة خصوصا عند الفتيات المضطربات ـــ الآلام البسيطة التى تعترى الامعـــاء وما يتبعها من امساك واسهال وتأويل ذلك الـــى وجود مرض خبيث قاتل .

ولو سرنا على هذا المنوال لوجدنا أنه مع كل جهاز يؤول المرض البسيط الى تأويلات ربما يرجع مصدرها الى شخص لا يمت الى الطب بصلة ، أو آخر يهـــول من مرضـــه أو مرض

صاحبه ، بانيا ما يفتى به على خبرة خاطئة — أو فكرة عقيمة — أو سمع من هـذا أو ذاك — والعجيب فـى الامر أن المريض يسمع لهذه الاقوال وهذه القصص وتـؤثر فى نفسه ، وتعمل عمل السحر فيه — ونـراه لا يستجيب لما يقـول طبيبه ، وكأنه فى واد وطبيبه فى واد آخر . ولقد حاولت كثيرا مع نفسى ومع المرضى أسأل هـذا السؤال ، لماذا يسمع المريض كلام الناس ، وما يقولون — ولا يلقى بالا لكلام طبيبه ؟ — واخيرا أرجعت الامر الى شيئين رئيسيين أولهما — عدم الادراك ، والفهم ، وفهم الحياة ، والخبرة — والعلم — والثقافـة وما الى ذلك من الامور التى تجعل الفرد على جانب كبير من الثقافـة ، ليميز الخبيث من الطيب ، ويأخذ الطيب ويترك ما دونه .

وثانيهما — عدم الثقـة المتبادلة بين المريض والطبيب والتى لا بد وأن تتطور وتتعمق حتى يجد المريض أن لا سبيل له فـى معرفة مرضه الا طبيبه الذى يعالجه — ويفهم ما به من أعراض وعلامـات تلك الامراض .

وهنا أقول لكى يثق المريض فـى طبيبه لا بد لذلك الطبيب أن يجيد فن الاقناع سواء بالحجة — أو بالفحص الدقيق — أو بالقيام بالوسائل التى تؤكد المرض أو تنفيه ، بما فى ذلك تحويل المريض الى المختبر للفحص اللازم للدم أو البول أو البراز وما الى ذلك — أو ارساله الى الاشعة أو تخطيط القلب أو غير ذلـك مـن الوسائل التى فى ايدينا ، حتى نكون قد قمنا بواجبنا خير قيام ، فيحس المريض أن طبيبه عمل لـه اللازم ويكون اقناعه سهلا ، بدل أن نتركه يتخبط وينتقل مـن عيادة الى عيادة ومن طبيب الـى طبيب ، وعندما تعوزه الحيلـة يسمع الـى كلام مجرب ، أو عراف أو خبير .

أما قول الطبيب لمريضه — دون فحصه ، ودون القيام بواجبه تجاهه ان هـذا وهم ، فهـذا أول الطريق الى التخبط والتيه الذى لا يعلم مداه الا الله .

والذى يزيد الطين بلة — أن يحاط المريض بزوج أو زوجة — أو قريب لـه — يزيد من توتره واضطرابه — ولعل ذلك القريب يحسب بفعله هذا انه يفيد المريض ، بل على العكس فانه بفعلته هـذه انما يدفع بالمريض الى الخوف الشديد القاتـل . ولا أنسى ذلك المشـهد حينما جلـس الزوج بجوار زوجته وهى تشـكو من مرض بسيط الم بأمعـائها وهو يذكرها بهـذا المرض وذاك ويقول لها « قولى للطبيب أن عندك صداع ، وعندك آلام فـى المفاصل ، وعندك أرق ، وعنـدك امساك ، وعندك وعندك » — حتى اننى ضقت ذرعا وقلت له هـل أنـت المريض ، أم هى ؟ دعها تقول ما تشـاء وانـى انصت لها ولا تبلبل أفكارها وتجعلها تحس كأنها حطام منهـار تقترب من القبر .

— ثم لو امعنا النظر — لمعرفـة أسباب هـذا التـوتر العصبى — والخوف الشديد من المرض — لوجدنا أن الامـور تتكشف عن كثير مـن الاسباب التى تدعو الى ذلك .

أولا : التوتر النفسى الذى يسود مجتمعاتنا الان — والانغماس الشديد فى ملذات الحياة ، والتعلق بأسبابها — والتكالب علـى جمـع الثروات والسعى وراء الشهوات .

ثانيا : فقدان الثقة بالنفس — والثقة بين المخلوق والخالق — وكأن الانسان فى هذه الحياة أصبح هو الذى بيده زمام كل شىء — يقول أنا سأصنع هذا وذاك — وهذه خططى ومستقبلى — ولم يحسب حساب ربه الذى بيده مقاليد كل شىء — فاذا اصيب بأمر أبعده عما خطط ورسم ، ضاقت الدنيا فى وجهه — ولعن الايام — وبدأت الامراض ، وتعقدت الامور — واصبح فى دوامة — وحلقة مفرغة لا تنتهى — نوائب تجره الى أمراض — وأمراض تجره الى نوائب وهكذا دواليك .

ثالثا : عدم الرضا — والقناعة ، وشكر الله على ابتلائه — والاحساس بالسكينة والارتياح — كل هذا يدعو الى التذمر من الحياة ، واضطراب النفس ، وما يدعو الى الخوف والهلع واستحكام المرض . وانى هذا ممن يرضى بكل ابتلاء وكل مصيبة ، ويستسلم لقضاء الله وقدره . شاكرا فى كل مصيبة تصيبه ، مهونا على نفسه انه لعل الذى أصابه أهون مما أصاب غيره — متمثلا بحديث رسول الله ما معناه « لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع » .

والامثلة واضحة أمام اعين الاطباء كل يوم ، فهذا الذى يرضى بما قسم له تجده يتحمل مرضه بصبر وشجاعة ، مما يساعد على سرعة الشفاء ، والتماثل له فى اقرب وقت ممكن — أما هذا الذى يرتعد من مرض بسيط ألم به — ويجعل من ذلك البسيط الشىء الكبير ، وينظر الى الدنيا بمنظار اسود — ويعقد الامور — ترى أن مرضه يزداد سوءا على سوء ، بل وان المضاعفات التى تحدث فى بعض الامراض ، لا تكون الا مع هؤلاء — والادهى والامر ، اذا كان هذا من المحظوظين — الذين يلتف حولهم الاصدقاء والاطباء — يوصون هذا الطبيب وذاك — ويدللون مريضهم كل تدليل — اذا قال « آه » أحسها غيره آهات — واذا لم ينم قليلا — سهر حوله الليل كله غيره — مما يجعل بعض ضعافى النفوس من المرضى يهولون من مرضهم — ويتظاهرون وكأن العلاج لا يفيد فيهم — وبالتالى يبلبل فكر الطبيب المعالج ويبدأ فى تغيير ما وصف من علاج ، بل وبعض الاطباء يتخبط بتخبط مرضاهم ، مما يؤدى الى عواقب وخيمة .

اقول اذا تسلحنا حقا بسلاح الايمان بالشفاء والامل وأن الاجل مكتوب ، ازدادت قوتنا على احتمال المرض ، ولم يجد الهلع والخوف الى نفوسنا سبيلا .

هذه بعض النقاط تعرضت لها ، آملا أن يهدأ كل مريض نفسا ، عندما يصاب بمرض — ولا يدع للخوف والهول الى نفسه سبيلا — وفى الوقت نفسه لا يهمل فى نفسه ، ويثق فى أطبائه ويرضى بقضاء الله وقدره — فكل هذه من العوامل المساعدة على سرعة الشفاء . وكم من مريض — كما قلت — بهذه الصفات تغلب على مرضه فى أحلك الساعات — وكان نعم الصابر الحامد الشاكر .

كثيرا ما يبتلى الانسان بالاوهام اكثر مما يبتلى بالحقائق ، وكثيرا ما ينهزم الانسان من داخل نفسه قبل أن تهزمه وقائع الحياة ، وهذه الاوهام تتكاثر وتتراكم مع ضعف

الثقة بالله وبالنفس ، والمؤمن القوى الايمان يعيش بمنجاة من هذه الاوهام القاتلة ، والى هذا يشير القرآن الكريم الى أثر الايمان فى التخلص من عواقب الهموم والاوهام « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

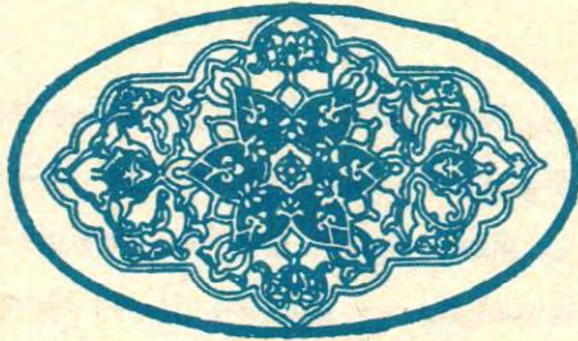
وقد فطن الشاعر العربى الى هذا فقال :

وما الخوف الا ما تخوفه الفتى
وما الامن الا ما رآه الفتى أمنا

ولا شك أن أعصاب الناس فى هذا العصر تكاد تحترق فى السباق على حطام الدنيا وقد أثر هذا فى النفوس والاجسام تأثيرا بليغا — كتب « ديل كارينجى » فى هذا المعنى يقول : عشت فى نيويورك أكثر من سبع وثلاثين سنة ، فلم يحدث أن طرق بابى أحد يعانى من مرض القلق والوهم الذى سبب فى الاعوام السبعة والثلاثين الماضية من الخسائر أكثر مما سببه الجدرى بعشرة آلاف ضعف .

ويقول الدكتور (و . س. الفاريز): اتضح أن أربعة من كل خمسة مرضى ليس لعلتهم اساس عضوى البتة ، بل مرضهم ناشىء عن الخوف والقلق والبغضاء والاثرة المستحكمة وعجز الشخص عن الملاءمة بينه وبين نفسه والحياة .

ان الايمان بالله يجتث الوهم من نفس المؤمن ، ويملأ حياته بالراحة فى يومه والرضا عن غده « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب . الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » .



يا شباب المسلمين

يا شباب المسلمين فى كل ارض
قد اصبح الأمر جدا ما بعده جد
وهذا نداء اليكم من صميم القلب
وبلاغ اليكم منذرا بين يدى أفدح خطب ...

. . . . .

قبل اربعين سنة فى فلسطين كان الأمر كله مظاهرة تهدر لساعة او ساعتين ، واطلاق الرصاص من رشاش او اثنين ، ويهود قلائل مستضعفون ، ما أن يسمعوا ضجة حتى يهرعوا مختفين ، ثم يزج – ان شق الأمر – بعض عشرات منافى السجون ، وقد يعلق على حبل المشنقة شهيد او اثنان فان كثروا كانوا ثلاثة .. وكان الجدل يدور ، هل يسمح لبضع عشرات من ألوفهم أن يتخذوا لهم ركنا تكاثروا فيه من الارض عسى أن يجعلوا من المكان رمزا لوجود لهم فى الدنيا ، ووطنا مصغرا يعبرون منه الى المباكى والذكريات العتيقة .

. . . . .

ثم كشفت الأربعينيات قبل حوالى ثلاثين سنة بعض ما كان خافيا .. فاذا الأمر أمر دولة فى معظم الماهول والقفار من فلسطين ، واذا هو منطق جائر فى التمزيق والتقسيم ، وجيش خفى كان معدا ليوم معلوم .. ودراسة فادحة فى الترويع والترحيل ، وعدوان حتى على ما يزيد على جور

التقسيم واذا ثمة مدافع بدل البنادق ، وقنابل حيث كان يطلق رصاص وفترة انتظار مطلوبة حافلة بالحيرة والغثيان ، ثم اذا طائرات حيث لم تكن طائرات من قبل ولا مطارات ، واذا فى مواقع السيارات دبابات وآليات ، واذا مفاجاة المفاجــآت ، وماتم المآتم مما علمتم فى حزيران ..

ثم ما الذى يحاولونه او ينفذونه الآن ..
ان حريق الأقصى هو عنوان الكتاب الرهيب بكل ما فيه مــن سطور سوداء .
الدور البارزة تصفى بالنسف والتقويض

الرجال الذين عرفوا النضــال يوما مهما كــان بعيدا من قبل يعذبون أو يغتالون أو يطردون أو يجوعــون أو يخــادعون بالاغراء عسى ان تملأ معدهم بما يسد فراغ ارواحهم ..
وكل معالم الثقافة الاسلامية ، والآثار الاسلامية ، والنفوس المتشبثة ولو باشكال الاسلام الظاهرية ، وكل شىء يمت بصلة الى الاسلام يمحى ويزال فى جهد دائب موصول بالليــل والنهار ...
واسباب الحياة الاقتصادية لضفة الأردن الشرقية شرع فى تحطيمها ابتداء من الغور ومزارعه ، واستمرارا بالعدوان على اربد واراضيها وهى منطقة الخصب الثانية بعد الغور .
وبالتالى يجرى الاعداد لمرحلة غثيان وتقويض من الداخل قبل حلول المرحلة التى ينشد الصهاينة أن تضعهم علــى اطراف بادية الشام من تبوك حتى مشارف الفرات ...

يا شباب المسلمين وأنادى الشباب الآن المتصدين للمرحلة المقبلة وأهدافها هم الشباب ...

لا تخدعنكم المسافات فقد ثبت بطلان المسافات ...

ولا يخدعنكم الأمان الزائف ، فانه أمان الخراف التى انما تحيا الى أن يصل اليها دور العرض على سكين الجزار .

لا يخدعنكم ثراء ولا اكتفاء فان جمال الصوف على الحملان ما رفع يوما عنها أنياب ذئب من الذئاب .

. . . . .

يا من يعيشون على بقايا ميراث الذمم من حضارة النور ايام مجد الاسلام

ان للطامعين حضارة من دخان المصانع

سفاحة لا ترتوى الا بالدماء

سوداء لا ترضى بغير حشرنا تحت خيام سوداء

منزوعة من جسد الربا لا تلذ الا لحوم الضحايا والتعساء

مجرمة بربرية مهما بدت براقة لامعة ، منبتة الجذور فى ارض الرحمة

ساخرة بكل قيم الانسانية ، مقطوعة الصلة بالسماء ...

. . . . .

برابرة هؤلاء يا شباب الاسلام فاحذروا وتنبهوا واعملوا قطعان غاب هؤلاء ان لم يردعوا بالضرب الصاعق فلن يرعووا

كل دينار ينفق فى الترف سينقلب الى لعنة من الهلع فى ساعات الروع .

كل ساعة من العمر تضيع فى اللهو سوف يحيا أمثالها فى ضمائركم لسعا من الندم .

لن ينفع بعد اليوم ناد ولا سمر .

ولن ترد البأس قصور ولا دور ولا شوارع حسان

وانما يفل الحديد الحديد ، ويرد الأزيز المتفجر باللهب بازيز يمزق غلاف الجو ..

. . . . .

خذوا العلم وأنتم تسائلون انفسكم كيف نفيد منه فى المعركـــة
عيشوا الحياة ولكن باعين على العدة والعتـــاد والاستعـــداد
متفتحة ..

سائلوا انفسكم فى كل صباح ومساء ..

ماذا فعلنا لكى نكون جاهزين للمعركة ؟

كيف اعددنا اجسامنا للزحف بين سحب اللهب وتحت انقاض
الخرائب

وهذا القرآن لم نحمله ان لم ندافع عن وجوده ؟

وهذه الجوامع لم ندخلها ان لم نتلقن فيها دروس العزة والجهاد

والجامعات والمخابر لم ننشئها ان لم نتعلـــم فيها صنعـــــة
ترد عنا بطش العاديات .

وهذه السيارات لم نركبها ان لم نعرف كيف نحيلها الى مدرعات
وآليـــات .

. . . . .

والله انهم لا يقصدون النيل والفرات ليقفوا عند النيل والفرات

وايم الله انهم يبغون محـــو الاسلام وكل آثاره فى الأرض ..

وانهم يقصدون كل شىء فى وجودنـــا وكياننا ..

وما مسافة ببعيدة اليوم على آلـــة او طائرة ...

فعيشوا للمعركة وكأن غـــدا المعركة

وادركوا ابعادها والا تخطتكم وانتم ساهون

وكافحوا شرور الفساد والالحاد والتخنث والترف والا فسدتم
من الداخل وتقوضتم وهيئتم لعدوكم ..

فالله الله فى دينكم ، الله الله فى صميم وجودكم .

. . . . .

حكم الاسلام

في الصلح مع اسرائيل

والتعاون مع حلفائها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه اجمعين اما بعد — فقد اطلعت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف على الاستفتاء المقدم اليها عن حكم الشريعة الاسلامية فى ابرام الصلح مع اسرائيل التى اغتصبت فلسطين من اهلها ، واخرجتهم من ديارهم ، وشردتهم نساء وأطفالا وشيبا وشبانا فى آفاق الارض ، واستلبت أموالهم ، واقترفت أفظع الآثام فى أماكن العبادة والآثار والمشاهد الاسلامية المقدسة ، وعن حكم التوا'د والتعاون مع دول الاستعمار التى ناصرتها وتناصرها فى هذا العدوان الأثيم ، وأمدتها بالعون السياسى والمادى لاقامتها دولة يهودية فى هذا القطر الاسلامى بين دول الاسلام ، وعن حكم الاحلاف التى تدعو اليها دول الاستعمار ، والتى من مراميها تمكين اسرائيل من البقاء فى أرض فلسطين لتنفيذ السياسة الاستعمارية ، وعن واجب المسلمين حيال فلسطين وردها الى أهلها ، وحيال المشروعات التى تحاول اسرائيل ومن ورائها الدول الاستعمارية أن توسع بها رقعتها وتستجلب بها المهاجرين اليها ، وفى ذلك تركيز لكيانها ، وتقوية لسلطانها مما يضيق الخناق على جيرانها ، ويزيد فى تهديدها لهم ، ويهيىء للقضاء عليهم .



وتفيد اللجنة ان الصلح مع اسرائيل — كما يريده الداعون اليه — لا يجوز شرعا ، لما فيه من اقرار الغاصب على الاستمرار فى غصبه ، والاعتراف بحقية يده على ما اغتصبه ، وتمكين المعتدى من البقاء على عدوانه ، وقد اجمعت الشرائع السماوية والوضعية على

صدر عن لجنة الفتوى بالجـــامع الأزهر الفتوى التالية ، ننشرها قطعا لدابر الفتنة التى تدبر للمسلمين اليــوم .

حرمة الغصب ووجوب رد المغصوب الى أهله ، وحثت صاحب الحق على الدفاع والمطالبة بحقه . ففى الحديث الشريف : (من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد) وفى حديث آخر : (عــلى اليد ما أخذت حتى ترد) ، فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا أرض فلســطين ، واعتدوا فيها على أهلها وعـــلى أموالهم : على أى وجه يمكن اليهود من البقاء كدولة فى أرض هذه البلاد الاسلامية المقدسة ، بل يجب عليهم أن يتعاونوا جميعا على اختـــلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم لرد هذه البلاد الى أهـــلها ، وصـــيانة المسجد الاقصى مهبط الوحى ومصلى الأنبياء الذى بارك الله حولـــه ، وصيانة الآثار والمشاهد الاسلامية ، من أيدى هؤلاء الغــــاصبين ، وأن يعينوا المجاهدين بالســـلاح وسائر القوى على الجهاد فى هذا السبيل ، وأن يبذلوا فيه كل ما يستطيعون ، حتى تطهر البـــلاد من آثار هـــؤلاء الطغاة المعتدين ، قـــال تعـــالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قـــوة ومن رباط الخيل ترهبون بـــه عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهـــم لا تعلمونهم الله يعلمهم » . ومـــن قصر فى ذلك أو فرط فيه ، أو خذل المسلمين عنه ، أو دعا الى ما من شأنه تفريق الكلمة وتشتيت الشمل والتمـــكين لـــدول الاســـتعمار والصهيونية من تنفيذ خططهم ضـــد العرب والاسلام وضد هذا القطر العربى الاسلامى ، فهو — فى حكم الاسلام — مفارق جماعة المسلمين ، ومقترف أعظم الآثام . كيف ويعـــلم الناس جميعا أن اليهود يـــكيدون للاسلام وأهله ودياره أشد الكيد ، منذ عهد الرسالة الى الآن ؟ ! وأنهم يعتزمون الا يقفوا عند حد الاعتداء على فلسطين والمسجد الأقصى ، وانما تمتد خططهم المدبرة الى امتلاك البلاد الاسلامية الواقعة بين نهرى النيل والفرات ، واذا كان المسلمون جميعا — فى الوضع الاسلامى — وحـــدة لا تتجزأ بالنسبة الى الدفاع عـــن

بيضة الاسلام ، فأن الواجب شرعا أن تجتمع كلمتهم لدرء هذا الخطر ، والدفاع عن البلاد واستنقاذها من أيدى الغاصبين قال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، وقال تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » وقال تعالى : « الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا » .

وأما التعاون مع الدول التى تشد أزر هذه الفئة الباغية ، وتمدها بالمال والعتاد ، وتمكن لها من البقاء فى هذه الديار ، فهو غير جائز شرعا ، لما فيه من الاعانة لها على هذا البغى والمناصرة لها فى موقفها العدائى ضد الاسلام ودياره ، قال تعالى : « انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » وقال تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون » .

وقد جمع الله ــ سبحانه ــ فى آية واحدة جميع ما يتخيله الانسان من دوافع الحرص على قراباته وصلاته وعلى تجارته التى يخشى كسادها بمقاطعة الأعداء ، وحذر المؤمنين من التأثر بشىء من ذلك ، واتخاذه سببا لموالاتهم فقال تعالى : «قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

ولا ريب أن مظاهرة الأعداء وموادتهم يستوى فيها امدادهم بما يقوى جانبهم ويثبت أقدامهم بالرأى والفكرة وبالسلاح والقوة : سرا وعلانية مباشرة وغير مباشرة ، وكان ذلك مما يحرم على المسلم مهما تخيل من اعذار ومبررات .

ومن ذلك يعلم أن هذه الأحلاف ــ التى تدعو اليها الدول الاستعمارية ، وتعمل جاهدة لعقدها بين الدول الاسلامية ، ابتغاء الفتنة ، وتفريق الكلمة ، والتمكين لها فى البلاد الاسلامية ، والمضى فى تنفيذ سياستها حيال شعوبها ــ لا يجوز لأية دولة اسلامية أن تستجيب لها

وتشترك فيها ، لما فى ذلك من الخطر العظيم على البلاد الاسلامية ، وبخاصة فلسطين الشهيدة التى سلمتها هذه الدول الاستعمارية الى الصهيونية الباغية ، نكاية فى الاسلام وأهله ، وسعيا لايجاد دولة لها وسط البلاد الاسلامية ، لتكون تكأة لها فى تنفيذ مآربها الاستعمارية الضارة بالمسلمين فى أنفسهم وأموالهم وديارهم ، وهى فى الوقت نفسه من أقوى مظاهر الموالاة المنهى عنها شرعا ، والتى قال الله تعالى فيها : « ومن يتولهم منكم فانه منهم » ، وقد أشار القرآن الكريم الى أن موالاة الأعداء انما تنشأ عن مرض فى القلوب يدفع أصحابها الى هذه الذلة التى تظهر بموالاة الأعداء فقال تعالى : « فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين » .

وكذلك يحرم شرعا على المسلمين أن يمكنوا اسرائيل — ومن ورائها الدول الاستعمارية التى كفلت لها الحماية والبقاء من تنفيذ تلك المشروعات التى لا يراد بها الا ازدهار دولة اليهود وبقاؤها فى رغد من العيش وخصوبة فى الارض ، حتى تعيش كدولة تناوىء العرب والاسلام فى أعز دياره ، وتفسد فى البلاد أشد الفساد ، وتكيد للمسلمين فى أقطارهم ، ويجب على المسلمين أن يحولوا بكل قوة دون تنفيذها ، ويقفوا صفا واحدا فى الدفاع عن حوزة الاسلام ، وفى احباط هذه المؤامرات الخبيثة التى من أولها هذه المشروعات الضارة ، ومن قصر فى ذلك أو ساعد على تنفيذها أو وقف موقفا سلبيا منها ، فقد ارتكب اثما عظيما .

وعلى المسلمين أن ينهجوا نهج الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقتدوا به — وهو القدوة الحسنة — فى موقفه من اهل مكة وطغيانهم بعد أن أخرجوه ومعه أصحابه — رضوان الله عليهم — من ديارهم ، وحالوا بينهم وبين أموالهم واقامة شعائرهم ، ودنسوا البيت الحرام ، بعبادة الأوثان والاصنام ، فقد أمره الله تعالى أن يعد العدة لانقاذ حرمه من أيدى المعتدين ، وأن يضيق عليهم سبل الحياة التى بها يستظهرون ، فأخذ عليه الصلاة والسلام يضيق عليهم فى اقتصادياتهم التى عليها يعتمدون حتى نشبت بينه وبينهم الحروب ، واستمرت رحا القتال بين جيش الهدى وجيوش الضلال ، حتى أتم الله عليه النعمة ، وفتح على يديه مكة ، وقد كانت معقل المشركين ، فأنقذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، وطهر بيته الحرام من رجس الأوثان ، وقلم أظافر الشرك والطغيان .

البقية ص ١١٩



يوم الوشاح

للاستاذ : علي أحمد باكثير

– ١ –

فى ديار بنى غطفان .

مرجانة : (فى المرعى) متى جئت الى ديار غطفان يا سهل ؟

سهل : منذ يومين يا مرجانة .

مرجانة : ولم تشأ ان تلقانى الا اليوم ؟

سهل : اردت أن ألقاك وحدك ولم يتح لى ذلك الا اليوم فى هذا المرعى الجميل .

مرجانة : انه ليس بمرعى جميل يا سهل ولكنى لم اجد غيره .

سهل : فهو جميل بوجودك فيه يا مرجانة .

مرجانة : كنت اظن ان الدين الجديد قد صرفك عنا .

سهل : كلا يا مرجانة ما زادنى الاسلام الا حبا لك وهياما بك .

مرجانة : انما قلت هذا لترغبنى فى دينك .

سهل : بل هو الحق يا مرجانة ، لقد ذهبت الى المدينة ورايت محمدا صلى الله عليه وسلم وسمعت حديثه وصليت خلفه فزادنى ذلك ايمانا ويقينا ، وكنت حريا أن أعيش بالمدينة واستقر بها لولا أن طيفك كان ينتابنى كل ليلة ويدعونى لاعود اليك .

مرجانة : لا تكذب يا سهل ، لعلك انما عدت الى غطفان اذ لم تجد فى المدينة عملا يقيم أودك .

سهل : بلى يا مرجانة ان العمل هناك لكثير ثم ان المسلمين ليسوا كهؤلاء المشركين انهم يتواسون فيما بينهم فلا يجوع فيهم فقير ولا ابن سبيل .

مرجانة : ومع ذلك فقد عدت الى هذه الديار ديار المشركين .

سهل : من أجلك وحدك يا مرجانة !

مرجانة : وماذا تريد منى ؟

سهل : ان تسلمى مثلى فاتزوجك ؟

مرجانة : وموالينا آل عقيل الذين اعتقونى واعتقوك ؟

سهل : ما بالهم ؟
مرجانة : الا ترى أنهم قد احسنوا الى واليك ؟
سهل : بلى يا مرجانة .
مرجانة : افيكون جزاؤهم ان نصبأ عن دينهم وننحاز الى اعدائهم المسلمين
سهل : ان هى الا أعوام معدودة يا مرجانة حتى يدخل العرب جميعا فى هذا الدين فيكونوا من انصاره لا من اعدائه .
مرجانة : الا غطفان .
سهل : وغطفان
مرجانة : فلننتظر حتى يسلم موالينا فنسلم معهم .

سهل : لقد انتظرنا طويلا يا مرجانة قبل العتق وبعد العتق .
مرجانة : فما كفتك تلك الحوائل كلها حتى أضفت اليها هذا الحائل الجديد .
سهل : فى وسعك ان ترفعى هذا الحائل بكلمة واحدة .

مرجانة : كيف ؟

سهل : بان تشهدى الا اله الا الله وان محمدا رسول الله .
مرجانة : هيهات يا سهل ، لا تحاول أن تستدرجنى فمهما تفعل فلن اسلم أبدا حتى يسلم موالينا .

سهل : يا مرجانة انهم وما يعبدون من دون الله لن يغنوا عنك غدا من الله شيئا .
لقد حدثتنى ذات يوم انك كنت على دين المسيح عيسى بن مريم اذ كنت بين أهلك فى الحبشة .
مرجانة : أجل قبل ان يخطفنى اللصوص ويبيعونى فى سوق الرقيق وكان اسمى هيلانة فجعلوه مرجانة .

سهل : فالدين الذى كنت عليه أقرب الى الاسلام من دين هؤلاء الذين يعبدون الاوثان
مرجانة : انى والله لا أعبد أوثانهم يا سهل ولا أدين دينهم ولكنى لا أستطيع ان أدخل فى دين جديد يحاربهم ويحاربونه .

سهل : اذن يطول عذابى بسببك يا مرجانة فلا أنا قادر فى المدينة على بعدك ولا أنا قادر هنا على قربك .

مرجانة : ماذا يمنعك من البقاء هنا يا سهل وستجد من ياجرك أجرا حسنا ان شئت من موالينا أو من غيرهم .
سهل : كلا يا مرجانة لا استطيع بعد ما عشت بين المسلمين فى سكينة وطمانينة ان اعيش هنا فى قلق وخوف .

مرجانة : تخشى أن يكتشفوا انك مسلم ؟
سهل : أجل وانما أنا عتيق من عتقائهم ولا حامى لى فيهم ولا نصير .

— ٢ —

فى مراعى آل عقيل بديار غطفان

مرجانة : عنبرة ماذا جاء بك هنا ؟

عنبرة : بدا لى اليوم ان أرعى غنمى فى مراعيكم يا آل عقيل لأكون معك يا مرجانة فهل من مانع ؟

مرجانة : لا مانع عندى يا عنبرة ولكنى اخشى ان يغضب موالى آل عقيل لما بينهم وبين مواليك من عداوة .
عنبرة : غدا تاتين أنت بغنمك الى مراعينا فلا ظلم على موالينا ولا ظلم على مواليك اشتهى يا مرجانة ان نرعى معا فى كل مكان لنتحدث معا وتؤنس احدانا الأخرى .
مرجانة : لا بأس عندى يا عنبرة . وى . من هذه الصبية الحلوة ؟
عنبرة : هذه دعد احدى بنات مولاى امرتنى أمها ان اسرح بها فى المرعى ليشتد عودها وتحسن صحتها .
مرجانة : اتخرجين بها كل يوم ؟
عنبرة : نعم .

مرجانة : حاذرى عليها يا عنبرة لا تنفلت هنا أو هناك فتضيع منك .
عنبرة : صدقت انها شقية لا تسمع الكلام .
مرجانة : وهذا الوشاح الأحمر ما كان ينبغى ان ترتديه

عنبرة : تخشين عليه من اللصوص ؟

مرجانة : وعليها هى فان اللص قد يقتلها من اجله .

عنبرة : اتسمعين يا دعد ؟ لا تنطلقى بعيدا عنى . العبى دائما بالقرب منى .

دعد : لا شأن لك أنت . أنا العب كيفما أريد .

عنبرة : اسمعت يا مرجانة ؟

مرجانة : لا حق لك يا دعـد . يجب ان تسمعى كلامها من أجل مصلحتك .

دعد : وأنت أيضا لا شأن لك .

عنبرة : انتظرى يا دعد .

دعد : (صوتها من بعيد) ماذا تريدين ؟

عنبرة : العبى كيفما شئت عندك ولا تجاوزى ذلك التل .

مرجانة : لو كنت مكانك يا عنبرة لما قبلت ان اسرح بها معى فى هذا الخلاء البعيد .

عنبرة : أنت معتوقة يا مرجانة ففى وسعك ان تقبلى أو ترفضى ، اما انا فعلى أن أطيع وليس لى أن اعترض على شىء .

مرجانة : قولى لهم انك عليها تخافين .

عنبرة : فسيتهموننى بانى لا أريد أن اتعب نفسى ، انك لا تعرفين آل خيثمة انهم ليسـوا كآل عقيل .

مرجانة : أجل يا عنبرة آل عقيل احسن الناس لمواليهم لقد مكثت امة عندهم اكثر من تسع سنين فوالله ما رأيت منهم الا العطف والاحسان .

عنبرة : يكفى انهم اعتقوك .

مرجانة : هذا ديدنهم يعتقون كل عبد أو أمة يجدون منه أو منها الاخلاص فى خدمتهم

عنبرة : أما آل خيثمة فمن أخلص لهم أبقوه فى رقهم والا باعوه .

دعد : عنبرة . تعالى يا عنبرة .

عنبرة : ماذا تريدين ؟

دعد : استحى ان أقول لك أمامها .

مرجانة : لعلها تريد قضاء حاجة .

عنبرة : أجل هو ذاك . اخلعى وشاحك يا دعد ... هاتى ضعيه هنا بجنب مرجانة اجعلى بالك منه يا مرجانة . سنمضى الى خلف ذلك التل ثم نعود .

مرجانة : انا باقية هنا ولن اتحرك حتى تعودى بالصبية .

سهل : (يظهر فجاة ويهمس) مرجانة .

مرجانة : من ؟ سهل ؟

سهل : عنبرة مولاة آل خيثمة كانت عندك ؟

مرجانة : نعم ماذا جاء بك ؟ اتريد منها ان تتحدث عنا فى الحى كله ؟

سهل : كلا يا مرجانـــة لن أمكث عندك الا قليلا قبل ان تعود بالصبية .

مرجانة : لو التفتت وراءهـــا الآن لرأتك عندى .

سهل : اذن انبطح على الارض فلا ترانى .

مرجانة : بربك وبدينك هذا الجديد ماذا تريد؟

سهل : لا أريد منك شيئا غير أن تشـــهدى الا اله الا الله وان محمدا رسول الله .

مرجانة : كلا لن أفعل . قلت لك لن أسلم حتى يسلم موالى آل عقيل .

(يسمع حفيف أجنحة طائر ينقض من الجو)

سهل : ما هذا ؟

مرجانة : ويلتاه . الحديا خطفت الوشاح فطارت به .

سهل : ظنته قطعة لحم .

مرجانة : ماذا اصنع الآن ؟

سهل : أخبريها بالحقيقة .

مرجانة : ربما تظن انى ..

سهل : سأشهد أنا لك بما رأيت .

مرجانة : كلا لا أريدها ان تراك عندى

سهل : من الخير لك الآن ان ابقى .

مرجانة : كلا ان كنت تحبنى يا ســـهل فانطلق من هنا واسرع .

سهل : حبا وكرامة يا مرجانة . استودعك الله .

مرجانة : وى . ها هى ذى مقبلة . اخشى ان تكون قد لمحته وهو ينطلق . ان لم تره هى فربما تراه الصبية . يا ليتنى تركته يبقى ليشهد لى . هل أناديه ليعود ؟ كلا لن يسمعنى فقد ابتعد .

عنبرة : من ذا كان عندك يا مرجانة ؟

مرجانة : لا أحد .

عنبرة : لكنى لمحت شبح رجـــل ينطلق

كالهارب . ألم يمر بك . ؟
مرجانة : لا ..
عنبرة : ألم تريه ؟
مرجانة : لا ..
عنبرة : لا بد انه مر من خلفك . تعالى يا دعد . ارتدى وشاحك .
دعد : أين هو يا عنبرة ؟
عنبرة : أين هو يا مرجانة ؟
مرجانة : أنا فى غاية الأسف يا عنبرة لم أشعر الا وقد انقضت عليه فطارت به .
عنبرة : من هى ؟
مرجانة : الحديا يا عنبرة .
عنبرة : اتريدين ان تقولى ان الوشاح قد خطفته حديا فطارت به .
مرجانة : أى والله يا عنبرة . الوشاح أحمر اللون . حسبته قطعة لحم .
عنبرة : والرائحة الا تعرف الحديا رائحة اللحم . ؟
مرجانة : لا بد انها الأن قد القته فى مكان ما حين اكتشفت حقيقته .
عنبرة : ولماذا لا يكون ذلك الرجل الذى كان عندك هو الذى اختطفه فطار به ؟
مرجانة : ما هذا الذى تقولينه يا عنبرة ؟ تريدين أن تتهمينى ؟
عنبرة : لو كنت بريئة لما أنكرت ذلك الرجل الذى انطلق من عندك كالهارب .
مرجانة : فسأخبرك الأن من هو . انه صاحبى سهل الذى يريد ان يتزوجنى . وقد كرهت ان تريه هنا عندى فتحدثى الناس بذلك فأمرته فانطلق .
عنبرة : انك لتحسنين التلفيق يا مرجانة ولكنك لن تستطيعى ان تقنعى أحدا بتلفيقك .
مرجانة : يا ليتك ما جئت الى مرعانا اليوم . لقد كنت شؤما على ..

— ٣ —

عقيل : يا خيثمة بن سنان لا نكرهنا على مالا نريد من أجل وشاح تافه .

خيثمة : يا عقيل بن زيد ان اجتراء مواليكم على سرقة وشاح ابنتى ليس بالأمر التافه

عقيل : هذا لو وقعت السرقة فعلا ولكنها لم تقع .
خيثمة : فأين اذن ذهب الوشاح ؟
عقيل : خطفته الحديا فطارت به .
خيثمة : امثلك يا ابن زيد فى سنك وعقلك يصدق مثل هذه الفرية
عقيل : يا ابن سنان انك لا تعرف هذين المعتوقين . لقد لبثا عندنا دهرا طويلا فما جربنا عليهما كذبا قط ولا رأينا منهما اى سوء . هذا حين كانا رقيقين فكيف الآن وقد صارا عتيقين ؟
خيثمة : لعلهما يعفان عن سرقة مواليهما ولا يجدان بأسا فى سرقة غيرهم .
عقيل : ان عفا عن سرقتنا فهما عن سرقة غيرنا أعف .
خيثمة : فلعلهما كانا يسرقان منكم وانتم لا تشعرون .
عقيل : كلا نحن اعرف بموالينا منكم .
خيثمة : انك تدافع عن هذين السارقين كأنما كانا من صميمكم .
عقيل : وانك حين تصر على تكذيبى فيما اعرف من امانتهما وصدقهما لا توجه التهمة الى اثنين من صميمنا فحسب بل توجهها الى .
خيثمة : معاذ الله يا ابن زيد بل انت الذى شئت ان توجهها الى نفسك اذ تدافع عنهما بالحق وبالباطل .

عقيل : بل كنتم تريدون أن تسيئوا الى سمعتنا آل عقيل فلما اعياكم ذلك ووجدتموها ناصعة كالدينار عدتم الى حادث صغير يقع مثله كل يوم وفى كل مكان فاتخذتموه ذريعة للتشهير بنا ولكنا والله لن ننيلكم أبدا ما تبتغون .
خيثمة : لو كنا نريد ذلك كما زعمت لعمدنا الى افعالكم أنتم لا الى أفعال مواليكم .
عقيل : لو كان ذلك فى امكانكم لفعلتم .
خيثمة : سبحان الله ألم تستمهلونا ثلاثة أيام لتبحثوا عن الوشاح الذى زعمتم ان الحديا قد طارت به ؟
عقيل : بلى .
خيثمة : فها قد مضت الأيام الثلاثة ولم تأتونا بشىء .

عقيل : انما استمهلناكم رجاء ان تـــكون الحديا قد ألقته فى مكان قريب حين يتضح لها انه ليس بلحم فارسلنا مع سهل جماعة من خدمنا وعبيدنا عسى أن يعثروا عليـــه ولكنهم بحثوا عنه فى كل مكان فلم يجدوه .

خيثمة : أفليس ذلك دليلا على كذب سهل هذا وصاحبته مرجانة فيما روياه ؟

عقيل : كلا فمن الجائز ان تكون الحدبا قد القته فى مكان بعيد أو فى مكان غير بعيــد ولكن مر به أحد الناس فالتقطه .

خيثمة : أوليس من الجائز بالاحرى ان تكون مرجانة قد أخذته فاعطته لصاحبهـــا ليبيعه فيقتسما ثمنه وثم دلائل تشير الى ذلك ؟

عقيل : أى دلائل ؟

خيثمة : ان سهلا ذهب للقائها فى المرعى ولم يظهر لها الا حين ذهبت عنبرة بالصبيـــة لقضاء حاجتها فلما عادت وجدته يعدو هاربا ولم تجد الوشاح الذى وضعته بجانب مرجانة لترعاه وانها لما سألتها عن ذلك الهارب انكرت أنها تعرفه بل أنكرت أنها رأته هناك ثم عادت فقالت انه صاحبها سهل .

عقيل : انما كان ذلك كله لانهمـــا كان يستحييان ان يتحدث الناس بما بينهما قبل ان يتفقا على الزواج ولذلك كرها ان تراهما عنبرة مجتمعين فلما اتهمتها عنبرة بالسرقـــة وكذبت قصة الحديا لم تجد بـــدا ان تعترف باهون الأمرين فتقول لها ان ذلك الهارب هو صاحبها سهل .

خيثمة : هذا كلام لا يقنع احدا ولا يرضيه .

عقيل : ما رأيك يا ابن سنان فى رجاء اتوجه به اليك حفاظا على الســـلام وقطعا لدابر الفتنة ؟

خيثمة : ما هو ؟

عقيل : ان تقبل منا وشاحا جديدا نشتريه لابنتك دعد ..

خيثمة : انك تهيننى بهذا المطلب يا ابن زيد كاننا لا نقدر ان نشترى لابنتنا وشاحا آخر وكاننا ما قمنا وقعدنا الا لنحصل عـــلى ثمن الوشاح الذى ضاع .

عقيل : فأى شىء اذن يرضيك ؟

خيثمة : لا يرضينى غير ان تسلموا الينا سهلا ومرجانة .

عقيل : لتصنعوا بهما ماذا ؟

خيثمة : لنعذبهما حتى يقرا بما ارتكباه فلا يعودا الى ارتكابه مرة أخرى .

عقيل : أما هذا فلا سبيل اليه أبدا .

خيثمة : اذن فانى منصرف الآن فلا تلومن الا نفسك

عقيل : اتهددنى ؟

خيثمة : لتصلن يدى اليهما بالحسنى أو بالقوة . (يخرج)

عقيل : دون ذلك وخرط القتاد .

مرجانة : مولاى هل لنا ان ندخل الآن ؟

عقيل : ادخلى يا مرجانة وادخل أنت يا سهل . اسمعتما ماذا قال خيثمة ؟

سهل : نعم سمعناه يا مولاى يهدد بالحرب.

مرجانة : دعنا يا مولاى نعترف لـــه باننا أخذنا الوشاح فذلك ما يبغيه

عقيل : كلا لن ننيله ما يريد .

مرجانة : حتى لا تعود الحرب بين حييكما يا مولاى

عقيل : فلتعودن بيننا ان شاؤا جذعة .

— ٤ —

مرجانة : ماذا نصنع الآن يا سهل ؟

سهل : هكذا هؤلاء المشركون يا مرجانـــة ينزغ الشيطان بينهم من أجل نخوة أو نزوة فيتقاتلون ويتحاربون .

مرجانة : وأنتم يا بنى الدين الجديد الستم تقاتلون الناس ؟

سهل : كلا يا مرجانة انما يجاهد المسلمون فى سبيل الله لا بطرا ولا ريـــاء ولا نخوة ولا كبرياء ولا علوا فى الارض ولا فســـادا والعاقبة للمتقين .

مرجانة : دعنى من هذا . انى أخـــاف يا سهل ان تكون الغلبة لآل خيثمة على آل

عقيل ، فنكون نحن الذين سببنا لهم العــار والدمار .

سهل : اتريدين مخرجا من ذلك يا مرجانة ؟

مرجانة : نعم هل عندك من مخرج ؟

سهل : هلمى بنا نجأر بالدعــاء الى رب السماء ان يظهر براءتنا بآية من عنده .

مرجانة : كيف يا سهل ماذا نقول ؟

سهل : قولى : آلهى يا رب العالمين لئن اظهرت براءتى بآية من عندك لادخلن فى دينك دين محمد ولاكونن من المسلمين

مرجانة : آلهى يا رب العالمين لئن أظهرت براءتى بآية من عندك لادخلن فى دين محمد ولاكونن من المسلمين .

سهل : يدعو مبتهلا وحده) اللهم تقبــل دعاءها يا رب . انك سميع الدعاء . اللهم يا مطلعا على كل شىء يا عالما ببراءتها يا مالكا ناصية كل دابة فى الارض وكل طائر فى السماء يا قادرا على كل شىء اظهر براءتها بآية من عندك واجعلها من المسلمين « آمين »

(تسمع جلبه وضوضاء من الخارج وأصوات مختلطة)

مرجانة : وى ! ما هذا يا سهل ؟

سهل : لا أدرى يا مرجانة .

مرجانة : عسى الا تكون الحرب قد قامت جذعة

سهل : ليس لنا ان نخرج من هنا الا باذن مولانا عقيل

مرجانة : يخشى علينا ان نقع فى أيــدى اعدائه .

سهل : لكنا نريد أن نعرف ماذا يدور هناك فى العرصة

عقيل : (صوته من بعيد) مرجانة . سهل مرجانة .

مرجانة : : هذا صوت مولانا ينادينا .

عقيل : مرجانة . سهل .

مرجانة : لبيك يا مولاى . ماذا جرى ؟

سهل : ما هذه الضوضاء . يا مولاى ؟

عقيل : الناس يتوافدون الى المرحبة من كل مكان ينظرون الى طائر يحوم فوق رؤوسهم يحمل فى منقاره شيئا أحمر كأنه الوشاح .

سهل : الله أكبر . هذه الآية من عند اللـــه

عقيل : ماذا تقول يا سهل ؟

سهل : لا شىء يا مولاى لعلها الحديا التى خطفت الوشاح قد جاءت لتعيده الى مرجانة .

مرجانة : هل لنا ان نخرج الى المرحبــة يا مولاى ؟

عقيل : نعم ما جئت الا لادعوكمــا الى الخارج . هلما .

— ٥ —

(فى بيتهما بالمدينة المنورة بعد زواجهما)

مرجانة : ما رأيتك فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الصباح فأين كنت يا سهل ؟

سهل : بل كنت هناك يا مرجانة .

مرجانة : ولكنى لم أرك .

سهل : غيرت مكانى اليوم فلم تستطيعى ان ترينى من صفوف النساء .

مرجانة : ان كنت تحبنى فصل دائما فى الموضع الذى استطيع ان اراك فيه

سهل : فيم يا مرجانة ؟ اليس فى وقوفك أمام الله ما ينبغى ان يشغلك عنى ؟

مرجانة : انى ازداد خشوعا فى صلاتى حين أراك يا سهل .

سهل : وكيف ذلك يا مرجانة ؟

مرجانة : ما ان أراك تصلى أمامى حتى أتذكر دعاءك وابتهالك يوم الوشــاح وكيف استجاب الله لى ولك .

ويوم الوشاح ....

الزوجان : (معا)

مــن تعــــــاجيب ربنــــا
الا انــــه من ملــة الـكفر نجانى

سهل : احقا يا مرجانـــــة ان أم المؤمنين عائشة لا تمل سماع هذه القصة منك ؟

مرجانة : أجل يا ســــــهل ما ترانى أم المؤمنين فى مجلس لهـــا الا وتســتعيدنى روايتها ثم تنشد معى فى ختامها .

ويوم الوشاح من تعــــاجيب ربنا
الا أنه من ملــــة الكفر نجانى .

ـــــــ « ســـتار » ـــــــ

وما أشبـــــه الاعتداء بالاعتداء ، مع فارق لا بـــد من رعايتـــــه ، وهو أن مكـــة كـــان بلـــدا مشتركا بيـــن المـــــؤمنين والمشركـــــين ، ووطنا لهم أجمعين ، بخـــلاف أرض فلسطين ، فانها ملـــك للمسلمين ، وليس لليهود فيها حكم ولا دولة ، ومع ذلك أبى الله تعالى الا أن يظهر فى مكة الحق ويخذل الباطل ويردها الى المؤمنين ، ويقمع الشرك فيهـــا والمشركين ، فأمر سبحانه وتعالى نبيه — صلى الله عليه وســـــلم — بقتال المعتدين . فقال تعـــالى : « وأقتلوهـــم حيـــث ثقفتموهـــــم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم » . والله سبحانه وتعالى نبه المسلمين على رد الاعتداء بقوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليـــه بمثـــل ما اعتدى عليكم » .

ومن مبادىء الاسلام محاربة كل منكر يضر العباد والبلاد ، واذا كانت ازالته واجبة فى كل حال ، فهى فى حالة هذا العدوان أوجب والزم ، فان هؤلاء المعتدين لم يقف اعتداؤهم عند اخراج المسلمين من ديارهم وسلب أموالهم وتشريدهم فى البلاد ، بل تجاوز ذلك الى أمور تقدسها الأديان السماوية كلها وهى : احتـــــرام المساجد وأماكن العبادة .

وقد جاء فى ذلك قوله تعالى : « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخـــــلوها الا خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » .



أما بعد — فهذا هو حكم الاسلام فى قضية فلسطين ، وفى شـــــأن اسرائيل والمناصرين لهـــــا من دول الاستعمار وغيرها ، وفيما تريـــده اسرائيل ومناصروها من مشروعات ترفع من شأنهـــــا ، وفى واجب المسلمين حيال ذلك تبينه لجنة الفتوى بالازهر الشريف ، وتهيب بالمسلمين عامة أن يعتصموا بحبل الله المتين ، وأن ينهضوا بما يحقق لهم العـــزة والكرامة ، وان يقـــــدروا عواقب الوهن والاستكانـــــة أمام اعتداء الباغين ، وتدبير الكـــائدين ، وأن يجمعوا أمرهم على القيام بحق الله تعالى ، وحق الأجيـــــال المقبلة فى ذلك ، اعزازا لدينه القويم .

نسأل الله تعالى أن يثبت قلوبهم على الايمان به ، وعلى نصرة دينه وعلى العمل بما يرضيه . واللـــــه أعلم .



الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها

فوائد المصارف

السؤال :

هل يجوز لي شرعا أن أقترض من بعض المصارف المالية مبلغا بفائدة لكي أبني به بيتا لسكناي وسكنى من أعول ، لأني في حاجة ماسة الى السكن ، ولا أستطيع بناءه الا بهذا الاقتراض ، وقد سبقني الى هذا زملاء لي ، ألا يدخل هذا في حالة الضرورة ، أم أن الضرورة فقط لسد الجوع .

عدنان أحمد أبو عيسى ــ دبي

الاجابة :

ورد هذا السؤال الى الأستاذ مصطفى أحمد الزرقا وقد تفضل بالاجابة التالية :

ان من المحرمات ما لا يبيحه الاضطرار أصلا كقتل النفس بلا حق ، أما الاضطرار الذي يبيح بعض المحرمات القطعية كالربا وأخذ مال الغير دون اذنه فلا يختص بسد الجوع ، بل يدخل فيه أيضا الاكراه مثلا ، كما يدخل فيه أيضا دفع مخاطر عن النفس أو الولد أو الأهل يتوقف دفعها على فعل ذلك المحرم ، ولكن من الواضح أيضا أن الاضطرار لا يدخل فيه رغبة الانسان في الاعتياض بمسكن مملوك عن السكنى بالأجرة ، فأغلب الناس يسكنون بالأجرة ولا يملكون مساكنهم ، وكذلك لا يتناول الاضطرار رغبته في توسيع أعماله التجارية بل عليه أن يعمل برأس المال الذي يملك ، وبما يمكن أن يقترضه فوقه بطريق الحلال ، هذا ما عندي من علم والله سبحانه وتعالى أعلم .

ميراث

السؤال :

توفيت سيدة وتركت أخوين شقيقين ، وأخا لأب ، وأبناء أخ شقيق ، فكيف توزع تركتها ؟

ع. ب ــ الكويت

الاجابــة :

التركة كلها للأخوين الشقيقين تعصيبا ، ولا شيء للأخ لأب ولا شيء لأبناء الأخ الشقيق لأن الأخوين الشقيقين أقرب للمتوفاة منهم جميعا .

استقبال القبلة

الســؤال :

تضطرني ظروف عملي أن أكون أحيانا في مكان ولا أعرف فيه القبلة ، فهل أؤخر الصلاة أو أصلي في أي اتجاه .

حمد العلي ــ أبو ظبي

الاجابــة :

استقبال القبلة شرط في صحة الصلاة قال تعالى : « فول وجهك شطر المسجد الحرام » ولا يجب على المسلم التوجه الى القبلة الا في الصلاة ، وقال صلى الله عليه وسلم : « اذا قمت الى الصلاة فأسبغ الوضوء ، ثم استقبل القبلة ، وكبر ،) فاذا عرف المصلي القبلة وجب عليه أن يتجه اليها في صلاته ، أما اذا لم يعرفها ولم يجد من يدله عليها فانه يجتهد ويتحرى قدر امكانه ثم يتجه الى الجهة التي غلب على ظنه أنها القبلة ويصلي وصلاته صحيحة : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) .

في الرضاع

الســؤال :

رضعت من امرأة مسيحية ، فهل في هذا الرضاع اثم ، وهل يحل لي التزوج من احدى بناتها التي لم ترضع معي .

محمد حسين ــ بيروت

الاجابــة :

أولا : لا اثم في هذا الرضاع مطلقا على أحد لا على الرضيع ولا على أهل الرضيع ولا على المرضعة .

ثانيا : بهذا الرضاع تصبح المرضعة أما لك من الرضاع وتصبح بناتها أخوات لك من الرضاع فلا يحل لك التزوج من احدى بناتها ، ولا فرق في هذا الحكم بين المرضعة المسلمة ، والمرضعة المسيحية ، فمن رضع من امرأة أصبحت أمه سواء أكانت مسلمة أم مسيحية ، وصار أولادها أخوة له من الرضاع سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين .

الكتب الجنسية

السـؤال :

هل يحل للمسلم قراءة الكتب التى تتحدث عن الغريزة الجنسية وتصف الاتصال الجنسى .

س. ع. طرابلس لبنان

الاجابـة :

قراءة هذه الكتب فى رأينا تؤدى الى الفتنة والوقوع فى المحرم ومقارفة المعاصى ، ولذا نفتى بحرمة قراءتها خوفا من الوقوع فى الحرام ، وما أدى الى الحرام فهو حرام .

واذا كانت هذه الكتب ثقافية فقط ، وليس المقصود منها الاثارة ، وأمن القارىء على نفسه الوقوع فى الحرام ، وقصد بالقراءة مجرد المعرفة ، فلا حرمة ، والحديث يقول : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » ، ويقول : « استفت قلبك » .

حقوق النـاس

السـؤال :

فيما مضى من عمرى ظلمت بعض الناس ، وأخذت من أموالهم بغير حق ، فهل يرفع عنى هذا الذنب التصدق على الفقراء بمقدار ما أخذت من أموالهم .

ح. ج ـ البصرة

الاجابـة :

من أخذ مالا أو شيئا بغير حق وجب عليه أن يرده الى صاحبه بأى وسيلة من الوسائل وبهذا تبرأ ذمته ، وتبرأ ساحته أمام الله أحكم الحاكمين ، فحقوق العباد لا تسقط بالصدقة .

وننصح السائل بأن يبحث عن أصحاب هذه الحقوق ، ويردها اليهم بأى وسيلة والوسائل كثيرة ، فان عجز ولم يستطع الاهتداء اليهم ولا الى ورثتهم تاب الى الله تعالى واستغفر وتصدق بمثل هذه المبالغ التى يعتقد أنه أخذها بغير حق ، والمأمول فى الله عز وجل أن يغفر الذنب ويقبل التوبة .

بريد الوعي الإسلامي

ملابس النساء

تلقينا من القارئة سعاد طه بالكلية الطبية فى بغداد رسالة تقول فيها : شرعت منذ مدة فى لبس لباس محتشم فى رأيى وهو عبارة عن بنطلون ليس ضيقا وفوقه فستان ليس بالقصير ولا بالطويل ، ومعه ايشارب يوضع على الرأس ، وتسأل القرئة عن رأى الدين فى هذا الزى ..؟

□ □ □

وقد تفضل بالاجابة على هذا السؤال فضيلة الاستاذ الشيخ زكريا البرى أستاذ الشريعة فى جامعة الكويت .

قال فضيلته :

لا يضع الاسلام قيدا على حرية المرأة فى لباسها وزينتها ، وانما يمنعها أن تخرج عن اطار الحرية الى ميدان الفوضى باتخاذ أسباب الفتنة لنفسها ولغيرها عن طريق اظهار مفاتن جسدها وأنوثتها للأجانب عنها بكشف أجزاء خاصة من جسمها أو ابرازها وتحديدها ومحاولة لفت الانظار اليها ، فلا يطلب منها زيا معينا ، وانما يطلب منها أن يكون الزى ساترا وغير معوق عن العمل والحركة فى المجتمع .

وفى ذلك يقول الله تعالى : « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » .

ويقول أيضا : « يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » .

والمرأة المسلمة فى المجتمع المعاصر بين حالتين : حالة الافراط والتفريط فمنهن من تبالغ فى الحجاب ، ومنهن الكاسية العارية التى تتبع فى ذلك (فتاوى) مصممى الازياء الذين لا يحجزهم دين ولا يحكمهم خلق فاضل ، ومن ورائهم هيئات وشركات تستفيد من ذلك ..!!

أما الزى الخاص الذى سألت عنه القارئة فيبدو أنه زى لا يتفق اتفاقا كاملا ــ مع الاحكام الاسلامية اذا كان محددا للجسم ومبرزا للمفاتن ومشبها للنساء بالرجال ، ومع هذا فهو أقرب الى الاعتدال من الازياء الفاجرة الاخرى التى ابتدعها الغرب وسماها (مينى جيب) و (ميكروجيب) .

ومن عجيب الامر فى هذا العصر ــ وما أكثر عجائبه ! ــ أن بعض النساء تلبس فى بيتها ومع زوجها أزياء ساترة ولا تحرص على الزينة التى تسعد زوجها حتى اذا ما تهيأت للخروج اتخذت من مظاهر الزينة والاثارة والفتنة جميع أسبابها

وعكست القضية الشرعية والاجتماعية والعقلية ، وأصبحت الزينة مباحة للأجنبى حراما على الزوج الا بمقدار ما يشاركه فيه الاجنبى ، وأصبح زى المرأة وزينتها مرضا اجتماعيا انتقلت عدواه من المرضى الى الاصحاء حتى أصبح الخروج بالزى الاسلامى الساتر مدعاة للسخرية والاستهزاء ، ولم يعد فى مقدور فرد أو جماعة محدودة أن تعالجه وحدها ولابد فيه من تضافر جميع الجهود من كافة الهيئات والمستويات بصدق واخلاص .

العلماء .. فى المعركة ..!!

وقد وصل خطاب من القارىء عبد الله من ـ صور ـ لبنان يقول فيه : لماذا لا يشترك العلماء فى القتال ما دام الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة اذا استبيحت أرض اسلامية ويضرب القارىء مثلا بالقراء والعلماء القدامى الذين (لم يتخذوا من علمهم ـ كما يقول ـ عذرا لأنفسهم بالتأخر عن القتال بحجة أنه يكفيهم عن الجهاد والقيام بالارشاد) .

وقد أجابك أيها الاخ فضيلة الشيخ محمد شعبان الاستاذ بجامعة الكويت قال :

من المبادىء التى قررها الاسلام أن الجهاد يصير فرض عين على كل مسلم قادر على الجهاد اذا احتل العدو أرضا من أرض المسلمين ، ودعت الحاجة الى تجنيده وان من يتأخر عن الجهاد فى هذه الحال يكون آثما أشد الاثم لا فرق فى ذلك بين عالم فى أى فرع من فروع العلم وبين غيره .

وفى الحالة التى يعيشها العالم الاسلامى الآن يجب الجهاد على كل قادر عليه حفظا لدينه وتحريرا لوطنه وصيانة لعرضه ، ومن دعى اليه فأبى استحق العقاب فى الدنيا والعذاب فى الآخرة .

والجهاد أنواع : جهاد بالنفس للقادر عليه وجهاد بالكلمة ممن يجيدها أو ينتفع برأيه فى القتال وجهاد بالمال .

وليس الجهاد قاصرا على النوع الاول ، فان القادر على الكلمة قد يكون له من الاثر فى أحيان كثيرة ما ليس لحامل المدفع .

وما نعانيه الآن من حرب نفسية واعلامية لا هوادة فيها أساسها الكلمة ونشر الاخبار والدعايات ، ولها من الاثر ما لا يمكن انكاره ، بل ان ذلك يعتبر من أساليب الحرب الحديثة .

على أن الحرب الدائرة الآن لم يقل أحد انهـا فى حاجة الى رجال بقدر حاجتها الى السلاح لأنها حرب علم و (تكنولوجيا) قبل أن تكون حرب سيف ومدفع .

ومع ذلك فالذى يعرفه الناس جميعا أن جيش بعض البلاد العربية يضم الآن عددا كبيرا من المتخرجين فى جامعـات دينية يقفون جنبـا الى جنب مع اخوانهم المتخرجين من جامعات أخرى وغيرهم من بقية أفراد الجيش .

وهناك فريق آخر من العلماء يعيش فى الخطوط الامامية للجبهة واعظا ومرشدا وموجها روحيا ، فدعوى بعد العلماء عن المعركة ليست دقيقـة فى الواقع ، ولا ننسى أن الفضل الاكبر فى تجاوز الهزيمـة نفسيا ، والتقدم الى ما نحن عليه من استعداد الآن كان مرجعه الى الكلمة المؤمنة القوية التى كان على رأسها رجال الشريعة الاسلامية فى البلاد الاسلامية والله يوفق الجميع الى أداء دوره .

قالت صحف العالم

نشرت صباح الخير القاهرية الكلمة التالية للدكتور أحمد مهنا مدير ادارة البحوث والنشر بالازهر ردا على مقال الحلال والحرام المنشور فى المجلة المذكورة للدكتور مصطفى محمود

« رد الازهــر »

منذ بدأ النشر وأنا أتابع ما تكتب ، وقد رأيت من واجبى أن أعاود الكتابة اليك بعد قراءتى للحلقة الخامسة (الحلال والحرام) .

وأود أن أوضح لك أن الذى يدفعنى الى الكتابة هو اعتقادى بأن هناك ــ فيما كتبتم ــ ما يحتاج الى اعادة نظر ، ولا يخالجنى شك فى أنك لن تتردد ــ اذا اقتنعت بوجهة نظرى مرة أخرى ، ونحن جميعا يا أخى نخطىء ونصيب .

لقد بدأت الحديث فقلت : التحريم فى القرآن ليس لمجرد التحريم ، ولا التحليل لمجرد التحليل وانما « **ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** » .

وهو بدء واضح وجميل ولا يخالفك فيه أحد ، ولكنك عندما أردت شرح هذه القضية وتخيرت الآيتين الكريمتين : « **قل للمؤمنين يغضــوا من أبصــارهم** » ، « **وقل للمؤمنــات يغضضن من أبصارهن** » .

كمثال موضح جرى قلمك ــ بما نود أن تعاود النظر فيه فقد قلت :

« لو أخذنا الآية بظاهر حروفها دون أن يكون جوهر القضية واضحا فى الذهن فسوف نجــد أن الحياة الطبيعية فى زمننا (زمن المينى جيب .. الخ) أمر صعب والسير فى شارع مثل عمــاد الدين .. و .. و .. سيرا مطابقا لحروف الآية هو الممكن الصعب » .

وما أظننى فى حاجة الى اقامة الدليل على أن الذى يسير لهدفه فى أى شارع ملىء بمــا تقول لن يقع فى المحظور مطلقا ، وانما الذى يقع هو ذلك الذى يكرس وقته ونشــاطه لتتبع النساء .

ولن أدعى أن السائر لهدفه لن يقع نظره على صاحبات المينى جيب والديكولتيه .. الخ ولكنى أؤكد أنها نظرة عابرة ليس من السهل تجنبها ، ولكنها لن تترك أثرا فى نفسه ، ولعل ذلك ممــا يشمله القول المأثور « لك الاولى وعليك الثانية » وهو ولا شك ينطبق عليه قولك « ولا ضرر فى انسان تقوده عيناه فى طريقه » واسمح لى أن أستعير تعبيرك « مجرد ارسال النظر لا ضرر منه ، ولكن الضرر فيما يجرى فى القلب والعقل نتيجة امعان النظر الخبيث . وقلت فى شرحك للآيتين :

« وغض البصر ليس فقط غض النظر عما يتعرى من الجسد ، وانما هو أيضا غض للبصر عما فى يد الناس من مال ونعمة .. الخ » .

وأنا لا أخالفك فى أن غض البصر عما فى يد الناس من مال ونعمة مطلوب وواجب لصالح الفرد نفسه ولكن الذى لا أوافقك عليه أن يكون ذلك من أهداف الآيتين موضوع الحديث فالآية الاولى تقول :

« **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ..** »

والثانية تقول :

« **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها** » .

ولا شك أن الربط بين غض البصر وحفظ الفرج فى الآيتين يحدد المراد هنا ، وهو غض البصر عما يتعرى من الجسد ، ولا صلة بغض البصر فى الآيتين عما فى أيدى الناس .

ولسنا فى حاجة الى شرح الصلة بين الامرين (**غض البصر وحفظ الفرج**) فكلنا نعرف الوقاية خير من العلاج ، وأن الوسيلة الموصلة الى المحظور يجب أن تكون محظورة كذلك ، ومن هنا كان الارشاد الالهى الحكيم بغض البصر للمحافظة على الفرج ، وأرجو أن تسمح لى مرة أخرى فأستعير بعض تعبيراتك .

« والقرآن يفسر بعضه بعضا ولا ينبغى أن نلتقط منه نصا واحدا حرفيا نقول هذا هو الاسلام » .

وفى محاولة شرحك للفرق بين النظرة الحلال ، والنظرة الخبيثة عقدت مقارنة بين « رجل » متصوف عابد يرى قدرة الله فى كل شىء وابداع صنع الله على وجه كل شىء ..

وهو رجل قد غفل عن الخلق فلم يعد يرى الا الخالق و « رجل » آخر ينظر فيفكر فى اللهط ويسيل لعابه وتخرج عيناه من محاجرهما جموحا وشهوة .. الخ .

وكأنى بك لا ترى فى الوجود الا أحد هذين الرجلين فاما هذا الذى بلغ الذروة فى السمو واما ذاك الذى هبط الى أسفل الدرك .

وهذه النظرة — يا أخى — لا تمثل الواقع فى شىء ، فكلا الرجلين قليل فى الحياة العادية والكثرة الغالبة بين هذا وذاك ، والتشريعات العامة لا تكون للقلة وانما هى للجموع بقطع النظر عن الشواذ ، ولا أظن أن هذا المعنى جديد عليك .

ولعلنى لا أفتات على القرآن الكريم اذا قلت انه لم يفرض وجود « المدينة الفاضلة » فى هذه الدنيا وانما عالج أدواء الانسانية فى اطارها الحقيقى الذى يجمع بين من بلغ الذروة ومن هبط الى أسفل الدرك ومن هم هناك فى سفح الوادى ، وقد يلقى على هذا الذى نقوله بعض الضوء ، قول الله تبارك وتعالى :

« ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله .. »

وبعد أن تحدثت عن الاكمام الطويلة والاكمام القصيرة وعن البلاج وما يكون فيه من متعة بريئة ونظرة بريئة الخ .. قلت :

« وظروف المجتمعات تتغير ، ولهذا كان مدار الكثير من الآيات على ما فى القلب والنية والسريرة لنضع أيدينا على الجوهر حتى لا نتوه فى الحرفيات والتفاصيل وننسى اللباب .. »

وأعتقد أنك لا تخالفنى فى أن هناك اطارا عاما لكل مجتمع يرسمه دستوره . وتغير الظروف فى أى مجتمع لا ضرر منه ما دام داخل هذا الاطار الذى حدده المشرع ، أما اذا خرج عن الاطار العام فهو شذوذ ينبغى أن يقوم ويعالج ، والمجتمع الاسلامى ليس بدعا من المجتمعات الانسانية وقد رسم القرآن الكريم حدود الاطار الذى يجب الحفاظ عليه ، والخروج عن حدوده لا يبيح لنا الاعتذار بتغير الظروف وانما يوجب علينا الدراسة الفاحصة لتشخيص الداء ومحاولة علاجه .

أما القول بأن مدار الكثير من الآيات على ما فى القلب والنية والسريرة .. الخ . فهو وان كان صحيحا فى ذاته الا أن ربطه بما سقت من حديث يقلب معناه ويتعارض مع واقعه .

ان النصوص الدينية كلها سواء أكانت آيات كريمة أم أحاديث نبوية — عندما تتحدث عن أن المدار على ما فى القلب والنية والسريرة انما تعنى أن التظاهر بالطاعة مع اضمار ما يناقض هدفها يفقد العمل قيمته .. وليس هناك نص من هذه النصوص يتصل بالمعصية أو بالذنب فى قليل ولا فى كثير .

واسمح لى أن أستعير قولك :

« والايمان ليس صورا من خارج ولا أعمالا زائفة خالية من صادق النيات » وما أظن أنك تريد بالايمان هنا معصية أو ذنبا .

وبعـــد ..

فهذه بعض النقاط التى لفتت نظرى وليست كلها ، وأرجو أن تتكرم بنشر هذه الرسالة كاملة فى مجلة (صباح الخير) .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بأقلام القراء

رسالة الدين

من كلمة للاستاذ على سيد حسن نقتطف الفقرات التالية :

ان حب الانسان البالغ للبقاء هو الذى يدفعه الى التعلق بالخلود ، أو على الاقل ، ان من يرغب فى الخلود لهو ضمنا يريد البقاء ، واذا تساءلنا عن سر هذه الرغبة الملحة فى البقاء أو الخلود لدى الانسان ، لوجدنا أن دافعها ومحركها الرئيسى هو حب الذات ، المتمركز فى فطرة الانسان .

ويتضح لنا من ذلك أن حب الانسان البالغ لذاته ، هو ما يدفع به الى حمأة السعى والكفاح من أجل بقائه ، وينتج عن ذلك استمرار الحياة على كوكبنا الارضى .

ولكننا يجب أن نلاحظ أن مشكلات الانسانية وأسباب مآسيها ، انما تنشأ من ذلك المنطلق أيضا ، ذلك أن الانسان سينصرف الى نفسه كلية ويعزف عن تحقيق مصلحة المجتمع ، فنراه يندفع من أجل ذاته محققا لها أقصى ما يستطيعه من المنفعة واللذة المادية ، دون أن يعبأ بالآخرين .

فاذا ما أردنا من ذلك الانسان أن يغير اتجاهه لصالح الجماعة ، علينا أن نضع المقيـــاس الخلقى الكفيل بجعله يندفع نحو ذلك الهدف .

ان كل علاج لمشكلات الانسانية ينبغى أن يأخذ هذه الحقيقة (حب الذات) بنظر الاعتبار أما اذا سعى الانسان وراء التغلب عليها ، فان علاجه سيتحول الى علاج مثالى عقيم لا رصيد له فى الواقع العملى الذى يحياه الانسان .

وهنا تبرز أهمية الدين كوسيلة فعالة للربط بين حب الذات المتمركز فى فطرة الانسان ، وبين المقياس الخلقى الذى يجب أن يسير عليه الانسان فى واقع الحياة .

وبتعبير آخر ، ان الدين يوحد بين المقياس الفطرى للعمل والحياة ، وهو حب الذات واشباع رغباتها وملذاتها ، وبين المقياس الذى ينبغى أن يقوم للعمل والحياة ، وهو المقياس الخلقى الذى يضع الصالح العام موضع الاعتبار ، فبدون المقياس الخلقى يصبح عمل الخير أسطورة مجردة .

واننا لنقع فى خطأ فادح عندما نجرد الانسان من هذا المقياس ، فنربطه بمفهوم مادى ، ثم نأمل منه أن يضحى بمصالحه الشخصية فى سبيل الغير ، اذ أنه سيصبح — فى هذه الحالة — وقد

رسخ فى ذهنه ، أن لا قيم فى الحياة الا القيم المـادية الخالصة ، وأن ليس له الا هذه الحياة المحدودة والتى لا يعرف لها سوى اللذة والمتعة المادية .

ولعل هذه الحقيقة هى السبب فى ما أصاب ويصيب الماديين من فشل ذريع فى اقامة مفاهيم أخلاقية لا ترتكز على الفكرة الالهية .

ان الدين انما يوحد بين ذينك المقياسين ، لأجل أن تصبح الطبيعة الانسانية فى الفرد عاملا من عوامل الخير والسعادة للمجموع .

والدين عندما يفسر الحياة الدنيا على أنها مقدمة لحياة أخرى يكسب فيها الانسان على قدر ما يسعى فى حياته المحدودة فى سبيل رضاء الله ، فانه فى هذه الحالة سيؤدى بالانسان لأن يندفع لتحقيق مصلحة الجماعة ولخدمة الآخرين وفق شروط وطرائق يحددها الدين نفسه .

والانسان حينما يتجه لمثل هذا العمل انما يندفع اليه بسبب حبه لذاته ولأجل تحقيق الفوز فى الآخرة ، ولكنه فى الوقت نفسه ــ ومن حيث يشعر أو لا يشعر ــ يتبنى المصلحة الاجتماعية ويساهم فى تحقيق أهداف المجتمع .

عادات ومخترعات شرقية

وكتب الاستاذ عبد الرحمن شادى تحت هذا العنوان يقول :

يظن كثير من الناس أننا مدينون للحضارة الغربية بكل شىء مهما دق أو جمل من شئون حياتنا ، وينسبون كل ما دل على الرقى الى أوربا وأمريكا ..

وقد آن الاوان لنعرف حقنا وماضينا حق المعرفة ونقدره حق التقدير ، وننفض عن أنفسنا هذه التبعية للحضارة الحديثة فلا نصدق كل ما يقال فى فضائلها ومميزاتها دون بحث ونظر وعرض على العقل .

وبعد قراءة عميقة فى كتب الرحلات العربية المشهورة تبينت أننا الاصل فى كثير من العادات والمخترعات ، بعد أن كنا نظن أنها وليدة القرن الرابع عشر الهجرى ، العشرين الميلادى .. ثم نقلها الغرب عنا بعد أن حسنها وجملها ووسمها بميسمه وطبعها بطابعه ، ثم جاءتنا مع الحضارة الحديثة مستوردة على الصورة التى ألفناها ..

ومن أولى منا بانصاف أنفسنا والتفتيش عن كنوزنا الضائعة وتراثنا المدفون وحضارتنا الرائعة بعد أن عاد الينا كل ذلك فى صورة أخرى ، وفى شكل غريب عنا .

ومن الدعاوى المجملة المعروفة ان نقول ان الحضارة الغربية مقتبسة من الحضارة الاسلامية فلا بد من التفصيل ومن معرفة مواضع النقل وأدلة الاقتباس وفى أى شىء كان ، والصورة التى ظهر عليها الشىء المنقول أو المقتبس ، ولا ريب فى أن هذه العادات التى رآها الرحالة فى بلاد الشرق كانت مبسطة اذا قيست بحالتها فى العصر الحاضر الا أن هذا لا ينفى أصالتها لدينا ، ونقل الغرب لها عنا ، وان كانت قد تطورت ونمت على يديه حتى أصبحت على ما نرى ..

وليس معنى هذا أن نغلق آذاننا وأن نعصب أعيننا عن الاستفادة والانتفاع بثمرات تجاربهم وعلومهم ما دام ذلك لا يجنى على عقيدتنا ، ولا يهدر شخصية الشرقى المسلم .. فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها .. وليس للعلم وطن ، وليس للحكمة وطن انهما ملك للناس أجمعين .

أخبار العالم الاسلامي

اعداد : عبد المعطي بيومي

الكويت : أعلن سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء أن الكويت تبرعت لحركة الكفاح الفلسطينى بـ ١٥ مليون دينار .

■ أدلى سعادة رئيس مجلس الامة الذى رأس وفد الكويت فى المؤتمر الدولى للبرلمانيين الذى عقد فى القاهرة فى الشهر الماضى بتصريح جاء فيه : أن المؤتمر فضح الاعتداءات الاسرائيلية ، ونجح فى ابراز عدالة القضية الفلسطينية ، وقد لاحظنا أن كثيرا من أعضاء الوفود لا يعلمون شيئا عن وجهة النظر العربية .

■ قام سعادة الشيخ سعد العبد الله الصباح وزير الداخلية والدفاع بزيارة القاهرة أوائل الشهر الماضى تفقد فيها القوات الكويتية وأجرى محادثات مع المسئولين ، وحمل رسالة من فخامة الرئيس المصرى الى أخيه سمو أمير البلاد المعظم .

■ صرح معالى وزير الخارجية بأن الكويت يهمها قيام اتحاد امارات الخليج العربى على أسس راسخة لصالح شعب المنطقة .

■ رأس معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية الحفل الذى أقامته الوزارة فى مسجد السوق الكبير بمناسبة ذكرى الهجرة النبوية الشريفة .

■ أقر مجلس الوزراء تخصيص مبلغ ١٠ آلاف دينار لعدد من الجمعيات الاسلامية فى باكستان والفيلبين وكندا والسنغال والحبشة والعراق وسوريا ولبنان .

■ بدأ أسبوع العمل الفدائى الثانى الذى تنظمه جمعية المعلمين بالتعاون مع كثير من المؤسسات والهيئات .

■ تبرعت الكويت بمبلغ عشرين ألف دينار لاعمار بلدة الكرامة الاردنية التى هزم فيها الفدائيون والجيش الاردنى جيش اسرائيل فى مارس ١٩٦٨ م .

■ بعثت الكويت بمبلغ (٥٠) ألف دولار لمنكوبى الحرب فى نيجيريا .

أكد معالى وزير التربية أن اسرائيل تقوم بتحريف الكتب الدراسية وتشويه التعليم الدينى خاصة فى المدرسة الاسلامية داخل حرم المسجد الاقصى .

القاهرة : أكد بيان دول المواجهة الذى انعقد فى القاهرة فى الشهر الماضى عزم الدول العربية على الاستمرار فى معركة المصير حتى يتحقق هدفها فى النصر .

■ أكد تصاعد العمليات الحربية خلال الشهر الماضى بين العرب والصهيونية تفوق القوات العربية والحاق خسائر جسيمة بالعدو .

■ بحث وفد من هيئة الدعوة الاسلامية بأندونيسيا مع المسئولين فى القاهرة وسائل نشر الدعوة الاسلامية وتعزيز التعاون الثقافى الاسلامى بين البلدين ، كما زار القاهرة فى طريقه الى الحج السيد ديماربو عضو البرلمان الفلبينى ، وقد أجرى بعض الاتصالات حول التعاون بين القاهرة وجمعية مسلمى الفلبين .

■ قام وزير التربية فى تانزانيا بزيارة القاهرة حيث طلب من وزير الاوقاف امداد تانزانيا بالمدرسين والمطبوعات الاسلامية .

■ عين الدكتور عبد الحليم محمود أمين مجمع البحوث الاسلامية وكيلا للازهر بالاضافة الى عمله ، وقد أذاع المجمع بيانا رفض فيه الدعوة الى تلحين القرآن الكريم بالموسيقى .

■ عقد فى المدة ١٩٧٠/٢/٢٧ المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ، وقد اتخذ المؤتمر عدة قرارات هامة حول مسائل تخص الفكر والحياة الاسلامية ، وقد حضره علماء من كل الدول الاسلامية .

السعودية : أدى جلالة الملك فيصل فريضة الحج وأقام مأدبة لكبار الشخصيات الاسلامية ورؤساء بعثات الحج وألقى خطابا قال فيه : ان علينا قبل كل شيء المحافظة على ديننا وعقيدتنا وأن نستعد للكفاح بكل ما أوتينا من قوة الايمان والاخلاص .

■ قام الامير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران بزيارة الى الاردن حيث تفقد القوات السعودية المرابطة هناك واجتمع مع جلالة الملك حسين .

■ بلغ عدد الحجاج هذا العام حوالى (٧٠٠) ألف حاج .

■ قام الشيخ محمد سرور الصبان أمين رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة بزيارة القاهرة فى الشهر الماضى بدعوة من المجلس الاعلى للشئون الاسلامية حيث اطلع معاليه على النشاطات الاسلامية فى القاهرة .

الاردن : صرح جلالة الملك حسين بأن أكثر من ٢٠ فى المائة من الاردنيين مجندون فى المعركة المصيرية مع اسرائيل .

■ أكد السيد ياسر عرفات رئيس منظمة تحرير فلسطين أن الثورة الفلسطينية بدأت تشكل خطرا على الكيان الصهيونى وأن شعار اقامة دولة عربية يتساوى فيها أهل الاديان انما يأتى بعد تحرير الارض .

■ حكمت محكمة اسرائيلية فى نابلس على فدائيين عربيين بالسجن مدى الحياة بحجة أنهما كانا يحملان تعليمات بالحاق الضرر بحائط المبكى بالقدس ، والجدير بالذكر أن اسرائيل برأت المتهم باحراق المسجد الاقصى .

العراق : قام مدير أوقاف العراق بزيارة الى القاهرة حيث أجرى مع وزير الاوقاف مباحثات هامة .

سوريا : تقرر اقامة اتحاد يضم مجامع اللغة العربية والعلمية فى دمشق وبغداد والقاهرة .

لبنان : أكد السيد رشيد كرامى رئيس الوزراء أن الدفاع عن البلاد أهم من كل شيء الان ، وأن شئون الدفاع تأتى قبل الشئون المعيشية والاجتماعية مهما كانت هامة .

البحرين : أصدر حاكم البحرين عدة مراسيم لاصلاحات جذرية جديدة ترمى الى ترسيخ دعائم الدولة العصرية منها اصدار قانون بانشاء مجلس الدولة .

تونس : سيعقد فى أوائل هذا الشهر المؤتمر السادس لوزراء الاقتصاد فى المغرب العربى حيث يبحث مشروعا للتعاون الاقتصادى فى المغرب العربى (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب) .

الجزائر : عقدت عدة اتفاقيات صداقة وحسن جوار بين تونس والجزائر تناولت تدعيم العلاقة بين البلدين فى المجالات الاقتصادية والقضائية والصناعية والسياحية .

المغرب : زار المغرب بدعوة من حكومتها السيد شريف الدين بيرزاده المدعى العام الباكستانى لبحث العلاقات بين البلدين .

■ دعا مؤتمر وزراء التربية والتعليم والتخطيط العرب منظمة اليونسكو العالمية الى شن حملة لمساعدة الاطفال الفلسطينيين الذى يعانون فى ظل الاحتلال الاسرائيلى من أوضاع تربوية واجتماعية قاسية .

■ تقرر تبادل السفراء بين المغرب وموريتانيا فى القريب العاجل بعد أن سويت الخلافات بين الدولتين عقب مؤتمر القمة الاسلامى الذى عقد بالرباط قبل ثلاثة أشهر وكان المغرب يطالب بموريتانيا جزءا منه .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة مكة المكرمة ص.ب (٤٦)

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة مكة ص.ب (٤٦)

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب .

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) حضرموت .

دبى : ساحل عمان ص. ب (٢٦١) ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ــ السيد حسين قمر .

تعــز : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتبة منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

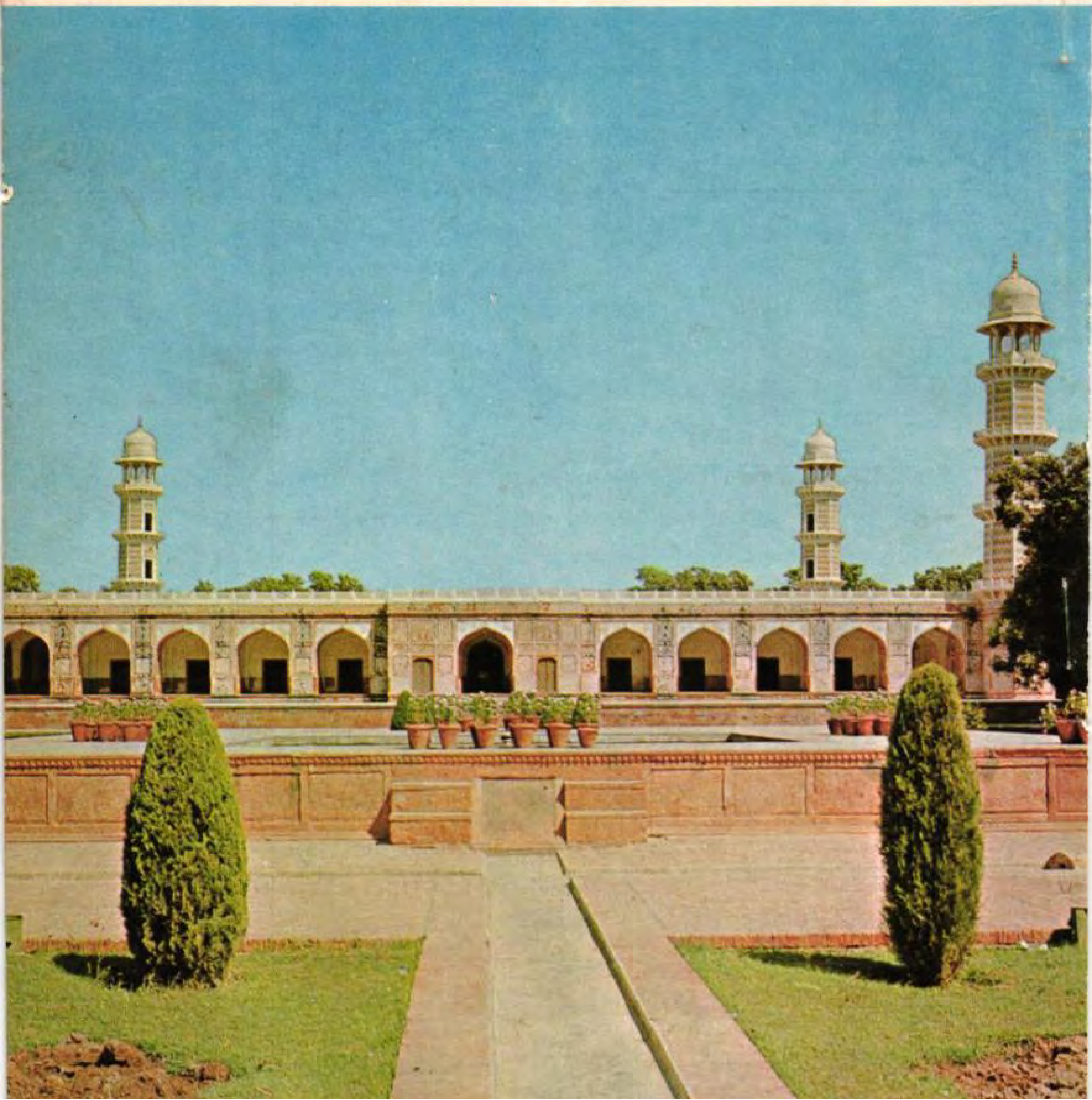
ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة



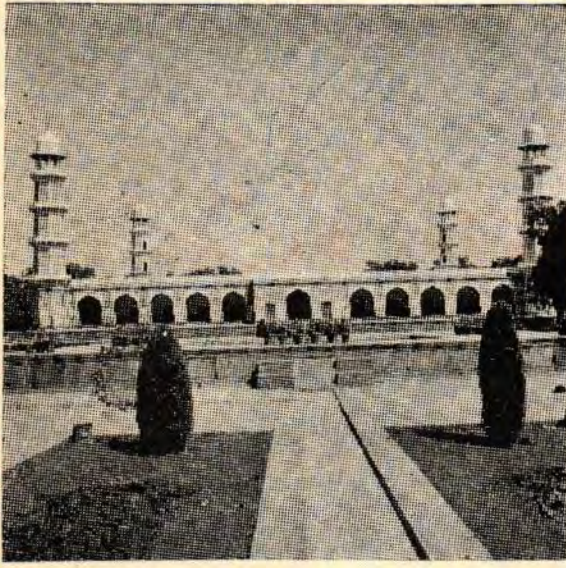
الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة ـ العدد ٦٢ ـ صفر ١٣٩٠ هـ ـ ٧ ابريل (نيسان) ١٩٧٠ م



اقرأ في هذا العدد



مسجد ((بادشاهى)) بلاهور وهو من أكبر المساجد فى العالم بناه الامبراطور المغولى أورنكزيب فى القرن السابع عشر فى باكستان الغربية ، ويبدو فى الصورة مدخله الرئيسى بطرازه العربى الرائع وعقوده الجميلة ، ومناراته الاربع الشاهقة ، وأمامه حديقة تضفى عليه بهاء وجمالا .

تصوير : عظمت شيخ

الوعى الاسلامى

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد الثانى والستون

صفر ١٣٩٠ هـ
٧ ابريل (نيسان) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ــ كويت

أبعاد الهجرة النبوية

أقامت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية احتفالها السنوى بذكرى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم فى مسجد السوق الكبير ، وتولت الاذاعة والتليفزيون نقل هذا الاحتفال وقد افتتحه سعادة الوزير عبد الله المشارى الروضان بهذه الكلمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وصحبه أجمعين :

أيها الاخوة الكرام :

ان رسولنا صلى الله عليه وسلم هو الامام والقائد ، وعلى أمتنا أن تذكر رسولها الكريم ، وسيرته العطرة ، وما قام به من أمجاد وبطولات، وتتخذه منارا وأسوة ــ فالله سبحانه وتعالى يقول فى محكم تنزيله : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

ونحن حينما نحتفل بذكرى هجرة سيد الخلق لا بد وأن نستعرض ظروف هذه الهجرة بتعقل وتفهم ونعمل جادين على الاخذ بنصح نبينا الكريم والاقتداء بسيرته ــ فلقد كان عليه الصلاة والسلام ثابتا فى الشدائد ، صابرا على البأساء والضراء ــ ولقد لقى بمكة قبل هجرته من قريش ما يشيب النواصي ويهد العزائم ، وهو مع الضعف يصابر ويثبت ــ ونحن فى هذه الظروف الراهنة التى تعيشها أمتنا العربية والاسلامية ، ما أحوجنا الى الصبر والثبات فى الشدائد والمحن ــ فما من أمة الا وفى تاريخها نصر وهزيمة ، والهزائم تطهر الامم وتصقل روحها .

والهزيمة التى حلت بنا ، يجب ألا تحطم نفسياتنا لأنها لا شىء ــ اذا تعلمنا منها واتعظنا ، وأخذنا منها العبر والدروس ، وغيرنا ما بأنفسنا حتى يغير الله ما بنا ، قال جلت قدرته : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » عندها يكون النصر حليفنا ، هذا النصر الذى وعد الله به عباده المؤمنين الصالحين .

أيها الاخوة :

اقتدوا بأصحاب رسول الله الذين قاموا بأعمال جبارة حققت النصر للاسلام والمسلمين ، وأقاموا دولة الحق التى انحنت لها رقاب أعظم الدول فى ذلك الوقت .

لماذا لا نكون كذلك ؟ أم أننا اعتدنا تقبل الغزو الفكرى الهدام ، تحت ستار التقدم والمدنية ؟ التى هى بلا شك تدفعنا الى الهاوية والدمار ، ما هى الا قشور



سعادة وزير الاوقاف
والشئون الاسلامية
عبد الله المشارى الروضان

الحضارة ــ زيفها وخداعها ــ أفكار تدعو الى الانحلال والابتذال ، هذه هى الرجعية بعينها ، فحضارتنا العربية والاسلامية ، عريقة ومعروفة ، أخذ منهــا الغرب وتعلمها ، وبعد عنها أبناؤها .

أيها الاخوة :

عودوا الى ربكم ، عودوا الى دينكم وتعاليمه ، انكروا ذاتكم فى سبيل المصلحة العامة والقضية الاولى ، وتعاونوا على أن تكونوا صفا واحدا فى وجه العدو الذى حرق مسجدكم ، ويريد القضاء على هيبة الاسلام والمسلمين .

هناك على خط النار وفى داخل الارض لــكم اخوة أنكروا ذاتهم وحملوا أرواحهم على أكفهم طلبا للحرية والعيش الكريم بازالة الكفر والباطل .

اخواننا الفدائيون ينزلون بعدونا كل يوم بل وكل ساعة أكبر الخسائر ، يزرعون الموت فى بنيانه يزعزعون كيانه المهلهل ، يحاربون من أجلكم ، من أجل كرامة الانسان المسلم ، فافتحوا قلوبكم لهم وأمدوهم بعونكم حتى ينصرنا الله بنصرهم .

أيها الاخوة :

قصة الهجرة الكريمة لا تخفى على أحد منكم ، والغاية من الاحتفال بذكراها أن نتعظ منها ، أن نتفهمها على حقيقتها ، بأبعادها ومراميها وعبرها ، فاصبروا على الشدائد كما صبر محمد وصحبه فى سبيل اعلاء كلمة الله ونشر دينه الحق ، اصبروا واعملوا ، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ولا تكونوا الا خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر .

والله نسأل أن يحقق لأمتنا النصر على عدو الله وعدوها .

ويسعدنى فى هذه المناسبة الكريمة أن أرفع الى مقام حضرة صــاحب السمو أمير البلاد المفدى وولى عهده الامين والشعب الــكويتى الكريم والامة العربية والاسلامية أسمى آيات التهانى والتبريك آملا أن يعيد الله هذه الذكرى علينا وقد تحقق النصر لأمتنا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

الكلمة ... والرصاصة

يلفت الناظر فى كتاب الله كثرة الآيات الكريمة التى تتصل بالجهاد فى سبيل الله ، وهى تكاد تبلغ نصف ما نزل من القرآن الكريم بعد الهجرة ، وهذا يصور لنا أولا — أهمية الجهاد فى هذه الفترة من حياة الأمة الاسلامية ، ويفتح أعيننا وقلوبنا على الدور البطولى الذى قام به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبين لنا — ثانيا — حاجة الأمة المجاهدة الى الكلمة المؤمنة الصادقة التى تقهر نوازع الخوف وتقتل بواعث الجبن وترخص المال والدم لحماية الحق وصيانة الشرف .

واذا أحصينا بالأرقام عدد الغزوات والسرايا والبعوث الحربية التى وقعت فى قرابة عشر سنين قضاها الرسول فى المدينة — أدركنا مدى التأثير البعيد لفعل هذه الآيات فى نفوس المؤمنين وحشد طاقاتهم وانطلاقهم على رغبة وحنين الى الجنة كأنهم يرونها رأى العين ويتنسمون ريحها .

بلغ عدد الغزوات تسعا وعشرين غزوة قاتل الرسول فى تسع منها : بدر وأحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف .. أما السرايا والبعوث فقاربت الستين .

كانت الكلمة وراء قوة الايمان التى عبأت الامة كلها للحرب ، ووضعتها تحت السلاح وأعدتها لاحتمال المغارم والتضحيات ونقلتها الى حومات الوغى وساحات القتال وجعلتها تواجه الموت وهى على ثقة كاملة من نصر الله وأمل واسع فى احدى الحسنيين الشهادة أو الظفر .

ويتعهد الله سبحانه عباده المؤمنين بالآيات فتتنزل تباعا قبل المعارك تنبيها واعدادا وتحريضا «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» « يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا » « يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال » « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » وفى أثنائها تثبيتا وتطمينا « اذ يغشيكم النعاس أمنة منه ، وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام » ، وبعد أن تضع الحرب أوزارها تشريعا وبشرى للصادقين ووعيدا وتهديدا للقاعدين والمثبطين « يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول » « ولا تحسبن الذين قتلوا فى

سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)) ((فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى ســـبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون)) .

وتأتى بعد كلمة الله كلمة رســول الله الذى أوتى ذروة البيــان وأعطى جوامع الكلمة فيشغل بيانه عن الجهاد جزءا كبيرا من حديثه يدعو الى مقابلة القوة بالقوة ورد العدوان بالعدوان ودفع الشر بالشر وينفخ فى أصحابه روح العزة والكرامة حتى لا يقبلوا الدنية ولا يصبروا على ضيم ولا يستكينوا لظالم فيحضهم على الجهاد ويدفعهم الى الاستعداد ويدعوهم الى استكمال ثقــافتهم العسكرية ويشهد بنفسه ضروب فروسيتهم وملاعبتهم لسيوفهم ورماحهم ويبشر المجاهدين بالنصر فى الدنيا والفوز فى الآخرة ويضمن على الله للشهداء حياة طيبة ((تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهادا فى سبيلى ، وايمانا بى ، وتصديقا برسلى فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى مســكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون الدم وريحه ريح مسك والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون ســعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى والذى نفس محمد بيده لوددت أنى أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل)) .

وتنفذ الكلمات الى أعمــاق القلوب وتأخذ بزمام النفوس فاذا المؤمنون كلهم رجل واحد وقلب واحد ويد واحدة يقاتلون فى ســبيل الله كأنهم بنيــان مرصوص .

وتتابع الكلمات النبوية فتداوى الكلوم وتشد العزائم وتخفف الشــدائد فجسد المجاهد محرم على الناس اذ لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى أنف مسلم وما أغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار وكل ميت يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه ينمى عمله الى يوم القيامة ومن مات مرابطا أمن الفزع الاكبر وغدى على برزقه وريح الجنة وطوبى لعبد أخذ بعنان فرسه كلما سمع هيعة أو فزعة طار اليهــا يبتغى القتل فى مظانه والروحة يروحها العبد فى ســـبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما فيها وعينــان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله .

ومع الكتاب الكريم والسنة النبوية وفى كل منها غناء وأى غنــاء فى استنفار المؤمنين للجهاد ـــ يتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبــاء وشعراء يدافعون عن الاسلام ويواجهون الحرب الكلامية للاعداء بحرب كلامية مؤمنة أشد وأعنف منها . يقول ابن قيم الجوزية فى كتابه زاد المعاد وكان من شعرائه الذين يذبون عن الاسلام كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وحسان ابن ثابت وكان أشدهم على الكفار حسان .

ويتوسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شــاعره حسان مقدرة بلاغية وقوة اعلامية فيبدى اعجابه به ويغريه بمهــاجمة الاعداء ويقول له : شن الغطاريف على عبد مناف فوالله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام .

ويروى أن رجلا قال يا رسول الله ان أبا سفيان (ابن الحارث) يهجوك فقال اللهم انه هجاني واني لا أقول الشعر فاهجه عنى . فقال حسان : يا رسول الله أتأذن لي فيه . فقال له : ايت أبا بكر يخبرك بمثالب القوم ، ثم اهجهم وجبريل معك فانشد حسان ..

ألا أبلغ أبا سفيان عنى | مغلغلة فقد برح الخفاء
بأن سيوفنا تركتك عبدا | وعبد الدار سادتها الاماء
هجوت محمدا فأجبت عنه | وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء | فشركما لخيركما الفداء
هجوت مباركا برا حنيفا | أمين الله شيمته الوفاء
فمن يهجو رسول الله منكم | ويمدحه وينصره سواء
فان أبى ووالده وعرضى | لعرض محمد منكم وقاء
لسانى صارم لا عيب فيه | وبحرى لا تكدره الدلاء

.. ..

وكانت كلمات الخلفاء ووصاياهم ، وخطب الولاة والقواد تفجر الطاقات الكامنة فى نفوس المؤمنين ، وتقلل العدو فى أعينهم ، وتحملهم على أن يعدوا للجهاد كل شىء ، وأن يلقوا بثقلهم فى المعركة .. كانت كلماتهم تسكن الفتن ، وتجمع الشمل ، وتشد العزم .. وماذا كان يجمع المسلمين عند انفراط عقدهم عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحداق الاخطار بهم من كل مكان ، وشدة حذر أولى العزم من أصحابه ، وتخوفهم من الحرب على مستقبل الاسلام والمسلمين .. لولا كلمات صادقة من الخليفة الاول فى جموع المسلمين الذين تباعدت وجهات نظرهم فى قتال مانعى الزكاة .. كلمات تصور الاستمساك بالحق كاملا غير منقوص ، وترفض فى اصرار التفريط أو التمهل فيه : ((والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم عليه)) كلمات حسمت الموقف ، وقطعت السبيل على المتخوفين ، وردتهم الى الحق ، وقادتهم الى النصر : ((ولولا أبو بكر لهلك عمر)) .

وماذا فعل فاتح الأندلس (طارق بن زياد) بعد أن نزل بالجزيرة الخضراء ، وأقدم على سفنه فأحرقها ، وقطع الرجعة على جنده ، فأثارهم .. بماذا يهدىء ثائرتهم ، ويبعث فيهم روح الاستماتة والجهاد .. كلمات فى أحرج المواقف وأشدها بأسا .. كلمات أعادت الأمل ، وبثت الثقة ، وحولت الأنظار من الوراء الى الأمام ، ومن الفكر فى العودة الى الفكر فى البقاء ، أين المفر ؟ ((البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم ، وليس لكم والله الا الصدق والصبر)) .

وقد عقدت كتب السيرة والأدب فصولا طوالا للاشعار الحماسية والأقوال الثائرة التى هزت قلوب المؤمنين وألهبت مشاعرهم حتى بدت الدنيا فى أعينهم مجازا للآخرة فحرصوا على الموت أشد من حرصهم على الحياة وآمنوا ايمانا عمليا بأن كل شىء مقدور فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون

وان حينهم سوف يواتيهم ولو كانوا فى بروج مشيدة ، وان ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى السماء الا فى كتـــاب ولو كانوا فى بيوتهم ليرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم ، وكان الله ورسوله أحب اليهم من أنفسهم وأموالهم وأهليهم .

تروى كتب الأدب أن امرأة النابغة الجعدى ناشـــدته الله أن يقعد عن الجهاد حرصا على سلامته فأجابها :

باتت تذكرنى بالله قاعــــــــدة — والدمع ينهل من شأنيهما سـبلا
يا بنت عمى كتاب الله أخرجنى — كرها وهل أمنعــن الله ما بذلا
فان رجعت فرب الناس أرجعنى — وان لحقت بربى فابتــــغى بدلا
ما كنت أعرج أو أعمى فيعذرنى — أو ضارعا من ضنىلم يستطعحولا

.. ..

ان مصير المعركة معلق بأمرين لا يغنى أحدهما عن الآخر سلاح حديث ، ورجال عقيدة يملؤون ساحاتها بايمان وثيق وجأش رابط وصبر شديد وبشاشة ورجاء والذى يعنينا هنا هو الرجال والكلمة المؤمنة هى السبيل الى ايقـــاظ القلوب وايقاظ العزائم ونحن بحاجة ماسة الى المزيد من هذه الكلمة فى الخطب والمقالات والمؤلفات وبرامج الاذاعة والتلفزيون ، ان معركة الاعلام لا تقل شأنا عن معركة الصاروخ والمدفع ، وان مائة مليون عربى ، أو سـبعمائة مليون مسلم قد يحتاجون الى مزيد من العدة والتدريب ، ولكن لا يستطيع أحد أن يدعى أن عندنا نقصا فى المؤمنين من حملة الاقلام وأرباب البيان ، وذوى القدرة على الترجمة والكتابة والتأليف ومخاطبة الدنيا بكل لسان .

اننا فى المعركة الحربية بحاجة الىاستيراد الصواريخ والمدافع الثقيلة والطيارات وأجهزة الرادار ، وكثير من المعدات الحربية ، ولكننا لســنا فى المعركة الاعلامية بحاجة الى استيراد أرباب البيان وحملة الأقلام .

والـــكلمة المطلوبة فى المعـــركة ليست أى كلمة ، فمن الـــكلام ما هو كالأسلحة الفاسدة تضر ولا تنفع ، وتكون عونا للعدو وسلاحا فى يده .. بل هى الـــكلمة المؤمنة النافذة الى القـــلوب المتميزة بنوعيتها .. بصـــدقها .. بمنطقها ، واذا كان العدو قد اســـتطاع أن يلبس الحق بالباطل ، ويضـــلل العالم بدعاياته وأكاذيبه . أفليس من واجبنا أن نكشف زيفه ، ونفضح باطله .

ان الله عز وجل صور لنا تأثير الكلمة المنزلة تصويرا معجزا ، وجسده تجســـيدا واضحا ، فقال تعالت كلماته : ((لو أنزلنا هـــذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله)) .

وحاجتنا الى الكلمة لا تقل عن حاجتنا الى الرصاصة ..

مدير ادارة الدعوة والارشاد

ضوان النبلي

الى أين نحن مسوقون ؟ ٢

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الارض : الله ، الله »

رواه البخارى ومسلم وأحمد

١ ــ فى العدد الماضى تناول القول مثار هذا البحث ، الذى انطوى على التأكيد المؤيد بالبراهين العقلية والواقعية بأن المجتمع الذى تطبق فيه أحكام الاسلام نصا وروحا يبيد كل أعداء الانسانية وتنمو على أرضه مقومات الحياة الحرة الكريمة فى ظل حراسة ساهرة ماهرة واعية ، وألمنا بطرف من موقف الاسلام من (الجهل) وأوضحنا مدى اصراره على ابادته ، وحرصه على التمكين لنور العلم أن يمتد أفقه بكل وسيلة ممكنة ، وحمله العامة والخاصة على رفع العوائق من طريقه فلا عذر لجاهل يقيم على جهله فى بلد تعلو فيه راية الاسلام ، ويتردد على أسماع أبنائه صباح مساء قول الله تبارك وتعالى : « .. قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الالباب » (١) .

ونعوج اليوم موضحين كيف يعالج الاسلام المرض والفقر حتى يجتث أصولهما ، ويقتلع جذورهما من أرضه ، ويأتى على منابتهما فى مظانها فلا يبقى لهما أثرا فى واديه ولا ظلا على وطن يسود فيه ، فالشعب الذى تعتل صحة أبنائه ، وتفشو فيهم الامراض ، محكوم عليه بالفناء ، حيث لا يزال يتهاوى حتى يتلاشى ، ومن أهم عوامل انتشار الاوبئة تلوث المياه ، والقاء القاذورات على قارعة الطريق ، واهمال النظافة فى المسكن والملبس والاجسام ، والدارس لبديهيات الفقه الاسلامى فى عباداته التىهى القربى الى الله ، وعمادها ولا شك

---

(١) الآية رقم ٩ من سورة الزمر .

هو الصلاة ، يلفى من أولى مقوماتها الطهارة فلا تصح صلاة بدون وضوء (٢) ، فقد روى أحمد والشيخان من حديث عبد الرحمن بن صخر مرفوعا : (لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ) وتنبيها على أهمية الوضوء وبيانا لمنزلته ، وأن الصلاة التى هى أهم ركن من أركان الاسلام بعد الايمان لا يمكن اقامتها الا بالطهارة قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا .. الآية الكريمة رقم ٦ من سورة المائدة . وروى البخارى وأصحاب السنن عن عمرو بن عامر الانصارى قال : سمعت أنس بن مالك يقول : (كان النبى صلى الله عليه وسلم يتوضأ عند كل صلاة ..) وروى مسلم من حديث أبى هريرة أنه توضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع فى العضد ثم غسل يده اليسرى حتى أشرع فى العضد ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع فى الساق ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع فى الساق ثم قال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ .

فالنظافة ركن الصحة البدنية وأما الوسخ والأقذار فمجلبة للامراض والادواء الكثيرة ، ومن ثم نرى الأطباء يشددون فى أيام انتشار الأوبئة والامراض المعدية فى طلب المبالغة فى النظافة ، والاسلام يرى أنه جدير بالمسلمين أن يكونوا أصح الناس أجساما وأن تنتفى الامراض من بينهم فالدين مبنى على العناية بنظافة الأبدان والثياب والأمكنة فهذا ينفى الاسباب التى تولد الجراثيم وتنشر الامراض بينهم ، ويرى الاسلام مع هذا أن من تكريم المسلم لنفسه وأهله وقومه الذين يعايشونه أن يكون نظيفا فمن كان كذلك كان جديرا بحضور مجامعهم ولقائهم ومن كان وسخا قذرا مجته العيون واحتقر عند كرام الناس ولا يرونه أهلا لمجالستهم ، ولأجل هذا ورد الأمر بالغسل يوم الجمعة والتطيب ولبس الثياب النظيفة لأنه يوم يجتمع فيه الناس فى المساجد لعبادة الله تعالى روى مالك وأحمد والبخارى ومسلم من طرق عدة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « غسل الجمع واجب على كل محتلم » وروى البخارى عن سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يغتسل رجل يوم الجمعة ، ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه ، ويمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلى ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى » .

وأفرد الفقهاء جميعا على اختلاف مذاهبهم بابا يشرحون فيه أنواع المياه التى يجوز منها التطهير ويصح بها الوضوء والاغتسال ، وآخر يوضحون فيه وجوب الابتعاد عن النجاسات حتى تصح العبادات ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التبول فى الماء الراكد حتى لا يفسد وتفوح منه الروائح الكريهة الضارة بالصحة عموما . فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم الذى لا يجرى ثم يغتسل فيه » متفق عليه .

وفيما رواه مسلم عن جابر قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبال فى الماء الراكد .. ولم يقتصر حرص الاسلام على صحة الناس أن يحضهم على الطهارة للعبادات بل تعدى ذلك الى إبعادهم عن أماكن العدوى وانتقال الادواء فنهاهم عن الدخول الى بلد موبوء وعن الخروج منه اذا كانوا فيه حتى

(٢) أو ما ينوب عنه عند فقدان الماء .

لا ينتشر المرض ويعم وحتى ينحصر فى مكانه فيمكن القضاء عليه وهذا أساس الحجر الصحى المعمول به فى عصر الوصول الى القمر ، كما نهى عن الامتلاء من الطعام وقسم الامر ثلاثة أقسام : ثلث للماء ، وثلث للطعام ، وثلث للنفس ، وقال سيدى رسول الله : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » وورد فى الآثار اياكم والبطنة الى آخر ما هنالك من آثار الرسول وصحابته وتابعيه مما يدل على الحرص الشديد على سلامة الابدان بكل طريقة ممكنة مما لو ذهبت أشير الى مواطنه فضلا عن احصائه لطال الحديث وما انتهى المطلوب .

٢ ــ واذا تجاوزنا القول عن حفاظ الاسلام وعنايته بصحة الناس وجرهم بعيدا عن الامراض بما لا تجد له ضريبا ولا مشـــابها لدى أى تشريع آخر مهما كانت مصادره ، أقول اذا تجاوزنا هذا البحث الى الكلام عن علاج الاســـلام للفقر والجوع لألفينا العجب العجاب من تخطيط هذا الدين وتعاليمه للقضاء على هذا العدو الالد للانسانية بالوسائل التى لا يضار بها أحد فى نفسه أو ماله وفى الوقت نفسه ترسى أسس السلام والألفة والمحبة بين أفراد مجتمع تسود فيه ، ولا نتعرض هنا الى مبادىء سادت فى دول معاصرة عولجت بها الحالات الاقتصادية فى تلك البلاد ، ولا نشير الى مذاهب أقرت مهدرة كرامة الانسان فى صورة ما قدم اليه من احسان ، ولا نريد أن نتحدث عن قيود لبديهيات مقومات الانسانية تحولت من الحديد الى الذهب فهى قاتلته على أى حال ، فلكل هذه الامور مواضع أخرى بعضها نوقش وفند ، وبعضها لا زالت تحميـــه حراب وقنابل ومصير تلك النظم الى الفناء فما لم ينبع من قيم تعلو بالخلق المقـــوم لوجود الانسان كانسان وان لاح برقا فهو خلب وان بدا من بعيد ماء فسيجده الفاحص الداعى سرابا لا غناء فيه وان قامت عليه تشريعات وظل مسيطرا ردحا من الزمان « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » .

وانما نورد هنا ما وضحه القرآن ، وما أورده للقضاء على العدو الالد والخصم الكاشح ، الا وهو الفقر والعوز ، فقد حرص التشريع الاسلامى على محوه بنشر الوعى العملى ، والدعوة الى الكفاح المتواصل ونبذ الاتـــكالية ، والتبطل ، والتعاون الجاد للبناء القوى المتكامل ، ويتضح هذا من خلال الصور التى تبدو للنظرة السطحية شيئا فرديا هينا لا يعالج مشكلة عامة ، ويخرج منها نفســــها الدارس الباحث الذى يريد الوصول الى الحقائق من منابعها النقية ومصادرها الحقة فى غير التواء ولا تدليس أقول يخرج منها بقواعد ثابتة بناءة تحفظ على الانسان انسانيته وكرامته وتحيله من تافه لا يؤبه له الى لبنة قوية صامدة لها كيانها الاصيل فى تكوين المجتمع الفاضل ، فحين يقول سيدى رسول الله : (اليد العليا خير من اليد السفلى) يوجه كل ســـــامع مصغ لهذا المنطق القوى الكريم الى العمل الذى يؤتى أطيب الثمرات ، ويزيد على الحاجة ويعين بما فضل عاجزا لا يقوى على كسب ، ويجىء الى المجلس الشريف مســـتجد يطلب قوتا فيسأله الرســـــول الكريم أليس فى بيتك شىء فيجيب قعب وحلس ويؤمر باحضارهما ويعرضهما المشرع الحكيم على الناس فى مزاد علنى ويشترى بما نتج من ثمنهما فأسا وحبلا ويقول لصاحبه اذهب واحتطب ولا أرينك خمسة عشر يوما ، ويختفى الرجل ثم يعود مرفوع الهامة موفور الـــكرامة ، عزيز النفس ويخبر أنه احتطب وباع واشترى الطعام والكسوة لأهله وفضـــل معه ما تصـــدق به على عاجز بائس محروم ، والثروات لا تهبط على أربابهـــا من السماء ــ الا قلة وارثة نادرة والنادر لا حكم له ــ وانما تنمو من القليل وتتكاثر من ضئيل وبالجد والمثابرة والعزم والجهد يبنى الحطاب مصنعا ويشـــيد دارا

للانتاج يعمل بها الكثيرون ويحصلون بعرقهم على ما يجعلهم اعضـــاء نافعين لمجتمع يستقرون فيه ، وأما من عجز عن عمل لشيخوخة أو مرض أو اى عائق لا يستطاع التغلب عليه ، فلمثل هذا حق مقرر فى مال الواجد المستطيع يأخذه سرا أو علانية لكن يؤدى اليه على اى حال : « ان تبدو الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » ويشير ما أثر عن العرب عامة أنهم كانوا يعدون من مكارم الأخلاق وحميد الشـــيم الاسرار بالاحسان فقال حكماؤهم : « اذا اصطنعت المعروف فاستره ، واذا صنع اليك فانشره (٣) » وقال دعبل الخزاعى :

اذا انتفعـــوا أعلنـــوا أمرهم   وان أنعموا انعموا باكتتـــــام

وقال سهل بن هارون :

خل اذا ما جئتــه يوما لتســـأله   أعطاك ما ملـــكت كفـــاه واعتذرا
يخفى صـــنائعه والله يظهرهـــا   ان الجميـــل اذا أخفيتـــه ظهـــرا

وقال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه : لا يتم المعروف الا بثـــلاث خصال : تعجيله وتصغيره وستره ، فاذا أعجلته هنيته ، واذا صغرته اعظمته ، واذا سترته أتممته ، ومن مقول بعض الشعراء :

زاد معـــروفك عنـــدى عظمـــا   انه عنـــــدك مســـــتور حقيـــر
تتناســـــاه كأن لم تأتـــــه   وهو عند النـــاس مشهور خطير

ويظن بعض المعاصرين أن فعـــل الواجب لأنه الواجب مذهب مستحدث ويعلم الله انه ما من حديث الا وله فى القديم مرجع ، ولقد دعا القرآن الى اداء المعروف دون من واصطناعه دون انتظار الثناء وانما يفعل الخير لأنه أمر رب الخير فهو واهبه فى الاصل ومثيب عليه فى النهاية ، بل يرى القرآن الكريم أن فى المن ابطالا للثواب وبعدا عن الاخاء السوى الذى تقوم صلاته مع الاخوة وأبناء الوطن على الفناء فيهم والغض من كل ما يفعل لصالحهم مهما عظم وجل ، فمن قيم صنيعه فقد أهدره قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر » .. الخ الآية ٢١٤ من سورة البقرة . ويقول شاعر القوم :

افسدت بالمن ما أسديت من حسن   ليس الـــكريم اذا اســـدى بمنان

وقال أبو بكر الوراق :

أحســـــن من كل حســــــن   فى كـــــل وقت وزمـــــــن
صــــنيعة مربــــــــوبة   خاليــــــة من المنــــــن

وسمع ابن سيرين رجلا يقول لآخر : فعلت اليك وفعلت . فقال له : اسكت فلا خير فى المعروف اذا أحصى ، وروى عن سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : (اياكم والامتنان بالمعروف فانه يبطل الشكر ، ويمحق الاجر ، ثم تلا (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) .

(٣) اذا لم يكن فى نشره غضاضة .

فالمسلم الصادق فى ايمانه يقدم ما يستطيع أن يقدم من خير واحسان طاعة لله وامتثالا لتعاليمه وتصديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومجتمع يسوده التكافل يختفى فيه الفقر حيث يجد المحتاج عونا فى شدة ، ولقمة فى سغب ، وكساء فى عرى ، ومأوى حين يعز المأوى ولياذا يحميه من النازلات ، ودرعا يقيه الغـــائلات ، وقلوبا كريمة تتجـــاوب معه فى أحزانه حتى تمحوها وآلامه حتى لا يشعر بها ، وكل ما مر مما أشرنا اليه هو فى الصدقات الاختيارية فى الاسلام ، ولكنها اجبارية لدى القلوب المؤمنة ، فهو أى المؤمن يصدق وصايا رســـول الله ويعمل بها ، ورســـول الله هو الذى يوضح فى كثير من أحاديثه الشريفة أنه لا يريح رائحة الجنة من بات شبعان وجاره طاو ساغب ، بل يزيد رسول الله الحبيب صلى الله عليه وسلم الامر ايضاحا حيث يقول فى شـــأن الجار (ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه ســـــيورثه) أى يجعله وارثا ، ويقول عليه الصلاة والسلام (لا تشتر فاكهة فيخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، ولا تؤذه بريح قدرك الا أن تغرف له منها ، ولا تســـتعل عليه فى البناء فتحجب عنه الريح الا باذنه) وما الناس فى أى مجتمع الا جار ومجاور له .

وأما البذل القسرى بالتشريع الاسلامى فهو الزكاة وهى ضريبة لا بد منها تجبى بأمر الحكومة القائمة وتوزع على فقراء المسلمين وفى مصالح الشعب عامة ولها مصادر وموارد ومقادير مقررة فى الاسلام منذ بزوغ فجره ، قاتل عليهـــا أبو بكر رضى الله عنه ونفذ بذلك تعاليم القرآن ولم يسمح لغنى أن يغتال حق الله فى ماله مهما كانت سطوته وقوته ، وما هذا التشريع الحـــكيم الا تكوين لوزارة المالية الاسلامية تجبى من الاغنياء ما يرد على فقرائهم ، ويوم قام هذا التشريع الاسلامى لم يكن لدول تعد متحضرة الآن وجود فى الوجود .

أما بعد ، فهل لنا أن نتساءل ؟! الى متى يظل المسلمون فى أوضـــاعهم الماثلة ولديهم الامكانيات الروحية التى لا تطاول لدى الآخرين ، والقوى المادية التى لا تملكها ولا تحلم بها شعوب كثيرة على وجه البسيطة ، الى متى يبقون رعايا لا راعين (٤) ؟! أينقصهم العلم ؟ أيعوزهم العقلاء ؟ أهم فى قلة من عدد ؟! جواب كل ذلك لا ، فقد انتشرت المعرفة الحضارية فيهم منذ بدء الاسلام وأضافوا اليها حضارات أخرى وعلوما ومعارف أنتجتها العصور الحديثة (٥) وفيهم من العقلاء من يفوقون غيرهم فى كثير من أمم الارض وعددهم والحمد لله يجل عن الحصر ، فهل من مدكر ؟ ..

أم هناك قيود تعوق انتشار الحرية والاخاء والمســـــاواة بينهم ؟! حتى يعتدوا بأنفسهم ويقتحموا عقبات الحياة بكياسة وجراة ويمضوا الى حيث أراد لهم خالقهم الى الصدارة والكمال والقيادة ، لهذا حديث ســـيأتى حتى يرتبط عنوان البحث بصلب القول ومضمون الكلام فالى لقاء قادم ان شاء الله .

---

(٤) أقصد الصدارة الفكرية والرعاية بمعنى توجيه العالم كله الى نور الاسلام ، فهذه رسالة المسلمين كافة على اختلاف درجاتهم العلمية ومكانتهم الاجتماعية ، والعالم ينتظر المخلص الآن ولا هادى الى الصراط السوى الا الاسلام ..

(٥) وكانوا هم اللبنات الاولى لها .

أثر الفكر الإسلامي في الحضارة الأوروبية

للدكتور محمود محمد قاسم

ظلت الحضارة الاسلامية تسيطر على العالم طيلة خمسة قرون ، وكانت ممثلة للحضارة الانسانية طيلة العصور التى سيطرت فيها ، وما زالت اثارها واضحة فى هذه الحضارة ، اذ ان العناصر الحضارية الاسلامية قد دخلت ضمن التراث الانسانى وامتزجت بعناصر جديدة جاءت بها حركة النهضة الأوروبية منذ مطلع العصر الحديث .

ومن المؤكد ان حضارة المسلمين قامت على اسس مختلفة اهمها الدين الجديد الذى بعث امة العرب ، وربطها بكثير من امم المشرق والمغرب ، والذى غير معالم كثير من اقطار آسيا وافريقية واوروبا ، والى جانب هذا الأساس الاول وجد العرب والمسلمون اسسا اخرى لدى اليونان والفرس والرومان ، لكن المسلمين صبغوا هذا التراث الاجنبى المتعدد الاتجاهات بصبغة اسلامية ، وقد بدا أثر ذلك بصفة واضحة فى مختلف فروع المعرفة الانسانية ، ويكفى ان نشير هنا الى مساهمة المسلمين فى بناء الحضارة الانسانية فى الدراسات الفلسفية والالهيات والتصوف والاجتماع .

لقد اطلع مفكرو الاسلام على التراث الفلسفى الاغريقى ، وهو التراث الذى عرفت مختلف الأمم

اصالته وعمقه ، والـذى ما زالت تنم عنـه الاتجاهـات الفلسـفية المعاصرة .

لكن هذا لم يحـل دون ان يفطن المسلمون الى ما يحتوى عليه هـذا التراث الفكرى من عناصر يمكن ان توضـع موضع المناقشـة والنقد . وبعيد عـن ذهننـا ان نتطـرق هنـا الى الحـديث عن التفاصـيل الفنيـة فى دراسـة الفلسـفة اذ يخرج بنا هذا الحديث عن النطاق الذى أردناه لهذه الكلمة فيكفى اذن ان نشير مثلا الى ان الفيلسـوف الكندى فطن الى تناقض أرسطو فى فكرته عن العالم ، واخذ عليه ان هذا التناقض هو الذى صرفه عن تقرير فكرة وجود خالق لهذا الكون ، وان آمن بوجود اله عده هو غريبا عن الكون وجاهلا به ، وقد بنى الكندى نقده لارسطو على الربط بين فكرة المكان والزمان فما دام العالم فى رايه متناهيا من جهة المكان فلا بد له أيضا ان يكون متناهيا من جهـة الزمان ومعنى ذلك انه ينكر على ارسطو فكرته القائلة بان العالم قديم لا أول له ولا آخر من حيث الزمن .

كذلك نجد ابن سـينا وغيره من فلاسفة المسلمين لا يرتضـون فكرة ارسطو ، ولهذا الفيلسوف الاسلامى اراء علمية فى الدراسات النفسـية وله محاولاته القيمة فى طرق العلاج النفسانى وقد رأى ابن رشد كذلك نوعا من التناقض فى مذهب أرسطو عن النفس والعقل فارتضى مذهبـا خاصا مبتكرا يتلخص فى ان العقل ليس الا مظهرا من مظاهر النفس وان أرسطو الذى قال بامكان خلود العقل كان ينبغى له ان يقرر خلود النفس فى الوقت نفسه .

واكثر من ذلك نجد ان ابن رشد ـ الذى جهل المسلمون فضله ، بل اساءوا اليه حيا وميتا ـ قد حظى بشهرة عريضة فى العالم الغربى ، وأثر فى تفكير أوروبا تأثيرا كبيرا ابتداء من القرن الثالث عشر الميلادى ، أما شهرته فمرجعها الى انهـم يعدونه هنـاك الشـارح الأكبر لفلسـفة أرسطو ، وهذا حق لانه أفضل شراح هذا الفيلسوف ، اما تأثيره البـالغ فيمكن القول بانه سلك طريقتين . فمن جانب ابتكر ابن رشـد نظريته الكبرى فى التوفيق بين العقل والدين، وطبقهما تطبيقا ممتازا ومبتكرا على عقائد الاسلام ، فاخذها عنه مفكرو المسيحية وحاولوا تطبيقهـا على عقائدهم ، واشهر هـؤلاء المفكرين « توماس الاكوينى » الذى يعد ممثل التفكير الـكاثوليكى حتى عصرنـا الراهن ، غير أن هؤلاء الذين افادوا من نظرية ابن رشد لم يكونوا عدولا معه ، اذ سطوا على آرائـه جملة وتفصـيلا ونسـبوها الى انفسـهم ثم راوا ان ينسبوا اليه بدع المفكرين الخارجين على الكنيسة وان يحاربوه على انه امـام الملحدين فى العالم المسيحى، وبهذا يتبين لنا الطريق الآخر للتاثير الذى اشرنا اليه منذ قليل . ذلك ان الناقمين على رجال الكهنوت وجدوا فى شروح ابن رشد كما وجدوا فى آراء الفارابى مصدراً هاما يمكن ان تسـتمد منـه الحجج لمحاربـة المسيحية ، لـكن ابن رشد لا يعد مسئولا لمجرد انه شرح كتب ارسطو، بل الاولى ان تنسب المسئولية الى هؤلاء الذين استخدمـوا فلسـفة أرسطو استخداما خاصا ، وايا كان الأمر فان حركة احيـاء العلوم فى اوروبا وما تبعها من ظهور النهضة

الحديثة ترجع دون شك الى هذا التأثير غير المباشر الذى حرر اهل الفكر هناك من احتكار رجال الكهنوت للمعرفة الانسانية .

وينبغى ان نقرر ان مناهج علماء المسلمين وفلاسفتهم ساعدت على بعث الحركة العلمية فى أوروبا ، ذلك ان هؤلاء العلماء لم يقنعوا باتباع منهج ارسطو التقليدى بل اضافوا منهجا تجريبيا لم يكن للاوربيين عهد به وهو المنهج الذى نراه واضحا لدى الطبيب الرازى وابن الهيثم وغيرهما والذى اقتبسه روجر بيكون فى القرن الثالث عشر حتى وضحه من بعده فرانسير بيكون ومن جاء بعده من دراسى المنهج العلمى .

وبديهى ان هذا المنهج التجريبى كان العامل الجوهرى فى تطوير الحركة العلمية التى تقوم عليها الحضارة الحديثة ، وهو منهج عربى فى اصوله .

وللامام الغزالى محاولاته الموفقة فى الاخلاق والتصوف وشهرته فى هذين المجالين حقيقة معروفة ويعد كتابه احياء علوم الدين من أفضل ما كتب الاخلاقيون ففى هذا الكتاب نجد تحليلا نفسيا رفيعا لمختلف العواطف الانسانية وللمثل العليا التى ينبغى الوصول اليها قدر الاستطاعة لتحقيق سعادة الفرد والاسر والجماعة .

وفى الاحياء فصول رائعة يعرض فيها الغزالى بالتفصيل لموضوعات اخلاقية دينية ، كالصبر والاخلاص والصدق والعفو والايثار والتواضع ورياضة النفس ومجاهدتها والحب والمحبة والاخوة والصحبة والتوكل كما يحلل فيها كثيرا من الرذائل كالحسد والحقد والطمع والنفاق والكبر والعجب ...

هذا ونجد للغزالى فى مختلف كتبه فكرة اصيلة ثابتة وهو ان التصوف الاسلامى يجب ان يظل فى نطاق الاسلام واخلاقه ومثله ، وهو يفند تصوف القائلين بالحلول والاتحاد ويبين انه يتنافى مع العقيدة الاسلامية الواضحة التى تتخذ العقل حليفا لها ومما تجدر الاشارة اليه ان الغزالى التزم دائما مبدأ الجمع بين العقل والشرع ، والعقل عنده هو ميزان الحق الذى به نعرف الرجال بدلا من ان تتخذ اقوال هؤلاء مقياسا للحق .

أما تصوف ابن عربى فله آثاره العميقة فى نشأة الفلسفة المثالية فى أوروبا وهو يعد فى رأينا من طلائع الأدب الرومنتيكى .

أما فى علم الاجتماع فمن المؤكد ان مقدمة ابن خلدون تعد أول دراسة جدية ومنهجية فى علم الاجتماع وهى علمية لانها اعتمدت على منهج دقيق تتخذ فيه قوانين العمران من جهة الثبات ومن جهة التطور أساسا لفهم الحوادث التاريخية ونقدها وتحليلها وتصنيفها ، ووضع نظرية علمية لتفسيرها ، فابن خلدون قد سبق علماء الغرب حتى القرن التاسع عشر عندما تحدث عن ضرورة وضع منهج لعلم جديد مهمته معرفة احوال العمران الانسانى ، وهذا هو الشرط الاول فى السمو بالتاريخ الى مرتبة العلم بدلا من الاعتماد على مجرد السرد دون تمييز من صحيح الخبر وباطله فالتاريخ لن يكون علما الا اذا كان ذا طابع اجتماعى من حيث الاتجاه ومن حيث المنهج .

تلك أمثلة قليلة تكشف لنا عن أثر علماء المسلمين فى توجيه الفكر البشرى وهو كما نعلم عنصر اساسى فى كل حضارة ، وقد يتساءل المرء عن سبب ركود الفكر الاسلامى وتخلف الامم الاسلامية فى الناحية العلمية ان ذلك موضوع لدراسة اخرى غير انه يمكن الاشارة بصفة موجزة الى ان عوامل هذا الركود عديدة ومتشابكة . فمن ذلك الضعف السياسى الذى حل بهذه الامة وتحالف المستبدين على توجيه مصائرها يساعدهم فى ذلك ظهور طبقة من المفكرين الدينيين الذين اختلفت أهواؤهم ومذاهبهم ولكن اتحدت غاياتهم فى الحجر على التفكير الحر وهو مبعث كل تقدم علمى .

فاذا راينا نوعا من حرية التفكير والاتصال بالثقافات الأخرى كان لنا ان نتوقع ازدهار الحركة العلمية لدى المسلمين وظهور الاصالة والابتكار فى بحوثهم وانتاجهم ، ذلك اننا لا نؤمن بالاسطورة التى تفرق بين الشعوب بناء على اختلاف اجناسها . فالتفكير الانسانى وحدة شاملة تساهم فيها كل أمة بقدر طاقتها وتبعا للظروف الاجتماعية والسياسية التى تعيش فيها وقد تكون هذه الظروف مواتية وقد تكون معوقة .

غير انه يجب ان نفطن الى مسألة لها اهميتها وهى ان المذاهب الفلسفية فى الغرب ليست فى الواقع الا نوعا من الصراع الدائم هناك بين الدين والعقل مما يفسر لنا انه ليس من الضرورى ان يوجد هذا الصراع فى كل أمة وبنفس الصورة .

وان من يتتبع تاريخ المذاهب الفلسفية الغربية منذ عصر النهضة حتى وقتنا الحاضر سوف يرى ان هذه المذاهب تتأرجح دائما بين قطبى الايمان والالحاد .



بين السائل والفقيه

سأل سائل فقيها من الفقهاء : أين تجد فى كتاب الله « خير الامور أوسطها ؟ » قال : أجده فى قوله تعالى « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » .

قال : فأين تجد فيه « من جهل شيئا عاداه ؟ » قال : فى قوله تعالى « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه » .

قال : فأين تجد فيه « اتق شر من أحسنت اليه ؟ » قال : فى قوله تعالى « وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » .

قال : فأين تجد فيه « الجار قبل الدار ؟ » قال : فى قوله تعالى « رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة » .

قال : فأين تجد فيه : « ليس الخبر كالعيان ؟ » قال : فى قوله تعالى « أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى » .

قال : فأين تجد فيه « فى الحركات البركات ؟ » قال : فى قوله تعالى « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة » .

قال : فأين تجد فيه « حين تغلى تدرى ؟ » قال : فى قوله تعالى « وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا » .

قال : فأين تجد فيه « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ؟ » قال : فى قوله تعالى « هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل » .

قال : فأين تجد فيه « من أعان ظالما سلط عليه ؟ » قال : فى قوله تعالى « كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير » .

قال : فأين تجد فيه « لا تلد الحية الا حية ؟ » قال : فى قوله تعالى « ولا يلدوا الا فاجرا كفارا » .

قال : فأين تجد فيه « للحيطان آذان ؟ » قال فى قوله تعالى « وفيكم سماعون لهم » .

قال : فأين تجد فيه « الجاهل مرزوق والعالم محروم ؟ » قال : فى قوله تعالى « قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا » .

قال : فأين تجد فيه « الحلال يأتيك كفافا ، والحرام يأتيك جزافا ؟ » قال : فى قوله تعالى « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم » .

المادية

في مظاهرها وآثارها

١ـ مظاهرها في الإيمان بالله

للدكتور : محمد البهي

« مادية » الاتجاه فى الايمان بالله صورة من صور « المادية » فى اتجاه الحياة والنظرة اليها . و « المادية » فى اتجاه الحياة والنظرة اليها قصر الايمان على ما يحس ويشاهد : يحس بلمس اليد ، ويشاهد برؤية العين ، ونفى كل ما وراء مستوى لمس اليد او رؤية البصر ، وانكاره انكارا شديدا ، لا يقبل المناقشة والمراجعة .

والماديون الذين ينكرون ما وراء لمس اليد أو رؤية العين ليسو بعيدين عن « الخرافة » وتصديق « الوهم » و « الخداع » . بل طالما كان الامر ماديا يلمس أو يشاهد بالبصر فهو موجود ، وفى وجوده قد يكون غير عادى ، وقد يكون موضوع ايمان يتجاوز به حقيقته الى ما يصبح أن يكون خرافة ، أو وهما أو خداعا يجسد .

و « الوثنية » فى قديمها ومعاصرها تعبر عن أمرين :

عن (١) مادية الايمان ،

ثم عن (٢) الايمان بالخرافة فيما هو مادى .

... فليست الوثنية الا « الاعتقاد » فيما ينفع بغية الحصول على نفع منه ، او فيما يضر اتقاء ضرره . والوثنية المصرية القديمة ، وكذا الوثنية الفارسية او الزرادشية ، ثم الوثنية الاغريقية ، كل منها تنبىء عن الاعتقاد فى موجود مادى يحج اليه أو يتقرب منه واليه ، وله قداسة المعبود . لأنه موضع الرجاء والامل او موضع الخشية والخوف ، لدى من يعبده ويقدسه ، وهو ذلك صاحب الاتجاه المادى فى الايمان .

والاحجار والاصنام ، وأنواع الحيوانات ، والنار ، والانهار ، والصحراء ، وغيرها من معالم الوجود الطبيعي المادى كانت تعبد وتقدس للأمل والرجاء فيها مرة ، وللخوف والخشية منها مرة أخرى .

وآلهة قدماء المصريين . وفى مقـدمتهم : ازيس وأوزريس — كانوا من الانسان العادى فى طبيعته وخصائصه ، ولكن الملك ، والسلطان ، والسيطرة جعلتهم موضع رجاء أو خشية وأصحاب نفع يرتقب أو خوف يتقى ، حتى أضفى عليهم جاههم وبأسهم وارتفاع منزلتهم فى التخيل « خرافة » الالوهية . ثم أوحت هذه الخرافة بالايمان والاعتقاد بأنهم فوق البشر وموضع العبادة .

والكنيسة — يوم غلب عليها الاتجاه المـادى — فجسمت الالوهية فيهـا وجعلت نفسها جسما حلت فيه « روح الاله » ومنحت لتصرفاتها « العصمة » وحق سماع « الاعتراف » واعطاء صـكوك الغفران .. نقلت الى « ألوهيـة المسيحية » مادية الوثنية الرومانية — والاغريقية قبلها — وأنزلت « السماء » الى « الارض » وحولت الانسان عليها الى « اله » أو شبه « اله » فى قداسته واحترامه والطاعة له . وبذلك أصبحت صاحبة اتجاه مادى فى الايمان .

والغلاة الذين قالوا « بحلول الله » فى الامام وأعطوه « حق الشفاعة » قربوا الاسلام الى مادية الاتجاه فى الايمان وأنزلوه الى « وثنية الانسان » .



ومظاهر المادية فى الايمان بالله على عهد الرسالات تعود جميعهـا الى مطلوبات تلمس وتشاهد ، يطلبها المعارضون الماديون كوسيلة فى رأيهم الى اتباع الدين والرسالة السماوية ، يطلبون :

أ) رؤية الله جهرة ، أو :
ب) الحديث مع الله مشافهة ، أو :
جـ) انزال الملائكة الى الارض ، أو :
د) تفجير المياه فى الصحراء ، أو :
هـ) انشاء حدائق فى الفيافى القفر تتخللها القنوات والانهار ، أو :
ز) استبدال الذى هو أدنى من الطعام بالذى هو خير منه ، أو :
ح) الصعود الى السماء وتوثيق هذا الصعود فى كتاب يقرأ ، أو
ط) تنفيذ الوعيد باسقاط السماء كسفا وقطعا على المعارضين .

والقرآن الكريم يقص فى قصص الرسل ما تعرضوا له من أصحاب الاتجاه المادى فى الايمان من انكار وتعنت ، ومن تحد فيما طلبوه يرجع بخصـائصه الوجودية الى الحس والعيان وحده .

وقصة ابراهيم — عليه الصلاة والسلام — فى قومه تصور « الوثنية » القديمة فى الايمان ، كما تصور دوافعها لدى الوثنية ، وهى دوافع الحصول على منفعة أو اتقاء مضرة وأخيرا تتشكك فى أن يكون أصحاب هذا الاتجاه ممن يفضلون الذين يقيمون الحقائق بما لها من خصائص ذاتية وحدها :

يقول القرآن الكريم فى التعبير عن هذه القصة فى سورة الانبياء :
« ولقد أتينا ابراهيم رشده من قبل ، وكنا به عالمين .

١ — « اذ قال لأبيه وقومه : ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ؟.
قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين .
« قال : لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين . قالوا : أجئتنا بالحق ، أم أنت من اللاعبين ؟
« قال : بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن ، وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتا لله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين .
« فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم ، لعلهم اليه يرجعون .
« قالوا : من فعل هذا بآلهتنا ؟ انه لمن الظالمين . قالوا : سمعنا فتى يذكرهم ، يقال له : ابراهيم . قالوا : فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا : أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟ قال : بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا الى أنفسهم فقالوا : انكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رءوسهم ، لقد علمت ما هؤلاء ينطقون .

٢ — « قال : أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ؟

٣ — « أف لكم ، ولما تعبدون من دون الله ، أفلا تعقلون » (١) .

... فالقصة تحكى : أن قوم ابراهيم كانوا يعبدون الاصنام من دون الله : « ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون » . وأنهم كانوا يرجون من عبادتها اما النفع أو خشية الضرر : « أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم » فاذ ينفى هنا ابراهيم أن هذه الاصنام التى يعبدونها هى فى واقع الامر لا تنفع ولا تضر ، يقرر الحقيقة فى ذاتها ، ولكنه فى الوقت نفسه يصور اعتقادهم فى نفعها وضرها . وأخيرا تحكى هذه القصة التنديد بالوثنية فى عبادة الاصنام ، وتجعل عباد الاصنام فى مستوى أدنى من مستوى العقلاء من البشر : « أف لكم ولما تعبدون من دون الله ، أفلا تعقلون ؟ » .

وفى سور أخرى عديدة يذكر القرآن الكريم تحديات المعارضين والكافرين فيما يطلبونه من أدلة مادية حتى تكون وسيلة للاقتناع بدعوة الرسول المرسل اليهم : فيذكر فى سورة البقرة قول الله تعالى على لسان المعارضة لموسى عليه الصلاة والسلام :

« واذ قلتم : يا موسى ! لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة (عيانا ومشاهدة) » (٢) .

وعلى لسانهم أيضا :

« واذ قلتم : يا موسى ! لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك : يخرج لنا مما تنبت الارض من : بقلها وقثائها ، وفومها وعدسها ، وبصلها قال : أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » (٣) .

فقد طلب معارضو موسى عليه الصلاة والسلام من الماديين الذين عبدوا العجل « ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا ، وكذلك نجزى المفترين (٤) فى تحديهم لرسالته : أن يريهم الله جهرة وعلنا مرة ، وأن يغير طعامهم من المن والسلوى بالبقول والقثاء والثوم والعدس مرة أخرى .

---

(١) الانبياء ٥١ — ٦٧ .
(٢) البقرة ٥٥ .
(٣) البقرة ٦١ .
(٤) الاعراف ١٥٢ .

ويذكر فى سورة المائدة ما طلبه الحواريون من عيسى عليه السلام تطمينا لقلوبهم فى علاقتهم به واستكمالا لتصديقهم برسالته ، من انزال مائدة من السماء :

« اذ قال الحواريون : يا عيسى ابن مريم ! هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال : اتقوا الله ان كنتم مؤمنين . قالوا : نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقتنا ، ونكون عليها من الشاهدين » (١) .

وفى سورة الاسراء يجمل أنواع التحديات المادية التى واجه بها المشركون رسول الله محمدا عليه الصلاة والسلام فى قول الله تعالى :

« ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ، فأبى أكثر الناس الا كفورا (أى برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام) . وقالوا : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب ، فتفجر الانهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء ــ كما زعمت ــ علينا كسفا ، أو تأتى بالله ، والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى فى السماء ، ولن نؤمن لرقيك ، حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه » (٢) .

وكرر بعض هذه التحديات فى آيات أخرى . فى قوله :

وقال الذين لا يرجون لقاءنا (وهم المشركون الوثنيون) :

« لولا أنزل علينا الملائكة ، أو نرى ربنا ! » (٣) .

وفى قوله :

« وقال الذين لا يعلمون (وهم المشركون الوثنيون) : « لولا يكلمنا الله ! أو تأتينا آية ! (أى معجزة مادية مما طلبوها من قبل) كذلك ، قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت قلوبهم ، قد بينا الآيات لقوم يوقنون » (٤) .

... فالمعارضون لرسول الله ، عليه الصلاة والسلام ــ من المشركين وهم الوثنيون الماديون ، وهم بحكم اتجاههم المادى لا يؤمنون بالآخرة : « وقال الذين لا يرجون لقاءنا » ، كما لا يعلمون الحقائق فى واقع أمرها : « وقال الذين لا يعلمون » تحدوه عليه الصلاة والسلام بطلب :

اخراج الماء من صحراء ، أو بتحويل بعض الارض القاحلة الى حدائق تتكاثف فيها أشجار الفاكهة من نخيل وعنب ، كما تتخللها القنوات والانهار ، أو بتحقيق وعيد الله للمعارضين باسقاط السماء عليهم قطعا قطعا ، على نحو ما جاء فى سورة سبأ :

« أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ؟ ان نشأ نخسف بهم الارض ، أو نسقط عليهم كسفا من السماء ، ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب » (٥) .

أو برؤية الله جهارا وعيانا ،

أو بقدوم الملائكة أفواجا الى الارض ومشاهدة الناس اياهم ،

---

(١) المائدة ١١٣ .

(٢) الاسراء ٨٩ ، ٩٥ .

(٣) الفرقان ٢٢ .

(٤) البقرة ١١٨ .

(٥) سبأ ٩ .

أو باقامة منزل من ذهب ،
أو بالصعود الى السماء والنزول منها وتوثيق هذه الرحلة بما يؤكدها .
... وهى طلبات مادية ، لأن وسيلة الاقناع لديهم لا تخرج عن الحس والشاهد .



والعقلية المادية تصور عقلية الطفولة البشرية فى الادراك ، وهى عقلية تقف عند الحس والشاهد ، وتتأثر فى الحكم بالحس والشاهد وحدهما . والطفولة البشرية فى الادراك توجد أينما توجد « الانانية » . والطفل الصغير أنانى بحكم تطوره ، والانسان البالغ صاحب الطفولة البشرية فى الادراك هو أنانى أيضا بحكم وقوف تطوره عند الحس وحده .

والمجتمع الانسانى لا يخلو من طفل صغير وكبير ، ولا يخلو من أنانى . ولذا فهو لا يخلو من مادى فى الايمان ، ولا يخلو من مشرك أو وثنى ولا يخلو من ملحد ومتحد ، ولا يخلو من كافر ومعارض : « ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه ، حتى تأتيهم الساعة بغتة ، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم » (١) .

فيقرر القرآن الكريم أن الشك فى القرآن — وهو آخر صورة للاسلام فى رسالة الله — لا يزال باقيا الى قيام الساعة ، يباشره الكافرون والمعارضون .

ومعنى ذلك : أن الكفر موجود وسيظل موجودا . وتبعا لذلك سيبقى الشك فى قيمة القرآن : اليوم ، وغدا ، كما كان بالامس .

ومن ينتظر زوال الطفولة البشرية فى الادراك من المجتمع الانسانى كمن ينتظر زوال المرض منه كلية أو زوال الفقر والحاجة الى غير عودة ، أو زوال الانانية والانتهازية والنفاق والجبن . . الى غير ذلك من الصفات التى يدل زوالها على السلامة التامة والكمال فى الانسانية .

ان الطفولة البشرية فى الادراك مرض فى تطور الانسان ، شأنها شأن أى مرض آخر يعجز الانسان عن حركة البدن أو اللسان ، أو أى عضو من أعضاء الجسم ويمنع مباشرته لمهمته الخاصة . هو ظاهرة « جمود » فى التطور العقلى . بدليل أن الذى يقف بتفكيره عند الحس أو عند الامر المادى قد يعتقد فى الوهم والخداع ، على أن أيا منهما حقيقة واقعة . والوثنى القديم ، والوثنى المعاصر كلاهما لا يتحرك فى ادراكه الى ما وراء الحس ، ومع ذلك يؤمن بأن انسانا ما معصوم فى قوله ، وصاحب نفع وضر ، وله قداسة ترفعه فوق المستوى العادى للانسان . والاعتقاد فى الوهم أو الخداع على أنه حقيقة واقعة ظاهرة تشير الى « التأخر والتخلف » أو الى « الجمود » فى التطور العقلى ، وبالتالى الى وجود الطفولة البشرية فى الادراك .

وفيما تقوله الآية الكريمة :

« ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى

---

(١) الحج ٥٥ .

يكونوا مؤمنين . وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ، ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » (١) .

... من أن محيط المشيئة الالهية أوسع من الواقع فى حياة البشرية ، يشير الى أن هذا الواقع تحكمه خصائص الطبائع . ومن بين هذه الخصائص فى المجتمعات الانسانية تفاوت الناس فى درجات الادراك وفى مستويات السلوك . ولذا لا يكون الناس جميعا مؤمنين بالله ، كما لا يكونون جميعا كافرين به ، ولا كلهم أصحاب روح جماعية فى سلوكهم ولا أيضا أنانيين فى السلوك .

ولذا فالرسول الداعى عليه الصلاة والسلام لا يستطيع — وليس من حقه كذلك أن ينتظر — أن يحمل جميع الناس على الايمان بالله ولا أن يراهم يوما ما مؤمنين ، لم يتخلف منهم أحد : « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .

والايمان بالله هو من نصيب البعض منهم ، كما أن الكفر به من نصيب البعض الآخر . والكفر لا يكون الا من نصيب المتخلف فى ادراكه أو المادى فى تفكيره ، أو الانانى فى سلوكه : « وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله » . وهى تلك النفس التى تطورت فى ادراكها ولم تقف به عند حد الادراك الحسى ، وتجاوزت مرحلة الطفولة البشرية : ان فى التفكير أو فى السلوك . « ويجعل الرجس (العذاب) على الذين لا يعقلون » . وهو رجس الكفر وعذابه . وهو من نصيب الذين « لا يعقلون » . أى لم يسيروا فى تطور التفكير الى مرحلة « العقل » و « الرشد » الانسانى . وانما بقوا فى حدود المرحلة السابقة على مرحلة العقل والرشد ، وهى مرحلة الطفولة البشرية والتخلف فى التفكير ، والانانية فى السلوك . ومظهر هذا التخلف هو الميل الى الاتجاه المادى والارتباط بالمحسوس فى الادراك والسلوك معا .

وكذلك فيما يؤخذ من هذه الآية :

« ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ، ولكن يدخل من يشاء فى رحمته ، والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير » (٢) .

... من استحالة جمع الناس جميعا فى أمة واحدة — هى أمة الايمان أو أمة الكفر — يعود أيضا الى خصائص الطبائع للافراد التى هى متنوعة ومختلفة ، بل وقد تكون متأخرة . واذا كانت الآية بمنطوقها تقرر أن الذين ينتمون الى « أمة الايمان » هم ممن شملهم الله برحمته ، بينما الآخرون ليس لهم من ولى ولا نصير ، لأنهم ظلموا أنفسهم ، والكفر بالله كان عملية ظلم ارتكبوه ضد أنفسهم هم .. فواقع هؤلاء وهؤلاء أن لكل منهم عملا يسند اليه ، وهو عمل ارادى .. هو الرغبة — أو عدم الرغبة — فى تخطى الحواجز والمواقع التى تقف بالانسان فى دائرة الطفولة البشرية . وهى عوامل : « الالف » والعادة والاستقرار أو الركون الى « عقيدة » ما يحول التثبت بها دون الوقوف موقف « التجرد » فى النظر والحكم .

وشمول الله سبحانه وتعالى برحمته فريقا من الناس لا يعنى سلب ارادتهم فيما يتصفون به من صفات مميزة لهم ، كصفة الايمان هنا . فهم فى ايمانهم لهم ارادة وعمل ، كما لأولئكم الذين ظلموا أنفسهم بالكفر ، لهم عمل وارادة فى كفرهم .

(البقية فى العدد القادم)

---

(١) يونس ٩٩ ، ١٠٠ .

(٢) الشورى ٨ .

بني الإسلام

عزفت عن الهوى وطويت نفسى   وعفت مدامتى وحطمت كأسى
ألهو والأسى يدمى فؤادى   وأطرب والعدو اجتاح قدسى ؟
فلا والله لن أرضى حياة   وشيب العار جلل كل رأس
متى نصحو ونبعث بعد موت   ويغدو يومنا عطرا كأمس ؟
متى نجتثها فتنا عظاما   ونودعها هناك بعقر رمس ؟
حزازات غدت ترتاد فينا   فكم باضت ، وكم بشرت بفقس،
بنى الاسلام كفوا عن خلاف   فان الخلف أزهق كل نفس
فهل نرنو الى نصر وانا   لنصبح فى انشقاقات ونمسى
ولو أنا عزفنا عن صغار   لما حلت بنا أيام نحس
بنى الاسلام لا تذروا وحوشا   فأعداء السلام منوا بمس
بنى الاسلام قد وضحت نوايا   صهاينة ألا باءوا بتعس
فهم قد أحرقوا مسرى رسول   فلا تأسوا فما يجدى التأسى
وما يجدى بكاء أو وعيد   وما تجدى شكاة عند خرس
ولكن قوة ومضاء سيف   كما سقناه فى « تتر » « وفرس »
همو باعوه للشيطان زهدا   فبئست صفقة تمت ببخس

للأستاذ : محمد علي مكي

همـو عاثوا كما ازدادوا عتـوا ... وقدس الله يأبى أى بـأس
وهـم تخذوا مـن الدولار ربـا ... أليسـوا العـابدين لكل فلس ؟
قديمـا ألهو عجـلا فحقـت ... عليهم لعنـة ورمـوا برجس
وأنفسهم أبت منا وسـلوى ... وتاقت ـ من خباثتها ـ لعـدس
فكم ظلموا ، وكم قالـوا لموسى ... : ألا أرنـا الالـه بغيـر لبس
أما قد قتلـوا رسـلا كرامـا ... كما نالـوا المسيح بكـل دس
عجبت لطغمـة راحت تبـاهى ... وتزعم أنهـا مـن خيـر جنس
فسممت الميـاه بكـل عيـن ... وألحقـت السـواد بـكل شمس
وراحـت تخلع الزيتـون حتى ... تبـث سـواه من شر وبؤس
فيـا أتباع ((أحمد)) أين أنتـم ... أما زلتـم بلا وعـى وحـس ؟
ويا أتباع ((عيسى)) هل وعيتـم ... وما صنعـوا براهبـة وقـس
فهل ترجون بعد اليوم نصـرا ... وأنتم فى الأرائـك والدمقـس ؟
غـدا سـيعود اشراق ومجـد ... بقعقعـة المشـارف لا بهمـس
فيـا قـوم اتقـوا ربـا والا ... فبطن الأرض يشجب كل حـدس
فاما النصر أو فالعـار يبقى ... اذن واللـه ما كنـا بـانس

مع الدكتور صاحب

محاولة لتفسير عصري للقرآن

للدكتور : محمد سعيد رمضان البوطى
المدرس بكليتى الشريعة والآداب ــ جامعة دمشق

كنت ، ولا أزال ، أتابع هذا الذى يكتبه الدكتور مصطفى محمود فى (صباح الخير) حول محاولته العصرية لتفسير جوانب من القرآن .
ولم يكن لدى ما يدفعنى الى تتبع فصوله هذه لولا أنها ذكرتنى باليوم الذى عرفت فيه هذا الرجل من خلال أول شىء قرأته له ..

كنت اذ ذاك فى القاهرة ، فى عام ١٩٥٧ ، وفى بارقة زمنية قصيرة ، لمع واختفى كتاب اسمه « الله والانسان » لمصطفى محمود ، ولم تطل هذه اللمحة الزمنية أكثر من ثلاثة أيام ، فقد صودر الكتاب وجمعت نسخه المنتشرة فى كافة المكتبات والاكشاك .

وقد وقع الكتاب فى يدى ، فأتيح لى أن أتصفح معظمه .. لقد كان الكتاب محاولة عصرية أيضا ، ولكنها محاولة لتفسير الحقيقة الالهية وعلاقة الانسان بالله .. وانتهى الكاتب الصحفى من محاولته هذه الى أن الله عز وجل ليس الا وهما جسدته الحاجات المختلفة لدى الانسان ..!!

وانطوى عنى اسم مصطفى محمود ، فى تلافيف هذا الكتاب الذى انطوى من السوق خلال ثلاثة أيام من ظهوره ، الى أن انتشر من جديد فى محاولته العصرية الثانية ..

ورأيته فى محاولته الثانية هذه يمزق كتابه الذى نشره قبل ثلاثة عشر عاما صفحة صفحة ، ورأيته من خلال كل سطر يكتبه فى مقالاته الجديدة اليوم يستغفر الله من اللغو الذى خاض فيه بالامس ، ورأيته لا يستشهد بالآية من القرآن الا ويقول فى رأس كلامه عنها : يقول ربنا جل جلاله ، أو يقول أحكم الحاكمين جل جلاله .. يؤكد بذلك نسبة هذا الكتاب الى الخالق عز وجل .. ورأيته لا يقف عند حد الايمان بالله وكفى ، ولكنه يأبى الا أن يوضح بالدليل العلمى الذى لا يقبل الريب أن هذا الكتاب ليس من صنع محمد صلى الله عليه وسلم ، وما ينبغى وما يعقل أن يكون من صنع بشر .. ورأيته يلمس بفكر متشبث مطمئن ، وبنفس منتشية راضية كثيرا من أماكن الاعجاز فى القرآن ، ورأيته يلح فى محاولة تنبيه العقول الى الحقائق العليا التى تنبه اليها عقـله ، ووعاها فكره واستيقنتها نفسه ..!!

ثم تابعته ، وهو يتحدث فى جانب آخر من أخطر وأهم الجوانب التى عالجها كتاب الله عز وجل .. جانب التسيير والتخيير فى حياة الانسان ، وأمسكت قلبى بيدى وأنا أسير متئدا وراء محاولته الخطيرة هذه .. ولكنى والله رأيت الرجل الذى كان يحاول بالامس أن يجعل من حقيقة الله عز وجل وهما فى حياة الانسان ، يجعل من حقيقة التيسير والتخيير فى حياة الانسان أكبر شاهد على عظمة الخالق وعدله ، ورأيته وهو يتناول آيات القرآن المتعلقة بهذا الموضوع يعالجها على ضوء مصباح يتقد ايمانا ويقينا بالله عز وجل .

ومضيت أتابع سيره الجديد ، على درب الايمـان بالحقيقة العظمى التى ينبغى أن يضل عنها أى عقل ، فرأيته يتحدث عن الانسان ونشـأته كما يقرر القرآن ، ورأيت الرجل وهو يعالج هذا البحث كأنما تتنازعه أفكار وفرضيات مختلفة تطوف كلها مجتمعة فى رأسه ، وهو يريد أن ينفلت منهـا ليتفرغ الى وحى هذه الآيات ، وينصت الى صريح قرارها وواضح تبيانها ، ولـكن تلك الافكار والفرضيات لا ترتد عنه الا وهى مقبلة اليه ، ولا تدع رأسه الا وفى أذنيه منها وسوسة وطنين ..

فكان أن انتهى من محاولته فى تفسير الآيات المتعلقة بنشأة الانسان ، الى ما يشبه من يريد أن يعقد صلحا بين مجموع هذه النظريات والفرضيات ، وما يقرره كتاب الله تعالى فى يقين وحزم ..

ثم انطلق ينفض يديه من هذه المشكلة والخصومة التى عز عليه أن يجد فيها غالبا ومغلوبا ..

لم أعلق كبير اهتمام على هذه الظاهرة التى تجلت خلال محاولة كاتبنا المؤمن ، بل السعيد بايمانه ونشوة يقينه ، فطبيعى جدا أن يتقابل ايمانه الغض مع رواسب فكرية مختلفة تجمعت فى قاع نفسه خلال مغامراته الثقافية والفكرية المختلفة ، وطبيعى جدا أن يتزاحم القديم والجديد بين جوانحه الى حين ، وأن يتقاربا الى بعضهما كلما سنحت فرصة ، عسى أن يتعارفا فيتحدا فى ظل تعايش سلمى معقول .. ولكن الرواسب ستضطر أخيرا الى أن تهاجر من موطنها الذى طالما تمكنت فيه .. لقد كان يتاح لها أن تعيش وتستوطن فى ذلك الفراغ الرحيب من الشك .. والشك خير مهاد يترعرع فيـــه مختلف النظريـــات والفرضيات والاوهام ، وعندما يعمد يقين الايمان الى اقتلاع هذا الفراغ واقصائه من طوايا النفس ، فانه يقصى معه أيضـــا كل ما ترعرع وتجمع فى داخله من الاوهـــام والفرضيات ..

ثم رأيت الكاتب ينتقل من مجالات العقيـــدة فى القرآن ، الى البحث فى تشريعاته وفلسفة أحكامه ، ورأيته يتناول حديث الحلال والحرام فى القرآن .

وأمعنت ، فرأيت النقلة بين أحاديثه السابقة فى العقيدة والايمان ، وحديثه الجديد عن السلوك والمعايير نقلة بعيدة وعويصة ..

انه يريد أن يفصل بين الوسيلة والغاية فى أمر السلوك وأغراضه السامية أى أنه يريد أن يثبت بأن السمو النفسى والنظافة الانسانية ، من اليسير عليهما أن يتحققا دون وساطة قنطرة من القيود السلوكية المعينة .. فمن اليسير أن يتعفف كل من الرجل والمرأة ، ويترفعا عن الجنوح الشهوانى وقبائحه ، دون أن يقوم بينهما حاجز من حراسة الحجاب أو تنظيم السلوك أو ضبط الحريات .. ومن اليسير أن تتلاقى الاجسام العارية على الشطآن الملتهبة ، وتكون أفـــكار الجميع منصرفة مع ذلك الى زرقة السماء ، وآيات الله المنبسطة على صفحة البحر .. وهكذا يستطيع الانسان أن يمارس حريته فى الانطلاق أمام الدوافع المختلفة لأى تطور من التطورات العصرية ، ويحافظ فى نفس الوقت على الغايات السامية العليا التى قامت عليها شرعة الحلال والحرام فى القرآن ..

لم أعجب لهذا الكلام قط .. ولم أجد فى بعد النقلة والفجوة بين طبيعـــة مقالاته السابقة وحديثه الجديد هذا أى شىء يدعو الى الاستغراب .

ولقد قال لى بعضهم أرأيت ؟ لقد كان الرجل يمهد فى كتاباته الاولى لهذه المكيدة التى طرحها فجأة بعد أن تكاثرت الانظار من حوله ، لتجد أمامها مزيدا من الرواج ، وسبيلا أعرض الى النفوس ..

قلت لا .. ان الرجل كان صادقا مع نفسه فى كتاباته الاولى ، وهو صادق مع نفسه فيما كتبه اليوم . ولـــكن السر فى الفجوة التى قامت بينهمـــا تتمثل فيما يلى :

أولا : ان محاولة التخلص من العقائد والافكار الباطلة ، أيسر بكثير من محاولة التخلص من السلوك المنحرف ، فالتحرر من الاولى لا يكلف صاحبها أكثر من يقظة تامة فى الفكر والعقل .. ومتى استيقظ العقل اندفع بطبيعة الحال الى اطراح الزيف واعتناق الصحيح ، أما التحرر من السلوك المنحرف فانه يكلف

صاحبه جهدا عظيما يقع أهم أعبائه على النفس ، ويذهب ضحيته كثيرا من شهوات الانسان وأهوائه ، وهيهات أن يقوى كل انسان على مثل هذا التحرر الذى يكلفه كل هذا الجهد .

لذلك كان الفارق بين الايمان بالفضيلة وتطبيقها ، فارقا عظيما .. الايمان بالفضيلة شيء سهل على الفكر والعقل لا يكلفهما أى قيد أو فطام .. فمن أجل ذلك كان المؤمنون بها هم أكثر المنصفين من الناس ، أما تطبيقها فأمر عسير على النفس وأهوائها يكلفها أن تنفطم عما لا صبر لها عنه ، ولذلك كان الذين يمارسونها ويأخذون أنفسهم بها طائفة يسيرة من الناس .

وهذا ما يعبر عنه المربى الفرنسى جان جاك رسو عندما يقول « كم قيل وأعيد القول عن الرغبة فى اقامة الفضيلة على العقل وحده ، ويا له من أساس متين .. أى أساس هذا ؟ ان الفضيلة كما يقولون هى النظام ، ولكن هل يستطيع الايمان بالنظام أن يتغلب على مسرتى الخاصة ؟ » .

ثانيا ــ لقد عاش الرجل فى خضم هذه المظاهر التحررية دهرا طويلا من الزمن ، واستيقظ على ايمانه بالله وعقيدته بشرعته وأحكامه ، وان هذا الخضم يتلبسه من كل جوانبه وأطرافه .. ولا يتأتى له أن يتخلص منه الا فى صورة التخلص من الحياة نفسها بأبسط أشكالها ومظاهرها .. ثم انه رأى من طول مراسه لهذه المظاهر السلوكية المتحررة ، واستمرار ألفه لها ، انها فقدت القدرة على أن تتدخل الى الفكر بأى محاولة تغيير أو اثارة . فمن اليسير على الانسان المفكر بنظره أن يختط لنفسه السبيل الفكرى الصحيح ، فى نجوة عن تأثير تطورات العصر وتقاليده ..

ولقد رأى هذا الامكان بعينه .. ألم يتفتح عقله للهداية والايمان ، وأشرب قلبه حب التعلق بكتاب الله تعالى ، والعكوف على دراسته ، وهو يلبس هذا الثوب المنسوج فى سداه ولحمته من أقصى مظاهر التحرر السلوكى ، التى تفور بها المكاتب والردهات المحيطة به ؟

اذا ، فلقد تحققت الغاية بدون التعب وراء أى وسيلة مما أنيط به حكم الحلال والحرام .

أقول هذا الكلام اعتذارا عن الذى وقع فيه كاتبنا الحر الصادق مع نفسه فيما أعتقد .. لا اعتذارا عن الحقيقة نفسها ، فالحق لا محيد عنه فى حال من الاحوال ، ومهما تجمعت الاعذار ، فانها لن تقوى على نسخه أو تغييره ما دامت هناك حقيقة ذاتية مطلقة ، وليست أمرا نسبيا موقوتا .

ولذلك فلا بد من أن أضيف الى اعتذارى عن الدكتور مصطفى فيما قاله عن الحلال والحرام ، مناقشة سريعة حول البحث نفسه .

لن أتحاكم معه الى النصوص القرآنية ودلالاتها ، ولا الى الحدود والضوابط التى يجب على الانسان التزامها لدى تفسير الالفاظ وأخذ المعانى منها ، ولا الى القواعد المعروفة فى كيفية الاخذ بدلالات الالفاظ ، وهى القواعد التى ان لم يأخذ بها المتكلم أو السامع انقطعت صلة التفاهم بينه وبين الآخرين ، وأصبحت اللغة التى تشيع بينهم ــ أيا كانت ــ كلاما فارغا لا طائل تحته ولا مدلول له .

أجل .. ان الانسان عندما يسمع هذه الآية « قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها » ثم يخرج فى تفسير الفقرة الاخيرة منها عن سلطان اللغة ودلالتها ومنطوقها ومفهومها ليستخرج منها دلالات أخرى بدلا منها ، فمعنى ذلك بكل بساطة ووضوح أنه يعلن عن عدم

حاجته الى اللغة وسيطا بينه وبين أفكار الآخرين ، ومعنى ذلك أيضا أن الله عز وجل قد رصف كل هذه الالفاظ والجمل الى جانب بعضها دونما حاجة اليها ، وقد كان أحرى به أن يقول بدلا عن كل ذلك قل للنساء يتعففن . . !!

أقول : لا أحب أن أناقش الدكتور من هذا الجانب .. فربما كان الرجل بعيدا فى اختصاصه العلمى عن الخوض فى هذا المجال الذى قد لا يصلح للخوض فيه الا علماء التشريع .

ولكننى أسير معه فى الطريق الآخر الذى فضل أن يسير فيه الى نظريته الطريفة عن الحلال والحرام ، وقد كانت طريقته الفضلى اليها التحليل النفسى .

يرى الدكتور مصطفى أن المهم فى أحكام الحلال والحرام فى القرآن أن يسمو الانسان الى صعيد من التربية الانسانية الفضلى ، فليس المهم فى تحريم النظر الى مفاتن المرأة الاجنبية ألا يحدق النظر فيها بعينيه ، ولكن المهم ألا ينحرف معها الى ممارسة أى رذيلة ، وليس شيئا مرضيا عند الله أن يغمض عنها عينيه فى الوقت الذى ينحط معها الى ارتكاب الفواحش .

وهذا كلام صحيح ! ولكن صحة هذا الكلام لا تستلزم امكان التلاعب بالحكم اطلاقا ، وهنا تبرز نظرية الكاتب أنه يريد أن يقول اذا عرفت الغاية من شرعة الحلال والحرام ، فلنركز على الغاية دون أن نضيع وقتا طويلا أو قصيرا فى وسائلها الشكلية التى لا معنى للتقيد بهـا الا التخلف عن مقتضيات التطـور والانحباس فى أقفاص من النظم والعادات العتيقة ، وعلى هذا فان كل ما يطالب به ذلك المسلم الذى يتقلب على رمال الشاطىء فى الاسكندرية هو أن ينظر الى الاجساد العـارية من حوله ببراءة وطيب خاطر ، وأن يسمو بنفسـه وفكره صعدا ..

فنظرية الكاتب تنحصر فى دعوى امكان تحقيق الغايات الانسانية دون الاستعانة بشىء من وسائلها ، وهذا ما نخالفه فيه ويخالفه فيه كل باحث .

ان السارق لا يعتبر سارقا بنظر كل من الشريعة والقانون الا اذا استل المال من حرز مثله ، واللوم الذى يقع على صاحب المال بسبب عدم حفظه له أكبر من اللوم الذى يقع على السارق الذى أخذه من الارض بدون حق ، مع أن السارق كان بوسعه أن يسمو عن ارتكاب هذه الجريمة دون الحاجة الى اخفاء المـال عنه .

والمجرم لا يعتبر مجرما يقع تحت طائلة العقوبة القانونية الا اذا كان قد ارتكب جريمته فى ظروف أمكنته من الاطلاع على عقوبتها المقررة ، ومهما قيل عن ضرورة تسامى هذا الانسان عن مقارفة ما ارتكبه بقطع النظر عن أى عقوبة أو جزاء ، فان هذه الضرورة لا تشكل أى مسئولية تنـاط به بحيث يجرم من أجلها .

اذا فهناك ظروف تساعد على الانحراف الى الخطيئة ، وظروف أخرى تساعد على الابتعاد عنها ، ولا يمكن للقانون أيا كان مصدره أن يتجاهل هـذه الظروف ولا يبالى بها .

والحق الذى لا شك فيه هو أن الشريعة الاسلامية لا تشرع للانسان غاية نبيلة الا من حيث تشرع السبيل اليها ، ولا تحذره عن نهاية سيئة الا من حيث

تنهاه عن تعاطى أسبابها ، والانسان لدى التحقيق انما يملك اختياره فى السلوك ما دام يتابع خطاه فى طريق الوسائل والاسباب ، فاذا تجاوزها أصبح تلبسه بالغاية أمرا حتميا لا مناص منه ، ولا اختيار له فيه سواء كانت الغاية بحد ذاتها خيرا أم شرا .

وانظر الى دقة القرآن فى التعبير عن هذا المعنى عندما يقول (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) (ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا) (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن) أرأيت ؟ انه لا يقول لاتقترفوا الفواحش أو الزنا أو تأخذوا مال اليتيم ، ولكنه يقول لا تقربوا أى لا تسلكوا السبيل التي تنتهى بكم الى ارتكاب الزنى والفواحش المختلفة ، فهو انما ينهانا عن ممارسة أسباب هذه المنكرات لأن ذلك هو الضمان الطبيعى للحيلولة دون وقوعها .

أما اذا مارس الانسان أسباب المحرمات ، وخاض سبيلها ، فهيهات أن يملك قوة تقف به عند نهاية الطريق وأول الغاية ، وقد يكون ثمة شذوذ عن القاعدة ، ولكن الشاذ لا حكم له عند أى مفكر قانونى منصف .

وهذا يعنى أن الله عز وجل عندما حذر من الزنى ، انما حذر منه بتحريم أسبابه الموصلة اليه من تبرج ، واختلاط وخلوة ، وتلامس ، ومقدمات .. ولو تأملت لوجدت أن هذه الامور التى حرمها لا تنطوى بحد ذاتها على أى مفسدة أو سوء ، ولا معنى لتحريمها لو نظر فيها الى جوهرها ومضمونها ، ولكن مفسدتها فى كونها جسرا يعبر منه الى ما هو السوء الحقيقى .

هذه الحقيقة ، لا يمارى فيها أى باحث ، ولا أعتقد الا أن الدكتور مصطفى محمود يؤمن ويصدق بها كأقوى ما يكون الايمان والتصديق .

ولكن لعله يريد أن يناقشها من جانبين :

الجانب الاول :

أن الابتعاد عن ممارسة الاسباب قد يتجرد فى بعض الاحيان عن فائدته المرجوة ، وذلك عندما يخترع الانسان للوصول الى الفاحشة أسبابا أخرى ، كتلك التى تحتجب وتتستر ، ولكنها تبعث بفنون اغرائها من وراء الحجاب ، بل بواسطة الحجاب نفسه .

والجواب على هذا واضح .. ان الشارع جل جلاله حرم اتخاذ كل وسيلة (طبيعية كانت أو مصطنعة) الى الفواحش والمنكرات ، واستبدال وسيلة بأخرى لا يغير من حكم الاولى ، أى أن اتخاذ مظهر الاحتشام نفسه سبيلا الى عرض المفاتن ليس دليلا كافيا على مشروعية التعرى والتبذل فى المظهر .

والجانب الآخر :

ان شيوع سبب من أسباب الاغراء والتنبيه الى الفاحشة ، يجعله من الابتذال بحيث يضعف أخيرا عن أداء غرضه الاصلى ، فيصبح مظهرا طبيعيا لا ايحاء فيه ولا حياة ..

وهذه نظرية عتيقة جدا ، يرددها كثير من المثاليين ، ولا أظن أن يكون الدكتور مصطفى واحدا منهم بحال ، وهى نظرية وهمية لا تستند الى أى دلالة تطبيقية .

ان تحليل الامر فى ذلك ، هو أن سر الاغراء فى عرض ما يتعرى من الجسد مثلا ، انما هو فى دلالته على الخفى منه .. فاذا مضت مدة من الزمن على الحد الفاصل بينهما ، ضعفت الصلة بينهما أمام الابصار ، فخف أثر الاغراء ، ويكون ذلك هو الدافع الى التلاعب بالحد ، وزيادة نسبة العرى ، فاذا مضت مدة أخرى آل الامر الى مثل ما آل اليه الوضع الاول ، وهكذا تقوى وسيلة الاغراء كلما بدا الشعور بضعفه ، ومع اشتداد وسيلة الاغراء بسبب هذا الدافع تشتد معها نسبة الفواحش أو نسبة الاضطرابات النفسية عند الناس بسبب مقاومتها أو معالجتها .

واذا فلا معنى للحديث عن هذه النظرية لأن العجلة سائرة على كل حال ، وليست بواقفة ، ففى كل يوم فن من الاغراء جديد ، ولا يكاد الفن من فنونه يتقادم ويفقد بعض مؤثراته حتى يأتى من ورائه فن جديد يحمل أقوى عناصر التأثير .

واذا فكيف يكون العلاج ؟ ان العلاج انما يكون باجتثاث الجرثومة من أساسها ، وبتدارك الامر عند أول محرك تتوالد عنه المراحل المتتالية الاخرى .

هذا شىء .. وشىء آخر يعرفه كل منصف هو أن مظاهر الاغراء التى قد تفقد بعض تأثيراتها بسبب طول الاعتياد وكثرة الشيوع ، انما تفقد ذلك عند من خاضوا غمارها خلال مرحلة طويلة من الزمن فعادوا وهم لا يحفلون بها ، لا لأنهم قد تساموا عليها ، ولكن لأنهم قد بشموا بها .

ان رؤية المناظر والمواقف الجنسية المختلفة فى بلدة كالسويد مثلا ، يعتبر أمرا عاديا لا يثير استغرابا ولا اهانة ولا استهجانا لدى أولئك الذين نشأوا وعاشوا فى تلك الاجواء ، فهل يعنى ذلك أنهم قد تجاوزوا مرحلة التأثر بدواعى الانحراف وأسبابه ، فهم لا ينحطون اليها ولا يتأثرون بها ؟

كلنا يعلم أن هذا الذى يمر بهذا المشهد الجنسى المكشوف غير عابىء به ولا ملتفت اليه ، قد تجده بعد ساعة يمارس نفس العملية فى مكان آخر ، فعدم الاكتراث والتأثر بمظاهر الاغراء انما هو نتيجة انتشار اللذة رخيصة فى كل مكان ، وليس نتيجة فهم معين أو جديد لما تبصره عيناه .

والذى يتصور تحقق الامر الاول دون اشتراط تحقق الامر الثانى ، انما هو كمن يتصور امكان زهد الجائع فى الطعام ، وعدم الالتفات اليه اذا ما انتثرت أطباقه الشهية أمام عينيه عن يمين الشارع ويساره ..

والخلاصة :

اننى لا أشك فى صدق الدكتور مصطفى محمود مع نفسه فيما عرض ويعرض له من بحوثه حول القرآن .. ولكنى أريد منه (وهو العالم النفسى المختص) أن يمعن فى هذا الذى أقول ، ويتهم نفسه قليلا فيما أوحت اليه عن فلسفة الحلال والحرام .

على أن من الطبيعى جدا أن يمر الدكتور (اذا علمنا مبدأ رحلته الفكرية) بهذه المرحلة من التصور .. ولكنى على يقين أنه سرعان ما يتجاوزها نحو الاستقرار الاعمق والاتم ..

مَبادئ المَسؤوليّة المَدنيّة والجنائيَّة في الفِقه الإسْلاميّ

١

للدكتور : وهبة الزحيلى

ان كل باحث فى فقه الاسلام الخالد وثروته الكبرى يجد الدليل القاطع على أنه فقه ثرى غزير يحتوى على مادة حيوية شاملة لشئون الحياة فى مجالات الأعمال العادية والتصرفات المدنية : المشروعة منها وغير المشروعة ، وهذا ينبىء عن صلاحية هذا الفقه لاستمداد أحكام التقنينات المدنية والجزائية منه ، لما يتجسد فيه من التزام عقلانى واضح المعالم وفكر قانونى ثاقب ، وخطة واعية تسبر أغوار المشكلات الاجتماعية فترفدها بالعلاج الشافى ، وتمدها برحيق الحياة الصالحة الخيرة . .

وينطلق هذا الفقه من تقدير أهمية الدور الذى للانسان فى عمارة هذا الكون ، والحفاظ على ما هو صالح من تراث الأقدمين ، ودفعه للتخطيط لعالم الحياة البشرية فى المستقبل على أسس انسانية كريمة ، ونظريات علمية واجتماعية رشيدة تستهدف الخير والمصلحة العامة ، ورفاء وأمن الانسان .

وها انا نجد مثالا لذاك فى مبادىء المسئولية المدنية والجنائية فى الاسلام التى تعتبر أقوم وأهدى سبيل للحكم على ذاتية فقهنا ، وأصالة شرعنا ، ومرونة وواقعية أحكامنا التى تعالج أخطر القضايا الاجتماعية المتكررة الحدوث كل يوم ، والمعتمدة على أساسين :

أولهما : مبدأ احترام الأموال والأنفس والدماء كقاعدة جوهرية لنظام المجتمع ، قال عليه الصلاة والسلام : (ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم . .) . .

ثانيهما : اعتبار مبدأ المسئولية الشخصية أو الفردية هو الأصل العام فى المسئولية عن الأعمال العمدية أو التقصيرية ، قال تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » .

وأهم مبادىء المسئولية المدنية ما يأتى :

أولا : الخطأ كالعمد فى وجوب الضمان : الضمان : هو الالتزام بعوض مالى للغير جزاء لتلف المال أو ضياع المنافع ، أو الضرر الجزئى أو الكلى الحادث بالنفس الانسانية . وقد اتفق الفقهاء على أن اتلاف المال موجب للضمان سواء أوقع عمدا أم خطأ ، والخطأ يشمل التقصير والاهمال وعدم الاحتراز ، كما أنه لا فرق بين الكبير والصغير والخطأ والنسيان أو السهو ، والعلم والجهل ، وانما ينظر الى الاعتداء على أنه واقعة مادية محضة بقطع النظر عن نوع الاهلية فى شخص المتعدى أو قصده . قال الامام الشاطبى : « ان الخطأ فى الحكم بالتضمين بالأموال مساو للعمد فى ترتب الغرم فى اتلافها » وقال شيخ الاسلام العز بن عبد السلام : (ان الاتلاف يقع بالظنون والأيدى والأقوال والافعال ، ويجرى الضمان فى عمدها وخطئها ، لأنه من الجوابر ، ولا تجرى فى العقوبة والقصاص الا فى عمدها ، لأنهما من الزواجر ، وقال فقهاء الفروع المذهبية : ومن أتلف من مكلف (بالغ عاقل) وغيره خطأ أو سهوا مالا محترما لغيره بغير اذن المالك ، ضمن ما أتلفه ، لأنه فوته عليه .

ولا فرق أيضا فى كون التعدى حاصلا بفعل ايجابى كالاحراق والاغراق والاتلاف ، أو بفعل سلبى كترك حفظ الودائع فانه موجب للضمان ، فمن رأى انسانا يسرق الوديعة وهو قادر على منعه ، ضمن المال ، لترك الحفظ الملتزم بالعقد . ومن امتنع عن بذل الطعام لمضطر اليه ، أو عن تقديمه لسجين حتى مات ، كان ذلك اعانة على القتل ، ومسببا للهلاك المتوجب للضمان .

واذا كان التعدى ظلما محضا كالغصب ، كان مضمونا بأى حال حدث تلفه ، سواء بالتعدى أم بالتقصير أم بقوة قاهرة أم آفة سماوية ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « على اليد ما أخذت حتى تؤديه » .

ثانيا : الضمان يشمل الضرر المادى والمعنوى : كان الناس فى الماضى يهتمون بالأضرار المادية ، ويتسامحون — فيما يظهر — بالنسبة للأضرار الأدبية أو المعنوية ، أما عرف اليوم فقد أضفى على هذه الأضرار صفحة مادية لا تقل أهمية عن الأضرار المادية ، فصار التعويض عنها أمرا سائغا مشروعا ، نظرا لتعقد ظروف الحياة ، وتشابك المصالح وكثافة الناس ، وسرعة تأثرهم بالأوضاع الاقتصادية القائمة على عنصر المنافسة والمزاحمة .

لهذا اقتصر فقهاؤنا على تقرير وجوب تعويض الضرر المادى بمختلف أشكاله اذا كان ضررا محققا ، سواء أكان يسيرا أم فاحشا ، قولا أم فعلا ، سلبيا أم ايجابيا .

أما الضرر الأدبى أو المعنوى (وهو كل ما يصيب الانسان من ألم وحزن ، أو يلحقه من ضرر بسبب ضياع مصلحة أو فوات فرصة) فلم يقرر جمهور الفقهاء بشأنه ضمانا فى أصل الحكم الفقهى ، لأن الضمان مال ، والضرر الأدبى لا يمكن تقويمه بالمال ، كما ذكر ابن قيم الجوزية فى الطرق الحكمية .

الا أن بعض فقهائنا — لا سيما بعد التطورات التى أشرنا اليها — لم يجدوا مانعا من تعويض الأضرار الأدبية لتعارف الناس ذلك ، وعملا بالمبادىء العامة التى تنفى ايقاع الضرر مثل قاعدة « الضرر يزال » و (لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام) و (المعروف عرفا كالمشروط شرطا)

وفى أحكام الشريعة ما يؤيد ذلك ، اذ أن الشرع أوجب عقابا جنائيا ثمانين جلدة أو تعزيرا عند اختلال شرط من شروط الحد فى حالة قذف الأعراض وانتهاك حرمة المؤمن وخدش الكرامة .

ثم ان فى مبدأ السياسة الشرعية المفوض الأخذ به للحكام متسعا للحكم بالتعويض على الضرر المعنوى دفعا للحرج ، وصيانة للسمعة والشرف ، وحماية للمصالح الاقتصادية الشخصية أو العامة .

وفى أحكام الفروع المذهبية مؤيدات أخرى ، فقد قرر صاحبا أبى حنيفة أنه يجب التعويض بسبب الضرر الأدبى فى حالة الألم الجسمانى ، فقال محمد : تجب حكومة عدل : (أى تعويض يقدره القاضى) على الجانى بقدر ما لحق المضروب أو المجروح من ألم دون أن يترك الاعتداء أثرا ماديا فى الجسد ، وقال أبو يوسف : للمجنى عليه أن يرجع على الجانى بما أنفقه من ثمن الدواء وأجرة الأطباء .

وفى نطاق التعزيرات (أى العقوبات غير المقدرة نوعا ومقدارا فى الشريعة) قرر أبو يوسف ، وعلماء المالكية ، وبعض الشافعية وابن تيمية ، وابن قيم الجوزية أنه يجوز للقاضى الحكم بالغرامات أو التعزيرات المالية أى بالتعويض النقدى على كل الأضرار التى لا نجد فى الشرع عقوبة مقدرة فيها ، وفى ذلك مسايرة للروح العامة التى تقوم عليها الشريعة من رعاية المصالح ومنع الضرر ودفع الحرج ، وأحقاق الحق ، والتزام العدل .

ثالثا : لا يقابل الاتلاف بمثله :

يحرم شرعا مقابلة الاتلاف بمثله ، حفاظا على الأموال ، لأن تبديدها واتلافها بدون حق اضاعة لها ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله كره لكم : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وأضاعة المال » .

ولأن مقابلة الاتلاف بمثله يؤدى الى توسيع دائرة الجريمة والضرر بدون فائدة ، مع أنه يجب تضييقها وحصرها فى أضيق نطاق ممكن ، هذا وان الاتلاف لا يجبر التلف الحاصل ، على نقيض الحكم بالتعويض ، اذ أن فيه ترميما لآثار الضرر ، وزجرا للمتعدى من الاعتداء على أموال وحقوق الآخرين بدون عذر أو حق شرعى ، لذا قال عليه الصلاة والسلام : « لا ضرر ولا ضرار » ومعنى الضرار : هو مقابلة الضرر بالضرر .

رابعا : الضمان يكون بالمثل أو بالقيمة : ان الأصل العام فى الضمان هو ازالة الضرر عينا كاصلاح الحائط المتهدم أو جبر المتلف واعادته صحيحا كما كان عند الامكان كاعادة المكسور صحيحا ، فان تعذر ذلك وجب التعويض : المثل فى الأشياء المثلية والقيمة فى القيميات . والمقصود بالمثليات : ما تماثلت آحاده

أو أجزاوءه بحيث يمكن أن يقوم بعضها مقام بعض دون فرق يعتد به .

والأموال المثلية أربعة : هى المكيلات والموزونات والمعدديات المتقاربة وبعض أنواع الذراعيات . وأما القيميات : فهى ما تفاوتت أفراده ، فلا يقوم بعضها مقام بعض بلا فرق كالدور والأراضى والاشجار وأنواع الحيوان والمفروشات ونحوها .

فان كان المال مثليايجب ضمان المثل باتفاق العلماء لقوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ، « وجزاء سيئة سيئة مثلها »قال الامام الزيلعى: ضمان العدوان مشروط بالماثلة بالنص والاجماع . وقد ثبت فى السنة النبوية أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال للسيدة عائشة التى كسرت اناء ضرتها : « طعام بطعام ، واناء باناء » .

وهذا ما يقره المنطق ، اذ أن الالزام بضمان المثل أقرب الى الأصل التالف من القيمة ، والواجب فى الضمان الاقتراب من الأصل بقدر الامكان تعويضا للضرر ، لأن المقصود من التضمين جبران الضرر ، وذلك أعدل وأتم فى مثل الشىء المتلف جنسا ونوعا ومالية .

وأما اذا كان المال قيميا : فيجب ضمان القيمة باتفاق العلماء أيضا ، لأنه تعذر الوفاء بالمثل تماما صورة ومعنى ، فوجب المثل معنى وهو القيمة ، باعتبارها تقوم مقامه ، ويحصل بها مثله ، واسمها ينبىء عنه .

وهنا نجد اختلافا فقهيا لعلمائنا : وهو أنه هل تضمن القيمة فى القيمى أصالة أو بدلا من المثل ؟ قال الامام مالك : لا يقضى فى العروض من الحيوان وغيره الا بالقيمة يوم استهلك . وقال جمهور الفقهاء . الواجب فى ذلك أصلا هو المثل ، ولا تلزم القيمة الا عند العجز عن المثل .

وكذلك اذا تعذر وجود المال المثلى، ينتقل الى القيمة للضرورة وعملا بالقاعدة الشرعية : « اذا تعذر الأصل ، يصار الى البدل » م/٥٣/ مجلة الأحكام العدلية) . والتعذر أما حقيقى حسى : كانقطاع وجود المثل فى السوق بعد البحث عنه ، وان كان موجودا فى البيوت . أو حكمى : كأن لم يوجد الشىء المماثل الا بأكثر من ثمن المثل ، أو شرعى : كالخمر التى يملكها الذمى وأتلفها المسلم له ، فانه يجب عليه ضمان القيمة فقط ، وان كانت الخمر من المثليات ، لأنه يحرم عليه تملكها بالشراء ، كما هو معروف .

خامسا : الاكراه لا يمنع الضمان :

اذا أكره انسان على اتلاف مال لآخر كاحراق أثاث منزل مثلا ، فان الاكراه لا يصلح عذرا لاسقاط الضمان ، الا أن الضامن اما أن يكون هو المكره ، أو المستكره .

فان كان الاكراه ملجئا أو تاما : فالضمان على المكره عند الحنفية ، والحنابلة فى الأرجح عندهم ، وبعض الشافعية لأن المستكره مسلوب الارادة وما هو الا آلة بيد المكره ، ولا ضمان على الآلة اتفاقا . وقال المالكية والظاهرية وبعض الشافعية: الضمان على المستكره ، لأنه يكون فى هذه الحالة كالمضطر الى أكل طعام الغير ، بجامع اباحة الفعل فى الحالين ، وكما يجب ضمان المضطر ، يجب ضمان المستكره .

وقال الشافعية فى الراجح عندهم : الضمان على المكره والمستكره ، لأن الاتلاف صدر من المستكره حقيقة ، ومن المكره بالتسبب ، والتسبب فى الفعل

والمباشرة سواء ، لكن يستقر الضمان فى النهاية على المكره فى الأصح .
قال العز بن عبد السلام : «الاكراه موجب للقصاص والضمان على المكره لأنه ملجىء المستكره الى المباشرة ، فان طبعه يحثه على درء المكروه عنه .. » .

وأما ان كان الاكراه ناقصا أو غير ملجىء : فالضمان على المستكره عند الحنفية والمالكية والظاهرية وبعض الشافعية وبعض الحنابلة ، لان الاكراه الناقص لا يسلب الاختيار أصلا ، فلم يكن المستكره مجرد آلة فكان الاتلاف من المستكره ، فوجب الضمان عليه .

سادسا : الجواز الشرعى ينافى الضمان : معنى هذه القاعدة أنه اذا كان الفعل الضار جائزا مطلقا أو غير ممنوع شرعا بأى وجه من وجوه المنع ، فلا ضمان على الفاعل أى لا يسأل مسئولية مدنية ، كما فى الأمثلة الآتية :

ـ اذا ترتب على فتح محل تجارى كساد تجارة المحل الأخر ، فلا ضمان .

ـ من حفر بئرا أو حفرة فى ملكه، فوقع فيها حيوان مثلا ، فمات ، لا يضمن الحافر شيئا ، لأن كل انسان حر التصرف فى أملاكه ، ما لم يتعلق بها حق الغير ، والا فيمنع من الفعل بأن كان تعسفا فى الاستعمال .

ـ اذا أذن الحاكم بفعل كهدم جدار أو دار أثناء الحريق ، أو كالانفاق على الأقارب من ودائع الأموال الخاصة بشخص غائب ، فلا ضمان على الهادم والوديع ، للاذن بذلك لمصلحة عامة .
ـ اذا تلف الشىء المأجور أثناء الاستعمال المأذون فيه ، أو بالتحميل بالقدر المعتاد المألوف بين الناس ، فلا ضمان على المستأجر ، لانه فعل أمرا جائزا له ، أما اذا تجاوز المستأجر الأمر المألوف فيضمن لتعديه .

سابعا : الخراج بالضمان أو الغرم بالغنم : معنى هذه القاعدة أن من يسأل عن ضمان شىء عند تلفه ، له الحق فى منفعته ، فى مقابلة تحمل تبعة الهلاك أثناء بقائه عنده . فلو رد المشترى الحيوان المبيع على البائع بسبب عيب قديم فيه ، بعد أن استعمله مدة من الزمن ، لا تلزمه اجرته عن تلك المدة ، لأنه لو تلف حال وجوده عنده ، كان عليه ضمان مثله أو قيمته .

ولو كان المبيع شجرة ، فأثمرت عند المشترى ، ثم ردت على البائع بسبب الاستحقاق أو لتفرق الصفقة مثلا ، كانت الثمرة للمشترى ، لأنه هو المتحمل تبعة الهلاك فيما لو هلكت .

الا أن هذه القاعدة مقيدة بحالة وجود ملكية مشروعة ، فان لم تكن الملكية مشروعة وجب الضمان ، فالغاصب لا يملك زوائد المغصوب ، والبائع قبل قبض المشترى للمبيع لا حق له فى زوائد المبيع لأنه وان كان ضامنا للمبيع حال بقائه لديه بسبب وضع يده عليه ، فان المبيع على ملك المشترى بمجرد انعقاد العقد .

ثامنا : الأجر والضمان لا يجتمعان: هذه القاعدة حنفية المذهب ، ومثلها فى المسئولية الجنائية : « الحد والضمان لا يجتمعان » فلا يضمن السارق مثلا الشىء المسروق اذا أقيم حد القطع عليه ، وكان المسروق هالكا أو مستهلكا .

ومعنى القاعدة : أن الأجرة الواجبة لقاء منفعة لا تجب ، ويسقط التزامها اذا كان هناك التزام بضمان قيمة العين فيما لو هلكت سواء أو وقع الهلاك فعلا أم لا . وذلك بشرط عدم استقرار الأجر فى ذمة الضامن ، كأن استوفى المنفعة ، فيلزم حينئذ بالأجر والضمان .

فلو استأجر شخص دابة أو سيارة للركوب ، فحملها حملا معينا بدلا من الركوب ، فتلفت ، يضمن قيمتها ، ولا أجر عليه ، لأنها هلكت بفعل غير مسموح به من المؤجر ، فصار بذلك غاصبا ، ولا أجرة على الغاصب ، لأن الأجر والضمان لا يجتمعان .

لكن هذا يعتبر منفذا خطيرا أمام المستأجرين للتخلص من دفع الأجرة ، وذلك بمخالفة وجه الانتفاع المتفق عليه ، ثم رد المأجور سليما لصاحبه ، ونظرا لهذه النتيجة الغريبة ، قال الحنفية : يجب الأجر المسمى استحسانا ، وان كان لا يجب قياسا (راجع مجمع الضمانات : ٢٥)

تاسعا : (جناية العجماء جبار) :

معنى هذه القاعدة أن الاتلاف الذى يحدثه الحيوان من تلقاء نفسه ، ولم يكن عقورا ، ولا فرط مالكه فى حفظه حيث يجب عليه حفظه ، وذلك فى الليل أو فى أمكنة التجمعات لا ضمان فيه على صاحبه لعدم وجود الادراك الذى هو أساس المسئولية ، فان كان الاتلاف بواسطة صاحبه كأن كان راكبا أو سائقا أو مجفلا ، فعليه الضمان . وأصل هذه القاعدة حديث نبوى نصه : « العجماء جرحها جبار » أى هدر لا ضمان فيه .

عاشرا : ما لا يمكن الاحتراز عنه لا ضمان فيه : الاسلام دين اليسر والسماحة والاعتدال ، فكل ما يمكن تجنبه والاحتراز أو الاحتياط عنه ، يكون سببا موجبا للضمان ، وكل ما يشق البعد أو الاحتراز عنه ، لا يكون سببا موجبا للضمان ، لأنه من الضرورات ، ولأن ما يستحق على المرء شرعا يعتبر فيه الوسع والطاقة . وعلى هذا :

ــ لو اشترى رجل من آخر شجرة فقطعها ، فادعى البائع أن المشترى حين القطع أفسد له بعض أشجار لم تكن داخلة فى البيع ، فقال المشترى : انا لم أتعمد ذلك ، ينظر :
ان كان الذى يدعيه البائع من الفساد يمكن التحرز عنه ، فيكون المشترى ضامنا له ، وان كان مما لا يمكن الاحتراز عنه فلا ضمان بذلك على المشترى ، ويكون مأذونا به دلالة أو ضمنا .

ــ للناس الانتفاع بالمرافق العامة مشيا أو ركوبا ونحوهما بشرط السلامة وعدم الاضرار بالآخرين بما يمكن التحرز عنه ، دون ما لا يمكن التحرز عنه ، حتى يتيسر للناس سبيل الانتفاع ، ويتحقق العدل وتزول العوائق ، ويتوفر الأمن والحرية فى الطرقات .

حادى عشر : اذا اجتمع المباشر والمتسبب ، يضاف الحكم الى المباشر:

المباشر : هو الذى حصل الضرر بفعله بلا واسطة أى دون تدخل فعل شخص آخر مختار ، وعرفه الحموى شارح أشباه ابن نجيم بقوله : « هو أن يحصل التلف بفعله من غير أن يتخلل بين فعله والتلف فعل مختار » .

والمتسبب : هو الذى يحدث أمرا يؤدى الى تلف شىء آخر حسب العادة لكن لا يقع التلف فعلا منه ، وانما بواسطة أخرى هى فعل فاعل مختار . وعرفه الحموى بقوله : « هو الذى حصل التلف بفعله ، وتخلل بين فعله والتلف فعل مختار » .

فاذا تعددت أسباب الضرر ، كان المباشر هو المسئول عن الضمان ، حتى ولو كان السبب البعيد متصفا بصفة التعدى ، لأن المباشر هو علة الضرر فى الواقع ، أو هو المؤثر الأقوى فى احداث العدوان ، وأما دور السبب فهو ضعيف لم يستقل وحده بالخطأ . . هذا اذا كان السبب لا ينفرد بالاتلاف اذا ترك وحده بدون مباشرة ، أما اذا كان السبب مما يعمل بانفراده ، فيشترك المتسبب والمباشر فى الضمان .

فهذه افتراضات ثلاث : قد يضمن المتسبب وحده ، وقد يضمن المباشر وحده ، وقد يشتركان فى الضمان .

فمن أمثلة تضمين المتسبب وحده اذا كان متعديا : سائق الدابة ، فلو ساق رجل دابة فوطئت شيئا ، فأتلفته ، كان ضامنا ، لأن السبب انفرد بالتأثير ، ولم يتوسط بينه وبين التلف فعل شخص آخر مختار . وهكذا (يضاف الفعل الى المتسبب ان لم يتخلل واسطة) .

ومن أمثلة تضمين المباشر وحده : دافع الشخص الى البئر ، فلو حفر رجل بئرا تعديا بأن كان الحفر فى طريق عام بدون ترخيص ادارى من السلطة الحاكمة ، ثم جاء رجل آخر ، فدفع غيره فى البئر ، أو القى حيوانا فيه ، ضمن الدافع ، أو الملقى ، لأنه مباشر للتلف بالذات ، وأما حافر البئر فهو متسبب فقط ، لأن حفره وان أفضى الى التلف ، لكنه لا ينفرد بالاتلاف ما لم يوجد الدفع الذى هو الفعل المباشر .

ومثله لو دل شخص سارقا على مال انسان فسرقه ، فالعقوبة والضمان على السارق لأنه مباشر ولا شىء على الدال ، لأنه متسبب .

ومن أمثلة اشتراك المتسبب والمباشر فى الضمان بأن تتعادل قوة التسبب والمباشرة فى احداث التلف : حالة قيادة الدابة بسائق وراكب ، فلو اجتمع على قيادة دابة سائق وراكب عليها ، فالضمان عليهما لأن سوق الدابة وحده يؤدى الى التلف ، وان لم يكن هناك شخص راكب عليها .

وخلاصة ذلك عند الفقهاء أن المتسبب يشترك مع المباشر فى تحمل الضمان اذا كان السبب مما يعمل ويؤثر بانفراده . ، وهذا رأى الحنفية والشافعية ، أما المالكية والحنابلة فقالوا : يشترك الاثنان فى الضمان اذا كانت المباشرة مبنية على السبب وناشئة عنه ، بحيث لو تخلفت السببية لزالت علة الاتلاف ، كما هو الحال فى جريمة الاشتراك بالقتل أو السرقة ونحوهما من الجرائم .

هذا أنموذج من مبادىء المسئولية المدنية فى الفقه الاسلامى ، والكلام عن ذلك تفصيلا يحتاج الى افاضة واسهاب محله فى كتب الفقه العام أو نظرية الضمان فى الاسلام .

يا شباب العرب

ما هي ثقافتكم ..؟

للأستاذ : أحمد محمد جمال

نتابع الحديث عن (الثقافة الاسلامية) شخصية ومصدرا ، وتمييزا بينها وبين الثقافة الغربية المعاصرة ، ومواجهة لأخطار الثقافات الاجنبية المعادية للأسلام والمسلمين.
بعد ان بينا فى المقال السابق ان الثقافة الاسلامية تعنى العلم والعمل معا أى انها فى المفهوم الحضارى الاسلامى نظرية سلوك أكثر منها نظرية معرفة مجردة ..

وان التفوق العلمى والتقدم التكنولوجى فى الحضارة الحديثة لم يغنيا شيئا فى اسعاد الانسانية وترشيد أخلاقها ، لانها تفتقد (الدين) اذ (العلم المجرد وحده لا يكفى بل لا بد مع العلم من دين . كما لا بد للجسد كى يحيا من روح .
ان المصادر الرئيسية للثقافة الاسلامية هى :

ــ القرآن الكريم .
ــ ويليه التراث النبوى ، من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام قولا وعملا وأمرا ونهيا ، وترشيدا وتوجيها .
ــ ثم تاريخ المسلمين عبر عهوده ، منذ العهد النبوى الى اليوم.
فهى أى ، الثقافة الاسلامية ــ ربانية التلقى نبوية التوجيه ، تاريخية النسب .. اذ أنها تنتمى الى تاريخ أصيل جليل ، ذى امثلة ونماذج رائعات فى الحضارة الانسانية .

يقول الدكتور عبد الكريم عثمان فى كتابه عن الثقافة الاسلامية « انها تجمع بين الغايات والوسائل وبين العلم والايمان . وكونها تستمد كيانها من مبادىء الدين ، لا يعنى تخليها عن العقل والعلم

فاعتماد الثقافة الاسلامية عليهما واحتفاؤها بهما أمر لا يحتاج الى بيان فالدين ليس بديلا عن العلم والحضارة ولا عدوا لهما . وانما هو اطار ومحور ومنهج لهما فى حدود اطاره الذى يحكم شؤون الحياة »

ويقول أحد العلماء الكبار المعنيين بالثقافة الاسلامية . ان المنهج الالهى ليس عدوا للأبداع الانسانى ، وانما هو منشىء لهذا الابداع ، وموجه له الوجهة الصحيحة كى ينهض الانسان بمقام الخلافة فيعمل ويتحرك فى نطاق ما يرضى الله ..

● الثقافة الاسلامية انسانية عالية تجمع بين العلم والايمان .

● الثقافة الغربية لا تهتم الا بالمادة موضوعا وسلوكا وغاية .

مزايا الثقافة الاسلامية .. !!

ونحن حين نذكر مزايا الثقافة الاسلامية نتبين من فورنا الفروق الواضحة بينها وبين الثقافات الاجنبية ، سواء كانت غربية أم شرقية ، قديمة أم حديثة . ولا نحتاج الى اطالة وتفصيل لنركز عليها .

فمما تمتاز به الثقافة الاسلامية : انها انسانية عالمية ، تنظر الى الناس بمقياس واحد لا تفسده قومية أو عنصرية ولا يحيف عليه جنس أو لون . وذلك ان الرابطة التى تربط بين الناس فى مفهوم الثقافة الاسلامية — هى (العقيدة) والسلوك الراشد ، أى العمل الصالح .. بهما يرتفع ميزان الفرد أو ينخفض — كما يقرر ذلك مصدرها الاول . (القرآن الكريم) فى قوله عز وجل « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم »

وكما جاء فى مصدرها الثانى (التوجيه النبوى) فى قوله صلى الله عليه وسلم « سلمان منا آل البيت — لوجاء الأعاجم بعمل ، وجئتم (يخاطب العرب) من غير عمل ، كانوا أولى بمحمد منكم لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى »

ان عصبية العشيرة والقوم والجنس واللون والارض عصبية صغيرة متخلفة .. عصبية جاهلية عرفتها البشرية فى فترات انحطاطها الروحى .

وهى — كما يقول الدكتور عبد الكريم عثمان — عصبية لا تصلح ان تكون القيمة العليا ، والغاية القصوى ، التى يجتمع عليها الناس على كر العصور وتعاقب الاجيال وانما الله وحده ، فى رأى الثقافة الاسلامية ، هو الهدف الاسمى والقيمة الخالدة .. هو الذى يمكن أن تلتقى عليه الانسانية افرادا وجماعات ، وتستقى منه الخير والحق والعدل والقوة .

وتمتاز الثقافة الاسلامية أيضا بان الدين الذى هو قوامها وعصامها نظام كامل شامل أى أنه منهج للحياة البشرية الواقعة بكل مقدماتها وبكل تجاربها وعواقبها ، فهو نظام يشمل التصور الاعتقادى الذى يفسر طبيعة الوجود ويحدد مكان الانسان فيه ، كما يعين غاية الوجود الانسانى ، وهو أيضا يشمل الانظمة الواقعية التى تصدر عن ذلك التطور الاعتقادى .. كالنظام الاخلاقى والنظام الاجتماعى والنظام الاقتصادى والنظام السياسى .

يقول الاستاذ العقاد فى كتابه (الاسلام فى القرن العشرين) « ان شمول العقيدة فى ظواهرها الفردية والاجتماعية هو المزية الخاصة فى الثقافة الاسلامية . وهى المزية التى توحى الى الانسان انه كل شامل ، فيستريح من خصام العقائد التى تشطر السريرة الى شطرين .

وحسبنا تقرير القرآن (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا) وتوجيه الرسول عليه الصلاة والسلام (تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى : كتاب الله وسنتى) .



ومن مزايا الثقافة الاسلامية – كذلك – انها متجاوبة متفاعلة تمنح الفرد الحرية الكاملة ، لتحقيق مقامه كخليفة فى الارض يواجه الكون والحياة باحساس رضى ونظرة ودود ، ويد عاملة منتجة وفكر متأمل بحاث

وهذه (الايجابية) فى الثقافة الاسلامية – كما يقول الدكتور عبد الكريم عثمان ناتجة عن مبادىء الاسلام التى لا تتمثل فى مجرد مجموعة من القيود والكوابح والضوابط الرادعة .. وانما هى فى صميمها قوة بناءة وحركة دافعة الى النمو والتطور والانطلاق الى تحقيق الذات فى هذه الحركة فى أسلوب نظيف ...

وتوجيهات القرآن الكريم ، الذى هو – كما اسلفنا وكررنا . المصدر الرئيسى للثقافة الاسلامية فى هذا المجال كثيرة

وقد ركز القرآن الكريم على (العقل الانسانى) فجعل يتحفى به ، ويلفت انتباهه الى ملكوت السموات والارض وعجائب المخلوقات وبدائع القوانين الكونية ، فتحدث اليه عن الشمس والقمر – وعن الليل والنهار وعن السحاب والمطر وعن الماء وينابيعه فى الارض وان الله جعل منه (كل شىء حى) من انسان وحيوان ونبات . وتحدث اليه عن الزرع الذى تختلف الوانه وثمراته وتأكل منه أنعامهم وأنفسهم وعن البحار ولآلئها وذخائرها وأسماكها ومرافقها الاخرى – وعن الجبال وحكمة خلقها وما تضمه من كنوز الذهب والفضة والمعادن الأخرى .

ومع تكرار الحديث القرآنى الى (العقل) بالنظر والتفكر والتأمل كرر القرآن كذلك توجيه الانسان الى السير فى الارض والعمل الدائب للانتاج والاصلاح والانتفاع .

والى جانب ذلك كله من حث متواصل على العلم والعمل – وعد القرآن الكريم بأن مرور الزمن وتعاقب الاجيال البشرية سيكشفان عن آيات لله جديدة ومعجزات باهرة فى انفس البشر وآفاق الكون .

واحسبنى غير محتاج الى التفصيل أو التدليل على أن تقدم الفكر الانسانى فى ميادين العلم والتكنولوجيا ، وما احدثاه من صناعات واختراعات واكتشافات ومنافع كان تحقيقا لوعود القرآن الصوادق واخباره الصحاح .

وكان من ثمرات الثقافة الاسلامية لكونها قرآنية المصدر نبوية التوجيه ، انسانية الخلق – أن قدمت للناس عبر تاريخها المجيد مبادىء الحق والعدل والحرية والاخاء والمساواة فى نماذج بشرية واقعية من الخلفاء والامراء والعلماء والعمال والاجراء ورجال التجارة والاقتصاد والخاصة والعامة .

كما أنها قدمت للناس احكاما وآدابا لعلاقة الفرد بأسرته وعلاقته بمجتمعه وعلاقته بحكومته وعلاقة حكومته به وبالمجتمع كله ، ثم بالحكومات الاخرى والعلاقة هنا تعنى المسؤولية .. أى ما يجب لكل

طرف أو يحق عليه تجاه الطرف الآخر ومن هنا كانت احكاما وآدابا انسانية الروح والسلوك تهدف الى اعطاء الحقوق ، وبذل الواجبات ، فى تعاون وبر واخاء .

ومن أهم ما قدمته الثقافة الاسلامية أنها كونت (للعرب) الذين انبعث (الاسلام) من أرضهم ، وبلسانهم وعلى يد رجل منهم — شخصية ممتازة لا شرقية ولا غربية شخصية ذات عقيدة سائدة ، ورسالة ماجدة ، وفكر مستقيم .

ولما كان هذا (الفكر) الاسلامى الخاص باتجاهاته ومجالاته هو أساس الشخصية العربية المسلمة كان من حق كل مسلم غير عربى ان يمتاز به على الناس جميعا (ان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)

وهنا نذكر بأسف شديد ان المشكلة الرئيسية التى يعانى منها المسلمون اليوم هى افتقادهم للشخصية الاسلامية الاصيلة وضياعهم بين شتى المذاهب والاخلاق والافكار الهدامة المخربة التى وفدت اليهم مع الحضارة الغربية المعاصرة .

انهم — كما يقول الدكتور عبد الكريم عثمان — لم يستطيعوا حتى الآن ان يضعوا ايديهم على ابعاد شخصيتهم وحقيقتها وأهدافها ، وما لم تحدد الامة ماهيتها ، وتتأكد من أهدافها فان سيرها يكون ضربا على غير هدى . ومن هنا تخلف المسلمون عن المشاركة فى السيطرة على الطبيعة وامتلاك أسباب التقدم المادى والاقتصادى وتوزع اتجاهتهم واختلاف وسائلهم التى يسلكونها للارتفاع بمجتمعاتهم الى مستوى أفضل .

الثقافة الغربية

فى مقابل تلك الامتيازات التى اختصت بها الثقافة الاسلامية الاصلية — نجد الثقافة الغربية التى لا تهتم الا بالمادة موضوعا وسلوكا وغاية حيث أصبحت الحياة فى الحضارة الغربية — كما يقول الاستاذ مالك بن نبى فى كتابه (وجهة العالم الاسلامى) أرقاما ، وأصبحت السعادة مقيسة بعدد الوحدات الحرارية والهرومونات وصار العصر عصر كم يخضع الضمير فيه للنزعة الكمية ، كما صار عصر النسبية الاخلاقية فلم يعد احد يدرك معنى الفضيلة المطلقة ، لقد مات معنى الفضيلة من الوجه الذى مات فيه مفهوم العدالة وصارت الحياة الاقتصادية الى نفس المصير يوم وجد بعض الناس فى أنفسهم الجراة ليؤكدوا ان التجارة هى السرقة الحلال .

ولا يقول هذه الحقيقة المرة عن الثقافة الغربية أمثال الاستاذ مالك بن نبى من الباحثين المفكرين وحدهم بل يقولها عن تجربة وعيان أوساط المثقفين فهذا طالب سعودى يدرس فى احدى الجامعات الامريكية كتب الى أحد أقاربه يقول له فى رسالة خاصة ان الحياة هنا مادية ١٠٠٪ ولا يعرف الانسان الا بماله وثروته فيقال جاء فلان الدولار وذهب فلان الدولار ،،

والى جانب (المادية) الطاغية فى ثقافة الغربيين وحضارتهم نجد فيها طغيانا آخر هو (العنصرية) البغيضة التى يكفينا تأكيدا لها حديث (رينان) عنها فى قولته المنكرة (جنس واحد يلد السادة والابطال هو الجنس الاوروبى فاذا ما نزلت بهذا الجنس الى مستوى الحظائر التى يعمل فيها الزنوج والصينيون ... فانه يثور ، ومصداق ما زعمه رينان نجده واضحا قائما فى الصراع العنصرى بين البيض والسود فى أمريكا وفى روديسيا .

محنة الضمير الديني هناك..!

للشيخ : محمد الغزالي

هذه سياحة سريعة داخل اقطار الفكر الدينى الغربى ، ستفاجؤنا فيها احكام ينقصها السداد ، ومؤامرات يحبكها الغدر ، وضغائن لا تزال عميقة على طول العهد وامتداد الزمان !!

ومن حقنا نحن المسلمين — وقد لفحتنا حرب بقاء أو فناء — ان ندرس الجبهة التى مسنا عدوانها ، وان نزن ببصر حديد طبيعة العواطف الدينية التى تكمن او تبرز خلف احداث لا تبدو لها نهاية قريبة !!

ولنبدأ بمقال نشرته مجلة كاثوليكية تطوعت باسداء نصائحها الغالية لاسرائيل ، وليست هذه النصائح الغالية ان يعترف اليهود بحق العرب ، وان يعودوا من حيث جاءوا تاركين البلاد لأصحابها .. لا !!

ان الضمير الدينى عند الصحيفة المتدينة جعلتها تسدى نصحا من لون آخر ، لقد قالت لليهود : اننا احتللنا فلسطين قبلكم ، وبقينا فيها سنين عددا ، ثم استطاع المسلمون اخراجنا وتهديم المملكة التى أقمناها ببيت المقدس ، وذلك لأغلاط ارتكبناها ، وها نحن أولاء نشرح لكم تلك الأغلاط القديمة حتى لا تقعوا فيها مثلنا ..!!

استفيدوا من التجربة الفاشلة كى تبقى لكم فلسطين أبدا ويشرد سكانها الأصلاء فلا يخامرهم أمل فى عودة ..!!

وشرعت الصحيفة التقية تشرح : لماذا انهزم الصليبيون الأقدمون ، وتوصي حكام «اسرائيل» بأمور ذات بال ، وتحرضهم فى نذالة نادرة أن يوسعوا الرقعة التى احتلوها ، وأن يستقدموا أفواجا أكثر من يهود العالم ، وأن يحكموا خطتهم فى ضرب العرب ، ومحو قراهم ، وابادة خضرائهم ، وبذلك يستقر ملك اسرائيل ، ويندحر الاسلام والمسلمون ...

وهاك أيها القارىء عبارات المقال الذى نشرته مجلة « تابلت » الانكليزية الكاثوليكية للكاتب (ف. س. أندرسون) .

يقول الكاتب المذكور : « ان نظرة واحدة الى خارطة حدود اسرائيل الحالية تعيد الى الذاكرة للفور أوجه الشبه القوية بين تلك الحدود وحدود مملكة الصليبيين التى قامت عقب احتلال القدس سنة ١٠٩٩ م

ونظرا الى الأعمال العدائية بين اسرائيل وجيرانها نرى من المفيد أن نقارن بين الحالة العسكرية الراهنة وبين مثيلتها أيام الصليبيين القدامى علنا نرى ما اذا كان سيقيض لاسرائيل حظ أوفر مما كان للصليبيين أم سيلقون مصيرهم ؟ ان مملكة الصليبيين لم يكتب لها البقاء الا أمدا قصيرا ، فقد مكثت ثمانية وثمانين عاما فقط ، ثم استرد المسلمون القدس !

ومع أن المسيحيين نجحوا فى الاحتفاظ بقطاع صغير شرقى البحر المتوسط مدة مائة عام أخرى الا أنهم فشلوا فى الدفاع عن عكا أخيرا وأخذوا يغادرون هذه البلاد تحت جنح الظلام عائدين الى أوروبا ...

إن سقوط تلك المملكة كان يعود الى بضع نقائص ظاهرة فاذا أريد لاسرائيل أن تعيش مدة أطول ، فما عليها الا أن تحتاط ضد هذه النقائص ..

لقد دخل الصليبيون فلسطين فى ظروف ملائمة جدا لهم ، تميزت بوقوع الفرقة بين المسلمين ، وعجزهم عن اقامة جبهة مقاومة موحدة ! وهكذا استطاع المهاجمون أن يهزموا المسلمين بسهولة ، دويلة بعد دويلة ، وأن يمكنوا لأنفسهم فى الأقطار التى فتحوها .

غير أنه لم يمض وقت طويل حتى ظهر زعيم عسكرى مسلم استطاع أن يوحد المسلمين أمام خصومهم بسرعة ، ثم حشد قواهم فى معركة حطين ، وأصاب الصليبيين بهزيمة ساحقة ، تقرر على أثرها مصير القدس ، بل انحسر بعدها المد الصليبى جملة ، ودخل صلاح الدين الأيوبى مدينة القدس ، التى عجز أعداؤه عن استبقائها أو استعادتها فتركوها يائسين » .

يقول الكاتب الكاثوليكى « كان الصليبيون يستطيعون البقاء مدة أطول فى تلك البلاد لو لم يعانوا نقصا شديدا متواصلا فى الرجال ، ولو أنهم وسعوا حدود مملكتهم وفق ما تمليه الضرورات العسكرية الماسة ، لماذا لم يحتلوا دمشق ؟ لقد كان احتلال دمشق مفتاح مشكلتهم وضمان بقائهم !

وسيظل عدم تقديرهم لهذه الحقيقة لغزا لنا ! نعم انهم بذلوا جهودا واهية لاحتلال تلك المدينة ، بيد أن محاولاتهم كانت من الضعف بحيث كتب عليها الفشل » وبدلا من أن يتابعوا جهودهم لاحتلال دمشق اتجهوا جنوبا واحتلوا العقبة وشرعوا يوجهون حملاتهم الى مصر ، مع أن الاشراف على النيل هدف عسير التحقيق !!

وعندما أصبحت للمسلمين اليد العليا فى ذلك العهد استطاعوا إجلاء الصليبيين عن العقبة وعن سائر حصونهم فى الجنوب ، الا أن الكارثة الكبرى

جاءت من الشرق ، فان معركة حطين وقعت بالقرب من بحيرة طبرية عند الزاوية الشمالية الشرقية لملكة الصليبيين ...

ولما كانت دمشق والأرض الممتدة بين الأردن والصحراء السورية ملكا للمسلمين فقد استطاعوا أن يتحركوا بحرية على ثلاث جبهات حول المملكة الصليبية التى أضحت شبه محصورة ...

وذلك ما أعجزها عن المقاومة ! »

يقول الكاتب الحزين لما أصاب أسلافه : « ولو أن الصليبيين اندفعوا قدما وقطعوا الممر الذى يؤدى الى الشرق من دمشق لاستطاعوا منع مرور الجيوش والقوات بين سورية ومصر ، ولكانت حدودهم الشرقية المستندة الى الصحراء أكثر أمانا ، ولأمكنهم الانتفاع من أساطيلهم البحرية » ثم يستأنف الكاتب الحاقد كلامه فيقول : « لقد أقيمت اسرائيل فى وقت كان العرب فى الدول المجاورة عاجزين عن القيام بعمل موحد ، ثم بقدر كبير من الجهد والشجاعة استطاع اليهود أن يبلغوا حدودهم الحالية ، لكن هذه الحدود تطابق حدود المملكة القديمة للصليبيين وقد عرفنا مآلها فما العمل ؟ »

يقول الكاتب محرضا اليهود على مزيد من العدوان : « مرة أخرى ، ما لم تتحرك اسرائيل فى الاندفاع نحو دمشق فستبقى للعرب تلك الحرية الخطرة فى تنقيل قواهم حول ثلاث جهات من اسرائيل ، وفى ذلك ما فيه » .

ويستطرد : « قد يكون من العسير سياسيا أن تتحرك اسرائيل لغزو سوريا واحتلال دمشق ، لكن الاتجاهات السياسية السورية قد تساعد على تسويغ ذلك ، وان مثل هذه النزهة الحربية (!) ستنطوى على فائدة دائمة لاسرائيل أعظم من الفائدة التى تجنيها من التغلغل فى صحراء سيناء » .

ويختم الكاتب نصائحه لأصدقائه اليهود فيقول : « ان اسرائيل لن تنقصها القوى البشرية ، فلديها جيش كبير ، بالاضافة الى هجرة منظمة من جميع انحاء العالم تمدها بكل ما تفتقر اليه من طاقات ، ويجب أن تظل قادرة على وضع جيش قوى فى الميدان يكون دائما على أهبة الاستعداد » .

لو أن كاتب هذا الكلام يهودى قح ما استغرب المرء حرفا منه ! ان وجه العجب فى هذا التوجيه المشحون بالود لاسرائيل ، والبغض للعرب والمسلمين ، أن الكاتب رجل مسيحى ينشر رأيه فى مجلة كاثوليكية .

وهو يفكر ويقارن ويقترح كأن القضاء على العروبة والاسلام جزء من عقله الباطن والظاهر ، ثم هو لا يشعر بذرة من حياء فى اعلان سخائمه ! ان مشاعر البغضاء المضطرمة فى جوفه تغريه بالاسترسال والمجازفة دون أى تهيب .

ويحزننا ان هذا الكلام ليس ابداء لوجهة نظر خاصة ، فان الكاثوليك فى أرجاء الأرض انتهزوا فترة الضعف التى يمر بها الاسلام كيما يحولوها الى هزيمة طاحنة وفناء أخير .

والروح الذى أملى بكتابة هذا المقال هو نفسه الروح الذى كمن فى مقررات المجمع المسكونى الذى عقده بابا رومة وصالح فيه اليهود ، وأمر الكنائس بعده ألا تلعنهم فى صلواتها .

وهو الروح الذى جعل البابا بولس يزور القدس ، ويدخل الأرض المحتلة ويتعامل مع سلطات اسرائيل ، وهو تصرف لم يفعله أحد البابوات من مئات السنين !! وللقارىء المسلم أن يسأل : أذلك موقف الكاثوليك وحدهم ؟ أم ان

أصابع الاستعمار الغربى قد أفسدت التفكير الدينى لدى كثير من المفكرين الغربيين ؟

قرأت كتابا وجيزا للمؤلف المصرى المنصف الدكتور وليم سليمان وردت به هذه الحقائق نذكرها مع تعليق سريع لا بد من ايراده .. قال : « فى ديسمبر سنة ١٩٦١ عقد مجلس الكنائس العالمى مؤتمره الثالث فى نيودلهى ، وأصدر قرارا حدد فيه موقفه من اليهود جاء فيه ... لا بد من تهيئة التعليم الدينى المسيحى وتقريبه للأذهان على وجه يبرىء اليهود من تبعات الأحداث التاريخية التى أدت الى صلب المسيح اذ أن هذه التبعات تقع على عاتق الانسانية كلها (!) وقد صرح الراعى البروتستانتى الأمريكى ل. ج. بنيت الأستاذ بمعهد اللاهوت بنيويورك قائلا : ان الكنائس مسئولة بوجه خاص عن العداء للسامية فقد ظلت تعاليم المسيحية موجهة عدة قرون ضد اليهود وهو عداء يعد من مخلفات الأحقاد الدينية القديمة » .

نقول نحن : وما ذنب المسلمين فى هذا ؟ وهل عرب فلسطين يدفعون ثمن هذا الخطأ الكنسى من وطنهم وكرامتهم وحاضرهم ومستقبلهم ؟

ذلك ما يريده مجلس الكنائس العالمى الموقر !! فان هذا المجلس عقد مؤتمرا فى بيروت وزار أعضاؤه مخيمات اللاجئين ثم قرر أنه ليس هناك حل دائم لمشكلة الفلسطينيين الى أن يبت فى القضية الخاصة بالخلاف بين العرب واسرائيل .

وقال المؤتمر الطيب القلب : ان ذلك سيشمل خطة عامة لتعويض اللاجئين سواء عادوا الى وطنهم أم لم يعودوا وأن هناك صدقات سوف يأخذها أصحاب الأرض والمطرودون ..!!

وفى سنة ١٩٦٤ عقد مجلس الكنائس العالمى فصله الدراسى الثالث عشر « بجنيف » وافتتح الجلسة عميد الكلية اللاهوتية بجامعتها فقال لا فض فوه « حين تثور مشكلة اليهود فان الكنيسة لا تستطيع أن تتجاهل ثقل مسؤليتها العظيمة عن آلامهم ، وضياعهم طول تاريخهم ، ولذلك فان أول ما يصدر عنها نحوهم هو طلب المغفرة .. » !!

يجب على الكنيسة أن تطلب المغفرة من اليهود !! بهذه العبارة الضارعة الذليلة يفتتح مجلس الكنائس العالمى الجلسة التى يحدد فيها موقفه من دولة اسرائيل .. ونتساءل نحن مرة أخرى اذا أجرم غيرنا وجب علينا نحن القصاص ؟

«أن لعنة الله على الظالمين . الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا»

لقد فكرت فى هذا الأمر مليا ! ان حقنا ليس غامضا حتى يلتمس عذر لستبيحه ! هل المال اليهودى من وراء هذه الذمم الخربة مهما كانت مناصبها الدينية ؟ ربما أم أن الضغائن العمياء على الاسلام وأمته سيرت الخطب والمقالات فى هذا المجال الفوضوى المكابر الوقح ؟ ربما .

لكن الدكتور وليم سليمان فى كتابه « الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية » .

يذكر لنا كلاما آخر يستحق الدرس والتأمل .

انه ينقل عن مؤرخ الارساليات « ستيفن نيل » هذه العبارات من تقرير له : « لقد تيقن الرجل الغربى أن سجله الاستعمارى حافل بالعار ، وأصبح أقل ثقة مما كان فى وحدانية الانجيل المسيحى ونهائيته ، وفى حقه ــ أى حق

الرجل الغربى ـ أن يفرض على ورثة الأديان العظيمة الأخرى شيئا قد يثبت فى النهاية أنه ليس أكثر من خرافة (١) غربية A. WESTRN MYTH

وبدأ فى أوساط رجال اللاهوت هجوم صريح على الألوهية بكل مظاهرها فى المسيحية ! وانتشر تيار فكرى يجعل نقطة بدايته « موت الاله » (!) وينادى بمسيحية لا دين فيها ! وينادى بهذه الأفكار « بنهوفـــر ويلثمان » والأســـقف الانجليزى « جون روبنسون » (٢) ويخيل للمراقب من بعيد أن القوم يثـــورون على الاله لأنه تخلى عنهم وساعد أعداءهم » .

ويستطرد الدكتور وليم سليمان فيقول عن الغربيين : « الدين فى نظرهم لم تعد له قيمة فى ذاته ، انه شيء يمكن الاستفادة منه لتحقيق الأهداف الدنيوية التى ينشدها الغرب فى شتى أنحاء العالم .. »

وخلاصة هذا الكلام أن المسيحية انتحرت فى أوروبا ! فأى تدين هذا الذى ينخلع ابتداء عن الايمان بالحى القيوم ؟ ويعتبر التعامل معه منتهيا لأنه تلاشى ومات ..؟!

إن ذلك هو التفسير الحقيقى لانضـــواء رجال الكهنوت تحت رايـــة الاستعمار وركضهم الخسيس فى خدمة قضاياه ..

وعندما تتسابق شتى الكنائس الغربية لارضاء اسرائيل وتملق اليهود فهل يدل ذلك الا على شيء واحد ... أن رجال الدين باعوا ضمائرهم للشيطان ..؟

إن العرب يتعرضون لابادة عامـــة ، والمتفجرات تنسف منازلهم ، وقـــد محيت قرى بأكملها من الوجود ، والدفاع عن النفس يوصف بأنه اجرام وتمرد ! ووسط هذه الحريق المستعرة ، يبارك ساسة اسرائيل ، ويقول رجال الدين والدنيا : خلقت اسرائيل لتبقى !! فأين منطق الايمان بالله واليوم الآخر فى تلك المداهنة وهذا الاستخذاء .

ظاهر أن القوم قد تحولوا الى سماسرة وعملاء للاســـتعمار العالمى .. واعتقادى أن هذه المحنة الرهيبة ستوقظ الاسلام النائم ، وان كان غيرى يرى أن المادية المتربصة هى الكاسبة من خيانة الغرب لدينه ومثله .

ولا شك أن المستقبل محفوف بأخطار شداد ، بيد أننا لن نفقد توازننا ولا ثقتنا فى أصالتنا الدينية ولا آمالنا فى جنب الله .

واعتقادى كذلك أن الاستعمار سيفشل فى محاولاته الدائبة لجر الكنائس الشرقية الى جانبه ، واشراكها فى مآسيه ، واذا كان قـــد ضلل البعض فان الجمهرة الغالبة ستبقى على وفائها لتعاليمها ومواطينها وتاريخها الصبور ..

---

(١) تاريخ الارساليات ص ٤٥٠ ــ ٤٥٦

(٢) انظر على سبيل المثال كتاب روبنسون « Houest To God » الذى طبع منه فى مارس سنة ١٩٦٣ أربع طبعات وفى ابريل سنة ١٩٦٣ طبعتان وفى كل من مايو ويوليو وسبتمبر من نفس العام طبعة . وكانت الطبعة العاشرة فى سبتمبر سنة ١٩٦٤ وقارب عدد النسخ المطبوعة منه مليون نسخة . وعلقت عليه مجلة تايم فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٦٤ ونيوزويك فى ابريل سنة ١٩٦٦ ومجلات امريكية أخرى كثيرة ..!!



مكتبة المجلة

اعداد الأستاذ
عبد الستار محمد فيض

الرسالة المحمدية وشواهدها :

دراسة مفصلة تتناول شخصية النبى صلى الله عليه وسلم من خلال كتب السنة التى حفظت آثره وسجلت أخباره وقد أقتبست منها بعض شواهد رسالته وأبرزت طرفا من سمات عظمته وهو كتاب قيم لمؤلفه الكاتب الاسلامى المعروف الشيخ محمود عبد الوهاب فايد .

وسيجد القارىء فى هذه الدراسة شعاعا من ضوء النبوة الخاتمة المتألق الذى هدى الناس ويهديهم الى الصراط المستقيم .

والرسالة تقع فى ٣٢٠ صفحة ومن طبع دار الطباعة المحمدية بالازهر ونشر مكتبة القاهرة .

أبو ذر الزاهد :

كتاب من تاليف الاستاذ محمد سعيد ريه يتناول فيه شخصية الصحابى الجليل أبو ذر الغفارى ــ تلك الشخصية التى يجب على الانسان أن يتعرف على حقيقتها بالدراسة ليقف على مآثرها تمجيدا لموقف صاحبها الانسانى النبيل .

والكتاب يقع فى مائة صفحة وطبعته مطبعة نور الأمل ــ بالقاهرة .

الفكر الاسلامى :

المجلة الاسلامية التى تصدرها لجنة الفتوى بلبنان وقد ظهر منها العدد الاول ، وهى كما يبدو من أسمها مجلة اسلامية تهتم بشئون وقضايا المسلمين فى الوطن العربى والاسلامى ولأول مرة فى تاريخ هذا الوطن الحبيب لبنان تظهر بين مسارحه هذه المجلة لتكشف برفق وحنان ولكل الناس عن حقيقة الاسلام العظيم ، تضع تعاليمه وآدابه ومقاصده بين أيديهم جميعا .

ولأول مرة تبرز هذه المجلة لتاخذ طريقها الى قلوب الجميع دون تفريق مؤكدة أنها ستاخذ على عاتقها التعليم المخلص والارشاد الرفيق والنصح الغيور والوعى الاسلامى تتمنى لزميلتها كل تقدم وازدهار فى سبيل اعلاء كلمة الاسلام والمسلمين .

أثر القرآن والحديث

في خطابة الصدر الأول

للدكتور
محمد محمد خليفة

الأسلوب القرآني :

كان القرآن المعجزة البيانية الخالدة التى عاشت على الحياة حياة للأدب العربى فى عصور الاسلام تمده بكل أسباب القوة ، وتضع أمام الهائمين بمحاسن البيان روائع الصور ، وقد نزل القرآن بلسان عربى مبين هو ذلك اللسان الذى وافتنا به الآثار الأدبية ، وتجمعت فيه لهجات الكثير من العرب ، وكانت بلاغة القرآن أسمى بلاغة جاءت بذلك اللسان لسمو معانيها وتماسك ألفاظها ، وتناسق تراكيبها ، فبلاغته جامعة لكل جمال ، وكلامه قريب الى عقول العامة ليس بمستغلق على أفهامهم « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » .

وهو نثر لا ريب فيه . وآياته المحكمة النسج الزاخرة بالمعانى ، الفياضة بالرقة اللفظية المتلاقية مع

كل مقام وردت فيه ، المليئة بالصور المثيرة ، والوجدانيات العميقة : هذه الآيات الجامعة لكل ذلك كانت آيات أعجزت العرب عن محاكاتها وهم أرباب الفصاحة والبيان ، وبلسانهم نزل القرآن .

فايجازه معجز حين لم يقف عند تجنب الحشو وفضول الكلام ، بل تجاوز ذلك الى حذف بعض أركان الكلام ، واستثمر البقية الباقية من الألفاظ فى أداء المعنى فى وضوح وقوة .

واطنابه لم يرسله زيادة لا تهدف الى جديد ، وانما هى زيادة تحمل فى طيها من أسباب التأكيد والقوة والجمال ما لا يكون مع غيرها .

وبهذا وذاك هزت بلاغته من دانت لبلاغته العقول ، فكم سجد بلغاؤهم حينما سمعوا ثلاث كلمات قرآنية تجمع عواقب الدنيا والآخرة هى « وكل أمر مستقر » وحينما قرع أسماعهم قوله : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » فألفوه قد جمع كل مكارم الاخلاق ، وكم فيه من عبارة موجزة تطامنت عندها عبقريات الفصحاء من مثل قوله تعالى : « فى القصاص حياة »

ولم يعجزهم ايجازه أو اطنابه فحسب ، بل راعتهم جوانب بلاغته كلها : راعهم جرس فواصله فى مثل قوله : « والنجم اذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . » وسحرهم جمال صوره ودقة تصويرها فى مثل قوله : **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » وفى** قوله : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه » وما أروع تصويره للحياة الدنيا فى قوله : « **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء** أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح » .

وكم فى القرآن من مجازات هزت المشاعر من مثل قوله : « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا » وقوله « وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم » .

وقد استخدم القرآن السجع أو رعاية الفواصل كما يسمى تأدبا مع الأسلوب القرآنى ليتحدى العرب بذلك الذى عنوا به وبرز فى كلامهم

اعجاز القرآن :

لقد سجل القرآن عجز العرب عن محاكاته فى عصر من أزهى عصور البيان العربى ، وأقدرها على الاتيان بالروائع والبعد عن اللحن فتحداهم بل تحدى الجن معهم أن يأتوا بمثله : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله :

« أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » .

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله : « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » وقد عجزوا على الرغم من تدرج التحدى على حين أنه لم يخرج عما ألفوه فى كلامهم من

الحروف والالفاظ والتراكيب ، وبأنه لم يخرج عـن ذلـك كان أعظم فى الاعجاز .

ولقد تشعبت الآراء حول اعجاز القرآن :

١ ــ فرأى أبو اسحاق النظام : أن سبب الاعجاز يرجع الى أن الله صرفهم عن الاتيان بمثله .

٢ ــ ورأى عبـد القاهـر : أن الاعجاز يرجع الى خصائص نظمـه ودقائقه .

٣ ــ ورأى القاضى عياض : أن مرجع اعجازه الى حسـن تأليفـه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغتـه وصور نظمه وأسلوبه ، وما أنبأ به من أخبار القرون الماضية .

٤ ــ ورأى الجاحظ : ان اعجازه يرجع الى بلاغتـه وخصائصـه البيانية .

فالاعجاز يرجع عند غيـر النظام الى الكلمـات الفصيحة المنسقـة الحروف المرتبة الحركات والسكنات ثم الى موقع تلك الكلمات من النظم وترتيبها فى الجمل ثم الى الفواصل التى تختم بها الآيات ثم الى الربط بين الجمل ، ثم الى الجمال التوقيعى الذى نحسه فى النظام الصوتى الذى يهز النفوس وما كانت العرب تعهـد مثل هذه الهزة إلا فى الشعر ، ومن ثم رأوا مجالا للطعن بأنه شعر وأن مرتله شاعر « وما هو بقول شاعر »

وقد اختلف نظام الآيات من حيث الطول والقصر والايقاع باختـلاف المقام الذى نزلت فيه فعناد المكيين وحقدهم على الدعوة الاسلامية وعلى صاحبها ، والكيد له والاسراف فى ايذائه وايذاء أصحابه كل ذلـك استدعى ارسال التخويف والارهاب فى قذائف عاجلة تروع وتفزع ولهذا جاءت الآيات المكية فى مثل هـذه المقامات فى عبارات قصيرة تحمـل الخوف والرهبة . وتقرع قرعـا متلاحقا أسماع المعاندين فى مثل قوله تعالى : « وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه ، ولم أدر ماحسابيه ، ياليتها كانت القاضية ما أغنى عنى ماليـه ، هلك عنى سلطانيه ، خذوه فغلوه ، ثم الجحيم صلوه ، ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه » .

أما حين قر للدعوة ولأهلها القرار فى المدينة فقد تطلبت الحياة الجديدة للنظام الاسلامى وتطلب جدل اليهود الحجة والاقناع فطال مع ذلك نظام الآيات فى مثل قوله تعالى : « يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم ومـا أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون » ، وكقوله : « يـا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه » الى آخر الآية .

ولقد كان للقرآن أثره الكبير فى عقول المسلمين وبخاصة أولئك الذين كان لهم بصر بروائع القول ووهبوا الأذواق التى تدرك الجمـال الفنى .

وتأثرت الخطابة فى الصدر الأول بالقرآن اقتباسا وأسلوبا ومنطقـا وحجة .

مدى أثر القرآن فى الخطابة :

هزت الأساليب القرآنية قلـوب العرب حين أدركوا فيها بلاغة دونها بلاغة أرباب البيان من أمثال سحبان وغير سحبان ، بل لا توازن بها بلاغة بشر ، فقد أسرتهم تراكيبه فى الفاظها ومعانيها وفصلها ووصلها ومجازاته واستعاراته وتشبيهاته وكل صـوره

البيانية،وأسرتهم قوة حجته واجتذبهم توجيهه ، ووقفوا عند كل ذلك يرتشفون من منهله الثجاج ويملئون عقولهم وقلوبهم من كل ما جاء فى القرآن وما ملأ به حياتهم ونظام معيشتهم ، فلما تطلبت الدعوة الاسلامية خطباء ينشرونها ، ويدافعون عنها ، ويعيشون مع أحداثها انطلقوا دعاة تدفق بيانهم وتفجرت قلوبهم وسالت ألسنتهم خطابة حية قوية متأثرة فى ألفاظها ومعانيها وبلاغتها وحجتها بالقرآن فتراءت خطابتهم وكأن القرآن قد انطبع عليها روحا وفكرا وأسلوبا من حيث البعد عن الغريب ، وأحكام تأليف العبارات ، وابداع النسج ، واستمدت منه كل ذلك لتؤثر فى النفوس أثرا قريبا من اثره لأنها ربيبته ، وأى مؤثر أعظم من مؤثر القرآن حين تنهج العقول نهجه ، وتقفو خطاه .

وكان أكثر الخطباء تأثرا به أولهم تلقيا له ، ثم أقربهم منه بالجسم والروح ، ثم من عاش معه بعقله يتلقى منه اشراقاته التى تشع فى كيانه وحياته ثم تنعكس على لسانه كلما وجد مجال القول .

وكانت دعوة التوحيد أول دعوة جاء بها الاسلام فأعلنها الرسول صلى الله عليه وسلم على جبل الصفا ثم أعلنها فى دار بنى الأرقم التى اتخذها كعبة للدعوة ولتلقى نور الحق ، وأعلنها لمن جاءه من العرب ولليثربيين فى العقبة وفى المدينة وغير المدينة ، وقد تأثر فى كلماته التى ارسلها حول هذه الدعوة بقول ربه جل من قائل « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد » ، « قل هو الله أحد » ، « قل يا أهل الكتابتعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا » .

وكما تأثر صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات وبغير هذه الآيات تأثر الدعاة والمهاجرون الذين حملوا دعوة الحق وأعلنوها حيثما حلوا أو رحلوا :

تأثر بها جعفر بن أبى طالب وهو يخطب بين يدى النجاشى فى الحبشة حين فر بدينه من المكيين مع غيره ، وذهب وراءهم وفد قريش يطلبون من النجاشى تسليمهم فقال جعفر فى حديثه عن محمد صلى الله عليه وسلم : فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان .

وكان من أسس العقيدة الاسلامية الايمان بالبعث والحساب : وردد الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك فى خطبه بل فى أول خطبة له أعلن بها الاسلام على جبل الصفا فذكر الموت والحساب والبعث وذكر ذلك فى أول خطبة له بالمدينة وفى أول خطبة جمعة له أقامها عليه الصلاة والسلام بالمدينة ، وهو متأثر حين يذكر ذلك بقول ربه : « كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة » (آل عمران) وقوله : « بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا » (الفرقان) وقوله : « واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة » (الجاثية) واستعان الرسول بكل ذلك فى رده على المشركين الذين حكى القرآن رأيهم فى قوله : « وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ما لهم بذلك من علم » (الجاثية) .

بكل هذه الآيات وغيرها تأثر

الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى خطبه التى أرسلها وتناول فيها الحديث عن البعث والحساب .

وقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم فى أول خطبة جمعة له الى الايمان بالله والى معاداة الكفار فقال من تلك الخطبة : (أومن به ولا أكفره ، وأعادى من يكفره) وهو متأثر فى هذا بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة » الممتحنة .

كما أمر فيها بطاعة الله ورسوله مقتبسا ذلك من قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » « النساء » .

وحذره فى تلك الخطبة من التفريط فى جنب الله اخذا من قوله تعالى : «واتبعوا أحسن ماأنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون . أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله » (الزمر) .

وقال فى هذه الخطبة : (قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين) مقتبسا من قوله تعالى : « ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » (العنكبوت) .

ثم قال فيها : « فأحسنوا كما أحسن الله اليكم » اخذا من قوله تعالى فى قصة قارون : «وأحسن كما أحسن الله اليك » (القصص) وفيها قال : « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة » وهذه عبارات من آيات ربط بينها وساقها فى خطبته فقوله : وجاهدوا الى قوله : هو اجتباكم من سورة الحج وفى نفس الآية « وسماكم المسلمين » وأما قوله : ليهلك الى قوله عن بينة الثانية فمن سورة الانفال » وتجلت البلاغة النبوية فى ربط هذه الأجزاء ربطا محكما بين الجهاد والموت فى سبيله وتسميتهم بالمسلمين .

وفى كلمته الموجزة التى قالها حول الخروج الى بدر بعد أن سمع خطيبى المهاجرين والأنصار قال : (سيروا وأبشروا فان الله وعدنى احدى الطائفتين) مشيرا الى قوله تعالى : « واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم » وفى خطبته التى هيأ بها النفوس للخروج الى أحد قال : (فاستفتحوا أعمالكم بالصبر والجهاد والتمسوا بذلك ما وعدكم الله به) يشير الى وعد الله فى قوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » (الحج) .

وقال فى هذه الخطبة : (ان الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز) يشير الى قوله تعالى : « وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

وفىخطبة يوم الفتح قال : (الناس من آدم) ثم تلا قوله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى » فكان فى ذلك الاقتباس اشراق شع على قول الرسول فملأه نورا انسكب فى قلوب سامعيه .

وأما خطبة الوداع فدارت كلها حول معانى القرآن وامتلأت اقتباسا منه قال فيها :

(ان ربا الجاهلية موضوع) فأشار

بذلك الى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين » والى قوله : «يمحق الله الربا ويربى الصدقات» .

وتكلم عن جزاء القتل العمد مشيرا الى قوله تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم » (النساء) .

وبين حكم القتل خطأ مشيرا الى قوله تعالى : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة » .

وتكلم عن حق الرجال على النساء مشيرا الى قوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء » (سورة النساء)

وقال : (من حقكم عليهن الا يأتين بفاحشة) متأثرا بقوله تعالى : « واللائى يأتين الفاحشة من نسائكم » الخ (النساء) .

وقال فى تلك الخطبة : (فان فعلن فقد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح) وهو فى ذلك قد تأثر بقوله تعالى : « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن » (النساء) .

وتكلم فيها عن النسىء وهو تأخير الأشهر الحرم عن زمانها ورجع فى ذلك الى قوله تعالى : « انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما » (التوبة) .

وفيها قال : (ان الله قسم لكل وارث نصيبه) وكانت العرب تحرم البنات من الميراث وتقصره على الذكور وقد تأثر فى ذلك بقوله تعالى : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين » .

وفى قوله : (من ادعى الى غير أبيه) الخ ، بين حكم هؤلاء الذين يدعى بنوتهم وقد أشار الى قوله تعالى : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » (الأحزاب) .

وكما تأثر الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالقرآن تأثر أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ، ومنهم ثابت بن قيس فى رده على خطيب بنى تميم حين حضر وفدهم بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم يسأل عن الاسلام فبدأ ثابت خطبته بقوله : الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه قضى فيهن أمره وقد تأثر فى ذلك بقوله تعالى « فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها » (فصلت) .

وقال أبو بكر فى خطبته التى ألقاها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم : ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم مشيرا الى قوله تعالى : « يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان » الخ (الأعراف)

وخاطب عمر فى هذه الخطبة فقال : أما علمت أن الله يقول لمحمد : « انك ميت وانهم ميتون » .

وأجاب عمر بعد الخطبة بعبارات من آيات ربط بينها فقال : أشهد أن الكتاب كما نزل والحديث كما حدث وأن الله حى لا يموت وانا لله وانا اليه راجعون فأخذ قوله : وان الله حى من قوله تعالى : « وتوكل على الحى الذى لا يموت » وقوله وانا لله الخ من قوله تعالى :

« وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون » .

وفى خطبة يوم السقيفة قرأ أبو بكر على المتنازعين قوله تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار » ليدلل على أن التقدم فى الترتيب دليل على تقدم المنزلة عند الله فى الدنيا والآخرة .

وللموضوع بقية قادمة ان شاء الله .

قرارات مجمع البحوث الاسلامية

بشأن :

تلحين القرآن الكريم .
حكم الجمع بين القراءات في المجلس الواحد .
كتابة المصحف بالرسم العثماني .
ترتيب السور والآيات في القرآن .

ترددت فى السنوات الاخيرة دعوات تنادى بتلحين القرآن الكريم ، وقد عرض هذا الموضوع مع موضوعات أخرى تتصل بكتاب الله تعالى على مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة فاتخذ فيها القرارات والتوصيات التالية :

وقد أرسل الينا الدكتور عبد الحليم محمود الامين العام للمجمع رسالة مع هذه القرارات والتوصيات جاء فيها :

ان مجمع البحوث الاسلامية قد أصدر قراره فى شأن الدعوة الى تلحين القرآن الكريم ، وهى الدعوة التى ظهرت على أقلام بعض الكتاب فى فترات متباعدة ، وقد أعار المجمع اهتمامه لهذا الموضوع ، ودرسه دراسة وافية ، وانتهى فيه الى تحريم التلحين تحريما قاطعا ، والاكتفاء فيما يتصل بتحسين الصوت فى القراءة على القواعد التى وضعها علماء التجويد ، وفى حدود الآداب التى ينبغى التزامها ، والخشوع الواجب مراعاته :

وفيما يلى النص الكامل لما أقره المجمع :

تلحين القرآن الكريم :

« ان القرآن الكريم قد وصل الى المسلمين عبر العصور مكتوبا بالرسم العثمانى الذى يحافظون عليه منعا لأى تحريف يطرأ على لفظ القرآن .

كذلك فان ترتيله متوارث جيلا عن جيل بالنطق الذى أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد وضع علماء المسلمين قواعد صريحة محدودة فى علم التجويد هى التى تحكم ترتيل القرآن الكريم ، وفى أى خروج عليها مخالفة لا يقرها الاسلام ، ولا يرضى عنها المجمع » .

حكم الجمع بين القراءات فى المجلس الواحد :

« يوصى المؤتمر بعدم الجمع بين قراءات القرآن الكريم عند تلاوته فى المجلس الواحد ، فى المحافل أو الاذاعة أو التلفزيون أو فى تسجيله على أى من وسائط التسجيل الصوتى » .

كتابة المصحف بالرسم العثمانى :

« يقرر المؤتمر وجوب المحافظة على رسم مصحف سيدنا عثمان رضى الله عنه ، فى طبع القرآن الكريم فى مصحف كامل ، أو فى طبع أجزاء منه ، ولا يجوز استعمال الرسم التعليمى الا اذا كان ذلك لبعض الآيات من كتب تعليمية ، أو لغرض اقتباس بعض الآيات أو الاستشهاد بها » .

ترتيب السور والآيات فى القرآن :

« يقرر المؤتمر تقريرا اجماعيا مؤكدا وموثقا بأن ترتيب السور والآيات فى القرآن الكريم هو ترتيب توقيفى تلقاه الرسول عليه الصلاة والسلام بوحى الهى ، وأن هذا الترتيب هو الذى جاء فى المصحف الامام عن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه .

ويعلن المؤتمر أنه لا يجوز لأحد أن ينحرف عنه أو يخالفه بأى وجه من الوجوه » .



محمد فريد وجدي

للأستاذ : محمد الصالح آل إبراهيم

كثير من العظماء جاءوا ولم تدق لهم الطبول وذهبوا ولم يشعر أحد بذهابهم ، ولكن العظمة تترك وراءها تراثا لا يفسده الاهمال ، ولا تخفيه عوامل الزمن .

ان الرجال تقاس بأعمالها وجهادها وبقدر ما أسدت الى المجتمع من فضل ونفع .

ومن أولئك العظماء الذين ساهموا فى نهضة هذه الأمة الفكرية فى القرن العشرين الأستاذ محمد فريد وجدى .

فقد عاش حياته كلها فى سبيل النضال من أجل الثقافة الحقة ، وكان زاده ايمانا صادقا ، وعزيمة قوية وفكرا نيرا وقد خدم هذه الأمة خدمة جلى ، يقصر عنها كثير ممن يعدونهم فى هذا العصر رءوس الفكر والأدب

والباحث عن سيرته ونشأته لا يجد مصادر تبين عن تثقيفه وتاريخ حياته ، ولقد يحار المرء فى عدم وجود ترجمة مستفيضة أو مركزة لمثل هذا العلامة المناضل القريب العهد ، وان وجد شىء من ذلك فلا يتعدى النزر اليسير ، وكل ما يجده الباحث أنه ولد فى الاسكندرية وتربى فى المدن المصرية حيث كان أبوه موظفا كبيرا ، ثم انه استقر فى القاهرة وعمل فى وظيفة صغيرة فى وزارة الأوقاف ، ثم أنشأ مطبعة ، وأصدر جريدته (الدستور) وأصدر (الوجديات) ولكن لن تجد وصفا لحياته فى تلك الآونة وما مر عليه من مصاعب ومتاعب أو غير ذلك .

وكان الأولى بأجهزة الثقافة أن تحرص على لم شتات سيرته فانه أنموذج فاضل يجب أن يكون مثالا للأجيال ، فحياته كلها تدل على الجهد والمثابرة والتضحية فى سبيل العلم والمعرفة ، وقد ترك تراثا خالدا على مدى الأجيال .

ان لمحمد فريد وجدى فضلا على الأمة الاسلامية عامة وعلى مصر خاصة ، فلقد ضحى فى سبيل أمته بكل غال وثمين ، وكان جهاده جهاد الأبطال الصامتين ، ولقد كان وحده مدرسة بما ألف وأنشأ .

ولقد جعل قلمه فى خدمة الأمة واعلاء شأنها ، وظل وفيا صدوقا أبيا شريفا بعيدا عن الاضواء ولعل هذا ما جعله ينال الاهمال والنسيان ،

لأنه يعرض عن المجاملات والمداهنات ليبقى عفيفا لا تدنسه الاكدار .

عاش فريد وجدى فى مصر يحمل القلم مناضلا عن لغة الضاد مجاهدا فى سبيل الاسلام ، ولقد لقى كثيرا من العنت والمحاربة ، ولكنه كان صاحب مبدأ يناضل فى سبيل مبدئه لا يستهويه مطمع ولا يغريه مغنم .

ولقد أنشأ جريدة كانت مثالا للاستقامة القلمية ، وهاديا منيرا للذين قد تغريهم بهارج المبادىء الخادعة ، وكان ما يكتب فى الجريدة يتسم بالمنطق الهادىء الرصين والفكر المستنير .

ولقد عجز عن مواصلة سير الجريدة بسبب قلة المال فعرض عليه الكثير من رؤساء الأحزاب فى ذلك العصر المساعدة الجمة بشرط أن يميل الى اتجاههم السياسى فى الجريدة ، فأبى اباء الحر الذى لا يقبل الدنية ، ، وأضطر الى تسديد ديون الجريدة ببيع ما يملك ، ولقد جاء فى كتاب (أنا) للعقاد (تقديم طاهر الطناحى) : (ولم ازل أعمل فى تحرير (الدستور) حتى أضطرت الى التوقف عن الصدور) .

واننى لأحمد الله أن كانت بداية عملى المنتظم فى الصحافة مع رجل كالأستاذ وجدى رحمه الله قليل النظير فى نزاهته وصدقه وغيرته على المصلحة القومية واستعداده للتضحية بماله وراحته فى سبيل المبدأ الذى يرعاه ، ولا يتزحزح عنه قيد أنملة ، فقد عطل صحيفته وبين يديه عرض سخى من جماعة (تركيا الفتاة) التى رأت أن تتخذ منها لسان حال لها فى مصر والشرق باللغة العربية ، وهذا غير العروض التى توالت عليه من جانب (المعية الخديوية) .... فأقدم على تعطيل الصحيفة لكى لا يخالف عقيدة من عقائده السياسية مرضاة لهؤلاء أو هؤلاء ، وباع كتبه ليؤدى حساب العمال والصفافين والموظفين مليما بمليم .

هذا وان لم يكن هذا أسلوب العقاد فهى واقعة يذكرها العقاد دائما جاءت بأسلوب المقدم ، وهى تدل دلالة واضحة على ما يحمل هذا الرجل من فضل وشمم ، وقد أخذنا هذه القصة من أحد الثقاة الذين عملوا معه ، والدلالة الأخرى التى نستفيدها من هذه القصة ما يتعرض له صاحب القلم الشريف والمفكر الحر من ضيق وأهمال واغراء للخيانة وبيع للضمير ، حينما يقف يدافع عن عقيدته بايمان وامانة فى ذلك العصر وفى كل عصر كما يظهر على مستويات مختلفة .

كان مطلع هذا القرن ميدانا لشن حملات هجومية من أعداء الاسلام وخصومه لتحطيم هذه العقيدة السمحاء ، ولقد جند أولئك الأعداء جميع ما لديهم للتشكيك فى صلاحية الاسلام ، وايهام الناس بعدم موافقته لهذا العصر ، بعد أن بهرتهم أضواء المدنية الغربية وأخذت عليهم كل مسلك ، ولقد تصدى هذا الكاتب لهجماتهم وطعناتهم ، ففندها تفنيدا منطقيا علميا ولم يترك لهم مجالا يدخلون منه الا وأوصده ، ولا ثغرة تتراءى لهم الا وأحكم اغلاقها ، وأبان ما فى هذا الدين من شمول لحاجات النفوس وحاجات المجتمع ، وأوضح بجلاء ما يتميز به من فضل سابق ولاحق على الانسانية وشرع فى اظهار محاسن الاسلام ، وأنه دين صالح لكل زمان بما فيه من طواعية وسماح ، وبما يدعو اليه من فضيلة وتقويم ، وكان فى جميع بحوثه ومناظراته وردوده على المستشرقين مثالا للعقل الرزين ، وللعالم الخبير الذى لا يأتى بالحجة الا ولها سند من العلم والمنطق .

ومحمد فريد اسلامى بالمعنى الصحيح ، أوقف قلمه وأوقف نفسه

فى سبيل الدفاع عن عقيدته ودينه ، فكان لا يترك مجالا يمر الا وتحدث فيه عن فضائل الاسلام ومحاسنه ، حتى انه فى (دائرته) اذا تطرق الحديث الى مادة لها اتصال بالاسلام تبسط فى القول ، وتحدث عن الموضوع بتوسع شامل ، وهو بما عمل وساهم يعتبر من أبرز دعائم نهضتنا الأدبية والثقافية ، ومن حقه على أمته أن تخلد ذكراه وتدرس سيرته ، ولقد قال عنه المستشرق الألمانى بول كراوس : (خلقت كلمة أديب له .. وهو يستمد أدبه وعلمه من وثيق ايمانه وصدق اسلامه .. وايمانه بالله يضىء له ظلمات الفكر وبحوثه تهدى الحيارى من قرائه ..) .

مؤلفاته :

الف فريد وجدى كثيرا من الكتب ذات القيمة العلمية والثقافية ، فله كتاب كنز العلوم ، واللغة والاسلام فى عصر العلم ، والحديقة الفكرية فى اثبات وجود الله بالبراهين الطبيعية ، وعلى أطلال العالم المادى ، ومجموعة الرسائل الفلسفية وكتاب المعلمين ، ونقد الشعر الجاهلى لطه حسين ، و(ما وراء المادة) والمرأة المسلمة ، ورسالة الفلسفة الحقة فى بدائع الاكوان ، ومدينة الاسلام ، والاسلام دين عام خالد ، وأصدر فى بدء حياته الأدبية مجلة (الحياة » فى مدينة السويس ، وأصدر جريدة (الدستور) التى تكلمنا عنها سابقا ، وكان أحد محرريها عباس العقاد ، ولقد اكتسب العقاد من زمالته مع محمد فريد ثروة ذات قيمة وأثر ، وقد ظهرت فيما بعد ، ولا شك بأن اتجاه العقاد الى الكتابة فى المواضيع الاسلامية كان له رواسب عميقة منها عمله مع محمد فريد وجدى ، ثم أصدر (الوجديات) وهى شبه أسبوعية ، وقد تولى رياسة تحرير مجلة الأزهر من سنة ١٩٣٤ م الى سنة ١٩٥٣ م ، وكانت معظم الموضوعات التى يتطرقها فى (الأزهر) من أهم وأدق ما يتعرض له الباحث ، وكان كثيرا ما يركز على الرد على علماء الغرب ومؤلفيهم ومستشرقيهم ، مدافعا عن الاسلام وصلاحيته ، مبينا ما فيه من قيمة عالية وأهداف سامية ، ولو رحنا نجمع المقالات التى دبجها قلمه فى تلك الفترة لأصبح لدينا منها عدة كتب .

دائرة القرن العشرين :

لفريد وجدى جهود مشكورة فى تيسير الثقافة ، وأجلها نفعا فى هذا المجال كتابه : (دائرة معارف القرن العشرين) فهو موسوعة ثقافية علمية أدبية ، بذل فى سبيل تصنيفها كل ما يمكن بذله من مؤلف بمفرده ، فحرى أن تعجز عن مواضيعها جماعة من المؤلفين ، لتشعب المواضيع فيها ، ولتباعد الاطراف فى أغراضها ، ولتعدد الاتجاهات فى أبحاثها ، ثم لما تحتاج اليه من دقة واستقصاء ، ولما يتطلب البحث فيها من دأب وجهد مضنيين،وأن كان للمحققين مآخذ على هذه الدائرة ، فهى مآخذ تبنى بالقياس (لدائرات المعارف) التى تؤلفها جماعة من العلماء تعاونهم الهيئات والأفراد المتخصصون ، أما بالنسبة للأستاذ محمد فريد وجدى فان مآخذهم عليه (وان كانت صادقة فى أغلب أقوالهم) فانها تعد حسنات له .

أسلوبه :

يعد محمد فريد وجدى من الرواد الأوائل الذين مهدوا السبيل لخلق أسلوب سهل رائق يقرب الى الأذهان ويبعد عن الحشو والتعقيد ، ولعل

أبرز ما يمتاز به أسلوبه هو التقريب مع التعبير الدقيق ، وأسلوبه يتدفق تدفق السيل المنحدر من مكان بعيد ، فانت لا تشعر بالمطر وما يصاحبه من برق ورعد ، ولكنك لا تحس الا وقد تدفق الوادى بسيل جامح ، وقبل ذلك كله له اطلاع واسع ومعرفة بشتى المعارف ، قل ان اجتمعت لغيره ، وهذه المعرفة هى التى تطعم أسلوبه بالرواء وتميزه بالاحاطة ، وأعتقد أن أول من أزاح ما ران على الأسلوب الكتابى من غثاثة وركود الأستاذ محمد فريد وجدى ، ولقد غفل نقاد الادب ومؤرخوه عما لوجدى من يد طولى فى تحرير الأسلوب فى العصر الحديث ، ولنأخذ تلك القطعة التى سنوردها دليلا على ما يتميز به أسلوبه ، وان كانت ليست بكافية للدلالة على جميع ما فى أسلوبه من صفاء ورواء . جاء فى كتابه : الاسلام فى عصر العلم الجزء الثانى صفحة ٢٢٥ بصدد الايمان بالله : (**العقيدة بوجود الخالق أول العقائد التى تولدت بالفطرة فى نفس الانسان ، فان شئت فقل انها لازم من لوازم معناه ، وان شئت فقل انها صفة من صفات جوهره ، وان شئت فقل انه شعور روحانى حملته روحه معها من عالمها ، هذه العقيدة هى أعطف شىء عليه فى مصائبه وأحنى آس عليه فى نوازله ، يعتصم بها فى مخاوفه ، ويلتجىء اليها فى معاطبه ، ويستسهل بها صعوبات الحياة ومرارات العيش ، ويموت بها مرتاحا قرير العين لتيقنه أن يدا تنتظره لتحمله الى عالم أرقى من هذا العالم ، وقدرة تختفى به تحفظه من عاديات الفناء وجانحات العدم ، تأمل فى أمر هذه العقيدة التى تمس أخص جهة من جهات حياة الانسان ، وتدبر بامعان فى شعوبها السارية من سائر عواطف النفس مسرى الكهرباء فى أسلاكها ، والأشعة على ذرات أثيرها ، ثم دع هذا العالم الباطنى واستجل هيكل الانسان الظاهرى ، ترى قوى النظر والشم واللمس والذوق والحس مستخدمة ومسخرة لهذه العقيدة أيضا ، فما مناظر هذا الجمال التكوينى ، وبدائع هذا العالم الحسى مما يؤثر على كل حاسة من جهة قابليتها الا مثيرات لهذه العقيدة ، موقظات لزيادة الشعور بها ، تأمل هذا بامعان ثم تيقن أن كل تغير يحصل فى العقيدة مهما كان صغيرا يقع من هذه المشاعر الباطنة والظاهرة موقعا يناسبه ، وينزل منها منزلة تلائمه ، فان كان هذا التغير فى الجهة التى تقويها قويت كل قوى نفسه على حسب جهة تلك القوة ، وأن كان فى الجهة التى تضعفها ضعفت كل تلك القوى ضعفا مناسبا ، ونحن لا نعنى هنا بالقوة والضعف ما يعطيهما اللفظان على اطلاقهما ، وانما هما قوة وضعف معنويان يدريهما كل من يشعر بقوى ذاته**) .

ولوجدى قدرة فائقة على خوض الموضوعات الشائكة ، فهو يبحث ويقارن ويحقق فى أمر فلسفى بتعابير سهلة وبألفاظ دقيقة ، واذا ما استرسلت معه فى القراءة ، خلت أن الموضوع لسهولته يتطرق لمسائل عابرة مع العلم أنه يبحث فى مسألة أعيت الفلاسفة والدارسين ، فهو فى هذه الناحية (أى ناحية الأسلوب فى الكتابات العلمية) يفوق الفلاسفة والمفكرين .

وفريد وجدى مع ذلك لا يتأنق فى أسلوبه تأنق الصانع ولا يحرص على الاطار الا بقدر ما يفيد المعنى ،

عاش فريد وجدى فى أخريات حياته عيشة الانعزال والكفاف حتى وافته المنية سنة ١٩٥٤ وقد كان مولده سنة ١٨٧٥م ، فاكرم الله مثواه وأحسن اليه .

مائدة القارئ

أعدها : أبو نزار

محطة أم العيش

هى محطة الكويت الارضية للاتصال عبر الأقمار الاصطناعية ، وتقع فى منتصف الطريق بين الكويت العاصمة ومدينة البصرة وتم افتتاحها فى منتصف شهر ديسمبر سنة ١٩٦٩ ، وهى واحدة من (٣٣) محطة فى العالم فى عشرين دولة ، وتربط الكويت مباشرة باليابان والبحرين والمانيا الغربية وانجلترا ، وبفرنسا عن طريق ألمانيا وبالولايات المتحدة عن طريق انجلترا ، وسيتم فى القريب ربطها بمحطات باكستان الغربية والهند ولبنان وايطاليا ، ويمكن بواسطتها توفير الخدمات الهاتفية والبرقية ونقل البرامج التلفزيونية الحية عبر القارات ، وتبادل الصور والخرائط

مفتش الساعات

اعترض الشيخ عبد العزيز البشرى ذات يوم أثناء رجوعه من الديوان شاب أنيق الملبس ، وقال له يا عم : كم الساعة الآن ؟ فطالع البشرى ساعته وقال له : الساعة ٢ وسبع دقائق .

فحسر الشاب كمه الأيسر ، فانكشفت عن ساعة ذهبية ، ونظر فيها وقال : لا ... لا .. ساعتك مؤخرة أربع دقائق وأنصرف .

وكان مع البشرى صديق له ، فعجب من أمر الشاب وسأله من هذا ؟

فقال البشرى : مفتش ساعات .

بيت النبوة

روى الامام أحمد بسنده عن على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجه فاطمة بعث معه بخميلة (قطيفة) ووسادة من أدم (جلد أحمر) حشوها ليف ، ورحيين ، وسقاء وجرتين .

فقال على لفاطمة ذات يوم : لقد سنوت (استقيت) حتى اشتكيت صدرى ، وقد جاء الله أباك بسبى ، فاذهبى فاستخدميه (أطلبى منه خادما) .

فقالت : وأنا والله قد طحنت حتى مجلت يداى (ظهر فيها بثر) .

فأتت النبى ، فقال : ما جاء بك أى بنية ؟

قالت : جئت لأسلم عليك ، واستحيت أن تسأله ، ورجعت .

فقال : ما فعلت ؟ قالت : استحييت أن أسأله ، فأتيناه جميعا ، فقال على : يا رسول الله لقد سنوت حتى اشتكيت صدرى .

وقالت فاطمة : قد طحنت حتى مجلت يداى ، وقد جاءك الله بسبى ، فأخدمنا .

فقال صلى الله عليه وسلم : والله لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع ولكن أبيعهم ، وانفق عليهم أثمانهم .

أصول العربية

قال أبو الأسود الدؤلى : دخلت على أمير المؤمنين (على) فرأيته مطرقا مفكرا ، فقلت : فيم تفكر ؟

فقال : سمعت ببلدكم لحنا ، فأردت أن أضع كتابا فى أصول العربية ، فقلت له : أن فعلت هذا أبقيت فينا هذه اللغة ، ثم أتيته بعد أيام ، فألقى الى الصحيفة فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام كله اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى ، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل .

ثم قال : تتبعه ، وزد فيه ما وقع لك ، واعلم أن الاشياء ثلاثة : ظاهر ، ومضمر ، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر ، وانما يتفاضل العلماء فى معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر .

الخنساء

الخنساء : الظبية ، وغلب هذا اللقب على تماضر بنت عمرو من آل الشريد من قبيلة سليم لما كانت عليه من جمال وكمال .

وكان لها أربعة بنين خرجوا لفتح فارس ، وخرجت معهم ، وحضرت وقعة القادسية سنة ١٦ هـ ، وأوصتهم من الليل بقولها :

يا بنى انكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا اله الا هو انكم لبنو رجل واحدا ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما هجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم ، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية .. أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، وجللت نارا على أرواقها فتيمموا وطيسها ، وجالدوا رسيسها تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلود والمقامة .

فلما أضاء لهم الصبح باكروا الى مراكزهم فتقدموا واحدا بعد واحد ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية أمهم لهم حتى قتلوا عن آخرهم فبلغها خبرهم فقالت :

الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر الرحمة .

بين القبور

قال الأصمعى : دخلت بعض مقابر الأعراب ومعى صاحب لى ، فاذا جارية على قبر كأنها تمثال ، وعليها من الحلى والحلل ما لم أر مثله ، وهى تبكى بعين غزيرة وصوت شجى ، فالتفت الى صاحبى ، فقلت : هل رأيت أعجب من هذه ؟ قال : لا والله ولا أحسبنى أراه ، ثم قلت لها : يا هذه انى أراك حزينة وما عليك زى الحزن !! فأنشأت تقول :

فان تسألانى فيم حزنى فاننى رهينة هذا القبر يا فتيان
وانى لأستحييه والترب بيننا كما كنت أستحييه حين يرانى
أهابك اجلالا وان كنت فى الثرى مخافة يوم أن يسوء لسانى

ثم قالت :

قد زرت قبرك فى حلى وفى حلل كأنى لست من أهل المصيبات
أردت آتيك فيما كنت أعرفه ان قد تسر به من بعض هيئاتى
فمن رآنى رأى عبرى مولهة عجيبة الزى تبكى بين أموات

أدب

سئل العباس بن عبد المطلب : أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فأجاب : ان رسول الله أكبر منى ، وأنا ولدت قبله .

ركن الموسوعة الإسلامية



تحرره : إدارة الموسوعة

اتخذنا هذا الركن ابتداء من هذا العام الجديد من أعوام هذه المجلة لأجل الموسوعة الفقهية لنبين فيه عنها باستمرار ما ينبغى بيانه للمعنيين بها الذين يهمهم أن يعرفوا عنها ما يريدون معرفته . وسنحافظ باذن الله تعالى على ملئه بانتظام من كل الشؤون والمعلومات المتعلقة بالموسوعة الفقهية .

أ) الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على النطاق الدولى :

نبين فيها يلى الحاجة الى الموسوعة الفقهية على ثلاثة مستويات تتسم بالطابع الدولى ولكل منها موقع هام :

المستوى الاول : مساهمة الشريعة الاسلامية فى امداد القانون الدولى الذى تحكم به محكمة العدل الدولية وغيرها من المحاكم ، وتزويده بالقواعد والنظريات القانونية باعتبار أن الشريعة الاسلامية سبقت الامم والتشريعات الحديثة فى تقنين الحقوق الدولية .

المستوى الثانى : اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا وحيدا أو رئيسيا فى عقود الامتياز الدولية فى بعض الدول الاسلامية ، كاتفاقيات شركات النفط مع حكومات الدول المنتجة له باعتبارها القانون الداخلى للدولة المنتجة الذى ترجع اليه هيئات التحكيم فى تفسير وتطبيق الاتفاقية عند الخلاف .

المستوى الثالث : الرجوع الى الشريعة ضمن برامج دراسات وبحوث المؤتمرات الدولية والمعاهد والجمعيات الخاصة بالقانون المقارن .

ونتناول بالايضاح الحاجة الى مرجع ميسر للشريعة الاسلامية فى مختلف مذاهبها وقواعدها الفقهية فى كل من هذه المستويات تباعا ..

□ □ □

أولا ــ الشريعة الاسلامية بين مصادر القانون الدولى العام :

اتجهت المجموعة الانسانية بعد الحرب العالمية الاولى الى تنظيم جماعة دولية تحكمها قواعد معينة تنظم روابطها وتنسق علاقاتها ، فكان أن أنشئت الى جانب عصبة الامم محكمة دولية هى المحكمة الدائمة للعدل الدولى .

وقد تجدد هذا الاتجاه بعد الحرب العالمية الثانية بانشاء محكمة العدل الدولية الى جانب هيئة الامم المتحدة ، ونظمت أمور هذه المحكمة بنظام خاص ملحق بميثاق الامم المتحدة رتب تشكيلها واجراءاتها ، ونص فيما نص عليه على تعداد مصادر القانون الدولى التى ترجع اليها المحكمة عند الفصل فى نزاع معروض أمامها ، فنصت المادة ٣٨ من نظام محكمة العدل الدولية على :

١ ــ وظيفة المحكمة أن تفصل فى المنازعات التى ترفع اليها وفقا لأحكام القانون الدولى ، وهى تطبق فى هذا الشأن :

أ) الاتفاقات الدولية العامة والخاصة التى تضع قواعد معترفا بها صراحة من جانب الدول المتنازعة .

ب) العادات الدولية المرعية المعتبرة بمثابة قانون دل عليه تواتر الاستعمال .

جـ) مبادىء القانون العامة التى أقرتها الامم المتمدنة .

د) أحكام المحاكم ومذاهب كبار المؤلفين فى القانون العام فى مختلف الامم ، ويعتبر هذا أو ذاك مصدرا احتياطيا لقواعد القانون وذلك مع مراعاة أحكام المادة ٥٩ .

٢ ــ لا يترتب على النص المتقدم ذكره أى اخلال بما للمحكمة من سلطة الفصل فى القضية وفقا لمبادىء العدل والانصاف متى وافق أطراف الدعوى على ذلك .

وقد وجه الفقه الدولى عناية خاصة الى نص الفقرة ٣٨/١ جـ التى جعلت المصدر الرابع هو : « مبادىء القانون العامة التى أقرتها الامم المتمدنة » ، ذلك أن محكمة العدل الدولية نفسها قد حاولت عدة مرات تحديد معنى « المبادىء العامة » غير أن محاولاتها لم تكن ناجحة . والسبب يرجع أساسا الى الصعوبة الكبيرة التى تجدها المحكمة ــ حينما تعرض لها نقطة قانونية محددة كانشاء العقد أو الاثراء غير المشروع ــ فى معرفة رأى كل من النظم القانونية المتمدنة فى هذه النقطة بالذات .

لذلك أصبح من الضرورى قيام دراسات مقارنة بغية تحديد المبادىء المشتركة بين مختلف النظم حتى يكون فى استطاعة القاضى الدولى تأسيس حكمه على المبادىء العامة بثقة واقتناع وتمكن .

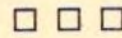
وقد اهتمت عدة هيئات علمية ومنظمات دولية بدراسة مشكلة « المبادىء العامة » سواء من ناحية المنهج المقارن للوصول الى تحديدها أو من ناحية تفسير عبارات المادة ١/٣٨ جـ نفسها ..

وليس هنا مجال استعراض هذه المشكلات والآراء المختلفة بصددها ، وقد نعود الى ذلك فى مناسبة أخرى ، ولكن المهم هو بيان ضرورة تيسير الجهود المبذولة للدراسة المقارنة للنظم القانونية الكبرى بغية تحديد « المبادىء العامة » المشار اليها .

والنظم القانونية المقصودة بالدراسة المقارنة ، كما يبينه الباحثون ، هى – الى جانب الشرائع الاوربية ذات الاصل اللاتينى والجرمانى والانجلو سكسونى – القانون السوفيتى ، والشريعة الاسلامية ، والقوانين الهندية ، واليابانية ، والصينية ، والافريقية ، وقوانين أمريكا اللاتينية ، وكذلك الشرائع اليهودية والكنسية .

وجدير بالذكر أن نظام محكمة العدل الدولية ينص فى مادته التاسعة كذلك على أنه « ينبغى أن يكون تشكيل الهيئة (أى قضاة المحكمة) فى جملتها كفيلا بتمثيل المدنيات الكبرى والنظم القانونية الرئيسية فى العالم » .

وقد جرى العمل على ذلك فى اختيار قضاة المحكمة ، فكانت الشريعة الاسلامية ممثلة دائما بمقعد واحد ، وأحيانا بمقعدين (على اعتبار القاضى الباكستانى ممثلا للشريعة الاسلامية ، والقانون الآسيوى ، والقانون العام معا) .



ولا شك فى أن تشكيل المحكمة الدولية على هذا النحو يساعد الى حد ما على المعرفة الاجمالية لاتجاهات النظم القانونية الرئيسية ولكنه لا يكفى بالمرة للغرض المقصود من تحديد « المبادىء العامة » لأن الاحاطة بدقائق كل نظام من النظم القانونية الكبرى لا يكفى للقيام بها فرد واحد ، فضلا عن أن مهام القاضى تشغله عن التفرغ لهذا العمل العلمى الذى يحتاج الى عكوف العديد من الاساتذة المتخصصين فى كل شريعة للوصول – بعد البحث المقارن – الى تحديد « المبادىء العامة » بين هذه الشرائع .

واذا لم يقم فقهاء المسلمين فى هذا العصر بواجبهم فى عرض الشريعة الاسلامية بالترتيب والتنسيق الذى يوافق أسلوب العصر ، وييسر الرجوع الى أحكامها ، ومعرفة آراء مذاهبها فى كل مسألة فالنتيجة الطبيعية هى اعتماد الراغبين فى معرفة أحكام الشريعة على ما يكتبه المستشرقون وغيرهم مما سنعرض أمثلة له فى حلقات مقبلة لبيان مسؤولية فقهاء المسلمين فى هذا العصر عن عرض أحكام الشريعة والدفاع عنها .

ومن هذا المثل الواحد تتضح الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على هذا المستوى الدولى ..

وللحديث صلة .

ب) من أخبار الموسوعة :

■ الموضوعات التى تمت كتابتها ومراجعتها وتهيئتها للطبع ، ونشرت فى طبعة تمهيدية هى : الاشربة ــ الاطعمة .

ويجرى الآن اعداد موضوع عقد الحوالة من عقود المعاملات ليكون هو الموضوع الثالث الذى ينشر فى الطبعة التمهيدية لموضوعات الموسوعة .

■ الموضوعات الاخرى التى تمت كتابتها ، وهى تحت المراجعة والتهيئة للطبعة التمهيدية هى :

الذبائح	الوضوء	اللقيط	القصاص
الصيد	الاعتكاف	الارث	عقوبة التعزير
الاضحية	صلاة العيدين	القضاء	عقد الصلح
العقيقة	صلاة الجمعة	القسمة	المستأمنون
الآنية	أوقات الصلاة	الشركات	الذميون
الجنائز	النسب	الاجارة	أموال الحربيين
الاستسقاء	النكاح		

الاعمال الجانبية :

■ وقد تم فى المدة الماضية انجاز عمل جانبى هام هو عمل ملخص لأحكام المذهب الحنبلى فى صورة معجم رتبت فيه الاحكام بترتيب الحروف الهجائية ملخصا من كتاب المغنى لابن قدامة المقدسى . وهو الآن تحت المراجعة تمهيدا وتهيئة لطبعه ونشره . وسيكون لنشره ان شاء الله وقع وتقدير كبير فى عالم الفقه الاسلامى ، نظرا لما لأصله (المغنى) من شأن ، لأنه يعنى بعرض المذاهب المخالفة وأدلتها ويناقشها ، فهو ــ الى جانب كونه من أمهات كتب المذهب الحنبلى ــ يعتبر من المصادر الهامة للفقه العام . فاخراج معجم لخلاصة أحكامه مرتبة بالترتيب الالفبائى الموسوعى ييسر الاستفادة منه لجميع الباحثين .

وستواصل ادارة الموسوعة هذا النوع من الاعمال الجانبية فى أمهات الكتب من مختلف المذاهب حتى يكون لكل مذهب فقهى معجم لتسهيل مراجعة أحكامه .

■ تقوم ادارة الموسوعة بجمع النادر القيم من كتب الفقه ومخطوطاته وتقوم بتصوير ما لا يتيسر لها اقتناؤه من المخطوطات النادرة مستعينة بقسم التصوير بجامعة الكويت ريثما يتهيأ للموسوعة اعداد قسم خاص بتصوير المخطوطات وقراءة واستنساخ المخطوطات المصورة على أفلام وبطاقات .

■ انتقلت ادارة الموسوعة الى مبنى خاص لتوفير جو الهدوء والسعة اللازمين لطبيعة عمل الموسوعة .

تعمل ادارة الموسوعة على استكمال جهازها الفنى والادارى حرصا على سرعة انجاز المشروع .

ج) من بريد الموسوعة :

يرد الى ادارة الموسوعة كثير من الرسائل المتعلقة بالموسوعة ، ولا سيما بعد توزيع موضوعات الطبعة التمهيدية . وتحمل معظم هذه الرسائل الثناء والتقدير لمشروع الموسوعة ، كما تحمل كذلك ملاحظات بناءة مخلصة ، بعضها يتعلق بموضوع الاشربة ، وبعضها يتعلق بخطة الموسوعة نفسها .

وادارة الموسوعة تتقدم بالشكر الى جميع أصحاب هذه الرسائل وتعتز بتجاوبهم ومشاركتهم الفكرية ، كما أنها تضع ملاحظاتهم موضع الاعتبار فى الموضوع الذى تتعلق به لأجل الطبعة النهائية للموسوعة بعد تمام تحريرها ، وفى الموضوعات التالية من الطبعة التمهيدية .
ونتناول فى هذا الركن بعضا من هذه الرسائل بالتعليق لما تثيره من ملاحظات هامة قد يشارك فيها عدد من القراء ، وترى ادارة الموسوعة أهمية مناقشتها وتوضيح الرأى فيها . وسنعرض فى العدد القادم ان شاء الله ما توافر لدينا فى هذا الشأن .

د) تعليقات وأجوبة :

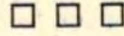
أدلى الدكتور عبد الحليم محمود الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة بحديث فى ركن (لقاء الاشقاء) باذاعة الكويت فى شهر رمضان ، قال فيه ــ ردا على أسئلة الاستاذ موسى الدجانى مدير هذا الركن ــ (انه من المأمول أن تتعاون المشروعات الاربعة القائمة فى كلية الشريعة بجامعة دمشق ، وفى المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية لدى وزارة الاوقاف بالقاهرة ، وفى جمعية الدراسات الاسلامية فى القاهرة أيضا ، وفى وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت ، وانه يرى أن تأتى المبادأة باقتراح هذا التعاون من الكويت . .)

ولا شك فى أهمية التنسيق بين هذه المشروعات الاربعة التى تسعى الى غاية واحدة ، وفى ضرورة تجنب الازدواج والتباين فى أعمالها ، فضلا عن الحاجة الى تضافر جهودها وتكامل امكانياتها لتحقيق الهدف النبيل الذى قامت من أجله . . وهو خدمة فقه الشريعة الاسلامية ، وخدمة المجتمع الانسانى به .

ومشروع الموسوعة الفقهية بالكويت كان وما زال حريصا على هذه المعانى ، وتشهد على ذلك ملفاته الزاخرة بالمراسلات حول هذا الموضوع .

واذا كانت ظروف بعض هذه المشروعات قد عاقت تحقيق التعاون فى صورته المثلى ، فان مشروع الكويت لم ينصرف عن أداء ما يشعر به من واجب فى هذا الخصوص ، واحدث مظاهر ذلك أن ادارة الموسوعة بالكويت قد عرضت

على فضيلة الاستاذ الشيخ على الخفيف أحد دعامات موسوعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة أثناء زيارته للكويت فى الشهر الماضى أن يأخذ من صور المخطوطات الفقهية النادرة التى حصلت عليها الموسوعة بالكويت ما لم يتيسر للمجلس الاعلى فى القاهرة ، وذلك حرصا على تحقيق الاهداف العلمية التى يعمل لها الجميع .



نشرت مجلة الرسالة الكويتية فى عددها الصادر فى ٤ من ذى القعدة ١٣٨٩ هـ — ١٩٧٠/١/١١ م مقالا قيما عن مشروع الموسوعة الفقهية وأهميته العظيمة فى العصر الحاضر ، وقيمته الكبرى الخالدة فى نهضة دولة الكويت . وقد قدمت له ادارة تحرير المجلة بتقدمة جاء فيها : انها لا تشجع ابتداء الموسوعة بالعبادات — التى هى من الامور الخاصة بالمسلمين وحدهم — وأنها كانت تفضل أن تكون الموسوعة مقتصرة على شؤون المعاملات .. وأشارت الى أن أمور العبادات وما اليها قد قتلت بحثا ودرسا وتأليفا .

أما عن بدء ادارة الموسوعة بطبع موضوعين من شؤون الحلال والحرام فى الطبعة التمهيدية وهما : (الاشربة) و (الاطعمة) دون موضوعات المعاملات فمرجع ذلك الى أن هذه الطبعة التمهيدية ليس مقصودا بها أن تأتى على ترتيب الطبعة النهائية التى سيكون لها نظامها الخاص بعد تمام تحرير كل موضوعاتها . فادارة الموسوعة تقدم للطبعة التمهيدية ما ينجز لديها من موضوعات ، أولا بأول ، بحسب موعد انجازها . ولا يخفى أن ذلك أمر يتعلق بظروف عملية ولايدل على أن ادارة الموسوعة ترجح البدء بالعبادات ، فان بعض الكتاب يفضلون الكتابة فى موضوعات أحد أقسام الفقه (كالعبادات أو الاحوال الشخصية مثلا) دون الاقسام الاخرى ، وبعضهم ينجز ما يعهد اليه بسرعة بينما يتأخر كاتب آخر .. وهكذا .

ثم انه ليس صحيحا أن نقلل من أهمية مسائل العبادات والحلال والحرام فهذا أمر حيوى يهم المسلمين أنفسهم ولا شك أن الموسوعة تهدف الى خدمة المسلمين أولا فى حاجتهم العلمية قبل أن تهدف الى خدمة غيرهم . والشريعة الاسلامية وفقهها هما كل متكامل البناء والقواعد والمرتفقات .

أما فكرة الاقتصار على بحث مسائل المعاملات فمناقضة تماما لمعنى التكامل فى فقه الشريعة — كما أن الاقتصار على بحث مسائل العبادات يحمل التناقض نفسه ، وادارة الموسوعة مع احترامها لرأى القائمين على تحرير « الرسالة » لا توافق على المساس بهذا التكامل الفريد الذى يميز شريعة الاسلام عن غيرها من النظم والتشريعات .

على أنه من ناحية الواقع كذلك ، قد تهيأ لدى الادارة الآن عدد من موضوعات المعاملات هى تحت المراجعة والتهيئة للطبعة التمهيدية ، وسنبدؤها بموضوع الحوالة ثم ما تمكن تهيئته من موضوعات الاجارة والشركات والقسمة وغيرها ان شاء الله ..



الإسلام :

الصراط المستقيم

ISLAM-THE STRAIGHT PATH

عرض وتعليق الأستاذ : عبد العزيز شرف

صدر هذا الكتاب فى نيويورك فى ٤٥٣ صفحة نشره الاستاذ ك. و. مورجان .. وفى مقدمة الكتاب ذكر الناشر أنه سلك فى طريقة اعداده نفس الطريقة التى اتبعها من قبل فى مجلدين سابقين .. أحدهما عن الديانة الهندوسية ، والآخر عن الديانة البوذية .. وبدأ العمل بوضع تخطيط مؤقت للموضوعات التى يتناولها الكتاب ، وعرض تصميمه على بعض العلماء المسلمين فى تركيا ومصر وسوريا ولبنان والعراق وايران والباكستان واندونيسيا وعلى أحد العلماء الصينيين المسلمين اللاجئين الى أمريكا .. واستفتاهم عن رأيهم فى هذا التخطيط المبدئى وهل يكفى لتقديم صورة واضحة صحيحة للاسلام ؟ ومن يصلح لكتابة كل فصل من فصول الكتاب ؟

وما لبث الناشر ان عدل فى التصميم الذى وضعه تعديلا جوهريا فى ضوء المقترحات التى قدمت له .. وعهد الى الكتاب الذين رشحهم اخوانهم المسلمون للقيام بهذه المهمة ، ليكتبوا فصول الكتاب .. وذكر الاستاذ مورجان فى تصديره كذلك أن هؤلاء الكتاب كانوا يعلمون انهم لا يكتبون فصولا مستقلة قائمة بذاتها ، وانما يتناولون النواحى والجوانب المختلفة لموضوع قد وضعت خطته العامة بعناية واحكام .. وكانوا يقدرون خطورة التبعة الملقاة على عواتقهم ..

وقدم الناشر العلماء الذين اشتركوا فى كتابة فصول الكتاب وهم الاساتذة :

المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز والمؤرخ الراحل شفيق غربال وفضيلة شيخ الازهر الراحل محمود شلتوت والدكتور أبو العلا عفيفى ، ومحمود شهابى أستاذ الشريعة بكلية الحقوق وأستاذ الفلسفة الشرقية بكلية الدين فى جامعة طهران ، والدكتور اسحاق موسى الحسينى أستاذ الأدب العربى بمعهد الدراسات العليا بجامعة الدول العربية ، وحسن بصرى قنطاى من علماء الاتراك المتقاعدين والذى ترجم القرآن الى اللغة التركية منذ عهد قريب ، ومظهر الدين صديقى رئيس قسم التاريخ الاسلامى بجامعة السند فى حيدر أباد بباكستان وداود س. م تنج أحد أعضاء قنصلية الصين فى بيروت ، والدكتور ب. أ. دجا جادينجرات أستاذ الاسلام فى كلية الآداب بجامعة أندونيسيا ، والدكتور محمد رشيدى سفير أندونيسيا فى الباكستان .

وقد كتبت فصول الكتاب المختلفة الاحد عشر بسبع لغات : منها أربعة فصول كتبت بالانجليزية ، وسبعة الفصول الاخرى كتبت بالفرنسية والعربية والفارسية والتركية والصينية والهولندية ، وترجمت جميعها الى اللغة الانجليزية وأعيد عرضها بعد الترجمة على كتابها الاصليين للمراجعة والتأكد تحاشيا لسوء الفهم ومنعا لوقوع الخطأ والتحريف ، ولم تقدم للطبع الا بعد أن أقر كل كاتب ما كتبه .. وقد جاءت فصول الكتاب — حقا — كما أراد لها الناشر بمعاونة العلماء المسلمين محكمة النسج خالية من العيوب التى تلحق بالابحاث عادة كالتطويل الممل والايجاز الذى يخل بالموضوع ..

منشأ الاسلام

كتب الفصل الاول المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز خاصا بمنشأ الاسلام .. وقد استهل الفصل بفاتحة القرآن ووضح معنى الصراط المستقيم فى رأى الاسلام وشرح معنى كلمة الاسلام ، وبين أن على المسلمين قبول جميع الكتب السماوية واحترامها والاعتراف بالانبياء المرسلين بغير تفريق بينهم ، كما بين الدكتور دراز أن جوهر رسالة الرسل هو تلقين الناس الاعتقاد بوحدانية الله واقامة العدالة بين الناس .. ثم عرض بعد ذلك لحياة النبى عليه الصلاة والسلام ، وقدم لقرائه صورة موجزة معبرة عن حياته وجهاده .. والقرآن الذى نزل على محمد يستجيب للعقل ، ولكنه فى نفس الوقت يسمو على العقل ، ويخلص بذلك الى قداسة مصدره ، وهو معجزة محمد صلى الله عليه وسلم .

وينتقل الدكتور دراز من الحديث عن مفهوم المعجزات فى الاسلام الى التحدث عن القرآن ونزوله فى أوقات مختلفة خلال ثلاثة وعشرين عاما وجمعه بعد وفاة النبى تحت اشراف زيد بن ثابت فى عهد أبى بكر الصديق وظهور المصحف العثمانى فى عهد الخليفة عثمان بن عفان ، ونفى زعم القائلين بأن تعاليم الاسلام تشبه تعاليم الصابئة ، ذلك أن الصابئة كانت من المشركين عبدة الاوثان والمؤمنين بالنجوم ، وأكد أن القرآن ليس من وحى البيئة التى كان يعيش فيها النبى ولا ثمرة تفكيره وتأملاته ، وانما هو وحى الهى تنزل على النبى موجه

الى البشر جميعهم على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم .. ثم تحدث عن أسس العقيدة الاسلامية والسنة ، وينهى فصله القيم بقوله : ان الاسلام ديانة التوحيد الخالص الصافى ، وان عناصره الثلاثة الهامة هى : أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن البشر جميعهم اخوة ، وأن هذا هو صراط الاسلام المستقيم ، صراط الذين يخضعون لارادة الله المتجلية فى القرآن كما نزل به جبريل على محمد رسول الله .

الافكار والحركات فى تاريخ الاسلام

وفى الفصل الثانى يتحدث الاستاذ شفيق غربال عن الافكار والحركات فى تاريخ الاسلام ، ويصف مكة فى حياة النبى بأنها كانت جمهورية تجارية ومركزا دينيا هاما وأنها كانت مستقرا لقبيلة قريش التى يرجع أصلها الى اسماعيل بن ابراهيم .. ثم يعرض لحياة النبى فى مكة وهجرته الى المدينة ثم وفاته فى المدينة سنة ٦٣٢ ميلادية ، وخلافة أبى بكر الصديق فى زعامة المسلمين ، ثم خلافة عمر ..

ويشير الكاتب الى تغير الاحوال بعد عمر والى أن الصحابة لم يقدموا لعثمان الطاعة والمعاونة التى سبق أن قدموها لعمر « فقد كانت الخلافات الخاصة والمناقشات قد فرقت ما بينهم ، وأدى ذلك الى الفتنة التى أطاحت بحياة عثمان » .. ثم واصل التأريخ لخلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه وكيف أن بعض الناس لم يتورعوا عن القاء تبعة قتل عثمان على كاهله ، وكيف أدت الخلافات بين على ومعاوية وقبول التحكيم الى ظهور فرقة الخوارج ، ثم ظهور طائفة الشيعة بعد مقتل على رضوان الله عليه ، وقيام الدولة الاموية وسقوطها بمجىء العباسيين .. ثم تحدث الكاتب المؤرخ عن ظهور المذاهب الاربعة : مذهب أبى حنيفة فى العراق ومذهب مالك بالحجاز ، ومذهب الشافعى بمصر ، ومذهب ابن حنبل بالعراق . ثم واصل الحديث عن المعتزلة والشيعة والمتصوفة ، وانتقل من ذلك الى الحديث عن الدولة الفاطمية والدولة الاموية فى الاندلس والاغالبة فى تونس والدولة الطولونية والحمدانيين فى حلب ، وحركة البربر فى القرن الخامس الهجرى الخ .. وتحدث بعد ذلك عن تأثير الغزالى وابن عربى وابن الفارض ، وتحدث عن الاسلام فى السودان وشرقى افريقية وفى الملايو واندونيسيا وختم حديثه القيم بآراء سديدة تصدر عن مؤرخ اسلامى نزيه صائب النظرة عن حال الاسلام فى أيامنا ..

المعتقدات الاسلامية
وشريعة الاسلام

وفى الفصل الثالث يتناول فضيلة الشيخ محمود شلتوت — عليه رحمة الله — موضوع المعتقدات الاسلامية وشريعة الاسلام فيبين أن الاسلام دين الهى وأن محمدا مصطفى من قبل الله تعالى لابلاغ دينه الى البشر ليؤمنوا به ويتبعوا تعاليمه وأحكامه ، وبين أن فى القرآن نوعين من النصوص ، واضحة محددة لا تحتمل أكثر من معنى واحد وأخرى تحتمل أكثر من تفسير واحد .

وقد نشأت حول الاخيرة نظريات كثيرة واتجاهات مختلفة حول تفسيرها ، وهى تفسيرات غير ملزمة عموما . والاسلام فيما عدا معتقـداته الاساسية لا يخضع لطراز معين من التفكير ولا لمذهب خاص فى التشريع فهو دين متسامح يتسع للحرية المعقولة ويدعو لها ويقرها ، وهو ملائم لكل ألوان الثقافات وجميع الحضارات .

التفسير العقلى
والتفسير الصوفى للاسلام

وحول هذا العنوان تحدث الدكتور أبو العلا عفيفى أستاذ الفلسـفة الاسلامية بجامعة الاسكندرية ، وهو يرى أن المبدأ الاساسى الذى حاول الفقه الاسلامى أن يثبت أركانه هو مبدأ التوحيد ، وفقهاء المسلمين لا يقبلون أى تساهل فى هذا المبدأ ، فهو عماد العقيدة الاسلامية والاصل الذى تتفرع منه سـائر العقائد ، ولذا يسمى الفقه الاسلامى علم التوحيد . وتحدث الاستاذ الفاضـل بعد ذلك عن نشوء فرق الخوارج والقدرية والشيعة والمرجئة ، وأشـار الى العاملين الهامين فى نشوء الفقه الاسلامى ، أولهما عنده هو القرآن نفسه . والآخر ــ وهو عامل خارجى ــ هو التأثيرات الثقافية التى جاءت الى الاسلام من الخارج ، وتحت تأثير هذا العامل الاخير أثيرت بعض المسائل الاخلاقية مثل مشكلة الجبر والاختيار ، وبرزت بعض المشكلات الميتافيزيقية مثل مسألة صفات الله ومشكلة خلق القرآن .. الخ .

ويعارض الدكتور أبو العلا عفيفى رأى دى بوير وفون كريمر وماكدونالد : ان الفقه الاسلامى تأثر الى حد كبير بالفكر المسيحى .. ويستند فى ذلك الى حجج قوية على الرغم من أن معظم القضايا الدينية الكبرى كانت تبحث فى الشام التى كانت مركزا هاما للاهوت المسيحى .. ثم يتحدث عن موقف المتصوفين من الاسلام ونشأة التصوف الاسلامى والخلاف بين المتصوفة وأنصار السنة ، وتصور الصوفية لفكرة الله .

الشـــيعة

وحول موضوع الشيعة تحدث الاستاذ محمود الشهابى بادئا بحثه بالحديث عن القرآن وأنه أنزل للبشر كافة ..

ويتحدث عن النبى ويشير الى حديث غدير خم وقول النبى للمسلمين وهو فى طريقه الى حجة الوداع : « من كنت مولاه ، فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » ويستخلص من هذا الحديث أن النبى قد رشح عليا للخلافة بعده ، وهى ــ كما نعرف ــ وجهة نظر الشيعة .

ويعرض لنشوء الشيعة فى أعقاب تنحية على عن الخلافة بعد وفاة النبى .. ثم يفصل أصول المذهب الشيعى ، ويوضح مبادئه الاساسية ، وأشار الى أوجه الخلاف بين الشيعة والسنة وبخاصة طائفة الاشعرية ، وما اتفق فيه المعتزلة مع الشيعة .

الثقافة الاسلامية
فى البلاد العربية والافريقية

ويتناول الدكتور اسحق موسى الحسينى الحركة الوهابية المنبثقة من تعاليم ابن تيمية ، وكيف أن الاحوال التى كانت سائدة فى شبه جزيرة العرب دعت محمد بن عبد الوهاب الى تأكيد بعض الجوانب من تعاليم ابن تيمية دون الجوانب الاخرى ..

وتحدث عن الشيعة الزيدية فى اليمن والخوارج فى عمان ، والاسماعيلية فى منطقة حماة قرب السلامية ، والدروز فى الجبل ودروز لبنان والناصرية فى اللاذقية ، ثم يتحدث عن الاسلام فى العراق ومصر وشمالى افريقية ، ويشير الى الحركات الدينية التى قامت فى هذه البلاد مثل حركة الاصلاح الدينى التى قام بها الاستاذ الامام محمد عبده .

الثقافة الاسلامية
فى بلاد الترك

ويستهل الاستاذ حسن بصرى قنطاى حديثه عن الثقافة الاسلامية فى بلاد الترك قائلا : ان الاتراك باعتبارهم من أقدم الاقوام وأكثرهم انتشارا قد دخلوا ديانات عدة قبل دخولهم فى الاسلام ، فقد دانوا بالمانوية والزرادشتية والكونوفوشيوسية والبوذية الخ .. ولكن هذه الاديان لم تستأثر بهم الاستئثار الكافى فتطلعوا الى ديانة ترضى مثلهم العليا ونوازعهم الانسانية ، فهم يتطلعون الى دين يشمل الانسانية جميعها ويسمو بالانسان ويكون مرشدهم فى الطريق الذى يفضى الى السعادة دنيا وآخرة ، وقد وجدوا فى الاسلام الدين الذى كانوا يتطلعون اليه ، ولذا سارعوا الى الدخول فيه حينما واجههم وتعلقوا به تعلقا شديدا ، ولا يزالون الى اليوم من أشد أنصاره وأقوى حماته .

ويورد الكاتب الفاضل رأى الجاحظ فى الترك الذى جاء فى رسالته المشهورة الى الفتح بن خاقان عن مناقب الترك وقول القائد العربى يزيد بن مزيد فى وصفه للترك : « ليس لبطن التركى على ظهر الدابة ثقل ، ولا لمشيه

على الارض وقع . وانه ليرى وهو مدبر ما لا يرى الفارس منا وهو مقبل ، وهو يرى الفارس منا صيدا ويعد نفسه فهدا ، والله لو رمى به فى قعر بئر مكتوفا ما أعجزته الحيلة » .

ثم تناول الكاتب الفاضل تأثير الاتراك فى الثقافة الاسلامية واشار الى مبادىء الاسلام الاساسية والصوفية فى تركيا واستنادها الى بعض آيات القرآن والحديث ، وذكر مشاهير متصوفة الاتراك مثل جلال الدين الرومى .

الاســـــلام
فى الباكستان والهند

وعن الاسلام فى الباكستان والهند كتب الاستاذ مظهر الدين صديقى الفصل الثامن من الكتاب يوضح فيه طائفة من المعلومات التاريخية المحققة عن تاريخ الاسلام فى الهند وقد قسم تاريخ الهند أربعة عهود ليوضح ظهور الثقافة الاسلامية فى الهند والباكستان :

— عهد ما قبل دخول المغول .
— وعهد حكم المغول .
— وعهد الانحلال والتفكك .
— والعهد الاخير هو القرن المــاضى ويشمل الحكم البريطــانى وخلق الباكستان .

ويبدأ التاريخ الاسلامى الحقيقى فى الهند بقيام الدولة الغزنوية وان كان الغزو الاسلامى الاول للهند قد بدأ فى عهد الخليفة الاموى الوليد من سنة ٨٧ الى ٩٧ هـ .

وتحدث الاستاذ صديقى عن العهد البريطانى وظهور التقسيم وفلســفة اقبال والحركة القديانية والمودودى الزعيم الدينى وغلام أحمد بارويز وقارن بين آراء المودودى وآراء بارويز .

الثقافة الاسلامية
فى الصين واندونيسيا

وفى الفصل التاسع تحدث الاستاذ داودسنجالصينى عن الثقافة الاسلامية فى الصين ، وفى الفصل العاشر تحدث الاستاذ حسين دجاجاديننجرات عن الاسلام فى اندونيسيا ، ويتناول الفصلان دخول الاسلام فى البلدين ، وقد كان للمسلمين الصينيين مكانة ملحوظة فى عهد أسرة يوان وأسرة منج التى خلفتها وحكمت الصين من سنة ١٣٦٨ الى سنة ١٦٤٤ م . وفيما يبدو أن الاسلام دخل اندونيسيا فى القرن الثالث عشر الميلادى ، وأن التجار المسلمين ساعدوا على انتشاره فى تلك الانحاء .

الوحـــدة والتنـــوع
فى الاســـلام

وفى الفصل الاخير الذى كتبـــه الاستاذ محمد رشيدى نجـــد حديثا عن المسائل الاساسية التى اتفق عليها المسلمون جميعهم مثل القرآن والســـنة والقياس وأسس العقيدة الاسلامية مثل الايمان بالله وملائكته وكتبه ورســـله واليوم الآخر وأركان الاسلام مثل الصلاة والزكاة ، والشريعة الاسلامية والفرق الاسلامية ، ثم تحدث عن المجتمع الاسلامى بوجه عام وعلاقة فكرة القومية بالاسلام ، وأن القومية حينما تسترشد بمبادىء الاسلام العامة تعمل على التجمع وتؤدى الى الوحدة .

والاتجاهات الرئيسية فى العالم الاسلامى اليوم فى نظر الاستاذ محمـــد رشيدى أربعة هى :

- الاتجاه المحافظ .
- الاتجاه الى الاصلاح .
- الاتجاه الصوفى .
- الاتجاه الشيعى .

ويرى أن التقدم الهائل فى المواصلات وأساليب الاتصال والتعليم قد جعلت هناك جوا من الفهم المتبادل لوجهات النظر الاخرى .

وبعد .. فاننا نعتقد أن هذا الكتاب يكتسب قيمته لشيئين أولهما أن كتابه ومؤلفيه من علماء الاسلام المؤمنين العارفين ، لذلك خرج الكتاب ممتازا فى مادته وموضوعه . والفضل فى ذلك يرجع الى ناشر الكتاب الاستاذ كنث و. مورجان أستاذ الدين فى جامعة كولجيت الامريكية الذى خرج على عادة علماء قـــومه فعرض الاديان الكبرى على القراء الغربيين من خلال أقلام أهل الرأى ..

والقيمة الثانية لهذا الكتاب ترتبط بالقيمة الاولى اذا علمنا أن كتـــابات الغربيين فى موضوع الامم والعقائد كثرت بعد الحرب العالمية الثانية وخضعت كتاباتهم لدواعى نفسية تمليها العقائد الدينية على أنصار الكتلة الشرقية والكتلة الغربية ..

وكتاب الغرب ــ كما يقول أستاذنا العقاد ــ حين يكتبون عن الاســـلام يتفاوتون فى قيمة الكتابة ، ولكن تفاوتهم على حسب البواعث والنيات أضعاف تفاوتهم على حسب الدراية والمعرفة ، لأنهم طوائف مختلفة لا تتفق فى الوجهة ولا فى الخلق ولا فى الاستعداد .. لذلك كانت قيمة هذا الكتاب واضحة فى أن كتابه من المشهود لهم بالتمكن وسداد الرأى واتزان الاحكام من علماء الاسلام نفسه ..

وحسب هذا الكتاب أن تكون له هذه القيمة لندعو مع أستاذنا على أدهم الى ترجمته الى اللغة العربية وأن نحتفى به حفـــاوة تليق بقيمته العلميـــة والمنهجية .

المؤتمر الخامس لعلماء المسلمين

المؤتمر يوصى الدول الاسلامية بارسال الطيارين والفنيين الى ساحة القتال ، ويوصى بحشــد الطاقات من أجل استرداد المسجد الاقصى والاراضى العربية المحتلة وتخصيص جزء من الزكاة للجهاد فى سبيل الله .

اعداد الأستاذ : عبد المعطى بيومى

التقى فى القاهرة ١٠٠ عالم اسلامى يمثلون ٣٦ دولة اسلامية فى آسيا وافريقيا وأوروبا فى مؤتمر دينى كبير ينظمه كل عام مجمع البحوث الاسلامية بالازهر بالقاهرة .

وقد قسمت أعمال المؤتمر هذا العام الى فترتين احداهما بدأت يوم ٢٢ ذى الحجة ١٣٨٩ (٢٨—٢) وتنتهى يوم ٢٧ ذى الحجة (٥ —٣) وقد خصصت هذه الفترة لمعركة المسلمين مع العدو الصهيونى ومناقشة وسائل اســترداد القدس والمسجد الاقصى .

والفترة الثانية بدأت يوم ١٠ مارس وتستمر حتى يوم ٢٥ مارس وتقتصر هذه الفترة على أعضاء مجمع البحوث الاسلامية وتناقش فيها الابحاث العلمية لوضع الحلول لبعض المشكلات الحياتية للأمة الاسلامية .

وقد افتتح الفترة الاولى الدكتور عبد العزيز كامل وزير الاوقاف وشــئون الازهر نائبا عن الرئيس جمال عبد الناصر .

ثم ألقى فضيلة شيخ الازهر الدكتور محمد الفحام كلمة حدد فيها مسئولية المؤتمر فقال ان هذا المؤتمر مسئول أمام الله والتاريخ عن سلامة العقيدة وصيانة المقدسات وحماية أحكام الله وثقافة الاسلام بكل أبعادها فكرا وبحثا وعلمــا وعمــلا .

ثم تحدث الشيخ عبد الحميد السائح وزير الاوقاف الاردنى السابق وممثل وفد فلسطين فى المؤتمر فألقى كلمة ذكر فيها المسلمين فى العالم كله باخوانهم المجاهدين فقال :

اذا كان اخوانكم فى الوطن المحتل من غزة الى القدس الى الخليل ورام الله ، وغيرها مرابطين يتحملون صنوف الاذى والتعذيب ويضحون بمســاكنهم وقراهم ، وتنسف وتزال من الوجود واذا كان الكثير من الشباب والفتيات ينالون مختلف أنواع القسوة والتنكيل فى السجون والمعتقلات ومع هذا فانهم صابرون

صامدون ، صبر ياسر وآل ياسر وبلال وأمثـــاله واذا كان أهل اربد والسلط والكرك وغيرهم من سكان الاردن يقابلون الموت بشجاعة نادرة ، ويستخفون بقنابل النابالم وغيرها ومختلف أنواع الوحشية والبربرية التى توجههـــا اليهم اسرائيل الصهيونية بالسلاح الامريكى يصبرون على كل ذلك فى سبيل المحافظة على أوطانهم والحرص على شرفهم وكرامتهم وعقائدهم واذا كان ســــكان الجمهورية العربية المتحدة يقابلون الغارات الاسرائيلية بأعصاب قوية ونفوس مؤمنة مطمئنة يفوتون على العدو ما يهدف اليه من أحداث ..

فان الواجب الدينى والقومى على جميع المسلمين والعرب حيثما وجدوا أن يدعموا مواقف الصمود وأن يهيئوا فرصة العمل ، وأن يجندوا قواهم وطاقاتهم فى سبيل معركة تقرر مصيرنا ومصير أعدائنا .

ثم ألقى الدكتور عبد الحليم محمـــود وكيل الازهر وأمين مجمع البحوث الاسلامية وأمين المؤتمر كلمة بين فيها منهج مجمع البحوث ورسالته قال :

ان منهج مجمع البحوث الاسلامية انما هو شعار علماء الامة الاسلامية فى كل عصر . انه الجهاد والعلم .

الجهاد من أجل المحافظة على الذاتية الاسلامية بيضاء نقية ومن أجـــل المحافظة على الامة عزيزة الجانب آمنة فى وطنها ، والعلم من أجل بيان الذاتية الاسلامية نقية من أجل بيان فرضية الجهاد فى صوره المتناسقة ..

ثم ألقى الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار أمين عام المجلس الاعلى للأزهر البحث المقدم من فضيلة شيخ الازهر عن استرداد بيت المقـــدس ذكر فيه أن أهداف اسرائيل هى تدمير المسجد الاقصى كله واقامة هيكل سليمان على أنقاضه وأن قرار تدويل القـــدس قرار جائر يتجاهل رعاية الحـــكم العربى للأماكن المقدسة .

كما ناقش المؤتمر بحثا للدكتور عبد الله ماضى وكيل الازهر السابق عن « الجهاد بالمال فى نظر الاسلام » قال فيه ان الجهاد فى سبيل الله ببذل النفس والمـــال اعلاء لكلمة الله ودفاع عن الحقوق والحرمات .

وقد ألقى الدكتور اسحق موسى الحسينى بحثا عن الجانب الاسلامى فى القضية الفلسطينية أشار فيه الى أن العدو اذا تمكن من ترسيخ قدمه فى فلسطين التى تقع فى قلب العالم الاسلامى فلن يقنع بها بل سيثب منها على ما حولها ليقيم دولة كبيرة من النيل الى الفرات .

كذلك استمع المؤتمر الى اللواء الركن محمود شيت خطاب فى بحثه عن « أهداف اسرائيل التوسعية » وقد بين اللواء فى بحثـــه أن الحل الصهيونى للمشكلة اليهودية استند أصلا الى عدد من الفرضيات والوعود الدينية ولـــكنه انطلق بشكل أساسى من الحلول الصهيونية المرتكزة على العقيدة الدينية ، لذلك فان هدف اسرائيل هو اعادة شعبها الى فلسطين التاريخية .

وألقى الفريق عبد الرحمن أمين بحثا عن « التولى يوم الزحف » ثم واصل المؤتمر أعماله فى الايام التالية ، فألقى فضيلة الشيخ المهدى بو عبد الله (الجزائر) ناشد الامة الاسلامية حشد طاقاتها جميعا للمعركة ثم الدكتور على أرسلان (تركيا) والشيخ محمد سالم عبد الودود (موريتانيا) ثم الاستاذ أسعد مدنى (الهند) حيث كشف زيف الدعايات الصهيونية وتضليلها للرأى العام .

كما تحدث الامام موسى الصدر رئيس المجلس الاسلامى الشيعى الاعلى بلبنان حيث ندد بتحريف اسرائيل للقرآن والسنة واقترح الامام الصدر تشكيل

فرق فدائية من كل البلاد الاسلامية للمشاركة فى المعركة لتحرير القدس والاراضي العربية المحتلة وتقديم تقارير من كل الدول الاسلامية عن امكانياتها لتنفيذ خطة شاملة لدعم المعركة بالمال والرجال كما طالب بانشاء مكتب اسلامى عالمى دائم للدعاية للقضية الاسلامية والعربية .

وألقى الاستاذ عبد الله كنون (المغرب) بحثا عن « العمل الفدائى فى نظر الاسلام » ثم اختتم الدكتور عبد العزيز كامل وزير الاوقاف وشئون الازهر المصرى أبحاث المؤتمر فى هذه الفترة ببحث عن « الاسلام والتفرقة العنصرية » فأكد رفض الاسلام لهذه التفرقة واقترح نشر سلسلة من الدراسات فى هذا الموضوع .

وفى مساء يوم ٤-٣ عقد المؤتمر جلسة ختامية للفترة الاولى برياسة فضيلة شيخ الازهر حيث شكر العلماء وجهودهم وقدم فضيلة الشيخ عبد الحميد السائح ليعلن قرارات المؤتمر وتوصياته التى وافق عليها العلماء بالاجماع .

ومن أهم هذه التوصيات :

١ ـ يؤكد المؤتمر أن الجهاد بالمال والنفس أصبح فرضا عينيا على كل قادر من المسلمين ومن يتخلف عنه يسلك سبيلا غير سبيل المؤمنين ، وانه لما كانت اسرائيل تحشد كل طاقاتها مدعمة من الصهيونية والاستعمار فانه يتحتم على جميع المسلمين تحمل واجباتهم فى الجهاد والعمل على ارسال المجاهدين الى ساحة القتال .

٢ ـ يحث المؤتمر الدول العربية على حشد كل طاقاتها لدعم الجبهة الشرقية والغربية وتقوية القيادة العربية الموحدة ويدعو المسلمين كافة الى مساندة هذه القيادة ماديا ومعنويا .

٣ ـ يوصى المؤتمر جميع المسئولين فى الدول العربية والاسلامية بتيسير العمل الفدائى فى بلادهم ويعلن أن تجهيز الفدائيين بالسلاح والمال وكل ما يحتاجون اليه هو من الواجبات الشرعية وأن دفع الزكاة فى هذا السبيل هو من مصارف الزكاة الشرعية .

٤ ـ يقرر المؤتمر أن اقدام اسرائيل على احراق المسجد الاقصى المبارك يمثل ذروة الجرائم على بيوت الله تعالى وقمة الاعتداء على مشاعر المسلمين حيثما كانوا ويؤكد أنه واجب على جميع المسلمين الجهاد المقدس المسلح لتخليص المقدسات الاسلامية والمسيحية على السواء من أيدى الصهيونية المغتصبة .

٥ ـ يقرر المؤتمر أن المعركة القائمة اليوم معركة مصيرية للشعوب العربية والامة الاسلامية على السواء فالعروبة هى دعامة الاسلام ، اذ قال الرسول عليه الصلاة والسلام اذا ذلت العرب ذل الاسلام .

٦ ـ يؤكد المؤتمر الدعوة الى التعاون الاقتصادى الوثيق بين الدول العربية والاسلامية وتبادل الوفود بينها لنشر قرارات المؤتمر على المستوى الرسمى والشعبى .

وقد استقبل الرئيس عبد الناصر أعضاء المؤتمر وألقى فيهم كلمة قال فيها :

ان جهد البلاد العربية والاسلامية فى مواجهة العدوان ما زال متواضعا وأنه يجب تشكيل لجان من كل بلد لنصرة القضية وقال اننا لا نواجه اسرائيل وحدها وانما وراءها الاستعمار العالمى .

وقد أبلغت الحكومات الاسلامية عن طريق سفاراتها وبعثاتها الدبلوماسية فى القاهرة بهذه القرارات والتوصيات رجاء وأملا أن تتحقق وتتحول الى أعمال حقيقية تعيد للاسلام كرامته وقوته وللمسلمين عزتهم ومقدساتهم .

قصة عربية

كرسي المتعجب

للأستاذ : عبدالمقصود حبيب

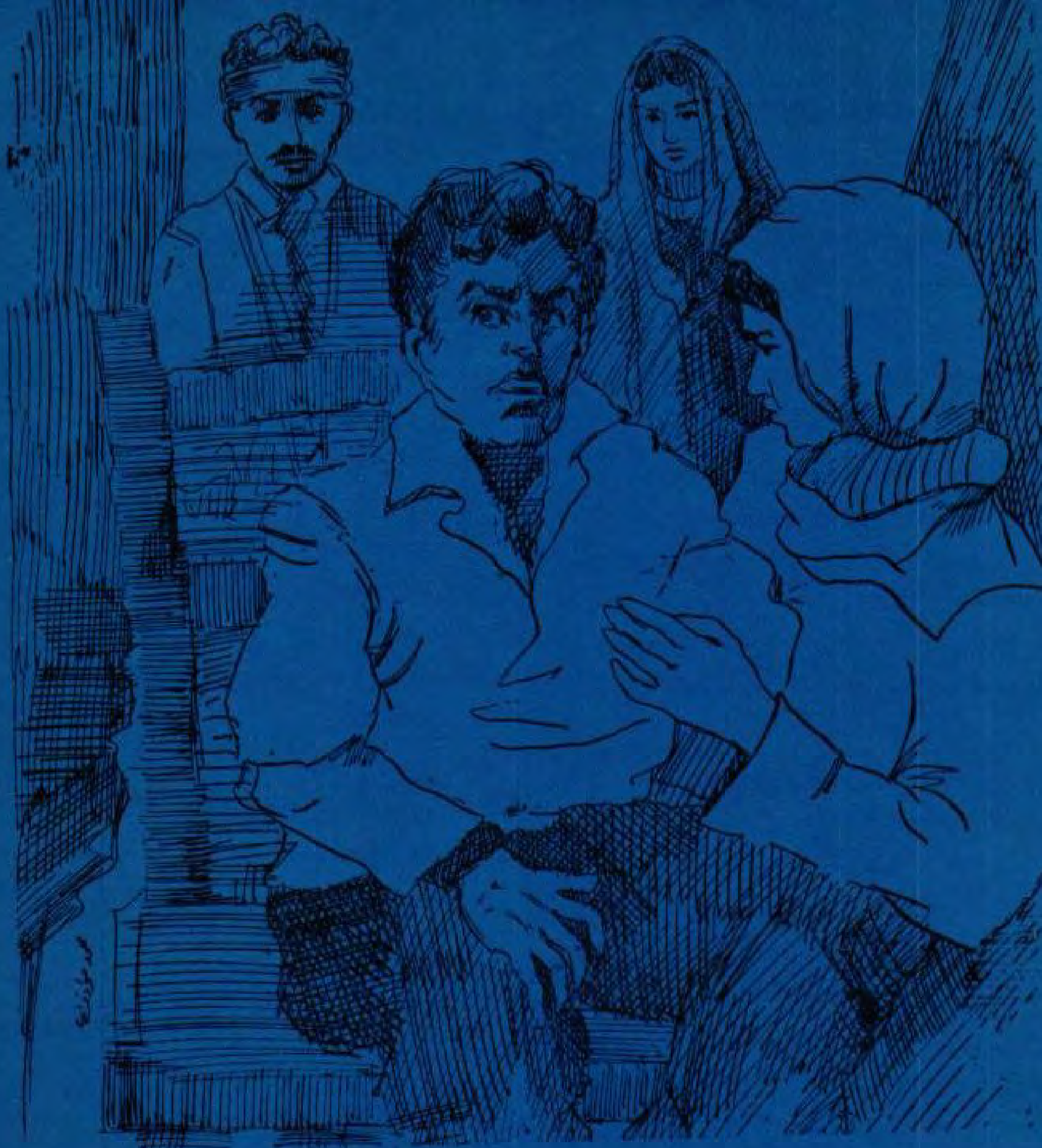
لكل انسان حظه فى الحياة : من الصحة .. والرزق .. والذكاء .

وغسان .. ولد منذ أكثر من عشرين عاما ومعه حظه من الصحة .. حظ لا يحسده عليه عدو أو حبيب : كساح أقعده عن السير ، وشل يديه عن أية حركة حتى ولو بطعام الى فمه ..

فى طفولته .. لم يمر بمراحل الطفولة .. مثل اقرانه .. لم يحب على ساقيه وذراعيه ثم ينتصب شيئا فشيئا ويتعثر وهو يدور حول الكراسى أو المنضدة .. حتى يستوى واقفا ويذهب عن قلبه الصغير مظهر الخوف من الخطوة الاولى .. فيجرى ويقفز هنا وهناك ..

كل ذلك لم يمر به غسان .. أمضى طفولته وهو فى مكانه .. لا يتحرك ولا يقوم .. يأتى أهله ليطعموه ويسقوه وينقلوه بأيديهم .. كتلة من اللحم يعلوها راس به وجه أبيض جميل وعينان تملؤهما زرقة أشبه ما تكون بأعماق البحر .. وشعره الاصفر متهدل من فوق هذا الرأس دون أى نظام .. وبعض من الذباب يحوم حوله .. يستغل ضعفه فى قيد العجز .. يحط على وجهه الجميل ويلدغه .. فلا يجد غسان مناصا الا أن يصرخ حتى ينقذوه .

حتى وهو شاب يزحف نحو الخامسة والعشرين أيضا لا يستطيع



ان يذب عن وجهه ذبابة تحط عليه .

ولم يكن الرزق من حظه وحده .. بل من حظ أسرته الكبيرة بوالديه وأبنائهما الثلاثة غيره وبنت وحيدة .. كان حظا بائسا .. جرته عليهم حياة كلها الخوف والاضطهاد والسلب والاغتصاب واغلاق باب العمل فى وجه الأب فعاشوا فى ظل كل ذلك عيش الكفاف .

اما ذكاء غسان .. فكان واضحا .. يعى كل شىء .. يفهم كل حركة تحدث أمامه ، كل اشارة تلتقطها عيناه .. تتحرك فى اسرع من كل قياس الى ذهنه الكبير ..

يكبر غسان .. ليس كغيره من الاطفال .. على قدر علته كان ينمو نوعا ما .. ويجد كل رعاية مما حوله .. الحنان الاكبر .. الجارف .. المشبع .. من امه الغالية .. لم تكف عن هدهدته ومضاحكته وملاعبته .. تظل به حتى تتوقد عيناه حماسا ودفئا .. وتشعان فى بريقهما رضا وسرورا .. وضحكات يرن صوتها العذب فى جنبات الدار تلفت كل من فيها نحوه .. ويمصمصون الشفاه التى تعقدها ماساة تعيش فى حنايا القلوب .. وكلهم تعبير واحد .. يضحك ؟ لا يعرف شيئا .. لا يحس شيئا .. لا يدرك شيئا .. آه .. ولا يستطيع شيئا من الحياة مهما صغر .

كانت الأم حياته .. وباقى الاسرة

أشياء بجانبها تكمل صورة الحياة من حوله .. أحبهم من أعماقه .. أما هم .. فلم يزد أمره بينهم عن أنه مجرد حياة تدب على الارض بأنفاسها فقط .. شيء مختلف عن باقى الاحياء .. لا يعرف الارجل .. لا يعـــــرف الايدى .. الناس غيره هم يداه ، رجلاه .. لو قدر له أن يعيش وحيدا لمات بعد أيام قليلة .. لن يجد من يطعمه أو يسقيه .

تبكى أمه من ذلك كلما خلت الى نفسها :

ــ نحن غرباء فى أرضنا .. عدو غادر جاثم على الارض .. مستقبلنا فى يده طريق من اثنين : الخروج .. أو الموت .. لا ثالث لهما .

وينفجر فى قلبها أتون الحزن من أجل الغربة وهم فى أرضــــــهم .. وتشرئب بعنقها وترفع رأســــــها متحدية :

ــ أبو غسان .. اختــــــار أحد الطريقين .. الموت دون الرحيل .. الاولاد مثله حتى الفتاة الوحيدة مثلهم .. يفضلون الشـــقاء أو الموت على الرحيل مدافعين عن أرضهم وعن كل ما هو مرتبط بها .

ترفع طرف ثوبها الاسود الملامس للتراب الغالى الذى تقبله مع زوجها وابنتها وأبنائها كل صباح وتمســـح دمعا ساخنا يلهب خديها المغضنين كى يندلع من جديد لمــــــا تكابده من حزن عميق :

ــ وغسان ماذا يكون مصيره .. اذا بقى وحيدا ؟

وتذهب بعينيهـــــا الدامعتين الى السماء وكأنما التقت بالله وجهـــــا لوجه :

ــ اختر له شيئا حسنا .. يموت قبلى حتى لا يحس بآلام الحياة .

ولكنها ماتت وهو دون الخامســـة عشرة .

وبعدها بعامين لحقهــا أبوه وقد مات فى أحد سجون اليهود من شدة التعذيب حتى يخرج من أرضـــه .. ظل رافضا طاعة العدو .. متحملا كل ما يصبونه عليه حتى غادر الدنيا كلها .. واصراره يفجر فى أنفسهم أحقر الاحقاد .. فلم يكفوا عن تعذيبه رغم أنه مات .

تلفت غسان حوله يبحث عن يديه ورجليه .. أمه وأبيه .. كانا يعطيانه طواعية .. فى محبة .. فى ايثار غامر .. أكبر القلوب وأوســـــعها وأرحمها .. أمه وأبوه .. هما نبع الحياة .. لم يعرف معهما نســـمة حزن .. لمسة أسى .. طعم المرارة لم يذقه .. وعرف كل ذلك الآن .. اخوته يقدمون له طعـــاما وشرابا وينقلونه للمنام كلما أراد .. يؤدون واجبا من أجل ذكريات غالية يتوارى أصلها خلف سور القرية فى مدافنها العتيقة المتهدمة .. منذ حرب ١٩٤٨

أحسه .. ودمعت عيناه لاول مرة وتغيرت نفسه .. وأصـــــبح فعلا الانسان العاجز الذى ينتظر من غيره المعونة بعد أن كانت أمه لا تنتظر أن يطلب بل تقدم له طواعية واختيارا :

ــ أنا لا أساوى شيئا .. الدودة تسعى وراء العيش .. النملة تتعاون وتجاهد وتكافح فى نقل الفضلات الى مخزن تضعه فيــــــه حتى يأتى وقت الشتاء ويمنعها المطر من السعى .. ســـمعت ذلك من مذياع كان يحمله شخص جاء يزور أبى .. وتهامس معه يحدثه .. تمنيت أن أسمعه .. لكنهم أخفضوا الاصـــــوات أكثر من اللازم .. وبعد أن غادر الدار ضج الفرح بأختى وانطلق من فمها صوت مرح سعيد بأن كان عنـــدهم فدائى قطعوا العهد على التعاون معه .. حتى هناء التى تصـــــغرنى بأعوام ستتعاون معه .. أما أنا ..

تنهـد فى مرارة .. وصب من عينيه الدموع غزيرة بعد أن عرفها .. وفاضت بها عيناه كلما فاض بقلبه الأسى والحزن ..

ـ ليتنى أقدر على شىء .. انا عبء فوق كاهلهم .

قلبه يغلى دائما .. والاسرة من حوله كلما نظر اليها وراقب احوالها .. وجدها تغلى .. لا تستقر على حال .. أخ خارج .. واخ داخل .. والثالث يقضى خارج الدار اياما فى سرية تامة .. الاخت تخرج وعلـى وجهها ملامح الجـد والاتزان .. وتعود وهى سعيدة فرحة تكاد تطير بجناحين .. ولا تـكاد تدخل ويرى الاخوة سرورها يقفز من عينيها حتى يقفزون ويتبارون فى حملها من فوق الارض وفى تقبيلها :

ـ كأنى غير موجود ابدا .. لم يحاول أحد منهم أن يشركنى فيمـا يقول .. لم تعطنى أختى فرصـة أرحب بعودتهـا وهى مسرورة .. قطعوا من ناحيتى الامل .. لهم الحق فى ذلك ..

نما شعوره بعدم جدواه بينهم .. وتمـرد مرات كثيرة على ما كانوا يقدمونه له .. ولكن نداء الحيـاة حطم حائط تمرده .. فعاد يمد فمه يأخذ من أيديهم الطعام والشراب .. ولم تفارقه ملامح الالم من حزن يملأ قلبه .. قالت له هناء :

ـ مالك يا غسان ؟

ـ لا أريد منكم شيئا ..

ـ ولم ؟

ـ لا تحبوننى ..

ـ من قال ذلك ؟

ـ أنا أعرف .. أحس ذلك من نفسى ..

ـ نقدم لك كل ما تريد ..

ـ ليس الطعام فقط ولا الشراب .

ـ اذن ماذا ؟

ـ اشياء اخرى .. اخرى ..

وأجهش بالبكاء من فرط ما يعانى .. وانخلع قلب الفتـاة .. وأخذت تربت كتفه وتبكى هى الاخرى ..

ـ ماذا تقصد يا غسان ..

ـ أريد أن أقبلك عندما تعودين والفرح فى عينيك .

فضحكت .. أضحكها الطلب .. ومالت تقبل وجنتيـه المبتلتين .. ومسحت خدها الاثيل وأرختـه امام شفتيه ..

ـ قبل كما تريد ..

ـ قبل ..

ـ قبل .. مالك لم تقبلنى .. ألم تطلب ذلك ؟

ـ لا يا هنـاء .. وانت عائدة والسرور يضج فى عينيك ..

ـ عائدة ... من اين ؟

بهتت .. لم تكن تتوقع من غسان هذا الذى يقول .. ابدا .. واخذت تدفعه بكرسيه لتنقله منه الى فراشه .. فقـد أوغل الليـل واقترب من منتصفه وغطته وقبلته ..

ـ سوف تقبلنى عندما أعود

ولما عادت ذات يوم وفت بوعدها الذى كان ينتظره .. ولكنه سألها من أين عادت فأجابته :

ـ ان ارضنا سـليبة .. ونحن ندافع عنهـا وعنك .. نريد أن نثبت أنفسـنا فى أرضـنا بدلا من اغترابنا فيها .. يـا غسان .. ثأر أبينا وثأر أمنـا .. وآلاف غيرنا مشردة ..

ـ لذلك انت سعيدة ؟

ـ بالطبع .. مـا اسعدنى وانا أبذل فى هذا السبيل .

ومدت رأسها لأخيها من جديد يقبل وجهها كلـه ويشبع منه ويبث فيـه انفعـالات قلبـه .. وكلما خرجت وعادت .. تقبله ويقبلها .. وتحكى له كل ما فعلته .. أصبح بعد ذلك

عنده تاريخ كبير .. عن أعمـــال الفداء فى الأرض المحتلة حتى جمح به الخيال فتصور نفسه خلال أحـلام اليقظة يضرب ويضرب ويضرب ... ويقتل من الأعـــداء آلافا مؤلفـــة .. ولكنه أحس بعجزه عن أى شىء .

...

كانت الأعمال الفدائية متناثرة .. غير مترابطة .. دافعها كلها شريف .. ولكن ليس لها خيط واحـــد تنتظم فيه فتقوى ..

وأمام الخطـــر العظيم .. نجـــد الناس كلهم يجتمعون .. لا شعوريا هكذا .. يجمعهم نداء الحياة .. ضد أعداء الحياة ..

سيطر العدو على مساحات أوسع مما كان معه .. وطرد أعـــدادا أكثر من أهل البـــلاد من منازلهم وسلب أملاكهم .. وشردهم فى العراء تحت وابل المطر وقيظ الصـــيف وذل الضياع

لكن هذه الجموع رافضة كل ذلك .. وما من واحد فيها الا وهو منضم لجبهة الدفاع عن الارض .. لا يهمه ما يقاسيه .. فالنتيجة المرتقبة مـــا أعذبها وما احلاها وما أسعدهم يوم يحققـــونها حتى ولـــو كانوا يأكلون التراب .. فهو ترابهـــم وما أكرمه عليهم .

وزادت الاعمال التى تحكى قصصها هناء الى غسان .. وكانت أســـعد لحظات عمره تلك التى يسمع فيها من هناء مـــا فعلت .. وما سمعت عن الأعمـــال العظيمـــة .. وترى بريق عينيه يضىء ويضىء من فرط السعادة .. ثم لا يلبث الضـــوء أن يذبل .. ويخفت ويتغير وجه غســـان .. من الفرح الضاحك الى الحزن العميق .

ــ اشـــاركهم بسمعى وقلبى فقط .. ليتنى أستطيع أكثر من ذلك .. لا شىء فى الحياة كلها أستطيعه غير ذلك .

رأت هناء الدموع فى عينيه فبكت هى الاخرى .. عرفت ما يعانيه وما يعتلج فى قلبه ــ فانزاحت من جانبه فى رفق وتركته وحيدا فى مكانه فوق كرسيه ذى العجلات .

أفاق غسان وبدأ يستعيد تلذذه بأن يتذكر ما قـــالته هناء منـــذ قررت أن تحكى له .. واذا بأصوات تشـــــبه الجلبـــة المختنقة تتوارد على سمعه من الحجرة التى يبيتون فيها جميعـــا .. واختلاط هـــذه الأصوات ببعضها شد أذنه وحول تفكيره اليها عن أى شىء عداها .. واخـــذ يكد ذهنه كى يبعد الكلمات عن بعضها فيفسرهـــا ويصبح لها معنى .

كلهم سيعملون فى الجبهـــة ولن يعودوا الى الدار الا لمامـــا ويجب أن يبقى أحد من أجل غسان .. ورفض كل واحد أن يبقى من أجل هـــــذا الفرض .. حتى هنـــاء .. أصرت على الرفض .. والرفض القاطع .

ــ والحل .. ؟
قالها هيثم ..
ــ نعمل قرعة
الحـــظ يلعب دوره .. جاء على هناء أن تبقى ..

رضيت بالقرعة وهى تبكى هـــذا الحظ العاثر الذى يحول بينها وبين مواصلة العمـــل فى ســـبيل أرضها الغالية .. فقد وعدهـــا اخوتها أنهم سوف يستعينون بها عند الضرورة .

وبقيت مع غسان فى المنزل لا هم لها الا أن تقطع الوقت بحكايات عن

الفدائيين تحكيها لغسان ثم تقف على باب البيت ترقب دوريات العـــدو المارة من أمامه كل ساعة .. ترقبها وهى تتميز من الغيظ والحنق وتدعو عليهـم بقصف العمر أو كارثة تنزل عليهم من حيث لا يعلمون .

وفى يوم كان هيثم يمر أمام المنزل فى طريقه الى أحد الأهداف الحيوية للعدو يضع فيه شحنة مدمرة تقوضه وتجعـله رمـادا ولهيبا .. ففوجىء بدورية للاعداء .. كثيرة العدد ... فى سيرها عدوان وترقب .. كأنمـا تبحث عن شىء مثله .

انفلت هيثم الى داخل المنزل وترك شحنته لأختـه وشرح لها الطـريق وكيف تضعها فى الهدف تماما ... وخرج مسرعا .. عائدا الى الجبهـة ليأخذ غيرها ويذهب الى هدف جديد.

انها فرصـة مواتية جـاءت لهناء تسعد قلبها وتعوضها عن جهاد أيام انقطعتها ولكن كيف تخـرج بهـذه الشحنة ودوريات العدو لا تزال أمام الدار .. كلما أطلت عليهم وجـدت أعدادهم تزيد .. والشارع يخلو الا منهم .. والعربات المسلحة تتـوارد عليهم وكأنهم سـوف ينسفون الحى بأكمله .. ماذا تفعل .. ؟ تذهب الى الباب وتعـود والتوتر يكاد يقتـل أعصابها .. تنظر الى غسـان بكل عنفوانهـا فى لهفـة الحاجـة الى مساعدة .. ثم ترتد عنه وهى آسفة .. يائسة .. فليس عنده ما تريد ..

ترددت بقلقها بين الباب .. وبين غسان .. وهى لا تريد الا أن تموت والشحنة توضع فى الهدف .. واذا بغسان يناديها :

ــ أنا أستطيع مساعدتك ..

سمعته .. ومالت عنه متجهـة الى الباب :

ــ أحلام يقظة .. لا يستطيع حتى أن يشرب بيده .. يا للسخرية .. يساعدنى .. فصرخ بأعلى صوته.. لأول مرة فى حياته يرتفع له صوت .

ــ تعالى هنـا ..

بهتت من هـول المفاجـأة ... وذهبت تلبى هذا الذى أنشـق عنه الزمن .. ولم تعـرف من أين ولا كيف .. وقفت أمـامه كالتلميـذة الصغيرة .. قال لها :

ــ أعـرف الأمر كله .. سمعت حديثك مع هيثم .. هاتى الشـحنة يا هنـاء .. ضعيها تحتى وادفعينى الى حيث تريدين .. لا بد أن نقتلهم .. أو نموت .

ترددت .. أرادت أن تقول شيئا .. فقاطعها فى حزم وألم .

ــ نفذى ما أقول ..

ورق صوته .. ودمعت عيناه وهو يستطرد :

ــ واذا مت .. فأخبرى إخـوتى أنى دفعت نصيبى .. فى ثأر أرضى وأبى وأمى .

استردت هناء أنفاسها .. ونفذت ما أراده غسـان .. ودفعته أمامها بكرسيه المشحون وخرجـا من البيت الآخر مرة .

لم يكتشف الاعداء الذين فتشوهما شيئا .. فذهبا الى الهدف ... ثم جعـلا اقامتهما فى الجبهـة .. مع أشرف ناس .

وبين الحين والحين .. يذهبـان سويا الى هدف جديد .. وشعارهما الموت .. أو النصر .

الفتاوى

دواجن المزارع
ثقب الاذن

السؤال ١ : ما حكم أكل لحوم الدواجن التى تربى فى المزارع ، وتعلف علفا يدخل فيه الدم عنصرا أساسيا فى تغذيتها بالقياس الى حكم الدجاجة المخلاة (الجلالة) التى تأكل العذرة ؟

السؤال ٢ : ما حكم ثقب الاذن من أجل وضع الحلى عليها ، وما الفرق بينه وبين ثقب أرنبة الانف والوشم من حيث احداث الالم وتغيير خلق الله ، وهذان الاخيران محرمان ؟

(فخرى أحمد : ثانوية التاج للبنات ــ عمان ــ الاردن)

•• •• •• ••

وقد تفضل الاستاذ مصطفى أحمد الزرقا بالاجابة التالية :

ج ١ : ان الدجاجة أو الشاة أو الناقة الجلالة (هى التى تأكل النجاسات) يكره أكل لحمها كراهة فى معظم المذاهب الفقهية ، الى أن تستبرأ بحبسها عن أكل النجاسات واعلافها العلف الطاهر مدة يغلب فيها على الظن ذهاب أثر الجل من لحمها ، وتختلف هذه المدة بحسب حجم الحيوان ، ففى الدجاجة قدرت بثلاثة أيام ، وفى الشاة بأكثر ، وفى الناقة بأكثر وفى بعض المذاهب يحرم لحم الجلالة حرمة حتى تستبرأ .

لكن المهم معرفة حد الجلالة ، فلا تكون الدجاجة ونحـــوها جلالة بالنظر الفقهى الا اذا كان أكلها كله أو غالبه من النجاسات والاقذار حتى انتن لحمها ، وظهرت منها رائحة النتن ، هكذا عرفوها ، فأما اذا كانت تخلط فى مرعاها ، ولم ينتن لحمها فلا كراهة فى أكلها ، وصرحوا بأن العبرة لنتن لحمها لا لمجرد أكلها من النجاسات ، فان مجرد أكل النجاسة لا يجعل لحمها حراما ولا مكروها .

وبذلك يعرف أن لحم الدواجن التى تربى فى المزارع لا كراهة فيه ، وان دخل الدم عنصرا فى علفها ، ولا سيما أن الدم لا يعتبر مثل العذرة ، لأن اللحم لا ينتن منه وان كثرت نسبته فى علفها ما دامت العبرة لنتن لحمها وريحها .

ج ٢ : نص الفقهاء الحنفية على جواز ثقب اذن البنت لوضع القرط ونحوه للزينة ، كما نصوا على جواز خزمها فى الانف حيث يكون ذلك زينة متعارفة للنساء ، ولا يجوز شىء من ذلك للصبيان ، لأن الشريعة أباحت التحلى والتزين

للنساء دون الرجال ولا يجوز تعويد الاطفال على خلاف ما هم يهيؤون له فى الكبر ، فيجب تعويد الصبيان على الرجولية ، وتعويد البنات الطفل على أخلاق النساء ، ويحظر العكس ، أما الوشم فمحظور حتى للنساء لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عنه ولعن الواشمة والمستوشمة ، وليست العلة فى هذا النهى هى الالم حتى يقاس عليه ثقب الاذن ، كما أن تغيير الخلقة الطبيعية كما يبدو فى الوشم لا يوجد نظيره فى ثقب الاذن أو الخزم ، لأن هذا الثقب هو مجرد احداث مركز لتعليق قطعة الحلى المباحة ، والله سبحانه أعلم .

فى الوكالة

ما قول علماء الشافعية فى رجل تحت يده سيارة لآخر ، ثم ان الاخر مالك السيارة كتب رسالة له يقول فيها ما نصه : « أقول لك السيارة سيارتك تشرق أو تغرب بها ما حد له شغل ما دام أنا غائب فانت المالك ولك مطلق التصرف فيها ، بالذى تراه مناسبا ، فهل هذه الالفاظ التى جاءت برسالة المالك تخول للامين بيع السيارة أم لا ، وهل هى من ألفاظ الوكالة الصريحة أو الكناية ؟

سيد عونى ربيد ـ جمهورية اليمن الشعبية

الاجابة :

وقد تفضل بالاجابة على هذا السؤال فضيلة الشيخ على البولاقى .

ان المعتبر فى الوكالة أن يتلفظ الموكل بلفظ يدل على رضاه بالتصرف ، سواء أكان صريحا أم كناية ، وقد نص الشافعية على أن الكتابة كناية ، حتى لو كتب انسان لفظا صريحا فى الوكالة لم تعتبر الكناية صريحة ، بل تعتبر كناية محتاجة الى نية الكاتب ، ولا تعرف نيته الا باستفساره .

فبناء على هذا لا يجوز للامين أن يتصرف فى السيارة الا التصرفات التى كان مأذونا فيها من المالك شفاهيا قبل أن يرسل اليه هذه الرسالة التى قصد بها دفع اعتراض المعترضين ، فاقدامه على بيع السيارة اعتمادا على ما فى هذه الرسالة لا يجوز شرعا وهو من قبيل بيع الفضولى ، وعليه أن يتحمل تبعته لا سيما أنه صرح فى رسالته بعلمه أن المالك غير راض عن بيعها والله أعلم .

وقت العمل

اننى أعمل فى احدى الصحف المحلية موزعا ، ويستغرق عملى فى التوزيع ثلاث ساعات اذا سرت سيرا عاديا ، واذا أسرعت يستغرق ساعتين ولى اشتراك فى معهد الطباعة ساعة يوميا .

وأنا أستحث نفسى لكى أوفر ساعة أذهب فيها للمعهد ، فهل هذه الساعة حلال أو حرام على أنها من حساب العمل .

ن. م ـ الكويت

الاجابة :

وقد تفضل فضيلة الشيخ على البولاقى بالاجابة عن هذا السؤال :

ان قضاء ساعة من ساعات العمل فى مصلحة خاصة لا يجوز الا باذن أو عرف يقضى بذلك ، فعلى هذا لو كان الاتفـــاق بينك وبين ادارة الجريدة على الخروج للتوزيع فى مدى ثلاث ساعات ، فأمكنك ادخار ساعة منها من غير اخلال بالتوزيع فالعرف يقضى بجواز تصرفك فى هذه الساعة لا سيما أنه فى طلب العلم .

وكذا لو استأذنت من له حق الاذن فأذن لك صراحة بخلاف ما لو صرح بالمنع .

النـــــــذر

نذرت لله تعالى أن أصوم الاثنين والخميس من كل أسبوع اذا ولدت ولدا ، وقد من الله على فأنجبت ولدا ، ووفيت بنذرى مدة سنتين ، ولكنى أصبحت غير قادرة على الوفاء بهذا النذر لضعفى وكثرة أولادى ، فما حكم الله ؟

الاجابة :

نشرنا هذا السؤال والاجابة عليه فى العدد (٦٠) وقد أرسل لنا الشيخ محمد الاشقر تحريرا للاجابة ننشره فيما يلى :

هذا نذر تبرر يجب عليك الوفاء به ، وأنت قد كلفت نفسك بهذا النذر مشقة شديدة ، وما كان أغناك عن هذه المشقة ، فالنذر كما جاء فى الحديث لا يقدم شيئا ولا يؤخر ، ولكن يستخرج به من البخيل ، ولكن ان كنت غير قادرة على الاستمرار فى الصوم كما تذكرين فى سؤالك ، فللفقهاء فى هذه الحالة رأيان :

الاول : تلزمك كفارة يمين فقط .

الثانى : تلزمك مع كفارة اليمين فدية طعام مسكين عن كل يوم تفطرينه مما وجب عليك صومه بالنذر .

والذى نرجحه أن عليك كفارة يمين ، ثم تصومين بعد ذلك نشاطك وتفطرين ما لا تقدرين على صومه .

روى عقبة بن عامر قال : نذرت أختى أن تمشى الى بيت الله ، وأمرتنى أن أستفتى لها النبى صلى الله عليه وسلم ، فاستفتيته ، فقال : لتمش ولتركب ولتصم ثلاثة أيام .

بأقلام القراء

واجب الدعاة فى مجتمع اليوم

كتب الاستاذ محمد سيد أحمد المسير تحت هذا العنوان يقول :

المجتمع ـ بالمعنى المثالى ـ حركة وثابة نحو الهدف وانطلاقة واعية نحو المبدأ .. وصـلابة وعزم تتخطى كل عقبات اليأس المثبط الى قمم الامل المشرق ..

والسياج المنيع لتلك الانطلاقة الفتية هو الدين بكل جلاله وروعته .. بكل منهجـه وطريقته التى تتواكب مع منطق الحياة الصحيحة ، وتتلاقى مع موكب الاحياء فى غاية تتجه بهم نحو القيمة والقمـة .

والدين لم يكن فى يوم من الايام ـ عائق عمل ولا حائل تقدم بل استقراء التاريخ يشهد أن الحضارات الاولى التى شيدها الانسان انما قامت على أساس من الدين والتدين ، ويوم أن عرف المسلمون طريقهم الى كتاب الله ، واستلهموه رشدهم ، وقادهم الى أمة هى من التاريخ غرته ومن الزمان ربيعه ..

واذا اتفقنا على أن الدين ضرورة قصوى للحياة الانسانية فى دابرها وحاضرها ومستقبلها فعلينا اذا ـ أن نتميز بملامح اسلامية صحيحة ، ونتسم بسمات مميزة مشخصة فى جميع سيرنا واتجاهاتنا ومن هنا يتأكد دور الداعية الى الله تعالى فى قياس واقع الناس (بترمومتر) الدين ..!! حتى نستطيع السير فى الحياة على هدى وبينة ، ونحقق قول الله تبارك وتعالى (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

وحينما ننادى بأهمية الداعية الى الله فاننا نعنى بهم هؤلاء الذين يتجهون نحو تربية الانسان وشحن أحاسيسه بمبادىء الخير والحب والحنان .. ورياضة روحه وضميره بقيم الحق والفضيلة والجمال .

اننا نعنى بهم أولئك الذين يتقدمون الركب بقوة ايمان وصـدق عقيدة يوجهون الناس وفق الاغراض الاسلامية النبيلة التى تدفع بقوافل البشر نحو الـكرامة والعزة ، اننا نعنى بهم هؤلاء القادرين على بيان الحوافز الروحية التى تؤمن للعمل مقصـده ، وتخلصه من شوائب النفـاق وكدر الرياء .

فعلينا ـ نحن الدعاة ـ اذا ما أردنا أن نكون صادقين مع أنفسنا والناس من حولنا أن ننزع

الى سلوكنا فنقومه والى قلوبنا فنطهرها والى عقولنا فننميها .. ثم علينا أن نترك تلك الخلافات التى لا تجدى والتى أضرت .

ان الشباب المعاصر لا يخلو من فطرة الله « التى فطر الناس عليها » ولا ينأى فى قرارة فؤاده عن منطق الخير ، وانما أخاله مذهولا لا يدرك أو مسترسلا .. لا يتدبر ، فهو فى أمس الحاجة الى من يسمعه كلام الله ، ويوجه اليه نداءه ، ويقف منه موقف المذكر دائما كلما زل أو كاد ..

ان مشكلة الشباب المعاصر لا يقوم فى أنهم لا يريدون أن يعرفوا واجباتهم ، بل تقوم أساسا فى أنهم لم يستطيعوا أن يعرفوا تلك الواجبات .

أيها الدعاة :

ان لكم أسلافا .. أدوا الامانة وأخلصوا لله أعمالهم .. وسبقوا الحوادث وفرضوا المسائل وأجابوا عنها ، كل ذلك بعقل واع حصيف وبصيرة طاهرة نفاذة ولم يدخروا وسعا فى الذود عن دين الله .. فجددوا عهد أسلافكم وانطلقوا الى العالم فأنقذوه من صراع جارف وحيرة مادية .. وانهيار الحادى ومن شرور مبادىء متطرفة ومذاهب هدامة ، فان الانسانية أحوج ما تكون الى من يسمعها نداء الله .

صرخـــــة

وتحت هذا العنوان يقول الاخ ابراهيم حمد ابراهيم هندى :

مع نسمات عام هجرى جديد ، حرى بنا أن نتذكر منزلة الشهداء ، وما أعد الله لهم من ثواب كبير ونعيم مقيم .

وجدير بنا نحن المسلمين أن نقف لحظات على أعتاب هذا العام نراجع فيها سيرة الاولين كى نأخذ منها عبرة اليوم ، وعظة المستقبل .

ففى تاريخ آبائنا الاولين الكثير من قصص الكفاح والفداء ، ولعل أقلها ما حدث فى موقعة بدر حيث انتصر الحق على الباطل ، وانتصرت القلة على الكثرة ، وتحقق النصر العظيم ، وأيد الله الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ، وما أشبه الليلة بالبارحة ، فهذه عصابة صهيون يساندها الغرب قد كشفت عن وجهها السافر ، وأظهرت عداءها للبشرية والاديان ، فسلبت الديار والاموال ، وشردت أصحاب الارض الشرعيين فى الفيافى ، وأحرقت المساجد ، وهدمت الكنائس ، وتحدت المسلمين ، وعاثت فى أرض الطهارة والانبياء فسادا ، فى غير اكتراث ولا مبالاة ، فهل من مانع يمنعها ، وهل من راد يردها عنغيها وعبثها ؟

ليس هناك الا الجهاد والقتال والموقفـــة المؤمنة والصـــلة القوية بالله ، ومتى تحقق ذلك فستكون الغلبة للمسلمين ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر اللهينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ، وعد الله لا يخلف الله وعده .

فهيا نجمع قوانا ونعود الى رحاب الله ، ونوحد أمرنا ليوم الخلاص ، وأن يوم الخلاص والثأر لقريب كما قال الشاعر :

اليوم دقت ســاعة الخــلاص ... ما للجهــاد اليوم من منـــاص

بريد الوعي الإسلامي

المحـــاماة

استفسر كثير من القراء عن مهنة المحاماة واصلها فى الاسلام ، وعما تعود به من كسب على المشتغلين بها .
وقد تفضل بالرد الدكتور أحمد عبد المنعم البهى الاستاذ بجامعة الكويت فقال :

لا شك أن الوكالة جائزة فى الاسلام وضبطها الفقهاء بقولهم : « كل ما جاز للانسان أن يتصرف فيه بنفسه جاز له أن يوكل فيه ، وكل ما جاز للانسان أن يباشره بنفسه ، جاز له أن يوكل فيه ، واستثنوا من ذلك بعض العبـــادات وبعض الامور الشخصية التى لا تصح الوكالة فيها » .

صحيح أنها على هذا النحو الحالى وبهذه الصورة المعاصرة لم توجد فى صدر الاسلام لأن وجودها كان رهنا باستحداث انظمة شتى فى التقاضى ، ومع ذلك نستطيع أن نقول أن بعض القضايا فى عصر الصحابة وقف بعضهم منها موقف الدفاع عن المتهم ، ومن ذلك ما رآه عمر رضى الله عنه بوصف كونه أميرا للمؤمنين رجم المرأة التى وجدت حبلى ولا زوج لها فدافع عنها الامام على باعادة التحقيق معها لجواز أنها استكرهت على هذا الامر ، وفعلا ظهرت براءتها عندما أعيد التحقيق معها .

وهذا يوضح لنا أن الدفاع عن المتهم جائز شرعا فضلا عن أن المحـــاماة لا تخرج عن كونها نوعا من التوكيل .

على أن التنظيم القضائى فى عصرنا الحاضر يستدعى فى معظم الاحيان وجود محـــام مع المدعى أو المدعى عليه ، لأن معظم النـــاس لا يعرفون مواد القانون ، ومن أين يبدأون بالدفاع عن حقهم أو يردون على خصم أقدر منهم فى محاولة الحكم له ضدهم ، وهناك سيدات لا يستطعن التردد على المحاكم لظروف مختلفة ، ومن ثم كانت المحاماة ضرورة فى ظل النظام القضائى الحالى .

أما ما يقال من أن بعض المحامين يوكلون للدفاع عن الباطل ، فانى أعلم أن كثرة منهم ترفض قبول هذا النوع من القضايا هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان للمحكمة تقديرها وهى لا تأخذ دفاع المحامين قضيةمسلمة ، وعلى الذين يدافعون عن الباطل وزر عملهم ، وهذا دون شك ينافى المهمـــة السامية التى يقومون بها ، وهى نصرة العدالة والدفاع عن الحقوق المهضومة ، ومن أجل ذلك نستطيع أن نقول أن مهنة المحاماة مشروعة وجائزة ، ولا تأباها نظم الاسلام وكسبها حلال شرعا .

المصحف .. المصحف

لاحظت فى الفترة الاخيرة وجود عدة طبعات من المصحف الشريف بها اختلال كبير لا يصح التهاون فيه ، ولا اغفاله ويبدو أن الخلل نشأ من اهمال العمال الذين يعملون فى الطباعة والتجليد ، فبعض المصاحف نجد فيها الورقة الواحدة فيها صفحة من سورة البقرة والصفحة الثانية من سورة الفتح ، وبعض المصاحف نجد فيها ورقتين من سورة التوبة وسط سورة الشورى ، فما حكم الاسلام فى هذه المصاحف ؟

س. ع ــ السودان

يجب شرعا مصادرة هذه المصاحف ومنع تداولها ، وهذا أولا واجب الحكومات الاسلامية اذ أنها تملك السلطان الذى يمكنها من ذلك ، وهذا الواجب الملقى على عاتق أولياء الامور ، لا يعفى المسلمين كأفراد فيجب على كل مسلم وجد مصحفا من هذه المصاحف أو سمع به أن يبادر الى احراقه ، وأن ينبه اخوانه الى القيام بهذا الواجب .

ومن واجب الانصاف للدول الاسلامية تسجيل اهتمامها البالغ بأمر طبع المصحف ، ففى كل دولة ــ على ما أعلم ــ هيئة علمية خاصة يعرض عليها المصحف قبل طبعه ، ومع هذا الاهتمام فان أخطاء تحدث ، واهمالا يقع ، والامر يحتاج الى عناية بالغة واهتمام أكبر وانا نقترح أن تنشأ هيئة دولية اسلامية تشرف على طبع المصحف .

وكلمة أخيرة الى المشتغلين بالطباعة أن يتقوا الله فى كتاب الله .

الجهاد فى الاسلام

يسأل الأخ أحمد عبد الحميد من القاهرة عن القتال فى الاسلام ، وهل هو دفاعى أو هجومى ، وبناء على طلبه أحلنا هذا السؤال على اللواء الركن محمود شيت خطاب ، فتفضل بالاجابة التالية :

والواقع هو أن الاسلام دين سلام ، وهذا ما تنص عليه آيات القتال فى الاسلام ، ولكنه سلام الاقوياء لا سلام الضعفاء ، أى أن القتال فى الاسلام هو لاقرار السلام لا لاقرار الاستسلام .

وقد فصلت ذلك فى بحث (القتال فى الاسلام) فى كتابى الرسول القائد ، كما شرحت ذلك فى بحث (تعاليم الفتح فى الاسلام) الذى جاء خاتمة لكتابى : قادة فتح العراق والجزيرة ، فليرجع الى هذين البحثين السيد السائل اذا أراد .

أما اتخاذ خطة الهجوم ، فان الهجوم هو أنجع وسائل الدفاع ، كما تنص على ذلك الكتب العسكرية الفنية القديمة والحديثة .

وصفحات القتال هى : مسير الاقتراب ، والدفاع ، والهجوم ، والانسحاب والمطاردة ، وهذه الصفحات هى لتحقيق (هدف) القتال وهو (السلام) فى الاسلام ، و (الاعتداء) فى كثير من الاديان والمعتقدات ، فالسلام هو (الهدف) وصفحات القتال (الوسائل) ، والهدف هو القاعدة ، والوسائل تتبدل حسب الظروف .

وشكرا للسيد السائل على سؤاله ، والله يوفقنا لما يحبه ويرضاه .



قالت صحف العالم

بيـــان

نشرت مجلة الفكر الاسلامى التى تصدر عن دار الفتوى الاسلامية فى بيروت هذا البيان لسماحة الشيخ حسن خالد مفتى الجمهورية اللبنانية ردا على الاستفسارات حول حكم الاسلام فى كتاب « نقد الفكر الدينى » الذى ظهر فى الآونة الاخيرة .

فى هذه الفترة العصيبة من حياة العرب والمسلمين يحلو لبعض المحسوبين على الامة العربية أن يعكروا صفوها ، ويفرقوا كلمتها بما ينشرون من أفكار خاطئة وتهجمات ضارة ، ينالون بها من الدين السماوى ومبادئه المقدسة ، متذرعين بأنهم يقولون كلامهم فى ظل من حرية الرأى ، وهى دعوى تغرى السذج والبسطاء فيتأثرون بها ، ويسيرون فى ركاب هؤلاء المفسدين .

وكتاب « نقد الفكر الدينى » نموذج من تلك النماذج المخربة ، المجافية لأدب الدنيا وأدب الدين . ووضعا للحق فى موضعه ، وقطعا لألسنة السوء ، نوجه أنظار أبنائنا الى ما يلى :

أولا : ان الاسلام دين يكفل الحرية للفرد بكل أبعادها ليتصرف الانسان من خلالها بمطلق ارادته . على أن للحرية فى أعراف الناس وقوانينهم ، كما أن لها فى عرف الشرع وقانونه حدودا يجب التزامها حتى لا تنقلب فوضى ، تضر الفرد ذاته ، وتضر مجتمعه ، وتفقد فكرة المنطلق حرمته وقيمته . والمعروف أن حرية الانسان تنتهى عند حدود حرية غيره وكرامته ، وبهذا تصان الجماعة وتحفظ من الهزات والرجات والقلاقل .

ثانيا : ان فى الاسلام مقدسات لا يجوز المساس بها ولا النيل منها لأى سبب وأى حجة . فالله والملائكة والجن والجنة والنار ، والحساب والثواب والعقاب وخلق آدم من تراب وصدور الامر من الله عز وجل لابليس بالسجود له سجود تعظيم وتكريم ، واباء ابليس تنفيذ أمر ربه ، كل هذه وغيرها مما ورد شبيهه فى القرآن والسنة ، مسلمات قطعية الثبوت فى الاسلام ، والايمان بها فريضة محكمة على كل مسلم ، والتشكك فى تصديقها أو تصديق بعضها كفر صراح يخرج المسلم من الاسلام .

ثالثا : ان رفض التسليم بهذه الغيبيات وأمثالها مما قطعت الادلة الشرعية المتواترة بثبوته بحجة مخالفته للعلم هو افتراء على العلم نفسه ، ذلك لأن العلم الوضعى لم يزل يشتمل على طائفة كبيرة من الغيبيات لم ينفذ بعد الى أسرارها ومع هذا يسلم العلم بها تسليما عفويا ، وذلك باعتراف المؤلف ، فكيف يؤخذ على الديانات التسليم بما هو غيبى . وفوق هذا فالعلم البشرى بما أوتى من النفاذ والقدرة لم يستطع ولن يستطع أن يكتشف تلك المغيبات التى هى من أمر الله وخاصة علمه ، وليس عدم اكتشاف العلم الانسانى لأمر دليلا على عدم وجوده ، وما كشفه العلم حتى أيامنا هذه لا يزال يسيرا بالنسبة الى ما هو مجهول وصدق الله العظيم اذ يقول (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) .

رابعا : ان مشايعة المنكرين والسير معهم وتأييدهم فى أفكارهم وتبرير هذا الانكار بحرية الرأى هو رفض لأمر الله ومروق بالتالى من الدين .

خامسا : وبناء على هذه الحقائق التى أسلفنا بها فان كتاب « نقد الفكر الدينى » بما اشتمل عليه من انكار للغيبيات وافتراء على الدين والقرآن يعتبر مؤلفه خارجا عن الاسلام مرتدا وكذلك من يؤيده ويجاريه فى رأيه .

سادسا : ان واجب الدولة أن تقطع الطريق على مثل هذه الافكار الضالة الهدامة التى تضر الامة فى صميمها ، وتعرضها لانقسامات خطيرة وفتن شعواء ، لا يعرف مداها الا الله وان على الدولة أن تطبق ما لديها من القوانين الصريحة فى معاقبة كل من يتعرض للشعائر الدينية وللمقدسات بما يسىء حتى لا يضطر المسلمون الى سلوك الطريق الذى يرونه فيه حماية عقيدتهم وصيانة دينهم .

سابعا : وعلى أبنائنا جميعا أن يحذروا هذه الافكار الضارة السامة التى لا تلتزم بشرع ولا تؤمن بدين والتى تلتقى فى صميم اتجاهاتها مع أفكار الصهيونية العالمية التى تستهدف محاربة الأديان لاضعاف المواطنين والاستيلاء على أوطانهم ومقدراتهم ومرافقهم .



أخبار العالم الإسلامي

اعداد . ع . ب

الكويت : استقبل سمو ولى العهد وفدا اسلاميا يمثل المركز الاسلامى فى بروكسل حيث عرض على سموه مشروع المسجد الذى ينوى المركز انشاءه .

● قام سعادة الشيخ سعد العبد الله الصباح وزير الداخلية والدفاع بزيارة الى البحرين فى أوائل الشهر الماضى وصرح بأن للكويت قوات فى السويس ولكنها مع ذلك مستعدة للدفاع عن البحرين .

● وافق مجلس الوزراء على التبرع لعدد من الجمعيات والمراكز الاسلامية فى الخارج .

● عقد بالكويت فى أوائل الشهر الماضى مؤتمر خبراء التمويل العرب وقد وافق على انشاء شركة عربية برأسمال ١٠ ملايين دينار تساهم فيها الدول العربية للاستثمارات ضد مخاطر الحرب وغيرها .

● قام رئيس العلماء فى يوغسلافيا بزيارة الكويت حيث قدم شكر المسلمين للمسئولين على المساعدات القيمة التى تعطيها الكويت للمؤسسات الاسلامية هناك .

● احتفلت البلاد بيوم المعلم حيث كرم عدد من المعلمين وقد أقامت المدارس احتفالات بهذه المناسبة أبرزت دور المعلم فى خدمة العلم والامة .

● قدمت الكويت الى الصومال عشرة آلاف كتاب مدرسى وقال السيد محمد شيرة محمد مدير المناهج التعليمية أن الصومال تشكر الكويت على هذه المساعدة العلمية القيمة .

● عقدت اجتماعات مطولة فى وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية لرسم خطة الوزارة فى نشر الدعوة الاسلامية بمناسبة العام المالى الجديد .

القاهرة : احتفلت البلاد بالذكرى الاولى لاستشهاد الفريق أول عبد المنعم رياض وقد احتفلت القوات المسلحة بهذه المناسبة حيث أبرزت معنى استشهاد الفريق فى الصفوف الامامية لجيشه .

● عقد مؤتمر علماء المسلمين الخامس فترته الثانية حيث ناقش أعضاء المؤتمر مشكلات الانحراف وبحث علاقة الاسلام بالفكر الحديث كما بحث دور الازهر فى نشر الدعوة الاسلامية .

● أحبطت القوات العربية محاولة العدو عبور القناة وأغرقت بعض قواربه وألحقت خسائر فى الارواح والمعدات .

● صرح الدكتور عبد الحليم محمود أمين عام مجمع البحوث الاسلامية أن القاهرة ترسل ٤٠٠ واعظ كل عام الى البلاد الاسلامية وأنه يوجد على جبهة القتال ٢٠٠ واعظ يعملون على اذكاء الروح والجهاد .

السعودية : عقد فى جدة فى الشهر الماضى مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذى قرر عقده مؤتمر القمة الاسلامى الاول لبحث ومتابعة ما تم تنفيذه من قرارات القمة الاسلامية .

● صرح وزير الاوقاف المغربى أنه (مسرور جدا لما لاحظه من عناية واهتمام المسئولين فى المملكة العربية السعودية باظهار المشاعر المقدسة بالمظهر اللائق الذى يساعد الحجاج على أداء حجهم براحة واطمئنان) .

العراق : تم الاتفاق بين الحكومة العراقية والاكراد على تصفية المشكلة الكردية بعد عشر سنوات من القتال . وصرح مصدر مسئول بأن الاكراد فى شمال العراق سيشتركون فى عمليات فدائية ضد اسرائيل .

الاردن : قام جلالة الملك حسين بزيارة الى باكستان فى أوائل الشهر الماضى وقد تباحث مع حاكم أبو ظبى وشاه ايران حول دعم الجهود العربية .

● بدأت اسرائيل مخططا لترحيل ٣٠٠ ألف فلسطينى من قطاع غزة الى الضفة الغربية وقد أصدرت وزارة الداخلية الاردنية أمرا بمنع دخول القادمين من القطاع ومن الضفة الغربية الا بجواز سفر .

● صرح السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية أن الحرب الشعبية بدأت فى قطاع غزة وأن الاراضى العربية المحتلة سوف تشهد انطلاقات ثورية شعبية عما قريب .

سوريا : نشطت القوات السورية وقوات المقاومة وألحقت بالعدو الصهيونى خسائر جسيمة .

لبنان : صرح وزير الانباء اللبنانى أن لبنان متضامن مع العالم العربى ونفى ما ذكره وزير خارجية اسرائيل من أن لبنان مستعد لتوقيع معاهدة مع اسرائيل .

ليبيا : احتفل فى يوم ٣١ مارس الماضى بجلاء آخر جندى بزيطانى من البلاد .

● عقد فى آخر مارس الماضى مؤتمر لوزراء التربية والتعليم فى المتحدة وليبيا والسودان لتوحيد مناهج التعليم فى الاقطار الثلاثة .

● تمت الاجراءات لافتتاح سفارات ليبية فى كل من جمهوريتى اليمن وموريتانيا والصومال .

السودان : صرح رئيس مجلس الثورة بأن مؤتمر دول شرق ووسط افريقيا الذى عقد فى الخرطوم مؤخرا نجح فى وقف النشاط الاقتصادى الاسرائيلى فى المنطقة .

المغرب : ينظم المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربى بالرباط مسابقة على الصعيدين العربى والاسلامى للكشف عن المخطوطات القديمة النادرة ، آخر موعد لتقديم المخطوطات نهاية يونيو ١٩٧٠ م .

● تأجل مؤتمر وزراء اقتصاد المغرب العربى الذى كان مقررا عقده فى الشهر الماضى بالرباط لاعتذار ليبيا عن حضور المؤتمر .

تركيا : صرح نائب قونية المستقل البرفسور نجم الدين أربكان أن هدفنا هو اعادة بناء تركيا المؤمنة من جديد على أسس الاسلام .

الباكستان : قررت الباكستان حضور مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية فى جدة .

أندونيسيا : دعا الجنرال ناسوتيون رئيس المؤتمر الاستشارى المؤقت جميع المسلمين فى اندونيسيا الى بذل مساعيهم للعرب وناشد الحكومة تدعيم علاقاتها مع حركة التحرير الفلسطينية .

الهند : صرح رئيس مجلس التعليم الاسلامى فى ولاية كيرالا الهندية أن المجلس بصدد تأسيس مركز خاص للبحث والتحقيق فى العلوم الاسلامية وقد زار الكويت لتوثيق العلاقة بين الكويت والمسلمين فى كيرالا .

اخبار متفرقة

مدريد :

بلغ عدد الطلاب العرب الذين يدرسون فى أسبانيا ما يقارب ٨ آلاف طالب .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة مكة المكرمة ص.ب (٤٦)

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة مكة ص.ب (٤٦)

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب .

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) حضرموت .

دبى : ساحل عمان ص. ب (٢٦١) ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ــ السيد حسين قمر .

تعــز : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتبة منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

شخصيات فى سطور :

جار الله الزمخشري

(٤٦٧هـ — ٥٣٨هـ) (١٠٧٥ — ١١٤٤م)

* هو ابو القاسم محمود بن عمر ابن محمد الخوارزمى الزمخشرى احد ائمة الحديث والتفسير والنحو واللغة والمعانى والبيان ، من ائمة المعتزلة كان مجاهرا شديد الانكار على المتصوفة ..

* سافر الى مكة المكرمة وجاور بها زمانا ولذلك لحقه لقب جار الله وفيها الف الكشاف ..

* نسبه الى بلدة من قرى خوارزم تسمى زمخشر (بفتح ففتح فسكون ففتح) وبها ولد

* كان يمشى على خشب واحدى رجليه ساقطة وسئل فى ذلك فقال انه بسبب دعاء الام فقد امسك — فى صغره — بعصفور وربطه من رجله واخذ يلعب به ، ثم دخل العصفور فى خرق فنهته امه عن ان يجذبه وطلبت ان يفك وثاقه فلم يفعل وجذب العصفور فانقطعت رجله فتألمت الوالدة لحال العصفور وقالت : قطع الله منك ما قطعت منه ، واستجاب الله فحين مضى الى بخارى يطلب العلم ، سقط عن دابة ، كان يركبها فانكسرت رجله واستوجب الامر قطعها ..

* اشهر مؤلفاته :

له ديوان شعر

اساس البلاغة

ربيع الابرار

ضالة الناشد والرائض فى علم الفرائض

القسطاس فى العروض

المفصل فى النحو

البدور السافرة فى الامثال السائرة

المنهاج فى الاصول

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التاويل — فى تفسير القرآن الكريم ، وقد علق على الكشاف قوم منهم الامام ناصر الدين احمد بن محمد بن المنير الاسكندرى المالكى بكتابه « الانتصاف من الكشاف » بين فيه ما تضمنه الكشاف من آراء الاعتزال وناقشها ، واستدرك عليه فى بعض اعاريب آيات من القرآن ..

ونظرا لكثرة ما استشهد به الزمخشرى من الشعر فى كتابه الكشاف فقد وضع احد الفضلاء المسمى محب الدين افندى كتابا سماه « شرح شواهد الكشاف » اورد ، فيه شعر الكشاف كله ونسبه الى اصحابه واستكمل ابياته وقصائده ..

* كانت ولادة الزمخشرى — رحمه الله — فى السابع والعشرين من رجب سنة سبع وستين واربعمائة بزمخشر . اما وفاته فكانت فى ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بخوارزم فى قصبتها جرجانية او « كركانج » كما يقول ياقوت فى معجمه وهى على نهر جيحون ..

رحمة الله تعالى .

العوضى الوكيل

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة — العدد ٦٣ ربيع الاول ١٣٩٠ هـ ٦ مايو (أيار) ١٩٧٠ م

مُحَمَّدٌ

رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ
أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ

صدق الله العظيم

اقرأ فى هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد الثالث والستون

ربيع الأول ١٣٩٠ هـ

٦ مايو (أيار) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ــ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم



نبيّ الملحمة

مع اشعة الشمس المحرقة التى يصطليها جندنا المرابط على اطراف أرض الاسلام المغتصبة .. مع رياح الصيف الملتهبة التى تلفح وجوه الصامدين على خطوط النار مع العدو .. مع الظلام الرهيب الذى يلف الملثمين المدججين بالسلاح ، يبثون الألغام ، وينصبون الكمائن ، ويقتحمون الأسلاك ، ويقذفون المستعمرات .. مع السنة اللهب التى تنطلق من فوهات البنادق والمدافع والقذائف المنقضة ليل نهار منذ حرب حزيران .. مع المغارم الفادحة والتضحية الباهظة التى كتبت على الأحرار ثمنا لحريتهم ودفاعا عن كيانهم .. مع مراجل الغضب التى تفور فى دماء الملايين من المسلمين نقمة واستنكارا للعدوان الوحشى الاسرائيلى على حقوقهم ومقدساتهم .. مع هذه الآلام ، ومع الأمل الكبير والثقة الكاملة فى ان الله معنا ، وأن جندنا هم الغالبون

وفى خضم الأحداث النازلة والمحن الفاشية ، تفد علينا ذكرى المولد النبوى الشريف ، فتنحسر القرون المتطاولة ، وتتقارب الأمكنة المتباعدة، ويتلاقى المسلمون مع صاحب الذكرى الهادية الملهمة ، ويعيشون مع القائد المنقذ نبى الملحمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى حارب الفكرة بالفكرة ، وقرع الحجة بالحجة وواجه القوة بالقوة ، وشهر السلاح فى وجه السلاح ، ووضع السيف فى موضع السيف ، كما وضع الندى فى موضع الندى ، وجاءنا بكتاب لم يحمل الينا كلمة المسيح عليه السلام : (من ضربك على خدك الأيمن فادر له خدك الأيسر) بل حمل لنا ما ينفخ فى روحنا ، ويشد من عزمنا ، ويثير فينا حمية العقيدة المقيمة للعدل ، المبيدة للجور والظلم .. حمل الينا : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) (فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين) .

ان ذكرى المولد النبوى الشريف تشد المسلمين الى رسولهم العظيم ، وتفتح أعينهم على الشرف الكبير الذى عهد به الحق تبـــارك وتعالى الى الرسول الخاتم ، والى امته .. شرف حراسة الدعوة ، والدفاع عن الحق بحد السلاح حين يحدق الخطر بالحق ويصبح اهله مهددين بالهلاك والفناء وتلك مسئولية لم يتحملها رســـول قبله ، ولم تنهض بها امة من الأمم السابقــة .

ان القرآن الكريم وهو يقص علينا خبر الماضين ، وأنباء القرون الأولى وتاريخ النضـــال بين المرسلين السابقين ، وبين اقوامهم — لم يذكر لنا شيئا عن معارك حربية خاضوها ، فليس فى قصة نوح مع قومــه ، ولا فى تاريخ هود مع عاد ، ولا فى نبأ صالح مع ثمود ذكر لاشـــتباك مسلح ، أو معركة نشبت بقوة الحديد والنار — مع شدة عناد الكافرين ، وقــوة شــكيمتهم واضــطهادهم للمؤمنين ، وكل ما ذكره القرآن عن موقف الرسل الكرام : الدعوة الهادئة اللينة ، والمحاجة العقلية المقنعــة ، فنوح قال لقومــه : (انى لكــم نذير مبين ، ان اعبدوا اللـــه واتقوه واطيعون . يغفر لكم من ذنوبكـــم ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجـــل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) وهود قال لقومه : (الا تتقون . انى لكم رسول أمين . فاتقوا اللـــه واطيعون . وما اسالكم عليه من اجر ان أجرى الا على رب العـــالمين .

اتبنون بكل ريع آيـــة تعبثون . وتتخذون مصانع لعلكم تخلــدون . واذا بطشتم بطشتم جبارين) وصالح وعظ قومه فقال : (أتتركون فى ما ههنا آمنين . فى جنات وعيون . وزروع ونخل طلعها هضــيم . وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين . فاتقوا اللــه واطيعون . ولا تطيعوا امر المسرفين . الـــذين يفســـدون فى الأرض ولا يصلحون) .

والقرآن الكريم يتحدث عن موقف العنف الشديد الذى لقيه ابراهيم من قومه .. العنف الذى بلغ من الفظاعة والقسوة مبلغ احراقه بالنار : (قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعــكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون . قالــوا حرقوه وانصروا آلهتكــم ان كنتــم فاعلين) .

وكذلك يتحدث عن العفن الخلقى، والشذوذ الجنسى الــذى استشرى فى قوم لوط ، وطغيـــان النزوات السفلى فيهم على كل القيم والمبادىء ، وتنكرهم للفطرة السليمة التى تلتزمها الحيوانات ، واصرارهم على المضى فى الفاحشة ، وتحديهم رسولهم حين استنكر عليهم ذلك : (ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين . أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فما كان جواب قومــه الا قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) .

مع هذا الحديث المستفيض عـــن الرسالات السابقة ، وعن الصراع بين المرسلين وبين اقوامهم ، وتكرر هذا الحديث فى اكثر من موضع من الكتاب الكريم ، فانه لم يرد فيه ذكر لاستنفار المرســـلين والمؤمنين ، وتعبئتهم للجهاد ، وحملهم السلاح ، فى وجوه المجرمين المعتدين .

فهل معنى هذا ان الرســـالات

السابقة كانت تترك دون حراسة ولا حماية ، وأن المرسلين ومن آمن بهم كانوا يستسلمون لأعدائهم ، ويقعون فريسة سائغة لهم دون مقاومة ، وهل معنى هذا أن الجهاد بقوة الحديد والنار لم يفرض عليهم كما فرض علينا ، وأننا الأمة الوحيدة التى كتب عليها وعلى رسولها الجهاد .

ان الله سبحانه اجل واعز من أن يدع رسله مع المؤمنين غرضا للمجرمين ، وهدفا للمعتدين ، فكل رسالة سماوية كانت تحمل معها القوة الضاربة التى تكفل حمايتها ، وتؤدب المعوقين لها الواقفين فى طريقها ، وهذه القوة الضاربة كانت تأتى من السماء ، فالقدر الأعلى هو الذى تكفل بألوان العذاب والنكال لمن كذب برسل الله ، وبسط يده أو لسانه بما يسوؤهم .. كان القدر القاهر يتولى عقاب الظالمين وتأديبهم وكان هذا العقاب عادلا يأتى على قدر الجرائم ، فاما هلاكا جماعيا ، واما دون ذلك .

وقد أشاد الكتاب العزيز الى هذه الحروب الالهية : (وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية)(فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية. سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية) ، وفى عقاب قوم لوط يقول الله عز وجل : (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود . مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد) .

فطوفان نوح ، وصواعق عاد ، ومرسلات هود ولوط حروب الهية نزلت بالظالمين ، وفعلت بهم أكثر مما تفعل سيوف المجاهدين ، ولم يفلت من عقاب الله باغ ولا عاد (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون) .

ولم يرد فى القرآن الكريم اشارة الى تكليف الله الرسل السابقين بحمل السلاح ، ولا الى فرض الجهاد على أتباعهم الا فى الرسالة الموسوية ، ولم يقدر لقوم موسى أن ينهضوا الى هذا الشرف الذى كتب عليهم ، بل جبنوا واستحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، وقالوا له : (اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) .

ولم تبدأ المعركة الحقيقية بين الكفر والايمان الا على يد نبى الملحمة محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى يد أتباعه الذين باعوا أنفسهم لله يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

لقد حمل رسول الله والمؤمنون مسئولية حماية الدعوة والدفاع عنها، واستنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، وواجهوا جيوشا كانت على أرفع مستوى فى العدة والعتاد والتدريب والتخطيط ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم القائد البصير اذا وجبت الحرب ،

ودعت الضرورة اليها . يقول الأستاذ العقاد عن الكفاءة العسكرية للرسول (أنه كان يعلم من فنونها بالالهام ما لم يعلم غيره بالدرس والمرانة ، ويصيب فى اختيار وقته وتسيير جيشه وترسيم خططه اصابة الرأى واصابة التوفيق ، واصابة الاستشارة .. ولو تتبع حروبه قائد عسكرى من أساطين فن الحرب فى العصر الحديث ليقترح وراء خططه مقترحا ، أو ينبه الى خطأ لأعياه التعديل) .

ولم يؤثر عن قائد من قواد التاريخ العظام أنه نزل بنفسه الى ميدان المعركة ، أو شارك فيها مشاركة ايجابية وتعرض لأخطر المواقف ، كما شارك نبى الملحمة صلى الله عليه وسلم ، يقول على كرم الله وجهه ، وهو البطل المغوار والمقدام الذى لا ينكص (كنا اذا احمر البأس ، ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله ، فما يكون أحد أدنى من القوم منه) ويقول أنس بن مالك (كان رسول الله أشجع الناس ، ولقد فزع اهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله راجعا ، وقد سبقهم ، واستبرأ الخبر ، وهو على فرس لأبى طلحة عرى ، وفى عنقه السيف ، وهو يقول : لن تراعوا . لن تراعوا) .

وقد كان ثبات القائد صلى الله عليه وسلم فى المواقف التى يفر فيها الكماة ، وتنخلع فيها قلوب الصناديد سببا فى تحويل الهزيمة المؤكدة الى نصر ..

تروى كتب المغازى والسير أن المسلمين فى غزوة حنين فوجئوا بالسهام تنحط عليهم فى الظلام من كل جانب فما يدرون أمن السماء تأتى أم من الأرض ، ولم يجدوا بدا من التقهقر ، وانتهز العدو الفرصة فهجم بخيله ورجله ، وأمعن فى ظهورهم طعنا وضربا ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الهلع والاضطراب فى صفوف الجيش جعل يصيح : (أيها الناس .. هلموا الى .. أنا رسول الله .. أنا محمد بن عبد الله ..

أنا النبى لا كذب
أنا ابن عبد المطلب

فانقلب المسلمون يتواثبون ، واجتمع حول رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال الصادقون فى عزائمهم وايمانهم ، وحملوا على العدو ، فتفرقت جموعه ، وغنم المسلمون غنائم لا يحصيها العد ..

لم يوجد انسان يدعو الى حق ، كما دعا رسول الله ، ولم يوجد انسان يحب السلام ، ويدعو الى حقن الدماء كما كان رسول الله ، ومع ذلك فانه لم يجد بدا من الاحتكام الى السيف .

والناس ان ظلموا البرهان واعتسفوا
فالحرب أجدى على الدنيا من السلم
والشر ان تلقه بالخير ضقت به
ذرعا وان تلقه بالشر ينحسم
ولقد ضقنا ذرعا بالحجج والبراهين مع عدو الله اسرائيل ، فليس الا الاقتداء بنبى الملحمة صلوات الله وسلامه عليه .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

غيوانم السبلى

المادية
في مظاهرها وآثارها
١ - مظاهرها في الإيمان بالله

للدكتور : محمد البهي

* والاتجاه المادى — وهو الايمان بالمحسوس وحده — اذا كان يعبر عن طفولة بشرية فى التفكير ، وعن تأثر بعوامل تبعد عن « التجرد » فى النظر والحكم ، واذا كان ينم عن « انانية » فى السلوك ، فانه لا يتخلى عن هذه الظواهر ، عندما يصبح ذا طابع فلسفى او «مدرسة» من مدارس الفلسفة فى عصر ما من عصور الفكر البشرى .

فالمادية كمذهب فلسفى اذ تضع هدف الحياة فى المتعة الحسية الحاضرة ، وتجعل الأمر الذى يجب ان يسعى اليه الانسان : هو المتع المادية او الحسية ، دون القيم المثالية التى يجب أن تحتقر .. اذ توصى او تطلب ذلك فانها تستهدف اشباع « الأنانية » وحب الذات ، دون شىءآ خر . ولذا تسخر من الدين ، عندما يبشر بوجود آخر وراء هذا الوجود المادى ، وهو وجود « الآخرة » . وتعتبر الدين من أجل ذلك خداعا ، اذ يصرف الناس عندئذ عن السعى لتحصيل هذه المتع المادية او الحسية ، أملا فى متع أخرى غير محسة ومشاهدة فى عالم المرئيات اليوم .

ان المادية كمذهب فلسفى يستهدف المتع المادية وحدها ، لا تجعل من اهداف الانسان فى حياته مثلا : معاملة الوالدين معاملة مهذبة كريمة ، ولا « الحسنى » فى العلاقات بين الأفراد بعضهم مع بعض . لان هذا وذاك لا يصور متعة حسية او مادية . فالمتعة الحسية او المادية هى ما تتصل بالمعدة او الفرج .

«والأنانية» ليست لها معنى سوى ان تكون « الذات » مركز التفكير ، والسعى ، وما يحصلــه الفرد فى حياته . فما يجر على الذات وحدها منفعة مادية أو يدفع عنها ضررا ماديا يعد من مستلزمات الأنانية ونتائجها . فاتجاه الانانية ، لا يعرف القيم المثالية . لان القيم المثالية تتصل بالمجتمع وبحياة الأفراد كافة كما تتصل بحياة الفرد والذات التى تؤمن بها . فالمحبة والمودة ــ أى محبة الغير كمحبة النفس ومــودة الغير كمودة النفس ــ مثلا من القيم المثالية . وتقف « الأنانيــة » فى طريق تحقيقها . لانهــا لا تملى الا محبة « الذات » وحدها ومودة « الذات » لا غيرها .

واذن على « الذات » التى تتجه اتجاه « الأنانية » ان تسعى فقط فيما يمتعها امتاعا حسيا أو ماديا . وهذا هو مطلوب المادية كمــذهب فلسفى .

ومن اجل ما تنطوى عليه المادية كمذهب فلسفى من حب الــــذات وتشجيع « الأنانية » لا تصلح ان تكون قاعدة لمذهب اجتماعى اصلاحى يستهدف تقوية العلاقات ، ولا حلا لمشكلة اجتماعية يعيد « الصفاء » فيما بين الأفراد فى المجتمع . لأنها اذ تشجع الانانية وتركز مطلوبها فى المتع الحسية وحدها فانها تشجــع الفردية من ناحية وتقف بالنشــاط الفردى عند المتعة الحسية فقط . وكلا الأمرين يحول دون قيــــام علاقات « انسانية » بين الأفراد فى المجتمع ، وبالتالى يحول دون وجود مجتمع يعتمــد على مقومات الترابط بين أعضائه . والذى يحول دون قيام المجتمع يحول دون اصلاحه واعادة الصفاء بين أفراده .

بل على العكس : تشجيع الهدف الأنانى وتركيزه فى المتعة الحسية يثير الأحقاد والضغائن بين الأفراد الأنانيين الآن . واثارة الاحقـــاد والضغائن تؤدى الى تنافس عــلى المتع الحسية والمادية ، ينتهى أمره الى تمزق وتفرق ثم الى خصومــة قاتلة . فالمتع الحسيـــة محدودة والطاقة على التنافس مختلفــة . ومن هنا لا يفتر التنافس ولا يضعف ، ثم لا تنتهى كذلك الخصومة القاتلة ولا تزول .

والماديــــة اذن كمذهب فلسفى تشعلها حربا بين الأفراد ، ان هى حاولت ان تأخذ لنفسها دور المصلح الاجتماعى أو دور صاحب الخلفيــة الاجتماعية . ومن السخرية بمكان ان تطلب « المادية التاريخية » فى اهدافها تنظيما عالميا ، اجتماعيــا واقتصاديا ، تزول فيه : الطبقية ، والدولة ، والالزام . لانه بحــكم الاتجاه المادى لا يلتئم مجتمع ، وبحكم هذا الاتجاه ايضــا لا ينتهى صراع الأفراد ، وبحكم هذا الاتجاه أخيرا لا تكون خلفية فضــلا عن أن تكون خلفية اجتماعيــة تقوم على الالتزام دون الالزام .

كيف تزول الطبقية ، والفرديــة قائمة ؟

وكيف لا توجد دولة ، والخصومة بين الأفراد مشتعلة ؟

وكيف لا يكون هناك الزام ، والمتع الحسية هدف رئيسى للأفــراد فى السعى والتحصيل ؟

ان الطبقية ستقوى وتبتلع الأفراد ، بحيث تصبح هى وحدها ولا شىء غيرها ،

وان الالزام لا يكون اكراها فحسب بحكم القانون او السلطة التنفيذية ، وانما سيكون ارهابا بفعل التعذيب والأساليب غير الانسانية ،

... عندما توضع « المادية التاريخية » أهدافها موضع التنفيذ فى مجتمع ما من المجتمعات البشرية .

وأى مذهب فلسفى يشجع الفردية والأنانية لا يخرج فى تفكيره عن نطاق الطفولة البشرية التى تقف عند حد « الذات » وعند حد المحسوس وحده .

واذا ساعدت « المادية التاريخية » مظاهر المجتمع الانسانى المتخلف فى خضوع الحياة البشرية للأفراد فيه الى « الاقتصاد » والثروة الموجودة فيه ، فان تطور المجتمع نفسه لا بد أن ينبثق عن « مبادىء » و « مثل » وأن يخضع فى مصيره الى هذه المبادىء والمثل . وعندئذ تنفك مجرى الحياة فيه على الجانب الاقتصادى وتأثيره .

كيف يدفع المجتمع الى حرب ، لا يؤمن بها ؟ ان الفرد يحارب دفاعا عن « ذاته » بحكم غريزة المقاتلة فيه ، وهى غريزة تتفرع عن غريزة « حب البقاء » . ولكن المجتمع يحارب ان كان هناك ايمان بفكرة أو بمصلحة عامة . والفكرة أو المصلحة العامة هى من القيم المثالية، وليست من المثع الحسية .

واذن فالمادية التاريخية ان وجدت سندا لفلسفتها فى مظاهر المجتمع المتخلف البدائى ، فانها لا تستطيع أن تكون قوام حركة اجتماعية تطور المجتمع فى مجال الانسانية .

الانسانية والأنانية على طرفى نقيض ، كالمادية والمثالية . والأنانية والفردية متآخيان ، كالانسانية والاجتماعية سواء بسواء .

* * *

* وكذلك مظاهر المادية فى الايمان بالله فى الوقت الحاضر ترجع الى مطلوبات تحس ، وتشاهد . ومن المناقشة التى اجرتها احدى المجلات الألمانية (١) مع شباب بعض الجامعات وشابات بعض المدارس الثانوية للبنات بمناسبة المظاهرات الصاخبة التى يقوم بها شباب الجيل الحاضر فى المانيا وفى أوروبا وأمريكا ، يتضح ان الشباب اليوم فى جملته يرفض الايمان بالله . والسبب فى هذا الرفض كما يذكر : سوء الاوضاع فى العلاقات الانسانية : الحرب فى فيتنام ، والتفرقة العنصرية فى الولايات المتحدة الامريكية ، والكبت للحريات فى أوربا الشرقية ، وسوء استغلال المال فى أوربا الغربية .

ومن اجابة احد الموظفين الشباب قوله : « أنا لست ملحدا ، ولكن وجود الشقاء فى كل مكان للعالم يوحى بأن الله اله سىء . ولم اصل بعد الى راى نهائى ، ولكن أعتقد أنه لا توجد « طبيعة عليا » فى الكون » .. يمكن أن يصور مطلوب الشباب فى سبيل الايمان بالله : « بتحسن الاوضاع المادية والعلاقات بين الناس جميعا » . وهو مطلوب يتحدى به شباب الجيل الحاضر وجود الله .

---

(١) مجلة Quick فى عدد ٣٠ يولية ١٩٦٩م التى تصدر بمدينة ميونيخ .

ومن اجابة البعض الآخر بقوله : فأنا لا أجد في الله « حماية » ولا أجد في « العبادة » ما يمنحني « الثقة » .. يعبد هدف الوثنية القدسية في الحصول على النفع المادى أو اتقاء الضرر المادى .

وكاتب التقرير يجمله في النقاط الآتيــة : ـــ

١ ـــ « ان الشباب لا يريــد أن يثق ثقة عمياء بتوجيه الآباء وسلطتهم ويشك شكا تاما في كل سلطـــة ، سواء : اكانت للدولـــة ، أم لبيت الأبوين ، أم للكنيسة .

٢ ـــ « ومنذ أمد لا يصدق بشيء لا يحس ، أو يمكن أن يدرك بالحس . وليس على استعداد لان يصـــدق الآن بوجود الله .

٣ ـــ « ومن اجابات شـــباب الجامعة :

« ـــ انما استمد التى احتاجها من « العقل » وليس من « العبادة » طالبة

« ـــ انا لست ملحدا ، ولـــكن وجود « الشقاء » في كل مكـــان بالعالم يوحي بأن الله اله سيء . ولم أصل بعد الى راى نهائي . ولكن أعتقد أنه لا توجد « طبيعة عليا » في الكون » موظف .

« ـــ بناء على تجاربي الشخصيـــة لا يوجد اله . فأنا لا أجد في الله « حماية » ولا أجد في « العبادة » ما يمنحني الثقة » طالبة موسيقى .

٤ ـــ « اذا وجدت الجنة فيجب أن توجد عـــلى الارض التى نعيش عليها ، لنسعد بها . ان الجنـــة لا توهب . انها تقتنص ولا توجد جنة على الارض طالما هنـــاك حرب في فيتنام ، وطالما هناك تفرقة عنصرية في الولايات المتحدة الامريكية ، وكبت « للحريات في أوربا الشرقية » ، وسوء استغلال للمـــال في أوربا الغربية » .

٥ ـــ « ونسبة ٤٤٪ من الـــذين سئلوا من طلاب وطالبات الجامعات لا يصدقون بالله . » .

« ونسبة ٧٪ على الاقل يشكون في وجوده .

« ونسبة ٢٣٪ يرون انـــه من الممكن التصديق « بنظام أعلى » في الكون أو « بطبيعة عليا » فيه .

« وواحد فقط من اربعة عـــلى استعداد للاعتراف بوجود اللـــه . ولكنه ليس اله الكنيسة او الـــه الانجيل » .

« و ٨٪ من الطالبات بالمدرسة الثانوية يصدقن بوجود « طبيعـــة عليا » .

« و٩٪ لا يصدقن بشيء » .
« و ١٪ تصدق بالله » .
« وتجيب بعض الطـــالبات بالعبارات الآتية :
« ـــ لماذا يجب أن يؤمن الانسان بشيء ما ؟
« ـــ أنا أومن بالانسان ، وبالعالم وبنفسي . ولكن لا أومن « بطبيعة عليا » .

« ـــ أنا أومن بالله على أنـــه الذى يسند اليه البالغون ما لا يمكنهم أن يوضحوه ، فيقولون : هذا من الله » .

* * *

... ولا شك أن هذه الاتجاهات

المدونة لايمان الشباب الأوربى اليوم تشير وترجع الى جو « المادية » الطاغية فى العالم المتقدم صناعيا وعلميا اليوم ، سواء بسبب ازدهار الحياة المادية وزيادة الترف فيها ، أم بسبب طلب المزيد من هذا الترف .

ومما يزيد فى ترف هذه الحياة أن لا يسمع الشباب عن الحرب فى مكان ما ، ولا عن شقاء فى بقعة من بقاع العالم . لانه يخاف الحرب ، ويخشى أن يجر الشقاء ، أو الكبت ، أو التفرقة العنصرية الى حرب يتورط فى النهاية هو فيها .

يريد أن يعيش آمنا ، فى سلام واسترخاء ، مستمتعا بمتعه الحسية التى يقدمها له فى يسر : التطور التكنولوجى والعلمى للنصف الثانى من القرن العشرين .

وهو اذ ينكر الله ، لان الله لا يساعده ــ كما يدعى ــ على هذا السلام والاسترخاء والاستمتاع بالمتع الحسية ، فى غير قلق ولا خوف من القلق . . فى غير حرب وفى غير خشية من الحرب .

انه سئم الحرب ، ويتذكر نتائجها التى مرت بالجيل السابق عليه . وهى نتائج تدمير وتخريب وفقر واذلال . ولا يريد أن يعيش فى مثل هذه النتائج مرة أخرى . ولذا يريد « السلام » . وهو سلام التراخى ، وسلام الترف ، وسلام الأمن .

انه قد يسارع الى الايمان بالله لو وفر له هذا « السلام » على الارض : سلام التراخى ، وسلام الترف ، وسلام الأمن . ولكن طالما هناك ما يقلقه فى هذه الارض ، وطالما هناك عليها ما يخشى منه على هذا السلام فى أية بقعة من بقاعها فالله غير موجود فى اعتقاده « فليس فى وجوده حماية وليس فى العبادة اياه ما يمنح الثقة فى هذا السلام ! .

والعالم كله اليوم وطن واحد ومجتمع واحد ، رغم وجود تواصل فى الأوطان ورغم وجود تعدد فى الأجناس والقوميات . ولكن الاحداث ان وقعت فى أى مكان منه تتعداه حتما الى مكان آخر وأمكنة أخرى . فالابعاد فى الزمن والمكان قد انتهت بتقدم العلم والتطبيق الهندسى المعاصر .

واذن ايمان الشباب الاوربى اليوم بالله مرهون بتلك التحديات . وهى ابعاد الخوف والقلق ، وابعاد مصدرهما من الحرب . وهى تحديات مادية .

ولكنه لم يقتنع هذا الشباب بعد ــ تحت تأثير المادية ــ بأن طبيعة الحياة الانسانية على الارض منذ وجود الانسان : الحرب والسلام ، والخوف والأمان ، والموت والحياة ، والفقر والازدهار ، والتدمير والبناء . . .

وهل لا بد اذن ــ لكى يقتنع الشباب الاوربى اليوم بوجود الله ــ من أن ينهى الله الحياة الانسانية على الارض أو يغير نمطها الجارى منذ الآن ، فترتفع منها تلك المتناقضات حتى يرجع عن كفره ويعود الى الايمان بعد الحاده ؟ ! . أم أنها « المادية » التى سدت منافذ التفكير السليم ، وهو تفكر الرشيد ، وليس تفكير الطفل حول ذاته ؟ !

إلى أين نحن مسوقون ؟ ٣

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض : الله ، الله »
ــ رواه البخارى ومسلم واحمد ــ

١ ــ لا يزال الحديث موصولا بما قدمناه كاشفا عن عمق ادراك الاسلام لمشكلات المجتمع الانسانى ، غائصا على اسرارها ، مفتشا عن خباياها ، متتبعا مكامنها ، دالا على خطورتها ، منذرا بويلات تفاقمها ان هى دامت ، ولم يقف عند الابانة عنها ، وانما أفاض فى وصف العقار(١) الذى يقضى عليها فى مهدها ، ويبيدها قبل نجومها ، مفهما أن الجاهل أو الفقير أو المريض لا يمكن بحال أن تقوم بهم وبأمثالهم حضارة ، وكيف وهم جياع متهالكون لا يعون ؟! وقد مرت ــ فى مقالين سبقا ــ لمحات من أضواء سلطت على تلك الآفات ، وما رسم لها العليم الحكيم من علاج يحسمها ، ويطهر الأرض من وجودها ، وما عال من اقتصد ، ولا مرض من أكل اذا جاع وترك الطعام وهو فيه راغب ، ولا جهل من اتخذ القرآن العظيم امامه وقدوته وهاديه .

بقى أن نطلع على مشهد آخر تبدو فيه يد الاسلام مبسوطة للاخاء ، مقدمة للحرية ، عاملة على المساواة

(١) عقار ككتان : ما يتداوى به من النبات أو اصولها (القاموس المحيط) جـ ٢ ص ٩٠ . المكتبة التجارية بالقاهرة .

كل ذلك في اكمل عرض ، واجمل صورة وأوضح بيان .

أ ــ حكمة الاسلام تجتث الخصومات ، وتقضى على العداوات وتنيخ راحلة الأخوة والحب في مناخ يعفى آثار التفرق والاختلاف ، ولن نبعد في استدلالنا عن ساحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد فاضت سنته الشريفة بما لو طبق واقعيا لاستراح الناس ، وعم التراحم ، وما شكا أمرؤ ضياع حق ، أو عدوانا على حمى ، ولتلاشت الفاظ السوء ، واستقرت في المعاجم ولم تستطع أن تبرز سائرة على قدم ، وهل رايت اجمل او اجل من توجيه يرتفع بالبشر الى مستوى يجعل التدنى عنه انكارا للانسانية وعودا الى البهيمية المتوحشة النافرة الفاتكة ، ويدرك هذا من نهى الاسلام عن تعاطى أمور تبدو للسطحى هينة ، ويدرك المتعمق انها على تفاهة مظهرها سوس رهيب ينخر في عظام المجتمعات حتى يبيدها ، ومن بديهيات المدركات منها (الغيبة) التى رسم لها القرآن الكريم صورة بشعة تعافها النفوس الأبية الكريمة ، فيقول الله في محكم آياته حاثا على حفظ غيبة الناس أيا كانوا : ((**.. ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ..**)) مشبها الاغتياب بأكل اللحم بجامع التمزيق في كل ، فالمغتاب ينهش الأعراض ويمزقها ، وناهيك بفظاعة التصوير اذا كان المأكول لحم أخ ميت فتلك حال مستقذرة كريهة لدى الناس جميعا ، واستمع الى هادى الثقلين حين يقول مبعدا عن هجر القول وفاحشه حاثا على صون الألسنة وامساكها عن الخوض في الآخرين ، روى مسلم وأبو داود والترمذى انه صلى الله عليه وسلم قال : ((**أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل : أفرأيت لو كان فى أخى ما أقول ؟ قال : ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**)) وقد وجدت كلمات سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم حقلا خصيبا فى نفوس صحابته عليهم جميعا رضوان الله ورحماته ، فامتثلوا ، ودعوا غيرهم بسلوكهم واقوالهم الى انتهاج نفس المسلك الكريم الذى انتهجوه ، يروى البيهقى عن سعيد ابن المسيب رضى الله عنهما أنه ــ أى سعيد ــ قال : كتب الى بعض اخوانى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**ان ضع امر اخيك على احسنه ، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرىء مسلم شرا ، وأنت تجد لها فى الخير محملا ، وما كافأت من عصى الله فيك بافضل من ان تطيع الله فيه**)) .. وسمع على بن الحسين رضى الله عنهما رجلا يغتاب آخر فقال : ((**اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس**)) ويؤكد هذا المعنى الشريف قول سيدى رسول الله في حجة الوداع : ((**ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا**)) ، فقد عبئت السنة الشريفة بكل ما يوطد اركان الاخاء بين الناس ، وما يباعد بينهم وبين العداوة والشحناء ، وجعل سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم من علامات الايمان الصادق الحب فى الله والتلاقى فى رحابه : ((**وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ..**)) ومن القربى الى الله ورسوله بذل النفس والنفيس لاسعاد بائس او صلة رحم أو تيسير على معسر ، وفى الوقت نفسه لم يقم وزنا للون ولا لجنس .

ب ـ وموقف الاسلام من الحريات اشهر من ان يدل عليه ، فهو ضد كل ما يقيد حرية الانسان وما يحد من نشاطه السوى ، وما يضيق على معتقداته ، ويضغط أفكاره ، فلا خضوع الا لله ، ولا عبودية لسواه ، والعاقل من يستخدم الحرية فى كل ما يعود على مجتمعه بالخير والسلام فان تكلم كان كلامه للصالح العام ، وان نقد جعل نقده بناء لا هادما ، وان كتب فليدافع عن قضية عادلة تعنى قومه ومواطنيه ، وان سافر فليجلب المنافع فى كافة صورها المفيدة لوطن تظله سماؤه وتقله أرضه وينعم بخيراته ، ويروح ويغدو حرا فى رحابه ، وان حكم فليرس قواعد العدل ، ويقطع دابر الخصومة ، ويعين على نوائب الدهر وكلها حريات يكفلها الاسلام ، ويدعو لها ، ويرفع العوائق من طريقها لتثبت وتدوم ، وبهذا يكون ابناء الاسلام لبنات صالحات لقيام بناء متماسك يصمد للعواصف والأعاصير

جـ ـ والمساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات ، واتاحة الفرص المتكافئة للجميع ، هى من بديهيات الاسلام ، ومن اصوله التى لا تقبل النقض ولا المعارضة ، ومن صميم توجيهاته ، فيفسح المجال لكل قادر على ارتياد الطريق ، وكل عامل وما عمل ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، والناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لأى منهم على آخر الا بمقدار ما ينتج وما يفيد ، فلئن كان الكل من آدم وآدم من تراب ، فالتفاضل بينهم بالفعالية الذاتية فى الحياة عامة ، والاسلام يدفع بكل قوة العاملين الى الصدارة ، واما المتقاعسون فلا مكان لهم تحت الشمس ، ولا قيمة لهم ولا وزن فى عرف الاسلام .

٢ ـ ونعود الى السؤال الذى فرض علينا هذا البحث ، وكان مدعاة لاستعراض مواقف الاسلام من مقومات الحياة الحرة الكريمة فى جميع صورها ، والتساؤل لا يخرج نطاقه عن العجب والحيرة اللتين يثيرهما التناقض البادى فى المجتمعات الاسلامية عامة ، والذى لا يستطاع ربطه بأسس اسلامية ، ولا يقترب ابدا من صريح الاسلام ولا من تلميحاته ، وأثار هذا الموقف المراقبين لأحوال المسلمين الذين يبحثون الأصول الاسلامية فيجدونها فوق الشبه والاعتراضات ، واذا درسوا واقع المسلمين الفوهم بعيدين عن تلك الأصول السامية ، وحتى العبادات التى يقومون بها لا تؤتى ثمرها المرجو كما نص الكتاب والسنة ، فما هى اسباب انحسار الاسلام عن حياة المسلمين ؟

ينادى كثيرون بوجوب تطبيق احكام الاسلام ، ولكن المطبق واقعيا الآن هو موافق تماما لما يريده الاسلام فى النواحى المدنية ، ومخالف فى التشريعات المالية ، وهذا راجع الى ضعف الفقهاء المعاصرين عن الادلاء بالرأى الصريح اما نعم واما لا ، فأية واحدة منهما لو صدرت من جماعة منهم ولا سيما من هيئة معترف بها فى عالم الاسلام عامة كمجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة لصار هذا القرار اجماعا كاجماع السلف الصالح ، ولهذا أرى أن التردد فى اصدار مثل هذا الحكم ضعف أدبى(٢) ويحتاج الى شجاعة فى قوة دين ، فمسائل البنوك والتأمينات وغيرها مما لا يستغنى

---

(٢) لا توجد سلطة حكومية مطلقا تعارض فيه ،وانما هو تقاعس من نفس الفقهاء فلعلهم يفعلون .

عنه العالم المعاصر ، يجب ان يقول فيه علماء المسلمين المعاصرون رأى الاسلام على حقيقته دون مواربة ، ولا يدعوا المدعين يخوضون فيما لا يعرفون فيضلون ويضلون ، واذا رأوا ان تلك المعاملات مخالفة للاسلام ، وجب عليهم ان يضعوا خطة كاملة للبديل المناسب ولا أظن أن الاسلام يعجز عن ايجاد هذا البديل ابدا ، والا لم يكن عاما خالدا .

هذه واحدة ، وأخرى معروفة معلومة مسئوليتها على القائمين بأمور المسلمين وهى اقامة حدود الله ، وحدود الله لفظ يبدو مخيفا للبعض، والواقع انه شيء مريح الى اقصى حدود الراحة ، فأى حد يخيف اهو قطع يد السارق أم هو رجم الزانى ؟ هذان هما اشد ما يبدو من الحدود ولكن هل مجرد الاسم يثير الزوابع ، أم العاقل يبحث ويدقق ويعلم كيف ومتى تطبق تلك الحدود ، ألا يعلم الناس من تاريخ الاسلام أن حد الزنا لم يثبت مطلقا بشهادة شهود خلال اربعة عشر قرنا ؟ وانه ثبوته دائما كان بالاقرار ، والا يعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول : «ادرأوا الحدود بالشبهات» ؟ وهل يدرون انه لا بد من ضمانات اجتماعية خاصة يقررها الاسلام ثم يعاقب بعد تطبيقها أولا بقطع يد الخارج على المجتمع الذى يكفله من كل نواحيه ؟ وحينئذ يصير عضوا فاسدا يجب أن يبتر ، كما يقطع العضو من الجسد اذا اصابه داء عياء ،وكان لا بد من بتره .

فالنتيجة التى نخرج بها هى ان التبعة فى اضطراب المجتمعات الاسلامية يعود بعضها الى علماء المسلمين ، اعنى الفقهاء منهم على الأخص ، والجزء الآخر على الحاكمين ، ولا شيء يسوء مطلقا فى هذا القول اذا كان رائدنا تقويم معوج مجتمعاتنا والحفاظ عليها .

٣ ـ وفى نهاية المطاف يجب ألا ننسى أن استعراض التاريخ ، ودراسة وقائعه دراسة واعية فاحصة متعمقة توضح لنا أبعاد الحياة الانسانية على ظهر الأرض ، وأنها تمر دائما بتطورات وانتقالات لا بد منها ، لا يستطيع الانسان التحكم فيها ، ولا اخضاعها لسيطرته بشكل عام ، والمسلمون أنفسهم ادركتهم تلك الحالات الحتمية فما يبدو غريبا فيهم الآن ، سادهم فى عصور مضت عصور انتقالهم من بداوة بادية الى حضارة ومدنية ، ومطالع صفحات الأيام الاخيرة للدولة الأموية ، وأيام العباسية يجد مصداق هذا القول ثابتا واضحا ، فيوم فتحوا بلاد الفرس والروم بنوا وشادوا ، وجدت فيهم علوم ومعارف وظهرت لديهم فلسفات وانطباعات لم يكن لهم بها عهد من قبل أيام الصحراء والخيام والابل والنعم ، فوجدت حانات الخمور ، ودور البغايا اسرارا او اعلانا ، واختلط حابلهم بنابلهم ، وتكاثرت الظباء على خراش ، وبدا فيهم الشذوذ عن المألوف السوى ، وقل مثل هذا فى قديم الرومان والفرس ، وسر حتى تلتقى بمثله في بابل وأشور ومنف ، وقف متأملا النتائج الحتمية لهذا الانطلاق فى الأعصر الغابرة انها كانت حكما بالفناء على تلك الحضارات جميعها ، واستيلاء غيرها على مقدراتها ، ثم ضياع بعضها الى الأبد ، وصارت تاريخا من التاريخ ، وتلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولئن كان التاريخ يدرس للعبرة ، ولتلافى أخطاء قوضت كيان أمم ، وطمست معالم حيوات ازدهرت ردحا من الزمان فأولى بالمعاصرين أن يحاولوا البعد عن الانزلاق فى

تلك المهاوى التى اهلكت من قبلهم ، فلا يدعو الحبل على الغارب هكذا حتى لا يفلت الزمام من أيديهم ، وما ترك القرآن الكريم تلك الأمور دون تنبيه على مغبتها ، وانما اشار اليها وتحدث عن نتائجها طويلا ، فكم من امة بطرت معيشتها فبادت ، فهل من مدكر يسمع قوله تبارك وتعالى : **« وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين »** وقد جرت سنته التى لا تتخلف فى عباده أن يملى لهم حتى اذا بلغوا القمة فى الفساد ، والعتو عن أمره اخذهم بقارعة تدع الحليم حيران **« ان بطش ربك لشديد »** والقارىء للقرآن الكريم يجب الا ينسى الوعيد الشديد المتمثل فى بعض آياته التى تشير الى املاء الله للناس ثم اخذهم أخذ عزيز مقتدر ، والله سبحانه قادر ، ولن يقف أمام قدرته عائق ما ، ولن يعجزه شىء فى السموات ولا فى الأرض انه عزيز حكيم ، فلنصغ للقرآن يقول : **(فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شىء حتى اذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين)** (٣)آ .

٤ ــ واخيرا : هل من الممكن أن يتجه البحث اتجاها آخر مرتكنا على القرآن والسنة ايضا ولا يبعد عنهما فيقال : ان الزمان حين يشرف على نهايته ، ويمحى ذكر الله من الأرض ، وتبدو اشراط الساعة والساعة آتية لا ريب فيها ، ففى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يشير الى هذا ويؤكده ، فقد ثبت بالسنة الصحيحة أن اهل الأرض يكفرون ويعبدون الأوثان ، وانه لا تقوم الساعة الا على شرار الناس ، فقد اخرج الامام أحمد ومسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« تجىء بعد موت عيسى ريح باردة من قبل الشام فلا تبقى على وجه الأرض أحداً فى قلبه مثقال ذرة من ايمان الا قبضته حتى لو أن احدكم فى كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا ، فيتمثل لهم الشيطان فيقولون : ما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها وهم فى ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ فى الصور »** وقد روى أحمد ومسلم والبخارى حديث الباب ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : **« لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض : الله ، الله »** .

فالى اين نحن مسوقون فى عصرنا هذا ؟! إلى تمثيل دور او طور لا بد لأجيال معاصرة أن تقوم به على المسرح ، كما قام به غيرها ، ثم تبيد كما بادت ، وتجىء من بعدها من يعمر ويسود ، ويطبق أحكام الله من جديد ، وهكذا دواليك الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، أم هى النهاية والمصير الى تحقيق أحاديث الساعة انتظارا لتنفيذ مهمة اسرافيل ؟!

لعلها الأولى او الثانية ، وان كنا نضرع الى الله أن يعفى المعاصرين من أن تتحقق فيهم احدى هاتين النهايتين ، وأن يوفقهم للابتعاد عن الواقع الذى وان بدا سيئا فليس من الصعب تلافى اخطاره على العقلاء اذا صحت العزائم ، وصدقت النيات والله الموفق والمستعان .

---

(٣) الآيتان ٤٤ و ٤٥ من سورة الانعام .

التطبيق العملي للجهاد

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

- ١ -

عند اعلان الجهاد ، كان المسلمون الصادقون يتسابقون الى تحمل أعبائه باذلين أموالهم وانفسهم رخيصة فى سبيل الله .

وكان أعداء المسلمين يرتجفون فرقا من اعلان الجهاد ، لأنهم يعلمون حق العلم بأن المجاهدين يتوخون احدى الحسنيين : النصر او الشهادة (١) .

وقد عاشت الدولة العثمانية ردحا طويلا من الزمن على الرغم من ضعفها الشديد وقوة أعدائها وأطماع أولئك الاعداء بخيراتها وتكالبهم على ابتلاعها ، ولكن بعد انهيار تلك الدولة لم يظهر للجهاد اثر فى النطاق الاسلامى الشامل .

لقد عقدت مؤتمرات اسلامية فى القاهرة ومكة المكرمة وعمان بعد نكسة عام ١٩٦٧ م ، وشهد هـذه المؤتمرات نخبة من علمـاء المسلمين وقسم من السياسيين .

وأعلنت المؤتمرات الاسلامية الجهاد باجماع آراء علماء المسلمين الذين شهدوا هذه المؤتمرات : (ان اسباب وجوب الجهاد التى حددها القرآن الكريم قد أصبحت كلها متوافرة فى العدوان الاسرائيلى ، **بما كان من اعتداء على ارض الوطن العربى الاسلامى ، وانتهاك لحرمات الدين فى اقدس شعائرها ، واماكنها**

---

(١) نشبت كثير من الحروب بين الدولة العثمانية من جهة وبين الامبراطورية الروسية قبل الحروب العالميـة الاولى (١٩١٤ — ١٩١٨) كان آخرها قبل سـنوات من تلك الحرب ، واعلن العثمانيون الجهاد ، فلبى الدعوة القادرون على حمل السلاح ، ويمموا شطر سـاحة القتال ، ولا يزال اهل الموصل الحدباء يذكرون كيف تجمع الناس وعلى راسهم رجال الدين ، واشـتروا ما يقتاتون به ويحملون عليه ، وقد تبرع الاغنياء بالخيل والبغال والنقود والارزاق للمجاهدين ، حتى اذا استكملوا متطلباتهم تحركوا جماعات من مرحلة الى اخرى ، فوصلوا الى ساحة الشرف ، وادوا واجبهم واستشهد منهم عدد كبير ، وفى الحرب العالمية الاولى رفض المسلمون الهنـود مقاتلة اخوانهم المسلمين فى العراق ، فهرب منهم عدد ضخم من جانب الجيش البريطانى الى جانب الجيش العثمانى ، وقد اعدم الانكليز من قبضوا عليه من الهنود المسلمين الذين هربوا بدينهم الى اخوانهم رميا بالرصاص ، وكان الذين اعدموا يرددون وهم فى ساحة الاعدام : الله اكبر .. الله اكبر ..

- كيف يمكن إخراج الجهاد من نطاق الفتوى إلى نطاق العمل ؟
- في استطاعة العرب حشد عشرة ملايين مجاهد
- الطاقات العربية والاسلامية متفوقة على الطاقات الاسرائيلية
- الطاقات الاسرائيلية منظمة والطاقات العربية غير منظمة
- ما يحتاجه العرب اليوم هو التنظيم السليم

وبما كان من اخراج المسلمين ، والعرب من ديارهم ، وبما كان من قسوة ووحشية فى تقتيل المستضعفين من الشيوخ والاطفال) ..

« لذلك كله صار الجهاد بالاموال والانفس فرضا عينيا (٢) فى عنق كل مسلم يقوم به على قدر وسعه وطاقته مهما بعدت الديار (٣) » .

ويعنى ذلك أن الجهاد أصبح (أمانة) فى عنق كل مسلم ومسلمة ، لا يتخلف عن تحمل أعبائه المادية والمعنوية أحد الا ويرمى بالنفاق ويعاقب بأشد العقاب :

« يا ايها الذين آمنوا : ما لكم اذا قيل لكم أنفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض ؟ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟! فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير (٤) » .

وقد فرضت الحرب على المسلمين فرضا ، بعد الغزو الاسرائيلى التوسعى الاستيطانى لبلادهم ، وبعد طرد العرب والمسلمين من فلسطين ، وبعد الظلم والتعذيب الذى لاقاه الفلسطينيون على أيدى الصهاينة ، وبعد حرق المسجد الاقصى وبعد تهديم مساجد المسلمين والاستيلاء عنوة على قسم منها ، وبعد انتهاك حرمات اقدس مقدسات العرب والمسلمين فى الارض المقدسة ، لذلك وجب على كل قادر على حمل السلاح أن ينهض بواجبه جهادا بالروح ، ووجب على كل قادر على بذل الاموال أن ينهض بواجبه جهادا بالمال ، فليس عربيا ولا مسلما من يتخلف عن الجهاد فى مثل هذه الظروف والاحوال .

ان نفوس العرب مائة مليون نسمة أو يزيدون ، ونفوس المسلمين ستمائة مليون نسمة أو يزيدون .

والقاعدة العسكرية للنفير تقول : « ان عشرة بالمائة من تعداد كل امة قادرون على حمل السلاح » .

---

(٢) فرض عين : هو النفير العام (التعبئة العامة) كما يعبر عنه العسكريون المحدثون .

(٣) قرارات وتوصيات المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية ــ القاهرة ــ ١٣٨٨ هـ .

(٤) الآيتان الكريمتان من سورة التوبة (٣٨ ــ ٣٩) .

ومعنى هذا أن باستطاعة العرب حشد عشرة ملايين مقاتل فى الميدان ، وأن باستطاعة المسلمين حشد ستين مليون مقاتل للحرب .

ونفوس اسرائيل اليوم لا يزيد على مليونين ونصف المليون نسمة ، فأين تصبح اسرائيل لو صدق العرب والمسلمون ما عاهدوا الله عليه ؟!

ان الطاقات العربية والاسلامية المـادية والمعنوية متفوقة على الطاقات الاسرائيلية المـادية والمعنوية تفوقا ساحقا .

ولكن الطاقات الاسرائيلية (منظمة) ، والطاقات العربية والاسلامية (غير منظمة) ، لذلك تغلبت الطاقات القليلة (المنظمة) على الطاقات الكثيرة غير (المنظمة) .

وما يحتاج اليه العرب اليوم ، هو التنظيم السليم .

— ٢ —

لقد أظهر العرب والمسلمون شعورا طيبا منذ مولد اسرائيل حتى اليوم .

وحين أحرق المسجد الاقصى المبارك بالنار ، طغى هذا الشعور العربى الاسلامى الطيب ، فأصبح خطرا داهما يهدد الحاكمين الذين بقوا متمسكين بالمواقف السلبية تجاه القدس وفلسطين .

وكان انعقاد مؤتمر القمة الاسلامى فى الرباط من ١٠ رجب الى ١٤ رجب سنة ١٣٨٩ الهجرية الموافق ٢٢ أيلول (سبتمبر) الى ٢٦ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٦٩ م حدثا تاريخيا ، واستجابة لشعور العرب والمسلمين الطيب نحو القدس وفلسطين .

وقد شهد هذا المؤتمر ست وعشرون دولة عربية واسلامية مثلها فيه ملوك ورؤساء الدول العربية والاسلامية وممثلوهم .

واستبشر العرب من المحيط الى الخليج ، واستبشر المسلمون من المحيط الى المحيط ، بهذا المؤتمر الذى ضم أكثر الدول العربية والاسلامية ، وعقدوا عليه أعظم الآمال ، وتوقعوا منه اصدار مقررات ايجابية تبلور العواطف العربيـة والاسلامية الطيبة لتصبح جهادا طيبا يضر وينفع ولا يبقى شعورا طيبا لا يضر ولا ينفع .

لقد كانت أهم مقررات مؤتمر القمة الاسلامى ، اعلان استنكار المؤتمرين لجريمة احراق المسجد الاقصى ، وتأييدهم لحقوق شعب فلسطين ، ووجه المؤتمر نداء حارا الى الدول المسؤولة عن حماية السلام فى العالم بأن تضاعف جهودها على المستوى الفردى والجمـاعى لانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية المحتلة) (٥) .

وما زلنا نتوقع من الاجتماعات المنبثقة عن هذا المؤتمر أن يقرر الجهـاد بالاموال والانفس ، ويقرر مسؤولية كل دولة ماديا ومعنويا فى حمل أعباء الجهاد ويقرر كيف ومتى وأين يبدأ الجهاد .

ان الطريق لبلورة الشعور العربى الطيب ليكون عملا ايجابيا طيبا واضحا كل الوضوح ، وسلوك هذا الطريق يؤدى الى وضع حد حاسم لمطامع اسرائيل التوسعية فى البلاد العربية ، والى استعادة حقوق العرب فى الارض المقدسة .

وما لم يسلك العرب والمسلمون هذا الطريق ، فان اسرائيل ستمتد من النيل الى الفرات اليوم أو غدا .

---

(٥) أنظر تفاصيل بيان المؤتمر فى صحيفة الاهرام القاهرية الصادرة يوم ١٩٦٩/٩/٢٦ .

ان الصهيونية العالمية تطبق مخططا رهيبا مدروسا لتحقيق أهدافها التوسعية ، ومن يمعن النظر فى مخططها ، ويفكر مليا بانجازاته ، يجد أن الصهيونية العالمية تسير سيرا حثيثا نحو تحقيق أهدافها العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ان معظم المؤرخين متفقون على أن (بروتوكولات حكماء صهيون) قد وضعت وأقرت فى المؤتمر الصهيونى الاول الذى عقد فى مدينة بال السويسرية سنة ١٨٩٧ ، وقد قدر ذلك المؤتمر لتنفيذ مخطط الصهيونية العالمية التوسعى الاستيطانى كما جاء فى (البروتوكولات) مائة سنة (١٨٩٧ ــ ١٩٩٧) .

فهل يترك العرب والمسلمون الحرية الكاملة للصهيونية العالمية لتحقيق مخططها ؟

ــ ٣ ــ

ان الطريق الذى يؤدى الى انتصار العرب والمسلمين على اسرائيل يضع حدا لما يحيق بهم من أخطار جسام تهدد مصيرهم السياسى والحضارى ، هو فى (تنظيم) طاقاتهم المادية والمعنوية ، لتصبح قوة ضاربة تفرض السلام على منطقة الشرق الاوسط ، وتزيل خرافة اسرائيل ، وتحطم مخططها التوسعى الاستيطانى على حساب الدول العربية .

والمساعى السياسية والحلول السلمية لن تنجح ما دام العرب والمسلمون ضعفاء ، وستتحقق حتما تلك المساعى والحلول اذا أصبح العرب والمسلمون أقوياء .

ومنذ حرب ١٩٦٧ م حتى اليوم صدرت قرارات من مجلس الامن ، وهيئة الامم المتحدة تدين اسرائيل ، وتقضى بانسحابها من الاراضى العربية التى احتلتها بعد تلك الحرب ، ولكن اسرائيل ضربت بتلك المقررات عرض الحائط .

وقد بذلت مساع سياسية تحت اشراف الهيئة الدولية وبمحاولات الدول الاربع الكبرى ، ولكنها باءت كلها بالاخفاق الذريع .

لم يبق أمام العرب والمسلمين غير الحل العسكرى الذى يعتمد القوة سبيلا ومنهجا ، فكيف يتم ذلك ؟

ــ ٤ ــ

فى سنة ثلاث عشرة الهجرية كان خالد بن الوليد على رأس جيش المسلمين لفتح (أرض الشام) (٦) ، فكان عليه أن يقاتل الروم بنفس الاساليب التعبوية التى يقاتلون بها أعداءهم .

وكانت أساليب الروم التعبوية فى القتال ، تستند على تقسيم قواتهم الى مقدمة ومؤخرة وميمنة وميسرة وقلب على رأس كل منها قائد مسؤول ، وكان كل قسم من هذه الاقسام يضم مجموعات ، كل مجموعة منها مؤلفة من ألف مقاتل

(٦) أرض الشام : سورية ولبنان وفلسطين والاردن .

تحت قيادة قائد من قادتهم العسكريين ، وكانوا يطلقون تعبير (كردوس) (٧) على كل مجموعة من هذه المجموعات .

وبدأ خالد يعد جيشه للقتال ، فخرج فى تعبية لم تعبها العرب من قبل (٨) اذ نظم جيشه فى ستة وثلاثين كردوسا ، وصاول الروم بهذا التنظيم العسكرى المشابه لتنظيمهم ، وبذلك استطاع احراز النصر عليهم فى معركة اليرموك الحاسمة .

ولو أن خالدا قاتل الروم بأسلوب الكر والفر أو بأسلوب الصف اللذين كان العرب يقاتلون بهما من قبل ، لما انتصر على الروم فى تلك المعركة .

ان اسرائيل تقاتل اعتمادا على : (الحرب الاجماعية) وهى الحرب التى ترتكز على حشد كل الطاقات المادية والمعنوية للأمة لتكون فى خدمة المجهود الحربى .

فقد استطاعت اسرائيل حشد ١١ ٪ من طاقاتها البشرية فى حرب حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧ م للحرب ، بينما حشد العرب ثلاثة بالالف فقط من طاقاتهم البشرية للحرب .

واستطاعت اسرائيل حشد كل طاقاتها المادية الاخرى للحرب ، حتى العربة اليدوية التى يستعملها البائع المتجول كان لها مكان معين فى ميدان القتال ، فكم استطاع العرب أن يحشدوا طاقاتهم المادية الاخرى للحرب ؟!

واستطاعت اسرائيل حشد كل طاقاتها المعنوية للحرب ، فكم حشد العرب من طاقاتهم المعنوية ؟!

ان على العرب والمسلمين أن يطبقوا (الحرب الاجماعية) ، وقد طبقها المسلمون قبل أربعة عشر قرنا تنفيذا لما جاء فى القرآن الكريم : ((**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله**)) (٩) ، فهل يعجز أحفادهم عن تطبيق الحرب الاجماعية فى القرن العشرين ؟

ان الجيش النظامى لم يعد وحده مسؤولا عن احراز النصر ، بل المسؤول عن احراز النصر هو الشعب كله بما فيه الجيش النظامى ، وهذا الجيش هو رأس الرمح للشعب فقط ، فلا يصح أن يدعى أحد من العرب والمسلمين غير العسكريين بأنه غير مسؤول عن احراز النصر فيقف موقف المتفرج .

وبالنسبة للطاقات البشرية للعرب والمسلمين ، فان هذه الطاقات يجب أن تحشد للمجهود الحربى بموجب تنظيم دقيق ، بحيث يعرف كل قادر على حمل السلاح تفاصيل واجبه فى الحرب ، وكيف يستطيع تنفيذه .

---

(٧) كردوس جمعها كراديس ، وهو كتلة من الجنود يتألف من ألف مقاتل ، وينقسم الكردوس الى أجزاء عشرية : العريف يقود عشرة رجال ، والنقيب يقود مائة رجل ، وكلمة كردوس معربة عن اللغة الرومانية ، وأصلها كلمة كورتيس) . أنظر التفاصيل فى : قادة فتح العراق والجزيرة (١٢٧) .

(٨) الطبرى (٥٩٣/٢) وابن الأثير (١٥٨/٢) .

(٩) الآية الكريمة من سورة التوبة (٤١) وانظر تفسيرها فى تفسير الكشاف للزمخشرى لتجد أن المسلمين طبقوا الحرب الاجماعية قبل أربعة عشر قرنا ، وليس كما استقر فى الافكار ، وهو أن الالمان أول من طبقها فى الحرب العالمية الثانية . وأنظر ما جاء عن الحرب الاجماعية فى كتاب الامة فى الحرب لكشير لودندروف .

ومعنى هذا أن كل قادر على حمل السلاح ، يجب أن يكون مدربا على استعمال سلاحه ، وعلى التعاون فى القتال مع أقرانه ، وأن يكون مجهزا بالتجهيزات الضرورية للقتال ، وأن يكون مسلحا بالسلاح الذى يستعمله فى القتال ، وأن يكون (منظما) ضمن جماعة لها قائد مسؤول .

هذه الطاقات البشرية للعرب والمسلمين يمكن تقسيمها الى قسمين :

أ) المجاورة لاسرائيل : ويكون القادرون على حمل السلاح اما جنودا فى الجيش النظامى ، أو حراسا للاماكن الحيوية التى يستهدفها العدو ، أو فدائيين ضمن المنظمات الفدائية ، أو مجاهدين .

يجب أن يكون لكل فرد واجب فى خدمة المجهود الحربى .
ب) غير المجاورة لاسرائيل : يجب أن يكون القادرون على حمل السلاح ، اما فى الجيش النظامى ، أو فى المناطق التى يستطيعون منها مباشرة واجباتهم القتالية .

ان تدريب الطاقات البشرية للعرب والمسلمين وتسليحها وتجهيزها وتنظيمها تحتاج الى قيادة قادرة واعية قوية أمينة . وهذه القيادة ترتكز على دعامتين : الاولى دعامة روحية ، والثانية : دعامة مادية .

ان الدعامة الروحية لها أثر حاسم فى كل قوة تصمم على القتال حتى احراز النصر مهما كانت تكاليف القتال على الارواح والاموال .

قبيل نشوب القتال بين المسلمين والروم فى معركة (اليرموك) الحاسمة سنة ثلاث عشرة الهجرية (١٠) ٦٣٤ م ، قال رجل من المسلمين لخالد بن الوليد رضى الله عنه : (ما أكثر الروم وأقل المسلمين) ! فقال خالد : (بل ما أقل الروم وأكثر المسلمين ! انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان) (١١) .

ومعنى ذلك أن المحاربين بعددهم وعددهم ومعنوياتهم ، وليس العدد والعدد بأهم من (المعنويات) (١٢) بالنسبة للمحاربين خاصة ، وبالنسبة للشعوب عامة .

وقد كان نابليون يقول : (قيمة المعنويات بالنسبة للقوى المادية تساوى ثلاثة على واحد) أى أن الجيش تكون قيمته المعنوية ٧٥ ٪ وقيمته المادية ٢٥ ٪ .
وأيد نابليون فى قولته هذه كبار القادة العسكريين ، وقادة الفكر العسكرى منذ أيامه حتى اليوم .

غير أن اللواء (فولر) ــ وهو من قادة الفكر العسكرى فى العصر الحديث قال فى كتابه : (الاسلحة والتاريخ : (ان نسبة المعنويات فى المحاربين تساوى

---

(١٠) ابن الأثير (١٥٧/٢) .

(١١) الطبرى (٥٩٤/٢) .

(١٢) المعنويات : هى القوى الكامنة فى صلب الانسان التى تكسب القابلية على الاستمرار فى العمل ، والتفكير بعزم وشجاعة مهما اختلفت الظروف المحيطة به ، ومهما اشتدت الأزمات وكثرت التضحيات . أنظر التفاصيل فى كتاب : الوحدة العسكرية العربية ــ بيروت ــ دار الارشاد ــ ١٩٦٩ ــ ص (١٣٢) .

نسبة القضايا المادية فيهم ، فهو يخالف نابليون بالتفاصيل ، ويتفق معـــه فى المبدأ ، نظرا لاختراع الاسلحة الحديثة (١٣) .

والمعنويات هى العقيدة ، ولا نصر للمحاربين ولا لأى شعب لا عقيدة له : يدافع عنها دفاع المؤمن بها ، ويضحى بما يملك من روح ومال .

ان العقيدة هى التى تشيع الانسجام الفكرى فى العقول والقلوب معا بين أبناء الشعب الواحد وبين أفراد القوات المسلحة وبين المحاربين ، وهذا يؤدى الى التعاون بين الافراد والجماعات خدمة للمصلحة العليا .

واختلاف العقيدة فى الجيش الواحد أو الشعب الواحد ، يحول دون تعاونه ويجعل من الجيش عصابات مسلحة ، ومن الشعب كتلا متناقضة .

ان الروح أغلى ما يملكه الانسان ، فهو لا يضحى بها الا دفاعا عن مثل عليا يؤمن بها ، والعقيدة هى التى تضمن له هذه المثل العليا التى تجعله يضحى من أجلها بالمال والروح .

والعقيدة بالنسبة الى العرب هى الاسلام الذى قادهم الى النصر قرونا طويلة ، فلما ضعفوا صانهم من الانهيار .

لقد غرس الاسلام فى نفوس العرب حب الضبط والنظام ، وحبب اليهم الاستشهاد فى سبيل الحق ، وجعلهم يرون هذا الاستشهاد ، نصرا دونه كل نصر ، كما بعث فيهم الاعزاز بالنفس والشعور بأن عليهم رسالة واجبة الاداء للعالم .

وقد انتبه ابن خلدون الى اهمية العقيدة للعرب ، فقال فى مقدمته : **((ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم)) (١٤).**

ان العرب بالاسلام كل شىء ، والعرب بدون اسلام لا شىء (١٥) . وما يقال عن العرب يقال عن المسلمين فى كل مكان .

ثم ان العرب والمسلمين يقاتلون الصهاينة ، وهؤلاء متمسكون بعقيـــدتهم الصهيونية التى ترتكز على الدين اليهودى أولا وآخرا وقبل كل شىء .

فى الجيش الاسرائيلى حاخامات على رأسهم حاخام الجيش الاكبر ، وهم يتمتعون بسلطة لا مثيل لها ولا نظير فى الجيوش الاخرى .

وفى جيش اسرائيل تجرى مسابقات سنوية فى التوراة ، يكرم المتفوقون فيها أعظم التكريم وينالون أكبر الجوائز .

كما أن فى الجيش ضباطا ومراتب أخرى ، يقيمون الشعائر الدينية عند حائط المبكى ، وأفراد قوات المظلات الاسرائيلية تؤدى يمين الولاء أمام هـــذا الحائط : يحملون البندقية بيد والتوراة فى اليد الاخرى (١٦) .

والعقيدة ـــ كما هو معروف ـــ لا تحارب الا بعقيدة ، والفكرة لا تقـــاوم الا بفكرة .

من هنا تبرز أهمية القيادة الدينية للمحاربين من العرب والمسلمين .

---

(١٣) أنظر التفاصيل فى كتاب : الوحدة العسكرية العربية (١٢٩ ـــ ١٣٠) .

(١٤) أنظر التفاصيل فى مقدمة ابن خلدون ـــ بيروت ـــ ١٩٦٧ م ـــ (٢٦٦/١) .

(١٥) أنظر التفاصيل فى : الوحدة العسكرية العربية (١٣٤ ـــ ١٣٥) .

(١٦) جريدة الكارديان البريطانية نقلا عن جريدة الجمهورية القاهرية الصادرة فى ١٩٦٩/٨/٣١

قائد معركة نهاوند

دخل عمر المســـجد ، وأرسل بصره القوى فى جنباته فلمح « النعمان بن مقرن » يصلى ، وما أن فرغ النعمان من صلاته حتى بادره قائلا : لقد انتدبتك لعمل ؟ واســـتمع النعمان لمشيئة أمير المؤمنين ، ثم أجاب : ان يكن جباية للضرائب فلا ، وان يكن جهادا فى سبيل الله فنعم .. انه جهاد وأى جهاد ، وما أصدق بصيرة الخليفة التى دلته على مثل هذا الرجل ، رجل ليست له نفســـية كبار الموظفين فى هذه العصور من كل مترف يدمى بنانه امساك القلم ، ولا يحسن الا التبطل أو معالجة أتفه الأمور .. كلا ! ليس ابن مقرن ممن يسارعون الى مثل هذه الأعمال ، لأنه رجل مسلم ، والرجال المسلمون يخفون بفطرة ايمانهم الى العمل والجلاد والاشتراك فى الحياة وتكاليفها .

وفى الساحة التى ارتوى ثراها بالدماء الغزيرة تولى النعمان ادارة المعركة ، وكان جيش العدو بادى اليقظة ، عسير المنال ، وحاول أركان حرب النعمان يوما أن يحملوه على الاسراع فى منازلة العدو ، ولكنه خاطبهم : تريثوا حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر .. ذلك أن وهج الظهيرة كان شديد اللفح ، فما أن هبت طلائع الأصيل حتى صاح القائد المؤمن : أيها الناس ! انىهاز لوائى ثلاثا ، فأما أول هذه فليتوضأ كل جندى ، وأما الثانية فليعد سلاحه ، وأما الثالثة فاحملوا ولا يلوين أحد على أحد ، وان قتل النعمان ، وانى راغب الى الله بدعوة ، وأقسم على كل امرىء منكم — أن يؤمن عليها — اللهم ارزق النعمان شهادة فى نصر عظيم وفتح على المســـلمين ، فأمن القوم ، ثم هز لواءه ثلاثا ، وتقدم المرجل صفوف الغزاة فى زحف متتابع الحملات ، جياش بالايمان والتضحية ، قد رص القرآن بنيان أصحابه ، فلم يقو على رد عزائمهم كل ما حشد الأكاسرة من قوى مختلطة ، واطرد اندفاع المسلمين فى نواحى الميدان كلها ، ثم أطبقت أجنحتهم على أعدائهم اطباقة عارمة كان معها النصر الغالى ، والفتح الكريم .

ولكن أين النعمان صاحب هذه الروح ؟ لقد كان أول صريع ! .. وصادفه أحد جنوده الأبطال وما زال به رمق ، فاستحضر بسرعة اداوة ليغســـل منها وجه الجريح النبيل .. واذ يعاود النعمان شعوره العازب من هول ما أصابه يسائل مسعفه : من أنت ؟ معقل بن يسار — ما فعل الله بالناس ؟ فتح الله للمسلمين — قال : الحمد لله كثيرا ، اكتبوا بذلك الى عمر ، وفاضت نفسه .

من حديث

في ذكرى مولد الرسول

١ ــ تحدث القرآن الكريم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آيات كثيرة بعضها يبين مهمة الرسول وأصول الدعوة التى بعث بها الى الناس كافة ، وما اتصف به من أخلاق حميدة وصفات كريمة ، وبعضها الآخر يشير الى ما لاقاه الرسول وأصحابه من أذى المشركين وعنت الكافرين وما جرى بينه وبينهم من أحداث ، وما حققه الله فى النهاية من نصر مؤزر لدينه ونبيه ومن آمن به ، فضلا عن أن سورة من سور الكتاب العزيز قد سميت بسورة « محمد » عليه السلام ، ولا سبيل هنا للحديث عن كل ما جاء فى القرآن عن الرسول ، فهذا يحتاج الى بحث مستفيض ، لا تفى مقالات بله مقالة واحدة به ، ولهذا أقصر حديثى فى تحية ذكرى مولد الرسول على آيتين مكيتين(١) على أرجح الآراء ، وردتا فى آخر سورة التوبة وهما : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم . فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » . والآية الاولى تتحدث عن صلة الرسول بقومه ، على حين تتحدث الآية الثانية عن صلة الرسول بربه . .

٢ ــ والصلة بين الرسول وقومه كما أجملت الآية تقوم من جانب الرسول على حرصه على قومه ورحمته بهم ، فهو يريد لهم أن يسلكوا طريق الخير ويتبعوا دعوة الحق ، ويدعوا ما هم عليهم من الشرك والكفر ليفوزوا برضوان الله وينجوا من عذاب النار ، وقد تحمل فى سبيل ذلك كل ألوان الأذى والاضطهاد فما زادته الشدائد الا رحمة بقومه وحرصا عليهم علهم يهتدون ويؤمنون .

والآية الكريمة فى مستهلها تقول : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » ، ولم تقل جاءكم رسول منكم ، وذلك التعبير أدل على نوع الوشيجة التى

(١) يرى بعض المفسرين أن هاتين الآيتين آخر ما نزل من القرآن ، والراجح أنهما مكيتان ، وقد نزلتا فى أول زمن البعثة (أنظر تفسير المنار جـ ١ فى صدر تفسير سورة التوبة و جـ ١١ ص ٩١ ، ط . المنار) .

القرآن عن الرسول صلى الله عليه وسلم

للأستاذ : محمد الدسوقي

تربط الرسول بقومه فهو بضعة من أنفسهم تتصل بهم اتصال النفس بالنفس ، وهذا لا يجعل الرسول أمام قومه موضع التهمة فى النصيحة لهم والرأفة بهم ومن ثم كان لذلك التعبير ايحاء أخاذ يسيطر على الاحساس والشعور ، ويفضى الى الألفة والمحبة والارتياح .

وللمفسرين فى هذا الجزء من الآية رأيان : رأى يرى أن الخطاب فيه للعرب خاصة ، وهو رأى الجمهور[1] ، وان معنى أنفسكم على هذا الرأى أى من جنسكم ونسبكم فهو عربى مثلكم تعرفونه وتفقهون عنه .

والرأى الثانى يذهب الى أن الخطاب للبشر جميعا على الاطلاق ، ومعنى كونه من أنفسهم ، أى من جنس البشر ، وقد رجح بعض[2] المحدثين من المفسرين الرأى الأول ، لأن الرسول وان بعث للناس جميعا قد وجه دعوته الى الأقرب فالأقرب ، فالعرب آمنوا بدعوته مباشرة ، والعجم آمنوا بدعوة العرب ثم بدعوة بعضهم لبعض بعد انتشار الاسلام فيهم ، فالآية فى خطابها للعرب انما تذكر فضل الله عليهم بأن اختار منهم رسولا كريما رحيما لا يجهلونه ، فعليهم أن يلتفوا حوله ويسمعوا لقوله ، ويكونوا لرسالته حماة ودعاة .

٣ — ويرى بعض المفسرين أن قوله تعالى «من أنفسكم» يقتضى مدحا لنسب النبى صلى الله عليه وسلم وأنه من صميم العرب وخالصها وفى صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » وقال سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه فى تفسير قوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » قال : لم يصبه شىء من ولادة الجاهلية ، وروى عن

---

(١) أنظر تفسير الطبرى جـ ١٤ ص ٥٨٤ ط : دار المعارف ، والقرطبى جـ ٨ ص ٣٠١ ، ط : دار الكتب ، والألوسى جـ ٣ ص ٣٩٢ ط : بولاق ، وابن كثير جـ ٤ ص ٢٧٥ .

(٢) تفسير المنار جـ ١١ ص : ٨٧ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح(١) » .

والذى لا جدال فيه أن الله تبارك وتعالى يصطفى لتبليغ وحيه ، أظهر خلقه نسبا وأكملهم خلقا ، وان خاتم الأنبياء والمرسلين قد اجتمع له من الفضائل والشمائل ما لم يجتمع لغيره من الخلق فكان عليه السلام المثل الأعلى للانسان الكامل فى كل شىء ، وليس ادل على ذلك من ثناء ربه عليه ، حيث قال سبحانه : « وانك لعلى خلق عظيم » .

وقد قرأ بعض القراء بفتح الفاء من أنفسكم من النفاسة والمراد الشرف ، وأنه صلى الله عليه وسلم من أشرف العرب وأفضلهم ، وهى قراءة شاذة عرض لها ابن جنى فى كتابه « المحتسب »(٢) محاولا الاحتجاج لها فقال : معناه من خياركم ومنه قولهم : هذا أنفس المتاع ، أى أجوده وخياره ، واشتقه من النفس ، وهى أشرف ما فى الانسان .

وقد رفض هذه القراءة بعض المحدثين(٣) لأنها من جهة خبر واحد لا يثبت به القرآن ، ومن جهة أخرى أن المعهود فى فصيح الكلام أن النفيس والأنفس مما يوصف به الاشياء لا الاشخاص .

٤ — وأما قوله تعالى : « عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم » ، فهو يدل فى ايجاز معجز على مبلغ ما كان يشعر به الرسول نحو قومه ويحمله لهم فى فؤاده ، ويسعى جاهدا لتحقيقه ، انه يدرك تماما مصيرهم المحتوم اذا ظلوا سادرين فى غيهم ، ويدرك فى الوقت نفسه أنهم عن هذا المصير غافلون أو به كافرون وهو لا يرضى لهم أن يكونوا وقودا للنار أو أن يعيشوا فى هذه الحياة الدنيا أذلة مستضعفين ، ولكنه عليه السلام يرجو أن يكون لقومه شرف الدعوة الى رسالة الخير والبر والسلام والوئام ، وأن يكونوا طليعة خير أمة أخرجت للناس تتمثل فيهم كل خلال الفضيلة والكرامة والعزة والسيادة، من أجل ذلك صبر وصابر وجاهد وقاتل ، وكان وهو فى أشد لحظات الألم مما يفعله قومه يسأل الله لهم الهداية ، ولا يستجيب لرغبة من طلب منه الدعاء عليهم ، فقد روى أن بعض المسلمين بعد غزوة أحد قال للرسول — وقد شج وكسرت رباعيته — لو دعوت عليهم، فقال : انى لم أبعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة ، اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون » .

فلم يقتصر على رفض الدعاء عليهم ، بل عفا عنهم ، ثم أشفق عليهم ودعا لهم بالهداية لأنهم قومه ولانهم لا يعلمون (٤) .

وقد أسلفت آنفا أن هذا الجزء من الآية يدل فى ايجاز معجز على مدى حرص الرسول على كل ما ينفع قومه فى الدنيا والآخرة ، لأنه يلخص فى ألفاظ معدودة كفاح الرسول فى سبيل اخراج قومه من الظلمات الى النور ، والتعبير بكلمتى « عزيز وعنتم » له دلالته القوية فى الاشارة

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص : ٢٧٥ .

(٢) جـ ١ ص : ٣٠٦ ، ط : المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

(٣) تفسير المنار ، جـ ١١ ص : ١٩٠ .

(٤) أنظر من أخلاق النبى ، للدكتور أحمد الحوفى ، ص : ١٨٧ ، ط : المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

الى ما كان يلم بالرسول من ألم نفسى حاد حين يرى قومه يعكفون على ما يشقيهم ويرديهم ، وذلك أن معنى(١) كلمة عزيز أى صعب ، والعنت الاثم أو كل أمر شاق مهلك ، صعب على الرسول أن يصمت دون دفعه ويقف دون الجهاد لدحضه .

ويؤكد هذا قوله تعالى « حريص عليكم » فالحرص لغة فرط الشره ، أو شدة الرغبة فى الحصول على المفقود أو العناية بحفظ الموجود ، فالرسول كان مهتما كل الاهتمام ، وحريصا أبلغ الحرص على أن يحول بين قومه وحياة الضلال والفساد والتخلف والجمود ، وأن يدفع بهم الى الدخول فى دين الله ليعيشوا احرارا كراما لا يخشون الا الله ولا يرضون بالدنية فى دينهم ودنياهم .

وقد وردت فى القرآن آيات عديدة سوى هذه الآية ، تتحدث عن حرص الرسول على هداية قومه وتبرز فى جلاء أن هذا الحرص كان شغله الشاغل بعد بعثته ، ومن ذلك قوله تعالى : « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » وهذه الآية جاءت فى سورة يوسف(٢) بعد ذكر قصته عليه السلام ، لأن العرب سألت الرسول عن هذه القصة ، فلما نزل الوحى بها ظن الرسول أن قومه سيؤمنون به ، غير أنهم لم يستجيبوا له ، فحزن لذلك ، لأن ما كان يحرص عليه ويجهد فى سبيله لم يتحقق ، فنزلت هذه الآن تسلية للرسول (٣) وتشير الى أن الهداية أولا وأخيرا مردها الى الله وان حرص الرسول لن يغير ما سبق فى علم الله كما قال تعالى : « ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل(٤) » . و « انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء(٥) » .

٥ — وفى الجزء الاخير من هذه الآية التى تتحدث عن صلة الرسول بقومه يخلع الله جل جلاله على رسوله صفتين من صفاته هما صفة الرأفة والرحمة اللذان يعتبران من أهم صفات الجمال القدسى(٦) ، ومن أبرز الاسماء الحسنى فيقول : « بالمؤمنين رءوف رحيم » وقد قال(٧) بعض السلف إن الله سبحانه لم يجمع لأحد من الأنبياء بين اسمين من أسمائه الا لمحمد صلى الله عليه وسلم فانه قال عنه : « بالمؤمنين رءوف رحيم » وقال : « ان الله بالناس لرءوف رحيم(٨) » .

ولعلماء اللغة آراء(٩) متباينة فى تفسير معنى الرأفة والرحمة من حيث العلاقة بينهما ، فهناك من يرى

---

(١) أنظر بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادى ، جـ ٤ مادتى عز وعنت . ط : المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

(٢) الآية : ١٠٣ .

(٣) أنظر القرطبى جـ ٩ ص ٢٧١ .

(٤) الآية ٣٧ فى سورة النحل .

(٥) الآية ٥٦ فى سورة القصص .

(٦) مجلة الأزهر السنة الخامسة والثلاثون ص ٢٧٠ .

(٧) أنظر القرطبى جـ ٨ ص ٣٠٢ ، ومجمع البيان فى تفسير القرآن جـ ١ ص ١٦٩ ط : بيروت .

(٨) الآية ٦٥ فى سورة الحج .

(٩) أنظر مثلا لسان العرب مادتى رأف ورحم .

أن الـــكلمتين مترادفتان ، على حين يرى آخرون أن الرأفة أشد الرحمة ، وقال بعضـــهم ان الرحمة أعم من الرأفة لأن هذه لا تكون مع الكراهية وتلك تقـــع مع الحب والبغض ، فالانسان قد يرحم عدوه لكنه لا يحنو عليه ولا يهش له .

ومع اختـــلاف آراء اللغويين فى تحـــديد مدلول الرأفة والرحمة فان الذى لا جدال فيه ولا اختلاف عليه أنهما صفتان من صـــــفات الكمال الانسانى الذى تطمح اليه النفوس المطمئنة والأفئـــــدة المؤمنة ، فمن اتصف بالرأفة والرحمة فهو الانسان الكامل الذى يحمل بين جنبيه قلبـــا لا يعرف الغلظـــــــة ولا يجنح الى القسوة ، ولا تستبد به شهوة الانتقام من أعدائه والمســــيئين اليه ، لأن احساس الصفح والعفو لديه أقوى وأغلب ، ومشاعر الاحسان والحنان أشد وأظهر .

والنص فى الآية على أن الرسول بالمؤمنين رءوف رحيـــم لا يعنى أنه ليس بغيرهم رءوفا رحيمـــا ، فقد بعثه الله رحمة للعـــالمين ، وهداية للنـــاس أجمعين ، وما كان حرص الرسول على هداية قومه الا لونا من الرأفة والرحمة بهم ، ولعل تخصيص المؤمنين فى هذه الآية جاء فى مقابلة ما أمر به عليه الســـلام من الغلظة على الكفار والمنافقين(١) ، وربما لأن الآية حين أشادت بالرســـــول فى حرصــــه على هداية قومه وما كان يشـــعر به من الأسى اذا رأى منهم اصرارا على ما يشقيهم ، كان ختام الآية اشارة الى ان الرسول اذا كان يحمل فى قلبه تلك المشاعر النبيلة ، نحو من لم يؤمن به فهو بالنسبة لمن صدقه واتبعه وســـــلك معه طريق النجاة والفوز صـــــورة فريدة من الحنان والشفقة والعطف والرعاية ، ويكفى أن الله تبارك وتعالى وصف نفسه فى آيات كثيرة بما وصف به رســـوله فى هذه الآية ، فهى رأفة ورحمة مستمدة من رأفة الله ورحمته بعباده وهو فضل عظيم أسبغه المولى سبحانه على نبيه والمؤمنين به كمـــا قال تعالى فى آية أخرى . « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظـــا غليظ القلب لانفضـــــوا من حولك(٢) » ، فقد وصفه الله تعالى بأنه يلين لهم ، وأن هذا اللين صادر عن قسط عظيم منحه الله اياه من رحمته جل جلاله ، لهــــــذا أنس المسلمون الى رسول الله من رجال ونســـــاء ، كما يأنس الاطفال الى الأمهات والآباء ، وكان أنسهم منبعثا عن حب واجلال واطمئنـــــان الى سماحة نفسه ورأفته ورحمته(٣) .

٦ ـــ وأما مظاهر رأفة الرسول ورحمتـــه بالمؤمنين فهى كثـــــيرة ومتنوعة وقد أشرت الى أن تخصيص المؤمنين برأفة الرســـــول ورحمته لا يعنى أنه ليس بغـــــيرهم رءوفا رحيما فهو عليه الســـــلام الرحمة المهداة الى الناس جميعا ، ولم يكن الرسول رحيما بالانسان فقط ولكن رحمته وشفقته وبره شمل الأناسى والحيوان مما يؤكد أنه عليه السلام لا يدانيه أحد فى أخلاقه ، وأنه قد

---

(١) قال تعالى : « يا أيهـــا النبى جاهد الكفار والمنـــافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير » آية ٧٣ التوبة ، ٩ التحريم ، على أن هذه الغلظة فى جوهرها رحمة بهؤلاء الكفار والمنافقين .

(٢) الآية ١٥٩ فى سورة آل عمران .

(٣) انظر من أخلاق النبى . ص : ١٩٤ .

اجتمع له من الشمائل والفضائل ما لم يجتمع لغيره ، ولا غرو فقد اجتباه ربه لرسالته وعلمه فأحسن تعليمه ومدحه فى كتابه بالخلق العظيم . وهو لكل ذلك المثل الأعلى فى الفضائل والأسوة الحسنة لمن أراد نعيم الدنيا والآخرة وصدق الله حيث قال : « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا(١) » .

ومن مظاهر رأفة الرسول بالمؤمنين أنه كان اذا سمع بكاء الصبى وهو فى الصلاة — وكان النساء يصلين فى المسجد خلف الصفوف — تجوز فى الصلاة وتعجل فيها شفقة ورحمة بوالدته ، وكان اذا أم الناس فى الصلاة تخفف رأفة بالضعفاء وذوى الضرورات ، وكان لا يجلس اليه أحد من أصحابه وهو يصلى الا خفف صلاته وسأله عن حاجته ، بل كان فى موعظته للناس — وهى من أهم الأمور — يقصد الى التخفيف شفقة ورحمة بهم ، قال عبد الله بن مسعود : كان رسول الله يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا .

ومما يروى أن اعرابيا جاء الى الرسول يطلب عطاء فأعطاه ، ثم قال له : هل أحسنت اليك ؟ فقال الاعرابى لا ولا أجملت ، فغضب المسلمون من هذا الرد الجافى وهموا به فأشار الرسول اليهم أن كفوا ثم قام فدخل منزله وأرسل اليه وزاده شيئا ثم قال : هل أحسنت اليك قال : نعم فجزاك من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفى أنفس أصحابى من ذلك شىء فان أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب ما فى صدورهم عليك قال : نعم ، فلما كان الغد جاء الاعرابى فقال الرسول لأصحابه ان هذا الاعرابى قال ما قال فزودنا فزعم أنه رضى ، أكذلك ؟ فقال الاعرابى نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ، فقال عليه السلام : مثلى ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بينى وبين ناقتى فانى أرفق بها منكم وأعلم فتوجه بين يديها فأخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها ، وأنا لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار(٢) .

فهذا موقف رائع من مواقف الرسول يدل على حكمة وكياسة كما يدل على حلم وعفو ورأفة ورحمة ، ويرشد المسلمين الى ما يجب أن يكونوا عليه من معاملة مثل هذا الاعرابى بالتى هى أحسن ، حتى يكونوا دائما دعاة تآلف ومحبة ، وحتى يظل المجتمع الاسلامى صورة حية واقعية للقيم والمبادىء التى صلح عليها أمر الدنيا والآخرة ،

---

(١) الآية ٢١ فى سورة الاحزاب .

(٢) انظر رسالة النبى ص ١٩ ط : جريدة الاهرام سنة ١٣٧٠ .

ولا مجال هنا للنص على كل مظاهر رأفة الرسول ورحمته فهى كمـــا أسلفت كثيرة ومتنوعة ويمـكن لمن أراد أن يقف عليها ويتزود منها أن يرجع الى بعض أمهات كتب الحديث والسيرة وبعض المؤلفات الحديثـة التى تنـاولت هذا الجـانب فى شخصية الرسول (١) .

٧ — وأما الآية الثانية وهى التى تتحدث عن صلة الرسول بربه فانها تخاطب الرسول عليه السـلام بأن يلجأ الى الله ان أعرض عنه قومه ، انها تصل الرسول بالقوة التى تحميه وتكفيه لأن الله وحده هو صـاحب الحول والطول واليـه ينتهى الأمر كله ..

ان الله سبحانه يعلم أن رسوله لن يدخر وسعا من أجل هداية قومه وأنهم سيعرضون عنه ويؤذونه فى نفسه وأهله وأصحابه ، وأن هـذا الايذاء والاعراض سيكون مصدر ألم للرسـول لأنه حريص على هداية قومه ما استطاع الى ذلك سبيلا ، فجاءت هذه الآية بعد تلك الآية التى امتن الله فيها على قومه بارسـال رسول منهم يعطف عليهم ويرأف بهم، لتـكون بمثابة التسلية للرسـول والتـذكير له بأن يلجأ الى الله ان أعرض عنـه قومه فهو وحده نعم المولى ونعم النصير .

٨ — وبعد فان محمدا صلى الله عليه وسلم جاهد فى الله حق جهاده حتى بلغ الرسالة وأدى الأمانة ودخل النـاس فى دين الله أفواجا ، وأصبحت كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

واذا كان عليه السلام فى حياته حريصا على هداية قومه فانه بعد أن هداهم الله كان أشـد حرصا على اعتصامهم بما جاءهم به ودعاهم اليه ليظلوا خير أمة أخرجت للناس تنشر الخير وتحمى الحق وتأخذ على أيدى الذين يفسـدون فى الارض ولا يصلحون ، ولهـذا حذرهم قبل وفاته من كل ما يوهن عقيـدتهم أو يفرق وحدتهم ، وكان جمـاع ما أوصاهم به قوله صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنة رسوله » .

والمسـلمون اليوم وهم يمرون بفترة عصيبة فى تاريخهم ويواجهون عدوا أثيما يمكر بهم ويسعى دائبـا للقضاء عليهم وعلى مقدسـاتهم ، لا مناص لهم من أن يعضوا بالنواجذ على ما حضهم عليه نبيهم وأوصاهم به حتى لا يضلوا طريق الايمـان الصحيح ، وسـبيل الحياة العزيزة الـكريمة التى خلقوا لها وأمروا بالحفاظ عليها والموت دونها وصدق الله العظيم « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (٢) » .

---

(١) وذلك مثل محمد المثل الكامل للمرحـوم جاد المولى ، وبطل الأبطال لعبد الرحمن عـزام ومن أخلاق النبى للدكتور أحمد الحوفى .

(٢) الآيـة ٨ من سورة « المنافقون » .

السيرة النبوية في الأدب الحديث

للاستاذ محمد عبد الغنى حسن

ذكرنى بموضوع محمد عليه السلام فى الأدب الحديث ، كتاب جيد من تلك الكتب التى تظفر بها المكتبة من حين الى حين ، وهو كتاب (المثل الاعلى فى الانبياء) الفه بالانجليزية المفكر المسلم الهندى (خوجة كمال الدين) ، وكتب مقدمته اللورد هيدلى البريطانى الذى أسلم وحسن اسلامه وتوفى بلندن سنة ١٩٣٥ ، وترجمه الى العربية الاستاذ أمين محمود الشريف .

ولن اتناول بالحديث تلك الكتب التى الفها فى العصر الحديث مفكرون ومستشرقون بغير اللغة العربية ، فترجم بعضها ، وظل كثير منها فى لغته الاصلية ينتظر من يوفقه الله الى ترجمته . فان الموضوع قد يطول بنا اذا ادخلناه هذا المدخل ، أو انزلناه هذا المنزل . ولكننا سنتناول كتبا عن النبى محمد عليه الصلاة والسلام وسيرته كتبها قوم من العرب المحدثين والمعاصرين وتناولوا فيها صاحب الرسالة المحمدية من نواحى مختلفة ، وزوايا متعددة ، واخذ كل مؤلف منهم من جوانب الرسول ما هيأه الله أن يستخرج منه مثالا رفيعا للكمال الانسانى الذى أودعه الله فى صاحب رسالته ، وناشر دعوته .

ولم يشأ المفكرون المسلمون فى العصر الحديث أن يقطعوا الحبل الذى بداه اخوانهم قبلهم منذ الكتب الاولى فى السيرة والمغازى . ولم يقفوا بالنبى الهاشمى وسيرته عند الحد الذى بلغه اسلافهم ، ولكنهم داوموا على قراءة السيرة النبوية فى مصادرها الصحيحة الاولى ، وقراوها بلغة العصر الحاضر وعقليته ، وجعلوا منها موضوعات جديدة كل الجدة ، تتلاءم مع روح عصرنا ومفاهيمه ، حتى لا يجد القارىء الحديث نفسه منبت الصلة بين عصره والعصور الاولى للاسلام ، وحتى يستطيع ان يفهم تمام الفهم معنى الخلود فى رسالة الاسلام ورسالة محمد عليه الصلاة والسلام .

واذا كان الكتاب المعاصرون والمحدثون قد شاركوا بالنثر فى اعادة كتابة السيرة النبوية باسلوب حديث ، فان الشعراء لم يتخلفوا عن ميدان راوا لانفسهم حق الكلام فيه . ولا اقصد بالطبع تلك القصائد المتناثرة التى نجدها متفرقة فى

دواوين الشعراء المسلمين من أمثال شوقى ، وحافظ ابراهيم ، وأحمد محرم ، ومحمود رمزى نظيم ، ومصطفى صادق الرافعى ، ولا تلك القصائد التى نظمها فى نبى الاسلام فريق من الشعراء المسيحيين ، من أمثال خليل مطران ، وشلبى الملاط ، والدكتور لويس صابونجى ، ووديع البستانى ، وسابا زريق ، وعبد الله يوركى حلاق فى الوطن العربى ، والشاعر القروى ، وألياس فرحات ، وألياس قنصل فى المهجر الامريكى . وانما أقصد التأليف الشعرى المستقل فى سيرة الرسول . ويتجلى لنا هذا العمل فى ثلاثة من كتب الشعر الحديث ، أولها (الالياذة الاسلامية) للشاعر أحمد محرم ، وثانيها (أمير الانبياء) للشاعر عامر محمد بحيرى ، وثالثها (من وحى النبوة) لمحمد عبد الغنى حسن . وعلى الرغم من اختلاف آراء النقاد فى ملحمة أحمد محرم ، وقسوة بعض الادباء فى حكمهم على القيمة الفنية (لالياذة الاسلام) ، مقارنة بألياذة هوميروس ، فان بداية الشاعر أحمد محرم فى هذا الطريق تعد ريادة لمن تستهويهم سيرة الرسول ومجالى عظمته من شعرائنا الصاعدين .

أما (أمير الانبياء) للشاعر عامر محمد بحيرى ، فقد بدأت تظهر فيها فنية القصة والسيرة الشعرية ، لافنية الملحمة بمفهومها المعروف عند الغربيين ، وبهذا سار فى ركب الشعراء الذين نظموا فى مدح الرسول كشمس الدين الباعونى المتوفى سنة ٨٧١ هـ ، وابن الشحنة المتوفى سنة ٨١٥ هـ ، وابن سيد الناس المتوفى سنة ٨٣٤ هـ .

ولم يخرج ديواننا (من وحى النبوة) عن مجال الشعر التقريرى فى مدح الرسول ، مع استلهام كثير من مجالى عظمته ، ما عدا مسرحيتين شعريتين هما (مؤامرة تخيب) و (هو النبى المنتظر) كتبناهما على سبيل المحاولة والتجربة التى قد تخيب وقد تصيب .. !

هذه هى الكتب الشعرية المعاصرة الخاصة بالرسول والرسالة ، على قدر ما نعلم مما يصلنا من الانتاج العربى الحديث .. أما كتب النثر فقد ذهبت فى التاريخ لسيرة محمد عليه السلام مذاهب مختلفة ، طبقا لميول أصحابها واختلاف مناهجهم .

فنرى المرحومين أحمد تيمور باشا ، والشيخ محمد الخضرى ، والدكتور محمد حسين هيكل ، والاستاذ محمد رضا يلتقون فى كتبهم على كتابة السيرة النبوية التى تشمل حياة الرسول منذ ولادته الى لحاقه بالرفيق الاعلى ، ولكن السيرة بين أيديهم تطول أو تقصر ، والحوادث توجز أو تفصل ، والمشاهد يؤخذ بعضها ويترك بعضها طبقا لظروف الكاتب ، واختياره ، ومدى اطلاعه ، ومجال نشره . فنرى أحمد تيمور فى كتابه (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) يوجز غاية الايجاز ، مع الاهتمام بأهم الاحداث البارزة فى سيرة الرسول ، والبعد عن ضعيف الروايات ، فهو سيرة مركزة يخرج منها القارىء بمعلومات محكمة دقيقة مشوقة ، ونرى الشيخ محمد الخضرى فى كتابه (نور اليقين) فى (سيرة سيد المرسلين) يميل كذلك الى الايجاز ، وان كان لم يدع حادثة من الحوادث فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام الا ألم بها . ووقف عندها وقفة قصيرة . ولقد حقق بكتابه هذا رغبة قاض فاضل

من قضاة المسلمين فى المحاكم المختلطة ، من التشوف الى عمل سيرة للرسول خالية من الحشو والتعقيد ، ذلك القاضى المسلم هو محمود بك سالم عليه رحمة الله .

وجاء الدكتور محمد حسين هيكل فأصدر كتابه (حياة محمد) وذهب فيه مذهب التفصيل وتنسيق الحوادث وربط بعضها ببعض ، مع التنبه لمجالى العظمة فى سيرة الرسول وعرضها عرضا جليا شائقا ومع التيقظ التام لاتهامات أعداء الاسلام من المستشرقين ومن اليهم ، ودحضها بالأدلة العلمية والتاريخية التى لا تنقض ، ولقد اضطرت الظروف الدكتور هيكل الى أن يدخل فى كتابه بحوثا ليست من السيرة ، ولكنها تتصل بها ، جريا على عادته من الاطناب الذى تتضح به القضايا المعالجة ، وتزيد ظهورا وجلاء وقرارا فى نفس القارىء ، وجاء محمد رضا بكتابه (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، فاهتم بما أثاره المستشرقون والمغرضون من شبهات حول الرسالة والرسول ، ورد عليها ردودا مقنعة تضمحل أمامها الشكوك ، وتزول الشبهات . ولعل هدفه الاكبر من كتابه فى سيرة الرسول كان ابطال شبهات المتعصبين والحانقين على الاسلام ، وهو مع هذا الترصد الواعى اليقظ لم تفته مصادر السيرة النبوية من كتب السيرة ، والمغازى، والتواريخ العامة ، واللغة ، والأدب ، والطب ، والفلك (فقد تعثر فيها على بحوث قيمة قد لا توجد فى كتب السير) . ويمتاز كتاب المرحوم محمد رضا بفهارسه المنوعة فى أسماء الرجال والقبائل والنساء والأماكن ، مما لم أجده فى كتاب آخر من كتب السيرة ، ومما يجعل الرجوع الى سيرة النبى وحوادث عصر النبوة مطلبا يسير المنال .

وبمناسبة عصر النبوة لا يفوتنا الاشارة هنا الى كتاب ألفه الاستاذ محمد عزت دروزة عنوانه (عصر النبى عليه السلام ، وبيئته قبل البعثة) ، وقد تحدث فيه بافاضة عن اقليم الحجاز وسكانه ومعايش أهله ، وتناول حياتهم الاجتماعية والعقلية وأديانهم وعقائدهم بكثير من التفصيل . ولقد استعان على وضوح الرؤية فى عصر النبى بالصور والاوصاف والاشارات الكثيرة التى جاءت فى القرآن الكريم . وبهذا كان كتاب الله الكريم المصدر الاول والأصيل عنده لتصوير ذلك العصر .

واذا كان المرحوم عباس محمود العقاد قد جرى فى عبقريات الصديق ، وعمر ، والامام على ، وخالد بن الوليد ، على منهج تحليل شخصياتهم على ضوء علم النفس ، فان كتابه (عبقرية محمد) قد نحا هذا النحو . وقد أحس رحمه الله بما قد يثار من أسئلة حول هذا المنهج ، فقال فى تقديم كتابه : (.. ليس الكتاب سيرة نبوية جديدة تضاف الى السير العربية والافرنجية التى حفلت بها المكتبة المحمدية حتى الآن .. لأننا لم نقصد وقائع السيرة لذاتها فى هذه الصفحات .. انما الكتاب تقدير لعبقرية محمد بالمقدار الذى يدين به كل انسان ، ولا يدين به المسلم وكفى ، وبالحق الذى يبث له الحب فى قلب كل انسان ، وليس فى قلب المسلم وكفى ..) ، على أن هذا المنهج فى كتابة السيرة النبوية لم يحز رضى الباحثين والقراء جميعا ، فقد تصدى لنقده بعض كتاب السيرة أنفسهم مثل المرحوم الاستاذ محمد رضا الذى قال عنه :

(.. ان ذلك قد يؤدى الى الشطط وطمس الحقـــائق التاريخيـــة وتشويهها . لأن سيرة رسول الله ليست كسيرة أى فرد من الافراد أو عظيم من العظماء ، ممن يطبق على حياتهم وسلوكهم أصول علم النفس ، ويحـــكم عليهم بمجـــرد الرأى والملاحظة . نعم انه عليه الصـلاة والسلام انسان ، لكنه انسان ممتاز بلغت عظمته الـكمال البشرى ، فلا يمكن مقارنته بغيره من عظماء القادة والزعماء ..) . وهنا نتساءل : هل ركب العقاد رحمه الله شططا فى (عبقرية محمد) أو حاول مرة طمس الحقائق التاريخية وتشويهها ؟

ويتصل عن كثب بالمنهـج النفسى التحليلى لكتابة ســـيرة محمد فى العصر الحـــديث ، هـذا المنهج الفلسفى الذى سلكه الاستاذ المؤرخ البحاثة محمد جميل بيهم فى كتـــابه (فلسفة تاريخ محمد) الذى صدر فى بيروت ســـنة ١٩٦١ ، وكان الحافز له على تأليفه استمرار بعض المؤلفين الاجانب فى النيل من محمد عليه السلام ، فكان هذا الـــكتاب (الذى اتوخى فيه وضع ســـيرة نبينا على حقيقتها البشرية دون زيادة أو نقصان ، بغية أن لا يبقى لهؤلاء الاجانب مبرر للنيل منه ، استنادا الى صورته المليئة بالخـــوارق) . وعلى الرغم من رجوع الاســـتاذ (بيهم) الى القـــرآن والحـــديث الصحيح استشهادا بمواقف السيرة وصاحب السيرة ، فانه زاد على من سبقه من الباحثين باعتمـــاده على النواميس الطبيعيـــة التى تربط الاسباب بالمسببات ، وترتب النتائج على المقدمات .

ولقد لجأ بقية المؤلفين فى سيرة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام من أهل عصرنا هذا الى اختيـــار جانب أو بعض الجوانب من حيـــاة الرســـول ، والحديث عنها وتجليتها بما لا خفاء فيه ..

فالضابط محمد عبد الفتاح ابراهيم يكتب فى غزوات الرسول كتـــابا عنـــوانه (محمد القائد) ، ويتناول مغازى الرسول من ناحيتى القتـــال والتخطيط للحـــرب ، وقد كان أول كتاب فى المـــكتبة العربية يتناول الناحية العسكرية الحربية من حياة الرسول . ثم جاء الضابط محمد فرج فأخرج فى سنة ١٩٥١ كتاب (محمد المحارب) . وكأنه أحس ببعد ما بين حروب الرسول وحروبنا الحديثة من وسائل السلاح وعدته ، فأجاب على ســـؤال صـــديق له : (هل كان يا صديقى فى عهد رسول الله شىء اســـمه حرب بالمعنى الذى نعرفه اليوم ؟ لقد كانوا يحاربون بالحجارة والنبل والخيل ، أهذه هى الحروب التى تود أن تحدث قرارك عنها ؟) بقوله : (الحرب يا صديقى مهمـــا اختلفت اســـلحتها ، فلن تختلف أسسها ومبادئها ..)

والمرحوم الاستاذ محمد أحمد جاد المولى يكتب كتـــابه (محمد المثل الكامل) بعد أن طالع ما أدى اليـــه البحث من المثل الكاملة التى صورتها العقول البشرية جيلا بعـــد جيل ، فوجد أن واحدا منها لا يصـــلح أن يكون هداية عامة لبنى الانســـان جميعهم ، على اختـــلاف زمانهـــم ومكانهم ، الا النبى محمدا عليـــه الصـــلاة والســـلام ، الذى كانت كمالاته المثالية موضوعهذا الكتاب .

والاستاذ عبد الحفيظ ابو السعود يعيش فترة روحية صـــافية مع أصحاب محمد فيضع كتابه (محمد وصحبه) . وهو — على الرغم من رجوعه للتـــاريخ — فانه يتأنق فى عبارته ، ويعرض الاحداث فى ثوب قصصى شائق .

ويعمد الاستاذ محمد شـــوكت

التونى الى ناحية طريفة من نواحى الرسول فى عهد الطفولة والصبا ، حيث لم يحجبه اليتم عن التهيؤ لرسالته الخالدة التى رعى بها البشرية جميعا ، فنراه فى كتابه (محمد فى طفولته وصباه) يقص حياة الطفولة عند النبى فى عبارات صاغها المؤلف من نسج الحوادث ، ويرى ضرورة التنبيه الى انها ليست « احاديث نبوية » ، ومن ثم ليست مصدرا للاحكام الشرعية ، ولا يجوز الاستشهاد بها على أنها صدرت فعلا من الرسول . وهو تحفظ كان ضروريا فى هذا الكتاب .

ويتناول الاستاذ عبد الرحمن الشرقاوى موضوع « الحرية » فى حياة الرسول ، ويشير فى كتابه (محمد رسول الحرية) الى أن السيرة ليست فى حاجة الى كتاب جديد يتحدث عن عصر النبوة ، أو يدافع عن صدق الرسالة ، أو يؤكد معجزات النبى ، ولكننا فى حاجة الى مئات من الكتب عن التطور الذى يمثله الاسلام .

ويعمد الاستاذ أمين دويدار فى كتابه الضخم (صور من حياة الرسول) الى تبسيط السيرة النبوية فى أسلوب يشجع الشباب على قراءتها ، حتى تمتلىء نفسه بما فى حياة الرسول الكريم من صدق ووضوح ، وقوة وحياة ، وعظمة وجلال . والحقائق التاريخية كلها موجودة فى هذه الصور الحية ، وتمتاز بأنها معروضة بطريقة جذابة تستهوى الشباب ..

وقد تأثر الاستاذ أمين دويدار فى كتابه هذا بما كتبه الدكتور طه حسين فى كتابه (على هامش السيرة) ، واعترف فى نهاية كتابه بأنه انتفع بمنهج الدكتور طه حسين وأسلوبه . وهو منهج من الحق أن نقول هنا انه كان لا يبعد عن أعين كثير من الذين كتبوا فى السيرة النبوية بعد الدكتور طه حسين .

واذا كانت الكتب السابقة كلها فى السيرة النبوية بأقلام مؤلفين من المسلمين ، فان فاضلا منصفا من أفاضل اخواننا الاقباط فى مصر هو الدكتور نظمى لوقا قد ألف كتابا عنوانه (محمد : الرسالة والرسول) . ولقد وقف الدكتور نظمى أمام مواقف من حياة الرسول الانسان ، فانبهر بها .. انبهر بشجاعته ، وصدقه ، وعلاقته بالناس ، وعلاقته بربه ، وانبهر بقلبه الانسانى الكبير ، فعبر عن ذلك وعن كثير غيره تعبيرا جميلا جمع بين التاريخ والفن وأدب التراجم ، مما دفع أحد المعجبين بكتابه الى أن يقول له : (ان الطابع الانسانى فى كتابك قد مس شغاف قلبى أكثر من أى شىء آخر فيه ، على جماله كله ..)

فالفنية فى كتاب الدكتور نظمى لوقا عن (محمد الرسالة والرسول) تذكرنا بالفنية المسرحية الحوارية التى كتب بها الاستاذ توفيق الحكيم كتابه (محمد) ، وقد التقط الحكيم فيه مشاهد من حياة الرسول فسلط عليها الاضواء ، ووزع الضوء بمقدار ، تبعا لانفعالاته وشعوره أمام الحدث ، وتجاوب أحاسيسه . فأبرز بعض الاحداث التى قد يراها غيره غير جديرة بالابراز ، وأخفى من السيرة أحداثا كانت جديرة بالظهور . ولكنا لا نلومه ونقول له : لماذا اخترت هذا ؟ وأخفيت ذاك ؟ انه فنان .. وحتى كتاب السيرة المحض لم يسلموا من ترك بعض الاحداث أو الالمام بها الماما يسيرا لا يتفق مع اطالة الوقوف عند بقية الاحداث .

السِّيرَة النَّبَوِيَّة والملحَمَة الإسلاميَّة

للدكتور : زكي المحاسني

انني أردد على الدوام قولتى التى قلتها حين انتهيت من قراءة الالياذة لشاعر الاغريق الاكبر (هوميرس) :

« لقد نقش الشاعر هوميروس على حسام البطل اخيل آداب أمته » وكذلك اروح سجيس الزمن أقول :

« لقد نقش رسول الله صلوات الرحمن عليه وسلامه على سيفه الذى حارب به فى حروبه ومغازيه وبخاصة فى حرب بدر الكبرى ، تاريخ أمته » .

ووراء هذا القول الاسلامى صرت مدينا فى أن اجىء بالبرهان على صحة ماقلته فى حروب الرسول ومغازيه .

كان صلوات الله عليه دائب الهمة فى الجهاد ، وكان قائدا عسكريا منقطع النظير ، وقد كنت أمتلىء عجبا حين أذكر فى تاريخ الجلاد والحروب البشرية ما كان قد أثاره نابليون بونابرت من المعارك الطواحن فى أوربة ابان حكمه وجلاده ، حتى وقع فى حرب (واترلو) مهيض الجناح وخسر المعركة وانطوى بها ذكره الى الابد . فأخذت أجيل خيالى وفكرى وأدير على النتائج الحربية حوارى بينى وبين نفسى ، فأنظر الى معركة « أحد » التى خسرها الرسول وجرح فيها ، كيف استطاع أن يثبت بعدها ثبات الجبال الرواسخ التى لا تزلزلها الاحداث ؟!

وخرجت بمنتوج حكمى قاطع ، وهو أن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم كان مخططا حربيا عظيما ، فهو حين قال فى أحاديثه المأثورة :

« يدفن رجل صالح تحت أسوار القسطنطينية » كان يخطط لحروب طويلة مع البيزينطيين ، وهم الذين يدعوهم القـرآن الكريم بالروم ، فان معاوية بن أبى سفيان أرسل ابنه يزيد قائدا على جيش لجب عرمرم لفتح القسطنطينية . وسار الجيش قدما فى مجالات الاناطوليق (بلاد الاناضول) يغذ السير على الافراس السلاهب وكله فرسان وليس فيه راجل لبعـد الشقة وطول الطريق الرومية ولم يكد هـذا الجيش يفصل من الثغور الشامية ، ويدخل ديار الروم فاتحا أو مصالحا حتى ركض أحد الفرسان الى القائد يزيد ، فقال له :

ــ يا يزيد ، أدرك أبا أيوب الانصارى ، فانه وجد معنا ، وهو مكب على قربوس فرسه من الحمى .

فعطف يزيد عنق جواده وعاد القهقرى فى مسيرة جيشه اللجب حتى بلغ أبا أيوب فدهش لوجوده ، فقال له فى عجب أخاذ :

ــ ما الذى أقدمك أبا أيوب ، وقد خلفتك بالمدينة مريضا ، فرفع أبو أيوب رأسه من الضنى القتال ، وقال ليزيد :

ــ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يدفن رجل صـالح تحت سور القسطنطينية .

فأحببت أن أكون أنا ذلك الدفين تحت أسوار الروم . فلما سمع يزيد هذا القول أحس كأن شعر رأسه قد وقف هيبة وتأثرا بما يشاهد ويرى من أبى أيوب البطل العظيم الذى ليس فى بدنه قيد اصبع الا وفيه طعنة أو جرح . ولقد بلغ من السن عتيا . فحلف يزيد ليبلغن أبا أيوب مناه فأمر بالجيش أن يستحث بلا وقوف حتى يدرك أسوار القسطنطينية قبل أن يدرك الموت أبا أيوب .

ولكن الموت سبق الى البطل الاسلامى العظيم الانصـارى ، فأمر يزيد بتكفينه ووضعه بتابوت من الخشب وبيت فى نفسه أمرا هائلا ، وبلغ جيش المسلمين بقيادة البطل يزيد أسوار القسطنطينية ، فقال يزيد للابطال :

ــ احملوا أبا أيوب فى نعشه على عواتقكم ودعوه يدخل المعركة معكم فانه ان خاضها ميتا فكأنه خاضها حيا . وكانت بوادر العسكر الرومى قد تقدمت فى حماية السور ، فدخلت فى قتال مع المسلمين ، وكان فى رعيل الابطال أبو أيوب الانصارى محمولا على الاكتاف ، يدور مع حامليه يمنة ويسرة وحاملوه يتواقعون على السلاح ، فاذا سقط أحدهم هب الآخر الى حمل النعش بالبطل الانصارى ، وكان « قيصر » قد علا أسواره ، ودهش لمـا يشاهد ، هو وقادته والسافحون عن السور برشق النبال والقاء النار على المسلمين بالمنجنيقات ، ولما

أدرك قيصر أن المسلمين على الرغم من المشقات فى طى المسافات ، قد ظهروا مجالدين ببطولة أخذت بمجامع اعجابه ، أرسل لوقف القتال ، وطلب المقابلة للتهادن ، فأرسل يزيد وفدا من أبطاله وزودهم بما يراه من القول والعقل ، فدخلوا على قيصر فى قصره المرد وهو فى جمع من أهله وأبطاله فكان أول ما ابتدرهم فيه :

ـــ ما هذا الذى كنت أراه محمولا على عواتق جنودكم المقاتلين ، يدور بينهم حيثما داروا ، فقال أحد الموفدين المسلمين :

ـــ هذا أبو أيوب الانصارى صاحب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، نذر أن يدفن تحت أسوار بلدك ، وأدركه الموت قبيل وصولنا الى هذه الاسوار ، فأمر قائدنا يزيد أن يخوض أبو أيوب معنا المعركة ، فهذا الذى كنت تعاينه من اعالى اسوارك ، وكنت تراه ، فبادر قيصر الى اكرام الوفد وحلف أمامهم بصوت جاهر :

ـــ وحق المسيح لأكرمن قائدكم هذا العظيم أبا أيوب الانصارى ولأقيمن له مقاما مشهورا ولأسرجن له ما دام الفتيل والزيت فى الوجود .

وقفل وفد يزيد بمعاهدة بين الروم والمسلمين أدامت الوئام وحقن الدماء زمنا طويلا .

وبر قيصر بنذره ، فاذا أبو أيوب يرقد فى ظلال مقام محمود والسراج فوق ضريحه وتتوارد العصور وتتالى ، وأبو أيوب الانصارى بمكانه من التخليد والتمجيد حتى كان عصر الترك فقاموا له بالتجلة والتعظيم وبنوا مسجدا كبيرا عنده وحدائق حوله واذا العصر الحديث حتى اليوم يشهد حيا كبيرا مترامى الجنائن عالى المنائر والبيوت هو (حى أيوب) بالاستانة .

تلك صفحة منطوية من تاريخ المسلمين فى ملحمتهم الخالدة التى طالما حلمت فى نظمها ، وقد رحت من عشر سنين أنظم الاناشيد لهذه (الملحمة) العظمى وليوم اليرموك .

ولقد بلغت بهذه الملحمة حتى الآن (يوم اليرموك) وقد نشرت هذه الاناشيد وبلغت بها اثنين وعشرين نشيدا فى (مجلة قافلة الزيت) .

فاذا رجعت الى حياة الرسول الاعظم محمد بن عبد الله وجدته يقول أنا نبى الملحمة ، ويقول انما بعثت لكم بالملحمة ، فالملحمة الاسلامية من روح الرسول تناولت أناشيدها . ومن الهام نفسه الراضية المرضية أنظمها .

ولقد وجدت السيرة النبوية هى الملحمة الاسلامية الاولى التى ينبغى أن تنبع منها ذكريات الحروب الاسلامية الروائع فى عهد الرسول ، كحرب بدر الكبرى ـــ وانى لأكتب هذا المقال لمجلة الوعى الاسلامى أستعيد فيه الذكريات الخوالد تاريخ (بدر) ومعركتها التى لا تنسى والتى وضعت طوابعها على ديمومة

الاسلام ورفع كلمة الرحمن حتى الآباد وغزوة الحديبية وحرب الخندق وحصارها المكين ، وفتح « مكة » كل تلك الحروب حـــوافل بالمجد والمروءات الاســـلامية جديرة أن تؤلف مقدمة (الملحمة العربية) الاسلامية .

وان الشعر العربى المكين الذى قيل فى تلك الحروب والغزوات المحمدية مما قاله شاعر الرسول حسان بن ثابت الانصارى أو مما خلد به ســـواه من الشعراء ذكرى الغزاوات والسرايا والحروب حتى يوم علا الرسول الكريم المنبر وخطب خطبة الوداع مؤذنا بغروب كوكبه من سماء الدنيا ليطلع مجرة مشعشعة فى سماء الآخرة ، ان ابن هشام المؤرخ الجليل قد قدم للأمة الاسلامية بسيرة الرسول وسجل معاركه الخالدة ، فكان عمله هذا الجاهد مندور المثال فى تاريخ الأمم وفى تاريخ التأليف العربى والاسلامى وفى مجال التراث كله وكان ثقـــة مشهورا له بالنزاهة والايمان الثابت والتجرد المكين ، حتى غدا مصدرا ثابتـــا (جامعيا) جامعا اعتمده الأئمة من مؤرخى الاســـلام كابن اسحاق والواقـــدى والطبرى والمسعودى فجعلوه مصدر الاثبات لرواياتهم المعنعنة .

وانسحبت سيرة ابن هشام خلال العصور الاسلامية مكللة بالفخار منوطا بها كل حقيقة ثابتة ، فى تاريخ الانبعاث الاسلامى وحياة الرسول الاعظم فى حربه وفى سلمه وفى الوصف الماتع للمدينة ومكة وكل بلد مر به الرسول أو نزل .

واستمرت السيرة النبوية لابن هشام مرجعا ثابتا تمر العصور على منكبيها فلا تزيدها الا ثباتا وحقيقة وأصلا . وكم وقفت فيها على شواهد ومشاهد هى روعات التاريخ وغرر الاحداث فى دنيا الرسول والاسلام .

ولم تكن السيرة مقصورة على الحروب والغزوات وعالم الجهاد ، وانما كانت الى ذلك سجلا حافلا بحياة العرب وقصصهم ونوادرهم ، وكل ذلك راح ابن هشام يسجله ببيانه العذب ورواياته الصحاح ، ولا يفوت ابن هشـــام ، فى غير استطراد ، أن يؤرخ أمجاد العرب فى جاهليتهم ، فقد أتى على وجودهم بأجمعه فى قبائلهم وشعرائهم وما كان يشجر بينهم من حروب كحـــرب داحس والغبراء ، التى دامت أربعين عاما وحرب (البسوس) ومـــا كان من حـــروب العرب فى جاهليتهم مع جيرانهم ومع الدول الكبرى فى عهدهم كالفرس والروم كل ذلك وصفه ابن هشام وفصله أعظم تفصيل .

وأرخ لقريش تاريخا لا يبلى على ترادف الاحقاب فى أمجادها القديمـــة وصعد فى تاريخ العرب الى عهد جوهم وعاد واليمن وسبأ والسيل العرم .

وانى لأسأل الله أن يهب لى عمرا أستطيع معه انجاز منظومتى الكبرى (الملحمة العربية الاسلامية) .

نظرة فاحصة

في داخل صفحات التوراة

للأستاذ : محمد صبيح

ورد فى النسخة المتداولة للتوراة (العهد القديم) أن عدد اليهود الذين خرجوا من مصر بقيادة سيدنا موسى عليه السلام كان ٦٠٠ ألف عدا الاطفال وكان يعقوب وأبناؤه عندما وفدوا الى مصر فى عهد يوسف الصديق سبعين فردا وطالت مدة اقامتهم بين المصريين ٤٣٠ سنة . وألقى أحد المؤمنين بالتوراة نظرة فاحصة على رقم الوافدين من اليهود والخارجين ، وشك فى صحة الرقم الذى سجلته التوراة ، وقال : لعل الاصوب أن يكون شعب موسى ستين ألفا لا ستمائة ألف ..

وهنا هاج الحاخام الاكبر فى اسرائيل وماج ، ونسب الكفر والالحاد لهذا الذى تشكك فى تواريخ التوراة وأرقامها ، فما كان من صاحب التصويب الا أن نكص على عقبيه متراجعا ، وأعلن توبته وندمه على ما بدر منه .. ولم يكن أحد غير « بن جوريون » نفسه !

وأجرت احدى صحف تل أبيب استفتاء بعد عدوان يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧ عن رأى الاسرائيليين فى الارض الجديدة المحتلة . هل تبقى كلها فى يد اسرائيل أو تتنازل عن بعضها للعرب ، وكان رأى ٤٠ ٪ من الذين اشتركوا فى

هذا الاستفتاء أن ترد الارض المحتلة بعد العدوان الى أصحابها .. وهنا ثار الحاخام الاكبر وفار ، وهدد الذين أيدوا الانسحاب بويل السماء وثبورها لأنهم ينادون بترك أرض نصت التوراة على أنها لهم . ونسبهم جميعا الى الكفر والالحاد ، وهنا عاودت الجريدة استفتاءها ، فاذا نسبة الـ ٦٠ ٪ ترتفع الى ما يقرب من الاجماع فلتبق الارض محتلة وليكن ما يكون من حروب وكروب توقيا من لعنات ممثل التوراة الاول .

وهذه الاحداث وأمثالها تؤكد الرأى القائل بأن يهود هذه الايام ، مثل الذين سبقوهم بعد جيل ، يعيشون فى التوراة ، فهم الذين صنعوها قديما ، وهى التى تصنعهم بعد ذلك .

النظرة الداخلية للنص الحالى

أكد القرآن الكريم فى مواضع كثيرة جدا ، أن التوراة التى كانت بين أيدى اليهود فى الحجاز محرفة ، ومصنوعة ، ومكذوبة ولكن القرآن أشار الى أن صحائف من التوراة الصحيحة كانت معروفة لدى اليهود .. بل نوه القرآن أيضا ، بأن التوراة الاصلية ، كانت موجودة ومعروفة فى وقت ظهور سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام .. قال تعالى : « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل » .

واذن فمن أين استمد اليهود هذا الكتاب الذى بين أيديهم ، وما المصادر التى دونوا منها الكثير مما ورد فى العهد القديم ؟؟

الحقيقة أن عددا من العلماء الغربيين حاولوا محاولات جادة أن يردوا كثيرا من صحائف هذا الكتاب اليهودى الى الاصول القديمة التى استمدوها منها مما سنعرض له فى بحث خاص .

كما أنفق بعض علماء المسلمين جهدا طيبا فى دراسة النص التوراتى المتداول ، لاظهار ، ما فيه من تعارض وتهافت ، يدل على أن للتوراة الحالية اكثر من مؤلف وأكثر من جامع ..

والمعروف من تاريخ الفرقة اليعقوبية اليهودية ، أنها لجأت الى مصر أول وجودها ، وأقامت فيها أربعة قرون وثلاثين سنة . وعلى الرغم من أن تيارات الفكر والادب المصرى ، كانت من النضوج والعمق ، بحيث كان يمكن أن تؤثر على الفكر اليهودى ، أو على الاقل توجده . ولكن يبدو أن النفسية اليهودية ، المنهزلة دائما ــ كانت أشبه بالارض القاحلة لا ينمو فيها بذر ، ولا ينتج ثمر . فقد أوصى يوسف عليه السلام قومه ، أن يقولوا إنهم من الرعاة الذين لا يتقنون صناعة أو زراعة ، وبذا ينبذهم المصريون ، لأنهم لا يحبون رائحة الرعاة .. وهكذا عاشوا على أطراف البيئة الزراعية فى الشرقية ، وربما فى أرض فاقوس بالذات التى ما تزال تحمل الاسم اليهودى .

وقد خرج اليهود من مصر الى برية سينا ، ثم فى اغارتهم على أرض مدين ، وأرض الكنعانيين ، شغلوا بحروبهم ، ولم يكن بين أيديهم من معين فكرى وروحى يعتد به الا الوصايا العشر .. والا تعليمات سيدنا موسى لهم ، ولا يمكن أن نعتد بما ورد فى التوراة من هذه الاحاديث المنسوبة لموسى الكليم ، لأنها تمثل ما لا يليق بمراكز النبوة من جفوة فى الحديث ــ مع الذات الالهية يؤخذ على عامة الناس فضلا عن الانبياء كما تدل على قسوة عنيفة ، وأنواع من العذاب يصبه على الناس يمينا وشمالا .. وما هكذا كان الأنبياء . ولكن تصور كتاب التوراة

المتأخرين ، لمـــا كان عليه أدب موسى وسلوكه ، انما استمد من محض خيالهم ، ومن معين نفوسهم .

ابن حزم .. ونقـــده المر

وفى ميدان الحرب النفسية التى يسلطها اليهود على شعوبنا محـــاولة مستمرة لاثبات أنهم الشعب المختار ، وأنهم اذ يتملكون ما بين النيل والفرات انما يعملون بالنصوص الواردة فى التوراة ..

ومن بين علمـــاء المسلمين الذين بذلوا جهدا ممتازا فى دراســـة النص المتداول من التوراة فى عصره ابن حـــزم (توفى فى منتصف القرن الخـــامس الهجرى وكان يحضر حاخامات اليهـــود فى الأندلس ، ويحاججهم بمـــا رأى من تزييف وتلفيق وتدافع فى التوراة فكانوا لا يحيرون جوابا (١) .

من ذلك مثلا ما ورد فى التوراة عن رفقة زوج اسحاق من أنها كانت عاقرا ثم حملت وازدحم ولدان فى بطنها . فأوحى لها الله أن فى بطنها أمتين وحزبين يفترقان منه ، أحدهما أكبر من الآخر والكبير يخدم الصغير ــ فلما كانت أيام الولادة ، اذا بتوأمين فى بطنها ، وخرج الاول أحمر كله كفروة من شعر فسمى « عيسو » وبعـــد ذلك خرج أخـــوه ويده ممســـكة بعقب « عيســـو » فسماه « يعقوب » .

يقول ابن حزم معقبا على هذه الرواية : لا مؤونة على هؤلاء السفلة فى أن ينسبوا الكذب الى الله عز وجل ، وحاش لله أن يكذب . ولا خلاف بينهم فى أن عيسو لم يخدم قط يعقوب وأن بنى عيسو لم تخدم قط بنى يعقوب ، بل ان فى التوراة نصا أن يعقوب سجد على الارض سبع مرات لعيسو اذ رآه . وان يعقوب لم يخاطب عيسو الا بالعبودية والتذلل المفرط ، وان جميع أولاد يعقوب حاش بنيامين ، الذى لم يكن ولد بعد ، كلهم سجدوا لعيسو ، وان يعقوب أهدى لعيسو ، مداراة له ، خمسمائة رأس وخمسين رأسا من ابل وبقر وحمير وضأن وماعز ، وان يعقوب رآها منة عظيمة ، اذ قبلها منه ، وان بنى عيسو لم تزل أيديهم على اقفاء بنى اسرائيل من اول دولتهم الى انقطاعها .. »

وفى قصة خديعة يعقوب لأبيه الشيخ اسحق ، كيما ينال عهده من دون أخيه تعليق طريف لاذع لابن حزم نقتطف منه ما يلى :

١ ــ اطلاقهم على نبى الله يعقوب عليه السلام أنه خدع أباه وغشه ، وهذا مبعد عمن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والاعداء ، فكيف مع نبى مع أبيه النبى .. أين ظلمة هذا الكذب من نور الصدق فى قول الله تعالى :

« يخادعون الله ، والذين آمنوا ، وما يخدعون الا أنفسهم » .

٢ ــ أخبارهم أن بركة يعقوب ــ أى عهده ــ انما كانت مسروقة مأخوذة بغش وخديعة وتخابث .. حاشى للانبياء وهذا ، ولعمرى أنها لطريقة اليهود فما تلقى منهم الا الخبيث المخادع .

٣ ــ عندما دعا إسحق بالبركة لابنه عيسو ، فتلقاها يعقوب خديعـــة ، أى منفعة للخديعة هنا ؟!!

---

(١) الفصل فى الملل والاهواء والنحل للامام أبى محمد بن على بن حزم الظاهرى ، الجزء الاول ص ١٣٦ وما بعدها .

وكانت البركة أو الدعاء الذى تلقاه يعقوب خديعة وغشا كما تقول التوراة ، يقضى بأن تخدم نسله الامم ، وتخضع لهم الشعوب ، وما من شيء من هذا حدث فقد خدم بنو اسرائيل الامم فى كل بلد ، وفى كل أمة ، وهم خضعوا للشعوب قديما وحديثا فى أيام دولتهم ، وبعدها .

وهكذا يمضى ابن حزم فى دراسة طويلة مفصلة لا يترك فقرة فى التوراة المتداولة الا تناولها بالنقد الداخلى والهجوم العنيف .

مثل من صورة موسى عليه السلام

وفى مراجعتنا للتوراة المتداولة ، نعود الى ما أشرنا اليه قبل من تصويرها لسيدنا موسى عليه السلام .

تقول التوراة إنه عندما نزل موسى بالوصايا العشر من الجبل ، وجد أخاه هارون استجاب لرغبات اليهود وصنع لهم تمثال عجل من الذهب ليعبدوه ولما رأى موسى الرب يهم بعقاب الكافرين به قال له « لماذا يحمى غضبك على شعبك الذى أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ، ويد شديدة . لماذا يتكلم المصريون قائلين اخرجهم (الرب ..) بخبث ليقتلهم فى الجبال ، ويفنيهم عن وجه الارض ارجع عن حمو غضبك واندم (الرب الذى يندم ..) على الشر بشعبك .. فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه .. »

وأراد موسى أن يعاقب قومه ، فكان عقابه ، كما صورته التوراة دمويا غريبا فى بابه .. فقد أمر بقتل ثلاثة آلاف رجل ، على أن يقتل الواحد أخاه أو صاحبه أو قريبه وأن يقتل الاب ابنه .. وبهذا تعود البركة للشعب !!

وفى هجوم اليهود على أهل مدين ، قتلوا جميع الرجال وأخذوا النساء والاطفال سبايا وأسرى . فاذا بموسى يأمرهم بقتل كل ذكر من الاطفال ، والابقاء على العذارى من النساء وقتل المتزوجات جميعا . أو على حد قول التوراة كل امرأة عرفت بمضاجعة ذكر اقتلوها ، وذكرت التوراة أن من ثبت أنهم عذارى من النساء ، بلغ اثنين وثلاثين ألفا ، أخذن سبايا ..

هذه هى الصورة الرهيبة التى رسمها كاتبو التوراة لسيدنا موسى .. ولا عجب فقد تحركت أقلامهم فى ثنايا أحاديثهم عن أنفسهم بعض الحق اذ نقلت ان الرب وصف اليهود بأنهم شعب « صلب الرقبة » وأنهم « جماعة شريرة » وما اكثر ما ثاروا على الطعام الذى قدمه لهم الرب فى سينا وهو المن والسلوى ووصفوه بأنه طعام « سخيف » ووددوا أن يعودوا الى أسر المصريين حيث يجدون السمك واللحم الطرى ، مع أن ماشيتهم كانت منهم ومنها كانوا يقدمون الذبائح للرب .

ومن أعجب ما ذكرته التوراة عن موسى ، أنه صنع حية من نحاس وقد ظلت هذه الحية من بين معبودات اليهود لقرون كثيرة تالية .

أين هذا كله من الصورة الكريمة الوضاءة لسيدنا موسى التى قدمها القرآن فى عشرات المواضع ، والتى ترفع مقام النبوة فوق هذا العبث التوراتى ..

ان كل عيبنا أن التوراة كتاب مطبوع بأرخص الاسعار ، ولكن ما أقل الذين يجدون لديهم الطاقة لقراءته .. ان أى قراءة فيه تقنع القارىء بأنه بازاء مفتريات ليس أولها ولا آخرها . دولة النيل والفرات التى أخذوها من التوراة .

التشديد في العقوبة على الخطرين

في الشريعة الإسلامية

للأستاذ : أحمد فتحي بهنسي

ان السياسة الحكيمة هى التى ترعى مصلحة المجتمع وتحفظ له مقوماته وأهمها الأمن والطمأنينة فلا فائدة ترجى من مجتمع يعمه الفوضى ويسوده الفساد والاخلال بالسكينة .

لذلك نجد أن الفقهاء يؤكدون دواما بأن المجرم المعتاد المفسد يؤخذ بالشدة ولو تجاوزت عقوبته الحد بل قد يصل الأمر لقتله فى غير الحد .

حقيقة أنه ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى أحوال ثلاث : كفر بعد ايمان ، وزنا بعد احصان ، وقتل نفس بغير حق .

كما توجد أحاديث أخرى نص فيها على القتل فى غير هذه الحالات الثلاث مثل :

١ ـ الشذوذ الجنسى :

عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » . رواه أصحاب السنن .

٢ ـ قتل شارب الخمر اذا اعتاد ذلك .

فقد تواردت الروايات على أن شارب الخمر يقتل فى الرابعة . عن الترمذى وأبى داود عن معاوية ابن أبى سفيان رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شرب الخمر فاجلدوه فان عاد فى الرابعة فاقتلوه » .

٣ ــ قتل السارق اذا اعتاد ذلك:

روى عن عطاء وعمرو بن العاص وعبد الله بن عمر وعمر بن عبد العزيز ان سرق الخامسة قتل .

٤ ــ قتل من يزنى بذات محرم :

عن الترمذى والنسائى وأبى داود أن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: مر بى خالى أبو بردة بن نيار ومعه لواء فقلت أين تريد ؟ فقال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امراة أبيه أن آتيه برأسه . وعن عبد الله بن عباس : أن الرسول قال : « من وقع على ذات محرم فاقتلوه » .

فالأصل فى جريمة الزنا فى الشريعة أن عقوبة من يرتكبها ان كان غير محصن أى لم يسبق زواجه الجلد مائة جلدة والنفى مدة عام . وان كان محصنا فجزاؤه الرجم أى القتل رجما

بالحجارة ، الا انه فى الحالة التى ورد بها الحديث أتى الرجل فاحشة تخالف النواميس الطبيعية فكان جزاؤه القتل بصرف النظر عما اذا كان محصنا أو غير محصن .

وقد يوجد من عتاة المجرمين من لا يزول فساده الا بالقتل ولا يلحقه حد من الحدود التى تجيز القتل فهل يجوز للقاضى أو ولى الأمر تعزيره بالقتل ليكف أذاه عن الناس ويرتدع به غيره ؟

يرى البعض انه يجوز للامام التعزير بالقتل ويستدلون برأى مالك وبعض أصحاب احمد بجواز قتل الجاسوس المسلم اذا اقتضت المصلحة قتله . ورأى مالك وبعض أصحاب الشافعى واحمد فى قتل الداعية الى البدعة كالتجهم والرفض وانكار القدر للفساد فى الأرض لا للارتداد عن الدين .

وقد صرح بهذا الرأى أصحاب أبى حنيفة فى قتل اللوطى اذا أمعن فى ذلك تعزيرا .

عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم عين من المشركين وهو فى سفر فجلس مع أصحابه يتحدث ثم انفتل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اطلبوه فاقتلوه قال : فقتلته فنفلنى سلبه ، رواه البخارى وأبو داود .

قال ابن تيمية :

وقد يستدل على أن المفسد اذا لم ينقطع شره الا بقتله فانه يقتل ، بما رواه مسلم فى صحيحه ، عن عرفجة الأشجعى رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد ، يريد أن يشق عصاكم ، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » .

وكذلك قد يقال فى أمره ، يقتل شارب الخمر فى الرابعة ، بدليل ما رواه أحمد فى المسند عن ديلم الحميرى رضى الله عنه قال :

سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله انا بأرض نعالج بها عملا شديدا . وانا نتخذ شرابا من القمح نتقوى به على أعمالنا وعلى برد بلادنا ، فقال : هل يسكر؟ قلت : نعم . قال : فاجتنبوه . قلت : ان الناس غير تاركيه . قال : فان لم يتركوه فاقتلوهم .

وهذا لأن المفسد كالصائل فاذا لم يندفع الصائل الا بالقتل قتل . والحقيقة أن المصلحة العامة تقتضى

أن يعزر ولى الأمر بالقتل فهناك من المجرمين طائفة تخصصت فى أنواع من الفساد تضر به الأمة فى أموال ونفوس أبنائها ولا تلحقهم نصوص الحدود التى تستأصل شأفتهم ويلزم أن تشدد عليهم العقوبة التى تبعدهم عن المجتمع السليم حتى يطمئن الناس على أمنهم .

ورد فى ابن عابدين :

« رأيت فى الصارم المسلول للحافظ ابن تيمية أن من اصول الحنفية أن ما لا قتل فيه عندهم مثل القتل بالمثقل والجماع فى غير القبل اذا تكرر فللامام أن يقتل فاعله وكذلك له أن يزيد على الحد المقدر اذا رأى المصلحة فى ذلك ويحملون ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من القتل فى مثل هذه الجرائم على أنه رأى المصلحة فى ذلك ويسمونه القتل سياسة وكان حاصله أن له أن يعزر بالقتل فى الجرائم التى تعظمت بالتكرار وشرع القتل فى جنسها ولهذا أفتى أكثرهم بقتل من أكثر من سب النبى صلى الله عليه وسلم من أهل الذمة وأن أسلم بعد أخذه وقالوا يقتل سياسة » .

كما أن للامام قتل السارق سياسة أى ان تكرر منه ، ومن تكرر منه فى المصر الخنق قتل به سياسة لسعيه بالفساد .

وكل من كان كذلك يدفع شره بالقتل ـ كما أن الساحر أو الزنديق الداعى اذا أخذ قبل توبته ثم تاب لم تقبل توبته ويقتل ولو أخذ بعدها قبلت وأن الخناق لا توبة له .

المفسدون للأعراض :

ومنوجد رجلا مع امرأة لا تحل له ـ فله قتله ان كان يعلم أنه لا ينزجر بصياح وضرب بما دون السلاح والا فليس له ذلك .

ولو أكرهها فلها قتله ـ ودمه هدر . وان كانت المرأة مطاوعة قتلهما

ولو رأى الزوج مع امرأته رجلا وهو يزنى بها أو مع محرمة وهما مطاوعان قتلهما جميعا .

فالفرق الذى أورده الفقهاء هو بين الأجنبية والزوجة فمع الأجنبية لا يحل القتل الا بالشرط المذكور من عدم الانزجار ومع غيرها يحل القتل من غير هذا الشرط .

وفرق بعض الفقهاء قائلين : اذا كان الرجل مع المرأة التى لا تحل له قبل أن يزنى بها فهذا لا يحل قتله اذا علم أنه ينزجر بغير القتل سواء كانت أجنبية عن الواجد أم زوجة له أم محرما منه . أما اذا وجده يزنى بها فله قتله مطلقا . ولا ضمان عليه ولا يحرم من ميراثها ان اثبته بالبينة أو بالاقرار .

ولما كان هذا العقاب ليس من الحد بل من الأمر بالمعروف فلا يشترط فيه أحصان المتهم . ويدل على ذلك أن الحد لا يليه الا الامام .

وقياس هذا ما فى البزازية وغيرها : ان لم يكن لصاحب الدار بينة على أن من قتله كان يسرق من منزله ـ فان لم يكن المقتول معروفا بالشر والسرقة قتل صاحب الدار قصاصا وان كان متهما به فكذلك قياسا ، وفى الاستحسان تجب الدية فى ماله لورثة المقتول لأن دلالة الحال أورثت شبهة فى القصاص لا فى المال .

كذلك يحل قتل المكابر بالظلم وقطاع الطريق وصاحب المكس وجميع الظلمة .

اى اذا كان الشخص مسافرا ورأى قاطع طريق له قتله وان لم يقطع عليه بل على غيره لما فى ذلك من تخليص الناس من شره وأذاه .

وفى رسالة أحكام السياسة عن النسفى سئل شيخ الاسلام عن قتل الأعونة والظلمة والسعادة فى أيام الفترة .

قال : مباح قتلهم لأنهم ساعون فى الأرض بالفساد .

كما ذكر الصدر الشهيد عن الحنفية أنه يهدم البيت على من اعتاد الفسق وأنواع الفساد فى داره .

وقد هجم عمر رضى الله عنه على نائحة فى منزلها وضربها بالدرة حتى سقط خمارها فقيل له فيه فقال : لا حرمة لها بعد اشتغالها بالمحرم والتحقت بالاماء .

وروى أن الفقيه أبا بكر البلخى خرج الى الرستاق وكانت النساء على شط النهر كاشفات الرؤوس والذراع فقيل له كيف فعلت هذا ؟ فقال : لا حرمة لهن انما الشك فى ايمانهن كأنهن حربيات .

معتادو السرقة :

تقطع يد السارق اليمنى فى المرة الأولى فان سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى فان سرق بعد ذلك لم يقطع عند الحنفية استحسانا ولكنه يعزر ويحبس حتى يتوب وتظهر توبته .

وعند الشافعى تقطع يده اليسرى فى المرة الثالثة ، وفى المرة الرابعة تقطع رجله اليمنى ثم يحبس بعد ذلك .

وعند أصحاب الظواهر فى المرة الخامسة يقتل .

قطع الطريق :

قال الله تعالى :

« انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم . الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم » .

والآية صريحة من أن قاطع الطريق الذى يخل بأمن الناس وطمأنينتهم . اذا تاب قبل القدرة عليه فانه لا يعاقب على التفصيل الآتى :

١ ـ حقوق السلطة العامة :

قال مالك والشافعى وأصحاب الرأى وأبوثور والحنابلة : ان الحد يسقط عنهم لما ورد فى الآية الصريحة . فعلى هذا يسقط عنهم وجوب القتل والصلب والقطع والنفى .

٢ ـ حقوق الأفراد الخاصة :

تجب عليهم هذه الحقوق . فيبقى عليهم القصاص فى النفس والجراح وغرامة المال فى السرقة والدية اذا سقط القصاص ، والأرش أو الحكومة بحسب الأحوال .

هذا هو المفهوم من توبة المحارب ـ وعلى هذا جرى الصحابة . وفى

هذا يروى البيهقى عن الشعبى أن عثمان بن عفان استخلف أبا موسى الأشعرى . فلما صلى الفجر جاءه رجل من مراد فقال : هذا مقام العائد التائب أنا فلان بن فلان ممن حارب الله ورسوله . جئت تائبا من قبل أن تقدروا على . فقال أبو موسى : جاء تائبا من قبل أن تقدروا عليـــه فلا يعرض الا بخير .

كذا روى أشعث عن الشعبى أن سعد بن قيس سأل عــلى بن أبى طالب فقال له : يا أميـــر المــؤمنين ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله؟ فقال : أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض . قـــال : ثم قال : الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم . قال سعيد : وان كان حارثة بن بدر ؟ قال : وان كان حارثة بن بدر قال : فان جاء حارثة بن بدر تائبا فهـــو آمن ؟ . قال على : نعم فجاء به فبايعه وقبل ذلك منه وكتب له أمانا .

الا أن الامام ابن جرير الطبرى روى عن هشام بن عروة أنه أخبره أنهم سألوا عروة عمن تلصص فى الاسلام فأصاب حدودا ثم جاء تائبا . فقال : لا تقبل توبته لو قبل ذلك منهم اجترءوا عليه وكان فساد كبير .

فعروة بن الزبير حين رأى ما رأى من عدم قبول توبة من تـــاب قبـــل القدرة عليه وانه لهذا يكون مؤاخذا بما جنى بما فى ذلك اقامة الحد عليه . ويكون قد نظر الى درء المفـــــاسد التى تترتب على قبول توبة من جاء تائبا من أولئك الناس .

قال المرحوم الدكتور محمد يوسف موسى فى ذلك :

« ونحن من جانبنا نعتقد أن الخير فيما ذهب اليه عروة رضوان اللـــه عليه وبخاصة فى هذا الزمن الحاضر الذى ضعف فيه وازع الدين وكثر فيه المنافقون .

فلو عفونا عن حد كل من أظهر التوبة ، كنا نعفو عن كثيـــر ممـــن يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم ، وحينئذ تضيع حدود اللـــه . ويجرؤ المجرمون على انتهاك محارم اللـــه والاعتداء على الأبرياء ، ما دامـــوا يستطيعون أن يقولوا : تبنا وأنبنـــا الى اللـــه » (١) .



(١) وعروة بن الزبير : هو ابن العوام الأسدى القرشى أبو عبد الله أحد الفقهاء السـبعة بالمدينة . كان عالما بالدين . صالحا كريما ، لم يدخل فى شىء من الفتن . وانتقل الى البصرة ، ثم الى مصر فتزوج واقام بها سبع سنين . وعاد الى المدينة فتوفى فيها . وهو أخو عبد الله بن الزبير لأبيه وامه . « وبئر عروة » بالمدينة منسوبة اليــه .



مكتبة المجلة

اعداد الأستاذ
عبد الستار محمد فيض

من الفكر والقلب :

فصول من النقد فى العلوم والاجتماع والآداب بقلم الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى .

والكتاب يتناول طائفتين من الابحاث احداهما فكرية وعلمية والأخرى أدبية واجتماعية وكلاهما نقد وتحليل لجملة من المفاهيم المختلفة الشائعة فى مجتمعنا والكثير من هذه الابحاث كان قد نشر فى مجلات وجرائد مختلفة فى أزمنة متفاوتة والبعض منه جديد ينشر لأول مرة .

وقامت مكتبة الفارابى بدمشق بطبع هذا الكتاب فى ٣١١ صفحة .

أوراق من دفتر مسافرة فى الخليج العربى :

تسجيلات صحفية قامت بها الاديبة هداية سلطان السالم فى امارات الخليج العربى ، وقد جمعت هذه الملاحظات كثيرا من الاسرار التى تحيط بخليجنا العربى ولا يعرفها الكثير من أبناء الأمة العربية بل الكثير من أبناء الخليج أنفسهم واضافت اليها صورا التقطت على الطبيعة لاظهار مراحل التقدم المتزايد فيها .

والكتاب يحتوى على ٢٩٨ صفحة وقامت بطبعه مطبعة حكومة الكويت .

من اعلام العارفين :

الجزء الأول من كتاب يجمع بين دفتيه بحوثا وتراجم لبعض رجالات الأمة ممن عرفوا بالعلم المقترن بالزهد والتعبد وكان فى حياة هؤلاء العارفين صور رائعة للتوجيه الاسلامى واصداء عالية لنداء الفطرة الانسانية الزكية .

والكتاب من تاليف الأستاذ صادق محمود الجميلى وطبع دار النذير للطباعة والنشر فى بغداد ويحتوى على ١٠٠ صفحة .

الابحاث النافعة فى التربية والاخلاق والمواعظ الحسنة :

مقتطفات من أقوال المؤمنين فى الأخلاق المحمدية والمواعظ الحسنة جمعها السيد/محمد سعيد السيد أحمد الشبيب من دير الزور بسوريا فى كتيبات صغيرة صدر منها حتى الآن ثلاثون كتيبا .

وتحتوى هذه المجموعات على كثير من سير الصحابة وأفكار العلماء والحكماء والأدباء والشعراء والمصلحين المخلصين وهى توزع مجانا خدمة للاسلام والمسلمين .

ابن رشد

الطبيب الإسلامي

للدكتور
محمد عاطف العراقي

أولا : تقديم :

فى هذه المقالة سنقتصر — بعد أن نعرض بايجاز لاهم معالم حياته — على دراسة ناحية من نواحى نبوغ هذا الفيلسوف ، والتى — رغم اهميتها — لم تنل العناية التى تستحقها ، سواء من جانب المستشرقين أو الباحثين العرب . ونعنى بذلك مجال الطب عند مفكرنا الاسلامى .

وقد يكون سبب ذلك ، ان الشهرة التى نالها كتاب القانون لفيلسوف المشرق ابن سينا ، قد حجبت الاهمية الكبرى لمؤلفات فيلسوف المغرب ابن رشد فى مجال الطب ، والتى تصل فى بعض القوائم الى عشرين مؤلفا .

وقد يكون سبب ذلك ايضا ، أن ذيوع صيت فيلسوفنا بين اللاتين كشارح لأرسطو ، قد ارتفع الى الحد الذى حجب شهرته كطبيب ومؤلف لكتب هامة فى مجال الطب وفى مقدمتها كتاب (الكليات) الذى سنتحدث عنه بعد قليل .

قلنا ان دراسة هذا المجال لم تنل العناية التى تستحقها . وهذا يجعل مهمة الباحث فى طب ابن رشد مهمة عسيرة ، نظرا لأنه لا زال مجالا بكرا الى حد كبير . ولكننا سنحاول من جانبنا دراسة هذا الجانب رغم ما فيه من غموض وصعوبة ، آملين أن نكون قد وفينا جزءا من جانبنا نحو هذا المفكر العملاق الذى يحق لنا معشر المشتغلين بالفكر الاسلامى العربى ، أن نفخر بانتاجه ونزهو بما حققه من نفوذ طوال عدة قرون جاءت بعده وخاصة اننا — كما قلنا — نعيش الآن فى ذكراه الخالدة .

ثانيا : مصادر حياة الطبيب الفيلسوف ابن رشد :

يمكن القول — اعتمادا على ما يذكره E. Renan أن أهم المصادر القديمة التى نرجع اليها فى دراسة حياة ابن رشد هى :

١ — اشارة موجزة خص بها ابن الأبار فيلسوفنا ابن رشد ، حين قيامه باكمال معجم التراجم لابن بشكوال . ٢ — مقالة طويلة ضمن تكملة لمعجمى ابن بشكوال وابن الابار ، وقد كتبها أبو عبد الله محمد بن أبى عبد الله محمد بن عبد الملك الانصارى المراكشى . ٣ — دراسة وجيزة لابن أبى أصيبعة فى كتابه الشهير « طبقات الاطباء » . ٤ — مقالة للذهبى تحدث فيها عن اضطهاده ونكبته أيام يعقوب المنصور . ٥— مقالة ليون الافريقى فى مؤلفه « مشاهير الرجال عند العرب » . ٦ — الاشارات بعضها يغلب عليه الايجاز ، لمؤرخى الاندلس ، وخاصة عبد الواحد المراكشى فى كتابه القيم « المعجب فى تلخيص اخبار المغرب » . ٧ — بالاضافة الى ذلك ، فهناك بعض العبارات المتناثرة بين ثنايا مؤلفات ابن رشد نفسه ، وتشير من بعض زواياها الى حياته .

ويظهر — كما يقول E. Renan ان ابن الأبار والانصارى يعدان أكثر معرفة باخبار ابن رشد ، اذ أنهما قد استندا فى سرد اخباره على من عرف فيلسوف قرطبة وطبيبها معرفة صحيحة ودقيقة . وكذلك تستحق اخبار عبد الواحد المراكشى الثقة التامة ، وان كان قد ظهر بعد ابن رشد بجيل ، اذ أن الاخبار التفصيلية التى رواها عن ابن زهر وابن باجه وابن طفيل ، تدلنا على أنه عرف بدقة المجتمع الفلسفى فى زمانه . أما ابن أبى اصيبعه فقد جمع أخباره من القاضى أبى مروان الباجى . واذا سلمنا بأن القاضى هذا ، عرف ابن رشد معرفة شخصية ، فان ترجمة ابن أبى أصيبعة لحياة ابن رشد تعد ترجمة صادقة .

ثالثا : نشأة ابن رشد والبيئة الفكرية التى عاش فيها :

ولد طبيبنا أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد فى قرطبة عام ١١٢٦م (٥٢٠هـ) وقد اتفق ابن الأبار والانصارى على هذا التاريخ ، كما روى أنه مات فى عام ٥٩٥هـ = ١١٩٨م .

وعلى وجه التحديد — كما يقول S. Munk فى ليلة الخميس التاسعة من صفر التى توافق العاشر من ديسمبر .

واذا ذكرت قرطبة ، فقد ذكرت مدينة من أعظم المدن بالاندلس ، اذ ينتسب اليها جماعة كبيرة من أهل العلم . يقول ابن بسام فى كتابه « الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة » كانت قرطبة منتهى الغاية ، ومركز الراية ، وأم القرى ، وقرارة أهل الفضل والتقى ، ووطن أولى العلم والنهى ، وقلب الاقليم ، وينبوع متفجر العلوم ... ومن أفقها طلعت نجوم الارض وأعلام العصر وفرسان النظم والنثر وبها ألفت التاليفات الرائعة وصنفت التصنيفات الفائقة .

وابن رشد نفسه طالما اعتز بقرطبة اعتزازا كبيرا ، بل كثيرا ما ذكرها — كما يقول Renan — بين ثنايا مؤلفاته وشروحه . فمثلا في شرحه لكتاب جوامع السياسة حينما ذكر زعم افلاطون بان اليونان شعب ممتاز في الثقافة العقلية ، ادعى للاندلس عامة ولقرطبة على وجه الخصوص هذا الامتياز . وفي كتابه « الكليات في الطب » اكد لنا ان الاقليم الذى تقع فيه قرطبة هو اطيب الاقاليم . واذا رجعنا الى كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب للمقرى ، نجد خبر تلك المناظرة التى جرت في حضرة ملك المغرب ، المنصور يعقوب ، بين الفيلسوف ابن رشد وابى بكر ابن زهر ، وكان هذا الاخير من اهل اشبيلية ، حول تفضيل اى البلدين على الآخر . فيقول ابن رشد : اذا مات عالم باشبيلية واريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها . وان مات مطرب بقرطبة واريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية .

هذا عن قرطبة التى اجمعت كتب التاريخ على وجود نهضة ثقافية فيها اكثر من غيرها من مدن الاندلس . اما عن اسرته ، فاننا يمكننا ان نعتبرها من الأسر التى كانت تتمتع بالوجاهة والشهرة ، كما كانت تتمتع بتقدير عظيم في مناصب القضاء . وقد شجع وجود ابن رشد بين أفراد هذه الأسرة على الاشتغال بالنواحى الثقافية والتاليف في مختلف فروع المعرفة . فالجد كان قاضيا للجماعة بقرطبة ، كما كان فقيها عالما حافظا للفقه مقدما فيه على جميع اهل عصره . والاب لم يكن ليقل تعمقا في الفقه عن جد ابن رشد هذا . وابن رشد نفسه قد حفظ كتاب الموطا عن ابيه كما يحكى ذلك ابن الابار .

والمهم عندنا ان ابن رشد قد نشأ في جو يفيض بالعلم والمعرفة . كما اكب على دراسة الشريعة الاسلامية والفقه المالكى ، بل درس الادب والشعر ، واتجه الى التعمق في الطب والرياضيات والفلسفة وعلم الكلام . واذا رجعنا الى كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابى اصيبعة ، وجدناه يذكر الكثير من العلماء والفلاسفة سواء كانوا اساتذة لفيلسوفنا ، أم كان بينه وبينهم صلات فكرية . فمنهم ابن بشكوال وابى جعفر المنصور وابن مسرة وابن طفيل . اما ابن باجة فاننا نرجح أنه لم تنشأ بينه وبين فيلسوفنا صلات فكرية . دليل هذا ان فيلسوفنا كان في الثانية عشرة من عمره حين توفى ابن باجة سنة ١١٣٨م . وهذه السن بطبيعتها لا تسمح بالاتصال الفكرى بينهما .

كما كان من الاحداث الهامة في حياته ، اتصاله بأمير المؤمنين ابى يعقوب يوسف ، الذى يحكى عنه المؤرخون ، انه كان ذا ثقافة غزيرة ، وانه كان مطلعا على الفلسفة ورجالها . واتصاله بأمير المؤمنين هذا ، كان من الاسباب التى دفعته الى شرح أرسطو .

بعد ذلك تأتى نكبته ، ونكبته نكبة للفلسفة والاضطهاد للمشتغلين بها . اذ أن الأمير ابا يعقوب الذى طالما شجعه ، قد توفى ، وخلفه ابنه يوسف الملقب بالمنصور . واذا كان هذا الاخير قد كرم ابن رشد تكريما عظيما ، الا ان نكبة فيلسوفنا وطبيبنا قد حدثت في عهده (1) .

رابعا : اهتمامه بمجال الطب :

قلنا ان فيلسوفنا وطبيبنا ابن رشد قد خاض في ميادين عديدة . اذ اننا لو اخذنا في دراسة نتاج واحد واحد من مفكرى الاسلام ، لم نجد منهم من كان اعمق تاثيرا واقوى بريقا من هذا المفكر العملاق .

فاذا انتقلنا من ميدان الفلسفة التى طالما بحث فيها المؤلفون من مستشرقين وعرب ، الى ميدان الطب ، وجدنا ابن رشد قد ساهم مساهمة كبيرة في هذا الميدان . وقد تتلمذ طبيبنا على ابى جعفر هارون ودرس عليه الطب ولزمه مدة . وهذا ما تحكيه لنا كتب التراجم التى عنيت بالترجمة لفيلسوفنا . كما انه درس دراسة عميقة كتب الطب التى الفها

(1) لمعرفة تفصيلات هذه النكبة واسبابها ، يمكن الرجوع الى كتابنا : النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٦٨ م .

من سبقوه فى هذا المجال . فاذا رجعنا الى قوائم مؤلفاته ، وجدناه قد افاض فى شرح وتلخيص كثير من كتب جالينوس وابن سينا وغيرهما .

وقد ظهر اثر ذلك كله فى كثير من الكتب التى الفها ابن رشد . ويكفى على ذلك دليلا ، كتاب الكليات ، ذلك الكتاب الذى عرف فى العصر الوسيط ، واشتهر شهرة كبيرة ، وان كانت تلك الشهرة لم تبلغ الشهرة التى بلغها كتاب « القانون » لابن سينا ، كما قلنا ذلك فى بداية هذه المقالة .

لم يقتصر ابن رشد على التاليف فى الطب ، بل انه اشتغل بالطب عمليا . اذ ان بعض مترجمى حياته يقولون انه كان يلجا الى فتواه فى الطب ، كما يلجا الى فتواه فى الفقه ، حتى تولى منصب الطبيب الخاص للخليفة يوسف ، محتلا بذلك المقام الاول بين علماء الاندلس .

ومن الجدير بالذكر ان ابن رشد — كما سنوضح بعد قليل — لم يخرج الطب عن مجال الفلسفة . فالعصر الذى عاش فيه ، كان عصر ادخال للعلوم كلها فى اطار الفلسفة ، طبقا للنظرة الأرسطية للفلسفة ، والتى كانت عنده دراسة شاملة للوجود ككل ، بما يشمله هذا الوجود فى مجالات عديدة يعنى كل مجال منها بناحية معينة . ولا يخفى ان هذا على النقيض من نظرتنا الى الطب الآن ، والذى اصبح علما مستقلا قائما بذاته، له مناهجه التجريبية التى تقوم على الملاحظة والتشريح والاجراء التجارب العملية .... الخ .

هذا ولم يدرس فيلسوفنا الطب الا من جهة الأمور العامة الكلية لا النواحى التفصيلية الجزئية . وهذا واضح من عنوان كتابه « الكليات » . فهو قد درس جميع انواع الامراض المعروفة حتى عصره دراسة عامة ، دون ان يتطرق الى البحث فى التفاصيل الفرعية . ولهذا نجده يوصى صديقه ابا مروان عبد الملك بن زهر ، وهو من كبار اطباء عصره ان يضع كتابا فى الامور الجزئية ، لتكون جملة كتابيهما كتابا شاملا فى صناعة الطب . يقول ابن رشد : فمن وقع له هذا الكتاب « الكليات » ، دون هذا الجزء ، واحب عليه ان ينظر بعد ذلك فى الكنانيش .

خامسا : مؤلفاته فى ميدان الطب :

(١) كتاب الكليات :
Culliyyat Generalites:

اشرنا الى هذا الكتاب منذ قليل . ويعتبر هذا الكتاب عمدة كتبه فى مجال الطب . وقد اشادت المراجع التى تعرضت للبحث فى مؤلفات ابن رشد الطبية ، بهذا الكتاب . ويرجع Leon Gauthier فى كتابه Averroes ان ابن رشد قد الف هذا الكتاب ما بين عام١١٦٢ وعام ١١٦٩م .

اما S. Munk, E. Renan فيرجحان ان هذا الكتاب قد الفه ابن رشد قبل عام ١١٦٢م ويستدلان على ذلك بان ابن رشد كان يذكر اسم صديقه ابن زهر وهو الذى توفى عام ١١٦٢م ، كمعاصر له ولا زال حيا .

وقد ذكر هذا الكتاب ابن ابى اصيبعة وابن الابار . وكذلك نجده مذكورا فى القوائم الحديثة التى اعتمدت على فحص قوائم المكتبات الكبرى التى تحتوى على بعض مؤلفات ابن رشد كمكتبة الاسكوريال باسبانيا والمكتبة الاهلية بباريس .

وجدير بالذكر ان هذا الكتاب لم يحقق حتى الآن تحقيقا علميا دقيقا . لكن توجد له نسخة منقولة بالتصوير الشمسى عام ١١٣٩م . وهو من منشورات معهد فرانكو (لجنة الابحاث المغربية الاسبانية) .

والقارىء لهذا الكتاب الذى يتضمن سبعة اجزاء ، يجد ان ابن رشد قد تاثر تاثرا كبيرا

بآراء ارسطو الفلسفية ، وطالما نجده قد استفاد منها في تقرير نظرياته الطبية ، بالاضافة الى نقده لاسلافه في بعض النواحي العلاجية .

(٢) شرح ارجوزة ابن سينا في الطب :
Commentaire Sur Le Poeme Medical d' Ibn Sina Appele Ardjuza

ويقول E. Renan عن هذا الشرح انه من اكثر تآليف ابن رشد انتشارا . وجدير بالذكر ان هذا الشرح يوجد مخطوطا بنصه العربى في عدة مكتبات . ومن هذه المخطوطات نسخة موجودة بدار الكتب المصرية مع مجموعة .

والمهم في هذا الشرح ان طبيبنا ابن رشد يؤكد فيه وهو يشرح طب ابن سينا ، المبادىء التى انتهى اليها في كتابه « الكليات » . فيذهب الى ان صناعة الطب تتكون من مبادىء العلم الطبيعى ومن مبادىء صناعة الطب التجريبية ، ومنها التشريح . ومعنى هذا انه لا بد من معرفة الكليات التى تحتوى عليها هذه الصناعة – اى صناعة الطب – ، يضاف اليها طول المزاولة . بحيث اذا زاول الانسان اعما لهذه الصناعة ، حصلت له كما يقول ابن رشد – مقدمات تجريبية ، يقدر بها ان يوجد تلك الكليات في المواد .

وهذا يؤدى بابن رشد الى التاكيد على ضرورة الجمع بين العلم والتجربة ، او بين الاسس النظرية والتطبيقات العملية . فهو يقول انه لا بد من العلم مع التجربة ، « لانه ليس يكتفى في هذه الصناعة بالعلم دون التجربة ، ولا بالتجربة دون العلم » ، ولذلك كان من شرط الطبيب ان يكون مع قيامه على علم الطب مزاولا لأعماله .

(٣) الترياق : De La Theriaque

ويشير ابن رشد الى هذا الكتاب بين تضاعيف كتابه الكبير في الطب « الكليات » . ويقول E. Renan : ان هذا الكتاب يوجد بنصه في مكتبة الاسكوريال باسبانيا ، بالاضافة الى وجود ترجمات لاتينية وعبرية له في كثير من المكتبات .

(٤) في المزاج المعتدل Des temperaments egaux Un traite De

(٥) رسالة المفردات Simplicibus

ويقول E. Renan ان الموجود في هذه الرسالة يخالف الموجود في الرسالة التى تحمل نفس الاسم والتى نشرت باللاتينية ، اذ ان هذه الرسالة الاخيرة هى نفسها القسم الخامس من كتاب الكليات .

(٦) تنوع المزاج وتباينه :
Des temperamen torum differentiis

يقول E. Renan ايضا انه توجد نسخة من هذه المقالة بنصها العربى .

(٧) عرض كتاب طريقة الشفاء لجالينوس .

(٨) عرض كتاب الادوية المفردة لجالينوس De Medicaments Simples .

(٩) عرض كتاب المزاج لجالينوس
De Temperamentis De Gadien

(١٠) عرض كتاب الاسطقسات لجالينوس
Istouchisat De Galien

(١١) عرض لمقالات جالينوس الخاصة بتشخيص الاعضاء المصابة .

(١٢) مباحثات متبادلة بين ابى بكر بن طفيل وبين ابن رشد في وصفه للدواء في كتابه المسمى بالكليات .
Traites echanges entre Abou Bekr Ibn Tofail et Ibn Roshd sur le chapitre des medicaments, tel qu il se trouvedansson liver intitule Culliyyat.

(١٣) كتاب في حميات العفونة
Les Fievres Putrides

(١٤) مسالة في تناوب الحمى
La fievre Intermittente.

(١٥) نظام الملينات في الطب
Canones de Medicinis Laxativis

(١٦) في وسيلة التناسل de spermate

(١٧) اجابات او ارشادات في موضوع الاسهال .
Reponses ou Conseils touchant la diarrhee

(١٨) عرض او شرح وسيط لكتاب الحميات لجالينوس De Febribus de galien

(١٩) عرض لكتاب القوى الطبيعية لجالينوس De Facultatibus Naturalibus

(٢٠) عرض لكتاب علل الأمراض واعراضها لجالينوس .

هذه هى الكتب الطبية التى تنسب لفيلسوفنا وطبيبنا ابن رشد . منها — كما هو واضح — ما قام ابن رشد بتأليفه ، ومنها ما هو شرح على كتب الاطباء الذين سبقوه كجالينوس وابن سينا . ولكن يجب القول بانه فى شرحه لم يقتصر على مجرد العرض فقط ، بل انه كثيرا ما يوجه سهام نقده الى آراء بدت عنده آراء خاطئة . وهذا كما سيتضح — سبب اهتمامه بمؤلفات جالينوس بالذات .

سادسا : عرض لأهم معالم آرائه الطبية من خلال كتابه « الكليات » :

قلنا ان البحث فى طب ابن رشد جدير بالنظر والدراسة المستفيضة . اذ من العار أن تظل أكثر كتب ابن رشد الطبية ، بل كلها ، اذا استثنينا « الكليات » ، حبيسة قاعات المخطوطات ، تتآكل أوراقها يوما بعد يوم . ان واجبنا البحث عن مخطوطات مؤلفاته وشروحه الطبية فى مكتبات العالم شرقا وغربا والعمل على تحقيقها ونشرها نشرا علميا دقيقا حتى يمكننا البحث فيما احتوت عليه هذه المؤلفات والشروح ، وحتى نكون قد قمنا بواجبنا نحو فيلسوف وطبيب لقى اهمالا كبيرا من جانب ابناء دينه ووطنه ، فى الوقت الذى احتفلت فيه أوربا بهذا الفيلسوف احتفالا كبيرا ، بحيث لقيت الدراسات حول كتب فيلسوفنا فى أوروبا الكثير من العناية .

وفى السطور التالية سنحاول من جانبنا عرض أهم آرائه الطبية ، وخاصة من خلال أهم مؤلفاته الطبية على وجه الاطلاق ، وهو كتاب الكليات .

(١) موضوع صناعة الطب والاقسام التى تنقسم اليها هذه الصناعة :

الدارس لمؤلفات وشروح طبيبنا ابن رشد يجد أن نزعته الفلسفية قد اثرت فى آرائه الطبية كما يجد أن ابن رشد يتأثر بارسطو اكثر من تأثره بجالينوس . بل انه فى كثير من المواضع لا يتردد فى تفضيل آراء الأول على آراء الثانى . فهو اذا كان قد عقد كثيرا من الصفحات فى كتبه الفلسفية والتى تتحدث عن عظمة أستاذه أرسطو وتفضيله على ما عداه من مفكرى البشرية قاطبة ، فان التأثر بارسطو لم يقتصر على مجال الفلسفة عند ابن رشد ، بل نجده قد تعدى ذلك الى ميدان الطب .

وسننقل فيما يلى نصا لابن رشد من كتابه « الكليات » يوضح لنا موضوع صناعة الطب ، والاقسام التى تنقسم اليها هذه الصناعة .

يقول ابن رشد (ص ٧ من الكتاب المذكور آنفا) : ان صناعة الطب صناعة فاعلة عن مبادىء صادقة يلتمس بها حفظ بدن الانسان وابطال المرض ، وذلك باقصى ما يمكن فى واحد واحد من الابدان . فان هذه الصناعة ليس غايتها أن تبرىء ولا بد ، بل أن تفعل ما يجب بالمقدار الذى يجب ، وفى الوقت الذى يجب ، ثم تنتظر حصول غايتها ، كالحال فى صناعة الملاحة وقيادة الجيوش .

ولما كانت الصنائع الفاعلة بما هى صنائع فاعلة تشتمل على ثلاثة أشياء : أحدها معرفة موضوعاتها ، والثانى معرفة الغايات المطلوب تحصيلها فى تلك الموضوعات ، والثالث معرفة الآلات التى تحصل بها تلك الغايات فى تلك الموضوعات ، انقسمت باضطرار صناعة الطب أولا الى هذه الاقسام الثلاثة .

فالقسم الاول الذى هو معرفة الموضوعات يعرف فيه الاعضاء التى يتركب منها بدن الانسان البسيطة والمركبة . ولما كانت الغاية المطلوبة هنا صنفين : حفظ الصحة وازالة المرض انقسم هذا الجزء الى قسمين : أحدها يعرف فيه ما هى الصحة لجميع ما به تتقوم ، وهى الاسباب الاربعة التى هى العنصر والصورة والفاعل والغاية وجميع لواحقها .

والقسم الثانى يعرف فيه ما هو المرض ايضا بجميع أسبابه ولواحقه .

ولما كان أيضا ليس فى معرفة ماهية الصحة والمرض كفاية فى حفظ هذه وازالة هذا ، انقسم هذان الجزءان ايضا الى جزئين آخرين احدهما يعرف فيه كيف تحفظ الصحة والثانى كيف يبطل المرض .

ولما كانت الصحة ايضا والمرض ليسا بينين بانفسها من اول الامر فقد احتيج ايضا الى تعرف العلامات الصحية والمرضية ، وصار هذا احد اجزاء هذه الصناعة .

من النص الذى ذكرناه فيما سبق ، ومن استعراض بعض الفصول التى كتبها الطبيب الفيلسوف ابن رشد ، يمكننا أن نقول ان صناعة الطب عنده تنقسم الى سبعة اجزاء يعرض لها ابن رشد بالتفصيل (١) .

فهو يذكر فى الجزء الأول اعضاء الانسان التى شوهدت بالحس . ويعرف فى القسم الثانى ، الصحة وانواعها ولواحقها . والثالث المرض بانواعه واعراضه . والرابع العلامات الصحية والمرضية . والخامس ، الآلات وهى الاغذية والادوية . والسادس ، الوجه فى حفظ الصحة . والسابع ، الحيلة فى ازالة المرض .

(٢) العلاقة بين الطب والعلم الطبيعى :

قلنا فيما سبق أن ابن رشد لم يشأ اخراج الطب من دائرة الفلسفة ، وهذا هو السبب فى اننا نجد الأثر الفلسفى بارزا فى طبه وفى طب الأقدمين بوجه عام كجالينوس وغيره .

واذا كان ابن رشد ، شأنه فى ذلك شأن ارسطو ، قد جعل الحكمة او الفلسفة تبتلع فى جوفها سائر العلوم بحيث تبدو العلوم وكأنها تتفرع بعضها عن البعض مكونة بذلك نسق الفلسفة ، فان ذلك قد دفع طبيبنا ابن رشد الى بيان العلاقة بين الطب والعلم الطبيعى .

وسنحاول فى السطور التالية بيان تصور ابن رشد لهذه العلاقة ، وذلك على ضوء ما كتبه فى « الكليات » وفى « شرح ارجوزة ابن سينا فى الطب » ، وكذلك بعض العبارات المتناثرة هنا وهناك فى كتبه الفلسفية كتهافت التهافت .

يذهب ابن رشد الى أن الطب صناعة تؤخذ مبادئها من العلم الطبيعى . بيد أن العلم الطبيعى يعد نظريا ، اما الطب فيعد عمليا . وعلى ذلك فاننا اذا تكلمنا فى شىء مشترك للعلمين ، فان ذلك يكون فى جهتين .

نوضح ذلك فنقول بان صاحب العلم الطبيعى اذا كان ينظر فى الصحة والمرض من حيث هما من اجناس الموجودات الطبيعية ، فان الطبيب ينظر اليهما — أى الصحة والمرض من حيث أنه يحفظ احدهما ويبطل الآخر ، اى يبقى على الصحة ويعمل على ازالة المرض .

يقول ابن رشد (كتاب الكليات ص ٨) : ينبغى أن تعلم ان صاحب العلم الطبيعى يشارك الطبيب ، اذ كان بدن الانسان احد اجزاء موضوعات صاحب العلم الطبيعى . لكن يفترقان بان هذا ينظر فى الصحة والمرض من حيث هى احد الموجودات الطبيعية ، وينظر الطبيب فيهما من حيث يروم حفظ هذه وازالة تلك .

ويصعد ابن رشد من ذلك الى تقرير العلاقة بين العلم الطبيعى والطب . فالصناعات التى تتسلم عنها صناعة الطب كثيرا من مبادئها بعضها نظرية ، وهى العلم الطبيعى ، وبعضها عملية ، وهذه منها صناعة الطب التجريبية ، ومنها صناعة التشريح . أما صناعة الطب من حيث هى شىء عملى ، فانه يستفاد منها معرفة قوى وخصائص اكثر الأدوية ، وذلك لأن الذى يدرك منها بالقياس شىء نزر بسيط لا يكفى فى تكامل وجود هذه الصناعة . فاذن الصناعة الطبية

---

(١) يمكن الرجوع لمعرفة هذه التفصيلات الى كتابنا : « النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد » ص ٣٥ وما بعدها (طبعة دار المعارف بالقاهرة) .

القياسية تقتصر على أسباب ما أوجدته الطريقة التجريبية .

يتضح لنا من هذا كله ، وخاصة من تلك العبارة الاخيرة ، كيف أن ابن رشد يولى الطرائق التجريبية عناية كبيرة ، ويجمع بين الناحية النظرية والناحية العملية . واذا كنا قد قلنا فيما سبق ان ابن رشد قد أثرت فيه الآراء الفلسفية النظرية ، فان ذلك لم يمنعه من أن يعترف باهمية الناحية العملية ودورها فى الابحاث الطبية والطرق العلاجية .

(٣) مصدر حركة الجسم :

اشرنا فى الصفحات السابقة الى ان ابن رشد قد توفر على دراسة كتب من سبقه من اطباء وخاصة جالينوس الطبيب الكبير — . كما بينا ان ابن رشد كثيرا ما يفضل آراء الفيلسوف أرسطو على آراء الطبيب جالينوس وسنكتفى فيما يلى بايراد رأى واحد من الاراء المبثوثة بين تضاعيف كتاب الكليات بصفة خاصة . رأى يدرس مصدر حركة الجسم ويبين لنا نقد ابن رشد لجالينوس .

يتساءل ابن رشد عن مصدر حركة الجسم ، ويرى أنه الحرارة الغريزية التى فى أبدان الحيوان . ولذلك متى بردت الاعضاء بطلت حركتها .

واذا كان جالينوس قد انتهى الى القول بان مصدر هذه الحرارة هو الدماغ ، وانها تنبث منه فى الاعصاب الى جميع البدن ، مستدلا على ذلك بالقول بان الافعال الادراك الحسى والحركة يتأثر بكل ما يصيب الدماغ من ألم ، فان ابن رشد يذهب الى أن الدماغ يعد فى الواقع خادما للقلب ، وعلى ذلك تكون الحرارة مصدرها أساسا القلب لا الدماغ .

واذا تأملنا فى قول ابن رشد هذا ، تبين لنا كيف أن ابن رشد قد انحاز تماما الى رأى أرسطو ، الذى يعتبر القلب عضوا أصليا ، ويعده مصدرا لجميع وظائف الحياة الحيوانية . يقول ابن رشد : « انه يظهر أن الماشى فى حين مشيته تنتشر فى بدنه حرارة لم تكن قبل . والعضو الذى فى من شأنه أن تنتشر منه الحرارة فى جميع البدن ، هو القلب لا شك فيه . ولذلك متى طرأ على الانسان شىء يفزعه وانقبضت الحرارة الغريزية الى القلب ، ارتعشت ساقاه ، حتى أنه ربما سقط ولم يقدر أن يتحرك .

وهكذا يضرب لنا ابن رشد الكثير من الامثلة التى يرى انها تدلل على رأيه فى ان القوة المدبرة التى تقدر هذه الحرارة الغريزية فى الكمية والكيفية ، هى فى القلب ضرورة . كما أن مركز الادراك الحسى انما يتمثل فى الحرارة الغريزية التى توجد فى القلب بذاتها كما توجد فى سائر الاعضاء بما يصل اليها من الشرايين النابتة من القلب . أما الدماغ الذى يقول به جالينوس فانه لا يمكن ان يكون ينبوع الاحساس بل ان عمله لا يتعدى تعديل الحرارة الغريزية فى آلة الحس .

. . . . .

لعلنا بعد ذلك كله نكون قد أوضحنا أهم معالم الآراء الرئيسية لابن رشد فى مجال الطب . وكيف كان يتأثر تارة وينقد تارة ويضيف آراء خاصة به تارة ثالثة . كل ذلك نتيجة لتعمقه فى البحث واجتهاده فى محاولة الوصول الى الحقيقة بما تشمله من مجالات عديدة . ونعتقد ان واجبنا نحو هذا الفيلسوف الطبيب يقتضى منا البحث عن كتبه فى جميع المكتبات المتفرقة شرقا وغربا ، والعمل على نشرها ودراستها ، حتى تظهر أمامنا الصورة الصحيحة والدقيقة لمفكر اسلامى جبار .

مائدة القارئ

يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ..

خطبة النصر

لما انجز الله وعده ، ودخل صلاح الدين مدينة القدس غمر الفرح قلوب المسلمين فى جميع الاقطار ، واخذ الشعراء والأدباء والخطباء يهنئون بالفتح المبين ويشيدون بجهاد جند المسلمين ، وقد عثرنا على خطبة الجمعة التالية للقاضى محمد ابن على المعروف بابن الزكى :

أيا الناس : ابشروا برضوان الله الذى هو الغاية القصوى ، والدرجة العليا لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة ، وردها الى مقرها من الاسلام بعد ابتذالها على أيدى المشركين ، وتطهير هذا البيت الذى أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه ، فلولا أنكم ممن اختاره الله من عباده واصطفاه من سكان بلاده لما خصكم بهذه الفضيلة التى لا يجاريكم فيها مجار ، فطوبى لكم ، فقد ظهرت على أيديكم من المعجزات النبوية والواقعات البدرية والعزمات الصديقية والفتوحات العمرية ..

جددتم للاسلام أيام القادسية والملاحم اليرموكية ، والهجمات الخالدية ، فجزاكم الله عن نبيه صلى الله عليه وسلم افضل الجزاء ، وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم فى مقارعة الاعداء ، وتقبل منكم ما تقربتم به اليه من اهراق الدماء ، واثابكم الجنة فهى دار السعداء .

نبى الملحمة

عن أبى موسى قال سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه اسماء منها ما حفظنا ، قال انا محمد واحمد والمقفى والحاشر ونبى التوبة والملحمة .

قانون فطرى

ان الدجاجة اذا هبت تحمى افراخها استماتت ، فانقلبت صقرا .

والقطة اذا ضويقت وغضبت صارت نمرا .

والماء اذا اندفع كان سيلا مدمرا .

والهواء اذا انفجر كان اعصارا مخربا .

ولولا الضغط ما ثقب المسمار الخشب ، ولا اطلق المدفع القنبلة .

أعدها : ابو نزار

الزواج بالأجنبية

لما كانت (القادسية) لم يجد الناس نساء مسلمات ، فتزوجوا نساء أهل الكتاب ، فلما كثر المسلمات بعث عمر بن الخطاب الى حذيفة بن اليمان بعد ما ولاه (المدائن) رسالة يقول فيها :

بلغنى أنك تزوجت امرأة من أهل الكتاب فطلقها ..

فكتب اليه : لا افعل حتى تخبرنى أحلال أم حرام ، وما أردت بذلك ؟

فكتب اليه عمر : لا بل حلال ، ولكن فى نساء الأعاجم خلابة ، وان اقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم .

فقال حذيفة : الآن ، وطلقها .

الثعبان فى راسه

أصيب احد الفلاسفة فى أواخر عمره بتوهم أن فى أمعائه ثعبانا ، فراجع الأطباء ، وسأل الحكماء ، فكانوا يخفون الضحك حياء منه ، ويخبرونه أن الأمعاء قد يسكنها الدود ، ولكن لا تقطنها الثعابين ، فلا يصدق .

وأخيرا راجع طبيبا حاذقا بصيرا بالنفسيات ، فسقاه مسهلا وادخله الموضع الذى يقضى فيه حاجته بعد أن وضع له فيه ثعبانا ، فلما قضى المريض حاجته رأى الثعبان ، فأشرق وجهه ، ونشط جسمه ، واحس بالعافية .

ولما سئل الطبيب عن سبب نجاحه فى شفاء الرجل قال :

ما شفى الشيخ لأن ثعبانا كان فى بطنه ، فنزل ، بل لأن ثعبانا كان فى رأسه ، فطار .

مساكن ذوى الدخل المحدود

انشئت فى (السويد) جمعية اسمها (جمعية امناء الازهار) عملها جمع الاموال التى يشترى الناس بها طاقات الزهور التى تهدى فى العرس ، واكاليل الورود التى تحمل مع الجنازة ثم توضع على القبر ، وانفاقها فى بناء مساكن صحية للعمال والفقراء وقد تمكنت الجمعية من بناء خمسة آلاف مسكن حتى الآن .

بطيخ مجفف

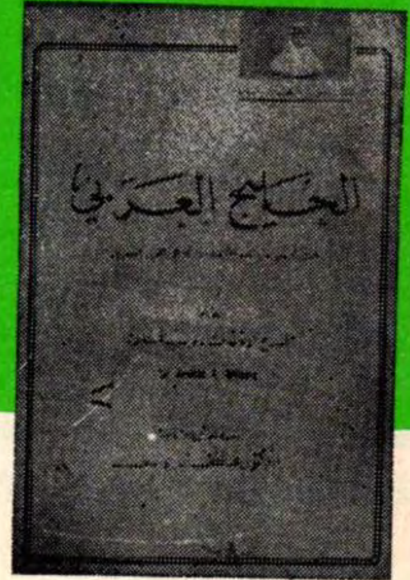
قال الرحالة ابن بطوطة عن بطيخ خوارزم : انه لا نظير له فى بلاد الدنيا ، ومن العجائب انه يقدد وييبس فى الشمس ، ويجعل فى القواصر ويحمل من خوارزم الى اقصى بلاد الهند والصين ، وليس فى جميع الفواكه اليابسة اطيب منه .

سمكة القرش

قال ناصر خسرو : كنت فى سفينة محملة بالجمال لامير مكة ، فمات جمل منها فرموه فى البحر ، فابتلعته سمكة فى الحال ، ولم يبق خارج فمها الا رجله ، فجاءت سمكة اخرى وابتلعت هذه السمكة بالجمل ، ولم يظهر عليها أى اثر ، ويسمى هذا السمك القرش .

كتاب الشهر

الخليج العربي



تاليف : سير ارنولد . ت . ويلسون

عرض وتعليق : الأستاذ عبد المعطى بيومي

يتركز الاهتمام العالمى على هذه البقعة من غرب آسيا الجنوبى ـــ منطقة الخليج العربى ـــ حيث تلعب هذه المنطقة دورا رئيسيا فى حياة الوطن العربى بل فى حياة العالم كله بما تحمل من ثروة اقتصادية هائلة تكمن فى عروق النفط التى تمتد على شواطىء الخليج ، وفى الخليج ذاته ، تكفل للعالم احتياطيا لا نظير له من هذه المادة الاستراتيجية الهامة .

ولم تكن شرايين النفط وحدها هى سر اهتمام العالم الحديث بهذه المنطقة بل كان موقع الخليج وثرواته الاخرى من قديم هى التى استهوت الكثيرين من المغامرين وجذبت أنظار الدول والقت بأطماعها على شطآنه .

ومن هنا خصصت جامعات الكويت والبصرة وبغداد والموصل وغيرها من الجامعات العربية والاجنبية مجالات واسعة فيها لدراسة الخليج دراسة علمية دقيقة تاريخية ، وجغرافية وأحوال السكان فيه وما يحتــوى عليه باطنه من أسرار .

وكتاب (الخليج العربى) لمؤلفه « سير أرنولد . ت . ويلسون » حلقة هامة من الدراسات . . الفه رجل عاش فى الخليج ثمانية عشر عاما بشمسه اللافحة وهوائه الساخن ، ومزاج الطبيعة الحاد فيه .

والكتاب عبر ستة عشر فصلا يصف فيه مؤلفه البيئة الجغرافية والاحوال السياسية والاجتماعية كما يعرض مجملا لتاريخ الخليج منذ أقدم الازمنة حتى أوائل هذا القرن ..

فبعد أن يذكر المؤلف موجزا عن تضاريس منطقة الخليج العربى ودرجات حرارته العالية صيفا — مع فروق بسيطة بين مدنه وقراه — يتعرض لأصل سكان الخليج ، فيذكر أنهم جميعا من العرب غير فئات قليلة من البلوش والفرس والهنود والزنوج فى بعض أنحاء متفرقة من الخليج .

وقد بين المؤلف أن الخليج العربى منذ تكونه الجيولوجى قد وجدت عليه طوائف من البشر يحيون الحياة البدائية وقد كانت لهم رماح طويلة من الخشب المبرى كما كانت جميع مظاهر حياتهم واسلوبهم فى المعيشة صورة للبشرية فى عصورها الاولى ، والواقع أن المؤلف هنا ينقل رواية عن (آريان) أن صورة الانسان الاول هذه ما زالت مستمرة فى بعض الحالات حتى الوقت الحاضر وان كنا لا نعتقد ذلك مع هذا الفيض الحضارى الهائل الذى يغمر الخليج الآن .

وفى الفصل الثالث عن الخليج العربى فى العصور التاريخية الغابرة يقول المؤلف إن التاريخ الغابر للخليج والمناطق المحيطة به هو على الأغلب فرضى وتخمينى فمعرفتنا عنه تعتمد فى الدرجة الاولى على الخرافة وعلى الاستدلال من السجلات التاريخية القديمة التى وصلتنا مثل العهد القديم ومن الكتابات المسمارية على الالواح التى أصبحت تتضح تدريجيا ، ومن جماجم وعظام الاجناس القديمة والحديثة على التوالى ، ولست أدرى كيف يكون هذا التاريخ فرضيا وتخمينيا مع أنه يعتمد على مثل هذه الآثار التى يعتمد عليها تاريخ أرقى الامم فى هذه المعمورة .

على أية حال يذكر المؤلف أن الفينيقيين والبابليين منذ القرن العاشر ق. م. اتصلوا بالخليج اقامة أو تجارة وان لم يستطع أن يحدد المدى الذى وصله أولئك أو هؤلاء مما أقلق الفرس الذين كانوا يتوجسون خيفة من القراصنة الذين كانوا يهددون المقاطعات على الشاطىء فأقاموا شلالات وسدودا على نهر قارون الاسفل حتى يتعذر الدخول الى الخليج وقد فكر الاسكندر المقدونى فى ازالة هذه السدود فيما بعد الا أن المنية عاجلته .

وقد عرف الكتاب القدامى منطقة الخليج — فى الفصل الرابع — من هيردوت وآريان وبطليموس وغيرهم الذين وصفوا رحلات الاسكندر وغيره كما وصفوا بعض أحداث المنطقة الا انه كما يقول المؤلف — قد ظلت معرفتنا بالمنطقة بعد بطليموس يغشاها حجاب لم يكد يرفع الا فى القرون الاسلامية الاولى حينما القى المؤرخون والجغرافيون المسلمون فيضا من الضوء على المسرح .
أما فى العصور الوسطى فان الثقة فى تاريخ هذه المنطقة تزداد عن ذى قبل حيث بدأ الكاتب يسجل للمؤرخين والجغرافيين والرحالة المسلمين الفضل فى تدوين تاريخ الخليج بوضوح وذلك يعود الى الوسائل التى هيأها الاسلام للمسلمين بالرحلة الى الحج أو الى طلب العلم أو التجارة فى مناكب الارض أو الجهاد فى سبيل العقيدة .

ويذكر المؤلف فى الفصول ٥ ، ٦ ، ٧ تاريخ العراق وخوزستان وفارس وكرمان ومكران ، ثم عمان والبحرين ثم سيران وقيس وهرمز وبوجه عام يمكن ان يقال انه ابتداء من ظهور الدعوة الاسلامية فى اوائل القرن ٦ حتى سنة ١٥٠٦ كان الاسلام قد انتشر على ضفتى الخليج وكانت قوة الاسلام هى القوة السائدة فى المنطقة بلا منازع .

وقد عرفت المنطقة تحولا عنيفا فى سنة ١٥٠٦ حينما زحف البوكيرك (القائد البرتغالى) على مسقط وغلب المدينة على اهلها وطلب منهم دفع ١٠٫٠٠٠ اكسرافين فلما لم يتوفر المبلغ امر باحراق مسقط بما فى ذلك مسجدها والسفن الموجودة فى مرفئها .

وقويت سيطرة البرتغال بعد ذلك على هرمز وما يتبعها من مدن الخليج حتى ظهر الاتراك فى منتصف القرن السادس عشر واعتركوا مع البرتغاليين ، لكن البرتغاليين انتصروا عليهم فى مواقع عدة .

وكان ظهور هولندا حينئذ مع بدء الصراع العنيف فى أواخر القرن السادس عشر بين البرتغال والانجليز هذا الصراع الذى خصص له المؤلف الفصل التاسع بكامله حيث يذكر أن تأسيس شركة الهند الشرقية فى ٣١ ديسمبر ١٦٠٠ كان علامة على التطور الاجتماعى والسياسى غير العادى لانجلترا ، وكانت البرتغال هى التى تحتكر ثروات الهند حينئذ فكانت نشاطات هذه الشركة أكبر مضايق للبرتغاليين الذين تم طردهم من هرمز فى حوالى سنة ١٦٢٥ .

وفى الفصل الحادى عشر يسجل المؤلف طرد البرتغاليين نهائيا من مسقط آخر قلاعهم سنة ١٦٥٢ للقضاء على البرتغاليين وكان طبيعيا أن يشتد الصراع بين الانجليز والهولنديين ويتخذ اشكالا مريبة .

وفى الفصل الثانى عشر عرض المؤلف موجزا عن تاريخ المناطق المحيطة بالخليج خلال القرن الثامن عشر ويذكر المؤلف ان اليد الطولى كانت للانجليز برغم المتاعب التى واجهتهم من بعض القوى العربية كآل كعب والوهابيين والهولنديين ايضا الذين كان سلطانهم قد بدأ يتقلص وخلال هذا القرن كذلك كانت للفرنسيين عدة محاولات هامة للوجود فى الخليج عن طريق بعض البعثات العلمية او الاغارة على السفن البريطانية الا انه فى ١٨١٠ وضع الحد لنشاط الفرنسيين فى المياه الشرقية حينما هزمت فرنسا امام بريطانيا فى موريشيوس التى اتخذتها فرنسا قاعدة للاغارة منها على السفن البريطانية .

والى هنا نكون قد عرفنا مع المؤلف اطماع الدول المختلفة فى الخليج واحتكاراتها واستغلالها له والغريب ان المؤلف فى الفصل الثالث عشر عن (القرصنة) يذكر ان القوى العربية التى كانت هذه الدول تستعمل مياهها وموانئها دون أن تقدم لها شيئا يذكر مما تستفيده هى كانت تغير على السفن المارة بالخليج احيانا وتأخذ ما تحمله ، وعنده ان الوهابيين والقواسم وبنو بو على قراصنة ويذكر ان انجلترا ادبت هؤلاء وان كان يذكر ايضا أن انجلترا نفسها احترفت القرصنة فى الخليج وبشكل اوسع واقوى فيقول فى ص ٣٢٢

(ففى سنة ١٦٩٦ ظهرت خمس سفن قرصنة فى البحر الاحمر ترفع أعلاما انجليزية وسفينتان اخريان على كل واحدة أربعة عشر مدفعا ومن البحارة مائة وخمسون وقد قامت بنهب سفن فى الخليج والبحر العربى) .

وهكذا لا يستطيع القارىء أن يكتم اسفه الشديد على معلومات السير ارنولد. ت. ويلسون هذه وظلمه للعرب أبناء البلاد واصحابها الأصليين مما حق معه للدكتور المترجم أن يتعقبه فى كثير من آرائه فى هذا الفصل كما تعقبه فى الفصل الذى يليه ــ الفصل الرابع عشر ــ الذى يفخر فيه ببنى جلدته الانجليز حيث يقول إنهم قضوا على تجارة الرقيق فى الخليج وليصحح له معلوماته عن القرآن الذى زعم المؤلف انه يقر الرق مع أن الانجليز انفسهم مارسوا الرق كما مارسوا القرصنة والقرصنة المسلحة كما اعترف الكاتب نفسه .

وفى الفصل قبل الاخير يذكر المؤلف انه خلال هذا القرن التاسع اخذت بعض الامارات تظهر ككيانات سياسية هامة لها اعتبارها فى الخليج ثم يذكر موجزا لتاريخ كل من هذه الامارات منها مسقط والبحرين والكويت .

وهنا تبدو حصافة المؤلف حيث يصف شعوب هذه الامارات وصفا دقيقا فيسجل لشعب مسقط تمسكهم بالرقيق ولشعب البحرين طرده لكل محتل فطرد البرتغال كما طرد الفرس حيث كان الاحتلال الفارسى ــ كما يقول المؤلف ــ ذا مدة غير محدودة الا أن شعب البحرين طردهم نهائيا سنة ١٧٧٩ ويصف سكان الكويت الذين كانوا ينتمون الى بنى عتبة الذين هم فخذ من عنيزة من شمال وسط الجزيرة العربية بأنهم ذو مودة وان بحارة الكويت أصحاب المرتبة الاولى فى الجرأة والمهارة وفى متانة الخلق والثقة (ويعتبر شعب المدينة ــ الكويت ــ بوجه عام أسمى من شعب اى مرفأ عربى آخر فى المقدرة التجارية وفى تلك الخصائص المرنة التى تعمل على خلق المواطن الصالح .

وندلف مع المؤلف الى الفصل الاخير (الخليج العربى فى السياسات الدولية) حيث يشيد المؤلف فى حماسة بالغة بالانجليز الذين توقع استمرارهم فى الخليج حتى ليقول فى ختام كتابه « يمكننا ان نردد بصلاة صامتة كلمات أحد أعظم الرجال الذين خدموا جلالة الملك فى الخارج « عندى أن الرسالة منحوتة بالجرانيت ومقتطعة من صخر القضاء والقدر نؤكد بأن عملنا عادل وانه سيستديم » .

ولكن العقيدة التى حركت ابناء الخليج والتقدم الحضارى السريع الذى تشهده المنطقة خيب ظن المؤلف وحمل بريطانيا على ترك الخليج نهائيا فى سنة ١٩٧١ ذلك اذن هو كتاب الخليج العربى (للسير ارنولد. ت. ويلسون الذى نشرته مكتبة الأمل بالكويت) ويمكننا بعد هذا العرض ان نلاحظ ما يلى :

اولا : انه يبالغ كثيرا فى تمجيد الشعب الانجليزى حقا إنه لا يمكن لباحث أن يغفل دور هذا الشعب فى تاريخ الخليج والانجازات فيه ولكن الذى كان ينبغى أن يسجله المؤلف هو تمجيد هؤلاء الذين كانوا السر الحقيقى والفعال وراء هذه النهضة وهم ابناء الخليج انفسهم .

ثانيا : الوقوع فى اخطاء نبه على كثير منها المترجم كما اشرت الى بعضها فيما سبق ومع ذلك فان يقيننا ان الكتاب بما فيه حلقة هامة لا يمكن اغفالها عند تدوين تاريخ الخليج العربى وان لم يكف وحده لهذه الغاية بطبيعة الحال .

عيدُ المولد النبوي

محمد مؤذن

لا عيدَ حتى يتمَّ النّصْرُ والْغَلَبُ ... وتأخذَ الثّأْر منْ أعدائِها العربُ

لا عيدَ .. والشّعْبُ لمْ ترْقَأْ مدامعُهُ ... على الضّحايَا ٠٠ ولم يسكُنْ به الْغَضَبُ

لاعيدَ.. والْمُعْتدِي داستْ جحافلُه ... على ترابِ بلادِي ٠٠ وهو مُغْتَصِبُ

ليس العويلُ الذي في الريحِ أسْمَعُهُ ... إلاّ صراخَ أَسَاهُ ٠٠ وهو ينْتَحِبُ

يرى وجوهاً غريباتٍ ٠٠ تُطَالِعُهُ ... وأيْدِياً قاتلاتٍ ٠٠ منه تَقْتَرِبُ

وظِلَّ ضَيْمٍ لراياتٍ يشاهدُهـــا ... عليه ٠٠ ليْسَتْ إلى التاريخِ تَنْتَسِبُ

ماخاض مَنْ ركَزُوها. قَبْلُ. معركةً ... يكون فيها لهم ٠٠ من بعدها ٠٠ الْغَلَبُ

هانتْ ٠٠ وهان لهمْ فى ظلّها شرَفٌ ... أذلَّهُ أهْلُهُ والدُّهْـــرُ والْحِقَبُ

* * *

لا عيدَ ياولدى ٠٠ أما الذين ترى ... فإنهمْ فى يد المأساةِ قـــد لَعِبُوا

لو أنهم عرَفُوا ٠٠ لم يَطْرَبُوا أبداً ... لكنّهمْ ٠٠ عندما لم يَعْرِفُوا ٠٠ طَرِبُوا

والجهْلُ فيهمْ سلاحٌ ٠٠ ليس يملكُهُ ... إلا العدوُّ ٠٠ به لَمَّا الْتَقَوْا ضُرِبُوا

فلاتكُنْ مثْلَهُمْ..والدَّمْعُ مُغْتَرَفٌ ٠٠ ... والهوْلُ مُنْتَظَرٌ ٠٠ والموْتُ مُرْتَقَبُ

ولُعْبَةُ العيدِ .. إنْ تَفْرَحْ بها زَمَناً ... فالعيدُ يَمْضِي ٠٠ وتَمْضِي بعده اللُّعَبُ

سأشْتريهَا..ولكنْ.. سوف يَحْمِلُها ... إليكَ ٠٠ يومُ انْتصارٍ صُبْحُهُ عَجَبُ

يومٌ ٠٠ ترى الشعب فيه راقصاً فرحاً ... ورافعاً جَبْهةً ٠٠ ذَلَّتْ لها النُّوَبُ

للشاعر : أحمد مخيمر

لا .. يابُنَيَّ .. فإسرائيلُ ما بَقِيَتْ
جزيرةُ البغض في بحرٍ يُحيطُ بها ..
فليس يُورقُ في قلبٍ لها أَملٌ
وما لها أبـداً ماضٍ تَحِنُّ له
ولن تعيش .. وقد سُدَّتْ مَسَالكُهَا
من يَبْنِ فوق فمِ البركان منْزلَهُ
فلا يَرُوعكَ منهمْ .. أنهم هَجَمُوا ..
فما السَّمَاحَةُ فيهمْ .. إنْ هُمُو نَزَلُوا
ولا الْإِبَاءُ بموْجـودٍ إذا ظُلِمُوا
مُشَرَّدُونَ على الأجيال .. مُذْ وُجِدُوا
أخطاؤُنا نحن .. أعْطتْ كُلَّ ما أخذوا
ومكَّنتْهمْ من البحرِ الذي سلكوا
لكنَّ أخْطَاءَنَا ليْستْ تدُومُ لهمْ
وقبْضَةُ الجيش إنْ تَضْربْ ستَسْحَقُهمْ
كأنها جَبَلٌ .. من فوق أرْؤُسِهمْ
لنْ يُفْلِتُوا منه .. واليوم الأخير له
إنْ كان يشْقَى ويَلْقَى دُونَه تَعَباً

أسطورةٌ صاغها العدوانُ والكذبُ
عاتى الرِّياح .. بموْج الحقْدِ يَضْطَرِبُ
وليس يُثْمِرُ في رُوحٍ لها أَرَبُ
ولا غدٌ تَرْتَجِيهِ .. فهْو مُحْتجِبُ
إلى الحياة .. فخاب السَّعْيُ والطَّلَبُ
لم يَبْقَ من أَمْنِهِ فيه له سَبَبُ ...
أو أنَّهمْ غَدَرُوا .. أو أنهمْ نَهَبُوا
ولا الشجاعةُ فيهمْ .. إنْ همُو رَكِبُوا
ولا الوفاءُ بمأْمُونٍ .. إذا صَحِبُوا
فكلهم .. تائهٌ في الْأَرْضِ .. مُغْتربُ
وفُرْقَةُ الرَّأْيِ جادت بالذي كَسِبُوا
وأَسْلَمَتْ لهمُ الأَرْضَ التي سَلَبُوا
فالشعْبُ يكْشِفُها فيمَنْ بها نُكِبُوا
في حيثُما سكَنُوا .. أو أيْنَما ذَهَبُوا
يهْوِي .. وبَحْرٌ مُخِيفُ الموج يَنْقلِبُ
تُضِيءُ من نورِهِ الأَيَّامُ والْحِقَبُ
فإنَّما الرَّاحةُ الْكُبْرَى لمنْ تَعِبوا ..

المؤتمر الخامس

لمجمع البحوث

مالم تنشره الصحف عن

المناقشات الجانبية

التبشير بالإسلام

ماهو الاقتراح الذي

انتهى المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الاسلامية .. عقدت جلساته على فترتين .. استمرت الأولى ٥ أيام .. استغرقت ٤٧ ساعة على مدى ١٠ جلسات .. هى اهم احداث المؤتمر لما تخللها من مناقشات اشترك فيها علماء المسلمين من مختلف أنحاء العالم .

أما الفترة الثانية التى اقتصرت على اعضاء المجمع فقد استمرت ١٦ يوما قدم فيها ٢٠ بحثا ونوقشت فى ٣٨ ساعة .

وهناك الكثير الذى لم تذكره الصحافة ، وبالذات عن المناقشات التى دارت حول البحوث المقدمة .. والمناقشات التى دارت عفو الخاطر واثارتها الأحداث اليومية وبالذات فى الفترة الأولى .

نشرنا فى العدد الماضى انباء المؤتمر وقد وافانا الاستاذ صلاح عزام بهذا الوصف التفصيلى لما دار فيه .

للأستاذ :
صلاح عزام

ث الإسلاميّة

المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية

كانت على مستوى البحوث العلمية

يناقش صراحة لأول مرة

لم تؤخذ عليه الأصوات؟



بعض أعضاء الوفود أثناء جلسة الافتتاح



المنصة الرئيسية للجلسة الافتتاحية وقد ظهر فيها : الدكتور الفحام شيخ الازهر والدكتور عبد العزيز كامل وزير الاوقاف والدكتور عبد الحليم محمود وكيل الازهر والشيخ عبد الحميد السائح .

وقد اتاحت لى الظروف ان أشهد كل الجلسات .. وان احضر كل المناقشات .. وان استمع الى جميع الاقتراحات ... والظاهرة التى كانت غالبة على ابحاث ومناقشات الفترة الأولى هى ارتباطها بالمعركة والجهاد .. ووضع اليهود .. وتوسعات اسرائيل .. ومسئوليات الشعوب الاسلامية ..

ولنبدا ..

فمن أهم ما قيل ما ذكره كل من ..

الامام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد الفحام .. (ان المحنة التى نمر بها تمثل فى جوهرها محنة اسلامية .. انها قضية دينية قبل ان تكون قومية او سياسية .. وليس لها من حل الا فى العودة الى خصائص هذه الأمة .. الايمان بالله .. والجهاد فى سبيله .. والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وتمسك بكتاب الله ، واقتداء برسول الله ، والتزام بالهدى الالهى فى جميع مناحى الحياة ..) .

ـ و .. (لقد أصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم اعلاء لكلمة الله ودفعا للعدوان ، وانقاذا لأرض الاسلام من سيطرة أعدائه ، وتطهيرا للمقدسات من رجس الطغاة ، وانه لا خيار لنا فيما فرض علينا من جهاد والأعداد بحزم وعزم لمعركة المصير ..) .

ـ و .. (ان الأمة الاسلامية تعيش حاضرا مريرا لأنها تباعدت عن مصدر عزتها ، وتقاعست عن نصرة الحق والجهاد فى سبيل الله) .

ـ و .. (ان رسالتكم أيها العلماء لجد خطيرة فى هذه الظروف العصيبة التى تحيط بأمتكم . وان العالم الاسلامى يترقب منكم انتفاضة مؤمنة قوية تحيى أمله ، وتفك قيده ، وتحرر

ارضه ، وتصون عرضه ، وتهيىء له الحياة الحرة العزيزة التى ارادها الله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) .

انتم امل المسلمين :

وقال الدكتور عبد العزيز كامل :

ــ (ان الشعوب الاسلامية تأمل ان تجد فى مواقفكم ما يفتح الطريق امام غايتها وهى اعلاء كلمة الحق ، وتحرير الأرض وتطهيرها ، واسترداد القدس الأسير ، وتحقيق النصر الذى وعدنا الله عز وجل .).

ــ و .. (ان شعوبنا تنتظر منا الكثير وتتطلع الى قياداتها العلمية بأن تبذل اقصى جهدها فى ترجمة الكلمة الى عمل مصداقا لتوجيه الرسول الأعظم صلوات الله عليه (قل آمنت بالله ثم استقم) ليكون من وراء الجهود المخلصة المؤمنة على الصعيد الاسلامى العالمى ما يعين على استرداد أرضنا ومقدساتنا السليبة والقضاء على العدوان الصهيونى ، والتغلب على قوى الاستعمار التى تحركه ونصرة ديننا فى معركته المصيرية ، ضد اعظم تكتل عدوانى يواجهه فى تاريخه المديد (وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) .

بحثان عسكريان

والظاهرة الأخرى التى تميز بها المؤتمر الخامس أن اثنين من رجال الحرب المسلمين كان لكل منهما بحث محلق .. الأول اللواء الركن محمود شيت خطاب عن أهداف اسرائيل التوسعية فى البلاد العربية ، وقد قدمه بقوله (الذين يعتقدون بأن اسرائيل كارثة حلت بشعب فلسطين وحده .. وأن ما تدبره اسرائيل من عدوان وتوسع لا يتعدى فلسطين . يجهلون الحركة الصهيونية وأهدافها



حديث بين الشيخ حسن خالد مفتى لبنان ومفتى المسلمين بالاتحاد السوفيتى



حديث بين السيد عبد الخالق حسونة والشيخ نديم الجسر

ومخططاتها التوسعية .. والحقيقة هى أن خطر اسرائيل يهـــدد كيان الأمة العربية التاريخى والحضارى ، وانها اخطر مدى يهدد الدول المجاورة لها بالغزو والعدوان والاحتلال ..) وبعدها ذكر بالوقائع والخرائط نوايا اسرائيل .

والثانى للفريق عبد الرحمن امين وكان عن (التولى يوم الزحف) وقال فيه (ان ــ الدعوة الاسلامية لم تكن يوما دعوة جنسية أو اقليمية ، وانما اقرار الحق بين النـــاس ، ونشر مبادىء المساواة والعدل بينهم ومن غير ان تجنح الى القوة ..) .

ــ و .. (ان الجهاد فى سبيل الله هو غاية الفضل ونهاية العمل .. وان شهداء الجهاد على مـــوعد مع الله الا يذيقهم طعم العذاب وزفرة الموت ، وأنهم من ساعة استشهادهم احياء يرزقون فقد قال الله تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهـــم يرزقون ..) .

غايــة واحدة

وكلمات عديدة وبحوث قيمة .. ولكـــن المناقشات والتعليقات نفس الأهمية واكثر .. ومن ذلـــك .. ما قاله الشيخ محمد ابو زهرة من (أن السبيل الى أن نعمل هو أن نتجه جميعا الى غاية واحدة هى رفعـــة الاسلام .. ورفعة اللغة العربيـــة لأنها دعاء القرآن الكريم ، وان النصر ليس بكثرة العـــدد والعدد وانما بالعزيمة وقوة الايمان) .

التبشير بالاسلام

ولأول مرة .. وفى مؤتمر عـــام تناقش قضية التبشير بالاســـلام والعمل على ذلك ووضع خطة له .. ففى كلمة للدكتور عبد الحليم محمود وكيل الأزهر وأمين مجمع البحـــوث الاسلامية قال : (انـــه يرجو أن ينبثق من المؤتمر لجنـــة تخطيط لصندوق الدعوة لترفع شعار الجهاد والعلم .. وان تعمـــل فى مجالين رئيسيين .. لاحياء اللغة العربيـــة والحفاظ عليها ، لغة مقدسة بعد ان نزل بها القرآن الكريم .. والمجـــال الثانى .. التبشير بالدين الاسلامى فى كل مكان ، وهو أمر يجب أن نبدأ فيه من الآن ونعمل عليه لأهميتـــه القصوى ...

وقال الشيخ حسن خالد الكثير عن مسئوليات التجمعات الدينية ، وهو يقصد بذلك الجمعيات ومن الذى قاله (اننا يجب من الآن ان نعمل على تشجيع واحياء المنظمات الاسلامية ، وان نعمل على أن يكون أعضاء هذه المنظمات مسلمون قولا وعملا .. وان يكونوا قدوات فى محيط المجتمع الذى يعملون فيه .. وأن نمد لهم كل عون ، وأن نيسر لهم كل معرفة بالجوانب الاسلامية ، وبذلك نضمن مراكز اسلامية تقابل التيارات المختلفة فتردها الى الصواب بالحجة والمنطق والعمل والأسلوب الحديث .

وأنا أطالب أيضا بأن نعمل على نشر الفكر الاسلامى والثقافة بأسلوب وتفكير يتفقان مع العصر ومع كل قطر اسلامى ، وأن يشرف على ذلك الهيئة الاسلامية الكبرى بكل بلد اسلامى ضمانا للعمل المنظم المستمر الخالص لوجه الله ..

نشر التعليم الدينى

أما الشيخ محمود صبحى مدير الجامعة الاسلامية بليبيا فكان اهتمامه الرئيسى يدور حول ضرورة نشر التعليم الدينى ، وعلى جميع مستويات مراحل التعليم وقال :

(انه يجب من الآن دراسة مقررات المؤتمرات الاسلامية التى عقدت من قبل ، وفى كل مكان وعلى جميع المستويات ، وفى نظرى أن من أهم التوصيات التى سبق صدورها من مؤتمر اسلامى عال تلك التى أصدرها مؤتمر كوالالمبور فى ماليزيا العام الماضى ، والتى تقضى بتدريس الدين الاسلامى فى جميع مراحل التعليم ، وكذلك نشر اللغة العربية فى كل البلاد الاسلامية .

وهذا كله أمر يجب أن نعمل على تنفيذه وفورا .. وأن يساهم كل عالم اسلامى فى تطبيق هذا الامر فى بلده وأن نسانده جميعا .. فلا نتصور مسلما بغير اللغة العربية .. وحتى يسهل على المسلمين معرفة قواعد دينهم وفهم كتابهم المقدس القرآن الكريم ..) .

قضية فلسطين

أما الامام موسى الصدر رئيس المجلس الاسلامى الشيعى بلبنان ، فقد كان حديثه الطويل على مدى ٤٠ دقيقة عن فلسطين والجهاد الاسلامى ومسئولية المسلمين وعلمائهم ...



بعض أعضاء وفد النمسا فى المؤتمر

ثم ضرورة توحيد المذاهب الاسلامية ومما قاله : (انه يتحتم ضرورة انشاء مكتب دائم لتزويد علماء المسلمين بأخبار القضية وبلغات مختلفة ... وان على هؤلاء بدورهم نشر هذه الأخبار والمعلومات على أوسع نطاق والتصدى للدعاية الصهيونية ..

وأن على جميع محطات الاذاعة والتلفزيون أن تخصص برنامجا يوميا بعنوان صوت الاسلام فى فلسطين .. اذ أن اليهودى فى المعركة لا يفرق بين صهيونى ويهودى .. وانما الكل فى المعركة يهود .. ضدنا ..) .

ـ و .. (اننا يجب أن نعمل من الآن على القضاء على التفرقة بين الأمة الاسلامية .. وان نرد كل خلافاتنا الى القرآن الكريم ، نحتكم الى قواعده ونواهيه ، فان هذا هو أساس الدين .. ونحن أمة واحدة ...) .

وآراء مالك بن نبى

و .. ختاما لهذا التحقيق .. لنأخذ بعض كلمات رددها الكاتب الاسلامى الجزائرى مالك بن نبى .. وهزت أعماق الكثيرين ومن ذلك ..

ـ .. (انه يجب على الكاتب المسلم أن تكون له الصدارة فى الراى وسط مجتمعه .. وأن عليه مسئولية كبرى .. ومن ذلك العمل على محاربة الكلمات الدخيلة معنى وأسلوبا فى العربية ، والتى تقصد منها الاستعمار واليهودية العالمية محاربة كل من كان يعمل ضد مصالحهم قبل الحرب العالمية الثانية وأثناءها ..) .

ـ و .. (اننا كمسلمين نرفض كل فلسفة سياسية تقوم على قاعدة التفرقة العنصرية وعلى العنف والتشريد ..) .

ـ و .. (ان المفكر المسلم لا يجب أن يقف موقف السلبية أمام الأحداث العالمية .. والأفكار السياسية والثقافية فان لنا فى الاسلام معينا لا ينضب ووجب معرفته .. ووجب أن نضع كل فكر .. وكل شىء فى



اللواء محمود شيت خطاب مع بعض اعضاء الوفود



ممثلو الهند والباكستان ويوغسلافيا فى المؤتمر

الميزان الاسلامى ، ونخرجه على الناس ..) .

ــ و .. أريد لكل مؤتمر يعقد ويأخذ الطابع الاسلامى أن يكون مقره اكبر مركز اسلامى .. ففى القاهرة مثلا يكون فى صحن الأزهر الشريف .. وأن يكون فى كل مكان ذا طابع اسلامى بحت ..) .

ــ و .. (يجب من الآن أن نعمل على ظهور سلطة روحية تجمع الراى وتوحد الصف بالنسبة للمسلمين فى العالم كله .. وأننا يجب من الآن أن نعيد النظر فى قضية الخلافة الاسلامية .. فقد باتت ضرورة عالمية ومصيرية .. وليكن لها اى اسم .. ولكن ليكن هدفها توحيد الصف الاسلامى والرأى الاسلامى فى كل مكان على ظهر الارض .. وان كنت اتفاءل بكلمة (مجلس الخلافة) .. وليشترك فيها كل العالم الاسلامى .. ولكن لنبدأ فى اعلان وجودها من الآن ..) .

وتوصيات

وصدرت التوصيات بعد هذا كله .. وعلى مرتين بعد الفترتين .. ولكن اقتراحا تقدم به واحد من العلماء لم يحظ بالاقتراع عليه .. وكان يدعو الى ضرورة أن يخصم مبلغ بنسبة معينة من مرتبات الموظفين ومن دخول ذوى الاعمال الحرة .. تكون حصيلة للجهاد فى سبيل الله .. من أجل فلسطين ومن أجل نشر الدعوة الاسلامية والتبشير بالاسلام الحنيف ..) .

و .. اجمالا .. فقد كان المؤتمر ناجحا والحمد لله ..

أبحاث المؤتمر

٢١ ذو الحجة ١٣٨٩ ــ ٢٧ فبراير ١٩٧٠ .

١٩ المحرم ١٣٩٠ ــ ٢٧ مارس ١٩٧٠ م

١ ــ الامام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد محمد الفحام .
استرداد بيت المقدس .

٢ ــ الدكتور عبد العزيز كامل
التفرقة العنصرية
الدعوة والمجتمع

٣ ــ اللواء الركن محمود شيت خطاب
أهداف اسرائيل التوسعية فى البلاد العربية .

البقية ص ٨٦

ركن
الموسوعة الفقهية
تحرره : إدارة الموسوعة



« نقتصر فى ركن الموسوعة بهذا العدد على حلقة من بحث (الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على النطاق الدولى) ، مرجئين باقى أبواب الركن الثابتة (أخبار الموسوعة وبريدها) الى العدد القـادم ، حرصـا على وحدة البحث وتكامله »

الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على النطاق الدولى :

ــ عرضنا فى العدد السابق أهمية موسوعة الفقه الاسلامى على النطاق العالمى من ناحية حاجة قضاة محكمة العدل الدولية فى سبيل معرفة « المبادىء العامة التى أقرتها الامم المتمدنة » الى مصدر ميسر للرجوع الى أحكام الشريعة الاسلامية باعتبارها أحد النظم القانونية الكبرى فى العالم .

ــ ونبحث فى هذا العدد ، أهمية موسوعة الفقه الاسلامى على مستوى دولى آخر ، هو محاكم التحكيم الدولية التى يكثر الرجوع اليها خاصـة لحل المنازعات التى تنشأ بين الدول والشركات الاجنبية الكبرى التى تباشر نشاطها فى أقاليم هذه الدول .

ــ وتأتى فى المرتبة الاولى من هذا النطاق تلك الاتفاقيات الخاصة بامتيازات استخراج واستثمار موارد الثروة كالنفط وغيره ، والتى تكون فى العادة معقودة لمدد طويلة . وأهمية هذه الاتفاقيات تتجلى من جهة تعلقها بموارد ثروة طبيعية تكون فى معظم الاحوال مصدرا رئيسيا ان لم تكن المصدر الرئيسى لواردات هذه الدول .

ــ وليس الامر مقتصرا على هذه الاتفاقيات الكبرى ، وانما يتصل كذلك بالعديد من الاتفاقيات الخاصة بعقود انشائية (مقاولات) ذات مدة محددة ، ويمبلغ أقل نسبيا من الاتفاقيات الاولى . ويدخل فى هذه الطائفة تعهدات انشاء المطارات ، والموانىء ، والسـكك الحديدية ، والطرق ، والمبـانى الضخمة ، ومصافى المياه ، ومصافى النفط ، ومحطات توليد الكهرباء ، واقامة المصـانع

على اختلافها .. فمعظم هذه المقاولات الكبيرة تتولاها فى الدول الناشئة شركات أجنبية ترتبط مع حكومات هذه الدول باتفاقيات خاصة .

ـــ والمهم هنا فى هذين النوعين من الاتفاقيات أن معظمها ينص على أنه فى حالة الخلاف بين هذه الشركات والحكومات المتعاقدة معها تتولى هيئــة تحكيمية النظر فى النزاع واصدار الحكم فيه ، أى أن الخلاف مع هذه الشركات يخرج عن اختصاص المحاكم الوطنية ، وتتولاه هيئة تحكيم تؤلف عادة باختيار كل طرف لأحد أعضائها ، ثم يتفق الطرفان على اختيار العضو الثالث أو يعهد الى جهة ثالثة (١) باختياره .

ـــ والمشكلة التى تعنينا بالذات هى أن هذه الاتفاقيات تنص أحيانا على تحديد القانون الذى تطبقه هيئة التحكيم ، وأحيانا أخرى لا تتعرض لتحديد هذا القانون من قريب أو من بعيد (٢) .

وفى حالات عدم تحديد القانون الواجب التطبيق فى الاتفاقية الاصلية ، قد يتفق الطرفان فى مشارطة التحكيم ، بعد نشوء النزاع ، على تحديد القانون الواجب التطبيق فى النزاع (٣) ، وقد يترك ذلك لهيئة التحكيم ، التى يكون أمامها حينئذ أن تختار بين قانون الدولة محل ابرام الاتفاقية وقانون الدولة محل تنفيذ الاتفاقية وقانون الدولة محل التحكيم والمبادىء العامة المتعارف عليها بين الدول المتمدنة وقواعد العدالة والسوابق القضائية الدولية وغير ذلك ..

ـــ أما حالات تحديد القـــانون الواجب التطبيق ، فتختلف بين اتفاقيـــة وأخرى :

ـــ ففى اتفاقية الكويت مع كل من شركة النفط العربية المحدودة (اليابان) (م ٣٩) وشركة شل لاستثمار البترول المحدودة (م ٣٥) نص على أنه :

« يقيم الفريقان علاقاتهما بالنسبة لهذه الاتفاقية على مبدأ حسن النيـــة والاخلاص . وبالنظر الى اختلاف جنسية الفريقين فان هذه الاتفاقية يجب أن

---

(١) المقيم البريطانى فى اتفاقيات الكويت مع شركة نفط الكويت (م ١٨) ، وشركة الزيت الامريكية المستقلة (م ١٨) ورئيس محكمة العدل الدولية فى اتفاقيات الكويت مع شركة النفط العربية المحدودة ـــ اليابان (م ٣٣) وشركة شل لاستثمار البترول المحدودة (م ٢٩) ، وغرفة التجارة الدولية بباريس فى بعض اتفاقيات الكويت مع شركات المقاولات الاجنبية كشركة ساب التى انشات مطار الكويت الدولى .

(٢) كاتفاقية الكويت مع كل من شركة نفط الكويت المحدودة وشركة الزيت الامريكية المستقلة ، وكاتفاقية رأس الخيمة مع شركة نفط كوامكو ، وكاتفاقية مسقط وعمان مع كل من شركة امتيـــازات النفط المحدودة وشركة فيلبريور .

(٣) كما حدث فى النزاع بين المملكة العربية السعودية وشركة ارامكو حيث نصت المـــادة الرابعة من مشارطة التحكيم على أن :

« تفصل هيئة التحكيم فى هذا النزاع :

أ) وفقا لقانون المملكة العربية السعودية كما هو محدد هنا فيما يلى ، وذلك فيما يتعلق بالمسائل التى تدخل فى اختصاص المملكة العربية السعودية .

ب) وفقا للقانون الذى ترى هيئة التحكيم وجوب تطبيقه ، وذلك فى المسائل الخارجة عن اختصاص المملكة العربية السعودية .

وأن قانون المملكة العربية السعودية المشار اليه فى هذا النص هو الشريعة الاسلامية :

أ) كما هو مبين فى مذهب الامام أحمد بن حنبل .

ب) كما هو مطبق فى المملكة العربية السعودية » .

تنفذ وتفسر وتطبق وفقا **للمبادىء القانونية المشتركة** بين الكويت و (اليابان فى الاولى ، وانجلترا فى الثانية) . وفى الحالات التى لا توجد فيها هذه المبادىء المشتركة ، فوفقا **للمبادىء القانونية المعترف بها عادة فى الدول المتمدنة** بصورة عامة ، ومن ذلك المبادىء التى طبقتها المحاكم الدولية » .

ــ ويتضح من الاستعراض السابق لنواحى المشكلة واحتمالاتها أن حالات تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية فى حالات النزاع بين الدول الاسلامية والشركات الاجنبية التى تباشر نشاطها على أراضيها وفقا للاتفاقيات محل هذه الدراسة ــ يمكن تصنيفها على النحو التالى :

١ ــ حالات تطبق فيها الشريعة الاسلامية باعتبار أنها المصدر الكامل للتشريع فيها ، كحالة المملكة العربية السعودية حيث يطبق المذهب الحنبلى .

٢ ــ حالات تطبق فيها الشريعة الاسلامية باعتبار انها القانون العام للدولة ، كحالة الكويت حيث تطبق مجلة الاحكام العدلية فى الامور المدنية ويرجع فى تفسيرها الى المذهب الحنفى وهو مصدر استمداد أحكام المجلة .

٣ ــ حالات تطبق فيها المبادىء المشتركة بين الشريعة الاسلامية وقوانين وضعية معينة (كالقانون الانجليزى أو اليابانى) أو سائر النظم القانونية الكبرى فى العالم ، وذلك كحالة الكويت فى اتفاقياتها مع شركة النفط العربية المحدودة ــ اليابان ، وشركة شل لاستثمار البترول المحدودة .

وفى جميع هذه الحالات تحتاج هيئات التحكيم الدولية التى تنظر هذه الخلافات الى معرفة ميسرة مفصلة دقيقة لأحكام الشريعة الاسلامية فى كثير من المسائل التى تثار فى أثناء بحث النزاع والتى تتنوع وتختلف من نزاع الى آخر .

ولعل مما يوضح مدى الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى لسد هذه الثغرة الهامة ، أن نشير بايجاز الى ما حدث بالفعل اثناء نظر النزاع بين المملكة العربية السعودية وشركة أرامكو ، حيث كانت هيئة التحكيم مكونة من المرحوم الدكتور حلمى بهجت بدوى عن الطرف السعودى (وقد حل محله بعد وفاته الاستاذ محمود حسن) والدكتور سابا حبشى عن الشركة ، والاستاذ جورج ساوزر هال (سويسرى) محكما ثالثا . فقد تعرضت هيئة التحكيم لبحث عدة مسائل نقتصر منها هنا على هاتين المسألتين (١) :

١ ــ هل تعتبر اتفاقية امتياز البترول تصرفا اراديا منفردا من جانب الدولة ، أو عقدا عاما أو اداريا ، أو عقدا خاصا ، أو ايجارا ، أو اعطاء منافع ، أو تنظيما له طبيعة خاصة نصفها عام ونصفها خاص ..

وقد اعترضت الشركة بأن المذهب الحنبلى ليس من التطور الكافى بحيث يحدد الطبيعة القانونية للعمليات التى يتطلبها استثمار النفط .

وقد أخذت هيئة التحكيم بوجهة النظر هذه مقررة أن نظام امتيازات المعادن والنفط بقى بدائيا فى الشريعة الاسلامية ، وأن المذهب الحنبلى لا يتضمن أى قاعدة محددة عن امتيازات المعادن ، ولا عن امتيازات النفط من باب أولى وأنه أمام هذه الثغرة فى المذهب الحنبلى ، تكون الاتفاقية المعقودة بين حكومة السعودية والشركة محكومة بالمبدأين الاساسيين فى الشريعة وهما مبدأ حرية

---

(١) ليس هنا مجال عرض نقاط الخلاف بين السعودية والشركة أو تطوراته او نتيجة التحكيم .

التعاقد بما لا يتعارض مع الكتاب والسنة ، ومبدأ احترام الالتزامات التعاقدية . وأن الشريعة ــ وفقا لرأى ابن تيمية (من ترجمة لاوست لكتاب السياسة الشرعية) ــ لا تفرق بين المعاهدات والعقود الخاضعة للقانون العام أو الادارى والعقود المدنية أو التجارية ــ وأنه وفقا لهذه القواعد يكون امتياز النفط المعطى لشركة ارامكو ذا طبيعة تعاقدية .

٢ ــ ما هو القانون الذى يحكم هذا العقد ؟

ردت هيئة التحكيم على هذا التساؤل بأن قانون السعودية هو الواجب التطبيق . ونظرا للثغرة القائمة فى الشريعة الاسلامية فى هذا الموضوع ، فان عقد امتياز النفط المعطى لشركة ارامكو يحل محل القانون الواجب التطبيق ليصبح هو نفسه القانون الذى يحكم نفسه ..

ــ وليس هنا مجال مناقشة رأى هيئة التحكيم ولا الحكم الذى أصدرته ضد السعودية فى هذا النزاع(١) ، ولكنا نشير فقط الى أن توهم وجود ثغرة فى الشريعة الاسلامية فى موضوع تنظيم الثروة المعدنية والنفط على وجه الخصوص ، ما كان ليثور فى ذهن هيئة التحكيم ــ على فرض حسن نيتها وتجردها فى البحث عن الحقيقة ــ لو كان للفقه الاسلامى موسوعة مرتبة ترتيبا حديثا تيسر الرجوع الى أحكام المذاهب الفقهية فى مختلف المسائل .

وليس هنا كذلك مجال عرض رأى الفقه الاسلامى فى مسائل النفط فذلك موضعه البحوث التفصيلية فى الموسوعة ، ولكنا نكتفى بالاشارة الى مرجع واحد من مراجع الفقه المعروفة المتداولة وهو فى الفقه الحنبلى والفقه المقارن ، الا وهو كتاب المغنى لابن قدامة ، فقد أورد فى الجزء الثالث صفحة ٢٨ والجزء الخامس فى الصفحات ٥٢٠ الى ٥٢٢ ما كان يغنى عن الرجوع الى ترجمة فرنسية لكتاب السياسة الشرعية لابن تيمية ، وهو لايجازه ولطبيعة موضوعه ليس مظنة بحث شؤون النفط والثروة المعدنية .

وسنعرض فى العدد القادم ان شاء الله لأفق آخر من آفاق الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على الصعيد الدولى .

(١) بتاريخ ٢٣ ــ ٨ ــ ١٩٥٨ .

● تصحيح خطــأ ●

وقع فى موضوع (الاطعمة) الذى صدر من الطبعة التمهيدية للموسوعة الفقهية : جاء فى آخر الفقرة/١١٩/ص/٧٦/« أن الاباضية نصرا على حل لبن الكلبة ان لم يمس جلدها » .

وهذا سهو ، والواقع أنهم نقلوا هذا الرأى عن البعض وناقشوه ، وردوه بشدة مع الاستغراب .

الصَامدون في الأرض



بطل حلحول

للأستاذ : أحمد العناني

العظم واهن بلا ريب ، بدليل الظهر المتقوس ، والعصا التى تقرع الدرج هابطة بصاحبها الى المنزل الذى يسعى اليه ..

والراس مشتعل شيبا الى آخر شعرة ولكن بريق العينين وبعض قسمات الوجه تحمل احتجاجا صارخا على رداء الشيخوخة الذى كسيه الراس ، وفرض على فقرات الظهر قبل الأوان ..

والمنزل يهبط اليه الوافد على درج مكشوف يواجه واديا فى عمان تهب فيه رياح كانون منطلقة عاتية متمردة لها صفير يكاد يصم الآذان ، واعمدة المطر تتلوى مع الريح المجنونة على غير نسق ثابت فلا يدرى الرجل الواهن العظم كيف يرد عن وجهه ، فيما هو مشغول بتثبيت قدمه الواهنة على الدرج ..

والريح نفسها عطلت الهواتف ، وبعثرت الاسلاك العالية مقطعة على الارض ، واثارت حطام الورق المحترق بلهب الصيف دوامات تدور فى أسفل افق غائم اكدر ، مغبر ماطر عاصف الأرياح ..

والليل قد جن والشوارع استراحت من خبط النعال وتخففت من حركة المركبات ، والصغار ناموا على اغانى الفداء وحكايات الاشبال ، وبقيت فى المنزل عينان ساهرتان مشدودتان حينا الى حبال الخيام المنبثة فى كل مكان كأنما تتوسلا اليها أن تصمد هى الاخرى ، وحينا تعاودان الى ذكريات أوائل الشتاء فى البلد الحريب المحتل ، حلحول اعلى مكان مأهول فى فلسطين ، بلد الجراح والعذاب والكبرياء والجوع والخرائب ، بلد الثقافة والرجال والأطلال ، دار الشهداء والسجناء والمعذبين ومأوى التحدى والحزن وكل ما يفجره العذاب فى قلوب ذات صلابة وكبرياء .. اين منه مئذنة جامع يونس عليه السلام وزمر الحجاج الناشطين فى معادهم يزورون الأقصى ثم يقصدون حرم يونس بن متى قبل أن ينتهوا الى آخر ما تقضى به الرحلة الى حرم ابراهيم الخليل ابى الانبياء ..

أين اغانى الموســـم باقيات من عهد صـــلاح الدين تنضح بعزائم الجهاد وحب الرجال ، تنساب على زهور نيســـان فوق رواب انارها الاسراء ، وحفظ خاطرها الصموت اسرار الشهداء من عهد خالد وعمرو ابن العاص . وأين الناى والحادى والقطعان ؟ .. أين الصـــفصاف والمروج والغـدران ؟ اين ســـمر النوادى ، وارنان الشـادى ؟ واين مجامع الخلان وقصص الشـــهداء والجمع الحسان .. ؟

وقرع الجـرس ، وانفتح الباب بالجهد الجهيد أمام صولة الاعصار ، وأضىء ضــوء على الدرج وانكشف الراس المشتعل بالشـــيب نافر الموضع الآن على ظهر مقوس ..

الله اكبر .. اهـــذا ما ابقت الاحداث من جســـد متكامل وهمة عارمة ورجل حق الرجولة مهما قل فى الشدائد الرجال ...

كان العناق صـــامتا ، ودمعتان ثنتان تســللتا ، وحـالا مســتحيتا وابتســـامة تتشبث بالشفتين وقد زمتا .. وعتاب حائر على تغضنات الجبهة لا يدرى لمن يكون .

ورانت فترة صمت ، وصـاحب البيت يحدق فى وجه الضـــيف . شد ما تغير الآن كل شىء وضمر ، الا بريق العينين ما يزال حيث كان ، وما يفتأ غضوبا ثائرا كهــذه الريح الغاضبة تعصف فى كل مكان .

بل اســـتغفر الله ان آثار الرزايا ما تزال باقية على الجسد الضامر .

على الجبين ندبة الجرح العميق من هراوات الجنود البريطانيين أيام كان شابا عام الف وتســـعمائة وتسعة وعشرين وكان وقتهـا يبلغ العشرين عاما حين وجده الجنـود جريحا بين القدس والخليل ، عائدا الى حلحول يتخفى بجرحه الذى ناله فى القدس ، لـكن احدى الدوريات أمسكت به ، وجاءت به الى القرية لتحقق معه اين كان وأين أصـيب ومن كان معـه وهو يصر على انه أصيب برصاص طائش وهم حينـا يلكمونه بعنف على الوجه ، وحينـا على رغم جرحه يأمرونه بالتحـامل على نفسه ، والسير على حصـباء مخلوطة بكسور من الفخار والزجاج والشوك ، وهو يهتف « الله أكبر ، من جاء بكم من أقاصى اســكتلنده وويلز ، ومن استأجركم لســلب أرضـــنا واعطائها للصـــهاينة والمشردين » .. ولا أدرى كيف قهر الحمى الملتهبة التى ألحت عليه فى مســـتشفى سجنوه فى احدى حجراته ، ولا كيف يعيش النـاس بعد القهـــر والاذلال والجـــراح والسجن ، لكن البذور التى زرعهـا صلاح الدين فى التربة التى جددت اغتســالها بالدم الزكى تحت راياته كانت بذوره محصنة منتقاه ..

والســـاق اليمنى ملتـوية من الوسط تبدو بوضوح أكثر ضـمورا من شـــقيقتها اليسرى ، ولذلك قصــته تهون حين تكتب ثانية بمداد الاقلام ، فقـد كتبت لأول مرة بألم عبقرى أشـد حمرة من الدم واعظم ايلاما من الجراح ، وكان ذلك سنة الف وتسعمائة وثمان وثلاثين .

كان يقضى الليل مع الثائرين يعلن السخط على الظلم بتصـيد دوريات العـــدو ، وفى آخرة منــه يخفى سلاحه ويؤوى الى فراشه ويصحو لعمله مع ســائر الناس ، وتكررت فى الوديان القريبة من القرية ملاحم بطولة نادرة ، وكان كافلو الخطـة الصهيونية يتميزون غيظا من حفنات الثوار الذين أسقطوا فى ليلة واحدة عند « بئر السبيل » طائرتين وعطلوا ثلاث مصـــفحات وأحرقوا اثنتين وسيارة نقل عسكرية ، وبادروا الى ارسال أشد فرقهم همجية بقيـادة

بربرى متمـــدن يدعى « دوجلاس » آلى على نفسه أن يستحدث فنا من العذاب لم يصل الى سمع أحد مثيل له من قبل .

وفورا أنشـــأ دوجلاس بقطع من الليل سجنا مكشوفا أحاطه بالاسلاك الشـــــائكة ، وبث حوله الانوار الساطعة الكشـــافة ، ولأيا جعل مساحته تتسع لثلاثين شــخصا ثم فاجأ القرية فجمع منها مائة وثلاثين رجلا وفتى ، وكان صـــــاحبنا بين هؤلاء ، أخذ على حين غرة بعد أن آوى الى فراشه وحشد الرجال فى المعسكر اياه الذى سماه دوجلاس « جهنم » والى جانبه كانت هنـــاك أريكة فى ظل شــجرها فيها فراش وثير ، مرفوعة على قوائم معدنيـــة جميلة ، وفوقها حشايا موشـــــاة بتطريز بديع ، وأمامهـــا مائدة على نضد جميل ، حافلة بالشواء تتضوع رائحتـــه فى المــــكان والى جانب المزهريات الحوافل بالورود كان الماء يتلألأ مشـــــعشعا فى أباريق من البللور الصافى ، وقد سمى العش الهانى « بالجنة » .

أحكم « دوجلاس » اغــلاق ما سماه هو « جهنم » وما تعارف عليه الناس فى حلحول باسم « التيل » ، وأعلن أن لمن شاء أن يسلم بندقيته أن ينتقل الى « الجنـــة » والا فهو باق نهـــــاره تحت لظى الحـــر فى شمس موسم الحصاد ، ليس له من المـــاء الا عشرون غراما كل يوم ، فاذا جن الليـــل فلا نوم لأن الانوار الكشافة تدار لتســـــلط على أعين النزلاء أما الطعام فلا طعام أبدا ، كذلك يمنع الاتقاء من حر الشـــمس بأى غطـــــاء من ملابس النزلاء .. والواقع انه لم يبق بعد الاســـبوع الاول على اى من النزلاء ســـــوى ســــواتر عوراتهم ، فقد كان الجند يصادرون كل ما تتقى به الشـــمس ويحرقونه ..

وكان صاحبنا يحرض النزلاء على الصمود والاعتصام ، ويحذر أيا منهم من الضعف والتخاذل ، وقد ضرب غير مرة ضربا مبرحا ، لكن الضرب لم يكن شـــيئا اذا قيس بالعطش الرهيب ، وراح النزلاء يتســـاقطون موتى واحدا بعد واحد ، وقد خفتت حتى اناتهم الخـــافتة اذ يرفعون أعنـــــاقهم متمتمين « وتر .. ميه يا دوجلاس .. الله أكبر » .

وتخـــاذل رجل واحد جاء ببندقية فأدخل الى « جنة دوجلاس » على أعين الناس . لكنه لم ينعم بذلك الا يوما فقد اعتصره الندم على ما فعل من تســـليم بندقيته ، وراح يهذى ليلة بطولها ولم يسلم حياته القصيرة التى عاشها من هذيانه المحموم حتى مات ..

أما صاحبنا فقد صـــمم على ان يجد طريقه الى الماء بكيفية اســـمى وأشرف ، وتظـــاهر بأن لديه بندقية فأتبـــع بجنديين سارا وراءه وهـــو يحبـــو حبوا أن كان كل نزيل عاجزا عن الوقوف منتصبا ومضى أمامهما الى بئر وهناك قذف نفســـه فيها ، واطلقت عليه النـــار لما بانت حيلته للوصول الى المــــاء ، ثم حمل وهو ينزف وضمدت ساقه المصـــابة ولم يخرج الا مع الخارجين بعد ســبعة عشر يوما ، مات فيهـــــا من اهل حلحول من مات ، وأصيب من أصيب بالعاهات .. وبعد عشرين سنة لم يبق منهم على قيد الحياة سوى هذا الرجل الصلب الكيان .

وقاتل وجرح فى كفار عتســـيون سنة ثمان وأربعين ، وأصيب بطلقتين فى خاصرته أمام رامات راحيـــل بظاهر القدس ، واحتسب فى الله ولدا شـــهيدا فى البلدة القديمة من القدس ، وواحدا آخر كان يتســـلل طوال الخمسينيات عبر فلســـطين

كلهـــا بجنح الليل فيعــود محملا بأسلاب الغاصبين ، وعلامات على من ظفر به من جند العـــدو فقتله واحتمل سلاحه .. وفى آخر رحلة له ذهب واستأثرت به السهول بين الخليل وغزة فى احدى قوافل الليل فلا يدرى أحد أين لقى مصرعه ..

لكن كل الكوارث تهون أمام كارثة سبع وستين ..

لم ينم ليلته كلها حين ســـقطت القدس .. يده على لحيتـــه يمزق شـــعرها أسى وتفجعا ، ودموعه تنهمر وهو يتقلب كالملسوع ، وحين يتصور دخول جند الظلم ســـاحة الاقصى ينهض فيرقص من الألم رقص الطير الذبيح .. ومع ذلك استطاع عزمه الجبار أن يهضم الألم الرهيب كما تطحن المعـــدة الجبارة سيىء السموم مع الطعام .. وما لبث أن ربط نفسه الى تنظيم للمقـــاومة ، واشــــترك فى غير معركة واحدة وبحث عن الموت بحث المحب المستهام .. لكن الأجل لم يواته ..

عبثا كان الغاصبون يبحثون عنه بعد كل حادث جديد ، قواتهم تهبط فجـــأة من طائرات « الهيلوكبتر » على قمم الجبال حينا ، وفى القيعان احيانا .. يتلمسونه حيثما عرف أن له أو لأحد من أصـــحابه أرضـــا يزرعونهـــا أو مكانا قد تقودهم اليه الحاجة أو الحنين .. كل ذلك وهو اقرب جدا مما يتصـــورون ، فى البلدة القديمة من حلحول دور طالما نبشت مصـــاطبها القديمة عن فسيفساء متآكلة الجوانب موغلة فى القـــدم أو عن تمـــاثيل وادوات فخارية ، والناس هجروا هذه الدور الى البلدة الجديدة على الطريق بين القـــدس والخليل .. هنـــاك كان صاحبنا ونفر قليل جدا من النـــاس يثق بهم ، قد نبشـــوا بين جدار وجدار ، وانشـــأوا نظاما كاملا للانذار وللتخفى ، ولاطلاق النار فى ساعات الحصـــار .. وظلوا كذلك حتى أدت مصـــادفة غريبة الى محاصرة أحد زملائه الابطـــال .. وهنـــاك وقف بطل حلحول المغوار فأعيا سرية من جند العدو ، وقتـــل نائب حاكمهم العســـكرى وقاوم بين الخـــرائب ، حتى اذا كادت تنتهى الذخيرة ، وانهمرت كالســـيل قنابل المدافع المســـتقدمة للنجدة ودكت معقل البطـــل ، وتقدم المعتـــدون لينبشوا بين الاطلال عن الرجل فاذا هو يخرج عليهم جريحـــا فيفرغ آخر رصاصاته الباقية فى أجساد بضعة رجال منهم ، وحين تم كل شىء صرخ « الله أكبـــر » لو قد بقى ما يكفى للقضاء على بقيتهم واســـــتلمه الغادرون أسيرا ، وما يزال يعانى التعذيب حيث فقئت احدى عينيـــه وكسر له ساق ويد من خلاف ، وفى كل يوم يقال مات ، ولكنه فى الواقع لم يمت .. أما البـــلدة القديمة من حلحول وما يحيط بها من دور فقـــد تلقت عنفوان غضب العـــدو الذى نسفها كما يعرف الناس جميعا ..

جلست أنتظر الرجل حتى ينطق ، ولكنه صـــامت صموت التمـــاثيل أمـــا أنا فكيف اجترىء على صمته ووراء كـــل عقـــد من حيـــاته سفر ضخم من جلائل الاعمال والبطـــولات .. ليت شعرى هل هى ســـكتة اليأس ، أم صموت الذى جاهد وأبلى وأعذر .. وأى شىء أقول للرجل ؟ وأى شىء يريده منى فلا أعطيـــه راضيا مقبلا شاكرا له اســـتمرار الثقة ؟

واخيرا تـــكلم .. قال لى انك تكتب ، وأنا أعلم أنك لم تنقطع عن الكتابة ، وغير مســـتطيع أن تفعل حتى لو شئت فاكتب ما أقوله لك .. انشره على الناس . قل هذا صوت البلد الذى ما فتىء أربعين ســـنة

يقاسى عذاب الاحتلال صنوفا ، وعذاب الاسر والتجويع اشكالا وفنونا ، البلد الذى نسف نسفا ، وما يزال شامخ الجبين يحمل جراحه فى عزة واستماته .. قل لهم ان للقوم مساعى واهدافا ، يريدون الارض، ويريدون الاستغلال، ويريدون الغطرسة والاستعمار ، وتتلذذ طبائعهم المجرمة ببث الرعب والفساد ، ولكن شيئا آخر يعتمل فى نفوسهم ، ويتخفى تحت كل افعالهم ، ويبررون به كل جرائمهم .. انهم يريدون استئصال الاسلام وهذه غاية غاياتهم .. شىء ما فى هذا الدين يغيظهم ويفرى اكبادهم ، سر ما فى هذا الدين يعذب وجدانهم ويثقل كاهلهم ..

لقد سجنت مرات وجرحت مرات اكثر ، وطوردت وحوصرت واوذيت، ووالله لا يعرف الشوق الا من يكابده ، ولا يفهم عن مقاصد الظلم الا من يبتلى بها .. ووالله ما لهم من غاية تحدوهم اعظم عندهم من استئصال الاسلام ، وتعطيل النداء بـ « الله اكبر » من كل رسالته ، والحيلولة دون التجمع عليه والتداعى على نوره .. تعرف ذلك من شتائمهم وفلتات السنتهم .

قل للمسلمين فى انحاء الارض انهم يريدون دينهم قبل كل شىء ، يريدون تحطيم يقين المسلمين بالسلب والحرب حينا ، وبتلويث الاخلاق ، وتحريف القيم والمفاهيم وتسخير المضللين والمرجفين ... قل لهم فليحترموا انفسهم ، وليقبلوا على قرآنهم ، وليعلموا انه ما من شىء سواه ينقذهم من شر يراد بهم .

قل لهم ان حقيقة ما يريدون هو ان يلملموا بقايا العرب فى خارج الجزيرة ثم يعيدوهم وثنيين مرتدين يعيشون على ابسط أتاوه ، ويؤدون لاسرائيل وجائب حماية ظهرها وتأمين سلامتها ، وتسهيل تجاراتهم وتجارتها ، قل لهم ان ما يقال عن الحلول السلمية هو احدث مخدر يحول بين الضحية والحركة حتى يأتى دور جديد فى تقطيع اوصالها .

اخبرهم عن قصة رجل واحد من قرية فى فلسطين وما لاقى عسى أن يعلموا أن ابعاد ما عليهم ما تزال اكبر مما يظنون .. قل لهم ان غرزة فى حينها تقى شر عشر متأخرات .. قل لهم ان حقدهم المجنون لا يملك أن يهدأ ما لم تحطموه حتى ينتهى عند يثرب ومكة .. قلت سأفعل ودعنى انظر فيما تأمرنى به غير ذلك .

ابتسم وقال لا شىء لا شىء .. انا عائد ووالله لن تفتر لى عن طلب الشهادة همة .. ادع لى بها .. ثم انصرف ولم يعد بعدها .





رؤساء وفود الاردن والاتحاد السوفيتي والصين

٤ـ الدكتور محمد البهى
اسرائيل والدين
الشباب المسلم اليوم
٥ ـ الشيخ أحمد حسن الباقورى
الأزهر فى خدمة الاسلام
٦ ـ الدكتور عبد الحليم محمود
الاسلام والعـلم
٧ ـ الوزير ابراهيم الطحاوى
الكلمة والحركة ودورهما الأساسى فى نهضة المسلمين .
٨ ـ الفريق عبد الرحمن أمين
التولى يوم الزحف
٩ ـ الدكتور محمد عبد الله ماضى
الجهاد بالمال فى نظر الاسلام
١٠ ـ الدكتور اسحاق موسى الحسينى .
الجانب الاسلامى من القضية الفلسطينية .
١١ ـ الاستاذ عبد المنعم خلاف
الغارة الصهيونية غارة دينية على الاسلام والانسانية .
١٢ ـ الاستاذ عبد الله كنون
العمل الفدائى فى الاسلام
الاسلام والشباب

١٣ الشيخ عبد الله عبد الخالق المشد
وظيفة المسجد فى المجتمع المعاصر
١٤ ـ الشيخ الفاضل بن عاشور
امتزاج الازهر بالزيتونة
١٥ ـ الاستاذ عبد الحميد حسن
الحياة المثالية للفرد والمجتمع كما اوضح الاسلام معالمها .
١٦ ـ الدكتور ابراهيم اللبان
ايمان الشباب صيانته ووسائل دعمه
١٧ ـ الدكتور محمد مهدى علام
التربية الخلقية للشباب
١٨ ـ محمد خلف الله أحمد
الاسلام وحماية الشباب من الانحراف الفكرى والسلوكى .
١٩ ـ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار
اثبات العقائد الاسلامية بين النصيين والعقليين .
٢٠ ـ الدكتور مصطفى كمال وصفى
كفاية الشريعة الاسلامية فى تثبيت التعامل واستقراره
٢١ ـ الدكتور محمد أحمد الغمراوى
فى تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم

الفتاوى

زكاة العمارات والآلات

السؤال :

هل تخضع مطحنة الحبوب ومصانع الطوب لفريضة الزكاة ؟ واذا كانت تخضع فهل يقتصر التكليف الشرعي على الآلات والبناء أو يضاف اليه الايراد طوال العام ؟ وما حكم العمارات السكنية وغيرها من أوجه الاستثمار بالنسبة الى الزكاة ؟

صالح حسن درويش (ج. ع. م)

الاجابة :

وقد عرض هذا السؤال على الاستاذ مصطفى احمد الزرقا فتفضل بالاجابة التالية :

نص الفقهاء على ان المال الذى يخضع لفريضة الزكاة هو المال النامى فعلا او تقديرا من حيوان ونبات وغيرها بشرائط .

فاما الحيوان والنبات فلكل منهما شرعا نظام تفصيلى خاص ليس مسؤولا عنه الآن .

واما سواهما فيشمل السلع التجارية والذهب والفضة ولو غير مسكوكين ، ثم سائر النقود المتداولة من غيرهما (يدخل فيها اليوم المسكوكات المعدنية والاوراق النقدية) .

والمراد بالسلع التجارية ما هى تحت المتاجرة بالفعل لا مجرد كونها قابلة للاتجار بها .

واما الذهب والفضة وسائر النقود فتشمل المخزون المكنوز ، والمستثمر فعلا ، لانها تعتبر نامية تقديرا ، والشرع يحظر النقود وتعطيلها عن الاستثمار الذى خلقت له ، بخلاف السلع فانها محل للانتفاع بعينها استهلاكا او استعمالا ، فميز شرعا فيها بين النامى فعلا وبين ما هو مخصص لوفاء الحاجات الشخصية كمفروشات البيت ، وكتب القنية ولو صاحبها غير عالم .

ويستثنى من ذلك بعض مستثنيـــات فى حالات ، منهـــا آلات الحرف والصناعات التى يستخدمها صاحبها العامل فعلا فى العمل الانتاجى بخلاف هذه الآلات اذا كان صاحبها يتاجر بها تجارة ، فانها خاضعة للزكاة .

اما العقار فاذا كان صاحبه يتاجر بعينه تجارة بيعا وشراء فهو عندئذ يتبع حكم السلع التجارية ويخضع للزكاة بشرائطها ، واذا كان لسكنى صاحبه أو لعمله فلا زكاة فيه ، واذا كان للاستغلال بالايجار فلا زكاة فى عينه لأنهم اعتبروا عينه حينئذ غير نامية ، ولكن غلته تخضع للزكاة بشرائطها من النصاب الزائد والحول .

هذه خلاصة موجزة مكثفة (دون تفصيل الشرائط غير المسئول عنها) لمـــا يقرره الفقهاء .

ومنها يعلم ان المعـــامل ســـواء أكانت للطوب ام للطحن ام ســـوى ذلك لا تخضع آلاتها ولا بناؤها لفريضة الزكاة بحسب ظاهر نصوص الفقهاء ، ولكن تخضع المواد الاولية التى تعمل فيها وثمراتها المـــالية التى تنتج من استثمارها بشريطة النصاب الزائد والحول لأنها عندئذ مال تجارى نام .

وشريطة الحول ليس معناها ان تبقى المنتوجات مجمدة حتى تمضى عليها سنة لكى تخضع للزكاة ، بل ان الحول يسرى عليها لو بقيت ، ويستمر اعتباره ساريا دون انقطاع على عوضها ونمائها لو بيعت فى اثنـــائه ، لأن عوضها خلف عنها .

على ان من فقهاء العصر من يرى ضرورة اخضاع معامل الصناعة الآلية اليوم بآلاتها ومبانيها للزكاة ، لأنهـــا قد تمثل اليوم رؤوس اموال (ضـــخمة استثمارية نامية) بخلاف آلات الصناعة اليدوية قديما . لكننى ارى أن هذا لا يجوز لفرد أن يفتى به من تلقاء نفسه ، بل يتوقف على اجتهاد جماعى من وظيفة مجمع فقهى نرجو أن يوجد فى العالم الاسلامى .

على انه اذا نظرنا الى اعمق من الظاهر قد ندرك ان المصانع الآلية المتطورة بصورتها الحاضرة الضخمة اليوم ، آلات وبناء ، قد يكون فى عدم اخضاعها للزكاة مصلحة لا تقل عن المصلحة الملحوظة فى اخضـــاعها ان لم تزد ، فان ما تفتحه من ابواب العمل المنتج للعمال والفقراء ، فتحرك فيهم طاقات كبرى كانت عرضة للتعطيل والشلل ، وتدر أرزاقا لأولادهم وأسرهم ، وتدير دولاب الاقتصاد العام فى جميع انواعه ، أن هـــذا الأثر كله تستحق به المعامل هـــذا التشجيع على انشائها بعـــدم اخضاعها لتكليف الزكاة لو ان اصحابها قنوا من ورائها أرباحا وثروات ضخمة ، ولا سيما اذا عرفنا ان تلك الثروات والارباح خاضعة للزكاة (الى جانب ما تفرضه النظم المالية اليوم من ضرائب لا يفلت منها بناء ولا آلة ولا دخل) ولو ادى اصحابها زكاة مواردها لكان فيها خير عميم .

فلا ارى من الجائز بتفقه فردى ومرتجل ان يفتى باخضاع مبانى المعامل واثاثها وآلاتها لتكليف الزكاة ، ولنسر على خطى فقهائنا الاولين فى الصـــورة الابتدائية الاولى ، ففيها حكمـــة وروية ومصلحة تنطبق على الصورة المتطورة الحديثة لهذه المعامل . والله سبحانه اعلم .

حد السرقــة

السؤال :

ما هى السرقة كيف تثبت صحتها ، كيف تقطع الاصابع ومن أى محل .. وهل صحيح أن السرقات قليلة جدا فى مجتمع يسوده تطبيق القانون الاسلامى الشامل الكامل .. وهل تقطع يد السارق اذا كانت سرقته عن حاجة ماســة كالفقر .. وما هى واجبات الدولة الاسلامية للقضاء على السرقة .. ولانعاش اقتصاد المجتمع وبناء اقتصاد سليم ..؟

عبد المحسن على الجبورى ــ بغداد

الاجابة :

تفضل بالرد على هذا السؤال فضيلة الشيخ على البولاقى .

اما معنى السرقة التى توجب قطع اليد فهو ان ياخذ انسان شيئا مملوكا لغيره على وجه الاختفاء مع استيفاء الشروط واهمها :

أولا : أن يكون السارق بالغــا عاقلا وليس من اصــول المسروق منه ولا فروعه .

ثانيا : ان يقل المسروق عن نصاب وهو ربع مثقال من الذهب الخالص او ما يساوى ذلك من غير الذهب كالنحاس والفضة والكتب والامتعة والثيــاب والاوراق النقدية وغيرها (وربع المثقال هو جرام واحد وكسر مقداره ٤/٣٥ من الجرام) .

ثالثا : ان يكون المسروق محرزا بحرز مثــله اى محفوظات بحيث لا يعد صاحبه مقصرا ومفرطا .

رابعا : الا يكون السارق ماذونا له من صاحب المال فى الدخول الى المكان الذى سرق منه .

خامسا : ان تثبت عليه السرقة اما بالاقرار واما بشهادة رجلين عدلين يشهدان انهما راياه وهو يسرق ، وليس من الشروط غنى السارق ، فالفقير الذى يسرق يثبت عليــه حكم القطع كالغنى ، لأنه لا يعد وســيلة للعيش ولو بسؤال الناس .

واما صفة القطع فهى ان تقطع اليد اليمنى من المفصل الذى يفصلها عن الذراع وهو الرسغ ، فان سرق بعد ذلك قطعت رجله اليسرى من المفصل الذى يفصلها عن الساق وهو الكعبان ، فان سرق ثالثا قطعت يده اليسرى ، فان سرق رابعا قطعت رجله اليسرى ، فان سرق بعد ذلك عاقبه القاضى بما يراه رادعا له من العقوبات .

ثم أن السرقات الموجبة للقطع تقل جدا فى مجتمع يسوده تطبيق القانون الاســلامى الشامل الكامل لمــا فى القطع وغيره من الزواجر الشرعيــة من استتباب الامن .

وعلى الدول الاســلامية ان تعمل على رفع مستوى المعيشــة ، ووقاية شعوبها من الفقر وفساد الاخلاق والجهل بالدين ، مع المحافظة على العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

بأقلام القراء

جهـاد النفس

كتب الاستاذ على على عياد تحت هذا العنوان يقول :

لقد قدم لنا الرسل والانبياء والمصلحون أمثلة كثيرة لهذا اللون من الجهاد الشاق العنيف .

وتبرز حياة الرسول العربى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بين هؤلاء وأولئك كنموذج صالح ومفيد للقدوة الحسنة ، ولاعطاء المثل على جهـاد النفس .

فها هو ـ صلى الله عليه وسلم ـ يروض نفسه على الطاعة ، فيقـوم الليل ، ويطيل التهجد ، ويكثر من العبادة والبكاء ، مع أن الله ـ عز وجل ـ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .. ويجيب الرسول ذات مرة على تعجب أصحابه الذين سألوه عن سر انهـاكه لنفسه ومقامه عند الله عظيم .. بقوله **« افلا اكون عبدا شكورا »** .

والرسول أيضا هو الذى كان يربط الحجر على بطنه من شدة الجوع ، ولقد يمر الشهر ، ويأتى بعده الشهر الآخر .. وما توقد نار فى بيته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لخبز أو طبخ .. كما تحدثنا بذلك احدى أمهات المؤمنين .. وانما هما الاسودان : التمر والماء ، عليهما يعيش ، وبهما يقتات ، بل انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يفضل اللبن ، لأنه يجمع بين الشبع والرى .

ولقد روى أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يجمع فى اكلة واحدة بين صنفين من الطعام ، وفارق الدنيا دون أن يشبع من خبز الشعير ، وكان النبى الكريم يجعل ستارا كثيفا من التقوى بين نفسه وبين الترف .. فكان ينام على حصير خشنة تترك آثارها على جسـده الطاهر ، وما كان ليستعين بأحد فى شئونه الخاصة ، وانما يحلب شاته ، ويرقع ثوبه ، ويطعم ابله ، وينصب خيمته ويحمل حاجته من السوق ، ولم يكن ذلك عن عجز أو فاقة .. وانما كان جهادا شاقا للنفس ، ورياضة لها وتغلبا على شهواتها ، واقترابا من الله جل وعلا .

تقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : **« قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى عرض على أن تجعل لى بطحاء مكة ذهبا ، فقلت : لا .. يارب ، اجوع يوما ، واشبع يوما ، فاما اليوم الذى اجوع فيه .. فاضرع اليك وادعوك ، وأما اليوم الذى اشبع فيه .. فاحمدك واثنى عليك ، مالى والدنيا ، انما انا فى الدنيا كرجل سار فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة حتى مال الفىء ، فتركها ولم يرجع اليها »** .

الهـــدايا

وكتب الاستاذ عبد الرحمن احمد شادى تحت هذا العنوان يقول :

الهدية شىء محبوب يقرب بين الاهل والاصحاب ، والغريب أنها أصبحت تباعد بين الناس ، وتقطع الارحام ، وتدعو الى الجفاء والوحشة ، وذلك لمـا يتكلفه الزائر المقيم أو المسافر من الهدايا الثقال ، فهى فى عرف اليوم واجب

لا يستطيع أن يفلت منه ، بل أصبح من العيب أن ترد الهدية بمثلها ، فلا بد أن تأتى رابية نامية زاكية مضاعفة ، والا تعرض للذم وسلقوه بألسنة حداد كأنها قرض غير حسن ، وأشكالها وانواعها كثيرة لا يغنى فيها شىء عن آخر .

على الزائر أن تسبقه الحقائب ممتلئة بما فيها : من الحرير والصوف والقطن المفصل والغفل من التفصيل والنظارات والساعات ، وأربطة العنق وأقلام الحبر ولعب الاطفال والازهار الصناعية الخ .. عليه أن يرضى خاطر الصغير والكبير ، وأن يختار لكل فرد ما يناسبه ، وعليه أن يعرف بظهر الغيب ، وهو يشترى الهدايا الاهواء والمشارب والنزعات والميول ، فيأتى لكل فرد بما يسره ..

ومهما بذل من الجهد الطيب والهمة المشكورة فانه لن ينال رضا الناس .

ربما ساءهم اللون أو كدر صفوهم الطراز العتيق ، أو أحزنهم ايثار بعض الافراد بنصيب اكبر أو قماش اغلا .

وكل هؤلاء الذين يكثرون عند الطمع ويقلون عند الفزع لا ينظرون الى ظروف الزائر المسافر .. فقد غرم مالا يسيرا أو كثيرا فى القطارات والسيارات والبواخر والطائرات ، ووقع فى يد من لا يرحم من الحمالين واصحاب الفنادق .. وربما اضطرته أثقال الهدايا التى يحملها الى الكذب والولوج فى مواطن الريب ، واعطاء الرشوة والغش والنفاق والذل والحاجة الى اللئيم الذى يظن به ظن السوء ، وكل هذا مما يكرهه المسافر ، ولا يحب أن يورط نفسه فيه ..

الا يمكن للأهل والاصدقاء أن يضعوا انفسهم موضع الزائر حامل الاثقال من الهدايا ، فان جاء بهدية بعد أن طابت نفسه ببذلها دون مشقة ولا مئونة عليه قبلوها ، والا التمسوا له الاعذار السالفة ، وفكروا بعقله هو لا بأطماعهم ، ولجأوا الى القناعة ، ويكفيه أنه سعى اليهم ، وكانوا من القاعدين وأنه رعى عهد الصحبة .

وكم صبر — صلى الله عليه وسلم — على أذى قومه ، أغروا به صبيانهم وسفهاءهم فتابعوه بالسباب ، وقذفوه بالحجارة حتى دميت قدماه .. ولم يتركوه حتى وهو بين يدى مولاه — عز وجل — فوضعوا القاذورات على رأسه الكريم .

وتجمعت الاحزاب ضده من : قريش ، وغطفان ، وبنى أسد ، وبنى سليم ، واليهود ، لقد ارتكبوا معه كل ما هو سيىء وقبيح .

وكان من الممكن أن ييأس ، وكان من الممكن أيضا أن تتوق نفسه للراحة والاطمئنان ، وأن يعيش كبنى قومه فى رفاهية وهناءة .. ولكنها نفس ، محمد ، الطاهرة ، الزكية ، التى استطاعت أن تصمد للتحديات الكبيرة القاسية ، وأن تتحمل الصعاب ، وتثبت أنها فى مستوى المسئوليات الخطيرة الملقاة عليها من قبل السماء .

وما أحوجنا اليوم — وأمتنا العربية والاسلامية — تعيش معارك التحدى والمصير ، مع الاستعمار متمثلا فى وليدته المدللة اسرائيل ، الى تمثل حياة الرسول عليه الصلاة والسلام والسير على نهجه الرشيد .

وما أشد حاجتنا الى جهاد النفس ، نكبح جماحها حين تريد السقوط فى مهاوى الرذيلة ، ونتحكم فى شهواتها حين تبغى شيئا لن يضرها الاستغناء عنه ، ونروضها حين تركن الى الدعة والسكون .

ان جهاد النفس هو طريقنا الواضح نحو تحقيق الاهداف الكبرى على المستوى القومى والعالمى ، واذا كانوا فى الطب المادى يقولون : (الوقاية خير من العلاج) فاننا فى الطب الروحى ينبغى أن نقول : ان جهاد النفس هو البداية الطبيعية لجهاد المدفع والطائرة ، وهو العامل الحاسم فى الانتصار على كل الاعداء .



أوليــــات النصر

تحت هذا العنوان كتبت مجلة (هدى الاسلام) الاردنية تقول :

لم يكن فى حسبان العدو عندما شن حرب الأيام الستة ، أن تكون مقاومتنا على هذا المستوى ، أو أن تستمر المقاومة الى هذه الايام ، بل ظن الامر سينتهى بانتهاء الحرب ان كتبت له الغلبة فيها ، ولكن الايام خيبت ظنه وقلبت أمله ، وحطمت رجاءه عندما رأى الامة المقهورة تورق فيها شجرة المقاومة ، وتنبعث فيها روح الصمود ، وتتحرك فى أوصالها روح القتال ، وتشتعل فى قلوب أبنائها حرارة الكفاح .

ومع الايام جن جنونه ، وفقد أعصابه ، وخرج عن صوابه ، فأخذ يضرب دون وعى يمينا ويسارا دون تفريق بين المقاتلين وبين الشيوخ والاطفال والنساء وازداد ضربه من الارض والجو على مدن الشمال وقرى الشمال فى شرق النهر ، نهر الاردن .

ومن الامر البديهى أن الغارات الجوية العنيفة ، وضرب المدفعية من هضبة الجولان يستهدف بها العدو القوى المعنوية ، والقضاء على روح الثبات والصمود والمقاومة التى يتحلى بها شعبنا فى الشمال وفى كل مكان ، ولكن هل ينجح الاسرائيليون فى الوصول الى هذه الغاية ؟ وهل هذا النمط من العدوان الآثم المستمر يلجئنا الى نبذ روح المقاومة ، والى فقدان ايماننا بحقنا أم انه يسير بنا فى درب آخر لم يكن فى حسبان العدو أن نسير فيه .

ان المتتبع لمسيرة أمتنا التاريخية والواقعية يجزم بأن اسرائيل لن تصل الى مبتغاها ، ولن تحقق أهدافها ، ولن يكتب لها البقاء فى أرضنا مهما امتد بهـا الزمن ، ومهما تعددت ألوان عدوانها ، ومهما اتسم هذا العدوان بالقسوة والعنف والوحشية والهمجية ، ومهما كانت ضخامة الاموال الاجنبية ، وغزارة المعدات الحربية والعلمية التى تتدفق عليها ، ومهما كانت وسائل الدعم الخارجى لهذا الكيان الغريب عن أرضنا .

وأرى أن استمرار العدوان يحقق لنا خيرا على المدى البعيد ، فذلك يقوى فينا روح المقاومة ، ويزيد من اصرارنا على الجهاد ، ويجعلنـا اكثر شـعورا

بالمسؤولية ، وينشر بيننا مزيدا من الوعى على حقيقة هذا العدو ، ويجعلنا اكثر ادراكا لخطر الوجود الاسرائيلى فى منطقتنا ، فلما ازدادت اسرائيل فى عدوانها ازدادت امتنا فى تمسكها بحقها ، وازداد صبرها وصلابتها .

ومن المعلوم أن المزيد من الصمود أداة جبارة ، ووسيلة فعالة ، مضمونة النتائج لصالحنا على النطاق الداخلى ، والنطاق الخارجى على حد سواء اذا ما احسن استخدامه بصورة معقولة بعيدة عن الارتجال ، ومن أوليات استمرار هذا الصمود الذى نباهى به توحيد الجهود ، وتجميع القوى ، وتشابك الايدى ، ونظافة القلوب ، فذلك عمل جوهرى فى استمرارية الصمود ، وعامل أساسى فى كسب المعركة فى الحرب الطويلة ، ولا عجب فى ذلك كله فشعار العدو قنبلة وقذيفة وطائرة تنطلق من فراغ الباطل ، وشعارنا صبر وتضحية وفداء ، ينطلق من حرارة الحق وشتان بين الشعارين وبين المنطلقين .

الاثرياء عنـــدنا وعندهم

فى لقاء بين مجلة الهدف الكويتية والدكتور يوسف الصايغ جرى حديث طويل تناول القضية الفلسطينية نقتطف منه الفقرات التالية :

الاثرياء يقدمون فضـــلات موائدهم تبرعا ، واذا قارنا التبرعات العربية بالتبرعات اليهودية الفردية ، لأدركنا تفاهة ما يقدمه الاثرياء العرب ، وما ينطبق على الفلسطينيين ، ينطبق كذلك ، والى حد أبعد على اخوانهم العرب .

والمختصون ، مهما كان اختصاصهم ــ مهندسين أو أطباء أو فنيين ــ لم يدركوا بعد مسؤوليتهم فى تخصيص قسم من وقتهم بشكل منتظم لأغراض الثورة الفلسطينية ، وينبغى الا ننسى أن كل رجل اسرائيلى عليه أن يخصص ثمـــانية أسابيع فى العام الواحد ، لاعادة التدريب ، وعدم الانقطاع عن أساليب القتال ، والاطلاع على أحدث فنونه ، ولو طبقنا هذا النظام عندنا ، لقامت الشكوى من كل صوب . .

بعبارة مختصرة ــ يقول الدكتور صايغ ــ وبالرغم من اتساع المشـــاركة كما قلت ، فان الفرد العربى لا يزال يتصور أن سواه ملزم بالنضال ، وما أقل الذين يعترفون للثورة بحق التجديد مهما كانت حقول الاختصاص التى يطلب من المجندين العمل فيها .

ان الثورة فى اعتقادى قد بلغت مرحلة متقدمة ، صار يجوز لها فيها أن تعبىء الطاقات ، لا أن ترجو بحياء وخفر .

● والناحية الاعلامية ؟

ــ الاعلام احدى جبهات المواجهة ، على اننى أود أن اضع الاعلام فى موضعه السليم بالنسبة للمجابهة الشاملة مع اسرائيل ، فالاعلام يسعى الى خلق الصورة الملائمة ، أو تصحيح الصورة الخاطئة ، لا يستطيع الاعلام أن يخلق صورة ليس وراءها حقيقة ، واذن فان ما نراه من اعلام ناجح الى حد ما للعمل الفدائى ، مرده الى وجود العمل الفدائى بالذات .



الوعي الإسلامي

□ زواجك افضل □

السيدة س. ع. من الجمهورية العربية المتحدة تقولفى رسالتها :

انها فقدت زوجها منذ ثمانى سنوات ولها منه اولاد تعيش معهم بروح الكفاح وتقول : انها لا تنوى الزواج ابداً ومع ذلك فهى تحب من يشجعها على هذا الكفاح ، ولها ابن خالها يزورهم كثيراً ويعاون اولادها ، ولكنه يجلس معها احيانا على انفراد وتأخذهما بعض عاطفة ، وتسال ماذا اصنع علما بأنى متدينة تفيض عينى بالدمع مع ذكر الله حتى فى الصلاة ، وهل يعتبر لقائى هذا مع ابن خالى خطا ؟ واذا كان خطا هل له كفارة من مال او صلاة او صوم ؟

••• •••

وقد اجاب على هذا السؤال الأستاذ الدكتور احمد عبد المنعم البهى رئيس قسم الشريعة بجامعة الأزهر وأستاذ الشريعة بجامعة الكويت قال سيادته :

ما دام ابن خالك يبدى نحوك العواطف التى ذكرتها فى خطابك ، فيحسن فى هذه الحالة زواجك منه اذا كانت لديه نية صادقة فى التزوج بك ، وسيتضح لك مدى نواياه إن كانت عواطفه صادقة نحوك ، أو انها لمجرد التسلى ، فإن لم تكن لديه نية الزواج بك فخير لك وله أن تقطعى هذه العلاقة لأنها ستجر قطعا الى ما يرفضه الشرع ولا ترضاه امرأة متدينة مثلك يفيض قلبها بحب الله وذكره كما ذكرت فى خطابك .

واعلمى انه لا يجوز لك شرعا لقاء ابن خالك على انفراد لأنه ليس محرما لك **(اى ليس ممن لا يحل له زواجك)** ولقاؤكما منفردين حرام شرعاً فضلا عن انه يجر الى الإثم .

ونصيحتى لك أن تتزوجى بابن خالك اذا قبل أو غيره ممن يتقدم لك من الأكفاء ، وممن تلمسين فيه حرصه عليك وعلى اولادك ، فالزواج سنة سنها الإسلام وليس هناك مأخذ عليه .

ولا تظنى أن الزواج يمنعك من الرعاية الواجبة لأولادك فربما يكون عاملا

مساعداً فى الحفاظ على الأولاد وتربيتهم وخاصة إذا وفقت الى من يهتم بأولادك ويعنى بأمرهم ، وخير لك أن تمشى فى ركب الحياة مع زوج من أن تمشى وحدك فى خضمها .

أما ما سألت عنه من بعض ما يحدث من ابن خالك ورويته فى خطابك فكفارته عدم العود والتوبة النصوح الى الله والإستغفار مما كان .

◆◆◆ ◆◆◆

□ عمر الشيطان □

ومن ندور محمد سعد بيت الطلبة بالعباسية القاهرة ـ بعث يسال عن الحكمة فى إماتة الرسل وإبقاء ابليس .

فى البداية ـ يا سيد ندور ـ نذكرك بأن أفعال الله سبحانه لا يمكن أن تعلل من قبل العقل البشرى لأن هذا العقل قاصر تماما عن أن يدرك الحكمة مما يفعل الله إلا إذا كشف الله سبحانه هذه الحكمة لخلقه ، وكثيراً ما ترى العقول فعلا معيناً كأنه الشر المحض ، ثم يمضى الزمن فتنكشف وجوه للخير ما كان لها أن توجد لولا وقوع ذلك الفعل الذى حسبه الناس شراً محضاً فإذا هو للخير أقرب .

ولكن طموح العقل البشرى إلى معرفة الأسرار واستكناه بواطن الأمور لا يكف عن التماس الحكم من وراء الأفعال واذا لم يكن بد من إرضاء هذا الطموح ، فان الاجتهاد العقلى هو الذى يتصور أن الله سبحانه أعطى إبليس هذا العمر المحدود ليظل اختباراً للناس **« ليميز الله الخبيث من الطيب »** وليكون هناك جهاد للنفس الانسانية فى ضبطها على العبادة والخير ليعظم ثوابها فى الطاعة والجهاد معا ، ولو لم يكن هناك ذلك **(الشيطان)** وجهوده فى اغواء الناس لما كان للجهاد معنى ، ولكانت الطاعة من طبيعة الانسان بوصفه إنساناً ، ومعنى الانسانية الكامل هو الجهاد الدائم فى سبيل الخير وضبط الغرائز والملكات على مقتضاه .

على أن الله سبحانه وتعالى لم يستجب لرجاء إبليس فى العمر المحدود تكريماً له إنما قبل طلبه على سبيل الإهانة والطرد من رحمته .

يقول القرطبي فى تفسيره : إن الله كلم إبليس (كلمه تغليظا فى الوعيد لا على وجه التكرمة والتقريب) .

◆◆◆ ◆◆◆

□ غلاء المهور .. مرة ثانية □

فى هذا الباب من عدد ذى الحجة ١٣٨٩ هـ نشرنا رسالة لقارئة من الظفير بالمملكة العربية السعودية تشكو فيها من غلاء المهور كظاهرة اجتماعية يحاربها الخلق السليم والمصلحة ، لما لها من أضرار تلحق بالشباب عامة .

وقد قمنا وفاء بأمانة التوجيه الاسلامى منبهين الى خطر هذه الظاهرة وموقف الاسلام الحنيف الذى يحث على تزويج البنت اذا خطبها من يرضى

الناس خلقه ودينه دون توقف على مهر كبير ، وإلا كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير »** .

لكن مسألة الخطاب والرد عليه بهذه الصورة اتخذت ابعاداً أخرى ، ووصل إلينا اكثر من خطاب بعضها ينفى وجود ظاهرة غلاء المهور فى الظفير بينما يؤكد البعض وجودها ومعاناة الكثير منها .

على ان اغرب خطاب تلقيناه فى هذا الصدد من مرسل ـ لا داعى لذكر اسمه ـ يقول فيه : إننى تتبعت رمز مرسل السؤال المنتحل فعرفت الإسم الحقيقى لهذا الرمز . .

إنه لا يعنينا ان يكون غلاء المهور موجوداً ، او غير موجود فى الظفير ، او فى غيرها لأنا لا نتهم بلداً ما بقدر ما تعنينا محاولتنا إصلاح العيوب وسد الثغرات لتكون حياتنا على ضوء التوجيه الاسلامى الكريم ، ولذلك جاء ردنا بعلاج الظاهرة حيثما وجدت .

• • • • • •

□ راى طبيب □

قرات فى مجلتكم الغراء فى العدد رقم (٦١ لسنة ١٣٩٠ ص ١٢٢) فى الفتوى عن قراءة الكتب الجنسية ورايى كطبيب اقدمه خالصاً لوجه الله حتى لا أكون قد سكت عما أعلم هو :

إن قراءة الكتب الجنسية قبل الزواج تكون للعلم كما فى كلية الطب وهذه ضرورة ، اما فى غير هذا فهى ولا شك مفسدة .

اما بعد الزواج فأرى من واجب كل متزوج ان يطلع على ما يسعده فى الزواج . . .

(الدكتور خير الدين عيسى الصليبخات ـ الكويت)

فرق بين الكتب الطبية والكتب الجنسية التى نعنيها ، وما يدرس فى كليات الطب هو الكتب العلمية الطبية ، وتعلم وقراءة هذه الكتب فرض كفاية على المسلمين .

أما الكتب الجنسية التى تعتمد على الاثارة وإيقاظ الغرائز السفلى عن طريق الكلمة او الصورة او الرسم ، وغمر المكتبات بهذا اللون الرخيص مع زهادة ثمنه ، وجعله فى متناول يد المراهقين ـ فهذا هو الذى نخشاه ونحاذره ، وندعو الى وقاية ناشئتنا من خطره . وشكراً للسيد الدكتور . .

● تصويب ●

فى العدد ٥٩ من المجلة وقع خطا لفظى فى موضعين من مقال (اوقات رمى الجمار) ص ٣٢ ، فقد جاء فى السطر السابع عشر عبارة (وعند ابى حنيفة ان اليوم الرابع من ايام التشريق) وجاء فى السطر الحادى والعشرين عبارة (اما اليوم الثانى من ايام التشريق) والصواب العيد بدلا من كلمة التشريق فى الموضعين .

أخبار العالم الاسلامي

إعداد : ع. ب.

الكويت : صرح معالى وزير الخارجية بأن الكويت ترحب باعلان قطر استقلالها ، وتؤيد كل اجراء يعود على شعب الامارات الشقيقة بالخير والرقى .

□ يقوم معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بجولة فى بعض البلاد الاوروبية تلبية لدعوة بعض المراكز والهيئات الاسلامية هناك .

□ استقبل معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية كلا من فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى والشيخ محمد أبو زهرة .

□ قررت وزارة التربية تعديل مناهج التربية الدينية ، وتطوير النشاط الدينى فى المدارس .

□ استشهد اثنان من المجاهدين الكويتيين فى معارك القناة التى جرت مؤخرا .

□ أكد مؤتمر منع الجريمة الذى انعقد فى الكويت أوائل الشهر الماضى أن ما يقوم به رجال الكفاح المسلح فى الارض المحتلة دفاع شرعى ضد جرائم اسرائيل ، وطالب الامم المتحدة باتخاذ ما يلزم من التدابير العملية لمنع هذه الجرائم .

□ تلقت الجهات المختصة تقارير عديدة من سفارات الكويت فى عدد من الدول الاجنبية تتعلق بشئون المسلمين ، ونشاط البعثات الاسلامية ، وحركات التبشير فى هذه الدول .

□ تحتفل وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بذكرى المولد النبوى فى جامع السوق الكبير مساء السبت ١١ من ربيع اول .

□ قام الحاج أحمد النتو رئيس الجمعية الاسلامية فى الفيلبين بزيارة الكويت حديث عرض على معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية أحوال المسلمين فى الفيلبين وحاجتهم الى المساعدة .

القاهرة : ارتكبت اسرائيل عملا عدوانيا آخر على هدف مدنى بعد اغارتها على مصنع أبى زعبل المدنى ، فقد أغارت فى الشهر الماضى على مدرسة ابتدائية فى محافظة الشرقية ، واستشهد فيها عدد كبير من الاطفال .

□ انهى مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية أعماله للفترة الثانية فى أوائل الشهر الماضى حيث ناقش مشكلات انحراف الشباب وعلاقة الاسلام بالتيارات المعاصرة .

□ أجرى وزير التربية فى ج. ع. م. عدة اتصالات مع وزراء التربية فى العالم ، ومع مدير عام اليونسكو ومنظمة رعاية الطفولة العالمية لاطلاعهم على مدى وحشية العدوان الاسرائيلى على المدرسة .

□ تعمل الجامعة العربية على جعل يوم ٢٠ أغسطس يوما عالميا فى ذكرى احراق المسجد الاقصى بهدف استنكار اعتداء اسرائيل على الممتلكات الثقافية والدينية فى الارض المحتلة .

السعودية : قرر مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذى انعقد فى جدة فى الشهر الماضى انشاء أمانة عامة دائمة للمؤتمر مقرها جدة لمتابعة تنفيذ قراراته على أن يعقد المؤتمر القادم فى باكستان .

□ بعثت الحكومة السعودية بقوات اضافية لقواتها فى الجبهة الشرقية بعد اشتراكها فى معارك غور الصافى فى الشهر الماضى وعدوان اسرائيل عليها بعد ذلك .

□ قامت جمعية التاريخ والآثار برحلة علمية اشترك فيها نخبة من أساتذة جامعة الرياض وغيرها وعدد من الطلاب الى المدينة المنورة والقصيم وحائل ومدائن صالح وتيماء للتعرف على الاماكن الاثرية ودراستها .

الاردن : قامت لجنة حقوق الانسان التابعة للامم المتحدة بزيارة أخرى للمنطقة العربية فى الشهر الماضى للتحقيق فى جرائم اسرائيل فى الارض المحتلة فقاطعتها اسرائيل ومنعتها من الدخول اليها .

□ قدم وفد فلسطين مذكرة الى المؤتمر العالمى للمعلمين الذى انعقد فى برلين الشهر الماضى كشفوا فيها دور اسرائيل فى تجريد المناهج التعليمية من المبادىء والقيم واحلال افكار الخنوع والرضا بالواقع محلها .

□ صرح السيد ياسر عرفات رئيس منظمة تحرير فلسطين أن الفدائيين نجحوا فى تطوير الصواريخ وصنع بعض المدافع ، وأن المنظمة تستهدف انشاء جيش من الفدائيين .

□ قرر أبناء الخليل تأليف لجنة لمقاومة الاستيطان الصهيونى ردا على محاولة اسرائيل توطين (٢٥٠) عائلة صهيونية فى الخليل وانتزاع (٣٠٠٠) دونم من الارض الزراعية فى الضفة الغربية .

□ ترجم كتاب عن المسجد الاقصى الى اللغة الفرنسية وضعه سماحة الشيخ عبد الحميد السائح .

العراق : شكلت وزارة جديدة ضم اليها خمس وزراء أكراد تطبيقا للتصالح الذى تم بين الحكومة والاكراد فى الشهر الماضى .

سوريا : دارت معركة حامية لأول مرة منذ يونيو ١٩٦٧ بين سوريا واسرائيل أسقطت فيها سبع طائرات اسرائيلية ، اعترفت اسرائيل باثنتين منها احداها من طراز فانتوم .

ليبيا : أعلن العقيد القذافى رئيس مجلس الثورة ورئيس الوزراء أن ليبيا لن تعتمد على المبادىء المستوردة ، وستنأى عن الصراع العقائدى العقيم .

□ قرر مؤتمر وزراء التربية والتعليم العرب الذى انعقد فى طرابلس فى الشهر الماضى ان تعقد جامعة الدول العربية فى الاسبوع الاخير من يونيو القادم حلقة دراسية لخبراء التربية والتعليم العرب لدراسة نظم الامتحانات وتنسيقها وتوحيدها .

المغرب : أقيم فى المغرب فى الشهر الماضى أسبوع ثقافى كويتى لابراز معالم النهضة الثقافية والاجتماعية فى الكويت .

□ زار وفد عسكرى باكستانى المغرب فى اول صفر الماضى ، وقد أجرى مباحثات عسكرية هامة مع المسئولين المغاربة .

قطـر : أعلنت قطر استقلالها أول صفر الماضى واصدرت دستورا مؤقتا . ينص على أن الاسلام هو الدين الرسمى للبلاد ، وأن الشريعة الاسلامية مصدر التشريع فيها .

البحرين : صرح الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة بأنه متفائل بمهمة المبعوث الدولى فى البحرين ، وأن كل شىء سيتم حسب ما هو معروف من قبل ، وقال : ان الشعب البحرينى متمسك بعروبته وتاريخه .

اندونيسيا : أعلن وزير الخارجية الاندونيسى أن الحكومة ستقوم بمحاكمة كل من أشترك فى تهريب الاسلحة الى اسرائيل أو الى بيافرا .

الاخبـار متفرقة

لندن : انشئت رابطة اسلامية من (٢٠) جمعية اسلامية تكون مهمتها انشاء دار اعلام اسلامية ، كما تتولى نشر التراث الاسلامى والتعريف بالمفكرين المسلمين القدماء والمعاصرين .

جنوب افريقيا : حذر المسلمون فى جنوب افريقيا الحكومة العنصرية بأنهم سيكافحون حتى النهاية اذا اقدمت الحكومة على تنفيذ مشروعها القاضى بهدم المساجد فى المناطق التى يسكنها البيض .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة مكة المكرمة ص.ب (٤٦)

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة مكة ص.ب (٤٦)

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب .

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) حضرموت .

دبى : ساحل عمان ص. ب (٢٦١) ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ــ السيد حسين قمر .

تعــز : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد احمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ صب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتبة منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

أسطول العرب في البحر الأبيض المتوسط

أما والجوارى المنشآت التى سرت
قباب" كما تُزْجى القباب على المها
عليها غمام" مكْفَهِر" صبيرُه
أنافتْ بها أعلامُها وسَمالها
من الراسياتِ الشمّ لولا انتقالُها
من الطير الا أنهن جوارح"
من القادحات النار تُضْرَمُ الطّلى
اذا زفرتْ غيظاً ترامتْ بمارج
فأنفاسهن الحاميات صواعق"
لها شعل" فوق الغمار كأنها
تُعانقُ موجَ البحر حتى كأنه
فليس لها إلا الرياحَ أعنة

لقد ظاهرتْها عدة" وعديدُ
ولكنَّ من ضمَّتْ عليه أسودُ
له بارقات جمَّة" ورعودُ
بناء على غير العراء مشيدُ
فمنها قِنان" شمَّخ" وريودُ
فليس لها الا النفوسَ مصيدُ
فليس لها يومَ اللقاءِ خمودُ
كما شبّ" من نارِ الجحيم وقودُ
وأفواههن الزافراتُ حديدُ
دماء" تلقّتْها ملاحفُ سودُ
سليط" له فيه الذبالُ عتيدُ
وليس لها إلا الحباب كديدُ

للشاعر : ابن هانىء الأندلسي

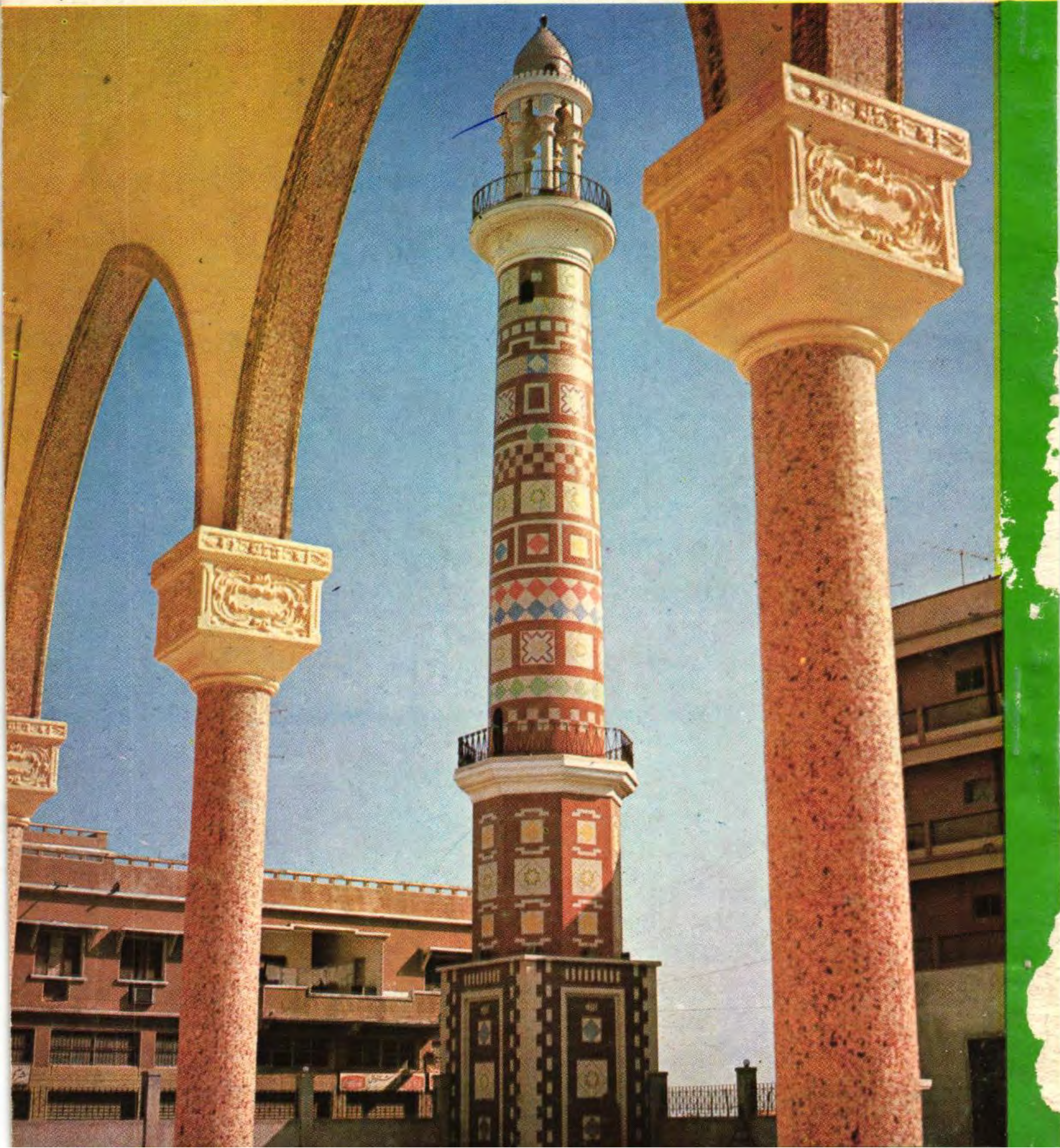


مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت

الوعي الإسلامي

إسلاميّة ثقافيّة شهريّة

السنة السادسة ـ العدد ٦٤ ـ ربيع الثاني ١٣٩٠ هـ ـ ٥ يونيو « حزيران » ١٩٧٠ م

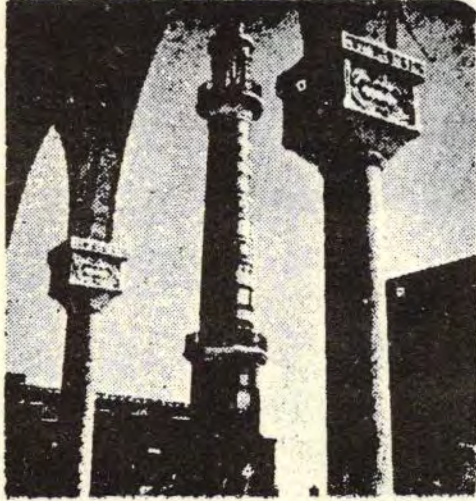




سمو الامير المعظم وهو يسلم الشهادات للخريجين .



تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم والقائد الاعلى للجيش والقوات المسلحة فشمل برعايته السامية ، قبل ظهر أمس الاثنين ١٩٧٠/٥/٤ ، حفل تخريج الدفعة الاولى من ضباط الكلية العسكرية . ويبدو سمو الامير وسمو ولى العهد وعدد من الشيوخ والوزراء وهم يتابعون العرض العسكرى الذى جرى بهذه المناسبة .



مسجد الفاضل بمدينة « المنامة » عاصمة البحرين وتبدو فى الصورة منارته الرشيقة بنقوشها الجميلة وبعض العقود فوق الاسطوانات المرتفعة .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد الرابع والستون

ربيع الثانى ١٣٩٠ هـ

٥ يونيو « حزيران » ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر	دينار وربع	
المغرب	درهم وربع	
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

اليهود والاسلام

هذا التحدى العسكرى والسياسى والفكرى الذى يواجهه الاسلام اليوم ليس هو الأول ، ولا الأخير . وهذه المؤامرة الاسرائيلية السافرة ، والايدى التى تساندها ، وتخطط لها ليست جديدة على الاسلام والمسلمين .

لقد واجه الاسلام فى تاريخه الطويل خصومات حاقدة ، وعداوات كافرة ، حاولت سحقه ، وهددته بالفناء ولكنها باءت كلها بالفشل ، وانتهت جميعها بالهزيمة ، ونصر الله دينه ، وأعز جنده : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا » « والله متم نوره ولو كره الكافرون » .

وتاريخ المسلمين العسكرى تاريخ مضىء مشرق .. وصفحاته عامرات بالبطولات والتضحيات ، اذ لم يخل جيل من الأجيال ، ولا عصر من العصور من حروب دامية خاضها المسلمون حماية للحق ، وردا للظلم وقمعا للعدوان ، وكسرا للجبارين .

اشتبك المسلمون فى نزاع مسلح مع الوثنيين ، واشتبكوا مع اهل الكتاب من الروم وغيرهم ، واشتبكوا مع اليهود ، فما وجدوا عدوا اسود قلبا ، ولا أشد خبثا ، ولا ألأم نفسا ، ولا الد خصومة ، ولا اعنف عداوة من اليهود .

ولهذا نزل القرآن الكريم على الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ينبهه ويحذره ، ويؤكد هذا التنبيه والتحذير للمؤمنين فى جميع العصور من هذا العدو ، فقال سبحانه : (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا) .

وكشفت آيات الكتاب العزيز للمسلمين عن كثير من سوءاته ومخازيه مع رسالات الله السابقة كدليل حى على شدة اجرامه ، ووجوب الحذر منه .

فهو عصى على كل اصلاح ، متمرد على كل هداية ، ملعون فى الزبور على لسان داود ، وفى الانجيل على لسان عيسى ، بسبب غدره بعهود

الله ، واعتدائــه على رسل الله ، وجراته على محارم الله ، وتحالفه مع الشــيطان لاطفاء نــور الله : (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانــوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون) .

ان تاريخ اليهود مــع المرسلين تاريخ اسود ، مخضب بدم حملــة الوحى ورسل الهــداية ، ولا يزالون يحملون لعنة الله ، وتلاحقهم سبة التاريخ نتيجة ولوغهم فى هذا الدم الطهور الزكى الذى لم يرو ظمأهم اللاهث منه دم رسول واحد ، ولا اثنين ، وقد فضحهم الكتاب الكريم ، فقال سبحانه : (افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كــذبتم وفريقــا تقتلون) ومن قبل القرآن سجــل عليهم الانجيل على لسان عيسى عليه الســلام نهمهم لاراقة الدماء ، وتعطشهم للجريمة ، فقال : يا اورشليم .. يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين .. كم مرة أردت ان اجمع اولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها .. ولم تريدوا .. هو ذا بيتكم يترك خرابا . هــذا الكــلام موجود فــى انجيل متى فى الاصحاح الثالث والعشرين .. وما اظن انه غاب عمن يساندون اسرائيل من اتباع المسيح .

ان تاريخ اليهــود مع المرسلين تاريخ اسود ، وتاريخهم مع خــاتم المرسلين اشد سوادا .. لقد التقى بهم رسول اللــه صلى اللــه عليه وسلم وجهــا لوجه فى المــدينة ، فسالمهم ، وتودد اليهم ، وزارهم ، وطمأنهم ، وتعاهد معهم فى صحائف مكتوبة ، كفل لهم فيها حــرية دينهم واقامــة شعائرهم ، وأمنهم علــى انفسهم وأموالهم ، واتفق معهم على حماية المدينة من كل عدوان ، والدفاع عنها ضد كل مغير ، وطلب منهم ألا يحاربوه ، وألا يعينوا عليه عدواً ، وأعطــاهم كثيرا مــن الامتيازات ، فأباح للمسلمين طعامهم ، وأجاز لهم التزوج من نسائهم ، وبدأ صلى الله علــيه وسلم بنفسه ، فصــاهرهم « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعــامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » واتخذ بيت المقدس قبلة لــــه تأليفا لقلوبهم ، وكانــوا يصومون يوم عاشوراء ، فلما قــدم المدينة ، ورآهم يصومونه قال : ما هذا ؟ قالوا : يوم نجى الله فيه بنى اسرائيل من عدوهم ، فصامه موسى ، فقال عليه الصلاة والسلام : أنا أحق بمــوسى منكم ، فصامــه ، وأمــر المسلمين بصيامه .

فهل قــدر اليهود هذه المعاملــة الحســنة مــن جانب رسول الله والمســلمين ، وهل كانــت رغبتهم صادقة فى معايشــة المؤمنين فــى المدينة فى سلام ، وهل احترمــوا عهدهم ووفوا بوعدهم ؟ .

لقد اثبتت التجربة الحية أن اليهود لا امان لــهم ، ولا عهد لــهم ، فهم غادرون ، خائنون ، لا يعاشرون ولا يسالمــون ولا يوثق لهم بعهد ، ولا يقفون فى عداواتهم عند حد اذ لم

تمض الا فترة قصيرة على هذه المعاهدة حتى تكشفت نفوسهم المريضة ، وظهرت نواياهم الخبيثة ، وتأججت نيران الحقد فى صدورهم .. لم ينظروا بعين الرضا الى الانتصارات التى حققها المسلمون ، بل خافوا من امتداد رواق الاسلام وانتشار نوره ، وكان كل انتصار جديد يحرزه المسلمون يزيد فى غيرتهم ، ويدفعهم الى الغدر ، ويفيض على ألسنتهم عداوة وبغضا ، والقرآن الكريم يصور للمسلمين فى دقة بالغة نفسية اليهود ويحذر من الاطمئنان اليهم والثقة بهم ، والاعتماد على هذه المعاهدة فيقول سبحانه : (قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفى صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون . ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور . ان تمسسكم حسنة تسوءهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط) .

رفضوا جوار الرسول ، وتنكروا الأمان الذى أعطاه لهم ، ولم يكفوا عن أساليب الختل والخديعة التى مرنوا عليها ، فدسوا الدسائس ، وأثاروا الفتن ، ودبروا الاغتيالات وتآمروا مع المشركين ، وتآمروا مع المنافقين ، ودخلوا فى نزاع مسلح مع المسلمين ، فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مجمعين على التنكيل به ومحو دين الله استدار لهم ، فقضى على سلطانهم ، وحطم نفوذهم ، وطهر الجزيرة من رجزهم ودنسهم ، وكان ذلك بوحى من السماء وأمر من رب العالمين : (فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون . واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين) .

هذه الصفحات المطوية من تاريخ التحالف مع اليهود ننبه اليها ، ونضعها أمام أعين العرب والمسلمين فى هذه الفترة التى يلوح لهم فيها بايثار العافية واختصار الطريق والجنوح الى السلام المحموم ، ولعل التجارب الثلاث التى مرت بنا فى السنوات ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ تقطع بأنهم على طبيعة الحيات اذا أحست بالدفء نفثت سمومها فى أقرب الناس اليها .

. . . .

وبجانب هذه الحقيقة التى ينقلها التاريخ الصادق وتؤكدها التجارب الحية عن عنف اليهود فى عداواتهم للاسلام ، وعدم جدوى مسالمتهم — تبرز حقيقة أخرى هى الصلف والغرور والادلال بالقوة ، وقديما قالوا لرسول الله بعد انتصاره فى غزوة بدر : (يا محمد : أرأيت أنا قومك ؟ لا يغرنك ان لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، انا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس !!

ان اليهود مع ما تأصل فيهم من الجبن والخوف والحرص على الحياة ، ومع ما عرف عنهم من أنهم لا يعتمدون فى

حــروبهم على تســـيير جيوشهم فى الفضاء الرحب ، وأنهم يكرهون لقاء عدوهم فى الميادين المكشوفة ، وكانت خطتهم فى الحرب قديما القتال من وراء الحصون والجدر : (لا يقاتلونكم جميعا الا فــى قرى محصنة أو من وراء جدر) كما ان خطتهم فى الحرب حديثا الاعتماد على سلاح الطيران حيث يكونون بمنجاة من اللقاء وجها لوجه .. مع هــذه الطبيعة الجبانة فانهم لا يستسلمون من قريب ، ولا يلقون السلاح الا اذا اعيتهم الحيل ، ويئسوا من العون والنصير .

لقد اجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهــود بنى قينقــاع من المدينة ، فلم يستسلم الباقون منهم ، فكر على يهود بنى النضير ، وقاتلهم فى حصونهم حتى أخرجهم منها ، فلم يرضخ الباقون ، فحاصر بنى قريظة خمسا وعشرين ليلة ، ونكل بهم ، فلم يلق الباقون منهم الســلاح ، فنزل خيبر ، وقال : خربت خيبر ، خربت خيبر ، انا اذا نزلنــا بساحــة قوم فساء صباح المنذرين ، فحاربوه فى كل منطقة ، وقاومــوه من حصن الى حصن ، وما زال يتعقبهم حتى قضى على سلطانهم ، وبقيت قلة منهم ، فلما كان عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ارسل اليهم : ان الله اذن لى في اجلائكم ، فقد بلغنى ان رسول الله قال : لا يجتمع فى جزيرة العرب دينان ، واجلــى عمر البقية الباقية منهم .. فلم يكن سوى الاجلاء حل آخر لأمن الاسلام وأمن المسلمين .

ان يهود اليوم هم يهود الأمس فى طباعهم الغليظة ، وقلوبهم القاسية ، لــم ينطفىء حقدهم ولــم تضــعف عــداوتهم ، وماذا بقى من العداوة بعد الالــوف التى ذبحوهــا فى فلسطين ، والالوف التى عذبوها فى السجون ، والالــوف التى أحرقوها بالنابالم .. ماذا بقى من العــداوة بعد الارض التى اغتصبوها ، والدور التى نســفوها ، والامــوال التى نهبوها ، والمقدسات التى احرقوها ، .. ماذا بقى من العداوة بعد عشرات الالوف من المشردين والمهجرين .. ان القرآن الكــريم الــذى نزل من عشرين قرنا كأنــه ينزل اليوم فينبه المسلمين الى خطرهم .. « لتجدن اشد الناس عــداوة للــذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

ان يهود اليوم هم يهود الامس لا يعايشون ، ولا يسالمــون ، ولا مقام لهم فى أرضنا ، وان القتال الناشب بيننا وبينهم يجب ألا يتوقف حتى ينتهى بنصرة المظلــومين وطرد الظالمين : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قــوم مؤمنين » « الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغــوت فقاتلــوا أولــياء الشيطان ان كيــد الشــيطان كان ضعيفــا » .



من توجيه
القرآن الكريم

مظاهر المادية

٣

ا الشرك بالله

ب النفرة من سماع الدعوة لوحدة الألوهيّة

ج الاعتزاز بالقوة الماديّة في المال والأولاد

د تقييم الناس على أساس الثراء والجاه والعصبية

هـ السخريَة من المؤمنين والضعفاء

و انكار البعث

ز انكار الحياة الاخرويَة

في اتجاه الحياة :

للدكتور : محمد البهي

* من غير شك أن يكون الشرك بالله — في صورة ما — اهم مظاهر المادية في اتجاه الحياة للانسان . فعن طريق الشرك وحده يصل الانسان المادى الى هدفه من المتع الحسية والوقوف عندها وحدها . لأنه لا يطالب عندئذ بالروحية ولا بالمثالية ولا بالانسانية .

فاقتناص المتع الحسية يحتاج الى المالأة والنفاق . وأمر هذا وتلك مضمون بالتقلب نحو مصادر النفع والضرر . وليس الشرك الا هذا التقلب فى عبادة من تؤمل فيه المنفعة او الحماية من الضرر .

* وترتبط بظاهرة الشرك هذه فى اتجاه المادى فى الحياة ظاهرة النفرة من سماع دعوة الوحدة فى الالوهية ، اذ هى دعوة شمول دون التقلب فى العبادة وفى سبيل السعى نحو جلب المنفعة او دفع الضرر .. هى دعوة الى القيم المثالية التى ترتفع فوق المتع الحسية ، والتى لا يتجه اليها سوى من تخلص من سيطرة « الأنانية » عليه .

والقرآن اذ يقول فى وصف أصحاب هذا الاتجاه المادى فى الحياة :

« واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة » .

« واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون » (١) .

... يحدد يقينا هذه الظاهرة المشتركة فى حياة المادى ، وهى ظاهرة الشرك ، والكفر بالله وحده . فعدم الايمان بالآخرة هنا : « **الذين لا يؤمنون بالآخرة** » يرمز الى الشرك وهو ظاهرة أخرى من ظواهر الاتجاه المادى فى الحياة ، نتيجة للشرك والكفر بالله وحده . والتعبير بقوله : « **واذا ذكر الذين من دونه** » يراد به ما دون الله من الاصنام والأوثان . وكما تكون هذه الاصنام والاوثان احجارا تكون من الناس ، والأموال ، والأولاد ، والمتع الحسية والجاه الدنيوى ، وهم الشركاء المساعدون الذين يتجه اليهم المادى فى حياته هاشا وفرحا .

فاذا ذكرت الدعوة الى وحدة الله فى الوهيته وذكرت صفاته ــ وهى تعبير عن القيم المثالية العليا ــ سد طريق الشرك أو طريق التقلب والنفاق . أى طريق الوصول الى المتع الحسية .

فدعوة التوحيد توحى لمن يؤمن بها أن يقف فى عبادته عند الله وحده ، ويتمثل فى نفسه صفاته جل جلاله ، كى يقترب بهذه العبادة منه . والمؤمن بالله لا يقترب منه عن طريق العبادة الا اذا حاول أن يحاكى هذه الصفات فى تصرفاته وسلوكه : فيحاكى العلم ، والخلق ، والقدرة ، والحياة ، والارادة ، والغنى ، والرحمة والشدة ، .. الى غير تلك الصفات التى تعرف لله سبحانه وتعالى .

والمؤمن بالله اذ يحاكى هذه الصفات فى التصرفات والسلوك لا يحتاج الى وسيلة أو وسائل ، ولا الى شريك أو شركاء لله جل شأنه ، فى تحقيق منفعة مادية أو دفع ضرر مادى . لانه نفسه لا يقف عند حد المتع الحسبية الدنيوية كهدف أخير فى حياته . وانما يتطلع الى متع أخرى فى مرحلة ثانية فى وجود الانسان أكثر خيرا وأبقى نفعا . ثم مع ذلك يرى : أنه بتحصيل العلم ، واتقانه العمل والابداع فيه ، وبدفعه فوق الشهوات والاهواء ، وبقناعة فى الاستمتاع بما يملك .. وغير ذلك عن طريق عبادته ، يحس بمتعة نفسية أكثر من تلك المتع المادية . بل ربما يرى أنه فى تنازله عما يملك أو يقتنى من متع الى غيره من أصحاب الحاجة يزيد فى متعة ذاته وفى الاحساس بهذه المتعة .

فالنفرة من سماع دعوة الوحدة فى الالوهية أمارة المادية فى اتجاه الحياة للانسان . لانها تنطوى على حرمان جزئى على الأقل من المتع المادية . وهو ذلك الحرمان الذى يفرضه المؤمن بالله وحده على نفسه ، ان تعين الحرمان سبيلا الى الاقتراب من الله فى صفاته .

والاستبشار عند سماع ما دون الله من شركاء متمثلين فى انسان أو فى مال أو فى أولاد ، أو فى حجر ، هو صنم ، امارة المادية فى اتجاه الحياة للانسان . لانها هى الهدف الذى يسعى اليه المادى ، ولان تحصيله ــ لهذا الهدف ــ يثير المتعة الحسية لديه . فالتقرب من انسان ذى جاه أو سلطان ، وتحصيل المال ، ووجود عصبية الاولاد من شأنها أن تثير الفخر والزهد ، كما من شأنها أيضا أن تزيد فيما يستمتع به الانسان المتقرب الى أى منها .

* وبالاضافة الى هذه الظاهرة المزدوجة فى حياة المادى توجد ظاهرة أخرى تكاد تكون تعبيرا عما تنطوى عليه نفس صاحب هذا الاتجاه . وهى الاعتزاز بالقوة المادية فى المال ، والاولاد ، والاعداد ، نقرأ قول الله تعالى :

« وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها (اصحاب التجاه المادى) :
١ ــ « انا بما أرسلتم به كافرون » .
٢ ــ « وقالوا : نحن أكثر اموالا واولادا ، وما نحن بمعذبين » .
« قل : ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ، ويقدر ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

« وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها (أصحاب الاتجاه المادى) : صالحا ، فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ، وهم فى الغرفات آمنون » (٢) .

... فبينما من وجهت اليهم دعوة التوحيد فى الالوهية وانذروا من رسولهم ان هم عارضوها ، يعلنون كفرهم بها ، وهم من أصحاب الترف

واليسار : « .. **الا قال مترفوها : انا بما ارسلتم به كافرون** » .. اذا هم فى الوقت نفسه يرفضون الانذار والتهديد من رسولهم ، معتزين بأنهم اكثر اموالا واولادا من غيرهم ، وبالاخص من المؤمنين : « **وقالوا : نحن اكثر اموالا واولادا** » ومن اجل انهم اكثر اموالا واولادا فهم يتصورون أنهم لا يعذبون ، أى لا ينال منهم وعيد ولا تهديد ، وكذلك لا ينال منهم عقاب وعذاب ان وقع عليهم بالفعل : « **وما نحن بمعذبين** » .

فمن يتجه اتجاه المادى فى الحياة يغتر بما يحصل من اموال وثروات ، ويطغى بما تكون له من عصبة فى الأولاد والاسرة . ويعتقد بما له من قوة الثراء والأولاد أن السوء لا يقترب منه ، وانه بأمواله وأولاده يتصور انه يستطيع ان يفعل ما يريد . يتصور أنه يستطيع ان يكون ذا جاه ونفوذ اكثر ممن يمارس الجاه والنفوذ بالفعل : « **كلا ان الانسان ليطغى . ان رآه استغنى** » . يتصور انه يستطيع أن يشارك الله فى تدبير الكون وتوجيه حياة المجتمع والأمة . بل يتصور انه يستطيع ان يكفر بربه وبنعمه ، بسبب ما لهذه النعم الكثيرة من تأثير عليه فى الغرور والطغيان : «**واذا انعمنا على الانسان اعرض وناى بجانبه** » . « **ان الانسان لربه لكنود . وانه على ذلك لشهيد** » . وحتى لو نزعت منه قوة المال والاولاد فترة يتذوق فيها الحرمان فأنه لو عادت له هذه القوة مرة اخرى سيعود هو سيرته الاولى فى الاعتزاز والغرور طالما يتمكن منه الاتجاه المادى : « **ولئن اذقناه** (الانسان) **نعماء بعد ضراء مسته ليقولن : ذهب السيئات عنى ، انه لفرح فخور** » (٣) .

انه اتجاه المادية يجعل الانسان يغتر بما يملك من قوة ، حتى تجعله يجترىء على ربه فيكفر به : « **يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ؟** » رغم انه هو : « **الذى خلقك فسواك فعدلك . فى اى صورة ما شاء ركبك !** » (٤) . رغم انه الخالق له فى احسن صورة ، ورغم انه المنعم عليه بأسباب القوة المادية التى يغتر بها الآن . ولكنها المادية تعمى ولا تبصر ، وتضل ولا تهدى . ولكى لا يترك القرآن الكريم حجة صاحب الاتجاه المادى فى الحياة فى الاعتزاز بالأموال والاولاد تأخذ الطريق الى نهايته فى الحجية كسبب للاعتزاز والغرور وقف ليقرر حقيقته :

الأولى : أن المال فى كثرته وقلته هبة من الله للانسان ، ولا شأن له بالايمان والكفر .. لا شأن له بالاتجاه الصحيح فى الحياة أو الخاطىء فيها : « **قل : ان ربى يبسط الرزق لمن يشاه ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون** » . فهم لا يعلمون بسبب الغرور بالمال وقوة تأثيره فى الحياة على الادراك والحكم .

الثانية : انه لا صلة للاموال والاولاد برضاء الله عمن تكون له اموال واولاد . فالأموال والأولاد بمعزل تماما عن مقياس الرضاء عند الله . ومقياسه الحقيقى يتمثل فقط فى الايمان ، والعمل الصالح المستقيم : « **وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون** » (٥) .

وبتقرير هاتين الحقيقتين أصبح لا يستند صاحب الاتجاه المادى فى الحياة فى غروره واعتزازه بالأموال والاولاد الى حجة واقعية . فما عنده اليوم من اموال قد ينتقل الى غيره غدا . وما له من أولاد الآن قد يسيئون اليه بعد وقت من الزمن ويصبحون عليه نقمة بعد أن تصورهم نعمة . والاموال والاولاد اذن ليست من الأمور الذاتية التى تلازم ذات الانسان فى غده ، كما هى له فى

يومه . ومبعث سرور الانسان يجب أن يكون فيما هو أبقى ، وليس فيما هو متغير ومتقلب .

* وعن الاعتزاز بالقوة المادية فى المال والاولاد لدى صاحب الاتجاه المادى فى الحياة ، يتكون عنده مقياس التقييم للآخرين عداه على أساس من الثراء والجاه والقوة المادية — ان فى الاولاد والقبيلة ، أو فى السلطة ... ويبعد كل ما له علاقة بانسانية الانسان فى تقييمه وتقديره .

وما جاء فى سورة الزخرف من قصة فرعون مع موسى عليه الصلاة والسلام يعطى ما للمتع والقوة المادية من أثر فى تقييم الناس ووضعهم فى درجات التقييم المختلفة . نقرأ قوله تعالى فى هذه السورة :

١ — « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال : انى رسول رب العالمين . فلما جاءهم بآياتنا (معجزاتنا) **اذا هم منها يضحكون . وما نريهم من آية الا هى اكبر من اختها . »**

٢ — « واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون . وقالوا : يا ايه الساحر ! ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون » .

٣ — فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون . ونادى فرعون فى قومه قال : يا قوم ! اليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون ؟ »

٤ — « أم انا خير من هذا الذى هو مهين (موسى) ولا يكاد يبين . »

٥ — « فلولا القى عليه اسورة من ذهب ، او جاء معه الملائكة مقترنين . فاستخف قومه فاطاعوه ، انهم كانوا قوما فاسقين » (٦) .

... فهذه الآيات تجمل خمس مراحل فى تطور علاقة موسى — عليه الصلاة والسلام — كرسول ارسل من قبل ربه الى فرعون مصر وملائه ، كمجموعة تمكن من نفوسهم حب المتع الدنيوية واعطيت من أسباب القوة المادية المال والرجال ، والجاه والملك والسلطة ، وبذلك لا ترد فى التقييم للبشر سوى ما تملك هى من مصادر القوة والاعتزاز .

المرحلة الاولى وصول موسى عليه الصلاة والسلام الى فرعون وملائه بما يؤيد دعوته الى الوحدة فى الالوهية من معجزات ، وعرضه هذه المعجزات معجزة بعد أخرى ، وهى تتفاوت فى التفوق بعضها على بعض ، ومع ذلك كان الرد على دعوته بالضحك وبالكفر بها : **« ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين . فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون . وما نريهم من آية الا هى اكبر من اختها »** .

المرحلة الثانية : مجازاة فرعون وملائه على هذا الرفض والكفر بالقحط فى انتاج الحقول والنقص فى ثمار الحدائق سنين عديدة ، لعلهم يرجعون فيكشفون غطاء المادية فى اتجاههم فى الحياة عن عيونهم ويعودون الى الايمان بالله وحده : « **واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون** » . والعذاب الذى اخذوا به هو ما تحكيه الآية الاخرى فى سورة الاعراف : « **ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين** (قحط المحاصيل — والتعبير عنها بالسنين لانها كل سنة) **ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون** » (٧) . وعندما تضرروا بالقحط ونقص الثمرات سنين عديدة ناشدوا موسى عليه الصلاة والسلام أن يدعو ربه بما عهد اليه من الرسالة وبما اختاره لادائها ، أن يكشف عنهم هذا العذاب ، وهو عذاب القحط ونقص الثمرات .وكان عذابا فى حقيقة أمره لان معيشة سكان وادى النيل تقوم على الفلاحة والزراعة . فاذا أصيب الزرع والثمر بتلف أو ضرر كان الجوع وكانت مآسى الفقر والضيق .

ناشدوا موسى ان يدعو ربه ، على أن يؤمنوا برسالته ، اذا ذهب عنهم هذا الضنك ، أو هذا العذاب : « **وقالوا : يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك ، اننا لمهتدون** » .

المرحلة الثالثة : أنه بعد أن كشف عنهم العذاب ، الذى تمثل فى القحط والضيق سنين عديدة عادوا فنكثوا بما عاهدوا عليه من اهتداء وايمان . وغلب عليهم الاتجاه المادى فى حياتهم وخدعوا من جديد بما لديهم من قوة ومتع حسية وأعلن فرعون الزهو بملكه ، وتملكه الغرور الذى سد عليه منافذ العقل والحكمة : « **فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون . ونادى فرعون فى قومه ، قال : يا قوم ! : اليس لى ملك مصر ، وهذه الانهار تجرى من تحتى ، افلا تبصرون ؟** » .

المرحلة الرابعة : ان فرعون فى موجة الزهو والفخر بملكه وبقوته وبما لديه من أموال وثراء عبر عن احتقاره لموسى عليه الصلاة والسلام وقاس منزلته بمقياس المادة وحدها التى تتمثل فى المظهر وفى القدرة على الاستمتاع بمتع الحياة الدنيا : « **أم انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين** (يقصد موسى) ؟ »

المرحلة الخامسة : وانه تبعا لمقياس المادة وحدها كان يمكن لفرعون وملائه ان يصدقوه لو قدم اليهم فى صورة ثرى القيت عليه أسورة من ذهب : « **فلولا القى عليه اسورة من ذهب** » . لانه عندئذ يكون ذا منزلة اجتماعية تعطيه الحق فى النقاش ، كما تعطى لقوله امكانية القبول والتصديق . فهو عندئذ ليس بذى حاجة لا يسمع قوله ولا تقبل دعوته .

فاذا لم يكن على صورة الثرى عديم الحاجة الى الغير فلا أقل من أن تصحبه بعض الملائكة للتدليل على شأنه واحداث فرصة لقبول دعوته : « .. **أو جاء معه الملائكة مقترنين** » . وفرعون كان ماديا ، أى يغلب عليه الاتجاه المادى فى الحياة ، وله خصائص أصحاب هذا الاتجاه . وهو اذ ينكر على موسى — عليه الصلاة وسلام — رسالته ويرفض الايمان بها ويتخذ من الآيات والمعجزات التى عرضها مادة للضحك ، كل ذلك بسبب انه من الضعفاء الاذلاء فى مظهرهم الذين لا يستطيعون أن يتزينوا بما يتزين به الأثرياء وأصحاب الجاه . ويترك قيمته الذاتية وقيمة رسالته الموضوعية التى هى لصالح المجتمع فى علاقات بعضه ببعض ، وراء المظهر الخارجى له . اى ان مقياس القبول أو الرفض ليس موضوع الرسالة ولا خصائص الذات وقيمتها التى لموسى عليه السلام ، وانما هو مظهر موسى من الفقر أو الثراء .

* والذى يقدر الناس على أساس من فقرهم أو غناهم ، أو على أساس ضعفهم وقوتهم المادية ، أو على أساس مدى استمتاعهم بمتع الحياة أو مدى حرمانهم .. لا شك أنه يسخر من الفقير أو الضعيف أو المحروم ، مهما كانت استقامته فى السلوك ، وحكمته فى التصرفات ، وانسانيته فى معاملة الآخرين، فى الوقت الذى يوفر فيه الاحترام للثرى أو القوى أو المستمتع بالحياة المادية ولو كان ظالما لنفسه ولغيره أو معتديا على الآخرين فى حرماتهم ، وانفسهم ، واموالهم ، ومساكنهم .. ولو كان أنانيا ومتغاليا فى احترامه وخضوعه ، ومنافقا فيما يقدم من مظاهر الاحترام للغير والولاء له .

هذه الظاهرة — ظاهرة السخرية من الفقراء والضعفاء مهما كان شأنهم وكانت قيمتهم فى ذواتهم — هى أمر طبيعى لمن يسيطر عليه الاتجاه المادى فى

حياته . بقدر زينة الدنيا وبقدر من يتزين بها ، ويحتقر القيم المثالية ومن يسعى اليها ، ان حرم من الدنيا ومالها من زينة ومتعة :

١ — « زين للذين كفروا الحياة الدنيا » ، ٢ — « ويسخرون من الذين آمنوا ، » ٣ — « والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ، » ٤ — « والله يرزق من يشاء بغير حساب » (٨) .

... والآية هنا تعطى ما يتصوره الماديون بالنسبة للقيم فى الحياة ، وكذلك ما هو عند الله فى حقيقة الأمر وواقعه . تعطى :

ان الذين يكفرون بالله ، يخدعون بالحياة الدنيا ، وتبدو لهم على غير حقيقتها .. تبدو لهم أنها الامل والهدف ، ولا شىء آخر وراءها . وسواء اكان كفرهم هو سبب خداعهم بالدنيا ، أم أن خداعهم بالدنيا هو سبب كفرهم .. فالامران ظاهرتان لا تنفك احداها عن الاخرى فى السلوك لصاحب الاتجاه المادى .

ولأنهم يقعون تحت تأثير الخداع بزينة الحياة الدنيا ، لا يرون فى غير هذه الزينة شيئا يستحق التقدير وتمنح له القيمة . ولذا الذين لا يملكونها ليس لهم وزن فى التقدير والتقييم ، وهم لذلك موضع سخرية واستخفاف ممن يملكونها .

والمؤمنون لأنهم عادة لا يتشبثون بمتع هذه الحياة الدنيا ، فى سبيل هدف أسمى بعدها وهو هدف الرسالة والجهاد فى سبيلها ، فليسوا من أصحاب الزينة الدنيوية ، وبالتالى هم محل سخرية واستخفاف فى نظر من يصنع القيمة كل القيمة على المتع الدنيوية وحدها : **« ويسخرون من الذين آمنوا »** .

ولكن حقيقة الامر وواقعه : أن المؤمنين لهم الدرجة العليا عند الله فى آخرته ، وانهم متفوقون فى منزلتهم على أولئكم الماديين : **« والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة »** .

وأن متع الدنيا اذا أعطيت لانسان ما لا تعطى له بسبب ايمانه أو كفره ، فهى من الله . وكما يعطيها الله لمن يشاء ، فهو يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لمن يشاء . وفى بسطه للرزق قد يبسطه بغير حدود : **« والله يرزق من يشاء بغير حساب »** . فالرزق ومتع الحياة الدنيا كلها عطاء وحرمان ، وسعة وضيقا لا تتبع الايمان والكفر ، وليست بالتالى عنوانا على القيمة والمنزلة . بل أساس القيمة فى التقوى والايمان ، وليس فى المال والثراء وجاه الدنيا .

ولكنها ظاهرة المادية فى اتجاه الحياة تأخذ طريقها فى السخرية والاستخفاف بمن لا يملك من الدنيا زينة أو متعة ، كما تأخذ الطريق الى صور أخرى تعبر عنها .

ومن المظاهر الضرورية لأصحاب الاتجاه المادى فى الحياة انكار « البعث » وانكار « الآخرة » كلية بما فيها من جزاء .. بما فيها من جنة ونار .

اما انكار البعث فلان البعث ضرورة تترتب على النظرة الى الدنيا على أنها مرحلة أولى فى حياة الانسان ، هى مرحلة « الاختبار » فى العمل والسلوك ، وأن ما فيها من متع حسية من زينة ومال وولد لا يمثل المتع النهائية فى حياة الانسان عامة ، وأنها ادنى بكثير من تلك المتع التى هى خالصة للمؤمنين فى الحياة الثانية ، وهى حياة الآخرة .

والبعث اذن بناء على هذه النظرة هو بداية المرحلة الثانية التى ستتقرر اما الى جنة أو الى نار فى الدار الآخرة ، تبعا لنوعية العمل الذى قام به الانسان فى الدنيا .

ولكن من يرى متع الحياة الدنيا متعا نهائية ، وأن الدعوة الى الانصراف عن

تحصيلها هى دعوة خادعة ومضللة لا بد أن ينكر متعا اخرى وراءها . وبالتالى ليست هناك فى نظره حاجة الى « بعث » ولا الى دار أخرى يستمتع أو يشقى فيها الانسان . وليس هناك تقييم آخر لعمله في الدنيا .. ليس هناك حساب ولا وزن لما عمل من قبل . والمقاييس التى تستخف بمتع الدنيا أو تقنن السلوك والاعمال فيها هى مقاييس وضعت لهدف واحد ، وهو الحيلولة دون الاستمتاع بزينة هذه الحياة لأكبر عدد ممكن من الناس ، كى تتوفر هذه الزينة لقلة قليلة منهم فقط ، وهم الذين يستطيعون اقتناصها بطاقاتهم وقوتهم المادية الممثلة فى الشرف والجاه ، أو المال والاولاد .

فالبعث فى نظر أصحاب الاتجاه المادى جزء من « مركب » ـ هو الجزاء الاخروى ، والدار الآخرة ، والجنة والنار فيها ـ يستهدف الظلم فى توزيع متع الدنيا بحرمان من يستطيع السعى الى تحصيلها عن طريق اغرائه ببريق هذا « المركب » .

والقرآن الكريم يصور النظرتين وأصحابهما فيما تقصه هذه الآيات :

« ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ؟ ساء ما يحكمون » .

« وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون » .

« أفرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ؟ افلا تذكرون ! » .

« وقالوا : ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » (٩) .

.. فالذين اجترحوا السيئات وارتكبوا الجرائم ـ وفى مقدمتها الشرك والكفر بالله ـ فريق له نظرته فى الحياة ، وهى نظرة صاحب الاتجاه المادى . ومن أجل ذلك لا يرى الا ان الوجود الحاضر مستمر ، فى استمرار الموت والحياة وليس لهذا الاستمرار نهاية . والموت طبيعى والحياة طبيعية أى أن ما يجرى فى هذا الوجود الشاهد هو أمر طبيعى ، لا دخل لأجنبى عن الطبيعة والدهر فيه : **« ما هى الا حياتنا الدنيا** (الحاضرة والمشاهدة) **نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر** (ما يميتنا الا الدهر وما ينشئنا ايضا الا الدهر والطبيعة) » .

والذين آمنوا وعملوا الصالحات ـ وفى مقدمتها الايمان بالله وحده ـ فريق ثان له نظرته فى الحياة ، وهى نظرة المؤمن بالآخرة وبالبعث والحساب فيها ، ويرى أن الموت والحياة بيد الله ، وأن استمرار الوجود الانسانى ليس على هذه الارض وانما فى دار أخرى ، وله طابع آخر يختلف عن طابع الوجود الارضى .

وبينما الفريق الاول أعمته الطبيعة واتجاه المادية فضل على علم منه وشعور تام بوضعه ، وسدت عليه منافذ الادراك الصحيح ـ وهى منافذ السمع والبصر والفؤاد ـ واصبح لا يتجه الا من ظلال المادية وحدها .. اذا بالفريق الثانى على هداية من ربه ، وشتان ما بين الفريقين فى محياهم ومماتهم .

وهذا الاتجاه المادى ليس وقفا على جيل معين من البشر . انما هو ظاهرة انسانية تتجلى فى كل جيل من أجيال البشرية ، ويعتبر اصلا من أصول الحياة الانسانية ، كالايمان بالله سواء بسواء . أى أن كلا منهما من ظواهر التفكير الانسانى التى تصاحبه بحكم طبيعته فى تطوره وفى مدى اختلاف الافراد فى هذا التطور .

ودعوة الايمان بالله فى أى زمن سيواجهها حتما هذا الاتجاه المادى الذى ينكر عليها دعوتها فى أصلها الذى تقوم عليه ، والله ــ سبحانه وتعالى ــ فى وجوده أو فى صفاته الاخرى بالنسبة للانسان والكون .

والقرآن ذاته يقص هذه المواجهة الحتمية التى واجهتها دعوة الايمان بالله فيما مضى ــ وتواجهها كذلك فى الحاضر والمستقبل ــ وانها لم تكن قاصرة على رسول أو داع ــ بعينه :

« ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين (أى من بعـــد نوح ومن آمن به) . **فارسلنا فيهم رسولا منهم** (قيل : هود أو صالح أو شعيب) : **ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون ؟**

١ ــ « وقال الملأ الذين كفروا من قومه وكذبوا بلقاء الآخرة واترفناهم فى الحياة الدنيا : ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون . ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ! ان هى الا حياتنا الدنيا : نموت ونحيا وما نحن بمبعـــوثين . ان هو الا رجل افتـــرى على الله كذبـــا وما نحن له بمؤمنين » (١٠) .

فأصحاب الاتجاه المادى الذين ذكرت الآيات السابقة فى سورة الجاثية ، وهم مشركو مكة ، انكارهم للبعث فى مواجهة دعوة الرسول عليه الصـــلاة والسلام لم يكونوا وحيدين فى تاريخ البشرية فى هذا الاتجاه . بل تذكر هـــذه الآيات الاخرى التى وردت فى سورة المؤمنين وتتحدث عن أصحاب هذا الاتجاه المـــادى فى خصائصهم الاساسية ــ وهى الكفر بالله ، والتكذيب بلقاء الاخرة ، والترف فى الحياة الدنيا ــ بأنهم انكروا « البعث » فى مواجهة دعوة هود ، أو صالح ، أو شعيب اياهم : **« ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون »** . وهذا انكار سابق على انكار مشركى مكة للبعث فى مواجهة دعوة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام .

وسيظل انكار « البعث » فى الآخرة ظاهرة للاتجاه المـــادى فى الحياة بعد الدعوة المحمدية الى يوم تقوم الساعة .

أما انكار « الآخرة » فهو لا يقل وضوحا فى نتائج الاتجاه المادى فى الحياة عن أى مظهر آخر من مظاهره . فطالما الدنيا وحدها هى مجال الحياة لصاحب هذا الاتجاه ، وطالما ما فيها من زينة ومتع مادية هى التى ينبغى أن يسعى اليها وحدها ، وطالما الطبيعة هى كذلك بقوانينها التى لا تتخلف ، ذات التأثير وحدها فى مجريات الحياة والوجود على الارض ، وطالما المقاييس التى تخفف من وزن وقيم المتع المحسوسة من أموال وأولاد وغيرها هى مقاييس قصد بها نفع القلة على حساب الكثرة .. طالما كل ذلك فلأى سبب أو لأى هدف آخر تكون الدار الآخرة ؟

انها عندئذ تكون زائدة على الوجود الانسانى ، ولا تشغل فيه فراغا ، الا فى وهم من يتجاوز فى نظرته وفى حياته هذا الوجود الدنيوى الحاضر !! هذا منطق الماديين . انهم يعيشون لوقتهم ولوجودهم الحاضر فحسب :

« ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون » (يترددون فى ضلال) » (١١) . فهم واقعون تحت خداع ما فى الدنيا من زينية ، ولا يرون شيئا آخر وراءها يستحق أن يصرفهم عنها .

ويربط القرآن الكريم بين عدم الايمان بالله وحده وعدم الايمان بالآخرة ، ويكاد يجعل عدم الايمان بالله وحده نتيجة لازمة لعدم الايمان بالاخرة ، فيمـــا يقوله :

« الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون » (١٢) .

.. فاذ تدعو الرسالة الالهية الى الايمان بالله وحده ، عندما تقرر : **« الهكم اله واحد »** .. تذكر أن الذين لا يؤمنون بالآخرة من شأنهم أن تنكر قلوبهم الايمان بالله وحده ، ومن شأنهم أيضا أن يترفعوا عن سماع الدعوة الى هذا الايمان ، فضلا عن النظر في هذه الدعوة وما تنطوى عليه من حق : **« فالذين لا يؤمنون بالآخرة : قلوبهم منكرة وهم مستكبرون »** .

والامر فى مظاهر الاتجاه المادى فى الحياة لا يحتاج الى تفتيش فى أى واحد منها يستلزم الآخرة لأنها جميعها متفرعة عن اصل واحد ، هو عدم مفارقة المحسوس الى ما وراءه سواء فى ادراكه وتأمله أو فى الايمان به . وطالما وجد مظهر منها فى تصرفات انسان ما فالمظاهر الاخرى لا بد أن تكون مصاحبة له فى الوجود ، وان اختلفت درجة وجوده وظهوره للعيان .

وفى تصوير القرآن للذين لا يؤمنون بالآخرة فى قوله :

« واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به : ايمسكه على هون ، أم يدسه فى التراب ؟ الا ساء ما يحكمون ! للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم » (١٣) .

.. بأنهم المثل السيىء بين الناس ، وفى تصويره لهم كذلك فى قوله :
« وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم . وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون . ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون » (١٤)

.. بأنهم منحرفون عن الصراط السوى ، رغم انهم يدعون اليه ، وبأنهم سرعان ما يعودون الى الطغيان والتردى فيه ، ان زالت عنهم المصائب بعد وقوعها بهم .. هذا التصوير وذاك هو تصوير لصاحب الاتجاه المادى فى الحياة وان جاء هنا فى شأن من لا يؤمن بالآخرة . ولذا يمكن أن يوصف أى انسان بدت فى سلوكه اية ظاهرة من ظواهر الاتجاه المادى بكل الخصائص التى يستلزمها هذا الاتجاه . هذا من جهة . ومن جهة أخرى يمكن : ما قيل بخصوص ظاهرة ، أن يقال فى ظاهرة أخرى :

أ) فالشرك ،
ب) والنفرة من سماع الدعوة لوحدة الالوهية ،
جـ) والاعتزاز بالقوة المادية فى المال والاولاد ،
د) وتقييم الانسان على أساس الثراء والجاه والعصبية ،
هـ) والسخرية من المؤمنين ، والضعفاء والفقراء ،
و) وانكار البعث ،
ز) وانكار الآخرة ..

... كلها ظواهر أو مظاهر للاتجاه المادى فى تصرف الانسان . فاذا تقلب الانسان فى عبادته وولائه وصداقته واحترامه ، ودأب على النفاق ، واتخذ من الجبن ستارا لحسن المعاملة .. فهو مادى فى اتجاهه . ويمكن أن تلاحظ عليه بقية الظواهر الاخرى .

وكذلك اذ يعتز بالقوة المادية ، وحدها ينفر من الدعوة الى الالوهية والوحدة فيها . واذ يقيم الآخرين على أساس القوة المادية يسخر من الضعفاء والفقراء ، كما يسخر من المؤمنين الذين حرموا زينة الحياة الدنيا . واذ ينكر البعث أو اليوم

الآخر يستند الى أصحاب القوة فى الحياة وحدهم ويدل لهم ، ويستهزىء فى الوقت نفسه بكل قيمة عليا لا يجسدها حس .

يستحيل على المادى فى اتجاهه فى الحياة أن يؤمن بقول الله تعالى :

« يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » (١٥) .

... أو يؤمن بقوله جل وعلا :

« وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب ، وان الدار الآخرة لهى الحيــوان (الحياة) **لو كانوا يعلمون »** (١٦) .

.. يستحيل عليه أن يؤمن بهذه او بتلك . لأنه لا يؤمن بأن معرفته بالوجود الدنيوى هى معرفة سطحية . والا لمـــا تهالك على الدنيا وزينتها ومتعها .. والا لمـــا تركها تسد عليه منافذ الادراك دون غيرها . ولأنه لا يؤمن أيضا بأن ما فى الحياة الدنيا أن هو الا لهو ولعب .. ان هو الا قليل الاهمية بالنسبة لمـــا فى الآخرة ، وانه لا يمثل الحياة الحقيقية ، وانما تمثلها الدار الاخرة تمثيلا صحيحا .

هو على النقيض : يؤمن بأن معرفته معرفة دقيقة ويقينية ، اذ قصرها على الوجود الحاضر المحسوس وحده ، ولم يتجاوزه الى ما هو مغيب وغير مشاهد . ويؤمن مع ذلك ــ أو بناء على ذلك ــ بأن تركيزه فى هذه الحياة الدنيا والاستمتاع بما فيها من متع وزينة انما يحيى حياة واقعية ، ويمارس نشاط الاحياء اليقظين ، وليس نشاط الاحياء فى صورة الاموات ، الذين لفظتهم الحياة بعد أن قللوا من شأنها .

والصراع بين المادى واللامادى ، أو بين الواقعى والمثالى ، أو بين الوجودى والروحى هو صراع منبثق من طبيعة الانسان ، وليس هو مفروضا على الانسان. ومعنى ذلك أنه سيظل على هذه الارض ، طالما يوجد عليها الانسان .

ومن اجل ذلك مهمة « الروحية » أو « المثالية » أو « الدين » لم تنته بعد ، مهما طغت « المادية » فى اتجاهها ، وتأثيرها ، واجتذاب الاتباع اليها . سيظل للدين دوره ، كما للمادية عنادها وجماحها ، ولو ترك « الدين » مكانه لنـــادته « المادية » من جديد الى الصراع معه . اذ يستحيل ان يكون الناس أمة واحدة فى الايمان أو فى الكفر .. فى الروحية او فى المادية . ولو بدا فى لحظة ما أن الناس جميعا ماديون لتحول فى نفس اللحظة فريق منهم يزهد المادية ويقاومها ، وان لم يكن باسم دين أو باسم روحية خاصة .

كذلك لا تزول « المادية » من على هذه الارض وفيما تذكره الآية الكريمة :

« وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون » (١٧) .

.. يدل دلالة قطعية على أن « المادية » . وبعض من يتأثرون بتوجيهها ــ موجودة فى كل مجتمع بشرى ولا تزول اطلاقا ، ليباشر من يتبعها الانحراف والاجرام . وهم لا يسيئون الا لأنفسهم ، رغم انهم ليسوا على ادراك بهـــذه الاساءة . ولو بدا أن الناس جميعا أصبحوا روحيين لوقع فى ذات اللحظة : ان فريقا منهم ينصرف عن الروحية الى المادية ويسعى الى اشباع الشهوة ، واشباع الهوى ، ويبدأ فى الصراع من أجل « ماديته » أو من أجل انفصاله واعتزاله بقية الناس فى اتجاه وحده . **« ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ، ولا يزالون مختلفين . آلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين »** (١٨) .

والامر الذى يزيد او ينحسر هو عدد المؤمنين بالروحية والكافرين بها .. هو عدد الذين لا يتقاتلون على متع هذه الحياة ، وعدد من يقاتل ، ويخرب ويدمر ، وينتهك الحرمات ، ويرتكب أساليب القرصنة والغدر والخيانة فى سبيل هذه المتع المادية .

والمادية والدين اذن على طرفى نقيض . ولن تكون المادية دينا وعقيدة ، كما لا يكون الدين مادية وتقربا الى عبادة المتع المحسة . والخصومة بين الطرفين لا تحتاج الى اعلان . والمنافق هو الذى يظهر قرب المادية من الروحية أو العكس .

ويعاب على المادية طغيانها ، كما يعاب على الروحية عزلتها — ان اتجهت الى العزلة والانفصال عن الحياة الدنيوية وما فيها — وطغيان المادية لا يبقى ولا يذر على هذه الارض ما يستحق الحياة أو الوجود . وعزلة الروحية توقف حركة السعى فى هذه الحياة وتجمد النشاط البناء فى عمارة الكون وكشفه .

ولذا : كان الاسلام — الذى هو رسالة الله على لسان أى رسول — يدعو الى الحيلولة دون الطغيان عن طريق المال والاولاد والقوة المادية ، كما يدعو الى عدم العزلة وعدم الانفصالية عن الحياة الدنيا وما فيها من متع ، على نحو ما تنشد « الروحية » فى علوها ومبالغتها :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين » (١٩).
.. تلك دعوة قوم قارون اليه . وعندما لم يتبعها كان جزاؤه : **« فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين » (٢٠) .**

ان مستقبل الدين ليس الى الزوال وان كان الى الاضمحلال . وان مستقبل « المادية » ليس الى الاكتساح وان كان الى الطغيان . والحرب العالمية الثالثة هى التى ستعيد الطريق من جديد الى الايمان بالله ، والى القيم الانسانية فى عالم الانسان .

---

(١) الزمن ٤٥ .
(٢) سبأ ٣٦ ، ٣٧ .
(٣) هود ١٠ .
(٤) الانفطار ٥ — ٨ .
(٥) سبأ ٣٦ ، ٣٧ .
(٦) الزخرف ٥٤ — ٥٦
(٧) الاعراف ١٣٠ .
(٨) البقرة ٢١٢ .
(٩) الجاثية ٢١ — ٢٤ .
(١٠) المؤمنون ٣٩ .
(١١) النحل ٥ .
(١٢) النحل ٢٢ .
(١٣) النحل ٥٨ — ٦٠ .
(١٤) المؤمنون ٧٣ — ٧٥ .
(١٥) الروم ٧ .
(١٦) العنكبوت ٦٤ .
(١٧) الانعام ١٢٣ .
(١٨) الانعام ١١٨ ، ١١٩ .
(١٩) القصص ٧ .
(٢٠) القصص ٨١ .

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد

المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف
والشئون الاسلامية

حول النبوة

مضى الحديث عبقا بالكلم الطيب من هدى سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتقى فى مسيرته بقلوب عامرة بالايمان الذى وجدت حلاوته مشربة بحب الله ورسوله ، فعبت منه ، وصار نورها الذى يهديها فى بيداء الحياة ، ورائدها الذى تقتفى خطاه فى صحراء الوجود ، ثم بدا لمطمئن الى هذا اللون من تقديم السنة المطهرة ، أن يتساءل اثر حواره مع رهط من مراهقى الثقافة الوافدة ، وعبر عن تساؤله فى ذكائه الفطن الأريب مشيرا الى تساؤل الرفاق فى أسف لما دعاه شكوكا وتسمية الحقيقة حيرة عابرة تردها نظرة فاحصة ، ثم أوضح ما يرومون بنص تساؤلهم ، ما برهان صدق النبى ، وما هى الدواعى لظهور حملة هذا الوصف على مسرح الحياة الدنيا واليس فيما منحنا من عقول الغناء الكافى للمضى نحو تحقيق أهدافنا على الأرض ؟! ولوى هذا التساؤل عنان الموضوع المعتاد الى بحث يجيب عنه ويمكن اندراجه تحت نقطتين لهما حق الامتداد الى ثالثة اذا دعا الداعى منهما تدور حول تحقيق صدق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وتعقب الثانية ببيان ضرورة قيامهم بدورهم بين البشر .

١ ـ قصة الحديث حول النبوة مؤيدة ومعارضة تمتد حوادثها الى أزمان ضاربة فى أغوار الماضى ، فالانقياد الفطرى الذى لازم الدعوة الاسلامية أول أمرها ، ما لبث أن تسربت اليه عوامل الشك وانفتحت عليه أبواب الاتهامات ، حين اختلط حملة الاسلام بالبيئات التى التحفت الدين ولم تتبطنه ، وكان هذا ظاهرة طبيعية من قوم راوا فى الدعوة الجديدة عاديا ألغى دياناتهم وأتى على كثير من مقدساتهم ، واخضع لسلطانه من كان يطاول السماء ولا يتصور ان يدانيه أحد ، وتكالب الموتورون على هذا الناشىء القوى

العود ، محاولين تقويض أركانه ، ولكن هيهات هيهات لما يرومون ، فقد عاجوا خاوى الوفاض حتى من خفى حنين ، وما كان لهم أن يحققوا مآربهم ولن يكون ! ما دام بين حملة الاسلام مفكرون يؤمنون بما حكاه التنزيل الحكيم **(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)** .. ولست أريد هنا سرد آراء أولئك الحاقدين معتنقى المزدكية والمانوية يعضدهم مارقون تصدى لهم فى وقتهم الحسن البصرى وعمرو ابن عبيد ، ثم اجبرهم على أن يأرزوا الى اجحارهم أحذق الجدليين صاحب الفكر الرصين والرأى السديد والأجوبة الباترة لشبه الخصوم ، ذلك هو (النظام) ثم تلميذه الجاحظ من بعده ، ومن نحا نحوهما على مر العصور الى يومنا هذا ، فذاك بحث فلسفى يثقل على عقول المتسائلين ،وانما سأسلك طريقا وسطا يجلو الحقيقة فى يسر ، معتمدا على ركائز من واقع حياة الأنبياء والمرسلين ، وما كان لهم من حوار مع معاصريهم ، وما اتسم به سلوكهم من استقامة وفطنة وصدق وحسن معاملة لم يرق اليها غيرهم ، فأؤلئك هم المصطفون الأخيار .

ا ــ قام الاجماع على أن البرهان الأول على صدقهم هو المعجزات التى ظهرت على ايديهم ، وأورد كثيرون من المتصدين لاحقاق حقهم أدلة تعضد المعجزة وتقويها وتصلح سنادا متينا يثبت نفس الدعوى ، فمن البدهى ان الكاذب يظهر كذبه واضحا فى الذى يأمر به ويخبر عنه ، كما أن الصادق يعرف صدقه من ثنايا قوله وفعله ، ويؤيد ذلك قول الله تعالى : **(ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول) (١)**

وفى الحديث الصحيح **(ما اسر احد سريرة الا كساه الله جلبابها ان خيرا فخيرا وان شرا فشر)** وقال عثمان رضى الله عنه **(ما اسر احد سريرة الا ابداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه)** ... وقيل شعرا :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم

ومن اصدق ما يدل على صعوبة تخلص الانسان من طبائعه ومسلكه ، وعلى عدم قدرته على التفلت من عاداته ومالوفه ، ويبرهن على أن المقدمات تتبعها نتائجها ان صدقا وان كذبا ، ما كان من موقف خديجة رضى الله عنها يوم عاد اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أول لقاء له مع الوحى وبادرها قائلا : **(انى قد خشيت على عقلى)** فأجابته على الفور اجابة الدارس لسلوكه ، الفاقه لما هو عليه من خلال الخير ، الموقن بصدق فراسته وما يقول : **(كلا . والله لا يخزيك الله ابدا ، انك لتصل الرحم وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الدهر)** فقد خشى رسول الله عارض السوء فجاءته بما ينفيه عنه مستدلة بحميد ما درج عليه هو فى سلوكه ، ومثل هذا حكم النجاشى حين قص عليه المهاجرون الاولون الى الحبشة ما كان من أمر رسول الله فقال لهم : (ان هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة) ولسنا نبعد عن نفس الجادة حين نورد ما دار بين أبى سفيان وقيصر الروم كما حكاه البخارى ومسلم

والمؤرخون حول النبى صلى الله عليه وسلم ، وانتهى باقرار قيصر الروم بنبوته مستنتجا حكمه من واقع ما عليه صاحب الرسالة ، ولطرافة الحوار نذكره مفصلا بنص رواية الطبرى فى تاريخ الأمم والملوك (٢) :

« عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : حدثنى أبو سفيان ابن حرب قال : كنا تجارا ، وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا ، فلما كانت الهدنة (٣) بيننا وبين رسول الله خرجت فى نفر من قريش تجارا الى الشام وكان وجه متجرنا منها (غزة) فقدمناها حين ظهر هرقل على من كان بأرضه من فارس وأخرجهم منها ، وكانت (حمص) منزله فخرج منها يمشى على قدميه متشكرا لله تعالى حين رد عليه ما رد ليصلى فى بيت المقدس ، فلما انتهى الى (ايلياء) وقضى فيها صلاته ومعه بطارقة واشراف الروم اصبح ذات يوم مهموما يقلب طرفه الى السماء فقال له بطارقته : ما بك ايها الملك الغداة ، قال : رايت فى هذه الليلة ان ملك الختان قد ظهر ، قالوا : أيها الملك ، ما نعلم امة تختتن الا يهود ، وهم فى سلطانك ، وتحت يدك ، فابعث الى كل من لك عليه سلطان فى بلاده فمره فليضرب أعناق كل من تحت يده من يهود واسترح من هذا الهم ، فوالله انهم لفى ذلك من رأيهم يديرونه ، اذ أتاه صاحب (بصرى) برجل من العرب ، وكانت الملوك تهادى الاخبار ، بينها ، فقال : أيها الملك ، ان هذا الرجل من العرب من اهل الشاء والابل يحدث عن أمر حدث فى بلاده ، فسله عنه ، فلما انتهى به الى هرقل رسول صاحب (بصرى) طلب هرقل الى ترجمانه ان يسأله : ما الحدث الذى كان ببلاده فسأله فقال : خرج بين أظهرنا رجل يزعم انه نبى قد اتبعه أناس وصدقوه وخالفه ناس ، وقد كانت بينهم ملاحم فى مواطن كثيرة فتركتهم على ذلك ، فقال هرقل : جردوه ! فاذا هو مختون ، فهاج هرقل ، وصاح : هذا والله الذى أريته لا ما تقولون أعطوه ثيابه وتركه يمضى لطيته ، ثم دعا صاحب شرطته ، وأمره أن يقلب الشام ظهرا وبطنا حتى يجيئه برجل من قوم هذا النبى ، قال أبو سفيان : فوالله لنحن بغزة اذ هجم علينا صاحب الشرطة ، فقال : أانتم من قوم الرجل الذى ظهر بالحجاز ؟ قلنا : نعم ، قال : أيكم أمس به رحما ، قلت : انا ، فقال : ادنه فاقعدنى بين يديه ، واجلس أصحابى خلفى ثم قال : انى سائله فان كذب فردوا عليه يقول أبو سفيان : فوالله لو كذبت ما ردوا على ولكنى كنت امرا سيدا تكرم عن الكذب ، وعرفت أن ايسر ما فى ذلك ان انا كذبته ان يحفظوا ذلك على ثم يحدثوا به عنى فلم اكذبه ، فقال : اخبرنى عن هذا الرجل الذى خرج بين اظهركم يدعى ما يدعى ، قال أبو سفيان : فجعلت أهون له من شأنه وأصغر له أمره وأقول : أيها الملك ، ما يهمك من أمره ان شأنه دون ما يبلغك ، وقيصر لا يلتفت الى قولى . . ثم قال : أنبئنى عما أسألك عنه من شأنه ، قلت : سل ودار بينهما الحوار الآتى :

قيصر : كيف نسبه فيكم ؟

أبو سفيان : محض أوسطنا نسبا

قيصر : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

أبو سفيان : لا ! ما جربنا عليه كذبا .

قيصر : لقد علمت انه ما كان ليترك الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله ، وتابع اسئلته .

قيصر : فهل كان احد من أهل بيته يقول مثل ما يقول فهو يتشبه به ؟

ابو سفيان : لا .

قيصر: فما صفة اتباعه منكم ؟

ابو سفيان : الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء ، وأما ذوو الاسنان والشرف من قومه فلم يتبعه منهم احد .

قيصر : اخبرنى عمن تبعه أيحبه أم يقليه ويفارقه .

ابو سفيان : ما تبعه رجل ففارقه

قيصر : اخبرنى كيف الحرب بينكم وبينه ؟

ابو سفيان : سجال يدال علينا ويدال عليه .

قيصر : فهل يغدر ؟ــ وهنا يقول ابو سفيان ــ فلم اجد شيئا مما سألنى عنه اغمزه فيه غيرها ، فقلت : لا ، ونحن منه فى هدنة ، ولا نأمن غدره ، ويقول ابو سفيان : فوالله ما التفت اليها منى ، ثم كر عليه الحديث ، ثم عقب عليه قائلا : لئن صدقتنى عنه ليغلبن على ما تحت قدمى هاتين ، ولوددت انى عنده فأغسل قدميه ، انطلق لشأنك ، قال ابو سفيان : فقمت من عنده وانا اضرب احدى يدى بالأخرى ، واقول : اى عباد الله لقد امر أمر ابن أبى كبشه ، اصبح ملوك بنى الأصفر يهابونه فى سلطانهم بالشام) .

ويعقب شيخ الاسلام ابن تيمية على هذا الحديث (٤) مستعرضا كلمات قيصر الروم واجوبة أبى سفيان ويؤكد انه لم يكن من خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب قط ، بل لم يعرف عنه الا الصدق وهو يتورع أن يكذب على الناس فتورعه عن أن يكذب على الله أولى واحق ، والانسان قد يخرج عن عادته الى عادات بنى جنسه ، فاذا انتفى هذا وهذا كان أبعد عن الكذب واقرب الى الصدق وكان اتباع رسول الله من الضعفاء ، وهذا من علامات الرسل ، فاتباعهم دائما ابتداء من الضعفاء ، يحكى القرآن الكريم عن نوح عليه السلام وقومه : **(قالوا انؤمن لك واتبعك الأرذلون)** وقالوا : **(ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الراى)** ــ وكان المؤمنون برسول الله يتزايدون ولا يرتد احد منهم بعد الايمان ، وهذا من دلائل الصدق والحق ، فان الباطل لا بد وأن ينكشف آخر الأمر فيرجع عن الاتباع ويمتنع عنه من لم يدخل فيه .

وبالنظر فى واقع ما يصادفنا يوميا نرى أن معرفة الناس والحكم عليهم بدراسة احوالهم وما يشتهر عنهم وأن عقلاءهم يثبتون على نحو من الصفات والعادات لا يتجاوزونه ، وكثيرا ما يجاب المستفسر عن شخص لم تكن له به معرفة : انه ذو عقل ومرؤة وخلق ، ويسرد المسئول ادلته على قوله بما يبدو ممن يتحدث عنه ، واذا كان العكس اجاب : انه فاتك الوى ، كاذب مداهن ، او انه غر جال أحمق الى آهخر ما هنالك من أوصاف الخير او الشر حسبما تدور عليه حال الشخص فمن عرف بشىء شهر عنه والسلوك الخاص بكل الأنبياء كان واضحا غير خفى على معاصريهم فلم ينعتوهم بسوء ابدا الا ما يمليه الحقد الدفين والعدواة الكامنة لدى ضعفاء النفوس ومرضى القلوب .

. . .

وأما أمر المعجزات ، وهى الأمور الخارقة للعادة المتحدى بها التى ظهرت على يدى الأنبياء فواضح ظاهر وما القرآن عنا ببعيد ، فهو المعجزة الخالدة لخاتم الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم ، وما كان لأحد أن يأتى بمثله ولن يكون ، وورد هذا فى أسلوب التحدى واضحا (**قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**) ، ويذكر الشهرستانى (**ان النبوة ليست صفة راجعة للنبى ، ولا درجة يبلغ اليها احد بعلمه وكسبه ، ولا باستعداد نفس يصل به الى الروحانيات ، وانما هى رحمة ونعمة يمن الله بها على من يشاء من عباده يصطفيه ويؤيده بالخوارق المعجزة**) ، وعقد الامام الحجة الغزالى فى كتابه (**المنقذ من الضلال**) فصلا عنوانه (**حقيقة النبوة**) قال فيه :

(**ودليل وجودها وجود معارف فى العالم لا تنال بالعقل ولا تدرك بالكسب ، فان من بحث عنها علم بالضرورة انها لا يوصل اليها الا بالالهام الالهى ، وتوفيق من جهة الله تعالى ، ولا سبيل اليها بالتجربة فيتبين ان فى الامكان وجود طريق لادراك هذه الأمور التى لا يدركها العقل ، وهو المراد بالنبوة لا ان النبوة عبارة عنها فقط ، بل ادراك هذا الجنس الخارج عن مدركات العقل احدى خواص النبوة ، ولها خواص كثيرة سواها ، وما ذكرنا قطرة فى بحرها ، ومعجزات الأنبياء اكثر من أن يتحدث عنها ولا سبيل اليها ببضاعة العقل اصلا**) (٥) .

ب ــ وأما دواعى وجود الانبياء وظهورهم من بين البشر فله وجوه كثيرة يكفى واحدها برهانا مؤيدا للدعوى ، فما بالك بها مجتمعة ، ولنسق ما يتسع له المقام منها :

فمن المعلوم ضرورة أن من الأمور والوقائع الكونية ما يمكن للعقل أن يستقل بادراكها دون الحاجة الى معين ، وذلك كادراكنا أن العالم لا بد له من صانع حكيم مدبر محيط بكل شىء علما حتى يجرى على هذا التناسق ، وبهذا التوازن والانسجام العجيب فى كل مظاهره والموجودات فيه ، فمن غير المسلم به عقليا أن يأتى هذا النظام عفوا وارتجالا وصدفة ، ودور الانبياء هنا تأكيد وتقرير للعملية العقلية المستنيرة ، وبهذا الدور تندفع أعذار المكلفين جملة وتفصيلا ، ولو ادعى البشر أن هذا القوى القادر الخالق الذى اهتدوا الى معرفته عقليا لم يبين لهم الشرائع ، وقد سلط عليهم الشهوات والهوى ، ولم يمدهم بمن اذا سهوا ارشدهم ، واذا مال بهم الهوى منعهم ، ولم يزل اعتراضهم قائما ، كما أنهم على فرض ادراكهم الحسن والقبح فهم عاجزون عن ادراك صفة الجزاء على وجهه الشرعى بالخلود فى الجنة للمحسن وفى النار للمسىء ، فتحديد نوع الجزاء خارج عن نطاق مدركاتهم ادراكا كاملا محددا متميزا .

ومن الأمور ما لا يستقل عقل بادراكها لبعدها عن الحواس المعتادة ظاهرة كانت أو باطنة ، ولا يعلم نفعها أو ضررها على وجه يحسن معه استعمالها ، والتجربة لا تفى بالمقصود منها ان دخلت فى نطاق المحسن فكثيرا ما نجد من الاشياء ما يصلح دواء ، وغذاء وبلسما شافيا ،

وآخر هو سم ناقع ومصدر ادواء ، وادراك كنه الأشياء يحتاج الى توجيه صحيح وعلى سبيل المثال ، قد يرى البعض أن فى شرب الخمر نشوة ، وأن فى قتل فلان خلاصا من عدو ، وأن الفجور بحسناء اجنبية عنه غنم ، وأن استيلاءه على ما للغير فوز وأى فوز ، ويغفل فى الوقت نفسه عن الاخطار المستكنة وراء فعاله ، التى تشيع الفوضى الاجتماعية وتقضى على الطمأنينة وتعادى العدالة ، ولا يغرب عنا تفاوت الادراكات ، وأن الكامل نادر ، وأن الاسرار الالهية عزيزة جدا ، زد على ذلك حاجة الناس الى الصناعات النافعة ، كما انه لا بد فى المعيشة من علم الاحكام والسياسة وتبادل المنافع والمصالح ، وقد وضع الرسل اسس كل تنظيم يضمن للبشرية هدوءها واستقرارها وتعاونها ، كما دلها على منافع المعادن وعلمها الصناعات ، والامثلة فى القرآن كثيرة قال تعالى : (فى حق داود عليه السلام : ((**وعلمناه صنعة لبوس لكم**)) وفى نوح عليه السلام (**واصنع الفلك**) وعن المعادن (**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد**) وفى قواعد العدالة (**ان الله يأمر بالعدل والاحسان**) ...

وفوق هذا ــ ما كان للانسان أن يدرك تفاصيل الشرائع كما رسمها مدبرها ، فمن يستطيع أن يفصل الصلوات وأحكامها ومقاديرها ومواعيدها ، والصيام وحدوده ، والحج ومكانه وزمانه ، فاذا تأملنا ما سبقت الاشارة اليه الفينا الحاجة الماسة الى وجود الرسل ، وعلمنا انه لهذا أرسلهم الله كما تواتر ذلك فى مختلف الاعصار ، وهنا نقف عن الكتابة فلعل فيما مضى به القول بعض الغنية لمستفهم ــ على أن أعود ــ بعون الله ــ الى تناول الموضوع من جوانب اخرى والله المستعان ...



---

(١) الآية ٣٠ من سورة محمد صلى الله عليه وسلم .
(٢) ص ٢٢٨ من الجزء الثانى طبع مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٩ م .
(٣) يشير الى صلح الحديبية عام ست من الهجرة الكبرى .
(٤) ص ٩٤ من شرح العقيدة الاصفهانية ــ دار الكتب الحديثة بالقاهرة .
(٥) ص ١٣٣ المنقذ من الضلال ــ طبع دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

الجَانبُ العُمْراني في الحضَارة الإسْلامية

للدكتور : محمود محمد قاسم
عميد كلية دار العلوم — جامعة القاهرة

قد يميل بعض الباحثين فى الدراسات الاسلامية الى اصطناع اسلوب اللوم والنقد لمعاصريهم وربما كان هذا المنهج لا يخلو فى بعض الأحيان من رائحة تزكية النفس . أما اذا خلا منها فلربما شابته عاطفة المرارة .

وبعيد عن خاطرنا كل البعد ان ننتقص شيئا من صدق اخلاصهم أو من حميتهم فى محاولة ايقاظ المسلمين المعاصرين ، لكن يبدو لنا أن هذا المنهج لم يعد منهجا مناسبا ، فلقد كان هو المنهج السائد فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن الحالى ، عندما تم سقوط دول المسلمين جميعا تحت ضربات الغرب .

أما فى النصف الثانى من القرن العشرين ، ورغم الكوارث التى نزلت ببعض البلاد الاسلامية ، والتى نرى أنها لن تكون الا كوارث عابرة ، فان هذا المنهج التقليدى يوشك ان يدفع النفوس الى اليأس ، بدلا من أن يحفزها الى الرجاء والعمل ، كذلك لا نريد أن ننتقل الى المنهج المناقض تماما ، وهو منهج التفاؤل الساذج الذى يعد مفرطا فى بعث ما يمكن أن نسميه أملا مرضيا يسبح بالناس فى متاهات الخيال ويبعدهم عن الواقع ، فلنسلك اذن منهجا معتدلا يجانس بين الواقعية والمثالية ، فينأى بنا عن هذين المزلقين الخطرين اللذين يقود احدهما الناس الى هوة اليأس ، فى حين ينتهى بهم الآخر الى عالم من الأوهام والأحلام .

فشبابنا اليوم فى حيرة من أمره ، وهو منقسم على نفسه بين متفائل

يرجو بعث القديم بما فيه من خير وشر ، ومتشائم يرى أن عجلة الزمن اسرع من أن تتيح لنا الوقوف ، ولو قليلا ، أمام ماض يقال : انه قد انقضى وغبر ، وان الخير كله أن نتجه الى المستقبل ، أو بعبارة أدق نحو حضارة الغرب لكى نقتبسها دون تحوير أو تعديل ، كما اقتبسنا كثيرا من مظاهرها المادية من ملبس ومسكن وعادات اجتماعية وضروب الترويح عن النفس .

ومع ذلك ، فسوف نتجه الى هذين الفريقين على حد سواء ، فان اصحاب القديم وانصاره ربما لم يعرفوا كثيرا عن قديمهم هذا ، فى حين ان اصحاب الجديد ليسوا بأسعد حظا بمعرفة جديدهم ، اذ ربما جهلوا كثيرا من موارده واصوله .

وايا ما كان مقدار الصدق فيما نقرر فان حاضر العالم الاسلامى بمشكلاته التى نحياها جميعا ، منذ نهضة بلادنا فى الزمن القريب ، حاضر يضطرب بميلاد جديد ، فنحن نرى ظهور علامات العمران الحديث فى كثير من اقطارنا جنبا الى جنب مع بقاء مظاهر التخلف والبؤس فى كثير من هذه الاقطار ايضا ، ونعنى بها التى ما زال الاستعمار يستنزف ثرواتها ، دون أن يفيد أهلها من ثرائهم شيئا ، كما هى الحال فى بعض بلاد المسلمين بأواسط أفريقيا أو فى الشرق الاقصى حيث سعى المستعمر قبل انسحابه منها أن يمزق هذه الاقطار أو يبذر فيها بذور الانفصالية ، وأن ينشر المدارس التبشيرية تدعيما لتفتيت الروابط القومية فيها ، ومنعا لأى تقدم اسلامى فى المناطق المجاورة لها .

وهذا الحاضر الاسلامى المضطرب الذى يوشك أن يلد الخير أو الشر ، سواء بسواء ، هو الذى يبعث هذا الصراع النفسى عند شبابنا ، ويشحذ ذلك الصدام بين عقليتين متنافرتين فى مجتمعاتنا ، مما يدعو الى تمزقها وانفصام وحدتها وترددها فى اختيار طريق سوى اقرب الى تحقيق تقدمها وضمان رخائها ، وهذا هو ، فيما نعتقد ، الهدف المشترك لهاتين العقليتين المتصارعتين ، وهو الذى كان ينبغى أن توحد له الجهود ، بدلا من تشتتها وتنافرها .

أما المتشائمون فهم الذين لا يرون سوى البؤس والشقاء .

واما المتفائلون المفرطون فى تفاؤلهم ، فهم الذين يؤمنون بأن مشكلات العالم الاسلامى سوف تحل دون جهد أو نصب .

واما المعتدلون فهم الذين يرون مظاهر التقدم الحضارى فى كثير من بلاد المسلمين ، لكن يرون أيضا مظاهر التخلف والبؤس والتدهور فى بلاد اسلامية أخرى ، وهم يعلمون فى الوقت نفسه أن مظاهر العمران الحديث جميلة حقا ، ولكنها ليست كل شىء ، وأن مظاهر التخلف تبعث اليأس القاتل ، غير أنها أمر يمكن القضاء عليه بكثير من العمل والصدق فيه .

وليس العمل والصدق فيه أمرا يستحيل غرسه فى نفوس الشباب ، بل نرى أن الشباب هم أكثر الناس حاجة اليه واشدهم طلبا له ، فان الشباب طموح بطبيعته ، واما اليأس فانه اقرب الى قلوب الشيوخ والمعمرين ، ونرى أن نهضة الشرق بالعمل والصدق أمر قد تم فعلا بالنسبة الى الغرب عندما كانت المقارنة فيه بين حضارة المسلمين وحضارة الاوروبيين كفيلة بأن تبعث

اليأس فى قلوب كثيرين من أبنائه .

واليوم نقارن بين حضارتنا وحضارة أوروبا أو الغرب بأوسع مفاهيمه ، ونرى أننا ، رغم كثير من مظاهر العمران عندنا ، أكثر منه تخلفا ، وأننا لن نستطيع المحافظة على البقاء الا اذا لحقنا به قبل أن يجهز علينا ، وربما ساعدنا على اللحاق به فى المستوى الحضارى ، وعلى النجاة من المصير الرهيب الذى تحددت ملامحه بوضوح سافر فى آفاقنا العسكرية والسياسية والدينية والاجتماعية ــ نقول ربما ساعدنا على ذلك ان نعلم كيف لحق بنا هو يوم أن كانت حضارتنا مثله الأعلى ، وعندما كانت ثقافتنا تبهره وتدك معاقل الجهل فيه فى الوقت الذى كانت لا تحاول فيه التنكيل بالاعداء أو التفكير فى ابادتهم ، كما فعل النازحون من أوروبا الى أمريكا بثلاثين مليونا من الهنود الحمر ، لقد كان المسلم فى ذلك الحين مثلا أعلى ، وكان الاوروبيون اذا رأوا انسانا كاملا وصفوه بأنه عربى أو مسلم .

فاذا كان من عادتنا أن نقارن بين حاضر الغرب وحاضرنا ، وسواء سلكنا مسلك اللوم والتقريع أو مسلك الرغبة فى التحرر من تراثنا وماضينا معا ، أفليس من المشروع أيضا أن نرجع الى الماضى ولو قليلا ، حتى نعلم كيف أفاد الغرب من حضارة المسلمين ، وذلك دون أن يكون فى الرجوع قليلا الى الماضى صرفا عن ضرورة العمل المستمر لتحطيم حواجز الحاضر لربط الماضى بالمستقبل ، فليس فى دعوتنا هذه نوع من التعلل بالأمانى أو التنفيس عن عقد المجتمعات الاسلامية الراهنة عندما نبعث جمال بعض جوانب الماضى وروعتها ، بل فيها زاد وعون على محاولة تحقيق مستقبل أفضل من الحاضر والماضى معا .

واذا نحن قصرنا حديثنا هنا على الناحية العمرانية فى بلاد المسلمين ، فلربما كان هناك من المعاصرين من يظن أن تقدمنا فى هذه الناحية خلال عشرات السنين الأخيرة شيء دخيل على حضارتنا ، وأن أمتنا لم تعرف فى ماضيها مثل هذا العمران ، وانها مدينة به لأوروبا التى لم تعمل منذ عصر الاستعمار الا من أجل تحطيم حضارتنا بجميع مظاهرها ، ان العنصر الحضارى الكامن فى ضمير هذه الأمة هو الذى حفزها ، فى العصر الحديث ، الى التجديد العمرانى فى ظروف سياسية واجتماعية غاية فى القسوة .

والحق أن بلادنا هى التى أوحت فيما مضى الى أوروبا بتجديد مظاهر العمران فيها ، وكان اتصال الغرب بالعمران الاسلامى ، عبر الأندلس وصقلية وشمال افريقية والشام ، هو الذى كشف له عن مقدار الهاوية التى انحدر اليها منذ سقوط الدولة الرومانية القديمة ، وكانت دولة حضارية ممتازة ، ومنذ سيطرت الكنيسة على مصائر شعوب أوروبا حتى عصر النهضة وعهد التحرر العقلى والفكرى فى أوروبا ، بفضل ظهور كل من حركة احياء العلوم وحركة الاصلاح الدينى ، وكلاهما نتيجة مباشرة للاتصال بالحضارة الاسلامية ، وكلاهما كان ثورة على الكنيسة الكاثوليكية التى ورثت امبراطورية روما ، فطمست معالم عمرانها وبددت حضارتها ، بل قضت عليها قضاء مبرما ، فأصبحت روائع آثارها لا ترى الا فى متاحفها الدينية .

لقد شهد الاوروبيون نماذج من العمران الاسلامى فى بلاد الأندلس كما شهدها من رحل منهم الى المشرق

ايام الحروب الصليبية ، فعلموا أن اعداءهم اجدر أن يكونوا اساتذة لهم فى كل شىء ، ولم تكن مدن الأندلس الا لتثير اعجابهم وتحفزهم الى محاولة محاكاتها ، فقد راوا فى اثناء تتلمذهم على اساتذة المسلمين فى جامعات الأندلس كيف كانت قرطبة والزهراء وغرناطة واشبيلية وطليطلة ومرسية وغيرها من المدن .

اما قرطبة التى عنى عبد الرحمن الناصر بتجميلها وتزيينها ، فقد اصبحت تضاهى بغداد بهاء وجمالا . وبغداد هى عاصمة الخلافة ، فهى اشهر من أن نعرض لوصف العمران فيها ، اذ كانت عاصمة الدنيا ايضا فى عصر العباسيين ، لأن الدولة الاسلامية هى التى كانت تسيطر تقريبا على العالم المعروف فى ذلك العهد .

ومما قد يعطينا فكرة عن اتساع عمران بغداد ان نقول انه كان يوجد بها ، فى أوائل القرن الرابع الهجرى ، سبعة وعشرون الف مسجد ، وكان لقرطبة جوها الحضارى الذى عرفته بغداد فى أيام هارون الرشيد ، لكنه كان فى قرطبة جوا خالصا من حضارة البادية ، اذ كانت حضارة الأندلس عربية وغربية فى آن واحد ، كما أراد لها عبد الرحمن الناصر أن تكون ، انها كانت حضارة تقبل كل شىء من غرب وشرق ، وتحوله الى شىء آخر فريد فى نوعه أو نسيج وحده .

ثم جاء عبد الرحمن بن محمد فبنى غرب قرطبة مدينة سماها الزهراء ، فأحكم تخطيطها ، وحدد أماكن الأسواق والحمامات والقصور فيها ، ثم أراد لها أن تنمو سريعا ، فأغرى الناس بالبناء فيها لقاء جائزة مالية لكل من بنى لنفسه فيها مسكنا بجوار السلطان ، وقد صَدق حدسه ، اذ اتصل عمران قرطبة بمدينة الزهراء ، فكان السائرون خلال المدينتين يقطعون مسيرة عشرة أميال فى ضوء المصابيح التى تنير الطرق الواسعة التى لم تعرفها أوروبا الا فى عصور متأخرة ، ومما كان يزيد قرطبة والزهراء جمالا أن واديهما كانت تحيط به المروج والبساتين ، وتدور فيه أكثر من خمسة آلاف من طواحين المياه .

وكانت غرناطة على مقربة من مدينة البيرة ، وكان يحفها سور من البساتين العريضة ، وكانت تستند الى جبل الثلج التى تكسو سفوحه الكروم ، بينما يمتلىء واديها بضيعات الكبراء ، والجنان التى يعجز الوصف عن بيان مفاتنها ، فكانت دمشق بلاد الأندلس فى جمالها وحصونها ذات الأسوار الشامخة والمبانى الرفيعة ، وأسواقها وحماماتها الأنيقة . أما جوف الوادى فكانت ضياعه تلوح مبانيها خلال أشجار الثمار وأشجار الزيتون واللوز والكمثرى ، وكان اهل غرناطة يتخذون الوادى وضياعه مسارح للندوة وقرض الشعر ، أما المنخفضات حول غرناطة فكانت مليئة بالدوح والبيوت والأبراج التى بلغ عددها فى ذلك العهد أربعة عشر الفا ، والى جانب الجبل كانت هناك ضاحية تسمى « دمع العين » وكانت فى أيام المسلمين متنزها بديعا به القصور والدور العالية ، وكانت القرى التابعة لغرناطة تحوى ، كما يقول ابن الخطيب جملا ضخمة من الرجال وفحول الحيوان ، وفى كثير منها المساجد والطواحين .

اما اشبيلية ، مدينة الطرب والغناء ، والعلم والتصوف أيضا ،

فكانت تمتاز بحسن مبانيها وعناية أهلها بتزيين دورهم من الخارج والداخل ، وذلك بسبب تأصل الحضارة فيها الى حد أن العامة كانت تعبر عن ترف الحضارة فى هذه المدينة بقولها : « لو طلب لبن الطير فى اشبيلية لوجد » . وكان النهر العظيم يمر بها ، وعلى ضفافه المتنزهات والبساتين والكروم التى تتصل دون انقطاع ، وكان أهلها يميلون الى اللهو والغناء ، وكان فيهم الى جانب ذلك عربدة وشراب ، وكانوا يتذوقون المزاح الذى كانوا يرصعونه أحيانا بألفاظ السباب ، وهذا ما نراه عادة فى المجتمعات التى يبلغ فيها التحضر حدا مفرطا .

وقد تخصصت اشبيلية فى صناعة آلات الموسيقى ، التى استوحاها الاووبيون فى ابتكار أدواتهم الموسيقية فيما بعد ، كذلك بلغت مبانيها من الاتقان غايته بحيث أن اكثر دورها كانت لا تخلو من الماء الجارى ومن الأشجار المتكاثفة ، كأشجار الليمون والنارنج ، غير أن كلا من مرح المدينة وطربها لم يكن حائلا دون وجود طبقة ممتازة من العلماء فيها ، اذ كانت بها مدرسة جمعت أعلام العلماء من المسلمين والنصارى واليهود ، هذا إلا أن المدينة لما سقطت فى يد الاسبان ظلت ، لفترة من الزمن ، مركزا علميا ، ذلك أن الفونس العالم استعان بكثير من علماء المسلمين للتدريس فى مدرسة انشأها للطب والعلوم ، وكانت المواد تدرس فيها باللغتين اللاتينية والعربية .

ولا نريد أن نكثر من وصف مدن الأندلس ، فلنكتف بأوصاف عابرة لكل من طليطلة ومرسية ومالقة .

أما طليطلة فكانت من اكثر المدن سكانا تحيط بها أسوارها المنيعة ، وفى داخلها الحصن الكبير ، وكان بها قنطرة عجيبة من قوس واحدة يدخل تحتها الماء بعنف ، وفى آخر القنطرة كانت هناك ناعورة يقول عنها الادريسى : انها كانت ترتفع فى الجو تسعين ذراعا ، فترفع الماء الى القنطرة ، فيجرى على ظهرها ، حتى يدخل الى المدينة .

وأما مرسية فقد اختصت بتجهيز العرائس ، فى حين اشتهرت مالقة بجودة أنبذتها .

فاذا نحن انتقلنا الى المشرق وجدنا الفسطاط فى مصر ، وقد قيل ان بعض الدور فيها كان يرتفع الى ثمانية طوابق كأنها المنائر ، وربما سكن الدار الواحدة منها أكثر من مائتى نفس ، وكان الطابق الأول منها لا يسكن عادة ، بل يخصص لأعمال اخرى كالحوانيت وغيرها ، أفليس ذلك قريب الشبه بما نجده اليوم فى كثير من أحياء القاهرة والجزائر والكويت ودمشق وبغداد وغيرها من عواصم البلاد الاسلامية وكبريات مدنها . ويقول ناصر خسرو فى وصفه لمصر : « ونرى مصر من بعيد كأنها جبل ، وبها بيوت من أربع عشرة طبقة ، وبيوت من سبع طبقات ولها أسواق وشوارع توقد فيها القناديل ، لأن ضوء الشمس لا يصل الى أرضها . وربما كان ذلك يرجع فى الحقيقة الى ضيق شوارعها ، كما نجده فى أيامنا هذه فى بعض احياء القاهرة .

أما القاهرة ، مدينة المعز ، فكانت ، فى أول نشأتها ، مدينة حدائق كمدينة فرساى مثلا فى فرنسا أو المعادى من ضواحى القاهرة المعاصرة وكانت الدور فيها منفصلة

بعضها عن بعض بالأشجار الكثيفة ، وكانت المياه ترد اليها عن طريق قنوات مغطاة تتفرع الى الدور لتمدها بالماء ، وقد عرف هذا النظام ايضافى كثير من بلاد المسلمين الاخرى . وكانت مجارى المياه هذه على أعماق متفاوتة ، وقد يضطر المرء احيانا ، الى أن يهبط مائة درجة حتى يصل اليها ، وكان هناك من يقوم على حراستها وحفظها وصيانتها .

ولا يتسع الحديث هنا لوصف مستشفيات البلاد الاسلامية ، لكن يكفى ، بصفة عابرة ، أن نقول انها كانت مفتوحة للجميع ، دون تفرقة دينية او عنصرية .

فاذا نحن اردنا ، بعد ذلك ، أن نكمل الصورة التى رسمناها للجانب العمرانى فى الحضارة الاسلامية ، فقد يجوز لنا أن نقارن بين مدن الاسلام وبين مدن أوروبا فى تلك الحقبة من الزمن نفسها ، أو فى الحقبة التى تلتها ، فلقد راينا كيف كانت قرطبة والزهراء وغرناطة واشبيلية وطليطلة ومرسية وبغداد ودمشق والفسطاط والقاهرة ، وغيرها من بلاد المسلمين ، بقصورها وابراجها وبساتينها وحماماتها واسواقها ومستشفياتها ، فلنر الآن كيف كانت باريس وغيرها من عواصم أوروبا فى تلك الفترة الزمنية نفسها .

لقد ظلت باريس ، فى خلال العصور الوسطى وحتى بدء القرن الثانى عشر ، مدينة يرثى لها ، ففى ذلك القرن اخذ الفرنسيون يرصفون شوارع عاصمتهم ، ومن قبل كانت هذه الشوارع مليئة بالاقذار والمستنقعات كبعض مدن اقاليمنا العربية فى الوقت الحاضر ، غير أنه لما تم رصف شوارع باريس بدأت تخف فيها حدة أوبئة الحمى والدوسنتاريا ، واخذت الحالة الصحية بين سكانها تقترب مما كانت عليه فى مدن المسلمين وقراهم بالأندلس ، وساعد على ذلك أن حكومة فرنسا منعت خنازير احد الأديرة ، وهو دير القديس انطوان من أن تعيث فسادا وقذارة فى طرقات المدينة ، كذلك حرمت الحكومة فى باريس القاء المياه القذرة من النوافذ .

ولسنا فى حاجة الى أن نظل فى نطاق القرن الثانى عشر ، بل نستطيع ان نقفز عدة قرون لنجد أن احد الكتاب الاوروبيين ممن شاهدوا روما فى سنة ١٨٧٠ م يقول : « ان المرء كان لا يستطيع السير فى طرقات المدينة الا وعيناه مصوبتان دائما نحو الارض ، حتى لا يخوض فى القاذورات التى تتقزز منها النفوس » .

امافى برلين ، فى تلك الحقبة نفسها ، فكانت الشوارع تكاد الا تكنس ابدا ، وكان رجال الشرطة يلزمون كل فلاح يدخل الى تلك المدينة بعربته المحملة بالخضر أو الدواجن أن يخرج بعربته هذه من المدينة ، وقد حملها من ادران برلين واوساخها قدر ما يستطيع أن يجره حصانه .

ويلاحظ انه لما تم رصف شوارع باريس فى القرن الثانى عشر الزمت الحكومة سكان المدينة ان يعلقوا المصابيح فى نوافذ البيوت المطلة على الشوارع لإضاءتها ليلا ، واخيرا فكرت هذه الحكومة فى محاولة استخدام نظام الإضاءة الذى كان مطبقا بنجاح فى كل من قرطبة وغرناطة .

واذا نحن تركنا عواصم أوربا فى خلال العصور الوسطى ، وفى فجر عصر النهضـــة أو حتى فى العصـــر الحديث ، لكى نتجه الى قلب القارة رأينا هذه القارة تكاد تكون مغطـــاة بالغابات فى جملتها ، تتخللها ، على مسافـــات شاســـعة ، بعض المدن وأديرة الرهبـــان ، أما فى الأراضى المنخفضـــة ، وعلى طـــول ضفاف الأنهار ، فان المستنقعات كانت تفوح برائحة العطن ، وتنشر الموت هنـــا وهناك ، كما كانت أوبئة الطـــاعون البلاء المستمر لأهل أوربا .

وكانت منازل الأوربيين خـــلال العصور الوسطى ، حتى فى لنـــدن وباريـــس ، من الخشب والطين ، وكانت مغطاة بالقش أو أعواد الغاب ومن الطبيعى أن سكان هذه العواصم كانوا لا يعرفون شيئا عن الســـجاد الفاخر ، وغير الفـــاخر ، الذى كان يملأ بيوت المسلمين ويغطى جدرانها بل كانوا يستعيضون عنه بالقش على الأرض ، ولمـــا كانت المـــدافىء غير معروفة فى ذلك الحين فان الدخـــان كان يتصاعد من فتحات فى سقوف المنازل . ولم يكن هناك أى نظـــام للتخلص من الفضلات والأوساخ ، فكان القوم يلقون بأمعاء الحيـــوان والخضروات التـــالفة فى عـــرض الطريق ، وكان الرجال والنســـاء والاطفال ينامون فى نفس الغرفة ، وكثيرا ما كانوا يفسحون فيها مكانا لماشيتهم ، على نحو ما يفعل بعض البؤساء من فلاحى البلاد المتخلفة فى عصرنا الراهن ، وكان السرير يتكون من كيس محشو بالقش ومن وسادة محشوة بالصوف ، وكانت نظـــافة الاجسام أمرا غير معروف ، ولذا فان اجســـاد النـــاس ، بما فيهم كبـــار موظفى الدولة والأســـاقفة ، كانت مرتعا للحشرات الطفيلية ، كما يقول « درايبر » صاحب كتاب « الصراع بين الدين والعـــلم » الذى اعتمدنا عليه فى اقتباس هذه المعلومات عن العصور الوسطى الأوروبية ، وأيا كان الأمر فان الطبقة الارستقراطية من حـــكام ورجـــال كهنـــوت كانت تستعين بالعطور لإخفاء نتن الأجسام أما رجال الطبقة الوســـطى فكانوا يرتدون ملابس من الجـــلد ، وكانوا يعدون من المنعمين المترفين اذا اكلوا اللحم مرة واحدة فى الأسبوع .

وقـــد ترك لنا البابا « بيـــوس » الثانى وصفا طريفا لانجلترا فى القرن الخامس عشر ، أى فى سنة ١٤٣٠م فقال : « ان بيوت الفـــلاحين كانت تبنى من الأحجار دون ملاط ، وكانت سقوفها تصنع من الحشائش الجافة أما باب البيت فكان يتخذ عـــادة من جلد أحد الثيران ، أما الغذاء فكان يتألف من بعض الخضروات أو من لحاء بعض الأشجار أحيانا اذا شحت الخضر ، وفى بعض المنـــاطق كان الناس لا يعلمون ما الخبز ، وكثيرا ما كان الفـــلاح يستعيض عن الملابس بحزم من القش يربطها حول جسمه وأعضائه ، ولذا كان فريسة طيعـــة لشتى الأمراض ، وما كان ليأمل فى الشفاء الا عن طريق معجزة لأحـــد القديسين ، أو عن طـــريق التبرك بآثارهم أو مخلفاتهم .

فهل من العجيب ــ كما يقول لنا « درايبر » أيضـــا ــ أن نعـــلم أن الناس اكلوا لحوم البشر فى مجاعـــة فى سنة ١٠٣٠م بلندن ، وأن خمسة عشر الفا من اهل هذه المدينة هلكوا جوعـــا فى سنة ١٢٥٨ م ، ولم تكن الأحوال الصحية فى بقية أوربـــا بأفضل منها فى انجلترا ، فقد هلك ثلث سكان فرنسا بوباء الطاعون فى القرن الرابع عشر ، ومن الإنصاف

ان نقول : ان مثل هذه المجاعات والأوبئة كانت تحدث ، بين حين وآخر ، فى بلاد المسلمين ، وقد حدث فى بعض المجاعات فى بغداد فى عصور التدهور أن الناس كانوا يبيعون الدار لقاء رغيف من الخبز ، كما يروى لنا ابن الأثير فى كتابه « الكامل » . كذلك نعلم أن الطاعون اهلك خلقا كثيرا فى القرن الرابع عشر ، على نحو ما يذكر لنا ابن خلدون ، لكن يجب أن نعترف الى جانب ذلك ، أن الحالة العمرانية فى الشرق وفى الأندلس وفى شمال افريقيا ما كانت لتشوه جمالها وروعتها مثل هذه الكوارث الطارئة .

ومن الإنصاف أيضا أن نقول : إن هذا التخلف المريع لأوربا فى العصر الوسيط لم يحل قط دون تقدمها أو خروجها من عصور الظلام ، فقد استطاع الأوربيون بسبب احتكاكهم بالمسلمين ، حربا وسلما ، أن يضعوا أسسا راسخة لحضارتهم التى تسيطر على عالمنا الحاضر ، فبنت المدن الجميلة ، وساعد على تحسينها وزيادة ثرائها ، ابتداء من القرن الخامس عشر ، ما نهبه الأوربيون من بلاد المسلمين ومن الشرق بصفة خاصة ، ولا سيما بعد أن قضوا على الأسطول العربى فى الخليج الهندى ، وبعد أن كشفوا طريق الرجاء الصالح ، واذا كان الأوربيون النازحون الى الأمريكتين استطاعوا أن يفنوا ملايين البشر ليحلوا مكانهم وان احتفظوا بنماذج منهم فى مناطق مغلقة ، فانهم لم ينجحوا بعد ، واعتقد انهم لن ينجحوا ، فى إبادة المسلمين ، اللهم الا اذا أتاح المسلمون رقابهم للسيف طوعا واختيارا ، ونحن لا نعتقد ان هذا أمر سيحدث . فان المبادىء الإسلامية قد تخبو فى النفوس لفترات ، ولكن جذوتها لا تنطفىء ابدا .

ومما يساعدنا على تقرير هذا الأمر أن حالة المسلمين فى عصرنا الراهن لا تشبه حالة الأوربيين فى العصور الوسطى ، واذا كان الأوربيون قد اقتبسوا كثيرا من حضارة العرب وصبغوها بصبغتهم ، فما الذى يحول دون أن يقتبس العرب مظاهر العمران من الغرب ، وان يخلعوا روحهم عليها ، ذلك أنه لا يكفى ان تحاكى أمة حضارة أمة اخرى ، وأن تقنع بالمظاهر الخارجية لها ، ذلك أن المظاهر الخارجية لا تكفى ، بل لا بد لها من اصول داخلية تعتمد عليها ، فهى ليست فى الحقيقة إلا ثوبا يلحقه ما يلحق بقية الثياب من التقادم والتلف أو التمزق واهم من ذلك أن يكون النبع من الداخل ، بمعنى أن يبعث العرب ، والمسلمون بصفة عامة ، ما انطوت عليه اعماق نفوسهم من أصول حضارية اتاحت لهم حتى الآن ان يحتفظوا بالحياة ولو مشوبة بالمهانة وأن يقفوا أمام محاولات الإبادة .

حقا ان الحياة العربية الراهنة لا توحى بكثير من الآمال قريبة التحقق ، لكنها حياة لا تبعث على القنوط ، وهى اشد ما تكون حاجة الى مناهج جديدة وعواطف جديدة وعقلية جديدة أيضا ، ومما يبشر بالخير ان هذه الامة لم تعد تقتنع بضروب الوعظ ، أو تستطيب صنوف التقريع التى تميت القلوب لانها تفرط فى اللوم ، وتكاد أن توصد باب الأمل ، كذلك لم يعد هناك كثيرون يخدعون بالامانى والأحلام ، اذ يحدسون حدسا صادقا أن هناك

شيئا آخر اجدى بكثير من التحسر على الماضى او الحياة فى جو من الخداع والوهم ، وسيقوى هذا الحدس عن طريق العمل والصدق فيه ، وبالعزوف عن الوان من الثقافة اصبحت لا تطاق ، لانها لا تعدو ان تكون اجترارا لآراء غدت خلوا من كل روح .

ولسنا من هؤلاء الذين يفرضون آرائهم على الناس عن طريق التقريع أو اللوم او بأية وسيلة أخرى ، بل انا نحسن الظن بالبشر ، ونعتقد أن اليأس عند شبابنا لم يصل بعد الى درجة كبيرة من الخطورة بدليل شدة إقبالهم على الحياة وتمسكهم بها والرغبة فى نعيمها ، لقد قسا أحد كبار الكتاب عندنا منذ سنين على جمهور القراء ، لكنهم لم يحملوا قسوته محمل الجد ، لقد وصفهم بالغباء والتفاهة لأنهم لا يقدرون الثقافة الرفيعة او لأنهم لا يقرأون .

ولئن صح ما قاله من انهم لا يقرأون ، فربما كان من الأفضل أن يتساءل ، ولماذا لا يقرأون ، اذ من المحتمل انهم لا يجدون شيئا يستحق القراءة ، أو ان متاعب الحياة قد تصدهم ، حتى عن متعة قراءة الأدب الرفيع ، ومثل هذا الكاتب هؤلاء الذين يصفون العرب والمسلمين بالكسل وبالرغبة عن الأمل فى حياة افضل ، ولربما كان من الأولى أن يدرك هؤلاء أن الناس اذا فقدوا حماستهم للعمل فلربما كان ذلك بسبب سوء الظروف الاجتماعية والاقتصادية ، التى قد تقف أمامهم حواجز صماء تحول دونهم ودون العمل الذى يؤدى الى حصيلة تليق بالآدميين ، وهذا أمر هو البداهة نفسها . فانا نرى أن مستوى الحياة لدى المسلمين يتفاوت من بلد الى آخر حسب الأوضاع الاقتصادية والثقافية والاجتماعية .

وفى اعتقادنا انه ليس هناك ما يبرر الإفراط فى التشاؤم ولا فى التفاؤل ، اذ ما زال اليأس الذى يعانيه شبابنا يحتوى على جرثومة من الأمل ، وانا لنرجو أن تكون الأوضاع السيئة فى عالمنا العربى حافزا لهذا الشباب الى تطعيم هذا الواقع ببعض القيم والمثل . فانهم هم أقدر الناس على تجاوز الكوارث المؤقتة ، وعلى تحويل مظاهر الفشل الى عناصر حية تبعث موجة من الأمل المعتدل ، وعلى الافادة من دروس الحاضر لبناء مستقبل أقل هوانا وشعورا بالضياع والتمزق من حالتهم الراهنة .



عبد الله بن عتيك

أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود من المدينة ، فنـزل فريق منهم بخيبر ، وكان على رأسه « أبو رافع سلام بن أبى الحقيق » وكان ذا ثروة طائلة ، رصدها للفتن والمؤامرات وافساد الأمن ، فكلف رسول الله خمسة من أبطال المؤمنين ، وأمر عليهم عبد الله بن عتيك ، وخرجوا الى خيبر تدفعهم قوة الايمان الى التضحية بالنفس فى سبيل الله ..

وفى مكمن قريب من حصن أبى رافع ، المليء بالعدد والسـلاح ، المحاط بأسوار من الحديد والنار جلس الخمسة يتشاورون فى الأمـر . كيف ينفذون الى أبى رافع ، وماذا يصنعون أمام مناعـة الحصن وكثرة الحراس ، وتناوبهم فى الحراسة طول الليل ؟ وبينما هـم يتشاورون ، ويرسمون الطريق لتنفيذ الواجب الذى أمرهم به رسول الله ، وعاهدوا الله عليه بدت لابن عتيك فكرة ، فصاح فيهم دعكم من ذلـك كله ، ولتكن فى حراسته جميع شياطين الارض ، فانا قاتلوه ان شاء الله .. لقد آمنا بالله ورسوله ، وآمنا بأن أبا رافع عدو الله ورسوله ، وقد اشترى الله منا النفوس والأموال بأن لنا الجنة ، فاجلسوا مكانكم ، وخذوا حذركم ، وانطلق عبد الله الى الحصن مجردا من كل شيء الا سيفه وايمانـــه ، واستطاع أن ينفذ الى داخل الحصن رغم الأسوار والحراس ، واختفى فى مكان قرب الباب ، وظل فيه حتى نام الحراس ، وهدأت الأنفاس ، فنهض من مكانه ، وأخذ المفاتيح من جانب البواب ، وأخذ يفتح الأبواب بابا بابا ، وكلما فتح بابا أغلقه من الداخل حتى انتهى الى عدو الله ورسوله ، وخاف أن يكون مع أبى رافع أحد ، فنادى : يا أبا رافع ، وعلى صوت الاجابـة أهوى بسيفه ، فلم يصبه ، فعرفت امرأة أبى رافع صاحب الصوت ، فقالت لزوجها بصوت مضطرب هذا صوت ابن عتيك ، فقـال لها أبو رافـع : ثكلتك أمك ، وأين منا الآن ابن عتيك ؟ فعاد عبد الله للنداء مرة ثانية مغيرا صوته مقلدا أحد الحراس ، وقال : ما هذا الصوت الذى نسمعه يا أبـا رافع فصاح به : لأمـك الويل ، أين أنت ورجـل فى الحصن يضربنى بالسيف ، وعلى الصوت ضرب عبد الله فأصاب عدو الله ، وضرب الثالثة فقضى عليه ، وخرج عبد الله الى الباب الخارجى ، وبينما هو يقفز الدرج اذ انزلقت رجله فانكسرت ، فعصبها بعمامة حتى وصل الى أصحابه ، فزف اليهم البشرى ، وحملوه الى رسول اللـه وأخبروه ، فأشرق وجهه وقال لعبد الله أبسط رجلك ، فمسحها عليه السلام بيده الكريمة :

فقال عبد الله فكأنها والله لم تصب طول حياتى بسوء ولهى واللـه أقوى رجلى .

قضيّة الإيمان بالغيب
بين الدين والعلم

التطوّر والقيم الدينيّة

للأستاذ : محمد كامل حته

المجتمعات الانسانية فى تطور دائم ، وتحول مستمر . فهى لا تثبت على صورة واحدة ، ولا تجمد على وضع معين ، ولكنها تتطور من حال الى حال ، وتأخذ أشكالا مختلفة فى أساليب الحياة ووسائل المعيشة وطرائق التفكير .

فما هو موقف الحقائق والقيم الدينية من هذا التطور ؟

وهل تستطيع هذه القيم أن تجارى طبيعة الحياة فى تطورها ، وأن تلبى حاجات المجتمع المتغيرة من حال الى حال ؟

وقبل أن نجيب على هذا السؤال ، لا بد من وقفة عند معنى التطور والثبات .

ان الوجود بما فيه من مختلف الكائنات ، تحكمه قوانين ثابتة لا تتغير ولا تتبدل . فهذه الافلاك فى حركتها الدائبة ، وهذه الكائنات الحية من انسان وحيوان ونبات .. تقوم على نظام ثابت وقواعد محكمة ، ولكل منها قانونه الذى يخضع له ويسير عليه .

بلايين الكواكب والنجوم التى تسبح فى الكون ، لكل منها مدارها الذى لا تحيد عنه ، ومجالها المغناطيسى الذى لا تتجاوزه .

الانسان الذى يبدأ تكوينه من خلية واحدة ، فاذا هذه الخلية تتحول الى جسم متعدد العناصر من لحم وعظم وغضاريف ودماء ، متعدد الاجهزة من قلب ورئة ومعدة وعين وأذن وأعصاب ، متنوع المشاعر من شجاعة وخوف ، من كرم وبخل ، من حب وكراهية .. الى غير ذلك من الاضداد ..

عالم النحل بما فيه من تخصص عجيب فى العمل ، حيث تقوم كل نحلة

ثبات القيم الدينية لا يعتبر جمودا يعوق حركة الانسان

التطور العلمي في الوصول الى القمر لم يقتض الخروج على قوانين الطبيعة

تطور الانسان في حياته لا يستدعي الخروج على القيم الدينية

بعمل معين ، وبما فيه من هندسة عجيبة فى بناء البيوت التى تتكون من عدة غرف مسدسة الاضلاع !!

النبات الذى تلقى بذوره فى أرض واحدة ، ويسقى بماء واحد ، ثم يخرج بعد ذلك مختلف الانواع والالوان والرائحة والطعم ..

هذه الكائنات جميعها تحكمها قوانين ثابتة لا تتغير ولا تتبدل . ومنها الانسان الذى تحكمه قوانين ثابتة فى تكوينه وخلقه ، كما يرتبط بقوانين أخرى فى حياته هى القيم الدينية التى لا تتغير ولا تتبدل ، لأنها تتصل بفطرة الانسان ومعنى وجوده فى هذه الحياة .

ومن هنا كان معنى الثبات فى القوانين الكونية بالنسبة للكائنات ، وفى القيم الدينية بالنسبة للانسان .

واذا كان ثبات القوانين الكونية لا يعتبر جمودا يعوق حركة الكائنات فى الكون ، ولكنه ضرورة تنظم وجود هذه الكائنات ومسيرتها — فكذلك ثبات القيم الدينية لا يعتبر جمودا يعوق حركة الانسان فى الحياة ، ولكنه ضرورة تنظم حياة الفرد والمجتمع .

ولننظر فى هذه القيم الدينية وكيف أنها ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ، مهما تطورت حياة الانسان واختلفت أساليب تفكيره ومعيشته ..

ان الدين فى جوهره تنظيم للصلة بين الانسان وربه خالق الكون والحياة ، وتنظيم للصلة بين الانسان والمجتمع الذى يعيش فيه . وذلك على أسس مترابطة لا ينفصل أحدهما عن الآخر . فهو حين يقوم على الايمان باله واحد متفرد بكمال الصفات ، انما يجرد البشر فى الوقت نفسه من دعوى الالوهية والاستعلاء والسيطرة ، ويبطل مزاعم الذين يرون لأنفسهم حقوقا مقدسة أو غير مقدسة على غيرهم من الناس ، ويضع الجميع على مستوى واحد فى الحقوق والواجبات، ثم لا يبقى لأحدهم فضل على الآخر الا بما يقدم من عمل صالح يفيد الفرد أو المجتمع .

والدين حين يقرر مبدأ الجزاء ويعد بالثواب والعقاب ، يقرر كذلك أن الله — تبارك وتعالى — لا تنفعه طاعة من أطاعه ، ولا تضره معصية من عصاه . وانما هى حوافز وزواجر تتصل بالفطرة الانسانية لتبلغ بالفرد والمجتمع الغاية من وجوده فى هذه الحياة .

والدين حين يقرر حتمية البعث والنشور ، انما يقضى على فكرة « العدم » التى تغرق الانسان فى الشعور بالضياع والتفاهة ، وتقتل فيه معنى وجوده ، وتدفعه الى اليأس والكآبة التى تحطم حياته ، أو الاستغراق المجنون فى الفردية وانتهاب الملذات . وبذلك يعطى الدين للحياة قيمتها ، ويرسم للانسان رسالته فى هذه الحياة ، ويربطه بأهداف سامية تبعث فى نفسه معنى الخلود .

وعقيدة الايمان بالله ، لا تستطيع الانسانية أن تستغنى عنها فى أى عصر من العصور ، ولا فى أى مجتمع من المجتمعات ، لأن هذه العقيدة مرتبطة بالفطرة الانسانية . وما يحدث لهذه العقيدة من قوة أو ضعف ، من استقامة أو انحراف ، انما ينشأ نتيجة التوافق مع الفطرة الانسانية أو التناقض معها فى الفكر والاتجاه .

فالفطرة الانسانية تؤمن بوجود اله مبدع لهذا الكون ، له الاسماء الحسنى ، وحده لا شريك له ، ولا معبود بحق سواه . فاذا انحرف الانسان عن فطرته ، لا يستطيع حتى مع انحرافه أن يتخلى عن فكرة الاله المعبود ، ولكنه يخطىء فى تصور هذا الاله والتعبد له . ولهذا الانحراف عن الفطرة الانسانية وما يؤدى اليه من خطأ التصور والعبادة صور كثيرة :

فمن الناس من يعبد الاصنام ، أو يقدس بعض الحيوان !

ومنهم من يعبد البشر من الملوك والزعماء ، أو من الاحبار والرهبان والصالحين :

— « اتخذوا أحبارهم (١) ورهبانهم أربابا من دون الله » (٢) .

ومن هؤلاء « الاحبار » من تعتبر آراؤهم ونظرياتهم عند أتباعهم فى بعض المجتمعات المعاصرة « دينا » له قداسة الدين المنزل من السماء ..

وقال آخرون فى مقام التبرير والاعتذار : — « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » (٣) .

ومن الناس من يعبد آلهة أخرى .. المال ، الشهوات ، الاهواء : — « أفرأيت من اتخذ الهه هواه ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة .. » (٤)

ان الانسان حين ينحرف عن فطرته ، لا يستطيع أن يعيش فى فراغ عقائدى ، فهو يشغل هذا الفراغ ويلبى نداء الفطرة بتصور الاله على صورة ما .. سواء كان على خطأ فى هذا التصور أم على صواب !!

وكذلك القيم الدينية التى تنظم حياة الفرد والجماعة ، لها صفة الثبات والدوام والاستقرار ، لأنها تتصل بالفطرة الانسانية التى لا تتغير ولا تتبدل . « فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٥) .

---

(١) علماءهم .
(٢) الآية ٣١ سورة التوبة .
(٣) الآية ٣ سورة الزمر .
(٤) الآية ٢٣ سورة الجاثية
(٥) الآية ٣٠ سورة الروم .

ان رعاية حقوق الوالدين مثلا ، من القيم الدينية التى لا تتبدل ولا تتغير ، مهما تطورت حياة الانسان واختلفت صور المجتمع : ــ « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » (١) .

وكذلك المساواة بين البشر دون النظر الى الجنس أو اللون أو الغنى أو الفقر : ــ « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » (٢) .

. . . وتقويم كل امرىء بما يحسنه ، لا بما يدعيه من حسب ونسب وثروة وجاه . واقامة العدل ، والاحسان فى القول والعمل ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ــ هذه المبادىء العامة وغيرها مما يشكل الصورة الكلية للدين لا يمكن أن تتغير موازينها أو تتبدل آثارها على اختلاف الزمان والمكان ، لأنها حقائق ثابتة وقيم خالدة كما لا يمكن أن تتغير أو تتبدل مسيرة الافلاك وسنن الطبيعة فى الكون والحياة .

وانما يجرى التغيير والتبديل داخل اطار هذه الصورة الكلية للقيم الدينية ، وانطلاقا منها لتحقيق المصلحة ومواجهة تطور الحياة وتجدد صورها . وقد كفلت هذه القيم الدينية تلبية سمحة لكل حاجات البشر ، واستجابة غير محدودة لكل تطلعات الفكر الانسانى .

ذلك أن الدين ــ حتى فى الامــور التعبــدية ــ يحرص على تأكيد معنى « المصلحة » فى هذه العبادات ، ولا يفرضها فرضا بدون تعليل أو بيان . .

- « وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » (٣) .
- « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » (٤) .
- وفى الدعوة الى الحج يقول : « ليشهدوا منافع لهم » (٥) .

ومن القواعد المقررة فى الشريعة ، أنه حيث تكون المصلحة فثم شرع الله ، وأنه لا ضرر ولا ضرار .

وانطلاقا من هذه المبادىء العامة نشأ ما يسمى بالمصالح المرسلة ، وهى ما لا يشهد لها « نص » بالابقاء أو الالغاء . والتى تحقق « المصلحة » حيث تكون ما دامت لا تعارض نصا قطعى الدلالة .

ان أبا بكر ــ رضى الله عنه ــ حارب ما نعى الزكاة ، وليس لعمله هذا سابقة من قبل . وأسقط عمر سهم المؤلفة قلوبهم من الصدقات ، حين قويت شوكة الاسلام ، كما أسقط حد السرقة عام المجاعة . مع ما فى ذلك من ظاهر المخالفة لما ثبت بالنص ، لأن دلالة الحكمة أقوى من ظاهر النص . وليس هناك استهداف للمصلحة وحرية فى التشريع أبلغ من هذا الذى فعله عمر !!

ومن القيم الدينية الخالدة فى مجال الفكر اطلاق حوافز الانسان للنظر فى

---

(١) الآية ٢٣ و ٢٤ سورة الاسراء .
(٢) الآية ١٣ سورة الحجرات .
(٣) الآية ٤٥ سورة العنكبوت .
(٤) الآية ١٠٣ سورة التوبة .
(٥) الآية ٢٨ سورة الحج .

ملكوت السموات والارض ، واثارة أشواقه للكشف عن عالم الغيب فى الطبيعة وما وراء الطبيعة ، وأن يجاهد فى عمارة الارض التى استخلفه الله فيها ، ولم يقيد الدين ذلك الا بالحدود التى تحمى الفرد والمجتمع من غوائل الاسراف والبغى .

والانسان قد يتطور أسلوب تفكيره بما يكتسب من تجارب العلم والمعرفة ، وقد يتطور أسلوب حياته من البداوة الى الحضارة . فهل هذا التطور فى أساليب التفكير والحياة ، يستدعى بالضرورة تغييرا وتبديلا فى القيم الدينية الثابتة ، أو الانصراف عنها الى قيم أخرى تحل محلها وتشغل ما تخلفه من فراغ ؟

ان التطور العلمى فى الوصول الى القمر مثلا ، لم يقتض الخروج على قوانين الطبيعة الثابتة . ولكن هذا التطور تم من خلال هذه القوانين التى جعلت لكل من الارض والقمر منطقة جذب محدودة بأبعادها ، فاذا انطلق الانسان بمركبته وتجاوز منطقة الجاذبية الارضية ، يظل فى اتجاهه البعيد حتى يصل الى منطقة الجاذبية الاخرى التى تقوده الى الهبوط على القمر بسلام !!

وكذلك التطور الذى يحققه الانسان فى حياته ، لا يستدعى بالضرورة الخروج على القيم الدينية ، أو ابدالها بقيم أخرى غيرها ، لأنه انما يحقق هذا التطور من خلال ما تدعو اليه هذه القيم التى تستهدف تحقيق معنى وجود الانسان فى هذه الحياة .

لماذا اذن نشأ الصراع فى بعض العصور ، وفى بعض المجتمعات ، بين الدين والعلم ، وبين الدين والحياة ؟

الحقيقة أن الصراع لم ينشأ على هذه الصورة ، لم يكن هناك صراع بين الدين والعلم ، ولا بين الدين والحياة ، لأنه لا تعارض بين الدين وبين العلم والحياة ..

وانما نشأ الصراع فى أوربا فى العصور الوسطى بين رؤساء الدين وبين الرواد من علماء الفلك والجغرافيا ، حين اصطدمت الكشوف العلمية لهؤلاء الرواد ، بما لهؤلاء الرؤساء وغيرهم من تفسيرات للكون والحياة .

من هؤلاء الرواد « نيقولا كوبرنيكوس » الذى أعلن نظرية تعتبر اليوم من البديهيات ، ولكنها أثارت فى ذلك الوقت عاصفة من الانكار الشديد .. وهى أن الشمس لا تدور حول الارض ، ولكن الارض ومعها الكواكب السيارة هى التى تدور حول الشمس .

ولولا أن « كوبرنيكوس » توفى بعد ساعات من صدور كتابه الذى ضمنه هذه الحقيقة العلمية ، لما نجا من العقاب الاليم الذى تعرض له من جاء بعده من العلماء ..

ومن هؤلاء « غاليليو » الذى تابع جهود سلفه وأثبت نظرية دوران الارض ، فقاده هذا الى الوقوف أمام محكمة التفتيش فى روما ، ليحاكم بتهمة الكفر والالحاد ، ويلقى من أجل ذلك السجن والتعذيب والاهانة والمصادرة ، ثم يموت بعد ذلك شيخا محطما محروما حتى من الصلاة على جثمانه ، منبوذا بعيدا عن مقابر أهله ومواطنيه ! (1) .

ولقد ظل الصراع محتدما بين آباء الكنيسة والعلماء عدة قرون حول هذه الحقائق وغيرها من الكشوف العلمية ، وحول مصادرة حرية الفكر باسم الدين — الامر الذى أحدث فجوة كبيرة بين التصور الدينى للكون والحياة كما يريد أن

---

(1) كتاب « تاريخ الصراع بين اللاهوت والعلم » للاستاذ اسماعيل مظهر .

يفرضه رؤساء الدين هناك ، وبين الحقائق العلمية التى غزت العقول وأصبحت من القضايا المسلم بها فى منطق العقل والواقع .

ومن جهة أخرى ، كان موقف بعض رؤساء الدين هناك يتعارض مع الحقوق الانسانية للفرد والمجتمع ، فى علاقة الانسان بربه ، وفى الاسس التى يقوم عليها كيان المجتمع السليم ..

● كان بعض الباباوات يبيعون الجنة بالبطاقات !

● وكان بعضهم يبيع الوظائف الكنسية لمن يدفع ثمنا أكبر ..

● وكانت الكنيسة تمثل النظام الاقطاعى فى حيازة الاراضى الشاسعة ، وتسخير « المؤمنين » فى خدمتها لحساب الآباء والرؤساء !

● ثم كانت العلاقات « المريبة » والفاضحة ، بين بعض الآباء وسيدات القصور .. (١) .

من هذا وذاك ، اهتزت الصورة الدينية فى الغرب ، وانحسر سلطان الدين عن مكانه الطبيعى فى النفوس وفى المجتمع ، وأصبح عند القلة المتدينة طقوسا يؤدونها دقائق كل أسبوع ..

هذا فى الغرب ، فماذا فى الشرق ؟

ان الامر هناك قريب من ذلك . والدين فى جوهره برىء مما ألصق به فى تلك المجتمعات ، لقد حكموا على الدين من خلال مواقف بعض المنتسبين اليه ، ومن خلال الصور التى انحرفت بالناس عن حقيقة الدين وقيمه وأهدافه ، حتى قال بعضهم فى وصف هذا الدين الذى عايشوا رجاله وصورته المزيفة انه « أفيون » الشعوب . لأن الدين بهذه الصورة كان مسخرا لدعم سلطان القياصرة ، وفرض العبودية والاستغلال على الجماهير ، وصرفهم عن الجهاد لاسترداد حقوقهم وكرامتهم وبناء مجتمعهم على أساس من الكفاية والعدل .

هذه هى أزمة الدين فى المجتمعات التى انحسرت فيها القيم الدينية عن واقع الحياة . وهى أزمة لا تقوم على تعارض بين القيم الدينية وتطور الفكر والحياة ، ولكنها تقوم على مواريث فكرية واجتماعية استقرت هناك نتيجة الصراع المزعوم بين الدين والعلم ، وبين الدين والحياة ..



---

(١) كتاب « تاريخ الفلسفة الغربية » تأليف برتراند رسل . ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود .

من دراسات المستشرقين

حول القرآن الكريم

للدكتور
عبدالعال سالم مكرم
جامعة الكويت

التقاء الثقافات بين الأمم المختلفة ظاهرة معروفة سجلها التاريخ فى صفحاته الخالدة ، وهـذا أمر طبيعى ، لأن الفكر الانسانى يدور فى فلك واحد ، هو الانسان نفسه ، من حيث ارتباطه بالحياة ، من حيث حاجياته ومطالبه ، من حيث تقدمه وتطـوره ، من حيث نظرته الى الحيـاة ، وفهمه لطبيعـة الوجود ، ومن حيث ارتباطه بقوة هى أعظم من قوته ، تسيطر عليه ، وترسم له خطوط رسالته فى الحياة .

ولما فتح المسلمون هذه البلاد العديدة ، باسم العقيدة ، وباسم الاسلام ، لم يبخلوا بثقافتهم الاسلامية على البلاد التى فتحوها ، فقدموا لهم من زادها الفكرى ما أنار لهم جـوانب الحياة ، فكرا وعقيدة سياسة واجتماعا ، ادبا وثقافة اصلاحا وتهذيبا ..

ففى بلاد الأندلس مثلا تحتل الثقـافة الاسلامية المكان الأعلى فى نفوس أبنـاء هذه البـلاد ، مما هال أحد المفكرين الاسبان ، فكتب يقول :

« ان أرباب الفطنـة والتذوق ــ سرهم رنين الأدب العـربى ، فاحتقروا اللاتينية ، وجعلوا يكتبون بلغـة قاهريهم دون غيرهـا وانهم يعجبون بشـعر

العرب ، وأقاصيصهم ويدرسون التصانيف التى كتبها الفلاسفة والفقهاء المسلمون ، ولا يفعلون ذلك لادحاضها والرد عليها ، بل لاقتباس الأسلوب العربى الفصيح ، فأين اليوم من يقرأ التفاسير الدينية للتوراة والانجيل غير رجال الدين . الى أن يقول : .. ان الجيل الناشىء من المسيحيين الأذكياء لا يحسنون أدبا أو لغة غير الأدب العربى واللغة العربية وانهم ليلتهمون كتب العرب ، ويجمعون منها المكتبات بأغلى الأثمان » (١) .

ومن الأندلس سطع نور الحضارة الاسلامية على أوربا ، فأنارت أمامها الطريق الى الحضارة الأوربية التى نمت وتطورت فغزت آفاق الفضاء .

ولما ضعف المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها تطلع الاستعمار باسم هذه الحضارة الى السيطرة على بلادهم ، واغتصاب ثرواتهم ، وتبديد ما لديهم من قيم ، وسلب ما بقى لهم من تراث .

على أن التراث الاسلامى ، وهو أثمن ما تملكه الأمة الاسلامية والعربية ، لم ينج من خطر هذا الاستعمار ، بل ان العديد من المؤامرات حيكت حوله ، من أجل جمعه ، والاستيلاء عليه ، بأى ثمن ، وبأية طريقة ، ليفقد المسلمون هذا التراث الذى يعتزون به من ناحية وليقدمه لهم المستشرقون بعد ذلك مشوها من ناحية أخرى ، ليكون وسيلة تضليل تشكك المسلمين فى هذا التراث لينقطع الخيط الذى يربط الأمة الاسلامية بماضيها التليد ، وأمجادها السالفة فتعيش بلا تاريخ ، وتحيا بلا ماض ، ومن ثم تهتز ثقتها بنفسها ، فتكون كالشجرة التى اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ، وقد عثر فى مكتبة (دير الشوير) بلبنان على وثائق تثبت هذه الحقيقة ، ومن هذه الوثائق الوثيقة التى تنص على أنه (فى سنة ١٦٧١م أرسل عالى الجناب الملك لويس الرابع عشر رسله الى جميع بلدان الاسلام لشراء المخطوطات ، وزود مبعوثيه بأوامر شريفة الى جميع القناصل الفرنساوية ليضعوا رجالهم وأموالهم فى خدمة هذه الغاية) (٢) .

أليست هذه الوثيقة تثبت فى صراحة ووضوح تآمر الاستعمار الأوربى منذ القرن السابع عشر على تراثنا لتبديده ، أو تشويهه ، أو مسخه ؟ واذا فقدت الأمة تراثها ، فقدت أغلى ما تملك ، بل فقدت نفسها ، ومسحت وجودها من التاريخ .

ولا شك أن تراثنا الاسلامى والعربى مصدره الأول القرآن الكريم ، فهو الينبوع الذى استقت منه المعارف والعلوم ما أمدها بالحياة ، وما بعث فيها الحركة والازدهار .

وهذا القرآن الكريم هو الخط الأكبر فى وجه الاستعمار ، فما دام المسلمون يحافظون على القرآن ، حفظا ، وعلما وعملا فان مطامحهم تتحطم على صخرته العاتية ، لأنه قوة تعمل عملها فى النفوس ، فتحول الضعف الى قوة ،

---

(١) الاسلام والمستشرقون : الأستاذ زكريا هاشم ص ١٧ : طبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٩٦٥م .

(٢) الاسلام والمستشرقون ص ٢١ .

والعجز الى حركة واليأس الى أمل : وصدق الله العظيم « **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله** » .

من أجل ذلك صاح (غلادستون رئيس الوزارة البريطانية ، وبيده القرآن الكريم في مجلس العموم البريطاني في عهد الملكة فكتوريا وهو يقول : (ما دام هذا الكتاب باقيا في الأرض فلن يقر لنا قرار في بلادهم) .

لهذا فقد أخذ المستشرقون على عاتقهم التشكيك في هـذا القرآن الكريم وذلك بترجمته ، وباقامة الدراسات في مجاله .

وحينما بدا لى أن أكتب في هذا الموضوع ، وعشت في المراجع التى كتبت عن المستشرقين في مجال الدراسات الاسلامية أعنى هذا المجهود الضخم الذى بذل في ترجمة القرآن الكريم من العربية الى اللغات الأوروبية منذ سنة ١١٤٣م حيث ظهرت أول ترجمـة للقرآن الكريم باللاتينيـة على يد المستشرق (روبرت أوتشتر) الى يومنا هذا ، وراعنى أكثر هذا السيل المتدفق من الدراسات التى دارت حول القرآن الكريم ، أقول : لقد تملكتنى الدهشـة ، واستبد بى الألم ، كيف جندت هذه النفوس لتحمل هذا العبء الثقيل ؟ وما السر وراء هذه الجهود ؟ ولماذا وقف علماؤنا متجمدين أمام هذه الأعمال الضخمة ، لِمَ لم تعرض ؟ لم لم تنقد ؟ لم لم تقم حولها الدراسـات ، ان الاسلام قوة ويخشـى المستعمرون أن يجذب بقوته الكثير من أبناء جلدتهم ، فحاول الكثير منهم أن يشوه هذا الاسلام في مصدره الأول ودعامته الأولى ، وذلك بالاجهاز على كتاب الله .

ومن هؤلاء المستشرقين الذين حملوا معاول الهدم المؤرخ (برايس) الذى قال : (ان احتكاك الاسلام بالحضارة سيقضى عليه ويؤذن بنهايته) .

ومن هؤلاء (لنز) الذى قال : (ان الاسلام قد يبقى اذا ترك لنفسه ، أما اذا احتك بالمدينة الحديثة فانه يمت لا محالة) .

ومن هؤلاء (بيشون) الألمانى القائل : (ان انحطاط المسلمين يرجع الى أسباب متصلة بالاسلام نفسه لعدم موافقته روح التمدن) (٣)

وانتشرت حركة الاستشراق في أوربا وأمريكا ، ولا زالت في نمو مستمر ، ولا زالت المطابع ، ودور النشر تخرج لنا الكثير من تراثنا العربى والاسـلامى محققا بيد هؤلاء المستشرقين ، وان الكثير منه قدموه لنا ناقص التكوين أو مشوه الولادة ، أو محشوا بالأباطيل .

والذى يدعو الى العجب حقا أن المثقفين من أبناء العرب الذين تتلمذوا على هؤلاء المستشرقين عاشوا بأفكارهم ، لم يحاولوا أن يجددوا ، لم يحـاولوا أن يردوا الحق إلى نصابه ، بل كانوا مفتونين بآراء هؤلاء المستشرقين يرددونها من غير وعى ، كأنها قرآن منزل لا يقبل النقاش أو الجدل .

---

(٣) من مقدمة كتاب (المستشرقون والاسلام) .

فباسم حرية التفكير التى يدعونها تحطمت المقاييس ، وأوشك التراث على الضياع مع أن حرية التفكير التى تقوم على المنطق ، بعيدة عن الهوى ، بريئة من النوايا السيئة لا تتعارض مع الاسلام ، بل لا أبالغ اذا قلت انها مبدأ من مبادئه ودعامة من دعائمه ، لأن الاسلام ، أتاح للعقل الانسانى هذه الحرية فى التفكير لأنه ابن الحياة ، ومن حقه أن يتعرف عليها معرفة كاملة ، وبهذه المعرفة يشتد عوده ، ويتسع ادراكه ، ومن ثم يستطيع أن يتطلع الى آفاق أرحب والى مجالات أوسع بحيث لا يقف عند ظواهر الأشياء ، وانما يتعمق فى كنهها ليدرك أسرار الوجود ، وحقيقة الحياة ، وبذلك يساعد الانسانية فى تقدمها وتطورها .

ولو سار المستشرقون فى بحوثهم ودراساتهم وراء هذه الغاية لأفادوا الانسانية ، وقدموا لها المصباح الذى ينير لها دياجير الحياة ، ولكن التعصب الأعمى وقف حائلا بين الكثير منهم وبين هذه الغاية ، فكانت معظم أفكارهم حول الاسلام تحتاج الى تصحيح أو تعديل حتى لا يقع ناشئة المثقفين فى حبائلها ، فتلتوى فى نفوسهم وسائل التفكير .

وهذا الانتاج الضخم فى مجال الدراسات القرآنية الذى اشرت اليه سابقا قد يجهله الكثير من المثقفين العرب مع أن الواجب يقضى (أن نفهم حقيقة ماضينا وحاضرنا ، وأن نقرأ ما يكتب لنا أو علينا وما نعرف أو نوصف به) .

من اجل ذلك احب أن اضع بين يدى القارىء صورة لهذه المجهودات فى الدراسات القرآنية التى قام بها المستشرقون ، وهى تتمثل فى أمرين هما :

(١) ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الأوروبية .
(٢) الدراسات التى دارت حول القرآن الكريم .

اولا : ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الأوروبية :

كانت أول ترجمة للقرآن الكريم باللغة اللاتينية : وقام بها المستشرق روبرت أوتشتر : فى عام ١١٤٣م وقد كان روبرت أسقفا فى أسبانيا ، وتثقف بالثقافة العربية ، واشتغل بالرياضة والفلك ثم صرف عنهما الى ترجمة القرآن باللغة اللاتينية وقد استعان باثنين من العرب فى هذه البلاد .

اللغة الفرنسية : وقد ترجم القرآن الكريم باللغة الفرنسية على يد جماعة من المستشرقين الفرنسيين اذكر من هؤلاء : الدكتور (ماردروس) وقد ولد فى القاهرة ١٨٦٨م ، وتعلم فى مدرسة الآباء اليسوعيين وترجم القرآن الكريم الى الفرنسية عام ١٩٢٦م .

= مونتيه : من اصل سويسرى ، وانتخب عضوا فى المجمع العلمى العربى بدمشق منذ نشأته ، وترجم القرآن الكريم الى الفرنسية ١٩٢٩م ، ونقلت الترجمة الى اللغة الايطالية فيما بعد .

= أوكتاف بل : ولد فى الجزائر حيث تلقى علومه هناك ، وعين مديرا

لمعهد الدراسات العليا ، وقد اشترك مع محمـــد التيجانى فى ترجمة القرآن الكريم الى الفرنسية .

= بلاشر : تلقى دروسه الثانوية فى الدار البيضاء ، وتخرج بالعربيـــة من كلية الآداب بالجزائر .

ترجم القـــرآن الكريم الى اللغـــة الفرنســـية فى ثلاثـــة أجزاء طبـــع باريس ١٩٥٢م .

اللغــة الايطاليــة :

ومن المستشرقين الايطاليين الذين نقلوا القرآن الكريم الى اللغة الايطالية :

= الأب مارانتش : وقد ولد فى ضاحية (لوكا) بايطاليا ، وتعلم العربية ، وترجم القرآن الكريم الى الايطالية ترجمة حرفية سنة ١٦٩١م .

اللغـــة الانجليزيـــة :

ومن المستشرقين الانجليز الذين ترجموا القرآن الكريم الى اللغة الانجليزية :

(ج . رودويل) ترجم القرآن الكريم فى ٥٦٢ صفحة طبع لندن ١٨٧٦م .

ادوارد هنرى بالمر : ترجم القرآن الكريم سنة ١٨٨٠م طبع أكسفورد .

جورج سيل : ترجم القرآن الكريم فى ٤٧٠ صفحة ١٨٩٢م يقول الأستاذ نجيب عفيفى : (وقد نجح فى ترجمته فذكرها فولتير فى القـــاموس الفلسفى ، وأعيد طبعها مرارا ، الا أنها اشتملت على شروح وحواش ، ومقدمة مسهبة هى فى الحقيقة بمثابة مقالة اضافية عن الدين الاسلامى عامة حشـــاها بالأفك ، واللغو ، والتجريح وقد نقلها الى العربيـــة ابن الهاشم العربى ١٩١٣م طبـــع القـــاهرة) (٤) .

مـ رمادوك وليم بكثول : ترجم معانى القرآن الكريم سنة ١٩٣٠م قصـــد بعدها مصر لمراجعة ترجمته مع بعض العلماء ، وطبعت طبعـــة ثالثة فى ٦٩٣ صفحة طبع لندن ١٩٦٢م .

ريتشارد بل : ترجم القرآن الكريم سنة ١٩٤١م وكان جل غرضه من هذه الترجمة تحليل السور المتفرقة بوضع قوانين النقد الأدبى لها .

اللغـــة الهولنـــدية :

ومن المستشرقين الهولانديين كرامزر .

ترجم القرآن الكريم الى الهولاندية ١٩٥٦ طبع أمستردام بروكسل .

اللغـــة الألمانيـــة :

ومن المستشرقين الألمان :

فردريخ شواللى : وهو تلميذ المستشرق نولدكه ، وقد أعـــاد طبع تاريخ النص القـــرآنى لنولدكه بعـــد تحقيقه ، والتعـــليق عليه فى مجلـــدين طبـــع (ليبزيج ١٩٠٩ — ١٩١٩م) .

---

(٤) المستشرقون : نجيب عفيفى جـ ٢ ص ٤٧١ .

نولدكه : أشهر آثاره : أصل وتركيب سور القرآن طبع ١٨٥٦م ثم أعاد النظر فيها وترجمها الى الألمانية ونشرها بعنوان : تاريخ النص القرآنى سنة ١٨٦٠م .

اللغة الدانماركية :

يدرسين : ندب فى عام ١٩١٦ الى جامعة كوبنهاجن محاضرا ، فترجم القرآن الكريم الى الدانمركية طبع أستكهولم ١٩١٧م .

ثانيا : الدراسات التى دارت حول القرآن الكريم :

باللغة الفرنسية :

(توافق القرآن والانجيل) بحث نشره المستشرق يوستل الذى ولد فى مدينة بارنتون من أعمال نورماندى ونشر سنة ١٥٤٣م .

(السامريون فى القرآن) بحث للمستشرق جوزيف هاليفى من أساتذة مدرسة الدراسات العليا بالسوربون ونشر بحثه فى المجلة الآسيوية ١٩٠٨م .

(وجه الشبه بين القرآن وشعر أمية بن أبى الصلت) بحث للمستشرق الفرنسى هيارناڤا وقد نشر بحثه سنة ١٩٠٤م .

(بحث عن القرآن الكريم) للمستشرق البارون كارادى ڤو وقد نشر بحثه ١٨٩٨م .

(دراسة آية من القرآن الكريم) للمستشرق جريڤو وقد نشر بحثه ١٩١٤م فى مجلة الشرق المسيحى .

(القنديل والزيت فى القرآن) للمستشرق الفرنسى كلرمون — جانو وقد نشر بحثه فى مجلة تاريخ الأديان ١٩٢٠م .

(النفس فى القرآن) للمستشرق بلاشر وقد نشر بحثه فى مجلة الساميات ١٩٤٨م .

باللغة الانجليزية :

(سلك البيان فى مناقب القرآن) للمستشرق الانجليزى بنريس وقد طبع فى لندن ١٨٧٣م .

(التطور التاريخى للقرآن) للمستشرق الانجليزى كانون أدوارد سل وقد طبع فى مدراس ١٨٩٨م .

(الاعجاز فى القرآن الكريم) للمستشرق الانجليزى روبسون وقد نشر ١٩٣٣م .

وقد نشر كارل فولليرس النمساوى أستاذ اللغات الشرقية بجامعة ڤينا بحثا بعنوان (القرآن بلهجة مكة الشعبية) .

باللغة الألمانية :

(نجوم الفرقان فى أطراف القرآن) بحث للمستشرق الألمانى فلوجيل المولود فى ١٨٠٢م والمتوفى ١٨٧٠م .

(الكلمات الأجنبية فى القرآن) للمستشرق الألمانى فرانكيل وهى رسالته فى الدكتوراة . وقد ولد فى ١٨٥٥ — ١٩٠٩م .
(تفسير القرآن وترتيبه) للمستشرق هيرتوريج هير طبع ١٩٠٢م .
(حروف النفى فى القرآن الكريم) طبعت ١٩١١م ، والطبعة الثانية بتوسع ١٩١٤م .
(معجم قراء القرآن وتراجمهم) طبع ١٩١٢م .
(تحقيق القراءات الشاذة فى كتاب المحتسب لابن جنى طبع ١٩٣٣ م .
(كتاب مختصر القراءات) لابن خالويه طبع ١٩٣٣م .
وهذا الانتاج للمستشرق الألمانى برجستراسر وبعض الكتب المحققة من التراث ، قد طبعت باللغة العربية .
(كتب تفاسير القرآن) للمستشرق الألمانى زايبولد المولود ١٨٥٩م والمتوفى ١٩٢١م .

(التوراة فى القرآن) للمستشرق الألمانى فايل طبع ١٨٣٥م .
(مذهب الطبيعة الواحدة النصرانى فى القرآن) للمستشرق بومشتارك وله كتاب (النصرانية واليهودية فى القرآن) طبع ١٩٢٧م .
(مراجع القرآن وعلومه) .
(رسالة فى تاريخ علم قراءة القرآن) .
وهذان البحثان للمستشرق الألمانى بريتسل المولود عام ١٨٩٣ — المتوفى ١٩٤١م .
(الشرع فى القرآن) للمستشرق الألمانى ريجلين .
(دليل القرآن) للمستشرق الألمانى مالير .
(تفسير القرآن) للمستشرق الألمانى كومبرت وقد نشر ١٩٤٨م .
(الصلاة فى القرآن) للمستشرق الألمانى جوتيه .
(القرآن) بحث ألقى فى مؤتمر المستشرقين للمستشرق الألمانى أنطون شبيالير وقد ولد سنة ١٩١٠م . (٥)

وبعد ، فان الناظر الى هذه الدراسات القرآنية يرى أن وراءها سموما دفينة ، تقدم سهلة التناول باسم المناهج الحديثة فى الدراسات الاسلامية من ناحية ، وباسم حرية الفكر من ناحية أخرى .
لهذا ، فان الواجب يقضى أن ينظر الى تراثنا الذى مسته يد المستشرقين نظرة واعية فيها الكثير من اليقظة ، وفيها التعمق الذى يكشف ما وراء السطور ، فما وافق قيمنا ، وسار فى درب ثقافتنا الاسلامية قبلناه ، وما حاد عن السنن وركب الشطط ، ولاذ بالانحراف رفضناه ، وفضحناه ، وهناك جوانب فكرية أثارها المستشرقون فى مجال الدراسات القرآنية استطعت أن أبين زيفها ، وألمس عوارها ، فالى بحث قادم لعرض هذه الجوانب ، والرد عليها ان شاء الله ، تلبية لقول الله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

---

(٥) الذى أعاننى فى جمع هذه الدراسات من بين السطور الكتب الآتية :
أ — المستشرقون : نجيب عقيقى ط ثالثة — دار المعارف بمصر ١٩٦٤م .
ب — المنتقى من دراسات المستشرقين : الدكتور صلاح الدين المنجد — طبع القاهرة ١٩٥٥م .
جـ — المستشرقون والاسلام : زكريا هاشم طبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .



مع الطبيب



نفخ الروح غير تكاثر الخلية

الصبغي الجنسي المذكر والمؤنث

تفضل الدكتور حسن هويدى بالاجابة عن أسئلة وجهت اليه حول بيان ما جاء فى بعض الأحاديث النبوية عن نفخ الروح فى الجنين وعن تحديد نوعه ذكورة وأنوثة .
وفيما يلى نص الأسئلة والأجوبة ننشرها عن حضارة الاسلام الدمشقية ردا على الاستفسارات التى وردت للمجلة فى هذا الموضوع

١ — فى الحديث الشريف :

« ان احدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات .. » .

أ) هل ثبت علميا هذا التسلسل الزمنى والانتقال من نطفة الى علقة الى مضغة ؟

ب) هل الروح تنفخ فى الانسان بعد تمام الـ ١٢٠ يوما أم انها تنفخ تدريجيا ؟

جـ)المعروف أن النطفة هى خلية حية ، وكذلك البيضة خلية حية ، ومن اجتماعهما تتكون البيضة الملقحة والأخيرة تتكاثر حتى يتشكل الجنين على الشكل المعروف .

والسؤال : ما معنى نفخ الروح هنا ما دام هناك تكاثر وما دامت النطفة والبيضة خليتين حيتين ؟

د) ما هو الرأى حال انزال الجنين قبل الـ ١٢٠ يوما ، ووضعه فى محاضن خاصة حتى يتم التخلق ؟

هـ) يحاول بعض العلماء اليوم تلقيح البيوض والنطف خارج جسم الحى أى فى الزجاج ، فالى أى مدى يمكن نجاح هذه المحاولة وما هو رأى الاسلام فيها ؟

٢ ـ وفى الحديث الشريف :
اذا سبق (أو علا) ماء الرجل ماء المرأة كان المولود ذكرا ، واذا كان العكس كان المولود أنثى .

فكيف التوفيق بين الحديث الشريف وبين ما ثبت علميا من أن الرجل هو الذى يحدد المولود ذكرا أو أنثى ، لأن النطف فى الرجل تحمل أما الصبغى الجنسى المذكر أو الصبغى الجنسى المؤنث ، ذلك بعد الانقسام المنصف ، بينما البيضة فى المرأة تحمل فقط الصبغى الجنسى المؤنث .

فاذا كانت النطفة الملحقة للبيضة تحمل الصبغى الجنسى المؤنث كان المولود أنثى ، واذا كانت النطفة الملحقة للبيضة تحمل الصبغى الجنسى المذكر كان المولود ذكرا .

* * *

١ ـ الحديث الشريف « ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه » .

أ) نعم ثبت علميا هذا التسلسل الزمنى ، والانتقال من نطفة الى علقة ، ثم الى مضغة ، وكثيرا ما يذكر بعض المدرسين فى كلية الطب الآية الكريمة الدالة على ذلك بكل اعجاب .

ب/ج) قضية نفخ الروح بعد تمام الـ ١٢٠ يوما جاء بها الحديث الصحيح يخبر عن هذا السر العظيم من عالم الغيب ، قبل أن يصل الطب الى ما وصل اليه من علم الجنين ، وها هنا يجب أن نميز بين أمرين لنحصر الاجابة على الفقرتين (ب/ج) بفقرة واحدة .

الكائن البشرى فيه روح حيوانية وروح بشرية ، أما الروح الحيوانية ، فهى كالتى يتمتع بها الحيوان بل تشبه النامية النباتية فى النبات ، ويتم بكل من الروح الحيوانية والنامية النباتية توالد الخلايا وتكاثرها ، والأعمال الغريزية ووظائف الحواس دون أن تهب جسم النبات أو الحيوان الادراك الشامل أو البصيرة النافذة أو العقل المدبر ، أما الروح البشرية التى تميز بها الانسان على النبات والحيوان فهى التى يشرق منها نور البصيرة ، فيتم الادراك ، ويسيطر العقل ، وتتصرف الارادة ، ويستقيم المنطق ، مما حرم منه الحيوان على الرغم من تمتعه بالحياة الحيوانية والتصرفات الغريزية ، ولذلك عرفوا الانسان بأنه حيوان ناطق متحرك بالارادة ، ولو لم تكن ارادة وعقل لما صح تكليفه ، ولذلك لم يكلف الحيوان .

اذا تبين هذا عرف منه الفرق بين الروح الحيوانية التى تتكون تدريجيا بتكاثر الخلايا الحية فى جسم الانسان والحيوان على السواء ، وبين الروح البشرية التى تنفخ فى الجنين بنهاية الـ ١٢٠ يوما ، وبها يمتاز صراحة على النبات والحيوان ، ولو لم تكن روحا أخرى عظيمة ، لما امتاز الانسان على الحيوان بعقل وادراك ومنطق ، ومن توهم بعض طلاب الطب ظنهم أن روح الانسان ليست الا النامية النباتية ، أو الحيوانية التى بها تتكاثر الخلايا ، وتتولد الاخلاط ، وأذكر أن ثمة قولا لسيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه يفصل فيه بين الروح البشرية التى هى سر من أسرار الله تعالى وهبها الانسان تكريما وعناية ، وبين النامية الحيوانية والنامية النباتية ، ولا أذكر أين مر بى هذا الكلام النفيس لأشير اليه على التحديد .

بقى هنا أن نشير الى أن كتب علم الجنين فى الطب الحديث تنص على أن الجنين فى نهاية الأشهر الأربعة

يكون طوله (١٦ ـــ ٢٠) سم ووزنه (٢٧٠) جراما ، وتظهر الأوبار على جسمه، ويكتمل أنبوب جهازه الهضمى ويبدأ الكبد بعمله الوظيفى ، ويكون قد تميزت ذكورته وأنوثته منذ الشهر الثالث ، اذن بعد هـــذا التكامـــل الجسدى الحيوانى (بواسطة تكاثر الخلايا التدريجى) اصبح الجســـم مهيأ لايداع الروح البشريـــة التى هى من أمر الله ليتكامل تكاملا آخر بهيئة لحمل رسالته التى تميز بهـــا على سائر المخلوقات ، وهذا طبعا من أخبار الغيب الا أنه لا يتعـــارض مع العلم ، بل ينسجم معـــه تماما بغير التباس ، ويدل عليه ـــ كما قلنا ـــ امتيـــاز الانســـان بالعقـــل والارادة والمنطق .

د/هـ) ان انزال الجنين قبل (١٢٠) يوما لا يؤدى الى شىء ، ويصيب الجنين حينئذ الموت المحقق وهو موت الحياة الحيوانية (حياة الخـــلايا) مهما حاول محاول ، اما محاولة بعض العلماء تلقيح البيوض بالنطف فى الزجاج فلم تنجح ، ولم يتكون من ذلك الا قطعة لحمية غير متميزة ولا مخلقة فهى كتلة من الخلايا فحسب ، وقـــد اجمع أطباء التوليد ان الجنين النازل من الرحم قبـــل الشـــهر السادس لا يعيش .

٢ ـــ الحديث الشريف (اذا سبق ماء الرجل ماء المرأة) .

ان ما كتب علميا من أن ماء الرجل يشتمل على الصبغى المذكر والصبغى المؤنث ، وان ماء الأنثى لا يشـــتمل الا على الصبغى المـــؤنث ، يـــذكر بحقيقة خلق المرأة الأولى من الرجل الأول (وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) .

اذ لو لم تشـــتمل حقيقتـــه على حقيقتها لما أمكن أن تنبثق عنه الا أن يشاء الله سبحانه خالق الأسباب ، وان الذى ذكـــره ان الحـــديث ورد بمعنيين متباينين الأول ما ذكرتم ، والثانى (اذا سبق ماء الرجل ماء المرأة أشبه الولد أباه) وبالعكس ، غير أنى لا أذكر سند الحديث بلفظه الـــذى ذكرتم فان ثبتت صحته كان التوفيق بينه وبين ما ذكر علماء هـــذا الفن كما يلى :

ـــ اذا كان الولد ذكرا كان ذلـــك بسبب غلبة الصبغى الجنسى المذكر (وهى غلبة وعلو لماء الرجل لا شك فيها) . وذلك منسجم تمامـــا مع ما جاء فى الحديث الشريف .

ـــ اذا كان الولد أنثى كان ذلـــك بسبب غلبة الصبغى الجنسى المؤنث (الموجود فى نطفة الرجل) .

ولكن لما كان الصبغى المؤنث فى الرجل مشبها للصبغى المـــؤنث فى المرأة ، بل هو عينه تركيبا وتأثيـــرا صح أن نسميه ماء الأنثى «وما اشتمل عليه ماء الرجل الا لصفة كما قال فيه دون الأنثى بنى عليه تخلق الأنثى منه فى بادىء الأمر » واذا صح أن نسميه ماء الأنثى كانت الغلبة والعلو لماء الأنثى حالة تولد الأنثى ، وصح لنا حينئذ أن نقول: اذا سبق ماء المرأة ماء الرجل كان المولود أنثى .

وهنا يجب أن نلاحظ مـــلاحظتين الأولى : أنه لولا وجود الصـــبغى الجنسى المؤنث فى ماء المرأة لما كـــان المولود (أنثى على الرغم من الصبغى المؤنث فى ماء الرجل) اذن فصبغى المرأة المؤنث كان لـــه دور ضرورى لازم (فى حالد تولد المولـــود أنثى) لا محالة . . . .

والثانية : لا يبعد أن يكشف العلم ان التأثير فى التأنيث متوقف عـــلى الصبغى الأنثوى فى المرأة بالدرجة الأولى دون أن يتنـــافى مع وجـــود الصبغى المؤنث وضرورتـــه فى ماء الرجل .

مائدة القارئ

حفلة خيرية

قال الطالب الفتى لأستاذه : ما بال قوم يعمرون الحانات والمراقص ، ويقترفون السيئات والآثام ، فيشربون ويلعبون ويريدون بذلك كله اغاثة الملهوف ، واطعام الجائع ، واعانة المحروم ؟

قال أحد الحاضرين : أولئك قوم يحادون الله ، ويوادون الشيطان .

قال آخر : أولئك قوم يتخذون غضب الله القوى وسيلة الى رضا الانسان الضعيف .

قال ثالث : أولئك قوم يقرضون الله بالربا ، ولكنهم يتعجلون الفائدة فى الدنيا مخافة أن تضيع عليهم فى الآخرة .

قال رابع : أولئك قوم وثقوا بالحياة العاجلة ، فاغتنموا لذاتها ، وشكوا فى الحياة الآجلة ، فلم ينتظروها .

قال الأستاذ : أولئك قوم يحسن أن تقرأوا فيهم ان شئتم قول الله عز وجل : « أذهبتم طيباتكم فىحياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون » .

الحمامة . الذئب . الانسان

أثبتت التجارب النفسية على الحيوان :

١ ــ أن الحمامة لا ترجع عن خصمها اذا حبست معه فى قفص واحد حتى تجهز عليه .

٢ ــ ان السباع عامة تجرى على سنة غير هذه السنة فى صراعها مع أبناء نوعها ، فلا يعتدى الذئب على الذئب الذى يقاتله اذا استسلم له .

٣ ــ أما الانسان فهل يسلك مسلك الذئب أو مسلك الحمامة ؟

أسعد لحظات الأم

أسعد لحظة تمر بحياة الأم ، ولا تفارقها أبدا ــ هى اللحظة التى تضع فيها طفلها ، وينصرف عنها الناس ، وتشعر لأول مرة أن هذا المخلوق الصغير قد أصبح لها وحدها .

الزوجة المثالية

أجرى استفتاء بين عدد من الازواج ، وقد أثبت أن أهم صفات يجب أن تتحلى بها الزوجة هى أن تكون :

ربة بيت ممتازة ، وأما مثالية ، وطاهية ماهرة ، وصبورة طيبة القلب .

وأن تعرف متى يجب أن تتكلم ، ومتى يجب أن تسكت ، وأن تعنى دائما بمظهرها فى بيتها حتى تستطيع أن تحتفظ بزوجها .

أكبر أخطاء الأم

يؤكد علماء التربية أن الأم ترتكب أكبر الاخطاء فى حياتها عندما تترك مهمة العناية بتربية طفلها لامرأة أخرى مهما كانت الصلة التى تربطها بها ، حتى لو كانت أقرب قريباتها .

اعداد : أبى نزار

جوامع القارة الافريقية

١ ــ أقدم جامع فى افريقية جامع الفسطاط أنشأه عمرو بن العاص سنة ١٣ هـ .
٢ ــ يليه جامع الناقة بطرابلس . أنشىء سنة ٢٣ هـ .
٣ ــ وبعده جامع عقبة بالقيروان أنشىء سنة ٥١ هـ .
٤ ــ ورابعها جامع الزيتونة بتونس أنشىء سنة ١١٤ هـ .

مقـــالات فى كلمـــات

١ ــ كسوتنا الاخيرة فى الدنيا بغير جيوب .
٢ ــ السمعة الحسنة تذهب بعيـــدا ، والسيئة أبعد .
٣ ــ الثروة تعب فى الجمـــع ، وهم فى الصيانة ، وخوف من الضياع .
٤ ــ الحماقة فى الوقت المناسب عقل .
٥ ــ أحبب جارك ، ولا تهدم دارك .

أكبر دول العالـــم

١ ــ روسيا وتبلغ مساحتها (٢٢٫٤٠٢٫٠٠٠) كيلو متر مربع .
٢ ــ كندا ومساحتها (٩٫٩٧٦٫١٧٧) كيلو متر مربع .
٣ ــ الصين ومساحتهـــا (٩٫٥٦١٫٠٠٠) كيلو متر مربع .
٤ ــ الولايـــات المتحـــدة ومساحتهـــا (٩٫٣٦٣٫٣٥٣) كيلو متر مربع .

الهيموجلوبين

هو المادة الحمراء التى فى الكرات الحمراء فى الـــدم ، وعملها حمـــل الاكسجين من الرئة عند التنفس الى خلايا الجسم .

حرف الـــــدال

دخل أبو خالد يزيد المهلبى على المعتمد مرات ، فأنشده قصائد على الدال ، فقال له : يا يزيد ، ما لى أراك لا تعـــدو الدال ؟ فقـــال : وكيف أعزك الله يا أميـــر المؤمنين ، وأسمى يزيد ، وأبى محمد ، وأكنى بأبى خالد ، وأنت المعتمد ، وتسمى بأحمد ومن صفاتك الجواد ، فأين أدع الدال .

الطـــوز

لفظ تركى معناه الغبار ، وتحمله الرياح القوية ، ويذهب فى السماء مئات الأمتار ، ويتكاثر أحيانا حتى يحجب نور الشمس ، وهو معروف فى الكويت .

كتاب الشهر



دائرة المعارف الإسلامية وأبو هريرة والصحيحان

للشيخ : كمال أحمد عون

لمؤسسة الشعب بالجمهورية العربية المتحدة جهود طيبة فى بعث التراث العلمى والدينى ، وتيسير ما صعب اقتناؤه من أمهات الكتب ومراجع البحث ، الى جانب ما تنشر من مؤلفات حديثة نافعة .

ومن أعمالها الحالية طبع دائرة المعارف الاسلامية التى أصدرها بالانكليزية والفرنسية والالمانية أئمة المستشرقين فى العالم تحت رعاية الاتحاد الدولى للمجامع العلمية ، وينقلها الى العربية عدد من فضلاء الاساتذة العرب .

وهذه هى الطبعة الثانية بعد نفاذ ما أنجز منها ترجمة وطبعا فى المرة الاولى التى بدأت عام ثلاثة وثلاثين وتسعمائة وألف ، تحت اشراف وزارة « المعارف » على جل مجلداتها ، وقد بلغت الى حرف العين خمسة عشر مجلدا .

تعليقات العلماء :

ولقد أنصف الاســـاتذة المترجمون حينما اتجهـوا ـ أو اتجهت وزارة « المعارف » ـ الى عدد من أعلام العلماء فى الازهر ودار العلوم والجامعـة وغيرها ليسهموا فى مراجعة الترجمـة ، والتعليق على بعض المواد ، وابداء الملاحظات والآراء السديدة ، مقررين أن أولئك المستشرقين لا يسلمون من هوى أو خطأ شأن الطبيعة الانسانية .

كما نصوا صراحة فى مقدمة الطبعة الثانية (الحالية) على أن هذا العمل الجليل قد تجاوز الترجمة « الى التعليق على كثير من موادها ، بالتصحيح أو التكملة أو رد هوى ، أو درء مطعن ، وتولى ذلك أئمة الكتاب والعلماء العرب . . من الاساتذة المتخصصين .

وجاءت التعليقات والتصويبات على كثير من مواد الدائرة تتوالى فى الطبعة الاولى ، وهكذا هى فى الثانية ، وتتفاوت فيما بينها ، من سطور فى الهامش الى عدة صفحات فى صلب الدائرة أثر المادة المعلق عليها ، وربما علق على المـادة الواحدة أكثر من واحد ، ونشرت تعليقاتهم فى نفس المكان تباعا ، وبدأ ذلك من أول صفحة ، وفى أول مادة ، وهى مادة الالف .

□ □ □

أبو هريرة فى الدائرة :

فلما جاء دور الحديث عن أبى هريرة الصحابى الجليل رضى الله عنه ، خالف المترجمون عادتهم فى عرض المادة على بعض المختصين لمراجعتها والتعقيب عليها ، **وقد جاءت المـادة مزيجا من الحقائق والاغاليط** بقلم « جولدسهير » ـ ولو كانت تلك الاغاليط هينة لأمكن التغاضى عنها ، أو التماس العذر لمترجميها .

واذ قد فاتهم واجب التعقيب والتصحيح ـ ولا ندرى لفواته سببا ـ فما كان ينبغى أن يفوتهم ما كتبه المحققون من علماء المسلمين ردا على ما جاء فى الدائرة المذكورة **من أخطاء ومفتريات** ، وما نشرته مجـلة الازهر ـ عميـدة المجلات الاسلامية ـ بالنسبة لأبى هريرة ، ولغيره من الموضوعات الدينية وهى كثيرة ، ثم ماتلا ذلك من مؤلفات ، ومن ترجمة لأبى هريرة فى أعلام العرب .

بل كان عليهم أن ينظروا ما دونته الدوائر العلمية التى كتبها قبلهم علماء من العرب أفذاذ ، وقد أشاروا اليها فى مقدمة الطبعة الاولى كدائرة معـارف وجدى ، ودائرة معارف البستانى (بطرس) وما كتب فى الاخيرة عن أبى هريرة بمنتهى الدقة والانصاف من مصادره المعتبرة ، مـع ما صحب ذلك من اجـلال حقيقى لهذا الصحابى الجليل .

لقد كان عليهم أن يلحقوا شيئا من ذلك بالطبعة الاولى ، أو يستدركوه على الاقل فى الطبعة الثانية ، ولكنهم لم يفعلوا !! بل زادوا الامر تأكيدا ، والخطأ اصرارا ، بترجمة أخرى بقلم « روبصون » مضافة الى الترجمة الاولى ، **متفقة معها فى كثير من الاخطاء** ، ولم يكفها الطعن فى أبى هريرة حتى تجاوزته هذه المرة الى **الطعن من طرف خفى فى صحيحى البخارى ومسلم .**

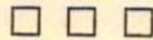
□ □ □

وفى الحق أن لو كان وكد هؤلاء المستشرقين التحقيق العلمى فى نزاهة وصدق وتثبت لما خلطوا بين حق ثابت وباطل ظاهر ، ولكان فى بعض ما أثبتوه ما يكفى لدى المنصف لكشف وجه الحق ، ودحض كل افتراء .

والى القارىء الكريم البيان :

قال « جولد سهير » عن أبى هريرة ما نصه فى الترجمة : « قدم المدينة فى أيام غزوة خيبر عام ٧ هـ فاتصل بالنبى ولزمه منذ ذاك .. وقد شجعته ملازمته للنبى على أن يروى عنه بعد وفاته من الاحاديث أكثر مما رواه غيره من الصحابة وتقدر الاحاديث التى تضاف اليه بخمسمائة وثلاثة آلاف حديث .. ونجد بين الذين رووا عن أبى هريرة كثيرا من أكابر الاسلام فى عهده الاول .. وقد استعمله عمر على البحرين اعترافا منه بفضله فى اذاعة الاحاديث ، ولما عزل من هذا المنصب وأراده الخليفة على العمل ثانية أبى وآثر أن يعيش فى المدينة كما يعيش عامة الناس .

ووافقه صاحب الترجمة الثانية « روبصون » على هذه المعلومات ، وزاد قوله : « وقد اشتهر أبو هريرة بالتقوى » وحدد من روى عنه الاحاديث من الصحابة والتابعين بأكثر من ثمانمائة من المحدثين .



أبو هريرة هذا فى ملازمته للنبى صلى الله عليه وسلم لا يمكن فى رأى هذين المستشرقين أن يحيط فى بضع سنين بكل هذه الاحاديث ، والامر عند « جولد سيهر » على ما يلى :

أ) اختلق الناس قصة تبرر اعتقادهم بعصمة ذاكرته عن الوقوع فى الخطأ ، فقالوا : ان النبى لفه فى بردة بسطت بينهما أثناء حديثهما ، وبذلك ضمن أبو هريرة لنفسه ذاكرة تحفظ كل ما سمع .

ب) طريقته فى الرواية بأسلوب مؤثر يدل على ما امتاز به من روح المزاح تفسر ظهور كثير من القصص .

جـ) علمه الواسع بالاحاديث التى كانت تحضره دائما أثار الشك فى نفوس من أخذوا عنه ، ولم يترددوا فى التعبير عن شكوكهم بأسلوب ساخر حتى اضطر أن يدافع عن نفسه .

د) علينا أن نقف من أحاديثه موقف الشك والحذر .

هـ) وقد وصفه « شبرنكر » بأنه المتطرف فى الاختلاق ورعا .

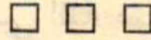
وقد أتم « روبصون » صاحب الترجمة المزيدة فى الطبعة الثانية فصول الرواية فرأى : « أن الاحاديث المنسوبة اليه فيها مادة كثيرة لا يمكن أن تكون صحيحة » ثم تظاهر بالانصاف وهو يقول : ولكن يصعب علينا أن نقر ما نعته به شبرنكر بقوله : انه المنافق الورع من الطراز الاول ، لأن الاحاديث التى رفعت اليه ليست كلها بالضرورة من روايته ، فقد لا يكون أبو هريرة أكثر من سند موات نسبت اليه أحاديث وضعت فى زمن متأخر عنه .. وختم حديثه بقوله : « وقد ظهر كثير من الاحاديث التى رويت عنه فى صحيحى البخارى ومسلم » .

وخلاصة تلك الاقاويل :

١ ــ الطعن فى شخصية أبى هريرة ، وفيما روى من الاحاديث لشبهات لديهم حامت حولها .

٢ ــ نتيجة لذلك توهين من روى عنه من أكابر الاسلام فى صدره الاول وهم أكثر من ثمانمائة من العلماء الاعلام .

٣ ــ توهين الصحيحين ، وهما أصح دواوين الاســلام بعد القرآن الكريم .



وأى فادحة تصيب الاسلام أشد من هذه لو صح شىء مما ذكروه !! ولو لم يكن سوى هذا ثمرة لكل ما جهد أعداء الاسلام أن ينالوه من المسلمين ودينهم ، لكفى ثمنا لكل ما بذلوه فى الكيد للاسلام من جهد ومال ، بل وما أشعلوه من حروب وعدوان على المسلمين فى تاريخهم القديم والحديث .

فى الواقع التاريخى :

أما أبو هريرة رضى الله عنه فقــد أسلم قبل الهجرة النبوية كما حققــه الباحثون على يد سيد من قومه هو طفيل بن عمرو الدوسى ، ولمــا وفد مسلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن خيبر لازمه فى حله وترحاله ، وكانت اقامته بالمسجد فى أهل الصفة للعبادة ، والتلقى عن رسول الله ، لا يشــغله حينذاك ما شغل غيره من المــال والعيال ، وقد عرف له النبى فضله وحرصه على العلم والعمل ، وأمن على دعائه أن يرزق علما لا ينسى ، وظهرت بركات دعائه صلى الله عليه وسلم فيما حمل أبو هريرة من العلم ، كما ظهر فضله بين صحابة رسول الله ، وكثرة حفظه ، وقد راجعوه واستوثقوا من روايته كشأنهم دائما فى تحرى الحديث النبوى ، وحمل عنه الحديث كثير من أعلام المســلمين صحابة وتابعين .

شبهات داحضة :

استكثر أصحاب الدائرة على أبى هريرة حفظ هذه الاحاديث فى بضــع سنين ، والحديث النبوى ــ كما هو معلوم ــ قول من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو عمل من أعماله يحدث عنه من شهده ، أو اقرار على عمل الغير ــ وكما روى الحديث عن أبى هريرة بعض الصحابة فقــد روى هو عن بعضهم كذلك ــ والصحابة فى رواياتهم حديث رسول الله عدول .

ونســأل ويســـــأل كل منصف : أين حفظ هــذه الاحاديــث بلفظها أو بمعناها ــ ولا حرج فى ذلك ــ من حفظ القرآن الكريم بلفظه وأدائه ، ومن حفظ عشرات الالوف من القصائد كما كان رواة الادب ، ومن حفظ أنساب العرب فى تشعبها وتداخلها وشتات القبائل على وجه الجزيرة العربية ، وقد كان الصديق

أبو بكر رضى الله عنه مرجع الحفظة وامامهم ، وكان من شباب الصحابة من تعلم العبرية والتفاهم بها فى خمسة عشر يوما استجابة لتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ابن عباس ــ كما هو معروف عنه ــ يحفظ القصيدة من الشعر ــ وربما بلغت ثمانين بيتا عند سماعها لأول مرة ، وهو فى المسجد بين أصحابه .

كثرة مباركة :

أما كثرة رواية أبى هريرة فقد طال فى الاسلام عمره معلما نيف على نصف قرن ، شغل يسيرا بالولاية لعمر رضى الله عنه ، ثم عزله وقاسمه ماله على عادة عمر فى محاسبة عماله ، فلما طلبه للولاية ثانية أبى رغبة فى التفرغ لعبادته وعلمه ، ولو كان فى ولايته مغمز ما طلبه عمر ثانية .

تثبت واخلاص :

كذلك ما حسباه شكا من الصحابة فى رواية أبى هريرة أو تشكيكا فليس كما قالا ، بل هى الدقة المعهودة من صحابة رسول الله فى تلقى حديثه النبوى . ومن الاخلاص لدين الله أن يراجع بعضهم بعضا ، وأن يتثبت مثل عمر رضى الله عنه فى رواية الحديث ، فيطلب الى روى حديثا أن يأتى بمن يشهد معه فيه ، ومن الاخلاص كذلك أن يعقب أحدهم على الآخر فيما يظنه سها فيه أو غاب عنه ، لا يمنع من ذلك عظمة الراوى ، أو قوة الثقة به ، فلقد استدركت السيدة عائشة على بعض أحاديث رويت عن بعض أعاظم الصحابة ، من ذلك ما رواه البخارى من ردها رواية ابن عمر رضى الله عنه فى عذاب الميت ببكاء أهله ، فقالت : انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه ليعذب بخطيئته وذنبه وان أهله ليبكون عليه .

وفى رواية أخرى : انكم لتحدثون عن غير كاذب ولا مكذب ، ولكن السمع يخطىء أحيانا .

وهذه الاستدراكات وأمثالها من مفاخر الرواية الاسلامية فى النصح لدين الله ، وفى تحرى الصواب قدر الطاقة البشرية .

خصــوصية :

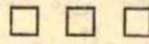
ولقد انفردت الامة الاسلامية فى خصائصها العديدة بنقل الشريعة المطهرة نقلا متصلا بمصدرها الاول . فالقرآن الكريم بلفظه وحروفه منقول بالتواتر كتابة ورواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بلغه جبريل عليه السلام .

والسنة منقولة برواية الثقات العدول من الصحابة والتابعين ومن يليهم ، وقد هيأ الله سبحانه لهذه الشريعة الخاتمة من أئمة الدين وحفظته من صانها من تحريف المبطلين ، وتأويل الجاهلين وكيد الحاقدين ، فأبطلوا كل باطل حاول أعداء الاسلام أن يلحقوه بالسنة ، أو يدسوا فيه على الرواة ، أو يلصقوه جهلا بالدين .

وان نقد الائمة للرواة ، وتحريهم مكانة الحديث سندا ومتنا مما لم يقدر مثله لأمة من أمم الارض لمـــا يبين عن رعاية الله تعالى لهذا الدين الذى رضيه لعباده ، فأكمله وصانه وأتم به نعمته عليهم .

تزكيـــــة :

ورواية العديد من الائمة عن أبى هريرة ـــ وهذا شأنهم فى الدقة والضبط والتحرى عن الرواة ـــ تزكية وأى تزكية لعدالته وعلمه وحفظه وضبطه ، بل لقد صرحوا بذلك فى مواطن كثيرة ، حفلت بالكثير الطيب منها كتب التراجم الاصيلة كالاصابة لابن حجر ، وهى منثورة فى مواطنها من كتب السنة ـــ من ذلك على سبيل المثال ، قول عمر رضى الله عنه : أبو هريرة ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمنا بحديثه ـــ وقال البخارى فيه : روى عنه نحو الثمانمائة من أهل العلم ، وكان أحفظ من روى الحديث فى عصره ـــ ومثل ذلك قال عنـــه الشافعى رحمه الله . وقال عنه أبو الزعيزع كاتب مروان بن الحكم : أرســـل مروان الى ابن هريرة فجعل يحدثه ، وكان أجلسنى خلف السرير أكتب ما يحدث به ، حتى اذا كان على رأس الحول أرسل اليه فسأله وأمرنى أن أنظر فما غير حرفا عن حرف .



أما قول « جولد سيهر » وقد اخترع الناس هذه القصة (قصة الشملة التى لفه الرسول بها ودعا له) ليبرروا كثرة الرواية عنه ، فيكفى فى سقوطه أن يقول جولد سيهر نفسه : انه قد روى عنه أكابر أهل الاسلام . فهل كان هؤلاء الاكابر يخدعون أنفسهم عن دينهم ليستكثروا من الرواية عن أبى هريرة ؟!!

تمـــــويه :

كذلك القول بأن الاحاديث المنسوبة اليه فيها مادة كثيرة لا يمكن أن تكون كلها صحيحة ـــ بهذا الاجمال فى الحكم من غير تمييز بين ما ثبت عنه ، وما نسب اليه ـــ ليس ذلك القول فى الحقيقة الا تمويها بالتعميم فى العبارة ، يخيل لقائليه سهولة الطعن فيما روى عن أبى هريرة من الاحاديث ، وفيمن رووا عنه من الأثبات ، وفيما خرج أهل الصحاح له وفى مقدمتهم البخارى ومسلم ، وذلك بعيد كل البعد عن النزاهة العلمية والدقة الواجبة على البـــاحثين الذين يحترمون الحقيقة ويحترمون أنفسهم وقراءهم ـــ وكان على هذين الباحثين أن يلاحظـــا **ما اعترفا به على استحياء** من أن أحاديث مما نسبتها الروايات اليه **قد نحلت له فى عصر متأخر عنه ، واذا فليس عليه منها بأس ، كما لا بأس على الصحاح منهـــا ،** بعـــد أن انتهض علماء الحديث وجهابذة السنة ، ومازوا **السقيم من الصحيح ،** وكشفوا عن **حقيقة كل راو وما روى ، والتزم أئمة الصحاح** بتخريج الصحيح فقط من الاحاديث .

كما عرض العلماء لأحاديث الصحاح بعناية خاصة وكاملة ، شارحين ومبينين وجه كل حديث مما يدقمعناه على غير الدارسين .

فان كان فى نظر هذين المستشرقين من مواد الصحاح ما ليس بصحيح فأيسر ما يقال فى ذلك : انهم مع أنفسهم منطقيون ، **والا فما عساك تنتظر ممن لا يؤمن بصدق نبى الاسلام ،** فضلا عن الايمان بما أوتى من خصائص ومعجزات ! **هل يؤمن بالقرآن الكريم ؟** والقرآن الكريم لدى المسلمين فى مثل ضياء الشمس نهارا والقمر بدرا ليس دونهما سحاب ، أو هو بحمد الله أضوأ .

هل تنتظر منه التصديق بأحاديث الاسراء والمعراج ، ونبع المـاء من بين أصابعه الشريفة ، واطعام الكثير بالزاد القليل ؟ أو هو يؤمن بأن عيسى عليه السلام كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيـه فيكون طيرا باذن الله ؟ وهذا وغيره من آثار قدرة الله كثير .

الصحيحان :

اما أن يخرج الصحيحان البخارى ومسلم أحاديث كثيرة لأبى هريرة فهو أمر طبعى من شيوخ أئمـة الحديث لراو من أعظم رواة الاسـلام ، وذاك واجب الامامين الجليلين فى نقل ما صح عندهما من روايات هذا الصحابى الجليل .

والتعريض بالصحيحين بعد التعريض بأبى هريرة ، والتشكيك فيما يرويان هدف من أهداف أعداء الدين ، ودون ذلك بحمـد الله خرط القتاد ، فاذا كان أبو هريرة قد شهد له شهادة عملية من العدول كل من روى عنه ، وهم فوق الثمانمائة من الائمة الاعلام ، فقد شهد للصحيحين علماء الامة ، وتلقوهما بعد الدرس والبحث بالقبول ، وناهيك بأن يكون منتهى نقد الائمة كالدارقطنى لبعض أحاديث البخارى أنها مع صحتها لم تبلغ ما شرطه الامام البخارى فى رواية الصحاح ، ومؤداه أن بعض الاحاديث أقوى سندا من بعض وهذا أمر طبعى لا بأس فيه .

والدارس المتثبت للصحيحين قلما يجد حديثا واحدا تفرد بروايته راو واحد من أبى هريرة وسواه ليس له شاهد آخر بلفظه أو بمعناه ، ولينظر من شاء من المنصفين صنيع الامام مسلم فى صحيحه وقد عنى بجمع الاحاديث فى المعنى الواحد بأسانيدها المتعددة فى موضع واحد ، ليراه فى تحرى ألفاظ الرواة ، والتثبت منها ومن أسانيدها آية من الآيات .

حقيقـة :

وبعد : فهذه دائرة معارف كتبها مستشرقون ليست فى الحقيقة كما قال عنها مترجموها فى مقدمة الطبعة الاولى : «نماذج فى البحث والعمق والتحقيق» ولكنها معلومات ، وبعضها وجهات نظر يعوزها التحقيق ، وبعضها ادواء هوى ، أو مطاعن من آثار تعصب مقيت ، كما اعترف الاساتذة المترجمون فى كلتـا الطبعتين الاولى والثانية ، وأشرنا سابقا اليه .

واذا كان من حقنا بل من واجبنا أن نعرف ما يقوله الغرب فينا وعنا فذاك على ألا يكون مصدر علمنا بأنفسنا ، بل على أن يكون فى وضعه الصحيح موضع يقظة وحذر .

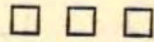
المستشرقون فى ميزان العقاد :

أما المغترون بكل ما يقوله المستشرقون ، فيقلدونهم فى **فهمهم لمعان دينية وطعنهم فى شخصيات جليلة اسلامية ، وتشكيك فى الادب العربى ، والرواة العرب ، فى كل فرع من فروع العلم ، أيا كان الرواة على حد تعبير معروف لعميد المشككين ،** فاليهم والى غيرهم نقدم هدية علمية قرأناها فى حينها منذ بضعة عشر عاما ، تبصرة لمن يفرطون فى الثقة حيث لا تتوفر موجباتها ، **فيظلمون أنفسهم وعقولهم ، قبل أن يكونوا للحق ظالمين** — يقول الاستاذ العقاد — طيب الله ثراه — فى كتابه « مطلع النور » من فصل قيم عن الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية ، وحال الادب ، وتوحد اللغة ، وتعرض المستشرقين لما لا يحسنون ، وجهالاتهم أحيانا فى البدهيات ، ويسوق نماذج طريفة عجيبة لبحوث بعض منهم ، وصفوا بأنهم من أعلامهم فيقول :

« ومنهم علامة تصدى لوضع المعجمات الكبرى فى اللغة العربية فكتب فى مادة « أخذ .. أنها تأتى بمعنى نام ، لقوله تعالى « لا تأخذه سنة ولا نوم » .. ومنهم من يترجم « أبا بكر » بأبى العذراء ، لأنه كان والد الزوجة التى بنى بها النبى صلى الله عليه وسلم وهى عذراء .. ومنهم من يقول : ان التضحية تدل على عبادة الشمس ، لأنها من الضحى .. ومنهم من يحسب أن القصيدة من القصد فيترجمها بالكلام الذى يراد معناه » .

ويستطرد فيورد الاعاجيب ، ويكشف من أمرهم ما يكفى لكشف الغشاوات عن بعض العيون والقلوب ان كان الى ذلك سبيل ، الى أن يقول من نفس الفصل تحت عنوان فرعى : **« سوء فهم وسوء نية »**

« والمعهود فى جماعة المستشرقين أن الكثيرين منهم يقرنون سوء الفهم بسوء النية ، لأنهم يخدمون سياسة المستعمرين ، أو سياسة المبشرين المحترفين وينظرون فى بحوثهم نظرة المغربى الذى ينظر الى الشرقى نظرة المتعالى عليه فى حاضره وماضيه ، غير أنهم ما عدا القليل منهم محدودون سطحيون .. »



وأخيرا فعلى مترجمى الدائرة ، وقد اعترفوا أنها تحوى الخطأ حينا ، والهوى حينا آخر ، وقرروا أنهم تجاوزوا الترجمة الى « التعليق على كثير من موادها بالتصحيح ، أو التكملة ، أو رد هوى ، أو درء مطعن » أن يتحروا صحة موادها تحريا كاملا ، وأن يستعينوا بالمختصين كل فى مجال اختصاصه ، وأن ينظروا بعين الاعتبار الى كل ما يوجه اليهم من نقد بناء ، حفاظا على المنهج العلمى ، ووفاء بما شرطوا على أنفسهم ، بل بما دعوا اليه ورحبوا به كل الترحيب من الملاحظات والتصويبات ولهم بعد ذلك كل التقدير .

والله ولى التوفيق .

مفاتيح الجنة

محمود ...

أنا عربىٌّ ، ففـــى مهجتى   دماءُ الفـدى ، وصدى الثـورةِ
سأمضى إلى (الشام) القى على   رُبى القدسِ ـ فى لهفةٍ ـ اخوتي
من الغرب من سفحِ (أطلَسِنا)   سأَمْضِي ، فانى على أهبـــةِ
سأمضى إليهم ! نعـــم إنني   حزمتُ على كاهـــلي عُدَّتى
سأَحمل من تُرْبنـــا حفنةً   يذكّرني شـــمُّها تربـــتى
فلن أرجـــعَ العامَ أو بعـده   وكيف ؟ وقـــد بعثْتُهم مهجتي
هناك ســـأرقدُ فى مضجعى   على أرضنـــا ، إنها بلْدَتِـــى
أموت لأُدفَنَ في تُرْبهـــا   (فلسطينُ) مُلْكِي بـلا مريةِ
بـلادى ، تُراثِى ، فلى أرضُها   وللعربِ ، إنهمـــوا أُمَّتى

* * * *

(بيسان) أو(عسقلان)أخى !   أحب الممـات ، أو (الرمـلة)

للأستاذ : المدَني الحَمراوي

الرباط ـ المغرب

و (غزة) و (الأردن) المشتَهى — و (سيناء) صحراءها مُنيَتى
و (يافا) و (تل أَبيب) وما — حواليْهِما كُلُّها رغبتي
ومولد عيسى واخوانه — بمُنْطَلِق الوحى والملةِ
ومسرًى لاحمدَ قد جاءه — وفي ركبه موكبُ الرحمةِ
بلاد العمومة أقْضِى بها — فأَرقدُ إن لم أنلْ طِلْبَتى
أحجُّ إلى (قدسها) ماشياً — لأَركعَ فى مسجدِ (الصخرة)
وألثم أَرضاً دعا فوقها — وصَلى بها عادلُ الأمَّةِ
بقاعٌ من الطهر محبوبةٌ — لها ـ كالحجاز ـ سنا الحرمَةِ
وأَرضُ النبوةِ قد دُنِّسَتْ — بشوم القرودِ ذوى اللعنةِ
باقدامهم أحرقت ، فالثرى — لهيبٌ تَضَرَّم في وَقْدةِ
وفي جوِّ آفاقها قد علا — دخانٌ تَراكمَ من نِقْمةِ



فهيَّا ـ رفيقى ـ إلى إخــوة　　دعونْى : (تعال إلى الجنةِ) !
وهيَّا نحثُّ الخُطَـــى لا تقلُ　　تَمَهَّلْ ، ولكنْ على ســرعةِ
فشوقى عظـيمٌ إلى معشرى　　سأعدو ســريعاً بلا وَقْفةِ
أخــاف إذا أَبطأَتْ رحلتى　　فواتَ الشـــهادةِ والعــزةِ
ســـأعدو لأدركَ فى مسجدٍ　　هناك ـ قبيل الرَّدى ـ ركعتى
وأَدرك من بعــــدَها غارةً　　سأَدخلُ منها إلى غـــرفتى
فأَلقى بهـا الحور في فرحــةٍ　　وأَرتـــعُ في الخلْد فى روضةِ
ففى (القدس) فى شامه كُلِّه　　مفاتيحُ قصـــرىَ في الجنة
فأســرع معى إننــى ذاهبٌ　　وسرْ يارفيقى على خطـوتى
سنلقى هناك لنـــا إخوةً　　وأَهــــلاً ، ونظفرُ بالبُغْيَةِ
ونحملُ في صفهــم ـ مثلَهم ـ　　بنــادقَ تنطـــقُ بالحكمةِ
نقاتلُ ابليسَ فى كهفــــه　　ونقذف جندَه في حفـــرةِ
وننزع منهـــم مفاتيحَنا　　فأَسرعْ ، وعَجِّلْ إلى الجبهةِ
إلى جنـة الخلد في غِبْطـةٍ　　وان لم نَمتْ فإلى الرفعـةِ
إلى كلِّ شبرٍ بأَرض الهــدى　　نسيرُ عليــه بلا كلفـة
« فلسطين » منـا ، ونحن لهـا　　سأَمضى ســريعاً إلى قبلتى



المفكر الإسلامي العلامة
الدكتور محمد عبدالله العربي

للأستاذ : أنور الجندي

من حق مجلة الوعى الاسلامى أن تنقل الى قرائها فى العالم الاسلامى كله تحية سريعة الى روح المرحوم الدكتور محمد عبد الله العربى ، فقد كان واحدا من كتابها ، وقطبا من أقطاب الفكر الاسلامى ، وعالما جليلا له نظرية كاملة فى الحياة والمجتمع مستمدة من مفهوم الاسلام ، طرحها فى عديد من مؤلفاته وأبحاثه ، وحاول بها تقديم « أيدلوجية » اسلامية للأمة العربية فى مواجهة الأيدلوجيات المختلفة .

والدكتور العربى واحد من ذلك الرعيل الذى بدأ حياته الفكرية فى الثلاثينيات من هذا القرن بعد أن أتم دراسته فى كلية الحقوق فى القاهرة ، وأحرز أرقى الشهادات من جامعتى أكسفورد بانجلترا وليون بفرنسا فى دراسات النظم الدستورية والادارية والمالية ، وعمل ى سلك الجامعة المصرية ، ومعاهد العالم العربى المختلفة ، وقد انتشرت مؤلفاته العديدة فى مجال القانون والاقتصاد ، كما عنى باعداد موسوعة ضخمة فى مبادىء علم المالية العام فى ٤ مجلدات .

وبدأت مؤلفاته تشق طريقها منذ عام ١٩٢٦ تقريبا ، ولكنها اتسمت فى السنوات العشر الأخيرة باتجاه جديد ، حيث اتصلت بالدراسات الاسلامية والعربية ، فكان من أهمها (ديمقراطية القومية العربية بين الشرق والغرب) والاقتصاد الاسلامى وسياسة الحكم ، وحرب الانسان ضد الجوع وسوء التغذية ، والملكية الخاصة وحدودها فى الاسلام ، والاقتصاد العالمى بالمقارنة الى الاقتصاد الاسلامى .

كما راس فى السنوات الأخيرة معهد الدراسات الاسلامية ، وعمل عضوا بمجمع البحوث الاسلامية ، وساهم بقدر كبير فى الدراسات المختلفة ، حول النظم الاسلامية والنظام الاقتصادى العالمى .

وكانت دعوته الكبرى الى تصحيح الفكرة الخاطئة التى أشاعها الغرب

والاستعمار عن ربط انحطاط الأمم الاسلامية بالاستمرار فى التمسك بدينها الاسلامى ، ودحض ما حاوله كثير من المستشرقين من تشويه تعاليم الاسلام ، وعرض مفاهيمه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى اطار من الجمود والركود ، حتى يصلوا الى القول بأنها لا تلائم العصر الحديث ، وحتى يتسرب هذا التصور الخاطىء الى عقول الشباب المثقف ، ولذلك فقد كانت رسالته الى الشباب فى معهد الدراسات الاسلامية هى ابراز التعاليم الاسلامية فى وضعها الصحيح ، سواء فى مجال الاقتصاد أو التنظيم أو الدولة بعيدة عن تشويهات عصور الانحلال والاستعمار ، وذلك مساهمة منه فى تكوين نواة من الباحثين تتوفر فيهم القدرة على وضع الحلول لمشكلات هذا العصر فى ضوء تعاليم الاسلام الأساسية .

وهو يرسم مفاهيم الاسلام ازاء قضايا العصر فى مختلف دراساته ومؤلفاته على نحو يدل على عمق الايمان وسلامة الأداء العقلى والعلمى ، ووفق أحدث مستويات البحث العلمى . فيقرر (أولا) أن الاسلام خاتم الديانات الالهية للبشر لم يترك جانبا من جوانب حياتهم الا وضع فيه تعاليم تناولت تنظيم الشئون الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ففى ملكية المال فرض التكاليف على مالك المال التى تؤدى الى نفعه ونفع المجتمع على السواء ، وكذلك فرض على مالك المال أن يحسن استثماره لأن الاسلام يبغض الفقر ويكافحه ، وحث على أن يتبع المالك أرشد الأساليب فى استثمار ماله ، ثم فرض ضريبة الزكاة التى تؤدى الى تداول الثروة فى المجتمع ، وتخلق جوا من التراحم والمودة بين الأفراد والجماعات ، وفرض عليه ثالثا أن ينفق فى سبيل الله فوق الزكاة ، وفرض عليه رابعا أن يتجنب الاسراف والتقتير على السواء ، والا يستعمل ما يملكه فى الحاق أى ضرر بالمجتمع ، وأن يمتنع عن المعاملات التى تؤدى الى تنمية ماله بطرق غير مشروعة كالغش والاحتكار والربا ، ويقول : هذه الفرائض لو قارناها بالاقتصاد الغربى لوجدنا أنها تختلف عنه اختلافا جوهريا ، ففى اقتصاد الغرب ان حق ملكية المال مطلق من كل قيد ، ولذلك يتصرف أصحاب المال فيه دون أن يراعوا مصلحة المجتمع ، ويركزون همهم فى مكاسبهم الخاصة ، فينشأ عن ذلك اشتعال البغضاء بين الطبقات المحرومة وقيامها بالثورات والاضطرابات .

هذا عن الدعامة الأولى للاقتصاد وهى دعامة المال ، أما الدعامة الثانية للاقتصاد وهى دعامة العمل ، فان الاسلام يحث على العمل والانتاج ، ويحث المسلم وهو يعمل على ابتغاء مرضاة الله والسعى الى تحقيق فلاح الدنيا والآخرة .

وعنده أن هناك بديلا اسلاميا للربا يسمى (عقد القراض) أو المضاربة ، وكان من المشغولين فى الدعوة اليه ، وتنفيذه بديلا عمليا فى المصارف الاسلامية والعربية .

ويستكمل الدكتور محمد عبد الله العربى نظرته الاقتصادية بنظرة الى الديمقراطية والقومية . فيؤكد (ثانيا) ان الاسلام على خلاف المألوف فى الكتب السماوية قد دعا الى نظام حكومى يجب التقيد به ، هذا النظام هو الديمقراطية السياسية فى اسمى أوضاعها وأصول هذا النظام هى .. أولا اختيار رئيس الدولة أو الخليفة بالمبايعة أو الانتخاب العام ، ثم تقييد هذا الخليفة فى تصريف شئون الدولة بالشورى ، ثم قرر فى عديد من الآيات ومتواتر الأحاديث تلك

المبادىء الأساسية التى على هديها انفجر بركان الثورة الفرنسية ، وثورات اخرى سابقة ولا حقة (مبادىء الحرية والاخاء والمساواة) ثم قرر الى جانب ذلك تلك الأصول الدستورية التى بدونها يكون النظام البرلمانى اسما على غير مسمى (حرية القول والرأى والنقـــد) .

وقد تم للانسان بمقتضى الاسلام أمران عظيمان طالما حرم منهما وهمـــا ــ استقلال الارادة واستقلال الراى والفكر ، وبهما كملت له انسانيته ، واستعد لأن يبلغ من السعادة ما هيأه الله له بحـــكم الفطرة التى فطر عليها ، وحين قرر الاسلام حرية الارادة وحرية الراى والمساواة دعمها بثوب طهور من الاخلاق ، اسبغه على سلوك الأفراد والجماعات ، لتكون الوقاية المنيعة لهـــذا البنيـــان الديمقراطى الرفيع ، .

والأخلاق عند باحثنا الكبير هى علة العلـــل فى الديمقراطيات الحديثـــة ومصدر أزماتها الخانقة بل الداء الوبيل الذى ينخر فى هيكلها حتى لتوشك أن تنهار فقد ارتبط النظـــام الديمقراطى السياسى الغربى بضعف الوازع الدينى .

واشار الى انحراف الغربيين عن تعاليم الأديان ، وانكبابهم على المـــادة انكبابا كليا حتى صارت فى حياة الناس غاية لا وسيلة ، واشار الى الوســـطية التى امتاز بها الاسلام ، والتى قضت بمداومة التوفيق بيـــن الروحية والمادية القوتين الدافعتين فى حياة الانسان .

(ثالثا) ويقرر الدكتور العربى أن الفكر السياسى الغربى يرى أن الأديان السماوية ليست لها رسالة فى أمر الدولة وشئون الحكم ، فهذه من شـــئون الدنيا التى ينفرد البشر بتنظيمها على أســـاس أن ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

ولكن الاسلام وهو خاتم الأديان وهو البصير بما سوف يفضى اليه تطور الانسانية كان لا بد له أن يستكمل هداية الانسانية فى جميع شئونها فى الجانب الخاص والجانب العام من حياة المجتمعات الانســـانية ، ووضع الأصول التى يجب على كل مجتمع انسانى أن يسير فى نطاقها فى الجانبين على السواء ، ثم أطلق لكل مجتمع حرية البناء على هذه الأصول والتفريع والتفصيل فيما يبنيـــه على ضوء تطورات كل زمان ما دام ذلك فى نطاق الأصول العامة .

الاسلام يقر الهيكل المادى للدولة (كما يصوره الفكر الغربى فى عناصره الثلاثة (أرض وشعب وحكومة) لأنه يطابق الواقع المادى الذى لا يعارضـــه الاسلام ، ولكنه يحيط هذا الهيكل المادى باطـــار من روحانياته تتمثل فى الأصول التى فرضت تعاليم كلية (خلقية واقتصادية وسياسية) ثم يتميز فى أحد هـــذه العناصر المادية « عنصر القومية » باتجاه أوسع فى آفاقه ، وأعمق فى انسانيته مما يتخذه التصوير الغربى .

ويركز الاسلام على التعاليم الخلقية التى قوامها الايمان بوحدة الله ، فلا يعبد المسلم مع ربه أحدا ، والانسان خليفة الله فى الأرض ، وبذلك وضع كرامة الفرد على أمتن أساس ، وجعل قيامه على هذه الفضائل نتيجـــة منطقيـــة لهذه الخلافة ثم لم يقتصر على هذا التوجيه الوجدانى ، بل اتجـــه اتجاها علميا لتحقيق هذا التوجيه ، ففرض عباداته ، وكلها تدريب فعال على تدعيم هـــذه الفضائل فى نفس المسلم واشعار له بالرقابة الالهية على نشاطه اليومى .

(رابعـــا) أما نظرة الاسلام الى المال فالمال كله ملك لله وحده الذى لـــه ملكوت السموات والأرض ، أما الانسان فى اختصاصه ببعض هذا المـــال فليس الا خليفة الله فيه ، استخلفه فى الانتفاع بهذا المال ، فوجب أن ينهض بأعباء هذه الخلافة ، وهى اما تكاليف ايجابية تتمثل فى فريضة الزكاة التى حدد الاسلام نصابها أو فى فريضة الانفاق فى سبيل الله ، وهى أوسع نطاقا من فريضـــة الزكاة لأنها تمتد الى الانفاق فى سبيل مصلحة المجتمع .

وفى وجوب استثمار المالك لماله اذا كان هذا المال من مصادر الانتاج ،

وقد قرر الاسلام فى شأن المال (١) كف المالك يده فى استعمال ماله فى الحاق الأذى أو الضرر بمصلحة الجماعة (٢) تحريم الربا (٣) تحريم الاحتكار اذا كان فيه اضرار بمصلحة الجماعة (٤) تحريم الاسراف والشح على السواء .

(خامسا) ويشير الباحث الى مفهوم الاسلام للتطور فيقول ان التوجيه الاسلامى فى استخدام العقل قام عـــلى معايير عامة يهتدى بها فى تفصيل جميع تعاليم الاسلام الكلية اى فى كل ما يمس المجتمع الاسلامى فيما عدا الشئون التعبديـــة .

هذه المعايير العامة تكفل اكبر قسط من المرونة فى التشريع ، واوسع قدرة على مواجهة كل جديد من احداث الحياة غير المحدودة بتطوراتها غير المتناهية ، مواجهة تظل دائما فى نطاق هذه التعاليم الكلية من هذه المعايير العامة (القياس) وما يتفرع منه ويقترن به من استحسان واستصلاح .. واستصحاب ، وسد الذرائع والعرف .

هذه المعايير العامة التى يجب الاهتداء اليها وتطبيقها تطبيقا بصيرا مستمرا لوضع التعاليم الكلية موضع التنفيذ ، وقد أقر الاسلام التعاليم الكلية ، وسمح لمجتهدى المسلمين بالنظر فى التفصيلات الجزئية ، وذلك حتى لا يقيد الأجيـــال المقبلة بهذه التفصيلات والتطبيقات ، بل يتركها حرة تقتبس الوضع التى تتوافر فيه الملائمة العملية لحاجات كل زمان ومكان .

ويرى الباحث أن تعاليم الاسلام ينبعث الاذعان لها من وجدان الفرد ، قبل أن ينبعث من سلطان الدولة .

(سادسا) ويكمل الدكتور عبد الله العربى نظريته الاسلامية الشاملة الى الحياة والمجتمع بموقف الاسلام من القومية فيقول : ـــ

ان الاسلام يتجه نحو عنصر القومية اتجاها أوسع فى أعماقه ، وأوسع فى انسانيته من التصور السائد للقومية فى الفقـــه الغربى ، فتعاليم الاســـــلام الخلقية فى الاخاء الانسانى والمساواة بين البشر الذين خلقهم الله من نفس واحدة تأبى عليه أن يتخذ من القومية المحلية تبريرا لعدوان قوم على قوم ، وبذلك ينفى الاسلام فكرة التمييز العنصرى ، واستغلال رقعة من الأرض لحساب رقعة أخرى أو استغلال طائفة من البشر لحساب طائفة أخرى ، وتعاليم الاسلام تقضى بأن الله استخلف الجنس البشرى كله فى هذه الأرض لعمارتها واستغلالها بلا تمييز فطرى بين قوم وقوم ، والقومية فى نظر الاسلام باعتبارها عنصرا من عناصر بناء الدولة هى رابطة تؤلف بين جماعة تعيش فى رقعة ذات حدود جغرافيـــة متقاربة ، وليست دعوة للانعزال عن أقوام آخرين يقيمون فى رقعات أخـــرى

أو تناصبهم العداء ، بل هى دعوة الى التعارف والتعاون بين هـذه القوميات المختلفة .

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم » .

وبذلك جعل التقوى مقياس الصلاحية للأفراد والشعوب على السـواء ، والتقوى تعبير شامل لجميع الفضائل التى تهدف لخير الفرد والمجتمع . « **ليس لعربى على أعجمى فضل الا بالتقوى** » .

ويصل الى القول بأن هذا التوجيه الاسلامى فى أمر القومية يفضى الى نتائج ثلاث .

(أولا) أن الأقليات غير الاسلامية التى تعيش فى الأوطان ترتبط من غير حرج ولا عسر كالأكثرية الاسلامية برابطـة القومية المشتركة مع الاكثريـة ، ويسوى بينها فى التمتع بالحقوق والواجبات .

(ثانيا) ان الاسلام ينزع من فكره القومية تلك الأنانية الطاغيـة التى من شأنها أن تخلق منافسة مدمرة بين القوميات المتباينة ، وأن تستأثر لذاتها دون سائر الأمم بخيرات الأرض « **الذين أن مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** » .

(ثالثا) انه ما دام التآخى والتعاون هو فريضة الاسلام فان تآخى الشعوب الاسلامية وتعاونها فيما بينها أوجب والزم لاتحادها فى العقيدة ومنهج الحياة .

ويرى انه ينبغى ان تلتقى جميع القوميات تحت لواء الأخـوة الانسانيـة والأخوة العالمية ، ويقارن بين مفهوم الاسلام وبين واقع القوميات الغربية ، وما حاكته من نظريات تبرر به نضالها الدامى وكفاحها فى سبيل السيطرة على العالم ، وما اصطبغت به القوميات الغربية من أنانية زجت بها طوال العصـور الماضية فى ظروف مدمرة .

وعنده ان القومية العربية بمعناها الاسلامى تؤمن بكرامة الانسان والاخاء الانسانى ، فهى لا تناصب الأمم الأخرى العداء ، ولا تعتدى عليها ، وكذلك لا محل فى القومية العربية للأخذ بالتفرقة العنصرية ، ويشير الدكتور العربى الى (عراقة) القومية العربية ، وتمسكها بتعاليم الاسلام الذى تهتدى به فى كـل مناهج حياتها منذ أقدم العصور ، وأنها من أجل ذلك لا يمكن أن تقلد تقليدا أعمى النظم السائدة فى الشرق أو فى الغرب ، لأن انظمتها الرئيسية مستمدة من المبادىء الكلية السامية التى جاء بها القرآن .

تلك محاولة سريعة لتصوير منهج الدكتور محمد عبد الله العربى فى فهمه لأيدلوجية الاسلام فى نطاق المجتمع والحياة ومن خلال مفاهيـم الاقتصـاد والسياسة والقومية ، وهى فى مجموعها تمثل فكر رائد ومصلح اسلامى ، وصل الى قمة الفهم للفكر الغربى ، واستطاع أن يقارن بينه وبين الفكر الاسـلامى كاشفا عن جوهر هذا الفكر وامتيازه وحاجة الانسانية اليه ، وهى عجالة نقدمها بمناسبة وفاة الدكتور العربى فى أول يناير ١٩٧٠ م عن اثنين وسبعين عـاما ؛ قدم فيها للفكر الانسانى أكثر من ثلاثين مؤلفا فى القانون والاقتصاد ، والسياسة والاجتماع .

رحمه الله رحمة واسعة ،،،،

حديث مع الشيخ الباقوري

حول قضايا الدين والفكر

أمام تاريخ طويل من التجربة والعمل المضنى على ذرى النشاطات الاسلامية كان مجلسى بجوار الاستاذ أحمد حسن الباقورى حيث كانت تنبثق كلماته بصوته القوى لتتحرك على قلمى لتصل الى هذا المكان بما فيها من قوة وأصالة وعمق وتفاؤل بالمستقبل .

والشيخ الباقورى لا يكاد يجهله أحد فى الاوساط العلمية الاسلامية والادبية فهو عضو مجمع البحوث الاسلامية بالازهر ومدير معهد الدراسات الاسلامية بالمنيل بالقاهرة ، وقد شغل منصب وزير الاوقاف فى الجمهورية العربية المتحدة ومنصب مدير جامعة الازهر ، وغيرها من المناصب الكبرى فى الحقل الاسلامى ، وقد عرف برصانة أسلوبه وقوة معانيه وتأثيره الخطابى .

ولقد هممت أن ألقى سؤالى على الشيخ الا أنه بادر بأن طلب قبل كل شىء أن أسجل عنه :

« يطيب لى قبل الاجابة على اسئلتكم ان أبدأ بتقديمى أخلص المودة وأصدق الاحترام الى دولة الكويت الشقيق شعبا وحكومة وفى ذروتها العليا صاحب السمو أمير البلاد المعظم ضارعا الى الله عز وجل أن يلهم الشعب الشقيق ما ينفعه فى دينه ودنياه وأن يجنبه تربص المتربصين به من دعاة العنصرية الصهيونية وأعداء الاسلام .

وبعدها كان سؤالى :

ــ هل ترى فضيلتك أن الصراع السياسى الدائر الآن بين الشرق والغرب كان له تأثيره على الفكر الاسلامى وما مدى هذا التأثير وما مظاهره ؟

قال فضيلته :

□ كل صراع بين قوتين متقابلتين تنشأ عنه مظاهر ومشاعر وأفكار وعلوم ومعارف والذين يتأملون التاريخ الانسانى يرون على سبيل المثال أن الصليبيين حين اتصلوا بالشرق منذ أمد بعيد تأثروا بالشرقيين وتأثر الشرقيون بهم وأخذ

• لابد أن يعود الشرق العربي الاسلامي ليلتمس شخصيته من حقيقة ذاته
• من الايغال في باب الانصاف النيل من قدر الامام محمد عبده
• أتمنى ان تنشئ جامعة الكويت كرسي الأستاذ العقاد
• لا بد للشباب من منهاج ولا بد من القدوة قبل المنهاج

اعداد الأستاذ عبد المعطى بيومي

الشرق عن الغرب الصليبى واخذ الغرب الصليبى عن الشرق العربى الاسلامى .

ومظاهر هذا التأثير الآخذ والمعطى من الـكثرة بحيث لا تنقاد لحصر ولا تخضع لبيان فلا بد أن يكون لهذا الصراع الراهن بين الشرق والغرب بمقتضى هذه القاعدة الاجتماعية الصحيحة آثار ..

اولا : يؤثر الشرق بأفكاره فى الغرب ويؤثر الغرب بأفكاره فى الشرق ويؤثر الغرب والشرق جميعا فى الذين يعيشون بين الشرق والغرب من العرب والمسلمين .

هذا من الناحية النظرية المنطقية فأما الناحية الواقعية فلا تخفى أن الشرق مال الى الاعتدال فى السنين الاخيرة فى نظرته الى الشئون الدينية .

وكما اخذ الشرق عن الغرب هذا الاعتدال فى النظر الى حرية التدين فأطلق منها ما يتفق مع نظرته السياسية كذلك أخذ الغرب عن الشرق فنشأت فيه فيما اعلم اشتراكية الراسمالية واشتراكية الراسمالية فيما رأيت وسمعت وعشت فى انجلترا تقوم على تحقيق أمور منها الضمان الاجتماعى فلا يكاد يخلو عامل من عمل يكفل له العيش سواء فى ذلك البريطانيين وغير البريطانيين الذين يعيشون فى بريطانيا تدفع لهم الدولة كل اسبوع خمسة جنيهات .

ومنها التأمين الصحى فكل محتاج الى طبيب أو الى مستشفى أو الى علاج ودواء يستطيع الحصول عليه فى بريطانيا بالاشتراك فى التأمين الصحى بمبالغ فى غاية الزهد والضآلة ولا يكاد المرء يجد فرقا بين الذين يدفعون نفقات العلاج والذين لا يؤدون هذه النفقات بل ربما كان الذين لا يقومون بنفقات العلاج موضع عناية وعلاج اكثر من الذين يقومون بأداء هذه النفقات . وأغلب الظن أن هذا الاتجاه فى البلاد البريطانية متأثر الى حد قريب أو بعيد بالاتجاه الشرقى .

وكما أثر الغرب فى الشرق والشرق فى الغرب أثرا معا فى الفكر الاسلامى المعاصر فرأينا كثيرا من الدول العربية والدول الاسلامية تأخذ بمعان من الرعاية

للشعوب لم تكن تأخذ بها من قبل ورأينا من الكتاب والشعراء والخطباء واصحاب الرأى واللسان بوجه عام من يتأثرون بالنظريات الوافدة من الشرق والغرب تأثرا ابلغ وأبعد مدى من تأثرهم بالثقافة الناشئة فى بلادهم ولعروقهم ولمذاهبهم .

ولا بد مع الزمن ومع التفاعل المستمر من أن تتضح هذه الافكار وتنتهى الى غاية تكون وسطا بين الشرق والغرب كراهية للتبعية وحرصا على تكامل الشخصية وخاصة فى منطقة الشرق العربى التى لها ماض جليل يشدها الى تميز تشعر معه انها صاحبة فضل حضارى عريق على الشرق وعلى الغرب جميعا .

والذين يقرأون للكتاب الغربيين من أمثال الاستاذ جوستاف لولبون الفرنسى والدكتورة سيجريد هونكه المستشرقة الالمانية يرون بوضوح كيف تأثرت أوربا بكل ما فيها من شرق وغرب بالحضارة العربية الاسلامية ومن ثم يكون لهم أن يوافقونى على أن الشرق العربى الاسلامى طال الزمن أم قصر لا بد أن يلتمس شخصيته من حقيقة ذاته وتاريخه وعروقه الموغلة فى الحضارة والعلوم والمعارف رغم ما يبدو الآن على السطح من الاخذ بالنظريات الكاملة للشرق أو للغرب .

على أن الذى ادين الله عليه أن كل مذهب يهتم بالانسان فى الدنيا ويعمل على توفير السعادة له لا بد أن تكون بينه وبين الاسلام تخوم مشتركة ظــاهرة يراها الناس بوضوح ، أو خفية يراها الناس بعد تأمل عميق وهذا يعنى فى رأيى أن فى الشرق خيرا لا يجوز أن نجحده جحودا وان فى الغرب خيرا لا يجوز أن نجحده كذلك جحودا كاملا فان نحن أخذنا من الغرب بعض الخير ومن الشرق بعض الخير فاننا نأخذ بعض ما أعطيناه ومثلنا فى ذلك مع الشرق والغرب كما قال الشاعر :

كالبحر يمطره السحاب وما له فضــل عليه ، لأنه من مائه

قلت : من من المفكرين المعاصرين فى نظركم كانت له تجديدات بارزة فى الفكر الاسلامى والمؤسسات الاسلامية ؟

☐ من أشهر هؤلاء واقربهم الى نفسى رجلان احدهما من أبناء الازهر وهو الاستاذ الامام محمد عبده وهو رحمه الله مجاهد صادق بعيد النظر غيور على الاسلام والمسلمين غيرة عاملة كارمة وليست غيرة ثرثارة حاقدة كأكثر انواع الغيرة التى نشهدها فى دنيانا الآن .

لقد كان الامام الشيخ محمد عبده وما يزال تراثه العلمى بين ايدينا يدافع عن الاسلام ويرد الشبه عنه وقد كانت تفيض حقدا عليه اقلام المستعمرين من كتاب الغرب ومطايا هؤلاء المستعمرين من كتاب الشرق ومتفلسفتهم .

ومن التنكر للحق ونبش القبور والايغال فى باب الاسفاف النيل من قدر هذا الامام الجليل الذى احتمل فى سبيل الدفاع عن الاسلام داخل بلاده وخارجها ما جهده جهدا شديدا ورماه بالامراض والاسقام فعاش آخريات حياته مجهودا مكدودا بين المشفقين عليه والشامتين فيه .

رحمه الله رحمة واسعة وهدى الذين يعرضون به وينالون منه الى سواء السبيل .

والرجل الثانى هو الاستاذ عباس محمود العقاد وهو فى تقديرى أزهرى بتخرجه على ثقافة الازهر وان لم يكن أزهريا بتخرجه فى الازهر فقد كان رحمه الله بهذه الثقافة العربية الاسلامية الاصيلة الى جانب ثقافته العربية المتينة خير لسان للعروبة والاسلام بما كتب من كتب ومقالات وأذاع من أحاديث تدفع عن العربية أوهام المبطلين وعن الاسلام شبه المغرضين .

وقد صدر عن مدرسة الاستاذ العقاد فى كتبه ومجالسه فضلاء كثيرون سوف تبرزهم الايام لتنتفع بهم امتنا احسن الانتفاع ان شاء الله .

واننى لاتمنى أن تنشىء جامعة الكويت فى دولة الكويت الشقيق كرسي الاستاذ العقاد فانه رحمه الله ليس ملكا لقطر ولد فيه ولكنه ملك للأمة العربية الاسلامية جمعاء .

ـ من الملاحظ أن الشباب الاسلامى ـ مثل كل الشباب المعاصر ـ يعانى ما يمكن أن نسميه ازمة انحراف عن القيم الدينية فما علاجكم لهذه الظاهرة ؟

□ الحقيقة أن هذه المشكلة مشكلة عالمية كما قلتم وكل المفكرين فى العالم يأسون أبلغ الاسى لمـــا يصير اليه الشباب من الانحلال والاستهتار ، وتصورى أن هذه المشكلة على هذه الصورة تصورا عالميا يجعل من العسير على أن أجد علاجا اقتنع به حتى أقترحه على العاملين .

اننا ـ نحن الامة العربية الاسلامية ـ موصولون بالعالم كله فى كل مكان وليس فى قدرتنا أن نضرب نطاقا من حولنا أو سورا حديديا يفصلنا عن الناس فى الغرب أو فى الشرق وحتى لو استطعنا أن نقيم هذا السور الحديدى ونعتزل فان الاذاعات عن طريق الراديو والتليفزيون لا تستطيع قوة فى الدنيا أن تضع بيننا وبينها حجاب .

وكل ما احب أن اقوله لأبناء امتنا المسئولين منهم وغير المسئولين فى هذا المقام أن نربى شبابنا على الاعتزاز بأن لهم ماضيا مجيدا وأن نغرس فيهم الشعور بأصالتهم العريقة واهم من هذا المنهاج فى التربية هو وجود القدوة الحسنة ، فالمنهاج وحده لا يكفى فى تربية الجيل وقد تغنى القدوة الحسنة عن المنهاج .

وأحب أن يعرف أبناء قومى أن القرآن الكريم فى يدى عمر بن الخطاب هو القرآن نفسه فى يد الحجاج بن يوسف الثقفى اذ قد نجح القرآن ـ وهو أبدا

ناجح ـــ فى تقويم النفوس وتهذيب الطباع فمعظم النجاح راجع الى القدوة مع المنهاج وليس الى المنهاج وحده .

فنحن نحتاج اذن الى أمور ثلاثة فى بلادنا العربية الاسلامية :

الامر الاول : منهــاج واضح ميسر محبب تستمد منـــه التربية للجيل الناشىء .

الامر الثانى : أن نصرف عنه بقدر ما نستطيع المجون والخلاعة والشذوذ فى السينما والتليفزيون والاذاعة والمراقص وما يتصل بهذه الامور .

الامر الثالث : أن يكون الغيارى على هذه المعانى قدوة حسنة فيما يدعون الناس اليه .

ـــ ما هو تقييمك للأمة العربية الاسلامية والدور الذى اضطلعت ويمكن أن تضطلع به ؟

□ احب ان أستمع من قراء (الوعى الاسلامى) بمزيد من الوعى والانصاف لأقرر حقائق لا مناص من التسليم بها .

١ ـــ كانت الامة العربية فى هـــذه الصحراء من قبل أمة بعيـــدة عن الحضارة بكل معانيها .

٢ ـــ كان من حول الامة العربية فى صورتها هذه ثلاث حضارات احداها فى فارس والثانية فى أثينا والثالثة فى مصر ولا ينكر أحد أن هذه الحضـــارات الثلاث كانت ترتكز على قوى نفسية وقوى مادية كثيرة .

٣ ـــ ان اختيار الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم من هذه الامة ليبلغ الى الانسانية كلها رسالة الحق مستعينا فى أداء هذه الرسالة باللسان العربى فى كتاب الله والشعب العربى فى جندية الله لا بد أن يكون مشتملا على حكمة تدعو الى التأمل والبحث والاستقصاء ..

والذى يخطر فى الذهن لأول ما يتأمل الانسان هذه الصور أن هذه الامة العربية كانت تكره الضيم وتلوذ بالانفة ويتنازل أحدهم عن حياته اتقاء للضيم والأنفة من الذل فى الجاهلية قبل الاسلام وهذه فضيلـــة قوم رسول الله حين حملهم أعباء الدعوة الى الله فمضوا لا يلوون على شىء فانتشرت بهم دعوة الحق وعم ببطولتهم نور الله الآفاق .

والذى أحب أن يتناوله الناس فى هذا الصدد من العناية ، والتأمل هو أن رذائل الامة العربية ـــ فى أكثر مظاهرها فى الجاهلية ـــ هى فضائل تطرفت فأصبحت رذائل ، فأما رذائل غيرها فانها موغلة فى باب الرذيلة .

وعلى هذا يكون الشعب العربى بخصائصه التى كانت فيه سواء كانت لسانية أم نفسية أم خلقية شعبا صالحا للجندية فى أداء رسالة الله الى عباده تحت قيادة محمد عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

ومن هنا نقف قليلا عند قول الله تعالى فى سورة الزخرف خطابا لرسوله الكريم : (فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) فان الله تعالى جعل هذا الكتاب علوا للعرب وللمسلمين ونباهة ذكر لهم ان هم راعوا حق الله فيه والله تعالى على مقتضى حكمة لا يرفع دنيئا لشرف فلو لم تكن الامة العربية فى جاهليتها صالحة للشرف ما أنزل الله تعالى كتابه بلسانها ولا اختار من بين أبنائها رسوله ولا جعل هذا كله نباهة شأن لهم ورفعة ذكر .

ـــ هل تتكرموا باعطاء القارىء فكرة عن الاساس الذى من أجله أنشىء معهد الدراسات الاسلامية الذى توليتم ادارته .

☐ معهد الدراسات الاسلامية يرجع التفكير فيه الى أكثر من ثلاثة عشر عاما مضت حين كنت وزيرا للأوقاف فى الجمهورية العربية المتحدة وكان الغرض منه ـــ ولا يزال ـــ تقريب مسافات الخلف بين المذاهب الاسلامية الفقهية ولست اعنى بالتقريب أن يتنازل الناس عن مذاهبهم ولكنى أعنى ان يذكروا دائما أن الخلاف المذهبى ينبغى أن لا تفسد به الاخوة بين الاخوة ومن حسن الحظ أن مختلف المذاهب الاسلامية يضع نصب عينيه أمورا أربعة يؤمن بها ويدين الله عليها وهى الاصول فى الاسلام .

فأهل المذاهب جميعا يؤمنون باله واحد لا شريك له يؤمنون بالله وحده لا شريك له ويؤمنون بمحمد عبد الله ورسوله ويؤمنون بالكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ويؤمنون بالكعبة قبلة للمسلمين فى الصلاة .

فهذه الاصول تكفى المسلمين ليتعارفوا ويتقاربوا ولا يتربص بعضهم ببعض ولا يعين بعضهم على بعض وخاصة اذا نظرنا فرأينا البابا فى روما يجمع مختلف المذاهب وقادتها والمنتمين اليها من الارثوذكس والكاثوليك والبروتستانت فيما يسمونه المجمع المسكونى واذ قد كان ذلك سابقا عند المسلمين معروفا عند غير المسلمين كان المسلمون أولى بهم واقرب لأن الفرقة بينهم بالغة ما بلغت لن تكون اكثر من الفرقة فى المذاهب المسيحية ، فهذا الاتجاه الى اتجاهات كثيرة أخر من اجله انشىء هذا المعهد ومن اجله أسأل الله تعالى أن يفتح به طريقا الى الخير يفهم به المسلمون اكثر مما فهموا حقيقة الاسلام ويفهم به غير المسلمين الاسلام فى آسيا وافريقيا ويستطيع الذين يتلقون الدراسة فيه من حملة الدرجات الجامعية . الاول أن يناهضوا الدعاية المسمومة ضد الاسلام من المبشرين الذين يعملون فى آسيا وافريقيا بين يدى الاستعمار ولا يجدون أشهى الى قلوبهم ولا أجمل فى أعينهم من النيل من الاسلام ومن نبى الاسلام والله الموفق للخير والمعين عليه ان شاء الله .



ركن الموسوعة الفقهية

تحرره : إدارة الموسوعة



ا) الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامي على النطاق الدولي :

عرضنا في العددين السابقين أهمية موسوعة الفقه الاسلامي على النطاق الدولي من ناحية حاجة قضاة محكمة العدل الدولية وقضاة محاكم التحكيم الدولية الى مصدر ميسر للرجوع الى أحكام الشريعة الاسلامية .

ونبدأ بهذا العدد عرض أفق ثالث من آفاق الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامي على الصعيد الدولي ، وهو دراسات وبحوث المعاهد والجمعيات والمؤتمرات الخاصة بالقانون المقارن .

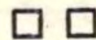
وسيتناول بحثنا في هذا الصدد :

١ ـ دراسات القانون المقارن في الجامعات والمعاهد ، وفي مؤلفات القانون المقارن التي تتخذ مرجعا لهذه الدراسات .

٢ ـ جمعيات القانون المقارن ، وما تصدره من مجلات وبحوث .

٣ ـ المؤتمرات الدولية للقانون المقارن ، وما تبحثه من مسائل وتتخذه من توصيات .

٤ ـ مراكز الاعلام القانوني ، ولا سيما بعد تزويدها بالادمغة الالكترونية التي تغذى بالمعلومات ثم توزعها حسب الطلب على الباحثين .



ونبدأ بالناحية الاولى :

أصبحت دراسة القانون المقارن جزءا أساسيا من برامج كليات الحقوق في القارتين الاوروبية والامريكية ، حتى لا تكاد تخلو كلية للحقوق من كرسي لدراسة القانون المقارن .

وقد بدأ هذا الاهتمام فى جامعة اكسفورد سنة ١٨٦٩ ، أما فى الجامعات الاوربية فقد بدأ قبل ذلك بمدة طويلة ..

والى جانب دراسة القانون المقارن وادخاله فى مواد البرامج العامة فى كليات الحقوق ، تقوم فى عشرات الجامعات معاهد مخصصة للقانون المقارن على مستوى الدراسة الجامعية ، ومستوى الدراسات العليا بعد الجامعية . بل هناك جامعات بأكملها متخصصة فى الدراسات المقارنة كالجامعة الحرة للدراسات المقارنة فى اللوكسمبورج .

هذا وقد انشىء عام ١٩٢٨ معهد توحيد القانون الخاص فى روما ، واعتبر مؤسسة قانونية ملحقة بعصبة الامم ، كما أنشىء المجمع الدولى (الاكاديمية الدولية) للقانون المقارن فى لاهاى .. والمؤسستان الأخيرتان ليستا معاهد تدريسية بل معاهد بحوث .

ورغم اكتظاظ برامج كليات الحقوق بالمواد الاخرى المنافسة لدراسة القانون المقارن ، ورغم الصعوبة اللغوية فى الرجوع الى المراجع القانونية بلغاتها الاصلية ، بل ورغم صعوبة تكوين مكتبات مخصصة للقانون المقارن لمعاونة الباحثين ، نقول رغم كل هذه الصعوبات ، قد شقت دراسة القانون المقارن طريقها للحاجة الملحة اليها على الصعيدين العلمى والعملى (سياسيا واقتصاديا) وتبلورت هذه الحاجات العملية فى السعى الى توحيد بعض قواعد القانون الخاص (الخاصة بالشيكات والسندات ووثائق الشحن) وبعض قواعد القانون الدولى الخاص .. ودخلت دراسات القانون المقارن فى مرحلة هامة بظهور فكرة الوحدة الاوربية وما تقتضيه من توحيد بعض أحكام القوانين فى هذه البلاد ..

واذا كان الاتجاه الصحيح فى تدريس القانون المقارن بالجامعات ، يبدأ من تكوين الملكة القانونية لدى الطالب بتوسيع نظرته لتتجاوز حدود قانونه الاقليمى الى المقارنة بقوانين الدول الاخرى ، وكان هذا الاتجاه — ولا سيما فى المراحل الجامعية الاولى — لا يقتضى اكثر من جولات سريعة بين المبادىء الهامة فى بعض النظم القانونية الكبرى ، فان ذلك يستتبع فى مراحل أخرى التعرض لبعض التفصيلات ، كما يظهر بوضوح فى الدراسات العليا بعد الجامعية وما تستتبعه عادة من « قاعات بحث » وبحوث على مستوى « الدكتوراه » .

وهكذا تنتقل الدراسة من « المنهج المقارن لدراسة القانون » الى تطبيق هذا المنهج بالفعل باجراء المقارنات بين النظم القانونية الكبرى فى مسائل معينة بالذات .

لذلك نرى الكتب الجامعية التى تمثل مناهج الدراسة المقارنة للقانون ، تشتمل على الاصول العامة والمنهج المقارن ، كما تشتمل على عرض موجز للنظم القانونية الرئيسية فى العالم يوضح المعالم الرئيسية ، ويشير الى المراجع لمن اراد الاستزادة فى تفاصيل هذه النظم .

وكذا تعرض الكتب التطبيقية للقانون المقارن ، التى تتناول مسألة معينة بالدراسة المقارنة ، رأى مختلف النظم القانونية العالمية الكبرى فى هذه المسألة .

ولنأخذ على سبيل المثال كتابين شهيرين فى القانون المقارن :

احدهما عرض مبدئى للقانون المدنى المقارن ، لمؤلفه الفرنسى الاستاذ رينيه دافيد ، فقد تناول هذا الكتاب فى قسمه الاول : أهمية دراسة القانون المقارن ، وفى قسمه الثانى : نظم القانون المعاصرة (الفرنسى والانجلو امريكى والسوفيتى

والاسلامى والهندى والصينى) وفى قسمه الثالث : معلومات ذات أهمية عملية فى دراسة القانون المقارن . .وقد حظيت الشريعة الاسلامية من هذا المؤلف بثمان وعشرين صفحة مليئة بما يحتاج الى الرد والتعليق مما لا مجال له الآن ، وقد نعود اليه فيما بعد .

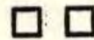
أما الكتاب الثـــانى فمطول فى ثلاثة مجلدات لمؤلفين ثلاثة ، هم : بيير أرمنجون ، وبارون بوريس نولده ، ومارتن وولف . وقد عرض فى قسم أول : مبادىء القانون المقارن ، ثم فى قسم ثان : العناصر المشتركة فى النظم القانونية الحديثة ، ثم فى أقسام تالية تناول بالبحث كلا من القوانين الفرنسية والالمانية والاسكندينافية والانجليزية والسوفيتية والاسلامية والهندية .

وقد حظيت الشريعة الاسلامية من هذا المؤلف بمائة وخمسة وثلاثين صفحة جديرة كذلك بالدرس والتعليق .

وقد ضربنا هذين المثالين لتوضيح اهمية دراسة الشريعة الاسلامية فى مناهج القانون المقارن بجامعات العالم ليتبين مدى الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى فى هذا الصدد ، اذ أن اساتذة القانون المقارن فى بلاد العالم المختلفة (بله طلاب القانون الذين يحتاجون الى مراجع للاستزادة من العلم بالشريعة الاسلامية) لا يجدون أمامهم لمعرفة احكام الشريعة سوى ما كتبه المستشرقون (وكثير منهم مغرضون دساسون أو جاهلون) ، أو ما ترجم من المتون والمختصرات — وهذا نزر قليل — ككتاب خليل فى الفقه المالكى ومجلة الاحكام العدلية فى الفقه الحنفى وغيرهما .

ان موسوعة الفقه الاسلامى بعد تمام تحريرها وترجمتها الى اللغـــات العالمية ، ستكون بلا شك المرجع الرئيسى لكل من يريد معرفة أحكام الشريعة بمذاهبها المختلفة ، بصورة ميسرة وأسلوب علمى مقارن . .

وفى العدد القادم ، نعرض لباقى صور الاهتمام بالشريعة الاسلامية ضمن بحوث القانون المقارن ومؤتمراته الدولية .



ب) من يريد الموسوعة ؟

جاء الى ادارة الموسوعة من الاستاذ السيد وهيب دياب من دمشق ملاحظة حول موضـــوع الاشربة (الذى هو أول موضوع صدر فى الطبعـــة التمهيدية لموضوعات الموسوعة) حول الخبر الذى نقل فى موضوع « الاشربة » عن سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه من أنه « روى عنه أنه أضاف قوما فسقاهم ، فسكر بعضهم ، فضربه الحد ، فقال الرجل : تسقينى ثم تحدنى ؟ فقال على : انما أحدك للسكر » (موضوع : الاشربة ص ٣٧) فنبهنا الاستاذ وهيب الى أن ابن قتيبة فى كتابه (الأشربة) قد عزا الحادثة الى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وقد روجعت ادارة الموسوعة شفهيا أيضا بانتقاد ايراد هـــذا الخبر فى موضوع الاشربة وقال المنتقدون : كيف يجوز ايراد هذا الخبر فى الموسوعة مع

أن نسبته الى سيدنا على ظاهرة الكذب ، اذ يستحيل عليـــه أن يسقى أحدا خمرا .

ودفعا للأوهام نجيب على هذا الانتقاد بالايضاحات التالية :

١ ــ ان الخبر المنقول فى الموسوعة الفقهية ليس فيه ان ما سقاهم اياه كان خمرا ، فقد جاء فيه أنه : « سقاهم » ولم يذكر فيه ماذا سقاهم . ولا يمكن أن يفهم أحد من أهل العلم أن عليا رضى الله عنه سقاهم خمرا ، فمن يتوهم ذلك هو المخطىء فى الفهم .

والواضح ــ ولا سيما من سياق الكلام واستدلال من استدلوا به ــ انه سقاهم مشروبا مباحا من الانبذة غير المسكرة وقد أوضحنا فى عدة أماكن من موضوع الاشربة (ص ٣٤ حاشية رقم ٢) ان النبيذ بمعناه القديم هو ما ينبذ ، اى يطرح من الزبيب أو التمر ونحوهما فى ماء حتى يحلو فيشرب ، وهو غير النبيذ بمعناه المتعارف فى عصرنا هذا فان النبيـــذ فى عصرنا اليوم هو الخمر الاصلية نفسها التى جاء الاسلام بتحريمها . أما معناه فى القديم فهو غير ذلك والشواهد على هذا فى النصوص كثيرة ، وقد نقلنا قبيل ذلك (ص ٣٥) عن عائشة رضى الله عنها أنهم كانوا ينبذون للرسول عليه الصلاة والسلام قبضة من تمر وقبضة من زبيب فى الغدوة فيشربه عشية ، أو ينبذون له عشية فيشربه غدوة .

ونقلنا ايضا قبل خبر على مباشرة عن عمر رضى الله عنهما أنه كان يشرب النبيذ الشديد الحلاوة الذى لا يسكر . وقلنا : « اما ما يسكر فقد حرموه » ذلك لأن النبيذ المذكور اذا طال مكثه يبدأ فيه التخمر فيصبح مسكرا بدرجة تختلف بحسب مدة المكث ومقدار المادة الحلوة . وقد قدر الحنابلة طول المدة التى يحرم بعدها النبيذ بثلاثة أيام بلياليها ، لاحتمال افضائه بعد ذلك الى الاسكار (الاشربة ص ٤٥) كل هذا موضح قبل الخبر المذكور وبعده . ومنه يتضح انه لا مجال للتوهم بأنه ما سقاه على ــ لو صح الخبر ــ كان خمرا كما توهم بعض القراء بل هو نبيذ بمعناه القديم المشروح .

وأما السكر الذى اعترى أحد من سقاهم فانه لا يدل على أن النبيذ كان مسكرا ، بدليل أن الآخرين لم يسكروا ، وانما يدل على أن ذلك الرجل كان لديه فرط حساسية تجعله يتأثر هو خاصة ببعض الاشياء التى ليست فى ذاتها مؤثرة . وعندئذ كان عليه أن يمتنع عما يضره ويؤثر فيه ، فلذلك ضربه الحد . وهذا يدل على صلابة سيدنا على رضى الله عنه فى اقامة أحكام الشرع على من يتهاون فى اجتناب ما يجب عليه اجتنابه ولو كان ضعيفا . كل هذا لو فرض الخبر ثابتا .

٢ ــ على اننا نقلنا فى الحاشية (ص ٣٧ ح ١) عن مراجع أخرى أن هذا الخبر لا يصح عن على رضى الله عنه لأن فى سنده مدلسا وضعيفا . فضعف الخبر أو عدم صحته منقول معه فما وجه الانتقاد على الموسوعة عندئذ بأنه خبر غير صحيح ؟

والموسوعة تنقل فيها الادلة وردودها بكل أمانة فيما تنقل من اختـــلاف

البقية ص ٨٥

قصّة تاريخيّة قصيرة



المجذوب

للدكتور: نجيب الكيلاني

« هذا هو »

تمتم (فرط الرمان) فى ضيق بالغ ، واوشك أن ينقض على الرجل المجهول بسيفه الذى يتدلى الى جواره ، وهو على صهوة حصانه ، ان (فرط الرمان) كما يسميه العامة، أو (برتلمى) الرومى أشهر من نار على علم ، القاهرة كلها تعرفه ، رجال الحملة الفرنسية يكنون له الاحترام ، ويغدقون عليه المنح والاوسمة ، هذا هو حاله بعد أن تحول من بائع للقوارير ، أو مملوك تافه ، الى عميل ذى شأن كبير .. وأصبح من جلاس نابليون وكليبر ، ومينو ، كما أصبح يصدر الأوامر لكبار الشيوخ امثال المهدى والسادات والشرقاوى وغيرهم ..

ونظر (فرط الرمان) الى الرجل المجهول متفحصا ، الرجل يقف فى ملابسه الرثة وسحنته الجامدة وكأنه لا يعنيه شىء ، تلك هى المرة الخامسة التى يراه فيها ، ان لهذا الرجل المجهول نظرات مخيفة ، صامتة ، تنطق بآلاف العبارات ، نظرات يخفق لها قلب (فرط الرمان) ، بل يخاف منها ، على الرغم من أنه فى عنفوان سطوته وجبروته ، فهو جلاد القاهرة الاشهر ، والذى يبث اسمه الذعر فى القلوب ..

ترجل (برتلمى) — فرط الرمان — من فوق جواده ، ومضى صوب الرجل، تحيط به كوكبة من رجال العسس ثم أمسك بطوق الرجل فى عنف ، وهدر :

— (من أنت ؟ ؟)

لم ينطق الرجل بكلمة واحدة ، ظل صامتا ، يرشقه بنظراته الحادة التى تحمل آلاف المعانى ، راسخا فى مكانه كالجبل ، فأستشاط (برتلمى) الرومى غضبا ، وصرخ :

« تكلم ، والا حطمت جمجمتك .. من أنت ؟؟ » .

قال الرجل بصوت لا يختلج ، وكأن

صوته يتردد فى أروقة قاعة ضخمة ، وكان لنبراته صدى يفوح برائحة القدم والخلود :

ــ ((أنا رجل على الله ..)) .

زمجر فرط الرمان :

ــ ((ما اسمك ؟؟)) .

ــ ((عبد الله))

ــ ((من أية أسرة فى القاهرة ؟؟))

ــ ((ليس لى أسرة .. الجميع أهلى))

همس فرط الرمان بصوت كالفحيح:

ــ ((شريد ؟؟)) .

ــ ((لا .. فانا اعرف نفسى ، واعرف طريقى)) .

ــ ((ومن أين تحصل على رزقك ؟))

ــ ((وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها ..)) .

لم يطق برتلمى صبرا ، رفع يده الغليظة ، وهوى بها على وجه الرجل فى حنق ، لم يتزحزح الرجل من مكانه وان احتقن وجهه ، بقى كصخرة عاتية ازدادت نظراته اشتعالا ، ثم ــ بعد لحظة صمت ــ قال :

ــ ((العقاب يتبع الجريمة .. وانا لم أجرم ..)) .

وانهالت لكمات الرجال وركلاتهم ، حينما راوا سيدهم (برتلمى) يفتح الطريق امامهم لاهدار كرامة انسان برىء ، ثم صاح (برتلمى) بهم كى يكفوا عن الضرب ، وامرهم بتفتيش الرجل تفتيشا دقيقا ، لعل معه سلاحا ، أو ربما يخفى فى طيات ثيابه الرثة أوراقا ، لكنهم لم يجدوا معه شيئا ، ووقف برتلمى يلهث اعياءلا من اجل مجهود بذله ، ولكن من شدة الانفعال الغامض الغريب ، وعاد ينظر الى الرجل المجهول ، فوجده يبتسم .

صاح برتلمى :

ــ ((لم تبتسم ؟؟)) .

ــ ((لأن حبيبى قال لى : املأ قلبك بالنور ، وارو ظمأك باليقين ، وعطر أحلامك بالمحبة ، تنبثق فى روحك سعادة لا تموت ..)) .

قال أحد الأتباع :

ــ ((يبدو يا سيدى انه احد المجاذيب ..)) .

وما أن سمع الرجل المجهول ذلك حتى أخذ يتطوح يمنة ويسرة ، وقد تبللت اهدابه بالدموع وينشد :

يا راحلين الى (منى) بقيادى

شوقتمو يوم الرحيل فؤادى

سرتم ، وسار دليلكم يا وحشتى !

الحب أرقنى وصوت الحادى

فاذا وصلتم سالمين فبلغوا

منى السلام الى النبى الهادى

كان صوته نديا رقراقا ، تخالطه الدموع ، ويوشيه الحنين ، وانطلق برتلمى فجأة يقهقه بصوت عال ، وأخذ رجاله من حوله يقهقهون ، والتأم من حولهم عدد كبير من المارة عند (الأزبكية) ، فصاح بهم الجلاد كى يتفرقوا ، واعمل رجاله فيهم السياط حتى انفضوا ، ثم عاد الى الرجل المجهول وقال :

ــ ((أنت تعرف من يكون (برتلمى))) .

ــ ((ليس لى أخ بهذا الاسم ..))

صاح فى انفعال :

ــ ((انه انا .. الجميع يعرفون من انا)) .

ــ ((لكنى لا أعرف ..)) .

ــ ((فلماذا ترمى بنفسك امامى

من آن لآخر ؟ » .
ــ « هو الذى يرمينى .. » .
ــ « مــن ؟؟ » .

ــ « حبيبى .. » وأخذ ينشد :
يامن يرانى ولا أراه » ..

فقاطعه برتلمى قائــلا :

ــ لئن رأيتك فى وجهى مرة ثانية لأمزقن جسدك أربا أربا .. » .

وأسرع برتلمى الى جواده وانطلق، ومن خلفه شرذمته ، فى شــوارع القاهرة التى يلفها الصمت والترقب والحزن ، بعد المعارك الدامية التى خاضتها جماهير الأمة ضــد رجال الحملة الفرنســية ابان الثورات المتــلاحقة ..

وفى المساء كــان (برتلمى) فى ســجن القلعة الكبير ، حيث تكتظ الزنازين بزعماء الثورة من رجــالات الأزهر والتجار ، وقليل من المماليك والأتراك ، كانت القلعة هى المكان المختار (لبرتلمى) ، فيها يشعر أنه نصف اله ، يأتى اليه السجــانون بالرجال المقيدين ، فيستجوبهــم ، ويتسلى باهانتهم وتعذيبهم ، وقــد يقتل البعض منهم ، ويضعهم فــى أجولة ، ثم يقذف بهم فى أعماق النيل الهادر ، أو يقطع رقاب البعض ، ويعلقها على قارعة الطريق ، أو فى الميادين العامة ، حتى يبذر الرعب فى القلوب ، ويخمد اشتعال الثورة .

وتذكر برتلمى فى تلك الليلة ، ذلك الشخص المجهول ، وأخذ يتحدث عنه من جديد أمام ضباطه وحراسه فى اهتمــام عجيب ، وهــم يدارون سخريتهم ، ويندهشون لهذه الخرافة التى لا معنى لها ..

وحانت من برتلمى التفاتة مباغتة ، فرأى على ضوء المصابيح الزيتيــة ، رجلا يحمل على ظهره قربة ممتلئــة بالماء ، وصرخ كمن لدغته حية :

ــ « انه هو .. » .

شحب وجهه ، ثم جــرى مسرعا اليه ، وحوله الرجال ، فوجد (سقاء) عجوزا لا يمت بأدنى صلة الى الرجل الذى يتحدث عنه ، وتمتم فى شىء من الخجــل :

ــ « ان نظراته تشبه نظرات ذلك المجهول الى حد كبير .. انها النظرات التى لا تنطفىء أبدا حتى فى محاجر الذين يموتون أمامى .. أجل يموتون مفتوحى العينين .. والنظرات الحاقدة تظل تتحدانى .. لكم تمنيت أن أفقأ عيون هؤلاء الناس جميعا .. » .

قال رفيق :

ــ « يبدو انك يا برتلمى قد أكثرت من شرب الخمر .. ثم انك لم تعــد تنام نوما كافيا .. » .

الأنين ينبعث فى أروقة الســجن الكبير ، وشتائم الجلادين المقذعــة تثير ضجيجا كبيرا ، والظلام يحيط بالأضواء الخافتة ، يكــاد يخنقها ، وبرتلمى يتمايل فــى نشوة كاذبة ، يضحك والدموع فى عينيه ، وخيالات كثيرة متناقضة تعشش فى رأسه ، ويغمغم :

ــ « القوة وحدهــا هى قانون الحياة .. هى التى تملك التغيير .. أستطيع بسوطى أن أحيــل أشجع الشجعان الى جبان رعديد ، يصرخ ويستغيث كامرأة .. ومن يستعصى على أقطع رقبته .. أنهى كل تمرد فيه .. القوة لا حد لتأثيرها .. وأنا أملكها .. أيها الأصدقاء .. التفكير الطويل مضيعة للوقت .. الرحمــة خوف .. لا شىء سوى أن تنفــذ ما تريد بسرعة .. عدونا الوحيد هو التردد .. لكن ذلــك الرجل المجهول تزعجنى نظراته .. لست أدرى لماذا لم أقتله على الفور ؟؟ انه مثير ..

غامض .. غريب .. لكم تمنيت أن أشق قلبه بخنجرى لأرى ما بداخله . »
وقدم رجل يلهث ، والعرق يتقاطر على جبينه .. ووقف أمام (برتلمى) وقـــال :
ــ « سيدى .. الثورة انـــدلعت فى (حى بولاق) .
حاول برتلمى أن يفيق من سكره ، حك جبهته ، وتمتم :
ــ (بولاق ...) .
ــ « أجل يا سيدى .. وضعوا المتاريس .. هاجموا مجموعة كبيرة من رجالنا .. دمروا عددا من نقط الحراسة .. انها شىء له خطره .» .
ــ « كيف يجرؤون على ذلك ؟؟» .
ــ طائفة من رجال الأزهر ، يتبعهم جمهرة من التجار ، وكل شعب بولاق»
هز برتلمى رأسه ، وقال :
ــ « لا شك أن الشـــيخ السادات على رأسهم .. » .
صمت الرجل برهة .. ثم قال :
ــ « القائد .. هو ذلك الرجل .»
ــ « ... مـــن ؟؟ » .
ــ « ذلك الذى صفعته صباح اليوم .. وأشبعناه ضربـــا .. انه ليس « مجذوبا .. » انه الحاج (مصطفى البشتيلى) ... صـــديق الشيخ السادات .. » .

هب برتلمى واقفا ، كل عضلـــة كانت تختلج فى جسده ، قلبه يخفق بشدة ، النظرات الحديدية العنيدة ، التى تصرخ بالحقد والكراهية تنتصب فى ذاكرته كالقضاء النافذ ، رائحـــة الدم والحريق والاشـــلاء تعود الى أنفه .

ورنت فى أذنه بقية كلمات رجـــل العسس الذى حمل اليه الأنباء :
ــ « حكمدار العاصمـــة الفرنسى يطلبك .. الأمر أخطر مما نتصور ..»
وابتسم سجين مربوط فى أعمدة خشبية ووقعت عينا (برتلمى) عليه فجأة ، فجن جنونه ، فأقترب منه ، وداعبه بابتسامة شاحبة وقال :
ــ « لم تبتسم ؟؟ » .
ــ « أنا مظلوم .. » .
قال برتلمى بهدوء غريب ، وهو يهم بالانصراف :
ــ « أما وقـــد ثبتت ادانتـــك باعترافك .. »

قاطعه السجين قائلا :
ــ « لم أعترف بشىء .. »
هدر برتلمى :
ــ « ابتسامتك اعتراف صريح .» .
وتوجه بالحديث الى رجاله :
ــ « اقطعوا رأسه .. وعلقوها على باب الأزهر .. لن أتيح فرصـــة لمجذوب آخر كى يشعل ثورة .. » .
وهتف السجين فى استســـلام : « نحن لا نموت .. والشهداء عنـــد ربهم أحياء .. يرزقون » ..



الاجتهادات . وهذا يوفر لها القيمة العلمية والثقة ، فاذا تصرفت من عندها تلخيصا وحذفا بما لا يتفق والامانة العلمية فقدت هذه القيمة .

٣ ــ والخبر المذكور لم تنقله الموسوعة عن كتب التاريخ أو الادب . بل عن كتب كبار أئمة الحديث ، فقد بينا فى الحاشية أنه أخرجه الدارقطنى وابن أبى شيبة عن الشعبى ، كما نقلنا تضعيفه والطعن فى صحته .

٤ ــ وأما كون الخبر المذكور قد نسبه ابن قتيبة فى كتابه « الاشربة » الى عمر رضى الله عنه ، فاننا قد بينا فى الحاشية أن منهم من رواه عن عمر ومنهم من رواه عن على رضى الله عنهما .

ومما أوضحنا يتبين أنه لا محل للغط والاستغراب فى نقل هذا الخبر . وعلى فرض أن نقله لم يكن مناسبا فان الطبعة التمهيدية لموضوعات الموسوعة قد جعلت لتلقى الملاحظات وتصحيح أو تعديل ما ينبغى تصحيحه أو تعديله قبل الطبعة النهائية حيث يفوت امكان التدارك والعصمة لله وحده سبحانه .



حول تحضير الارواح

موضوع امكان تحضير الارواح هو حديث الناس فى الـكويت فى هذه الايام منهم المصدق ومنهم المكذب ، وقرأنا أن للسيد الدكتور عثمان خليل تجربة طويلة فى هذا الموضوع ، فهل يمكن أن تفيدونا برأيه مبسطا فى هذا الموضوع .

أحلنا هذه الرسالة على السيد الدكتور ، فتفضل بالاجابة التالية :

تجربتى فى الروحية — وهى موضوع السؤال — تتلخص فى الآتى :

١ — اتصلت بالدراسات والتجارب الروحية منـذ حوالى ربع قرن ، وتجاوبت مع التربية الدينية التى كان لى نصيب منها منذ طفولتى أو صـباى ، واطمأن يقينى الى أن البحث فى هذا المجال ليس جائزا شرعا فحسب ، بل انه محثوث عليه توكيدا للايمان بخلود الروح ، وتفكرا فى آيات الله ، واستزادة من علم الله ، وتعبدا قلبيا عميقا فى عصر طغت فيه المادية واستشرى الالحاد .

٢ — هالنى ما اطلعت عليـه (مباشرة أو نقلا) من بحوث ومؤلفـات وصحف وهيئات ومؤتمرات دولية خاصة بالدراسات الروحية فى الخارج ، وما خضعت له هذه الجهود — فى مختلف دول العالم — من تدقيق واختبـار خلال القرنين الاخيرين على وجه الخصوص ، وقد أسفر كل ذلك عن تراث علمى ضخم فى هذا المضمار تتزعمه أعداد لا يكاد يدركها الحصر من العلماء المبرزين فى العلم والمكانة الاجتماعية فأحسست أننا — ونحن موطن الرسالات والمعـانى الروحية فى العالم — أولى بذلك الامر ، ووجدت ضالتى فى جمعية بالقاهرة يعبر اسمها ذاته عن ضالتى وهى « الجمعية الاسلامية الروحية » ورائدها مستشار سابق بادارة قضايا الحكومة هو الاستاذ رافع محمد رافع ، الرائد الصوفى الشاذلى كذلك ، فلازمته ، وازدادت قراءاتى الاسلامية عن الروح (لابن القيم وغيره) ، وعن الصوفية ومناقبها .

٣ — عندما حضرت الكويت سنة ١٩٦٢ اتصلت بشخص ذى صلة بجماعة القاهرة المذكورة (هو الاستاذ محمود حورانى) ولم تكن قد بدت عليه امارات الوساطة الروحية بعد ، ولكن أخبرنا وسيط آخر (هو المهندس منير الاعور) بمستقبل الاخ محمود الوساطى ، وبعد قرابة سنة أو أكثر بدأت فعلا وساطته فى صورة غيبوبة كاملة (١٠٠ ٪) وبافاضة فى الاحاديث الدينية تذهل السامع فى ذاتها ، وفى صدورها عن حالة « لا وعى » وعن شخص لا يعرف — فى حالة وعيه — قليلا مما يفضى به فى حالة الغيبوبة ، فتضاعف تعلقى وزملائى بهـذا الاتصال الروحى المبارك فى الله .

٤ — ظللنا سنين نتعبد الله على هذا النحو فى شبه خلوة (بحجرة تامة

الاظلام ، وبخلوص من مشاغل الدنيا ، وعدم التفكير الا فى الله مع ترديد اسمه تعالى قلبيا وبدون صوت مسموع) . ولم يكن يخطر ببالنا أن يقتحم علينا هذه الخلوة الاسبوعية — ولمدة ساعة — أحد غير القليلين من المؤمنين بالروحية من أصدقائنا الخلصاء ، ثم اتسعت الدائرة بتزايد الراغبين من هؤلاء ، ثم تسرب الموضوع الى الصحافة وأخذ حيزا كبيرا من اهتمام الراغبين فى تلمس أسباب القرب الى الله ، أو فى التعرف على أسرار الاتصال الروحى الذى ملأت مؤلفاته حيزا كبيرا فى مكتبات العالم ، وبدأت تأخذ مكانا يذكر فى مكتبات العالم العربى وعلى أيدى علماء أفاضل .

٥ — تبدأ جلساتنا بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، فقراءة الفاتحة مرة ، فالآية (٣٥) من سورة النور « الله نور السموات والارض » (الاية) فسورة الاخلاص ثلاثا ، فالفاتحة مرة أخرى ، ويبدأ الوسيط معنا القراءة ثم نفتقده تدريجيا خلالها ، حيث تبدأ غيبوبته شيئا فشيئا . وبعد انتهاء تلك التلاوة بدقيقة أو دقائق معدودة يبدأ الوسيط بالقاء السلام بصوت خافت ، وببعض عبارات التحية ، ثم يتدرج صوته فى الارتفاع حتى يصبح أحيانا كالخطيب المتدفق من فوق منبر ، ولا يعيد كلمة أو يتلعثم فى جملة ، بل كأنه شريط مسجل ، ويبدأ عادة بسؤالنا عما نريد أن يحدثنا فيه من الامور الدينية التى تنفع الناس ، متباعدا عن الامور الفردية أو الخاصة التى تشغل العوالم غير المدركة (ويقصد بها الجن خاصة ، والارواح الشاردة التى لم تبلغ رقيا فى الله) . وعادة نفوض الرأى للروح الزائر أول الجلسة ليحدثنا فيما يتفضل به ، وبعد هذا الحديث يسأل الروح الحاضرين ، فيسألون بما يريدون ، ويجيب على الفور على أسئلتهم ، وكل هذه الاحاديث — الا النادر — قد حرصنا على تسجيلها على أشرطة محفوظة لدينا ونطبعها فى عدد محدود من النسخ بقدر الحاضرين المهتمين بالقراءة بعد السماع .

وفى نهاية الجلسة يؤذننا الروح الزائر بذلك ، ويحيينا منصرفا « على بركة من الله ورسوله » فنقرأ الفاتحة ثلاثا ، مسك الختام .

٦ — مثل هذه الجلسات لا يقدر نوعية الارواح المتحدثة فيها ، ولا مستواها فى جانب الله ، الا من يحضرها ويعيها ، وهو بعد ذلك الذى يستطيع بعقله وقلبه — وبالممارسة كذلك — أن يقطع بكون الارواح الزائرة أرواح بررة ، أم أرواح جن ، أم جنا حيا كما يحصل لدى كثير من الناس فيزيد بعضهم بعضا رهقا .

٧ — حسب تجربتى للآن ، تأبى الارواح الراقية فى الله الكشف عن أسمائها لأنها فنيت فيه تعالى ومسحت بجانبه عن « أناتها » كالجدول الصغير عندما يصب فى المحيط الكبير فيفنى فيه ، كما يأبى العارفون بهذا المستوى الربانى لهذا الاتصال الروحى أن ينزلوا به الى مستوى الاسئلة الصبيانية التى يتقدم بها أحيانا غير العارفين بهذا الجانب من العلم والعبادة ، كالسؤال عن اسم أب فلان ، أو أمه ، أو عدد أطفاله ، أو ما الى ذلك من أمور قد تليق بمستوى قارىء كف أو ورق أو ملازم جن أو مخادع ، ولا تليق بمستوى أرواح علوية تدانى البشر برحمة وهداية من عند الله . ولذلك كنا نضيق أحيانا بمثل هذه الاسئلة ، ولكن الروح الزائر كان دائما يجيب اجابة توجيهية للسائل ليرقى بالسؤال الى مستوى العلم فى الله ، ولنا ليتسع صدرنا لكل سؤال فقد سبق للكثيرين منا أن مروا بمثل هذا الدور .

٨ ــ تخصص الجلسة (أو بعض الجلسة) أحيــانا للعلاج ، ويروى المرضى الكثير عن فضل الله ومنه عليهم بالشفاء .

٩ ــ لسنا ندعو أحدا للروحية الا بمثل ما تدعو أخاك للصلاة أو الصوم مثلا أو لسائر طاعات الله . ولا هدف للوسيط أو أى واحد من حوله الا مرضاة الله ، وليس هنالك أى مقابل مادى أو غيره يمكن أن يدع مجالا للشك فى خلوص هذه العبادة وتمحضها للتقرب الى الله . ولا أود أن أقول أكثر من أن القائمين بالروحية على هذا النحو يبذلون الكثير من الجهد والمال ، وأنا أقلهم فى هــذا المضمار ، وان نسبت الصحف الى شرف القيادة ، والله يعلم أننى لست الا أحد الرواد المتواضعين فى هذا الميدان .

١٠ ــ آفة المجادلين فى شأن الروحية أو غيرها ممن يجادلون عن غير علم ، فالمرء عدو ما يجهل ، قد يكون الانسان فى قمة العلم فى بعض الميادين ، ويكون جاهلا حقا لميدان آخر كالروحية ، فاذا غلبت عليه طبيعة العــالم قال ((لا أعلم)) وان غلب عليه ((كبرياء العلم)) أو ((كبرياء الجهل)) أفتى عن غير علم ولذلك فتحنا باب حضور الجلسات الروحية لكل راغب فى التعرف عليها ولو لم يكن مؤمنا بها ، ويقيننا الذى أكدته التجربة أن الخبر ليس كالعيان . وقد كان المرء يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يريد بدنياه بديلا ، ثم يخرج من عنده وهو لا يريد بآخرته بديلا .

والله أسأل أن يجعل لنا نصيبا من التأسى برسول الله العظيم ، وأن يلهم الجميع التوفيق فى سبيل مرضاته .

تعقيب

قرأت المقال المنشور فى العدد (٦٢) الذى كتبه الاستاذ عبد العزيز شرف والذى عرض فيه كتاب : ((الاسلام : الصراط المستقيم)) ولاحظت أن الكاتب يعتقد أن الكتاب لم يترجم الى اللغة العربية حيث يقول فى ختام مقاله (وحسب هذا الكتاب أن تكون له هذه القيمة لندعو مع أستاذنا على أدهم الى ترجمته الى اللغة العربية وأن نحتفى به حفاوة تليق بقيمته العلمية) ..

ويبدو من هذه الفقرة التى نقلتها أنه سبق للاستاذ الكبير على أدهم أن دعا الى مثل هذه الدعوة .

وحيث أن الكتاب المذكور قد تداولته الايدى باللغة العربية منذ عام ١٩٦٣ حيث ترجمه الاستاذ محمود عبد الله يعقوب ونشرته : دار مكتبة الحياة ببيروت وشركة النبراس ببغداد بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر (بغداد ــ نيويورك) .

وقد راجع الترجمة الاستاذ نور الدين الواعظ وقدم له بمقدمة ضــافية جاءت مكملة لموضوعات الكتاب تحدث فيها عن الاسلام : عقيدة ورسالة كمــا تحدث عن الجانب السياسى من رسالة الاسلام .. وعن الشورى فى الحكم وعن طريقة انتخاب الامام وعن القضاء واستقلاله .. وعن صيانة حرية المواطنين فى ظل الاسلام .. وعن مكان القوة والاعداد منه وعن الجانب الاقتصادى من رسالة الاسلام والاسس التى يقوم عليها وعن الجانب الاجتماعى فى هذا الدين .

البقية ص ٩١

الفتاوى

زكاة الاسهم

السؤال :

بعض الناس يشترى أسهما (كمدخرات) وينتفع بعائدها ، وبعضهم يشترى أسهما للتجارة ، فكيف يزكى كل منهما الاسهم التى يمتلكها ؟

وقد تفضل بالاجابة على هذا فضيلة الاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة :

ان أسهم الشركات لم تكن فى الماضى معروفة بالصورة التى عليها فى الحاضر ، وان كان معناها له أصل فقهى .

ولذلك ما نبديه من رأى ليس مأخوذا من آراء الفقهاء بالنص ، ولكنه مستنبط من تطبيق القواعد الفقهية ، أو ما يسمى فى عرف علماء الاصول بتحقيق المناط .

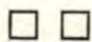
لقد قرر الفقهاء أن الزكاة تجب فى المال النامى ، ويقولون سببها مال نام بالقوة ، وبتطبيق هذه القاعدة على الشركات نجد أن الزكاة واجبة فيها لأنها أموال نامية بالفعل .. ولكن كيف تجب الزكاة : أتجب بنسبة من رأس المال ، اذا حال عليه الحول ، أم تجب بنسبة من الغلات التى تخرج كل عام ؟

نجد أن النبى صلى الله عليه وسلم ، أخذ الزكاة من الاموال المنقولة بربع العشر من رأس المال ، فعشرون مثقالا يجب فيها ربع العشر وهو نصف دينار .

والاموال الثابتة وهى الارض الزراعية والاشجار ، تجب الزكاة فى غلاتها ، وهى الزروع والثمار ، يجب العشر ان سقيت بغير آلة ، ونصف العشر ان سقيت بآلة ، ولما كانت الشركات أشبه بالمال الثابت .. رأينا أن تكون الزكاة فى غلاتها بعشر الصافى بعد كل النفقات ، فمن يقتنى أسهما ، ليأخذ غلاتها عليه عشر ما يئول اليه بعد الضرائب المستحقة .

واذا كان يتجر فيها بالبيع والشراء ، فان الاسهم ذاتها تكون سلعة تباع وتشترى ، وتجرى فيها زكاة عروض التجارة ، فتكون زكاتها بربع العشر فى قيمتها بعد حولان الحول ، وهذا هو حكم الحال الثانية .

هذا ما انتهى اليه رأيى ، فان كان حقا فمن توفيق الله ، وان كان خطأ فالله تعالى أعلم بالصواب .



لمس المرأة

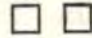
السؤال :

أنا أتبع المذهب الشافعى ، والمعروف أن الشـــافعى يرى أن لمس المرأة ينقض الوضوء ، وانني أشتغل فى محل تجارى ففى بعض الحالات تلمس يدى يد المرأة عندما أعطيها البضائع التى تشتريها عفوا بدون تعمد وبدون أى قصد فهل هذا ينقض وضوئى أو لا ؟

ع٠ م ـــ الكويت

وقد تفضل بالاجابة على هذا السؤال فضيلة الشيخ على البولاقى :

اختلف الائمة رضى الله عنهم فى انتقاض الوضوء بهذا النوع من اللمس الذى وصفه السائل الكريم بأنه غير مقصود فقال الشـــافعية : انه ينتقض به الوضوء ، وقال الحنفية والمالكية والحنابلة والظاهرية وغيرهم انـــه لا ينتقض الوضوء به ، ويجوز للمسلم تفاديا للحرج والضيق أن يقتدى بهؤلاء الائمة فى عدم انتقاض وضوئه ، وقد روى البيهقى عن القاسم بن محمد أنه قال : ((**اختلاف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رحمة لعباد الله**)) ، وروى أيضا عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : ((**ما سرنى لو أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة**)) وروى أيضا عن يحيى بن سعيد أنه قال : ((**أهل العلم أهل توسعة ، وما برح المفتون يختلفون فيحلل هذا ويحرم هذا فلا يعيب هذا على هذا**)) ، وأخرج الخطيب البغدادى عن اسماعيل بن أبى المجالد قال : ((**قال هارون الرشيد لمـــالك بن أنس : يا أبا عبد الله نكتب هذه الكتب ـــ يعنى مؤلفات الامام مالك ـــ ونفرقها فى آفاق الاسلام لنحمل عليهـــا الامة ، قال : يا أمير المؤمنين : ان اختلاف العلماء رحمة من الله تعالى على هذه الامة ، كل يتبع ما صح عنده ، وكل على هدى ، وكل يريد الله تعالى**)) . **واذا أراد السائل الكريم بيان وجهة أنظار الائمة المختلفين فى هذه المسألة فليرجع الى مقال : (انتقاض الوضوء باللمس نموذج لاختلاف الائمة) .**



العـــادة الشهرية

السؤال :

أنا مسلمة أعبد الله وأطيعه ، ومشكلتى فى أننى كلما جاءتنى العـــادة الشهرية فان والدتى تجعلنى لا أقرب مكانا ولا ألمس شيئا بل تظن أن كل ما أمسه ينجس ، فهل لها حق فى هذا .

أرجو منكم المشورة الحق ولكم شكرى وامتنانى .

مسلمة

وقد تفضل بالاجابة على هذا السؤال فضيلة الشيخ محمد الاشقر :

(المسلم لا ينجس) هكذا قال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة حينما كان أبو هريرة جنبا فانخنس وذهب فاغتسل .

وكذلك أمر النبى صلى الله عليه وسلم زوجته عائشة أم المؤمنين أن تأتيه بالخمرة (مفرش للسجود) من المسجد فقالت : انى حائض . فقال : « ان حيضتك ليست فى يدك » .

هذا يدلنا على أن الشريعة تعتبر الحائض والجنب طاهرين فى بدنهما وملابسهما ما عدا ما أصابه الاذى منهما ، ولا ينجس أى شىء بملامستهما له .

وأصل الفكرة الخاطئة القائلة بنجاسة الحائض ونجاسة ما تلامسه الحائض ، مأخوذ عن اليهود ، فقد كان اليهود اذا حاضت المرأة عندهم لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ، بل يسكنونها فى غرفة منفصلة ، وكان هذا من الاغلال التى وضعها الله عمن تبع شريعة الاسلام : كما قال الله فى وصف نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف .. وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث .. ويضع عنهم أصرهم والاغلال التى كانت عليهم) ، ومن المعلوم عقلا أن المرأة اذا حاضت فالدنس والاذى انما هو فى المحل المعين ، وأما اليد والرجل وسائر البدن فليس فيه أذى ، وهذا هو مقتضى التفكير السليم ، فمن تشدد واعتبر النجاسة عامة للبدن كله فهو مغال متشدد ، ومن لم يعتبر فى الحائض أى نجاسة ولو فى المحل فهو متساهل مفرط ، والاسلام هو دين الفطرة الموافق للعقل السليم .

بريد الوعي (بقية)

ثم راح يعرض فصول الكتاب فى اختصار وشمول موضحا رأيه فى قيمة كل فصل مؤيدا حينا .. كقوله مشيرا الى البحث الذى كتبه المرحوم شفيق غربال : « وأعتقد بأن هذا البحث فريد فى بابه لما احتوى من ابداع علمى ونظرة تحليلية شاملة لتطور الآراء والحركات فى التاريخ الاسلامى وأن كاتبه بحق من الأفذاذ العلماء .. ومعترضا حينا ولكن برفق ولين وأدب جم كقوله فى نهاية تلخيصه للبحث الذى كتبه محمود شهابى والمتعلق بموضوع الشيعة » وقد تضمن بحث الاستاذ شهابى آراء تقبل المناقشة الا أننا آثرنا السكوت عليها وتركناها الى القارىء الكريم حرصا على احترام الآراء وأداء للامانة العلمية .

لهذا سرنى أن أحيطكم والاستاذ الكاتب بهذا علما .. وليحتف أخونا بهذا الكتاب .. احتفاء يليق بقيمته العلمية والمنهجية وليشكر معى المترجم على ما بذله من جهد .. وصفه الاستاذ نور الدين الواعظ بأنه : « كان جهدا جبارا نبع من ايمانه العميق فدفعه الى سهر الليالى الطوال فى رفقة هذا الكتاب وهو يترجم دقائقه العلمية والفلسفية والدينية بروح لا تعرف الملل .. »

ابراهيم بن عبد الرحمن البليهى ـ الرياض ـ السعودية

بأقلام القراء

منطق الاســلام

كتب الأخ مصطفى يوسف راجح بكلية حقوق عين شمس تحت هذا العنوان يقــول :

لقد عود الدين الاسلامى مفكريه ، ورجالاته من العلماء والفقهاء أن يكونوا باحثى حقيقة ، يعنى ألا يتعصبوا لرأى لمجرد أنه يخالف ما درجوا عليه وعلموه ، يعنى أن الاسلام دين منطق وعقل منذ اللحظة الأولى ، أدوات المنطق هى العقل واللغة والقلم ، وأول ما يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل يطلب منه أن يقرأ فيقول : **(اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم)** فالعلم هنا شرط للوصول الى الله ، والعالم هو الذى يستطيع أن يسلك الطريق بنور علمه ، وهو قبل كل شىء لا يتلقى الا عن اقتناع ، ولا يجادل الا عن اقناع ، وتاريخنا الاسلامى ملىء بالعلماء المخلصين ، الذين رباهم الاســلام خير تربية ، فها هو الشافعى رضى الله عنه يقول : **(ما ناظرت أحدا قط ، فأحببت أن يخطىء وقال ماكلمت أحدا فأحببت ألا أن يوفق ويسدد ويكون عليه رعاية من الله وحفظ ، وما كلمت أحدا قط وأنا أبالى أن يبين الله الحق على لسانى أو لسانه ، وقــال ما أوردت الحجة على أحد فقبلها منى الا هبته واعتقدت محبته ، ولا كابرنى أحد على الحق ، ودافع الحجة الا سقط من عينى ورفضته)** . وذلك أقصى ما يرجو علم المنطق أن يصل اليه بمن آل على نفسه مهمة الوصول الى الحقيقة العلمية أو الروحية . والاسلام فتح المنافذ المسدودة التى أغلقتها الديانــات الأخرى ، وجعل شرط الايمان التفكر فى آيات الله فى الانسان قديما وحديثا ، ولفت نظر المسلم أو القارىء الباحث الى سير السابقين وما آلوا اليه ، وهى دعوة صريحة وواضحة لدراسة الديانات القديمة ، والنظر فيها ووضعها موضــع البحث لكى يظهر الحق من الباطل ، وفى ذلك يقول عز وجل فى محكــم آياته فى ســورة يوسف : **(ألر تلك آيات الكتاب المبين . انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت قبله لمن الغافلين)** .

والقرآن الكريم ملىء بالآيات البينات التى تزخر بالدلائل الواضحة لسير

الأولين ، وكيف ضلوا وأضلوا ، فالله تعالى يقول فى سورة الحجر : **(ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين . وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) .**

والله سبحانه وتعالى فى قرآنه الكريم حث على البحث الدائب المستمر

والكشف والتنقيب ليكشف الانسان وليعلم وليرى عظمة الخالق فى مخلوقاته ، فالله سبحانه وتعالى يقول : **(قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)** والسبق المنطقى واضح كل الوضوح وبين وظاهر فى خطاب القرآن لكل زائغ مشرك بالله ، وذلك ليصل به الى الحقيقة الدينية ، وليهديه سواء السبيل .
ولسنا نقول شيئا جديدا اذا قررنا أن الاسلام بهذا السلوك الالهى سبق المناهج الحديثة التى تضع الأصول العريضة والتفاصيل الكثيرة للبحث العلمى كى تصل الى الحق . .

أبواق شرقية

ويقول الأستاذ عبد الرحمن أبو شادى تحت هذا العنوان :

تسارع هذه الأبواق البشرية بالتقاط كل مايظهر فى الغرب من آراء ومذاهب وأفكار ونظريات ، كما يلتقط المذياع الموجات القادمة من محطة الارسال . . ثم تحاول أن تجعل لها السيادة والذيوع فى حماسة غريبة واستماتة فى نشرها كأن هذا العمل نوع من الرق الفكرى يعلن الولاء لسادته فى كل مناسبة وبغير مناسبة .

والرقيق يجب أن يكون تابعا لأى صعلوك يقول كلاما أو ينشىء نظرية أو يؤلف مذهبا ، فيجب على الشرق العربى المسلم أن يقول آمين، وأن يسلم بالنبوغ والعبقرية من أول جولة كأن النظرية أو المذهب أو الكلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،وهم مع ذلك يجادلون فى كلام الله ويمترون فى وجوده . .

وبلوى المسلمين والعرب والشرقيين بهذه الامعات أشد من سهام أعدائهم ، والغرب والشرق والشمال والجنوب والجنس والقبيل حواجز مصطنعة ما كان ينبغى لها أن تقوم فى وجه أخوة البشر ، ولا حرج على الغربى حين تعلم من الشرقى أو على الشرقى حين يتعلم من الغربى ما دام الوصول الى الحقيقة هدف الجميع والاخلاص فى السعى اليها رائد العالم والمتعلم ، وقديما تعلم ابن آدم القاتل الدفن من غراب ، فكان صاحب فضل عليه ، والقصة فى سورة المائدة ، وأحاط الهدهد بما لم يحط به سليمان ، ولكن ماذا نفعل اذا كانت هذه المذاهب الخبيثة تستهدف ضياع شخصية الأمة وفناءها فى غيرها من الأمم وتمثل معنوياتها وابادة كل ما يسمى اسلامى .
فاذا أراد المحامون عن شخصية الأمة أن يدافعوا عن كرامتها وعدم ذوبانها فى غيرها قامت القيامة . .



لبـــنان

كتبت صحيفـــة الرأى العــام الكويتية تحت هذا العنوان تقول :

أيا كانت النتائج العسكرية التى أسفر عنها العدوان الاسرائيلى على لبنان الحبيب ، فان المعــارك التى شهدتها أرض لبنان كانت وستبقى واحـــدة من أهم العــلامات المميزة لتاريخه الحــديث . فليس هاما أن القوات الاسرائيلية تمكنت من التوغل داخل الارض اللبنانية وان طائرات العدوان قد قصفت مواقعه وقراه ، ذلك أن كل عدوان فى العالم قــادر على ارتكاب الجريمة .

ولكـــن المهم أن نلاحـــظ ما رافق العدوان الاسرائيلى الجديد من مظاهر عســكرية واستراتيجية يمكننا القول أن أولاها كانـــت فى قيـــام الطيران السورى الذى كان بعد حزيران أكثر أسلحة الجيوش العربية فعالية فـــى الجو ليشترك فى صد العدوان عن لبنان كما اشتركت القوات الاردنية والعراقية بقصف قوات العــدو فى الجبهة الاردنية مما يؤكد وحدة الحياة والمصير بين دول الوطن كلهـــا ومما يشكل اختبارا رائعـــا لمجابهة واحدة ضد العدو الاسرائيلى لا تسمح لـــه بالانفراد بدولـــة عربية فى عدوانه .

ان قيـــام القـــوات الســـورية والعـــراقية والاردنية بالمشاركة فى مقاومـــة الهجوم الاسرائيلى ظاهرة سوف تظل مـــن أبرز الاحـــداث السياسية ـ العسكرية فى المنطقة لانها تجىء تجسيدا فعليا لاقوال كثيرة عن وحدة خط المواجهـــة وعن وحدة الصف ووحدة المصير .

فلقد كان العدو يتصرف دائما على أساس القتال ضد دولة عربية واحدة مما يفسح لـــــه فى مجـــال التفوق العسكرى ولكن المشاركة قد أعطت العدو وعلمتنا جميعا الدرس الذى يجب ألا ننساه ، والذى نسيناه طوال الســـنوات الماضية وبعـــد حزيران بالتخصيص .

فقد كان العدو يهاجم على جبهـــة قناة السويس فـــلا تنطلق رصاصة واحـــدة من الجبهـــة الشرقية وكان العدو يهاجم الجبهـــة الشرقية ، فلا تنطلق رصاصة واحـــدة من الجبهة الغربية اسنادا للعمليات فى الاردن أو سورية .

ولكن قتال اليوم قد قلب الصورة وغير الاستراتيجية العسكرية ونقل أحاديث وحـدة المصير الى الساحة الوحيدة التى يثبت فيها الـدم وحدة الحياة ، فى وجه العدوان الاسرائيلى المدعم بالتأييد والسـلاح من أمريكا التى اثبتت فى سكوتها عن العدوان على لبـنان أنها الـوجه الآخر للصهيونية القبيح ، وانهـا آخر ما يمكن للبنان أن يعتمد عليه لحمايـة حـدوده وأرضه .

بشائر معركة المصير

ويتحـدث فضيلـة الشيخ نديم الجسر فى مجلـة « جوهر الاسلام التونسية » عن بشـائر معـركة المصير ، فيقول عن أخوة المسلمين : ان اخوة المسلمين ، علـى اختلاف أقطـارهم وأعـراقهم وألـوانهم ومصالحهم الدنيوية ، ليست من نوع الاخوة الوطنية ولا من نوع العصبية ولا من نوع الرابطة الاجتماعية ، التى تشد الأواصر بين الخلطاء والشركاء حـول مصـالحهم الاقتصـادية والمعاشية ، ولكنها أخوة من صميم العقيدة ولا يتم اسـلام المسلم ولا يتحقق ايمانه الا اذا استقرت فى قلبه استقرارا وجدانيا ينسى معـه كل مصلحـة شعوبية أو مـذهبية أو عصـبية أو اقليميـة أو عائلية أو شخصية أو اقتصادية أو معاشـية حتى يجعل هـذه المصالح كلها تحت قدمه اذا تعارضـت مع تلك الاخوة الاسلامية المقدسة .

ولا يغترن أحد من المسلمين أو غير المسلمين بما يـراه اليوم فـى هذه الاخوة من تخلخل عند بعض ضعفاء النفوس فان هؤلاء قلة . ومثلهم عند الأمم كثير ولا سيما الأمم التى دخلت زمنا طـويلا تحت حـكم الغزو والاحتلال . ولكن ما من مسلم مهما بلغ رجسه فى الخيانة ومهما بلـغ الثمن الذى باع بـه نفسه الا ويجد فى سويـداء قلبـه اذا هو خلا فى سواد الليل الى نفسه غصة أليمة فى الفؤاد ، وكربا ممضا فى الضمير ما دام يؤمن بالله وبأن محمدا رسول اللـه .

هذه حقيقة يعرفها كل مسلم من نفسه وان جهلهـا أو شك فيها غير المسلمين وكيف لا يكون المسلم كذلك اذا كان يؤمن بالله ورسوله ، وهو يسـمع قول اللـه (انما المؤمنون اخوة) وقوله تعالى (فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم . اولئك الـذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) .

ويسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسـد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعت لـه سائر الأعضـاء بالحمى والسهر) وقوله صلى الله عليه وسلم (من بات ولم يهتم لأمـر المسـلمين فليس منهم) وقوله صلى الله عليه وسـلم (من غشنا فليس منا) وقوله (من حمل علينا السـلاح فليس منـا) وقوله (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) وقوله صلى الله علـيه وسلم (اذا تواجه المسلمـان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النـار) .

أخبار العالم الإسلامي

اعداد : ع. ب.

الكويت : شرف سمو أمير البلاد المعظم حفل تخرج أول دفعة من ضباط الكلية العسكرية وقد ألقى سعادة وزير الداخلية والدفاع خطابا بهذه المناسبة .

☐ أبلغ سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء السفير اللبنانى لدى الكويت أنالكويت أميرا وحكومة وشعبا تقف الى جانب لبنان فى محنته وأن الكويت مستعدة لكل مطلب يريده لبنان .

☐ قام الفريق حردان التكريتى نائب الرئيس العراقى بزيارة البلاد فى الشهر الماضى وقد أجرى مع المسئولين مباحثات هامة حول القضايا العربية الراهنة .

☐ تم الاتفاق بين الكويت والسعودية على تقسيم المنطقة المحايدة بين البلدين وقد تسلمت الكويت يوم ٢٠ الماضى ميناء سعود ومنطقة الوفرة .

☐ أعلن مدير الادارة المركزية للاحصاء النتائج الاولية لتعداد السكان الذى جرى فى الشهر الماضى وبلغ عدد السكان (٧٣٣١٩٦) نسمة منهم (٣٤٥٨٩٨) كويتيا ، و (٤١٦٦٥٨) غير كويتى .

☐ أكدت الكويت للمبعوث المصرى د. حسن عباس زكى موقفها الحازم وايمانها بالقضية العربية وأنها مستعدة لكل التضحيات .

☐ اتفقت الكويت وباكستان على وضع برنامج طويل الامد للتعاون بين البلدين المسلمين فى مجال الاغراض السلمية للطاقة الذرية .

☐ سلم السفير الكويتى فى باكستان المبالغ التى تبرعت بها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الى الجامعة المحمدية بروالبندى ، وقد تلقت الوزارة رسالة من جماعة الفكر الاسلامى فى باكستان تطلب مساعدتها بالكتب الاسلامية .

☐ زار الكويت وفد اسلامى من تايلاند حيث شرح للمسئولين أحوال المسلمين فى تايلاند وحاجتهم الماسة الى الدعم المادى والثقافى .

☐ بعثت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الى سفارة الكويت فى لندن بناء على طلبها كمية من ترجمة معانى القرآن الكريم بالانجليزية لتوزيعها على المسلمين فى لندن .

☐ عاد معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية من جولة زار فيها بعض الهيئات والمراكز الاسلامية فى أوربا لدراسة أحوالها .

القاهرة : عاد مبعوثو الرئيس جمال عبد الناصر من جولتهم فى الدول العربية بعد مشاورات أسفرت عن وحدة الصف العربى فى وجه المساعدات العسكرية لاسرائيل .

☐ يتوقع العسكريون تصاعد العمليات الحربية ضد العدو فى هذا الصيف .

☐ سيقوم فضيلة شيخ الازهر على رأس وفد من العلماء بجولة فى الدول الاسلامية للدعوة الى الجهاد لتحرير الارض العربية والقدس من الاحتلال الاسرائيلى تنفيذا لقرارات المؤتمر الخامس لمجمع البحوث .

☐ افتتح فى جامعة الازهر أول معمل نووى وسيقوم المعمل بدراسات نووية متقدمة .

☐ عقد المؤتمر السابع للمجلس الوطنى الفلسطينى ، وحضره مندوبون عن جميع المنظمات الفدائية .

السعودية : بعث المركز الاسلامى فى ويلز بانجلترا رسالة شكر لجلالة الملك فيصل على مساعداته المادية والمعنوية للمركز .

☐ وجه الهلال الاحمر السعودى رسالة الى الجمعيـــة الدوليـــة للصليب الاحمـــر يلفت نظرها الى استهتار اسرائيل بالقوانـــين الدولية لحقوق الانسان .

الاردن : أمر الملك حسين بانشاء كلية لأبناء الشهداء تتسع لألف وخمسمائة طالب وتضم اقساما ابتدائية واعدادية وثانوية ومختبرات علمية وميكانيكية وكهربائية .

☐ اجتمع فى الاردن وزراء المواصلات والنقل فى السعودية والاردن وسوريا لدراسة مشروع اعادة تسيير الخط الحديدى الحجازى وتأمين نفقات هذا المشروع .

☐ عقد فى أواخر الشهر الماضى اجتماع لموجهى التربية الدينية لبحث أفضل الوسائل لتحسين أسلوب تدريس التربية الدينية فى المدارس الاردنية .

العراق : اشتركت القوات العراقية المتمركزة فى الجبهة الشرقية فى صد الهجوم الاسرائيلى على لبنان يوم ١٢/٥ الماضى .

سوريا : خاضت سوريا المعركة مع لبنان وقد أســقطت للعدو ثلاث طائرات اسرائيلية فى الاغـــارة على لبنـــان يوم ١٢/٥ الماضى .

لبنان : أغار العدو الاسرائيلى على جنوب لبنان فى أوائل الشهر الماضى وقد تصدى له الجيش اللبنانى وقوات الفدائيين الفلسطينيين .

☐ تبرع الملك الحسن الثانى ملك المغرب بمائة ألف دولار لمؤسسة الاخطل الصغير بهدف انشاء مؤسسة عربية ثقافية تحمى التراث العربى .

ليبيا : أصدر مجلس قيادة الثورة قانونا لحماية الاخلاق يقضى بمعاقبة كل من يقوم بدور تمثيلى ينافى الاخلاق ومعاقبة كل من ترتدى الثياب القصيرة ومن يعاكس النساء فى الشوارع والطرقات .

تونس : نعت تونس فى الشهر الماضى فضيلة العلامة الفاضل بن عاشور مفتى تونس وعضو مجمع البحوث الاسلامية وعضو رابطة العالم الاســلامى « الوعى الاسلامى » تشارك العـــالم الاسلامى أساها وترحمها على الفقيد الكبير .

الجزائر : بحث العقيد القذافى رئيس مجلس الثورة الليبى مع الرئيس بومدين تدعيم التعاون بين دول المغرب العربى وذلك فى زيارة قام بها القذافى الى الجزائر فى الشهر المـــاضى لمدة ثلاثة أيام .

المغرب : قدم أول سفير موريتانى فى المغرب أوراق اعتماده لجلالة الملك الحسن .

البحرين : وافق مجلس الامن بالاجماع على تأكيد رغبة شعب البحرين فى أن تصبح دولة البحرين دولة عربية مستقلة ونتمنى للشقيقة المسلمة تقدما مطردا فى عهد الاستقلال .

ايران : رحب مجلس الامة الايرانى بأغلبية ساحقة بقرار مجلس الامن الموافقة على تحقيق رغبة شعب البحرين فى استقلاله وعروبته .

تركيا : عقد فى تركيا أوائل الشهر الماضى مؤتمر قمة ثلاثى حضره الرئيس الباكستانى وشاه ايران والرئيس التركى لبحث القضايا السياسية والاقتصادية لبلادهم وقد أيد الزعماء الثلاثة ضرورة انسحاب اسرائيل من الارض العربية .

باكستان : سيعلن قريبا دستور جديد فى باكستان يتمشى مع الروح الاسلامية وسيصبح الاسم لباكستان الجمهورية الاسلامية الباكستانية .

اقرأ فى هذا العدد

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة مكة المكرمة ص.ب (٤٦)

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة مكة ص.ب (٤٦)

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب .

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) حضرموت .

دبى : ساحل عمان ص. ب (٢٦١) ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ــ السيد حسين قمر .

تعــز : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتبة منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

مع الخـــالدين ...

أبو الريحان البيروني

* ولد أبو الريحان محمد بن احمد البيرونى فى ٢ ذى الحجـــة ٣٦٢ هـ فى قرية صغيرة قرب مدينـــة كات عاصمة خوارزم وهـــذه المدينة تسمى الآن مدينة البيرونى .

* كان من أسرة فقيرة وقد عمل فى صباه مساعدا لأحد علماء النبـــات مما ربى فى نفسه ملكة البحث الطبيعى .

* تعرف فى شبابه على الفيلسوف الاسلامى ابن سينا وزامله وكانت لهما المكانة فى قصر نوح بن منصـــور الســـامانى وظـــلا وفيين للسامانيين حتى سقط ملكهم فارتحلا معـــا الى امير جرجـــان الذى دعاهما كثيرا اليه .

* رجع الى وطنه خوارزم بعد مقتل امير جرجان واحتل منصبا سياسيا هاما الى جانب عمله فى مجلس العلوم مع ابن سينا وابن مسكويه

* أحبه الغزنويون ــ الذين تولوا الامور فى خوارزم ــ وشجعوه على ابحاثه العلمية .

* تجلى منهجه العلمى فى الجد والمثابرة والتجرد فى طلب الحقيقة ــ بعيدا عن التعصب وضرورة التماس الأشياء من مصادرهـــا الأولى والملاحظة والتجربة ثم اعتبار الحدس والالهام أو ما يسميه (التوفيق من الله تعالى) .

ولذلك فهو بحق من أوائل الرواد المســـلمين للمنهج العـــمى الذى نقلته أوروبا فيما بعد .

* توصل البيرونى الى كثير من النظريات العلميـــة واحرز للمسلمين السبق فى تأسيس العلوم الطبيعيـــة على اسس علمية مـــا زال العلماء يسيرون عليها حتى اليوم .

* بلغت مؤلفاته ١٨٠ كتابا عدا الرسائل الصغيرة ، من هذه الكتب : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولـــة (وكتـــاب القانون المسعودى) .

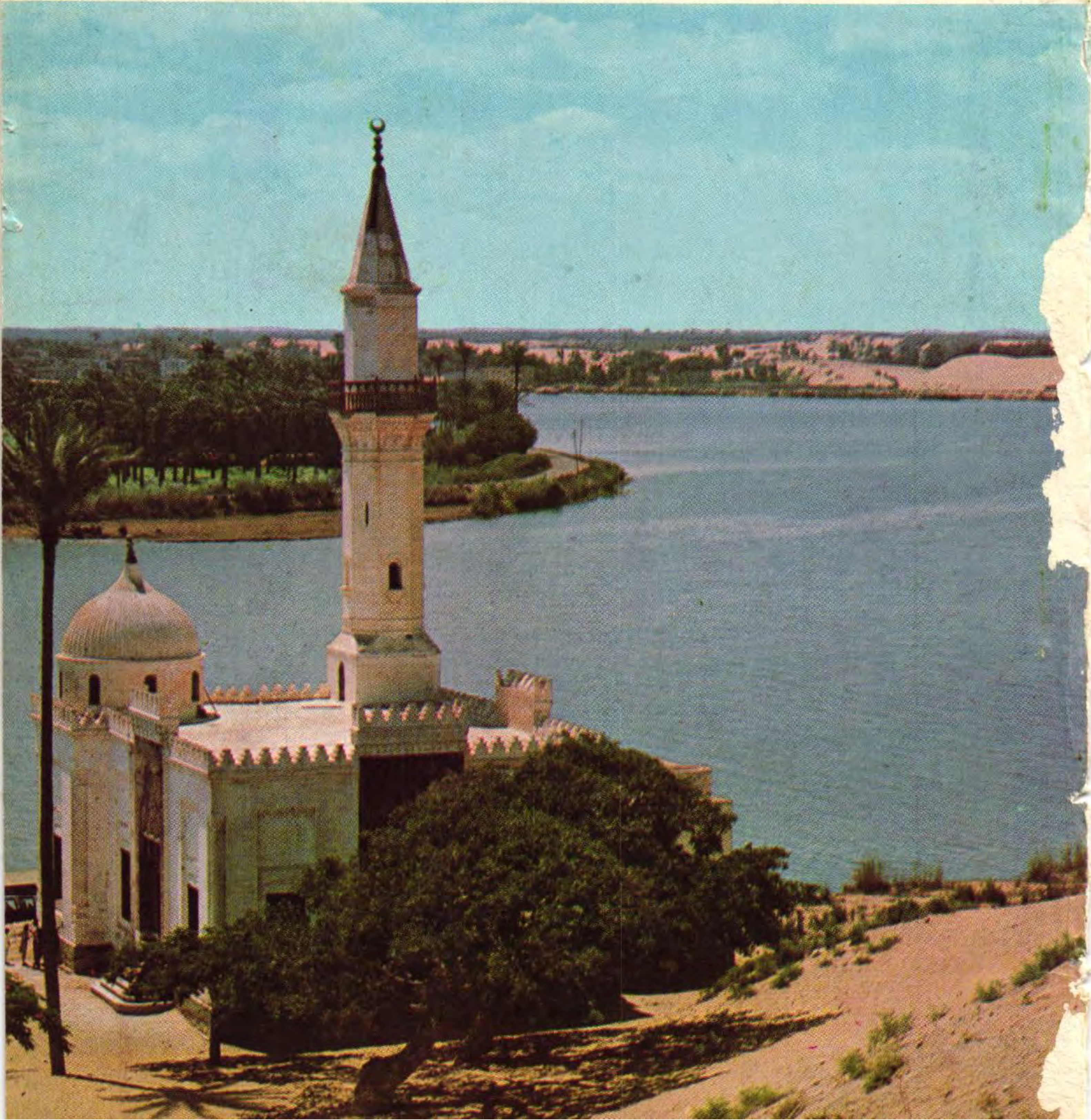
* مات فى غزنة سنة ٤٤٢ هـ .

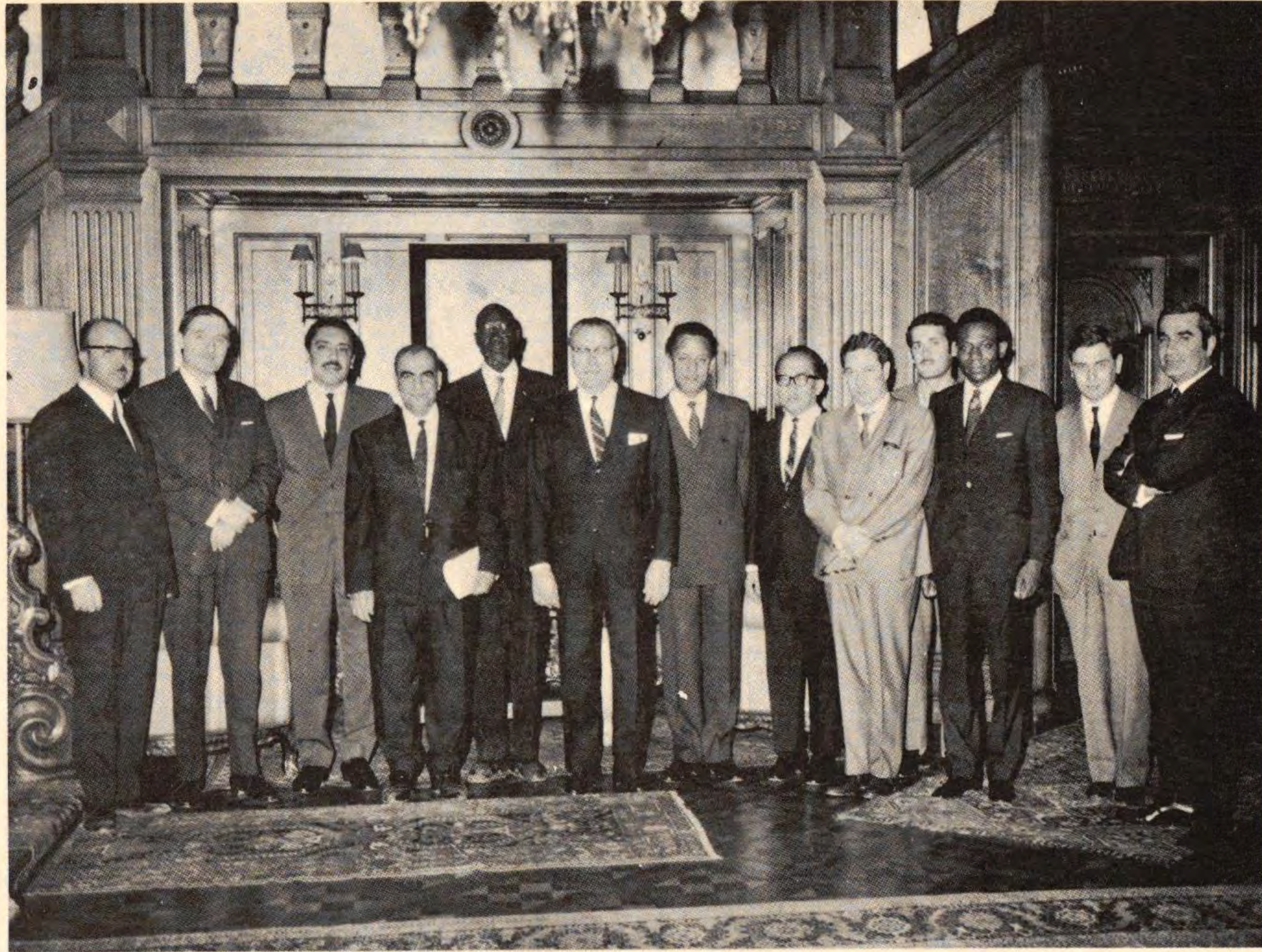
عبد المعطى بيومى

الوعي الإسلامي

اسلاميَّة ثقافيَّة شهريَّة

السنة السادسة ـ العدد ٦٥ ـ جماد الأول ١٣٩٠هـ ـ ٤ يوليو (تموز) ١٩٧٠م





سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية أثناء اجتماعه بعدد من السفراء العرب وسفراء الدول الاسلامية فى بلجيكا فى مبنى السفارة السعودية .



مسجد ابى النظر الشهيد بمسجد « ابو مندور » وهو من سلالة الامام على بن ابى طالب رضي الله عنه وقد جاء ابو مندور الى رشيد على فرع النيل وعاش ومات ودفن فى ارضها فبنى الأهالى هــذا المسجد الــذى سمى باسمه عام ١٠٠٢ ميلاديـــة وجدد سنة ١٨٨٩ م .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السـنة السادسة

العدد الخامس والستون

جمادى الأولى ١٣٩٠ هـ

٤ يوليو « تمــوز » ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقــاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسـياسية

الثمــن

الكويت	٥٠	فلسـا
السعودية	١	ريـال
العــراق	٧٥	فلسـا
الاردن	٥٠	فلسـا
ليبيـا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليمـا
الجزائــر		دينـار وربـع
المغرب		درهم وربــع
الخليج العربى	١	روبيـة
اليمن وعدن	٧٥	فلسـا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشـا
مصر والسودان	٤٠	مليمـا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكـويت ١ دينــار

فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاســترلينى)

اما الافــراد فيشــتركون راســا مــع متعهد التــوزيع كل فى قطره

عنــوان المراسلات

مديــر ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشــئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ــ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

حدود غير آمنة

لا يستطيع احد ممن اوتى علم الكتاب ان ياتى بنص على وعد إلهى فى القرآن الكريم ، او فى اى كتاب من الكتب المنزلة السابقة يعطى لليهود الحق فى حكم فلسطين ، او انشاء وطن قومى لهم فيها .

والذى جاء فى الأسفار التى يقدسها اليهود من ان الرب منحهم ارض فلسطين وما جاورها الى الأبد — هو مما كتبته ايديهم افتراء على الله .

وكتابنا يتحدث عنهم حديثا طويلا مفصلا . حديثا يكشف نواياهم ، ويفضح سوءاتهم فهم ضائعون تائهون . ممزقون كل ممزق ضربت عليهم الذلة والمسكنة اينما كانوا . لا وطن يضمهم فى امان ، ولا علم يرفرف عليهم فى سلام . اذا استقروا فى ارض افسدوا فيها ، واذا افسدوا سلط الله عليهم عبادا له اولى باس شديد يذيقونهم الوان العذاب ، ويستمر هذا حالهم بين الافساد والاجرام ، وبين العقاب والانتقام « واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » .

والناظر فى تاريخ الأمم والشعوب قديما وحديثا لا يستطيع الا ان يقطع بان الشعب اليهودى هو الشعب الوحيد دون شعوب اهل الأرض الذى حرم الأمن والاستقرار لأنه ظل فى صراع دموى مستمر مع جميع الأمم التى آوى اليها فلم يكن له فى يوم من الأيام وطن هادىء ، ولا جزء من وطن ، ولا حدود آمنة .

والوطن العربى المسلم الذى اغتصبته العصابات اليهودية من اهله العرب المسلمين لن يخلص للمغتصبين ابدا ، والأرض الفلسطينية التى اقامت

اسرائيل فيهــا دولتها بقــوة الحديد والنار ستظل حقلا للألغام المتفجرة ، وبركانا يفور ويثور ، ويقذف باللهب والحمم حتى تطهر الأرض المباركة من رجز الغازين المعتدين ، وتعود بقوة الحق وقوة الســـلاح لأصــحابها الشرعيين .

ان قضــايا الأمم والشـــعوب المصيرية غير قضايا الأفراد ، فقضية الفرد يحكم فيهــا غيره ، وقد يكون الحــكم جائــرا ، فيســلم الفرد ، ويخضع ، وينتزع الحق منه ، ويعطى لغيره ، ثم يموت ، فيموت الحق فى دنيا الناس بمــوت صاحبه الى أن يسترده بين يدى الله احكم الحاكمين.

اما قضايا الشعوب فلا يقضى فيها من خارجها ، وانمــا يفصــل فيها الشعب نفسه واذا عجز عن استرداد حقه اليوم فلا يعجز عنه فى الغد ، وسينتصر ويكسب القضية ويسترد حقه مهمــا تطــاول الــزمان ، لأن الشعوب لا تموت ، فقضية جيل اليوم هى قضــية جيل الغــد هى قضية الأجيال اللاحقــة ، وكل جيل يورث لاحقــه المطالبة بحقــه ، ويحملــه تبعات الدفاع عنه والوصول اليه ، ولن تهدأ الأجيال الثائرة حتى تنتزع الحق انتزاعا وتســتولى عليه بقوة التضحية والفداء .

لــقد وقعت فلســطين فى قبضة الغزاة الصليبيين ، وظلت تحت حكمهم قرابة مائة عام وسلمت دول العــالم يومئذ بالأمر الواقع ، فهل كان للغزاة فى هذه الأرض التى اغتصبوها حدود آمنة طوال هــذه الفترة ؟ وهل غير اعتراف الــدول وتســليمها بالأمر الواقع من الحق شيئا ؟

لــقد نهضت الأمـــة العــربية والاسلامية باسم (الله) ووقفت صفا واحــدا فى وجــه الزحف الغاشم والاحتلال الأثيم ، وعبأت كل قواها الــروحية ، وحشـــدت كل طاقاتها المادية ، وتحملت مغارم الجهاد فى سبيل انقــاذ الــوطن المغصــوب ، واسترداد الشرف المسلوب ، وكان لها ما أرادت بقوة الله الــذى يحق الحق ويبطــل الباطــل ، وعــادت فلسطين ارضا عربية اسلامية ترفرف عليها راية التوحيد من جديد ، واندحر المعتــدون يجــرون أذيــال الخزى والخذلان .

من واقع الحقائق السابقة : حيث لا نص إلهى بمنح اليهود أرض الميعاد، ومعاداتهم لجميع شعوب أهل الأرض فــى مختلف العصــــور والأمكنة ، واشتباكهم معها فى صــراع دموى مستمر ، وحق الشــعب وحده فى تقرير مصيره ، وعدم شرعية الاعتراف بالأمر الواقــع القائم علــى العنف والقهر ، وسقوط التملك بالغزو ... من هذا كله نستطيع أن نؤكد :

١ ــ أن اسرائيل ليست دولــة شرعية .

٢ ــ أن اعتراف الــدول الأعداء والأصدقاء بهــا لا يغير من الحق شيئا .

٣ ــ أن الشعب الفلسطينى هو وحده صاحب الحق فــى تقــرير مصيره .

٤ ــ أن الشــعب لن يمــوت ، وسيسترد حقوقه ان عاجلا أو آجلا ما دام يواصل الجهــاد ويســتعذب التضحيات ويقدم الفداء .

ستظل اسرائيل بلا حــدود آمنة ... ستبقى فى العراء يلفها الذعر ، وان احتوتها المستعمرات ، واظلتها

الطائرات وحرستها الدبابات ، وساندتها القوى الاستعمارية الظالمة ... واى حدود تلك تطالب بها اسرائيل : حدود سنة ٤٨ التى وافقت عليها الهيئات الدولية ذات المصالح الاستعمارية فى المنطقة .. حدود ما قبل ٦٧ التى خرست عنها تلك الهيئات ... حدود ما بعد سنة ٦٧ التى اختلف عليها الأعداء والأصدقاء ... لقد نقلت اسرائيل خطوطها وحدودها ثلاث مرات وفى كل مرة تزيد فى المساحة وتزداد فى القسوة والوحشية . ليس هناك فارق بين الأراضى المحتلة قبل ٤٨ وقبل ٦٧ وبعدها .. ليس هناك فارق بين القدس القديمة والقدس الجديدة ، ولا بين حيفا وسيناء ، ولا بين تل ابيب ومرتفعات الجولان . كلها ارض عربية اسلامية لا حق لليهود فى شبر منها ، ولا تملك اى هيئة دولية القضاء فيها بانتزاع جزء منها لاسرائيل . وكل حكم لها سابق او لاحق يقضى بغير الحق باطل شرعا وقانونا لا يكسب المحكوم له حقا ليس له ، ولا يمنع المحكوم عليه حقا هو له . وستبقى اسرائيل بلا حدود آمنة ما بقيت اسرائيل فى ارض العرب وما دام فى اكناف الأرض مسلم يقول لا إله الا الله محمد رسول الله .

الحدود الآمنة :

والحديث عن الحدود الضائعة التى يطالب العدو بتامينها يستلزم الحديث عن الحدود الحقيقية الآمنة التى يجب ان يعيش المسلمون فى اطارها ... وليس المقصود بها الحدود المادية التى تحد الدول شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، ولا الحدود الطبيعية من جبال وبحار وصحراء ، ولا الخطوط والاستحكامات الحربية التى تصد غارات المغيرين .. فما قيمة كل هذه الحدود اذا كانت الأمة التى تحيا وراءها امة شغل ابناؤها عنها بملذاتهم وشهواتهم وضنوا عليها بجهدهم وعرقهم ، وآثروا الحياة الفارغة الذليلة على الحياة الجادة العزيزة .

اصحابها عنها بملذاتهم وشهواتهم وضنوا عليها بجهدهم وعرقهم ، وآثروا الحياة الفارغة الذليلة على الحياة الجادة العزيزة ..

اذا انحدرت امة الى هذا الدرك من المهانة تحطمت حدودها وتخطفتها الأمم من حولها .

فالثروة فى يد السفيه المتلاف مفسدة ، والقوة العضلية فى جسد الأحمق مهلكة ، والمدفع مع الجبان هزيمة محققة ومن اجل هذا كان تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم من الأدواء التى تهلك الأمة ، وتجعل حماها مستباحا لكل طامع فقال : يوشك ان تداعى عليكم الأمم من كل افق كما تداعى الأكلة على قصعتها قال ثوبان راوى الحديث : قلنا يا رسول الله : امن قلة بنا يومئذ قال : انتم يومئذ كثير ، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ، ويجعل فى قلوبكم الوهن ، قال : قلنا وما الوهن قال حب الحياة وكراهية الموت .

الخط الحصين الذى يحمى الأمة فى الداخل من نفوسها ، وفى الخارج من عدوها هو العقيدة القوية القائمة على العقل الواعى والقلب المطمئن

والعاطفة المحركة (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون) .

العقيدة التي تسيطر على الجهاز العصبى فى المؤمن ، فتصدر عنها الأفعال والأقوال ، وتوجه الارادة الانسانية وفق مقتضاها ومتطلباتها ، وتضبط الهوى والرغبات (لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) العقيدة التي تلتزم بحدود الله ، وتعف عن محارم الله وتسير الفرد والمجتمع فى خط مستقيم لا ينحرف ، ولا يزيغ ، فالعقيدة هى اساس قوة الفرد وقوة المجتمع ، وهى السياج الواقى للأمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعن جنبتى الصراط سوران فيهما ابواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : يا ايها الناس هلموا ادخلوا الصراط المستقيم جميعا ولا تفرقوا ، وداع يدعو من جوف الصراط فاذا اراد الانسان ان يفتح شيئا من تلك الأبواب قال : ويحك فانك ان تفتحه تلجه ، فالصراط الاسلام ، والسوران حدود الله ، والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعى على راس الصراط كتاب الله ، والداعى من فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم .

ولكى يبقى العدو بلا حدود آمنة ، بل لكى يزول وجوده من ارضنا يجب أن تكون لنا حدود آمنة يقوم على حراستها رجال اشداء الايمان لا يخافون فى الله لومة لائم يطهرون المجتمع من عوامل الانهيار ، ويأخذون على يد العابثين بمقدرات الامة ، ويوجهون الطاقات كلها لتزكية نفوسها وتقوية صفوفها ، وحشد قواها . يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقفون فى وجه المنحرف ، ويأطرونه على الحق اطرا ، ولا يكفى لحماية الأمة وتأمين حدودها انغلاق اصحاب العقيدة على انفسهم وقناعتهم باستقامة شئونهم وحدهم ، فان الفتنة تعم ولا تخص (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) وتجسيدا لهذا الواجب يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم اعلاها ، وبعضهم اسفلها ، فكان الذين فى اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو انا خرقنا فى نصيبنا خرقا ، ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا ، وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا .

فالعقيدة ، وتجنيد الطاقات ، وحماية الأمة من عوامل التحلل حدود منيعة تحمى العباد والبلاد ، وذلك بقوة الله وتوفيقه ما تتحصن به امتنا العربية فى معركتها الحاضرة ، وصدق الله « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون » .

زهران البيلي

مدير ادارة الدعوة والارشاد

المادية في مظاهرها وآثارها

٤ آثارها في جرائم المجتمع

للدكتور : محمد البهي

ان الجرائم الاجتماعية هى ما يعبر عنها القرآن الكريم بالفحشاء ، او الفاحشة ، والمنكر ، او كبائر الاثم ، هى تلك التى تصور اعتداء على العرض ، والمال ، والنفس ، وتتعدى من تقع عليه الى المجتمع ككل .

اما الجريمة التى تتصل بالعقيدة فهى جريمة الشرك فى العبادة ، او التقول على الله بغير حق وعلم .

وهناك اذن أربع دوائر فى حياة الانسان والمجتمع يجب ان تصان من الاعتداء عليها ، وهى دوائر : العرض ، والمال ، والنفس ، والاعتقاد ، والاعتداء على أية واحدة منها هو اعتداء فى الواقع على المجتمع ككل ، وليس اعتداء على فرد ، وان اتصل الاعتداء فى وقوعه بفرد او بأفراد .

فالمجتمع لا يكون مجتمعا ، والأمة لا تصير امة بعدد الافراد او بمكان سكناهم واقامتهم ، وانما بالروابط بينهم ، وهى روابط تحفظ عليهم اعراضهم ، وأموالهم ، ودماءهم ، وعقيدتهم وايمانهم ، ومن هنا : كان الاعتداء على اى من هذه الجوانب هو اعتداء على مقومات المجتمع والأمة ، ولذا كان اى اعتداء منها جريمة اجتماعية وليس جريمة فردية ، فى نظر القرآن الكريم .

ولخطورة هذه الجرائم جاء القرآن بتحديد عقوبات لها — دون غيرها من الانحرافات فى السلوك — ولم يدع الجزاء عليها محلا لتقدير الانسان فى أى وقت أو فى أى عصر :

فهناك نص على حد الزنا وهو الاعتداء على العرض .

وهناك نص آخر على حد السرقة وهو الاعتداء على المال .

وهناك نص على حد القتل وهو الاعتداء على النفس .

وهناك نص على ما يتخذ ضد الشرك وهو الاعتداء على العقيدة والايمان.

ولعناية الاسلام بصيانة هذه الجوانب فى حياة الانسان — وهى عناية ملحوظة منذ بدء الرسالة الالهية حتى ختمها — أصبحت لهذه الجوانب حرمة تحول دون أن تمس ، وهى حرمة فى حقيقة الأمر تعود الى قيمة الفرد ، اذ قيمة الفرد فى استقلال ذاته ، وهذا الاستقلال يتميز بحق عدم المساس بالعرض ، وحق الاحتفاظ بالمال ، وحق صيانة النفس ، وحق حرية الاعتقاد ، ولا تستحل هذه الحقوق اطلاقا الا فى ظل مجتمع انسانى لا يحرص على القيم الانسانية فى العلاقات والسلوك بين أفراده .

وقد سلك القرآن الكريم ازاء هذه الجرائم للحيلولة دونها مسالك متنوعة :

فهو ينبه ويطلب تجنبها ، بعد أن يصفها فى وقوعها بما يدل على خطرها وشناعتها ، فيقول : « **ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن** » (١) .

ثم يقول : **قل ! : انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن** » (٢) .

... فاذ يدعو فى الآية الأولى الى عدم الاقتراب من الفواحش ، ما ظهر منها وما بطن يعلن تحريمها صراحة فى الآية الثانية ، ما ظهر منها وما بطن كذلك .

والوصف « **بالفواحش** » فى الآيتين هنا — وفى آيات أخرى غيرهما — وان كان يتناول أنواع الجرائم الاجتماعية الثلاثة الا أنه يدخل فيها الاعتداء على العرض دخولا أولا . فهو الجريمة الوحيدة ، دون جريمتى المال والنفس ، التى يصرح القرآن بوصفها بأنها فاحشة ، عندما أفردها بالتحريم فى قوله : « **ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا** » (٣) .

وقد يزيد فى تجسيم أمر هذه الجرائم وشدة خطرها فينسب وقوعها الى الشيطان والى تأثيره ، والانسان الذى يباشر واحدة منها أو جميعها — تبعا لذلك — هو ولى للشيطان ، يأتمر بأمره ويتصرف طبقا لاغرائه ، يقول فى بعض آيات الكتاب العزيز : « **ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر** » (٤) .

... ويقصد بالفحشاء هنا فى هذه الآية جريمة الاعتداء على العرض وهى الزنا ، بينما يقصد بالمنكر جريمتى المال والنفس ، وهما السرقة والقتل .

ويقول فى البعض الآخر من الآيات : « **يا ايها الناس ! كلوا مما فى الارض حلالا طيبا ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين .**

« **انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون** » (٥) .

---

(١) الانعام ١٥١ .
(٢) الاعراف ٣٣ .
(٣) الاسراء ٣٢ .
(٤) النور ٢١ .
(٥) البقرة ١٦٨ ، ١٦٩ .

... وهنا فى الآية الثانية من هاتين الآيتين تعبر كلمة **« السوء »** عن السرقة والقتل ، وكلمة **« الفحشاء »** عن « الزنا » ، كما يعبر قوله : **« وان تقولوا على الله ما لا تعلمون »** عن « الشرك » .

والآية بذلك تجمع بين الجرائم الاجتماعية الثلاثة ، وجريمة الاعتقاد ، وهى الشرك بالله ، وترد كلها — كما تذكر الآية — للشيطان فى وقوعها والتأثير فى مباشرتها .

والقرآن لا يصرح بالسناد أمر الى « الشيطان » — وهو من فعل الانسان فى الواقع ، عندما ينحرف ويتبع نفسه الامارة بالسوء — الا لأن هذا الأمر بالغ الأثر السيء على المجتمع والأمة من جهة ، والا لأنه لا يأتى به فرد من الافراد الا اذا تمكنت فيه روح الانانية فأعمته عن كل ما سوى ذاته فى مجتمعه وأمته من جهة أخرى ، فاذا نسب القرآن الى الشيطان ، عدا هذه الجرائم ، تشكيك أصحاب الاموال فى اداء وظيفة المال وتحقيق منفعته العامة ، على نحو ما تذكر هذه الآية : **« الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء »** (٦) .

... فهو ينسب اليه كذلك ايذاء كبيرا يهدد المجتمع والأمة بحرب الحقد والضياع — بجانب تلك الجرائم الاجتماعية — ، وهو الايذاء الناشىء عن حجب الانفاق فى سبيل المصلحة العامة ، وراء الزكاة .

وحجب الانفاق فى سبيل الله والمصلحة العامة ، اوعدم اداء المنفعة العامة للمال ، فى آثاره السلبية على المجتمع والأمة يشكل عاملا قويا فى التعويض لا يقل شأنا وخطورة عن شيوع تلك الجرائم الاجتماعية فى جوانب العرض ، والمال ، والنفس ، ومدى فاعليتها فى التعجيل بفناء المجتمع وضعف الأمة .

وبجانب التنبيه على خطورة هذه الجرائم واشراك الشيطان فى وقوعها يطلب القرآن تكرار الدعوة الى تجنبها وأن يناط أمر هذه الدعوة الى مجموعة من الافراد المؤمنين لا تنى ولا تتباطأ لحظة فى شأنها حتى يكون المؤمنون جميعا وهم أفراد المجتمع — على بينة فى كل وقت من اخطارها :

« ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » (٧) .

... واذا لم تذكر هذه الآية — بجانب الحث على فعل الخير ومباشرة المعروف فى القول والعمل — سوى النهى عن « المنكر » دون أن تذكر « الفحشاء » معه ، فان الزنا وهو فاحشة منكر كذلك ، ولكنه منكر بغيض ، ولذا أخذ وحده الوصف بالفحشاء .

والنهى اذن عن « المنكر » فى هذه الآية هو نهى عن الجرائم الاجتماعية الثلاث : الزنا ، والسرقة ، والقتل .

---

(٦) البقرة ٢٦٨ .

(٧) آل عمران ١٠٤ .

واهتمام القرآن بوجود مجموعة من المؤمنين تناط بها الدعوة الى الخير ، والأمر بالمعروف ، وتجنب المنكر وان كان اهتماما برسالة الاسلام فى جملتها الا أن تخصيص « المنكر » بالنهى عنه فى مجمل الدعوة الى الرسالة يثير عناية خاصة بأمر هذه الجرائم الاجتماعية .

ومع هذين النوعين من المسالك التى يسلكها القرآن تجاه تلك الجرائم فانه قد حدد بصفة قاطعة عقوبات لها لا تتبدل ولا تتغير ، بتغير العهد والزمان مما يدل على ان الموقف تجاهها يجب أن يكون موقفا حاسما لا يقبل الاجتهاد والرأى ، محافظة على حرمات الافراد ، وصونا للعلاقات بينهم من الضعف أو التحلل :

أ — فبعد النهى عن جريمة الزنا فى قوله : **« ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا » .. حدد العقوبة لمن يرتكب جريمته فى قوله : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله أن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » .**

... والقرآن فى تحديد العقوبة هنا على هذه الجريمة يتجه فى تنفيذها الى المؤمنين جميعا : عندما يخاطبهم فيقول : **« فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » .**

واخيرا عندما يناشدهم عدم الرأفة فى تنفيذ العقوبة ، لأن ذلك أمر يخص دين الله ، فيما تعبر عنه الآية : **« ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله أن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » .**

ولا شك أن الاتجاه بمطلوب هذه العقوبة الى المؤمنين — دون الحاكم وحده — يؤكد أن الاعتداء على العرض ، أو جريمة الزنا ، هى جريمة ترتبط بالمجتمع ككل ، وأن خطورتها ليست وقفا على بعض دون بعض فيه .

ونوعية العقوبة بأنها « الجلد » وكميتها بأنها مائة جلدة ، وعلانيتها على مشهد من المؤمنين ، وان اتسم كل ذلك بالشدة وعدم الرأفة فلأن جريمة انتهاك العرض هي عامل فاضح لانسانية الانسان ونزول بالانسان الى مستوى الحيوان نفسه . فما يترتب على الزنا من :

فضح العورة — والعورة آخر ما يمسك الانسان على ستره الا فى علاقة مشروعة ، ومن التهرب من المسئولية عما قد ينشأ من طفولة غير شرعية ، أو يتسبب من مرض لو تفشى امره لحطم قوة المجتمع المادية والمعنوية .. بعيد كل البعد عن الانسانية فيما يصيب الأمة من كوارث .

ان الفارق بين عالم الحيوان ومجتمع الانسان ليس فى النسل ولا فى مباشرة الغريزة الجنسية ، فكلاهما ينسل ويباشر الغريزة الجنسية ، وانما فى المسئولية عن النسل ومباشرة الغريزة وعدم المسئولية عنهما .

فعالم الحيوان لا يعرف مسئولية فى النسل ولا فى مباشرة الغريزة الجنسية ، بينما مجتمع الانسان فى قيادته ، وفى تحديد العلاقات بين أفراده يرعى المسئولية الفردية والمسئولية الجماعية معا .

ومعنى المسئولية فى دائرة العلاقة الجنسية فى المجتمع البشرى هى تحمل النتائج التى تترتب على هذه العلاقة . ولن تتم المسئولية ويتم تحمل

---

(٨) الاسراء ٣٢ .

(٩) النور ٢ .

نتائجها باباحة الزنا أو بتقليل نظرة الخطر اليه ، أو فى التحايل على قبولـــه فى صورة من الصور التى تروج الآن :

كصورة « الزواج الجماعى » أو صورة « تبادل الزوجات والرفيقات » ، فمهما كانت صورته فهو زنا فى حقيقته ، وهو بالتالى جريمة اجتماعية أن أخذ فى الاعتبار : ان المجتمع مجتمع انسانى ويراد له أن يحقق الاهداف الانسانية فى بقائه .

ب ــ ويحدد القرآن ايضا عقوبة السرقة ــ وهى جريمة المال ــ فيمــا تذكره هذه الآية :

« والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » (١٠) .

... يحدد القرآن هذه العقوبة بقطع يد السارق . وهو تحديد ينطوى على عنف وقسوة أيضا ، وقد استهدف من العقوبة على هذا النحو « التنكيل » بمن يرتكب هذه الجريمة،فوق جزائه عليها : **« جزاء بما كسبا نكالا من الله »** .
وذلك لأن سرقة المال ليست اعتداء على نشاط الساعى فى تحصيله فقط ولا اعتداء على تحقيق منفعة المال العامة بانفاقه فى مصارف الترابط بين افراد المجتمع فحسب ، ولكنها قبل هذا وذاك تعد امتهانا لكرامة السارق نفسه فى انسانيته ، وهى كرامة الانسان الذى يجب أن يسعى بنفسه فى تحصيل فضل الله ورزقه ، وفق نشاطه الخاص فى السعى والتحصيل .

اذ السارق ليس من الفقراء أو المساكين ــ أى ليس بعاجز عن السعى أصلا ، وليس كذلك من يقصر دخله من سعيه عن تغطية احتياجاته لنفسه وفى أسرته ــ فله طاقة على السعى ، وبمباشرته السرقـــة يعطلها عن العمـــل ، ويصبح من جانب يشبه صاحب الربا الذى يحول بماله دون تسخير طاقتـــه فى سبيل الكسب وتحصيل الرزق .

والسارق ــ فى نظر الاسلام ــ ليس من الفقراء والمساكين ، لأن الفقير والمسكين يجب أن تغطى حاجة معيشتهما من الزكاة ، وانفاق المال وراءها بما يجب فى أموال الموسرين ، حسب ما جاء فى القرآن الكريم .
وحصيلة الاموال التى تجبى من الزكاة ، أو تؤخذ من الموسرين ، يشرف عليها ما يسمى فى عرف الفقهاء بـ **« بيت المال »** ، وهو الخزينة العامة للدولة فى نظام الحكم المعاصر .

ومعنى هذا : ان اثم السرقة ان باشرها فقير أو مســكين يقع أولا على المؤمنين ــ وفى مقدمتهم ولى الأمر فيهم ــ وبالتالى يسقط حدها على السارق وهو قطع اليد ، لأنه يجب أن يتكفل المؤمنون بحاجة كل منهما قبل تنفيذ حـــد السرقة ،وعندئذ تكون السرقة ــ ان وقعت ــ جريمة اجتماعية ، وتعد اعتداء على مالك المال والمجتمع معا .
أما على مالك المال فانها تعويق لسعيه ، وأما على المجتمع فلأنها تحول دون تحقيق المنفعة العامة لوظيفة المال ، كما يراها الاسلام .

---

(١٠) المائـدة ٣٨ .

والتنكيل اذن بالسارق — عن طريق قطع يده — لا ينطوى على مجافاة لما يسمى بالحضارة الانسانية ، طالما هذه الحضارة تقوم على القيم العليا فى حياة الانسان . اذن القيم العليا التى يجب أن تتحقق فى حياة الانسان :

حرمة المال :

وحرمة العمل والسعى :

وحرمة التكافل :

والسرقة جريمة ضد هذه الحرمات الثلاث .

والمجتمع الذى يرى فى قطع يد السارقة همجية هو مجتمع أنانى لا يكفل للعاجز عن التكسب معيشته فى الحياة ، ولا يضمن لمن يقصر نشاطه فى السعى والعمل عن الوفاء بحاجته وما يؤدى هذه الحاجة ، وعندئذ تكون السرقة وسيلة للكفاف والوفاء بحاجة المعيشة ، وليس اعتداء على حرمات المال والعمل والتكافل .

جـ — وبعد أن ينهى القرآن الكريم عن « القتل » فى قوله تعالى : **« ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق » (١١)** — وهو نهى هنا مضاعف أو مؤكد أولا بتحريم قتل النفس ، وثانيا بالنهى عن مباشرة قتلها : **« ولا تقتلوا النفس التى حرم الله »** — يحدد عقوبة القتل فيما جاء فى قوله : **« يا أيها الذين آمنوا ! كتب عليكم القصاص فى القتلى : الحر بالحر والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » (١٢) .**

... وهذه العقوبة هى : القصاص « أى الأخذ بالمثل فى الاعتداء » وقد وضح القصاص ما يذكر فى قوله : **« الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى » .**

ويرى أن القصاص فى القتلى بقتل المعتدى القاتل — وان كان فى ظاهره أنه اعدام نفس أخرى غير التى قتلت بالفعل ، — ينطوى على « حياة » فى واقع الأمر ، وهى حياة المجتمع فى صيانته من التمادى فى جريمة القتل مستقبلا : **« ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .**

وهنا اذ ترى بعض المجتمعات المعاصرة عدم الأخذ بـ « القصاص » فى القتل ، توفيرا لنفس انسانية من الموت — وهى نفس الفردالقاتل — فانها اذ تبقىعلى حياة فرد تهدد حياة أفراد كثيرين آخرين فى المجتمع ، وهم الذين يتعرضون لجريمة القتل من تلك النفوس التى لا يردعها سوى القصاص فى القتلى .

والمجتمعات المعاصرة — وهى تنظر الى هذه الجرائم الثلاث — الزنا — السرقة — والقتل ، على أنها جرائم شخصية وليست اجتماعية ، ومن ثم — تحدد عقوبات أخرى هى أهون بكثير من : الجلد فى الزنا ، وقطع اليد فى السرقة ، والقصاص فى القتلى — وبما تنطوى نظرتها هذه على ما يساعد تفشى هذه الجرائم فى مجتمعاتها ، بالاضافة الى العوامل الأخرى ، وهى عوامل اقتصادية ، تتردد بين سوء التوزيع للعمل أو الثروة القومية ، وخروج المرأة ومشاركتها فى مجالات العمل المختلفة .

---

(١١) الاسراء ٣٣ .

(١٢) البقرة ١٧٩ .

وازاء نهى الاسلام المشدد عن اقتراف هذه الجرائم الاجتماعية ، ودعوته الى قيام مجموعة من المؤمنين بالتذكير المستمر للابتعاد عنها ، وبالوقوف فى تحديد العقوبات عندها وحدها ... لا يرى المؤمن الا ذلك الذي يتجنب بالفعل كبائر الاثم والفواحش : « **والذين يجتنبون كبائر الاثـم والفواحش واذا مـا غضبوا هم يغفرون** » .. فيما يقصه القرآن الكريم من صفات المؤمنين ، التي تكون حقيقة ايمانهم ، وكذلك فيما يقصه من صفات عباد الرحمن فى قولـه : « **والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما** » (١٣) . ومضمون ما فى الآيتين واحد ، وهو عدم اقتراف الجرائم الاجتماعية .

ويكاد يكون عدم اقتراف هذه الجرائم الاجتماعية فى نظر القرآن ـــ بالاضافة الى تجنب تلك الجريمة فى العقيدة والايمان ، وهى جريمة الشرك بالله ـــ يحدد مضمون الرسالة الالهية ، وما يطلب من الانسان كانسان فى سلوكه ومواقفه ، كما يكاد يكون عنوانا على الهدف الأخير المنشود فى حياة الناس من « الروحية » وعدم اتباع « المادية » فى شططها وانحرافاتها .

وفيما ينصح به القرآن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمبايعة النساء اللاتي وفدن اليه عندما تضمنت عدم اقترافهن هذه الجرائم الاجتماعية والعقيدية على السواء فى قوله تعالى :

« **يا أيها النبى ! اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلـن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينـه بين أيديهن وارجلهن ، ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفـور رحيـم** » (١٤) .

... دليل اكيد على الاهمية التى يوليها لسلامة الايمان وسلامة المجتمع فى الابتعاد عن جريمة « الشرك » والجرائم الاجتماعية الأخرى الثلاث ، فتكاد تكون المبايعة مقصورة على العهد بعدم اقترافها ، بالاضافة الى عدم معصيـة المعروف .

والأمر نفسه فيما يطلب القرآن على لسان رسول الله صلى الله عليـه وسلم من المعارضين لرسالته والمجادلين فيها ، فهو يتلو عليهـم المحرمات من الجرائم العقيدية والاجتماعية ، حتى اذا اتبعوها لم يكن هناك خلاف بينهم وبين المؤمنين قبلهم :

« **قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركـوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفـواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن حتى يبلغ أشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهـد الله اوفوا ذلك وصاكـم به لعلكم تذكـرون . وان هذا صراطى**

---

(١٣) الفرقان ٦٨ .
(١٤) الممتحنة ١٢ .

مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » (١٥).

... فمضمون ما وصى به الله هنا مما يصور الصراط المستقيم هو الابتعاد « عن جريمة الاعتقاد ، وهى الشرك ، وجرائم : العرض والمال ، والنفس ، فجريمة الاعتقاد فيما ينهى عنه بقوله : « **ان لا تشركوا به شيئا** » . وجريمة العرض فيما يذكره فى قوله : « **ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن . وجريمة المال فيما يعبر عنه بقوله : « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان** » فان الأخذ من مال اليتيم بغير حق سرقة للمال، وبخس الكيل والميزان سرقة للمال أيضا ، أما جريمة النفس فقد عبر عنها — مرة فى صورة كانت شائعة — فى قوله : **ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم** » واخرى فى صورة عامة فى قوله : « **ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق** » .

واتباع « العدل » فيما يوصى به القرآن هنا بعد ذلك يكاد يكون تعبيرا عن الواقع الذى يعيش فيه من يتجنب تلك الجرائم الأربع ، جريمة الشرك والجرائم الاجتماعية الثلاث الأخرى ، فالذى يتجنب الاعتداء على « وحدة الالوهية » وعلى حرمات العرض والمال والنفس يسلك طريق الاستفادة ، والاستقامة عدل وتوازن ، لا انحراف فيها أصلا .

وحماية المجتمع الانسانى من هذه الجرائم هو حماية له من السقوط والتدهور فى مجال الانسانية نفسها وفى مجال العلاقات بين الافراد ، ومن يعنى بتقدم المجتمع فى ضروب الصناعة ، وفى مستوى المعيشة ، وفى توفير الامكانيات المادية للحياة ، ويترك هذه الجرائم تأخذ طريقها الىالنفوس ثم الى واقع الحياة انما يساعد على السقوط والتدهور فى المجالين معا : مجال الانسانية ومجال العلاقات المتبادلة بين الافراد ، ورخاء بعض المجتمعات البشرية اليوم (فى اسكندنيافيا) بسبب التقدم الصناعى وتوفر الامكانيات المادية جعل منها نموذجا للانحلال وما يعبر عنه « بثورة الجنس » وفوضى الرأى .

د — اما جريمة العقيدة ، وهى الشرك بالله ، فقد صورها القرآن الكريم مرة : بأنها ضلال بعيد : « **ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا** » (١٦) . واخرى : بأنها افتراء عظيم : « **ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما** » (١٧) فالمشرك بالله حقيقة ضال فى طريقه ، ومفتر فيما يدعيه :

هو ضال فى طريقه لأن سلوك طريق الشرك يوصل حتما الى حتف الذات أو الى بيعها فى سوق الهوى والشهوات ، فهو فى عيشته ، ذليل ، ومستعبد ، ولا يستطيع التحرر ومباشرة حريته الانسانية ، ومذلته وعبوديته لهواه تجعل منه منافقا وجبانا .

وهو كذلك فقير فيما يدعيه ، لانه لم يستوعب بعد فى معرفة حقيقة الكون واشراكه بالله عندئذ هو ادعاء بما يسير حركة هذا الكون ويديره ، والانسان

---

(١٥) الانعام ١٥١ — ١٥٣ .
(١٦) النساء ١١٦ .
(١٧) النساء ٤٨ .

فى تحديده ومحدوديته لا يستطيع الخروج من دائرته الى دائرة عليا يدعى فيها فى ثقة ويقين وقوفه على حقائق الوجود فى كنهها ، وفى ترابطها ، ولذا : الحديث عن الشرك بالله وعن وجود شركاء فى الكون معه هو حديث يقوم على الافتراء ، ويرتكب قائله اثما عظيما لأنه بقوله يظلم نفسه ويظلم من هو الكامل فى الوجود وحده معه .

كما يعلنها القرآن الكريم ــ حربا لا هوادة فيها ضد المشركين ولا يستبيح فيها دماءهم فحسب ، وانما يطلب استئصالهم اينما وجدوا ، ويؤكد للمؤمنين ان الله معهم فى قتالهم للمشركين ومطاردتهم اياهم : **« وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين »** .

وفيما يقرره فى قوله : **« ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »** (١٨) من عدم المغفرة للمشرك ما يرتكبه من جريمة فى حق « وحدة الالوهية » ... يوحى بأن هذه الجريمة على رأس الجرائم الأربع ، وربما تكون كذلك هى الأصل والمصدر لها ، فما من جريمة اجتماعية الا وتدفع اليها « المادية » وهى الغلو فى تحصيل المتع الدنيوية ، والمادية مظهر انكار الألوهية والايمان بما عدا الله سبحانه وتعالى ، والشرك بالله لا يقل فى آثاره ضررا على الانسان المشرك من انكار الألوهية ، فقوله : ان الشرك بالله ينطوى على الايمان بما عدا الله ، ينطوى أيضا على انكار خصائص الله وصفاته ، التى فى مقدمتها « الوحدة » فى الذات .



---

(١٨) النساء ٤٨ .

من هدي السنة

هذا بصائر من ربكم

للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ـ الكويت

روى البخارى بسنده المتصل عن ابى سعيد الخدرى قال ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » (١) .

١ ـ مر بى ذات صباح سيد مرموق من سادات القوم عمر الايمان قلبه ، وملك عليه لبه ، وصار ديدنه وهجيراه راعه اضطراب الافكار وكثرة الفتن ، عقائر ترتفع هنا وهناك وضروب من الناس كانوا فى خباء توجب طبيعة نشأتهم ونوع ثقافتهم أن لا يقام لهم وزن ، ولا يلقى اليهم بال ، فلا سابقة لهم فى جلادولا ماضى فى نضال قد رفعوا عن وجوههم القناع وسفروا بكفر صراح وسودوا صحائف تنكر بارىء النسم وتعنون سلوكها علما وتقيمه حكمة وتبرزه ثقافة وتقدمه رشدا تريد أن تكون « براقش » وتأبى أن يذكرها التاريخ « زرقاء » وما درت ، والمراهق لا يدرى وانما يساق ـ انها تتخبط فى غواية وعماية وتسلك بيداء مجهل وتقاد الى ظلمات ما بعدها ظلمات . خشى صاحبى أن يصيبه بلاء يعم وشر يسود فعاج الى الكلم الطيب يستنبئه باحثا عن مقر أمين به يلوذ وفيه يبقى على ما ضمت جوانحه من ايمان ، ووجد ما كان يبغى بعد أن لقى من سفره هذا نصبا (٢) فاشترى غنيمات وبعثها الى شعاف الجبال يلحق بها اذا دعا الداعى وأهاب المنادى ، ووقع القول وكان لا بد مما ليس منه بد .

جرى الحديث يستعرض العلل والادواء فما وجدنا غير الاسلام ملاذا ولا فى سواه حماية فهو دين الله رضى المارقون أو كرهوا ، ورحمته الى عباده ، ورسوله مصطفاه وخاتم أنبيائه وأشار أن يكون الحديث عن هداه وعقائده وعن رب كل شىء ووجوده ، ولعل حيرة أن تزول وعقلا يستجيب وكوكبا يضىء للمدلجين الحيارى .

وهنا سمعنا هتافا من أعماق قلوب مؤمنة أيها السيد : ان الاسلام لايطاول وان بناءه مشيد لا ينال وان أمره لمستقر لا يضيع فمن أنزل كتابه حفظه ، وهو من هو له قدرة المحيى المميت الذى « أهلك عادا الاولى . وثمود فما أبقى . وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى . والمؤتفكة أهوى فغشاها ماغشى ، فبأى آلاء ربك تتمارى » .

وأن لله رجالا امتشقوا حسام العقل وتسنموا غارب الحقيقة يدافعون عن العقيدة ، هم كالسيل المتتابع يمرون مع حقب الزمان فيحيون الموات وسيبعثون الطمأنينة الى القلوب ومع ضوئهم سيتوارى خفاش ، ويأرز الى

جحره سام ، واذا تخطفوا فســيخلفهم من هو أشد منهم صرامة وأقوى علمــا وأوسع معرفة ، وهكذا شأنهم مع الايام حتى يأتى أمر الله ، وحينذاك يقبض العلم كما شاء الله له أن يولد ، وتكون الحاقة والواقعة ولن ينجم ذلك قريبا ، فقر عينا واهنأ بالا وسبح اسم ربك الاعلى ـــ انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون . تلك فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم .

٢ ـــ الاسلام هو الدين الذى ارتضـاه الله لخلقه ووصى به أنبيـاءه ورسله (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيـه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب) (٣) . ومعناه افراد الله بالالوهية وكل خصائصها والاستسلام لمشيئته والرضا بالتحاكم الى شريعته ، وهو الذى ارتضاه لعباده لا أى دين سواه (ومن يبتغ غير الاســلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) .

وقضايا الاسلام لها جانبان :

جانب « نظرى » فى حاجة الى بحث واستدلال واعمال فكر ونظر ، وهو الاصل الذى لا تقوم الشريعة الا بعد ثبوته ، ولا ترسو قواعدها الا به ، ولهذا دأب العلماء المتصدون لأمور الدين الاسلامى على تسمية تلك المباحث بأصول الدين تارة والعقيدة تارة أخرى ، وبعد التسليم المبنى على البراهين القطعية بوجود واجب الوجود وحصول القناعة الكافية يجىء دور الجانب « العملى » وهو دور الشريعة الشاملة للعبادات والمعاملات والجهاد والسير « وافضل اصناف الاركان الدينية هى الواقعة تحت جنس الاعتقادات فانها معدودة من حيز العلم والاصناف الاخرى معدودة من حيز العمل ، وليس يشك أن نسبة العلم الى العمل مضاهية لنسبة العلة الى المعلول أو لنسبة البدء الى التمام ، والشىء متى فسدت علته واختل بدؤه لم يلحقه الصلاح أبدا ، والشىء اذا بطل تمامه فقد لحق الخلل بداه لا محالة ، فالاعتقــادات هى التى تبذل لهــا المهج والارواح ولأجلها تحتمل المحن والمشاق حتى أن الرجل قد يكون موسوما بطهارة الاخلاق وبالعفة والسداد ولا يلتفت الى فضائله اذا كان مدخول العقيدة ، بل تنفى عنه صفة العدالة . وينزل منزلة الفجار فى الشهادة ومنزلة الاغراب فى الميراث ومنزلة السفل فى المناكح (٤) » .

والعقيدة فى معناها العام بصرف النظر عن كونها دينية أو سياسية أو مذهبية خاصة مستندة الى حقيقة أو وهم أو الى خرافة ـــ تطلق على التصديق الناشىء عن ادراك شعورى أو لا شعورى يقهر صاحبه على الاذعان لقضية ما من غير برهان ، فلا فعالية للعقول فى تكوين مثل هذا الاعتقاد غالبا وان طلبت له البراهين المؤيدة بعد استقراره وتكوينه ، والمعنى اللغوى قريب من هذا ومؤيد له فاستعراض مفهوم كلمة (عقد واعتقد) فى قواميس اللغة (٥) نخلص منه الى التعريف الآتى :

العقيدة (ما انعقد عليه القلب وتمسك به وتعذر تحويله عنه لا فرق فى ذلك بين ما كان راجعا الى تقليد أو وهم وما كان راجعا الى دليل عقلى (٦) .

وقد جرى القول عند علماء الكلام على أن العقيدة بمعناها الاصطلاحى

تقابل العلم والمعرفة وتواكب الايمان ، فالاعتقـــاد عندهم هو الادراك الجازم المطابق للواقع الناشيء عن دليل وقيد الجازم هنا ينفى الظن (٧) والوهم (٨) والشك (٩) فلا تقوم بواحدة منها عقيدة ، ومطابقة الواقع على مقتضى قواعد الاسلام يبعد اعتقادات اخرى كالتثليث (١٠) واعتقاد امتياز أمة على غيرها (١١) واما القيد الاخير فوضعوه احترازا عن التقليد وان نازع فيه بعضهم مستدلا بما وقع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث آمن الكثيرون وحسن اسلامهم دون ان يطلبوا او يطلب منهم دليل ، بل ان السابقين الاولين قد آمنوا بعد أن ارتضوا خلق رسول الله وسلوكه ومعاملاتـــه قبل الرســـالة وبعدها ، ولم يؤثر عن واحد منهم طلب دليل كالادلة التى يقيمها المتكلمون ، وقد يكون هذا راجعا الى سلامة فطرهم وبعدهم عن التعقيدات الفكرية التى نشأت فى عصور متأخرة وفشت بعد اندماج المسلمين من العرب مع الامم الاخرى التى حملوا اليها الاسلام وكان لها فى الوقت نفسه ماض حضارى يحمل طابعا خاصـــا ، ولهذا لو قيل انه لابد من الدليل لتركيز العقيدة الاسلامية لكان الجواب انه حق وضع أسسه القرآن الكريم حين دعا الى النظر السهل الميسور حتى للعـــامة ليصلوا منه الى معرفة الله ، وهو المأثور عنهم (البعرة تدل على البعير ، واثر السير يدل على المسير) ، فنحا بهم القرآن هذا النحو السهل من الأدلة فى مثل قوله تعالى (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الارض كيف سطحت) ومع هذا فقد دعا أيضا الى التعمق فى النظر والفكر ، والاصالة فى استنباط الادلة بطرق علمية وخبرة ذاتية ودراية واعية فأهاب بالناس ان ينظروا فى الكون ومنشئه وما يحويه من موجودات مبتدئا بالانسان نفســـه (وفى أنفسكم افلا تبصرون) وهو بهذا يضع القاعدة الاساسية للانطلاق الفكرى فاتحا المجال للباحثين تاركا دقة التفصيلات للانسان يصل الى اسرارها بجهده العقلى وسلاحه العلمى فى مختلف العصور الصاعدة بدون انقطاع . ومهما نقب الانسان عن خفايا الكون فلا بد له ان يدخل فى نطاق الآية الكريمة (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) وقلة ما أوتى الانسان من العلم يكشف عنه ويؤيده بوضوح حال من سبقونا ومقارنته بما نحن عليه الآن فلو حدث الناس منذ سنين بأن انسانا استطاع المشى على القمر لقالوا — ان محدثكم به مس من الشيطان ، وسيصل من بعدنا الى ابعد من ذلك ما دامت العقول تعمل ولا تتوقف وستقف مكتشفات اليوم الى جانب ما يحمله الغد موقف القزم الى جوار العملاق ، فمع كل صباح جديد كشف علمى فريد وعلم الله لا يتناهى (ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) .

وموقف الاسلام هذا كان فارقا أساسيا بينه وبين ما عرف عن أديان أخرى تحجب المعرفة عن العقل وتقيده ولو وصل الى نتيجة لا تؤيده **وارى ان التقليد كاف لحصول العقيدة الدينية مبدئيا فان قدر المقلد على تأييد ما اعتقده وتوكيده بالدليل ، ثم قصر فى تحقيق ذلك فهو آثم شرعا ، والا كعوام المسلمين ومن على شاكلتهم فايمانهم صحيـــح وتقليـــدهم كاف دون اثـــم (لا يكلف الله نفســـا الا وسعها) وهكذا كان مسلك رســـول الله صلى الله عليه وســـلم مع من دعاهم الى الاسلام ، وعليه درج الراشدون من خلفائه رضى الله عنهم .**

وبعد .. فان العقيدة الاسلامية تمتـــاز بصفائها وبعدها عن التعقيـــد وملاءمتها للفطرة السليمة (فطرة الله التى فطر الناس عليها) كما ان لهـــا

خصائص مميزة فى التوجيه والتربية العامة والخاصة ومن اليسير استخلاص ذلك من مدلول « كلمة التوحيد » التى جعلها الله مفتاحا للدخول فى الاسلام كدين .

ففى المقطع الاول منها (لا اله الا الله) .

١ ـــ تحرير من العبودية لغير الله الواحد ومنع من الانقياد الى اية قوة مخلوقة فكل العالم بما فيه خاضع لنظر الانسان ومسخر له (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه) وهو محل بحثه ودراساته فمهما خفيت عليه الاسرار فهو مكلف بكشفها والوصول الى اعماقها ليستخدمها فيما يرقى به ويطور معيشته الى الافضل (قل انظروا ماذا فى السموات والارض) فلا يوجد فى تعاليم الاسلام الصحية ، ولا فى مصادره المؤكدة الثبوت ما يعوق أو يحول أو يقف ضد أى باحث أو دارس مهما تنوع بحثه وتشعبت دراسته بل القرآن يؤكد ان نهاية مطاف المفكرين الهادفين الوصول الى معرفة الله الواحد معرفة حقيقية تتبين لهم فى احكام الصنع ودقة التكوين من آثار قدرة الله وابداعه (الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) .

ومع هذا فليس لاى كائن تقع عليه الحواس أو لا تقع سلطان يؤهله لان يعبد من دون الله وهذا هو الحق الذى سيوصل اليه يوما ما (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) وفى الآية الكريمة الماع الى ان الوصول الى اسرار الكون غير الانسان أيسر من معرفة خفايا النفس البشرية ويبرز هذا المعنى فى تقديم الآفاق على الانفس .

يقول الكسيس كاريل فى كتابه الانسان ذلك المجهول : لقد بذل الجنس البشرى مجهودا جبارا لكى يعرف نفسه ولكن بالرغم من اننا نملك كنزا من الملاحظات التى كدسها العلماء والفلاسفة والشعراء وكبار الروحانيين فى جميع الازمان فاننا استطعنا ان نفهم جوانب معينة فقط من انفسنا . اننا لا نفهم الانسان ككل اننا نعرفه على أنه مكون من اجزاء مختلفة وحتى هذه الاجزاء ابتدعتها وسائلنا فكل واحد منا يكون من موكب من الأشباح تسير فى وسطها حقيقة مجهولة وواقع الأمر ان جهلنا بأنفسنا شبه تام فكثيرا من الاسئلة التى يلقيها وارثو الجنس البشرى تظل بلا جواب لان هناك مناطق غير محدودة فى دنيانا الباطنة ما زالت غير معروفة لنا تماما حتى الآن . . ومن الواضح ان جميع ما حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الانسان مازال غير كاف وان معرفتنا بأنفسنا ما زالت بدائية ،، (١١) .

٢ ـــ فى هذا المقطع أيضا تحرير من العبودية لغير الله من الخضوع لأى كائن سواه والخروج عن طاعة من انحرف عن الجادة المفارق لدينه البعيد عن تطبيق أحكامه ، ولئن وجد الاحكام الاسلامية ظل للرق فذلك لاذابته والقضاء عليه لا لتثبيته وسيجد الفاحص المنصف ذلك واضحا جليا فى ايات القران الكريم والسنة والتشريع واعمال الراشدين .

٣ ــ فتحت آفاق البحث والا ستطلاع وافسحت مجال الرؤية للكون وما فيه من آثار قدرة الواحد الواجب الوجود والكون كتاب مفتوح لمن قدر على حل طلاسمه وفك الغازه . وأمكنه وضع الحلول لمعمياته واستجلاء خفاياه ، وما كل ذى بصر بصير (وكأى من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) وقد جاء ختام آيات كثيرة فى القرآن الكريم حاثا على الفهم والفقه والعلم (ان فى ذلك الآيات لقوم .. يعقلون .. يفقهون .. يسمعون .. يتدبرون .. الخ) **وأما المقطع الثانى** : (محمد رسول الله) فانه يوجه التفكير الى النظر فى مهمة الرسول والرسل جميعا بالقياس اليه ، فما جاءوا به كله من عند الله تعالى ولا شىء لهم « عليهم السلام » الا التبليغ فقط ، ووظيفتهم منحة وهبة من العلى الكبير ، وشأنهم ايصال ما كلفوا بايصاله الى البشر ، وعدم الخلط بين الوحى وبين أى فكر بشرى ، وواضح أن الهداية وشرح الصدور لقبول الدعوة أمر خارج عن مهمة الرسل (ياأيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) .. (انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) .

ومادام الايمان بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حاصلا فقد وجب أن يتلقى كل ما جاء به بالقبول والاذعان ، ولترد الامور كلها الى حكم الله وحكمه (فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول) لأن (من يطع الرسول فقد أطاع الله)

والايمان بالرسول من أسس العقيدة الاسلامية ، وهو مستلزم للايمان بما بلغوه عن ربهم ، ومن معطياتهم **العقيدة** وهى الاصل **والشريعة** وهى المنهج والتطبيق ، وهذا هو العلم والعمل ...

والحديث موصول ان شاء الله تعالى

---

(١) مفردات لغوية . يوشك : يقرب . شعف الجبال : جمع شعفه وهى رؤوس الجبال . مواقع السقط : بواطن الاودية وخصها بالذكر لانها مكان الراعى . يفر بدينه : أى بسبب دينه ليخلص له دينه .

(٢) سفر الروح وعناؤها وكم من مقيم وهو باد ورائح وهو غاد .

(٣) سورة الشورى الآية ١٣ .

(٤) ص ١٢٥ من كتاب الاعلام بمناقب الاسلام لأبى الحسن محمد بن يوسف العامرى المتوفى سنة ٣٨١ هـ (٩٩٢) م تحقيق الدكتور أحمد عبد الحميد غراب طبع سنة ١٩٦٧ بالقاهرة .

(٥) وفى المصباح المنير اعتقدت كذا عقدت عليه القلب والضمير حتى قيل العقيدة ما يؤمن الانسان به .

(٦) محاضرات فى التوحيد للعلامة الشيخ على حسب الله ص ١١ طبع القاهرة سنة ١٩٥٢ .

(٧) وهو ادراك الطرف الراجح .

(٨) وهو ادراك الطرف المرجوح .

(٩) وهو ادراك الطرفين على السواء .

(١٠) يراجع فى هذا اظهار الحق لرحمة الله الهندى ، والجواب الصحيح لابن تيمية .

(١١) يشير الى قول اليهود « نحن أبناء الله وأحباؤه » .

(١٢) الكسيس كاريل فى كتابه « الانسان ذلك المجهول » ترجمة السيد شفيق أسعد فريد .



للأستاذ حسن فتح الباب

هنـــاك فـوق قمـة الضـــياء فـى حـدائق الأفـــق
والشـمس تنســج المـــروج بالجـنى والشـعب ينطلـــق
تأملـــوا الأبطـــال ، هــذه دماؤهـم علـــى الشفـــق
تقبـــل الوديـــان ، والحيـــاة بالفـــداء تنبثـــق

★ ★ ★

ولنـــرفع الجبـــين عاليـــا فانهـــم يشاهـــدون
الوية النصـــر تـرف حـرة علـــى حمـــى العريـــن
ولنفرش الطريـــق بالزهـــور للآبـــاء والبنـــين
تحيـــة للخالديـــن مـــن طـلائـــع المناضلـــين

★ ★ ★

هيـا الـــى الـوادى الأمـــين يـا رفـاق نجتنى الســلام
ونجتلـــى انـوار مـــن اردوا هنـا جحافـل الظـــلام

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون

« قرآن كريم »

ارواحهم تسرى بنا فى موكب الحياة للأمام
جراحهم تشع فى صدورنا الفخار كالوسام

★ ★ ★

لا تخفق الشفاه بالوداع ، انهم سيرجعون
سيرجعون فى الربيع ناضرا على مدى السنين
سيرجعون والحصاد فى الربى والطير فى الغصون
سيرجعون بسمة على الثغور قرة العيون

★ ★ ★

المجد للشعب العريق يفتدى بروحه حماه
للبعث جيلا بعد جيل يقهر الخوان والطغاه
للفارسين بالدماء دوحة السلام والحياه
للعائدين يشهدون مجدهم ، فلترفع الجباه

ماهي

(كيف تواجه ثقافتنا الإسلامية : حضارة الغرب وثقافته)

أشرنا اشارة موجزة — من قبل — الى المشكلة الرئيسية التى يعانى منها المسلمون اليوم . وهى أنهم لم يحاولوا حتى الآن ، تحديد معالم شخصيتهم الاسلامية ، وأن ذلك هو علة ضياعهم فى معترك السياسة الدولية ، وسبب تخلفهم اجتماعيا واقتصاديا ، وسياسيا ..

فالى جانب هذه المشكلة أو المأساة الخطيرة التى يعيشها المسلمون اليوم — يعيشون أيضا صراعا خطيرا عنيفا مع حضارة الغرب وثقافته ، وتقدمه العلمى ، وتفوقه المادى المتميز بالحركة والنشاط ، والمزخرف بألوان جذابة من الوسائل والمثل والقيم الحديثة ، التى هى نتاج ثقافته الخاصة .

ان المسلمين اليوم — وقد أضاعوا شخصيتهم الاسلامية المتازة بقيمها ومثلها وثقافتها الخاصة يواجهون الثقافة الغربية التى تشن ، كما يقول الدكتور (عبد الكريم عثمان) (١) حربا ضروسا على الفكر الاسلامى ، لأنها — أى الثقافة الغربية الحديثة كانت أثرا من آثار النزاع المسلح بين العلم ورجال الدين المسيحى ، الذين تحكموا فى مصائر الناس وحجروا على الحرية والعلم والكرامة الانسانية . ومن هنا نشأت الفلسفة الغربية المتميزة بالتحلل من المبادىء الدينية واحترام المادة وحدها .. حيث النفعية والعنصرية و (الغاية تبرر الوسيلة) و (التجارة هى السرقة الحلال) و (وأنا وبعدى الطوفان) !!

ولا فرق فى ذلك بين شرق أوربا : حيث الشيوعية الملحدة هى السائدة ، وبين غربها حيث الرأسمالية المنهومة هى المتحكمة — فالرجل العادى فى أوروبا



ثقافتكم

للأستاذ : أحمد محمد جمال

كما يقول الاستاذ (محمد أسد) ديمقراطيا كان أم فاشيا ، ورأسماليا كان أم اشتراكيا وعاملا كان أم رجل فكر — انما يعرف دينا واحدا هو عبادة الرقى المادى ، والاعتقاد بأنه لا غاية فى الحياة الا أن يجعلها الانسان حرة طليقة من قيود الطبيعة . أما كنائس هذا الدين ، فهى المصانع الضخمة ، ودور السينما ، ومختبرات الكيمياء ودور الرقص ، ومراكز توليد الكهرباء . وأما كهنتها فهم رؤساء المصارف والمهندسون والممثلات وكواكب السينما ، وأقطاب التجـــارة والصناعة) (٢) .

ويؤكد الفيلسوف البريطانى المعاصر (برتراند راسل) ما قاله الاستاذ أسد ، فيعلن بصراحة : « ان الحضارة الحديثة أهملت الاهتمام بالروح .. وأن العالم اليوم بحاجة الى دين جديد يجعل غايته الانسان » .

ومن ناحية أخرى يقول الاستاذ (محمد أسد) : « ان أعداء الاسلام فى الخارج يرون فى اتحاد المسلمين قرب هلاكهم ، واضمحلال حضارتهم فينشرون فى طول العالم وعرضه أفكارا سيئة مشوشة عن الاسلام والمسلمين ، وأنهم أناس تواقون للحروب والتدمير ، كما يشوهون حضارة الاسلام وتراثه بكل أنواع الوسائل التى لديهم . وفى كتاب (الى أين يتجه العالم الاســـلامى) اعترافات صريحة وقحة لمؤلفه (هاملتون جب) ولبعض زملائه من المستشرقين الحاقدين المتآمرين على الاسلام وثقافته وتراثه الحضارى : بأن الغرض من الجهود المبذولة لحمل المسلمين على الحضارة الغربية هو تفتيت الحضـــارة

الاسلامية التى تقوم عليها وحدة المسلمين ، وتغيير خصائصها تغييرا جذريا عن طريق النشاط التعليمى والاعلامى والثقافى الذى من شأنه أن يترك فى المسلمين من غير وعى منهم — أثرا يجعلهم يبدون فى مظهرهم العام لا دينيين .

وهكذا تتجلى الحرب الضروس التى تشنها الثقافة الغربية على الفكر الاسلامى : واقعا مشهودا وملموسا واعترافا صريحا نقرأه فى مؤلفات المبشرين والمستشرقين الغربيين ، ويتمثل (واقع) حرب الثقافة الغربية للفكر الاسلامى فيما جنده العدو الصليبى المتربص من كبار الكتاب الغربيين والمؤلفين الى جانب المعاهد والجامعات والمستشفيات والارساليات — فى سبيل اخراج المسلمين من دينهم عن طريق اثارة الشبهات والافتراءات حول رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم وقرآنه وتشريعه وعقيدته مما لا مجال هنا لتفصيله وانما نكتفى بالاشارة الموجزة اليه :

□ كالقول ببشرية القرآن الكريم — أى أنه ليس من كلام الله عز وجل ، وانما هو من تأليف محمد جمعه من ثقافات يونانية ورومانية وهندية وفارسية .

□ وكالقول : بأن الحديث النبوى من صنع الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب الاربعة ، حيث أعد كل امام منهم الاحاديث المؤيدة لمذهبه الفقهى ، ثم نسبها الى الرسول .

□ وكقولهم : ان عيسى لم يخطىء قط بينما ارتكب محمد عددا من الاخطاء عاتبه عليها ربه فى القرآن !!

□ وكتعدد الزوجات المباح فى الاسلام ، وخاصة تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذى يرونه عيبا فيه !!

□ واثارتهم الحملة على اللغة العربية ، ودعوتهم لاستعمال اللهجات العامية فى كل قطر عربى لتمزيق شمل المسلمين ثقافيا واجتماعيا !!

□ وترويجهم لعقيدة (الجبر) بين الشباب المسلم الذى يدرس فى جامعات أوربا وأمريكا ، لكى يغروهم بترك الصلاة والصيام ، ويدفعوهم الى الفسوق والعصيان .. بدعوى أنهم مجبورون وأن كل شىء مقدر من الازل مع استدلالهم بآيات من القرآن تقرر مطلق الارادة والمشيئة لله عز وجل .

□ وزعمهم أن التشريع الاسلامى مقتبس من القوانين الرومانية وأن التراث الفكرى والعلمى الذى خلفه فقهاء الاسلام وعلماؤه وأدباؤه .. انما هو مزيج من الثقافة اليونانية والهندية والفارسية ..

الى غير ذلك من شبهات ومفتريات ودعايات يثيرها رجال الثقافة الغربية فى وجه الثقافة الاسلامية للقضاء عليها ، وتفتيت تراثها ، وابعاد المسلمين عنها كما اعترف (جب) واخوانه ..

ومن سوء الحظ .. أن كثيرا من مفكرى المسلمين المعاصرين قد أعانوا أعداءنا الالداء على أنفسنا وعلى ديننا وثقافتنا وأمتنا المسلمة ، فقاموا بنشر هذه الشبهات والمفتريات الغربية مصدقين لها .. نتيجة تأثرهم بالثقافة الغربية واعجابهم بكل ما يقوله أساتذتهم الغربيون !

والآن نتساءل : كيف نواجه بثقافتنا الاسلامية ثقافة الغرب وحضارته ؟ (٣)

□ هناك فريق من المفكرين المسلمين وقف من حضارة الغرب وثقافته موقف الخصم العنيد فمنع الاقتباس منها والاخذ عنها .

□ وفريق آخر .. يتكلف التوفيق بينهما وبين الثقافة الاسلامية على حساب طمس (الشخصية) المسلمة ، وجميع خصائصها وقيمها ومثلها الخلقية وأنظمتها التشريعية ..

□ وفريق ثالث يرى أن يحتفظ المسلمون بثقافتهم الاسلامية التى توجه الى العمل الدنيوى الصالح مع ملاحظة (الآخرة) ورابطة الجزاء بينهما وبين عمل المسلم فى دنياه .. على أن نأخذ من حضارة الغرب وثقافته كل جديد نافع ، من صناعة وزراعة وعلوم ووسائل حضارية ، دون اخلال بعقيدتنا وشريعتنا وأخلاقنا الاسلامية .

ورأى هذا الفريق من مفكرى الاسلام وحملة دعوته الخيرة ــ هو الرأى الصائب الرشيد .. فالمسلمون فى نظرنا مدعوون اليوم : أن يواجهوا ثقافة الغرب وحضارته وكيد مبشريه ومستشرقيه بأمور أربعة :

أولا : معرفة (المعالم الاصيلة) لشخصيتهم الاسلامية وتحديدها ، والحفاظ عليها ، والاعتزاز بها .

ثانيا : الاتجاه الجاد المخلص نحو ثقافة الاسلام عقيدة وشريعة وخلقا .

ثالثا : الانتفاع بالجديد الطيب من علوم العصر الحديث وفنونه وصناعاته ، واكتشافاته ووسائله الحضارية من غير تفريط فى أى جانب من أوامر اسلامنا أو زواجره .

رابعا : تصفية مناهج التعليم ، وبرامج الاعلام من صحافة واذاعة وتلفزيون ، وأوضاع النشاط الاجتماعى وأنظمته من شوائب ومعائب التقليد أو الاقتباس من الثقافة الغربية الملحدة المنحرفة ــ مع توجيه شبابنا وطلابنا عبر هذه المناهج والبرامج والانظمة والاوضاع التعليمية والتربوية والاعلامية والاجتماعية ــ وجهة اسلامية خالصة . بذلك نستطيع ــ بتوفيق الله وعونه ــ أن نعيد للمسلمين (شخصيتهم الاصيلة) و (ثقافتهم الخيرة) و (مدينتهم الفاضلة) و (مجتمعهم الرشيد) .

---

(١) فى كتابه (الثقافة الاسلامية) .

(٢) فى كتابه (منهاج الحكم فى الاسلام) .

(٣) لمزيد من التفصيل يراجع كتاب (الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية) للاستاذ أبى الحسن الندوى .

التطبيق العملي للجهاد

الحرب الإجماعيّة والقيادة الماليّة والعسكريّة

اللواء الركن محمود شيت خطاب

أما الدعامة الثانية التى ترتكز عليها القيادة العسكرية للمجاهدين العرب والمسلمين ، فهى المال .

والمال هو عصب الحرب ، وبدونه يصاب المجهود الحربى بالشلل التام .
ان المجاهدين بحاجة الى التدريب والتسليح والتجهيز والقضايا الادارية (اعاشة ، طبابة ـ تنقل .. الخ) والقيادة .

فاذا تيسر المال بشكل مستديم منظم أمكن انجاز التدريب والتسليح والتجهيز والقضايا الادارية ، واذا لم يتيسر المال فلا يمكن انجاز ذلك بأى شكل وبأية صورة : بالشكل الذى يدوم فيه الجهاد وبالصورة التى يستطيع فيها المجاهدون أن ينهضوا بواجباتهم كما يرام .
وما يقال عن المجاهدين يقال عن الجيوش النظامية وعن الفدائيين .
ان المعنويات العالية للمجاهدين ضرورية لاحراز النصر ، فاذا لم يطمئنوا الى مصير أسرهم المعاشى فلن تكون معنوياتهم عالية على اى حال .

وعوائل الشهداء التى تعيش بكرامة ، سبب من أسباب رفع معنويات المجاهدين وأسرهم على حد سواء ، والعكس صحيح .

والجهاد يحتاج الى التفرغ ليؤتى ثمراته مرتين ، فلا بد من دفع مرتبات مناسبة للمجاهدين تكفى لمعيشة أسرهم ومعيشتهم ، فليس من المعقول أن يقاتل المجاهد كما يقاتل الرجال فى ظروف يكون فيها فكره موزعا بعيدا عن ساحة القتال ، خاصة اذا كان هذا المجاهد هو المسؤول الوحيد عن اعالة أسرته وبدونه تتضور جوعا .

لذلك لا بد من أن تكون للمجاهدين موارد مالية ثابتة ، والاعتماد على التبرعات التى قد تكون كبيرة فى فترة من الزمن وقليلة فى فترة أخرى لا يكفى لتصعيد الجهاد وقد يقضى عليه .

فى المؤتمر الصهيونى الاول الذى عقد سنة (١٨٩٧) فى مدينة (بال) السويسرية تقرر جمع الاموال لاستعمار فلسطين .

ولم تمض فترة وجيزة على عقد هذا المؤتمر ، الا وظهرت التنظيمات المالية لجمع تلك الاموال : تأسس المصرف اليهودى للمستعمرات سنة (١٨٩٨) ، وظهر الصندوق القومى اليهودى سنة (١٩٠١) .

وانتشرت لجان جمع التبرعات الصهيونية فى جميع أرجاء العالم لجمع التبرعات من الصهاينة ومن غيرهم بشتى الطرق والاساليب .

كل يهودى فى العالم ، عليه أن يدفع مقدارا معلوما من المال كل شهر ، لا يستطيع أن يتخلف عنه لحظة واحدة ولا يستطيع أن يستقطع منه قرشا واحدا : بامكانه فقط أن يضاعف المبلغ المفروض عليه تبرعا وتطوعا ، وليس بامكانه التخلف عن اداء المبلغ الواجب دفعه شهريا .

هذه النسبة التى يدفعها كل يهودى فى العالم ، تتناسب مع دخله الشهرى بحيث لا يرهقه الدفع ولا يحمله من أمره ما لا يطيق .

وهذا التنظيم الدقيق لجباية الاموال بهذا الاسلوب وبكميات معلومة ، جعل للصهاينة ميزانية ثابتة ، لا يمكن أن تؤثر الازمات والاحداث فيها .

ان تعاون الحكومات العربية والشعوب العربية مع الحكومات الاسلامية والشعوب الاسلامية ضرورى للنهوض بمهمة جمع المال للمجاهدين .

يجب انشاء (صندوق فلسطين) لتمويل المجاهدين ورعاية أسرهم وأسر الشهداء منهم ، والعمل على أن تكون للصندوق فروع فى كل بد عربى وكل بلد اسلامى ، وتخصيص قدر من الزكوات لتمويله ، فان الانفاق فى سبيل الله من البر الذى أمر الله به ومصرف من مصارف الزكاة الشرعية التى نص القرآن الكريم عليها .

ولست أذهب بعيدا فى طريق التفاؤل ، ولكننى واثق كل الثقة بأن فى العرب والمسلمين خيرا كثيرا ، وهم مستعدون للجهاد بأموالهم فى سبيل الله ، ولكن الذى يحول دون جباية مبالغ خيالية فى ضخامتها من المال أمران : الاول أن قسما منهم لا يعرف لمن يسلم ما تجود به نفسه من مال ــ خاصة بعد تكاثر لجان جمع التبرعات ، والثانى عدم الثقة ببعض لجان جمع التبرعات لانحرافها مما يؤدى أن تعم الريبة فى الجميع .

ان انبثاق لجان جمع المال لصندوق فلسطين فى كل قرية وكل قصبة وكل مدينة ، على أن تكون مؤلفة من أشخاص معروفين يتميزون بالنزاهة المطلقة والاخلاص العميق ، ثم جمع التبرعات بموجب قسائم رسمية معتمدة ، سيؤدى الى انهمار المال للفدائيين الفلسطينيين والمجاهدين انهمارا .

وسيزداد المال انهمارا بعد أن تظهر آثار الفدائيين والمجاهدين فى اسرائيل .

ان رجال الدين يستطيعون أن يخدموا الجهاد والمجاهدين وقضية فلسطين بصورة عامة فى هذا المجال اعظم الخدمات ، وبذلك يثبتون وجودهم ايجابيا ولا يبقى كلامهم أقوالا تذروها الرياح .

— ٧ —

ان القيادة العسكرية للمجاهدين هى التى تخرج الجهاد من نطاق الفتاوى الى نطاق العمل الايجابى البناء .

ونبدأ بتفصيل منظومة القيادة العسكرية للمجاهدين من القاعدة حتى القمة (انظر تفاصيل منظومة قيادة المجاهدين فى الملحق (أ) المرفق) .

أ) يجب أن يكون فى كل مدينة عربية اواسلامية قيادة عسكرية للمجاهدين ، وهذه القيادة تتألف من ضباط وضباط صف من الجيوش او من المتقاعدين .

واجب هذه القيادة هو جمع المجاهدين وتجهيزهم وتسليحهم وتدريبهم وتنظيمهم فى فصائل وسرايا وكتائب ، وبعد انجاز كل ذلك تنقل المجاهدين الى مركز تجمعهم للحركة الى ميدان القتال .

وتعاون هذه القيادة فى أداء واجباتها : القيادة الروحية المؤلفة من رجال الدين المشهورين بالتدين والورع والاستقامة والعلم ، ويكون واجب هذه القيادة شحن نفوس المجاهدين بطاقات روحية ، تدفعهم الى الاستقتال فى الحرب ، ويكون واجبها حث الناس على الجهاد بالاموال والانفس .

ولكى يكون اثر القيادة الروحية ايجابيا ، فلا بد من ان يتطوع قسم من رجال الدين للجهاد .

وتعاون القيادة العسكرية فى واجباتها ايضا ، القيادة المالية المؤلفة من انزه رجال المدينة واكثرهم امانة ، ويكون واجب هـذه القيادة جمع الاموال وشراء التجهيزات العسكرية والذخيرة والسلاح ، وضبط الموارد المالية وتوزيع المرتبات على المجاهدين ورعاية اسرهم بعد حركتهم للجهاد والعناية باسر الشهداء منهم .

ب —) ويجب ان يكون فى كل دولة عربية أو اسلامية قيادة للمجاهدين تتألف من ضباط ذوى رتب عالية وضباط صف متطوعين .

واجب هذه القيادة هو حشد مجاهدى المدن والقرى القادمين من قيادات المدن والتأكد من اكمال تسليحهم وتدريبهم وتنظيمهم ، ومن ثم نقلهم الى ساحة القتال .

وتعاون هذه القيادة القيادة الروحية والقيادة المالية ايضا ، وتكون واجبات هاتين القيادتين مشابهة لواجبات القيادتين الروحية والمالية فى قيادات المدن العسكرية ولكن على نطاق أوسع .

جـ) القيادة العامة للمجاهدين ، وتكون فى ميدان القتال ، واجبها الاول هو قيادة المجاهدين القادمين من الدول العربية والاسلامية .

تألف من ضباط ذوى رتب عالية معروفين بتدينهم وتجربتهم العملية وعلومهم العسكرية وشجاعتهم واقدامهم .

فما احوجنا اليوم الى قائد ماهر كثير التدين ، ليقود العرب والمسلمين الى النصر .

ولكن حاجتنا الى عامل مجاهد يضرب اروع الامثال للمجاهدين فى البذل والتضحية والفداء من أمثال ابن تيمية والعز بن عبد السلام وأبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهم لاتقل عن حاجة العرب والمسلمين الى قائد ماهر متدين بل تزيد .

— ٨ —

لقد حاولت التركيز على التنظيم العسكرى للمجاهدين ، لكى أدل على الطريق لاخراج ركن الجهاد الاسلامى من حيز الفتاوى الى حيز التطبيق العملى فى حرب حديثة فى عصر حديث لمجابهة جيش حديث هو جيش اسرائيل .

ولم اتطرق للتنظيم العسكرى للفدائيين والجيوش النظامية ، لأنهما موجودان فى الوقت الحاضر .

وبالامكان الافادة من قيادة الفدائيين لتكون النواة الصالحة لقيادة المجاهدين ، لان تلك القيادة لديها تجربة عملية فى القتال ، وقد نجحت تجربتها فى قيادة الفدائيين .

لقد كان للعمل الفدائى آثار واضحة فى الارض المحتلة وفى النطاق العربى وفى البلاد الاجنبية .

فى النطاق العربى ، رفع الفدائيون الروح المعنوية ، ونظموا صفوف الفلسطينيين ، وجعلوا منهم قوة ضاربة ذات شأن ، كما برزت من صفوف الفلسطينيين قيادة فلسطينية اثبتت عمليا بأنها قادرة على تنغيص حياة الصهاينة المحتلين .

وفى البلاد الاجنبية ، استطاع الفدائيون الاستحواز على أجهزة الاعلام العالمية ، ويرهنوا بالدم ان حق م فى فلسطين وراءه مطالب ، وأن شعب فلسطين لايمكن ان يتخلى عن حقوقه ، مهما طال الزمن وتضاعفت الخسائر .

واستطاع الفدائيون فى نطاق الهيئات الدولية ان يبرزوا قضية فلسطين، فأصبحت تلك الهيئات تهتم بها وتخشى عواقبها . بينما كانت قضية فلسطين قبل ان يتكلم الفدائيون بالدم مجرد فقرة فى جدول اعمال الامم المتحدة ومجلس الامن يتكرر ذكرها بدون نتيجة ملموسة .

وفى نطاق الارض المحتلة ، استطاع الفدائيون ان يجعلوا من اسرائيل منطقة غير آمنة على الحياة والمال والممتلكات ، مما اشاع الرعب بين سكانها وحرسها من تدفق المهاجرين الجدد والاموال الاجنبية والسياح اليها ، وضاعف من نفقات اسرائيل على قواتها المسلحة .

تلك هى لمحات مختصرة جدا من انجازات الفدائيين ، وهى تستحق أعمق التقدير واعظم الاعجاب .

والفدائيون مجاهدون ، وتجربتهم الرائدة اثبتت وجودها عمليا فى الميدان ، ولكن تعداد الفدائيين قليل بالنسبة لتعداد العرب والمسلمين .

فماذا سيحدث لو تضاعف عددهم بالمجاهدين المؤمنين الصادقين ؟
ان الصهاينة ستميد بهم الارض فى اسرائيل ، وسيقولون كما قال أسلافهم من قبل : (ان فيها قوما جبارين) .

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

والله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وصلى الله على سيدى ومولاى رسول الله امام المجاهدين وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الملحق (أ)

منظومة قيـــادة المجاهدين

القيادة العربية الموحدة

- القيادة الشرقية
- القيادة المغربية
- القيادة العامة للمجاهدين
  - القيادة الروحية
  - القيادة المـــالية (اللجنة العليا لصندوق فلسطين)
  - القيادة القطرية للمجاهدين (قيادة دولة)
  - القيادة القطرية للمجاهدين
    - القيادة الروحية
    - القيادة المـــالية (للجنة القطرية لصندوق فلسطين)
    - قيادة المدينة للمجاهدين
    - قيادة المدينة للمجاهدين
      - القيادة الروحية
      - القيادة المـــالية (لجنة المدينة لصندوق فلسطين)
    - قيادة المدينة للمجاهدين
  - القيادة القطرية للمجاهدين
- القيادة العامة للفدائيين الفلسطينيين

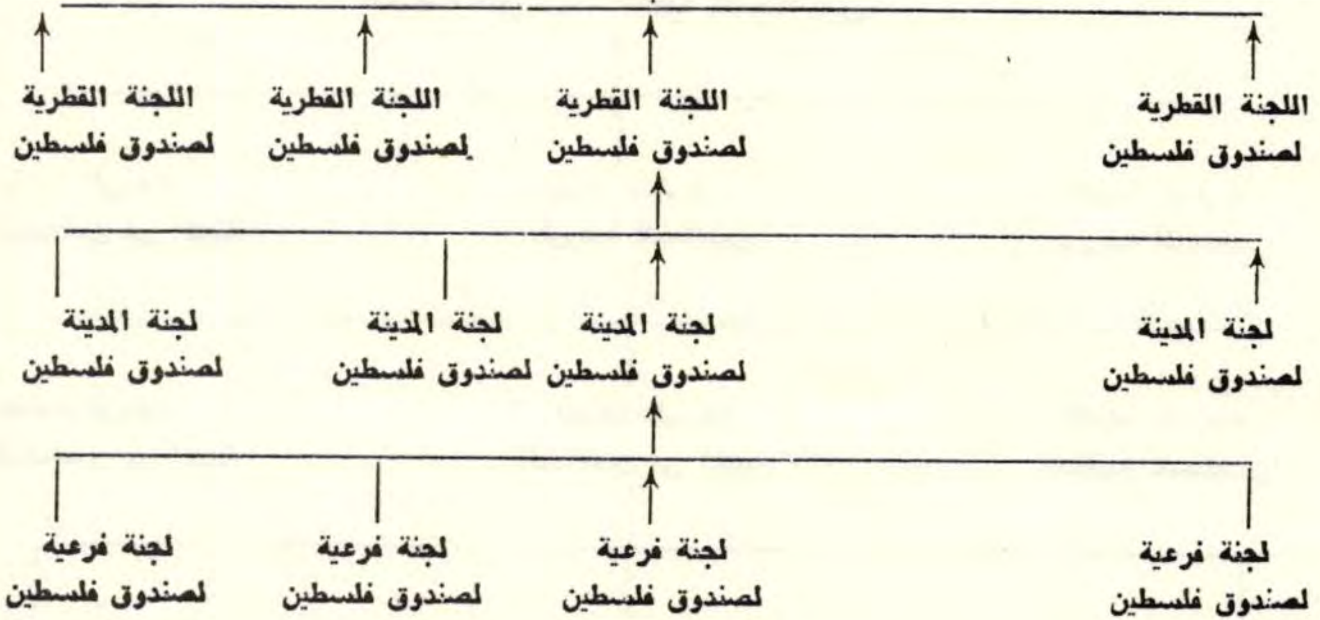
الملحق (ب)

منظـــومة
القيادة المالية لصندوق فلسطين

القيادة العامة للمجاهدين

↑

اللجنة العليا لصندوق فلسطين



ملحوظات :

١ ــ تودع الاموال المجباة فى المصارف : كل لجنة يكون لها اعتماد فى مصرف معين باسم : صندوق فلسطين .

٢ ــ كل لجنة من اللجان تخول بجمع الاموال من اللجنة التى هى أعلى منها ، وذلك منعا لتعدد اللجان دون مسوغ .

٣ ــ لكى يكون لصندوق فلسطين مورد ثابت ، أقترح أن يقدم كل عربى وكل مسلم ما لا يقل عن واحد بالمائة من دخله الشهرى الى صندوق فلسطين شهريا .

أما الزكاة فيكون تقديمها للصندوق بخيار صاحب الشأن .

٤ ــ أماكن اللجان :

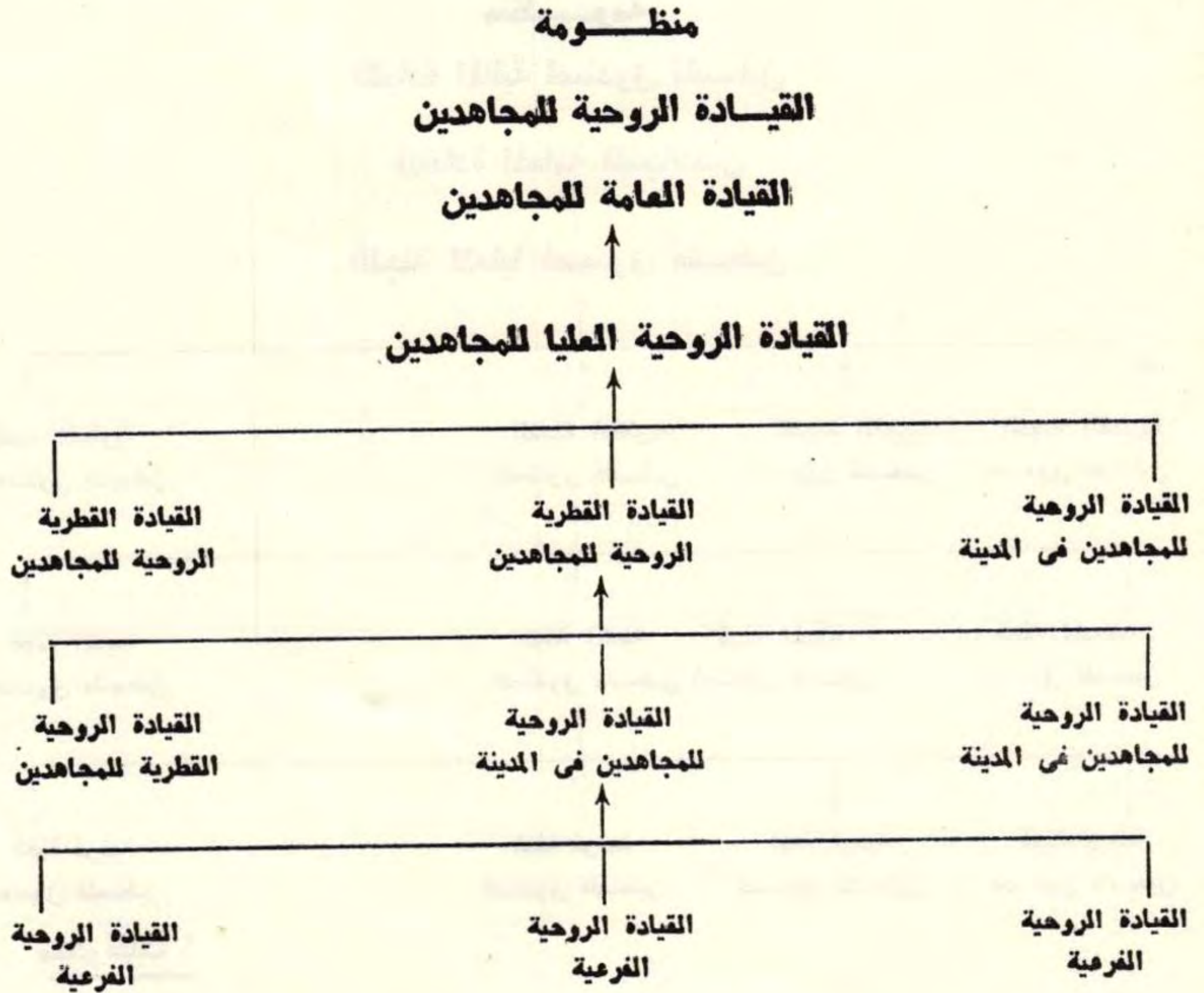
أ) اللجنة العليا بالقرب من جبهة القتال بتماس شديد مع القيادة العامة للمجاهدين .

ب) اللجنة القطرية فى عاصمة الدولة أو المملكة العربية أو الاسلامية قريبا من القيادة القطرية للمجاهدين .

جـ) لجنة المدينة : فى المدينة العربية أو الاسلامية بجوار قيادة المدينـــة للمجاهدين .

د) تكون اللجان الفرعية فى الاماكن التى تنسبها لها لجنة المدينة .

الملحق (ج)



ملحوظات :

١ ــ القيادة الروحية العليا للمجاهدين تكون برئاسة شيخ الأزهر وعضوية عالم عامل من كل قطر عربى واسلامى .

وتضع هذه القيادة منهجا للمحاضرات التى تلقى على المجاهدين وتضع الخطوط العريضة لكل محاضرة .

٢ ــ القيادة القطرية للمجاهدين تكون برئاسة مفتى القطر أو أكبر عالم عامل فيه .

٣ ــ القيادة الروحية فى المدينة تكون برئاسة شيخ علماء تلك المدينة .

٤ ــ القيادة الروحية الفرعية ينهض بها عالم القرية أو القصبة أو القضاء ، فاذا لم يتيسر فيمكن ايفاد عالم من المدينة .

٥ ــ يجب أن يكون العالم العامل جاهزا للنهوض بأعباء الجهاد بنفسه وماله .

حوار ..!

للشيخ محمد الغزالي

دار بينى وبين احد الملاحدة جدال طويل ، ملكت فيه نفسى واطلت صبرى حتى القف آخر ما فى جعبته من افك ، وادمغ بالحجة الساطعة كل ما يورد من شبهات ..

قال : اذا كان الله قد خلق العالم فمن خلق الله ؟ قلت له : كانك بهذا السؤال ، او بهذا الاعتراض تركد انه لا بد لكل شىء من خالق !! قال : لا تلفنى فى متاهات ، أجب عن سؤالى ! قلت له : لا لف ولا دوران انك ترى ان العالم ليس له خالق ، اى ان وجوده من ذاته دون حاجة الى موجد ، فلماذا تقبل القول بان هذا العالم موجود من ذاته ازلا ، وتستغرب من أهل الدين ان يقولوا : ان الله الذى خلق العالم ليس لوجوده اول ؟ انها قضية واحدة ، فلم تصدق نفسك حين تقررها ؟ وتكذب غيرك حين يقررها ؟ واذا كنت ترى ان الها ليس له خالق خرافة ، فعالم ليس له خالق خرافة كذلك ، وفق المنطق الذى تسير عليه ..!!

قال : اننا نعيش فى هذا العالم ونحس وجوده فلا نستطيع ان ننكره !

قلت له : ومن طالبك بانكار وجود العالم ؟ اننا عندما نركب عربة او باخرة او طائرة تنطلق بنا فى طريق رهيب ، فتساؤلنا ليس فى وجود العربة ، وانما هو : هل تسير وحدها ام يسيرها قائد بصير ؟؟

ومن ثم فاننى اعود الى سؤالك الاول لاقول لك : انه مردود عليك ، فانا وانت معترفون بوجود قائم ، لا مجال لانكاره ، تزعم انت انه لا اول له بالنسبة الى المادة ، وارى انا انه لا اول له بالنسبة الى خالقها فاذا اردت أن تسخر من وجود لا اول له ، فاسخر من نفسك قبل أن تسخر من المتدينين . . . !!!

قال : تعنى ان الافتراض العقلى واحد بالنسبة الى الفريقين ؟ قلت :

انني استرسل معك لاكشف الفراغ والادعاء اللذين يعتمد عليهما الالحاد وحسب ، اما الافتراض العقلي فليس سواء بين المؤمنين والكافرين .. انني ــ انا وانت ــ ننظر الى قصر قائم ، فارى ــ بعد نظرة خبيرة ــ ان مهندسا اقامه ، وترى انت ان خشبه وحديده وحجره وطلاءه قد انتظمت فى مواضعها وتهيات لساكنيها من تلقاء نفسها ..!

الفارق بين نظرتينا الى الأمور انني وجدت قمرا صناعيا يدور فى الفضاء ، فقلت انت انطلق وحده دونما اشراف او توجيه ، وقلت انا : بل اطلقه عقل مشرف مدبر ..!

ان الافتراض العقلى ليس سواء ، انه بالنسبة الى الحق الذى لا محيص عنه ، وبالنسبة اليك الباطل الذى لا شك فيه ، وان كان كفار عصرنا مهرة فى شتمنا نحن المؤمنين ورمينا بكل نقيصة ، فى الوقت الذى يصفون انفسهم بالذكاء والتقدم والعبقرية .. اننا نعيش فوق أرض مفروشة ، وتحت سماء مبنية ، ونملك عقلا نستطيع به البحث والحكم ، وبهذا العقل ننظر ، ونستنتج ، ونناقش ، ونعتقد .

وبهذا العقل نرفض التقليد الغبى كما نرفض الدعاوى الفارغة .

واذا كان الناس يهزءون بالرجعيين عبيد الماضى ويتندرون بتحجرهم الفكرى ، فلا عليهم ان يهزؤا كذلك بمن يميتون العقل باسم العقل ، ويدوسون منطق العلم باسم العلم وهم للاسف جمهرة الملاحدة ..!!

لكنا نحن المسلمين نبنى ايماننا بالله على اليقظة العقلية والحركة الذهنية ، ونستقرىء آيات الوجود الاعلى من جولان الفكر الانسانى فى نواحى الكون كله .

فى صفحة واحدة من سورة واحدة من سور القرآن الكريم وجدت تنويها بوظيفة العقل اتخذ ثلاث صور متتابعة فى سلم الصعود .

هذه السورة هى سورة الرمز ، واول صورة تطالعك هى اعلاء شأن العلم ، والغض من اقدار الجاهلين « قل : هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الألباب » .

ثم تجىء الصورة الثانية لتبين أن المسلم ليس عبد فكرة ثابتة ، أو عادة حاكمة بل هو انسان يزن ما يعرض عليه ويتخير الاوثق والأزكى « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » .

ثم يطرد ذكر أولى الألباب للمرة الثالثة فى ذات السياق على أنهم أهل النظر فى ملكوت الله ، الذين يدرسون قصة الحياة فى مجاليها المختلفة لينتقلوا من المخلوق الى الخالق « الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان فى ذلك لذكرى لأولى الألباب » .

وظاهر من الصور الثلاث فى تلك الصفحة من الوحى الخاتم ان الايمان مبتوت الصلة بالتقليد الأعمى أو النظر القاصر أو الفكر البليد .

انه يلحظ ابداع الخالق فى الزروع والزهور والثمار ، وكيف ينفلق الحمأ المسنون عن الوان زاهية او شاحبة توزعت على أوراق واكمام حافلة بالروح والريحان ثم كيف يحصد ذلك كله ليكون اكسية واغذية للناس والحيوان ، ثم كيف يعود الحطام والقمام مرة اخرى زرعا جديد الجمال والمذاق تهتز به الحقول والحدائق ! من صنع ذلك كله ؟

قال صاحبى — وكانه سكران يهذى — الأرض صنعت ذلك !!

قلت : الارض امرت السحاب ان يهمى ، والشمس أن تشع ، وورق الشجر ان يختزن الكربون ويطرد الاوكسجين ، والحبوب أن تمتلىء بالدهن والسكر والعطر والنشا ؟؟

قال : اقصد الطبيعة كلها فى الأرض والسماء !

قلت : ان طبق الأرز فى غدائك أو عشائك تعاونت الأرض والسماء وما بينهما على صنع كل حبة فيه ، فما دور كل عنصر فى هذا الخلق ؟ ومن المسئول عن جعل التفاح حلوا والفلفل حريفا أهو تراب الأرض أم ماء السماء ؟

قال : لا اعرف ولا قيمة لهذه المعرفة !!

قلت : الا تعرف أن ذلك يحتاج الى عقل مدبر ، ومشيئة تصنف ؟ فأين ترى العقل الذى انشأ ، والارادة التى نوعت ، فى اكوام السباخ أو فى حزم الاشعة ؟؟

قال : ان العالم وجد وتطور على سنة النشوء والارتقاء ، ولا نعرف الاصل ولا التفاصيل !!

قلت له : اشرح لكم ما تقولون ! تقولون : انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان مجموعة من العناصر العمياء تضطرب فى اجواز الفضاء ، ثم مع طول المدة وكثرة التلاقى سنحت فرصة فريدة لن تتكرر أبد الدهر ، فنشأت الخلية الحية فى شكلها البدائى ثم شرعت تتكاثر وتنمو حتى بلغت ما نرى !!

هذا هو الجهل الذى اسميتموه علما ، ولم تستحوا من مكابرة الدنيا به !!

اعمال حسابية معقدة تقولون : إنها حلت تلقائيا ، وكائنات دقيقة وجليلة تزعمون انها ظفرت بالحياة فى فرصة سنحت ولن تعود !! وذلك كله فرارا من الايمان بالله الكبير !!

قال : — وهو ساخط — افلو كان هناك اله كما تقول كانت الدنيا تحفل بهذه المآسى والآلام ، ونرى ثراء يمرح فيه الاغبياء وضيقا يحتبس فيه الأذكياء ، واطفالا لا يمرضون ويموتون ، ومشوهين يحيون منغصين .. الخ .

قلت : لقد صدق فيكم ظنى ، ان الحادكم يرجع الى مشكلات نفسية واجتماعية اكثر مما يعود الى قضايا عقلية مهمة !! ويوجد منذ عهد بعيد من يؤمنون ويكفرون وفق ما يصيبهم من عسر ويسر « ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فان أصابه خير اطمأن به ، وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة » .

قال : لسنا انانيين كما تصف نغضب لأنفسنا او نرضى لأنفسنا ، اننا نستعرض احوال البشر كافة ثم نصدر حكمنا الذى ترفضه ..

قلت : آفتكم انكم لا تعرفون طبيعة هذه الحياة الدنيا ووظيفة البشر فيها انها معبر مؤقت الى مستقر دائم ، ولكى يجوز الانسان هذا المعبر الى احدى خاتمتيه لا بد أن يبتلى بما يصقل معدنه ويهذب طباعه ، وهذا الابتلاء فنون شتى ، وعندما ينجح المؤمنون فى التقلب على العقبات التى ملأت طريقهم ، وتبقى صلتهم بالله واضحة مهما ترادفت البأساء والضراء فانهم يعودون الى الله بعد تلك الرحلة الشاقة ليقول لهم «ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون »

قال : وما ضرورة هذا الابتلاء ؟

قلت : ان المرء يسهر الليالى فى تحصيل العلم ، ويتصبب جبينه عرقا ليحصل على الراحة ، وما يسند منصب كبير الا لمن تمرس بالتجارب وتعرض للمتاعب ، فان كان ذلك هو القانون السائد فى الحياة القصيرة التى تحياها على ظهر الارض فأى غرابة أن يكون ذلك هو المهاد الصحيح للخلود المرتقب ؟

قال : ــ مستهزئا ــ اهذه فلسفتكم فى تسويغ المآسى التى تخالط حياة الخلق ، وتصبير الجماهير عليها ؟

قلت : سأعلمك بتفصيل أوضح حقيقة ما تشكو من شرور ، ان هذه الآلام قسمان : قسم منقدر الله فى هذه الدنيا ، لا تقوم الحياة الا به ، ولا تنضج رسالة الانسان الا على حره ، فالأمر كما يقول الأستاذ العقاد « تكافل بين اجزاء الوجود ، فلا معنى للشجاعة بغير الخطر ، ولا معنى للكرم بغير الحاجة ، ولا معنى للصبر بغير الشدة ، ولا معنى لفضيلة من الفضائل بغير نقيصة تقابلها وترجح عليها . وقد يطرد هذا القول فى لذاتنا المحسوسة كما يطرد فى فضائلنا النفسية ومطالبنا العقلية اذ نحن لا نعرف لذة الشبع بغير الم الجوع ، ولا نستمتع بالرى ما لم نشعر قبله بلهفة الظمأ ، ولا يطيب لنا منظر جميل ما لم يكن من طبيعتنا أن يسوءنا المنظر القبيح . . »

وهذا التفسير لطبيعة الحياة العامة ينضم اليه أن الله جل شأنه يختبر كل امرىء بما يناسب جبلته ويوائم نفسه وبيئته ، وما أبعد الفروق بين انسان وانسان ، وقد يصرخ انسان مما لا يكترث به آخر ، ولله فى خلقه شئون ، والمهم أن أحداث الحياة الخاصة والعامة محكومة باطار شامل من العدالة الالهية التى ريب فيها الا أن هذه العدالة كما يقول الاستاذ العقاد « لا تحيط بها النظرة الواحدة الى حالة واحدة ، ولا مناص من التعميم والاحاطة بحالات كثيرة قبل استيعاب وجوه العدل فى تصريف الارادة الالاهية ، ان البقعة السوداء فى الصورة الجميلة وصمة قبيحة اذا حجبنا الصورة ونظرنا الى تلك البقعة بمعزل عنها ، ولكن هذه البقعة السوداء قد تكون فى الصورة كلها لونا من الوانها التى لا غنى عنها أو التى تضيف مزيدا الى جمال الصورة ولا يتحقق لها جمال بغيرها ، ونحن فى حياتنا القريبة قد نبكى لحادث يصيبنا ثم نعود فنضحك أو نغتبط بما كسبناه منه بعد فواته » .

تلك هى النظرة الصحيحة الى المتاعب الغير الارادية التى يتعرض لها الخلق .

أما القسم الثانى من الشرور التى تشكو منها يا صاحبى فمحوره

خطؤك أنت واشباهك من المنحرفين.
قال مستنكرا : انا واشباهي لا علاقة لنا بما يسود العالم من فوضى ! فكيف تتهمنا ؟

قلت : بل أنتم مسئولون ، فان الله وضع للعالم نظاما جيدا يكفل له سعادته ، ويجعل قويه عونا لضعيفه وغنيه برا بفقيره ، وحذر من اتباع الاهواء واقتراف المظالم واعتداء الحدود . ووعد على ذلك خير الدنيا والآخرة « من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

« فاذا جاء الناس فقطعوا ما أمر الله به ان يوصل ، وتعاونوا على العدوان بدل أن يتعاونوا على التقوى فكيف يشكون ربهم اذا حصدوا المر من آثامهم ؟

ان اغلب ما احدق بالعالم من شرور يرجع الى شروده عن الصراط المستقيم ، وفى هذا يقول الله جل شأنه « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » .

ان الصديق رضى الله عنه جرد جيشا لقتال مانعى الزكاة ، وبهذا المسلك الراشد أقر الحقوق وكبح الأثرة ونفذ الاسلام فاذا تولى غيره فلم يتأس به فى صنيعه كان الواجب على النقاد أن يلوموه لا أن يلوموا الاقدار التى ملأت الحياة بالبؤس !

قال : ماذا تعنى ؟

قلت : اعنى أن شرائع الله كافية لاراحة الجماهير ، ولكنكم بدل أن تلوموا من عطلها تجرأتم على الله واتهمتم دينه وفعله !!

ومن خسة بعض الناس أن يلعن السماء اذا فسدت الأرض !!

وبدلا من أن يقوم بواجبه فى تغيير الفوضى واقامة الحق يثرثر بكلام طويل عن الدين ورب الدين . . !!

انكم معشر الماديين مرضى ، تحتاج ضمائركم وأفكاركم الى علاج بعد علاج . . وعدت الى نفسى بعد هذا الحوار الجاد اسألها : ان الامراض توشك ان تتحول الى وباء ، فهل لدينا من يأسو الجراح ويشفى السقام أو أن الأزمة فى الدعاة المسلمين ستظل خانقة ؟؟



فَلينظُر الإنسَان مِمَّ خُلِق

وأثر هذه النظرة في تثبيت العقيدة وتقويم الخلق

للدكتور/محمد سلام مدكور
رئيس قسم الشريعة الاسلامية ــ كلية الحقوق جامعة القاهرة

أبدأ الكتابة فى هذه المجلـــة بما ينبغى أن يبدأ به كل مؤمن داع الى الايمان ، وهو بالتوجيه الى العقيدة ودين الحق تثبيتا للايمان فى نفس المؤمن ، ونزعا للزيـــغ ممن تراوده الشكوك ، واضاءة لمعالم الحقيقـــة لهداية الضال ، ووجدت أن خير ما يهـدى الى ذلك ويبصر بـــه هـــو أن ينظر الانسان الى نفسه من خلقه ليتعرف على أصله ، ثم يتخذ لــــه من ذلك عبرة ، ومن عرف نفسه فقـــد عرف ربه ، وتذكرت توجيـــه اللـــه سبحانه لخلقه بقوله ((**وفى انفسكم افلا تبصرون**)) وبقوله ((**فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب . انه على رجعه لقادر**)) ويقول جـــل شأنـــه ((**يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثـــلاث**)) وقد تضطرنى هذه النظرة الى أن أبحث عن بدء التكوين الجنينى ، وأن أمر بالاطوار التى مر بها الجنين فى ضوء ما جاء فى القرآن والسنة مقارنا ذلك بما أثبته علم الأجنة ، وعلم التشريح ،

وقد يجرنا الكلام فى هذا الى الكلام عن الصلة الوثيقة التى بين الانسان وبين امه الأرض ، فان من تأمل فى الارض واسرارها ومحتوياتها ، وربط بينها وبين طبيعة الانسان وصفاته ، وجد ان هناك توافقا عجيبا بين مواهب الارض ومواهب الانسان ، فهما كالسالب والموجب ، فاذا لم يتفاعل الانسان بمواهبه مع مواهب الأرض تعطلت قواها ، وفى الآية الكريمة التى يصور الله فيها دعوة صالح لقومه الى عبادة الله عز وجل فيما يحكى الله عنه بقوله « **يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الأرض واستعمركم فيها** » ففى هذه الآية اشارة الى ذلك الارتباط بين الانسان واصله فى الأرض ، فالانسان ناشىء من الأرض فى خلقته الأولى هو متغذ من الأرض بما يأكل من خيراتها ومزروعاتها ، ومن الحيوان الذى نشأ ونما من تلك المزروعات .

ومع ان الانسان من هذه الأرض فقد ميزه الله عن كل ما فيها بأن جعله خليفة فى الأرض ، ومسيطرا على جميع عناصرها لتتحقق بذلك عمارتها ، وتمتد شئون الحياة فيها الى أجل مسمى عنده ، فخضعت له بما فيها طوعا او كرها بتوجيه من الله ، واستخلافه للانسان فى عمارة الأرض ، وبالتأمل يبدو أن سر هذه الخلافة الانسانية ، وتمكين الانسان من السيطرة على غيره من الكائنات فى هذا الكوكب المعمور هو انفراد البشر بعنصر الانسانية التى هى أمر زائد على طبيعته الحيوانية التى هى الجزء المادى فى مفهوم الانسان ، وهذه الانسانية هى التى توصله الى التعرف على ما فى الكون من عجائب وأسرار وتمكنه من التعرف على خالقه .

فالانسان فى مادته تركيب مادى ككل كائن حيوانى ، وفى انسانيته طاقة من نوع أرقى هى الروح التى هى قوام قواه — المعنوية ، وقد حدثنا القرآن بذلك أصدق حديث فى آيات عدة تتمثل فيما جاء فى قول الله تعالى « اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » .

والواقع أن الخلق الأول الذى يدخل فيما تدل عليه الآية الكريمة : «أفعيينا بالخلق الاول» هو مبدأ خلق الانسان الذى لا يسير فى نظام التطوير الذى جرت عليه سنة خلق الانسان بعد ذلك ، وهو ذلك البدء البديع الذى امتن الله بذكره فى عدة مناسبات ، كما تضمنت جملة من الآيات الاشارة الى ما فى ذلك الانسان من الناحيتين المادية والروحية والتنويه بشأنها تنويها ينم على ما فى الانسان من عظمة وما له من مكانة ممتازة بين المخلوقات وخاصة بما حباه الله من تلك النفحة الربانية بتلك النفحة الروحية ، فهى التى جعلت منه انسانا له ذلك الامتياز وتلك السيطرة العظيمة .

ولقد أمر الله الانسان باعمال الناحيتين وقضاء الحقين : حق الجسد وحق الروح اذ يقول : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك » وفى هذا التوجيه الكريم يتمثل اعتدال المنهج الالهى القويم الذى يعلق قلب الانسان بآخرته ويجعله يستقبل الموت بنفس راضية مطمئنة ، ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع قضاء لحقه المادى بل يحضه على ذلك ويكلفه اياه تكليفا حتى لا يتزهد فى الدنيا الزهد الذى يهمل به الحياة ويعرض عن شئونها .

وفى الحق ان ذلك الاتجاه الروحى متمثلا فى عبادة الله سبحانه نتيجة اتجاه فكرى وجدانى عميق الى غاية روحية خالصة ولا يتمكن من الوصول اليها من جهل حقيقة الكون الذى يعيش فيه . فكان هذا النص الكريم المعجز : «وفى أنفسكم أفلا تبصرون» « فلينظر الانسان مم خلق » موجهـا النفوس الانسانية الى النظر فى آيات الله والتبصر بما فيها من عبر ومعارف توقف الانسان عند حده وترده الى وضعه ومرتبته .

ومن تأمل فى الانسان وتركيبه ووظائفه ومواهبه أدهشه ذلك الصنع البديع صنع الله الذى أتقن كل شىء ودله من الطريق المباشر على عظمة الخالق القدير وأنه قادر على بعثه بعد الموت ، كما تجلت قدرته فى خلقه وايجاده وهذا قول الله جل شأنه : « يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث ، فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئا » على أن كل هذه المعانى التى يدركها الانسان فى نفسه وفيما يحف به من آيات الكون ان هى الا وشل فى محيط وغيض من فيض وجزيرة صغيرة فى بحر لا نهاية له حيال تلك الآيات ووجاه تلك المعلومات التى استأثر بها خالق ذلك الكون الباهر العجيب ، وما كان للبشرية أن تلمس هذه الحقائق التى أشار اليها القرآن عن خلق الانسان ومراحل تطور الجنين لولا اختراع المجاهر (الميكروسكوبات) منذ ثلاثة قرون ، ولولا ظهور علم التشريح وعلم الأجنة .

فهل يعقل مع هذا من يشك فى عبوديته لله والايمان برسالته ؟ والا فمن أين هذا الاخبار الصادق الذى يصور فى دقة مذهلة مراحل تكوين الجنين وهو أمر خفى يحيط به الغموض من كل جانب « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » هى المشيمة داخل الرحم ، والرحم داخل البطن ، والبطن التى هى من جسم الأم ، لا ينفذ الى الجنين منها ضوء ولا ماء ولا هواء ، ولو وصل اليه شىء من هذا لأنهى عليه وأودى بحياته ، سبحانك ربى فأنت القادر الخالق المصور فأنت العليم البصير منك البدء واليك المصير .

وكثيرا ما دفع التخبط والحيرة فى أمر خلق الانسان وتطور مراحله جنينا البعض قديما الى الاعتراف بوجود قوة عليا مسئولة عن خلق الحياة فرأى فريق من العلماء أن المادة الحية (البروتوبلازم) لا تخضع فى تفاعلها للقوانين العادية والرياضية الثابتة ولكنها تتم بتدخل قوى خارجية غير عادية لها هدف معلوم وسياسة مرسومة لاحداث هذه التفاعلات يوضح ذلك ما قاله اخناتون فرعون مصر الذى وجه الناس الى دين الله ، وبين لهم ما فى خلق الانسان وتكوينه من دقة تدل على الخالق وقدرته .. يا مانحا الحياة للصغير فى بطن أمه متوليا شئونه فى الرحم ، انك تمنح القدرة على التنفس كى يبقى كل من تخلقه

حيا لحين خروجه من الرحم ، وهذا ارسطو الفيلسوف المتقدم فى العصور المتقدمة ينتهى من دراسته لبيضة الدجاجة والتطورات التى تمر بها حتى يخرج منها الفرخ الى أن هناك عنصرا حيويا يوجه نشاط المادة الحية لتحقيق أغراض خاصة وهكذا حتى يكتشف أحد العلماء فى القرن التاسع عشر الميلادى ، وفى سنة ١٨٣٨ على وجه التحديد ان الكائنات الحية تتكون من خلايا ، وأن البيضة والحيوان المنوى خليتان مستقلتان .

وهو ما يتفق مع قول الله سبحانه : « فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب . . » أى من بين صلب الرجل وترائب المرأة أى عظمتى الصدر المتصلتين بالمبايض التى تفرز البويضة التى يتم تلقيحها بالحيوان المنوى الذى يفرزه الرجل والبينية فى الآية تشير الى أن الجنين يتكون من مجموع هذين الأمرين أى من النطفة المترجة التى يعبر عنها فى الطب الحديث (بالبويضة الملقحة) .

حقا وصدقا ، وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن الذين جحدوا به كذبوا بما لم يحيطوا به علما ولما يأتهم تأويله . فآيات الأجنة فى القرآن من أهم الأدلة التى تثبت معجزة القرآن العلمية ، فان العلم لم يصل الى الحقائق التى جاء بها القرآن الا فى قرون متأخرة وها هو العلم فى العصور المتأخرة يقرر أن الجنين عند اكتمال نموه يكون محاطا بثلاثة أغشية صماء — كما قلنا — لا ينفذ منها الماء ولا الضوء ولا الحرارة ، وهكذا بالنسبة لترتيب خلق الحواس ، وبصمات الأصابع التى يشير اليها قوله تعالى : « بلى قادرين على أن نسوى بنانه » وقوله جل شأنه « . . شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا . . » . .

تخيرت أن اكتب أول ما اكتب لقراء هذه المجلة فى الآيات النفسية متلمسا ما فيها من متع روحية ، والمتع الروحية أسمى وأفضل من كل متع الحياة، وانها خير علاج وأنجع دواء، فحياة الانسان تبدأ قبل بروزه على وجه الارض بالاستكناه فى بطن أمه ، ويختمها برحلة الاستكناه فى بطن الأرض ، والذى بينهما هو مرحلة السفر الى المقر الأخير والمنتهى عند السميع البصير كما فهم ذلك الفلاسفة ، ونوه به الامام الغزالى .

وقد أعطى كثير من الباحثين فى مختلف العصور حياة الانسان على ظهور الارض اهتمامهم فكتبوا فى ذلك كثيرا ، كما أعطوا مرحلة النهاية من بدئها الى ما شاء الله قسطا غير قليل أيضا ، أما المرحلة الأولى والانسان جنين فى بطن أمه فهى التى رغبت فى أن أتكلم عنها لما تؤدى اليه معرفتها من ايمان بالله صادق ويقين ثابت انه الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير ، وان من تأمل أطوار الجنين العجيبة وترتب كل منها على ما قبله تأملا صادقا كان جديرا أن يكفر بطاغوت الماديين وما يقول به الجاحدون الملحدون . .

والكلام عن خلق الانسان فى بطن امه أمر قريب بعيد : قريب لملامسته لنا فى أقرب شئوننا وفى حركتنا وسكوننا فهذا الانسان بدأ من نطفة خرجت نتيجة الشهوة التى ركبها

الله فى الانســـــان فكان الوجود الانسانى ، وانتشر عـــلى الارض يديرها ويعمرها ويصرف شئونهـــا بأمر الله ، وبعيد لغفلة الناس عــن تدبره والنظر فيه واغفالهم لما فيــه من عبر وعجائب تخر لهـــا جبـــاه الفلاسفة والعلماء والباحثين ، وهو حرى أن يكون موضع النظر فهــو مما يكلف الناظر طاقة ومجهودا ، وهو مما يملأ نفسه بالعلم والحكمة ، ويدل على نفسه وربـــه .

والحق ان نظرة الانســــان الى نفسه تتشعب فى جهات عدة ، ونواح مختلفة ترجع الى ذاته وما يقوم بــه من أعراض وصفات كل ما فيها يدل على الله ، وترشد الى مافيه من عظمة وقدرة وهو فى حقيقته حقل للنظــر والتجارب التى يعرف بها الفرق بين المخلوق والخالق ، والكشف عن هذه الحقائق وتصويرها للناس خير هاد ومرشد للحق وموجه للايمان الكامل بالله واليوم الآخر ، ومتى اكتمـــل الايمان باللـــــه فى نفوس الأفراد والجماعات صلح أمرهـــم ، وقويت هممهم وعلا شأنهم ، وزالت معـــالم الجريمة من بينهم وأصبح المجتمــع نقيا طاهرا .

والانسان متى آمن كان حريا أن ينأى عن الشرور والآثام وأن يقبــل على الخير ويبادر الى الطاعـــات ويستفيد من دنياه لأخراه ، فالفضائل الاجتماعية غالبا ما تكون من آثـــار الايمان بالله والبعث اذ القلب متى عمر بالايمان الصحيح تحول الى طاقة من القوة لا تصدها الحياة ولا تقهرها الرجال ولا تمنعها الحوائل ، وهـــو السبيل الى التماسك بين الآخذيــن بحبـــله لأنه يؤلف القلوب على الخير ويجمعها على البر ، وما أحوجنا فى مجتمعنا الى هذا .

والايمان حقا هو سكينة النفس القلقة ، وهداية القلوب الضالـــة ، ومنار السالكين الحائرين ، وأمـــان الخائفين وناصر المجاهدين فهو المعين الفياض الذى تستمد منـــــه الارادة القوية سر قوتها لأنه الأساس لجميع الفضائل ...

والى لقاء آخر فى نفس الموضوع.



٢

مبادئ المسؤولية الجنائية في الفقه الاسلامي

للدكتور
وهبة الزحيلي

وهناك مبادىء كثيرة ايضا تستقل بالمسئولية الجنائية بالاضافة الى بعض المبادىء السابقة المشتركة بين نوعي المسئوليتين : المدنية والجنائية ، واهم هذه المبادىء ما يأتى :

اولا ــ لا يطل دم الا بحق :

اى انه لا يستباح ولا يهدر دم انسان الا بحق شرعى ثابت ، لأن اهدار الدماء بغير حق عدوان أثيم على افراد البشرية ، لذا حدد الاسلام بكل وضوح الاشخاص الذين يجوز قتلهم قصدا وهم كأصل عام ثلاثة .

روى الجماعة عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا اله الا الله ، وأنى رسول الله الا باحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » فدل هذا الحديث على انه لا يحل اراقة الدم عمدا الا اذا كان الزانى محصنا (أى متزوجا) فيرجم بالحجارة ، أو كان قاتلا عمدا عدوانا ، أو مرتدا عن الاسلام بأى ردة كانت ــ والعياذ بالله ــ .

وهذا الحصر الوارد فى الحديث لا يمنع من اقرار مشروعية قتال الأعداء والصوال (اى العادين على الناس) والبغاة (أى الثوار بتأويل

حق أو ولاية) ، لأن قتلهم ليس قصدا وانما لدفع شرهم وعدوانهم ، وذلك بأدلة شرعية أخرى ، لذا اقرت جميع الشرائع مبدا الحرب الدفاعية ، والدفاع الشرعي .

وقد عظم الاسلام شأن الدماء ، فقال تعالى : « من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض ، فكأنما قتل الناس جميعا » وقال صلى الله عليه وسلم : « قتل المؤمن أعظم عند الله تعالى من زوال الدنيا » « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء » وأوصى سيدنا على فى كتابه للأشتر النخعى فقال : « اياك والدماء وسفكها بغير حلها ، فانه ليس شيء أدعى لنقمة ، ولا أعظم لتبعة ، ولا أحرى بزوال نعمة ، وانقطاع مدة : من سفك الدماء بغير حقها .. » .

وقال فقهاء الحنابلة : « الأصل فى الدماء الحظر الا بيقين الاباحة » وقال الحنفية : « الآدمى معصوم ليتمكن من حمل أعباء التكاليف ، واباحة القتل عارض سمح به لدفع شره » وقال الامام مالك : « لا ينبغى لمسلم ان يهريق دمه الا فى حق ، ولا يهريق دما الا بحق » .

ثانيا — لا يسال احد عن جريرة احد :

أى أن العقاب فى الاسلام أمر شخصى لصيق بالجانى نفسه ، فلا يتحمل مسئولية الجناية غير الجانى ، هذا هو مبدأ المسئولية الشخصية الجزائية ، وبه هدمت الشريعة نظام الجاهلية فى أمر القتل الذى كان يعتبر جميع أفراد القبيلة مسئولين عن جناية الواحد منها ، فقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر ... » وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يؤخذ الرجل بجريرة أبيه ، ولا بجريرة أخيه » وقال لأبى رمثة وابنه : « انه لا يجنى عليك ولا تجنى عليه » وقال أيضا : « لا تجنى نفس على أخرى » .

وهو مبدأ عام فى كل أنواع العقوبات الشرعية ، أما نظام العاقلة الذى كان يقضى بتحمل عصبة القاتل قتلا غير عمد دية المقتول ، فهذا أمر استثنائى أقر به الاسلام النظام العربى المتبع فى الجاهلية حينما كانت رابطة القبيلة فيما بين أفرادها تقوم على أساس التناصر والتعاون ، فالقاتل لم يقترف جريمة القتل الا باعتماده على قوة أسرته أو قبيلته التي ينتمى اليها ، فكأن الجريمة منسوبة ضمنا الى كل فرد من أفراد العاقلة .

ومع ذلك فان الجانى اليوم هو الذى يتحمل وحده فى ماله الخاص دية القتيل ، لزوال نظام العشيرة وتفكك الأسرة ، وفقدان معنى التناصر بين أفرادها ، قال فى الدر المختار ورد المحتار : « اذا لم يكن للقاتل عاقلة ، فالدية فى بيت المال ، لأن جماعة المسلمين هم أهل نصرته ، وبما أن العشائر قد وهت ، ورحمة التناصر بينهم قد رفعت ، وبيت المال قد انهدم ، فتمين أن تكون الدية فى مال الجانى » .

ثالثا — الشريعة أساس الحكم على الجريمة والعقاب :

ان المبدأ السائد فى القوانين الوضيعة الجزائية هو « لا جريمة ولا عقوبة الا بالنص » وذلك لحماية حقوق الأفراد وحريتهم فى أفعالهم وتصرفاتهم ، الا أن الفقه والقضاء الحديث اتجه الى ضرورة التخفيف من حدة هذا المبدأ وتوسيع سلطة القاضى فى تقدير العقوبة أو ايقاف تنفيذها أحيانا ، منعا من جمود

التشريع الجنائى وتخلفه عن مسايرة التطورات الحديثة .

وقد اتهمت الشريعة الاسلامية جهلا وغلطا بأنها تترك أمر التجريم والعقاب مطلقا للقاضى ، ومنشأ هذا الظن الآثم عدم وجود تقنين خاص بالجرائم والعقوبات عند المسلمين .

لكن عدم وجود تقنين بالمعنى الضيق لا يعنى أن القاضى حر التصرف من حيث المبدأ فى التجريم والعقوبة ، وانما هو مقيد بأحكام الشريعة وبما تضعه الدولة له من نظام يسير عليه ، فلا مانع فى الاسلام من وضع تقنين خاص بالعقوبات ، لأن الامام أو الحاكم الأعلى مفوض اليه اصل فكرة العقوبة التعزيرية ، كما هو الحال فى حق كل دولة بأن تضع ما تشاء من الأنظمة والقوانين الداخلية ، فهو اصل دستورى فى الاسلام وغيره ، لا ينافى تقدير العقوبة وتجريم الفعل بقانون خاص يلتزمه القضاة ، والدولة مقيدة فى ذلك بما يحقق الصالح العام ومقتضيات الزمان وتطور الأحداث .

والقاضى له سلطة تقديرية فقط فى تطبيق المبدأ او القانون المتبع حسبما يرى ملائما لظروف الجريمة والجانى ، وذلك فى غير دائرة القصاص والحدود (أى العقوبات الشرعية المقدرة نصا فى القرآن أو السنة) ومن المعلوم ان فى الشريعة بيانا كافيا لشؤون الحرام : وهو كل ما يصادم المبادىء الأساسية الكلية : وهى الدين الحق ، والنفس والعرض والعقل والمال . وهذا الاجمال ابانه الفقهاء فى كتبهم ووضعوا للقاضى وغيره تصنيفات متعددة بالجرائم والعقوبات ، وعلى كل مسلم ومسلمة كواجب دينى تعلم ومعرفة كل ماله صلة بالحلال والحرام ، حتى لا يفاجأ احد بعقاب صاحب السلطة المنفذ لأحكام الشريعة ، ولا يحق للقاضى بعدئذ ان يجرم فعلا أو يعاقب بعقاب لا تألفه الشريعة ولا يعرفه الناس .

بل ان فقهاءنا سبقوا القانونيين الى معرفة قاعدة « لا جريمة ولا عقوبة الا بنص » فقرروا القاعدتين التاليتين :

١ — « لا حكم لأفعال العقلاء قبل ورود النص » .

٢ — «الأصل فى الأشياء الاباحة»

ومصدر هاتين القاعدتين قول الله تعالى : « وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا » وقوله سبحانه : « وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا » وقوله عز وجل : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » فهذه النصوص القرآنية قاطعة بأن لا جريمة الا بعد بيان ، ولا عقوبة الا بعد انذار . وصرح علماء الأصول من الحنفية بأنه لا يجوز القياس فى الحدود والمقدرات الشرعية .

والخلاصة أن الشريعة تلتقى مع القوانين فى بيان واحترام مبدأ قانونية أو شرعية الجرائم والعقوبات كل ما فى الأمر ان القانون حدد ذلك بمجموعة قانونية خاصة ، وأما الشريعة فيمكن معرفة الجريمة والعقاب فيها اما فى القرآن أو فى السنة النبوية ، أو باجماع المجتهدين أو فتاويهم ، وهذا لا يحتاج الا الى تنظيم وتصنيف لا مانع منه فى الاسلام كما عرفنا .

والعقوبات كما هو معروف نوعان : مقدرة وغير مقدرة ، فالأولى هى الحدود والقصاص والثانية هى التعزيرات ، والتفويض فى شأنها للدولة كأصل دستورى عام ، والقاضى ملتزم بما يأمره به الحاكم الأعلى المقيد بأوامر الشرع ونواهيه والسلطة الممنوحة للقاضى محصورة فى شأن

التطبيق فقط ، فيصدر حكمه الجزائي بحسب ظروف الجاني وطبيعة الجريمة . وبذلك فان الشريعة الاسلامية تكون قد ابتدأت فى العقوبات التعزيرية بما انتهت اليه القوانين الحديثة .

رابعا ــ الحاكم هو الذى يتولى تطبيق العقاب الجنائي :

ان الحاكم أو نائبه هو الذى يختص بتطبيق العقوبات ، سواء اكانت مقدرة ام غير مقدرة ، حفظا للنظام ، ومنعا من الفوضى ، ودرءا للفساد ، وانتشار المنازعات بين الناس ، قال الكاسانى صاحب البدائع : يقيم الحد الامام او من ولاه الامام . وقال الماوردى : « مما يلزم الحاكم من الأمور العامة : اقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك ، وتحفظ حقوق عباده من اتلاف واستهلاك » وقال الدردير المالكى : « لا يجوز لأحد تأديب أحد الا الامام أو نائبه ... أو الزوج لنشوز زوجته أو تركها نحو الصلاة اذا لم ترفع للامام ، أو الوالد لولده الصغير ، أو معلما » وقال المحب الطبرى « وعلى الغاصب التعزير لحق الله تعالى ، واستيفاؤه للامام » وقال العز بن عبد السلام : «لا يستوفى أحد حق نفسه بالضرب»

فهذه العبائر تدل على أن العقاب يطبقه الحاكم ، ولا يجوز لانسان لا سلطة عامة شرعية له أن يمارسه ، بدون اشراف الحاكم ، لذا فان **عادة الأخذ بالثار** حرام ابطلها الاسلام ، اذ لا فائدة منها سوى توسيع دائرة القتل ، وتوالى الويلات والجرائم ، وتوليد الاحقاد ، واثارة العداوات التى لا تكاد تنتهى ، فيفشو وباء اراقة الدماء فى المجتمع ، ويصبح الأمن العام مهددا بالأخطار ، لذا قال تعالى : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب » .

واذا كانت الشريعة تجعل حق القصاص لولى الدم : وهو وارث القتيل ، بأن تفوض له تنفيذ القتل ، فان ذلك مشروط بأن يكون تحت اشراف الحاكم الذى يتولى اثبات الجريمة واصدار الحكم الجزائى بشأنها حسما للفوضى والنزاع . وهذا التدبير لا ضرر فيه على الجانى ما دام الجلاد أو غيره سيقتله ، بل انه أشفى لألم المصاب ، وقد يكون ادعى لرحمته وعفوه عن القاتل حينما يراه تحت سلطته ، ويقتصر حينئذ على الحق العام وهو تعزير الجانى بالحبس ونحوه بما يراه القاضى زاجرا له ولأمثاله ، كما سنبين .

خامسا ــ تكافؤ الدماء والمساواة فى العقوبات :

الناس جميعا فى تقدير الشريعة متساوون فى الحقوق والواجبات ، وفى الحدود وسائر العقوبات وفى تكافؤ الفرص ، لا فرق بين غنى وفقير ، وشريف ووضيع ، وحاكم ومحكوم ، وسيد ومسود ، والدماء متساوية بين السليم والمريض والعالم والجاهل ، والعاقل والمجنون والكبير والصغير ، والرجل والمرأة ، والمسلم والمواطن المعاهد ، والجماعة والواحد ، فاذا اعتدى واحد على آخر ، فقتله ، اقتص منه تحت رقابة ولى الأمر ، دون تفرقة فى الجنس أو الجنسية أو العنصر والعرق ، أو اللون أو الدين . والمساواة لازمة أيضا بين الجريمة والعقاب حفاظا على أمن المجتمع والجماعة ، والفرد والأسرة ، وتحقيقا لأصول الحرية ، وصونا للكرامة الانسانية . لذا قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا

كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى .. » ، « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالانف والأذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص ... » .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم .... » وقال بشأن الشفاعة فى فاطمة المرأة المخزومية التى سرقت : « انما هلك من كان قبلكم بأنه اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف قطعوه ، والذى نفسى بيده لو كانت فاطمة بنت محمد ، لقطعت يدها ، فقطع يد المخزومية » . وقال فى آخر حياته الشريفة : « الا من كنت جلدت له ظهرا ، فهذا ظهرى فليستقد ، ومن كنت شتمت له عرضا ، فهذا عرضى فليستقد منه » أى فليقتص منه .

وقال أبو بكر لرجل شكا اليه عاملا قطع يده ظلما : « لئن كنت صادقا لأقيد بك منه » أى لأقتص لك منه . وثبت أن عمر قال : « انى لم أبعث عمالى ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، فمن فعل به ذلك فليرفعه الى أقصه منه .. » وقال عمر أيضا فى كتابه الى سعد ابن أبى وقاص : « ان الله ليس بينه وبين أحد نسب الا بطاعته ، والناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء » .

سادسا ـ القصاص لا يتجزأ :

يعنى أن القصاص أو عقوبة الاعدام لا يقبل بطبيعته التجزئة ، فلا يمكن استيفاء بعض القصاص دون بعض اذ أن القضية اما موت أو حياة ، فاما أن يطبق اذا لم يكن هناك مانع شرعى من تطبيقه ولو اشترك فى الجريمة أكثر من واحد ، واما الا يطبق .

فاذا ثبت حق القصاص لجماعة ، فهو حق كامل يستقل به كل واحد منهم بالمطالبة به ، لنشوئه عن سبب لا يتجزأ ، وبناء عليه قال أبو حنيفة والمالكية : يحق لورثة القتيل الكبار طلب القصاص دون انتظار كبر الصغير ، وصحو المجنون ، بدليل قول سيدنا على لابنه الحسن عندما ضربه ابن ملجم أخزاه الله : ان شئت فاقتله ، وان شئت فاعف عنه ، وأن تعفو خير لك ، فقتله الحسن ، وكان فى ورثة على صغار السن .

وخالف فى ذلك الشافعية والحنابلة وصاحبا أبى حنيفة فقالوا : لا يجوز لبعض ورثة القتيل استيفاء القصاص الا باذن الباقين ، فان كان أحدهم غائبا أو صغيرا أو مجنونا ينتظر قدومه أو بلوغه أو افاقته ، لأن القصاص حق مشترك بينهم .

ومن أمثلة هذه القاعدة أيضا : لو عفا أحد الورثة المستحقين للقصاص ، حتى ولو كان زوجا أو زوجة ، صح عفوه ، وسقط القصاص فى قول أكثر العلماء منهم أئمة المذاهب الأربعة ، لأن العفو عن القاتل أورث شبهة فى الاستحقاق ، والقصاص لا يستوفى مع الشبهة ، ولأن العفو أسقط نصيب العافى ، فيسقط نصيب الآخر ، لعدم امكان تجزئة القصاص .

واذا اشترك اثنان فأكثر فى قتل شخص ، يقتلون جميعا باتفاق المذاهب الاربعة ، لأن زهوق الروح لا يتجزأ ، ولا يمكن قسمته بين الجناة الشركاء فى الجناية ، واشتراك الجماعة فى أمر لا يتجزأ ، يوجب عقابا كاملا فى حق كل منهم ، كأنه لا يشاركه فيه غيره ، وهذا الحكم

ثبت باجماع الصحابة ، لأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قتل سبعة انفس من أهل صنعاء قتلوا رجلا ، وقال : « لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم جميعا » .

واذا اشترك اثنان فى قتل رجل : أحدهما ممن يجب عليه القصاص لو كان منفردا بالجريمة ، والآخر لا يجب عليه لقصور أهليته أو خطئه أو لكونه والدا للمجنى عليه ، أو لأنه غير انسان ، فلا يقتص فى مذهب الحنفية والحنابلة من الأول ، مثاله اشتراك صبى مع بالغ ، ومجنون مع عاقل ، وخاطىء مع عامد فى قتل شخص ، أو اشتراك والد مع آخر اجنبى فى قتل الابن ، أو اشتراك رجل مع سبع أو حية فى اماتة انسان ، فلا قصاص لوجود الشبهة فى فعل الأول ، ولا يطبق القصاص مع الشبهة ، ولأنه حق لا يتجزأ ، لكن تجب الدية عليهما .

سابعا ـ اذا سقط الحق الخاص فى العقاب بقى الحق العام :

العفو عن القصاص والعقوبات أمر لازم كالابراء عن الديون ونحوها من التصرفات التى لا تحتمل الفسخ او الرجوع .

واذا سقط عقاب القصاص أو غيره من حقوق الشرع الخالصة بالعفو من صاحب الحق فيه ، أو بسبب آخر ، بقى حق المجتمع الذى يمثله الحاكم ، فله تعزير الجانى بالجلد أو بالسجن أو بما يراه محققا للمصلحة العامة ، لأن للجماعة حقا فى أصل العقاب للتأديب والزجر ، وهذا من مقتضيات السياسة الشرعية فى مذهبى الحنفية والمالكية .

الا أن الامام مالك حدد نوع التعزير ، فقال : اذا عفا ولى الدم عن القاتل عمدا ، يبقى للسلطان حق فيه ، فيجلده مائة ، ويسجنه سنة .

وفوض الحنفية أمر العقاب حينئذ للحاكم فيما يراه ملائما .

وذكر الماوردى فى نطاق التعزيرات أن لولى الأمر فى الأظهر عند الشافعية أن يعزر الضارب والشاتم بعد أن عفا المضروب والمشتوم ، لأن للسلطنة حقا فى التقويم والتهذيب ، وذلك من حقوق المصلحة العامة . وقال أبو يعلى الحنبلى : ظاهر كلام أحمد انه يسقط حق السلطان بعفو صاحب الحق فى التعزير ، ويحتمل أن لا يسقط للتهذيب والتقويم .

ثامنا ـ لا قصاص فى الجروح حتى يبرأ المجنى عليه :

لا يجوز اصدار حكم بالقصاص فى الجروح والأعضاء حتى يبرأ المجنى عليه ، ليعرف مآل الجراحة ، اذ أنها قد تسرى الى النفس ، فيحدث القتل فلا يعلم أنه جرح منضبط محدود الأثر الا بالبرء . وهذا هو رأى جمهور الفقهاء ، وعبارتهم فى ذلك : « لا يقاد بجرح الا بعد برئه » لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يستقاد من الجروح حتى يبرأ المجروح . واستحب الشافعية ذلك فقط عملا بأثر وارد بجواز استيفاء القصاص قبل اندمال الجرح وشفائه .

تاسعا ـ عمد الصبى وخطؤه سواء :

اتفق الفقهاء كما ذكرنا فى مبادىء المسئولية المدنية على أن اتلاف الصبى الصغير ونحوه كالمجنون موجب للضمان ، فاذا أتلف مال انسان أو استهلكه ، كان ضامنا لمثله أو قيمته فى ماله ان كان موسرا ، وينتظر يساره اذا كان معسرا ، لأن الصبى مؤاخذ بأفعاله دون أقواله ، قال ابن نجيم المصرى فى الاشباه : « ان الصبى المحجور عليه يؤاخذ بأفعاله ، فيضمن ما أتلفه » وقال البغدادى فى مجمع الضمانات : ان الصغر يوجب الحجر فى الأقوال دون الأفعال ، لأنه لا مرد لها ، لوجودها حسا ومشاهدة بخلاف الأقوال ، وان أتلف شيئا ، لزمه ضمانه » وقال الاستروشنى فى جامع أحكام الصغار : « صبيان يلعبون بالرمى ، فمرت بهم امرأة ، فرمى صبى ابن تسع سنين أو نحوه سهما ، فأذهب عينها ، قال الفقيه أبو بكر رحمه الله : الدية فى مال الصبى دون والده ، فان لم يكن للصبى مال فنظرة الى ميسرة » .

وأما فى المسئولية الجنائية ، فقال الحنفية والمالكية والحنابلة : ان عمد الصبى خطأ أى فى حكم الخطأ بالنسبة لوجوب المال والتزامه به . ومثله المجنون والمعتوه . فاذا جنى أحدهم جناية عمدا ، لا قصاص عليه ، لأنه لم يتوفر منه كمال القصد أو نية العمد ، لقصور أهليته وعقله ، ولعدم مسئوليته عن التكاليف الشرعية ، فصار فعله كالنائم وأشبه عمده الخطأ ويؤيده أن مجنونا صال على رجل بسيف فضربه ، فرفع ذلك الى على رضى الله عنه ، فجعل ديته على عاقلته بمحضر من الصحابة رضى الله عنهم ، وقال : عمده وخطؤه سواء .

وقال الشافعية : الاظهر ان عمد الصبى عمد اذا كان مميزا ، والا فهو خطأ ، يعنى أنه لاقصاص عليه لعدم تكليفه بالحلال والحرام شرعا ، لكن تجب الدية فى ماله ، ولا تتحملها عنه عاقلته . واذا كان نظام العواقل قد زال الآن فمذهب جمهور الفقهاء يلتقى فى النتيجة مع مذهب الشافعية فى أن ايجاب الدية فى مال الصبى ونحوه .

عاشرا ـ درء العقوبات المقدرة بالشبهات :

يحتاط فى تطبيق العقوبات الشرعية ، سواء أكانت قصاصا أم حدودا وذلك منعا للظلم ، واقرارا للعدل ، وسترا على الخاطىء بقدر الامكان لعله يتوب بنفسه ، هذا ما لم يكثر ارتكاب الجريمة من الخاطىء ، أو يقترفها بقصد المباهاة بها ، أو يترتب عليها اخلال مستمر بأمن الجماعة عامة . وذلك يعنى أن الشك يفسر لمصلحة المتهم ودليل مبدأ الدرء أحاديث نبوية واردة بألفاظ متقاربة مثل « ادرءوا الحدود بالشبهات » « ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فان كان لها مخرج ، فخلوا سبيله ، فان الامام أن يخطىء فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة » .

أما التعزيرات فلا تسقط بالشبهة ، لأن القصد منها هو الزجر والردع . هذه هى أهم مبادىء المسئولية الجنائية أوردناها للادلال على حرص الشريعة على احترام الأنظمة وتربية النفوس وتهيئة جو الأمان والاستقرار للمجتمعات على أساس من الحق والعدل والخير والرحمة والمصلحة الواقعية التى لا تعارض مقاصد الشريعة .

مشكلة التربية والثقافة ٣

بين استقرار المبادئ وتطور العلم ودور الاسلام في ذلك

للدكتور : محمد غلاب

(٣)

أسلفنا فى الكلمات السابقة ذلك التشابه الذى وضعه المربون بين العناية بالشجيرات المثمرة ابان نشوئها من جهة ، وتربية الاطفال والشباب فى مراحلهم الابتدائية والاعدادية والثانوية والعالية من جهة أخرى . ووعدنا بتفصيل مناهج التعليم والتثقيف ، وما يجب لهذا النشء من عناية تربوية واجتماعية ، ودينية ، وها نحن أولاء نوفى بوعدنا .

المرحلة الاولى :

فيمـــا يتعلق بالمرحلة الاولى ــ وهى تشـــمل الخطوتين : الابتدائيـــة والاعدادية ــ لا يستلزم الامر كثيرا من الاختلافات أو المناقشات الا حول تنظيم المناهج ، والسير بها نحو الكمال بقدر المستطاع وجعلها مشتملة على أكبر مقدار ممكن من عناصر المعرفة التى تلتئم مع عقليات النشء فى هذه السن المبكرة . وقبل هذا كله تجب العناية باختيار المعلمين الاذكياء المختصين الاوفياء المعروفين بالجدية والسمو الاخلاقى والحزم ، والمتعمقين فى الدراسة النفسية لأن أثر الاساتذة والمربين فى هذه المرحلة بقسميها هو الاثر الخالد الذى لا يزول ولا يحول

لأنه اذا كانت الأم هى « المدرســـــة الاولى » كما يقولون ، فان اثر المدرس الابتدائى هو الذى يلى أثر الام مباشرة فى ذلك التأثير الذى لا ينمحى حتى آخر الحياة ، وأنا ان أنس لا أنسى ما حييت ذلك الاستاذ الاول الذى كان مثلا فى الايمان والاخلاق والرفعة والذكاء والحزم والشدة وحسن التقدير فكنـــا نستفيد منه ونحبه ونهابه ونشعر بذكائه وعدالته واستقامته . كل ذلك على قدر سواء ولم يكن أحد منا ولا من أهل القرية بل من أهل المنطقة يأخذ عليه شـــيئا فى دينه أو فى خلقه أو فى تأدية واجبه « كأنه يرى الله فان لم يكن يراه فانه كان موقنا بأن الله يراه » .

مرحلة المصاعب :

غير أنه ــ بعد انتهاء هذه المرحلة بقسميها ــ تبتدىء المرحلة الثانوية ، وتبتدىء معها المصاعب والعقبات ، لأن هذه الحقبة من حياة الشباب هى أدق حقب حياته وأكثرها خطورة وخطرا لأن فيهـــا تستيقظ الميول والرغبـــات ، والاتجاهات المتباينة ، وهنا يجب أن يعلم المشرفون على شؤون التربية والثقافة ان الاتجاهات وحدها لا تكفى لقيادة الشباب ، بل يجب أن يحذروا منها كل الحذر بوجه عام ، وأن يضعوها تحت الوصاية التربوية أو القوامة التثقيفية ، ولكن هذه القوامة تحمل فى داخلها عناصر خطيرة على حياة الشباب كلها اذا لم تنته الا الى مناقضة قانون النمو الطبيعى بارهاقه والوصول به الى الذبول .

اهمية التعليم الثانوى :

ومن أجل ذلك فاننا نشاهد أن الهجوم متجه الى التعليم الثانوى فى كل مكان من العالم تقريبا أكثر من اتجاههالى التعليم العالى، وأنه لا يكف فى الغالب عن أن يكون موضوعا للتجديدوالتطوير . وذلك لأنه يجب أن يكون المعلم معلما وقيما فى الوقت ذاته ، وأنه ينبغى أن يعرف كيف يتخفف من الزوائد دون أن يتعرض لتهمة التآمر على حياة الثقافة . ولا ريب ان هناك اتجاهات معـــاصرة سيئة ضارة الى تطبيق المناهج الموسعة فى المرحلة الثانوية دون التنبه الى أن هذا التوسع هو من خصائص المرحلة الجامعية بخطوتيها العالية والعليا ، وذلك بسبب أن حقبة التعليم الثانوى هى حقبة التكوين الصحيح ، وفيها ينبغى الا يمل المهيمنون على شؤون التربية من قيادة تلك العقليات الصاعدة على سلم التكوين ورقابتها وحمايتها من الفوضى الناشئة من الافراط فى التوسع . ففى هذه الاثناء النفسية من حياة الشباب ، يتخذ العقل طريقه ، ويؤلف عاداته سواء أكان ذلك بازاء حل المشكلات أم بازاء اعداد التدليل على التعقلات ، أم بازاء محاولاتايجاد الاتساق بين أجزاء القضايا التى يعمل على حلها ، وتذكر أحداثها ووقائعها . وهذه العادات هى التى يحتفظ بها كل حياته . ومن هنا أتت نفاستها وصدارتها . وبعبارة أكثر وضوحا أن هذه الحقبة هى التى ينبغى فيها تطبيق القانون القاسى الذى يتحكم فى تصرفات هذا العقل الشاب فيشذبها من جميع الزوائد الضارة أو العابثة ويكبح جموحه فيصونه عن كل انحراف حتى يصل ــ مسلحا بجميع القوى النافعة ــ الى المرحلة التالية التى وصفها الفيلسوف الفرنسى « تين » بأنها أغزر الحقب الانسانية ، وأخصبها انتاجا والتى حددها هذا المفكر الممتاز

بأنها تبتدىء قبل سن العشرين ، وتنتهى بعدها بقليل . وهو يعود الى اتباع وسيلة التشبيه بالشجرة كما أشرنا الى ذلك آنفا فيقول : « وفى ذلك العهد تمر سبعة أو ثمانية أعوام تصعد فيها عصارة الحياة فتغذى الاثمار أو الانتاج تغذية مستمرة لكى لا ينقطع ولا يتخلف من ورق الى زهر الى ثمر » وتلك هى الحقبة التينية نسبة الى « تين » الذى احكم تصويرها أو حقبة التعليم العالى بفروعه المتنوعة وخطواته من جامعية ودراسات عليا على اختلاف صورها ، وتعدد اختصاصاتها ، وتلك هى الآونة التى يلقى فيها العقل بنفسه — دون أية عقبات او مصاعب — فى بحار البحوث الاشد تشعبا وتعقدا بشرط أن تكون فى داخل اطار التخصص المختار الذى يظفر فيه المجهود الشخصى بالصدارة ، ويفوز منه بنصيب الاسد .

مرحلة الدراسات العليا :

وبهذه المناسبة يحتم علينا الواجب العلمى أن نقف هنيهة عند دور أستاذ التخصصات أو الدراسات العليا فنعلن أن هذا الدور هو الانارة والتوجيه والقيادة فى رحاب الحرية والاستقلال .

١ — فالانارة هى كشف المصادر الضرورية ، والمراجع اللازمة لا لتكوين البحث المعد فحسب ، بل لجعله عميقا ممتازا فى السير نحو الكمال ، مسهما فى الخلود بقدر المستطاع ثم تبين الفروق بين المصادر الاصيلة ، والمصادر الدخيلة ، ودرجات أو دركات كل منها فى الاصالة والدخالة ، وشرح ما يجب على الطالب الاعتماد عليه بلا ضرورة تلجئه الى ذلك وما لا ينبغى الاعتماد عليه الا لضرورة قاهرة .

٢ — والتوجيه هو ارشاده الى مواطن الضعف فى بحوثه ، ومواضع الكبوات والاخطاء منها ومناقشته فيها ، وتعويده على مزاولة النقد العادل النزيه الذى لا يعرف التحامل ، ولا يألف التحيز أو الميل ، وتمرينه على النظر فى أدلته التى يدعم بها نقده ، وعلى تأييد آرائه ومساندتها فى ظل المنطق ، وفى دائرة آداب البحث التقليدية ، واشعاره بأن لديه أوسع أنواع الحرية ، ونصحه بأن يشذب مناقشاته ويصقلها ويعيدها الى الاستقامة كلما انحرفت عن الطريق السوى وأن يؤمنه من غضب الاستاذ حتى يشجعه على مساندة الحقيقة وتعقبها فى مسالكها الشائكة المتعرجة حتى الظفر .

٣ — والقيادة هى محاولة جذبه الى التنقيب الواعى عن الحقيقة من حيث هى دون أى اتباع لأهوائه الخاصة أو ميوله الشخصية واذا لم يهتد الى جميع المسالك الموصلة الى الحقيقة او وجد طرق الاقدمين مسدودة أو ملتوية أرشده الى طرق أخرى لم يستغلها احد أصلا أو استغلت وأسىء استغلالها وأبان له معالمها وأرشده الى تحسين ما أساء القدماء من استغلالها ثم وضعه على مبدئها ورسم له الخطة أو الخطط الضرورية المؤدية الى النجاح فى الابداع أو التجديد .

وأخيرا يجب على الاستاذ أن يعود طالب الدراسات العليا على أن يكون صعب المراس فى البحث فينبذ أنصاف الحلول ، وأن ينفر من النهايات التقريبية لأن التعليم العالى له — فى تقييم الشعوب والمفاضلة بينها — أرفع مكانات الصدارة والامتياز . وفى هذا يقول « جول فيرى » الوزير الفرنسى الخالد الذكر ما يلى :

« أن مراحل التعليم الاولى تحتفظ للأمة بمكانتها بين الدول الراقية ولكن التعليم العالى يضمن لها الصدارة على غيرها » .

غير أن هذا التعليم العالى على صورته العامة — وان كان يحفظ للأمة صدارتها على الامم الاخرى — هو لا يكفى لتحقيق الخلود ، بل ان الذى يحقق ذلك الخلود هو انتاج الموهوبين والعباقرة والفائقين الذين يشار اليهم فى عصورهم بالبنان ، ويكتب التاريخ أسماءهم بحروف النور فى سجلات الابدية . والا فماذا استفادت « اسبرطا » و « قرطاجنا » من أبهتهما وفخفختهما ووفرة الهناءة والقوة الماديتين فيهما ما دام أن هاتين المدينتين اللتين لا روح فيهما ولا موهبة ولا عبقرية قد عفى عليهما الزمن ، بل كاد التاريخ أن ينسى وجودهما لولا أنه يذكرهما بسبب حروبهما مع غيرهما بل أن أطلالهما هى وحدها الدالة على أماكنهما . بينما أن أثينا والاسكندرية اللتين انتزعتا خلودهما من انتاج موهوبيهما وعباقرتهما فى الفلسفة والادب والفن والعلوم ستظلان خالدتين أبداً ما دام فى الانسانية عقول وتفكيرات ولو زالت معالمهما المادية من الوجود ولا قدر الله لأن التاريخ سيذكرهما دائما منحنى الرأس أمام عظمتهما وجلالهما . وذلك لأن اجماع العقلاء منعقد على أن الشعوب لا تسلم من الفناء ولا تخلد الا بسبب حياة قيمها العقلية والروحية والدينية ، وتجديدها المستمر .

دور التثقيف :

بقى علينا الآن أن نعرض لدور أخطر من أدوار التربية ، وهو دور التثقيف العام الذى تقوم به على الاخص مرحلة التعليم الثانوى ، والذى يهيىء لأبناء الأمة كثيرا من فرص الاثمار النافع والانتاج المفيد ويجعلهم قادرين على الاسهام فى السير بها الى الامام بحظوظ متنوعة ، ويعد الموهوبين منهم للبروز والارتقاء الى درجة الصفوة الممتازة . ومن ثم فان علماء التربية يجعلونه فى مقدمة أدوار التعليم الثانوى الى جانب دور المناهج التربوية وان كان يختلف عنها فى الانظمة ذوات الاطارات المحددة باللوائح والقوانين .

ومن دواعى العناية بهذا الدور التثقيفى أنه أكثر شمولا من اطار التعليم العالى الذى كان الى عهد قريب محتفظا به لقلة محدودة من الشباب . ولو أن هذه القلة ، ولله الحمد ، قد طفقت — بفضل وثبتنا الحاضرة ونهضتنا المتلألئة — تزداد باطراد صاعد متواصل ، الا أنها لا تستطيع أن تستوعب العدد الضخم الذى يحتويه التعليم الثانوى .

واذن فمن المهم أن يفهم الشباب عند نهاية المرحلة الثانوية كل ما ينبغى له فهمه وأن يتعلم كل ما يجب عليه أن يحرزه لكى يكون مثقفا بالمعنى الكامل لهذه الكلمة لأن كون الفرد مثقفا ليس معناه كونه عالما متخصصا فى أية مادة بعينها ، وانما الثقافة الحقيقية هى حالة عامة بل هى فى أحد معانيها متعارضة مع التخصص .

حقا انه يقال ويعاد كثيرا فى هذه الأيام ان التخصص هو الشىء الوحيد المرغوب فيه فى عصرنا الراهن لأن مجتمعنا الحالى فى حاجة الى شخصيات متفوقة فى محيطاتها بل يقال ان التخصص هو الممكن الوحيد الآن لأن أحجام المعارف قد تزايدت بافراط الى حد أن العقل البشرى لم يعد يستطيع أن يحتويها ، بل ولا أن يتلقاها . ولكن هذه الحجج التى تؤيد التخصص وحده ، وتحاول النيل

من قيمة الثقافة العامة لا تساوى شيئا . ولهذا تجب مزاولة التثقيف منذ بدء المرحلة الثانوية . وذلك يقتضى أن تتخلص المناهج من الكميات التى ظهر بطلانها أو شاخت من المعارف واصبحت لا تنتج الا مزاحمة المناهج عبثا وبلا فائدة على نحو ما أحدثته ثورة الفكر الاوروبى الحديثة بازاء منتجات « المدرسين » فى العصور الوسيطة فأوسعت المجال لغيرها من المعارف المفيدة .

رعاية الشباب :

وليس هذا فحسب بل ينبغى السهر على رعاية الشباب فى خارج المدارس وفى المنازل ، وحفظه من دوامة الصور المرئية والمسموعات التى تقدمها اليه **الافلام السينمائية والتليفزيون** والراديو . وليس معنى هذا أن منتجات هـــذه الآلات كلها ضارة يجب تجنبها كلا بل ان الخليط المركب من كثير من الشر وقليل من الخير ، ودوام مزاولة رؤيته وسماعه أو الافراط فيهما ، هو الذى يوقف عجلة التفكير النافع ، ويقضى على جهود التأمل المفيد ، ويشل حركة الارادة ، ويجعل الشباب سلبيا ، ويفقده أعز الاوقات وانفسها .

ومما ينبغى أن ننوه اليه هنا قبل مغادرة هذا البحث هو أن المتخصص الذى لم يتثقف بالثقافة العامة كان ينظر اليه فيما مضى كأنه عضو غير متكامل . وان فنانى « النهضة » كانوا أعظم فنانى جميع العصور بفضل ارادتهم التى استقرت على « ألا يبقوا أجانب عن أى شىء » على حد ذلك التعبير الجميل الذى سجله الاغريق الاقدمون . وتلك هى عينها فكرة عمومية المعرفة التى هى ينبوع مجد أسلافنا من مفكرى المسلمين كالفارابى وابن سينا ، واخوان الصفا ، والغزالى ، ومحيى الدين بن عربى ، ومن آيات ذلك ما نراه فى مؤلفاتهم من بحور العلوم المختلفة واجاداتهم الفائقة فى كل مادة من هذه المواد التى تقصر عن الاحاطة بها جهود البشرية . ومن يرتاب فى هذا فليس عليه الا أن يلقى نظرة فاحصة فى الشفاء أو النجاة أو رسائل اخوان الصفاء أو فى الفتوحات المكية أو ما كتبه الامام الغزالى فى المنقذ من الضلال عن سعة اطلاعه وترامى معارفه ، أو ماكتبه الامام الشعرانى عن معارف محيى الدين بن عربى ، وثقافته الشاملة المحيطة . وليس هذا فحسب بل اذا نظرنا فيما يكتبه عظماء نزهاء المستشرقين عن هؤلاء الاماجد ألفينا فيها العجب العاجب الذى يرضى العقول ، ويسحر القلوب قبل أن يبهر لألاؤه الابصـــار . ومن ذلك على سبيل المثـــال ما يعبر به المستشرق الفرنسى الشهير البارون « كرادى فو » فى كتابه « ابن سينا » عن اعجابه بهؤلاء المفكرين الذين كان ايمانهم بالعقل بعيد المدى ، والذين بلغت معارفهم من التنوع والامتداد الى حد خليق باثارة اعجاب علماء العصـــور الحديثة ومتخصصيهم المتازين .

ولقد استمرت هذه الثقافة العميقة الضليعة التى لا يضايقها التخصص ولا يغلق فى وجهها الابواب أو استمر ذلك التخصص الواعى الذى لا تشوش عليه وفرة الاطلاع المترامى الاطراف الى ما بعد القرن العاشر الهجرى ، فكنت ترى منذ نشأة الازهر الى القرن الماضى العلوم المتنوعة تدرس فيه ســـاطعة متلألئة دون أن تمنع وفرتها أولئك الجهابذة من مزاولة التخصصـــات المتعمقة واتقانها الى حد ايجاد الاعاجيب والمعجزات .

ولكن هذه الحركة الممتازة لم تلبث أن أصيبت بنوع من الشلل أقعدها عن

النهوض الثقافى وحصرها فى اطار محدود سميك صفيق لا يسمح بمعرفة اى شيء سوى ما هو مسجل فى الكتب التقليدية التى جعل يتوارثها التلاميذ عن شيوخهم ، وكأنهم جميعا يمثلون أهل «كهف أفلاطون» الموثقين الذين لايستطيعون الالتفات الى الوراء حتى يروا الحقائق المطلقة على ضوء الشمس المعنوية فصاروا يكتفون بالأدلة النقلية ولا يفكرون فى أن هذه الأدلة لا تقنع الا المسلمين الذين يؤمنون بصدق القرآن والاحاديث ولكن الانظمة التجديدية التى تعاقبت على هذه الجامعة التليدة جعلت تنقذها من ذلك الخمول شيئا فشيئا .

وبعد ذلك كله ومرة أخرى نعود الى ما اشرنا اليه آنفا عن المرحلة الثانوية فنقرر أنها من أفضل الحقب ، ومن خير الوسائل لتقوية ارادات الشباب وظفره بغزارة الثقافة واتساع الافق . ومن ثم ينبغى أن يفهم المهيمنون على التثقيف أنه يجب عليهم أن يضعوا فى أذهان الشباب أن نتائج سنى هذه المرحلة النفيسة يجب أن تبقى خالدة فى عقولهم ، كما ينبغى أن يثبتوا فى أذهانهم أن كلمة المعرفة معناها على الاخص امتلاك المعارف بصورة نهائيـــة أو الاستيلاء عليهـــا مدى الحياة ، ومما لاريب فيه أن طول المناهج ، وتراكم المواد ، وتزاحمها فى تلك العقول الشابة تضطر المعلمين والتلاميذ الى الهرولة بخطى سريعة فى ممرات العلوم وبين هياكلها دون المقدرة على أن تثبت الى الابد فكرا واضحة كتلك المواد فى هاتيك العقول الناشئة التى لا تحتفظ بها الا ريثما تنتهى الامتحانات ، ثم تنسى على اثر ذلك كل شيء . وأن ننس لا ننسى عبارة الاستاذ « هنرى توريس » أحد أمجاد المحامين الفرنسيين المعاصرين اذ يقول فى هذا الشأن ما نصه : « ان العقل ينبذ فى عنف ، ما أدخل فيه بعنف » .

واذن فالحل الامثل لهذه المعضلة هو تقديم العروض الثقافية الى التلميذ مركزة ، ولكنها واضحة منظمة محددة ، لكى يتلقاها كما يتلقى مفردات اللغة . ولكى تبقى المعارف فى عقله الى ما بعد زمن الدراسة .

وليست الغاية المقصودة هنا هى الاحاطة الشاملة ، بل هى ايجاد عقول مفتحة مزدانة بكل ما يرصع العقل المثقف ، وينبغى أن يتذكر المهيمنون على هذه المرحلة ، أن التلميذ ــ بعد أن ينتهى من التعليم الثانوى ــ لا يتعهد بالتنمية الا العلوم التى تجتذبه ، وانه بالتـــالى يهجر الاخرى بمجرد استطاعته اختيـــار تخصصه . ومعنى هذا أنه اذا انتهى من المرحلة الثانوية دون ثقافة عامة منظمة متعمقة ، فانه سيبقى دائما محكوما عليه بألا يملك سوى ثقافة جزئية .

حقا ان الاستقلال للتلاميذ يبقى كاملا بحيث يستطيعون القراءة والتفكير فيما وراء المواد الجوهرية التى يتلقونها لأن الطبائع العقلية الثرية لا تشبع البتة، ولكن بالنسبة الى جماهير التلاميذ ينبغى الا يجهلوا شيئا من المواد الاساسية ، كما يجب أن يلقنوا الثقافة بطريقة متينة ، وعلى صورة خليقة بالدوام .

واخيرا لنكن على يقين من أن الطبيب ، أو المحامى ، أو المهندس ، يكونون أقوى ، وأكثر مقدرة فى محيطاتهم الخاصة لو أن ثقافة عامة متعمقـــة توجت عقولهم واقتادتها نحو الشؤون الاجتماعية والانسانية . وعند ذلك فقط يؤلفون صفوة الدولة ، ويسهمون فى عظمتها ومجدها الخالدين .

هذا وسنختتم هذه السلسلة بحديثنا عن وجوب التعليم الدينى فى مدارس الدولة على اختلاف مراحلها فالى الملتقى .

العرب والحضارة

هكذا كنا . ويجب أن نكون

للأستاذ : محمد الدسوقي
المحرر بالمجمع اللغوى ــ القاهرة

١ ــ هناك حقيقة تاريخية لا يستطيع مؤرخ منصف أن يتجاهلها أو ينكرها وهى أن أوربا كانت فى القرون الوسطى تعيش فى ظلمات الفكر والعادات والتقاليد ولم تكن هناك قوانين عادلة تكفل لكل ذى حق حقه مهما تكن منزلته ، ولم يكن يعتقد أن يصير العالم الى ما صار اليه اليوم من القوة والتقدم فى شتى مجالات الحياة ، لولا العرب الذين أناروا للبشرية بعامة ، ولأوربا بخاصة ، سبيل النهضة والحضارة ، وكانوا للعالم المنقذ الذى جنب القافلة الانسانية مزالق التأخر والاضمحلال ، وأخذ بيدها الى مراقى الفكر وسنام العقل ، ففتح بذلك أمامها طريق البحث والتنقيب والدرس الذى نقلها تلك النقلة الضخمة ، فتحولت الى مجتمع ذى حضارة ومدنية لم تعرف البشرية لها نظيرا فى تاريخها الطويل .

٢ ــ فالعرب ــ أهل الجزيرة ــ بعد أن هداهم الله الى الاسلام حملوا أرواحهم على أكفهم ، وانساحوا فى الارض يبلغون رسالة الله الى الناس جميعا وأقبل الناس زرافات ووحدانا على اعتناق هذا الدين الجديد طوعا واختيارا ، لأنهم ألفوا فيه غذاءهم الروحى السليم ، وانسانيتهم التى طالما تعرضت ــ باسم الدين ــ لصنوف مختلفة من المهانة والتحقير والتعذيب والتسخير .

٣ ــ لذلك ما كاد القرن الهجرى الاول ينتهى حتى انتشر الاسلام فى مساحات شاسعة وصل الى أوربا غربا والى الصين شرقا ، وأحدث فى كل منطقة حل فيها انقلابا جذريا فى أفكارها وعقائدها ونظم حياتها ، وانتشرت مع انتشار الاسلام اللغة العربية لأنها لغة كتابه الكريم ، وتوارت لغات اقليمية

متعددة ، وحل محلها لغة القرآن ولسان العرب واستمر هذا الى اليوم ، اللهم الا فى بعض البلاد لأسباب لا مجال لتفسيرها هنا .

٤ — وبانتشار الاسلام ولغته أصبح يطلق — فيما بعد — على كل مجتمع تسود فيه العربية بأنه مجتمع عربى ، وبأن أهله عرب ، وان لم يكونوا من ناحية النسب من عدنان أو قحطان ، وأصبح عندما يتعرض لبيان أثر العرب فى مجال من مجالات الفكر ، لا يقصد بالعرب تلك الجماعات التى كانت تعيش فى منطقة صحراوية قبل ظهور الاسلام ولكن يقصد بهم كل من صارت لغتهم عربية وان لم يعتنق بعضهم الاسلام ، أو لم يكن يمت بعرق النسب الى قبيلة من قبائل العرب المعروفة .

٥ — وهؤلاء العرب الذين حموا الحضارة من الانهيار وكانوا لها سدنة وحراسا قد قاموا بهذه الرسالة السامية ، لأن الاسلام الذى جاءهم ، يدعو الى الحياة الفاضلة الكريمة ، ويحض على القوة فى جميع الميادين النافعة للانسانية ، وينبه العقل الى النظر والتدبر « ويجعل للعلماء مكانة عالية ، ويبين أن العلم يخدم الايمان ، وأن المرء كلما ازداد علما ازداد من الله خشية » .

والحديث عن هذه الناحية فى الاسلام يحتاج الى بحث مستفيض ، ولكن يكفى هنا القول بأن الاسلام قد فتح أمام العقل البشرى مجالات البحث والنظر ودعاه الى اقتحامها فى قوة وأن القرآن الكريم — دستور الاسلام — لا يتضمن أى حكم من الأحكام يشل حركة العقل فى سيره وتقدمه ، لأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها ، وعند من رآها طلبها (١) .

٦ — لهذا فقد كان الاسلام انقاذا للبشرية من ضلالات الشرك والوثنية، وانقاذا لها أيضا من سيطرة الخرافات والجهل والأمية ، وأقبل العرب المسلمون على دراسة كل ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم ، وكانوا فى أول أمرهم يهتمون بصورة عامة بدراسة القرآن والسنة ، ليكونوا على بينة من أمر دينهم ، ولكن بعد أن استقرت حركات الفتوحات نسبيا ، تنوعت الدراسات العربية وظهر فى كل ميدان من العلم رجال أدوا أجل الخدمات للحضارة والانسانية ، وظهرت عبقريتهم فيما خلفوا من آثار علمية تشهد لهم بالسبق والفضل وتؤكد أن العرب قد وضعوا الأسس الأولى لبناء الحضارة الحديثة .

ثقافات سابقة

٧ — ومن الانصاف فى القول أن نذكر أنه كانت قبل ظهور الاسلام ، وقبل أن يكون للمسلمين صولة ودولة — كانت توجد ثقافات مختلفة ومؤلفات علمية ونظريات فلسفية فى اليونان والصين وغيرهما ، غير أن السمة الغالبة، أو العامة فى فترة ظهور الاسلام هى شيوع الجهل والخرافات والأباطيل فى كل مكان ، فأوربا كانت غارقة فى غزوات البرابرة المنحدرين اليها من الشرق والشمال ، وكان قضاء هؤلاء البرابرة على الامبراطورية الرومانية فى عام ٤٧٦م مبدأ للعصور الوسطى ، العصور المظلمة فى تاريخ أوربا (٢) .

(١) الفلسفة القرآنية للمرحوم عباس محمود العقاد .

(٢) عبقرية العرب فى العلم والفلسفة للدكتور عمر فروخ .

أما اليونان فانها أهملت تراثها الفكرى ، وطمرته فى الأقبية وحالت بينه وبين طلاب العلم ورواد النور ، مما كان سببا فى الانصراف الى الخرافات ، وانتشار الأمية الفكرية . ولم يكن الحال فى آسيا أحسن منه فى أوربا ، وكانت أمريكا فى ذلك الوقت مجهولة ويعيش سكانها عيشة الحيوان ، فجاء العرب ليبددوا ما ران على التفكير البشرى من خمود وركود ، ولتصبح دمشق والكوفة وبغداد والقاهرة والقيروان وقرطبة ومكة والمدينة مراكز اشعاع علمى يهرع اليها طلاب المعرفة ، وعشاق الثقافة من كل مكان .

٨ — وشواهد التاريخ كثيرة فى مجال تعداد ما قام به العرب فى ميادين البحث العلمى والأدبى ، وسأحاول هنا الاشارة الى بعض الأمثلة ، لأن محاولة الاستقصاء تحتاج الى مجلدات ضخام وقد يكون فى المثل الواحد خير دليل على ما أرمى اليه .

من المعروف أن العرب قبل الاسلام كانت أمة تتميز بفصاحة اللسان وحكمة البيان وبلاغة الشعر ، وكانت اسواقهم الأدبية ندوات ثقافية رفيعة ، وكانت شهرة الشاعر ونبوغه فى القبيلة حدثا هاما تفرح له ، وتتمادح به ، فلما جاء الاسلام بلغة الأدب وجاء القرآن الكريم فى أعلا درجات البيان ، كان هذا استمرارا لشيوع الفصاحة والأدب بين العرب ، ومع أن الفتوحات قد أدت الى تسرب العجمة وضعف السليقة اللغوية الا أن هذا لم يحل دون استمرار تفوق العرب فى البيان وقرض الشعر ، والتاريخ الأدبى للأمة العربية حافل بكتاب وشعراء ذوى حكمة وبيان وعبقرية فذة فى التفنن فى القول والابداع فى التصور والتخيل ، ويكفى أن نذكر شعراء المعلقات فى العصر الجاهلى وابن المقفع والجاحظ والبحترى وابن الرومى وأبا حيان التوحيدى وأبا العلاء المعرى الشاعر الفيلسوف فى عصر ما بعد الاسلام .

الدراسات القانونية :

٩ — وفى الدراسات الفقهية والقانونية نجد أن الفقهاء قد أتوا بنظريات رائعة دقيقة فى التعامل والتقاضى ، وفى السلم والحرب ، وفى العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وهذه النظريات مستمدة من روح الشريعة الغراء ونصوصها ، ولكن فضلهم جاء من دقة الفهم ورحابة الافق وانسانية التقنين ، والقانون الوضعى لم يهتد الى بعض ما جاء به الفقه الاسلامى الا فى العصر الحديث وبتأثير من الفقه الاسلامى ، وبخاصة الفقه المالكى ، فقد كان منتشرا فى الاندلس ، وعن طريقها انتقل الى فرنسا ، واقتبست منه نظريات شتى فى مختلف الشئون القانونية (٣) . ومن الجدير بالذكر أن الامام الشيبانى — وهو تلميذ أبى حنيفة مؤسس المذهب الحنفى — يعد بما تركه من مؤلفات فى الحروب والعلاقات الدولية ، مؤسسا للقانون الدولى العام ، وقد توفى هذا الامام فى أواخر القرن الثانى الهجرى .

وهناك علم دفعت الحاجة الى فقه الشريعة وضبط أصول دراستها الى وضعه ، وهو علم أصول الفقه ، هذا العلم يمتاز بأنه بين منهج البحث العلمى

(٣) التشريع الاسلامى وأثره فى الفقه الغربى للمرحوم الدكتور محمد يوسف موسى .

السليم ، وسبق به علماء الأصول من المسلمين كل من جاء بعدهم من المفكرين الذين كرسوا حياتهم لوضع المناهج الفكرية وأسسها العامة (٤) .

العلوم الاجتماعيـــة :

١٠ ــ وفى ميدان العلوم الاجتماعية يذكر ابن خلدون على أنه مؤسس علم الاجتماع بلا نزاع ، ومقدمته الشهيرة دليل واضح على ما كان يتمتع به هـــذا المفكر من المعية واحاطة وافية بشئون الحياة والأحياء (٥) .

وغير ابن خلدون هناك مفكرون كثيرون أسهموا فى الدراسات الاجتماعية بنصيب ملحوظ ، كالامام الغزالى فى كتابه احياء علوم الدين ، وابن المقفع فى كليلة ودمنة والادب الصغير ، والادب الكبير ، وأبى حيان فى كتابه الهوامل والشوامل ، والبصائر والذخائر وغيرهم .

وغنى عن البيان أن الفروض الدينية من صلاة وزكاة وحج وصيام ، وتعاطف فى السراء والضراء ، وتكافل فى الشدة والرخاء ، أسس اجتماعية لا نظير لها ، ولهذا يصح القول بأن المجتمع العربى كان يعيش ــ وما يزال ــ عمليا وفكريا فلسفة اجتماعية انسانية سامية المبادىء والغايات .

الفلســفة :

١١ ــ أما فى الفلسفة فقد كان للعرب دور خالد ، وأثر بارز ، فالاسلام يحض على التفكير والنظر ، ويدعو الى طلب العلم والرحلة فى أخذه مهما تناءت الديار ، وهذا ما دفع العرب الى ترجمة ما لدى الامم الاخرى ، وبخاصة اليونان من فلسفة وفنون مختلفة ، وقد شجع بعض الحكام المترجمين وأغدقوا عليهم الأموال ، وهيأوا لهم كل الوسائل الممكنة لكى يقوموا بأداء رسالتهم على أكمل وجه ، ولكن مع هذا لم يلتزم كثير من المترجمين حدود الأمانة العلمية ، فكان يضيف ما ليس فى الأصل ، أو يهمل ما يجب أن ينقل بعناية وحرص ، وقد أدى هذا الى التناقض بين الآراء .

فالفلسفة اليونانية نقلت نقلا مشوها ، وقد قام الفلاسفة العرب بمحاولة التوفيق بين الآراء والنظريات المتعارضة ، ولم يكتفوا بهذا ، بل وضعوا لهـــا الشروح والتعليقات ، ومهدوا سبيل دراستها وفهمها ، كما أنهم نقدوا هـــذه الفلسفة نقدا علميا ، قائما على الفهم والتحقيق والمقارنة .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان الفلاسفة العرب لهم فلسفتهم الفريدة فى طابعها ومثلها ، وقد أتوا بنظريات جديدة فى الكون والنفس والعقل ، تختلف عن نظريات أرســطو وأفلاطون ، وتؤكد أن للعرب فلســفة أصيلة شــكلا وموضوعا(٦) .

---

(٤) محاضرات فى الفلسفة الاسلامية للدكتور على سامى النشار .
(٥) ابن خلدون للدكتور على عبد الواحد وافى .
(٦) فى النفس والعقل للدكتور محمود قاسم .

وان أسماء الكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد أسماء عالمية فى دنيا الفكر وعالم الفلسفة قديما وحديثا ، وما ذلك الا ليدها الطولى فى وقاية التراث الفلسفى اليونانى من الضياع ولما تركته من ثروة ثرة بالفكر الفلسفى العميق .

البحث العملى :

١٢ ــ واذا تركنا ميدان البحث النظرى الى ميدان البحث العلمى العملى نجد أن العرب كانوا أصحاب دراسة علمية دقيقة قائمة على الاستقراء والملاحظة العلمية السديدة ، وهم وان ورثوا شيئا عن الصين والهند فى بعض العلوم ، الا أنهم تمكنوا ــ بجدهم ومثابرتهم وصبرهم على متاعب البحث ــ من أن يكونوا مبتكرين ومبدعين .

فهذا ابن الهيثم العالم الكيمائى المشهور ، أول من شرح العين ، وله مسائل فيها عرفت فى أوربا بمسائل ابن الهيثم ، كما أن له نظريات بصرية تعد الاولى من نوعها فى تاريخ البحث العلمى . وابن سينا الطبيب الفيلسوف الذى نال كتابه « القانون » فى الطب درجة ممتازة ، وكان الكتاب الوحيد الذى يعول عليه فى دراسة الطب فى جامعات أوربا الى أواسط القرن السابع عشر ، وكذلك الرازى الذى ألف كتبا كثيرة فى الطب أشهرها كتاب « الحاوى » الذى يمتاز « بالملاحظات السريرية » ويقصد بها دراسة سير المرض وتطور حالة المريض .

ولجابر بن حيان وخلفائه شهرة فائقة فى علم الكيمياء ، ومؤلفاته على درجة كبيرة من الجدة والعمق والابتكار .

أما البيرونى العالم الرياضى المشهور ، فقد اشتغل باستخراج الثقل النوعى ، بأن كان يزن الجسم فى الهواء أولا ، ثم يزن الجسم نفسه فى الماء ، بعد أن يدخله فى وعاء مخروطى الشكل مثقوب على علو معين وبعدئذ يزن الماء الذى أزاحه الجسم ، ومنه يعرف حجم الجسم .

وتدل الارقام التى توصل اليها البيرونى فى الثقل النوعى بعد مقارنتها بالأرقام الحديثة على الدقة والاتقان اللذين امتاز بهما ، بالاضافة الى تيسر وسائل العلم فى هذه الايام عنها ــ بدرجة كبيرة ــ فى أيام البيرونى الذى توفى نحو سنة ٤٤٠ هـ ــ ١٠٤٨ م .

وهذه قائمة ببعض المعادن التى درسها البيرونى واستخرج ثقلها النوعى مع ذكر الارقام الحديثة .

المادة	أرقام البيرونى	الأرقام الحديثة
الذهب	١٩٫٢٦ــ١٩٫٠٥	١٩٫٢٦
الزئبق	١٣٫٧٤ــ١٣٫٥٩	١٣٫٥٦
النحاس	٨٫٩٢ ــ٨٫٨٣	٨٫٨٥
النحاس الاصفر	٨٫٦٧ ــ٨٫٥٨	نحو ٨٫٤

ويلاحظ أن البيرونى قد استعمل طريقتين لاستخراج الثقل النوعى ، وتؤكد

الفروق البسيطة بين ما قام به البيرونى وما جاء به العلم الحديث على عبقرية فذة وذكاء عجيب (٧) .

وغير البيرونى كثيرون كالخازن وابن سينا وابن طفيل لهم دراسات فى مجال العلوم الطبيعية تشهد لهم بالفضل والابتكار .

١٣ ـ وفى علوم البحار والهندسة والجبر والحساب والزراعة والفنون الزخرفية وهندسة المعمار ، نجد للعرب مآثر خالدة وأياد لا تجحد ، ويكفى أن « فسكودى جاما » لم ينجح فى رحلته البحرية المشهورة الا على أيدى العرب ، وبواسطة علمائهم الذين درسوا البحار وعرفوا كيف يقودون السفن فى البحر اللجى ، ويخوضون غمرات الموت فى بسالة ومهارة .

أما الهندسة والجبر والحساب فان العرب أول من عرفوا الصفر وقيمته ، ولهم نظريات هندسية لم يسبقوا بها ، ويعد علم الجبر علما عربيا فى نشأته وقوانينه وليس أدل على ذلك من أن اسمه حتى الآن فى اللغات الاجنبية ما زال عربيا .

وفى العلوم الزراعية درسوا التربة والبذور وأنواعها وما يمكن أن يأتى بثمرات طيبة فى تربة دون أخرى .

أما هندسة المعمار وفن البناء فان الآثار الاسلامية تنطق بروعة ما وصل اليه الفن الزخرفى والمعمارى لدى العرب .. والمساجد التى ما زالت شامخة بمآذنها فى العواصم الاسلامية ، والآثار الاندلسية التى تحدت المحن والاحن ، وظلت فى أسبانيا حتى اليوم ، هى أوضح دليل على تلك النهضة المعمارية التى كانت فى كل مكان فى الوطن الاسلامى .

ومتاحف أوربا والمتاحف العربية زاخرة بألوان شتى من هذا الفن الهندسى الخلاب .

١٤ ـ وفى الجغرافيا ، وعلم الفلك ، والموسيقى كان العرب روادا ، عرفوا أنواع الرياح ، وأثبتوا كروية الارض ودورانها ، ويعد الادريسى أول من رسم خريطة للعالم . أما علم الفلك فقد بلغوا فيه أعلى درجة علمية فى القرون الوسطى ، وأسسوا المراصد فى القاهرة وبغداد ، ولم تزل أسماء عدد من النجوم باللغات الاجنبية عربية الاصل تشيد بفضلهم وتنوه بجهدهم .

والموسيقى مع أنها فن قديم ، فان العرب هم الذين جعلوه علما له قواعد رياضية ، وأوجدوا السلم الموسيقى ، وقياس الوتر . وقد ألف الكندى فى الايقاع الموسيقى قبل أن تعرف أوربا الايقاع بعدة قرون .

١٥ ـ هذا المجد العلمى الذى كان يخفق بألويته فى أنحاء الوطن العربى بدات تباشيره مع ظهور الاسلام ، واشتد ساعده بعد ذلك وكان هو المجد الوحيد فى العالم أجمع فى القرون الوسطى ، وما بعدها الى بداية عصر النهضة .

لقد كانت نهضة رائعة وحضارة خصبة تمتاز عن غيرها من الحضارات بهذه الاصول الخمسة : احترام الانسان ، والتمسك بالمثل العليا ، وحرية الفكر والعقيدة ، واتباع العقل وتمجيده ، والايمان بالتقدم ، ويتفرع عن هذه الاصول

---

(٧) عبقرية العرب فى العلم والفلسفة للدكتور عمر فروخ .

الخمسة كل ما يمكن أن توصف به الحضارة العربية من مظاهر خارجية ، وبغير تلك الاصول لم يكن يتسنى للحضارة العربية أن تبلغ ما وصلت اليه من تقدم ورقى فى جميع نواحى الحياة .

١٦ — وليس هذا القول نوعا من الادعاء والتعصب القومى ، فان التاريخ الاجنبى — قبل التاريخ العربى — والحق ما شهدت به الاعداء — يثبت هذه الحقيقة .

تقول دائرة المعارف البريطانية د ١٧ ص ٤١٠ عن أوربا : « لا يستطيع أحد أن ينكر ما اتصف به التفكير فى العصور الوسطى من البعد التام عن العلم والنقد . ان وجود شخص واحد مثل روجر بايكون فى عصر ما ، لا يبرىء ذلك العصر من تهمة الجهل .

ان هذا القول واضح وصريح لا يحتاج الى تعليق ، أما روجر بايكون المشار اليه فى هذا النص ، فهو عالم انجليزى توفى عام ١٢٩٤ م واشتهر باهتمامه بالعلم التجريبى ، ولقد كان يتعجب من الرجل الذى يريد أن يبحث فى الفلسفة وهو لا يعرف اللغة العربية (٨) .

اضطهاد الفكر فى الغرب :

ويؤكد ما ذكرته دائرة المعارف البريطانية من سطحية التفكير وسيطرة الخرافات والاباطيل أن التفكير العلمى كان جريمة فى أوربا يعاقب صاحبها بالموت ، ولما تجرأ غاليليو الايطالى المتوفى عام ١٦٤٢ م أن يقول : ان الارض تدور ، جروه الى محكمة التفتيش وهددوه بالقتل اذا لم يكذب نفسه ، وهكذا أجبر غاليليو المسكين على تكذيب نفسه وأعلن أمام أعضاء محكمة التفتيش أن الارض لا تدور ، وبعد أن غادر المحكمة وهو لا يزال يحمل رأسه بين كتفيه ، ثارت الحمية العلمية فى نفسه من جديد فضرب الارض برجله وقال : « ومع ذلك فأنت تدورين » ، ولكن هذه الجرأة لم تتجاوز لفظ هذه العبارة واعتزل بعد ذلك فى بيته الى أن مات .

وكان ليون فوكول المتوفى سنة ١٨٦٨ هو أول عالم أوربى أتى بالبرهان القاطع على حركة الارض الدورية ، أى منذ نحو مائة سنة فقط . ومما يدل على سيطرة الاباطيل والاوهام أن الاوربيين كانوا يعتقدون أن فى المصروع أو المحموم الذى به بثرة خبيثة شيطانا ، فيتناولونه بالضرب واللكم حتى يخرجوا الشيطان من جسمه ، فاذا لم يشف هذا المسكين من دائه ، اعتقدوا أن شيطانه الذى يلبسه قوى مريد ، فأحرقوا الاثنين معا — المريض والشيطان — بنار واحدة واطمأنوا الى أنهم أرضوا الله بذلك .

١٧ — لهذا يحق القول — دون ادعاء كاذب ، أو تعصب أحمق — بأن العرب قد رفعوا ألوية العلم والحضارة ، شيدوا المدن الضخمة ، وأقاموا المدارس والمستشفيات ، وجابوا البحار لخير الانسانية ولم يعرفوا القرصنة التى كانت حرفة لبعض البلاد الاوربية ، وكانوا محط الانظار ، وقبلة طلاب الثقافة والعلم ، وكان تعلم اللغة العربية أمرا ضروريا لكل راغب فى الدراسة العلمية المثمرة ، كما أشار الى ذلك بايكون العالم الانجليزى ، وحدثنا التاريخ أن شباب

(٨) عبقرية العرب فى العلم والفلسفة للدكتور عمر فروخ .

أوربا كان يهرب من تعاليم الكنيسة ، ويفر الى مراكز الثقافة الاسلامية وبخاصة فى الاندلس وصقلية وجزر البحر الابيض المتوسط ، ليأخذ عن العرب ثقافتهم وعلومهم ، وقد دعا هذا الى ثورة الرهبان ضد هذا الشباب ، ولكن ثورتهم لم توقف التيار لأنه كان أقوى من كل قوة مناوئة .

كيف نهضت أوربا ؟

١٨ ــ والآن يصح أن نتساءل بعد ما تقدم : كيف نهضت أوربا ولماذا كانت أسبق من غيرها ؟

لقد كان احتكاكها بالعرب عن طريق السفارات والجوار فى الاندلس وجزر البحر الابيض وأيضا عن طريق الحروب الصليبية ، ثم ما كان من شعورها بالنقص واقبالها بحكم هذه العوامل على نقل علوم العرب وفلسفة اليونان التى هذبها العرب ، وحموها من عوادى الزمن ــ لقد كان كل هذا سببا فى تنبيه الاذهان الى وجوب التمرد ضد التخلف ، فكانت الثورات ضد محاكم التفتيش وعهود الارهاب ، وكانت حركات الاصلاح الدينى التى قضت على كثير من القيم الفاسدة ، والمعتقدات الباطلة ، وخلصت العقل من اسار الجهالة والضلالة ، ودفعته دفعا قويا الى الانطلاق فى مجالات البحث الحر والتفكير المستقل .

لقد وجه العرب أوربا وجهة صالحة ، ونفخوا فيها روح البحث والابتكار والهموها سبيل الحضارة والقوة ، وعن أوربا أخذت أمريكا ، ثم تطور هذا البناء الحضارى ــ الذى أقام أسسه العرب ــ مع الزمن ، وأصبح اليوم شاهقا يكاد يناطح القمر .

فليس من الاسراف فى القول أن الحضارة التى يعيشها العالم اليوم وضع قواعدها العرب ، وكانوا القوة المحركة الفعالة نحو مستقبل مشرق للانسانية جمعاء .

يقول المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد : يمكن القول أنه من القرن السادس الميلادى الى القرن العشرين لم ينشأ فى العالم أثر جديد لا يرجع الى الحضارة الاسلامية بسبب قريب أو من بعيد ، فالحضارة الاوربية فى القرن العشرين ترجع الى عصر النهضة ، وعصر النهضة يرجع الى ثقافة المسلمين فى الاندلس ، والى الثقافة التى عاد بها الصليبيون من الديار الاسلامية ، فالثقافة الاسلامية وجهت الفكر العالمى وجهة صالحة ، كان لها أعظم النتائج فى تاريخ العالم قديمه وحديثه واحدى هذه النتائج التى لا شك فيها كشف القارة الأمريكية(١) » .

١٩ــ ومع هذا ذهب بعض المتحاملين من الاوربيين الى انكار فضل العرب على الحضارة والانسانية ، وادعوا بأن حضارة العرب عالة على الحضارات الاغريقية والرومانية ، وانهم ان كانوا قد حققوا شيئا من التقدم فى مضمار العلوم ، فان ذلك مرده الى التراث الاغريقى الذى ترجم فى عهد المأمون ، وهذا رأى تعوزه الدقة العلمية والدراسة التاريخية الاصيلة البعيدة عن التعصب والاهواء ، لأن الحضارات جميعا تأخذ وتعطى وتفيد وتستفيد ، والحضارة

---

(١) مطالعات ، وأثر العرب فى الحضارة الاوربية للمرحوم عباس محمود العقاد .

الاسلامية على هذه السنة الشاملة قد أخذت كثيرا وأعطت كثيرا ، ولكنها اذا وضعت فى الميزان كان لها أكثر مما عليها ، وكانت لمؤلفاتها آثارها الكبرى فى ابانها وآثارها الباقية فى العصر الحديث(١) .

٢٠ — واذا كان هذا موقف بعض المتحاملين فان كثيرا من المنصفين يؤكدون أن العرب قد حموا الحضارة الانسانية من الضياع ، وأخذوا بيد أوربا — التى قادت التطور الحضارى بعد ذلك — الى الامام .

قال روجر بايكون : ان وجود الفكر الاوربى والعلم الاوربى كان مستحيلا لولا وجود المعارف العربية ، لقد دعيت أوربا فجأة الى الحياة ، بعد أن ظلت غارقة فى ظلمات الجهل طوال خمسة قرون ، وهى مدينة بكل مقوماتها الى العالم الاسلامى(٢) .

ويقول وزير المعارف الفرنسية دورى المتوفى سنة ١٨٩٤ م : بينما أهل أوربا تائهون فى بيداء الجهالة ، لا يرون الضوء الا من سم الخياط ، اذ سطع نور قوى من جانب الامة الاسلامية من علوم وآداب وفلسفة وصناعات ، وأعمال يد ، وغير ذلك حيث كانت مدينة بغداد والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان ومصر وتونس وغرناطة وقرطبة مراكز عظيمة لدائرة المعارف ، ومنها انتشر فى الامم واغتنم منها أهل أوربا فى القرون الوسطى مكتشفات وصناعات وفنونا علمية وأقاموا أساس ممالكهم على شرائع الاسلام(٣) .

واجبنا اليوم :

٢١ — وبعد فان العرب الذين جنبوا البشرية طريق التخلف ، وأناروا لها سبيل القوة والحضارة قد ضعفوا بعد ذلك — لأسباب كثيرة ، لا مجال هنا لشرحها ، ولكنهم اليوم يسيرون فى طريق الحضارة والتقدم ، ويملكون أن يجنبوا البشرية طريق الهاوية والدمار الشامل ، فالحضارة الحديثة قد طغت فيها المادية والانانية والطبقية الذميمة ، والتفرقة العنصرية البغيضة ، ففى أمريكا — زعيمة العالم الحر كما يقولون — يقوم صراع مؤلم بين البيض والسود ، وفى أفريقيا تئن مستعمرات من وطأة الرجل الابيض وجشعه واستغلاله .

ان الحضارة الحديثة تعيش برئة واحدة ، أو بشطر واحد من شطرى الحضارة السليمة . انها تعيش على المادة ، ولا تعير الروح اهتماما ، لذلك نجد التسابق الرهيب نحو التسلح ، ونجد الخوف من حرب مهلكة يسيطر على الجميع ولا منجاة للبشرية الا اذا تخلت عن غلواء المادية ورجعت الى الاسس التى قامت عليها الحضارة الاسلامية .

ان الحضارة المادية وسيلة لا غاية ، فاذا انقلبت غاية أضحت نقمة لا نعمة ، ولا بد أن تقود الى الدمار .

والعرب بحضارتهم الانسانية التى ترعى حظ الروح والجسد ، وتؤمن بالدنيا والآخرة عليهم أن يستعيدوا مركزهم الحضارى ويأخذوا بيد العالم الى سواء السبيل ، كما أخذوا بيده فى الماضى الى طريق النور والعرفان ، وهم باذن الله فاعلون وفى الطريق سائرون .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) المصدر السابق .
(٣) تقدم العرب فى العلوم والصناعات وأستاذيتهم لاوربا لعبد الله الجرارى المغربى .

صفحة للمجاهدين في سبيل الله

توجيهات عمر للقائد والجنود

كتب عمر بن الخطاب الى القائد سعد بن أبى وقاص يقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم ــ أما بعد ــ فانى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال . فان تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب .

وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من ذنوبكم منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم . وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قــوة لأن عددنا ليس كعددهم ، وعدتنا ليســت كعدتهم .

فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، والا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا .

فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظــة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى اللــه وأنتم فى سبيل الله .

ولا تقولوا : ان عدونا شر منا فلن يســلط علينا :

فرب قوم سلط عليهم من هو شر منهم ! كما سلط على بنى اسرائيل ــ لـما عملـوا بمعاصى اللــه ــ كفــار المجوس ، فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا .

وسلوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عــدوكم ، وأسأل الله ذلــك لنا ولكم .

وترفق بالمسلمين فى سيرهم ، ولا تجشمهم مسيرا يتعبهم ، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم ، حتى يبلغوا عــدوهم ــ والسفر لم ينقص من قوتهم ــ فانهم سائــرون الى عــدو مقيم ، حامــى الأنفس والكراع .

وأقم بمن معك فى كل جمعة يوما وليلة ، حتى تكون لهم راحة يحيون بها أنفسهم ، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم .

ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والــذمة ، فلا يدخلها من أصحابــك الا من تثق بدينه ، ولا يرزأ أحد مــن أهلها شيئا .

فان لهم حرمة وذمة ، ابتليتم بالوفاء بهــا كمــا ابتلــوا بالصبر عليهــا .

فما صبروا لكم فتولوهم خيرا ولا تنتصروا على أهــل الحرب بظلم أهل الصلح .

واذا وطئت أرض العــدو فأذك العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليكم أمرهم .

وليكن عندك من العرب ــ أو من أهل الأرض ــ من تطمئن الى نصحه وصدقــه .

فان الكــذوب لا ينفعك خبره ، وأن صدقك فى بعض .

والغاش عين عليك وليس عين لــك .. » .

الفقيه اللغوي العلامة
الفاضل بن عاشور

للأستاذ أنور الجندي

فى يوم ١٣ صفر ١٣٩٠ (٢٠ ابريل ١٩٧٠) ودع الحياة عالم من كبار علماء المسلمين هو المرحوم الاستاذ الفاضل بن عاشور فقيه تونس وعميد كلية الزيتونة وعضو المجامع اللغوية فى القاهرة ودمشق
مات عن واحد وستين عاما أعظم ما يكون تألق فكر وحيوية عقل وصحة بدن ، وقد عرف فى السنوات الأخيرة برحلاته فى سبيل الثقافة الغربية والفكر الاسلامى الى عديد من الأقطار ، واشتهرت عنه محاضراته البارعة وأحاديثه الذكية باللغة الفرنسية متحدثا عن الاسلام عارضا للفوارق والروابط بين الفقه الاسلامى والشرائع الغربية كاشفا عن عظمة الاسلام ، وتلك كانت أبرز خصائصه التى عرفتها ، وقد استمعت اليه المرة بعد المرة حين يتحدث فى هذا المجال فيبرز الفقهاء ورجال القانون جميعا ، ويقدم للعقل الانسانى تلك الحقائق سائغة مبسطة ، وتلك كانت هوايته المحببة ، فقد حاضر فى السربون فى فرنسا ، وحاضر فى جامعات استانبول ، وجامعة عليكرة فى الهند ، وخلب الألباب بقدرة أستاذ معمم يلبس ذلك الزى الاسلامى المغربى المعروف وهو يعتلى المنابر ويهز النفوس ، هذا من فرط براعته وبلاغته وايمانه بدينه وامته .

وقد كشف لى فى حديث خاص اجريته معه فى العام الماضى ليكون نواة لدراسة عنه (١) كواحد من جيل الرواد فى الفكر الاسلامى الحديث عن مصدر هذه الخاصية ، وقال انه والده العلامة الكبير الطاهر بن

(١) ولد عام ١٣٢٧هـ — ١٩٠٩م فى مدينةتونس .

عاشور إمام المالكية فى تونس وعلامتها منذ أوائل القرن ، والرجل الذى التقى بالاستاذ الامام محمد عبده فى زيارته الاخيرة لتونس عام ١٩٠٤ قبل وفاته بعام ، وقطب الدراسة السلفية التى كانت مجلة المنار التى أصدرها الشيخ رشيد منارا لها وللمغرب كله ، قال ان والده أطال الله بقاءه ، وهو ما يزال حيا وله مؤلفات عديدة يتجدد صدورها فى هذه الأيام هو الذى أرشده الى هذا الطريق ، ودفعه الى أن يتزود بالثقافتين الاسلامية العربية والفرنسية الغربية .

يقول بدأت الدراسة فى مطالع الصبا فى البيت ، فحفظت القرآن والمتون القديمة ، ثم دخلت الزيتونة وهنالك درست الى أن تخرجت بالشهادة الثانوية المسماة (التطويع) عام ١٩٢٨ م — ١٣٤٧ هـ ثم واصلت الدراسة العليا فى الزيتونة (الشريعة وأصول الدين واللغة) وعلى الشيخ محمد بن يوسف درست التفسير وصحيح البخارى ، وعلى الوالد درسنا التفسير والموطأ والمطول للتفتازانى وديوان الحماسة .

وعلى الشيخ أبو الحسن النجار درسنا علم الكلام (المقاصد للتفتازانى) وعلى الشيخ محمد بن القاضى درسنا أصول الفقه (شرح المحلى على جمع الجوامع) .

وكان والدى قد خطط لى نظاما يتضمن تعليم اللغة الفرنسية بأساتذة خاصين ، ولم أنتسب الى مدرسة أو الى معهد فرنسى .

ثم انتسبت الى كلية الآداب فى جامعة الجزائر لاستكمال دراستى فى اللغة الفرنسية ، وكانت الطريقة المتبعة بعد الدراسة العليا أن يتقدم الطلبة لمباريات ومناظرات للدخول فى سلك الاستاذية وهى مراتب ، والانتقال من كل رتبة الى ما فوقها انما يتم بمناظرة ، وقد اجتزت المناظرات على التعاقب حتى أحرزت الدرجة الاولى عام ١٩٣٥ وقد عملت مدرسا فى جامعة الزيتونة وفى المدرسة الصادمية منذ عام ١٩٣٢ وأنا مستمر فى التدريس وظللت أواصل التدريس حتى وليت عمارة الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين عام ١٩٦١[٢] .

★ ★ ★

ويمكن القول أن علامتنا قد واصل الاشتراك فى مجال الثقافة الاسلامية والعربية منذ العقد الثالث ، وتوالت أبحاثه فى المجالات التونسية ورحلاته فى الاقطار العربية والاسلامية ، وكانت مفاهيمه الاسلامية والعربية واضحة عميقة الدلالة على غيرته وايمانه واخلاصه .

فقد كان حريصا على أن يحمل لواء الدعوة الى الاسلام والعربية فى كل مكان ، وأن يكون مدافعا عن الفكر الاسلامى والتاريخ واللغة فى وجه خصومهما شاجبا لأهوائهم داحضا لشبهاتهم وقد أتاه الله القدرة من ناحيتين من ناحية الأداء العربى البليغ والفرنسى الطليق ، ومن ناحية اطلاعه الواسع على الفكر الاسلامى والفكر الغربى على السواء .

ولقد رددت مثل هذا المعنى على مسمعه عند لقائى المطول معه فى صباح الجمعة ١٩٦٩/٢/٦م فى فندق

(٢) وقد ظل الفقيد محتفظا بهذا المنصب حتى توفى .

شبرد بالقاهرة ، ونحن نستعرض أعماله وتاريخه فقال لى :

« انما هى ثقافة اسلامية واحدة وليست ثقافتين فهى تقوم على عامل التكون الاسلامى الصرف فأنا أنظر الى ما أقرأ بالفرنسية من ناحية المطلب الاسلامى وحده ، وأنا أرى أمامى عقلين مختلفين عقل عربى وعقل أوروبى ، وأنا ما طلبت معرفة من المعارف الفرنسية الا بدافع اسلامى ، فأنا أحس فى قرارة نفسى أن شخصيتى آتية من سعد الدين التفتازانى والسبكى حين تناقش أو تقرأ ما يكتب عن الاسلام باللغة الفرنسية » .

وفهمت من ذلك أنه يريد ألا يقال عنه أنه مثقف ثقافة غربية بمعنى أنه يؤمن بما وراء هذه الثقافة من قيم على النحو الذى يقال حين نذكر بعض الذين تعلموا فى فرنسا أو زاولوا عرض آثار الفكر الغربى عندنا .

وقد كانت حياة العلامة الفاضل ابن عاشور خصبة مليئة بالعمل والدرس والمحاضرة بين منابر المعاهد الاسلامية فى تونس وليبيا والجزائر والمغرب وفى مجمع البحوث الاسلامية ومجمع اللغة العربية وبين الكلية الزيتونية فى تونس وكلية الحقوق بها حتى كانت محاضراته تبلغ خمس عشرة ساعة فى الاسبوع ، وهو فى هذا العمل يرتجل ولا يكتب ، وقد واتته ذاكرته الخصبة ، وأسعفته عقليته الحافظة بالنصوص والمصادر على نحو بارع ، وقد كان يرى ذلك مصدرا من مصادر قصوره فى التأليف وتحرير المحاضرات والدرس على النحو الذى يلجأ اليه الاساتذة بكتابة ما يلقون فى ساحات الدرس ، وانما كان يكتفى بأن يكتب خطوطا عامة لما يتناوله ، ولذلك فقد كانت محاضراته المطبوعة فى مصر عن الحركة الفكرية فى تونس من الاعمال التى تحققت تحت تأثير الضرورة ، وان كان له الى ذلك مؤلفات أخرى منها :

١ — أركان النهضة الادبية فى تونس .

٢ — أعلام الفكر الاسلامى فى تاريخ المغرب العربى .

٣ — وله كتاب التفسير ورجاله ، الى جانب دراسات أخرى لها قيمة التأليف كأبحاثه فى مجمع القاهرة ومجمع دمشق اللغويين ومجمع البحوث الاسلامية .

وكان قد نشر فصولا منثورة فى مجلة الثريا التونسية عن مشاهير التونسيين فى القرن الرابع عشر ، وله أيضا بعض الابحاث فى مجلتى الفكر والمجلة الزيتونية .

كما شارك فى عديد من المؤتمرات الاسلامية والعربية فى مختلف بلاد الاسلام والعالم العربى كمؤتمرات الحقوقيين والمحامين العرب فى دمشق وبغداد ورابطة العالم الاسلامى فى مكة والمجلس التأسيسى فى باكستان وجامعة استانبول فى تركيا فضلا عن زياراته لاوروبا بدولها المختلفة وخاصة فرنسا وسويسرا وايطاليا ، وذلك الى شغفه بالحج والعمرة فقد أداهما عشر مرات .

كما شارك فى الاحتفال بمهرجان ابن خلدون فى القاهرة ، وحضر ازاحة الستار عن تمثال ابن خلدون المقام فى مدينة الاوقاف بالدقى .

وقد استخلصت من مراجعة آثاره وكتاباته أنه قد أضاف اضافات بناءة فى ميادين ثلاثة هى التشريع الاسلامى واللغة العربية والتاريخ الاسلامى .

وقد سألته فى ذلــك فقال : ان هناك رابطة عضوية بين التشريــع الاسلامى واللغة، فاللغة العربيةأداة ضرورية لفهم التشريع الاسلامى ، وتعمق روح الاســلام يكــاد يكون ضرورة ماسة لتذوق اللغة العــربية وآدابهــا .

ونحن نحتــاج للنظر فى تــاريخ الاسلام لاســتجلاء ماضينا ، وحتى نتصور ما علينــا مــن واجبات نحو الماضى وما تربطنا بــه من مقومات لا نستطيع أن نخرج عنها وخروجنا عنها معناه أننا نخرج عن أنفسنا . فضلا عن حاجتنا الماسة الى التعرف على رواد نهضتنا العربية الاسلامية الأولين حتى نكــون على بصيرة من الغايــة التى نحن سائرون اليهــا الآن ، لاننا فــى الحقيقــة لسنا الا مواصلين السير على خطط النهضة التى خططها هــؤلاء الرواد ، ولكن الطريق قد ينبهم أمامنا أحيانا ، فيكون من الضــرورى لنا أن نتعرف دائما طريقنا الصحيح ، وروابطنا بقادتنا الأولين والمبادىء التى قامت عليهــا النهضة أصلا .

ويؤمن العلامة الفاضل بن عاشور أن العالم العربى يضم شرقين يطلق على المشرق منه وطن (الارتكاز) ويطلق علــى المغرب منــه (وطن الامتداد) .

ويرى أن الخــط الجامــع بين النقطتين هو النيل ، فمن الضفــة الشرقية للنيل يبــدأ المشرق ، ومن الضفة الغربية يبــدأ المغرب ، وقد سألته عن ذلــك التميز الــواضح لــدراسات المقاربــة فى اللغــة والفلسفــة والفقه ، وذلك الطابع الذى يطبعها فقال :

يختلف المغرب عــن المشرق من حيث ائتلاف العناصر ، ومن حيث أن أول عهده بالعروبة يبدأ منذ أول عهده بالاسلام ، بخلاف ما فى المشرق حيث له روابطه بالعروبة منذ أمد بعيد قبل الاســلام ويختلف أيضــا من حيث متاخمــة المغــرب للعــالم الغربى الاوروبى ، ومن حيث متاخمة المشرق للعالم الايــرانى والهندى ، من هنا تكونت فــى المغرب عناصــر طبعت الفكر وطبعت الادب ، وجعلته مع ما يتلاقى فيه من العنصر العربى الذى هو وطن (الارتكاز) يمتاز بظواهر خاصة هى نتيجــة تلك الخاصيات التى اتصلت بتكوين الفكر والشعور ولم تتصل بالعالم الشرقى .

كما أشار الى ظاهرة تطلع المغرب الى المشرق على امتداد التاريخ ، وكيف أن الرحلات الاسلامية كلها قد بدأت من المغرب الى المشرق وليس العكس ، فقال : ان المغاربة كانــوا يتطلعون دائما الى الشرق حيث بيت اللــه الحرام فى مكــة وحيث قبلة المسلمين وملتقى وحدتهم الــروحية والفكرية .

وبعد فان آثار العلامة الفاضل بن عاشور كثيرة وجــديرة بالمــراجعة والعرض لما تحويه من مفاهيم وآراء هى خلاصة تجربة عالم عريق أتاحت له دراسته وثقافته واتصالاته بعوالم المشرق والمغرب حصيلة ضخمة من العلم والثقافــة .

هذا بالاضافــة الــى شخصيته الجذابة وروحه المرحة وخلقه الرفيع وذكائه الحى وبالجملة فهو أحد رواد الفكر الاسلامــى العربى المعاصر ، الذين تركوا تراثا ضخما على طريق حركة اليقظة التى قادها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده .

« رحمه الله رحمة واسعة وأجزل مثوبته » .

رُكن الموسوعة الفقهيّة

تحرره : إدارة الموسوعة

أ) الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على النطاق الدولى :

عرضنا فى المقال السابق لدراسات القانون المقارن فى مختلف جامعات العالم ، ومعاهده المتخصصة ، والمؤلفات التى تتخذ مرجعا لهـذه الدراسات والأهمية التى تحتلها الشريعة الاسلامية فى هذا المجال .

ونتناول بالبحث الآن مجالا آخر من مجالات القانون المقارن ، وهو نشاط الجمعيات والمراكز العلمية غير التدريسية ، وما يصدر عنها من مجلات وبحوث فى القانون المقارن .

أ) وقد بدأ الاهتمام بهذا اللون من النشاط مبكرا ، فقد انشأت **عصبـة الأمم** سنة ١٩٢٦ فى روما **المعهد الدولى لتوحيد القانون الخاص** وهو تابع الآن لاتحاد خاص انضمت اليه ثلاثون دولة . ويعنى هـذا المعهد بدراسة أهم النظم القانونية فى مختلف البلاد ، تمهيدا للتوحيد . وقد أعد المعهد مشروعات لقوانين موحدة فى عدة موضوعات ويصدر المعهد **مجلة فصلية عن أحكام القضـاء** فى المسائل التى تم فيها توحيد التشريع بين عدد من الدول .

ب) **أما فى ظل هيئة الأمم المتحدة** ، فتهتم بذلك كثير من الهيآت الدولية المتخصصة بالدراسات القانونية المقارنة . ونخص منها بالذكر منظمـة العمل الدولية ، ومؤسسة اليونسكو . وقـد تأسست سنـة ١٩٤٩ ، تحت اشراف اليونسكو ، « **اللجنة الدولية للقانون المقارن** » بقصد انمـاء التعارف والتفاهم المتبادل بين الامم ، وتشجيع انتشار هذه الثقافة عن طريق نشر دراسة القوانين الاجنبية فى العالم ، واستعمال الطريقة المقارنة فى العلوم القانونية . ولهـذه اللجنة شعب وطنية فى البلاد المنضمـة الى منظمة اليونسكو .

وقد تابعت هذه اللجنة نشر المؤلفات والبحوث والمراجع اللازمـة لتحقيق أغراضها . وتقوم اللجنة منذ عـام ١٩٦٤ بعمل ضخم هو اعداد موسوعـة دولية للقانون المقارن .

ج) كما تأسس سنة ١٩٢٤ **المجمع الدولى (الاكاديمية الدولية) للقانون المقارن** ومقرها قصر السلام **بلاهاى** وهو يهدف الى دراسة القانون المقارن على أسس تاريخية ، والعمل على التقدم بالتشريع فى البلاد المختلفة ولا سيما ميدان القانون الخاص عن طريق التقريب والتوفيق بين التشريعات المختلفة . وقد قام المجمع بتنظيم مؤتمرات دولية للقانون المقارن سنشير اليها فيما بعد . (منها مؤتمر أسبوع الفقه الاسلامى فى كلية الحقوق بجامعة باريس سنة ١٩٥١) .

د) **وفى فرنسا** أنشئت سنة ١٨٦٩ **جمعية التشريع المقارن** وهى ما زالت تواصل نشاطها حتى الآن ، وتصدر مطبوعات دورية أهمها نشرة جمعية التشريع المقارن التى تسمى ابتداء من سنة ١٩٤٧ باسم **((المجلة الدولية للقانون المقارن))** . وتنظم الجمعية من وقت لآخر مؤتمرات قانونية يشترك فيها مع الاساتذة الفرنسيين فقهاء من الدول الأخرى . وقد أصبح للجمعية شعب فى كثير من الدول خارج فرنسا ، فى أوروبا وأمريكا .

هـ) وفى ١٩٥١ صدر مرسوم فرنسى بانشاء **((المركز الفرنسى للقانون المقارن))** ، ليضم جمعية التشريع المقارن الآنفة الذكر ، ومعهد القانون المقارن بجامعة باريس ، ولجنة التشريع الاجنبى والقانون الدولى التى تمد البرلمان والسلطات القضائية والجهات الادارية بالمطبوعات التى تلزمها فى خصوص التشريعات الاجنبية .

ويهدف المركز الجديد الى تحقيق التنسيق بين برامج البحوث والمطبوعات الخاصة بالقانون المقارن والقوانين الاجنبية ، والتنسيق بين مكتبات القانون المقارن وتنمية مراجع البحث فيه ، وتنظيم المؤتمرات الدولية واستقبال العلماء الاجانب ، وتنمية الروابط معهم ويصدر المركز **مجلة فصلية ((للعلوم الجنائية والقانون الجنائى المقارن))** .

و) **وفى انجلترا** ما زال **المعهد البريطانى للقانون الدولى والمقارن** يواصل نشاطه ويصدر مجلته المعروفة باسم **((المجلة الفصلية للقانون الدولى والمقارن))** كما يصدر العديد من الدراسات القانونية المقارنة وخاصة عن دول أفريقيا **وآسيا** .

ز) كما ان هناك **جمعية القانون الدولى** المؤسسة سنة ١٨٧٣ ولها شعب وطنية فى كثير من الدول ، وقد عقدت عدة مؤتمرات كان للدراسة القانونية المقارنة نصيب كبير من نشاطها .

ح) **وفى ألمانيا** أنشئت سنة ١٩٢٦ **مؤسسة ماكس بلانك** التى تضم بضعا وعشرين معهدا للبحوث منها **معهد ماكس بلانك للقانون العام الاجنبى والقانون الدولى** فى هايد لبرج **ومعهد ماكس بلانك للقانون الخاص الاجنبى والقانون الدولى الخاص** فى هامبورج **ومعهد ماكس بلانك للقانون الجنائى الاجنبى والقانون الجنائى الدولى** فى فريبورج .

ويصدر المعهد العديد من المجلات المتخصصة فى هذه الموضوعات .

ط) **أما الولايات المتحدة الأمريكية** فقد تأخر الاهتمام فيها بالدراسات المقارنة ، حتى خرجت من عزلتها الدولية بعد الحرب العالمية الثانية فبدأ الاهتمام بدراسة القوانين الاجنبية دراسة ذاتية ومقارنة فى كثير من نقابات المحامين والجامعات ، وأنشئت عدة جمعيات خاصة لهذا الغرض ، **كجمعية القانون الاجنبى** ، **والجمعية الأمريكية للدراسة المقارنة للقانون** . وتصدر

كلتاهما النشرات والمراجع والمجلات المتخصصة ، وأهمها ((**المجلة الامريكية للقانون المقارن**)) .

ى) **وفى بلجيكا** تأسس **المعهد البلجيكى للقانون المقارن** الذى يصدر مجلة فصلية باسم ((**مجلة القانون الدولى والقانون المقارن**)) .

وهناك العديد من المنظمات الدولية القانونية التى تهتم اهتماما خاصا بدراسات القانون المقارن ومن هذا القبيل :

ك) **الجمعية الدولية للقانونيين الديمقراطيين** ، ومركزها الرئيسى بروكسل بلجيكا ، وتصدر مجلة نصف سنوية تسمى : ((**مجلة القانون المعاصر**)) .

ل) **اللجنة الدولية للقانونيين** ، ومركزها الرئيسى فى جنيف (سويسرا) وتصدر مجلة فصلية تسمى ((**فى سبيل سيادة القانون**)) .

م) وأسس الاستاذ رينيه كاسان رئيس المحكمة الاوروبية لحقوق الانسان **معهدا لحقوق الانسان** ، ينفق عليه من المكافآة التى حصل عليها من جائزة نوبل للسلام ، كما أصدر مجلة فصلية تسمى :((**مجلة حقوق الانسان**)) ومركز المعهد والمجلة فى ستراسبورج فى فرنسا .

ن) كما يضم ((**مركز السلام العالمى عن طريق القانون**)) فى جنيف ونيويورك العديد من اللجان التى تهتم بدراسات القانون المقارن ، وتصدر نشرات متخصصة فى هذه الموضوعات .

س) هذا علاوة عن اهتمام المنظمات المهنية العالمية للمحامين ببعض الدراسات المقارنة وانشائها مجلات ونشرات لها وهذه المنظمات هى ((**نقابة المحامين الدولية**)) ((**والاتحاد الدولى للمحامين**)) ((**والجمعية الدولية للمحامين الشبان**)) .

الخلاصة :

ان هذه المراكز والجمعيات العلمية ومعاهد البحوث وما تصدر من مجلات وبحوث ونشرات ، لهى مجال واسع لعرض الشريعة الاسلامية وأحكامها مقارنة بالقوانين الوضعية . والاجماع منعقد على أهمية الشريعة الاسلامية ، وكونها أحد النظم القانونية الرئيسية فى العالم . وان الرغبة فى معرفة أحكام الشريعة الاسلامية قائمة لدى العاملين بهذه المراكز العلمية ، ولكن العقبة الكؤود أمامهم هى الاسلوب القديم الذى كتب به الفقه وبعثرة أحكامه المتفرقة، بين الكتب دون ترتيب ، فضلا عن صعوبة اللغة ، واختلاف المصطلحات . . .

ويوم يتحقق مشروع الموسوعة الفقهية ويترجم الى اللغات العالمية الحية ، سوف تصبح هذه المراكز الدولية مجالا خصبا لعرض الشريعة الاسلامية ، وتوضيح مزاياها ، وبحث نظرياتها فى مختلف الموضوعات .

(للبحث صلة)

ب) من أخبار الموسوعة

أولا — حالة الكتابة :

أ) الموضوعات الناجزة والموافقة اجمالا للخطة ولكنها تحتاج الى مراجعة أخيرة واعداد للطبع هى :

حوالة ـ ذبائح ـ نكـاح ـ وضوء ـ تعزير ـ اعتكـاف ـ نسب ـ صيد ـ لقيط ـ قصاص ـ قسمة ـ شركـات ـ **صلاة العيدين** ـ صـلاة الجمعة ـ آنية ـ اجارة ـ أضحية ـ عقيقـة ـ جنائز ـ أمـوال الحربيين ـ أوقات الصلاة ـ مزارعـة ـ جعالة ـ ايـلاء .

ب) الموضوعات الناجزة والتى نظر فيها مبدئيا وابديت عليهـا ملاحظـات واعيدت الى كتابها لاجراء التعديل عليها هى :

اللباس ـ المرتد ـ الظهار ـ اللعان ـ الاذان والاقامـة .

ج) الموضوعات الناجزة والتى ما زالت تحت النظر والدراسـة بالادارة لتكليف الكاتب أو غيره بتعديلها هى :

الصلح ـ الاستسقاء ـ الارث ـ المستأمنون ـ الذميون ـ القضـاء ـ التيمم .

د) الموضوعات التى تم تخطيطها من الاساتذة الكتـاب وعدلت مخططاتها من قبل الادارة ثم اعيدت لاصحابها وهى الآن تحت الكتابة هى :

الوكالة ـ الأيمان ـ الاحتكار ـ التسعير ـ الكفالة ـ الرهن ـ الغسل ـ الصوم ـ المساقاة ـ المغارسة ـ الحلى ـ الشفعة ـ نفقة الاولاد والاقارب ـ الطلاق ـ العدة ـ صلاة الوتر ـ صلاة النوافل ـ التركـات ـ الزكاة ـ دار الاسلام ودار الحرب ـ دولة الاسلام ـ المعاهدات .

هـ) الموضوعات التى خططها الاساتذة المكلفون بها وهى الآن فى الادارة تحت النظر لتعديل التخطيط هى :

صدقة الفطر ـ التمثيل السياسى ـ اللقطة ـ الاقرار ـ الايـداع ـ الحدود ـ الحج والعمرة ـ صلاة المريض ـ صـلاة المسافر ـ مسئوليـة الدولـة ـ الرضاع .

و) الموضوعات التى كلف بها اساتذة كتـاب وهى الآن تحت التخطيط من قبلهم لارسال مخططاتها لاعتمادها أو تعديلها هى :

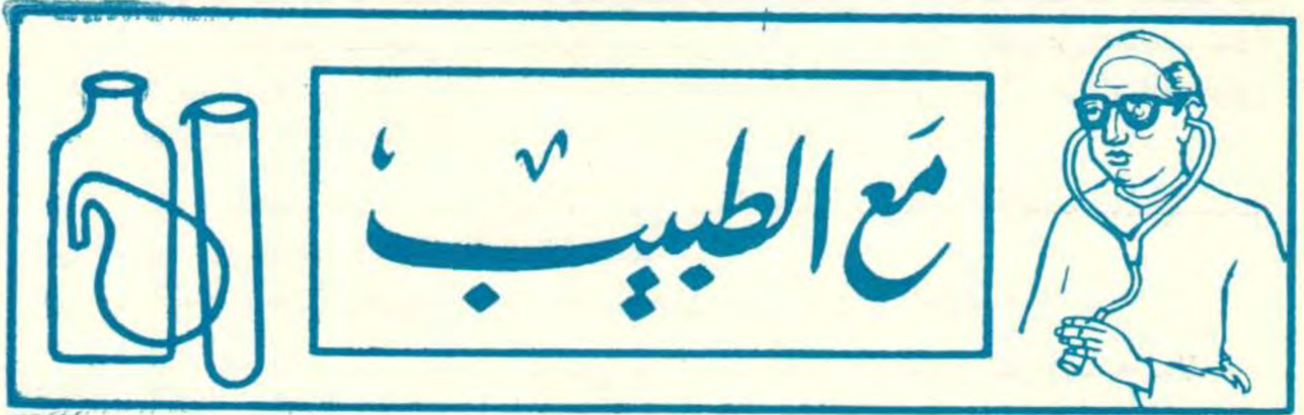
القرائن (من الاثبات) ـ الشهادات (من الاثبات) ـ الديات والمعاقل ـ البغـاة ـ الوصية .

ثانيـا : ـ

بدأ اعداد قسم التصوير والاجهزة العلمية بشراء بعض اجهزة ضرورية فى هذه المرحلة ، مع استمرار الاستعانة بقسم التصوير بجامعة الكويت بالنسبة لما لم يتيسر بعد للموسوعة من الأجهزة الأخرى .

ثالثـا : ـ

زاد جهاز العمل بادارة الموسوعة بندب أمين مكتبة الوزارة مسـاعدا علميا ، وبتعيين مختص فى المكتبات أمينا لمكتبـة الموسوعة ومسئولا عن تنظيم الاوراق والملفـات .



أمراض الصيف

للدكتور : محمد ابو شوك

لا يكاد يمضى الربيع بجماله ، وبهجة أزهاره ، وطيب أريجه ، وما يكتنف هذا الجمال من بهجة فى النفس وراحة بال — وتأمل فى ذلك الجمال الذى يضفيه الخالق على الطبيعة — ولكن وسط هذا الجمال البديع يعانى بعض الناس من أمراض خاصة بهذا الفصل من السنة ، منها وأكثرها شيوعا أمراض الحساسية — من رمد ربيعى ، والتهابات الانف والحلق ، وحساسية فى الجلد — والربو وغيرها .

ثم يأتى الصيف بحرارته الشديدة فيهرب الناس من لقائه ، فمنهم من يأوى الى مكان مرتفع تقل فيه درجة الحرارة ، ومنهم من يذهب الى شاطىء بحر لعله يجد ملاذا بين أمواجه وعليل نسماته .

ومع كل هذا فان للصيف أمراضه الخاصة التى تلاحق الانسان سواء مكث فى منطقته الحارة أو اعتصم بجبل — أو أمضى وقته بجوار شاطىء .

ولعل أبرز هذه الامراض ما يصيب الانسان من ارتفاع درجة الحرارة . فهناك الانهاك الحرارى ، وضربة الشمس أو ضربة الحر — ثم الامراض الجلدية التى تنتج من التعرض لحرارة الشمس ، ثم الآلام المفصلية والعضلية ، والحميات المعوية ، والتسمم الغذائى .

ثم يجىء السؤال على كل لسان ، ماذا عن المرضى بالامراض المختلفة فى الصيف ؟

أولا ــ الامراض التى تنتج من ارتفاع درجة الحرارة :

أ) الانهاك الحرارى :

هو احساس المصاب بهبوط عام فى جسمه ، وعدم القدرة على القيام بأى مجهود عضلى ــ وحدوث تقلصات فى العضلات خصوصا فى الرجلين ، وتقلصات فى أعلى البطن ، مصحوبة بألم شديد ــ وكذلك يحس المصاب بدوار وصداع ، وفقدان الشهية للأكل وربما قىء ، وفى الحالات الشديدة اغماء ، وربما انهيار تام وعدم القدرة على الحركة ــ ويكون الجسم باردا ومغطى بعرق غزير بارد .

والسبب فى ذلك هو التعرض للحر ، وفقدان العرق الغزير ، الذى يحتوى على كمية كبيرة من الملح (كلوريد الصوديوم) وهو السبب فى هبوط الضغط ، والهبوط العام الذى يحس به المصاب ــ والوقاية هنا هامة ــ فاذا تعرض الانسان للحر ، وتسبب عن ذلك عرق غزير وجب عليه أن يعوض ما يفقد من ماء وتكون كمية الملح فيه زائدة ــ أو أن يأخذ أقراص ملح ويكثر الملح فى طعامه .

ب) ضربة الحر ــ أو ضربة الشمس :

وتحدث هذه من التعرض لحرارة الشمس ــ أو أى مصدر حرارى ، ثم توقف الجسم فجأة عن افراز العرق ــ فتتجمع الحرارة داخل الجسم ــ فترتفع حرارته ــ ويجف الجلد ، ويشعر المصاب بصداع شديد ودوار ــ وغثيان وقىء ــ ثم هذيان ــ وفى الحالات الشديدة تشنجات ثم غيبوبة . وفى الحالات الشديدة ، يحدث نزيف فى الجلد ــ من الانف ومن أجزاء مختلفة فى الجسم .

والوقاية هنا هامة أيضا ، فيجب الابتعاد عن مصدر الحرارة ــ وكذلك نقل المصاب فى أسرع وقت ممكن الى أقرب مستشفى ليعالج ، لأنه كلما مضى وقت على اصابته كلما ازدادت حالته سوءا ، وتعرض لمضاعفات شديدة ربما أودت بحياته ، والى حين نقله الى المستشفى يجب أن لا نفوت الفرصة عليه لتخفيض درجة حرارته وذلك بتخفيف ملابسه ، ووضع ماء بارد على رأسه وأطرافه مع تدليك جسمه بالماء البارد ، حتى تنخفض درجة الحرارة . ولا نضيع وقتا طويلا فى نقله الى أقرب مستشفى لتكملة العلاج ، وذلك بالتبريد تدريجيا ووضعه فى غرفة خاصة مكيفة ، ثم تعويضه السوائل التى فقدها اذا حدث ذلك .

جـ) التعرض للشمس :

لمدة طويلة دون وقاية يعرض الجلد والعينين الى مضاعفات عدة ، يتأثر بها من ليس عنده القدرة على تحمل أشعة الشمس ، وذوى البشرة غير الملونة لأن تلون البشرة يحميها من التأثر بالاشعة فوق البنفسجية ، ويحدث أن يحمر الجلد المعرض للشمس والاحساس بحرقة فيه مع الميل الى حكه .

وفى الحالات الشديدة يتورم الجلد ، وبعد مرور ساعات يغطى بفقاعات صغيرة سرعان ما تكبر ، وتمتلىء بسائل شفاف ، وتكون هذه محاطة بجزء ملتهب أحمر من الجلد — وفى الحالات الشديدة ربما تعرض لالتهاب بميكروب ، مما يسبب تقيحها وما يعترى الجسم من مضاعفات ، مع الارتفاع فى درجة الحرارة والاحساس بالاعياء الشديد . وفى الحالات الاشـــد ، يصحب ذلك صداع وقىء .

والوقاية هنا أيضا خير من العلاج فيجب أن لا يعرض الانسان نفســه للشمس لمدة طويلة ظنا منه أن هذا مفيد للصحة ، ويحرق جلده وعينيه — ويختار الوقت المناسب للتعرض أى فى الصباح الباكر أو بعد الظهيرة ، واذا كان ممن يتأثرون بأشعة الشمس وجب عليه تغطية الاجزاء الحساسة بدهان (بكريم) Uvostat وما شابهه ، ويلاحظ فى ذلك أن لا يغطى الجسم جميعا ، والا منع العرق من التبخر من على الجسم ، والذى هو هام فى تنظيم حرارة الجسم وكم شاهدنا حالات غطى المعرض نفسه للشمس معظم جسمه (بالكريم) ، قد أصيب بضربة شمس نتيجة لذلك ، فعليه أن يغطى الاجزاء الاكثر تعرضا كالوجه والساعدين والكتفين وأعلى الظهر .

أما اذا التهب الجلد فأحسن علاج الآن هو استخدام الغسولات التى تحتوى على مركبات الكورتيزون مثل (Celestoderm) وما شابهها ، أما اذا حدث لها التهاب وتقيح فتستعمل المركبات الحيوية للتغلب على مثل هذه الحالات مع المراهم المضادة لهذه الميكروبات ، وفى الحالات الشديدة يستشار الطبيب فى العلاج .

ثانيا — الامراض التى تصيب العضلات والمفاصل :

ورب سائل يقول : كيف يحدث ذلك فى الصيف والجو حار ؟ ولكن لوحظ أن هذه الامراض تزداد فى الصيف نتيجة للتعرض للتيارات الشديدة من النوافذ أو « المراوح » أو المكيفات — ويسبب ذلك تقلصات شديدة فى العضلات ، وآلام فى المفاصل يشتد فى الصباح الباكر عند الاستيقاظ من النوم ، أو بعد القيلولة ، بعد أن يكون الجسم قد تعرض لهذه التيارات فترة طويلة — بل لا يكاد الانسان أن يتحرك من شدة الالم — ويجدر بنا ملاحظة عدم التعرض لمثل هذه التيارات الباردة ، وتغيير الجو من حار الى بارد ومن بارد الى حار فى فترات وجيزة — وأن نبعد أسرة النوم عن المكيفات .

واذا حدثت مثل هذه الآلام فأقراص الاسبرين أو الباراسيتامول أو ما شابهها ، هى العلاج الناجع فى مثل هذه الحالات — مع تدليك العضلة المصابة بعد تسخينها وعدم تعرضها للبرودة مرة أخرى .

ثالثا — الامراض التى تصيب الجهاز الهضمى :

ولعل أخفها تلك التلبكات المعوية والمعدية التى تحدث من آن الى آخر ، لمن يذهبون الى أماكن غير التى تعودوا عليها ولعل ذلك يرجع الى تغير فى

أطعمتهم والمياه التى يتناولونها واختلاف الاكلات التى تعودوا عليها . نصيحتى لهؤلاء أن لا يكثروا من الاكل الذى لم يتعودوا عليه ويجعلوا الحديث الشريف نصب أعينهم « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع » ، وفى بعض الحالات تزداد هذه التلبكات شدة ويحدث قىء شديد واسهال نتيجة للتسمم الغذائى الذى يحدث من تلوث الطعام بميكروبات أو افراز هذه الميكروبات وما أكثرها فى الصيف ، وما أكثر طرق نقلها بالذباب الذى يهيم على الاطعمة ، وأحب أن أشير هنا الى أن التسمم الغذائى انما يرجع الى عدم الاعتناء بالنظافة التى هى من أهم أسباب الوقاية « النظافة من الايمان » كما يرجع الى الاهمال وترك الاطعمة دون حفظها فى أماكن خاصة لكى لا تتلوث وتبقى فى حالة سليمة جيدة ، ويا حبذا لو حفظت الاطعمة فى ثلاجات خاصة واخراجها فقط عند تناولها ، وعدم تناول أى طعام مشكوك فى صلاحيته . واذا حدث التسمم وجب على المصاب أن يتخلص مما تناوله ، بأن يأخذ ماء به نسبة عالية من الملح ويتقيأ .

ولعل أقسى الامراض التى تصيب الجهاز الهضمى فى الصيف هى اصابته بالحميات المعوية كالتيفود والباراتيفود ، وهى حميات معدية نتيجة لاصـابة الامعاء بميكروب خاص (باسيلوس) يذهب مع الطعام الى الدم ، ومنه الى الامعاء الدقيقة مسببا تقرحات بها ، ويصحب ذلك ارتفاع فى درجة الحرارة ، والشعور بالاعياء الشديد — وآلام فى المفاصل والعضلات ، وصداع مع الانتفاخ والامساك ، وفى بعض الحالات يعقب الامساك اسهال مع آلام فى البطن ، ويعقب الاسهال امساك وهكذا ، وفى الحالات الشديدة تكون الحمى مصحوبة بهذيان وفى الحالات الاشد يحدث فقدان للوعى . وفى بعض الحالات تتغير هذه الصورة ، وربما كان المرض خفيفا وتعترى المريض حمى طويلة الامد مع تلبك بسيط فى الامعاء ، تحير المريض كما تحير الطبيب بعض الوقت ، وفى النهاية بعد الفحص وعمل التحليـلات اللازمة ، تكون حمى التيفود أو الباراتيفود . والوقاية أيضا فى هذه الحميات واجبة ، والابتعاد عن المأكولات التى لا يؤمن لها ، ولا يعتمد على أصحابها ، وحث أبنائنا على عدم شراء المثلجات التى تباع مع الباعة المتجولين ، والتى كثيرا ما تتعرض للتلوث بميكروب التيفود ، خصوصا من حامل المرض أو بتلوثها من الذباب .

ونصيحتى فى علاج المريض بحمى التيفود أن يكون بالمستشفى ، لأن هذا المرض يحتاج الى عناية خاصة ، من نواحى العلاج والتمريض بحيث لا تنتقل العدوى — وكذلك لكثرة حدوث المضاعفات ، وللتغلب عليها فى بادىء ظهورها خوف استفحالها — فلقد قابلت مرضى كثيرين يحبذون العـلاج فى بيوتهم ، وما أضر ذلك عليهم وعلى من حولهم .

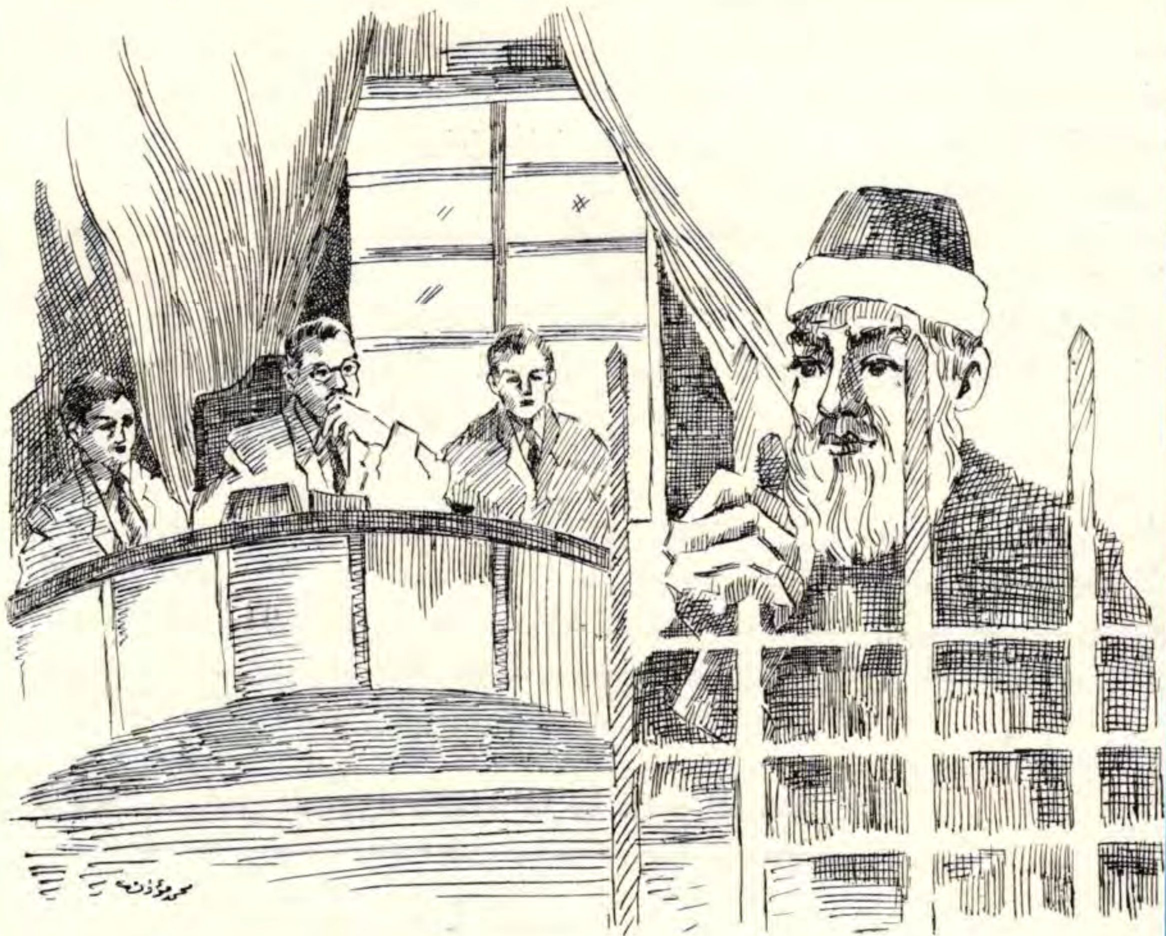
رابعا — ولعل الصورة تكتمل اذا ما طرح السؤال :

وماذا عن المرضى فى الصيف ؟

ونصيحتى لهؤلاء أنه من الواجب أن يتمتعوا باجازات فى الصيف ، ويبتعدوا عن الجو الحار ما أمكن ، لأن ذلك يساعد على تغلبهم على مثل هذه الامراض ؛

— البقيـــة ص ٨٤ —

من ارشيف المحاكمات



المعاقب

ترجمها عن التركية : ابو ليلى

نبذة تاريخية :

فى ٢٥ كانون الاول لسنة ١٩٢٥ وضع كمال أتاتورك قانون الزى فى تركية ، وبموجب هذا القانون حرم لبس أى غطاء للرأس عدا القبعـــة وذلك تشبها بالغربيين . وتشكلت محكمة الاستقلال لمحاكمة كل شخص يعمل ضد النظام القائم .

ومن بين عشرات بل مئات الحوادث التى جرت فى هذه المحكمة نقـــدم نموذجا تاريخيا واحدا لاحدى هذه المحاكمات .

المنظر الاول :

(محكمة الاستقلال فى أنقرة .. رئيس المحكمة (كل على) (١) واعضاء المحكمة فى أماكنهم . وفى قفص الاتهام نرى الشيخ عاطف أفندى . والتهمة الموجهة اليه هى نشره رسالة صغيرة يدافع فيها عن تستر النساء ويهاجم لبس القبعات . وهو يحضر الآن المحكمة بعد أن قضى عدة أشهر فى السجن .

والشيخ عاطف نشر تلك الرسالة قبل صدور قانون القبعات ، حتى أن بوليس الدولة كان آنذاك يتعقب بشدة الافراد القلائل من المسلمين الذين كانوا يلبسون القبعات . واستنادا الى قاعدة أن القانون الجنائى لا يسرى على ماسبق فقد كان من المستحيل توقيع العقوبة على الشيخ . وهذه الجلسة هى الجلسة الاخيرة اذ سيدافع الشيخ عن نفسه وستصدر المحكمة قرارها .

وفى ليلة اليوم الســـابق لهذه الجلســـة كان قد حدث حادث غريب فى السجن . فقد كان الشيخ مسجونا مع المرحوم طاهر المولوى فى نفس الغرفة ، وبناء على اصرار طاهر المولوى يكتب الشيخ دفاعه ثم يرقد وينام . وفى الحلم يظهر له منقذ الانسانية محمد صلى الله عليه وسلم ويقول له : (لـــماذا كتبت دفاعا ..؟ ألا تحب أن تتعجل لقاءنا ؟) ويهب الشيخ من نومه والرعدة تسرى

فى أوصاله ويسرع الى تمزيق دفاعه ثم يتوضأ ويصلى . وبعد قليل يستيقظ طاهر المولوى ويشاهد قصاصات الاوراق على الارض فيتساءل : (ماذا فعلت ؟) فيخبره الشيخ بالرؤية ويبكيان معا .

والمحاكمة التى ذكرناها فى أول المقال تجرى فى صباح تلك الليلة .

رئيس المحكمة (مخاطبا الشيخ عاطف) : قف أيها المتهم .. ان التهمة الموجهة اليك هى أنك قد كتبت رسالة ضد لبس القبعة ، ان جريمتك خطيرة فماذا تقول ؟

الشيخ عاطف : لقد كتبت تلك الرسالة قبل صدور هـذا القانون لذلك فاننى برىء .

الرئيس : ستنظر المحكمة فى ذلك . والآن أسرد دفاعك .

الشيخ عاطف : اننى برىء لذلك لا أرى حاجة للدفاع .

(علامات الحيرة والغضب لدى أعضاء المحكمة) .

الرئيس (مخاطبا المدعى العام) : يرجى بيان مطالبكم .

المدعى العام : أطالب بانزال عقوبة السجن بالمتهم .

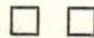
الرئيس : تعطل الجلسة للمداولة .

(ينسحب أعضاء المحكمة الى غرفة المداولة .. وبعد فترة يعودون ويتخذون أماكنهم) .

الرئيس (يقرأ القرار بكل جبروت) : قررت المحكمة باتفاق الآراء اصدار حكم الاعدام على الشيخ عاطف المدرس فى مدارس فاتح وذلك لمعارضة القرارات الثورية لحكومتنا بكتابته رسالة ضد لبس القبعات .

(يخيم سكون كسكون الموت على قاعة المحكمة .. وقد تملكت الدهشة المدعى العام نفسه .. الجنود يخرجون الشيخ عاطف من المحكمة) .

الشيخ عاطف (بكل سكينة ووقار) : سيأتى يوم على الظالمين يقولون فيه (تا لله لقد آثرك الله علينا) .



المنظر الثانى :

منطقة (دارلوس) فى أنقرة .. من خلال الضوء الباهت للصباح الباكر تظهر منصة الاعدام على جانب الشارع المؤدى الى جامع (الحاج بيرام) .

يؤتى بالشيخ عاطف المحكوم عليه بالاعدام ، الى غرفة الانتظـار وقد ألبسوه قميصا أبيضا ويحضر معه كذلك الجلاد وشرطة السجن وبعض الموظفين العدليين يشدون يديه من الخلف ثم يعلقون على رقبته قرار حكم الاعدام ..

وتنتهى فترة الانتظار لتنفتح أبواب العالم الابدى وتقترب لحظة اللقـاء فتتحرك شـفاه الشيخ بدعاء خافت ثم يتقـدم ببطء نحو المنصـة ويرتقى درجاتها .

أحد الموظفين (بعد قراءة قرار الاعدام) : ما هى اقوالك الاخيرة ؟

الشيخ عاطف : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله .

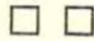
يدفع الجلاد الكرسى الموجود تحت أقدام الشيخ عاطف .. يتدلى جسد الشيخ فى الهواء ويلتف الحبل المدهون حول رقبة الشيخ .

وفى هذه الاثناء يسمع صوت أذان الصبح من منارة جامع (الحـاج بيرام) :

ــ الله أكبر .. الله أكبر ..

وجسد الشيخ يتدلى فى الضوء الباهت للصباح ، وتهب ريح خفيفة باردة محولة وجه الشيخ عاطف نحو القبلة .

وبخطوات وجلة وعيون ملأتهـا الدموع يشـاهد بعض المسلمين وهم يدخلون الجامع لأداء صلاة الصبح .



المنظر الثالث :

وتمضى السنون ويهرم (كل على) رئيس محكمة الاستقلال سابقا ويصاب بمرض عضال وينقل الى المستشفى .

(أمام غرفة الرئيس السابق للمحكمة يقف طبيبان شابان) .

الطبيب الاول : الحقيقة أننى لا أستطيع بعد الآن الدخول الى غرفة هذا المريض .

الطبيب الثانى : ولمـاذا ؟

الطبيب الاول : اتمنى من الله ان لا يبتلى أحدا بمثل هـذا المرض اذ لم اشاهد طيلة حياتى مرضا بهذه الدرجة من الفظاعة والالم .. كم هو شىء مرعب يا الهى ..!! ان قاذوراته تخرج من فمـه .. المكان كله ملوث بالنجاسـة وبالقاذورات .. والادهى من ذلك أنه لا يموت كى يستريح ، بل يتقلب بين النجاسة تحت وطأة آلام فظيعة ، ومن شدة آلامه يمزق الاغطية واللحاف . ان حاله من الفظاعة والفجاعة بحيث لا يستطيع أحد من المرضين أو الاطباء الاقتراب منه .

الطبيب الثانى : (يقترب من الباب ثم يفتحه بهدوء .. تسمع أصوات لهاث وصرخات تقشعر لها الابدان .. وتنبعث من الغرفة رائحة كريهة لا يمكن تحملها) اف .. لا أستطيع التحمل ..

(يبتعد الطبيبان بسرعة وهما يكادان يتقيآن) .



شريطة ان يداوموا على العلاج ، وأن يعطوا اجسادهم قسطا وافرا من الراحة وبذلك يكونون قد أدوا ما عليهم لأبدانهم، مصداقا لحديث رسول الله « ان لبدنك عليك حقا » ولعلنى اخص بالذكر المصابين بارتفاع فى ضغط الدم — ومرضى البول السكرى — ومرضى حصى الجهاز البولى .. ففى مرضى ارتفاع ضغط الدم ، خصوصا الذين تعرضوا لمضاعفات هذا الارتفاع من هبوط فى القلب أو نوبات ذبحات صـــدرية ، أو التعرض لثقل فى اللســـان ، أو ضعف فى أحد الاطراف ، لا بد لهؤلاء من أن لا يعرضوا انفسهم لجو شديد الحرارة ، وأن لا ينسوا علاجهم فى هذه الفترة الحرجة ، وان كان فى استطاعتهم قضاء اجازة فى جو معتدل فعليهم أن يقوموا بهـــا ، لأن فى ذلك ما يبعد احتمـــال حدوث المضاعفات الشديدة ، وما أحرى هؤلاء أن يتحلوا بالصبر ، وعدم الهياج لأتفه الاسباب ، لأن ذلك يعرضهم لهزات شديدة يرتفع بسببها الضغط — ولا يجهدوا انفسهم ويجعلوا لهم نظاما خاصا وهو الاعتدال فى كل شىء ، مع الراحة بعد الوجبات والذهاب الى النوم مبكرا .

مرضى البول السكرى :

واعنى بذلك الذين يعانون من المرض لفترة طويلة — والذين يعـــالجون بكميات كبيرة من الانسيولين يجب على هؤلاء أن يراعوا بدقة الوجبـــات التى يتناولونها ، وكمية الأنسيولين — وتحليل البول باستمرار ، لأنه فى الصـــيف تقل الوجبات ويزداد تعاطى السوائل ، كما يجب عليهم ان يراجعوا طبيبهم عند حدوث أى مضاعفات أو تعرضهم لأمراض اخرى . ويا حبذا لو قضى هؤلاء فترة طويلة بعيدا عن الجو شديد الحرارة — ليقوا انفسهم من المضـــاعفات الكثيرة التى تحدث فى مثل هذا المرض .

مرضى حصى الكلى ومجرى البول :

وهم يتعرضون فى الصيف لتكرار نوبات المغص الـــكلوى — لأن البول يتركز كثيرا بسبب العرق الغزير ، وتقل كمية البول مما يســـاعد على زيادة الترسب ، وحدوث حصيات جديدة ، والتعرض للالتهاب فى مجرى البول — لذا كان من الواجب على هؤلاء أن يشربوا السوائل بكثرة حتى يعوضوا ما يفقدون من عرق ويحافظوا على زيادة كمية البول وادراره ، وبذلك يتغلبون على حدوث حصى جديد .

ولكى نقضى صيفا ممتعا — متمتعين بالصحة والسعادة علينـــا أن نقى انفسنا ونسمع لنصيحة اطبائنا ، تمشيا مع رسولنا الكريم حين يقول « تداووا فان الله قد خلق الداء والدواء » .

الفتاوى

نجاسة الخمر

السؤال :

اثبتت بعض التجارب العلمية الحديثة أن (الخمر) عند تحضرها : تمر على عمليات كيميائية . تشبه الى حد كبير جدا العمليات الكيمائية التى يمر بها الطعام فى الجهاز الهضمى الى أن ينتهى بالفضلات (البراز) ما رأى الشرع أذن بعد هذه النتائج التحليلية فى نجاسة الخمر ؟

(حسين عبد الجليل — المحرر العلمى بجريدة البلاغ) .

الاجابة :

أجاب على هذا السؤال والذى يلية فضيلة الاستاذ مصطفى احمد الزرقا .

جمهور الفقهاء والمذاهب الأربعة متفقة على الحكم بنجاسة الخمر كالدم والبول ، لأن القران وصفها بانها رجس وأمـــر باجتنابها ، ومعنى الرجس فى اللغة : القذر ، واستعمله القرآن فيما يجب الابتعاد عنه بتاتا ، وهذا يوجب فى نظرهم الحكم بنجاسة الخمر . والقذارة فيها اعتبارية للتنفير .

وهناك من الفقهاء والمجتهدين من يرى عدم نجاســتها ، بحجة أن الآية الكريمة لا تدل على النجاسة ، لأن الأمــر باجتنابها ، أنما يدل على التحريم ولا يلزم منه النجاسة ، بدليل انها قرنت فى الآية بالميسر والأنصاب والأزلام ولم يقل احد منهم بنجاسة شىء من هذه الأشياء ، والميسر لعب لا يقبل الحكم بنجاسة ولا طهارة وأن كان حــراما . كما أوضحه الامام النووى الشافعى فى المجموع (٢/٥٦٤) .

أما مراحل التفاعل الكيماوى التى يمر بها العصير الى أن يتخمر فلا عبرة له فى قضية النجاسة والطهارة التى مصدرها النص الشرعى ، ومهما كان هذا التفاعل فان التخمر فى نهايته لا يشبه تحول بقايا الطعام الى فضلات وبراز .

□ □

الطلاق لايقع

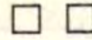
السؤال :

كنت أتحدث مع زوجتى بشأن لباسها وطوله وقصره (وهى والحمد لله تلبس الطويل جدا) فقلت : (ان تقصير اللباس بسببه يمكن الواحد يطلق زوجته) فهل يقع الطلاق بهذا اللفظ ، وقد ذكرته بشأن من يخالفون تعاليم الدين ويخالون أنه عقيدة فى الضمير دون تنفيذ الشريعة ! . .

(... ــ الكويت) .

الاجابة :

لا يقع بهذا الكلام طلاق وليس له تأثير ما بين القائل وزوجته ، لأن لايقاع الطلاق ألفاظا وشرائط لا تتوافر فى هذا الكلام . ومن أهم تلك الشرائط أن يقصد المتكلم التلفظ باللفظ الدال على أن المتكلم قد أوقع الطلاق على زوجه .



صندوق التوفير والادخار

السؤال :

١ ــ هل يجوز شرعا ايداع الاموال فى البنوك باسم القصر خاصة على سبيل التوفير والادخار ؟

٢ ــ هل يجوز شرعا للقاصر المميز سحب أمواله ؟

٣ ــ ما هى السن المحددة فى مذهب الامام مالك رضى الله عنه التى يعتبر الصبى فيها مميزا عند بلوغها ، ثم يجوز له التصرف فى أمواله .

الاجابة :

١ ــ يجوز شرعا ايداع الاموال فى البنوك باسم القصر بشرط الا يؤخذ عنها فائدة .

٢ ــ لا يجوز للقاصر أن يسحب بنفسه شيئا من هذه الاموال ، ولويه الشرعى الذى يحدد اسمه فى الاستمارة الخاصة بذلك أن يسحب منها ما يراه لازما لمصلحته .

٣ ــ السن التى يعتبر القاصر عند بلوغها راشدا ويجوز له التصرف فى أمواله هى ثمانية عشر عاما .

بريد الوعي الإسلامي

مفهوم عقوق الوالدين ، وصوره

قرأت فى كتاب فى (الكبائر) شرح كبيرة عقوق الوالدين والاحاديث الرهيبة المتصلة بها ، ومنذ تلك اللحظة وأنا أعيش فى حيرة بشأن بعض حقوق الآباء التى تعكر صفو حياة الابناء أو تبدو تجاوزا على حقوق وواجبات أخرى كما فى الامثلة التالية :

مثال ١ : الجهاد ، كيف بمن يود القيام بهذه الفريضة بالرغم من منع والديه له ؟ وكيف التوفيق بين حديث (أحى والداك ففيهما فجاهد) وحديث (لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) ؟

مثال ٢ : ما الحكم فيمن يعطى أبويه كفايتهما من النقود ومتطلبات الحياة ثم يطالبانه بالزيادة دون حوج ، وهو ذو عيال ، وعليه مسئوليات ، فهل يعد رفضه عقوقا .. وما المراد من حديث (أنت ومالك لأبيك) ؟

مثال ٣ : اذا كانت الزوجة تعامل والدى زوجها أحسن معاملة ويريد الابوان من الزوج أن يطلقها أو يتيح لهما السيطرة عليها أو يحرمها من المنزل المنفصل عنهما ، فهل يطلق الزوج امراته ارضاء لأبويه وامتثالا لبعض الاحاديث التى تدعو الى ذلك ؟

آنسة ش . ص . السودان

أحلنا هذه الرسالة الى الاستاذ مصطفى أحمد الزرقا خبير موسوعة الفقه فتفضل بالاجابة التالية :

قرر الاسلام للوالدين حقوقا مادية ومعنوية أوجب على الولد رعايتها واحترامها وحسن أدائها ، وفى رأس حقوقهما المادية عليه أن ينفق عليهما اذا احتاجا ، وفى رأس حقوقهما المعنوية بره بهما فى كل وجوه البر ، واجتناب عقوقهما فى كل وجوه العقوق .

وان بر الوالدين يتجلى فى فعل ما يرضيهما ويسرهما ، من طاعة لأوامرهما وتحقيق لرغائبهما فى المعروف ، وأن عقوقهما يتجلى فيما يؤذيهما أو ينغصهما من قول أو عمل ، ويقول الفقهاء : ان الفعل السيىء يعتبر عقوقا اذا كان من شأنه أن يؤلم الوالدين (كسوء الادب معهما مثلا) وان لم يؤلم الوالد الذى أساء ابنه الادب معه لفرط محبته له وتولعه به ، والاخلال ببر الوالدين درجات : من المخالفة اليسيرة الى العقوق والايذاء الذى هو أيضا درجات متفاوتة .

هذا ، ولكن الشريعة الاسلامية من أبرز مزاياها أن تعاليمها تحفظ التوازن بين جميع الجهات الواجبة الاعتبار ، فهى لا تقبل أن تطغى رعاية نوع من الحقوق والواجبات على رعاية نوع آخر منها ، وميزان هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحادثة المشهورة : (ان لربك عليك حقا ، ولنفسك عليك

حقا ، ولزوجك عليك حقا ، فأعط كل ذى حق حقه) الى نصوص أخرى كثيرة فى الكتاب والسنة الثابتة ، ففى ظل ذلك تقيد طاعة الوالدين شرعا بأن لا تكون فى معصية لله تعالى لقوله تعالى : ((وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما)) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) فهناك نصوص عامة ينبسط سلطانها على جميع آفاق الحقوق والواجبات فتضع لها حدودا ملحوظة تحفظ التوازن ، والشرع حقوق وواجبات متقابلة ، فكما أوجب على الولد بر والديه أوجب عليهما تسهيل هذا البر عليه وعدم ارهاقه فيه .

بعد هذا الايضاح للأصول أقول :

١ ـ فى الخروج الى الجهاد اذا أراد الولد الخروج وكان هناك من سواه من يغنى عنه ويسد مسده ووالداه أو أحدهما فى حاجة اليه لا ينبغى له أن يخرج ويتركهما ، فبقاؤه معهما من الجهاد لأن الجهاد يستدعى تخليف بعض المكلفين فى البلد والاهل ، وعلى هذا يحمل قول الرسول صلى الله عليه وسلم ((ففيهما فجاهد)) .

أما اذا أصبح الجهاد فى بعض الاحوال واجبا عينيا عليه لعدم وجود من يسد مسده ، فليس خروجه عندئذ عقوقا ولا منافيا للبر وان لم يأذنا له .

٢ ـ ومن يعطى أبويه كفايتهما من النفقة ومتطلبات الحياة فقد أدى واجبه شرعا ، وان تطلبا شططا واسرافا فوق الحاجة المعروفة فليس واجبا عليه ، وان أراد أن يتطوع بالزيادة فذلك اليه ما لم يكن ذلك على حساب واجبات مالية أخرى عليه .

أما قول الرسول صلى الله عيه وسلم : (أنت ومالك لأبيك) فليس معناه التمليك فى نظر الفقهاء ، بل هو للتنبيه الى مبلغ حقوقهما وأن ما جناه من مال انما هو بفضل تربيتهما له حتى أصبح كبيرا قادرا مكتسبا ، فعليه أن يمتعهما بماله بسخاء .

٣ ـ اذا كانت الزوجة تعامل والدى زوجها معاملة حسنة وهما يكرهانها ويطلبان اليه تطليقها دون ذنب منها أو اساءة ، فليس عليه اطاعتهما لأن هذا منهما شطط واساءة وعدوان ، فلا يجوز له اطاعتهما فيه ، وما روى من بعض حوادث تاريخية فى صدر الاسلام بخلاف ذلك له تأويل آخر .

هذا ، وفى كل موطن مما لا يكلف الولد فيه باطاعة والديه فى معصية لا يجوز له الا الرفض برفق وحكمة دون اساءة لهما بالقول لأن المقصود يتحقق بعدم المجاراة لهما فى معصية وعدوان ، ولقول القرآن فى تتمة الآية السالفة الذكر : ((وصاحبهما فى الدنيا معروفا)) والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

شهداء اليرموك

شيع فى احتفال رسمى ستة عشر شهيدا من لواء اليرموك الكويتى استشهدوا فى معارك القناة .

بأقلام القراء

فى ذكرى معركة ((يونيو))

هذا هو حمانا

كتب الأستاذ محمد سيد احمد المسير تحت هذا العنوان يقول :
النظرة الفاحصة لتاريخ الدول والحضارات ترينا أنه قد نزل بساحات الحق والمجد الكثير من الايذاء والبأساء ، ووقف الباطل بشتى صوره وأشكاله من طواغيت وأصنام وجاهلية وهوى وشهوات ونزوات فى وجه الحق الصراح ونبل مقصده وسمو هدفه وكريم غاياته ..

ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض حتى تربى العزائم الخائرة ، وتوجه النفسيات الهشة الى ما فيه تماسكها وصلابتها ، لأن المجتمع لا يخلو من مختلف البواعث مابين اقدام واحجام وعزم وتردد وهزة أمل ورعدة خوف ، ومن الخير لذلك المجتمع أن تظهر النفسيات على حقيقتها حتى يميز الله الخبيث من الطيب .
ولا شك أن الحق دائما هو المنتصر ولو بعد حين ، وأن الباطل زهوق مهما علا زبده ، وأن الليل لابد أن ينقشع مهما أرخى سدوله تحقيقا لقول الله تعالى **(كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز)** .

ومعركتنا المعاصرة تحوى أكثر من معنى ، وتدل على أكثر من مغزى .. فهو أولا صراع بين الاسلام الخالد ومحاولة النيل فيه على أيدى طواغيت الشر والعدوان عموما ، وأولاد القردة والخنازير خصوصا ، وقد بدأ ذلك الصراع منذ نزل الحق تبارك وتقدس **فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)** ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن تمت الهجرة الى المدينة عمل جاهدا على جمع الشمل بين المسلمين بالمؤاخاة ، وعلى توحيد الصف ببسط يد السلام ليهود المدينة ، فعقد معهم معاهدة تاريخية كفلت للفريق الحرية وحسن الجوار والتعاون ، ولكن اليهود كما هو دأبهم نقضوا العهد والمواثيق فطهر المسلمون أرض المدينة وما حولها من رجسهم الى أن جاء عمر بن الخطاب فأجلاهم عن الجزيرة العربية تحقيقا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام « لايجتمع فى جزيرة العرب دينان »

ان الصراع الذى استحكم حتى سقطت أندلس الاسلام ، ولاقى المسلمون اقسى ألوان الظلم والعنت والاكراه ، وأصبح من مألوف المناظر أن ترى النواقيس تعلو شرفات المآذن ونعال الصليبين تطأ مواقع جباه المسلمين فى المساجد .

انه الصراع الذى كمن وراء الكشوف الجغرافية فى القرن الخامس عشر ، والتى كان مقصدها السيطرة المسيحية على العالم العربى حين احتل البرتغاليون البحار الشرقية ، واحتل الأسبانيون مغرب الوطن العربى كى يطبقوا عليه ويئيدوا فيه معالم الدين والحضارة الاسلامية .

انه الصراع الذى جمع جموع أوروبا لغزو الشرق الاسلامى تحت شعار الصليب الى أن قيض الله لتلك الأمة رجلا من رجالاتها حصدهم فى موقعة حطين .. انه صلاح الدين الذى طهر قدس الأقداس من شرهم وقال لهم اخرجوا ولن تعودوا .

ولكن خفايا الصدور مازالت تحترق حسدا وبغيا حتى جاء الحلفاء فى اوائل القرن العشرين ودخلوا بيت المقدس ، وقال اللورد اللنبى الانجليزى (الآن انتهت الحروب الصليبية .. !! ودخل قبر صلاح وقال عدنا يا صلاح الدين) .. !!

انه صراع عميق الجذور بين الاسلام وقوى الباطل كلها مهما تنوعت أو تشكلت **(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)** تلك هى الحقيقة رضينا أم سخطنا اعترفنا أم تجاهلنا .

ثانيا : معركتنا اليوم معركة شعب شرد ، وأرض سلبت وأعراض انتهكت ، ومقدسات ديست ودماء استبيحت **(ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ..)**

ففلسطين الجريحة تهيب بكل ذى ضمير أن يصحح للتاريخ مسيرته ، وينقذ العالم من قوانين الغاب التى لا يصدها غير القوة ، فالسلام بغير العدل استسلام ، والحق بغير القوة يتيم .

واستلهاما من واقع القضية الفلسطينية وصلتها الوثيقة بقيمنا ومبادىء ديننا أود أن أعرض وجهة نظر لاحت لى أمام بعض آيات من كتاب الله قال الله تعالى **(والتين والزيتون . وطور سينين . وهذا البلد الامين)** . فهذه الآيات تمثل أطوارا من رسالات الله لخلقه التى توالت عليهم توضح فيهم الخير والفضيلة والجمال وترسم مناهج البر والفوز والفلاح .

فقوله سبحانه **(والتين والزيتون)** قسم من المولى ببقعة مباركة جرت فيها تفاصيل بعث الهى ، واعداد روحى لعبد الله ورسوله (عيسى) روح الله وكلمته ، تلك البقعة هى بيت المقدس الذى بارك الله حوله حيث ترتفع غصون الزيتون وتخفق رايات السلام ..

وقوله جل شأنه **(وطور سينين)** أو (وطور سيناء) قسم بهذا المكان

الطاهر تذكيرا بما كان عند الجبل من آيات ومعجـزات حيث كلم الله موسى تكليما ، وأنزل عليه التوراة واخذ الالواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون .

وقوله تباركت اسماؤه **(وهذا البلد الامين)** هو مكة المكرمة حيث تجدد للفكر الانسانى شبابه بعد بلى وانحلال وعادت للحضارة الانسانية قوتها بعد ركود واضمحلال ، واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وتلقاه محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات الى **النور ..**

وبعد فهذا قسم من الله العلى القدير بأماكن ثلاثة أشرق منها نور التوحيد على أيدى رسل أولى عزم .. محمد .. وعيسى .. وموسى ..

ونحن ـ المسلمين ـ أولى الناس بأنبياء الله ورسله لأننا ذوو عقيـدة صحيحة سليمة (لا اله الا الله) ولأننا نؤمن برسل الله ولا نفرق بين أحد منهم ، وكل من يدعى ايمانا برسول وينكر آخر ، ويجادل بالباطل فيزعم أنه موقر لذلك الرسول فهو مخادع (مأواه جهنم وبئس المصير) .

ونحن ـ المسلمين ـ امناء الله فى أرضه نحمى المقدسات ونذب عنهـا ونعرف طهر مقصدها لأننا ذوو نسب عريق فى الحفظ والامانة ، فوجهتنا البلد الامين فى صلاتنا وحجنا تهفو اليه القلوب أينما كنا فى طهـارة حس وحلاوة نغم ، أضف الى ذلك أننا اتباع الامين محمد .. ولله در شوقى حين يقول :

يا جاهلين على الهادى ودعوته
هل تجهلون مكان الصادق العلم

لقبتمـوه أمين القوم فى صـغر
ومـا الامين على قـول بمتهـم

ان بيت المقدس وطور سيناء والبلد الحرام أماكن ثلاثة يجب أن يهيمن المسلمون عليها ليس تعصبا ، وانما حفاظا على المقدسات ذاتهـا ، وتأكيدا للسلام ، وتدعيمـا لأصوله ، فهو من قبيل وضـع الرجل الصحيح فى المكان الصحيح ..

واذا كنا اليوم نرى المسلمين قد تقاعسوا حتى سلبت أرضهم وديارهم ، بل ومقدساتهم ، فانها لمأساة يعيشها الاسلام ويحياها المسلمون .

ان مسرى محمد .. ان مبعث عيسى ومولده ... ان مهبط الوحى وملتقى رسل الله .... أولى القبلتين يحتاج منا الى مزيد من الجهد والجهاد بشقيه الاصغر والاكبر ، ومزيد من اجتماع الكلمة والالفة ومزيد من التعاون والنصرة ولا يمكن اذا اجتمعنا اليوم على هدى من الايمان بالله والاعتصام بحبله أن نعجز عن فلسطين عربية مسلمة **(وكان حقا علينا نصر المؤمنين)** .

وحينئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ونردد على قيثارة الايمان النشيد القومى الاول : الله أكبر .. الله أكبر كبيرا .. والحمد لله كثيرا .. لا اله الا الله وحده .. صدق وعده .. ونصر عبده .. وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده .

مائدة القارئ

اعدها : أبو نزار

ان الـــذين كفروا ينفقـــون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تـــكون عليهـــم حسرة ثم يغلبون .
صدق الله العظيم

أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل مقنع بالحديد فقال : يا رسول الله أقاتل ، أو أسلم ؟ فقال : أسلم ، ثم قاتل ، فاسلم ، ثم قاتل ، فقتل فقال رسول الله : عمل قليلا ، وأجر كثيرا .

ـ حديث متفق عليه ـ

سنمـــار

زعموا أن سنمار وهو رجل رومى بنى للنعمان ابن المنذر قصرا ، فلما أتم بناءه على احسن وجه ، رضى النعمان عنه ، ولكنه أشفق ان يبنى لغيره من الملوك مثل ما بنى له ، فامر به فالقى من أعلى القصر ، فاندقت عنقه ، فمات .

والناس يضربونه مثلا لمن يقدم الى الناس خيرا وأحسانا فيجزونه بالشر والمساءة .

وفى الدنيا كثيرون يمكن أن يسمى كل واحد منهم سنمار ، ولكنه يلقى من حالق ، فلا تندق عنقه لانه لا يبنى لاصحاب السطوة والبأس ، وانما يبنى للشعوب ، ولا يبنى للشعوب دورا ولا قصورا ، وانما يبنى لها عقولا ويزكى لها روحا ، وينبـــه فيها وعيا .

رسالـــة

قال التلميذ لاستاذه : ألا تنبئنى عن كلمة (الرسالة) هذه التى يلوكها كل انسان حين يريد أن يعبر عن المهمة ، فللكاتب رسالـــة ، وللشاعر رسالة ، وللعالم رسالة ، ولصاحب السياسة رسالة ، وما أعرف أن اللغة تؤدى بكلمـــة (الرسالة) هذا المعنى الجديد ؟ !

قال الأستاذ : هذه كلمة أذاعها فى لغتنا الحديثة مزاج من الجهل والغرور : الجهـــل باللغة العربية ، والغرور الذى يخيل الى كل انسان أنه نبى قد أرسله الله برسالة يعـــلم بها الناس شيئا ، أو يحدث بها فى النـــاس حدثا ، واذا اجتمع الجهل والغرور على أمة رفعاها الى أكثر من الخطأ اللغوى واستعمال الألفاظ فى غير مواضعها .

حـــلة

هم أحد الأمراء أن يهدى الى أحد ندمائه خلعـــة نفيسة ، ثم غضب عليـــه قبل أن تبلغـــه الهدية ، وكان النديم طويلا فى السماء . عريضا فى الفضاء وقد أراد الامير ان يغيظه ، فأهـــدى خلعته الى نديم آخر ، وكـــان قصيرا لا يكاد يرتفع عن الارض ، وضيقا لا يكـــاد يشغل من الفضاء الا حيزا ضئيـــلا .

ولبس النديم القصير الخلعة جذلان راضيا ، فلما دخل فيها ضاع بين ثناياها لأنها لم تفصل على قده ، ودخل على الامير فلما رآه وحاشيته ضحكوا ، وأما النديم فـــلم يشك فى أن الخلعـــة خلقت له ، وأما الناس فجعلوا كلما رأوه يشيرون اليه ، ويقول بعضهم لبعض : أنظروا اليه انه يرفـــل فى حـــلة فـــلان .

تقدير الأعمـــار

لماذا تعيش سمكة الشبوط (١٥٠) سنة ولا يعيش الحصان القوى حتى يبلغ الأربعين

لماذا يزيد عمر الببغاء على عمر النعامة ؟
لماذا يزيد عمر السلحفاة على عمر الحوت ؟
لماذا تعيش شجرة من النبـــات (٣٠٠٠) سنة ، ولا يعيش نبات آخر بعد عامـــه الذى يثمر فيـــه ...
سر ذلك عند ربى سبحانه !!!

مائدة عجيبة

وصف رجل مائدة أحد الأثرياء البخلاء فقال :

شبر فى شبر ، وصحفة مـــن قشر الخشخاش ، وبين الرغيف والرغيف مضرب كرة ، وبين اللون واللون فترة .

قيل له : فمن يحضرهـــا ؟ قال : الكرام الكاتبـــون .

العجـــوز المتصـــابية

الا انمـــا أم الحماقـــة مـــن غـــدت
بما ادهنت تلقى على عمرهـــا سترا
فيحسبها من رآهـــا طفلـــة الصبـــا
ويا ربمـــا كـــانت كجدتـــــه عمـــرا

نفـــــط .. ويه

اشتهر رجل اسمه (نفطويه) بالفسق فقال فيه أحد الشعراء :
مـــن سره ألا يـــرى فاســـقا
فليجتهـــد ألا يـــرى نفطويـــه
احرقـــه اللـــه بنصـــف اســـمه
وصـــير الباقى صراخـــا عليـــه

سخريـــة

قال رجل لجحا : اتحســـن الحساب باصبعـــك ؟
قال : نعـــم .
قال : خذ مدين من قمح ، فعقد جحا خنصره وبنصره .
فقال : وخذ مدين من شعير ، فعقد السبابة وابهامه ، وأقام الوسطى .
فقال الرجل : لم اقمت الوسطى ؟
قال جحا : لئلا يختلـــط القمـــح بالشعير .

اعمى يقتل بصيرا

ــ قتل أعمى بصيرا ، ونشرت الصحف نبأ الجريمة ، فاستغل احد الأدباء هـــذا الخبـــر ، وعلق عليه بما يلى :

اذا أصبح الامى محررا ، والاعمش مصورا ، وأصبح الوزير شاكيا ، والمغنى باكيا ، وأصبح القاضى محتالا ، والوصى مغتالا ، وأصبح العالم مخرفا ، والجاهل مؤلفا وأصبح الاجنبى مدللا والوطنى مذلـــلا ، وأصبح مديـــر المعارف اعجميا ، ومفتش المدارس عاميا ، وأصـــبح عميد الشيطان يتعبد ويتهجد ، واسم المسلم (خريستو) بعد أحمد ،وأصبح الدعى حسيبا ونسيبا ... فليس من غريب المقادير أن يفتك الأعمى بالبصير .



قالت صحف العالم

يقظة اسلامية رائعة ..

نشرت مجلة « دعوة الحق » المغربية فى افتتاحيتها كلمة قالت فيها :

لقد أصبحنا اليوم هدفا يرمى ، وغرضا تسدد اليه الضربات ، ومجالا حيويا لامتصاص ثرواتنا ومقدراتنا ، ومرمى طبيعيا ومقصودا للحضارة الغربية التى فاجأتنا بالغزو الاستعمارى ، بعد أن تآمرت على بلداننا ، فاقتسمتها ... وأجهزت عليها ، وأوقفت تقدمها ، وشوهت أمجادها ، وأضعفت شوكتها ، وطمست معالمها حتى أصبح الاسلام ، كما قال الامام الشيخ محمد عبده محجوبا بالمسلمين !!

واذا كانت الدول الاستعمارية قد أجلت جنودها ، وسحبت جيوشها ، فان هناك ما هو أخطر وأدهى ، وأفتك وأنكى .. انها ما زالت تعبىء قواها الضارية للعمل على مسخنا ، وتحويلنا عن متجهنا بما تستخدمه من قوانين ونظم ودساتير فى حكمها لنا ، وتوجيه سياستنا وبما تؤسسه من مدارس التبشير ومؤسساته وأجهزته بعد أن أخرجت جيوشها العسكرية المرئية المسموعة ، وأبقت الجيوش الحضارية فكرا وأخلاقا .. فوقع العالم الاسلامى فى بلبلة وتناقضات لا أول لها ولا آخر ..

ولئن كان بعض الفلاسفة المعاصرين المنصفين اليوم ، ينشدون التعاون العالمى والوسائل التى يمكن أن تحققه ، فان الاسلام قد حقق للانسانية مجدها ، وأشبع رغباتها وأشواقها وتطلعاتها ، وأعلى مكانتها وحققت تعاليمه الخير كله للعالم يوم كانت الشعوب سادرة فى غلوائها تهيم فى ظلمات الجهل والضلال ..

ولقد امتاز القرن العشرون ، رغم ما أصاب المسلمين فيه من محن وضغوط ، واستبداد واستعباد بتنبيه وعى المسلمين فى كل مكان الذين استيقظوا من سباتهم وغفلاتهم ، وتحقيق استقلال البلدان الاسلامية والعربية ، والافريقية والآسيوية التى فكت عنها قيود عقالها ، وتحررت من اسارها ، بفضل زعماء الاصلاح الذين أيقظوا راقد العزم ، وأرصدوا الأهبة للبعث والتطوير ، فكان لهم الفضل الأكبر فيما ظهر فى هذا القرن من اصلاح دينى ، وتجديد أخلاقى ، وتطور اجتماعى .. وكذلك بفضل الدعوات المتكررة التى تدعو المسلمين الى أن يتسلحوا بالتقنية والعلوم الحديثة ، والاعتماد على النفس ، والاستقلال التام الذى يتشخص فى الاكتفاء الذاتى ، وتطوير العقلية لهضم مفاهيم الحياة المتطورة المتجددة ، وامتصاص متطلباتها ومستلزماتها فى نطاق الاخلاق والدين والضمير مما يدفع بهم الى حياة حرة طليقة تتضوع بأريج السعادة الراضية ، وتنتشىء باستقلال تام ناجز ..) ..

ان العالم الاسلامى ، كما هو معلوم ، يزخر بطاقات بشرية راقية .. ويفيض بثروات مادية كبرى فى أرضه وسمائه ومائه الى جانب ثرواته الروحية العظيمة التى لا تتم السعادة والرخاء الا بها ..

وما أجدره بهذا كله أن يستعيد عزته وكرامته ، ويتبوأ مكانته فى المعمورة اللائقة به ، وعندئذ يشهد العالم كله نهضـــة العالم الاسلامى التحررية الباعثة على الاعجاب والاجـــلال حيث يكون لها ، باذن الله ، تأثير حاســـم فى تقرير مصير العـــالم . .

يوم النكســـــة

ومن مقال بهذا العنوان كتبت (مجلة البيان الكويتية) تقول :
ان الصهيونية العالمية تلعب اليوم لعبتها عندما شعرت بأن هناك أصواتا لدى الرأى العام العالمى بدأت ترتفع ضد المجازر التى ترتكبها اسرائيل ، وضد الاجـــراءات الوحشية التى تعـــامل بها المدنيين الآمنين فى فلسطين ، وضـــد تعسفها واحتـــلالها المزيد من الاراضى العربيـــة ، بالرغم من قرارات الهيئـــة العالمية ، وضد امتناعها عن الانسحاب من هذه الأراضى المغتصبة .

وهذه الأصوات التى ارتفعت فى العالم لا تمثل الحكومات بأى شكل من الأشكال ، ذلك لأن الحكومات مسخرة ومنقادة للصهيونية العالمية ، نقول عندما شعرت الصهيونية بأن بعض الناس فى أوروبـــا وفى أمريكا بدأوا يفيقون على حقيقة امتصاص هذه الأصوات التى بدأت تتحسس أخطارهم وترتفع ضدهم ، وضد مؤامراتهم على العالم ، فأخذ زعيمهم (ناحوم جولدمات) ، ينتقد سياسة اسرائيل المتصلبة وأخذ مثقفوهم المختارون يسيرون على نهج زعيمهم الصهيونى ينتقدون اسرائيل علنا حسب الخطة الموضوعة بل ان اسرائيـــل نفسها نظمت مظاهرات فى اسرائيل ضد حكمها تحمل بعض الشعارات المزيفة ضد اسرائيل لخداع الرأى العام العالمى ، ولامتصاص تلك الأصوات فى أوروبا وفى أمريكا التى بـــــدأت ترتفـــع ضدهـــم وقبـــل أن يســـتفحل الأمـــر راح زعيمهـــم « ناحـــــوم جولدمــــات) وبعض مثقفيـــهم ينتقـــــدون اسرائيل علنـــــا ، عندما أحســـوا أن الصلف والعجـــرفة والكبرياء والبطش ، لم يؤد الى ركوع العرب وخضوعهم، وانما أدى الى صمود العرب، وتصميمهم على تحرير أراضيهم المغتصبة كل ذلك أدى بهم الى القيام بهذه اللعبة للتنفيس عن اسرائيل من النقمة التى أخذت تزداد ضدهـــا ، حيث راحوا يطلبون من اسرائيل أن تخفف غلواءها ، وراحوا يتقربون بكلمات معسولة مضللة أمام الرأى العام الى العرب ، ويدعونهم الى الحوار والتفاهم والتعايش مع اسرائيل ، متناسين المجـــازر التى ارتكبتها اسرائيل ضدهم ، والمآسى التى اقترفتها فى حق الأبرياء من الشيوخ والنســـاء والأطفـــال .

والذى نعرفه ويعرفه العالم ان الصهيونية العـــالمية ، تسير دائما وأبدأ على خطين متناقضين لتحقيق مآربها ، وهـــا نحن الآن نشاهد ونرى هـــذين الخطين متمثلين فى اسرائيل والصهيونيـــة العـــالمية التى تمثل اليهود خـــارج اسرائيل ، ان اسرائيل تتصلب وتتعنت ضد العرب ، وأمام الرأى العام العالمى ، والصهيونية العالمية تنتقد اسرائيل فى تصلبها وتعنتها هذا ، ويحاول مثقفوهـــا وزعيمها فتح حوار مع العرب ، أمام الرأى العام العـــالمى ، والكل يعمل لهدف واحد ، وحسب مخطط واحد ، والا هل يعقل أن يقوم زعيم الصهيونية (ناحوم جولدمان) بتوجيه الانتقاد الى اسرائيل التى قامت على جهوده وجهود أمثاله من الصهيونيين فى شتى انحاء العالم ؟

أخبار العالم الاسلامي

اعداد : الاستاذ عبد المعطى بيومى

الكويت : تبرع سمو أمير البـلاد المعظم بمبلغ ستة آلاف دينار تشـجيعا لجمعية الجنوب والخليج العربى التى تشرف على اقامـة وتعليم أبناء الخليج .

● رفع معالى وزير الأوقاف والشـئون الاسلامية تقريرا الـى سمو أمير البلاد المعظم وسمو ولى العهد عن زيارته للمراكز الاسلامية فى بلجيكا وايطاليا ولنـدن وقد نقل الى سموهما اشادة رؤساء المراكز بجهود الكويت فى نشر الاسلام .

● احتفل فى يوم السادس عشر من مايو الماضى بالذكرى السابعة لقبول الكويت عضوا فى الامم المتحدة ، وقد تلقى سمو أمير البلاد المعظم تهنئات من بعض رؤساء الدول .

● زار البلاد سمو ولى عهد رأس الخيمة وقد صرح بأن الاراضى والمياه التابعة لرأس الخيمة ملك للشعب وستبقى ملكا له ونطلب من الكويت أن تحافظ على أمن منطقة الخليج واستقراره .

● تسلمت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية مبانى مدينة الحجاج بالصليبخات وستستضيف المدينة الحجاج المارين بالكويت بدون مقابل وتتسع لـ ٧٠ ألف حاج وقد تكلفت ربع مليون دينار كـويتى .

القاهرة : أعلنت الميزانية الجديدة لعام (٧٠ – ١٩٧١) وتحتوى على مبلغ ٥٥٠ مليون جنيه للدفاع والأمن وهى أكبر ميزانية عسكرية فى تاريخ مصر .

● أحال الدكتور عبد العزيز كامل نسخة من المصحف المطبوع فى ألمانيا الغربية الى لجنة المصاحف بالأزهر ، وتبين أن بـه ثمانية أخطاء .

● تقرر تشكيل مجلس وكلاء للأزهر يضم كلا من الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمد بيصار وعدد من كبار رجالات الأزهر .

● أنهى المجلس الوطنى الفلسطينى مؤتمره فى الشهر الماضى وقد قرر تشكيل لجنة مركزية تضم جميـع منظمات المقاومـة ، وتأليف قيادة موحدة فى جنوب لبنان ، ومطالبة الدول العربية بما تخصمه من رواتب الفلسطينيين العاملين فيهـا .

السعودية : قام جلالـة الملك فيصل بزيارة الى ماليزيا وافغانستان وأندونيسيا والجزائر حيث أجرى مع رؤسائها مباحثات استهدفت تقوية التضامـن الاسلامى .

● أقامت كلية الفيصل الجوية احتفالا فى الشهر الماضى حضره جلالـة الملك فيصل وذلك بمناسبة تخريج الدورتين الاولى والثانية من الطيارين السعوديين .

● توالى المملكة دراستها لمشـروع تنظيم ذبح وحفظ الاضاحى ويتكلف ٩٦٫٥ مليون ريال سعودى ويستغرق تنفيذه ٣ سنوات .

الاردن : لفتت الحوادث الأخيرة التى جرت بين القوات الاردنية والفدائيين أنظار العـالم الاسلامى ، وقد ناشد زعماء المسلمين الفريقين التكاتف ضد العدو الصهيونى .

● ذكرت مجلة « فتح » أن خبراء الأسلحة فى المنظمة بدأوا فى انتاج القنابل اليدوية وبعض الأسلحة الصغيرة كما أنتجوا صواريخ مضادة للدبابات وصواريخ تماثل صواريخ كاتيوشا تلائم الحرب المحلية .

● أصدر الهـلال الأحمر الفلسطينى بيانا فى الشهر الماضى ذكر فيه أن اسرائيل قتلت ٢١

من رجال المقاومـــة بصور وحشية حيث أجهزت علـــى بعض الجرحى وعلقت البعض الآخر فى طائرات الهليكوبتر .

العراق : نعى العراق الى العالم الاسلامى الامام العلامة السيد محسن الحكيم .. والوعى الاسلامى تشارك المسلمين ترحمها على الامام الفقيد .

لبنان : صرح الرئيس الليبى أثناء زيارته للبلاد بأنه سيمد الجيش اللبنانى بالأسلحة .

ليبيا : قام العقيد معمر القذافى بجولة فى عدد من الـــدول العربية للعمل على تجميع الجهود العربية فى الصراع مع الصهيونية .

● تم جلاء آخر جندى أمريكى بعد احتلال دام قرابـــة ١٥ عاما .

تونس : أقيم فى مايو الماضى أول معرض للخط العربى فى المغرب العربى تحت اشراف وزارة الثقافـــة التونسية .

المغرب : اتفق الرئيس الموريتانى والملـــك المغربى علـــى تصفية الاســـتعمار فى الصحراء الاسبانية وعلى العمل المتعاون بين البلدين فى شتى المجالات .

● قام المندوب المغربى فى الامم المتحدة بتوجيه نداء فى مجلس الأمن الى أمريكا باسم البلدان العربية وقد قال فى ندائه ان قرارا تتخذه واشنطن بتسليم أسلحة الى اسرائيل سيكون من شأنه أن يؤدى الى تغيير العلاقات بين أمريكا والدول العربية .

الجزائر : أكد وزير الخارجية الجزائرى أن الجزائر — على الرغم من بعدها الجغرافى — تعتبر نفسها ملتزمة التزاما كاملا تجـــاه الدول العربية فى الشرق الأوسط .

تركيا : أصدر الرئيس التركى والباكستانى وشاه ايران بيانا عقب مؤتمرهم فى أنقره طالبوا فيه بانسحاب اسرائيل من الأرض العربية كما بعثوا برقية بهذا الشأن الى أمين عام الامم المتحدة .

ايـــران : أعلنت وكالة الغوث الدولية أن ايران تبرعت بثمانية آلاف دولار زيادة على تبرعها السنوى الذى يقدر بثمانية أخرى نظرا للظروف الصعبة التى تمر بها الوكالة .

● قام وفد ايرانى بزيارة الى البحرين لتوثيق عرى الصداقة بين الـــدولتين وهذه هى أول بعثة ايرانية رسمية منذ ١٥٠ سنة .

● صرح أردشير زاهدى رئيس الوزراء الايرانى أن العرب ليسوا وحـــدهم فى النزاع مع اسرائيل فهناك ٧٠٠ مليون مسلم يقفون معهم .

باكستان : بعث الرئيس الباكستانى بمذكرة الى الهند يطلب موافقتها على زيارة ممثل باكستانى لمناطق الاضطرابـــات بين المسلمين والهندوس .

● أصدرت الجماعة الاسلامية فى باكستان بيانا بمناسبة الانتخابات ضمنته المبادىء التى تراها لتقدم باكستان على أساس الاسلام كنظام شامل للحياة وكأساس لوجود باكستان .

ماليزيا : تقرر تعيين الأمير تنكو عبد الرحمن أمينا عاما للأمانة الاسلامية العامة الى جانب عمله رئيسا لـــوزراء ماليزيا وسينتقل مقر الأمانة بعد ذلك من ماليزيا الى جدة .

الهند : صرح مفتى جمون وكشمير أن تعديل قانون الأحوال الشخصية للمسلمين تدخل فى الدين ، وحث الحكومة على عدم المساس بمشاعر المسلمين تحت ضغط العناصر الطائفية المعادية .

● عقد فى دلهى فى الشهر الماضى مؤتمر ضم جميع زعماء الأحزاب والحـــركات الاسلامية لدراسة الأوضاع الناتجة من الاضطرابات الطائفية .

ترينداد : أعلن حوالى ٣٠ شخصا اسلامهم ايمانا بعـــدالة الاسلام ومساواته وقد أعلنت الهيئات الاسلامية فى ترينداد تأييدها للقضية العربية الاسلامية فى فلسطين وادانتهم للعدوان الصهيونى .

نيجيريـــا : أقيم مسجد كبير فى مدينة كانو وقد حضر حفل افتتاحه يعقوب جوون زعيم نيجيريا وعدد من الـــوزراء وكبار رجال الـــدولة .

اقرأ فى هذا العدد

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة مكة المكرمة ص.ب (٤٦)

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة مكة ص.ب (٤٦)

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب .

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) حضرموت .

دبى : ساحل عمان ص. ب (٢٦١) ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ــ السيد حسين قمر .

تعــز : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ صب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتبة منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

الرجل السعيد

عفيفُ الجهرِ والهمسِ	قَضَى الواجبَ بالأمسِ
ولم يعرِضْ لذى حقٍّ	بنقصانٍ ولا بخسِ
وعند الناسِ مجهولٌ	وفي ألسُنِهِمْ مَنْسِي
وفيه رقةُ القلبِ	لآلامِ بَنى الجنْس
فلا يَغبِطُ ذا نُعمى	ويرثى لأخى البُؤس
وللمَحْرومِ والعافي	حوالى زاده كرسى
ومانَمَّ ولا هَمَّ	ببَعْضِ الكَيدِ والدَّسِّ
ينامُ الليلَ مسروراً	قليل الهَمِّ والهَجْس
ويصبحُ لا غُبَارَ عَلى	سريرته كما يُمسِي

◆ ◆ ◆ ◆ ◆

فيا أَسْعَدَ من يَمْشِي	على الأرضِ من الانْسِ
ومن طهرهُ الله	من الرِّيبَةِ والرِجسِ
أنِلْ قَذِرِىَ تشريفاً	وهبْ لى قُربَكَ القُدْس
عَسَى نَفْسُكَ أن تُدمج في أحلامِها نَفْسِي
فألقى بَعْضَ ما تَلْقَى	من الغِبْطَةِ والأُنْسِ

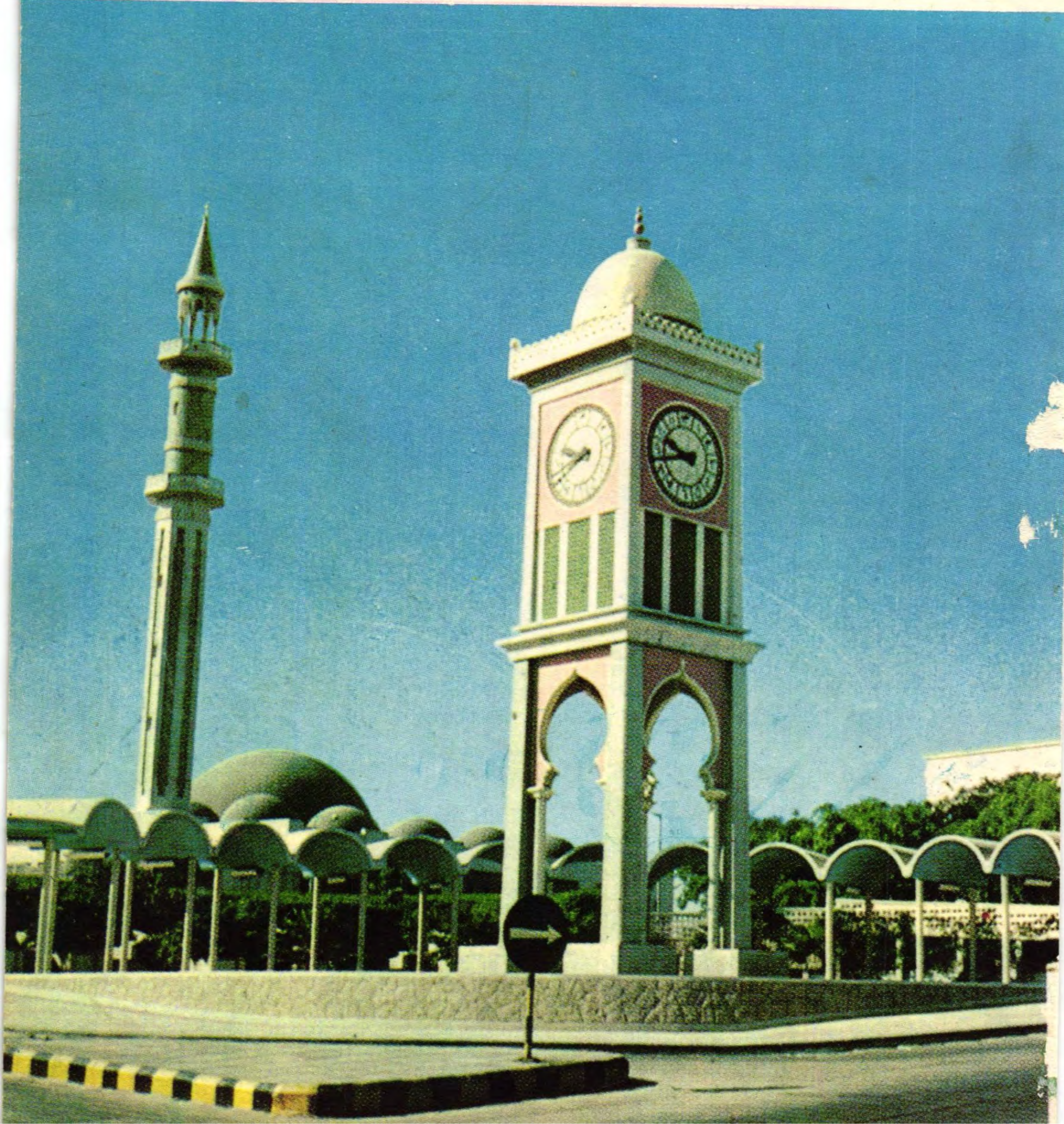
أمير الشعراء

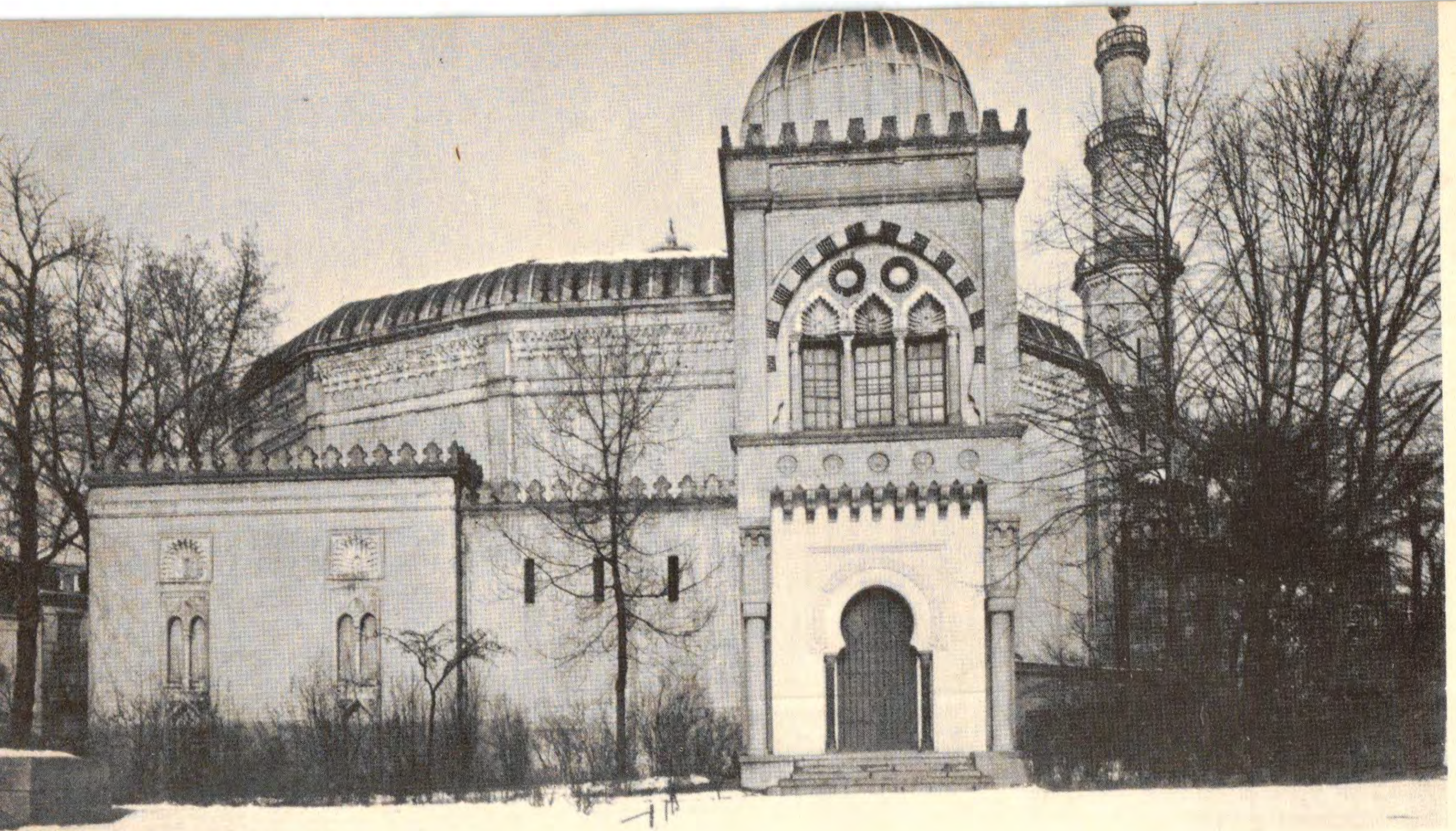
مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة ـ العدد ٦٦ ـ جمادى الثانية ١٣٩٠ هـ ـ ٣ اغسطس (أب) ١٩٧٠م





المسجد والمركز الاسلامى والثقافى
بروكسل فى الحديقة الخمسينية

Centre Islamique
et Culturel
17, avenue Pere Damien



مسجد الشيوخ بالدوحة عاصمة قطر يطل بمنارته الشاهقة وقبته العالية على احدى الساحات الفسيحة فى أكبر الاحياء التجارية ، ويبدو فى الصورة برج الساعة الضخم بفنه العربى الرفيع .

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد السادس والستون

جمادى الثانية ١٣٩٠ هـ

٣ أغسطس (آب) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

(او ما يعادلهما بالاسترلينى)

اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت



سمو ولي العهد يلقي البيان

- لا يمين، ولا يسار، ولا انحياز لأيّ معسكر دولي
- إننا نكيّف سياستنا الخارجيّة على ضوء قضايانا المصيريّة
- شعبُ الكويت مرتبط بالشعوب العربيّة ارتباطاً مصيريّاً
- الكفاح المسلّح الفلسطيني المنطلق الطبيعي لاستعادة جزء عزيز من وطننا.
- نرفض أيّة حلول للقضية الفلسطينيّة مالم يوافق عليها الشعب العربي الفلسطيني.
- شريعتنا الإسلاميّة الغرّاء تنظّم حياة المسلمين وسلوكهم ونحن حريصون على العمل بها في شتى نواحي ديننا ودنيانا.
- حان الوقت لاتخاذ خطوات إيجابيّة نحو تقرير الخدمة العسكريّة

بيان سياسي خطير

لسمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء

سمو الشيخ جابر الأحمد ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء من رجال السياسة والحكم المرموقين ، وهو يتمتع بثقة صاحب السمو أمير البلاد المعظم ، وحب وولاء الشعب الكويتى ، واحترام وتقدير بالغين فى المحيط الدولى لما يمتاز به من سداد الرأى وبعد النظر ، واحاطة بمجريات الاحداث العالمية .

وقد أدلى ــ حفظه الله ــ ببيان سياسى خطير تناول فيه سياسة الكويت الخارجية وشئونها الداخلية بما أثر عنه من صراحة وحزم ، واخلاص لدينه وشعبه وأمته .. وكان لهذا البيان صداه البعيد فى شتى الاوساط والمحافل ، فرددته وكالات الانباء ، وعلقت عليه الصحف والاذاعات المحلية والعالمية وعكفت الهيئة التشريعية فى البلاد على دراسته ، ومدت دورة انعقادها الحالية حتى تفرغ من اتخاذ الخطوات الايجابية لتنفيذ ما تضمنه من اصلاحات فى مختلف المجالات .

ويسر مجلة الوعى الاسلامى أن تدع القراء يعيشون مع بعض فقرات البيان التالية : **فى السياسة الخارجية** لقد أصبح من الضرورى علينا أن نعمل سريعا على تحديد موقف عربى جماعى ازاء مصالح الدول التى ما زالت تدعم اسرائيل وتشجعها على مواصلة عدوانها واحتلالها لاراضينا العربية .

فى السياسة التشريعية : ان دين الدولة الاسلام ، والشريعة الاسلامية مصدر رئيسى لتشريعاتها هكذا كنا ، وعلى هذا نص الدستور ، وبهذا سنظل متمسكين فى رسم اطارنا الاجتماعى الذى نعيش فيه .

فى السياسة الاقتصادية :

ان العدالة الاجتماعية التى ينادى بها ديننا ، وما اشتملت عليه من مساواة وتكافل بين الناس وضمان لمستوى أفضل لمعيشة الفرد هى كبرى دعامات مجتمعنا ومناط نظرتنا الى أى مبدأ من المبادىء الاقتصادية .

وانها لخطوة مباركة ان يأخذ سمو ولى العهد زمام المبادرة بالدعوة الى الالتزام بالشريعة الاسلامية دستور حياة ووثيقة عمل بهذا وحده تحقق الامة شخصيتها وتسترد عزتها ، ويعيش المسلمون فى كنف الله وكلاءته .

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

ميزان القوى

هذا الميزان من مبتكرات السياسة الاستعمارية الموالية لاسرائيل كما ان طائرات الفانتوم الهجومية البعيدة المدى من مبتكراتها ، وقد اخترعته اختراعا لتبرير سياستها الجائرة فى النزاع المحتدم فى الشرق الأوسط بين العرب واسرائيل ، والصورة المجسمة المجردة لهذا الميزان (كفتان وعاتق) والموزون فى الكفة الأولى الأسلحة الهجومية التى مع اسرائيل لابادة العرب واغتصاب اراضيهم ، والموزون فى الكفة الثانية المعدات الدفاعية التى مع العرب يدافعون بها عن وجودهم وحقوقهم والسياسة الاستعمارية من وراء البحار تمسك بعاتق الميزان وتراقب كفتيه ، ومهمتها كما تدعى — المحافظة على التوازن بين هاتين القوتين لصالح العدو الاسرائيلى فاذا ما رأت ان طائراته تتهاوى ، وان اسلحته تتحطم ، وان فنييه يتساقطون امدته بكل ما يحتاج اليه حتى ترجح كفته ، ويتمادى فى اجرامه ، هذه هى الصورة الحقيقية كما يراها المراقبون المنصفون للتدخل الاستعمارى السافر فى هذا النزاع .. وهذا الوضع لا يستسيغه منطق ولا تقره عدالة ، ولا يستقر به امن ولا سلام .

العقل ان كان فى الرؤوس عقل ، والمنطق ان كان للالسنة منطق ، والعدالة ان كان لا يزال للعدالة ظل فى الارض ، والعقيدة — اى عقيدة — ان كان فى القلوب مكان للايمان — كل ذلك يتطلب ممن يوليه جاهه وسلطانه منزلة الوساطة او الحكم

والفصل بين المتنازعين ان يلتزم امرا واحدا لا بديل عنه ، وهو ان يرد الحق المتنازع عليه الى صاحبه ، ويقنع الطرف الآخر بقبول هذا الحل ، فان لم يقتنع اكرهه على قبوله ان كان يملك قوة الاكراه ، أو تخلى عنه وكف يده عن مساعدته اما ان يعطى للمغتصب سلاحا يجهز به على صاحب الحق حتى يموت ويموت حقه ، او يمد المعتدى بالمزيد من السلاح كلما راى صاحب الحق متشبثا بحقه مصرا عليه مقاتلا دونه ويبرر هذا الدعم بانه محافظة على توازن القوى بين الطرفين فهذا ما لا سندله فى قانون ولا شريعة اللهم الا اذا كانت شريعة الغاب والناب والظفر .

مسكين هذا الحق العربى الضائع الذى لم يستطع ساسة الدنيا وقادة الارض أن يتبينوه او يعثروا عليه بعد أن أعياهم البحث عنه منذ سنة ٤٧ حتى الآن .. فلسطين الدولة كلها من اقصاها الى اقصاها بمرتفعاتها ومنخفضاتها بسهولها ووديانها وما عليها من مدن وما احتوته من دور وقصور ومتاجر ومرافق ، وما نبت فيها من بساتين وكروم ، وما ضم اليها من الاراضى السورية والأردنية والمصرية . والشعب الفلسطينى كله برجاله ونسائه واطفاله احياء وأمواتا .. عشرات الالوف من الكيلومترات المربعة عشرات الالوف من المبانى عشرات الالوف من المتاجر عشرات الالوف من اللاجئين والمهجرين . عشرات الالوف التى ذبحت وقتلت كل اولاء واولئك عميت عنه الابصار ، فلم تره وضلت عنه العقول ، فلم تستطع عدالة الارض الممثلة فى هيئة الامم ومجلس الأمن ان تتعرف عليه او تصل اليه ، ولا تزال تتساءل اين العرب واين حقهم ؟

ان حق العرب فى وطنهم اظهر من ان يخدع فيه ، او يضلل عنه ، ولن تخفى معالمه بنسف الدور وتخطيط المدن ، وتشييد المستعمرات واقامة المنشآت وتوطين حمر وصفر وبيض وسود الوجوه والبشرة من مختلف اليهود المجلوبين من فجاج الارض . لن تخفى معالم هذا الحق باختلاف الالسنة انجليزى وفرنساوى والمانى وعبرى لسان المحمولين الى الارض العربية . لن تخفى معالم الحق بهدم المساجد واقامة البيع ، وحرق الأقصى وبناء المبكى ، وانقطاع الاصوات التى تجهر بالآذان وترتل القرآن وارتفاع الأصوات التى تنغم المزامير وتردد التراتيل .. ان هذا التغيير الضخم والمسخ الشامل فى الارض والبشر لن يستطيع مهما تطاول الزمن ان يحجب حق العرب او يسدل الستار عليه .. ان جريمة العدوان على الحق الاسلامى اكبر واظهر من ان تحتال الدنيا كلها على سترها واضاعة معالمها بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) .

ان الانسان ليعجب اشد العجب حين يكون الحق واضحا بينا ، فتضل عنه العقول ، وحين يكون الباطل مكشوفا مفضوحا فتعمى عنه الابصار ... واى حق اشد وضوحا وبيانا من حق العرب واى باطل اشد تكشفا وعريا من باطل اسرائيل .

وان هذا العجب ليتزايد ويتفاقم عندما يكون أبطال الحق ، واحقاق الباطل من عقول جبارة وصلت بطلبها الى غزو الفضاء والتجول فى القمر ... هذه هى العقول التى انكرت عدل الله ، وأقرت باطل الشيطان . هذه هى القلوب التى تفتحت لعواء الذئاب وفحيح الأفاعى .

واذا بلغت العقول هذا الحد من الضلال والعمى ، واستبد بها الهوى والطمع تبدد الأمل فى عونها وانصافها ووجب الرجوع الى الله والاعتماد عليه « افرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون » .

* * *

ان العدو الاسرائيلى يعرف نفسه تماما .. يعرف ان أسود ما فى حياته ماضيه المليء بالآلام والضياع ، وان اسعد ما فى حياته حاضره الملتهب المشحون بالخطر والقلق ، وأن أخوف ما يخافه ويحاذره هو مستقبله .

.. ومن أجل هذا يتلفت الى ماضيه الأسود فيفر منه ، ويتطلع الى مستقبله الغامض فيرهبه وينظر الى حاضره — على ما فيه فيتشبث به ، ويستميت فيه ، ويتحمل مخاطره ومغارمه .

وعلى اساس من هذه المعرفة والدراسة يخطط لنفسه فى خبث ودهاء .

.. بعد حرب حزيران وانتصاراته الحربية الموقوته ملأت أجهزة دعايته الدنيا باسطورة الجيش الاسرائيلى الذى لا يقهر وسلاح طيرانه الذى لا يهزم ولما تكشفت حقيقة هذه الاسطورة وظهر زيفها للعالم . في معركة الكرامة حيث وجد جنوده مقرنين فى الأصفاد مشدودين بالسلاسل الى الدبابات ، وفى المعارك الجوية على المرتفعات السورية وجبهة القناة حيث تهاوت طائراته الجبارة — لما تحطمت هذه الاسطورة أخذ اليوم يقيم الدنيا ويقعدها من أجل مساندته ودعمه بالسلاح .

والضلالة الجديدة التى يحاول العدو ان يروجها اليوم ، ويضلل بها العالم هى محاولته اقناع المحيط الدولى أن بقاء الدنيا فى بقائه وأن فناء العالم فى فنائه وانه لكى يحافظ العالم على وجوده يجب أن يحافظ على وجود اسرائيل ، ولكى يأمن العالم شرور وويلات حرب عالمية ثالثة لا تبقى ولا تذر يجب أن تعمل الدول كبراها وصغراها على حمايتها وتأمين وجودها وهذا يعنى أن تساندها القوى العالمية فى تثبيت اقدامها فيما احتلته من الاراضى العربية ، وفى اقرارها على ما فى يدها من ممتلكات العرب ، وما اغتصبته من حقوقهم .

هذا هو ما يكرس العدو له جهوده اليوم ، وهذا هو ما تنشط له أجهزة الدعاية الصهيونية فى العالم ..

ستنشق السماء ، وتتناثر الكواكب وتسجر البحار ، وترج الارض رجا ،

وتنسف الجبال نسفا ، ويصعق من فى السماء ومن فى الارض ، ويحين خراب العالم اذا أصاب اسرائيل سوء او مسها ضر .

ومما يثير الدهشـــة والعجب أن تجد هذه الضلالة طريقهـــا الى أولى البأس والقوة فى الارض ، فيعـــود فريق منهم الى ترديد نغمة الخطـــر المتزايد من تصعيد الحرب فى الشرق الاوسط والى المسارعة للعمل عـــلى حفظ توازن القـــوى فى المنطقة وعلى وجه التحديد المحافظة عـــلى التفوق العسكرى للعدو بمده بأحدث الأسلحة الهجومية سرا وعلنا تبرعا وقرضا ، ويردد فريق آخر ضرورة الاتفاق على حدود آمنة للغاصب المعتدى كشرط اساسى لاقرار السلام ، والا وقعت الواقعة وأزفت الازفـــة ليس لهـــا من دون حلولهم ومبادراتهم كاشفة .

وهذه الضلالة سيفتضح امرهـــا فلن تقع الواقعة ، ولن تقوم القيامة من اجل عيون الصهيونية . وهـــذا الميزان الجائر سيتحطم ، وترجح كفة المؤمنين الـــذين اختـــاروا طـــريق آبائهم المجاهدين « الذين قال لهـــم الناس ان الناس قد جمعوا لـــكم فاخشوهم . فزادهم ايمانا وقالـــوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهـــم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

ان فى هذه المعاداة للعـــدل مع وضوحه ، والموالاة للظلم مع فداحته والتواطوء على مصير شعب بتمامة من جانب اعداء الاسلام ما يفتح عيون المأخوذين ببريق الحضارة الغربيـــة المترامين فى احضانهـــا على زيفهـــا وتجردها من أقدس المثـــل والقيـــم الانسانية وان ما تنادى به من الحرص على الحقوق الانسانية كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جـــاءه لم يجده شيئا .

الا ان الاحداث الجاريـــة تشد العرب خاصة والمسلمين عامة الى دينهم شدا وتجتذبهم الى كتاب ربهم وهدى نبيهم جذبا ، « ان فى ذلـــك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد » .

فهوان النبلى

مدير ادارة الدعوة والارشاد



الجهاد
فى سبيل الله
فى مجال التضحية بالذات

١ — القتال ضرورة فى الحياة :

* طالما أن الحياة فيها الحق والباطل ، وفيها الاستقامة والانحراف ، وفيها العدل والظلم ، وفيها الخير والشر .. طالما فيها الشىء ونقيضه ، وفيها الانسان ذو العقل والحكمة وذو الهوى والشهوة ، وصاحب الايمان بالله وبالقيم الانسانية العليا وصاحب الكفر بها .. طالما أن الحياة الانسانية على هذا الوضع فالقتال ضرورة من ضروراتها لمنع الفساد وطغيان الشر والهوى والكفر بالله وبالقيم العليا ، وللابقاء على الايمان والعدل والخير ، يقول تعالى :

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ؛ ولكن الله ذو فضل على العالمين »(١) . ويقول كذلك « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع ، وبيع ، وصلوات ، ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا . ولينصرن الله من ينصره ـ ان الله لقوى عزيز »(٢) .

.. ففى الآية الاولى يبرر ضرورة القتال بالحفاظ على الارض من الفساد ، ويشير الى أن ضرورته تعتبر نعمة وفضلا من الله على العالم الانسانى .

.. وفى الآية الثانية يوضح ما أجمله من فساد العالم اذا لم يكن القتال مبدأ ضروريا فى حياة الانسان — من أن الفساد يتمثل فى ضياع الايمان بالله الذى يعد بيت الله له رمزا : « لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » .

واذن هدف القتال هو الحرص على بقاء الايمان بالله على هذه الارض . واذن القتال من أجل هذا الهدف فريضة وواجب على كل من يستطيعه : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم ، وأنتم لا تعلمون »(٣) « أى والله يعلم ما هو فى صالح البشرية عامة ولذا أوجب القتال ، وأنتم لا تعلمون حقيقة هذه المصلحة العامة ولذا قد تكرهون القتال » .

* والقتال كذلك قد يكون مكروها وبغيضا للنفس التى تجهل على مباشرته . لأنه قد يعرضها للموت والفناء ، أو على الأقل يعرضها لفوات الاستمتاع بالسكنى والاستقرار فى هذه الحياة ، كما يعرضها لمواجهة المشقة النفسية والبدنية فيها .

القتال ضرورة في الحياة ـ القتال من جانب المؤمنين . الماديون الملحدون ، أو المشركون . ليس في القتال معجزة ـ النصر النهائي للايمان بالله . أجر المقاتل عند الله ـ الجهاد اليوم في سبيل الله .

للدكتور : محمد البهي

واذا كان هناك احتمال ـ وهو احتمال كبير فى الواقع ـ أن يشق القتال على النفس وأن تتضرر به ، ولذا تكرهه وتبغضه ، فلا بد أن تكون هناك فريضة فى الدين تدرب المؤمن على القتال ، وتجعل منه عبادة يتقرب بها الى الله . وكانت هذه الفريضة هى « الجهاد فى سبيل الله » . وهى فريضة ليست موقوتة بوقت معين ـ كما حرفتها القديانية لمصلحة السياسة الاجنبية فى الهند فى القرن التاسع عشر ـ بل هى فريضة دائمة ما دام الانسان على هذه الارض ، وما دام يتردد بين الايمان بالله والكفر به ، وبين الحق والضلال :

« الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله

« والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت)

« فقاتلوا أولياء الشيطان انّ كيد الشيطان كان ضعيفا »(٤) .

.. والذين آمنوا لا ينعدم وجودهم ، والذين كفروا لا ينعدم وجودهم كذلك الا اذا انتهت الحياة الدنيا وانتقل أمر الوجود كله الى الدار الآخرة . ولذا فالجهاد فى سبيل الله باق ، والمؤمن بالله يجب أن يتخذ منه مجالا للتدريب على التضحية بالذات فى سبيل الله ، طالما هو يعيش على هذه الارض ، وطالما هو مكلف بمقاتلة أولياء الشيطان ، وهم الكافرون المعتدون . وهو اذ يملأ نفسه بالرغبة فى التقرب عن طريقه الى الله سيؤديه وهو غير كاره له . بل على العكس سيؤديه وهو متطلع الى يوم لقائه مع الله عز وجل . واذ يؤديه وهو على هذا الوضع لا يخشى على فوات دنيا من مال وولد وزينة ، كما لا يرهب الموت ، لانه سيجد فى البديل عن ذلك عند الله ما هو خير وأعظم قدرا : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما »(٥) . فسواء عليه غلب عدوه وانتصر عليه ، أم قتل فى لقائه معه ، فان الله قد وعده بأجر عظيم على ما آثره من آخرة على الدنيا فى جهاده فى سبيل الله .

* والحفاظ على الايمان بالله هو سبيل الله . وهو الغاية من القتال والجهاد . والقتال أو الجهاد بالنفس قربة الى الله اذا تمخضت غايته للايمان بالله ، ولتمكين المؤمنين بالله من ممارسة عبادتهم لله وحده . ووعد الله بنصره للمقاتلين والمجاهدين هو بسبب حرصهم على بقاء الايمان بالله ، ورغبتهم فى استمرار عبادتهم لله ، طالما هم يعيشون على هذه الارض :

« ان الله يدافع عن الذين آمنوا ، ان الله لا يحب كل خوان كفور ،
« اذن للذين يقاتلون ، بانهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ،
« الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا : ربنا الله .. الى أن يقول :
« الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور »(٦) .

.. فهو فى وصفه للمؤمنين الذين وعدوا من قبله بنصرهم يصفهم : بانهم اذا مكن لهم فى الارض وكانت لهم السيادة عليها حققوا ايمانهم بالله فى مظاهرة من : اقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر .

وهذا يعطى : أن المسلمين اذا ظلوا على الانتساب الى الاسلام ، دون أن يحققوا الايمان به فى حياتهم المقبلة ليس وعد الله لهم بالنصر مكفولا ، وليس الجهاد عندئذ فريضة يتقرب بها الى الله . لأنه قد يكون جهادا فى سبيل الشيطان ولأوليائه .

٢ ــ القتال من جانب المؤمنين :

* واذا كان القتال مبدأ ضروريا فى حياة الانسان ، واذا كان الجهاد به فى سبيل الله فريضة على المؤمن المستطيع للمحافظة على بقاء الايمان وممارسته فى حياته ، فمتى تكون مباشرته من جانب المؤمنين حقا وواجبا .

ان المؤمن يقوم بمباشرته للجهاد عن طريق القتال اذا اعتدى عليه من عدوه . وعدوه :

١ ــ الكافرون من أهل الكتاب .

٢ ــ والكافرون الملحدون من الماديين أو المشركين .

وأهل الكتاب أن آمنوا بالله واليوم الآخر على نحو يغاير الاسلام ، فان الملحدين الماديين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . بل ويصدون عن سبيل الله ويحاولون بقدر امكانهم أن يردوا المؤمنين عن دينهم .

ومشروعية الجهاد عن طريق القتال تبدأ من الاعتداء على المؤمنين : « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير »(٧) . فيؤذن للمؤنين بالقتال عند وقوع العدوان عليهم ، وذلك بسبب ما يلحقهم من ظلم واعتداء . وهنا يعلن الله جلت قدرته : أنه على نصرهم لقدير . لأنه يقف بجانب المظلوم ضد الظالم والمعتدى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين »(٨) . فالقرآن يدعو المسلمين الى أن يتمسكوا دائما بما هو انسانى فى معاملة أنفسهم وغيرهم . فهو اذ يشرع القتال يشرعه فى حدود ، ولهدف معين لا ينبغى أن يتجاوزه .

* ولذا اذ يشرعه فى حدود معينة ولهدف معين ، يطلب انهاءه عندما يعلن الطرف المعتدى قبوله للسلام ، كما جاء فى قول الله تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، انه هو السميع العليم . وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله ، هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين »(٩) . فهو يأمر رسوله عليه الصلاة والسلام بقبول السلام عندما يعرض عليه لا عن ضعف أو خوف ، ولكن محافظة على عدم الاعتداء على العدو ، بعد أن يعرض السلام من جانبه . وفى الوقت نفسه يطمنه عليه الصلاة والسلام بوقوف الله بجانبه وباعتماده عليه ، لو كان باطن عرض الاعداء من سلام هو الخدعة والمكر السىء . وذلك لكى لا يتردد عليه السلام كبشر فى قبوله للسلام عندما يعرض عليه .

كما يطلب ايضا انهاءه عندما ينهيه العدو من جانبه ، على نحو ما يذكره الله سبحانه وتعالى فى قوله : « فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين . فان انتهوا فان الله غفور رحيم »(١٠) .

واذن لا حاجة للمؤمن فى استمرار القتال من جانبه . فالقتال ضرورة تقدر بقدرها . وقدرها هو : رد الاعتداء وانهاء العدوان والعودة الى مجرى الحياة العادى .

٣ ــ الماديون الملحدون أو المشركون :

* واذا كان هذا هو موقف القرآن بصفة عامة ازاء العدوان والاعتداء فان له موقفا يزيد

عن هذا التحديد ازاء الماديين الملحدين . ولكى تحددهم أولا يرجع الى القرآن الكريم فى أوصافهم التى هم عليها ، فهو يقول فى شانهم :

١ ـ « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ،

٢ ـ « ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله »(١١) .

.. فهم : لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر ، ولا يعرفون منكرا ولا فاحشة يحرمونها على انفسهم . بل يبيحون فعل ما يرونه لصالح أنفسهم ، ولو كان ضارا لغيرهم .. يبيحون انتهاك الاعراض ، والاموال ، والانفس .. يبيحون الارهاب والاذلال والتحكم فى الآخرين ، طالما فيه صيانة لمصلحتهم الشخصية . هم « وجوديون » أو « أنانيون » و « منفعيون » . هم ماديون ينكرون « الروحية » بل وينكرون العقل لحساب البدن ومتعه وملذاته .

وفى مقابل هذا النوع من الماديين الملحدين الوجوديين تصف الآية نفسها فى بقيتها الضرب الآخر من الكافرين من أهل الكتاب فتقول :

« ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » .

.. فكفر أهل الكتاب لم يبلغ الى انكارهم لله ولليوم الآخر . وانما مبلغه : أنهم لا يدينون دين الحق .. انهم يختلفون فيما يدينون عن كتاب الله ورسالته . وأهل الكتاب الباقون على عهد الرسالة الاسلامية هم :

١ ـ اليهود ،

٢ ـ النصارى .

وهذه الآية تعطى : أن الذين يواجهون الاسلام ويتحدونه بعدوانهم هم : أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، والماديون الملحدون ، أو المشركون . وهؤلاء وهؤلاء لن يفنوا ، كما لم يفن المسلمون . واذن تحديهم باق ، وعداوتهم باقية ، وانتظار عداوتهم واعتدائهم باق . والجهاد عن طريق القتال باق ومستمر ، وفريضته لذلك باقية ومستمرة .

* هؤلاء الماديون الملحدون ـ أو المشركون ـ يقفون من المؤمنين بالاسلام موقفا فيه تحرش وتحد . يقول القرآن الكريم فى شان موقفهم :

١ ـ « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »(١٢) .

كما يقول :

٢ ـ « كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة ،

٣ ـ « يرضونكم بأفواههم ، وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون .

٤ ـ « اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ،

٥ ـ « فصدوا عن سبيله ، انهم ساء ما كانوا يعملون .

٦ ـ « لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة . وأولئك هم المعتدون . فان تابوا ، واقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ، ونفصل الآيات لقوم يعلمون .

٧ ـ « وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم ، وطعنوا فى دينكم فقاتلوا ائمة الكفر ، انهم لا ايمان لهم ، لعلهم ينتهون . الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم ، وهموا باخراج الرسول ، وهم بدءوكم أول مرة ، اتخشونهم ؟ فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين .

« قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم ، وينصركم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ، ويتوب الله على من يشاء ، والله عليم حكيم .

« أم حسبتم أن تتركوا ، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون »(١٣) .

.. فهذه الآيات تحدد موقف الماديين الملحدين ـ وهم من تعبر عنهم بالمشركين ـ بانهم :

فى حال القتال مع المؤمنين :

أ) يواصلون القتال ضدهم حتى يردوهم عن الايمان ، ان استطاعوا : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا » .

ب) ولا يرعون علاقة ما ، من قرابة ، أو جوار ، أو ذمة ، أو عهد ، ان ظهروا على المؤمنين وظفروا بهم : « كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة » .

وفى حال السلم معهم :

أ) تصر قلوبهم على العداء ، وان عبرت أفواههم عما يرضى المؤمنين ، رياء ونفاقا : « يرضونكم بأفواههم ، وتأبى قلوبهم ، وأكثرهم فاسقون » .

ب) ويصدون عن سبيل الله ، ويمنعون بكل وسيلة أن يؤمن به أحد ، تحصيلا لمتع الحياة المادية : « اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ، فصدوا عن سبيله ، انهم ساء ما كانوا يعملون » .

جـ) ويبيتون النية على الاعتداء ضد المؤمنين ، ويبادرون الى مباشرته : « وأولئك هم المعتدون » .

* وازاء هذا الموقف العدائى .. موقف المضمر للعدوان ، والمتربص به ، والمصر عليه يرى الاسلام أن يعطوا فرصة فان هم عدلوا عن العدوان وباشروا ما يدل على عدولهم عنه باتباعهم سبيل الله من : اقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، فهم اخوان للمؤمنين فى الدين : لهم ما لهم ، وعليهم ما عليهم : « فان تابوا ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين » .

وجعل القرآن اقامتهم للصلاة وايتاءهم للزكاة تعبيرا لعدولهم عن اتجاههم فى المادية ورجوعهم الى سبيل الله ، لأن فى الصلاة مناجاة لله وحده ، وفى الزكاة اخراجا للمال ، وليس تحصيلا له . وفى مناجاة الله وحده عدولا عن « الشرك بالله » وفى اخراج المال عدم الوقوع تحت تأثير الاتجاه المادى .

* وان هم استغلوا هذه الفرصة للعداء ضد الدين وضد المؤمنين فالامر بقتالهم أمر لازم لا مفر منه ، حتى ينتهى خطرهم بعودتهم الى الاسلام ، اذ المادية والشرك طارىء على دين الله : « وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم (بعدم توبتهم وعودتهم الى سبيل الله) وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر ، انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون .. الى أن يقول : قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم ، وينصركم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ، ويتوب الله على من يشاء ، والله عليم حكيم » .

.. والقرآن هنا اذ يأمر بتوجيه القتال أولا الى أئمة الكفر فيهم فلكى يأخذ المؤمنون بالرؤوس المدبرة للعدوان فيهم وعندئذ يضعف شأن الباقين منهم ، مهما كثر عددهم . وهذا « تكتيك » فحسب ليسر القضاء عليهم . وليس المقصود منه ترك عداهم بدون قتال . فآية أخرى فى سورة التوبة ايضا توضح مثل هذا الاجمال ، اذ تقول : « وقاتلوا المشركين كافة ، كما يقاتلونكم كافة ، واعلموا أن الله مع المتقين » (١٤) .

وقتالهم المفروض على المؤمنين حتى ينتهى خطرهم (باعلان اسلامهم) ينص عليه قوله تعالى :

« واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل (والفتنة هى خطر المادية — أو خطر الشرك) ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين . فان انتهوا (بالاسلام) فان الله غفور رحيم .

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة (أى حتى لا يكون خطر لماديتهم باسلامهم) ويكون الدين لله (هذه الجملة تأكيد لما سبقتها) فان انتهوا (يكون الدين لله) فلا عدوان الا على الظالمين (أى فلا قتال من جانب المسلمين الا على من يرتكبون الظلم) »(١٥) .

* ثم من جهة أخرى ليس قتال الماديين الملحدين — من جانب المسلمين — موقوتا بأمر اولئكم المكيين منهم ، كما قد يفهم قصر القتال عليهم من مثل هذه الآية : « ألا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول (أى من مكة) ، وهم بدءوكم أول مرة ، اتخشونهم (لقرابة بينكم وبينهم

او لكثرة عددهم) فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين » . اذ هذه الآية تشـــير الى حوادث الماديين الملحدين المكيين وقد جاءت بين آيات القتال للمشركين أو الماديين . فربما يظن أن مطاردة الماديين الى أن ينتهوا ويعودوا الى الاسلام مرتبطة بوقت الرسول عليه الصلاة والسلام فقط . واذن لا قتال ضدهم بعد فتح مكة ونصر المؤمنين عليهم بهذا الفتح المبين .

واذن كذلك يجب أن يظن أن الامر على هذا النحو مع أهل الكتاب ، حتى يعطوا الجزية . فهو موقوت كذلك بالنصر النهائى للمؤمنين عندما تم فتح مكة . فقد جاء أمر قتال الـكافرين فى تنوعهم فى آية واحدة هى :

١ ــ « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورســـوله (وهم الماديون الملحدون ــ أو المشركون) » .

٢ ــ « ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الـكتاب ، حتى يعطــوا الجــزية عن يد وهم صاغرون »(١٦) .

واذن أيضا الجهاد فى سبيل الله فريضة موقوتة انتهت بانتهاء فتح مكة وبعودة الاسلام الى مقر رسالته الاولى فيها . وقد كانت مكة مقر الرسالة الالهية على عهد ابراهيم عليه السلام .

وقد أشاع هذا الظن بعض الفرق الاسلامية المستحدثة فى ظل الحكم الاجنبى للمسلمين فى القرن التاسع عشر ــ وهى فرقة القديانية ــ رغبة فى توطيد الامن والاستقرار للاجنبى فى حكمه وفى استغلاله لموارد البلاد الاقتصادية والبشرية .

ولكن ماذا يصنع المؤمنون بالله عندما يتحرك ماديون جدد ضد مجتمعهم وضد ايمانهم بالله فى مستقبل قريب أو بعيد ، وقد شرح القرآن موقف الماديين الملحدين وجعل خطرهم وفتنتهم على الايمان بالله أكبر من قتالهم ضد المؤمنين به : « والفتنة أكبر من القتل » ؟

١ ــ أهناك ما يمنع وجود ماديين من جديد يلحدون بالله ويتحدون الله ورسوله ، يخرجون من بين الذين اتبعوا كتاب الله من قبل ؟

٢ ــ وأليس الماديون الملحدون ــ أو المشركون ــ هم الذين وقعوا تحت تأثير الاتجاه المادى فى الحياة ، وآثروا الدنيا على الآخرة فأنكروا وجود الله ، كما أنكروا اليوم الآخر ، كى يتمكنوا من أن يستمتعوا بالمتع المادية فى غيبة رقابة الضمير الانسانى ، والخشية من الله ، والســلوك الاخلاقى والقوانين الانسانية عامة ؟

٣ ــ وما معنى قول الله تعالى فى شأن هؤلاء الماديين : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ، ان استطاعوا » ، فيحكم القرآن ــ بصيغة المســتقبل ــ على « الطبيعة المــادية الملحدة » وعلى شأنها : متى وأين وجدت ؟

ان فتح مكة كان نصرا مبينا للايمان بالله فى ظل رســـالة الرسول محمد عليه الصـــلاة والسلام ، ولكنه لم يكن نهاية التحديات للايمان بالله . اذ طالما الايمـــان بالله موجود كان معه التحدى من الكافرين به ــ فى قوة أو ضعف ، وفى قلة أو كثرة ــ وهنا القتال كصورة من صور الجهاد فى سبيل الله ضرورة دائمة ، وفريضة مستمرة وغير موقوتة .

ان الاسلام اذا كان دين الحياة الانسانية فانه لا يضمن فى ذات الوقت أن يؤمن به جميع البشر فى أى جيل وفى أى عهد . واذا لم يضمن الاسلام ايمان الجميع به فى أى جيل وفى أى وقت فان عدم تحديه ممن لا يؤمنون به غير مضمون كذلك فى مستقبل الانسانية .

واذا كان تحدى الماديين الملحدين لله ولرسوله فى مكة كان حلقة فى سلسلة تحديات مادية سبقته للرسالات الماضية على عهد الرسل السابقين كما تذكر الآية الكريمة : « ان الذين يحادون الله ورســوله أولئك فى الاذلين . كتب الله لأغلبن أنا ورســلى ، ان الله قوى عزيز » (١٧) .. فسلسلة التحديات للايمان بالله مستمرة بعد الرسول عليه الصلاة والســلام ، وبعد فتح مكة ــ وفتح مكة ما هو الا نصر واحد على المادية ــ وليس أخيرا وان كان نصرا مبينا ــ فى سلســلة انتصارات عديدة وعد بها الله المؤمنين . والمؤمنون لا ينتهون الا بانتهاء الحياة الانسانية فى هذه الدنيا .

ثم ان تعبير الآية فيما تقول : ((ان الذين يحادون الله ورسوله)) بصيغة المستقبل تفيد : أن التحدى لله ولرسوله لم ينته بعد . وانما هو مع الايمان فى أى وقت . ولهذا فالقول بتوقيت فريضة الجهاد بعيد عن الروح الاسلامية والايمان بالاسلام ..

* ولعنف المادية الالحادية ـ أو لعنف الشرك بالله ـ على الايمان والمؤمنين بالله ولخطورتها على ما يتصل بالاسلام لا يستقيم فى تصور الاسلام : أن يوجد مؤمن بالله على صلة مودة بملحد مادى : ((لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورســـوله ، ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو اخوانهم ، أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه))(١٨) . ومعنى ذلك أنه : اذا وجد من يتودد من بين المؤمنين الى الماديين الملحدين فهو ليس بمؤمن على الحقيقة وخارج عن الايمان كلية .

ووضع المؤمنين مع هؤلاء الماديين الملحدين ـ أو المشركين ـ هو اذن اما : القتال .. الى الاسلام ، واما على الاقل عدم التودد والركون اليهم فى ولاء أو شبه ولاء ، ان كانوا هم معهم على عهد :

وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر :

١ ـ ((ان الله برىء من المشركين ورسوله ،

٢ ـ ((فان تبتم (أى ورجعتم الى الاسلام) فهو خير لكم ،

٣ ـ ((وان توليتم (أى أعرضتم واستمررتم فى غيكم) فاعلموا : أنكم غير معجزى الله (أى ستنالكم الهزيمة حتما) وبشر الذين كفروا بعذاب أليم (أى وبالاضـــافة الى الهزيمة فى الدنيا سيكون العذاب لهم فى الآخرة) .

٤ ـ ((الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ، ولم يظاهروا عليكم أحدا ، فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ، ان الله يحب المتقين))(١٩) .

.. فهذا النداء من الله ورسوله يوم الحج الاكبر ـ يوم الوقوف بعرفات وتجمع المسلمين فى وقت واحد ، وعلى مكان واحد ، وفى دعاء واحد الى المولى جل شـــانه ـ بالتبرؤ من المشركين ، وهم الماديون الملحدون، يعتبر وثيقة ايمانية يلتزم بها المؤمنون فى كل وقت فى غير شبهة وغير شك . وما جاء فيها يحدد الموقف النهائى للمؤمنين . فالاسلام مطلوب منهم أولا : ((فان تبتم فهو خير لكم)) . فان كان منهم اباء فالقتال حتى النصر عليهم : ((وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله)) . وفقط يؤمن منهم من كان له عهـــد عند المؤمنين فترة العهد ، على شرط أنهم لا ينقضونه من جانبهم ولا يستعدون عليهم أحدا .. ((الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهـدهم الى مدتهم)) . اذ أن الوفاء بالعهد مظهر من المظاهر الانسانية الكريمة التى تتطلب ضبط النفس وعدم الانسياق وراء الانفعـالات الهوجاء : ((ان الله يحب المتقين)) . والمتقون هم أولياء الله الذين تحرر سلوكهم من الهوى والشهوة .

٤ ـ ليس فى القتال معجزة :

ومع أن المؤمنين أصحاب ايمان بالله ، ومع أنهم ان قاتلوا أعداءهم من الـــكافرين انما يقاتلونهم فى ســبيل الله ، ومع أن الـــكافرين غير معجزين لله فى النصر عليهم .. الا أن الله سبحانه وتعالى جعل للكون وللحياة سننا لا تتخلف عنها . والقتال صورة من صور الحياة . فهو خاضع لسننه الخاص . وســـننه الخاص : أن الذى يرتفع فى قتاله مع عدوه عن مغانم الدنيا ويخلص لله ولاعلاء كلمته هو الذى ينتصر أخيرا . فهو مجال اختبار للايمان بالله ، كما هو مجال تدريب على التضحية بالنفس . وبمقدار ما يخلص فيه المؤمن لله بقدر ما يهون عليه أن يضحـى بذاته فى سبيله : ((ولو يشاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليبلو بعضكم ببعض ، والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم))(٢٠) . فالآية تقرر عن ثلاثة مبادىء :

١ ـ المبدأ الاول : أن الله قادر على أن ينتصر من أعداء الايمان فور أن يشتبكوا فى قتال مع المؤمنين .

٢ ــ المبدأ الثانى : أن الله لا يريد أن ينتصر عليهم بادىء ذى بدء ، حتى يتضح عيانا ما عليه المؤمنون من ايمان فى قوته وفى ضعفه ، فى لقائهم مع الاعداء .

٣ ــ والمبدأ الثالث : أن من يقتل من المؤمنين فى ميدان القتال له أجره ، ولن يفوته أبدا .

واذا كان القتال مجال اختبار للايمان بالله فى قوته وفى ضعفه فالنصر أو الهزيمة احدى نتائجه . وكما يوصل الى النصر اذا كان الايمان قويا ، فانه يوصل الى الهزيمة ان كان الايمان ضعيفا .

وقوة الايمان فى السيطرة على هوى النفس والترفع عن المتع والاسلاب والغنائم .

وضعف الايمان فى النظر الى تلك المتع والاسلاب والغنائم واستهدافها فى القتال ، اما خالصة واما مع الاسهام فى اعلاء كلمة الله .

وهنا ليست فى القتال معجزة . وانما النصر فيه ــ كالهزيمة فيه ــ مرتبط بمستوى الايمان .

وتوضح الآيات التالية قانون القتال ، وهو قانون لا يتغير لأنه يصور ارادة الله ، فيما يقول القرآن الكريم :

١ ــ « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا : كيف كان عاقبة المكذبين . هذا بيان للناس ، وهدى وموعظة للمتقين .

٢ ــ « ولا تهنوا ولا تحزنوا ، وأنتم الأعلون ، ان كنتم مؤمنين .

٣ ــ « ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، .

٤ ــ « وليعلم الله الذين آمنوا ، ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين .

٥ ــ « وليمحص الله الذين آمنوا ، ويمحق الكافرين .

٦ ــ « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ؟ ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون . .

٧ ــ « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين .

٨ ــ « وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين .

٩ ــ « وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا ، وما استكانوا ، والله يحب الصابرين . وما كان قولهم ، الا أن قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، واسرافنا فى أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، والله يحب المحسنين »(٢١) .

.. فارادة الله فى واقعة « أحد » قد تجلت فى هزيمة المؤمنين . لأنهم لم يثبتوا فى أماكنهم التى وضعوا فيها فى مواجهة الاعداء ، واختلت صفوفهم عندما لاحت لهم بارقة نصر على أعدائهم من الماديين الملحدين المكيين ، قبل أن يتم لهم هذا النصر نهائيا . وكان انصرافهم للمنافسة فى الحصول على الغنائم المادية ، وتركوا الرسول عليه الصلاة والسلام مع قلة من المؤمنين معه ، وكانت الضربة الاخيرة لهؤلاء الماديين السبب فى نصرهم على المؤمنين .

وقد جاءت هزيمة المؤمنين فى « أحد » بعد نصرهم فى « بدر » . وبذا بدأ السبب واضحا لهم فى النصر والهزيمة . ولولا هزيمة « أحد » لربما اعتقد بعض المؤمنين أنه يكفى للنصر على عدو الايمان ــ وبالأخص ذلك العدو الشرس ، وهو المشرك أو المادى ــ أن ينتسب المؤمنون الى الله ، دون أن يحققوا ما يطلبه الايمان من الاخلاص لله ، والصدق فى سبيله ، والصبر على ما يلحق المؤمن من مشقة وايذاء . أو لربما اعتقد بعضهم كذلك أن الايمان مصدر رزق دنيوى وأنه « سحر » يستتبع نتائجه حتما ، ولو كان ضعيفا ، ولو كان وسيلة لوقاية أو وسيلة أخرى لتحصيل المغانم والمتع .

وهنا جاءت الآيات التى ذكرت قبل ، توضح ما يجب أن يستخلص من الهزيمة ، طالما « القتال » من طبيعته أن يوصل : اما الى نصر ، واما الى هزيمة . وما يجب أن يستخلص من الهزيمة ليس هو :

الضعف والتفكك ،

ولا هو الحزن واليأس ،

وانما يجب أن تقود الهزيمة الى « القوة » والى « النصر » فى قتال لاحق اذا ما أبعدت عناصر الضعف فيه . وهى عناصر الرغبة فى المتع المادية والاسباب الشخصية . فالقتال فى نظر المؤمن يجب ان يمتحض لله . فليس هو لشخص ، ولا وسيلة لدنيا تحصل . وما يستخلص من الهزيمة حسبما تذكر هذه الآيات هو :

أ) ان امارة المؤمن أن لا يضعف ولا يحزن ، « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين » .

ب) وأن الهزيمة اذ تلحق المؤمنين اليوم فقد لحقت أعداءهم بالامس . ومبدأ الحياة : تبادل النصر والهزيمة ، والانتهاء بالنصر للمؤمنين الصادقين ، « ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الآيام نداولها بين الناس » .

جـ) وعن طريق الهزيمة يميز الله المؤمنين حقا وصدقا ، من أولئك الذين يتسترون وراء اعلان الايمان ، وهم المنافقون ، « وليمحص الله الذين آمنوا .. »

د) ولكى يشهد المؤمنون الصادقون — تبعا لذلك — المنافقين بينهم شهود رؤية وعيان .

هـ) وهى الجانب فى تجربة القتال ، يخرج منه المؤمن مصقولا وثابتا على ايمانه ، وفى صقله وثباته على الايمان محق لأعدائه قطعا .

و) ولولاها لما اتضح المجاهد صدقا ، والصابر حقا فى القتال ، « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ؟ » .

ز) والهزيمة لا ينبغى ان يكون سببها شخص ، ولو كان شخص الرسول عليه الصلاة والسلام . اذ القتال فى سبيل الله هو للمبادىء التى فوق الاشخاص . « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ » .

ح) كما لا ينبغى أن تكون — أى الهزيمة — مصدر أسف على قتل من يقتل ، أو على فوات مغنم . فالموت مرهون باذن الله وقضائه وحده ، والدنيا لا يحرم منها من يطلبها مباشرة ، ولكن جزاء الآخرة — وهو الأهم — للمجاهد الصادق الصابر : « وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين » .

ط) ولم يكن الرسول — عليه الصلاة والسلام — ولا المؤمنون معه بدعا فى هزيمة لحقتهم . بل وقع ذلك مع الرسل السابقين . وكانت الهزيمة مصدر اخلاص ومناجاة لله ، ومصدر قوة فى تثبيت الأقدام وتحقيق النصر ضد الاعداء : « وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا ، وما استكانوا ، والله يحب الصابرين . وما كان قولهم الا أن قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » .

ى) وأوصلتهم الهزيمة الى نصر فيما بعد : « فآتاهم الله ثواب الدنيا (وهو النصر على الاعداء) ، وحسن ثواب الآخرة ، والله يحب المحسنين » .

واذن من شأن الهزيمة أن : توقف على الاخطاء التى ارتكبت فى القتال ، فى الوقت الذى ترشد فيه الى قانون الحياة ، وهو : أن النصر ليس وقفا على فريق بالذات . وانما هو تداول بين الفرقاء الذين يشتركون فى القتال . وهو من حق القوى فى ايمانه أولا ، بينهم . واذن قانون الحياة بين الناس لا يعرف المعجزة .

والهزيمة اذن فى ذاتها تنطوى على « قوة » اذا عرف استخلاصها ثم استخدامها .

٥ — النصر النهائى للايمان بالله :

* ومع أن القتال ابتلاء واختبار ، ومع أن النصر يخضع — كما تخضع الهزيمة فيه — الى قانون لا يتخلف بمثل ارادة الله ، فان هناك أيضا قانون آخر للحياة يمثل ارادة الله كذلك . وهو قانون النصر النهائى . وتصوره الآية القرآنية فيما يقول الله جل شانه : « ذلك بان الله هو

الحق ، وان ما يدعون من دونه هو الباطل ، وأن الله هو العلى الكبير » (٢٢) . فالله هو العلى الكبير وأنه الحق فلا بد ان ينتصر . وما عدا الله هو الباطل ، والباطل ضعيف فلا بد ان ينهزم .

والنتيجة الضرورية لهذا القانون هو ان الذين يقاتلون مخلصين وصادقين فى سبيل الله لا بد ان ننصروا على الآخرين فى قتالهم معهم ، وهم الذين يقاتلون فى سبيل الباطل او الطاغوت . وتصرح آية اخرى بهذه النتيجة اللازمة فيما تذكره : « الذين آمنوا يقاتلون فى ســـبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى ســـبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشـــيطان (وهم أولياء الطاغوت والباطل ، أو هم الماديون الملحدون أو المشركون) ان كيد الشيطان كان ضعيفا »(٢٣) .

وضعف الشيطان ، أو ضعف أوليائه ــ وهم المشركون أو الماديون الملحدون ــ هو فى اتباع الهوى والشهوة . ومن يتبع هواه وشهوته يصور خط سيره فى الحياة تعرجات تنبىء عن تقلبه فى سبيل اتباع الهوى وتحقيق الشهوة . والمتقلب ليس له مبدأ يتمسك به . وهو اذن لا يقاتل الا مكرها . والذى يقاتل مكرها يفر من ميدان القتال فور ان يجد مخلصا لنفسه . وهو من أجل ذلك ضعيف لا يثبت . ومن لا يثبت تلحقه الهزيمة حتما .

أما « الحق » جل جلاله فهو ثابت لا يتغير . وأما الذين يقاتلون فى سبيله فهم يقاتلون عن اختيار ، ويرون فى القتال قربى الى الله . لا يصرفهم عنه متاع الدنا ولا شـــهوة النفس . ولا يسيطر عليهم أثناء القتال هوى الذات . فقد ارتضوا الآخرة بدل الدنيا وباعوا أنفســـهم لله وحده : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن قاتل فى ســـبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما »(٢٤) . « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة ، والانجيل ، والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاســـتبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفـــوز العظيم »(٢٥) .

فهم أقوياء بايمانهم ، وثابتون فى القتال من أجل هذا الايمان . ولذا يكون النصر النهـــائى لهم . وان هزموا فى موقعة فليتخذوا من الهزيمة فيهـــا قـــوة فى موقعة أخرى ، وليبعدوا عن أنفسهم عناصر الضعف فى أصرار التى اكتشفوها فى هزيمتهم .

والقانون الذى يربط النصر النهائى فى القتال بالايمان بـ « الحق » واتباعه ، ويربط الهزيمة النهائية باتباع الباطل وماديات الحياة وحدها هو قانون طبيعى تتجلى فيه الارادة الالهية كمـــا تتجلى فى خصائص الطبيعة البشرية التى تحكم الانسان والمجتمعات الانسانية .

* وفتح مكة على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كان نصرا نهائيا له ــ ونصرا مبينا ــ على أعدائه . وبالأخص على أولئكم الماديين الملحدين ، وهم المشركون المكيون .. كان نصرا له أخيرا بعد تردد له بين نصر مرة وهزيمة مرة أخرى فى اشتباكاته مع أعداء الايمان . ولم تقده الهزيمة فى « نهاية أحد » وفى البداية فى « حنين » الا الى القوة فالنصر . وفى هـــذا النصر النهائى كقانون للحياة يقول الله تعالى :

« ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ، ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا .

« سنة الله التى قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

« وهو الذى كف أيديهم عنكم ، وأيديكم عنهم ببطن مكة ، من بعد أن أظفركم عليهم ، وكان الله بما تعملون بصيرا » (٢٦) .

.. ومنطوق هذا القانون ــ كما تصوره الآية الكريمة ــ هو :

أولا : ان أعداء الايمان بالله ، وبالأخص الماديون الملحدون منهم ، اذا باشروا القتال مع المؤمنين لا بد ان يفروا ويولوا الادبار ، وليس لهم معين ونصير بعد ذلك ،

ثانيا : ان ذلك يتجلى فى أحداث التاريخ الماضية كلها ، وتجلى أيضـــا فى فتح مكة . واذن لا شبهة فى التلازم فى الوقوع بين قضاياه :

يوجد الايمان فيوجد النصر .

ويوجد الالحاد فتوجد الهزيمة .

ومفهوم هذا القانون أنه اذا وجد المنتسبون للايمان ، دون ان يوجد الايمان حقا وصدقا فى قلوبهم ، فلا يوجد النصر لهم تبعا لانتسابهم الى الايمان وحده . فالهزيمة التى انتهت بها « أحد » وابتدات بها « حنين » تبعت انتساب بعض المؤمنين الى الايمان ، من غير ان يتمكن الايمان بالله فى نفوسهم . وهذا المفهوم صادق كقانون فى الماضى وفى حاضر المؤمنين ومستقبلهم .

ومثله قانون آخر يعبر عنه قول الله تعالى :

« والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ،

« الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير »(٢٧) .

.. فالذين كفروا بالله هم سواء فى عدائهم للمؤمنين ، وهم أولياء بعضهم بعضا ، مهما بدا بينهم من خلاف . فأهل الكتاب الذين لا يدينون دين الحق هم أولياء لاولئك الماديين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، وهم جميعا اعداء المؤمنين .

فمن يفرق من المؤمنين بين النوعين ، ويعلن الولاء لفريق بعد أن يظن الخير به ، ويبقى على الحيطة والحذر فى مواجهة الفريق الآخر ملتزما موقف الاسلام من أعداء الايمان ، فانه بولائه يجلب الخطر على المؤمنين جميعا وعلى الايمان بالله ويكون سببا فى الفساد والعبث الذى يلحق مجتمعات المؤمنين : « ان لا تفعلوه (أى ان لم تعتقدوا فى ولاء الكافرين بعضهم لبعض وتقاربهم فيما بينهم واتفاقهم جميعا ضد المؤمنين ، وان لم تتخذوا منهم موقفا موحدا ، هو موقف الحيطة والحذر ، مهما بدا من بعضهم من تودد ـ فهم « يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم ، واكثرهم فاسقون » ـ الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير » .

والمؤمنون الذين هم فى ولاء مع أى من النوعين لا يحق لهم ان يلوموا الاسلام وانتسابهم اليه اذا ما لحقهم الأذى والضرر بسبب هذا الولاء . وانما يجب ان يعودوا باللائمة على انفسهم بمخالفتهم ارادة الله التى تتجلى فى ذلك القانون الذى يحكم مجتمع المؤمنين فى مواجهة العداء الدفين للايمان بالله والمؤمنين به .

٦ ـ أجر المقاتل عند الله :

اما أجر المقاتل فى سبيل الله عند الله فهو أجر متميز . والمجاهد فى سبيل الله عامة بنفسه أو ماله ، له مستوى يرتفع به عن مستوى المؤمنين الآخرين الذين قعدوا عن الجهاد ، وعن مستوى أولئك الذين يباشرون من أعمال الخير ما لا يرقى الى الجهاد بالنفس . يقول الله تعالى :

« لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر ، والمجاهدون فى سبيل الله ، بأموالهم وانفسهم .

« فضل الله المجاهدين بأموالهم وانفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ،

« وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما »(٢٨) .

ويقول أيضا :

« أجعلتم سقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام ، كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله ؟

« لا يستوون عند الله ، والله لا يهدى القوم الظالمين .

« الذين آمنوا ، وهاجروا ، وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وانفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون .

« يبشرهم ربهم برحمة منه ، ورضوان ، وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدا ، ان الله عنده أجر عظيم »(٢٩) .

.. وتفضيل الله للمقاتلين فى سبيل الله تفضيل واضح ، ودرجتهم عنده هى درجة المبشرين برحمته ، ورضوانه ، وجناته ، وبالنعيم الخالد الذى لا ينتهى . والمقاتل فى سبيل الله ان قتل أو مات فى الجهاد لا يعد من الاموات الذين انتهى امرهم . بل من الاحياء الذين تتوفر

لهم صفات الحياة المستمرة : « ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات ، بل احيـــاء ولكن لا تشعرون » (٣٠) . « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل اللـــه امواتا ، بل احياء عنـد ربهـم يرزقون »(٣١) .

ولا شك ان الذى يضحى بنفسه — قبل الذى يضحى بماله — فى سبيل الايمان بالله بلغ مستواه فى قوة الايمان اعلى درجة ، بحيث اصبح لا يرى ذاته فى الحياة شيئا مســـتقلا فى الوجود يستحق ان يحافظ عليه من اجل وجوده الخاص . انه بالتضـحية بذاته قد الغى انانيته وتجرد من خصائصها . فهو لا يؤثر الايمان بالله على نفسه فقط . وانما « باع » نفسه فعلا لله كلية . والموجود امامه الآن : الله جل شانه والايمان به ، لا غير .

٧ — الجهاد اليوم فى سبيل الله :

١ — من هم اليوم اعداء الايمان بالله الذين لا يؤمنون بالله واليـــوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ؟

٢ — ومن هم كذلك الذين لا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب ؟

وكيف ان هؤلاء واولئكم بعضهم اولياء بعض ؟

كان المشركون بالامس على عهـد نزول القرآن هم الذين لا يؤمنون بالله واليـــوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله . وكان بعض اهل الكتاب من اليهود والنصارى لا يدينون دين الحق . وقد طلب القرآن الكريم من المؤمنين — الجهاد فى سبيل الله — ان يقاتلوا الفريق الاول حتى يسلم اهله ، وان يقاتلوا الفريق الثانى حتى يخضع :

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحـــرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون »(٣٢) .

وقد تجلت صلة المشركين بالكتابيين الذين لا يدينون الحق ، وتجلى ولاء بعضـــهم لبعض فى المؤامرات العديدة ، وانكشف واضـــحا فى : واقعة « الاحزاب » ضـــد المؤمنين . ومن هنا جاء التحذير ، بعد التقرير ، فى قول الله تعالى : « والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ، الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير »(٣٣) .

* ان الذى لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر هو مادى . لا يؤمن بالله لانه لا يراه ولا يحسه ، ولا يؤمن بالآخرة لانها فى عالم الغيب وليست فى عالم الشهادة . والمادى هو الذى يؤمن بالمادة فقط . والمادة تتشكل فى صور محسوسة وملموسة . فيدركها البصر او السمع او اللمس او اية حاسة اخرى من الحواس الخمس .

والمشرك فيما مضى هو مادى . ولانه مادى كان لا يحرم ما حرم الله ورسوله . يحل لنفسه كل ما هو فى وجوده المادى المشاهد . لا يعرف حقا لغيره فيما هو موجود مادى مشـــاهد ، وبالتالى لا يعرف له حرمة خاصة ، لا ينبغى ان تنتهك . وانما كل ما يقع عليه حسه — ولو كان لغيره — فهو مباح له : اخذه ، والاستمتاع به ، ولو على حساب شقاء الآخرين او حرماتهم .

لا يعرف الفواحش والمنكرات ، ولا الاثم ولا البغى والظلم .

ولا يعرف العدوان والاعتداء .

ولذا لا يحرم على نفسه ما حرم الله ورســـوله ، حفاظا على حقوق الآخرين فى الوجود المشترك معه .

والمشرك الذى هو مادى ، انانى . اذ الانانى هو من يقـــر بالذات دون ان يعترف بالآخرين معه . هو الذى ينسى حقوق الآخرين فى سبيل متعة نفسه . هو الذى يجعل الذات مركز الوجود ، يدور هذا الوجود حولها ولصالح الذات وحدها . وهو — اى الانانى — يدور حول نفسه ليقتنص منافع الوجود المادى فيما يحيط به . فهو يتجه حسبما توجد منفعة مادية ، وقبلته فى العبـــادة ليست قبلة واحدة . هو كعباد الشمس يتجه الى جميع الاتجاهات بطريق الجاذبية .

ومشرك الامس — كما جاء فى تعبير القرآن — هو اليوم صـــاحب الاتجاه الوجودى ، او

الانتهازى ، او المادى ، او الحسى ، او الثالى فى عرف التفكير الفلسفى المعاصر . ويجمع هذه الاوصاف كلها « مذهب المادية » . وبالاخص : المادية التاريخية .

والمادية التاريخية اذن تنكر وجود الله ، وتنكر اليوم الآخر ، ولا تحرم ما حرم الله ورسوله . تتحدى وجود الله ، لان الله لا يرى ولا يشاهد . وتتحدى اليوم الآخر وتجعله خداعا وتخديرا ، وتضع بدلا منه ما يأتى به الغد على هذه الارض من نعم مادية لا تحصى .. وتنكر صراط الدين فى السلوك والمعاملة ، كما تنكر مقاييس الاخلاق فى تحديد العلاقات بين الناس ، وترى الانطلاق فى سلوك الجنس . لانه المجال الحر الوحيد الباقى ، من بين مجالات الحياة الاخرى .

وفلسفة المادية التاريخية وجدت لتتحدى الدين . والذين يقيمون مجتمعاتهم عليها يقاتلون المؤمنين حتى يردوهم عن دين الله ان استطاعوا . وما قاله القرآن فى مشركى عهده : فى تحديد صفاتهم ، وفى موقفهم من المؤمنين بالله — كما ذكر من قبل — ينطبق تماما على أولئكم الذين يتبنون الفلسفة المادية التاريخية فى توجيه شعوبهم ومجتمعاتهم .

* اما الذين لا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب فهم فى الدرجة الاولى الذين يصدون الدين عن التوجيه والتربية . هم الذين يلخذون اسم « العلمانيين » منهم ، هم الذين ينكرون قيمة الدين ، وان لم يعلنوا انكار الله واليوم الاخر . هم الذين يحددون للدين منطقته وللفلسفة الحياة منطقتها .

وهؤلاء العلمانيون اولياء لاولئكم اصحاب الفلسفة المادية التاريخية . لانهم جميعا ينتهون الى غاية واحدة ، وهى اضعاف الدين او ابعاده عن مجال التأثير على حياة الانسان .. هى اضعاف الايمان بالله ، او الغاؤه من الوجود الانسانى .

وولاء هؤلاء لاولئكم ، بعضهم لبعض ، تدفع اليه روح واحدة ، وتخطط له عقلية موحدة فى العصر الذى تعيش فيه الانسانية اليوم . وهى روح « العالمية » والعقلية اليهودية العالمية التى تتمثل مرة فى الفلسفة المادية التاريخية ، او الراديكالية الماركسية ، واخرى فى الراسمالية الليبرالية ، وثالثة فى الماسونية او فى « البنائين الاحرار » .

وتستهدف هذه العالمية :

تحقيق « التعايش السلمى » للاقليات اليهودية فى شعوب العالم .

كما تستهدف اعادة مملكة الله على أرض الميعاد ، او اقامة اسرائيل على « صهيون » كرمز للوحدة التاريخية للشعب اليهودى وفى الوقت نفسه كوطن يلجأ اليه من يشعر بالذلة او الاضطهاد فى اقلية من اقلياتهم العديدة .

ولا يمكن ان يتحقق التعايش السلمى للاقليات اليهودية فى شعوب العالم اليوم ، كما لا يمكن ان يتوطد أمن اسرائيل على صهيون — فضلا عن ازدهارها — الا فى غفلة من الايمان المسيحى فى الشعوب المسيحية ، والايمان بالاسلام فى الشعوب الاسلامية ، وبالاخص فى الشعوب التى تحيط بصهيون . ومن هنا جاء معول « العالمية » اليهودية : — ان فى الراديكالية ، او فى النظام العلمانى ، أو فى الحركة الماسونية — ضد الايمان بالله فى كل طبقة من طبقات الشعب :

١ — فالماسونية تتجه بمعولها للمرؤوس والرؤساء الذين يوجهون السياسة والاقتصاد فى الشعوب .

٢ — والعلمانية تسدد ما تملك من معول ضد تقويض القيم الدينية بين المثقفين والشباب فى دور التعليم المختلفة وفى وسائل الاعلام المتنوعة .

٣ — والراديكالية تسدد وسائلها التخريبية المختلفة لمحو الدين اساسا وعلى الاخص بين العمال والفلاحين فى المجتمعات .

* وجهاد اليوم فى سبيل الله ان اتجه ضد الماديين الملحدين فى الصور العديدة لاتجاه المادية — وبالاخص ضد الماركسية الالحادية — فانه يشبه ما اتجه اليه بالامس ضد من كانوا يسمون بالمشركين .

وان اتجه الى العلمانيين من اهل الكتاب — والعلمانيون هم من المسيحيين وحدهم كأهل كتاب — فانه كذلك يشبه ما اتجه اليه بالامس ضد : « الذين لا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب » .

واذا اتجه الى الروح العالمية او الى العقلية العالمية اليهودية — والصهيونية جانب منها — فانه يكون قد اتجه الى ذلك المصدر الذى يعقد الولاء والصداقة والترابط بين الماديين الملحدين ، والعلمانيين من اهل الكتاب لتحقيق الهدف المشترك ، وهو : اضعاف الايمان بالله ، ومحاولة رد المؤمنين عن دينهم ان استطاع .

واذا لم يتيقظ المؤمنون بالله .. اذا لم يتيقظ المسلمون اليوم الى هذا المصدر الذى يعقد الولاء بين الاتجاهين فى عداء الايمان بالله لتحقيق الهدف المشترك بينهما ، فالويل لهم آنئذ من خطره الداهم وفساده الكبير : « والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ، الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير » .

* وجهاد المسلمين اليوم ضد الروح العالمية او ضد العقلية العالمية اليهودية يكفى — مع ضعف المسلمين فى حاضرهم — أن يكون فى المرحلة الاولى جهاد بيقظة العقل والقلب ، وبالدعوة واللسان ، حتى لا يقع بعضهم فى صداقة أو مودة لاصحاب احد هذين الاتجاهين فتحل الفتنة فى ارض المسلمين ويعظم الفساد فيها .

ان الصهيونية العالمية هى جانب فقط من العقلية العالمية اليهودية . هى الجانب الذى يتبنى علنا دولة اسرائيل فى اقامتها وبقائها وازدهارها .

ولكن الذى لا يعلن عن نفسه من العقلية العالمية اليهودية المحركة فى الواقع — وهو الاخطر والاهم — هو :

الجانب الفكرى منها وراء دفع الراديكالية الماركسية .

والجانب الآخر الاقتصادى وراء دفع العلمانية فى النظم الراسمالية .

وعدم الولاء لاى من الجانبين الراديكالى ، والراسمالى هو الصورة التى يجب أن يبرز فيها الجهاد اليوم فى سبيل الله .

---

(١) البقرة ٢٥١ .
(٢) الحج ٤٠ .
(٣) البقرة ٢١٦ .
(٤) النساء ٧٦ .
(٥) النساء ٧٤ .
(٦) الحج ٣٨ — ٤١ .
(٧) الحج ٣٩ .
(٨) البقرة ١٩٠ .
(٩) الانفال ٦١ ، ٦٢ .
(١٠) البقرة ١٩٢ .
(١١) التوبة ٢٩ .
(١٢) البقرة ٢١٧ .
(١٣) التوبة ٨ — ١٦ .
(١٤) التوبة ٣٦ .
(١٥) البقرة ١٩٠ — ١٩٣ .
(١٦) التوبة ٢٩ .
(١٧) المجادلة ٢٠ — ٢١ .
(١٨) المجادلة ٢٢ .
(١٩) التوبة ٣ ، ٤ .
(٢٠) محمد ٤ .
(٢١) آل عمران ١٣٧ — ١٤٨ .
(٢٢) الحج ٦٢ .
(٢٣) النساء ٧٦ .
(٢٤) النساء ٧٤ .
(٢٥) التوبة ١١١ .
(٢٦) الفتح ٢٢ — ٢٤ .
(٢٧) الانفال ٧٣ .
(٢٨) النساء ٩٥ .
(٢٩) التوبة ١٩ — ٢٢ .
(٣٠) البقرة ١٥٤ .
(٣١) آل عمران ١٦٩ .
(٣٢) التوبة ٢٩ .
(٣٣) الانفال ٧٣ .

من
هدي
السنة

هذا بصائر من ربكم

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

روى البخارى بسنده المتصل عن ابى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك ان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعاف الجبال ، ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن » .

حار الناس (١) فيما هو واقع فى المجتمعات المعاصرة على اختلاف وجودها ، فقد انتشر بين الناشئة مجافاة الأديان ، والانغماس فى المادية البحتة ، ووصل البعض الى اطراح فكرة (الألوهية) وانبرى كثيرون من قادة الفكر يبينون خطل هذا الاتجاه ، ويبرهنون على أنه مجاف للانسانية الفاضلة ، واتخذ الراغبون فى السلامة العزلة مسلكا ، وتلمسوا لمسلكهم تعليلا فهموه من بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

والاسلام الصراح وان حذر من الفتن والانغماس فيها ، فقد دعا بقوة الى الايمان بالله الواحد وأوضح بالبراهين القاطعة وجوده ووحدانيته ، وانه لن يستقيم أمر الحياة بغير هذا الايمان ، فالعقيدة الاسلامية قوة دافعة للاجادة والافتنان فى كل شىء ، حاثة على الابداع والاختراع والمضى قدما بالانسانية الى ما يمكن لها فى الوجود المثالى الكامل ، لارتكازها على الاعتصام بالله القوى العليم الخبير ، ولنستعرض الركن الأول فى اسسها القويمة وهو الايمان بالله تعالى :

١ ـ مفهوم الاله فى الاسلام :

الله ـ هو الخالق المعبود بحق ، المتصف بصفات الكمال ، المنزه عن كل نقص ، وعلى هذا فمفهوم الاله فى الاسلام ـ أنه هو القوة المبدعة للأشياء والأسباب ، المنشئة دون مثال سبق للسنن والقوانين الثابتة البادية فى مظاهر العالم .

« والعالم هو الخلق كله أو ما حواه بطن الفلك ، ولا يجمع فاعـــل بالواو والنون غيره ، وتعالمه الجميع علموه » (٢) « ومن أطرف أسرار اللغة العربية أن الكون الذى نشاهده هو وجملة نظـــام الخلق ، ما نراه وما لا نراه يسمى (عالم) التى معناها العلامة الكبيرة » (٣) ولا يطلق على الاله فى الاســـلام انه سبب أو علـــة ، وانما هو خالق الأسباب والعلـــل المتصف بالقدرة والعلم ، فله سبحانه وجود خاص متكامل ، فلا تدرك ذاته حسيا بحال من الأحوال ، وانما تعرف بآثارها ، وبمظاهر القدرة ، فلله المثل الاعلى (ليس كمثله شىء) .. « الله لا اله الا هو خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل لا تدركه الأبصـــار وهو يدرك الأبصـــار وهو اللطيف الخبير » .

٢ ــ أدلة وجوده تعـــالى :

منذ اقدم العصور بحث الانسان عن القوة المؤثرة فى الـــكون ايجـــادا واعداما ، وجمعا وتفريقا والتى يستند اليها وجوده وتدبيره ، ويصدر عنهـــا ما يخرج عن طوقه وقدرته ، وما يوقفه حائرا مبهور الأنفاس أمام العظمـــــة البادية فى هذا التنسيق البديع لحركة الأفلاك علويها وسفليها وتنوع الموجودات من سماء وأرض ، وبحار وأنهار ، وصحارى وجبال وجماد وحيوان ونبات وما أمدت به من حرارة وبرودة ، وما منحت من ليل ونهار وفصول مختلفة وغير ذلك مما يجل عن الحصر ، وكل شىء بمقدار وميزان لو اختل قليلا لهلك العالم وباد .

واتخذ البحث طرقا واشكالا مختلفـــة ، وجاء فى كل عصر فلاسفة وعلماء سلكوا طريقا مماثلا أو مغايـــرا لمن سبقوهم وقديما حاور شيخ فلاسفة اليونان (سقراط) منذ أربعة وعشرين قرنا منكرا للاله محاورة لا نرى بأسا من ايرادها ، انتهت بايمان محاوره (٤) .

سقراط أيوجد رجال تعجب بمهارتهم وجمال صنائعهم ؟

اريستوديم نعم ، أعجب فى الشعر القصصى بهومير ، وفى التصوير بزوكسيس ، وفى صناعة التماثيـــل ببوليكتيت .

سقراط اى الصناع اولى بالأعجاب الذى يخلق صورا بـــلا عقل ولا حراك أم الذى يبدع كائنـــات ذات عقل وحياة .

اريستوديم طبعا الذى يبدع الكائنات المتمتعة بالعقل والحياة اذا لم تكـــن تلـــك من نتائج الاتفـــاق .

سقراط وهل يمكن أن يكون من الاتفاق أن تعطى الاعضاء لمقاصد وغايات خاصة ؟ عين ترى ، وأذن تسمع وانف يشم ولسان يتذوق ، والعين تحـــاط بحراسة لحساسيتها وضعفها فتقفل عند النوم أو عند الحاجـــة ، وتحرس بالرموش والحواجب ، ويجعل للأذن جهاز خارجى يجمع لها الصوت ، هـــل يمكن أن يكـــون ذلك من نتائج الاتفاق ؟ والميل المودع فى النفوس للتناســـل ، والحنان فى قلوب الأمهات بالنسبة للاولاد مع ندرة أن ينفع ولد اباه أو امه ، والطفل الذى يلهم الرضاعة بمجرد ولادته هل يمكن أن يكون ذلـــك كلـــه من نتائج الاتفاق ؟ .

اريستوديم لا ان ذلك يـــدل على الابداع ، وعلى ان الخالق عظيم يحب الكائن الحى .. ولكن لماذا لا نرى الخالق ؟

سقراط وأنت أيضا لا ترى روحك التى تتسلط على أعضائك ، فهل معنى هذا أن تقول أن افعالك صادرة عن اتفاق وبدون ادراك ؟ وانتهت المحادثة بايمان ارستوديم بالاله ..

ومن بعد سقراط برهن تلميذه (افلاطون) على وجود اله .

« وكان يرى كما يدل كلامه فى محاورة طيماوس أن الاله واحد بدليل أن العالم واحد وانه منظم » (٥) .

ثم تتابعت الدراسات الفلسفية (٦) واختلفت طرائقها فى تصوير فكرة الألوهية كما تشعبت أدلة كل طائفة على ما ذهبت اليه وتنوعت حتى جاء عصرنا الذى وجد فيه من يحاول انكار وجود اله ، وأن لم يتم لهم برهان ولم يستقيم دليل (٧) ولهؤلاء يقال : ما رأيكم فى قول الله تعالى (**تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور**) فهل باستطاعتكم منع مقدر له الوجود أن يوجد حيوانا كان أو انسانا أو نباتا أو جمادا أو كوكبا علويا أو سفليا ، وهل فى مقدوركم ايقاف الفناء والتخلص من عوامله ودفعه عن أنفسكم فضلا عن غيركم ، وما موقفكم حيال قوله تعالى « **كل نفس ذائقة الموت** » ؟ وسنترك لكم المجال لتحاولوا تبرير انحرافكم عن الجادة ان كنتم صادقين وما نظنكم فاعلين (٨) .

وقد نجمت فى الاسلام طوائف المتكلمين الذين خلطوا البحوث العقائدية بما عرفوا فى فلسفة اليونان التى ذاعت وانتشرت فى بدء ظهور الدولة العباسية ، وآتت أكلها فى عصر الخليفة المأمون ومن بعده ، واتخذوا المنطق الأرسطى وسيلة البرهان ، وأشهر مدارسهم الأشعرية والماتريدية والمعتزلة وابرز أدلتهم العقلية على وجود الله هو اثبات حدوث العالم لأنه جواهر وأغراض متى ثبت أن العالم حادث ثبت أن له محدثا موجودا عالما قادرا مريدا ، وذلك هو الله تعالى ، وقد نبغ من المتكلمين من دافع عن العقيدة بحرارة وقوة وجلد وثبات أمثال النظام ومدرسته واضرابه ، والأشعرى وأتباعه ، والماتريدى وأنصاره ، ثم ابن رشد (٩) الذى نقد طرائق المتكلمين ودعا الى طريقة خاصة أسماها الطريقة الشرعية للبرهنة على وجود الاله .

« ... فان قيل : اذا تبين أن هذه الطرق كلها (يعنى طرق اهل السنة والمعتزلة والصوفية) ليست واحدة منها هى الطريقة الشرعية التى دعا الشرع فيها جميع الناس على اختلاف فطرهم الى الاقرار بوجود البارى سبحانه ، فما هى الطريقة الشرعية التى نبه عليها الكتاب العزيز واعتمدتها الصحابة رضوان الله عليهم ؟ قلنا — الطريق التى نبه الكتاب العزيز عليها ودعا الكل من بابها ، اذا استقرىء الكتاب العزيز وجدت تنحصر فى جنسين :

أحدهما — طريق الوقوف على العناية بالانسان وخلق جميع الموجودات من أجلها ولنسم هذه (دليل العناية) .

والطريقة الثانية — ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات مثل اختراع الحياة فى الجماد والادراكات الحسية والعقل ولنسم هذه (دليل الاختراع » (١٠) .

(وبعد) فلنتجاوز المتكلمين محيلين الباحث الألمعى على ما تركوا من تراث ونعرج على أدلة القرآن الكريم ففيما احتوى عليه من براهين وأساليب للوصول الى القناعة العقلية بحقيقة الألوهية ما يصلح زادا لكل المستويات

العقلية المستقيمة لا السقيمة ، مبتدئا بالأعرابي ذي الفطرة السليمة ، ومنتهيا بالفيلسوف ذي النظريات العميقة .

فالمستعرض لآيات الذكر الحكيم الخاصة باثبات وجود فاعل مختار عالم قادر حكيم يلفها داعية الى النظر في الكون المحيط بنا ، والذي تقع عليه حواسنا مشيرة الى ان وجوده بهذا الاحكام والاتقان ، والتدبير ، وتسخير كل ما فيه للانسان الذي هو قمة الموجودات وسيدها المطلق — يخلص من كل ذلك الى أن كل ما نرى وما لا نرى لا يمكن أن يكون مصدره المصدفة بحال ، فهذا الليل والنهار والشمس والقمر وتعاور الفصول الاربعة والسموات والارض وما بث فيها من دابة وجماد ، ونبات ، وما يلزم لتلك المخلوقات لتعيش وتحيا من ماء وهواء وغذاء ، وما يستلزمه تنوعها وتبياذها من مواءمة بينها ، وقوامة على حفظها ورعايتها لتستمر في أداء مهمتها الى الايمان العميق بوجود الصانع المختار العليم الحكيم .

« ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » (الآية ١٩٠ من سورة آل عمران) ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون (١٦٤ من سورة البقرة) .

« يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون » .

(٢١ و ٢٢ من البقرة) .

« الم نجعل الأرض مهادا . والجبال اوتادا . وخلقناكم أزواجا . وجعلنا نومكم سباتا . وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا . وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا . وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا . لنخرج به حبا ونباتا . وجنات الفافا » . الآيات ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ من سورة النبأ .

« وآية لهم الأرض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ، لياكلوا من ثمره وماعملته ايديهم افلا يشكرون سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن انفسهم ومما لا يعلمون . وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » . (الآيات من ٣٣ — الى ٤١ من سورة يس) .

وبعض الآيات الكريمة تنعى على الانسان عجزه وتبدى له ضعفه وقصور باعه أمام أضعف المخلوقات وتتحداه ان يحاول ايجادها أو مثلها — وهيهات — أو يستخلص حقه منها اذا اغتالته .

(أن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز) .

(٧٣ ، ٧٤ من سورة الحج) .

وآيات تبين عن دخيلة النفس الانسانية وحيرتها امام الكوارث والنوازل وشحها وبخلها اذا انعم اللــه عليها .

« ان الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا . واذا مسه الخيــر منوعا . الا المصلين » (٢١ ، ٢٢ من المعارج) .

واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كـــان يئوسا .

وآيات تأمر بحمد الله وشكره على نعمه التي لا تحصى ، وتقرر الأدلــة على تفرده بالخلق والتقدير ، وتوجب عبادته وحده ، وانه لا ينبغي عبادة شيء سواه من الأصنام والأوثان .

قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير اما يشركون . امن خلق السموات والأرض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها إإله مع الله بل هم قــوم يعدلون . امــن جعل لكم الأرض قراراً وجعل خلالها انهاراً . وجعل لها رواسي وجعــل بين البحرين حاجزاً إإله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون . ام من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض إله مع الله قليلا ما تذكرون . امن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته إإله مع اللــه تعالى الله عما يشركون . امن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم مــن السماء والأرض إإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين .

(الآيات من ٥٩ ــ ٦٤ من سورة النمل) .

وهكذا تمضى آيات القرآن الكريم شارحة المظاهر الكونية واصولها وان مردها الى الله ، لتبرهن على وجوده وقيوميته (**الله لا اله الا هو الحى القيوم**) ويستطيع كل حسب ادراكه أن يعرف خالقــه ويهتدى اليه ، فالعــامى يؤمن بظاهر القول ، والمتعمق الفاحص يصل الى أسرار الخلق والايجاد .

وقبل أن ننتقل الى اقوال العلماء المعاصرين وشهاداتهم بوجود اله مدبر للكون نورد حجاج ابراهيم عليه السلام لقومه كما ورد فى سورة الانعــام ، وكيف انتهى الى اثبات موجد بالطف وجه وأحسن طريق متبرئا من تلك المعبودات التي اتخذوها أربابا من دون الله ، فقد كان قومه يعبدون الكواكب لما لها من التأثير السببى فى الأرض (فكانوا يعتقدون أن الشمس رب الناس ، والقمر يدبر الملوك ويفيض عليهم روح الشجاعة والاقــدام وينصر جندهم ويخــذل عدوهم ، ويعتقدون أن (مرداخ) وهو المشترى شيخ الأرباب ورب العــدل والأحكام وحافظ الأبواب التي يدخل منها الخصوم لفض خصوماتهم وأن (رنكال) وهو المريخ رب الصيد وسلطان الحرب ، وأن (عشتار) وهى الزهرة ربة الغبطة والسرور والسعادة ، وتمثل بصورة امرأة عارية ، وان (نبو) وهو عطارد رب العلم والحكمة وجاء ابراهيم بحجته البالغة فحصر العبادة فى فاطر السموات والأرض وحده دون غيره . (بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين) (١١) : واستمع الى ما يورده القرآن الكريم بصدد هذا النقاش الابراهيمى العظيم .

*** واذ قال ابراهيم لابيه آزر (١٢) أتتخذ اصناما آلهة انى اراك وقومك فى ضلال مبين . وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكــون من الموقنين . فلما جن عليه الليــل رأى كوكبــا قال هــذا ربى فلما افل قال لا احب الآفلين . فلما راى القمر بازغــا قــال هذا ربى فلما افل قــال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القــوم الضالين . فلما راى الشمس بازغــة قــال**

هذا ربى هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون . انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين . وحاجه قومه قال اتحاجونى فى اللـه وقد هـدان ولا اخـاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شىء علما افلا تتذكـرون . وكيف اخـاف ما أشركتـم ولا تخافون أنكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاى الفريقين احق بالأمن ان كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئـك لهـم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناهـا ابراهيم على قومه نرفع درجـات من نشاء ان ربك حكيم عليم) الآيات من ٧٤ الى ٨٣ من سورة الأنعام .

---

(١) حار يحار .. نظر الى الشىء فلم يهتد لسبيله .

(٢) القاموس المحيط ج ٤ ص ١٩٥٣ .

(٣) الاستاذ الدكتور ابو ريدة ... فى مجلة عالم الفكر ج ١ ص ١٩٠ .

(٤) دائرة معارف القرن العشرين ـ للاستاذ فريد وجدى جـ ١ ص ٤٨٦

(٥) الاستاذ الدكتور ابو ريدة فى مجلة عالم الفكر ص ١٢٦ هـ ١

(٦) تابع دراسة تلك المدارس واجاد عرضها تاريخيا وناقشها الاستاذ الدكتور « ابو ريدة » .

(٧) وان كانت الجذور العميقـة لهذه المذاهب ـ ان استحقت هذه التسمية ـ ضاربـة فى اغوار الماضى وقد حكى القرآن كثيرا عن المنكرين عنادا او كفرا او تقليدا للآباء ، والقائلين بالعلية والطبائعية ، وقـد عنى بالرد على تلـك الفرق علماء الكـلام فى الاسلام ، ومما قالـه بعض اهل السنة نظما :

ومـن يقـل بالطبـع او بالعلـة فـذاك كفـر عنـد اهـل الملـة
ومـن يقـل بالقـوة المودعـة فـذاك بـدعى فـلا تلتفـت

(٨) كما سنجعل ختام هذا البحث الاشـارة الـى شهـادات العلماء المعاصرين الـذين بلغوا الدرجة القصوى فى فهم ودراسة واكتشاف العلوم ـ على وجود الله ـ وقد يكون وصول قادة العلم المعاصر الى ادلـة وجوده تحقيقا لقوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) ـ وندع المنكرين يتحقق فيهم قوله تعالى :

واذا مس الانسان ضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلمـا كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه .

(٩) ابن رشد يعد من الفلاسفة الاسلاميين الذين اشتغلوا بعلم الكلام ونقدوا المتكلمين فـى الاستدلال .

وليرجع فى دراسة هؤلاء الافذاذ ومعرفة مذاهبهم الى كتب المتكلمين وما اكثرها وفى قمتها مقالات الاسلاميين للاشعرى ، ومواقف الايجى ، ومناهج الادلة لابن رشد ، والعقائد المضنية ، والعقائد النفسية وكتب الغزالى وامام الحرمين الجوينى .

(١٠) ابن رشد : (مناهج الادلـة فى عقائد الملة) ص ١٥١ مكتبة الانجلو المصرية .

(١١) تفسير المراغى جـ ٧ ص ١٧٣ ـ طبع مصطفى الحلبى ـ القاهرة ١٩٤٦ م

(١٢) ابراهيم ـ هو أبو الانبياء الاكبر بعد نوح عليهمـا السـلام ، وهـو العاشر من أولاد (سام كما فى سفر التكوين ولد فى بلدة اور) من بلاد الكلدان ، وفى سفر التكوين (أن اللـه تعالى ظهر له فى سن التاسعة والتسعين من عمره وكلمه وجدد عهده له بان يكثر نسله وابوه سماه اللـه (آزر) وفى سفر التكوين اسمه (تارح) وقال البخارى فى تاريخه ابراهيم بن آزر وهـو فى التوراة (تارح) وجزم الضحاك وابن جرير أن اسمه (آزر) ....

الإسلامَ ومنهج المعرفة :

في معنى الحضارة

الأستاذ : البهى الخولى

هذه سلسلة من الكلمات قد تطول الى أشهر ، وأريد لذلك أن نستأنس لتلك السلسلة بما يمهد لها فى الذهن والضمير .. فهى ليست من أحاديث الواقع التى نرددها فى صور مختلفة من التقرير .. والشكوى .. والتمنى ..

نعم ليست من أحاديث التقرير التى نجيد بها عرض موضوعات تقليدية من تراثنا المجيد لا نبض فيها ولا جديد الا أناقة الصيغة أو استبدال أسلوب بأسلوب ..

وليست من أحاديث الشكوى أو الألم لما نعانى من هوان وضيعة ، فان ما نزل بنا قد برم منا ، ومل مقامه فينا ، وكأنما غدت الشكوى ضربا من « الروتين » لا يمثل الما ولا ينزع عن عرق جياش بالضيق ..

وليست من قبيل تمنى الاصلاح أو ترجيه ، فانا لم نتفق بعد على معنى الاصلاح .. هل نأخذ له من الغرب .. أو نأخذ من كتلة الشرق .. أو نرجع فيه الى تراثنا وعروقنا الجياشة بأمجاد الماضى ؟

والاختلاف على مفهوم الاصلاح آية الاختلاف على فهم الحاضر الذى يراد اصلاحه .. وهو مع ذلك خلاف تمثل وجهات نظره لونا من التطير وعداء كل

منها لغيرها عداء لا يقبل التقارب أو المعايشة فى صدق .. فالتراث فى نظر بعضهم عوامل تخلف ورجعية يجب أن تبيد كشرط حتم للبناء والاصلاح .. أو هو فى احسن ما يقال « مفاهيم » أدت دورها فى عصر ما ولم تعد قابلة للحياة فى غيره .. وأصحاب التراث ينظرون الى اليمين والى اليسار فلا يجدون الا مادية قائمة ، وحجودا لشأن خالق الكون ، بين منكر له جهرة ، ومعترف به اعترافا هو والجحود سيان ..

واختلافنا فى فهم الواقع وفهم ما يصلحه يدعونا ان نطرح للبحث قضية ذلك الواقع نفسه .. هل هو واقع صالح للبقاء ولا ينقصه الا علاج وتدارك ما به من نقص وعلة ، أو أن هذا الواقع لا يصلح ان يكون واقعا بتة ، وبناؤنا عليه يقوم على غير أساس ؟ وأن علينا أن نلتمس فى جد وصدق « مواصفات » اخرى لتخطيط جديد نستهدى فيه العقل والفطرة ، ونتحرى المواءمة مع كل حقيقة فى الكون ظاهرة وباطنة ؟

وفى تلك « المواصفات » هل نأخذ من الغرب علومه ، وأوضاعه فى الحضارة ؟ .. ان الغرب كله يتسم « بالأنانية » وهى عماد حضارته ، وهى التى دعته أن يأخذ ما بأيدينا بالعدوان والبغى ، دون أن يكفه أو يزجره عن ذلك ماله من علم بالطبيعة وطاقاتها ، بل ان ذلك العلم هو الذى أمده بالعدد التى مكنت له فى انفسنا وثرواتنا ، فاذا طلبنا ما لهم من صناعة وعلم ، فانما نطلبه لندرأ البغى عنا فحسب ، ومن قصر الرأى ان يرجو راج أو يسعى لأن يكون واقعنا مثل واقعهم فى النظر الى معنى الحياة والغاية منها .. وبعبارة اخرى : النظر الى معنى الانسان ، ومفهوم فضائله ، ومكانه فى الكون ومهمته فيه فان الغرب نفسه ضجر من المفهوم الحى لتلك الحقائق ، بل ضجر وشقى لممارسة المفهوم الانانى لتلك الحقائق فى استباحة كل لذة حسية ممكنة ، وليس للغرب فضل أو فضيلة فى ذلك الضجر ، فانما هو اثر عميق يثور فى فطرة كل آدمى حين لا يتسق فى نظرته للكون مع أصول فطرته .. والعجب انهم — مع ضجرهم أو سأمهم هذا — يعالجونه بمزيد من الاغراق فى الشهوات والتبجح بالتحلل والاباحة ، يغرونه ويمهدون له بمزيد من البغى والسلب وجرائم التفرقة التى لا يقرون فيها لملون بحق من حقوق الحياة .

فاذا كان الواقع كله عندنا وعند غيرنا على ما قدمنا ، فمحاولة علاجه بترقيع بعضه من بعض ليست سوى توطين أو تمكين للداء ليستشرى فى مواطن أخرى .. واذا ، فلا معدى من تغيير الواقع كله ، على « مواصفات — كما قلنا — جديدة ، على نطاق العالم كافة ، أو على نطاق الانسانية بأسرها » .

ومن المعروف أن هذا الواقع هو علم، وفن ، وصناعة ، وفلسفة ، وتشريع واقتصاد وسياسة ، وآداب عامة ، وعرف فى معنى الفضيلة ، والحياء ، والعفة ، والعرض ، والشرف ، والسلوك الخاص ، فاذا دعت الضرورة لتغييره فليس كما نغير ثوبا بثوب ، لا يكلفنا الامر الا أن ننضى عنا هذا لنرتدى غيره .. فأن هذا الواقع ليس سوى ثمرة لنظرة خاطئة فى الحياة وفى معنى الانسان !! .. وتلك النظرة نفسها انما هى ثمرة لوضع عقلى خاطىء ننظر منه الى الكون .. والكون هو وطننا العام ، اذا توطنت منه ابداننا اشياءا معدودة لكل بدن ، فأن لنا من الحواس ومدارك العقل ما يذرع أقطاره فى السموات والأرض ، ويذهب فى آماده الظاهرة والباطنة الى آفاق تروع الأفئدة ، وتميد لها الرءوس وما كشف الانسان من تلك الآفاق حقيقة أو مدى الا وتوطنه بعقله وأقبل عليه

بحثا وتبينا لما يتضمنه .. فالكون بالنسبة لنا وطن فكرى لا حسي فحسب ، فاذا كان وضع العقل منه خاطئا فمعناه ان تبدو منه بعض الحقائق دون بعض .. وتوطن اى بيت خاص لا يكتب للانسان فيه الاستقرار والانتفاع بكافة مزاياه الا اذا احصى وعرف كل ما يتضمن من حجر ، ونوافذ ، ومرافق ، واجهزة للحياة والنور ، وما يلحق به من مرافق تتم بها الرفاهة والمنفعة ، وهو بعد لا يحجب الانسان عن الكون الكبير .. فأولى أن تحس فطرة العقل قلقا اذا كانت بوضع تحتجب فيه عنها بعض أو اهم حقائق وطنها الخطير ... واذا عرفنا ان فطرة العقل ليست امرا حسيا .. واذا عرفنا الى ذلك ان توطن الكون بالنسبة لها هو توطن حقائقه المعنوية تبينا ومعرفة .. واذا عرفنا فوق هذا ان تلك المعرفة هى الزاد او الرحيق الذى يصلح ويتم به أمر تلك الفطرة ــ عرفنا مدى القلق الذى يعتريها اذا لم تكن بوضع صحيح تحتل به كل مواطنها من الكون ، وتتزود بكل ما لها من ثقافة فى تلك المو طن .

ان الانسان خلق ليحيا فى الكون .. والانسان هو بدنه ، ومعايير عقله وخاصياته .. وانا نحس الى الآن أن الكون مصدر معارفنا ، ومنافعنا ، وقوام أمرنا كله ، فهو ــ اذا ــ قد فطر على سنن المواءمة حسا وروحا لمصالحنا .. او اننا فطرنا على المواءمة لسننه او ان مشيئة العليم الحكيم اقتضت المواءمة بين سنننا وسننه ، فلم ينلنا اى ضرر ــ يوما ما ــ بسبب الاتصال به اتصال حس او عقل ، فاذا كان ضرر فهو منا بفساد التقدير وعدم الاكتراث لسنن الفطرة .

فاذا تكلمنا عن تغيير الواقع فلسنا نعنى تغيير انماط الحياة الظاهرة فى فنها وصناعتها ، وتشريعها ونحوه ، انما نريد التغيير الذى يبدلنا بواقع نظرنا نمطا يقيم العقل على بحث معاييره وخصائص المواءمة لحقائق الكون .. وبتلك المواءمة يزول القلق ويتزود الفكر زاده الثقافى الجامع الذى ينشىء لحضارة الانسان أنماطها فى التشريع والفن ، ومفاهيمها الصادقة لحقائق الحياة ، والعرض ، وكرامة السلوك الخاص .. ويجعل للحياة غايتها العليا ومعناها السامى الذى يسعد به الفكر ، كما يجعل للانسان رسالة حكيمة يكرم بها سعيه ويشرف قدره بين الكائنات ..

واذ يرجع تقويم تلك الحضارة الى حقائق الكون التى لم يبتدعها انسان ، ولم يزيفها بشر .. والى معايير العقل فى كل آدمى ، فقد رجع الى الاصل الجامع الذى لا يرده احد ، ولا يشذ عنه عقل سوى ..

الحضارة بين الحس والروح :

والحضارة ظاهر ومعنى « او حس وروح » وقد تحول اليها الانسان بادىء بدء ببواعث اقرب الى الحس راغبة فى الاستقرار والأمن « قال فى لسان العرب : الحضر خلاف البدو .. والحاضر خلاف البادى .. **والحضارة الاقامة فى الحضر** .. والحضر والحاضرة هى المدن ، والقرى ، والريف . سميت بذلك لان اهلها حضروا الامصار ، ومساكن الديار التى يكون لهم بها قرار » ..

ووضع الانسان للغته ابتداء كان يشمل ثمرة تفاعله مع الكون ، أو مع الواقع الطبيعى والاجتماعى المحيط به ، سواء كانت تجارب هذا التفاعل حسية أو نفسية ، أو عقلية ... ولغتنا العربية بوصفها من اقدم اللغات ، وقد وضعت ابتداء فى البادية من قوم لهم صفاء الفطرة وذكاء القريحة .. لغتنا بهذا الوصف

تعتبر من أصدق اللغات تعبيرا عن فوالح الانسان الاولى وتجاربه عامة ، اذ كان يدرج بين البادية والحضر خلال تطوره من الأولى الى الثانية .. ولذا نرى صاحب لسان العرب يذكر ان الحضر سمى بذلك لأن اهله حضروا الامصار ومساكن الديار التى يكون لهم بها قرار .. وذكر القرار ، أو الاستقرار فى هذا الصدد يتضمن « لفتة » خافية للنفس ابان ذلك التدرج أو التردد بين البدو والحضر ، اذ كانت تلحظ الفارق بين مشاعر الاقامة فى البدو ، والاقامة فى الحضر وهو فارق لا يرجع اساسا الى رسوم الظاهر والشكل ، انما يرجع الى ما هو ابعد فى خفايا الفطرة .. يعود الى فارق القلق والطمانينة ، بين ما تعانيه النفس فى البداوة ، وما تسكن اليه نسبيا فى الحضر .. وقد يكون هذا الفارق ماثلا فى نمط الحل والترحال ، والظعن والاقامة الذى تعانيه البداوة طلبا للرعى ومساقط الغيث ، بمضاهاته بنمط الاستقرار الذى يحظى بـه الحضر بتوفر أسباب المعيشة بينهم .. ولكنا نعنى فارقا اعمق من معاناة كسب القوت أو يسره .. فارقا يشير الى حال القلق الدائم على الدم والمال فى البداوة ، والأمن عليهما فى الحضر .. اذ البداوة — مع حياة الحل والترحال الراتبة — لا تفتأ تشن الحروب فيما بينها ، اصابة لثأر أو طلبا لنهب حيث كان ، وكان ذلك متصلا معهودا بينهم ، حتى لكأنه عادة يمارسونها مع من نأى أو دنا من الاباعد والاقارب على ما يقول القطامى :

واحيانا على بكر أخينا اذا ما لم نجد الا اخانا

اى ان الحرب ديدننا المتصل ، لا نكف عن الاغارة على غيرنا ، فاذا لم نجد اغرنا على من قرب من أبناء عمومتنا ... ومهما يكن من الف البادية لذلك فانه يعارض فطرة الحرص على النفس والمال فى طبيعة الانسان ، فلا جرم كان ذلك ملحوظا — فى خفاء — حين ملاحظتهم ميزات الحضر ابان ترددهم عليه واستعدادهم للتطور ، ولا جرم — أيضا — ضمنوا لغتهم تلك اللفتات النفسية الدقيقة ، فكان ما ذكره صاحب اللسان من تعليل تسميتهم الحضر بالحضر ، اذ سجلوا بتلك التسمية ما كانت تحسه سرائرهم من ميزات الطمانينة والاستقرار التى ليست للبادية .

ولسنا نقصد اى بحث لغوى ، انما نعرض « وثيقة » تتضمن لقطات لحركات النفس العربية وهى تودع للغتها انفعالاتها الاولى بظروف ترددها بين البدو والحضر .

وقد كتب فى دقائق البدو والحضر كثير ، ولكن أوفاها وافضلها ما كتبه مفكرنا الخطير عبد الرحمن بن خلدون .. فالبدو — مثلا — مرحلة فى عمر الانسانية سابقة للحضر .. ومجتمع البادية ساذج فى معيشته واوضاعه لقلة مطالبه واكتفائه بالضرورات ، ومجتمع الحضر كثير المطالب متشابك الضرورات بحكم ما تتطلبه عمارة الدور والارض من صناعات متباينة ، وما يترتب على ذلك من معاملات وأوضاع تنظيمية شتى .. عرضوا لذلك ونحوه ولكن الذى يعنينا هو ذلك الحافز العميق الذى نلحظه من ورائه ، والذى حفز الانسان — وما زال يحفزه — الى الحضارة ، وهو حافز الفطرة الذى تنم عنه اللغة ، حافز الحرص على المحافظة على الذات وما لها من مقومات الحياة ... ولكن هل هذا الحافز وحده هو كل ما تضمنته الفطرة من حوافز وضرورات ؟ .. وهل ذلك المفهوم للحضارة قد تضمن كل ما لها من مقومات وخصائص ؟

ان اللغة قالت : **ان الحضارة هى الاقامة فى الحضر** ، واتسع ذلك المفهوم بالتبعية أو اللزوم ، فشمل مظاهر نشاط الانسان فى عمارة الارض والمدن بمختلف الصناعات .. وزاد التفاعل مع الواقع ــ حسيا وعقليا ــ فكان ما أسفرت عنه الجهود من كشوف علمية لمخبآت الطبيعة ، وقوانينها ، واضيف ذلك ومظاهر استعماله وآثاره الى سابقه فى مفهوم الحضارة ومقوماتها .. وصحب ذلك كله ضروب من المعاملات ، ونظم الحكم والتشريع ، والقضاء ، والسياسة ونحوها فكانت ــ بحكم اللزوم ــ ايضا خاصية للاقامة فى الحضر أضيفت لمفهوم الحضارة .. ولكن هل انتهى الى ذلك الحد مفهوم الحضارة ؟ .. وبعبارة أخرى هل انتهت خواطر الفطرة الداعية للتحضر فانتهى مفهوم الحضارة الى ما انتهى اليه ؟ ..

اننا نريد ان ننبه الى الرابطة الوثيقة بين حوافز الفطرة ، وبين ما تدعو اليه فى ظاهر الحياة من تفاعلات .. نريد ان ننبه الى الرابطة المنطقية الحتمية التى تجعل حضارة الانسان اثرا ضروريا لما تنطوى عليه فطرته من تطلعات وحوافز .. وعلى هذا نسأل : هل هذا الحافز وحده ــ حافز المحافظة على الذات ــ هو كل ما للفطرة من ميزة الحياة الباطنة ؟ ، او ثمت حوافز وتطلعات اخرى ؟ ..

بين انفعال الحس وانفعال الروح :

منذ يعى الانسان نفسه يحس اتجاهه الى الكون وآماته بوجدان غامض فيه تعجب باعث على السؤال : ما هذا ؟! وهو وجدان لا تكلف فيه ، كما انه ليس من تخييل احد ، او ايهامه ، بل هو حركة يجدها كل فرد فى ضميره منذ يعى نفسه ــ كما قلنا ــ .. ومع تقدمه فى عمر الطفولة يعظم التعجب ، وتعمق الروعة ، ويزداد التساؤل : ما هذا ؟! . وتبدأ عجائب الكون تلفته الى ذاتها : الشمس بظواهر شروقها وغروبها ولألائها الباهر ، وتنقلها العجيب فى القبة الكونية كل يوم من الشرق الى الغرب .. والقمر بأشكاله المتباينة التى يغيرها مع كل ليلة ، ويطالعنا بها من عليائه على مدى الشهر .. والكواكب التى تغطى فضاء الكون ليلا بزينتها البديعة العميقة ، وتأخذ باللب فى خشوع ورقة الى غورها السحيق ... والانسان يلبى ذلك كله فى تطلع ظاهر ، وتعجب ملح فى السؤال ما هذا ؟ ومن أوجده ؟ ..

وقد يكون هذا التساؤل فى ذهن رجل بدوى ، او طفل حضرى او قروى .. وقد يتلقى عنه اجابة صحيحة ، او غير صحيحة ، وقد لا يتلقى عنه اجابة ما ، ولكنه فى كل ذلك يظل على حاله فى التطلع الى تلك الآيات دهشا متطلبا المعرفة .

نعم قد يخفت التنبه واحساس الروعة ــ عادة ــ لدى الأكثرين بتقدم المرء فى العمر ، وازدحام تبعات العيش وشواغله على وعيه مع تنوعها وتواليها ، ولكن ليس معنى هذا ان تلك الحال كانت ظاهرة او خاصية تصحب الطفولة ثم تغيض أو تزول حين يبلغ اشده ، ويواجه منطق عيشه ودواعيه المتراكمة ، فانه فى غمرة تلك الدواعى قد تتاح له خلوة بنفسه فيرى تلك الآيات أكثر اثارة ووضوحا من ذى قبل .

فنحن ــ اذا ــ بازاء طرفين : الكون ، والانسان .. الكون له آياته وحقائقه .. والانسان ــ من دون كائنات الطبيعة ــ ينفعل بتلك الآيات والحقائق انفعالا تنبثق به فى النفس وجدانات التعجب والتساؤل ، وينبعث به العقل فى محاولة الفهم .. وقد قلنا : ان ذلك ليس عن تخييل مفتعل ، أو وهم ، انما هو عن واقع محس عتيد هو « الكون » وكذلك ليس عن خاصية مؤقتة تصحب الطفولة الغضة ثم تنتهى ، بل هى عن فطرة ذات وعى أو حس ، تواجه حقائق الكون فتنفعل أو تتأثر لها فى تعجب ودهشة فتتحرك مستشرقة متسائلة : من خلق هذا ؟! ويتدخل العقل لمعرفة المسؤول عنه .. قلنا هذا ، وهو يضعنا بازاء موازنة بينه وبين تجربة القلق التى دعت الانسان الى التحضر آنفا ..

أ ــ فاضطراب الأمن ــ بالعوامل التى تحكم بيئة البدو ــ عارض رغبة فطرية فى النفس ــ هى غريزة المحافظة على الذات ــ فأثارت تلك المعارضة **حركة فى الضمير ، أو قلقا** يتضمن الخوف على النفس ، ونشدان الأمن بسكنى الحضر ، وما تستدعيه من صناعات مختلفة .. وفى التجربة الثانية نجد المواجهة بين فطرة الانسان وحقائق الكون قد أثارت فى النفس **حركة أو قلقا ،** فيه تعجب واستشراف لمعرفة من خلق هذا ؟!

ب ــ وبواعث القلق فى التجربة الأولى حسية ظاهرة ، هى عوامل اضطراب الأمن .. وأهدافه ــ كذلك ــ حسية هى احراز الأمن على المال والنفس أى البدن ..

وفى التجربة الثانية نجد بواعث القلق هى « المواجهة » بين وعى الانسان وحقائق الكون .. فهل هى بواعث حسية ؟ .. ونجد أهداف القلق هى التطلع لمعرفة من خلق هذا .. فهل هى أهداف حسية ؟..

اذا ذهبنا نعرف حقيقة ذلك ــ أى البواعث والاهداف ــ ألفينا الانسان قد أدرك « شيئا » فى حقائق الكون ، أحس له فى نفسه أثرا مزيجا من الدهشة والتعجب ، فما عسى أن يكون ذلك الشىء ؟

انه ليس الضوء والحرارة ، ولا الاصوات والمشمومات ونحوها من الامور المحسة ، فان تلك المحسات ترد على حواسنا كل آن من نهار وليل بلا انقطاع .. دون أن يحدث مثل ذلك الوجدان العميق الهادىء المتميز بالروعة والتعجب .. نعم قد تحدث اثارة سطحية برائحة زكية أو كريهة .. وبصوت حسن أو منكر .. وبمنظر جميل أو قبيح ــ مثلا ــ ولكن ذلك غير الوجدان الذى نعنيه المتميز بالعمق والتعجب ، المتسائل : من خلق هذا ؟..

والمعروف أن الانسان ينظر كل آن الى السماء ، ، وما لها من شمس وقمر وكواكب ونجوم ، وكأنه لا ينظر اليها لاستيلاء شواغل العيش على ارادته ، فلا تنشأ بنفسه روعة ما أو تساؤل من قبيل ما قدمنا .. وهذا يدل على أن مجرد رؤية تلك الكائنات السماوية بالحواس أو بالنظر العادى لا يحدث فى النفس الأثر الذى نقرر ، وان ثمت فى تلك الكائنات ، « أشياء » غير حسية لا ترى بالنظر العادى ، انما يتنبه لها وعى الانسان اذا زالت عنه شواغله الحسية ، فيبصرها فتحدث فى الضمير خلجات التعجب التى قدمنا .

فبواعث القلق ــ اذا ــ أمور معنوية غير حسية ، تتم برؤية غير رؤية الحس .. وكما يكون لرؤية الحس أثرها السطحى برؤية منظر قبيح أو جميل يكون لتلك الرؤية المعنوية أثرها العميق فى النفس الجياش بالتعجب والتساؤل .. ونفس الانسان كالغدير الهادىء الرهو ، لا تتحرك هى ، ولا تحدث فيه

هو حركة ما الا أن يحركه محرك ، أو أن يلقى فيه بشىء يغير سكونه ، فلا مجال ــ بتة ــ لأن يقال : ان هذا التعجب والتساؤل يحدثان فى النفس بغير شىء . .

واذا ، فبواعث هذا القلق روحية بحتة ، لا تتصل من قريب أو بعيد بعوامل بيئة بدوية أو حضرية ، ولا بغريزة ما من التى تتصل بالمحافظة على الذات . . وليست هى من صنع الحواس المعروفة ، ولا هى صادرة من مادة المحسات انما هى رؤية « لمعالم عقلية » غير محسة فى الكائنات . . معان فى الكائنات يتبينها وعى الانسان اذا اتجهت ارادته الى ذلك .

ولقد كنا نسأل منذ قليل : هل ثمت حوافز وتطلعات للفطرة غير حافز المحافظة على الذات . . وقد قدمنا الآن الاجابة عن ذلك ، فاذا كان لباطن المرء حركات دعته لسكنى الحضر طلبا للأمن ، فثمت حركات انبعاث وتطلع للمعرفة لا تجد تحضرها بسكنى مدن أو ريف ، انما تجده بمقامها الأمين فى آيات الكون وحقائقه .

الانسان والكون :

ونخلص من ذلك بحقيقة تؤكد ما قدمنا من أن الكون كله : أرضه ، وسماءه ، وما فيهما ، وما بينهما من كائنات هو وطن الانسان أينما كان ، ويجب أن تقوم صلة التوطن بينهما على أسس فطرية بينة صادقة . . فليست الأرض وحدها هى وطن البشرية ، فان الآفاق التى تحيط بنا ، ولا تفتأ تتعرض لحواسنا ومداركنا بعمقها وروعتها وآياتها فى الارض والسماء تصنع الاطار الحق لمفهوم هذا الوطن . . واذا كنا نعيش على الأرض بأبداننا فأننا نحيا فى هذا الاطار الكبير بحواسنا وعقولنا حياتنا الحافلة بأصدق المعانى . . بل اننا لا نشغل من الارض بأبداننا الا حيزا ضئيلا محدودا ، فى الوقت الذى تشغل فيه حواسنا وعقولنا ما يبدو لها من الكون كله . . فاذا عنينا بموقف الانسان من الكون ، فانما نريد صلة التوطن التام ، التوطن الحسى الذى يشغل فيه البدن بالضرورة وضعه فى الأرض ، والتوطن الفكرى الذى يلزم فيه الفكر مجال تدبره فى آيات الكون .

ومن البين أننا لا ندعو الى الغاء المواطنة أو المواطن الخاصة فأنها أمور ضرورية لتنظيم معيشة الانسان وعمارة الارض ، ولتنظيم قيام العلاقات الجامعة بين أفراده بعضهم وبعض . . فلكل فرد وطنان ، وطنه الخاص الذى ينسب اليه بحكم التنظيم والاستقرار المعاشى . . ووطنه الفكرى الكونى الذى يجول فى ملكوته مع أفكار سواه من بنى الانسان ، فلا تتعارض الافكار ولا تتضارب أو تتحاسد وجهات النظر . . لكل فرد وطنان على أن يؤدى لكل وطن حق توطنه : فاذا كان الفرد لا تتحقق نسبته لوطنه الخاص ولا يكتب له به الاستقرار والطمأنينة الا اذا استقرت علاقته الاقتصادية والاجتماعية والوجدانية به على أساس من المعرفة والمعاطفة والارتباط الحيوى بكل مقوماته على أنه جزء من بنائه ، اذا كان هذا شأن الفرد بالنسبة للوطن الخاص ،فهو شأنه بالنسبة لوطنه الكونى ، اذ لا يكتب للضمير فيه استقرار ما الا أن يأخذ الفكر مكانه فى رياض حقائقه . .

ان بين ضمير الانسان وحقائق الكون وشائج ألفة ومواءمة فطرية ، فاذا أقبل الانسان ينظر فيها بعقله ، وحصل معانيها لنفسه ، فقد حقق المواءمة بينه وبين الكون ، وهو التجانس الذى يكتب له به استقرار الضمير ورضا الفكر ، وبه يصحب الكون على بصيرة ومعاطفة ، وتلك حقيقة التوطن الكونى **.. وهى لب حقيقة الحضارة .**

نحو الاسلام :

والانسانية اليوم تجتاز مرحلة خطيرة من بلبلة الفكر ، وقلق الضمير ، ولا سيما فى بيئات الغرب حيث يسود التوجس وعدم الثقة ، ويستعلن الشباب بالضيق وعدم المبالاة ، وليس ذلك من قلة فى الموارد ، فان الطبيعة لا تفتأ تجود بألوان من النعمة والثروة ، ولا عن جهل بالطبيعة ، فان الانسان لم يكن أعلم بها منه اليوم ، بل لأن الصلة الفكرية بينه وبين الكون لا تحقق المواءمة الضرورية لاستقرار النفس .. واذا ، فلا بد من علاج ، أو من نهج يقيم علاقة الانسان الحسية والفكرية بالكون على سوائها .. نهج نستوحى فيه فطرة العقل ، وحقائق الكون ، لا نلوذ فيه بنحلة خاصة ، ولا مبدأ فيلسوف كائنا ما كان .. ولسنا نجد فى تقرير سنن الكون وعلاقتها بفطرة الانسان : فطرته الفكرية ، والنفسية ، والعملية ، فى عمق وصدق ووفاء من « الاسلام » واننا نظلم الحقيقة ونسىء الى أنفسنا أشد الاساءة اذ ننظر الى الاسلام على أنه دين طائفة خاصة أو أمة بعينها .. فالاسلام دين كونى ، ينظم علاقة الانسان كافة بالكون كله حسه ومعناه ، أو ظاهره وباطنه .. ينظم تلك العلاقة على أساس ما بين الانسان والكون من مواءمة حسية ، وروحية ، وفكرية ، وان النظر الفطرى الحكيم المتحرر من لوثة الهوى والطائفية جدير أن يضع بين يدى صاحبه الكثير من قواعد تلك العلاقة ما دام يستهدف فطرة العقل ، ودلالات الكون السافرة له وانه كلما أجال النظر فيما حوله من حقائق ، كثرت لديه حصيلة الحق التى تقوم بها علاقة الانسان بالكون على أوثق الروابط وأصدق الأسس ، وان كل ما يجتمع له بهذا النظر السليم من معارف ، وحقائق ، وأحكام ، انما يطابق فى مادته — أو يقارب — ما نزل به القرآن الكريم من الله ، ذلك أن القرآن لم يجىء بجديد يقحمه على استعدادات الناس النفسية والفكرية ، انما جاء — كما قلنا — ليقيم فطرة الانسان على سوائها لتقوم العلاقة بينه وبين الكون على أوثق الروابط ، وأصدق الأسس .. وذلك ما سنحاول بيانه فيما تأتى من الكلمات .. وبالله التوفيق .



درس في بناء الرجال

من الرسول القائد

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

كفايات النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة متعددة الجوانب ، وكل صنف من أصناف الناس يستطيع أن يتخذ منه قدوة حسنة تفيده لحاضره ومستقبله ، اذ يمكن أن يجد فيه كفاية خاصة تكون مثالا رائعا يحتذى بها ، لاتصالها اتصالا مباشرا بحياة ذلك الصنف من الناس .

وبالطبع فان النبي صلى الله عليه وسلم كان مؤيدا من الله سبحانه وتعالى ، وكان لهذا التأييد الالهى أثر حاسم فى نجاحه بشيرا ونذيرا ، ومشرعا وقاضيا ، وسياسيا واداريا ، وقائدا وجنديا .

وهذا التأييد الالهى ، لا يمنع مطلقا من أن يكون لكفاياته الشخصية أثر حاسم أيضا فى نجاحه ، وصدق الله العظيم (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (١) .

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة لأصحابه عليهم رضوان الله في حياته المباركة وبقى الأسوة الحسنة لأتباعه بعد التحاقه بالرفيق الأعلى ، ولا يزال الأسوة الحسنة للمسلمين فى كل زمان ومكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وصدق الله العظيم : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) (٢) .

والأسوة الحسنة تكون اقتداء بأعماله وأقواله عليه أفضل الصلاة

والسلام ، وتلك هى كفاياته العالية الفذة انسانا سويا بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين .

- ٢ -

وكما يستطيع كل صنف من أصناف الناس اقتباس ما يفيدهم من كفاياته الانسانية المتميزة فى حياتهم العملية فان تلك الكفايات يمكن أن تكون نبراسا للناس كافة فى ظروف معينة من عمر الزمن تهدى للتى هى أقوم ، وتنير الطريق للسالكين فى دروب الحياة تحقيقا لأهداف باقية ومثل عليا .

والحرب اليوم هى حرب مصيرية ضد اسرائيل التى لديها مخططات توسعية استيطانية فى البلاد العربية ، فما الذى يفيد العرب لحاضرهم ومستقبلهم فى هذه الظروف العصيبة اقتباسا من نور كفايات الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ؟

لقد وجدت بالدراسة المستفيضة لسيرة النبى صلى الله عليه وسلم العطرة ، أن من كفايات النبى صلى الله عليه وسلم المتميزة ، هى قابليته الفذة على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب .

وأستطيع أو أوكد بكل وثوق ، بأن قابليته الفذة على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، هى من أهم الأسباب الدنيوية لنجاحه فى السلم والحرب على حد سواء .

كان عليه أفضل الصلاة والسلام ، يعرف أصحابه معرفة دقيقة مفصلة ، وكان يعرف ما يمتاز به كل صحابى من مزاياتفيد المجتمع الاسلامى الجديد ، وكان يستغل تلك المزايا لخير هذا المجتمع وللمصلحة العامة العليا للمسلمين .

وكان فى الوقت نفسه يعرف ما يعانى كل صحابى من مثالب ، وكان يتغاضى عن تلك المثالب ، ويغض الطرف عنها ، ويذكر أصحابه بأحسن ما فيهم ، ويأمر أصحابه أيضا بالتغاضى عن المثالب ، والأشادة بأحسن ما فى اخوانهم تقديرا واعجابا .

وكان عليه أفضل الصلاة والسلام بهذا السلوك الرائع الذى التزم به فى كل حياته المباركة : يشيد بالمزايا وينتفع بها لخير المسلمين ، ويغض الطرف عن المثالب ويقومها بالحسنى ، ثم يداويها بما عرف عنه من حكمة وموعظة حسنة وتربية أبوية .

بهذه الخطة الرائعة والطريقة السليمة والأسلوب الحصيف ، يبنى النبى صلى الله عليه وسلم الرجال ولا يحطمهم ، ويقوم المعوج ولا يكسره ويشيد للحاضر والمستقبل لا للحاضر وحده أو للساعة التى هو فيها .

لقد كان يعلم علم اليقين ، أن كل انسان يبتسم بمزايا حميدة معينة ، ولكنه يعانى من مثالب خاصة ، لأن الكمال لله وحده سبحانه وتعالى ، فكانت اشادته بالمزايا واشادة أصحابه بها يقوى تلك المزايا ويشد أزرها ، وكان اغضاؤه عليه أفضل الصلاة والسلام واغضاء أصحابه عن المثالب يقلل من أثرها ، ويستر عليها ، ويجعلها تتضاءل شيئا فشيئا حتى تتلاشى نهائيا أو يضعف تأثيرها وقد تنتهى الى الأبد .

وكان عليه الصلاة والسلام يدرك كل الادراك ، أن كل انسان لا بد من أن يعانى نقصا فى ناحية من نواحيه الخلقية ، وكفى المرء نبلا أن تعد معايبه ، فكان يغض الطرف عن ناحية النقص فى أصحابه ، ويستفيد لمصلحة المسلمين من ناحية الكمال ،

فلا يكون ذلك النقص سبة ومثلبة على صاحبه ، لأنه كان عليه أفضل الصلاة والسلام يبرز ناحية الكمال ، فينوه بصاحبها ويذكره بها ويثنى عليه أعظم الثناء .

– ٣ –

كان من بين أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من امتاز بالثراء ، فأفاد المسلمون من ماله ، ولم يكلفه عليه أفضل الصلاة والسلام بمصاولة الصناديد والأبطال .

وكان من بين أصحابه من امتاز بناحية القيادة ، فولاه قيادة الرجال فى السرايا والغزوات .

وكان من بين أصحابه من امتاز بالشجاعة الفردية ولم تكن لديه قابلية قيادية ، فاستفاد منه فى مبارزة الشجعان والأقران والقيام بالأعمال الفدائية جنديا من جنود المسلمين .

وكان من بين أصحابه من امتاز بالرأى الثاقب والتفكير العميق ، فأفاد عليه أفضل الصلاة والسلام من آرائه وحكمته ومشورته .

وكان من بين أصحابه من امتاز بالشعر المتين والبيان البليغ ، فأفاد المسلمون من شعره وبيانه .

وكان .... وكان .....

سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة المكرمة فى عمرة القضاء سنة سبع الهجرية الوليد بن الوليد المخزومى أخا خالد بن الوليد رضى الله عنهما قائلا : أين خالد ؟ ثم قال : (ما مثل خالد من جهل الاسلام ، ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين ، لكان خيرا له ، ولقدمناه على غيره) .

وكتب الوليد بن الوليد بذلك الى أخيه خالد فكان ذلك سبب هجرته الى المدينة المنورة واعلان اسلامه .

وقدم خالد بن الوليد المدينة مهاجرا الى الله ورسوله فى أول يوم من صفر سنة ثمان الهجرية .

قال خالد : فلما طلعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سلمت عليه بالنبوة ، فرد عليه الصلاة والسلام بوجه طلق ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، فقال : النبى صلى الله عليه وسلم : قد كنت أرى لك عقلا رجوت الا يسلمك الا الى خير ، وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقلت : استغفر لى كل ما أوضعت فيه من صد عن سبيل الله ! فقال : ان الاسلام يجب (٣) ما قبله . قلت : يا رسول الله ! على ذلك . قال : اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيلك ... فوالله ، ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أسلمت يعدل بى أحدا من أصحابه فيما يجزئه (٤) .

وولى النبى صلى الله عليه وسلم خالدا قيادة الرجال فى الحرب بعد اسلام خالد .

وما يقال عن خالد بن الوليد ، يقال عن عمرو بن العاص أيضا فقد ولاه قيادة الرجال فى الحرب بعد اسلامه، وقال عن خالد وعمرو حين قدما المدينة المنورة مسلمين : ألقت اليكم مكة أفلاذ كبدها (٥) ..

– ٤ –

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه غنيا ، فأفاد المسلمون من ثرائه : ابتاع للمسلمين مربدا (٦) بعشرين ألفا ، وابتاع للمسلمين بئر (رومة) (٧) وجهز جيش العسرة الذى زحف من المدينة المنورة شمالا بقيادة النبى صلى الله عليه وسلم لمواجهة جيش

الروم فى غزوة تبوك حتى ما يفقد هذا الجيش عقالا ولا خطاما ، ولم نسمع أن الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام كلف عثمان بمنازلة الأقران يوم الطعان .

وكان حسان بن ثابت رضى الله عنه شاعرا مجيدا ، فاستفاد المسلمون من قابليته الشعرية ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتركه مع النساء عندما يخرج للقتال .

وكان كثير من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم يعدون من أشجع الشجعان ، ولكنهم بقوا جنودا فى جيش المسلمين ولم يتولوا مناصب قيادية ، لأنهم كانوا جنودا متميزين ولم يكونوا قادة متميزين .

وكان من بين أصحابه من يحسن القراءة والكتابة ، فجعلهم كتابا للوحى ومحررين لرسائله الى الملوك والأمراء .

وكان من بينهم اداريون ودعاة وجباة وقضاة ، فولى كل واحد منهم ما يناسب قابلياته وكفاياته .

وقد سأله قسم من الصحابة أن يوليهم مناصب ادارية فرد الذين لا يستطيعون النهوض بهذا الواجب ثم ذكر لقسم منهم بصراحة متناهية سبب عزوفه عن توليتهم !

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : دخلت أنا ورجلان من بنى عمى على النبى صلى الله عليه وسلم فقال أحد الرجلين : يارسول الله ! أمرنا على بعض ما ولاك الله .... وقال الآخر مثل ذلك ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (أنا لا نولى هذا الأمر أحدا سأله ولا أحدا حرص عليه) .

وقال أبو ذر الغفارى رضى الله عنه : يا رسول الله ! ألا تستعملنى ؟ فضرب النبى صلى الله عليه وسلم بيده على منكبى أبى ذر ثم قال : (يا أبا ذر انك ضعيف ، وانها أمانة ، وانها يوم القيامة خزى وندامة ، الا الذى أخذها بحقها وأدى الذى عليها) .

— ٥ —

وقبل حركة المسلمين لفتح مكة المكرمة حرص الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام على كتمان حركته من المدينة المنورة الى مكة المكرمة ، كما حرص على كتمان نياته العسكرية فى الفتح ، حتى يباغت قريشا ويجبرها على الاستسلام دون اراقة الدماء .

ولكن حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه ، كتب رسالة الى قريش وأعطاها امرأة متوجهة الى مكة المكرمة ، يخبر فيها قريشا بنيات المسلمين فى حركتهم لفتح مكة .

وعلم النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الرسالة ، فبعث على بن أبى طالب كرم الله وجهه والزبير بن العوام رضى الله عنه ليدركا تلك المرأة التى تحمل تلك الرسالة ويأخذاها منها ، فأدركاها وأخذا الرسالة التى كانت معها .

ودعا النبى صلى الله عليه وسلم حاطبا يسأله : ما حمله على ذلك ؟ فقال حاطب : يا رسول الله ! أما والله انى لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا تبدلت ، ولكنى كنت امرأ ليس له فى القوم من أهل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليه ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه (يا رسول الله ! دعنى فلأضرب عنقه ، فان الرجل قد نافق) .. فقال النبى صلى الله عليه وسلم (أما انه قد صدقكم ، وما يدريك ؟ ! لعل

الله قد اطلع على من شهد (بدرا) فقال : اعملوا ما شئتم) .. شفع لحاطب ماضيه الحافل بالجهاد ، فعفا عنه النبى صلى الله عليه وسلم ، وأمر المسلمين أن يذكروه بأفضل ما فيه .

وعاش حاطب فى مجتمع الصحابة ، لا يشنع عليه أحد ، ولا يذكره الناس الا بالخير ، ولا يسمعونه الا ما يشتهى ، ولا يرددون عنه الا أفضل ما فيه من مزايا وخصال .

- ٦ -

وبعد فتح مكة المكرمة أسلم عكرمة ابن أبى جهل وحسن اسلامه ، ثم أصبح من أعاظم المجاهدين بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، ومن أكابر قادة الفتح الاسلامى العظيم .

وكان أبوه من أشد الناس عداوة للنبى صلى الله عليه وسلم وللمسلمين كافة وللدين الحنيف ، وقد لاقى مصرعه فى غزوة (بدر) الكبرى كما هو معروف ، فمات غير مأسوف عليه ، تخلص المسلمون بموته من خصم لدود .

وكان الصحابة يذكرون أبا جهل ابن هشام بما فيه ، فلما أسلم ابنه عكرمة وحسن اسلامه قال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه عليهم رضوان الله (عكرمة يأتيكم ، فاذا رأيتموه فلا تسبوا أباه ، فان سب الميت يؤذى الحى (٨)) .

هكذا يأمر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه الكرام بالكف عن سب أعدى أعداء المسلمين اكراما لولده المسلم ، حتى لا يتأثر هذا المسلم نفسيا بسبب أبيه ، فتتعقد نفسيته ويضيق ذرعا بالمجتمع الاسلامى الذى كان يعيش بين أفراده وجماعاته له مالهم وعليه ما عليهم .

- ٧ -

لقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرف حق المعرفة كل مزايا أصحابه ، فيفيد من تلك المزايا ، ويبرزها للعيان مشجعا ويثنى عليها أطيب الثناء مقدرا ، ويغض فى الوقت نفسه عن نواقصه ويستر عليها .

وكان ذلك من أهم أسباب انتصار النبى صلى الله عليه وسلم عسكريا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا .

فلما التحق عليه أفضل الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى ، كان بين المسلمين قادة وأمراء وولاة وقضاة وعلماء وفقهاء ومحدثون قادوا الأمة الاسلامية سياسيا واداريا وفكريا واقتصاديا واجتماعيا الى المجد والسؤدد والخير ، والى طريق الحق وسبيل الرشاد .

ذلك هو الدرس الذى يجب أن نتعلمه اليوم من سيد القادات وقائد السادات ، رجل الرجال وبطل الأبطال ، أمام المجاهدين وقدوة العاملين ، النبى العربى الأمى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

هذا الدرس هو : اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، وبناء الرجال لاعداد خير خلف لخير سلف .

ان العرب بخاصة ، والمسلمين بعامة مطالبون اليوم بأن يستفيدوا من طاقات كل فرد منهم ماديا ومعنويا ، فكل فرد له طاقة معينة

من مناحى الحياة يمكن أن يفيد المجتمع الذى يعيش فيه ، والمصلحة العامة التى ينبغى أن تكون هدفا حيويا للجميع يجب أن ننوه بالمزايا ونغض الطرف عن المثالب .

يجب ألا نبرز المثالب ، ونغض الطرف عن المناقب .

يجب الا نخلق المثالب للناس خلقا، ونغمط المناقب غمطا .

يجب أن نبنى الرجال ولا نحطم الرجال .

ان الذين يعملون على تحطيم الرجال يخدمون اسرائيل وأعداء العرب والمسلمين فى كل مكان .

ان اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب هو من أهم عوامل بناء الرجال وبناء الأمم أيضا :
وصدق الشاعر :
يبنى الرجال وغيره يبنى القرى

شتان بين قرى وبين رجال
والسؤال الآن : كيف استطاع النبى صلى الله عليه وسلم بناء الرجال ، حتى أصبح قرنه بحق خير القرون ؟

ولماذا كان يحرص أعظم الحرص على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، فيعترف الناس من حوله ، ولا يزال الناس يعترفون حتى اليوم ، أن ذلك الرجل لذلك العمل هو من أعلى المستويات بالنسبة للمتيسر فى حينه من الرجال ؟

الجواب بسيط ، هو أنه كان مثالا حيا يمشى على الارض فى تطبيق أقواله على أعماله ، فيضرب بذلك للصحابة بمثاله الشخصى أروع الأمثال .

لقد نسى النبى صلى اللهعليه وسلم نفسه فى سبيل المصلحة العليا للمسلمين ، لذلك استقطب حوله الرجال الأقوياء الأمناء من ذوى الكفايات العالية قوة للمجتمع الاسلامى وأمنا .

وصدق رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام (من ولى رجلا وهو يعلم أن هناك من هو أقدر منه ، فقد برئت منه ذمة الله) .

ترى !!

هل نقتبس هذا الدرس من سيرة النبى صلى الله عليه وسلم لنستريح ونريح ، أم لا نزال بحاجة الى كثير من النكسات والنكبات حتى نعود الى طريق الحق والصواب ؟ !

---

(١) الآية الكريمة من سورة الأنعام (١٢٤) .
(٢) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٢١) .
(٣) يجب : يقطع ويمحو ما كان قبله من الكفر .
(٤) طبقات ابن سعد (٥٢/٤) و (٣٩٤/٧) .
(٥) أسد الغابة (٣٨٢/٣) والاستيعاب (١٠٣٤/٣) .
(٦) مربد : موضع يجعل فيه التمر لينشف .
(٧) بئر رومة : بئر فى عقيق المدينة المنورة وهى من ضواحى المدينة المنورة انظر التفاصيل فى معجم البلدان (٤/٢) .
(٨) الاستيعاب (١٠٨٣/٣) .

الوعي الإسلامي

* منذ صدرت المجلة وهى ملتزمة بمضامين اســـمها « الوعى الاسلامى » ومعطيات هدفها « المزيد من الوعى وايقاظ الروح بعيدا عن الخلافات المذهبية والســياسية » وفى حدود هذا الالتزام تقوم ما يرد اليها من بحوث ومقــالات وقصص وشعر وتراجم ، فتنشر ما يتفق مع ما التزمته وتدع ما لا يتفق معه .

* ومع هــذا الالتزام فى المنهج التزام آخر حرصت على أن تأخذ به نفسها ، وهو ما يلاحظ من افساحها المجال ـ قدر الاستطاعة فى كل عدد من أعدادها للأقلام الرفيعة فى مختلف الأقطار الاسلامية تقديرا لها ، وانتفاعا بها ، وجذبا للقراء الذين يحبون أن يقرأوا لــكتابهم الذين نشأوا فى بيئتهم كما يتطلعون الى الأقلام البعيدة عنهم .

* وكان لهذا الالتزام فى المنهج والــكتاب أثره فى رواج المجلة ، وبلوغها تقدير الكاتبين ، وثقة القارئين حتى أصبح كل كاتب من كتابها ، وقارىء من قرائها يؤثرها ويعتبرها مجلته المفضلة ويلح فى الســؤال عنها أن تأخرت فى الطريق عن موعد وصولها اليه ، أو نفدت أعدادها من الباعة بسبب التزاحم عليها مع وفرة المطبوع منها .

* بقى شىء آخر جديد نحب أن نضيفه الى ما ســـبق وهو أن المجلة تتلقى بحوثا علمية مستفيضة لا يتسع لنشرها عدد واحد ، ولهذا كانت تقسمها الى أجزاء تنشرها تباعا أو متفرقة حسبما تســـمح به ظروف النشر وأحيانا كانت تنشر بعضها ، وتصرف النظر عن بعضـــها الآخر لطول العهد وكثرة المواد ، وقد أثار ذلك شكوى الكتاب والقراء .

ويلاحظ القراء أن المجلة فى الأعداد القريبة السابقة نشرت بعض هذه البحوث مرة واحدة قطعا لأسباب الشكوى ، ولكن ذلك جاء على حساب الابواب الاخرى والاقلام الكبيرة التى تعودت المجلة أن تقدمهــا للقراء فى كل عدد .

وبعرض الأمر على السيد الاســتاذ عبد الرحمن عبد الله المجحم وكيل الوزارة رأى زيادة عدد صفحات المجلة من (١٠٠) الى (١١٦) بصفة مستمرة ابتداء من هذا العدد تمكينا للمجلة من النهوض برســـالتها والوقوف فى وجه المجلات العلمانية التى تنقل عن الشرق والغرب ما هو ضد الدين بدعوى التجديد ، والتصـــدى للفكر الدخيل على المجتمعات الاسلامية ، واحباط خططه فى تحويل الشباب المسلم الى تبعية أجنبية غريبة عنه وعن دينه وتاريخه ومجتمعه .

ولعل هذه الخطوة المباركة ترضى كتابنا الكبار ، وقراءنا الأعزاء .. والى مزيد من التقدم بعون الله وتوفيقه .

العقل في تفسير المنار

للدكتور
أحمد الشرباصي

من المناسب أن نذكر كلمة عن الناحية العقلية فى تفسير المنار ، لأن التفسير بالعقل كما عرفنا يدفع الى التدبر فى معانى الألفاظ والعبارات ، وهذا جهد لغوى وأدبى ، يستتبع فى كثير من الأحيان الاستشهاد أو الاستئناس للتفسير المختار بشواهد من بليغ الكلام العربى .

والاحتكام الى العقل ظاهرة واضحة فى « تفسير المنار » ، وفى القدر المشترك بين محمد عبده ورشيد رضا على وجه التخصيص .

ورشيد رضا يرى أن أصول الدين فى العقائد وحكمة التشريع مبنية على ادراك العقل لها ، واستبانته لما فيها من الحق والعدل ومصالح العباد ، وسد ذرائع الفساد (١) .

ومن أمثلة الجنوح الى العقل فى « تفسير المنار » القول بأن جنة آدم وحواء التى كانا فيها ثم اخرجا منها هى بستان من البساتين ، كان آدم وزوجه منعمين فيها ، وأنه ليس علينا تعيينها ولا البحث عن مكانها . ويعتمد التفسير هنا على أن الجنة — كما يفهمها أهل اللغة — هى البستان ، أو المكان الذى تظلله الأشجار بحيث يستتر الداخل فيه (٢) .

وكذلك من أمثلة الجنوح الى العقل فى « تفسير المنار » أن يقرر أنه ليس هناك نص على أن « حواء » خلقت من ضلع آدم ، وان قوله تعالى :

« **وخلق منها زوجها** » ليس نصا فى ذلك ، لأن المعنى : خلق من جنسها ، مثل قوله تعالى : « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا** » .

وأما الحديث الذى يقول : «**فان المرأة خلقت من ضلع أعوج** » فهو على حد قوله تعالى : «**خلق الانسان من عجل (٣)** »

ومن أمثلة ذلك أيضا ما ذكره تفسير المنار فى قوله تعالى : « **واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن** » حيث قال : « الكلمات جمع كلمة ، وتطلق على اللفظ المفرد ، وعلى الجمل المفيدة من الكلام ، والمراد منها هنا مضمونها من أمر ونهى » . ثم جاء فيه بعد ذلك : « ولم يذكر الكلمات ما هى ، ولا الاتمام كيف كان ، لأن العرب تفهم المراد بهذا الابهام والاجمال ، وأن المقام مقام اثبات أن الله تعالى عامل ابراهيم معاملة المبتلى ، أى المختبر له ، لتظهر حقيقة حاله ، ويترتب عليها ما هو أثر لها ، فظهر بهذا الابتلاء والاختبار فضله ، باتمامه ما كلفه الله تعالى اياه ، واتيانه به على وجه الكمال » .

هذا هو المتبادر ، ولكن المفسرين لم يألوا فى تفسير الكلمات والخبط فى تعيينها (٤) .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره التفسير عن قوله تعالى : « **واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى** » حيث اختار التفسير أن « المصلى » هنا موضع الصلاة بمعناها اللغوى العام ، وهو الدعاء والتوجه الى الله تعالى وعبادته مطلقا ، وقال رشيد ان حمل الصلاة هنا على معناها اللغوى أظهر (٥) .

ومن اللمحات العقلية اللغوية البلاغية الرائعة ما جاء فى تفسير المنار عن قوله تعالى « **فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا** » ، حيث قال بعض المفسرين ان لفظ « مثل » هنا زائد ، ولكن صاحب تفسير المنار يعلق على ذلك بقوله :

« واستنكر الاستاذ الامام ذلك واستكبره كعادته ، فانه يخطىء كل من يقول : ان فى القرآن كلمة زائدة ، أو حرفا زائدا ، وقال : « ان (لمثل) هنا معنى لطيفا ونكتة دقيقة .

وذلك أن أهل الكتاب يؤمنون بالله وبما أنزل على الأنبياء ، ولكن طرأت على ايمانهم بالله نزغات الوثنية ، وأضاعوا لباب ما أنزل على الأنبياء ، وهو الاخلاص والتوحيد وتزكية النفس ، والتأليف بين الناس ، وتمسكوا بالقشور ، وهى رسوم العبادات الظاهرة ، ونقصوا منها وزادوا عليها ما يبعد كلا منهم عن الآخر ، ويزيد فى عداوته وبغضائه له ، ففسقوا عن مقصد الدين من حيث يدعون العمل بالدين .

فلمابين الله لنا حقيقة دين الأنبياء ، وأنه واحد لا خلاف فيه ولا تفريق ، وأن هؤلاء الذين يدعون اتباع الأنبياء قد ضلوا عنه فوقعوا فى الخلاف والشقاق ، أمرنا سبحانه وتعالى أن ندعوهم الى الايمان الصحيح بالله ، وبما أنزل على النبيين والمرسلين ، بأن يؤمنوا بمثل ما نؤمن نحن به ، لا بما هم عليه من ادعاء حلول الله فى بعض البشر ، وكون رسولهم الها ، أو ابن الله ، ومن التفرق والشقاق لأجل الخلاف فى بعض الرسوم والتقاليد .

فالذين يؤمنون به فى الله ليس مثل الذى نؤمن به ، فنحن نؤمن بالتنزيه ، وهم يؤمنون بالتشبيه ، وعلى ذلك القياس .

فلو قال : فان آمنوا بالله وبما أنزل على أولئك النبيين وما أوتوه ، فقد اهتدوا ، لكان لهم أن يجادلوا بقولهم : اننا نحن المؤمنون بذلك دونكم ، ولفظ (مثل) هو الذى يقطع عرق الجدل .

على أن المساواة فى الايمان بين شخصين ، بحيث يكون ايمان أحدهما كايمان الآخر ، فى صفته وقوته وأنطباقه على المؤمن به ، وما يكون فى نفس كل منهما من متعلق الايمان ، يكاد يكون محالا ، فكيف يتساوى ايمان أمم وشعوب كثيرة ، مع الخلاف العظيم فى طرق التعليم والتربية والفهم والادراك .

ولو كانت القراءة : (فان آمنوا بما آمنتم به) — كما روى عن ابن عباس فى الشواذ — لكان الأولى أن يقدر (المثل) ، فكيف نقول — وقد ورد لفظ (مثل) متواترا : انه زائد ؟ (٦) » .

ومن أمثلة استخدام العقل فى « تفسير المنار » ما جاء فيه بشأن الحجر الأسود ، حيث قرر انه لا مزية له فى ذاته ، فهو كسائر الحجارة ، وانما استلامه أمر تعبدى ، فى معنى استقبال الكعبة ، وجعل التوجه اليها توجها الى الله الذى لا يحدده مكان ، ولا تحصره جهة من الجهات (٧) .

وكذلك ما جاء فى « تفسير المنار » عن صخرة بيت المقدس ، حيث ذكر انها ليست بأفضل من سائر الصخور فى مادتها وجوهرها ، وليس لها منافع أو خواص لا توجد فى غيرها ، ولا هيكل سليمان نفسه — من حيث هو حجر وطين — أفضل من سائر الأبنية ، وكذلك يقال فى الكعبة والبيت الحرام (٨) .

ولا شك أن تفسير النص القرآنى فى ضوء العقل وفقه اللغة العربية التى نزل بها القرآن ، يعطى الاسلام قوة وصلابة عند الذين يعتزون بالعقل والعلم المادى ، ولذلك يروى السيد رشيد رضا أن أحد النوابغ من رجال القضاء الأذكياء قال للأستاذ الامام : « انك بتفسيرك للقرآن بالبيان الذى يقبله العقل ، ولا يأباه العلم ، قد قطعت الطريق على الذين يظنون أنه قد اقترب الوقت الذى يهدمون فيه الدين ، ويستريحون من قيوده ، وجهل رجاله وجمودهم » .

ويعلق السيد رشيد على هذا بأنه اتبع طريقة العقل مع بعض المنكرين لوجود الله تعالى ، فلم يستطيعوا لها دحضا (٩) .

ولكن مدرسة « تفسير المنار » التى جعلت من أهدافها التوفيق بين الدين والعقل ، أصابها طائف من المبالغة ، حيث أسرفت أحيانا فى الخضوع للعقل ، وهو أمام الغيب قاصر مهما كانت قوته ، وأسرفت أحيانا فى الحذر والاحتراس من تقبل الغيبيات والتسليم بها ، واذا كان الناس قد حمدوا لها تحديد نطاق الخوارق والغيبيات فى تفسير القرآن الكريم ، وتوفيقها بين كلام الله وسنته الكونية المألوفة ، ومقاومتها طوفان الخرافات والاسرائيليات والأساطير التى تسربت الى رحاب التفسير ، واستعانتها بمقررات العلم الحديث فى اقناع أهله بالدين وتعاليمه ...

اذا كان الناس قد حمدوا لها هذا كله ، فانهم قد فزعوا حين رأوا الأمر قد زاد عن حده ، فكاد ينقلب الى ضده ، ومن أمثلة المبالغة فى تحكيم العقل فى « تفسير المنار » ذكره أن الملائكة هى القوى والأفكار الموجودة فى النفوس ، وأن المراد بسجود الملائكة لآدم هو تسخير القوى للانسان فى هذه الحياة ، وان قصة آدم بما فيها من محاورة الملائكة ، وتعليمه الأسماء ، وسجود الملائكة له ... الخ ، هى من باب « التمثيل » ، لأنها وقعت بالفعل (١٠) ...... الخ .

والعجيب أن السيد محمد رشيد رضا قد أشار الى خطأ من يقول ان الدليل العقلى هو الأصل ، فيرد اليه الدليل السمعى ، ويجب تأويله لأجل موافقته له مطلقا ، ويعلق رشيد على هذا بقوله :

« والحق كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية : ان كلا من الدليلين اما قطعى ، واما غير قطعى ، فالقطعيان لا يمكن أن يتعارضا ، حتى نرجح أحدهما على الآخر ، واذا تعارض ظنى من كل منهما مع قطعى ، وجب ترجيح القطعى مطلقا ، واذا تعارض ظنى مع ظنى من كل منهما رجحنا المنقول على المعقول ، لأن ما ندركه بغلبة الظن من كلام الله ورسوله أولى بالاتباع مما ندركه بغلبة الظن من نظرياتنا العقلية التى يكثر فيها الخطأ جدا (١١) » .

ليت ما فى « تفسير المنار » كله خضع لهذه القاعدة المعتدلة المستقيمة .

. . .   .

والعجيب أيضا أن الدكتور طه حسين قال لى عن اخضاع التفسير للعقل :

« لى على الشيخ محمد عبده اعتراض ، فان تأويله لنصوص القرآن ، وحرصه على أن يكون نص القرآن ملائما كل الملاءمة للعلم الحديث ، مما أخالفه فيه ، فهو مثلا يقول عن الحجارة الموصوفة فى سورة الفيل بأنها من سجيل : انها جراثيم (١٢) وهذا توسع فى تحكيم العقل ، والمسلمون الأوائل وهم صحابة الرسول لم يفهموا هذا .

والله يفعل ما يشاء ، ولكن الانسان يفعل ما يستطيع ، والانسان الآن قد وصل الى القنبلة الذرية والهيدروجينية والغازات السامة ، مما لم يكن العرب يعرفونه فى ذلك الوقت ، فالله يخبرنا بأنه أرسل حجارة من سجيل ، ولا بد أن آخذ القرآن بلا تأويل ، وأن أقبل النص القرآنى كما هو ، والعلم لم يحط بكل شىء ، والله وحده هو الذى يعلم كل شىء » .

ثم أضاف الدكتور طه قوله : « ان بعض المستشرقين يذهب هذا المذهب ، فيقول ان الفيل لم يكن فيلا ، بل كان قائدا من قواد الروم جاء مع أبرهة ، واسمه (أفيلاس) ، وقد سمعت هذا من المسيو جاستون فييت الذى كان مديرا لدار الآثار العربية » .

. . .   .

اشارات اجتماعية وسياسية :

من الأمور التى لاحظتها فى تفسير المنار أن رشيدا كان ينتهز فرص التفسير ليضع فى كلامه اشارات اجتماعية أو سياسية ، تتعلق بالوطن العربى ، أو العالم الاسلامى ، ومن أمثلة ذلك أنه فى الجزء الأول يشير الى النزعة الفرعونية التى بدت من بعض المصريين ، ودفعتهم الى بغض اخوانهم فى اللغة والدين ممن هاجروا الى مصر ، وقال رشيد هذا سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) ، ولما جاءت سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) أضاف الى قوله السابق ان تلك النزعة الفرعونية قد قويت عند القبط وزنادقة المسلمين (١٣) . ورشيد قد لقى متاعب من هؤلاء .

ومن أمثلة ذلك أيضا أنه تعرض فى سورة الأعراف لتفسير قوله تعالى : **« قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب »** وفى نهاية تفسيره للآية قال : « اللهم تب على أمتنا ، وارفع عنها رجس الأجانب الطامعين ، وأعوانهم المنافقين (١٤) » .

وهو قد قال هذا سنة ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) والاحتلال البريطانى جاثم على البلاد ، والثورة المصرية تجاهد لزحزحته ، وبعض الخونة يسير فى ركاب الانجليز .

ومن أمثلة ذلك أيضا انه فى تفسيره لسورة الأعراف يتحدث عن اباحة الحكومة المصرية للزنى ، وسكوت علماء الدين على ذلك ، ويقول ان هذا باغواء الافرنج ، كما يتحدث عن دعوة بعض المصريين الى أن تكون حكومة مصر غير دينية ، وأن تلغى المحاكم الشرعية اقتداء بالحكومة التركية ، وأن مصطفى كمال أتاتورك فى الوقت نفسه استدل على جواز اقامة التماثيل شرعا بوجودها منصوبة فى مصر . (١٥) .

وعندما يفسر السيد رشيد قول الله تعالى فى سورة هود : **((واتبعوا أمر كل جبار عنيد))** يعرض بالملوك الطغاة المستبدين ، ويقول : « فهل يعتبر بهذا بقايا الملوك الجبارين فى الأرض قبل انقراضهم (١٦) » .

وعندى أن هذه الاشارات السياسية والاجتماعية لها قيمتها الكبيرة ، فهى تعطينا ملامح للعصر الذى عاش فيه رشيد ، وتعرفنا بالتيارات والأحداث التى كانت خلاله ، كما أننا نفهم منها أن رشيدا لم يكن بمعزل عن مجتمعه ، بل كان يمتزج به ، ويتعرف اليه ، ويحكم عليه ، وكان أيضا يستخدم كتابته — حتى فى التفسير — للحث على ما يؤمن به ، وللتنفير مما يراه ضارا أو سيئا .

ومن المفيد جدا أن يتتبع متتبع هذه الاشارات خلال التفسير ، وخلال آثار رشيد الأخرى ، وبذلك التتبع تتكامل صورة واضحة المعالم لتأثر رشيد بعصره ، وتأثيره فى عصره ، ولجوانب هذا العصر بما فيه من اتجاهات وتيارات .

. . .   .

ملاحظات على تفسير المنار :

الاحظ على « تفسير المنار » ما يلى :

أولا : الاستطرادات الطويلة التى تشبه البحوث المستقلة ، والتى توجد فجوات واسعة ، تحول دون متابعة التفسير ، ورشيد نفسه يشير الى هذه الاستطرادات ، ويقول : « وأستحسن للقارىء أن يقرأ الفصول الاستطرادية وحدها ، فى غير الوقت الذى يقرأ فيه التفسير » (١٧) .

ثانيا : الأسلوب الخطابى الذى يبدو أحيانا فى « تفسير المنار » ، ولعل رشيدا نفسه قد أحس بهذا اللون الخطابى الذى يفتح الباب للتطويل والاسهاب، فعمد الى اختصار « تفسير المنار » فى أجزاء موجزة تحت عنوان : « التفسير المختصر المفيد » ، الذى يمكن أن يزداد علمنا بأمره عند الحديث عن كتب رشيد رضا .

ثالثا : عدم الاستقرار أحيانا فى التفسير ، ومن أمثلة ذلك أنه تكلم عن السبب فى عدم نزول : **((بسم الله الرحمن الرحيم))** فى أول سورة التوبة ، فقال :

« ولذلك لم تنزل البسملة فى أول سورة التوبة التى فضحت آياتها المنافقين ، وبدئت بنبذ عهود المشركين ، وشرع فيها القتال بصفة أعم مما أنزل فيما قبلها من أحكامه » (١٨) .

فنفهم من هذا أن عدم ذكر البسملة هو أن السورة منذرة ، وليست موطنا داعيا الى التحدث عن الرحمة التى ذكرت كثيرا فى القرآن ، ولكن رشيدا يعود فى الجزء العاشر من التفسير الى الحديث فى الموضوع ، فلا يجعل هذا القول هو المختار ، بل يقول عن سورة التوبة : « ولم يكتب الصحابة ولا من بعدهم البسملة فى أولها ، لأنها لم تنزل معها كما نزلت مع غيرها من السور ، هذا هو المعتمد المختار فى تعليله ، وقيل : رعاية لمن كان يقول انها مع الأنفال سورة واحدة ، والمشهور أنه لنزولها بالسيف ونبذ العهود ، وقيل غير ذلك مما فى جعله سببا وعلة نظر (١٩) .

ففى الموطن الاول يلوح لنا ان رشيدا قد اختار الرأى القائل بأن سورة التوبة حذفت منها البسملة لأنها انذار وتشريع قتال ، وفى الموطن الأخير يرى أن المعتمد المختار غير ذلك ، وكلمة « المشهور » التى ذكرها لاتقطع بأن هذا هو المعتمد ، فقد يكون هناك قول مشهور ، ومع ذلك لا يكون هو المعتمد المختار .

ومن أمثلة ذلك أيضا أنه تحدث فى الجزء الأول من التفسير عن اسم الله الأعظم ، فقرر أن اسمى « الحى والقيوم » هما مع اسم الجلالة (الله) : « ما يعبر عنه بالاسم الأعظم ، وهو القول الراجح عندنا » .

ولكنه حينما بلغ تفسير قوله تعالى : **« الله لا اله الا هو الحى القيوم »** فى الجزء الثالث قال كلاما لا يفيد تأكيده لما سبق أن قرره . انه قال : « وهذا الذى تلناه فى بيان معنى (الحى القيوم) يجلى لمن وعاه ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذا هو الاسم الأعظم ، أو قال (أعظم أسماء الله الحى القيوم) ، وقد أخرج أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه ، عن أسماء بنت يزيد ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : (**اسم الله الأعظم**) فى هاتين الآيتين : **(والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم)** وفاتحة آل عمران : **« ألم ، الله لا اله الا هو الحى القيوم) (٢٠) .**

فهو فى الموطن الأول صرح بأن الاسم الأعظم يتكون من ثلاثة أسماء : « الله ، الحى ، القيوم » ، ولكنه فى الموطن الأخير لم يصرح بذلك ، بل أفهمنا أن الاسم الأعظم يتكون من اسمين هما « الحى ، القيوم » ، وان كنا نستطيع أن نستنبط من الشواهد التى ذكرها الأسماء الثلاثة التى يتكون منها الاسم الأعظم .

رابعا : العجلة أحيانا فى كتابة التفسير ، وعدم التهيؤ الكافى لصياغته باتقان واحسان ، وكل لون من ألوان الكتابة قد تحتمل فيه العجلة ، الا كتاب الله العلى الأعلى ، فانه يلزمه التدبر ، والاستعداد ، والتفرغ عند كتابة تفسيره .

ورشيد ــ كما يحدثنا ــ كان يكتب التفسير أحيانا وهو على سفر ، وهو مثلا يقول فى حديثه عن رحلته الى الحجاز : « وتأخرت عنهم لاتمام ما كنت بدأت من كتابة نبذة من التفسير للمنار ، لارسالها مع البريد من جدة ، مع كتابة ما لا بد من كتابته الى مصر (٢١) .

وأغرب صور العجلة وقلة الاستقرار فى كتابة رشيد للتفسير هو ما فعله فى الجزء الخامس من « تفسير المنار » ، مما ترشدنا اليه عبارة ختم بها هذا الجزء ، وفيها يقول :

« تم الجزء الخامس من التفسير ، وقد نشر فى المجلد الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر من المنار ، بدات بكتابة هذا الجزء وانا فى القسطنطينية سنة ١٣٢٨ هـ ، ففاتنى تصحيح ما طبع منه فى اثناء رحلتى تلك ، وأتممته فى أثناء رحلتى هذا العام (١٣٣٠ هـ) الى الهند . فمنه ما كتبته فى البحر ومنه ما كتبته فى المدن والطرق بالهند ومنه ما كتبته فى مسقط والكويت والعراق ، وقد أتممته فى المحجر الصحى بين حلب وحماة ، فى أوائل شعبان سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف ، ونشر آخره فى جزء المنار الذى صدر فى آخر رمضان ، ولم أقف على تصحيح شىء مما كتبته فى اثناء هذه الرحلة أيضا (٢٢) » .

لعل رشيدا اراد بهذا ان يشير الى اقتداره على الكتابة وهو مشغول او غير مستقر ، أو لعله اراد بذلك أن يلتمس لنفسه عذرا فيما يحدث من تقصير أو من هفوات الطبع ، ومهما يكن الدافع فتفسير كتاب الله ينبغى له الاستقرار والتفرغ .

ولا يستطيع عارف بقدر كتاب الله تعالى أن يرتضى خطة رشيد فى كتابته التفسير التى يقول عنها : « واننا نكتب التفسير دائما فى وقت ضيق ، ونعطى ما نكتبه للمطبعة من غير قراءة ولا مراجعة ، ثم لا نراه الا عند تصحيح ما يجمع فى المطبعة ، وكلما جمع شىء يطبع ، وان لم تتم كتابة ما يتعلق به (٢٣) » .

خامسا : انتقال تفسير المنار من مختصر ، الى متوسط ، الى طويل ، فرشيد يذكر فى نهاية تفسير «الفاتحة» المنشور فى الجزء الاول من «تفسير المنار» أن غرضه الأول من كتابة تفسير الفاتحة ، ونشره فى مجلة المنار ، كان بيان ما يستفيده من دروس شيخه الاستاذ الامام ، مع شىء مما يفتح الله به عليه فى ايجاز .

فاختصر فيما كتبه أولا ، ولما طبع تفسير الفاتحة على حدته زاد فيه بعض الزيادات ، وكان قد بدا له أن يجعل هذا التفسير مطولا مستوفى . ولما بدأ طبع الجزء الأول من التفسير ، وانتهى من طبع الصفحات الخاصة منه بتفسير الفاتحة ، عززه بفوائد الحقها بآخر تفسير هذه السورة (٢٤) .

ولقد صرح رشيد فى مواطن اخرى بأنه يدخل تنقيحا واضافة على التفسير بعد نشره فى المجلة ، مثل ان يقول : « وبعد أن طبع تفسير تلك الآية (٢٥) فى المنار نقحناه ، وزدنا فيه فوائد اثبتناها فى نسخة التفسير التى تطبع على حدتها (٢٦) .

ولو أن رشيدا كان فى هذه التغييرات يسير على نظام محدد واضح لهان الخطب ، ولكنه تارة يضع الاضافة فى وسط الكلام ، وتارة يضعها فى الهامش ، وتارة يجعلها فى آخر الموضوع ، وتارة يجعلها فى نهاية الجزء مع استدراكات أخرى .... الخ.

التفسير بعد رشيد :

انتهى رشيد رضا رحمه الله فى التفسير الى الآية الحادية بعد المئة من سورة يوسف ، وهى : « **رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تاويل الاحاديث فاطر السموات والأرض انت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين** » .

ثم لحق رشيد بربه ، وكان من حوارييه وأصدقائه العالم السورى الشيخ محمد بهجة البيطار ، فواصل البيطار تفسير سورة يوسف حتى نهايتها ، وقد نشر تفسير هذه السورة مستقلا فى كتاب كتب مقدمته الشيخ البيطار ، كما نشر فى الجزء الثانى من المجلد الخامس والثلاثين من مجلة المنار .

ثم طلب الاستاذ محيى الدين رضا — ابن اخى رشيد رضا — من الأستاذ البيطار ان يواصل كتابة التفسير لنشره فى مجلة « المنار » التى اريد لها ان تستمر ، فأستجاب البيطار لذلك ، وبين يدى رسالة منه الى الأستاذ محيى الدين رضا بتاريخ ٢٠ ربيع الأنور سنة ١٣٥٥ هـ . ومنها قوله : « اما اتمام هذا التفسير الكبير : تفسير المنار المنير ، المنقطع النظير ، فأى مانع يمنعنى منه ، لولا الشعور بالضعف والتقصير ؟ . على اننى اعتزمت بحول الله وتوفيقه المضى فى هذه السبيل : سبيل اتمامه .. » الخ ..

ولكن ، ما كل ما يتمنى المرء يدركه ، فلم يستمر صدور « المنار » طويلا ، وبوقوفه عن الصدور انقطع التفسير . ثم حاول الأستاذ حسن البنا ان يواصل التفسير ، فيبدأ من حيث انتهى السيد رشيد رضا رحمه الله والأستاذ البيطار ، وكتب فعلا تفسيرا لجانب من سورة الرعد نشر فى الأعداد الستة التى اصدرها من المنار بعد وفاة السيد رشيد كما عرفنا ، ثم وقف المنار عن الصدور ، فانقطع بذلك التفسير .

. . .   .

اقتراحى بشان تفسير المنار :

اقترح ما يلى بشأن تفسير المنار :

١ — طبع هذا التفسير طبعة مصححة متقنة مضبوطة ، لأن الطبعة الأولى منه نادرة جدا ، والطبعتين اللتين صدرتا منه بعد ذلك مليئتان بالأخطاء المطبعية ، حتى انك تجد الجزء من اجزائها وقد الحقت به قائمة لتصحيح الأخطاء تستغرق نحو ثلاث عشرة صفحة او اكثر .

٢ — وضع الترقيم الكافى فى هذه الطبعة المقترحة ، لتمييز كلام الأستاذ الامام من كلام السيد رشيد ، على قدر الامكان .

٣ — ضبط الكلمات الغريبة فى التفسير بالشكل ، وتوضيحها بالشرح المختصر ، لأن الطبعات السابقة لم يشكل فيها الا نص الآيات عند ذكرها لأول مرة ، وفيها مفردات غريبة تركت بلا ايضاح .

٤ — التعليق على ما يحتاج الى تعليق من التفسير .

٥ — الحاق الاستدراكات والتصويبات التى ذكرها رشيد فى اواخر الأجزاء بأماكنها المتعلقة بها داخل كل جزء .

٦ ــ استنهاض همم المتخصصين فى التفسير الى اكمال تفسير القرآن الكريم ، على الخطـة التى سار عليها الأستاذ الامام والسيد رشيد رضـا ، ومن حيث انتهيا ، فان ذلك أجدى على المسلمين من عودة كل كاتب فى التفسير الى فاتحـة المصحف والبدء منها فى التفسير .

٧ ــ استنهاض همة بعض المتخصصين فى التفسير لاكمال ما شرع فيه رشيد من كتابة « تفسير مختصر مفيد » يستخلص من تفسير المنار الكبير .

لقد وجدنا من يخلف الشيخ محمد عبده فى شخص السيـد محمد رشيد رضا ، فهل نجد من يخلف السيد رشيد رضا ؟ .

---

(١) تفسير المنار ، ج ١ ص ١٢١ .

(٢) تفسير المنار ، ج ١ ص ٢٧٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٥٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٦١ و ٤٦٢ .

(٦) تفسير المنار ، ج ١ ص ٤٨٤ .

(٧) تفسير المنار ، ج ١ ص ٤٦٧ .

(٨) تفسير المنار ، ج ٢ ص ٣ .

(٩) تفسير المنار ، ج ١ ص ٢٧٤ .

(١٠) انظر تفسير المنار ، ج ١ ص ٢٦٨ و ٢٦٩ .

(١١) تفسير المنار ، ج ١ ص ٢٥٣ .

(١٢) ذكر الأستاذ الامام فى تفسير « جزء عم » أن داء الجدرى والحصبة فشا فى الجيش المهاجم للكعبة ، فكان سبب ذلك الهلاك ، كما ذكر أن الطير الأبابيل قد تكون من جنس البعوض والذباب الذى يحمل جراثيم الإمراض ، (انظر ص ١٢٠) .

(١٣) تفسير المنار ، ج ١ ص ٣١٢ .

(١٤) تفسير المنار ــ ج ٨ ص ٤٩٩ وقد بدأ رشيد فى كتابةهذا الجزء فى رمضان سنة ١٣٣٨ هـ

(١٥) المرجع السابق ص ٥٣٢ .

(١٦) تفسير المنار ــ ج ١٢ ص ١٢٠ وقد بدأ رشـيد فى تفسـير هـذا الجزء سـنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤) م .

(١٧) تفسير المنار ، ج ١ ص ١٦ .

(١٨) تفسير المنار ، ج ١ ص ٧٦ .

(١٩) تفسير المنار ، ج ١٠ ص ١٧٤ .

(٢٠) تفسير المنار ، ج ٣ ص ٢٨ .

(٢١) المنار ، المجلد ٢٠ ص ١٠٨ .

(٢٢) تفسير المنار ، ج ٥ ص ٤٧٦ وانظر مثل هذا فى ج ٤ ص ٤٨١ .

(٢٣) تفسير المنار ، ج ٧ ص ٩٤ .

(٢٤) انظر تفسير المنار ، ج ١ ص ٧٢ .

(٢٥) هى قوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منهـا زوجها ....» فى أول سورة النساء .

(٢٦) المنار ، المجلد ١٣ ص ٣١ .



سعادة الشيخ سعد العبد الله السالم وزير الداخلية والدفاع وكبار ضباط الجيش يؤدون الصلاة على روح الشهيد النقيب على احمد النصار الذى استشهد يوم الجمعة ٢٦/٦/١٩٧٠ وهو يؤدى واجبه دفاعا عن الارض والكرامة العربية على جبهة قناة السويس .

أسماء الشهداء

النقيب على احمد النصار
الرقيب على محمد سلطان
العريف فرحان حمود الرشيدى
نصار نادر الرشيدى
وكيل العريف مسلط محمد المطيرى
سعيد سعد الرشيدى
سعود براك العتيبى
مفرح دخيل العنزى
عشرى فرحان العنزى
خنفور حمود الرشيدى
نايف حمود الشمرى
مقعد حبيليص العتيبى
مطر عبد الرحمن منشد العتيبى
مسعود عويض الحربى
رزيق زيدان الرشيدى
محمد فارس العجمى
محمد مطلق العتيبى

موكب

* هؤلاء الذين سبقوا الى الرفيق الاعلى فى روضات الجنات طليعة المجاهدين الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم فى الكويت ، وحملوا السلاح ووقفوا صفا بجانب اخوانهم المقاتلين فى دار الاسلام على ضفة القناة يقاتلون رعاع الارض الذين اعتدوا اليوم على المسلمين كما اعتدى آباؤهم من قبل على النبيين والمرسلين ..

* هؤلاء الطليعة الذين استشهدوا من أبناء لواء اليرموك الكويتى فى معارك الصهيونية الباغية — غصن مورق فى شجرة باسقة ، متعددة الاغصان ، ممتدة الجذور طالما رويت بالدماء الزكية لاصحاب العقيدة الذين نذروا انفسهم لله وعرفتهم ميادين الموت



سمو الشيخ جابر الاحمد ، ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء وأصحاب السعادة الشيوخ والوزراء وكبار الشخصيات يؤدون الصــــلاة على أرواح الشهداء الذين جادوا بأرواحهم دفاعا عن الحق العربى على جبهة القتال فى السويس ..

الشـــــهَداء

وساحات الوغى أبطالا يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون .

* سل عنهم العدوة الدنيا والعدوة القصوى فى بدر ، وسفوح الجبال فى أحد ، والبطاح المنبسطة فى حنين والتلال المتراكمة فى حطين ، والدروب والمنعرجات فى فلسطين .. سل عنهم شمال افريقيا ومضــــايق الاندلس وسهول الصين ، ووديان السند واحراش الهند .. وأسوار القسطنطينية .. بنوا على أجسادهم تاريخ دينهم ، وسجلوا بدمائهم حرية أمتهم .

وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق

* ان الشهادة فى ميزان العقيدة منزلة يســـــارع اليها ، ويهنأ بها ، وليست مصيبة يجزع منها أو يساق فيها العزاء .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — لما أصيب اخوانكم جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها ، وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ عنا اخواننا اننا أحياء فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب ؟ فقـــال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم قال : فأنزل الله عز وجل (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضــــله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

التوازن والتركيب

في منهجية الفكر الإسلامي

للأستاذ : رمضان لاوند

ثلاثة مناهج فكرية ظهرت فى غربى المتوسط وشرقيه ابتداء من العصور اليونانية القديمة حتى اليوم :

١ — منهج يعتمد على العمليات العقلية النظرية التى تنضبط بعلم المنطق الارسطى .

٢ — منهج يعتمد على البحث العلمى ، وينضبط بالأبعاد المادية لأشياء المعرفة باعتباره أداة المعرفة الوحيدة .

٣ — منهج يعتمد على كل من العمليات العقلية النظرية والمادية الموضوعية وارادة الابداع والوعى الوجدانى معا فى جملة واحدة وبأقدار متوازنة موزونة .

المنهج الأول جاء به اليونان القدماء ، والمنهج الثانى جاء به الغرب المعاصر منذ عصر النهضة ، أما المنهج الثالث فهو المنهج الاسلامى .

فى ضوء هذا التصنيف نواجه تراث المعرفة الانسانية فى حوض البحر

الأبيض المتوسط ، وفيما يلى نقرر الوقائع والملاحظات النابعة من هذا التصنيف بالذات :

الفكر اليونانى القديم :

عندما أعلن طاليس الفيلسوف اليونانى الأول أن الماء أصل الوجود ، وكان ذلك فى القرن السادس قبل الميلاد ، فقد أعلن فى الحقيقة نشــوء ما يمكن أن نطلق عليه اسم (المنهج الفكرى الهندسى) .
والملاحظ أن كل الفلاسفة الطبيعيين الذين جاؤوا بعد طاليس أو عاصروه قد صدروا فى نظرياتهم التى عللوا بها أصل الوجود عن هذا (المنهج الفكــرى الهندسى) نفسـه ، فأعلنوا على التعاقب أن الهواء أو العناصر الاربعة أو النــار هى أصل الوجود .

والظاهرة نفسها قد تكررت حين جاء من يمكن أن نطلق عليهم اسم (فلاسفة الوجود) فقد أصروا جميعا على اعتبار الوجود أصلا للموجودات كلها بالرغــم من ظاهرة التجريد التى تميزت بها فلسفاتهم .
والقول هو نفسه عند كل طبقات الفلاســفة والمفكرين اليونان بمـا فيهم أرسطو نفسه الذى كانت مهمته جمع طرائق التفكير التى وقع عليها فى التراث اليونانى السابق وأساليب المناقشة ، واطلاق اسم (علم المنطق) عليها .
وقد اعتبر أرسطو واضع علم المنطق تجوزا مع العلم أنه قد أوتى موهبــة الجمع والتنسيق ، وليس بالقليل أن يؤتى المرء مثل هذه الموهبة .
وعندما نعلم أن علم المنطق (الأداة المنظمة للعمليات العقلية) هو العلــم الذى يعتبر الوجود كله ــ بما فيه الانســـــان نفسه ــ مجموعة من العلاقــات المنطقية ، نستبين من ثم مدى اغفــال هذا العلم لكثير من العــلاقات والحقائق الكونية والانسانية الأخرى .

وقد يكون من المفيــد هنا أن نستشـــــهد برأى مفكر غربى كبير ينقد الفــكر الأرسطى ، ويعطينا صورة واضحة عنه ، يقول ويل ديــورانت فى ص ١٢٠ من كتابه (قصة الفلسفة) فى الترجمة العربية للدكتور فتح الله محمد المشعشع :

« وهذا يجعله (أى أرسطو) يطوف فى كل علــم ويورطه فى مقدمــات واسعة ، وهنا يكمن عيب اليونــــان الكبير الذى كان يعــوزه النظام والتحديد والتقاليد الثابتة ، فقد جال بحريــة فى ميدان غيــر محدود ، وجرى طوعا الى النظريات والاستنتاجات ، وبذلك حلقت الفلسفة اليونانية ، وتقفزت فوق مرتفعات لا يمكن بلوغها مرة ثانية بينما تخلف العلم اليونانى وراءها الخ » .

هنا يتهم الناقد الاميركى فكر أرسطو ومنطقه بوضع مقدمات خيالية نابعــة من افتراضات قد تشكل فى النهاية فكرا متناغم الاجزاء ، ولكنه لا يمثل الواقع ، فالانسان عند أرسطو ظاهرة منطقية متناغمة ، ولكنها ليست الانسان الواقعى الذى يفكر وينفعل ويريد ويوجد ما يشاء ويعدم ما يشاء ، وبالتالى الانســـان المركب من عناصر متباينة ومتداخلة ومتوازنة فى الوقت نفسه ، أن ويل ديورانت يتهم فكر أرسطو بالخيالية والافتراضات التى لا علاقة لها بالواقعية العلمية .
كل الفلاسفة والمفكرين اليونانيين كانوا ينطلقون من منهج واحد هو منهج

التفكير الهندسي البسيط وهو تفكير يتناقض تناقضا تاما مع بنية الطبيعة والكون وبصورة خاصة مع بنية الكائنات الحية ، وفى مقدمتها الانسان نفسه .

الفكر الغربى الحديث :

ولو انتقلنا الى الفكر الغربى الحديث لوجدنا ظاهرة جديدة من حيث الشكل ولكنها قديمة من حيث المضمون والمحتوى هذا الفكر يجد فى الوقائع المادية وأبعادها مصدرا وحيدا للمعرفة ، ومنهجا وحيدا لفهم الكون والطبيعة والانسان وبذلك يكون الانسان الذى هو الموضوع الرئيسى الذى يواجهنا باستمرار ، مجموعة من العلامات المادية المحضة .

فاذا كان الانسان الارسطى مجموعة من الافتراضات العقلية الخيالية النظرية للسبب الذى ذكره ويل ديورانت فان الانسان المفكر العلمى الحديث هو مجموعة من العلامات المادية والقوانين الفيزيائية والكيميائية ، ولما كانت القوانين التى تكشف عن طبيعة هذه العلاقات علامة على وجود منهج هندسى يبسط الأشياء والوقائع الانسانية تبسيطا يخرج بها عن طبيعتها التوازنية ، فان من الطبيعى جدا أن نقول : ان الفكر الغربى الحديث بموضوعيته المادية هو ظاهرة جديدة مخالفة عن الفكر اليونانى المنطقى فى الشكل ، ولكنها مشابهة له من حيث المضمون باعتبار أن الانسان فى نظرهما هو مجموعة من العلاقات المادية الثابتة .

أما الفلسفات العقلية النظرية عند الغربيين بعد النهضة ، والتى خالفت الفكر المادى الموضوعى فهى لم تخرج عن كونها استمرارا للعقلية الارسطية القديمة التى تجعل من لعبة الفكر المنطقى ، والمهارات العقلية المتمثلة فيها ، ميزانا لحقائقها ووقائعها المختلفة ، واتهام هذه الفلسفات بالمثالية البرجوازية من قبل الماديين لا يغير شيئا من الحقيقة التى قررناها مع العلم أن بعض هذه الفلسفات قد نادى بنظريات ثنائية اعترفت بحقيقتى المادة والروح ، واعتبرتهما متساويتين فى تمثيل الوجود ولا سيما الوجود الانسانى .

المهم أن المنهج الفكرى عند العقليين على اختلاف مدارسهم ، والماديين العلميين على اختلاف نظراتهم ، قد جعل من الكون والطبيعة والحياة حقائق عقلية نظرية أو علمية مادية وحسب .

الفشل :

من هنا مصدر العجز المفلس الذى اتصف به الفكر اليونانى الارسطى حين ظهرت المدارس اليونانية المتأخرة والتى رفضت فلسفة ما وراء الطبيعة لتصبح مدارس سلوكية أخلاقية عملية ، من مثل المدارس الرواقية والكلبية وغيرهما ، وما هنا أيضا مصدر الفشل الذى يسجله الفكر الغربى الحديث فى استيعاب الحقيقة الانسانية ، وتعيين أبعادها ، ووضع الحلول المناسبة لها ، والسيطرة على الأزمات الاجتماعية والأخلاقية والنفسية التى تعصف بمجتمعات الغرب اليوم .

واذا كان العقل المعاصر ما يزال متمسكا بمنهجه الفكرى المادى فى مواجهة

قضايا الانسان والكون فلأن هذا المنهج يتميز بالبساطة والسهولة تماما ، كما بقى العقل اليونانى القديم متمسكا بمنطق أرسطو النظرى فى مواجهة قضايا الانسان والكون ، ذلك أن منطق أرسطو النظرى سلاح سهل يصلح لتأييد كل وجهات النظر ، وكل المواقف الفكرية المتناقضة .

فلو صح أن المنهج المادى هو المنهج الصحيح لمعرفة الكون والانسان ، لوجب أن تكون الفلسفة النابعة منه فلسفة وحيدة ، ولو صح أن المنهج المنطقى الأرسطى هو المنهج السليم لمعرفة الكون والانسان لوجب أن تكون الفلسفة النابعة منه فلسفة وحيدة أيضا .

وكما تمزق الفكر الحديث شيعا وفرقا مختلفة بسبب العجز فى منهجه ، فقد تمزق الفكر اليونانى بعد أرسطو وقبل أرسطو بسبب العجز فى منهجه أيضا .

لقد فشل هذا الفكر وذاك لأنهما يصران على تبسيط ظاهرتى الكون والانسان تبسيطا ساذجا يخرج بهما عن حقيقتهما الأصيلة .

الوهم الكبير :

اما القول بأن البناء العقلى المنطقى النظرى قد نجح فى تقرير الحقائق كلها فهو وهم كبير ، لأن التناغم والانسجام فى القضية العقلية المنطقية لا يعنى انهما يمثلان الحقيقة ، فهما بالتالى يمثلان افتراضا نظريا متكاملا ، ولكنه فاقد لواقعية الحقيقة الحية ، وكذلك الشأن بالنسبة لبناء المعرفة العلمية المادية ، فقد نجح هذا البناء فى تحقيق أعظم المنجزات التكنولوجية ، ولكن المنجزات التكنولوجية شىء ، والحقائق الانسانية شىء آخر ، وليس ادل على ذلك من أن العلم الذى بلغ بتطبيقاته التكنولوجية مرحلة غزو الفضاء وتفجير الذرة ، هو نفسه الذى ما يزال عاجزا عن الاجابة على ابسط التساؤلات المتصلة بتوضيح العلاقة بين الدماغ والعقل ، أو العلاقة بين الارادة والعقل ، أو العلاقة بين الحياة والموت ، أو العلاقة بين الحياة والخلية ، عشرات من الأسئلة الاساسية والأولية يقف العلم امامها عاجزا ، لأن قضاياها ليست فى متناول البحث العلمى .

ومع ذلك فالفكر العلمى مصر على تجاهل عجزه معتمد على منجزات المادية التى تساعده على التشويش على مخالفيه ، كما كان الفكر المنطقى القديم مصرا على تجاهل عجزه معتمدا على مهارته فى تأليف القضايا المنطقية التى يحاول أن يبهر بها مخالفيه ويشوش عليهم .

نقلة الى الاسلام :

وبعد ، فانه يجدر بنا وقد ادركنا جوانب العجز فى المنهجين الغربى الحديث واليونانى القديم ، أن نلقى نظرة على منهج الفكر القرآنى فى الاسلام .

المسلمون يعلنون أن القرآن الكريم قد طرح منهجا سليما يضع الكون والطبيعة والانسان فى صميم الصورة الحقيقية للخلق .

والمسلمون يقولون بعد تتبعهم لجوانب الشخصية القرآنية : ان منهجية الفكر الاسلامى ذات طابع توازنى تركيبى ، فهى ترفض التبسيط الساذج فى الرؤية الفكرية لكل من اليونان القدماء والغربيين المعاصرين ، وهى تقرر أن الحفاظ على التوازن الدقيق بين عناصر المنهجية المركبة هو وحده الذى يحقق الرؤية الانسانية السليمة للانسان والطبيعة والكون .

نظرية التوازن :

جاء فى الآية ١٩ من سورة الحجر قوله تعالى : « والأرض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل شىء موزون » وفى الآية ٢١ من السورة نفسها جاء قوله تعالى « وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم » .

النباتات الموزونة والتنزيل الذى يتحقق بقدر معلوم ، تقرر حقيقة واقعة هى استمرارية الأشياء منذ بدء الخلق حتى اليوم المرأة والرجل ، النبات والحيوان والانسان ، النسب القائمة بين هذه وتلك وأولئك ، ثم الأكوان كلها ، النظام الفلكى ونظام بناء الذرة ، كل هذا مستمر متكرر بأقدار معلومة وباعداد موزونة ، العلاقة بين الخلية والخلية فى العضو الواحد ، والعلاقة بين العضو الواحد وبقية الأعضاء فى الجسد الواحد ، وكذلك الشأن فى العلاقة بين الأجهزة الداخلية فى الجسم ، ومن وراء ذلك كله تلك الأخلاط التى تنتشر فى الجسد الحى ، والتى ما تزال فى سلوكها التوازنى ظاهرة معجزة أمام الأبحاث العلمية الحديثة .

يبقى أن نشير الى العلاقة الخفية بين الجسد والملكات النفسية المختلفة ، العقل والارادة والانفعال أو العاطفة ، وهى علاقة تتحقق بها ظاهرة أخرى من ظاهرات التوازن المدهش العجيب .

فهل بعد هذا كله من يتنكر لظاهرة التوازن ؟ وهل هناك من يستطيع أن يفسر استمرارها ، وأن يجد القانون العلمى الذى يستطيع بوسائل الأبحاث المخبرية أن يصفه ويتعرف الى أسراره ؟

التوازن حقيقة يعترف بها كل العلماء ، ويشهد آثارها كل المفكرين ، ويشعر بفعلها الأساسى فى تحقيق الاستمرار للوجود كل صاحب عقل .

وعندما نقول (توازن) فنحن بالتالى نرفض أية منهجية فى البحث لا تنطلق من النظرة التوازنية ، فالعقل لا يستقل بوجود الانسان ، وكذلك الارادة أو العاطفة ، لكن العلاقة التوازنية بين هذه الملكات النفسية المختلفة هى التى تتمثل بها ظاهرة الوحدة فى السلوك الانسانى ، ولما لم تكن الوحدة التى يحققها التجانس المتوازن بين العناصر المتعددة ، موقوفة على مخلوق معين ، فقد وجب أن نواجه ظاهرة الوحدة هذه متمثلة فى الكون كله ، وحقيقة مسلمة فى كل ميدان وعلى كل مستوى من المستويات .

ولما كان بحثنا متصلا بكل ظاهرات الوجود ، فقد وجب أن نتعرف الى كل عنصر من العناصر التى تتحقق بها وحدة الموجودات وظاهرة تجانسها ، فما هى هذه العناصر أو القوى المختلفة التى تتحقق بها رؤية متكاملة للكون والانسان .

لننظر فيما جاء من وحى الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم ، ذلك أن مرتكز بحثنا هنا هو التعاليم القرآنية وحسب .

الارادة :

لا أحد يشك فى أن الارادة المبدعة التى تقرر حرية الانســـان فى الحركة والسلوك والتصرف هى حقيقة انسانية واقعة ، ولكن الارادة التى هى الابداع الحرفى تحققه الانسانى لا تستطيع أن تفسر لنـــا كل ظاهرات الخلـــق ومجالى وجوده ، فهل نستطيع عن طريق القرآن الكريم أن نجد لهـــذه الارادة دوراً فى ميدان غير ميدان النشاط الانسانى ، وعلى مستوى يتجاوز قدراته العملية ؟

ان لنا فى القرآن الكريم ما يساعدنا على تحقيق هذا الدور والتعرف اليـــه لنقرأ الآية ٢٦٠ من سورة البقرة ، قال تعالى : (واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهم جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم) وها هى آية أخرى نقرأها فى سورة آل عمران الآية ٥٩ قال تعالى : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون »

فى هاتين الآيتين ما يكشف عن نوع من أنواع العلاقة بين الخلق وخالـــق الخلق ، فاذا سأل ابراهيم ربه أن يريه كيف يحيى الموتى كان الجواب هو التجربة العملية التى تكشف عن طبيعة العلاقة بين الخالق والمخلوق ، هذه العلاقة متمثلة فى الارادة الالهية ، واذن فالله سبحانه وتعـــالى يقرر أن العلاقـــة المنطقية ، والعلاقة السببية المادية لا تستطيعان أن تفسرا الكيفية التى تم بها الخلق ، فهما اذا لا تصلحان للاجابة عن سؤال ابراهيم الخليل أبدا .

والشىء الذى يدعو الى الدهشة أن أصحاب هذين المنهجين عاجزون عن تجاهل دور الارادة المبدعة فى تحققها الانســـــانى ، ومع ذلك فهم يتنـــكرون لها بمحاولاتهم المستمرة فى الزعم بأنها خاضعة لقوانين ماديـــة يجهلها العلم حتى اليوم ، ويصرون فى الوقت نفسه على التمسك بها حتى لا يقعوا فى التناقض فتبطل المنهجية العلمية المادية التى يتعلقون بها ويتنكرون لما سواها .

ويزيد فى عجبنا أن الكثيرين منهم ينادون بحرية الارادة فى عملها الابداعى ، ثم يرفضون المناداة بها حين يواجهون قضية أصل الكون ومصدر وجوده .

والفرق الظاهر بين ارادة الله للكون كله ، وارادة الانسان فى خلق أعماله هو الفرق بين حجم المخلوق لكل من الله والانسان ، ثم طبيعة العلاقة بينهما ، فالانسان هو جزء من الكون الذى خلقه الله ، واذن فان ارادته مرتبطة بعناصر وقوى وقوانين يخضع لها هذا الكون كله ، أما الله سبحانه وتعالى فهو فوق هذا الكون ومن ورائه ، واذن فان ارادته غير مرتبطة بأى عنصر أو قوة أو قانون فهى ارادة مطلقة ، واذا لم نسلم بصفة الاطلاق فى ارادة الله فنحن متناقضون مـــع عنصر آخر يلعب دوراً خطيراً فى حياتنا هو العقل .

العقـــل :

لا أحد يتردد فى أن العقل ظاهرة نفسية مسلمة ، وانه الميزة التى يتميز بها الانسان من الحيوان والنبات فبالعقل ندرك قوانين الأشياء ، والعلاقة الثابتـــة التى تربط أحدها بالآخر ، والعقل كما يبدو لنا ملكة ســـلبية ، انه أداة الـــوعى

والادراك ، ولكنه لا يملك طاقة الفعـــل وارادة التصرف ، فالفعل والتصرف من خصائص الارادة الانسانية .

العقل نفسه مضطر للاعتراف بوجود علاقة خاصة بين الكون وخالق الكون، لانه بما يملكه من الأدوات التى هى الحواس الخمس لا يستطيع أن يتجاوز الابعاد المحسوسة للكون ، وهو فى الوقت نفسه مضطر للتسليم بوجود علاقة على نحو من الأنحاء بين الموجود والارادة المبدعة له ، هو يسلم بها على المستوى الانسانى فلا يعترف بانتقال الشىء من السكون الى الحركة ما لم تكن هناك ارادة انسانية مباشرة أو غير مباشرة من وراء هذه النقلة ، فاذا كان استمرار الكون بتوازنه وتكرره ودوراته التى هى ظاهرة خلق مستمر غير كاف للتدليل على وجود ارادة من ورائه فان من المكابرة البالغة أن يرفض العقل دور الارادة الالهية فى تحقيق عملية الخلق المستمر .

اذن فما هو دور العقل فى الاسلام بعد التسليم بوجود منطق الارادة مـــن ورائه ؟

تعالوا بنا الى القرآن الكريم نسأله عن دور هذا العقل فى الحياة الانسانية لنقرا فى الآية ٤٦ من سورة الحج قوله تعالى : « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بهـــا فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

واذن فان مهمة العقل بعد التســــليم العقلى بدور الارادة المبـــدعة على مستوى الانسان وعلى مستوى الاله الخالق مع تبين الفرق بين المستويين كمـــا شرحناه قبل قليل ، هى مهمة اســـتكشافية : « ســـنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم » أى هى عملية وعى بحث كما قلنا من قبل أيضا ، وعملية الوعى العقلى تستنير بظاهرة الاستمرار فى العلاقات بين الأشياء والتى يعبر عنها اليوم بكلمة قوانين ، وهنا يأتى دور العلم المادى بالتعاون مع العقل ، ان دوره هو البحث عن هذه القوانين وحسن الاستفادة منها فى صنع تشكيلات مختلفة انطلاقا من ارادة الابداع .

ان مهمة العلم ليست تفسير الوجود العام بالمنهج الموضوعى المادى ، بل هى الكشف عن قوانين هذا الوجود ، وحسن استغلالها والافادة منها .

والخطأ الذى يرتكبه العلم المادى هو فى طموحه الى تفسير كل ظاهرة حتى ظاهرة الوجود الكونى بالقوانين التى يهتدى اليها بواسطة العقل اولا والأدوات التكتيكية التى اعتمدها العقل وجعلها وسيلة لتسريع الفائدة .

والسؤال الذى يرد الآن هـــو : هل فى وســــع العقل أن يتجاهل منطق العاطفة وظاهرة الانفعالات والاحساس الوجدانى العميق ؟ طبعا لا ، ذلك أن هناك قطاعا نفسيا خاصا تتحقق به رؤى معينة نسميها رؤى فنية أو وجدانيـــة يكون فيها للذوق وللقيم الجمالية والأخلاقية دور خاص .

وكما كان كل من العقل والارادة ظاهرة تقليدية وكان لكل منهما دور ايجابى فى تشكيل التراث الانسانى ، فان للعاطفة الروحية وما يتفرع عنها من الانفعالات والاحاسيس الوجدانية دورها الايجابى فى تشكيل هذا التراث ، فلنبحث عن هذه العاطفة فى القرآن الكريم .

العاطفة :

روح التدين عاطفة ، الحب عاطفة ، البغض عاطفة ، التعلق بالقيم الجمالية عاطفة ، ولو شئنا الانتشار على ظاهرات العاطفة لوجدنا ما لا سبيل الى حصره .

والعاطفة ملكة نعين بها موقفنا الوجدانى من المعانى الجمالية والخلقية ، فهى اذن ذات دور انسانى تماما ، كما هو دور كل من العقل والارادة ، لننظر فى تراث التصوف الانسانى ، وما يتصل به من القيم الأخلاقيـة والذوقية ، ولنتأمل فى النتاج الفنى وما يرتبط به من القيم الجمالية ، أو ليست هذه وتلك جانبين من جوانب التراث الانسانى فى مسيرته الحضارية ؟

ولعلنا فى غير حاجة الى الاستدلال على وجود هذه العاطفة بجانبيها الأخلاقى والجمالى فى القرآن الكريم ، فالآيات القرآنية حافلة بهذه المعانى التى تحض على تربية الذوق ، وقيم المحبة والتعاون والتضحية والفداء والتقوى التى هى فى حقيقتها اتصال وجدانى بالذات الالهيـة التى هى المثل لظاهرة القيم والمعانى الجمالية فى منطق العصر .

حتى البناء القرآنى نفسه هو بناء فنى توفرت له كل عناصر الجمال التعبيرى المعجز بالاضافة الى الرؤية الفكرية الواضحة أو لم يتحد القرآن الكريم من خاصم تعاليمه ان يأتوا بعشر سور أو بسورة من مثله ؟ او لم يعلن بهذا التحدى جمالياته الفنية ؟

لنقرأ فى الآية : (١١٢) من سورة التوبة قوله تعالى : « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين » .

أوليست هذه الصفات التى يتصف بها المؤمنون تعبيرا عن شفافية الوجدان الروحى والحس الذوقى عندهم ؟

أفلا يرى قارىء هذه الآية الكريمة تلك الصورة الرائعة للانسان المتدين الذى يقلب وجهه فى السماء ، ويحقق السمو فى ذات نفسه بحيث يرتفع عن كل معنى من معانى القلق المدمر والحيرة المضيعة ؟!

اين المنهجية المركبة ؟ :

فى ضوء الحقائق والملاحظات التى سجلناها فى هذه المقالة نستطيع أن نقول : إن نظرية المعرفة فى القرآن الكريم لا تقف عند الرؤية العقلية المنطقية أو المادية بخاصة ، كما لا تقف عند ارادة الابداع ، ولا تقتصر على تربية الذوق أو الحس الوجدانى وحسب ، بل هى معرفة تنادى بنظرية التوازن بين القوى المختلفة ، هذه القوى تتلاقى وتتداخل ، ويكمل بعضها البعض الآخر من أجل تكوين الرؤية المتكاملة فى التعليم القرآنى الكريم .

فنحن نؤمن بالله فى ضوء الايمان بارادة الخلق الالهية ، ونحن نستدل على وجود هذه الارادة بالمنطق العقلى ، ونفيد من استمرارية القوانين الالهية بالمنهج العلمى المادى ونربى ذوقنا الفنى ، وقيمنا الأخلاقية بمعاناة التقوى ، وترقيق العواطف .

انه المنهج الالهى التركيبى الذى يقرر ظاهرة التوازن فى الخلق على كل المستويات ، فيجمع بين تكوين الذرة ، وتكوين المجرات ، انه قول الله « ومن احسن من الله قيلا ؟ » صدق الله العظيم .

مائدة القارئ

« يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الـذين يلونكم من الكفـار وليجدوا فيـكم غلظـة واعلموا أن الله مع المتقين » .

صدق الله العظيم

حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم ، واذا خلفه فى أهلـه فخانه قيل له يوم القيامة هـذا خانك فى أهلك ، فخذ من حسناته ما شئت فما ظنكم ؟ .

حديث شريف

دعـاء

ضاقت نفس المريد يوما بالشدائد التى تموج بها الحياة ، فقال لشيخه – علمنى كلمات أتجه بهن الى اللـه فى أعقـاب الصلوات الخمس ، فقال له – سل الله أن يعصمك من صغر النفس الذى تضخم له الأجسـام ، ومن ضيق العقل الـذى تتسع لـه البطون ، ومن قصر الأمل الـذى تمتد له أسباب الغرور .

لعاب المنية

كان أبو حيـة النميرى مـن أجبن الناس وأكذبهم ، وكـان له سيف يسميه (لعبة المنية) ليس بينـه وبين الخشبة فرق .

وحدث أن كلبا دخل بيته ليـلا ، فظنه لصا ، فانتضى سيفه ، ووقف فى وسط داره يهدد ويتوعد ويقـول : – أيها المغتر بنا ، المجترىء علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك خيـر قليل وسيف صقيل ، ولعاب المنيـة الذى سمعت به ، مشهورة ضربتـه ، لا تخاف نبوته . اخرج بالعفو عنـك قبل أن ادخل بالعقوبة عليك . وبينما هو يرغد ويزبد اذا الكلب قد خرج ، فقال – الحمد لله الـذى مسخـك كلبا ، وكفانى حربا .

قراقـوش

كلمة تركية ، ومعناها (العقـاب أو النسر الأسود) وسمى به بهـاء الدين أبو سعيد ، ونشأ فى خدمـة صلاح الدين الأيوبى ، وخاض معـه معارك ، ولى عكا بعد أن أخذها صلاح الدين من الافرنج ، توفى بالقاهـرة ، وينسب اليه العامة أحكاما تعسفيـة هى محل شك لأنه كان موضع ثقة البطل صلاح الدين .

جمـرك

كلمة تركية بمعنى ديوان ، وادارة الجمارك عملها مراقبة الصـادرات والواردات وتحصيل الرسوم المقررة عليها فضلا عن مراقبة المسـافرين والقادمين ، وتيسير دخولهم وخروجهم من الدولة والنظـام الجمركى قـديم يرجع عهده الى اليونان والرومان ، وتعتبر الرسوم الجمركية مصدرا مـن مصادر ايرادات الدولة فضلا عن انها وسيلـة لحماية الانتاج المحلى .

اعداد : أبو نزار

الفيتــو

اصطلاح لاتينى بمعنى (انا امنع) وهو حق فرد او هيئة فى وقف نفاذ قانون صادر من هيئة صاحبة حق فى اصدار هــذا القانون .

وقد نشأ فى العصر الرومانى الأول فى وقف نفاذ القوانين التى يصدرهــا مجلس الشيوخ الرومانى .

واشتهر الفيتــو فى العصر الحديث وهو حق مقرر للدول الكبرى الأربع ــ (الولايات المتحدة ، روسيا ، بريطانيا وفرنسا) ــ فى أن تعطل أى قرار تصدره هيئة الأمــم المتحدة أو احد مجالسها ، وقد استخدم هــذا الحق مرات فى وقف قرارات مجلس الأمن .

ســـام ٣

قال اعرابى لآخر ــ خرجت مرة على فرس لى ، فاذا بظلمة شديــدة فيممتها حتى وصلت اليها ، فاذا قطعة من الليل لم تنتبه ، فما زلت احمل بفرسى عليها حتى انبهتهـــا فانجابت .

فقال الآخر ــ لقد رميت ظبيا بسهم ، فعدل الظبى يمنــة ، فعدل الســهم خلفـــه فتياسر الظبى ، فتيــاسر الســهم خلفــه ، ثم علا ، فعلا السهم خلفــه ، وانحدر فانحدر خلفه حتى اصابــه !!

ضرتـــان

تزوج رجل امراة جديدة على اخرى قديمة ، فكانت جارية الجديدة تمر عــلى جارية القديمة فتقول :

وما يستوى الرجـــلان ــ رجل صحيحة

وأخرى رمى فيها الزمــان فشــلت .

ثم تعود فتقول :

وما يستوى الثوبان ثوب بـــه البلــى

وثــوب بايــدى البائعين جديـــد .

فمرت جاريت القديمة على باب الجــديدة يوما ، وقالت :

نقل فؤادك ما استطعت من الهـــوى

مـــا الحـــب الا للحـــبيب الاول

كم منــزل فى الارض يالفـــه الفتــى

وحنينـــه ابــدا لاول منـــزل

ثقافــة الامــام الشافعى

روى الفخر الرازى ان الرشيد ســـال الشافعى ــ هل تعرف الطب ؟ فقال :

اعرف ما قالت الــروم مثل ارسطاليس ، وسقراط ، وجالينوس ، وفور فوريوف ، بلغاتها وما نقله اطبــاء العرب ، وفننته فلاسفة الهند وتمقته فقهاء الفرس .

● ● ●

تعليق وتعقيب

حول مقال

الأحكام الاسلاميَّة بين الدوام والتغيّر

المقال نشر فى مجلة العربى ، وهو للاستاذ زكريا البرى رئيس قسم الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الكويت ، والتعليق بعث به الينا الدكتور سليمان دنيا أستاذ الدراسات العربية والاسلامية بجامعة أم درمان ، والتعقيب لصاحب المقال .

والذى أقحم « الوعى » فى الموضوع مع أن المقال لم ينشر فيه : أهمية موضوع البحث وخطره وحيويته وتقدير الدوافع العلمية التى أملت التعليق على صاحبه ، وصلة صاحب التعقيب بالمجلة ، فهو أحد كتابها الأعلام .

ولما كان من حق المجلة — كما يقضى بذلك العرف الصحفى — التصرف من حيث الشكل فيما ينشر فيها ، فقد استندنا الى هذا الحق فى تعديل أو حذف بعض الكلمات والعبارات التى نجمت عن حدة النقاش .

وبعد نشر التعليق والتعقيب نعتقد أن مجال البحث والتمحيص قد استوفى حظه من صفحات المجلة ، فلم يعد هناك متسع فيها بعد لتعليق أو تعقيب آخرين .

التعليق :

تحت هذا العنوان فى مجلة العربى العدد ١٣٨ الصادر فى صفر ١٣٩٠ ه كتب الاستاذ زكريا البرى رئيس قسم الشريعة والدراسات الاسلامية فى جامعة الكويت مقالا ذهب فيه الى أن الاحكام الاسلامية قسمان : قسم يتغير ، وقسم لا يتغير .

وهو يقصد بالتغير أن يكون هناك حكم اسلامى قائم فنلغيه ونهجره ، ونحل محله حكما آخر يخلفه فى أداء وظيفته يقول « والاحكام الجديدة التى تقول بها الأمة الاسلامية — ممثلة فى أصحاب الاختصاص — تكون هى الفقه الاسلامى المعاصر أما الاحكام السابقة فانها تمثل مرحلة من مراحله وجزءا من تاريخه » .

وقد وضع الاستاذ حدا فرق به بين ما سماه فقها ثابتا باقيا على مراحل التاريخ ، وما سماه فقها متغيرا يبقى مدة ثم يمضى ليحل محله غيره ، وهكذا دواليك ، وضرب للثابت والمتغير أمثلة واستشهد بكلام بعض الفقهاء .

وكل ما قال بخصوص ما أسماه فقها متغيرا غير مسلم له واليك البيان .

أما الحد الذى وضعه بين ما أسماه أحكاما متغيرة وأحكاما ثابتة فهو قوله « تساءلنا : ما الحدود الفاصلة بين الاحكام المستقرة والاحكام المتغيرة ونجيب عن سؤالنا بأن الاحكام المستقرة مأخوذة من نصوص قطعية فى ثبوتها عن الشارع وقطعية فى دلالتها على الاحكام المستفادة منها والتى تنظم علاقات ثابتة وغير متطورة . ومن أظهر الامثلة لذلك الاحكام الخاصة بنصيب الورثة فى التركة والاحكام الخاصة بالمحرمات من النساء فى الزواج أما الاحكام المتغيرة فانها تخرج عن هذا الحرم المقدس وتلك المنطقة الحرام وهى أكثر أحكام الفقه الاسلامى » .

ويتضح من هذا النص أن الاحكام المستقرة يجب أن يجتمع لها ثلاثة شروط .

الاول : أن تكون قطعية الثبوت .

الثانى : أن تكون قطعية الدلالة .

الثالث : ان تكون العلاقة التى تنظمها هذه الاحكام علاقة ثابتة غير متطورة :

ويتضح أيضا أن الاحكام المتغيرة هى التى لم يجتمع لها كل هذه الشروط الثلاثة . [كنا ننتظر بعد ذلك أن تكون الامثلة التى ذكرها تفريعا على هذه القواعد وتطبيقا لها كان يقول ان الحكم الفلانى مستقر لأنه اجتمع له قطعية النص وهو كذا وقطعية الدلالة وهى كذا ولأن العلاقة التى ينظمها هى كذا وهى ثابتةغير متغيرة وأنالحكم الفلانى متغير لأنه فقد من الشروط] ولكنا لم نجد ما كنا نتوقعه .

وقد أشار المقال اشارة موجزة الى الاحكام المستقرة لأنه لا جديد بشأنها يقال أما الاحكام المتغيرة فقد احتفل المقال لها أيما احتفال وهى من وجهة نظر صاحبه أكثر احكام الفقه الاسلامى .

وقد عرفنا أن معنى التغير عنده أن يصبح عندنا حكم اسلامى جديد يطلب الينا العمل به وحكم آخر قديم يطلب الينا تركه باعتباره غير صالح لمتابعة السير مع قافلة الحياة وبعد مدة يصبح هذا الجديد بدوره قديما يتوقف العمل به وينضم الى سابقه ليمثلا مرحلتين من مراحل التشريع الاسلامى وطورين من أطوار تاريخه وهكذا دواليك نظل نستقبل جديدا من الاحكام ونستدبر قديما . ولكن فكرة التغير هذه تتغير فى المقال ولا تثبت على حال واحدة ، استمع اليه يقول (وكتب الفقه الاسلامى بحر زاخر بهذا النوع من الأحكام القابلة للترجيح وحسن الاختيار وليس التغيير حينئذ تغييرا فى الحكم الشرعى الاصلى وانما هو تغيير بالنسبة لتغير الرأى الاجتهادى بعد اعادة النظر وتبين ما هو أقرب الى الحق والصواب) .

والاشارة فى قوله [هذا النوع من الاحكام القابلة للترجيح وحسن الاختيار] راجعة الى ما سبق له قبل هذا الكلام مباشرة من قوله [وهى الاحكام التى أخذت من نصوص ظنية فى ثبوتها عن الشارع أو ظنية فى دلالتها على معانيها وكذلك الاحكام المستفادة من القياس مما تعددت فيه آراء

الفقهاء تعددا يتناول فى بعض الاحوال جميع الاحتمالات العقلية التى يمكن القول بها والتى عدل عنها أصحابها أو لم يتابعهم فيها تلاميذهم فى حالات كثيرة بعد أن تبين لهم رجحان غيرها] .

فهل الاحكام المتعددة للواقعة الواحدة القابلة للترجيح وحسن الاختيار تدخل فى نطاق ما أسماه المقال حكما قديما يهجر ويصبح مرحلة من مراحل الماضى وحكما جديدا يظهر ويحل محل الحكم القديم ؟ أم هذه الاحكام المتعددة التى يجد كل واحد منها وجهة نظر تؤيده وترجحه على غيره يبقى بعضها قائما الى جوار بعض يأخذ منها القاضى والمفتى ما يترجح لديه ، وقد يترجح لدى شخص ما لا يترجح لدى غيره ، وقد يترجح عند الشخص الواحد فى حال ما لا يترجح عنده فى حال أخرى وهو فى كل حال ينبغى له أن يأخذ بما يترجح له فيها كما قال سيدنا عمر لأبى موسى الاشعرى فى رسالته المشهورة (ولا يمنعنك قضاء بالأمس فراجعت فيه نفسك فبدا لك غيره ان تأخذ بما بدا لك] .

وتزداد فكرة التغير قلقا واضطرابا حين يقول : [وليس التغيير حينئذ تغييرا فى الحكم الاصلى وانما هو تغيير بالنسبة لتغير الرأى الاجتهادى بعد اعادة النظر وتبين ما هو أقرب الى الحق] .

ففى هذا المقام أين هو الحكم الشرعى الاصلى الذى يطلب المحافظة عليه من التغيير ؟ ان الذى معنا نص احتمل أكثر من رأى [مما تعددت فيه آراء الفقهاء تعددا يتناول فى بعض الحالات جميع الاحتمالات العقلية التى يمكن القول بها] .

وكما اضطربت فكرة التغير وهى بيت القصيد فى المقال اضطربت الامثلة التى أوردها تطبيقا لفكرة التغير وتفريعا عنها نذكرها واحدا اثر واحد ونبين انه لم يستقم له واحد منها يقول :

أولا : [الاحكام المستفادة من نصوص ظنية فى ثبوتها عن الشارع أو ظنية فى دلالتها على معانيها ، وكذلك الاحكام المستفادة من القياس] وتحت هذا العنوان ذكر مسألتين (١) عمر وميراث الجد (٢) عمر واشراك الاخوة الاشقاء فى نصيب الاخوة من الأم .

أما عن المسألة الاولى فيقول : [ومن ذلك أن بعض الروايات تذكر ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يرى فى أول الأمر ان الجد أب الأب يأخذ حكم الأب فيحجب الاخوة الاشقاء أو الاخوة من الأب عن الميراث فى أخيهم وان حفيده من ابنه عاصم توفى عنه وعن أخوين فاستشار على بن أبى طالب وزيد بن ثابت رضى الله عنهما — فلم يوافقاه وكان مما قاله زيد فى توضيح رأيه لو أن شجرة تشعب منها غصن ثم تشعب من ذلك الغصن خوطان ، ذلك الغصن يجمع الخوطين دون الأصل ويغذوهما . الا ترى يا أمير المؤمنين ان أحد الخوطين أقرب الى أخيه من الأصل ؟ فرجع عمر عن رأيه الاول وكان مما قاله لولا أن الرأى اجتمع على هذا ما رأيت أن يكون ابنى ولا أكون أباه ثم خطب الناس وأمضى الرأى الاخير] .

وهذه المسألة لا تلتئم مع الأصل الذى سيقت معه لأن الاصل المذكور هنا هو نصوص ظنية فى ثبوتها عن الشارع أو ظنية فى دلالتها على معانيها أو حكم يقاس عليه ، فاين من هذا قوله [ان بعض الروايات تذكر] ان هذه الروايات اذا أصر صاحب المقال على أن هذه المسألة مندرجة تحت الأصل الذى ذكرت تحته يجب أن توضح لنا النص أو القياس الذى أسند اليه الرأى الاول ثم كيفية تطويع هذا النص أو ذلك القياس حتى صار راجحا فى افادة الرأى الثانى وبدون هذا البيان تصبح المسألة مقطوعة الصلة بالأصل الذى ذكرت تحته لعل الذى أغراه بذكرها فى هذا المقام هو مجرد اشتمالها على رأيين رأى كان يأخذ به سيدنا عمر أولا ثم رأى أخذ به ثانيا ونحن نبين له ان ذلك لا يفيده فى تحقيق غرضه من أن أحد الحكمين صار قديما مهجورا والآخر صار ضرورة لا معدى لنا عنه .

لأن سيدنا عمر ربما لم يصر على الرأى الاول خشية أن يتهم لأن الرأى الاول يعطيه الحق فى الميراث والآخر يمنعه منه نعم ان سيدنا عمر فوق الاتهام ولكن سيد البشر على الاطلاق صلى الله عليه وسلم قيل له (اعدل يا محمد فانك لم تعدل) .

ولأن قول سيدنا عمر [لولا ان الرأى اجتمع على هذا .. الخ] يشعر بأنه انما عدل عن رأيه الاول نزولا عند رأى الاغلبية لا اقتناعا بالمثال الذى ذكره سيدنا زيد بن ثابت .

ولأن المثال الذى ذكره سيدنا زيد بن ثابت لا يحقق أرجحية الرأى الثانى عن الاول لأن قرب أحد الخوطين من الآخر قرب مكانى صرف وليس بأحدهما حاجة الى الآخر بل فى زوال أحدهما وقطعه

مصلحة للآخر حيث يتوفر له وحده الغذاء الذى كان يقسم عليهما أما صلة كل واحد منهما بالغصن وبالأصل فهى صلة قوية لأنه لا غنى لهما عن الاصل الذى يمدهما بالغذاء ولا عن الفرع الذى ينقل اليهما هذا الغذاء فصلة كل واحد من الخوطين بالآخر اذا قيست بصلتهما بالاصل وبالغصن ظهرت واهية ضعيفة .

وعلى فرض أن سيدنا عمر اقتنع بأرجحية الرأى الثانى على الأول فان هذا ليس يعنى الغاء الرأى الاول ومحوه من الوجود فها هى ذى كتب الفقه تذكر الرأيين معا لأن عدول المجتهد عن رأيه ليس يلزم غيره من المجتهدين بالعدول عنه .

وأما عن المسألة الثانية فيقول [ومنها ان سيدنا عمر كان يرى عدم توريث الأخوة الأشقاء وتوريث الاخوة من الأم دونهم فقال له الأخوة الاشقاء يا أمير المؤمنين هب أن أبانا كان حجرا ملقى فى اليم أليست أمنا واحده ؟ فاذا لم ينفعنا الأب فلا ينبغى أن يضرنا وما زادنا الأب الا قربا فقال سيدنا عمر صدقتم ثم قضى باشراك الأخوة الاشقاء مع الاخوة لأم فى الثلث باعتبارهم جميعا أخوة لأم] .

وهذه المسألة كسابقتها لم يبين المقال الصلة التى تربطها بالاصل الذى وضعت تحته فان قوله : [ان سيدنا عمر رضى الله عنه كان يرى عدم توريث الاخوة الاشقاء] ينقصه بيان مستند هذا الرأى ، وانى أقول له أن الرأى الاول ما زال هو الراجح وان عدل عنه سيدنا عمر لأن الاخوة الاشقاء عصبة وشأن العصبة انهم تارة يرثون وتارة لا يرثون وحين يرثون فتارة يرثون أقل من أصحاب الفروض وتارة يرثون أكثر منهم وهكذا فليس لهم ان يتذمروا اذا حرموا وليس لهم أن يحتالوا على الميراث بنقل أنفسهم من وضع الى وضع ليضيقوا على غيرهم أرأيت لو ترك الميت أخا لأم وأخا شقيقا وعما وطالب العم بأن يعتبر الأخ الشقيق أخا لأم ليشترك الاخوان فى الثلث ويتركا الثلثين للعم وعارض الأخ الشقيق وقال ـــ انا أرث بالعصوبة خمسة أسداس التركة ولو صرت أخا لأم ورثت السدس فقط فلا شك أننا سنرفض رأى العم لأنه تحايل لا مبرر له فعلى غراره يجب أن نرفض رأى الأخوة الاشقاء المحرومين من الميراث اذا طالبوا أن يعتبروا أخوة لأم لأن الأب اذا كان فى بعض الاحيان سببا للميراث الكثير فانه يكون فى بعضها سببا للحرمان منه فيجب الاعتراف به فى كلتا الحالتين أما ان نعترف به حين يكون سببا للميراث ولا نعترف به حين يكون سببا للحرمان منه فان ذلك احتيال لا يسوغ الأخذ به ومراعاة لجانب طرف من الورثة على حساب طرف آخر .

واذن فالرأى الاول ان بدا فى رأى سيدنا عمر مرجوحا فهو فى رأى غيره راجح وكلا الرأيين فقه اسلامى معاصر ليس من حق أحد أن يحكم على أحدهما بالموت وعلى الآخر بالحياة .

ينتقل بنا المقال بعد ذلك الى موضوع آخر فيقول : ـــ

ثانيا : الاحكام المأخوذة من نصوص تقصد الى تحقيق مصلحة دقيقة وفيها يقول [المثال الاول : اشتراط النسب القرشى فى رئيس الدولة كما يؤخذ من قوله عليه الصلاة والسلام (الائمة من قريش)] .

وأرى أن لفظ رئيس الدولة ـــ كما يدل عليه العرف السياسى يعنى الملك أو رئيس الجمهورية وكل منهما يحكم قوما مخصوصين أما الامام الوارد فى الحديث فهو من يحكم جميع المسلمين على اختلاف قومياتهم وأجناسهم نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا غير ذلك ولا يلزم ان ما هو شرط فى ذلك يكون شرطا فى هذا أما أن الامام يكون من قريش أو لا يكون واما أن الحديث محمول على الوجه الذى حمله عليه ابن خلدون أو محمول على غيره فتلك مسائل يجب التعرض لها حين يفكر المسلمون عن بكرة أبيهم فى العودة الى رحاب الامامة العظمى . أما الآن فالاحداث الحاضرة تشغلهم عنها والنقاش فيها مضيعة للوقت الذى تتطلبه مشاكل ملحة .

المثال الثانى :

غنائم الحرب ، وفيها يقول [ومن ذلك أيضا أخذ المحارب لما يجده من سلب قتيله المستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام « ومن قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه » فان منح السلب للقاتل من قبيل

التحريض على القتال فى ظروف دعت اليه وللحاكم أن يفعله والا يفعله بحسب ما يرى من مصلحة فهو ليس من قبيل الشرع العام الثابت الذى لا تجوز مخالفته] .

وواضح من تعليق صاحب المقال على الحديث النبوى الشريف أنه ليس عليه مطعن لا من ناحية ثبوته ولا من ناحية دلالته ومع ذلك فهو يتركه دون ما سبب ذكره .

فتراه يقول (فان منح السلب للقاتل من قبيل التحريض على القتال ، فى ظروف دعت اليه) فهل هناك قتال بين المسلمين واعدائهم تدعو الى التحريض عليه ظروف ، وقتال لا تدعو الى التحريض عليه ظروف ؟

وتراه يقول (وللحاكم أن يفعله والا يفعله فهو ليس من قبيل الشرع العام الذى لا تجوز مخالفته) فمن أين له هذا الا أنه لو قال : ان المقاتلين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يجهزون أنفسهم ، فناسب أن تقابل تضحيتهم بالنفس والمال بما هو فى الوقت ذاته تشجيع على القتال من أخذ سلب القتيل أما فى العصور المتأخرة فالدولة تجهز المحارب ، وتعطيه اجرا ، وتعطى ورثته عطاء يعولهم لو مات . أو لو قال : ان القتال سابقا كان قتال مبارزة يتأتى معه معرفة القتيل وقاتله . والقتال فى العصور المتأخرة قتال جماعات تستعمل آلات تصيب من مسافات بعيدة ولا يتيسر مع هذا معرفة الاصابة القاتلة ولا من سددها . لو أنه قال شيئا كهذا لكان بالتحقيق العلمى أشبه . أما رفض الحديث دون ما سبب يذكر ، فهو ما لا نوافقه عليه .

ومع كل ذلك فانى أقول لصاحب المقال : ان المثال لم يحقق الغرض الذى من أجله سيق ، وهو الغاء حكم واستحداث حكم لأن صاحب المقال نفسه يقول (وللحاكم أن يفعله والا يفعله) اى للحاكم أن يعطى سلب القتيل لقاتله ، وهذا يعنى أن الحكم قائم لم يلغ ، غاية الأمر انه رخص فى تركه أحيانا .

المثال الثالث :

قوله : [تملك الارض الميتة بمجرد احيائها المستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام (من أحيى أرضا ميتة فهى له)] ويقف من هذا الحديث النبوى الشريف نفس موقفه من الحديث السابق الخاص بحيازة القاتل سلب قتيله ، فهو يرفضه من غير ما سبب يذكره سوى قوله : ان أبا حنيفة اشترط اذن الحاكم المبنى على المصلحة . ويكفى ردا على هذا الموقف أنه يذكر هذا الحكم مثالا للحكم الذى تعطل العمل به وأصبح يمثل مرحلة من مراحل تاريخ التشريع القديم ، ثم هو فى الوقت ذاته يجيز للحاكم أن يعمل به .

ولقد خطرت لى فكرة بخصوص (١) تملك الارض الميتة بأحيائها وبخصوص (٢) أخذ القاتل سلب قتيله . تلكم هى :

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم بأكثر من مهمة ، وكان يباشر أكثر من وظيفة : فهو صلى الله عليه وسلم حين يبلغ عن ربه يكون قائما بمهمة الرسول وحين ينظم شئون الرعية يكون قائما بمهمة الحاكم ، وحين يجلس للفصل فى خصومات المتنازعين ، يكون قائما بمهمة القاضى ، وهكذا .

فلعله صلى الله عليه وسلم حين قال (من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه) كان يباشر مهمة الرسول ومهمة قائد الجيش معا ، بمعنى أن يكون الله قد أوحى اليه الحكم الشرعى الخاص بهذا الموضوع على هذه الصورة (لقائد جيش المسلمين أن يأذن للمقاتلين بالاستيلاء على سلب قتلاهم) فاستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم حقه حيث رأى المصلحة فى استعماله فقال لأصحابه (من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه) وهذا ليس يعنى أن على كل حاكم غيره صلى الله عليه وسلم أن يأذن . بل له أن يأذن ، وله ألا يأذن ، كما أنه صلى الله عليه وسلم له فى مقام آخر ألا يأذن .

كذلك يكون قوله صلى الله عليه وسلم (من أحيى أرضا ميتة فهى له) من قبيل مباشرته صلى

الله عليه وسلم لمهمة الرسول والحاكم معا ، بمعنى ان الله أوحى اليه الحكم على هذه الصورة (للحاكم الحق فى أن يملك الارض الميتة لمن يحييها) وكانت المصلحة فى عهده صلى الله عليه وسلم تستدعى هذا التمليك فقال صلى الله عليه وسلم (من أحيى أرضا ميتة فهى له) استعمالا لحقه كحاكم . ولغيره صلى الله عليه وسلم من الحكام أن يستعملوا الحق الذى خوله الله لهم منعا واعطاء حسبما تقتضى المصلحة .

وخلاصة هذا الرأى أن اذن الحاكم لا بد منه ، لأنه معتبر فى أصل التشريع ، وقد جاء قوله صلى الله عليه وسلم (من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه) وقوله صلى الله عليه وسلم (من أحيى أرضا ميتة فهى له) اذنا منه صلى الله عليه وسلم لمن خاطبهم بهذا القول وحدهم ويحتاج غيرهم اذنا آخر من حكامهم . ولعل هذا الفهم هو ما لحظه أبو حنيفة حين اشترط اذن الحاكم ، لكن رأى أبى حنيفة لم ينقل الينا على هذه الصورة التى أوضحناها بل نقلوه كأنما هو استدراك منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولا ينبغى ان يغيب عن البال ان فهم الحديثين على هذا الوجه لا يخدم قضية صاحب المقال ، لأنه زعم أنه كان هناك حكم عام من رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمليك القاتل سلب قتيله وتمليك الارض الميتة لمن يحييها ، فجاء الناس بعده من أمثال أبى حنيفة وعطلوا هذا الحكم العام ، وأحدثوا حكما آخر خاصا ، هو التمليك باذن من الحاكم ليتوفر له وجود حكمين :

حكم قديم قد الغى ، وحكم جديد حل محله كما هى قضية تغيير الاحكام الشرعية التى يدعو اليها .

نعم ان هذا التخريج لا يخدم قضيته ! لأن مفاده انه ليس عندنا الا حكم واحد منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو التمليك باذن من الامام ، ولم يكن لأبى حنيفة سوى انه فهم الحكم الذى جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا انه أتى بجديد من عنده عطل به ماجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . والله سبحانه وتعالى أعلم .

المثال الرابع :

التسعير الجبرى وفيه يقول :

ومن ذلك منع التسعير الجبرى فانه مأخوذ من أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : سعره لنا ، فقال عليه الصلاة والسلام : بل ادعو الله ، ثم جاء رجل آخر وقال مقالة الاول فقال الرسول عليه الصلاة والسلام [« بل الله يرفع ويخفض وانى لارجو أن ألقى الله عز وجل وليس لأحد عندى مظلمة » ويبدو من وقوف الرسول صلى الله عليه وسلم عند دعاء الله سبحانه وتعالى وتفويض الامر اليه فى رفع الاسعار وخفضها وامتناعه عن التسعير ان الغلاء المشكو منه كان غلاء ناتجا عن ظروف اقتصادية طبيعية لا استغلال فيها ولا احتكار ، ولم يكن غلاء مصطنعا ، ولهذا امتنع عن التسعير فى وقته . ثم ذهب سعيد بن المسيب وربيعة بن عبد الرحمن ويحيى بن سعيد الانصارى من أئمة فقهاء التابعين الى جوازه بعد تغير الظروف الاولى ووجود غلاء مصطنع] .

والذى يفهم من هذا الكلام ان هناك غلاء طبيعيا وهذا لا يقتضى التسعير ، وغلاء مصطنعا وهذا يقتضى التسعير ، فحينما وجد الغلاء المصطنع وجد التسعير ، حتى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيثما وجد الغلاء غير المصطنع لم يوجد التسعير حتى فى عهد سعيد بن المسيب ، وربيعة بن عبد الرحمن ، ويحيى بن سعيد الانصارى ، فأين من هذا دعوى تغيير الاحكام الشرعية بحيث نوارى التراب حكما ، ونستحدث حكما غيره ؟

المثال الخامس :

التقاط الابل الضالة ، وفيه يقول : [ومن ذلك منع امساك الابل الضالة المأخوذ من قوله عليه

الصلاة والسلام ؟ حينما جاء رجل يسأله عن ذلك ((مالك ولها ؟ معها سقاؤها وحذاؤها ، ترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها)) وقد استمر تطبيق هذا الحكم مدة الخليفتين أبى بكر وعمر ، ثـــم جاء الخليفة عثمان فأمر بالتقاطها بعد أن خيف عليها وأمر بحصر أوصافها وبيعها ، حتى اذا جـــاء صاحبها أعطى ثمنها . ثم رأى الامام على فيما بعد أن تبنى دار تحفظ فيها هذه الابل ، اذ رأى أن بيعها واعطاء صاحبها ثمنها ، قد لا يغنى غناءها] .

والذى أفهمه من هذه الوقائع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم منع أفراد الشعب من أن تتعرض للابل الضالة ، واختص نفسه بهذا الحق باعتباره حاكما للمسلمين يستعمله اذا دعت اليـــه الحاجة فلما جاء عهد عثمان وعلى ، استعملا هذا الحق المخول لهما باعتبارهما خليفتين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ وجدا الداعية تدعو الى استعماله .

وخلاصة هذا الرأى ان افراد الشعب ممنوعون من التقاط الابل الضالة والحاكم مخول هـــذا الحق . فأين من هذا ما ذهب اليه صاحب المقال من أن هناك حكما ألغى ، وحكما استحدث حل محل الملغى ؟

وفى الموسع تخريج هذه الوقائع على رأى آخر هو أن منع الرسول صلى الله عليه وسلـــــم امساك الابل الضالة مقيد بالامن عليها ، وان امساكها مقيد بالخوف عليها . فحيثما توفر الأمن أطلقت وحيثما خيف عليها أمسكت . وعلى هذا الفهم أيضا ليس هناك حكم ملغى وحكم مستحدث .

وينتقل بنا المقال الى موضوع آخر فيقول :

ثالثا : الاحكام المبنية على المصلحة وفيها يقول [كما يدخل فى الاحكام المتغيرة أيضا تلك الاحكام التى لم يرد عن الشارع فيها نص بذاتها ولا فيما يماثلها ، أو كان نص الشارع فيها مجملا غير مفصل ، قد فوض أمر تفصيله الى أهل الذكر] وهذه الاحكام قد قال فيها السابقون ما قالوا ويقول فيهـــا اللاحقون ما يقولون ، وتقوم أقوال هؤلاء وأقوال هؤلاء معا الى جانب بعضها فقها اسلاميا للقاضى والمفتى أن يأخذ منها ما يراه مناسبا للاحداث المعروضة عليه ، وقد يختار منها فى موقف لاحق غير ما اختاره فى موقف سابق ، فليس فيها اذن ما يجب أن نحكم بموته ، وما يجب أن نحكم له بالحيـــاة وحـــده .

وينتقل بنا المقال الى موضوع آخر فيقول : ـــ

رابعا : الاحكام المبنية على العرف ، وفيها يقول (ومن ذلك ما أفتى به بعض الفقهاء من حل أخذ الأجر على تعليم القرآن وعلى الآذان والامامة فى الصلاة ، بعد ان تغيرت الظروف وأصبحت هذه الاعمال فى حاجة الى من يتفرغ لها ويلتزم بها . بينما كان المتقدمون يرون عدم جواز الاجر لوجود من يقوم بها من غير أجر طاعة وعبادة] .

وهذا لا يفيد أن هناك أحكاما اندثرت ، وأحكاما قامت مقامها . بل أحكام الاولين وأحكام الآخرين كلها قائمة ، فلو وجد الآن من يقوم بهذه الاعمال حسبة لله ، لما دفعنا عليها أجرا ، ولو لم يوجد فى الماضى من يقوم بها حسبة ، لدفعنا عليها أجرا .

فالاحكام كلها قائمة يطبق كل منها على الحال التى تقتضيه فليس بينها ما هو ميت وما هو حى ، مثلها فى ذلك مثل الحكم بالقصاص والحكم بدفع الدية ، لم يلغ واحد منهما الآخر ، ولكن هذا له حال يطبق فيها ، وذاك له حال يطبق فيها .

كذلك الحكم بأن المروءة شرط فى شهادة الشاهد ، باق لم يتغير ولكن العلامات التى تدل على المروءة هى التى تغيرت ، فمثلا كان أهل المروءة يلتزمون ما يدل على وقارهم وحشمتهم مما يفعله نظراؤهم ، وكان غيرهم لا يلتزمون ذلك ، فلبسة الرأس لما كانت علامة أهل الوقار والحشمة ، وعريها كان علامة على غير ذلك ، امتنع القضاة عن قبول شهادة من رضوا لأنفسهم أن ينسلخوا عن عـــادة أهل الوقار والحشمة . فلما تغير العرف وأصبح بعض علية القوم يكشفون رؤوسهم لم يصبح عرى الرأس علامة على التجرد من المروءة .

كذلك لو حلف رجل لا يأكل اللحم . وكان قومه يعتبـــرون السمك لحما . فانـــه يحنث لو أكل السمك . ولو حلف رجل غيره لا يأكل اللحم ، وكان قومه لا يعتبرون السمك لحما ، فانه لا يحنث لو

أكل السمك . فاختلاف الحكم هنا ليس سببه اختلاف العرف ، وانما سبب اختلاف الحكم ان السمك كان محلوفا على عدم أكله فى المثال الاول ، وكان غير محلوف على عدم أكله فى المثال الثانى . وهذا المعنى هو الذى عناه شهاب الدين العراقى بقوله (اياك أن تقول : اننا لا نفهم منه الا الطلاق الثلاث لأن مالكا رحمه الله قد قاله ، أو لأنه مسطور فى كتب الفقه ، لأن ذلك غلط بل لا بد أن يكون ذلك الفهم حاصلا لك من جهة الاستعمال) وبقوله (يجب علينا أن نعتقد أن مالكا أو غيره من العلماء انما أفتى فى هذه الالفاظ بهذه الاحكام لأن زمانهم كان فيه عوائد اقتضت نقل هـذه الألفاظ للمعانى التى افتوا بها) .

فان هذا الكلام يعنى أنه لو قال مالك : من حلف لا يأكل اللحم فأكل السمك حنث ، فيجب أن يفهم من ذلك ان العرف فى عهد مالك كان يعتبر السمك لحما ، ويجب أن لا نأخذ قول مالك قضية عامة فنقول رأى مالك أن من حلف لا يأكل اللحم فأكل السمك حنث ، ونطبق هذا الرأى على من حلف لا يأكل اللحم وكان قومه لا يعتبرون السمك لحما .

هذا ما حذر منه العلامة شهاب الدين العراقى الا أن الاديان ما جاءت ــ منذ جاءت ــ الا لتقود الاعراف والعادات وتوجهها الوجهة الصالحة ، لا لتنقاد لها وها هوذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخط خطا ثم يخط عن يمينه خطوطا وعن يساره خطوطا ،ثم يشير الىالخط الاول فيقول : هذا طريق الله ، ثم يقول عن الخطوط الاخرى أن على رأس كل واحد منها شيطانا يدعو اليه ثم يقرأ قوله تعالى (قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) فتعاليم الاسلام هى العرف الذى يجب أن نسير عليه ، وما عداها من الاعراف والتقاليد انما هى سبل الشيطان .

وينتقل بنا المقال الى موضوع أخير فيقول :

خامسا : أحكام الضرورة والحاجة ، وفيها يقول [ومن ذلـك جواز النطق بكلمة الكفر مـع الاطمئنان القلبى فى حالة الاكراه وتناول الطعام والشراب المحرم دفعا للهلاك ، وجواز الافطار فى رمضان للمسافر] .

واذا كان الشرع الشريف قد أباح للمسافر أن يفطر فى رمضان ، وأوجب على المقيم الصحيح أن يصوم .

واذا كان قد أباح للمضطر أن يأكل الميتة ، وحرم ذلك على غيره . واذا كان قد أباح للمكره ان ينطق بكلمة الكفر تقية وحرم ذلك على غيره فهل هذه الاحكام متواردة على موضوع واحد ألغى فريق منها فريقا ؟ أم هى أحكام متواردة على موضوعات مختلفة لا يسد حكم منها مسد غيره . ولا بـد للجماعة منها ، جميعا ، اذ لا تخلو الجماعة عن مضطر ومسافر ومكره ، ومختار ومقيم وواجد .

فأين من هذه الاحكام ما أسماه تفسيرا يقضى بالغاء بعض الاحكام وأيداعها باطن الارض لا تخرج منه أبدا ، واستحدا ثأحكام أخرى تحل محلها ؟

التعقيب :

١ ــ فى عصرنا الحاضر أصدرت بعض الدول تشريعات غيرت بعض أحكام المواريث ، فسوت بين الذكر والانثى ، وحرمت تعدد الزوجات والطلاق ــ فى الاحوال المشروعة، وعاقبت عليها ، ونحو ذلك من التشريعات التى تصادم الاسلام مصادمة صريحة ، فى نصوص شرعية قطعية فى ثبوتها عـن الشارع الحكيم وقطعية فى دلالتها على معانيها . ثم هى فى الوقت نفسه تحكم علاقات ثابتة وغيـر متطوره ، ولا يمكن مطلقا أن يقوم ما يدعو الى تغييرها .

٢ ــ وقد استغلت فى ذلك القاعدة الفقهية الذهبية ، وهى تغير الاحكام بتغير الازمان ، كتبرير وسند لهذه التشريعات ، تلك القاعدة المشهورة التى اشتملت عليها كتب القواعد الفقهية ، والتـى نصت عليها مجلة الاحكام العدلية التى أصدرتها الدولة العثمانية أخذا من المذهب الحنفى فى مادتها التاسعة والثلاثين والتى لا يزال معمولا بها فى بعض البلاد الاسلامية ، وقد كتبت فيها فصـــول فى كتب الفقه والأصول قديما وحديثا ، وكانت موضوعا دارت وتدور حوله مؤلفات ورسائل علميـة

فى الجامع الأزهر الشريف وغيره من الجامعات الاسلامية فى الماضى والحاضر ، تبين حدود القاعدة وحكمتها وأحكامها وأسانيدها وأمثلتها وسماحتها .

٣ ــ ودار بينى وبين بعض رجال التشريع نقاش حول هذه التشريعات المصادمة للاسلام ، فاستشهد ليلزمنى ببعض الأحكام الاسلامية التى غيرتها تشريعات معاصرة فى بلاد اسلامية أخرى ، فى قوانين الاحوال الشخصية والمواريث والوقف والوصية وغيرها ، نحو أحكام ميراث الاخوة مع الجد ، وميراث الاخوة الاشقاء مع الاخوة من الأم ، وايقاع الطلاق الثلاث واحدا ، وعدم ايقاع الطلاق المعلق فى بعض الحالات وأحكام المفقود ونحو ذلك .

وانتقل الحديث الى بعض الأحكام المتناثرة فى كتب الفقه الاسلامى وفى بعض فصوله ، وضربها أمثلة لعدم الصلاحية للتطبيق الآن ، فبينت له أن هذه الأحكام لا تستند فقهيا الا الى مصالح أو أعراف تغيرت كما أشار الى تطور الحياة المعاصرة ومقدار ما بلغت من أساليب متقدمة فى النظم الدستورية والادارية والمالية ونحوها ، وأثار قاعدة الضرورات التى طرأت وتطرأ أحيانا ، وأنهى حديثه بما كان من احدى الدول التى تركت تطبيق الفقه الاسلامى جملة وتفصيلا .

٤ ــ وقد دعانى ذلك ، قياما بواجب دينى وعلمى ، وقد شرفنى الله سبحانه فجعل الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامى دينى ودنياى ــ الى أن أكتب بحثى المنشور فى مجلة العربى ، موضحا به الفرق الواسع بين هذه التشريعات الأخيرة التى تدخل فى اطار الاسلام ، ولا تفتات على نصوصه ويتسع لها تعدد الآراء بين فقهائه ، وتلك الأخرى التى تخرج عن ساحته الرحبة ، وتفتات على نصوصه ، وتصادم أسسه وأهدافه . ولهذا حرصت فى تمثيلى على بعض هذه الأمثلة التى أثيرت والتى يتبين منها الفرق واضحا بين هذه التشريعات وتلك .

٥ ــ وكان لا بد لى من أن أجمل القول واضحا فيما يمكن أن يسمى أو يعد تغييرا فى الأحكام الاسلامية التطبيقية التى عمل أو يعمل بها ، تلك الاحكام الثابتة بأدلة ظنية ، ومن البدهيات عند أهل العلم أنها أكثر أحكام الفقه الاسلامى سواء أكان هذا التغير راجعا الى تغير الاجتهاد والترجيح وحسن الاختيار من آراء الأئمة السابقين ، وهذا هو النوع الأول ، أو كان سبب التغيير ما عرف أخيرا عند بعض العلماء باسم (السياسة الشرعية) فى أحكام تستند الى نصوص قصدت الى تحقيق مصلحة وقتية متغيرة ، وهذا هو النوع الثانى . أو أحكام تستند الى المصلحة ، والمصلحة وحدها ، وهذا هو النوع الثالث ، أو أحكام تستند الى العرف الصحيح وحده ، وهذا هو النوع الرابع . والسياسة الشرعية مادة تدرس فى الجامع الأزهر وبعض الجامعات ، وهناك دبلوم (للسياسة الشرعية) فى كلية الشريعة بجامعة الأزهر تدرس فيه أصول هذه الاحكام المتغيرة ، كما اشتملت خطة الدراسة بكلية الحقوق والشريعة بجامعة الكويت على هذا الدبلوم .

يقول الاستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر الأسبق : « ان بعض من لم يتثقفوا الثقافة الاسلامية الصحيحة يصرحون فى غير مبالاة ان المسلمين مضطرون أن يلجأوا الى أحكام سياسية غير شرعية بجانب عملهم بأحكام الفقه الشرعى الذى وصل اليه الفقهاء فى العصور الاولى من الاسلام وذلك انه كلما اتسع العمران وارتقت العلوم والصناعات ، وتشعبت مذاهب الحياة ، تجددت حوادث ونبتت مشاكل ، وعرضت شئون لم يكن للناس عهد بها من قبل فكان لزاما أن يواجهوا ذلك بما يناسبه من أحكام سياسية غير شرعية ، هكذا يقولون .. وانى أثبت أن السياسة الشرعية فيها الغنية والكفاية ، وأنها من دين الله وشريعته ، وأن السياسة والفقه صنوان من أصل واحد ، وان الاسلام ــ بفقهه وسياسته ــ كفيل بتحقيق مصالح الناس فى كل حال وزمان .. فمهما تطورت العلوم والصناعات ، وتشعبت مذاهب الحياة .. فان المسلمين لا يعوزهم أن يجدوا فى دينهم وشريعتهم لكل حادثة حكما ينطق به فى دليل من الكتا بأو السنة ، أو ينفذون اليه من طريق التأمل فى روح الشريعة ، وتدبر ما تقضى به أغراضها وأسرارها ، أو يهتدون بأصول الاسلام العامة

وقواعده الكلية المحكمة .. وبذلك كان المسلمون فى أول أمرهم ، ويكونون حين يستقيمون على جادة دينهم وشريعتهم فى غنى أن يلجأوا الى سياسات أخرى وضعية ، أو يستعيروا قانونا من القوانين الأجنبية (١) » .

٦ — ثم ألحقت بذلك الأحكام التى غيرها الشارع أو اذن فى تغييرها عند تحقق الضرورة والحاجة تفريقا حكيما بين حال السعة وحال الضرورة ، بين الظروف العادية والظروف الاستثنائية ، وهذا هو النوع الخامس .

٧ — وبينت فى الهامش بعض مراجعى العلمية الأمينة المشهورة من تراثنا الفقهى العظيم الخالد ، وأهبت بالدول الاسلامية وعلمائها أن ينهضوا بهذا الفقه نهضة كبرى تجعله قانون المسلمين فى جميع العلاقات الخاصة والعامة وبينت ان الجهود الفردية عاجزة وحدها عن أن تحقق ما يرجى للفقه من خير وازدهار .

وكان مما قلته : « من الواضح أن تغير الاحكام بتغير الزمان لا يعنى التنكر لتراثنا الفقهى العظيم ، الذى حوى من الاصول والنظريات والقواعد والاحكام ، مع حسن التأصيل والتحليل والتعليل ما يجعله ثروة كبرى ، نستثمرها وننميها ونكملها باجتهادات جديدة لما جد فى حياتنا من عادات ومعاملات وتطورات فى الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .. وبدون الجهود الايجابية المؤمنة المتعاونة التى ترعاها الحكومات والشعوب الاسلامية ، وتدعمها ماديا وأدبيا وقانونيا ، بدون هذا سندور فى حلقة مفرغة وستظل أحكامنا أثوابا مرقعة ، تضم أنسجتها قطعا وخيوطا قديمة ، وأخرى جديدة ، وثالثة أجنبية غربية ، دون ترابط ولا انسجام بل ان هذه الجهود ستضيع أمام طوفان التيارات الشرقية والغربية ، مع ان فقهنا الاسلامى شجرة مباركة لا شرقية ولا غربية ، يغمرها نوران نور على نور — نور الشرع ، ونور العقل ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » (٢) .

٨ — وحرصت كما قلت فى نهاية بحثى — على أن أكتبه بأسلوب يوضح المصطلحات الفنية التى لا يعرفها الا المتخصصون وهم قلة ، حتى يسهل فهمه لأى مثقف ثقافة عامة ، فيكون نصيرا للفقه الاسلامى ، وحتى يستغنى به المسلمون عن أى قانون أجنبى لا يرتبط بمصادرنا الطاهرة .

٩ — وعندما تكرمت رياسة تحرير مجلة « الوعى الاسلامى » الغراء طالبة رأيى فيما ذكره صاحب التعليق وهو زميل يعرفنى وأعرفه استاذا للفلسفة والعقيدة فى جامعة الأزهر ، رجوتها التفضل بنشر مقالى أو ملخصه الواضح ان نشرت رده ، حتى يجتمع للقارىء الواعى عناصر الحكم كاملة وحتى يتبين هدفى ، ويقارن بينه وبين ما نقله صاحب التعليق منه ، وتأويلاته وتعقيباته عليه التى تفيد الدعوة الى ايداع الفقه باطن الارض لا يخرج منه أبدا .. وحتى ينظر القارىء الى ما صدر به الكاتب كلامه وقبل أن يدخل فى الموضوع من قولى « ان الاحكام الجديدة التى تقول بها الأمة الاسلامية — ممثلة فى أصحاب الاختصاص تكون هى الفقه الاسلامى المعاصر ، أما الاحكام السابقة فانها تمثل مرحلة من مراحله ، وجزءا من تاريخه » دون أن يربطها بسابقها ولاحقها وهى العبارة التى جاءت عند النوع الثالث ، مثل تفصيلات أنظمة الدولة الدستورية ، والادارية والمالية والقضائية وأحكام التعزيزات .

١٠ — ولم أشأ أن أدخل فى جدل اكتفاء بهذا التعقيب والتوضيح للقارىء ، فالعرف الصحيح مصدر من مصادر الفقه الاسلامى يرجع اليه المقنن والقاضى والمفتى ، وليست كل الأعراف والتقاليد سبيل الشيطان كما قيل ، ورأى سيدنا عمر رضى الله عنه فى المسألة الميراثية الخاصة بالأخوة

---

(١) السياسة الشرعية والفقه الاسلامى ص ٣ — ٥ .

(٢) مجلة العربى مايو ١٩٧٠ .

الاشقاء والأخوة لأم لا يسمى احتيالا كما قيل ، وليست تفسيرات الأئمة لبعض الاحاديث رفضا لها كما قرر الكاتب ، ومن العجيب انه يوافقنى فى التفريق بين ما صدر عن الرسول — صلى الله عليه وسلم بوصفه رسولا وما صدر عنه بوصفه حاكما ، ومع ذلك يخالفنى ثم يعتبر أن هذا التفريق فكرة جديدة خطرت لى مع أن هذا مقرر قديما فى كتب الأصول والفقه .

١١ — فاذا لم يتيسر للمجلة نشر مقالى ولا ملخصه ، فأرجو القارىء اطمئنانا لدينه أن يطلع على المقالين المنشورين بمجلة العربى فى شهرى فبراير ومايو ١٩٧٠ ، وعلى ما نشرته لى مجلة الوعى الاسلامى فى أعدادها ٤٠ و ٤٢ و ٤٤ ، ربيع الثانى ، وجمادى الثانية ، وشعبان ١٣٨٨ هـ عن الفقه الاسلامى فى ماضيه وحاضره ومستقبله .

١٢ — وسيرى القارىء الواعى أن كاتب المقالة — مع حرصه الشديد البالغ على مخالفتى فى كل ما ذكرته من أمثلة كما قرر فى مقالته لم ينقض كلمة واحدة مما قلته بل على العكس جرى قلمه ، يؤيد جميع ما ذكرته من أمثلة فيما عدا مثال اشتراط القرشية فى رئيس الدولة الاسلامية الأعلى (الامام) فقد تركه حتى (يفكر المسلمون عن بكرة أبيهم فى العودة الى رحاب الامامه العظمى) وحينئذ يفكر فى أمر اشتراطها أو عدمه فان رأى أن هذا الشرط أبدى بحث المسلمون عن بكرة أبيهم عن هـذا القرشى ، مع ان هذا المثال قد ينتظر منه القارىء رأيا فيه ، لأنه دون غيره يتصل بدراسات صاحب المقالة دارسا ومدرسا ، فان موضوع الامامة والخلافة ألحق ببحوث العقيدة لأسباب تاريخية .

ومن حسن الحظ أن عندى نسبا قرشيا مكتوبا ومتوارثا ، مع ايمانى بأن أكرمنا عند الله اتقانا وأننا سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى .

ثم انه لا يحب كلمة التغيير فى الاحكام الاسلامية الاجتهادية مع أنها ليست من عندى ، بل هى تعبير جرى على ألسنة العلماء قديما وحديثا ، مفرقين تفريقا واعيا بين الشريعة الاسلامية والفقـه الاسلامى ، تفريقا يعرفه علماء اللغة العربية ، بين كلمة (الشريعة) وكلمة (الفقه) ويعرفه علماء الاسلام أخذا من قوله تعالى (شرع لكم من الدين ...) وقوله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ...) فالشريعة سماوية أضيفت الى الله العليم الحكيم ، والفقه فهم لها من العلماء الفقهاء .

يقول الاستاذ الشيخ محمد على السايس عميد كلية أصول الدين وعميد كلية الشريعة الأسبق وعضو جماعة كبار علماء الازهر ، ثم مجمع بحوثه ، فى بحث نشرته الامانة العامة للمجمع سنة ١٩٦٧ ص ٣ (من الناس من يغلط ويخلط بين الشريعة والفقه ويظن خطأ أن ما ينقل عن الأئمـة المجتهدين من اجتهادات هو نفس الشريعة ، ويتبع هذا الخلط انهم طعنوها مرة بالجمود ، وأخرى بالتناقض ، والشريعة بحمد الله لا جمود فيها ولا تناقض ، وذلك لأن التشريع الاسلامى تشريع سماوى سنه للناس رب العالمين) .

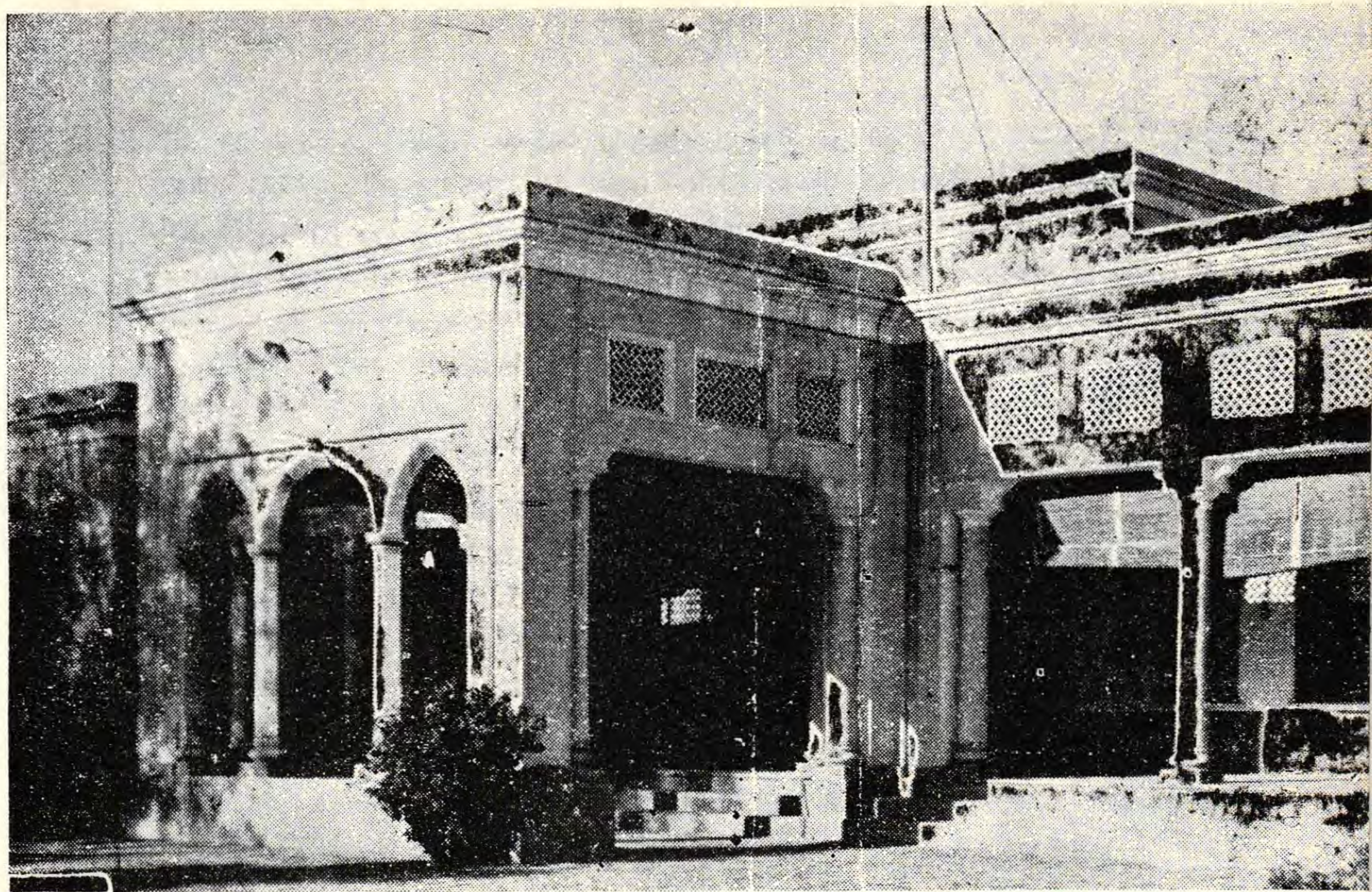
ويقول ص ١٨ (ترى كثيرا من الفقهاء يعدلون عن فتاوى وأحكام كانت لهم فى بعض المـواطن ليفتوا على خلافها ، فللامام الشافعى كثير من المسائل مذهب قديم ومذهب جديد ، فان تغير الرأى وعدول الفقيه عن اجتهاده ليس سببه فى جميع الاحوال راجعا الى تبين وجه الصواب بعد الخطأ .. ولكنه كثيرا ما يكون سببه تنقل المجتهد فى الاقطار ووقوفه على تغاير العرف والعادة عند الأمـم المختلفة) .

ويقول ص ٢٤ (والاحكام الاجتهادية التى نقلت عن الأئمة وأتباعهم قابلة للتغيير والتعديل كلما جدت الحاجة الى ذلك ، واقتضت المصلحة العامة التى لم تصادم نصا شرعيا وان الاحكام المبنية على المصالح لم توضع لتكون أغلالا ترسف فى قيودها الى يوم الدين ، بل ان الوقوف عندها لا يتفق وروح الاسلام ومخالف لطريقة السلف الماضين .

١٣ ــ وأرجو القارىء بعد ذلك أن يسأل من يخاف من التغيير علام يخاف ؟ ان كان على الاحكام الاسلامية الفقهية الموجودة فى الكتب فليطمئن اطمئنانا تاما ، لأنه بعيد عن أن يناله تغيير أو تعديل لأنه مطبوع ومنشور وتراث موروث ، وقد دعوت الى زيادة العناية بنشره واخراجه وجمعه وفهرسته ، واشتركت فى ذلك بجهدى المتواضع وان كان على الفقه الاسلامى المطبق قانونا فالحمد لله ولا يحمد على مكروه سواه ــ قد تقلص ظله ، وانحسر مده فى أكثر البلاد الاسلامية الى أحكام الاسرة فقط دون غيرها من فروع القوانين الاخرى وهى الكثرة الكاثرة لأسباب يرجع بعضها الى جهل أعدائه ، والناس أعداء ما جهلوا وبعضها الى من أقحموا أنفسهم قديما فى ميدانه من غير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

١٤ ــ وحسبى مما كتبت أننى قصدت ربط المسلمين بأحكام الاسلام ديانة وقضاء ، ظاهرا وباطنا فى كل صغيرة وكبيرة ولو كانت أحكام تعيينات الموظفين وترقياتهم وتأديبهم أو كانت أحكام قواعد المرور وحمل البطاقات الشخصية ، وهو أمر يحقق اصلاحا كبيرا فى المجتمع الاسلامى ، حين يعرف المسلمون أن هذه الاحكام احكام الاسلام ، يتولى الحكام الحساب عليها فى الدنيا ، ثم يتولى الله سبحانه الثواب والعقاب عليها فى الآخرة .

أعان الله الفقهاء على حمل أمانة الفقه الاسلامى التى تنوء بالعصبة أولى القوة ، حتى يرتبط المسلمون به ، ويستغنوا عن القوانين الاجنبية التى لا تأخذ عن مصادره الطاهرة ولا تلتزم بأحكامها .
وأدعو الله للقارىء ولأخى بالعافية فى الدين والدنيا .

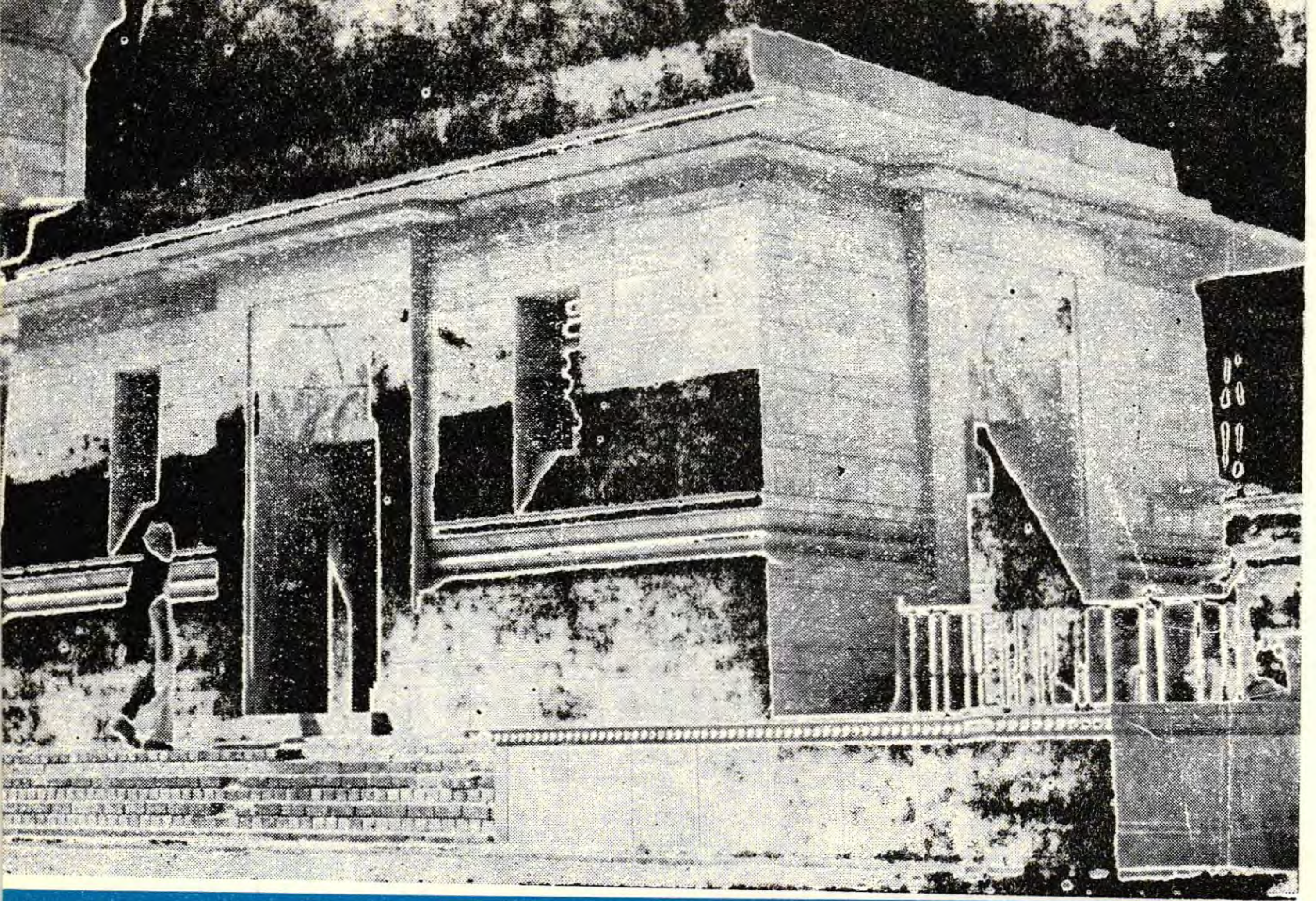


هَنا البيت الذي سَأموت فيه ..
وهَان مونے كي پا بندي ..

شاعر الإسلام إقبال

محمد يوسف

للشاعر: أنور العطّار



هَنا البيَت الذي سَأعيش فيه ..
يهان جينے كى پابندي ..

إيـهِ إقبـالُ يا رفيفَ الدَّرارى ... يَانَسِيجَ الشُّمُوسِ والأقمـارِ
يَامَنارَ الإسلامِ في لَيْلهِ الدَّا ... جِى وَفي زَحْمَةِ الخُطُـوبِ الكِبارِ
يَارُوَى الشَّرْقِ مَاأَطلَّتْ رُوَى الشَّرْ ... قِ وَيَا طَيْفَهُ الحبيب السَّارى
يَاصدَى الأنفُسِ اللَّهيفَـةِ يَاحَا ... مِـلَ عِبْءِ الهمُـومِ والأكْدَارِ
تَنْقُلُ البُرْءَ للأُلى نَشَدُوا البُرْ ... ءَ وفى القلبِ أيُّ حُـزْنٍ وَارِ
هكذا الأنفسُ الكبيرةُ تحيـا ... لسواها في غبطةٍ وافْـتِرارِ

فإذا رُمتَ أنْ تكونَ سَعيداً فتعَهَّدْ مَصائِبَ الأحْرارِ
بَسَماتُ الحَنانِ أفْعَلُ في الأنْفُسِ مِنْ كل نائلٍ مِدْرارِ
تَمَّحِي الكائناتُ والفضلُ يبقى وهو إرْثُ الأعصارِ للأعصارِ



كانَ مِلْءَ القلوبِ مِلْءَ الأمانى مِلْءَ ما فى الحياةِ مِنْ أوْطارِ
صَاغَ مالَمْ يَصُغْهُ حُلْمٌ جميلُ فاتنُ الوَشْىِ عَبْقَرِىُّ الإطارِ
وَشَدَا للجمالِ والوَترِ المِطْرَابِ والزَّهْرِ والغديرِ الجارى
طَافَتِ الأرضُ في رُؤَاهُ تصاويرَ نَدايا بجِدَّةٍ وابْتِكارِ
قيلَ لى صِفهُ قلتُ دُنْيا مِنَ الفَنِ وَكَوْنٌ مِنْ حكمةٍ واعْتِبارِ
صَاغَهُ اللهُ مِنْ حنانٍ ورِفْقٍ ودُموعٍ وَصَبْوَةٍ وادِّكارِ
يُشْرِقُ البِشْرُ مِنْ مُحَيَّاهُ نَضْراً وَمِنَ البِشْرِ أنْفُسُ الأبْرارِ
صَوَّرَ الطَّبْعَ مثلَما خُلِقَ الطَّبْعُ وَغَنَّى كما تُغَنِّى القَمارِى
وَيرِفُّ المَعْنى النبيلُ على اللَّفْظِ رَفيفَ النَّدَى على النُّوَّارِ
يالَهُ شاعِراً تَمَرَّسَ بالسِّحْرِ وَأعْظِمْ بالشَّاعرِ السَّحَّارِ



إيهِ إقْبالُ يانَشِيدَ الأناشِيدِ ونجوى داوُدَ لِلمِزْمَارِ
ياحُداءَ الرُّعاةِ فى شُعَبِ الشَّرْقِ وَيَاسِرَّ أرْضِهِ المِبْكارِ
ياصلاةَ الغابَاتِ فى خَشْعَةِ اللَّيْلِ وَنَجْوَى الأرْوَاحِ في الأسْحَارِ
لَكَ لَحْنٌ جَمُّ المَناعِمِ فيهِ رَاحةُ النَّفْسِ والقُلوبِ الحِرارِ
لايُغَنِّى سِوَى الجَمَالِ ولايَعْرِفُ غَيْرَ الحَقِّ الجَلِىِّ العارى
هُوَ فَيضُ العُقُولِ والفِطْرَةِ السَّمْحَةِ وابْنُ الطَّبِيعَةِ المِبْشَارِ
لَمْ يَزلْ يَنْشُدُالوُضُوحَوَيَبْغِى الشِّعْرَ خِلْواً مِنْ زُخْرُفٍ مُسْتَعارِ
أىَّ مَعنًى سَكَبْتَ في أُذُنِ الدَّهْرِ فَظَلَّتْ تَعِجُّ كالزَّخَّارِ

وَتُثيرُ الدَّفِينَ فى مُهَجِ الغَيْبِ وَتَرْمِى التَّيَّارَ بالتَّيَّارِ
إنَّهُ الفِكْرُ جُذْوَةٌ ، انْطِلاقٌ وَشَرارٌ مُسْتَرْسَلٌ مِنْ شَرار



أَيُّها العَبْقَرِىُّ يارَوْعَةَ الشَّرْقِ وَوَشْىَ الغُدُوِّ والإبْكَارِ
أَيُّها الشاعرُ الذى نَضَّرَ الشِّعْرَ وأَضْفَى عليهِ ظِلَّ ازدِهَارِ
عالَمٌ قَلْبُكَ الكَبيرُ وَدُنيا حَفَلَتْ سَاحُها بِأَىِّ فَخَارِ
مَثَّلَ العصْرَ خيْرَ مَنْ مَثَّلَ العَصْرَ وأَفْضَى بِجَهْرِهِ والسِّرارِ
ببيانٍ كَأَنَّهُ عَبَقُ الخُلْدِ حبيبٍ في بَثِّهِ والحِوَارِ
هاتِ حدِّثْ وَصِفْ نِضالَكَ في الأَرْضِ وَبَرْحَ النَّوَى وعِبْءَ السِّفارِ
صوِّرِ الغُرْبَةَ التى ما تَقَضَّى وَتَشَوَّقْ إلى الحِمَى والدِّيارِ
مَا أذابَ الحنينُ منك فؤاداً مُسْتَطَاراً برغمِ شَحْطِ المزَارِ
يَا لَقَلْبٍ مُعَذَّبٍ شَفَّهُ الوَجْدُ فَدَاوَى أُوارَهُ بِأُوَارِ
يَتَنَزَّى أَسىً وَيَهْمِى وَفَاءً وَيُذِيبُ الإِعلانَ بالإسْرَارِ
كَيفَ أَنسى فرائداً لَكَ صِيغَتْ مِنْ مَضاءٍ وَجُرْأَةٍ واصْطِبَارِ؟
لَسْتُ مِثْلَ الفَرَاشِ يَصْلَىٰ بنارِ النَّاسِ لكنَّنى صَليتُ بِنَارى
فإذا احْلَوْلَكَ الدُّجى مِثْلَ عَيْنِ الظَّبْيِ واعْتَادَهُ كَلَوْنِ القَارِ
كَشَفَتْ نفسيَ الحنادسَ كشفاً وملأتُ الأكْوانَ بالأنوار
لا أَرَى مِنَّةً عليَّ لإنسانٍ لأنى كَرَّمتُ صُنْعَ البَارِى
أَنا مِنْ نشوةٍ على الدهر تَبْقَى أنا مِنْ وَمْضَةٍ وَفَيْضِ انْبهَارِ
نَفَحَاتُ الهُيامِ تَنْسِمُ فى الرَّوْضِ ويُنْمِى الهُيامُ زَهرَ البرَارى
وشعاعُ الهُيامِ ينفذُ في البَحْرِ فيَهْدِي الحيتانَ طَيَّ البحارِ
نَقْشُ رَبى يَجدُّ بى كُلَّ حينٍ وَتَراءَى الحياةُ في أطْوارِ
فإذا مَرَّ بي نَهارى كأْمسِى فَكِيَانِى من التَّجدُّدِ عارِ
إنَّ هذا العَقْلَ القويمَ أَسيرٌ لَمْ يَزِدْهُ التَحْليقُ غَيْرَ إسار

مَلأَ الكائنــاتِ همَّاً وغمّــاً وَأَســالَ الدماءَ كالأنهــارِ
أينَ منهُ الحُبُّ الذى يُسعِدُ الرُّو حَ ويُنْشِى الوُجودَ بالأعطارِ
ويُعيدُ الحياةَ جـذوةَ نارٍ لَمْ يَزلْ وَهجُهَا سَنا الأبصارِ
ياشُعاعَ الهوَى لأنتَ منارى الـحَقُّ إنْ أَطفَأَ الحِمامُ مَنارِى
ولَكَمْ تامَهُ الحِجَــازُ فغنَّا هُ لُحوناً سِحْرِيَّةَ الأوتــارِ
وَصَبا للحطيمِ والرُّكْنِ والأَســتارِ فى خشعــةٍ وفي إكْبارِ
في « هَدَايا الحِجازِ » مِنْهُ حَنِينٌ كحنينِ « الرَّضيِّ أَوْ مِهْيارِ »
سَكَبَ النَّفسَ في الحجازِ شعوراً كانسِكَابِ الأَنْوارِ فى الأَزْهارِ
وتشَهَّى لو زارَ « طيبَةَ » في الحُــلْمِ وأغفَى عَلَى ثرَى المخْتَارِ
ولَكَمْ آثرَ الكرَى في حِماهَا ولَكَمْ كَانَ صــادقَ الإيثارِ
وَدَّ لَوْ أَنَّهُ انْطوَى في ثراهَا وَثَوَى في تُرابِهــا المِعْطارِ
فارِسِيٌّ لسانُهُ ، عــربيٌّ قَلْبُهُ والهوَى المُوافي المُجارِى
شَغَفَتْ قَلْبَهُ العُرُوبَةُ وَجداً وَتَغنَّــى بطَيْفِها الــزَّوَّارِ
وتَمنَّى لها المجَــادَةَ والسَّعْــدَ لتبقى تاجاً عــلى الأَدْهارِ
ودَعَا المسْلِمينَ للوَحْدَةِ الكُبْــرَى وَقَهرِ العدَا وَغسْلِ العَارِ
مَا أَطلَّ الإيمانُ يوماً على الضَّعْــفِ ولا باءَ مؤْمِــنٌ بِخسارِ
أَصحِيحٌ أَنَّ الأُلى مَلَكُوا الأَرْ ضَ غدَوْا نُهبَةَ الذِّئابِ الضَّوارِى
لا وَرَبِّ الأَنامِ ما ضَعُفَ القَوْ مُ وإنْ طافَ حَظُّهُمْ بعِثَارِ
تلكَ أفكارُهُ البَواقِى عَلَى الدَّهْــرِ وَسِرُّ الخُلُودِ في الأَفْكَارِ
أَيُّها الشاعرُ الذى عَاشَ لَحْناً وَسَرَى كالعبيرِ فى الأقطــارِ
ذَابَ مثلَ النَّدَى عَلَى مُقلِ الزَّهْــرِ وَشِبْهَ الأَسَى على القِيثَارِ
أَنْتَ حُبٌ ورِقَّــةٌ وَحَنَانٌ وَمِنَ الحُبِّ أَرْوَعُ الآثـــارِ
وَلَكَمْ يبعثُ الشجونَ ويُضْنِى أَنْ يُرَى العَبْقَرِىُّ رَهْنَ تَبَارِ
وَيَجِفَّ النَّهْرُ الذى سَالَ بالشَّدْ وِ وَحَيّا بالسَّاكبِ المِدْرَارِ

ويغيبَ الطيرُ الذى هدْهدَ الكوْ   نَ بأحلَى اللحُون والأسْمارِ
ويبيتَ الروضُ النضيرُ كئيباً   واجمَ الثّغْرِ موحِشاً كالقِفارِ
الحُظُوظُ البيضُ التى شَيّعَتْهُ   كالحظوظِ السودِ التى لا تُمارِى
والأمانِى الزُّهْرُ التى ودّعَتْهُ   كالمنَايا السُّحْمِ التى لا تُدارِي
أيهذا الطّيْفُ الذى اتّشَحَ الخُلْــدَ وولّى إلى حِمَى الأسرَارِ
قِفْ عَلَى ربْوَةِ الخُلُودِ تُسَائِلْــكَ هل ارتحتَ مِنْ جوىً واستِعَارِ
هَلْ نزَعتَ الحيَاةَ فى الضّفّةِ الأو   لى وفارَقْتَها فِراقَ الزّارِى
ولَمسْتَ الرُّوحَ الذى يَسعُ الخيْــرَ كمَا يلمسُ الصّباحَ السّارِي
إنْ تكُنْ جُزْتَهَا فطُوبى لكَ اليَوْ   مَ بمثْوىً خِلْوٍ مِنَ الأغيارِ
كلُّ دارٍ رَهْنُ الأذَى والرّزَايا   غيْرَ دارِ الأحِبّةِ الأخْيارِ
هِىَ كَهْفُ السّلامِ لا أمسِ فيها   بمُوَلٍّ ولا غَـــدٌ بانْتِظَار
هِىَ يوْمٌ باقٍ وخُلْدٌ طويلٌ   أبدِىٌّ الأغوارِ خافِى القَرارِ

◆◆◆◆◆

وقَوافٍ لوْ أنّهُنّ عُيُونٌ   لتَهامَيْنَ بالدُّموعِ الغِزَارِ
لا يُوَفِّى القَرِيضُ مَهْما تغَنّى   مَا بيَانِى يكْفِى ولاَ أشعارِي
فَاحْىَ بالذّكْرِ لا ترُعْكَ المنَايا   إنما الذكرُ أخلدُ الأعمارِ
تتلاقى الدموعُ في غَمْرَةِ الحُزْ   نِ ويبكى الهزارُ شجوَ الهَزارِ
الأصَابِيحُ دُثّرٌ عَافِيَاتٌ   تنطَوى عَنْكَ واللّيالِى عَوارِي
وكُؤوسُ النّعيمِ يَمتَصُّها الحُزْ   نُ وطَيْرُ المُنى قصيرُ المطَارِ
والحياةُ التى صَحِبتَ اغْتِرارٌ   مَا حَيَاةٌ مصحوبَةٌ باغْتِرَارِ
أنْتَ فى الفكرِ صورةٌ ليْسَ تُمْحَى   لا يَذُوقُ الخُلُودُ طَعْمَ انْدِثَارِ
أنْتَ فى الذّكْرِ خالدٌ ليْسَ تَفْنى   لا يَحُومُ الرّدى عَلَى التّذْكَارِ

◆◆◆◆◆

كرّمَتْكَ الأجْيالُ يا شُعْلَةَ الفِكْــرِ وأضفتْ عَلَيْكَ إكليلَ غارِ
فلَئِنْ صاغَتِ القَرِيضَ عُقُوداً   فبما صُغْتَ يا سِراجَ النّهارِ

أنا مدين بهذه القصيدة التى اكثرها من جو (اقبال) وبعض كثيرها مترجم عنه ، للوزير العالم الدكتور (محمود حسن) وزير الباكستان المفوض فى دمشق ، وتلميذ الشاعر وصديقه فلقد اختارنى عضوا فى (حلقة اقبال) التى أسست فى دمشق فقدر لنا بمؤازرته قراءة الشاعر العظيم اقبال وفهم مراميه ، والاحاطة بأخباره ، ونشر كنوزه وخيراته ، وتنشر هذه القصيدة احتفاء بالذكرى الحادية والثلاثين لوفاة شاعر الاسلام محمد اقبال الشاعر الذى اتخذ من مبادىء الاسلام العظيمة الخالدة فلسفة لا تمحوها الايام ، والعالم الذى كان يعتقد أن تجدد الاسلام لا يمكن أن يتم ما لم يعزز المسلمون قواهم الفكرية والخلقية ، ويرتفعوا بنفوسهم الى مستوى أسمى .

ولد محمد اقبال بمدينة (سيالكوت) باقليم البنجاب عام ١٨٧٣ م .
وتوفى بمدينة لاهور فى ٢١ نيسان ١٩٣٨ م الموافق عشرين صفر الخير ١٣٥٧ هـ

أتم علومه بانكلترا وألمانيا ، فحصل على اجازة فى الفلسفة من جامعة كمبراج وكان موضوع بحثه (تطور ما بعد الطبيعة عند الفرس) وقد منحته جامعة ميونخ شهادة الدكتوراة فى الفلسفة كما حصل على اجازة فى القانون .

كان على صلة وثيقة بالمستشرق البريطانى السير توماس أرنولد مؤلف كتاب دعوة الاسلام ، وكان أرنولد أستاذ العربية فى جامعة لندن ، ثم أستاذ الفلسفة فى جامعة (عليكره) الحكومية فى لاهور ، وكان واسع العلم محبا للحضارة الاسلامية .

وفى عام ١٩١٨ دعى الى (مدراس) لالقاء سلسلة من المحاضرات ، وقد جمعت تلك المحاضرات وسميت (اصلاح الفكر الدينى فى الاسلام) وهى أعظم ما كتب اقبال فى الفلسفة .

كان عضوا فى المجلس التشريعى بالبنجاب ، وشارك فى سياسة بلاده بأقواله وأفعاله ، كما ترأس مجامع سياسية عديدة ، واشترك فى مؤتمر المائدة المستديرة ، بلندن .

كان عمادا قويا لحزب الرابطة الاسلامية ، وحسبه أن يقول فيه القائد الأعظم (محمد على جناح) .

: كان لى صديقا صدوقا واماما هاديا ، وكان فى أحلك الخطوب التى مرت بى ونحن بالرابطة الاسلامية راسخا كالصخر لم تزلزله الزلازل ولم تعصف به العواصف .

ضمن شعره نظرته الواسعة الى الأخوة الاسلامية ، وكان يكره

العنصرية ، وينادى بالوحدة والأخذ بأسباب القوة ، وقد اتخذ الصقر له شعارا . ولقد وفق أديب العرب الراحل الأستاذ أحمد حسن الزيات فلخص الشاعر اقبالا فى كلمه الطيب على نحو ما تلخص حديقة من الزهر فى زجاجة من العطر .

« وما كان اقبال الا بضعة من طبيعة الهند المؤمنة نفخ فيها الاسلام من روحه ، فخلصت خلوص الحق ، وسطعت سطوع الهدى ، وصفت صفاء الفطرة ، وكانت فلسفة شعرية فريدة لا هى عدمية مترددة شاكية كفلسفة أبى العلاء ولا هى وجودية ملحدة قاسية كفلسفة نتشه ، وانما هى الاسلامية الموحدة المؤلفة السمحة كما أوحاها الله بروحيتها النابعة من القلب الشاعر بآلام الارض وماديتها الصادرة من العقل المتصل بالهام السماء » .

آثار محمد اقبـــال

لشاعر الاسلام محمد اقبال مؤلفات وآثار وأعمـــال بعضها مكتوب باللغة الأردية ، وبعضها باللغة الفارسية ، وبعضها باللغة الفرنســـية ويسود هذه الآثار الشعر ثم النثر ، واليك ثبتا بهذه الدواوين والآثار :

١ ــ باللغة الاردية شعرا :	عام الطباعة
بانك درا (صلصلة الجرس)	١٩٢٤
بال جبريل (جنــاح جبريل)	١٩٢٥
ضرب كليم (ضرب الكليــم)	١٩٢٧
أرمغان حجاز (هدية الحجاز)	نشر بعد وفاته ،

٢ ــ باللغة الفارسية شعرا :

أسرار خودى (أسرار ذاتيه)	١٩١٥
رموز بنخودى (رموز نفى الذاتية)	١٩١٨
بيام مشرق (رسالة المشرق)	١٩٢٣ وكتب الشاعر فوق عنــوان الديوان (جواب ديوان الشاعــر الالمانى « جوتيه »)
جاويد نامه (الكتاب الخالد)	١٩٣٢ وفى العنوان تورية بجاويد ابن الشاعر وهذا الكتاب على غرار « الكوميديا الالهية» التى كتبها الشاعر الايطالى دانتى .

بس جه بايدكرداى أقوام شرق
(ما ينبغى أن نعمل يا أقوام الشرق) ١٩٣٦
مسافر ١٩٢٤
زبور عجم (زبور العجـــم) ١٩٢٩

٣ ــ بالاردية نثرا :

اقبال نامه (مجموعة رسائل)

٤ ــ الانكليزية نثـــرا :

1 – Six Leatures on The Reconstration of Religious Thought In Islam . . 1944.

2 – Iqbal Letters to Jinnal . . 1944.

3 - -The Development of Metephyeics in Persia.

4 – Speechs and Statmants of Iqbal . . 1908.

ذكرى شاعر باكستان وفيلسوفها الكبير الدكتور محمد اقبال من منشورات السفارة الباكستانية بدمشق ــ نيسان ١٩٦٩ بتصرف .

ركن الموسوعة الفقهية

تحرره : إدارة الموسوعة

أ) الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على النطاق الدولى :

عرضنا فى العددين السابقين لدراسات القانون المقارن فى الجامعات والمعاهد وللمؤلفات التى تتخذ مرجعا لهذه الدراسات ، كما عرضنا لجمعيات ومراكز القانون المقارن وما تصدره من مجلات وبحوث .

ونعرض بالبحث الآن مجالا ثالثا من مجالات القانون المقارن هو المؤتمرات الدولية القانونية وما تبحثه من مسائل وما تتخذه من توصيات .

ان العديد من المنظمات الدولية أو الوطنية الهامة ، أو معاهد البحوث التى تناولناها بالبحث فى العدد السابق ، تقوم بتنظيم مؤتمرات دولية لبحث موضوعات قانونية خاصة على أساس مقارن بغية التوصل الى قرارات أو توصيات أو مشروعات قوانين نموذجية أو لمجرد تبادل وجهات النظر وتعميق البحث فى العديد من المشكلات القانونية التى يشترك فى الاهتمام بها كثير من بلاد العالم .

وتدعى الدول الاسلامية ــ ضمن من يدعى من الدول ــ لحضور هذه المؤتمرات ويمكن أن نلخص ردود الفعل للدول الاسلامية على النحو الآتى :

ــ يحدث فى كثير من الحالات عدم اهتمام من حيث مبدأ المشاركة فى المؤتمر ، فلا ترسل الدولة الاسلامية وفدا أو مندوبا يمثلها .

ــ فى الاحوال التى تقرر الدولة الاشتراك فى المؤتمر ، يحدث عادة ان يتم تقرير الاشتراك واختيار الوفد فى آخر لحظة ، فلا يكون هناك فرصة للاعداد للمؤتمر .

ــ قلما توجد فى الدول الاسلامية أجهزة لمتابعة النشاطات الدولية ، بحيث تكون هناك دراسات مسبقة معدة فى الموضوعات التى ستناقش فى المؤتمر ، ويترك ذلك للجهد الشخصى لاعضاء الوفد الذى سيحضر المؤتمر .

ــ كثيرا ما يكون اختيار أعضاء الوفد على أساس اتاحة فرصة للسفر والراحة والاستمتاع لذوى الحظوة من أصدقاء المسئولين والمقربين اليهم ، لا على أساس اختيار الشخص المتخصص فى الموضوع الذى يعقد المؤتمر لمناقشة أمثاله .

ـــ والنتيجة لما تقدم حتمية لا تتخلف ، وهى السلبية التامة فى موقف الوفد الذى يحضر المؤتمر ، فيقتصر دوره على الاستماع والتصويت ، فلا دراسات تقدم ولا مناقشات توجه ، ويخرج المؤتمر بالقرارات التى أرادها منظمو المؤتمر ، اللهم الا اذا كان هناك ناحية ذات حساسية معينة تمس سياسة الدول العربية أو الاسلامية ، فحينئذ تنشط الوفود الاسلامية للاعتراض ، وغالبا ما ينتهى الأمر بمجاملتهم واستبعاد ما يغضبهم ، فتسكن الثورة ويهدأ الجو من جديد .

هذا ما يحدث كثيرا فى المؤتمرات العلمية فى المسائل التى تتصل بالقانون وهو صورة قريبة مما يحدث فى الانواع الأخرى من المؤتمرات ولا حول ولا قوة الا بالله .

نقدم هذا بين يدى البحث ، لنوضح مدى البعد بين واقعنا وبين ما يجب علينا من الاهتمام بالمؤتمرات الدولية ، ولنبين أن الايجابية ــ التى نفتقدها فى المجال الدولى ــ شرط أولى لما نحن بصدد بحثه من أهمية الاستفادة من هذه المؤتمرات الدولية لعرض وجهة النظر الاسلامية ، والدور الذى يمكن أن تؤديه موسوعة الفقه الاسلامى فى هذا المجال .

ولنضرب أمثلة لبعض مؤتمرات الاعوام السابقة :

١ ــ عقد فى مونتريال بكندا فى آذار (مارس) ١٩٦٨ مؤتمر دولى غير حكومى لبحث حقوق الانسان تمهيدا للمؤتمر الدولى الحكومى الذى عقد فى طهران فى شهرى نيسان وأيار (مايو) ١٩٦٨ ، وقد تناول البحث فى كلا المؤتمرين المزيد من حقوق الانسان وحرياته ، والضمانات العملية لممارسة هذه الحقوق والحريات .

٢ ــ عقد فى لاهاى فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٨ الدورة الحادية عشرة لمؤتمر لاهاى للقانون الدولى الخاص . وقد تناول البحث اعداد معاهدة الاعتراف بالطلاق والتفريق القانونى ، ومعاهدة القانون الواجب التطبيق على حوادث المرور ، ومعاهدة الحصول على الادلة فى الخارج فى المسائل المدنية والتجارية ، ومراجعة معاهدة الاعتراف بالاحكام الاجنبية وتنفيذها .

٣ ــ وفى أيلول (سبتمبر) ١٩٦٩ عقد فى بانجكوك مؤتمران (أحدهما) المؤتمر العالمى لمركز السلام العالمى عن طريق القانون ، (والثانى) مؤتمر الجمعية العالمية للقضاة . وقد تناول البحث فى مؤتمر القضاء مسائل الاجراءات القضائية ، وتكوين القضاة واختيارهم ، والتنظيم والادارة القضائية ، والازدواج القضائى فى البلاد النامية .

٤ ــ وفى بيروت عقد المؤتمر السنوى للجمعية الدولية للمحامين الشبان فى أيلول (سبتمبر) ١٩٦٩ وتناول بالبحث مسائل : نقل أعضاء الجسم الحى أو الميت حديثا الى جسم آخر ، والقانون الواجب التطبيق على عقد البيع الدولى .

ومن المؤسف حقا أن صوت الشريعة الاسلامية لم يسمع فى أى من هذه المسائل التى طرحت ، بسبب السلبية التى يبديها المسلمون فى هذه المجالات من ناحية ، وبسبب عدم توافر المرجع الميسر لمعرفة رأى الشريعة الاسلامية من ناحية أخرى .

ولا يفوتنا قبل أن نختتم هذا المقال ان نشير الى ان هذه المؤتمرات فرص دولية مستمرة ، وأن ما فاتنا فى الماضى بامكاننا أن نعوضه فى المستقبل ، ونذكر فيما يلى أمثلة للمؤتمرات التى ستعقد فى الشهور الستة القادمة :

١ — ففى ١٥/ — ١٩/ من تموز (يوليو) ١٩٧٠ تعقد الجمعية الدولية للقانونيين الديمقراطيين مؤتمرها التاسع فى مدينة هلسنكى من بلاد فنلندا حيث يجرى بحث الموضوعات الآتية :

(١) المظاهر القانونية لمشكلات الاستقلال الوطنى ، والسلام والأمن الدولى والصراع ضد الاستعمار فى عالم اليوم .
(٢) المشكلات القانونية للدول النامية .
(٣) المظاهر القانونية لصيانة الحقوق الاساسية للانسان فى العالم المعاصر .
(٤) التقدم العلمى وحقوق الانسان .

٢ — وفى لاهاى يعقد المؤتمر الرابع والخمسون للجمعية الدولية للقانون فى المدة من ٢٣/ — ٢٩/ آب (أغسطس) ١٩٧٠ حيث يجرى بحث الموضوعات الآتية :

القوانين ضد الاحتكار — القانون الطبى الدولى — القانون النقدى الدولى — حقوق الانسان — العلاقات العائلية — الأمن والتعاون الدوليين — الاستثمارات الخارجية فى الدول النامية — حق اللجوء — التحكيم — تعاقب الدول — قانون الفضاء — ثروات أعماق البحار — القانون الجوى والقرصنة الجوية .

٣ — وفى طوكيو يعقد اتحاد المحامين الدولى مؤتمره الثالث عشر فى المدة من ٢٤/ — ٢٨/ آب (أغسطس) ١٩٧٠ حيث تبحث المسائل الآتية :
دور المحامى فى السنوات العشرين القادمة — مسئولية المحامى عن اهماله — الزواج بين مختلفى الجنسية — القانون والأدمغة الالكترونية — دور المحاكم غير القضائية فى حل المنازعات .

٤ — أما المؤتمر السنوى الثامن للجمعية الدولية للمحامين الشبان فينعقد فى روما فى المدة من ٢٢/ — ٢٦/ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ حيث تظهر المسائل الآتية على جدول الاعمال :
حرية الاعلام — البيع الدولى للبضائع — حقوق الاطفال غير الشرعيين — التحاق المحامى الشاب بمؤسسة مهنية .

لقد ارتفع صوت الشريعة الاسلامية فى عدد قليل من المؤتمرات الدولية فى الماضى ، وكان لذلك أثره البالغ فى تعريف الاوساط القانونية الدولية بمزايا الشريعة ودفع الشبهات عنها وقدرة فقهها الغزير على امداد هذه المؤتمرات بالمفيد القيم من البحوث والنظريات القانونية ، كما كان لاعتراف هذه الاوساط بفضل الشريعة ومزاياها أثر فى تثبيت قلوب كثير من المسلمين الذين يحتاجون الى مثل هذه الشهادات ليثقوا بقيمة تراثهم العظيم الخالد ، ويطمئنوا الى شريعتهم (والفضل ما شهدت به الاعداء) .

وأقرب الأمثلة على ذلك قرارات مؤتمر الفقه الاسلامى المنعقد فى كلية الحقوق بجامعة باريس سنة ١٩٥١ ، وهو الذى كان من جملة قراراته وتوصياته ضرورة ايجاد موسوعة للفقه الاسلامى .

ونأمل ان يتجدد نشاط المسلمين ويستمر فى هذه الاوساط الدولية وان يكون لموسوعة الفقه الاسلامى دور فعال فى تيسير معرفة الاحكام الاسلامية وعرضها فى هذه المجالات .

ب) من بريد الموسوعة :

وردت الى ادارة الموسوعة عدة ملاحظات من بعض الاساتذة نقتصر فى هذا العـــدد على مناقشة جانب منهـــا وهو ما يختص بالـــمذاهب التى ينبغى للموسوعة عرض آرائها ، وكذا ما يختص بالآراء المختلفة فـــى داخل المذهب الواحد ، ما يذكر منها وما يترك :

١ ــ فقد كتب الينا بعض الأساتذة يرى الاقتصار على مذاهب الســـنة الاربعة المعروفة وعدم الاشارة الى ما سواها .

٢ ــ كما اقترح البعض ان تختار الموسوعة ما دل عليه الكتاب والسنة ولا تتعرض للخلافات بالمرة . (أى ان تقوم الموسوعة باجتهاد جديد) أو أن تذكر الخـــلاف فى آخر الكلام على سبيل التضعيف . واقترح البعض أن يتم اختيار الرأى من قبل لجنة تشكل خصيصا لهذا الغرض .

٣ ــ ويرى البعض ذكر ما لا خلاف عليه فى متن البحث ، وترك الخلافات الى الحاشية .

٤ ــ كما يرى البعض ــ مع موافقته على عرض الخلافات ــ اهمـــــال الاقوال الضعيفة والشاذة .

وفيما يلى نجيب على هذه الملاحظات :

١ ــ أما عن المذاهب التى تتناولها الموسوعة بالدراسة المقارنة ، فقـــد اتجهت موسوعة جامعة دمشق من قبل وموسوعتا المجلس الاعلى الاسلامى وجمعية الدراسات بالقاهرة الآن الى الاتجاه نفسه من شمول العرض الفقهى للمذاهب الثمانية الموجودة حاليا فى مختلف أجزاء العالم الاسلامى ، ولا ضرر من ذلك ، اذ الأمر مقتصر على بحث النواحى الفقهية دون النواحى العقائديـــة والسياسية ، ولا شك أن شمول البحث لأوسع دائرة من المذاهب مع بيان دليل كل رأى يحقق المقصود من الموسوعة ، وهو عرض الثروة الفقهية الضخمة التى تزخر بها كتب الفقه على اختلاف مذاهبه عرضا مقارنا . ويهمنا فى هذا المجال ان نشير الى أن بعض المذاهب التى لم يقفل فيها باب الاجتهاد ، استمر الانتاج الفقهى فيها متطورا مع حاجة كل عصر ومتطلباتـــه مما يفيـــد بحثه فى معرض الدراسة المقارنة .

كما أن هذه الدراسة المقارنة يتضح منها أثر الخلافات العقيدية والسياسية فى بعض الآراء الفرعية دون البعض الآخر مما يهم الباحث معرفته فى ضـــوء الدراسة المقارنة .

وان عرض المذهب المخالف أيا كان لا يعنى تفضيلا أو تأييدا له من جانب الموسوعة ، أو انتقاصا من غيره ــ رغم الخلافات الجذرية أحيانـــا ، كما بين الشيعة والاباضية ــ اذ ان منهج الموسوعة موضوعى بحت يعرض للرأى مـــع دليله دون تجريح أو ترجيح ، ولا مجال بالتالى لما يخشاه البعض من اثارة فرقة أو نشر بدعة كما جاء فى بعض ما ورد الى الموسوعة من رسائل .

٢ ــ أما اقتراح اختيار ما دل عليه الكتاب والسنة دون عرض الخـــلافات بالمرة ، فهذا خلاف الخطة الموسوعية كذلك ، اذ أن الاختيار أو الترجيح انمـــا يكون عند اصدار قانون أو فتوى ، أما مجال البحث العلمـــى وعرض الثروة الفقهية التى تمتاز بهذا التنوع فى النظر المؤدى الى الخلاف فى الرأى ، فـــلا مناص فيه من عرض الخلافات وأدلتها ، ولا سيما أن الخلاف قد يكون فى دلالة النص من كتاب أو سنة على الحكم فى المسألة ولا مجال اذن للقول بأن رأيـــا

معينا دل عليه الكتاب والسنة . فكل رأى له وجهه فى الفهم والاستدلال المبنى على أصول الاجتهاد ، كما ان مناقشته للرأى المخالف مبنى كذلك على هذه الأصول نفسها .

وللقارىء — ان كان من أهل النظر والترجيح — أن يختار لنفسه الرأى الذى يطمئن اليه بعد معرفة الآراء كافة وأدلتها ، ولا يمنع ذلك من أن يبدى كاتب الموضوع أو ادارة الموسوعة رأيه الشخصى فى الحاشية — غير مختلط بالفقه المنقول الذى تتولى الموسوعة عرضه بأمانة — اذا اقتضى الأمر تعليقا أو مناقشة لبعض الآراء .

كما أن بعض الموضوعات ذات الصبغة القانونية تقوم ادارة الموسوعة باختيار آراء معينة فى مسائلها وأحكامها تمثل المبادىء والقواعد الاساسية الفقهية فى موضوعها، وتصوغها فى صورة مواد مقننة ملحقة بالموضوع الأصلى تمهيدا لفكرة تقنين كامل من الفقه الاسلامى وسيظهر موضوع الحوالة — الذى هو تحت التهيئة والطبع الآن — بهذه الصورة ان شاء الله .

٣ — أما اقتراح ذكر ما لا خلاف عليه فى متن البحث ، وترك الخلافات الى الحاشية ، ففيه تجزئة للبحث فقد يكون القدر المتفق عليه أقل كثيرا من المختلف فيه ، وهو الأغلب وتقسيم الرأى حتى فى المسألة الواحدة بين المتن والحاشية يشعب البحث ويتعب القارىء ، فاذا أنزلت الخلافات مع أدلتها ومناقشاتها الى الحاشية صارت الحاشية أكبر بكثير من المتن ، مع ما فى ذلك من تشويه تحرص الموسوعة على اجتنابه .

هذا ، وقد خصصت الموسوعة الحاشية للآراء الشخصية للكاتب عند الضرورة ، كيلا تختلط بالفقه القديم الذى يعرض كاملا فى المتن ، سواء منه ما كان محل اتفاق أو ما كان مختلفا فيه .

٤ — وأخيرا نأتى الى مناقشة الاقتراح الخاص باهمال الاقوال الضعيفة والشاذة .

لقد انتهجت ادارة الموسوعة كما هو موضح فى بيانات خطة الكتابة التى ترسل الى الأساتذة الكتاب لمراعاتها فى كتابة الموضوعات — نهجا مقتضاه ذكر الخلافات الجوهرية دون غيرها ، والمراد بالخلاف الجوهرى كل ما فى ذكره قيمة علمية ، ولا سيما الخلافات التى تعتمد على أصول أو نصوص معارضة لما يتبناه المذهب الحنفى (الذى يجعل بساطا لعرض الموضوع) ، ومن الخلافات الجوهرية ما يبدو أدنى الى روح الشريعة وأكثر تحقيقا لمقاصدها العامة ، ولو كان مرجوحا فى المذهب المنقول منه فلا حاجة الى ذكر الخلاف الذى يكون نظريا محضا غير ذى ثمرة ، أو فرعيا تافها غير ذى بال .

وهكذا يتبين أن المعيار الذى وضعته ادارة الموسوعة هو التفرقة بين الخلاف الجوهرى وغير الجوهرى ، وليس التفرقة بين الرأى الراجح والرأى الضعيف أو الشاذ ، ذلك ان الرأى قد يكون ضعيفا أو شاذا فى عصر ، ثم يبدو فيما بعد أن المصلحة كل المصلحة فى الأخذ به وان قائله كان أبعد نظرا من عصره وأكثر ادراكا للنتائج لا سيما اذا تبناه ولى الأمر بما له من سلطة الترجيح فيصبح بذلك راجحا بعد أن كان مرجوحا ، كما وقع فى تقنينات الاحوال الشخصية فى طلاق الثلاث بلفظ واحد . فالمفروض فى الموسوعة أن تعرض الآراء جميعا طالما أن موطن الخلاف أمر جوهرى ، لأن المقصود من الموسوعة هو العرض العلمى المحايد الأمين للآراء كافة ، وليس من مهمتها الترجيح . ولمن شاء ترجيح رأى على رأى أن يفعل ذلك خارج نطاق الموسوعة .

دَليل نجَاسَة الخَمر مِنَ السّنّة المطَهّرة

للأستاذ
عبد الفتاح أبو غدة

اتفق جمهور العلماء ومنهم ائمة المذاهب الأربعة على الحكم بنجاسة الخمر ، وقد استدلوا لنجاستها فى كتب التفسير والفقه بقوله تعالى : (انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) .

ولما كان القرآن الكريم حمال وجوه من المعانى ، لم تكن الآية قاطعة الدلالة على النجاسة ، ولذا رأيت التماس دليل نجاستها من السنة المطهرة ، فانها شارحة للقرآن ومبينة لوجوهه ومعانيه . فبحثت عنه طويلا ، وسألت عنه كثيرا كبار العلماء فلم اصل اليه . ثم منحنى الله الوقوف عليه ، فرأيت الآن نشره ، لما قد جرى فى بعض المجالات العلمية من تساؤل عنه وانكار لوجوده .

فأقول : جاء فى الحديث الذى رواه الصحابى الجليل أبو ثعلبة الخشنى رضى الله عنه ، ورواه عنه أصحاب الكتب الستة وغيرهم : ما يدل على نجاسة الخمر .

فروى البخارى فى مواضع من « صحيحه » والألفاظ شبه واحدة ، فأدخلت من بعضها فى بعض ، فى كتاب الصيد والذبائح فى (باب صيد القوس) ٩:٥٢٣ ، و (باب ما جاء

فى التصيد) ٩:٥٢٨ ، و (باب آنية المجوس والميتة) ٩:٥٣٧ ، قال ابو ثعلبة : « أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسـول الله إنا بأرض قوم أهل كتاب ، أفنأكل فى آنيتهم ؟ وبأرض صيد ، أصيد بقوسى ، وبكلبى الذى ليس بمعلم ، وبكلبى المعلم ، فما يصلح لى ؟

قال : أما ما ذكرت من انك بأرض أهل الكتاب فلا تأكلوا فى آنيتهم ، الا ان لا تجدوا بدا فاغسلوها وكلوا فيها . واما ما ذكرت من انك بأرض صيد فما صدت بقوسك فذكرت الله فكل ، وما صدت بكلبك المعلم فذكرت الله فكل ، وما صدت بكلبك الذى ليس بمعلم فأدركت ذكاته فكل » .

ورواه مسلم فى « صحيحه » فى كتاب الصيد والذبائح ١٣:٧٩ ، والنسائى فى « سننه » فى كتاب الصيد والذبائح أيضا ٧:١٨١ مقتصرا فيه على ما يتعلق بالصيد .

ورواه ابو داود فى « سننه » فى كتاب الأطعمة فى (باب الأكل فى آنية أهل الكتاب) ٣:٣٦٣ مقتصرا فيه على ما يتعلق بالخمر وهذا لفظه « قال يا رسول الله : إنا نجاور أهل الكتاب ، وهم يطبخون فى قدورهم الخنزير ، ويشربون فى آنيتهم الخمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان وجدتم غيرها فكلوا فيها واشربوا ، وان لم تجدوا غيرها فارحضوها — اى اغسلوها — بالماء ، وكلوا واشربوا » .

ورواه الترمذى فى « سننه » أول ابواب الصيد فى (باب ما جاء ما يؤكل من صيد الكلب وما لا يؤكل) ٦:٢٥١ ، وفيه (... إنا اهل سفر نمر باليهود والنصارى والمجوس ، فلا نجد غير آنيتهم ؟ قال : فان لم تجدوا غيرها فاغسلوها بالماء ، ثم كلوا فيها واشربوا » . قال ابو عيسى — أى الترمذى — : هذا حديث حسن صحيح .

ورواه أيضا فى أبواب السير فى (باب ما جاء فى الانتفاع بآنية المشركين) ٧:٥٠ « قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله إنا بأرض قوم أهل كتاب ، نأكل فى آنيتهم ؟ قال ان وجدتم غير آنيتهم فلا تأكلوا فيها ، فان لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها » .

ورواه أيضا فى أبواب الأطعمة فى (باب ما جاء فى الأكل فى آنية الكفار) ٧:٢٩٧ « قال أبو ثعلبة : يا رسول الله إنا بأرض اهل الكتاب ، فنطبخ فى قدورهم ؟ ونشرب فى آنيتهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان لم تجدوا غيرها فارحضوها — اى اغسلوها — بالماء » . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

ورواه ابن ماجه فى « سننه » فى أبواب الجهاد فى (باب الأكل فى قدور المشركين) ٢:٩٤٥ « قال : اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألته فقلت يا رسول الله : قدور المشركين نطبخ فيها ؟ قال : لا تطبخوا فيها . قلت فان احتجنا اليها فلم نجد منها بدا ؟ قال : فارحضوها رحضا حسنا ، ثم اطبخوا وكلوا » .

ورواه أيضا فى أبواب الصيد فى (باب صيد القوس) ٢:١٠٧١ مقتصرا فيه على ما يتعلق بالصيد .

ورواه الامام احمد فى «مسنده» فى (مسند أبى ثعلبة) ٤:١٩٣—١٩٥ من خمس طرق الى ابى ثعلبة ، وبألفاظ متقاربة أتمها قوله ٤:١٩٤ : « قلت يا نبى الله : ان ارضنا أرض أهل كتاب ، وانهم يأكلون لحم الخنزير ، ويشربون الخمر ، فكيف أصنع بآنيتهم وقدورهم ؟ قال : ان

لم تجدوا غيرها فارحضوها ، واطبخوا فيها واشربوا » .

ورواه الحاكم فى « المستدرك على الصحيحين » فى كتاب الطهارة ١٤٣:١ « قال : قلت يا رسول الله انا بأرض أرضنا أهل كتاب ، يشربون الخمور ، ويأكلون الخنازير ، فما ترى فى آنيتهم وقدورهم ؟ فقال دعوها ما وجدتم عنها بدا ، فاذا لم تجدوا عنها بدا فاغسلوها بالماء ، أو قال : انضحوها بالماء ، ثم قال : اطبخوا فيها وكلوا » .

ثم رواه الحاكم من طريقين آخرين الى أبى قلابة الراوى عن أبى ثعلبة بنحو هذا اللفظ ، وقال عقبهما : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، لم يخرجاه » . وأقره الحافظ الذهبى فى « تلخيص المستدرك » .

ففى أمره صلى الله عليه وسلم بغسل الأوانى التى تشرب فيها الخمر دليل على نجاسة الخمر ، لا سيما وقد منعهم من استعمالها ان وجدوا غيرها : « ان وجدتم غير آنيتهم فلا تأكلوا فيها » . وما أذن لهم باستعمالها الا بشرط غسلها وأن لا يجدوا غيرها : « فان لم تجدوا غيرها فاغسلوها بالماء ، ثم كلوا فيها واشربوا » .

وقد استدل بهذا الحديث غير واحد من العلماء على نجاسة الخمر ، قال الخطابى فى « معالم السنن » ٢٥٧:٤ شارحا حديث أبى داود السابق ذكره : « والأصل فى هذا أنه اذا كان معلوما من حال المشركين أنهم يطبخون فى قدورهم الخنزير ، ويشربون فى آنيتهم الخمور ، فانه لا يجوز استعمالها الا بعد الغسل والتنظيف . وأما مياههم وثيابهم فانها على الطهارة كمياه المسلمين وثيابهم ، الا أن يكونوا من قوم لا يتحاشون النجاسات ، أو كان من عادتهم استعمال الأبوال فى طهورهم ، فان استعمال ثيابهم غير جائز ، الا أن يعلم أنه لم يصبها شىء من النجاسات ، والله أعلم » .

واستدل به على نجاسة الخمر أيضا الامام تقى الدين ابن دقيق العيد فى كتابه « الامام » ، كما نقله عنه الحافظ الزيلعى فى « نصب الراية » ٩٥:١ ، والامام ابن الهمام فى « فتح القدير » ٥١:١ .

وأورده الامام مجد الدين ابن تيمية مستدلا به على نجاستها فى « منتقى الأخبار » فى كتاب الطهارة فى (باب تعين الماء لازالة النجاسة) ٣٦:١ بشرح الشوكانى : « نيل الاوطار » . وقال الشوكانى فيه فى (باب طهارة الماء المتوضأ به) ١٩:١ فى سياق الرد على من قال بنجاسة عين الكافر مستدلا بحديث أبى ثعلبة : « والأمر بغسل الآنية فى حديث أبى ثعلبة ليس لتلوثها برطوباتهم ، بل لطبخهم الخنزير وشربهم الخمر فيها ، يدل على ذلك ما عند أحمد وأبى داود من حديث أبى ثعلبة أيضا بلفظ : ان أرضنا أرض أهل كتاب ، وانهم يأكلون لحم الخنزير ، ويشربون الخمر ، فكيف نصنع بآنيتهم وقدورهم ؟ » .

وروى الحاكم فى « المستدرك » فى كتاب الأدب ٢٨٩:٤ــ٣٩٠ « عن سبيعة الأسلمية قالت : دخل على عائشة نسوة من أهل الشام ، فقالت عائشة : ممن أنتن ؟ فقلن : من أهل حمص ، فقالت : صواحب الحمامات ؟ فقلن : نعم . قالت عائشة رضى الله عنها : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحمام حرام على نساء أمتى . فقالت امرأة منهن : فلى بنات أمشطهن بهذا الشراب ، قالت بأى الشراب ؟ فقالت : الخمر . فقالت

عائشة رضى الله عنها : افكنت طيبة النفس أن تمتشطى بدم خنزير ؟ قالت : لا ، قالت : فانه مثله » . قال الحاكم : « هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه » . انتهى . ووافقه الذهبى على صحته فى « تلخيص المستدرك » فقال : « صحيح » .

وجاء فى تاريخ الامام ابن جرير الطبرى : « تاريخ الأمم والملوك » ٢٠٤:٤ فى حوادث سنة ١٧ من الهجرة ما صورته : « كتب إلى السرى عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عثمان وأبى حارثة ، قالا : فما زال خالد — يعنى ابن الوليد — على قنسرين ، حتى غزا غزوته التى أصاب فيها ، وقسم فيها ما أصاب لنفسه . كتب إلى السرى عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى المجالد مثله . قالوا :

وبلغ عمر أن خالدا دخل الحمام فتدلك بعد النورة بثخين عصفر معجون بخمر ، فكتب اليه : بلغنى أنك تدلكت بخمر ، وان الله قد حرم ظاهر الخمر وباطنه ، كما حرم ظاهر الاثم وباطنه . وقد حرم مس الخمر الا أن تغسل ، كما حرم شربها ، فلا تمسوها أجسادكم ، فانها نجس ، وان فعلتم فلا تعودوا . فكتب اليه خالد : إنا قتلناها فعادت غسولا غير خمر ، فكتب اليه عمر : انى أظن آل المغيرة قد ابتلوا بالجفاء ، فلا أماتكم الله عليه ، فانتهى إلى ذلك » .

وفتوى الصحابى حجة فيما لم يرد فيه نص عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكيف اذا طابقت فتواه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت معززة لدلالته ومبينة لمعناه ومؤيدة لفهمه .

والفاروق وعائشة رضى الله عنهما من كبار فقهاء الصحابة الذين شاهدوا مواضع التنزيل ، وخالطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفوا من أقواله وأفعاله وأحواله وسيرته وأمره ونهيه : ما مكنهم أن يفهموا كلام الله وكلام رسول الله حق الفهم ، وقد صرحا بأن الخمر نجسة كدم الخنزير ، وظاهرها وباطنها حرام .

وصريح فتواهما هذه الى جانب الحديث الشريف الدال على نجاسة الخمر يكونان بيانا وتفسيرا لمدلول (الرجس) فى قوله تعالى : (انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) . وتكون النجاسة حقيقة فى الخمر ، ومجازا فيما ذكر معها من باب عموم المجاز ، كنجاسة المشركين المصرح بها فى قوله تعالى : (انما المشركون نجس) . لاشتراك جميع المذكورات فى آية الخمر فى خبث الأثر ، وإضاعة العقل وإهداره ، وتولية الشيطان وإضلاله ، والله أعلم .



ن القصص الاسلامي



غزوة بني قينقاع

بقلم : حسين الطوخى

هاجت البغضاء فى قلوب يهود المدينة وامتزجت بها رجفة سرت فى أوصالهم حين علموا بنصرة محمد صلوات الله وسلامه عليه ومن معه من المسلمين فى وقعة (بدر) الكبرى على كفار قريش وطفقوا يناقشون وقائع هذه الغزوة ويحدث بعضهم بعضا :

« ان محمدا لم يلق فى رجال قريش من يحسن القتال ولو لقينا لاقى عندنا قتالا لا يشبهه قتال أحد . »

وتحرى الرسول إفك ما يقولون ، ووضح له ان يهود بنى قينقاع قد نقضوا العهد وانهم تزعموا حملة التشكيك فى قوة المسلمين على قهر اعداء دينهم الجديد .

يومئذ بادر النبى يجمعهم فى سوق بنى قينقاع ، وحرارة معركة بدر لم تبرد بعد ، وواجههم صلوات الله عليه بكل ما يملك من جسارة المحارب قائلا :

« يا معشر اليهود .. احذروا من الله عز وجل مثلما نزل بقريش من النقمة واسلموا فانكم قد عرفتم أنى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وفى عهد الله اليكم . »

كان حديث النبى انذارا ووعيدا ليهود المدينة عامة ، وليهود بنى قينقاع خاصة ، لكنهم صعروا خدهم وظلوا يمشون فى الأرض مرحا وينفثون سموم احقادهم فى محافلهم ونواديهم وفى أمسيات لياليهم يشككون الناس فى بقاء هذا الدين ، وينشرون الشائعات بأن قريشا لن تسكت على هزيمتها وعن محمد وعمن انضوى تحت لوائه ، وانها ستلعق جراحها ثم تتجهز للقاء محمد لتقضى عليه وعلى دعوته قضاء لا قيامة له بعده ..

واستشاط النبى غضبا وغيرة على دينه ودعوته ، وان هى الا ليلة أو ضحاها ثم ينزل عليه جبريل عليه السلام بالآية الكريمة :

« واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء » .

ويحزم النبى امره ويخرج مع اصحابه ومحاربيه من المسلمين ويحاصر يهود بنى قينقاع خمس عشرة ليلة لا يطلع منهم أحد ثم ينزلون على حكمه ، ويريد

قتلهم ، ثم يكلم فى شأنهم فلا يرضى بغير اجلائهم من المدينة ومصادرة ما يملكون من أموال ودور ومتاع ، فكان أن غادروا المدينة الى خيبر .
اهتزت الجزيرة العربية من أدناها الى أقصاها بعد أن حملت الرياح على أجنحتها نبأ طرد بنى قينقاع من المدينة ، وبات معشر اليهود فى كل مكان فى هم مقيم وبلاء عظيم .

ترى هل يستسلمون لهذا المصير الفاجع الذى يتهددهم ويتربص بهم كلما أوغل النبى فى غزواته ، وكلما عاد موكبه الظافر الى يثرب ؟

لقد زاد احساسهم بخطر محمد ودعوته ، ما أقدم عليه من طرده لبنى النضير بعد مصادرة أموالهم وسلاحهم وأغلب ما يملكون ، ليذهبوا الى الشام غير مأسوف عليهم لما بدا من غدرهم يوم أن عزموا على قتله بالقاء صخرة عليه من خلف جدار كان يجلس اليه ومعه نفر من الصحابة .
ثم تضاعف احساسهم بما يحيط بهم ويساقون اليه من تشريد قريب ، حين بلغهم قتل الرسول لبنى قريظة بعد وقعة الخندق — وقد كانوا مناصرين ومظاهرين لكفار قريش . يومئذ ناح اليهود على قتلاهم الستمائة الذين أمر الرسول بضرب أعناقهم وأقسموا من خلال دموعهم أن ينازلوا محمدا فى وقعة كبرى ولو فنوا عن آخرهم !



اجتمعت أحبار اليهود فى خيبر وتدارسوا موقفهم المؤلم بعد تلك الضربات القاصمة ، وأيقنوا فى قلوبهم أن الاستسلام لمحمد وجيوشه المحاربة ستزيد من قوته بقدر ما يسلبه من عزمهم على مناوأته والتصدى لدعوته التى تحمل فى طياتها القضاء على أمنهم وأحلامهم وما يملكون .
وتتوالى اجتماعاتهم كل ليلة فى خيبر ، تلك الواحة الكبيرة الظليلة ، وقد حفت بها الحدائق وزراعات النخيل ، وتوفر فيها ماء العيون والآبار ، كما توفر لها البعد عن المدينة شمالا قرابة مائة من الأميال ، كما اتخذ يهودها بيوتا محصنة بين تلافيف النخيل والزرع ، وبين تلال من الصخور المنيعة ، وفى بطون وديان تناثرت هنا وهناك لا تراها العين الا بامعان وتدقيق نظر .
ثم يطوف الأحبار ورؤساء القبائل على تلك البيوت المحصنة ، ويفرقون السلاح على أهلها ويمنونهم بيوم النصر القريب على محمد وعلى من معه من المسلمين والذين آمنوا بدينه الجديد .
وينعقد مجلسهم الكبير ذات ليلة تحت زعامة كبيرهم **« سلام بن مشكم »** الذى أعلن فيهم بأن هناك خطرا عظيما بات يتهدد الكيان اليهودى فى شبه الجزيرة العربية ، وأن واجب اليهود ازاء هذا الخطر ، ان يبادروا الى تأليف كتلة واحدة متماسكة تضم يهود « خيبر » ويهود « وادى القرى » ويهود « تيماء » ثم كل يهودى يرى فى نفسه قدرة وكفاءة يشارك بهما فى وقف هذا الخطر الداهم .
وكانت خطة « سلام » أن يزحفوا على « المدينة » بجموعهم وسلاحهم من غير اعتماد على القبائل العربية الذين ألفوا ان ينضموا اليهم من قبل فى مناوأة

النبى ، حتى ينفردوا بفخر مقاتلة المسلمين وهزيمتهم ، ثم ذهب وفد منهم الى « بنى غطفان » فتحالفوا معهم على أن يحاربوا محمدا ومن ينضوى تحت لوائه .

وبلغ الرسول وهو فى المدينة ما انتوى عليه يهود خيبر ، وما اعتزموه من التحرك والخروج الى المدينة بجيشهم لمحاربته ، واذن فقد بدل اليهود أسلوب تفكيرهم وخططهم ، وباتوا يناصبونه العداء جهرة بعد أن كانوا يتخفون ويتسترون بخبثهم ودناءاتهم المستورة .

وكذلك بلغ الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ان كفار قريش قد جمعوا عزمهم من جديد على محاربته والتجهز لملاقاته وكسر شوكته ، وانهم ينسقون خططهم مع يهود خيبر من وراء حصونهم ، وانهم يزودونهم بكل ما يقدرون من مئونة ورجال مدربين على القتال وحمل السلاح .

انها اذن معركة فاصلة والتحام مصيرى سيمتحن به الاسلام والمسلمون وآذان الدنيا يومئذ وعيونها تترقب ما ستاتى به الأيام المقبلة .

وقد عزم النبى ، بمشاورة صحابته ، أن يبادر بحرب اليهود فى عقر دارهم حربا لا هوادة فيها أو تراجع .

وفى يوم باهر من شهر المحرم للسنة السابعة للهجرة ، خرج محمد واصحابه بجيش عرم رجاله أسود والخيل من أمام الجيش ترسل عيونها بريقا من لهب ، وأسنة الرماح تلمع فى وهج الشمس أو فى ضياء القمر البازغ نذيرا بالموت والفناء لأعداء الله وأعداء دينه القويم .

خرج النبى من المدينة قاصدا خيبر ليحبط ما تآمر عليه اليهود ومن يناصرونهم ، ولينصر دين الله خاتم الأديان الذى أنزله الله ليخرج الناس من ظلمات الجهالة وعبث الكهانة الى نور الحق والخير ، وليرد للانسان كرامته ويخلصه من استعباد الانسان لأخيه الانسان .

وان هى الا مسيرة أربعة أيام ، وينزل الرسول بجيشه فى وادى « الرجيع » بين يهود خيبر وقبائل « غطفان » ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر بما تعاهدوا عليه .

فوجئت « غطفان » ذات صباح باكر بجيش النبى وما هو عليه من وفرة فى السلاح ، وغضب يبرق فى العيون ، وصدق عزم على قتال لا رحمة فيه ولا هوادة ، فأخذوا يولون الادبار نجاة بأعناقهم تاركين يهود خيبر الى مصيرهم الاسود المحتوم .

ساعتئذ بدأ الرسول بأموال خيبر يأخذها مالا مالا ، ويفتتحها حصنا حصنا فكان أول ما افتتح حصن « ناعم » ثم حصن « القموص » ثم حصن « الصعب بن معاذ » وقد كان هذا الأخير أعظم حصون اليهود وأكثرها طعاما وأوفرها ذخيرة وسلاحا .

ولما افتتح الرسول من حصونهم ما افتتح ، وحاز من الاموال والسبايا ما حاز ، انتهى ومعه المسلمون الى آخر حصونهم « الوطيح والسلالم » بعد أن حاصر من فيهما بضع عشرة ليلة .

يومئذ أيقن يهود خيبر بحلول الهزيمة بهم ، فبعثوا الى الرسول ان يسيرهم وان يحقن دماءهم ويخلوا له كل ما يملكون من مال وزرع وسلاح ، فكانت خيبر برمتها فيئا للمسلمين .

ويقبل النبى صلوات الله وسلامه عليه عرضهم الذليل بعد ان حاقت بهم

الهزيمة التى لا قيامة لهم بعدها ، ويأذن عليه السلام لرجاله أن يخلدوا للراحة من عناء الحرب ومشقة القتال ، ويضرب الحصار على كل أطراف خيبر ، وتفرض عليها الحراسة المشددة ريثما يتجهز المسلمون للعودة الى المدينة تسبقهم اهازيج النصر على أعداء الله وأعداء دينه الحنيف .

وهناك خارج أطراف خيبر ، تتجمع الفلول المنهزمة من اليهود يلعقون جراحهم ، ويذرفون الدموع السخينة على ما أصابهم ، ويبدون الندم على ما تورطوا فيه ولكن هل ينفع الآن ندم ؟

وفى مزارع خيبر ، وتحت ظلال نخيلها الباسق ، يتجمع المسلمون المنتصرون يسمرون ويسترجعون ذكريات وقعاتهم مع اليهود فى المدينة ، ويتدارسون خطط النبى وصحابته كلما خرج للغزو والقتال فى سبيل الله ، وكيف ان الله ينصر من ينصره ويؤيد برحمته كل من يعبده بقلب سليم .

استرجع المحاربون خطط النبى وكيف كان عليه السلام حصيفا غاية الحصافة بعد أن دخل المدينة مهاجرا من مكة فرارا بدينه من كفار قريش ، حين وادع اليهود ، حتى يؤمن ظهره حين يخرج لمحاربة أعداء الله .

ذكروا فيما ذكروا ان الرسول لم يهادنهم عن ضعف ، ولم يوادعهم عن استسلام لسلطانهم أو نفوذهم ، وانما كانت دعوته تقتضيه الا يحارب فى أكثر من جبهة ، ولا يشغل جيشه المحارب بأكثر من عدو واحد .. فى وقت واحد ..

وذكروا فيما ذكروا كذلك ، أن الرسول لم يعلن عليهم الحرب فى المدينة الا بعد أن ضاق بهم بعد أن نقضوا العهود ، وتناسوا الوعود ، وانهم عادوا الى ما الفوه من خسة فى الطبع ودناءة فى الضمائر التى انطوت جوانحها على كراهة البشر عامة والمسلمين خاصة .

وفى ليلة أخرى من ليالى خيبر ، يذكر المسلمون ان النبى الكريم لم يكن عاتبا على يهود المدينة ولا ظالما لهم حين أخرجهم من بلاد المسلمين ، ذلك لأنه عليه السلام أدرك أنه كلما افسح لهم صدره ، ومد فى حبال حلمه ، كلما زادوا بغيا وافسادا ، وكلما وسع فى موادعتهم ، كلما امعنوا فى شركهم ومناصرة أعداء الاسلام عليه وعلى المسلمين .

لقد صبر عليهم الرسول صبرا جميلا ثم أدرك بحسه الصادق فى نهاية المطاف ، أنه يعرض الدعوة الاسلامية ويعرض المسلمين معه الى خطر يستفحل أمره ، طالما بقى اليهود فى المدينة مع المسلمين الذين فروا بدينهم من افك قريش وجبروت الظالمين .

عند هذا الحد من الحديث ، ارتفعت أصوات مؤمنة رصينة تقول : لله در محمد ما كان اجمله وأحلمه ! لقد ظن السفهاء حلمه ضعفا وجبنا ، وحسبوا كرمه ونقاء قلبه استسلاما وخورا .

ويعود الحديث الشائق الى ما كان عليه ، ويذكر القوم المؤمنون والرسول على مقربة منهم فى خيمته مع خاصة صحابته ، انه عليه السلام لم يكن مغامرا حين عزم على قهرهم واجلائهم من المدينة ، وانما كان يقدر لكل خطوة يخطوها توقيتها المناسب ، وكان يزن كل كلمة تخرج من بين شفتيه بميزان احدى كفتيه تحمل روح رجل محارب من طراز فريد ، وفى الكفة الأخرى عقل رجل سياسى ذى ذكاء شديد .

كذلك لم يكن الرسول الا رجلا مسئولا أمام هذا العالم الذى انفتحت آذانه وعيونه تترصد دعوته ، وترقب كل ما يصدر عنه من قول أو فعل .

لم يكن صلوات الله عليه يقول كلاما يضلل به المسلمين ثم لا يقدر على ترجمته الى فعل ايجابى ، انما كان يقول ويفعل ما أمر به الدين الذى أنزله الله لهداية العالمين.

كذلك لم يكن عليه السلام يستأثر برأى صدر عنه دون أن يعرضه على صحابته ، فان أقروه عليه انفذه ، وان اجمعوا على غير رأيه ، نزل عنه وهو راض غاية الرضاء . كان صلوات الله عليه يستشير ويستشار عملا بما نزل به قرآن الله « وأمرهم شورى بينهم » .

ويذكر الرجال المحاربون فيما يذكرون فى هذا السمر الشائق ، ان الرسول صلوات الله عليه لم يكن يخرج للغزو الا بجيش كامل العدة من مئونة وسلاح ، ومعه رجال محاربون يحبون الموت حبهم للحياة ، لا يصرفهم عن القتال جمع مال أو تجارة أو تعلق بزخرف الدنيا وعرضها الزائل .

كذلك لم يكن صلوات الله عليه يخرج للقتال قبل أن يؤمن الجبهة الداخلية فى المدينة ، فاذا كان العام عام جدب وقحط ، عدل عن الخروج حتى تتيسر للناس ارزاقها وتنفرج أزماتها ، ويكون هناك فائض من أموال يشترى بها سلاح الحرب ومئونة المحاربين ، فالحرب من قبل ومن بعد ، حرب عقيدة ومصير ، وليست أمر هزل يعقبها شر مستطير .

وتبلغ النبى فى خيمته جل هذه الاحاديث الواعية وتتبسم ثناياه ، وينشرح صدره ، ويطمئن فؤاده على الاسلام وعلى دعوته ، ويدعو الله أن ينير للناس البصائر وان يهديهم الى صراط مستقيم .

وتتسمع فلول اليهود الى ما يدور ويتناقل على السنة المسلمين فى خيبر ، وتنشق قلوبهم غيظا وتكاد عروقهم أن تتمزق حسرة وكمدا .

ويعاودون التفكير فى مؤامرة جديدة لعلها تصيب من محمد مقتلا ..

كانت هناك امرأة تنوح ليلها ونهارها على مقتل زوجها وأبيها وعمها ، وتدور على بيوت اليهود خارج خيبر تلطم خدودها وتشق ثيابها وقد بللتها الدموع تطلب الى الفلول الباقية أن يفعلوا شيئا يخفف لوعتها وثكلها فكانوا يجيبون : وماذا نقدر عليه يا زينب وقد بات سلاحنا مغلولا وأموالنا وقد ذهبت الى المسلمين .. لم نعد نملك شيئا نقدر به على أمر .. الصبر يا بنت الحارث .. الصبر .

وتزأر زينب بنت الحارث فى وجوه الاحبار وتقول فى النهاية :

عندى حيلة أقتل بها محمدا فأعينونى على انفاذها .. ويجيب عليها احبار اليهود :

وماذا تبغين منا أن نفعل ؟ وتقول زينب : الى بشاة سمينة فانى أعلم أن محمدا يحب كتفها جيدة الشواء والنضج ، والى بسم زعاف مما تستخدمون فى قتل أعدائكم وسأقدم على فعلة لا يقدر عليها الرجال .. واحر قلباه .. وازوجاه ..

اقبلت زينب متلفعة برداء الليل بعد ان صلى القوم العشاء ، الى خيمة النبى تحمل على راسها وعاء من فضة أرقدت فيه الشاة السمينة وقد تطايرت

منها رائحة الشواء تقتحم انوف حراس الخيمة ، فحسبوها احدى نساء المحاربين أحبت أن تحيي النبي وصحبه ومن ثم أذنوا لها بالدخول .
قالت زينب وهي تصطنع الحياء وتضع الشاة بين يدي الرسول :
بأبي انت وأمي يا أبا القاسم الا ان تقبل هذه الشاة المباركة التي أجدت انضاجها وشيها .. انها هدية أهديتها لك ولأصحابك .

ساعتئذ ، تبسم الرسول وهش في وجهها بعد أن حسبها بدوره احدى المسلمات المصاحبات لأزواجهن ، وأخذ يتمتم بعبارات الشكر والرضاء ، وانصرفت زينب وهي تمني النفس بالآمال الكبار ..

أذن النبي الكريم للصحابة أن يدنوا من الطعام وأن يبداوه قبله تواضعا وتأدبا ، فتناول « بشر بن البراء » قطعة من لحم الشاة أخذ يلوكها فأحس منها بطعم غريب لكنه ازدردها في النهاية ولم يبد منها امتعاضا حياء من رسول الله .
لكن الرسول سلام الله عليه حين قضم قطعة من ذراع الشاة وبدأ يلوكها احس بذات الطعم الغريب والمذاق العجيب فكف عن الأكل ولفظ ما تناوله وهو يقول :
ارفعوا ايديكم فان كتف الشاة تخبرني أنها مسمومة .
ساعتئذ قال بشر بن البراء :
والذي اكرمك لقد وجدت ذلك من اكلتي التي اكلت حين التقمتها فما منعني أن الفظها الا اني كرهت أن ابغض اليك طعامك .
حزن الرسول غاية الحزن لما تيقن أن الشاة مسمومة ، وأن خبث اليهود وإفكهم لم يقف بهم عند حد .

وجاهد رسول الله وصحابته أن يعينوا « بشرا » على أن يلفظ ما دخل الى جوفه ، لكن ارادة الله كانت أسبق من ارادتهم ، وسرى السم في بدن الصحابي الجليل حتى حال لونه وأتاه وجع الموت .
ودعا الرسول بصاحبة الشاة قبل أن تخرج الى اطراف خيبر ، وعلم أنها « زينب بنت الحارث » زوج سلام بن مشكم فسألها :
ما حملك على ما صنعت ؟
قالت زينب :

ــ انك نلت من قومي ما نلت ! قتلت أبي وعمي وزوجي فقلت في نفسي : ان كان نبيا فستخبره الذراع وان كان ملكا استرحنا منه . وقد استبان لي أنك صادق وأنا اشهدك ومن حضرك أني على دينك ، وأن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله .
ولم يسع الرسول الكريم الا أن يعفوا عنها وأن يغتفر لها فعلتها بعد الذي اصابها في أبيها وزوجها وعمها .
وعاد النبي وصحابته وجيشه المنتصر الى المدينة يحملون «بشر بن البراء» وظل عاما يشكو وجع السم والمرض حتى وافاه الأجل شهيد حياته وفدائه للرسول ، ودفن مع الشهداء والابرار في اكرم جوار .

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة ان تتلقى اسئلة القراء وتجيب عنها ..

التلقيح الصناعى

السؤال :

ما حكم الشرع الاسلامى فيما يسمى اليوم بالتلقيح الصناعى ، وهو ادخال نطفة رجل تؤخذ من مستودع خاص تحفظ فيه النطف يسمى (بنك النطف) الى رحم امرأة بوساطة طبيب يقوم بهذه المهمة ، عندما لا يستطيع الزوج تلقيح زوجته بطريق الاتصال الجنسى الطبيعى وهو الجماع حيث قد اختلف علماء الشرع والطب فى جواز ذلك وقام بشأنه نزاع ؟

اورخان ارصوى مفتى خانغازى

أحيل هذا السؤال على فضيلة الشيخ مصطفى أحمد الزرقا فتفضل بالاجابة التالية :

ان فى حكم هذه المسألة شرعا تفصيلا بحسب الأحوال :

أ ـ فاذا أريد أخذ النطفة من الزوج نفسه وادخالها الى رحم زوجته لتسهيل عملية الحمل التى لا تحصل بالجماع الطبيعى بينهما لسبب من جهته هو أو من جهتها هى ، فهذا قد يمكن القول بجوازه شرعا اذا دعت اليه حاجة ، كما لو لم يكن للزوجين أولاد وهما حريصان على التناسل وانجاب ذرية لأن التناسل مصلحة مشروعة لهما ، وأصبح متوقفا على هذه العملية .

والمحذور الوحيد الذى يلحظ شرعا فى هذه الحال هو لزوم انكشاف عورة المرأة لغير زوجها فاذا احتاج اليه الزوجان ورغبا فيه معا ، أو أراده الزوج فقد يمكن القول باغتفار هذا الانكشاف الضرورى الخاص رعاية لهذه المصلحة وان كنت أنا افضل الأستغناء عنه ؛ فان رغبة انجاب الأولاد قد نشك فى أنها ترتقى الى نطاق الضرورات التى تبيح المحظورات كالحاجة الى التداوى للخلاص من مرض مؤذ لا يمكن التداوى منه ومعالجته الا بكشف العورة .

واذا قلنا بالجواز يجب أن يلحظ عندئذ أن الضرورة تقدر بقدرها ، وانه اذا أمكن أن تقوم بهذه العملية امرأة (طبيبة) أو متمرنة ، لا يجوز أن يقوم بها رجل (طبيب أو متمرن) لأن فقهاء الشريعة يقررون أن انكشاف الجنس على جنسه عند الضرورة أخف محذورا من انكشافه على الجنس الآخر ، ولذا لا يجوز أن يقوم بتطبيب المرأة أو توليدها رجل اذا كان هناك طبيبة انثى أو قابلة عالمة تستطيع القيام بهذه المهمة .

ب ـ واما اذا كان الزوج عقيم الماء ، وأريد ممارسة عملية التلقيح الصناعى بأخذ نطفة رجل آخر من نطف تحفظ خصيصا لهذا الغرض بوسائل فنية فى مستودع النطف (البنك) ووضعها فى رحم الزوجة لتحمل ، فهذا حرام تطعى لا يجوز فعله بحال من الاحوال أصلا مهما كانت ظروف الزوجين لأن فيه تغييرا للانساب بما يترتب عليها من حرمات شرعية وحقوق وواجبات .

ومن يستبيح ذلك فخير له أن يعتبر نفسه غير مسلم .

حديث باطل

السؤال :

هل هذا الحديث صحيح « من احب وعف ومات فهو شهيد » ؟

اجاب على هذا السؤال فضيلة الشيخ محمد سليمان الاشقر :

حديث « من عشق فعف وكتم فمات مات شهيدا » اشار السيوطى فى الجامع الصغير الى ضعفه ، واستنكره يحيى بن معين ناقد الاسانيد المعروف ، وروى فى كتب الادب فى (مصارع العشاق) لأبى جعفر السراج بلفظ « من عشق فظفر فعف فمات مات شهيدا » ورواه الزبير بن بكار مرفوعا بسند قال فيه السخاوى انه صحيح ، وقال : قال العراقى فى هذا الحديث : سنده فيه نظر (المقاصد الحسنة للسخاوى) .

وقال ابن القيم (روضة المحبين ص ١٨١) : « هذا حديث باطل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعا ، لا يشبه كلامه ، وقد انكر حفاظ الاسلام هذا الحديث على (سويد) .

وقال البخارى : كان سويد قد عمى فيلقن ما ليس من حديثه ، وادخله ابن **الجوزى فى الاحاديث الموضوعة ، واما رواية الزبير بن بكار التى قال فيها** السخاوى انها صحيحة ، فقد قال عنها ابن القيم : **هى من رواية يعقوب بن عيسى وهو ضعيف نسبه اهل الحديث الى الكذب**

والخلاصة ان هذا الحديث ليس له من جهة الرواية مكانة من الصحة تجعله حجة ، وانما هو مما تتناقله كتب الادب ، ولكن معناه صحيح خاصة باللفظ **الذى رواه به ابو جعفر السراج « من عشق فظفر فعف فمات مات شهيدا » لأن من ترك شهوته لله بعد تمام مقدرته عليها ، وعدم الحواجز بينه وبينها الا خوف الله والحياء منه ، فهذه منزلة مدح الله بها نبيه يوسف عليه الصلاة والسلام .** وفى الحديث الصحيح ان رجلا كانت له ابنة عم هى احب الناس اليه ، وكانت **فقيرة الحال وعفيفة النفس ، وانه قدر على الوصول الى غرضه منها ، فلما** قالت له (اتق الله) شكر الله وعف عنها ، واستجاب الله دعاءه عندما كان فى **اضيق احواله .**

وهذا طبعا ان لم يكن قادرا على الوصول الى غرضه بالزواج المشروع لمانع من فقره ، او امتناعها ، او امتناع اهلها . او لمانع شرعى او غير ذلك ، اما ان كان قادرا على الزواج وتركه ، واخذ يتلوى من الالم فحسبه ذلك .

بريد الوعي الإسلامي

حــول تحضير الارواح

تحت هذا العنوان نشرنا فى العدد الماضى اجابة للدكتور عثمان خليل على سؤال وجه اليه حــول تجربته فى الروحية .

وقد ورد لهذا الباب رسائل كثيرة من القراء تعليقا على ما نشر ، ونكتفى هنا بالرسالة التى وردت الينا من السيد عبد الفتاح عزت سالم من (ج.ع.م) ــ الزقازيق ، وقد طواها على ثلاثة آراء لعلماء متخصصين فى عــــلم النفس والفلسفة والتصوف .

اما راى علم النفس فيتحدث عنه الدكتور احمد فؤاد الاهوانى فيقول :

ان الروح شىء فى طى الغيب لا يدركها العقل ، ولا يمكن معرفة حقيقتها سواء من الناحية الفلسفية أو الناحيــة الدينيــة ، اللهــم الا اذا قلت المعانى الروحية ، أى المعقولات المجردة ، ولكن هل للروح وجود مستقل ؟ هــذه هى المسألة ، فنحن اذا قلنا روح الأمة ، فهل معنى هذا أن للأمة روحا ؟ واذا قلنا الفنان يخلق أعمالا فنية فيها روح ، أو يرسم لوحات زيتية ذات روح أو يؤلــف قطعا موســـيقية ذات روح ، واذا قلنا أن الشـــاعر ينظم قصيــدة تنبض بالروح ... فهل معنى ذلك أن لكل هــذه الأشياء أرواحا ؟ الواقع وحقيقــة الأمر أن معنى (روح) هنا تعبير مجازى ، هــذا من الناحية الفلسفية ، أما من الناحية الدينية فانها تخبرنا أن هناك أرواحا ، ولكنها عند هــذا الحد تقف ولا ترغب فى المناقشـــة ، فالدين يعترف بالأرواح والجن وبأشياء من هــذا القبيل ، ولكنه يسلم بذلــك تسليما .

والقرآن الكريم بين فى آياته الحكيمة انه ليست هناك ضرورة للخوض فى مثل هــذه الموضوعات ، اذ قال الله تعالى فى كتابه العزيز « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » فلا سبيل الى الانسان لمعرفــة الأرواح ، وليس من مصلحته البحث فى ذلك ، وعلى ذلــك فانى أرى أن الخوض فى مسائــل الأرواح عبث لا طائل تحته ، اذ أن الحس يختص بالحس ، والأشياء الطبيعية .. أما ما دون ذلك فلا يجوز لــه أن يخوض فيه . وعلــى ذلك فان تحضيــر الأرواح لون من الشعوذة التى تحمل وراءهــا أشياء ليس من شــأن العــلم أن يخوض فيها .

واما راى الفلسفة فيتحدث عنه الدكتور عثمان امين فيقول :

ان تحضير الأرواح موضوع ظهر منذ أوائل هــذا القرن ، وقد قــلم به جماعة بقصد التسلية حينا ، وللفت الأنظار حينا آخر ، وهو نوع من التهريج ، وليس معنى هذا أن الروح غير معروفــة فى الفلسفة ، اذ أن الروح بمعناهــا

الفلسفي هى الفكرة التى لا نعيشها ولا نحضرها ، ولا يمكن أن تنال بالحواس الظاهرة . ولكن الانسان يمكن أن يصل اليها بالجهد (الجوانى) أى الجهد غير المادى الـــذى يبذله الانسان فى نفسه . والفكرة اذا آمن الانسان بها ، واقتنع بصحتهـــا ، فانـــه قد يغير بهـــا مجرى التاريخ ، فالايمان بالروح يصنـــع التاريخ .

وأساس الفلسفة كلها الروح .. والايمان بالروح هو وجود قوة تحـــدد جانب الحياة ، ومحمد عبده كان من الأشخاص الذين آمنـــوا بالفلسفة الروحية ، كما أن فلسفة أفلاطون قائمة على الاعتقاد بالروح وخلودهـــا فالجزء الروحانى باق ولو زال الجزء الجسمانى بعد موات الجسم وهلاكه ، والروح فكرة ، فاذا كانت حية فى قلوب أمة من الأمم فهى التى تبعث فيها الحياة .

هذا هو مدلول الروح فى الفلسفة وليس من العلم أو الفلسفة أن نعترف بتحضير الأرواح ، فهى مسألة أشبه بمسائل الحواة أو الألعـــاب البهلوانية ، ومن يقوم بتحضير هذه الأرواح يمكن أن يفتى فيها ، أما أنا فرغم أن المـــذهب الجوانى يؤمن بالروح فأرى أنها مسألـــة لا أستطيع أن أفتى فيهـــا فى ضوء العلم الحديث .

ويكشف عن رأى الصوفية الدكتور أبو الوفا التفتازانى فيقول :

اننى كمتصوف لا أؤمن بتحضير الأرواح ، ولو اننى من الصوفيين الذيـــن يؤمنون بعالم روحى ، ولكن عالمهم الذى يؤمنون به يختلف كل الاختـــلاف عن ذلك ، فالصوفييون يؤمنون بأن الروح فى البـــرزخ أو فى الحيـــاة البرزخيـــة مصداقا لقولـــه تعالى « **ومن ورائهـــم برزخ الى يوم يبعثون** » ومعنى ذلـــك استحالة انتقـــال الأرواح من عالم البرزخ الى عالمنا هـــذا على أى وجـــه ، أما مسألة تحضير الأرواح فقد تكون عن طريق قوى خفية مثل الجن ، أو تكون لونا من الأوهـــام ، فالذى يحضر الروح يكون تحت تأثير وهم يؤثـــر فيه من الناحية السيكولوجية ، والصوفييون حاولوا محاولات مختلفـــة للاتصال بالعالم الروحانى ، أو العالم العلوى أو الأفـــلاك العلوية .

وكانوا يعتقدون أن علوما لهذا الغرض تعرف عندهـــم بعلـــوم الأسماء والحروف ، أى أنهم يعتقدون أن كل حرف من حروف الأبجدية له خاصة معينة ، فالأفلاك لها تأثير على عقول الافراد ، ومن هنا ظهر علم حساب النجم وحساب الطالع ، والبعض يؤمن بأن الحروف التى فى أوائل السور لها خواص روحيـــة معينة ، ومن هؤلاء ابن سينا فى الرسالة النيروزيـــة اذ اعتقـــد أن هنـــاك أسرارا خاصة للحروف الموجودة فى أول السور ، وحاول أن يستخرج المعالـــم الباطنة ، وهذا العلم معروف فى الغرب بعلم الأسرار الباطنة

ولكن تحضير الارواح على الوجه الـــــذى نسمع به ، لم يعـــرف عند فلاسفة المسلمين .. علمائهم وصوفيتهم رغم أن الصوفيين يعتقدون أن الروح اذا تخلصت من عوائق البدن بالرياضة والمجاهدة ، استطاعت أن تصـــل الى معرفة الله . وينسب اليها بعض الصوفيين القدرة على اتيان الخوارق ، وهى المعروفة عندهم بالكرامات ، وهى خوارق للعادة ، تظهـــر عـــلى يد الولى أو الصوفى المتعبد فى مقابل المعجزة التى هى خارقـــة للعادة وتظهر عـــلى يد النبى !

بأقلام القراء

العربية لغة عالمية

كتب الأستاذ محمد بلى الفوتى المشرف على الشئون الاسلامية فى جمهورية التوجو تحت هذا العنوان يقول :

يبدو لزاما على المسلمين وغيرهم على السواء ـ والافارقة خاصة ـ تعلم العربية وتبنيها لغة ثانية فى المدارس العمومية والخصوصية معا :

(١) ان اللغة العربية من أعرق اللغات العالمية منبتا ، وأعزهـا جانبا ، واقواها جلادة ، وأبلغها عبارة ، واغزرها مادة ، وأدقها تصويرا لما يقـع تحت الحس ، وتعبيرا عما يجول فى النفس ، وذلك لمرونتها على الاشتقاق وسعـة صدرها للتعريب ، وهى لغة شاعرية حساسـة ذات منطق وفصاحة وبـلاغة وآداب .

فليس هناك معنى من المعانى ، ولا كلمة من الكلمات ، ولا فكرة من الافكار ولا عاطفة من العواطف ، ولا نظريـة من النظريات ، تعجز اللغـة العربية عن تصويرها بالأحرف والكلمات تصويرا صحيحا واضحا .

(٢) لقد استطاعت اللغة العربية ان تقهر اليونانية فى الشرق ، واللغات الشعبية التى كانت منتشرة فى المغرب العربى ، وغلبت كذلك اللغة القبطية فى مصر . كما وجدت مكانتها مرموقة بين اللغات العالمية .

(٣) انها هى الصلة الوثيقة بين حضارات المـاضى ، وحضارات اليوم ، وبذلك أدت خدمة جليلة للانسانية جمعاء .

(٤) ان الكثير من مصطلحات الفنون الحديثة تستمد عناصرها من اللغـة العربية ، مثل الجبر والاكسير ، والكحول ، وكذلك مصطلحات العلوم الطبيعية ، كالقطن والياسمين والزعفران .

(٥) وهى من اللغات الرئيسية فى العالم التى أصبحت لغة حية قوية لأمـم وشعوب مختلفة متباينة فى أجناسها وفى أصل نشأتها وطبيعتها .

(٦) لقد اندثرت أخوتها السامية من ارامية ، وكلدانية وكنعانية ، وسريانية وعبرانية قديمة ، وأشورية وغيرها حين بقيت هى على رغم ما مر بها من عصور الركود ، وما زالت تحيا حياة طيبة ، وتتعمق وتتسع فى جميع الآفاق وسـتظل كذلك ـ ان شاء الله تعالى ـ الى قيام الساعة .

(٧) وهى معتبرة حاليا لغة هامة وعظيمة تدرس فى جميع جامعات العالم .
(٨) معظم اذاعات العالم تستعمل اللغة العربية فى برامجها اليومية .
(٩) الثقافة العربية تجعل الانسان ممثلا ممتازا لدى الدول العربية والاسلامية معا .

وبالنسبة الى الافريقيين :

(١٠) ان العربية لغة افريقية وأسيوية معا .

(١١) وهى اكثر اللغات انتشارا فى افريقيا ، وينطق بها خمسا سكان افريقيا .

(١٢) تتحدث بها سبع دول افريقية باعتبارها لغة رسمية وشعبية لها معا . وهى ـ الجمهورية العربية المتحدة ، الجمهورية الليبية ، والجمهورية التونسية والجمهورية الجزائرية ، والمملكة المغربية ، والجمهورية الاسلامية الموريتانية والجمهورية السودانية .

وهذه الدول تغطى مساحة ٨٥٩٠٥٤٠ كيلومتر مربع ويسكنها اكثر من تسعين مليون نسمة .

(١٣) ان اللغة العربية هى الرباط الوحيد الذى يشد افريقيا بآسيا والتى تعتبر اكبر قارة فى العالم ولذا فهى جديرة بأن تعتبر اللغة الوحيدة التى توحد افريقيا بآسيا .

(١٤) تستعمل ثلاث لغات فقط فى مؤتمرات (منظمة الوحدة الافريقية) وهى اللغة العربية اللغة الافريقية الوحيدة ، والانكليزية ، والفرنسية ، وهما لغتان استعماريتان .

(١٥) ان اللغة العربية جديرة بمنح الاحساس بالشخصية القومية فى البلاد الافريقية على العموم عوضا عن اللغات الاوروبية التى هى من بقايا الامبريالية الاستعمارية .

(١٦) يرجع كل الفضل لمعرفتنا تاريخ افريقيا الى العربية .

وبالنسبة الى المسلمين :

(١٧) ان اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم ولسان النبى العظيم محمد صلى الله عليه وسلم ، وبدون معرفتها لا يفهم المسلمون دينهم فهما سليما .

(١٨) ان المسلمين اليوم يشكلون ربع سكان العالم كله ، وثلثى مجموع سكان القارة الافريقية وأكثرهم يستعملون العربية كلغة ثانية للتفاهم بينهم .

(١٩) وأخيرا ، ان العربية هى اللغة الوحيدة التى يستعملها المسلمون فى صلواتهم ومناجاتهم وفى دعواتهم وابتهالاتهم ، ولهذا تعتبر اللغة الاسلامية الوحيدة .

التلمود دستور الصهيونيـــة

وكتب الأستاذ محمد العبد المصرى بمنظمـــة فلسطين العربية تحت هـــذا العنوان يقول :

ولم يكتف اليهود بما أدخلوه على التوراة من تحريـــف طمس الكثير مـــن حقائقها بل قاموا بوضع كتاب آخر عظموه أكثر من تعظيمهم لتـــوراة موسى ، وجعلوه أكثر قدسية لأنه وضع حسبما شاءوا وجاء ليرضى عقد نفوسهم وأحقادهم ذلك الكتاب هو « التلمود » الذى يعتبر بحق دستور الصهيونية الأول ، وموقد جذوتها ، ورغم ما لهذا الكتاب من عظيم التأثير على الفكر الصهيونى فما زالت كبريات جامعاتنا ومعاهدنا خلوا منه ، وما زال كبار مثقفينا لا يعرفون عنه الا شذرات يقرءونها فى ثنايا الكتب ، وقد زعم اليهود أنه أنزل على موسى شريعتان احداهما الشريعة المكتوبة التى تحتويها الاسفار الخمســـة ، وأخرى شفـــوية يتلقاها الخلف عن السلف ، وأن تلك الشريعة الشفوية أعظم قدرا من الشريعة المكتوبة ، وكان أحبار اليهود يستظهرون تلك الشريعة ويحفظونها عن ظهر قلب ، ويضيفون اليها فى كل عصر شروحا ومتونا جديدة ، ولما كثرت شروح الأحبـــار وتفاسيرهم أصبحت مهمة استظهارها مهمة شاقة لذلك حاول الاحبار «هلل ومائير وعقبيا» تصنيف هذه الاحكام ، ولـــكن عملهم لم يلق استحســـانا من جمهرة اليهود .

وفى سنة ١٨٩م قام الحبر يهودا هنسيا ـــ الذى كان يقيم فى قرية صبوره على بحيرة طبرية والتى آلت اليها الزعامة الدينية ليهود فلسطين بعد خـــراب الهيكل ـــ قام بترتيب وتدوين الشريعة الشفوية كاملة ، وزاد عليها اضافات من عنده ، فكانت هى (مشنا الحبر يهودا) التى انتشرت بين اليهود حتى أصبحت الصورة المعتمدة للشريعة الشفوية ، ثم قام أحبار الاموراثم (الشراح) بشرح هذه المشنا والتعليق عليها ، وتحليل نصوصها وتفسيرها بصورة مفصلة ، ولكن كان تفسير يهود فلسطين لهذه الاحكام يختلف عن تفسير يهود بابل الذين كانت لهم جامعتهم الدينية فى مدينة سورا ، وما أن قارب القرن الرابع على الانتهـــاء حتى نسق أحبار فلسطين تفاسيرهم وصاغوها بالصورة المعروفة « بالجمـــارا الفلسطينية » وباضافتها الى (المشنا) نشأ التلمود الأورشليمى ، وبعد ذلـــك بحوالى مائة عام نسق أحبار بابل تفاسيرهم حتى أصبحت (الجمارا البابليـــة) أطول من المشنا باحدى عشرة مرة وقد كتبت المشنا أصلا بالعبرية ، بينما كتبت الجمارا بالآرامية ، وهناك تلمودان الأورشليمى الـــذى يضم المشنا والجمـــارا الفلسطينية ، والتلمود البابلى الذى يضم المشنا والجمارا البابلية وهو أطول من التلمود الأورشليمى ويتكون من ٢٦ مجلدا بينما يقتصر الأورشـــليمى على ٢٢ مجلدا .

وما كاد يتم التلمود حتى أصدر الأمبراطور جستنيـــان سنة ٥٥٣م قرارا بتحريمه لما يحتوى من حقد على البشرية واستهانة بالقيم الانسانية الا أن اليهود ازدادوا تمسكا بالتلمود وتعاليمه مما جعل له أكبر الأثر فى تشكيل النفســـية اليهودية ، ونظرة اليهود الى الآخرين .



قالت صحف العالم

نشرت مجلة هـدى الاسلام الاردنية تحت هـذا العنوان تقول :

ان أعظم ثروة تملكها أمة من الأمم هى ثروتها الفكريـة ، لأن هذه الثروة هى التى تنمى طاقـة الامة على الحركة ، وقدرتها عـلى النهوض والابداع ، وتعين لها أهدافهـا وترسم غاياتهـا وتضىء لها سبيلها فى مسيرتها نحو تلـك الأهـداف والغايات ، كما تمنحهـا القدرة عـلى حل المشكلات العارضة وازالة المعضلات التى تقف فى وجهها .

وفكر أمتنا الأصيل فى ماضيها وحاضرهـا هو الاسلام ، الاسلام ليس غير بعقيدته وفلسفته ومنهجه وثقافته يعرف ذلـك كل من لـه الم بقضايا الفـكر ، وكل فكر غيره وصل الينا انمـا هو فكر دخيـل طارىء لا يلبث أن يقف تياره اذا ما تنبهت الشعوب الاسلامية الى قيمـة الثروة الفكرية التى تمتلكهـا .

وقد ابتليت الشعوب الاسلامية بتحديات عقائدية ، وضغوط فكريـة وغزوات ثقافية متلاحقة أوجدت فى حياتهـا حيرة ، وفى صفها ارتباكا ، ولولا اصالة الفكر الاسلامى وخصائصه الفريدة لاندثر بفعـل تلـك الضغوط الجارفة . وما زالت هـذه التحديات والضغوط تتوالى وتشتد يوما بعـد يوم وساعة بعد ساعة ولم ينقطع تيارها الجارف منـذ أمـد بعيد .

وقد أخذ الذين أتوابها هم وتلاميذهم يروضون هـذا الجيل عـلى تقبل الأفكـار والفلسفـة والأخـلاق الغربية كحضارة حديثة لا مفر من العيش فى كنفها أو الركوع أمام هيكلها .

ونتج عن هـذه التحديات والضغـوط مظاهر أخلاقية فى حيـاة المسلمين لا تتناسب والأخلاقية الاسلامية ، فأصيب هـذا الجيـل بآفات عارضة أشبه بأمراض الاجلد يعقبها هبوط فى الجسم كله .

ولم تكن هـذه التحديات وليدة المصادفة ، ولا نتيجـة ما يسمونه بالتطور التاريخى الحتمى بل جاءت وليدة أبحـاث مستفيضة ودراسات عميقة ، واحصاءات دقيقة وتقديـرات ومخططات بعيدة المدى .

والمتعمق فى دراسة هـذه التحديات والضغوط يجدها ترمى الى ثلاثة أمور :

الأول : زعزعـة العقيدة الاسلامية فى نفوس هـذا الجيـل ، باعتبارها مرتكز الوجود الاسلامى كله .

الثانى : تحطيم كل قيمة حية تجدد فى المسلمين الوعى واليقظـة والحركـة .

الثالث : سلب الخيرات واستغلال منابع الثروات الضخمة الدفينة فى بلاد المسلمين .

فليس أمام المسلمين من مفر فى أن يقفوا صفا واحدا متراصا من هذه الضغوط ، موقف المناهضة المستنيرة الحازمة ، ولا مفر من أن يتقدموا بأفكار ومفاهيم يظهر فيها الاسلام قوة دافعة فى الحياة العامة .

فى مرضـــاة اللـــه

وتحت هذا العنوان نشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية تقول :

لا يسأم المؤمن الذى توفرت له يقظة القلب واشراقة النفس من العمل الدائب ابتغاء مرضاة الله تعالى داعيا ــ على الرغب والرهب ــ من يجيب المضطر اذا دعاه ، أن يكتب له القبول ، وأن يجعله فى عداد من تثقل موازينهم يوم القيامة ، وذلك هو الفوز الكبير .

وانطلاقا من هذه النقطة يبصر المؤمن كل واحدة مما يلاقيه من مصاعب أو متاعب فى قضايا أمته ولها وجهان : **اما احدهما** ــ فهو ما تفرضه مواجهة تلك القضية من جهد جاهد ودأب مخلص ، ليعد لها العدة ويواجهها بما تحتاج اليه . **والثانى** ــ انها واحدة من موائد الحق سبحانه ، يقبل عليها من يقبل ، ليكون له من انجاز ما يفرضه الاسلام بشأنها ، بريد خير ، وطريق سعادة ينالها من أحبهم الله وأحبوه ورضى الله عنهم ورضوا عنه .

وفى هذا لن يكون ثقل التبعات وصعوبة اقتحام العقبات ، باعثا على الهروب من الساحة أو القاء الحبل على الغارب ، خصوصا فيما يخمره العقل الباطن ويخرج على فلتات اللسان ، أو يظهر على التصرفات وكأنه قضية مدروسة اتخذ لها بعد البحث والتمحيص قرار . بل على العكس . ان شعاره دائما (وسارعوا الى مغفرة ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) .

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) .

والحق أن هذه اللمسة الايمانية التى تحرك المسلم من الأعماق ، هى التى تجعله أكثر حركية وقدرة على التأثير ، بما يسبق خطوته من الاخلاص والتقوى ، وهى التى تطبع عمله بطابع الاستمرار ، والصبر على كل المعوقات عند ارادة التغيير والانتصار على عوامل اليأس واستبطاء النتائج وثمرات العمل .

والمؤمن ــ فى ذلك كله ــ يرافقه على المدى وضوح فى الرؤية ، ووعى للواقع الذى تظله أحداثه ، وادراك لطبيعة الارض التى يتحرك عليها فى مواجهة أعداء أمته هنا وهناك ، وقدرة على تقويم كل صغيرة وكبيرة مما تلده الليالى ويطلع الفجر به على دنيا الناس كل صباح .

لذا تراه ــ وعناية الله معه ــ لا يتخلف عن واجب ، ولا يضيق ذرعا بالمسؤولية ، ولا يتبرم بالتكليف ولا يطيش أمام تلك الصور المعادية التى تفجؤه بألوانها وأشكالها طولا وعرضا وعمقا وانحرافا قد لا يخطر لك ببال .

الكويت :

● بأمر صاحب السمو أمير البلاد المعظم سيبنى على نفقته الخاصة مساكن لأسر شهداء الجيش الذين استشهدوا فى معارك القناة .

● عكفت الدوائر المسئولة على دراسة البيان السياسى الخطير الذى القاه سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء .

● صدر بيان رسمى عقب زيارة وزير خارجية ايران للبلاد اكدت فيه الكويت وايران أهمية استعادة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين فى وطنه .

● صرح معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بأن الوزارة بالاشتراك مع بعض الوزارات تقوم بتوعية المواطنين بمناسبة ذكرى حريق المسجد الأقصى التى توافق ٢١ اغسطس الحالى .

● صرح معالى وزير الارشاد والانباء بالنيابة بأن الكويت تستنكر التصريحات الامريكية التى تظهر العداء للعرب .

● أصدرت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكتاب الرابع من سلسلة احياء التراث الاسلامى وهو كتاب « المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية » لمؤلفه الحافظ ابن حجر العسقلانى تحقيق العلامة حبيب الرحمن الأعظمى الهندى .

● قررت رئاسة هيئة أركان القوات المسلحة تزويد ادارة التوجيه المعنوى بجماعة من الوعاظ .

● تضمن تقرير اللجنة المشكلة لتعزيز التربية الدينية فتح تخصص للشريعة الاسلامية فى كلية الآداب وكلية البنات .

القاهرة :

● قام الرئيس عبد الناصر على راس وفد مصرى بزيارة الاتحاد السوفياتى وقد أجرى هناك مباحثات حول النزاع العربى الاسرائيلى كللت بالنجاح التام .

● تحطمت أسطورة الفانتوم على ضفاف القناة ، وصرح مصدر مسئول بأن جهاز الدفاع الجوى المصرى جعل مهمة الطيران الصهيونى صعبة .

● قام وفد يمثل الأزهر برئاسة الدكتور عبد الحليم محمود بزيارة للبلاد الاسلامية فى آسيا للدعوة لتحرير الارض المقدسة .

● عين الدكتور محمد بيصار أمينا عاما لمجمع البحوث الاسلامية خلفا للدكتور عبد الحليم محمود الذى عين وكيلا للأزهر .

● تلقت جامعة الأزهر ٢٠ منحة دراسية من المانيا الديموقراطية .

السعودية :

● عاد جلالة الملك فيصل الى البلاد بعد أن قام بجولة شملت عددا من الدول الاسلامية .

● صدر بيان تركى سعودى عقب زيارة وزير الدولة السعودى للشئون الخارجية لتركيا أكد سياسة البلدين الموحدة تجاه النزاع العربى الاسرائيلى .

بغـــداد :

● أصدرت الحكومة أمرا بحظر النشاط البهائى الهدام فيها .

● تقرر تشكيل فوجين من قوات (البيش مركه) الكردية للعمل كحراس للحدود العراقية .

عمـــان :

● تم توقيع اتفاقية سلام بين الحكومة وبين المنظمات الفدائية تكفل سيادة النظام فى البلاد وحرية العمل الفدائى .

● تصاعد العمل الفدائى فى بيسان ومستعمرات الحدود وتصاعدت معه خسائر العدو .

● تفيد الانباء الواردة من المناطق المحتلة ان آلاف الاسرائيليين غادروا اسرائيل عائدين الى بلادهم بعد تزايد العمليات الحربية .

دمشـــق :

● كان للمواقف البطولية التى قام بها الجيش السورى فى معاركه الاخيرة مع اسرائيل أثر بارز فى رفع الروح المعنوية والثقة بفعالية الجبهة الشرقية .

بـيروت :

● يلاحظ المراقبون تحركات مشبوهة للعدو على الحدود الجنوبية وتبذل الجهود الحربية لمواجهة الموقف .

الخرطوم :

● وصف وزير الدفاع السودانى المقترحات الامريكية الأخيرة لتسوية النزاع بين العرب واسرائيل بأنها الغاء لقرار مجلس الأمن ومحاولة لتفكيك الامة العربية .

الجزائـر :

● صدر بيان مشترك عقب زيارة جلالة العاهل السعودى للبلاد اكد الجانبان فيه أن الكفاح المسلح الطريق الوحيد لاسترداد الاراضى العربية المغتصبة .

الربـــاط :

● يقوم جلالة العاهل المغربى بدور كبير فى اقناع الولايات المتحدة بانتهاج سياسة موالية للعرب بدلا من السياسة المعادية .

ليبيـــا :

● حيا العقيد القذافى دولة الكويت التى تعطى للمعركة كل ما لديها من امكانيات .

باكستان :

● يتوقع المراقبون أن توصى باكستان على عدد من طائرات ميراج ــ ٥ ــ الحربية التى تبلغ سرعتها ضعفى سرعة الصوت .

نيويورك :

● عقد اتحاد الجمعيات الاسلامية فى الولايات المتحدة مؤتمره السنوى التاسع عشر ومن المشروعات التى تبناها الاتحاد انشاء صندوق لتحرير الارض المقدسة .

اقرأ في هذا العدد

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة ــ سوق الليل ــ ص ب (٢٢)

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة ــ باب الريع ــ ص ب (٢٢)

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب .

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) حضرموت .

دبى : ساحل عمان ص. ب (٢٦١) ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ــ السيد حسين قمر .

تعــز : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتبة منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

شخصيات فى سطور :

أبو العبّاس المبرّد

((٢١٠ — ٢٨٦ هـ))

* هو ابو العباس محمد بن يزيد الازدى اليمانى زعيم نحاة البصرة فى زمنه العالم الحجة ..

* من شيوخه المازنى والجرمى وابو حاتم السجستانى وابو محلم الشيبانى ثم عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ..

* كان مولعا بالجدل والمناظرة ، وحفظت لنا كتب النحو والسير ما وقع بينه وبين ثعلب صاحب المجالس وغيره من المفكرين والنحاة والأدباء

* قال عنه ابن كثير فى البداية والنهاية ((كان ثقة ثبتا فيما ينقله)) ، وقال عنه صاحب تاريخ بغداد ((كان عالما فاضلا موثوقا به فى الرواية)) .

* من تلاميذه الزجاج . وعلى بن سليمان الاخفش ، وابو بكر بن السراج وابن كيسان .

* من مؤلفاته :
  - ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد .
    وهى رسالة صدرها بقوله : ((هذه حروف الفناها من كتاب الله عز وجل مختلفة المعانى متقاربة فى القول مختلفة الخبر))
  - الكامل وهو اشهر كتبه على الاطلاق وهو كتاب فى الأدب والنحو والبلاغة وقد علق عليه الشيخ سيد بن على المرصفى فى كتاب سماه ((رغبة الآمل من كتاب الكامل)) ، فاستكمل الأبيات قصائد وشرح وبسط ..
  - شرح لأمية العرب للشنفرى ..
  - المقتضب وهو كتاب فى النحو والصرف وفيه هاجم بعض روايات القراء وكثرت فيه الشواهد القرآنية حتى اربت على خمسمائة شاهد .

* وحرف الراء فى المبرد تنطق بالفتح وتنطق بالكسر ، قالوا انه سمى بذلك لأنه المبرد (بالكسر) اى المثبت للحق ، او لأنه المبرد (بالفتح) اى حسن الوجه رحمه الله واجزل ثوابه) .

((العوضى الوكيل))

الوعي الإسلامي

اسلاميّة ثقافيّة شهريّة

السنة السادسة ــ العدد ٦٧ ــ رجب ١٣٩٠ هـ ــ ١ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٠ م



عدد خاص

ومعه ملحق

هـــدية

قصـــة

فلسطين



القدس — صلاة الجمعة فى الحرم الشريف



الصخرة المشرفة من الداخل يحيط بها سور خشبى دقيق الصنع ويظهر فى الصورة منظر فريد لجانب من المسجد غاية فى الروعة والاتقان ، يتجلى فيه الفن العربى بعقوده الجميلة وزخارفه الدقيقة .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد السابع والستون

رجب ١٣٩٠ هـ

١ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)

أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت.

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

ضيف السماء

نعيش مع هـــذا الحديث لحظات نغتنمها من دنيانا لنقضيها فى عـــالم النور . عالم الملأ الأعلى . بعيدا عن جو الحياة الصاخب ، وأديم الأرض المخضب بالدماء ... لحظات نقضيها فى طـــريق مأنوسة بحملـــة الوحى الالهى الذين وصلوا الأرض بالسماء ، وارتفعوا بالبشـــرية من حيوانيتهـــا الضالة المســـعورة الـــى انسانيتها الخيرة الرفيعـــة .

نعيش فى هذا الحديث مع ضيف السماء .. صاحب الـــرحلة الأولى والأخيرة من نوعها فى تاريخ الوجود كله من أزله الى أبده .. مع « محمد » وحسبه من الألقاب والنعوت وشارات الكمال والجلال أنـــه رســـول الله صلوات الله وسلامه عليه .

وهـــذه الرحلـــة القدسية بـــدأت بالاسراء من المسجد الحرام بمكة ، وانتهت بالعروج الى مستوى لم يصل اليه ملك مقرب ولا نبى مرسل مـــع استراحة قصيرة فى المسجد الأقصى ببيت المقدس ، واستغرقت لحظـــات اتسعت عمقا لما لم تتسع لـــه الأيام والشهور ، وقصرت أفقيا فلم تتجاوز بحساب الفلك لحظـــات بين العشاء الآخرة وبين الفجر .. قالت أم هانىء بنت أبى طالب : ان رسول الله نام عندى تلك الليلة وفى بيتى ، فصلى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله ، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال : يا أم هانىء لقد صليت معكم العشاء الآخرة ، كما رأيت بهذا الوادى ، ثم جئت بيت المقدس ، فصليت فيه ، ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترين .

وتخليدا لهذه الرحلة وتمجيدا لها سميت باسمها ســـورة فى الكتاب الوحيد المقطوع بصدقه ، المرتل آناء الليل وأطراف النهار ، وفاتحة سورة الاسراء هذه تدل دلالة صـــريحة لا

تحتمل الجدل والتأويل على تحققها فى الحس ووقوعها فى اليقظة ، وتقطع الطريق على الجاحـــدين والمنكرين : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) .

والآيات الأولى مـــن سورة النجم تشير الى المرحلة السماوية من هذه الرحلة : (علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى الى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى الســـدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى) .

وصاحب الرحلـــة وهو الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم يقص نبأها على مسامع الدنيا كلها فيقول فيما رواه أنس بن مالك :

أتيت بالبراق وهو دابـــة فـــوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه ، قال فركبته حتى أتيت بيت المقـــدس فربطته بالحلقة التى تربط بها الأنبياء ثم دخلت المســـجد فصليت فيـــه ركعتين فأتانى جبريل باناء من خمر وإناء من لـــبن فاخترت اللبن فقال جبريل : اخترت الفطرة ، ثم عرج بنا الى الســـماء فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل وقد بعث اليه ؟ قال : قد بعث اليه . ففتح لنا فاذا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عـــرج بنا الـــى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جـــبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث اليه ؟ قال : قد بعث اليه ، ففتح لنا فاذا أنا بابنى الخالة يحيى وعيسى بن مريم فرحبا بى ودعوا لى بخير . ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الأول ففتح لناواذا أنا بيوسف واذا هو قد أعطى شـــطر الحسن فرحب ودعـــا لى بخير . ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فـــذكر مثله فاذا أنا بادريس فرحب بى ودعا لى بخير قال تعالى فى سورة مريم (ورفعناه مكانا عليا) ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا أنا بهارون فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا أنا بموسى فرحب بى ودعا لى بخير . ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا أنا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كليوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه ، ثم ذهب بى الى ســـدرة المنتهى فاذا أوراقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر ربى ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يســـتطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله الى ما أوحى ففرض على وعلى أمتى خمسين صلاة فى كل يوم وليلـــة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت خمسين صلاة قال : ارجع الى ربـــك فســـله التخفيف فان أمتك لا يطيقون ذلـــك فانى قد بلـــوت بنى اسرائيل وخبرتهم ، قال : فرجعت الى ربى وقلت له يا ربى خفف عن أمتى فحط عنى خمسا فرجعت الى موسى فقلت : حط عنى خمسا قال : ان أمتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف قال : فلم أزل أرجع بين ربى

تعالى وبين موسى حتى قال سبحانه : يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له عشرا ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئا ومن هم بسيئة فعملها كتبت له سيئة واحدة . قال : فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته فقال : ارجع الى ربك فسله التخفيف فقلت : قد رجعت الى ربى حتى استحييت منه . ثم رجع عليه السلام من ليلته .

وقد تلقى المؤمنون أنباء هذه الرحلة بالايمان والتصديق ، بل بالفرح والأمل فى انفراج الشدائد التى أحاطت بهم ، ولم يتسرب الى قلوبهم أدنى شك فيما سمعوا عن الآيات الكبرى التى شاهدها رسول الله فى مسيرته ، بل زادتهم ايمانا الى ايمانهم ، وكانت بلسما للجراح النفسية والجسدية التى أصابتهم من عنت الكفار واضطهادهم .

وتتجلى قوة هذا الايمان وصلابته فى كلمة الصديق أبى بكر التى قذف بها فى وجه رءوس الكفر حين ذهبوا اليه فى مظاهرة صاخبة يغرونه بتكذيب رسول الله ظنا منهم أنهم قد وقعوا على فرصة مواتية للنيل منه وتجريحه وزعزعة الثقة والايمان به ...

ذهب الكفار الى أبى بكر ليطلعوه على هذا النبأ المثير ، فقالوا له : هل لك يا أبا بكر فى صاحبك . يزعم أنه قد جاء الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ، ورجع الى مكة ؟ فقال لهم أبو بكر : أنتم تكذبون عليه ، فقالوا : بلى ، هاهو ذاك فى المسجد يحدث به الناس ، فقال أبو بكر لئن كان قاله لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك .. فوالله انه ليخبرنى أن الخبر يأتيه من السماء فى ساعة من ليل أو نهار ، فأصدقه .. انه أمين السماء . لا يكذب أبدا !!

ويبدو أن هذه الرحلة المباركة الفريدة على ما فيها من عجائب وغرائب لم تستطع الحروف والكلمات إلا مجرد تقريبها للعقول والأذهان ، وعجزت تمام العجز عن تصوير كنهها وحقيقتها لأنها وقعت فى عالم مغيب عنا بعيد عن ادراكنا وتصورنا المحدود ..

مع هذا كله فقد كانت نفسية صاحب الرحلة صلوات الله وسلامه عليه أعلى من أن تشغله صورها ومشاهدها عن الله الذى لم يغب عن قلبه طرفة عين لا فى يقظة ولا منام ، لا قبل الرحلة ولا بعدها .

لقد كان الرقى الى السماء مطلبا من المطالب التى تحدى بها الكفار رسول الله ، فقالوا له : أوترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) وكان الرسول يعلم أن دوافع العناد والتحدى ، وليست الرغبة فى الايمان والاقتناع هى التى دفعتهم الى هذه المطالب ، وكان رده عليهم : (سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا) ..

مع هذا لقد رقى الرسول الى السماء ، وكان مقتضى الطبيعة البشرية يلح عليه أن يردد أنباء هذه المعجزة الخارقة على مسامع المناوئين لدعوته فى أكثر من مناسبة إلا أننا لا نكاد نعثر فى سيرة صاحب الرسالة على أى أثر له يتحدث عن هذه الرحلة بعد انتهائها وفوات وقتها ، وما أكثر الأحداث التى كانت تستدعى فى منطقنا وتصورنا الحديث عنها

والافاضة فيما رأى فيها وشاهد ، وهذا إن دل على شيء فانما يدل على مقام النبوة الذى يعلو فوق الزعامات والقيادات ، وأن أمرها ليس كما قال أبو سفيان عندما رأى الكتيبة الخضراء فيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد قال سبحان الله يا عباس من هؤلاء . قلت هذا رسول الله فى المهاجرين والأنصار ، فقال ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما .. ليس أمر الرسالة الالهية أمر ملك كما تصور أبو سفيان عندئذ ولكنه فوق هذا بكثير انه كما قال العباس لـه : (ويحك انهـا النبـوة) .

وفى مجريات الأحداث التى وقعت فى تلك الليلة شيء يسترعى الانتباه ويجب التوقف عنده والتأمل فيه .. لقد التقى النبى بالأنبياء والمرسلين فى هذه الرحلة وفى مقدمتهم أولو العزم صلوات الله وسلامه عليهم ، وتحدث اليهم وتحدثوا اليه إلا أن شيئا فى ثنايا حديث موسى معه جدير بالنظر .

لقد كان الأنبياء جميعا أشد الناس بلاء ، ولاقـى المرسلون جميعا من أقوامهم الأمرين : فنوح لبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين ، وما آمن إلا قليل. وابراهيم أوقد له خصوم دعوته النيران التى تخطفت ألسنتها الطير فى جوف السماء ، وعيسى واجـه المؤامرات على قتلـه وسفك دمه ، وموسى لم يكن بدعا من الرسل ، ولم يكن طريق عودتـه وحـده مليئا بالأشواك ولكن ظاهرة غريبة تظهر فى حديثه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لقد كان هو الرسول الوحيد الذى شكا من قومه ، ومع أن هذه الشكاة جرت عرضا أثناء الحديث إلا أنهـا تفضح طبيعة قومـه بنى أسرائيل الذين اتسموا بشدة تمردهم على الله ، ولم تجد وسائل الاقناع ولا وضوح البراهـين الـى أنفسهم وقلوبهم طـريقا .. حـروف قليلة تنطوى على تاريخ طويل ، كلمـات معـدودة تقطر ألما مما حدث منهم . سلسلة طويلة من التجـارب المريرة التى خاضها موسى معهم بقيت عالقة فى ذهنه عميقـة فى نفسه جرت على لسانه فى هذا المقام العجيب قال موسى لمحمد عليهما الصلاة والسلام : لقد جربت الناس قبلك ، وعالجـت بنى أسرائيل أشد المعالجـة ، وقد وعت نفس الرسـول هـذه المعانى واستقرت فى أعماقه قبل أن يصطدم باليهود فى المـدينة وكان منهم من الخيانات والمؤامرات ما لم يجد لـه الرسول علاجا إلا بالسيف .

ان رسل اللـه جميعـا أخوة ، والديانات كلها تنبع من أصل واحد والكتب السـماوية يصـدق بعضها بعضا ، ولكن الأهواء والشهوات هى التى فرقت الناس أشياعا وأحزابا وصدق الله : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) .

وفى ذكرى الاسراء والمعراج يذكر المسـلمون أولـى القبلتـين وثالث الحـرمين ، ويتطلعـون الى الأرض المباركة سائلين الله عز وجل أن يهبهم قوة من عنده يفكون فيها اسار حرمهم ويطهرون أرضهم وما ذلك على الله بعزيز .

رضوان الشبلى

مدير ادارة الدعوة والارشاد

من هَدي السّنة

هذا بصائر من ربكم

للدكتور: علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف
والشئون الاسلامية

فى حديثين مضيا جرى القول موضحا ما رنت اليه الفطرة الانسانية منذ أن برأها قيوم السموات والأرض ، تنشد الهدوء الروحى ، وتطلب معرفة القوة الدافعة لهذا الكون فى سيره على اتساق يحار فى تعليلها عقل مبدع (بفتح الدال) ، فطورا يقارب الحقيقة وحينا يبعد عن مدارها ، تحدوه عاجلة يريدها ، يضحى بكل القيم الفاضلة فى سبيلها فيصاب بالصمم والبكم والعمى فلا يهتدى ، ومن أقل النادر من أهمل أو حاول أن لا يكترث بروابط المادة البحتة ، فانحل عقاله ، وتراءى له المورد على أضواء متباعدة لا يستطاع عنونتها خافتة ولا تسميتها ساطعة ، ولا يدرى أمن ملاحة الفكر العالمى (فى جملته) وتوفيقه أم من قباحة اتجاهاته ودلائل خذلانه النظر بعين الحقد والبغضاء الى مصدر القيادة الواعية المثالية فى كل أطوارها الشديدة الحدب ، البالغة الرحمة بالبشرية ، بل بكل باغم وصامت ، المتمثلة فى رسالات السماء ، المنتهية فى فضلها ، الواصلة قمة الخير فى الحنيفية السمحة التى أوحيت الى سيدى رسول الله (محمد) صلى الله عليه وسلم .

وشب جيل ، وتعاقب نظراؤه ، على التعلق بأذيال بادى القوة المادية الغاشمة ، وما دروا ، أنهم لو سلكوا الطريق لوصلوا ، فما فى قاموس ذوى الهمم القعساء محال أبدا ، وأنه لمن أشد أنواع التسفل والتدنى أن يقلد المرء دائما ولا يحاول أن يبدع ، وهل يستوى مالك الشىء يشتريه ، ومنشئه العالم بكل تفاصيل أجزائه ومهامها ؟! كلا ! فالمبتاع لا يزال عبدا للثانى يفزع اليه كلما توقف ما ملك عن القيام بما يراد منه ، فيرتبط به ارتباط الظل بالأصل والضوء بمصدره ، والحركة بمولدها . .

ونلتقى اليوم بمن بحثوا عن خالق هذا الكون واهتدوا الى معرفته بآثار قدرته البادية فى كل خطوة من خطوات دراستهم العلمية بعيدا عن المؤثرات العقائدية الخاصة ،

وأيقنوا أن « فى كل شىء آية تدل على أنه الواحد » .

العلماء المعاصرون والايمان بالله تعالى :

يقصد ــ هنا ــ بالعلماء ، طائفة من المتخصصين فى سائر فروع العلوم من الكيمياء الى الفيزياء الى الأحياء الى الفلك الى الرياضيات الى الطب الى غير ذلك(١) .. وقبل أن نشير الى آرائهم ، نورد فذلكة يسيرة عن الدواعى لإلحاد الملحدين ، وتنكبهم الطريق السوى ، وخاصة فيما يتعلق بالأديان فى العصر الحديث .

منذ منتصف القرن الثامن عشر على وجه التقريب برز فى الوجود من يجاهر بانكار وجود إله خالق للكون ، وتزعم هذا الاتجاه من دعوهم علماء وفلاسفة ، ولا نريد أن نحجر على العقول فلا تفكر ، ولا أن ندعو الى إعدام زعماء الفكر المخالفة للأديان والداعية الى نبذ كل دين ، ولكنا نرى أن هؤلاء نشأوا وعاشوا فى ظروف خاصة تأثروا بها حدت بهم الى الثورة العنيفة ، وكان من أهم أسبابها الظلم الاجتماعى المنصب على بعض الطبقات الشعبية فى الأوطان التى وجدوا فيها ، وما رأوا من الحيف والإجحاف يحيق بفئة خاصة وتقوم به السلطة الزمنية متعاونة معها السلطة الدينية التى تجاهل رؤساؤها أبسط قواعد الدين المسيحى ــ دين تلك الشعوب ــ الداعى الى الرحمة والتسامح والأخذ بناصر المحتاجين ، واتخذت السلطتان الزمنية والدينية وضعا متحدا ضاغطة بثقلها على الكادحين الفقراء ، تمتص دماءهم ، ولا تسمح لهم حتى بفتات الموائد ، واستنام القياصرة والكهنة للترف والبذخ والإسراف ، ويشهد ما خلفته العصور الوسطى فى أوروبا من قصور ودور بصدق ما كان من الظلم كما كان (٢) . لهذا انصب غضب الثوريين على السلطة الزمنية والدينية معا ، ودعوا الى فصلهما فصلا كاملا ، وذاعت القولة المأثورة (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) .

وكان لا بد ولا مناص ولا مهرب لمريدى الاصلاح من فعل ما فعلوه فى سبيل إزالة عوائق المساواة بين الجميع فى الحقوق والواجبات ، فهوت تحت أقدامهم السلطتان معا ، فأما السلطة الزمنية فقد أقصيت عن المسرح وحل محلها نظام جديد ، وأما السلطة الدينية فقد لاذت بجدران المعابد وأغلقت عليها أبوابها .

وحين يعالج الموضوع هنا لا يهتم بالاشارة الى نظام خاص قائم أو اندثر ، وانما يعنى البحث بذكر الحقائق التى سيطرت وكان من نتائجها ما وصل إلينا نحن بخيره وشره ، لنصل الى وجه الصواب المطلوب . وهنا نتساءل : هل الدين المسيحى من حيث هو دين سماوى دعا فى أصوله وقواعده الى ظلم وحيف وإجحاف ؟! والجواب : كلا ثم كلا ، بل الأمر بالعكس ، إنه تبنى التسامح فى أسمى صوره ، فمهما تفاوتت الأقدار فالكل عباد الله ، والأفضل منهم دائما هو الساعى فى خير الجميع ، والأكثر امتثالا لاوامر الله ، هذا هو أصل الدين المسيحى بل كل الأديان السماوية التى اتفقت كلمتها جمعاء على التوحيد (لا إله الا الله) فلا معبود بحق سواه ، ومعنى هذا التحرر التام من كل قيد يجر الى الخضوع لغير الله سبحانه ، إذن فلماذا اتهم الدين وحورب تلك الحرب الشعواء ؟ لأن الناس لا

يفكرون فى المسطور بالأوراق ، ولا الى المحكى بالألسنة وإنما يعنون ، ويهتمون بالأسلوب المطبق واقعيا ، الملزم للعمل بين الناس .

وقد نسى الذين كانوا على رأس الكنيسة حينذاك أو تناسوا الجانب الإلهى الحقيقى ، وركنوا الى السلطة الزمنية يتملقونها ليصلوا الى بعض ما تملك من متاع الدنيا ، فصارت لدور العبادة اقطاعيات ، ولرؤسائها مظاهر الأباطرة ، وكان هذا سببا فى ثورة بعض عقلاء رجال الدين على الآخرين الذين حاربوا كل تقدم فكرى ليبقوا على أوضاعهم الخاصة ، ومن هنا نشأت الثورة على الدين عامة وصدر حكم بعض المفكرين باعدامه ، والعمل على إقصائه نهائيا عن الوجود الشعبى ، ولكن النظرة الواعية الى هذا الحكم توضح توتر أعصاب هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قضاة ، وشدة غضبهم الذى أعماهم عن البحث فى الأصول التى جاء بها الدين ، وهذا برهان النزعة الجنونية السطحية التى انتقلت بالشعب من ظلم مادية الاقطاع والكنيسة الى مادية المذاهب الاقتصادية المتعنتة ، فلم تحقق للناس رفاهية ولا أمنا ، لأنها فقدت صمام الأمن الذى لا بد منه لضبط النفس الانسانية ، وتربية الضمير الفاضل لديها ، وكل ما حدث هو انتقال من سلطة حاولت كتم أنفاس الناس واستغلالهم الى مشابه لها لا يقل عنتا وجورا عنها ، فكلا النظامين لا يرحم مخالفه فى الرأى ولا يعطيه الفرصة للدفاع عن نفسه .

والاتزان والفكر الصحيح لا يلغى وجود الانسان مهما كان وضعه الاجتماعى ، ولا يغفل الجانب الروحى لأنه لا يستقيم الضمير الانسانى الا اذا ارتبط بقوة خالقه يعتقد فيها القدرة على مراقبته ومحاسبته **ولا يعزب عنها شىء من** أحواله مهما حاول اخفاءها ، وحينئذ يخشاها ويراقبها ويعمل على ارضائها بعيدا عن الانحرافات ، ولا نشك فى أن الإلحاد وجد فى كل عصر ومصر ، وذر قرنه فى حقب التاريخ المتعاقبة ، غير أنه فى عصرنا أخذ أسماء علمية أو فلسفية ولكنه علم وفلسفة أخطأهما الصواب .

(وقد كان هناك الحاد وملحدون دائما لم يخل منهم عصر ، ومعظم الحادهم نتيجة للهوى أو الجهل أو الى مزاج شخصى غير متزن انحرف بصاحبه عن الحكم السليم ، وبعض الملحدين يتعمد لأمر أو لآخر محاربة الايمان بوجود الله ... أما فى العصور الحديثة فان الالحاد يرجع بالاضافة الى ما تقدم — الى مذاهب فلسفية زائغة فى تفسير الكون يقبلها العاجزون عن الاستقلال فى التفكير أو الذين يبغون من وراء اتباعها تحقيق أغراض شخصية) . (٣)

وسأشير هنا الى ما برهن به علماء معاصرون اختلفت تخصصاتهم العلمية ، ولما كان مجال البحث لا يتسع لسرد كل آرائهم والتعليق عليها فساقتطف بعض ما فى مقدمة كتاب (الله يتجلى فى عصر العلم) مما كتبه الدكتور المترجم(٤) مبينا كيف وصل هؤلاء العلماء الى أحكامهم بوجود الله قال : (لقد بين أولئك العلماء لنا كيف تدلهم قوانين الدنيا الحرارية على أنه لا بد أن يكون لهذا الكون من بداية ، فاذا كان للكون بداية ، فلا بد من مبدىء من صفاته العقل والارادة واللانهائية ، نعم ان هذا الخالق لا بد أن يكون من طبيعة تخالف طبيعة المادة التى تتكون من ذرات تتألف بدورها من شحنات أو

طاقات لا يمكن بحكم العلم أن تكون أبدية أو أزلية . وعلى ذلك فلا بد أن يكون هذا الخالق غير مادى وغير كثيف ، لا بد أن يكون لطيفا ، متناهيا فى اللطف ، خبيرا لا نهاية لخبرته ، (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) ، واذا كنا نريد أن نصل اليه ، فسبيلنا الى ذلك لا يكون بحواسنا التى لا تستطيع أن ترى الا الماديات الكثيفة ، واذا كنا نريد أن نلمس وجوده فان ذلك لا يمكن أن يكون داخل المعامل أو فى أنابيب الاختبار ، أو باستخدام المناظر المكبرة أو المقربة ، وانما باستخدام العنصر غير المادى كالعقل والبصيرة ، وعلى من يريد أن يدرك آيات ذاته العلية أن يرفع عينيه عن الرغام ويستخدم عقله فى غير تعنت أو تعصب ، ويتفكر فى خلق السموات والأرض (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) .

ان فروع العلم كافة تثبت أن هناك نظاما معجزا يسود هذا الكون أساسه القوانين والسنن الكونية الثابتة التى لا تتغير ولا تتبدل والتى يعمل العلماء جاهدين على كشفها والاحاطة بها ، وقد بلغت كشوفنا من الدقة قدرا يمكننا من التنبؤ بالكسوف والخسوف وغيرهما من الظواهر قبل وقوعها بمئات السنين .

فمن الذى سن هذه القوانين وأودعها كل ذرة من ذرات الوجود ، بل فى كل ما هو دون الذرة عند نشأتها الاولى ؟ ومن الذى خلق كل ذلك **النظام والتوافق والانسجام** ، من الذى صمم فأبدع وقدر فأحسن التقدير ؟ هل خلق كل ذلك من غير خالق ، أم هم الخالقون ؟ ان النظام والقانون وذلك الابداع الذى نلمسه فى الكون حيثما اتجهت أبصارنا يدل على أنه القدير وعلى أنه العليم الخبير من وراء كل شىء .

ويرد العلماء على أولئك الذين يدعون أن الكون نشأ هكذا عن طريق المصادفة ، ويشيرون الى استخدام الرياضة وقوانين المصادفة لمعرفة مدى احتمال حدوث ظاهرة من الظواهر . فاذا كان لدينا صندوق كبير ملىء بآلاف عديدة من الأحرف الأبجدية ، فان احتمال وقوع حرف الالف بجوار الميم لتكوين كلمة (أم) قد يكون كبيرا ، أما احتمال تنظيم هذه الحروف لكى تكون قصيدة مطولة من الشعر أو خطابا من ابن الى أبيه فانه يكون ضئيلا ان لم يكن مستحيلا ، ولقد حسب العلماء احتمال وقوع الذرات التى يتكون منها جزء واحد من الأحماض الأمينية (وهى المادة الأولية التى تدخل فى بناء البروتينات واللحوم) فوجدوا ذلك يحتاج الى بلايين عديدة من السنين والى مادة لا يتسع لها الكون المترامى الأطراف . هذا لتركيب جزء واحد على ضآلته فما بالك بأجسام الكائنات الحية جميعا من نبات وحيوان ، وما بالك بما لا يحصى من المركبات المعقدة الأخرى ، وما بالك بنشأة الحياة وبملكوت السموات والأرض ، انه يستحيل عقلا أن يكون ذلك قد تم عن طريق المصادفة العمياء أو الخبطة العشواء . لا بد لكل ذلك من خالق مبدع عليم خبير أحاط بكل شىء علما وقدر كل شىء ثم هدى .

ثم تجىء بعد ذلك الترجمة الكاملة لآراء العلماء المتخصصين شاهد صدق واقعى على وجود اله مبدع للكون .

وكتاب آخر تحدث عن الايمان ، وأوضح مؤلفه كيف يكون انتشار العلم وسيلة الوصول الى الله وما أصدق

القرآن حين ينادى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد) وحين يؤمن العلماء ومن ورائهم الناس جميعا يتخلصون من سلطان المادة البحتة القاتل الذى تحكمه شهوات وتنفذه سلطات وتؤيده نوازع مختلفة لا ضابط لها ولا ميزان ، ونورد هنا ما علق به أحد الذين قدموا الكتاب فى ترجمته العربية قال : وجاء العلم ، وجاء العلماء بألف ألف دليل على وحدة الأرض ، وما عليها ووحدة السماء ، ومن هذه الوحدة(٥) درج الناس والعلماء الى وحدة رب هذه الأرض وهذه السماء ومع هذا بقيت فى العلماء بقية تقول بالخلق والتخلق طبعا وتنكر وجود الله ، ومن هذه البقية العالم الانجليزى جوليان هكسلى فكتب فى ذلك كتابا أسماه (الانسان يقوم وحده) وهو فى ذلك يسير على درب سار عليه جده من قديم فجده توماس هكسلى (١٨٢٥ — ١٨٩٥) صاحب دارون وناصره فى القرن الماضى . وظهر هذا الكتاب لهذا العالم فانبرى له عالم آخر . فكتب كتابه (ان الانسان لا يقوم وحده) أراد بذلك أن يقول أنه يقوم فى هذه الدنيا ومعه (الله)(٦) والكتاب يعدد فى ايجاز جميل هذا الاتساق الذى يجمع بين الخلائق جميعا وبين الحى والحى ، وبين الحى والجامد ، وعبر حدود الأرض واتجه الى السماء ، يربط ما بينها وبين الحياة على هذه الأرض وهو يدلل من صفات هذا الشىء وهذا الشىء على أن صانعهما لا بد واحد فهما كالمفتاح وقفله اتساقا لا يمكن أن يكون ابتدعهما ودبرهما الا عقل مدبر واحد)(٧) .

وكل ما ورد من كلام العلماء فى هذين الكتابين وأمثالهما له أصل فى آيات القرآن الكريم ، فقد كان سر الوصول الى تلك النتائج الايمانية هو اطلاق العقل من عقاله وحمله حملا على البحث والدرس والتنقيب

وأحيل طلاب الحقيقة على ما كتب هؤلاء العلماء ، ودراسة القرآن **دراسة فاقهة واعية ليصلوا** بأنفسهم الى الايمان ، وحين يصلون لن يزعزع ايمانهم نعيق غربان الغرب وآفاته ولا خرافات الشرق وترهاته فالحياة بلا ايمان تصبح جحيما لا يطاق ، وما نشهده على مسرح الدنيا الآن فى قاراتها المختلفة من الحروب والفتن مصدره ، القلق والحيرة والبعد عن الايمان الصحيح ، والاسلام يقرر فى صراحة ووضوح : أن ايمان المقلد لا يقبل بحال ما دام الانسان قادرا على متابعة الأدلة الكونية الناطقة بوجود الله ووحدته لأن العقائد الموروثة تتهاوى تحت أول صدمة فكرية غريبة ، وأما العقائد المكتسبة بالبحث والدرس فلا يزعزعها شىء ،

---

(١) ص ٢ « الله يتجلى فى عصر العلم » .

(٢) كما تشهد أهرام مصر بمقدار جبروت الفراعنة ، وفى العصر الحديث كم استغل فلاحو مصر فى السخرة وحفر قنال السويس والترع المنبثة فى الوادى الخصيب !! ونظراؤهم فى بلاد أخرى كثيرون .

(٣) الاستاذ الدكتور (أبو ريدة) الايمان بالله فى عصر العلم « مجلة عالم الفكر جـ ١ ص ١٧٥ » .

(٤) د. الدمرداش عبد المجيد سرحان ص ٢ — ٤ .

(٥) وحدة المخلوقات غير وحدة الوجود التى نفاها علماء الاسلام وبرهنوا على بطلانها

(٦) ترجم هذا الكتاب تحت عنوان « العلم يدعو الى الايمان » (٧) .

(٧) ص ٣٦ من الكتاب المذكور .

وامعتصماه ..

وقف رجل على المعتصم فقال : يا أمير المؤمنين ، كنت بعمورية وجارية من أحسن النساء سيرة ، قد لطمها علج فى وجهها ، فنادت : وامعتصماه ! فقال العلج : وما يقدر عليه المعتصم ! يجىء على أبلق وينصرك ! وزاد ضربها .

فقال المعتصم : وفى أى جهة عمورية ؟ فقال له الرجل وأشار الى جهتها : ها هى ذى ، فرد المعتصم وجهه اليها .

وقال : لبيك أيتها الجارية ، لبيك ، هذا المعتصم بالله أجابك ، ثم تجهز اليها فى اثنى عشر ألف فرس أبلق ، وحاصرها .

ولما طال مقامه عليها جمع المنجمين فقالوا له : انا نرى أنك ما تفتحها الا فى زمان نضج العنب والتين ، فشق عليه ذلك واغتم ، وخرج ليلة مع بعض حشمه متجسسا فى المعسكر يسمع ما يقول الناس ، فمر بخيمة حداد يضرب نعال الخيل ، وبين يديه غلام اقرع قبيح الصورة ،وهو يضرب على السندان ويقول : فى رأس المعتصم ! فقال له معلمه : أتركنا من هذا مالك وللمعتصم ؟ فقال : ما عنده تدبير ، له كذا وكذا يوما على هذه المدينة مع قوته ولا يفتحها ! لو أعطانى الأمر ما بات غدا الا فيها .

فتعجب المعتصم مما سمع ، وترك بعض رجاله موكلا به ، وانصرف الى خبائه فلما أصبح جاءوا به ، فقال ما حملك يا هذا على ما بلغنى عنك ؟ فقال الرجل .

الذى بلغك حق ، ولو وليتنى الحرب فانى أرجو أن يفتح الله عليك . فقال : قد وليتك وخلع عليه وقدمه على الحرب ، ففتح الله عليه ، ودخل المعتصم المدينة ، ولم يثبت قول المنجمين .

ثم دعا بالرجل الذى بلغه حديث الجارية ، فقال له : سر بى الى الموضع الذى رأيتها فيه ، فسار به ، وأخرجها من موضعها ، وقال لها : يا جارية ، هل أجابك المعتصم ؟ ثم ملكها العلج الذى لطمها ، والسيد الذى كان يملكها وجميع ماله .

الدين والدولة في إسرائيل

تمهيـــــد :

هناك بعض المفاهيم ، أو بعض الحقائق يجب توضيحها قبل الحديث عن الدولة والدين فى الوقت الحاضر ، وقبل الحكم بصحة أو بخطأ جعل الدين من مقومات الدولة فى قرننا العشرين ، قرن التقــدم العلمى والتيكنولوجى والتطور نحو الانسانية أو العالمية .

■ الحقيقة الاولى : الدين والدولة فى الصراع السياسى والاستقلال بالحكم فى المجتمع :

لو أن الكنيسة فى روما لم تاخذ لنفسها دور الدولة وسلطة الحكومة ـ منذ أن انتقلت المسيحية الى اوروبا ـ لما وجد فى تاريخ المجتمع الأوربى نزاع على السلطة بين ما يسمى « دينا » وما يسمى « دولة » ، ولما عرفت فلسفة ما بعد الثورة الفرنسية فى آخر القرن الثامن عشر تبريرا للفصل بيــن الجانبين فى توجيه الحكم فى المجتمع .

... ولو أن الكنيسة الرومانية توفرت فقط على العناية بالمسيحية فى تطبيق سلوكها الاخلاقى ، دون ان تتطلع لأن تكون هيئة سياسية لما برز الاتجاه « العلمانى » فى فصل الدولة عن الدين فى نظام الحكم فى المجتمع الغربى . فالاتجاه العلمانى اذ يرى عدم تدخل « الدين » فى الدولة فانه يعنى بالدين الكنيسة كهيئة صاحبة سلطة . ولكنه لا يعنى اطلاقا انكار القيم الدينية المسيحية أو عدم الأخذ بهــا وعدم احتضانها .

ان الجمهورية الفرنسية المعاصرة ـ وهى الخامسة فى سلسلة جمهوريات ما بعد الثــورة

الدين والدولة في الصراع السياسي .
الحكومة الالهية - قضية العلم والدين .
إسرائيل المعاصرة - اليهودية والدولة المعاصرة .
رسالة موسى - الإسلام دين الله والدولة .

للدكتور : محمد البهي

الفرنسية - ما زالت ترى نفسها حامية الكثيليكية فى العالم ، بينما التاج البريطانى بدوره يعلن حمايته للبروتستينية (1) فى كل مكان .

وان الروح المسيحية فى الحكومات العلمانية فى المجتمعات الاوروبية والامريكية تسود فى قوانينها - وبالاخص فى قوانين الأسرة - كما تسود فى مواقفها التى تتخذها فى الداخل أو فى الخارج . ودولة السويد - وهى أكثر الدول الاوروبية تحررا من التقاليد المسيحية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية - فان عطفها على « بيافرا » الكاثوليكية - فى مواجهة الكثرة المسلمة فى نيجيريا - فى الحرب الأهلية الاخيرة تجاوز العرف الدولى ، وهى أكثر الدول حفاظا عليه .

ولا شبهة اطلاقا فى أن المقصود بالفصل بين الدين والدولة فى اتجاه العلمانية هو الفصل بين سلطة الكنيسة وسلطة الدولة .



■ الحقيقة الثانية : معنى الحكومة الالهية ، وهى فى واقع الأمر حكومة الكنيسة الكاثوليكية :

فهذه الكنيسة ترى : أنها تحكم على الارض ، نيابة عن الله ، وهى بذلك مجسمة لله الأب ، والابن ، والروح القدس ، فلها عصمة فى القول ، وطاعة على المؤمنين بها . وانها وحدها لها الحق فى تفسير الكتاب المقدس . والبابا - وهو رئيس الحكومة الالهية - تنتقل اليه هذه المبادىء الثلاثة :

١ - عصمة القول .
٢ - وحق الطاعة على المؤمنين بالكثلكة .
٣ - وحق تفسير الكتاب المقدس .

وفى شخص البابا يرتفع مستوى الانسان العادى الى مستوى القداسة ، بعد ان تجسدت فيه الكنيسة ، وهى بدورها تجسد المعبود فى ثلاثيته : الأب ، والابن ، والروح القدس .

واذا كان الذى يتصور الخلاف فى الاتجاه العلمانى بين الدين والدولة أنه خلاف بين مبادىء المسيحية فى ذاتها والدولة فى المجتمع الاوروبى فى توجيه شئونها .. يخطىء فى العلاقة بينها ، فكذلك يخطىء هذا الذى يتصور الحكومة الاسلامية على عهد الرسول عليه السلام — أو على عهد الخلفاء الراشدين بعده — على أنها : « حكومة الهية » أى حكومة معصومة عن الخطأ ، أو حكومة مقدسة ، وأن الامام بدوره يمكن نيابة عن الله فى الأرض ، وأن له وحده حق تفسير القرآن الكريم .

فمبدأ « الاجتهاد » فى الاسلام :

١ — يحول دون العصمة فى الرأى والقول فى شرح مبادىء الاسلام ، ويحفظ على الانسان المسلم مستواه الانسانى فى الخطأ والصواب .

٢ — ويعطى فى الوقت نفسه للفقه الاسلامى صلاحية ملاحقة الاحداث والتطورات فى حياة المجتمع الانسانى .

وأى فرد مسلم ، وأية حكومة اسلامية تطبق كتاب الله فانها لا تخروج عن دائرة « الاجتهاد » فى التطبيق ، أى تدور بين الخطأ والصواب فيه . ولذا لا توجد حكومة « الهية » فى الاسلام ، كما لا يوجد دين ودولة فيه . أى لا توجد سلطتان : احداهما سلطة الدين وهى الهيئة المشرفة عليه ، وثانيتهما سلطة الدولة وهى الهيئة أو الهيئات السياسية .

والحكومة الاسلامية اذن هى حكومة انسانية تستند الى كتاب الله فى التطبيق .

والاسلام تقنين لسلوك الفرد وسياسة الأمة معا ، ولا يعرف الازدواج فى السلطة ، كما لا يعرف الفرق بين دين ودولة .

واللبس فى هاتين الحقيقتين فى مجتمعاتنا الاسلامية جاء نتيجة « للتقليد » والنقل عن تفكير الغرب ، دون أن تكون هناك أصالة لفهم المبادىء الاسلامية عند المقلدين والناقلين .

وهكذا : مبادىء المسيحية ركن أساسى فى نظام الحكم العلمانى القائم على الفصل بين السلطتين : الدينية والزمنية : فى تشريعه ، وفى سلوكه وفى مواقفه . وربما لا نجد فى المجتمع العلمانى المعاصر — وهو خلاف المجتمع الالحادى المادى — سلطة زمنية تتنكر للمبادىء المسيحية ، رغم انها قد تكون فى نزاع مع سلطة الكنيسة .

واذا لم ينص فى دستور النظام العلمانى على اعتبار المسيحية دينا فلأن هذا النظام يريد أن يأخذ — على الأقل فى الظاهر — بمبدأ « المساواة » و « عدم التفرقة » بسبب الدين فى رعاية الافراد وتطبيق القوانين التى تصدرها .



■ الحقيقة الثالثة: اتجاه قلة من المظهرين والسياسيين الى أبعاد المسيحية عن حياة المجتمع العلمانى فى الغرب . وهذه القلة اذ تتجه هذا الاتجاه تتأثر :

أما بطريقة العلم التجريبى المادى .

أو بالخصومة الحادة للكنيسة .

فالذين يتأثرون بالطريقة التجربية وحدها فى مفهوم العلم يرفضون اعتبار « ما وراء الطبيعة » علما . أى يرفضون المعرفة التى لا تستخلص من « الشاهد » ، والتى تعود فقط الى « المغيب » والدين هو من الله الذى لا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير .

ومن هؤلاء المفكرين :

DAVID HUM الفيلسوف الانجليزى فى القرن الثامن عشر (١٧١١ — ١٧٧٦) الذى يرى أن الحقائق الدينية لا يمكن أن نعرفها على الاطلاق ، وانما نعتقدها فقط .

AUGUSTE COMTE والفيلسوف الفرنسى فى القرن التاسع عشر (١٧٩٨ — ١٨٥٧) والذى

يعتبر أن المعرفة الانسانية اذا ابتدات باللاهوت ثم بما وراء الطبيعة فانها تنتهى الى العلم الوضعى وهو العلم التجربى .

MAX WEBER والفيلسوف الالمانى فى القرن العشرين (١٨٦٤ — ١٩٢١) والذى يرفض ما وراء الطبيعة ، كعلم له اعتبار العلم التجربى .

ومثل هؤلاء المفكرين وعلماء الاجتماع فى معارضتهم للدين فى أن يدخل دائرة « العلم » ويبعدونه عن تنظيم المجتمع والدولة تبعا لذلك بدون العلم فى دائرة التجربة المادية وحدها ، ولا يقيمون وزنا « للتجربة النفسية » أو التجربة الذاتية (الروحية) التى تصعد بالمعرفة الى الله جل شأنه عـــن طريق الصفاء النفسى . وهى تلك التجربة التى يتبناها المفكر المسلم : محمد آقبال « كضو » للتجربة المـــادية .

ومعرفة الله سبحانه وتعالى عندئذ نتيجة « للتجربة » ، كالعلم الطبيعى الذى هو نتيجة للتجربة الماديـــة .

ويرفض مثل هؤلاء المفكرين لدخول الدين مجال العلم من جانب .

وبمحاولة جعله فى نطاق التجربة من جانب ، وان كانت تجربة من نوع آخر ...

نشأت قضية : « العلم والدين » .

ويترتب على اعتبار الدين علما « تجريبيا » وجوب تاسيس الحياة الاجتماعية على الأخذ بالمبادىء الدينية وجعل الدين كمقوم من مقومات نظام الدولة .

كما يترتب على عدم اعتباره علما فى نظر أصحاب « التجربة المادية » وحدها ، أبعاده عـــن شئون الدولة وسياسة الحكم .

واذن أى اتجاه مادى فى نظام الحكم وسياسة الدولة يرى من الامور الضرورية لصالح الدولة عدم مهادنة الدين فى أية صورة من صور المهادنة . وحديثـــه عن العـــلم ، ووصفه المبـــادىء أو الظواهر بـــ « العلمية » وتحكيمه ما يسمى بالاسلوب العلمى والمعالجة العلمية لأمر ما هو للحيلولة مباشرة دون الدين وقضايا الايمان بالله .

وربما يعود بعض الدوافع الى تشدد أصحاب الاتجاه المادى فى معارضتهم للدين باسم العلـــم التجربى : فهم عاجزون عن تفسير : —

« التثبيت » فى أصل الوجود .

و « العصمة » للانسان .

وصكوك « الغفران » .

و « كرسى الاعتراف » فى نظام الكنيسة فى المجتمع الأوربى .

فهذه المبادىء تحول دون « الوحدة » المطلقـــــة فى أصل العالم الطبيعى ، كما تحـــول دون « المساواة » فى الاعتبار البشرى لأفراد المجتمع .

ومن الذين تأثروا بالخصومة الحادة للكنيسة :

FRANCOIS-VOTAIRE الكاتب الفرنسى فى القرن الثامن عشر (١٦٩٤ — ١٧٧٨) .

ومن الأقوال التى تنسب اليه قوله : « اذا لم يكن الله موجودا فيجب على الانسان ان يخترعه حتى لا ييأس من الشقاء الموجود فى العالم . فنظام العالم القائم لا يبعـــث فى حقيقـــة أمره على الرضاء . ولذا يجب أن يتصور : ان قدرة الله غير محدودة ، وأننا سنحقق رسالته فى العالم . والهدف الاعلى هو :

١ — تخفيف الشقاء فى العالم .

٢ — وتحقيق القيمة العليا التى هى العدالة ، وقيمتها هى قيمة « أبدية » .

فوظيفة وجود الله فى تفكيره هى وظيفة نفسية ، يحمل تصور وجوده على عدم اليأس مـــن العالم فحسب .



وليس المجال الآن مجال توضيح الصلة فى الاسلام :

١ — بين الدين والدولة .

٢ — وبين الدين والعلم .

... ويكتفى فقط بانه طالما لا توجد حكومة الهية فى الاسلام ، وطالما لا توجد هيئة خاصة ذات سلطة سياسية باسم الدين فيه تنازع ما يسمى بالسلطة السياسية الزمنية .. فلا توجد على الاقل خصومة بين الدين من جانب ، والدولة والعلم من جانب آخر .

والى مسئولية « الاجتهاد » فى الاسلام يعود الخطأ والصواب فى سياسة الحكم ، كما يعود اليه فى ذلك طريق السلوك العملى للافراد فى الأمة .

والقرآن كتاب هداية للانسان فى شئونه وفى وصوله — عن طريق معرفته — الى ربه . وهو للناس متساويين أمامه ، وليس مقسما بعضه الى مجموعة دينية ، وبعضه الآخر الى مجموعة كونية وسياسية أخرى منهم .

اسرائيل المعاصرة :

١ — أى رباط لاسرائيل المعاصرة :

فى اقامة دولة .

وبقاء دولة .

والتماسك في اطار الدولة غير « اليهودية » ؟

أ — أهو رباط اللغة العبرية ، وهى التعبير عن تاريخ بنى اسرائيل على أساس من اليهودية فى الكفاح من أجلها أو فى تحريفها وتاويلها ؟

ب — أهو رباط « القومية » اليهودية وليست هناك قومية يهودية لا يحتوى مضمونها : اليهودية كدين ؟

جـ — أهو اللغات العديدة التى تعلمها اليهود فى أوطانهم الجديدة فى العالم بعد أن تفرقوا اليها ، أم هو التاريخ المختلف للشعوب التى استقر بين أبنائها هؤلاء النازحون اليهود ؟

٢ — أهو القيم الانسانية الفلسفية البحتة التى تعلو الشعب اليهودى وفوق الأديان ؟

أ — وهل هذه القيم تصلح لأن تكون الرباط بين اليهود ، ولا تصلح أن تكون الرباط بين أفراد شعب آخر من الشعوب البشرية ؟

ب — ثم هل توجد فلسفة غير متحيزة .. فلسفة فوق مستوى الشعوب والاجناس ، وفوق الأديان جميعها ؟



□ ان اللغة العبرية لو اتخذت الرباط المشترك فى اقامة دولة اسرائيل المعاصرة — وهى تعبر فى تاريخ اسرائيل عن اليهودية فى مراحلها المختلفة — فليست اذن اللغة العبرية المكونة من الفاظ وتراكيب هى الرباط . وانما مضمونها التاريخى . وهذا المضمون ذو صلة وثيقة باليهودية كدين .

□ والقومية اليهودية ليست فى تحليل واقعها سوى الوعاء التاريخى والدينى واللغوى . فان اتخذت هذه القومية الرابطة فى دولة اسرائيل المعاصرة فاليهودية تمثل القسط الواسع ، والمتميز فيها .

وليست هناك قومية تعتمد على لغة القوم وحدها كتعبير وأساليب . وانما أية لغة هى كائن حى، مظهره التعبير باللفظ والتركيب ، وحقيقته تاريخ القوم الذى تنتسب اليه . وأخص ما يحمله تاريخ القوم — أى قوم — هو عقيدته ، وتقاليده ، وكفاحه فى سبيل استقلاله أو سيادته .

والقوم الذى يحافظ على استقلاله وسيادته هو ذلك الذى تميزت شخصيته . والعناصر الاساسية فى شخصية أى قوم من الاقوام هى :

اعتقاده الخاص برسالة معينة فى حياته .

وتقاليده التى تربط بين أفراده .

☐ أما اللغات العديدة التى تعلمها النازحون من اليهود وسط الشعوب التى استقروا بها ، وأما تاريخ هذه الشعوب التى استوطنوها فانها ــ هذه وتلك ــ لا تصلح ان تكون الرباط فى اقامة دولة ، وان صلحت أن تكون وسيلة ترابط بين مجموعة وأخرى من اليهود .

☐ والقيم الانسانية التى تدعى أية فلسفة تجردها عن التحيز ، وبالتالى تدعى : انها فوق الشعوبية والمذهبية الطائفية والدينية .. التى تدعى أنها « عالمية » لا توجد بعد حتى الآن . وتوجد يوم يوجد « الانسان العالمى » الذى يفكر تفكيرا عالميا فى الانسانية وحدها : لا يتأثر فيه ببيئة ولا وراثة ، ولا بمحدودية وجود الانسان نفسه .

ويستحيل وجود هذا الانسان الا اذا ولد ونشأ على غير هذه الارض .

وما يدعى : انه تفكير عالمى اليوم فلا يعدوا أن يكون تفكيرا طلب فيه أن تتجرد بعض الشعوب من خصائصها لصالح شعب واحد فيها . فالفكرة « الماسونية » مثلا وان أدعت فى طابعها « العالمية » فهى فى خدمة « اسرائيل » منذ وجود هذه الفكرة .

واللغة العالمية « الاسبرنتو » لا تعبر عن تفكير انسانى عالمى . بل هى بالأحرى عامل لتذويب خصائص الشعوب ومحاولة دمجها وازالة الفواصل بينها فى الاعتقاد والروابط الخاصة لصالح مجموعة مشردة ، هى اليهود ، كى تعيش فى تسلل واطمئنان ، وكى تمارس نشاطها المالى والعقلى فى غيبة من الوعى الوطنى الذى تحييه اللغة الوطنية .



اليهودية والدولة المعاصرة :

ولكن اذا صلحت اليهودية ــ أو تعينت ، دون اللغة العبرية ، ودون القومية اليهودية ، ودون فلسفة القيم غير المتحيزة ــ أن تكون الرباط بين اليهود فى العالم أو فى أى مكان منه هل تصلح مع ذلك ان تكون أساسا لدولة عصرية ؟ .. لاسرائيل كدولة تحاول أن تثبت وجودها ؟

ان الدولة « العصرية » هى التى تكون لجميع الافراد فيها : حمايتها للجميع على السواء ، والعمل فيها لا يحرم منه راغب فى العمل بسبب عنصره أو طائفيته ، أو عقيدته ، أو لغته .

هى الدولة التى تتيح لجميع الافراد حرية ممارسة العبادة ، وعدم الاكراه فى الدين . هى التى لا تميز مجموعة من أفرادها فى الاعتبار البشرى على مجموعة أخرى فيها ، على الأخص لسبب الدين أو العنصر .

١ ــ فهل فى اليهودية ما يحول دون أن تكون دولة اسرائيل دولة عصرية اذا قامت على أساس منهـا ؟

٢ ــ هل فى اليهودية ما يجعل اليهود وحدهم أصحاب ميزة على من عداهم فى العقيدة فى دولة اسرائيل المعاصرة ؟

ان الرجوع الى اليهودية فى صلتها برسالة الله ــ وهى رسالة ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ــ يمكن أن ينير الطريق الى جواب هذا السؤال .

وخير مصدر نرجع اليه هو القرآن الكريم . « ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون (أى عن كتاب الله) . وانه لهدى ورحمة للمؤمنين » (٢) .

رسالة موسى واليهودية :

ان رسالة موسى ــ كما أنزلت وكما يصورها القرآن الكريم ــ تختلف عن « اليهودية » التــى

يتبعها اليهود والتى يتخذون منها أساسا للترابط فى قيام دولة اسرائيل المعاصرة . يقول الله عز وجل فى وصف رسالة موسى :

« أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه
« ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة » (٣) .

... فقد وصف « كتاب موسى » بانه كان قبل القرآن اماما للبشرية ورحمة لهم . وجاء القرآن شاهدا عليه ومؤيدا لما جاء به وهو (أى القرآن) لذلك امام ورحمة للناس جميعا ...

بينما يقول فى وصف اليهودية بين بنى اسرائيل :

« وقالوا (أى أهل الكتاب) : كونوا هودا أو نصارى تهتدوا !
« قل : بل ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين .

« قولوا : آمنا بالله ، وما أنزل الينا ، وما أنزل الى ابراهيم ، واسماعيل ، واسحق .
« ويعقوب ، والاسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون .

فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما هم فى شقاق ، فسيكفيكهم الله ، وهو السميع العليم . صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة ، ونحن له عابدون » .

« أم تقولون : ان ابراهيم ، واسماعيل واسحاق ، ويعقوب ، والاسباط ، كانوا هـودا أو نصارى ؟ قل أأنتم أعلم أم الله » (٤) .

فالقرآن — فيما يحكيه عن المولى جل شانه هنا — لا يقبل اليهـودية « أو النصرانية » كدين لهداية البشرية وانما دين الله مصدر هدايته هو : « ملة ابرهيم حنيفا » . فاليهودية « أو النصرانية » دين فريق مقيد من البشر ، وليست الدين الذى هو للناس جميعا ، وهو وحده الذى يقبل عند الله . وهو الدين الذى جاءت به الرسل جميعها .

ثم فى قوله تعالى : « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » (٥) .

ينفى أن يكون ابراهيم عليه السلام يهوديا ، ثم يثبت أنه كان مسلما وهذا يوضح أن هنـاك اختلافا وفجوة بين ما لليهود من يهودية ... وبين ما عليه المسلمون من اسلام الذى هو رسالة اللـه منذ ابراهيم حتى محمد بن عبد الله عليهما الصلاة والسلام .

وتختلف اليهودية عن كتاب موسى ، كما تختلـف عن ملة ابراهيم ، وعما أنزل الى الرسـل جميعا :

فكتاب موسى ، ورسالة ابراهيم ، وما أنزل على الرسل من بعدهما هو الاسلام الذى جاء به القرآن مصدقا لما بين يديه من هذه الرسالات ...

واذن : —

هنا رسالة الله ، أو الاسلام . وهى الرسالة الالهية منذ ابراهيم ... حتى موسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام .

وهنا شىء آخر يختلف عنها وهى : يهودية بنى اسرائيل .

والحديث كذلك عن اليهودية ليس هو الحديث عن دين الله أو عن رسالته للبشرية التى هى الاسلام منذ ابراهيم عليه السلام .

والسؤال الآن : بم تختلف اليهودية عن كتاب موسى ؟

ويجيب القرآن الكريم أيضا عن هذا السؤال فى مثل ما يذكره قول الله تعالى :

« وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله وأحباؤه .
« قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟
« بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير » (٦) .

... فكل من اليهود والنصارى صنع فى رسالة الله ما يجعلها مصدر تمييز لهم ، بحيث يتجاوزن هم فى أنفسهم عن طريق التحريف فيها مستوى الانسان الى مستوى آخر أقرب الى الله ، وهو مستوى الأبناء ، أو الأحباء .

وقد كان بنوا اسرائيل يدعون أنهم أولاد ابراهيم عليه الصلاة والسلام . ولذا لا يعاقبون على ذنوب يرتكبونها ، وان عوقبوا عليها — على اسوأ الفروض — فلمدة قصيرة . ولذا جاء القرآن — كرسالة لله — ينفى هذا الادعاء ، ويؤكد ان الناس جميعا سواء أمام الجزاء ، وأنه لا فرق بين مجموعة وأخرى ، ولا بين شعب وآخر فى ذلك .

... جاء قول القرآن هذا فى قوله :

« وقالوا : لن تمسنا النار الا أياما معدودة !

« قل : اتخذتم عند الله عهدا ، فلن يخلف الله عهده ؟ أم تقولون على الله مالا تعلمون ؟

« بلى ! : من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » (٧) .

.. فشعب بنى اسرائيل ليس شعبا « مختارا » يتميز عما سواه من الشعوب ، كما تنطق رسالة الله فى القرآن ، وان ادعى اليهود ذلك لأنفسهم .

والذين يكفرون « بروحية » الدين تحت تأثير الاتجاه المادى فى الايمان بالله ، ويباشرون هذا الاتجاه فى ارتكابهم الجرائم الاجتماعية ، رغم اعطائهم العهد والميثاق على عدم ارتكابها ، لا يستبعد منهم أن يخالفوا هذه الروحية فى تمييز أنفسهم عن سواهم ، بعد أن يعلنوا الايمان بها :

١ — فقد طالبوا برؤية الله عيانا كطريق للايمان به : « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا : أرنا الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ، ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات » .

٢ — وباشروا الجرائم الاجتماعية ، رغم المواثيق المؤكدة على عدم ارتكابها :

« واذ أخذنا ميثاقكم :

« لا تسفكون دماءكم ،

« ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ، ثم اقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء : تقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقا منكم من ديارهم ، تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان ، وان يأتوكم أسارى تفادوهم ، وهو محرم عليكم اخراجهم ، أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون » (٨) .

واستمر شعب بنى اسرائيل نفسه تحت تأثير « المادية » قرونا وأجيالا عديدة حتى اليوم ، رغم سلسلة من الانبياء توضح لهم رسالة موسى ، ورغم ان عيسى جاء على أثرهم برسالة الله اليهم مرة أخرى : « وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه » ورغم مناشدته اياهم أن يسمعوا لصوت الآيات ، ورغم توضيحه لما اختلفوا فيه عن كتاب الله : « وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل » . « واذ قال عيسى بن مريم : يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة » .

ومما اختلفوا فيه عن كتاب الله قولهم : انهم شعب الله المختار . ومع ذلك ظلوا ماديين ومدعين لأنفسهم بسبب ماديتهم ما يتفوقون به على غيرهم . ولهذا كانوا ظالمين لأنفسهم :

« ولما جاء عيسى بالبينات قال : قد جئتكم بالحكمة ، ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه (أى عن كتاب الله) فاتقوا الله وأطيعون .

« ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم . فاختلف الأحزاب من بينهم ، فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم » (٩) .

فبنوا اسرائيل ظلوا مختلفين عن دين الله ورسالته على عهد موسى .

ثم اختلفوا كذلك عن دين الله ورسالته على عهد عيسى : منهم من كفر به وبرسالته . ومنهم — وهم قلة — أصبحوا حواريين له . وهم الذين أخذوا اسم « النصارى » من أبناء هذا الشعب الاسرائيلى : « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال : من أنصارى الله الله ؟

« قال الحواريون : نحن أنصار الله ، آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون » (١٠) .

واختلافهم عن دين الله ورسالته — سواء على عهد موسى ، أو على عهد عيسى عليهما السلام — هو على نحو ادعاءاتهم التى سجلها القرآن الكريم عليهم فيما يحكيه عنهم :

من قولهم : « نحن أبناء الله وأحباؤه » .

وقولهم : « لن تمسنا النار الا أياما معدودة » .

وقولهم : ان ابراهيم كان يهوديا فيما ينفيه القرآن فى قوله : « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما » .

« وقولهم على مريم بهتانا عظيما »

ومن قولهم : « انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله .

— : « وأخذهم الربا وقد نهوا عنه .

— : « وأكلهم أموال الناس بالباطل » ....

وقد جاء القرآن بعد ذلك يناشدهم عدم الغلو فى الدين ، وعدم اتباع الهوى . ولكن ظل نداؤه اياهم بغير جدوى . واستحقوا بسبب ظلمهم لأنفسهم واختلافهم عن دين الله اللعن من الله جلت قدرته :

« قل يا أهل الكتاب : لا تغلوا فى دينكم غير الحق ،

« ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل .

« لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود ، وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا ،

« وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم ، وفى العذاب هم خالدون» (١١)

■ فاستعلاء شعب اسرائيل اليوم فى دولتهم المعاصرة على أساس من عقيدة « اليهودية » يحول دون أن يكون « الدين » من مقومات الدولة ، كدولة عصرية ، يجب أن تسوى بين جميع الافراد فى الاعتبار البشرى وفى حرية العقيدة .

■ وتأثر شعب اسرائيل اليوم فى دولتهم المعاصرة بالاتجاه المادى — الذى ظل طوال تاريخهم — لا يجعل « اليهودية » أيضا دينا ، يعتبر أولا يعتبر من مقومات دولة عصرية . أى أنه يحول دون اعتبار اليهودية دينا أولا .

و « اليهودية » اذن لا تصاحبها خصائص الرسالة الالهية وخصائص دينية . وأبرز هذه الخصائص :

أولا : المساواة فى الاعتبار البشرى : « يا أيها الناس ، انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » . « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (١٢) .

وثانيا : « روحية » الدين . وهى تلك الروحية التى تحول دون الجرائم الاجتماعية فى الأموال والأعراض والانفس ، والتى تحمل على تجاوز دائرة الطفولة البشرية فى التفكير والاعتقاد . فلا يقف تفكير المؤمن بدين الله وروحية هذا الدين عند حد المحسوس والشاهد ، كما لا يجمد اعتقاده وايمانه بما يحسه فقط ، ويرفض كل ما عدا المحس أن فكر أو اعتقد . ولذا يرفض الايمان بالله لأنه لا يحس :

« ذلكم الله ربكم ، لا اله الا هو ، خالق كل شىء فاعبدوه ، وهو على كل شىء وكيل .

« لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير » (١٣) .

واذا حال « عدم المساواة » فى الاعتبار البشرى دون صلاحية ما يدعى له الدين أو العقيدة من

أن يكون دينا أو عقيدة ، ففقدان « روحية الدين » أو الوقوع تحت تأثير الاتجاه المادى أكثر أبعادا لما يدعى : أنه دين من أن يكون دينا .

فالاتجاه المادى من شأنه أن يفرق حتى بين الأخوة ، والدين من شأنه أن يكتل ويجمع حتى بين الأعداء : « .. واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » (١٤) .

الاتجاه المادى يشجع « الأنانية » و « الفردية » . والدين يشجع روح الجماعة والمشاركة ، على حساب الذات وشهواتها . و « الأنانية » — هى داء المجتمع وعدوه الأول .. هى مصدر الخصومات والاحقاد .. هى مصدر الاستغلال والاحتكار .. هى مصدر العبث والفساد عن طريق الترف والمبالغة فى المتعة المادية .. هى مصدر القتل واشاعة الفحشاء والمنكر .. هى مصدر الشرك والانتهازية والنفاق .

ولذا لا يصدق اطلاقا ان أية ايديولوجية تدعو الى المبادلة أو المنفعة « المادية » وحدها تصبح عقيدة أو دينا ، فضلا عن أن تكون ذات أثر ايجابى فى حياة من يدعى أنهم يؤمنون بها .. لا يصدق مطلقا : أن مذهبا ماديا فى الحياة يشيع روح الانسانية أو يستهدف المستوى الانسانى فى المجتمع .

والاتجاه المادى يطلب اقتناص الفرصة فى جمع المال والمتع الدنيوية ، والدين يطلب الزهد فيها لصالح الايمان بالله والقيم العليا .. يطلب « التضحية » حتى بالنفس ، بعد المال والولد .

و « اليهودية » المادية اذن ، و « اليهودية » التى تدعى أنها دين « النخبة » ودين « الشعب المختار » لو تأسست عليها الدولة العصرية ، دولة المساواة فى الاعتبار البشرى ، لكانت عوامل الفرقة فيها متعددة ولكان الصراع الداخلى أشد وأعنف فيها . وهى عوامل العنصرية والانتهازية المادية .

ولكنها فى الآونة الحاضرة لا يبدو التفرق فى مجتمعها ولا التمزق الداخلى فيه بسبب التركيز على « توسعاتها » وعلى ما يضمن لها شبه الاستقرار ، ويكفل لها أمنا خارجيا .

وعوامل العنصرية اذا أوحت بها عقيدة كان تمزيقها للوحدة الداخلية أمرا لا مفر منه ان عاجلا أو آجلا . وعوامل الانتهازية المادية لا تسبب فرقة الانانية فحسب ، وانما مع ذلك تجعل الأخ يحقد على أخيه ويغدر به ويتسلط عليه ان أمكن ، فى سبيل تحصيل المتعة المادية .

الاسلام دين الله ، والدولة :

واذا كانت رسالة الله لعيسى ابن مريم عليه السلام تحولت الى مسيحية الكنيسة ، واقامت هذه عليها سلطة سياسية وحكومة الهية معصومة عن الخطأ ، ومن شأنها عندئذ أن تحول دون اعتبارها مقوما فى « دولة انسانية » تصيب وتخطىء فى تقديرها ، واذا كانت رسالة موسى عليه السلام تحولت الى دين « النخبة » و « شعب الله المختار » .. تحولت الى « اليهودية » ومن شأنها عندئذ أن تحول دون اعتبارها مقوما فى « دولة عصرية » لا تفرق بين الأفراد فيها ولا ترى «للشعوبية» أثرا فى تمييز هؤلاء الافراد بعضهم عن بعض ، فان الاسلام دين الله ورسالة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، وقد جاء مصححا لتحريف الرسالتين السابقتين قبله ، ولبيان ما اختلف فيه أهل الكتاب هنا وهناك عن كتاب الله ، يضع الناس جميعا سواء أمام الاعتبار البشرى ويرفع العصمة عن الانسان الا فى نطاق ما يكلف به رسوله لتبليغه من وحى الله الى الناس كافة :

فالاسلام دين الله ، ورسالة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، لا يعرف :

١ — التفرقة العنصرية ولا الشعوبية كأساس لتقدير الناس والأفراد . وانما يعرف مقياسا واحدا تقاس به منازلهم ومستوياتهم . وهو مقياس « التقوى » أو السلوك الانسانى المهذب أو المستوى البشرى الفاضل . فهو لا يبدأ بالتفرقة بين الافراد ، وانما يرجىء التفاضل بينهم الى وقت مسئوليتهم عن التصرف والسلوك والى وقت حريتهم وعدم اكراههم على الفعل ، بعد أن يضمن لهم أن رسالته قد بلغت اليهم .

وبذلك يصحح الاسلام ما اختلف فيه بنو اسرائيل عن كتاب الله ودينه ، وهو كتاب موسى ومحمد على السواء . وقد آذى الله اليهود بسبب تحريفهم لدين الله وادعائهم : انهم « شعب الله المختار » وسلط عليهم آلام « التفوق » فى العنصر والفرق فيما ادعته أوربا من الآرية وتفوقها على « السامية » فى النصف الأول من قرننا الحاضر .

٢ - ولا يعرف الاسلام أيضا القداسة والعصمة للبشر . فالناس كما هم سواء فى الاعتبار البشرى ، هم سواء أيضا فى التعرض للخطأ والصواب . والفاضل بينهم ليس هو الذى لا يخطىء وانما هو الذى لا يقصد الى الخطأ .

وبهذا أيضا يصحح ما اختلف فيه النصارى عن كتاب الله ودينه ، وهو كتاب موسى ، وعيسى ومحمد على السواء .

والاتجاهات الراديكالية - وهى الاتجاهات المتطرفة فى الفلسفة الغربية - فى المجتمعات الأوربية هى فى الاغلب وليدة استنكار « القداسة » و « العصمة » للانسان فى دين الكنيسة .
كما أن تصادم الأحداث فى تطور الحياة للمجتمعات المسيحية المعاصرة مع نظام الكنيسة يعود كذلك الى المبدأ الكنسى وهو : « الربط » بين الله وابن الله والروح القدس والايمان بحلول الوحدة « الثلاثية » بينها فى رئيس الحكومة الالهية الذى له وحده حق القول والتفسير ، وحق الطاعة والولاء .

وهكذا : الاسلام دين الله ورسالة محمد عليه الصلاة والسلام لا يعرف تفرقة عنصرية أو شعوبية ، ولا يعرف حكومة الهية ولا انسانا معصوما فى الحكم أو التقدير والرأى ، ولا انسانا مقدسا فوق مستوى البشر وأقرب الى مستوى الملائكة ، فضلا عن مستوى الله جل شأنه .

الاسلام يعرف الانسان كانسان ويقدم له المشورة والهداية كصاحب طبيعة بشرية يعرض لها الخطأ والصواب ، والزلل والسداد ، والمرض والصحة ، والفقر والغنى ، والطفولة والشيخوخة ، والموت والحياة ، والضعة والشرف بالمال أو بالعصبية او بالحكم ، والتواضع والطغيان .. يعرض له النقيض ونقيضه من صفات الوجود .

ويريد للانسان فحسب أن لا يسقط الى مستوى الحيوان فى اغفال العقل والقلب وان يركز فقط على المعدة والفرج .. يريد للانسان أن يكون لبنة مصقولة فى بناء مجتمع انسانى كبير . وصقلها عن طريق الحد من « الانانية » وافساح مجال لمعنى الجماعة ومشاركة الحياة والوجود .

والآن اذا ترك الاسلام - دين الله ورسالة محمد عليه السلام - فى المجتمعات الاسلامية ، وأبعد عن أن يكون من مقومات الدولة العصرية فذلك يرجع الى أحد أمرين :

١ - أما الى تقليد المجتمع الاوربى - فى غربه أو فى شرقه - تقليدا ينطوى على التبعية المطلقة لتطور هذا المجتمع واحداثه التى تتعاقب فيه ، فى أعراض عن مراجعة الاسلام وتاريخ المجتمع الاسلامى .

٢ - واما سعيا الى التخلص من مبادىء الاسلام فى الحكم . وهى تلك المبادىء التى لا تساعد على أن تكون السلطة للتسلط ، ولا على أن يكون الحكم لجاه الحكم .. تلك المبادىء التى أدناها العدل ، وأرفعها الاحسان . والعدل اذا كان توازنا فى المبادلة والمعاملة واحقاق الحق لكل صاحب حق فالاحسان هو اعطاء من انسانية المحسن ، ممثلا فى عمل خير انسانى أو فى مال أو فى معاونة للغير ، أكثر من الأخذ منه .

.. تلك المبادىء التى تجعل « الحرية » أمرا مكتسبا للفرد لا توهب من أحد سواه ، وانما تنزع عن طريق العبادة لله سبحانه وتعالى من هوى النفس وشهوتها ، واكتسابها هو « جهاد أكبر » وهو أعظم شأنا من جهاد « الميدان » ولقاء الأعداء . لأن هذه الحرية لو تحققت لدى الافراد فى المجتمع كانت هى سبيل النصر فى ميدان القتال فى كل مرة يواجه فيها الأحرار من المؤمنين عدو الله وعدوهم . ولكن النصر فى ميدان القتال مرة لا يكفل حرية المجتمع الدائمة التى تتجلى فى قوته وفى

تماسكه ، وفى بقائه معتزا بشخصيته التى تميزه عن غيره ، وتجعله مستقلا غير تابع الا لله وحده جلت قدرته .

و « القومية » التى يحاول بعض مدعى التفكير الاجتماعى الاجانب أن يجعل كل منهم « بديلا » منها عن الاسلام فى الترابط ان هى الا وعاء لا يحتوى الا الحقد على الاسلام ، بعد جهل بمبادئه ، وفى الوقت نفسه بعد وعى بآثاره الايجابية فى تجميع الأمة وفى نهضتها بعد استقلالها السياسى .

أن « القومية » التى يعنيها بعضهم قومية ألفاظ لغوية ، وقومية تاريخ لا يصور أحداث أمة كانت لها رسالة وقيم عليا وعاشت من أجل هذه الرسالة والقيم ، وتريد أن تعيش لها فى أجيالها المستقبلة ، فهى قومية جسم لا روح فيه .

و « قومية » بعضهم قومية الحاد بدين الله ، وقومية « استيراد » لفكر متعثر يقوم على الدعوة لتنمية « الحقد » فى النفوس ويضع الغدر واللاانسانية فى ضروبها المختلفة أساس السلوك ، كما يضع الأفراد فى الأمة فى متاهة الخصومات ودوامة النزاع وسوء العلاقات .

... هى « قومية » تحيل مجتمع « القوم » المطمئن الآمن على نفسه وعلى رزقه الى مجتمع يكفر بنعم الله فيقع فى اضطراب الجوع والخوف ويشق عليه أمر الحياة . وهذه سنة لا تتغير فى حياة المجتمعات : « وضرب الله مثلا : قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » (١٥) .

... هى قومية تدعو الى الوثنية المادية : « واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون . لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون » (١٦) .



■ ان الاسلام دين الله ، ورسالة خاتم الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، لا يعرف :

١ ــ الفصل بين دين ودولة ، انما يعرف الحياة الانسانية للفرد وفى علاقته بغيره .

٢ ــ ولا يعرف : قضية للدين والعلم ، وانما يعرف مؤمنا بالله يحكى صفاته فى نفسه من : علم وغنى ، وخلق وابداع .. ويتقرب بما يحاكيه اليه جل جلاله .

٣ ــ ولا يعرف : حكومة الهية ، ولا رفعا لانسان عن مستواه الانسانى ، وانما يعرف انسانا يصيب ويخطىء فى تقديره وفى رأيه وفى علمه .

٤ ــ ولا يعرف تفرقة بين الناس على أساس من العنصر والفرق ، وانما يعرف أن الناس جميعا سواء فى الاعتبار البشرى وفى المسئولية أمام الله ، وأن التفاضل بينهم هو فى مدى تحقيق مستوى الانسانية فى تفكير المؤمن وسلوكه وعمله .. هو فى التقوى والعمل الصالح .

٥ ــ ولا يعرف : تواكلا عن السعى والعمل ، وانما يعرف متوكلا ومعتمدا على الله سبحانه ، بعد العزم وتحديد الطريق الذى يسلكه فى سعيه وفى عمله .

٦ ــ ولا يعرف : انسانا ماديا أنانيا يطغى بماديته وأنانيته ، وانما يعرف انسانا محسنا : يعطى انسانيته على الأقل بقدر ما يأخذ ان لم يكن يعطى أكثر .

٧ ــ ولا يعرف : انسانا راهبا أو مترهبا ، وانما يعرف انسانا يستمتع بمتع الحياة وبزينتها فى غير غلو وفى غير ترف يجر الى العبث والفساد .

٨ ــ ولا يعرف : مالا منفعته خاصة ، وانما يعرف أن المال اذا كانت ملكيته خاصة فوظيفته اجتماعية ومنفعته عامة للناس جميعا .

٩ ــ ولا يعرف : واليا يطلب الولاية فيولى ، وانما يعرف الولاية بيعة واختيارا ممن يملك حق الاختيار فى الأمة .

١٠ ــ ولا يعرف : عصيانا لوال يولى الا فى معصية مؤكدة لله ولرسوله .

أى شىء قبل هذا أو بعد هذا يصلح أن يكون بديلا عنه فى حياة الانسان وفى شئون أفراده ؟

قرآن الله موجود بأيدى المسلمين . وليس لهم أن يشكوا من ضعف أو هزيمة الا أنفسهم .



والتقدم العلمى والتيكنولوجى لا يغنى عن الاسلام ، دين الله ورسالة خاتم الرسل محمد عليه الصلاة والسلام ، فى اسعاد البشرية وفى خيرها وفى الترابط والاطمئنان بينها .

ان التقدم العلمى والتيكنولوجى يساعد على التطور المادى وتوفير الامكانيات المادية للبشرية .

ولكنه لا يحول دون أن يحتكر فريق من الناس هذه الامكانيات ويحرم منها فريقا آخر .

.. لا يحول دون أن توجه هذه الامكانيات المادية للاضرار ببعض الناس ولشقائهم .

.. لا يحول دون أن تكون هذه الامكانيات مصدر تهديد للقلق والخوف للبشرية كلها وتدبر سوءا بمستقبلها .

.. لا يحول دون أن تكون هذه الامكانيات سببا لتربــص بعض الناس ببعض ولغدر بعضهــم ببعض .

.. لا يحول دون أن تكون هذه الامكانيات عاملا للفساد والعبث والتحلل من القيم الانســانيــة العليــــا .

فاذا أضيف الى الاسلام فى الدولة العصرية العلم والتيكنولوجيا ، أصبحت هذه الامكانيــات المادية التى يوفرها التقدم العلمى والتيكنولوجى :

فى خدمة « الانسانية » .

.. فى خدمة الخير والنفع العام .

.. فى خدمة القيم العليا للمجتمع الانسانى العالمى ،

وليست فى خدمة الانانية .

١ ــ « ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب (وهم من يدعى أنهم أهل كتاب) .

٢ ــ « ولا المشركين (وهم الوثنيون الماديون الملحدون) » (١٧) :

«أن ينزل عليكم من خير من ربكم ، والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم»(١٨)

« ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا ، حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ، فاعفوا وأصفحوا حتى يأتى الله بأمره ان الله على كل شىء قدير .

« وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ، ان الله بما تعملون بصير » (١٩) .



وصدق الله العظيم .

---

(١) ووقوف بريطانيا ــ فى الحرب الاهلية النيجرية منذ قيامها فى سنة ١٩٦٨ ــ ضد بيافرا ، بينما تقف فرنسا للدفـــاع عن استقلال بيافرا يدل على أن كلا من الدولتين الاوربيتين المعاصرتين فى اختلافهما يرجع الى اختلاف تبنيهما للاتجاه المسيحى الخاص . فسياســــــة فرنســا العلمانية تسير حسبما تطلب دولة الفاتيكان فى الشرق أو الغرب . والرباط القوى بين فرنسا ودول أمريكا اللاتينية لا يرجع الى الثقافة الفرنسية بقدر ما يرجع الى الاتجاه الكاثوليكى المسطر .

(٢) النمل ٧٦ ، ٧٧ .

(٣) هــود ١٧ .

(٤) البقرة ١٣٥ ــ ١٣٩ .

(٥) آل عمران ٦٧ .

(٦) المائــدة ١٨ .

(٧) البقــرة ٨٠ ــ ٨٢ .

(٨) البقرة ٨٤ ، ٨٥ .

(٩) الزخرف ٦٣ ــ ٦٥ .

(١٠) آل عمران ٥٢ .

(١١) المائدة ٧٧ ــ ٨٠

(١٢) ســـبأ ٢٨ .

(١٣) الانعــام ١٠٢ ــ ١٠٣ .

(١٤) آل عمران ١٠٣ .

(١٥) النمــل ١١٢ .

(١٦) يس ٧٤ ، ٧٥ .

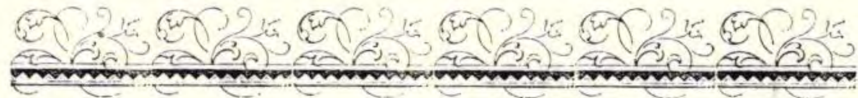
(١٧) « ويل للمشركين : الذين لا يؤتون الزكاة ، وهم بالآخرة هم كافرون » . فطابعهم طابع مادى صرف . واذا تحدثوا عن الدين : « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكـــم تغلبون » .

(١٨) البقــرة ١٠٥ .

(١٩) البقــرة ١٠٩ ، ١١٠ .



منهج الايمان والحكمة في رحلة الحياة



للدكتور عبد الحليم محمود وكيل الازهر

أخرج الامام أحمد والشيخان عن أنس عن مالك بن صعصعة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، حدثهم عن ليلة أسرى به ، وكان مما قال فى هذا الحديث الصحيح ـ أن جبريل عليه السلام ، شق عن صدره ، واستخرج قلبه الشريف ، ثم « أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا وحكمة ، فغسل قلبى ، ثم حشى ثم أعيد » ..

وأخرج الشيخان من طريق يونس عن الزهرى عن أنس قال :

كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فرج سقف بيتى وأنا فى مكة فنزل جبرائيل ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست ملىء حكمة وايمانا ، فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه .. »

ثم بدأت الرحلة :

وكان أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو مشهد قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ـ يا جبرائيل ما هذا ؟ قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شىء فهو يخلفه .

وأول مشهد اذن بعد ، امتلاء القلب حكمة وايمانا ، هو مشهد الجهاد .
وما من شك ، فى أن القلب اذا امتلأ ايمانا وحكمة ، فان الجهاد يصبح فى أوائل ما يحافظ عليه من شعارات :

١ — جهاد النفس لتتزكى ، وتزكية النفس لا حد لها ، والصفاء لا نهاية تحده .

وكلما سما الانسان فى الصفاء درجة كلما استشرف الى أسمى منها ، وكلما سما كلما قرب من الله أكثر والقرب من الله لا نهاية له ، وهذا القرب هو غاية المؤمنين ، ومن وقف منه عند حد معتقدا أن هذا هو نهاية المطاف فان هذا يكون دليلا على أن همته ليست بهمة السابقين السباقين .

٢ — وجهاد الأسرة حتى تستقيم والله سبحانه وتعالى يقول :

« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ، وقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » .

ووقاية الأهل من النار ، هو جهادهم حتى يستقيموا ويمتنعوا عن الوقوع فى المعصية ، فذلك هو وقايتهم من النار .

٣ — وجهاد المجتمع ليكون مجتمعا مؤمنا ، وهذا الجهاد عنصر هام من عناصر خيرية الأمة الاسلامية والله سبحانه وتعالى يقول :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » .

ويقول سبحانه :

« لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، فيما رواه الترمذى وأبو داود :

« والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه فى جهاد المجتمع :

« ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى الا كان له من أمته حواريون ، وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » .

٤ — ومن أسمى أنواع الجهاد جهاد العدو بالسلاح واللسان والمال ، والله سبحانه وتعالى يقول :

« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » .

وأخرج الامام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بغزو ، مات على شعبة من النفاق » .

ولقد أخرج الشيخان عن الصحابى الجليل ، أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال :

قلت : يا رسول الله ، أى الاعمال أفضل ؟

قال : الايمان بالله والجهاد فى سبيله .

ولقد اهتم الاسلام بأمر الجهاد بحيث جعله شعار كل مسـلم وأحاطه بعناية بالغة .

لقد بين الله سبحانه : أن الاستئذان فى التخلف عن الجهـاد يتنافى مع الايمان ، بل يتعارض معه ، بل ينتفى الايمان عند التخلف مع القدرة .

يقول تعالى : « لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين . انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون » .

وموالاة الاعداء كفر . .

يقول سـبحانه : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشـيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله الا أن حزب الله هم المفلحون » .

ولقد وصل الأمر فى عقاب التاركين للجهاد أن ينذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انذارا شديدا فعن أبى بكر رضى الله عنه : فيما رواه الطبرانى باسناد حسن — قال — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ترك قوم الجهاد الا عمهم الله بالعذاب » .

واذا انتهى الجهاد الى الاستشهاد ، فالمصـير الجنة والقرب من الله ، وفى القرآن الكريم ، والأحاديث الشريفة أروع وأجمل تصوير لمكانة الشـهيد فى الآخرة . .

يحدث ابن كثير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما رأى جابر بن عبد الله مهتما لاستشهاد أبيه فى غزوة أحد قال له مطمئنا ومبشرا :

« ألا أخبرك ما قال الله لأبيك ؟ » فقال جابر :

قلت بلى . . قال :

ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب ، وانه كلم أباك كفـاحا (والكفاح المواجهة) .

قال : سلنى أعطك . قال :

أسألك ان أرد الى الدنيا فأقتل فيك ثانية .

فقال : الرب عز وجل . .

انه قد سبق منى القول بأنهم اليها لا يرجعون .

قال : « أى رب فأبلغ من ورائى » .

أى أبلغهم بهذه النعمة الكبرى التى يتقلب فيها الشهيد فى الجنة .

فأنزل الله تعالى :

« ولا تحسـبن الذين قتلوا فى سـبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم

يرزقون ، فرحين بما أتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وان الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

فالشهيد سعيد باستشهاده ، ويتمنى أن لو أعيد الى الدنيا مرة أخرى ، ليكون شهيدا من جديد . ومن الأحاديث أيضا أن حارثة بن سراقة قد استشهد فى غزوة بدر فأتت أمه ـــ وهى بنت البراء ـــ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت :

يا رسول الله ، ألا تحدثنى عن حارثة ، فان كان فى الجنة صبرت ، وان كان غير ذلك ، أجتهد عليه فى البكاء ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :

يا أم حارثة انها جنان فى الجنة ، وان ابنك أصاب الفردوس الأعلى .

هذا هو الجهاد الذى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مشهده أول ما رأى من مشاهد بعد أن ملىء قلبه الشريف حكمة وايمانا .

أما الآية الكريمة التى يقول عنها صاحب الكشاف :

ولا ترى ترغيبا فى الجهاد أحسن ولا أبلغ من هذه الآية فهى :

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » .

يقول صاحب الكشاف :

ولا ترى ترغيبا فى الجهاد أحسن ولا أبلغ من هذه الآية ، لأنه أبرزه فى صورة عقد عاقده رب العزة وثمنه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

ولم يجعل المعقود عليه كونهم مقتولين فقط ، بل اذا كانوا قاتلين أيضا لاعلاء كلمته ، ونصر دينه .

وجعله مسجلا فى الكتب السماوية وناهيك به من صك . وجعل وعده حقا ولا أحد أوفى من وعده فنسيئه أقوى من نقد غيره .

وأشار الى ما فيه من الربح والفوز العظيم ، وهو استعارة تمثيلية ... صور جهاد المؤمنين ، وبذل أموالهم وأنفسهم فيه ، وإثابة الله لهم على ذلك الجنة بالبيع والشراء .

وأتى بقوله : « يقاتلون ... » الخ .. بيانا لمكان التسليم وهو المعركة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : الجنة تحت ظلال السيوف(١) .
ثم أمضاه بقوله :

« ذلك هو الفوز العظيم » .

وبعد ـــ فان منهج الايمان والحكمة فى حياة المؤمنين وفى رحلة الحياة يبدأ بالجهاد .

وأما المشهد الثانى الذى رآه صلى الله عليه وسلم ، بعد مشهد المجاهدين فهو مشهد تاركى الصلاة يقول الحديث الشريف .

« ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شىء فقال ما هؤلاء يا جبريل ؟

قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة » .

وهذا المشهد يتناسق وينسجم مع مشهد آخر رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يراه النائم .

يقول رسول الله صلىالله عليه وسلم .

. . . « فانطلقت فمررت على مالك وأمامه آدمى ، وبيد الملك صخرة يضرب بها هامة الآدمى ، فيقع دماغه جانبا ، وتقع الصخرة جانبا » .

ولما سأل صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، قيل له (أولئك الذين كانوا ينامون عن صلاة العشاء الآخرة ويصلون الصلوات لغير مواقيتها ، فهم يعذبون بها حتى يصيروا الى النار) .

والصلاة فى الاسلام لها أهميتها الكبرى .

ولأهمية الصلاة فى الجو الاسلامى كانت لها مقدمات منها الطهور ، أى الوضوء ، وقد قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه شطر الايمان ، فقد أخرج الامام مسلم عن أبى مالك الاشعرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : —

الطهور شطر الايمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات ، والأرض والصلاة نور ، والصدقة برهان والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها .

ومن مقدمات الصلاة الأذان ، ولقد كان للأذان مشهد فى رحلة الايمان والحكمة .

فقد روى زيد بن على بن الحسين عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه .

وأخرجه ابن مردويه وأبو نعيم من طريق محمد بن الحنفية ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شاهد فيما شاهده ملكا يخرج من وراء حجاب ويقول —

الله أكبر ، الله أكبر ، فنودى من وراء الحجاب صدق عبدى انا اكبر ، فقال الملك أشهد ان لا اله الا الله فنودى من وراء الحجاب صدق عبدى انا الله لا اله الا أنا فقال الملك أشهد ان محمدا رسول الله ، فنودى من وراء الحجاب صدق عبدى انا أرسلت محمدا رسولا ، فقال الملك حى على الصلاة حى على الفلاح ، فنودى من وراء الحجاب صدق عبدى ، ودعا الى عبادى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيومئذ أكمل الله لى الشرف على النبيين والمرسلين والأولين والآخرين . وما من شك فى ان كتب السنة ، وكتب السيرة استفاضت فى كيفية ابتداء المسلمين فى التفكير فى الاعلام

بالصلاة وانهم تداولوا الأمر فيما بينهم واستقر الرأى على الأذان فى صورته الراهنة ، وذلك عن طريق رؤيا رآها صحابى جليل ، وأيده فيهـا برؤيا أخرى سيدنا عمر بن الخطـاب رضى الله عنه وعن بقية الصحابة أجمعين ، ويكون الأذان اذن قد بشر به فى الملأ الأعلى قبل الهامه عن طريق الرؤى — فى عـالم الملـك .

هذا بعض مقدمات الصلاة اعلانا عن أهميتها .

وأهمية الصلاة آتية من انها تذكر باللـه ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر .

يقول سبحانه —

« ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبرانى فى الأوسط باسناد لا بأس به ، عن عبد الله بن قرط رضى الله عنه .

« أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فان صلحت ، صلح سائر عمله ، وان فسدت فسد سائر عملـه » . وروى الائمة مالـك وأبـو داود ، والنسائى وابن حبان فى صحيحه ، عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال — سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول —

« خمس صلوات كتبهن الله على العباد ، فمن جاء بهن ولم يضيـع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخلـه الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ، ان شاء عذبه وان شاء أدخلـه الجنة » .. وفى رواية لأبى داود — سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـول —

« خمس صلوات افترضهن الله ، من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن واتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن ، كان له على الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس على الله عهد ان شاء غفر له وان شاء عذبه .

ومما لا شك فيه ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وانهـا بذلـك تقرب من الله سبحانه حتى لقد أطلق عليها الصالحـون انها معراج المؤمنين الى الله ، ومثل بعضهم القيام فيها بين يدى اللـه بالاسراء الى بيت المقدس والركوع فيها بالعروج الى السماء ، والسجود فيها بالقرب من اللـه سبحانه وهو القائل —

« واسجد واقترب » ..

ورسول اللـه صلى الله عليه وسلم يقول — أقرب ما يكـون العبد من ربه وهو ساجد ..

وينصح صلوات الله وسلامه عليه بالدعاء فى السجود لمكانـة القـرب من الله سبحانـه وتعالى . بيد ان الصلاة التى ثمرتها ذلك انما هى الصـلاة التى استكملت الشروط ، وشروطها ذكرها القرآن فى ثلاثة جوانب :—

أ — اقامتها .

ب — المحافظة عليها .

جـ — الدوام عليها .

ومما قاله القرآن فى وصفـه المؤمنين .

« انما المؤمنون الذين اذا ذكر اللـه وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهـم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » .

ويقول سبحانه —
« حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » .
ويقول سبحانه —
« ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا ، الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون » .
واقامة الصلاة ، أداؤها على الوجه الكامل بقدر الاستطاعة وذلك انه حينما ينطق بتكبيرة الاحرام ويكون بذلك قد دخل فى الصلاة فانه يجب عليه ان ينفصل عن كل ما سوى الله سبحانه ، أى ينفصل عن الأهل والمال والجاه والوظيفة ، ينفصل عن كل ما يشغل كيانه عن الله سبحانه وذلك تحقيق لقوله — الله أكبر ، فما دام هو الأكبر — وقد نطق بذلك المصلى — فعليه ان ينصرف اليه وحده لا يشغله عنه دنيا ولا هوى ، لا يشغله عنه المال والبنون .
والصلاة المقامة هى الصلاة التى استكملت الخشوع ، يقول سبحانه .

« قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون » .
والصلاة المقامة هى الصلاة التى يشعر فيها المصلى انه بين يدى الله ، ويشعر فيها بمعانى أم الكتاب التى لا تنفذ معانيها ، والتى تذكر الانسان بحمد الله على نعمه وبرحمة الله العامة الشاملة ، وتذكره بيوم الحساب وتعلمه انه سبحانه مختص بالعبادة ومختص بالاستعانة ثم الدعاء بالهداية الذى يقول الله سبحانه وتعالى عند طلبه .
هذا لعبدى ولعبدى ما سأل .
ثم يركع متواضعا ، والسجود منتهى التواضع ، ومن أجل ذلك كان منتهى القرب من الله سبحانه وتعالى أما المحافظة على الصلاة فانها اداء الصلاة فى أول الوقت ، وأول الوقت رضوان الله ووسطه رحمة الله ، وآخره مغفرة الله .

أما الدوام على الصلاة ، فانه معنى من أجمل المعانى ، انه الاستمرار فى جو الصلاة فى جو الصلة بالله فالصلاة صلة بين العبد وربه ، وهذه الصلة يجب أن تدوم سواء أكان الانسان فى الصلاة بالفعل أم لم يكن فيها واقعيا .

فاذا أقام الانسان الصلاة وحافظ عليها ، وداوم على الشعور بجوها فانها تنهاه عن الفحشاء والمنكر وتقربه من الله سبحانه وتعالى . يقول الامام القشيرى — سمعت الاستاذ أبا على الدقاق يقول —
ان نبينا عليه الصلاة والسلام ، أتى للأمة بالمعراج على التحقيق ، فان الصلاة لنا بمنزلة المعراج ، وقد كان المعراج له عليه الصلاة والسلام ، ثلاث منازل من الحرم الى المسجد الأقصى ثم الى سدرة المنتهى ثم منها الى قاب قوسين فكذلك لنا الصلاة ثلاث منازل القيام ثم الركوع ، ثم السجود وهو نهايته القرب قال الله تعالى —
« واسجد واقترب » .
وبعد ، فان الصلاة قد فرضت والرسول صلى الله عليه وسلم ، أقرب

ما يكون من ربه ، انها فرضت وهو فى مقـــام قاب قوسين أو أدنى .

وهذا المقام ينتهى فى فضل الله وفى كرمه ب « أدنى » أى أدنى من « قاب قوسين » فى هذا المقام أوحى الله الى عبده ما أوحى ، وكان فيما أوحاه سبحانه الصلاة التى جعلها صلة بين العبد وربه والتى جعلها مفزعا للعبد فى كل ما أهمه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلمـــا حزبـــه أمر يفـــزع الـــى الصلاة .

أما المشهد الثالث الذى رآه رسول الله صلى اللــــه عليه وسلم فى رحلة الايمان والحكمـــة أو فى منهج الايمان والحكمة أو فى حياة الحكمة والايمـــان فهو مشهد يتعلق بالزكـــاة .

(. . . . .

ثم أتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الابل والغنم ، ويأكلـــون الضريع والزقوم ، ورضف جهنم وحجارتها ، قـــال ـــ ما هؤلاء يا جبرائيل ؟ قال ـــ هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم اللــــه شيئا . .

ولقد أخذت الزكاة فيما بعد ، الحظ الكافى من الاهتمام ، ولكن موضوع المال على وجه العموم أخذ منذ ابتداء الاسلام وطيلة نزول الوحى حظا يتناسب مع مكانته فى المجتمع ومع صلته بالنفس صلة وثيقة من حيث توفيـــره لكـــل ما تطلبه الحياة من رغبات ضرورية كانت أو كمالية .

وقبل أن نتحدث عن نظرة الاسلام للمال على وجه العموم نتعجل فنـــذكر مشاهد أخرى خاصة بالمال حتى نستكمل المشاهد الخاصة بالمال .

الربـــا

أ ـــ جاء فى رواية أبى سعيد الخدرى عن البيهقى وفى رواية أبى هريرة عن ابن أبى حاتم « . . . فاذا انا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهـــم خر ، فيقول » .

اللهم لا تقم الساعة ، وهم على سابلة آل فرعون ، قـــال فتجىء السابلة فتطؤهم ، قال فسمعتهم يضجون الى الله ، قال ـــ قلت يا جبريل من هؤلاء ؟

قال هؤلاء من أمتك « الذين يأكلون الربا ، لا يقومون الا كما يقـــوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » .

ب ـــ أخرج ابن مردويه عن سمرة بن جندب قال ـــ قال رسول اللــــــه صلى الله عليه وسلم ـــ

رأيت ليلة أسرى بى رجلا يسبح فى نهر يلقم الحجارة ، فسألت من هذا ؟ فقيل لى ـــ هذا آكل الربا .

ج ـــ « . . . قال ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط يعرضون على النار لا يستطيعون أن يتحولوا من مكانهم ذلك فقلت يا جبريل من هؤلاء ؟ فقال ـــ هؤلاء أكلة الربا .

د ـــ ولقد مثل آكل الربا له صلى الله عليه وسلم ، فى رؤيا منامية على الوجه الآتى يقول ـــ

فمضيت فاذا أنا بنهر من دم يفور كفوران المرجل ، وعلى حافتى النهر

ملائكة بأيديهم نار ، كلما طلع طالع قذفوه بها ، فيقع فى فيه ، فيشتعل الــى اسفل ذلك النهر .

فلما سأل صلى الله عليه وسلم عن تفسير ذلك قيل له ــ
اما النهر الذى رأيت يفور كفوران المرجل فيه قوم عراة على حافة النهر فأولئك الذين اكلوا الربا فهم يعذبون به حتى يصيروا الى النار(٢) .

آكل مال اليتيم

أ ــ « . . . ثم مضيت هنيهة فاذا انا بأقوام مشافرهم كمشافر الابل فتفتح أفواههم ويلقمون حجرا ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضجون الى الله .

قلت يا جبرائيل من هؤلاء ؟

قال ــ هؤلاء من أمتك الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا (٣) » .

ب ــ قال ورأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الابل فى أيديهم قطع من النار كالانهار يقذفونها فى أفواههم فتخرج من أدبارهم فقلت من هــؤلاء يا جبريــل ؟ فقال هؤلاء اكلة أموال اليتامى ظلما .



والآن نبدأ بالقاء الضوء على موقف الاسلام بالنسبة للمال .

انه أولا ملك لله يمنحه سبحانه وتعالى لمن يشــــاء فى ســـعة او فى قلة حسبما تقتضيه حكمته ، انه ملك لله يستخلف عليه من يشـــاء من عباده ، فالمالك فى الاسلام مستخلف فيما يملك اذا كان يسمى المستخلف مالكا .

يقول سبحانه
« وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجــر كبير »(٤) .
ويقول تعالى ــ
« وآتوهم من مال اللـــه الذى آتاكم »(٥) .
ان المال مال الله ، والعبد مستخلف فيه .
والمالك لم يترك الأمر بدون قواعد ، وانما وضـــع القواعد الكثيـــرة ، ونتحدث عن هذه القواعد دون ترتيب معين .
من هذه القواعد :

ان هذا المال وان كان لله ، فانه ليس حقا مشاعا لكل الناس وانما المالك يمنح من شاء ما شاء . ويحرم حرمة تامة أن يعتدى انسان على آخر فيأخـــذ من المال بغير وجه حق .
وحرمة المال كحرمة النفس ، وحرمة العرض ، ورسول اللـــه صلى

الله عليه وسلم ، يقول فى خطبة الوداع « . . . انما أموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، اللهم هل بلغت اللهم فاشهد » .

ومن مات دون ماله فهو شهيد .

وآخذ المال بغير وجه حق يصل به الأمر الى قطع يده .

وفى الصحيحين عن عروة عن عائشة أن قريشا أهمهم شأن المرأة التى سرقت فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، فى غزوة الفتح فقالوا — من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقالوا —

ومن يجترىء عليه الا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلمه فيها أسامة ابن زيد فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال — « أتشفع فى حد من حدود الله عز وجل » فقال له أسامة — أستغفر لى يا رسول الله ، فلما كان العشى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال —

أما بعد ، فانما أهلك الذين من قبلكم ، أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وانى والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

ومن القواعد الهامة ، ان فى المال حقوقا ، ان فيه الزكاة .

والزكاة حارب عليها سيدنا أبو بكر رضى الله عنه — يروى الامام البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال — لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر رضى الله عنه ، وكفر من كفر من العرب ، فقال عمر رضى الله عنه —

كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله ؟

فقال أبو بكر —

والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقاتلتهم على منعه .

قال عمر رضى الله عنه —

فوالله ما هو الا ان رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت انه الحق(٦) .

ولكن الزكاة ليست هى الحق الوحيد فى المال ، فالله سبحانه وتعالى يقول —

« وفى أموالهم حق للسائل والمحروم »(٧) .

ويقول سبحانه —

« والذين فى أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم »(٨) .

وهذه الآيات عامة هدفها اشعار المؤمنين بأن فى المال — من اى نوع كان — حقا يجب أن يؤدى .

وفى المال حق أداء الصدقة .

يقول تعالى ، « ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات اللـــه وتثبيتا من انفسهم كمثل جنـــة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبهـــا وابل فطل ، والله بما تعلمون بصير »(٩) .

ويقول سبحانهـ

« ان تبدو الصدقات فنعما هى ، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خيـــر لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعلمون خبير »(١٠) .

ويقول تعالى « قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال »(١١) .

ويقول سبحانه

« آمنو بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير » (١٢) .

ومن القواعد قاعدة مزدوجة تتمثل فى قوله تعالى .

« فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما مـــن بخل واستغنى، وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ، وما يغنى عنه مالـــه اذا تردى ، ان علينا للهدى ، وان لنا للآخرة والأولى فأنذرتكم نـــارا تلظى ، لا يصلاها الا الأشقى ، الذى كذب وتولى ، وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى مالـــه يتزكى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى ، الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، ولسوف يرضى »(١٣) .

والجانب الاول من هذه القاعدة المزدوجة ، أو الوجـــه المشرق منهـــا هو ان من استجاب لله ورسوله فى المال ، فان الله سبحانه وتعـــالى ييسره لليسرى ، واليسرى هنا معنى من المعانى التى تتضمن الكثير من الخير ، انهـــا تتضمن ما يعبر الله عنه بقولـــه ــ

« وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ، وهو خير الرازقين »(١٤) .

وتتضمن ما يعبر الله عنه بقوله . . « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعـــف لمن يشاء ، والله واسع عليم ، الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »(١٥) .

أما الجانب الثانى من هذه القاعدة المزدوجة فانه انذار للبخيل بأن عاقبة بخلـــه ستعود عليه هو وان الله سيجعل خطواته كلها (عسرى) قلق نفسانى وشح مادى ، وقد عبر الله سبحانه عن بعض ذلك بقوله .

« هأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله ، فمنكم من يبخل ومن يبخـــل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء ، وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم »(١٦) .

وبعد ، فان من أجمل المشاهد التى رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رحلة الحكمة والايمان ، هذا المشهد الذى نختتم به هذا المقال .

أخرج ابن ماجة والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول وابن أبى حاتم ، وابن مردويه من طريق يزيد بن أبى مالك عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« رأيت ليلة أسرى بى مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر .

فقلت لجبريل — ما بال القرض أفضل من الصدقة ؟

قال لأن السائل يسأل وعنده ، والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة .

والى مقال تال ان شاء الله .

---

(١) أخرجه البخارى فى — كتاب الجهاد وفى باب الجنة تحت بارقة السيوف عن عبد الله ابن أبى أوفى .
(٢) المعراج للقشيرى ص ٤١
(٣) الخصائص جـ ١ ص ٤١٩
(٤) الحديد آية ٧
(٥) النور آية ٣٢
(٦) متفق عليه
(٧) الذاريات آية ١٩
(٨) المعارج آية ٢٥
(٩) البقرة آية ٢٦٥
(١٠) البقرة آية ٢٧١
(١١) ابراهيم آية ٣١
(١٢) الحديد آية ٧
(١٣) الليل ٥ — ٢١
(١٤) سبأ ٣٩
(١٥) البقرة ٢٦١ — ٢٦٢
(١٦) محمد ٣٨ .

** ** **

** ** **

عامل الوقت مع العرب على إسرائيل

اللواء الركن محمود شيت خطاب

- ١ -

قيل لعنترة بن شداد العبسى : ما الذى جعلك اشجع الشجعان ، يخافك الابطال ويخشاك الرجال ؟!

قال عنترة : « اننى اخاف الموت كما تخافون ، ولكننى اكثركم صبرا ، وبالصبر الجميل أنتصر على الأقران ! » .

قيل له : وكيف ذلك !!

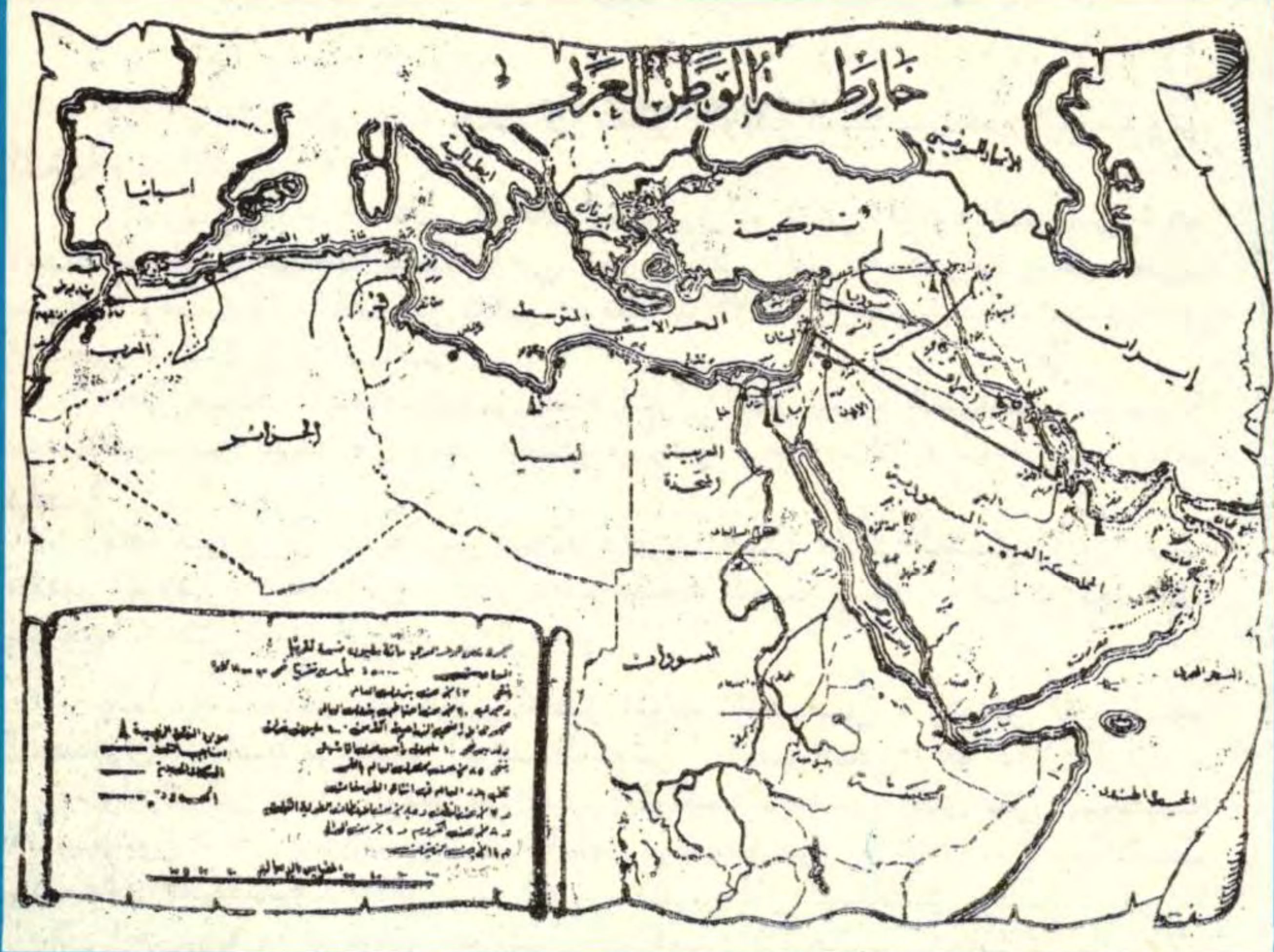
قال عنترة : « ليتقدم أشجعكم جنانا حتى اريكم كيف انتصر عليه بالصبر » .

وقدم المتسائلون أحدهم ،وكان معروفا بشجاعته ، مشهورا برجولته ، له مكانة بين الشجعان ، ومكان بين الرجال .

وقال عنترة للرجل الشجاع : « ضع اصبعك فى فمى ، وهذا اصبعى فى فمك ، وليحاول كل واحد منا أن يعض اصبع صاحبه بشدة وقسوة واصرار » .

ووقف المشاهدون ينظرون ، وبدأ كل واحد من الرجلين يضغط بعنف على اصبع صاحبه .

واحتقن الدم فى وجهيهما ، وتدفق الدم من اصبعيهما ، ومضت لحظات قصار ولكنها بدت طويلة كأنها ساعات ، وكتم المشاهدون انفاسهم ، وخيم عليهم الصمت الرهيب .



وقال صاحب عنترة : « آه ... آه ... لقد آلمتنى أشد الألم يا عنترة !! »
وضحك عنترة ما وسعه الضحك ، وأرخى أسنانه عن اصبع صاحبه ، وقال له : « والله لو لم تقل آه ... قبلى ، وصبرت لحظة واحدة على ما حاق بك من ألم ، لسبقتك الى قول آه ... ، ولانتصرت على » .

ان مزية الصبر من المزايا التى تقود الى النصر ، وقد انتصر العرب المسلمون فى أيام الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام وفى أيام الفتح الاسلامى العظيم ، لأنهم صبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله .

ولقد وردت كلمة (صبر) ومشتقاتها فى ثلاث ومائة آية من آيات الذكر الحكيم ، والعرب أولى الناس بالتمسك بأهداب الدين الحنيف وتعاليمه ومنها الصبر ، لأنهم مادة الاسلام .

والصبر صمود فى الحرب ، وصمود بعد الحرب : صمود فى الحرب مهما طالت ، ومهما كانت التضحيات بالأموال والأنفس . وصمود بعد الحرب فى مقاومة الحرب النفسية ، وفى التصميم على احراز النصر ، وفى اعداد متطلبات النصر المادية والمعنوية .

هذا الصبر فى الحرب وبعدها ، هو الذى يطلق عليه العسكريون تعبير : عامل الوقت .

— ٢ —

فى تقدير الموقف العسكرى الذى يعده القائد قبل الحرب بعامة وقبل كل معركة بخاصة ، يدخل فيه : عامل الوقت ، كأحد العوامل المهمة .

كما أن عامل الوقت ، يدخل فى تقدير الموقف السياسى قبل الحرب وفى اثنائها وبعد الحرب .

والغرض من اجراء تقدير الموقف العسكرى أو تقدير الموقف السياسى ، هو اعداد الخطط التفصيلية لتطبيقها فى الحرب وفى المعارك الحربية وبعد الحرب سياسيا وعسكريا ، لذلك كان تقدير الموقف هو الاساس لبناء الخطط السليمة فى المجالين العسكرى والسياسى .

تقدير الموقف السياسى يبنى عليه القرار الذى يقرره السياسيون بمعاونة مستشاريهم من عسكريين وغير عسكريين وهو : هل هناك حرب ، ومتى وكيف وأين ؟

فاذا كان قرار السياسيين يعتمد الحرب ، فان القائد العسكرى يبدأ عمله بتقدير الموقف ، العسكرى ، ليبنى عليه خطته العسكرية ، وليقود المعارك بموجبها ، حتى تضع الحرب أوزارها .

ولعل أهم عامل من عوامل تقدير الموقف السياسى ، وتقدير الموقف العسكرى ، خاصة فى تقدير الموقف السوقى (الاستراتيجى) هو عامل الوقت .

وأترك اثر عامل الوقت فى تقدير الموقف السياسى الذى يقرر بموجبه السياسيون ، هل يحارب جيشهم وأمتهم أم يستطيعون التغلب على مشاكلهم بالوسائل السياسية . ولكن لا بد لى من التنويه بأن السياسيين يجب الا يقرروا اعلان الحرب ، ما لم يكونوا متأكدين بأن النصر الى جانبهم . فاذا قرروا اعلان الحرب ، ثم جرت الرياح بما لا تشتهى السفن ، فلا بد لهم – وهذا بالنسبة للعرب فى حرب اسرائيل – من الصمود الى النهاية ، لأن العرب متفوقون على اسرائيل بتعداد السكان بنسبة أربعين ضعفا ، ومتفوقون على اسرائيل بمساحة البلاد العربية بأكثر من الف ضعف ، واسرائيل لا تستطيع تحمل اعباء الحرب مدة طويلة ، كما أن احتلالها للارض لا يعنى شيئا مهما ، وجيشها كلما تقدم فى البلاد العربية قل عدده وضعفت قابلياته ، حتى يتلاشى أو يكاد ، وحينذاك يستطيع العرب القيام بالهجوم المقابل على جيش اسرائيل ، والنتيجة مضمونة فى هذه الحالة ، وهى لصالح العرب بدون أدنى شك (١) .

ولدينا شواهد من تاريخ الحرب ، يمكن أن تكون فيها دروس قيمة للعرب ، ولو أردت أن أضرب الامثال لطال المدى وبعد الشوط ، ولكن لا بأس من ايراد مثالين : الاول من تاريخ العرب ، والثانى من تاريخ الحرب العالمية الثانية .

من التاريخ العربى نذكر الحروب الصليبية التى انتصر فيها الصليبيون بمنطقة الشرق الاوسط فى عشرات المعارك على العرب لمدة اكثر من سبعين سنة ، ولكنهم طردوا بعد ذلك من المناطق التى احتلوها بعد انتصار العرب عليهم فى معركة (حطين) بقيادة البطل المؤمن صلاح الدين الأيوبى ، فأسدل الستار على الحروب الصليبية بانتصار المسلمين واندحار الصليبيين .

ومن تاريخ الحرب العالمية الثانية ، فقد اكتسح الألمان تشيكوسلوفاكيا فى ربيع عام ١٩٣٩ ، واكتسحوا بولندا فى خريف ذلك العام .

واكتسح الألمان فرنسا بحرب الصاعقة عام ١٩٤٠ ، كما اكتسحوا هولندا وبلجيكا فأصبحت بريطانيا مهددة بالغزو الالمانى .

وفى عام ١٩٤١ اكتسح الالمان الاتحاد السوفياتى حتى هددوا (موسكو) و (ستالين غراد) وانحدروا جنوبا باتجاه (سيو استبول) و (شبه جزيرة القرم) .

وفى شمال افريقية اندفع (رومل) الى حدود مصر ، واستعد (موسوليني) لدخول القاهرة على حصانه الأبيض المطهم عام ١٩٤٢ .

وامتدت انتصارات الالمان شمالا ، فشملت النرويج .

وبدا للعالم كله أن كل شيء يسير في الحرب لصالح الالمان والمحور ، وأن النصر أصبح منهم قاب قوسين أو أدنى !!!

ولكن الحرب انتهت فى افريقية باندحار المحور ، فانحازت ايطاليا الى الحلفاء في تشرين الاول (أكتوبر) عام ١٩٤٣ ، وبدأ غزو الحلفاء لنورماندى في فرنسا ليلة ٥/٦ حزيران (يونيو) ١٩٤٤ ، واجتاح الروس الجبهة الشرقية الالمانية فى أول كانون الثانى (يناير) ١٩٤٥ ، واجتاح الحلفاء نهر الراين في شباط (فبراير) ١٩٤٥ .

وفى ٩ آذار (مارس) ١٩٤٥ استسلمت ألمانيا للحلفاء !!

وكانت انتصارات الألمان فى الصفحة الأولى من صفحات الحرب العالمية الثانية انتصارات تعبوية ، لها تأثير على الدعاية وعلى السمعة و (الهيبة) ، ولا شيء غير ذلك .

وكانت انتصارات الحلفاء فى (العلمين) وفى (نورماندى) وفى الجبهة الشرقية انتصارات سوقية (استراتيجية) ، لذلك خسرت ألمانيا الحرب فى النهاية .

واليوم تعانى ألمانيا المنتصرة فى أول الحرب العالمية الثانية ، والمندحرة فى نهايتها ، من تقسيمها الى شطرين : شرقى وغربى ، ومن وجود قوات الحلفاء من أمريكيين وفرنسيين وبريطانيين وروس فى عقر دارها .

ان الانتصارات المحلية فى ابتداء الحرب ، قد لا تؤدى الى الانتصارات فى النهاية ، والعبرة فى خواتم الامور لا فى مقدماتها .

ولو أن العرب صمدوا شهرا واحدا لانهارت اسرائيل حتى ولو احتلت أضعاف ما احتلته من الارض العربية بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

على كل ما فات فات، وما مضى لا يعود ، والمهم هو أن نعتبر بما فات ومضى ، والا يدب الينا النسيان سريعا ، فنحتاج الى عبر ودروس جديدة .

— ٢ —

والسؤال الآن : لماذا عامل الوقت مع العرب على اسرائيل ؟

ان اسرائيل أول من يعرف أن عامل الوقت مع العرب ، وأن انتصاراتهم عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ ، لن تجديهم نفعا فى المدى البعيد ، وهم اذا ربحوا معارك كثيرة فى أوقات متفاوتة ، فانهم ينهارون حتما اذا خسروا معركة واحدة .

وحين تبنت الصهيونية العالمية فى المؤتمر الصهيونى الاول الذى عقد عام ١٨٩٧ فى مدينة (بال) السويسرية قضية اقامة الدولة الاسرائيلية فى أرض فلسطين ، عارض هذا المشروع عقلاء يهود معارضة شديدة ولا يزال عقلاؤهم يعارضونه حتى اليوم ، وقد كتبوا حول ذلك العديد من المؤلفات ونشروا الكثير من البحوث والدراسات ، ذكروا فيها أن مصلحة يهود تناقض على خط مستقيم كل تجمع لهم فى الأرض المقدسة لتكوين دولة . وحجتهم الدامغة هى أن بنى اسرائيل عاشوا عشرات القرون فى دول كثيرة بين أمم شتي ، فماذا اضطهدوا فى

بقعة من بقاع الارض أو من أمم من الأمم ، فان الآخرين فى البقاع والأمم الاخرى يبقون بدون اضطهاد ، وهكذا يستمر العنصر اليهودى فى الحياة . وقد مرت على يهود فترات قاسية عانوا خلالها ما عانوه محليا ، وفى هذا العصر اضطهدهم قيصر روسيا ثم اضطهدهم هتلر ، ولكنهم فى الاقطار الاخرى لم يعانوا الاضطهاد . أما اذا تجمعوا فى قطر واحد أو فى مكان واحد ، فأن احتمال القضاء عليهم مرة واحدة متوقع ــ خاصة اذا عاشوا فى منطقة يعادونها وتعاديهم ، ويتنكرون لأهلها ويتنكرون لها .

تلك هى آراء عقلاء يهود بايجاز شديد ، وهى بحق نصيحة ثمينة قدمها أولئك العقلاء لقومهم ، ولكن آراء هيرتزل واشياعه من الصهاينة المتعصبين تغلبت على صوت العقل والحكمة ، فكانت المنظمة الصهيونية العالمية التى عملت لتشكيل دولة اسرائيل ، فلما أصبحت تلك الدولة حقيقة راهنة عام ١٩٤٨ فى جزء من فلسطين بتأييد من الدول الكبرى باسم هيئة الأمم المتحدة وبمعاونة الأيدى الخفية وعلى رأسها الماسونية ، بدأت سلسلة من الحروب التى يشتد أوارها ويتصاعد لهيبها كلما تقادم مولد اسرائيل ، حتى أصبحت اسرائيل تنفق على جيشها الشطر الاكبر من ميزانيتها ومن دخلها القومى لتستطيع الدفاع عن نفسها ولتحقيق أهدافها التوسعية الاستيطانية ، وحتى اصبحت اسرائيل فى وسط خضم من الاعداء : اللاجئون الذين بلغ تعدادهم اليوم أكثر من مليون ونصف انسان يتطلعون الى أرضهم وأملاكهم ، ومائة مليون عربى يحيطون باسرائيل من كل جانب ، وستمائة مليون مسلم من المحيط الى المحيط يعادون اسرائيل ويحقدون على تصرفاتها اللاانسانية وعلى أعمالها الوحشية البربرية ويتربصون بها الدوائر ، وكل انسان فى العالم يستشعر معانى الانسانية ولا يرضى الظلم والعدوان يرى فى اسرائيل دولة معتدية عنصرية تتميز بالظلم والعدوان .

ولعل من الغريب أن اسرائيل يتزايد قلقها ويتناقص أمنها ، كلما ازدادت توسعا ونفوسا وانتصارات . فقد كانت تظن أن العرب لا يخشون غير القوة ولا ينصاعون الا للقوة ، وأن بامكانها فرض الاستسلام باسم السلام على العرب بالقوة ، وهذا ما كان يصرح به قادة اسرائيل وما يسطرونه فى مؤلفاتهم ومقالاتهم ولكن اسرائيل خاب ظنها ، لأن العرب لم يستسلموا لها ، ولم يخضعوا لشروطها وبقوا مصممين على استعادة حقوقهم المغتصبة ، متحملين من أجل تحقيق هذا الهدف كثيرا من التضحيات بالارواح والاملاك والاموال .

بعد حرب عام ١٩٤٨ ، كان تعداد الجيش العامل فى اسرائيل عشرة آلاف مقاتل ، وكانت نفوسها أقل من مليون يهودى .

وبعد حرب عام ١٩٥٦ ، كان تعداد جيشها ستة عشر الف مقاتل ، وكان نفوسها مليونا ونصف المليون .

وقبل حرب عام ١٩٦٧ ، كان تعداد جيشها النظامى اثنين وعشرين الف مقاتل وكان تعداد سكانها مليونين ونصف المليون !

وبعد حرب عام ١٩٦٧ ، ظلت اسرائيل فى حالة النفير الخاص ، وبقى تحت السلاح ما لا يقل عن ثمانين ألف جندى !

وبقاء حالة النفير الخاص ، وعدم عودة اسرائيل الى حالتها الطبيعية من الناحية العسكرية ، دليل على أن أمنها مهدد بأفدح الاخطار ، وأن جيشها النظامى والاحتياطى هو لحمايتها والدفاع عنها وضمان الأمن لسكانها .

وليس بقاء اكثر من ثمانين الفا من جنودها الاحتياط لمدة طويلة بالأمر الهين

على دولة قليلة السكان فقيرة الموارد ، تعتمد الاعانات الخارجية لدعم اقتصادها الوطني . ان بقاء هذا العدد الضخم من الجنود الاحتياط يكلف اسرائيل يوميا ما يزيد على خمسة ملايين دولار ، بالاضافة الى ترك هؤلاء الجنود الاحتياط واجباتهم ووظائفهم ومهنهم وأعمالهم المدنية ، مما يؤثر أسوأ الأثر في الاقتصاد القومي الاسرائيلي .

وكانت خسائر اسرائيل بالارواح بعد حرب عام ١٩٤٨ أقل منها بعد حرب عام ١٩٥٦ ، وكانت هذه الخسائر أقل من خسائرها بعد حرب ١٩٦٧ .

وقد صرح موشي دايان يوم ١٥ نيسان (أبريل) ١٩٧٠ ، بأن المقاومة الفلسطينية تضاعفت منذ حرب عام ١٩٦٧ حتى اليوم ، فأصبحت أربعة أمثال ما كانت عليه بعد تلك الحرب .

وخسائر اسرائيل تزداد كل يوم ، باعتراف قادة اسرائيل العسكريين واستنادا الى بلاغاتهم الرسمية .

اسرائيل اذن لم تحقق هدفها الذي تحلم به وهو استسلام العرب .

والمقاومة العربية لم تضعف ، بل ازدادت تصاعدا وقوة .

ونتائج توسعها أصبح يكلفها نفقات باهظة لا تستطيع تحملها مدة طويلة ، ولا بد لها من أن تجد حلا يخرجها من مأزقها .

لذلك يتجول (٢) (سيسكو) المستشار الاول للرئيس نيكسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية في قضايا الشرق الاوسط متنقلا بين عواصم الدول العربية واسرائيل ليجد لاسرائيل المخرج المناسب من ورطتها .

وتجوله أول الغيث ، ومن المتوقع أن يزداد النشاط الامريكي لايجاد حل لمشكلة الشرق الاوسط .

ولكل هذا معنى واحد ، هو أن الوقت مع العرب على اسرائيل ثمرة للصمود العربي وعدم استسلام العرب .

— ٤ —

كيف نجد الوضع داخل اسرائيل ؟

عندما بدأت الهجرة اليهودية الى فلسطين عام ١٩٠٧ بشكل منظم مدروس قدم فلسطين (الرواد) كما يطلق عليهم الصهاينة في مؤلفاتهم وفيما يكتبون ويذيعون ، وكان هؤلاء المهاجرون الاولون في أوج شعورهم الديني تضحية وبذلا وتحملا للاخطار .

واستمرت الهجرة تصاب بالمد تارة وبالجزر أخرى ، حتى عام ١٩٤٨ ، وكان في أذهان يهود حلم يراود مخيلاتهم هو : انشاء دولة اسرائيل ، والعودة الى أرض الميعاد ، واعادة بناء هيكل سليمان في القدس .

يهود العراق مثلا تركوا قصورهم في شارع (أبي نواس) على دجلة في مدينة بغداد ، وتركوا أراضيهم ومزارعهم ، وقصدوا فلسطين ليعيشوا في الصحراء في الاراضي الوعرة عيش الكفاف ، وتلك تضحية لا شك فيها .

وما يقال عن يهود العراق ، يقال عن يهود الاقطار الأخرى .

وبعد حرب عام ١٩٤٨ حتى حرب ١٩٦٧ ، تضاعف عدد المهاجرين اليهود ، ولكن عدد المهاجرين النسبي كان أقل مما كان يتوقعه زعماء الصهاينة ، مما جعلهم يصابون بخيبة الأمل ، حتى صرح بن غوريون عام ١٩٦٠ : « ان كل يهودي لا يعود الى اسرائيل محروم من رحمة الله اسرائيل » .

وبعد انتصار اسرائيل فى حرب عام ١٩٦٧ ، توقع قادة اسرائيل وزعماء الصهيونية العالمية بأن الهجرة اليهودية ستنطلق بغزارة نظرا لتوسع رقعة اسرائيل أولا ، ولحاجة أرضها الى الدفاع عنها بعد توسعها ثانيا ، حتى قدر أحد زعماء اسرائيل أن سكان اسرائيل سيصبحون أربعة ملايين فى عام ١٩٧٠ !!

ولكن توقع قادة اسرائيل وزعماء الصهيونية فى تزايد الهجرة اليهودية لم يتحقق ، بل ان قسما من المهاجرين الذين عاشوا ردحا طويلا فى اسرائيل هربوا من اسرائيل الى بلادهم ، كما جرى فى قسم من يهود الاتحاد السوفياتى والعراق وقد أصدر هؤلاء الهاربون بيانات تفضح ما يلاقيه المهاجرون فى اسرائيل من عنت وشقة وارهاق .

ان بقاء ثمانين الف مقاتل باستمرار فى بلد تعداده مليونان ونصف المليون نسمة ، فيه صعوبة على السكان ، وفيه استنزاف للاقتصاد القومى ، وهذا ما لا تستطيع اسرائيل تحمله طويلا . ولو أن الهجرة اليهودية تدفقت بعد حرب عام ١٩٦٧ بغزارة كما كان متوقعا لها ، لكان من السهولة بقاء ثمانين الف مقاتل باستمرار تحت السلاح .

وليس أمام اسرائيل اليوم بعد اخفاق مخططات الهجرة اليهودية اليها ، الا أن تجد لها حلا سريعا تتنازل بموجبه عن معظم الارض العربية المحتلة فى حرب عام ١٩٦٧ ، وتستبقى تحت سيطرتها ما تعتقد انه ضرورى لها من ناحية أمنها ومن الناحية الدينية أيضا .

ولكن اسرائيل تفعل ذلك مضطرة بالنسبة لظروفها الراهنة لكى تحظى بالسلام ، لأنها تعلم بأن المهاجرين اليهود لا يمكن أن يتركوا أوطانهم ويهاجروا الى بلد لا يأمنون فيه على حياتهم وأموالهم والسلام الذى تريده اسرائيل هو سلام مرحلى يهيىء لها أسباب الهجرة اليها ويدعم اقتصادها القومى ، مما يؤدى بالتالى الى تزايد قوتها البشرية والمادية ، وحينذاك تسترد ما تنازلت عنه من الارض العربية أولا وتتوسع فى مناطق جديدة ثانيا تحقيقا لاحلامها التوسعية : من النيل الى الفرات !!!

لذلك أحذر العرب والمسلمين من أحبولة السلام التى تتظاهر بها اسرائيل بين حين وآخر ، لأن واقع اسرائيل هو أنها دولة معتدية لها أطماع توسعية فى البلاد العربية ، وما تظاهرت اسرائيل بالرغبة فى السلام الا وأضمرت الحرب ، وما أصدق القائل : « اذا تكلمت اسرائيل عن السلام فانها تريد الحرب » .

ان الطريق أمام العرب والمسلمين واضح المعالم لا يحتاج الى دليل ، وهو أنه لا سلام فى المنطقة ما لم تسترد حقوق العرب كاملة ويعود اللاجئون الى وطنهم ، ثم تنشأ دولة فى فلسطين لسكانها كلهم لا لليهود وحدهم ولمصلحة شعب فلسطين كله لا لمصلحة الصهيونية العالمية وحدها .

— ٥ —

وكانت اسرائيل تتوقع أن تتدفق اليها رؤوس الأموال الضخمة من الخارج ، والواقع أن الاموال تدفقت اليها بعد مولدها عام ١٩٤٨ ، ولكن هذا التدفق قل بعد حرب ١٩٥٦ وتلاشى تقريبا بعد حرب ١٩٦٧ .

ان المال هو عصب الحرب ، والحرب تلتهم الأموال التهاما — خاصة الحروب الحديثة التي تحتاج الى أسلحة وعتاد بغير حدود والى ابتكار أسلحة

جديـــدة غير تقليدية والى تطوير الاســـلحة التقليديــة ؟ فمن ايــن تأتى اسرائيــل بالامــوال الجسيمــة ؟ أمن المعونـــات والاعانات وسنــدات القروض والتبرعـــات ؟ لــكل ذلك حدود قد تؤمن العيش الرغيد لاسرائيــل فى أيام السلام ، ولكنها لا تسد حاجة اسرائيل ــ وهى دولة عسكرية ــ فى أيام الحرب أو فى أيام ما يشبه الحرب !

صحيح ان اسرائيل اصبحت لها صناعة كبيرة وتجارة فى كثير من الاقطار الافريقية والآسيوية ، وانها تبذل اقصى جهدها بموجب تخطيط سليم لتوســيع تجارتها وصناعتها ، كما أن تجارتها ازدادت بنسبة ٢٣٪ مع الدول الافريقيــة والآسيوية بعد حرب ١٩٦٧ لاغلاق قناة السويس الذى حرم تلك الدول من تجارة اوروبـــا .

ولكن اقتصاد الحرب ونفقات العسكرية الاسرائيلية اضخم بكثير من طاقات اسرائيل الاقتصادية فى الوقت الحاضر ، لذلك لجأت اسرائيل الى الولايـــات المتحدة الأمريكية لسد عجزها المالى ، كما افادت من التعويضات الالمانية التــى قدمتها اليها المانيا الغربية حتى عام ١٩٦٤ لسد هذا العجــز ولتغطية نفقاتهــا العسكرية .

ان اسرائيل لا يمكن أن تعيش الى الأبد على المعونات والاعانات والتبرعات والقروض ، وليس فى الدنيا دولة تستطيع أن تبقى الى الأبد وهى لا تعتمد على اقتصادها القومى اولا وقبل كل شىء .

ــ ٦ ــ

وكان من جملة خطط اسرائيل الاقتصادية الاعتماد على تزايد السياحة الى بلادها للاستفادة من العملة الصعبة ولنشر الدعاية لمنجزاتها العلمية والاجتماعية والزراعية والصناعية .

وقد بذلت اسرائيل قصارى جهودها لاستقدام السياح بأعداد وفيرة الـــى بلادها ، فأقامت الفنادق الفخمة وضاعفت النوادى الليلية وغابات المراة وأماكن الميسر وأراقت دماء الفضيلة واشاعت الجنس .

كانت سفاراتها ــ خاصة فى الدول الافريقية والآسيوية اذا علمت بــأن موظفا كبيرا فى تلك الدول لديه اجازة سنوية ، تطوعت بتقديم تذاكر الســفر بالدرجة الاولى فى الطائرات الاسرائيلية اليه وعرضت عليه أن يحل ذلك الموظف ضيفا على اسرائيل ما اقام فيها . وكان كل موظف أجنبى كبير يجد تذاكر السفر ورسالة الدعوة على مكتبه قبل أن يحل موعد اجازته بأيام ، فاذا تقبل الدعوة حظى فى اسرائيل بأيام سعيدة وليال حمراء ، حتى اذا عاد الى بلاده اطلق لسانه بالثناء العاطر على الحفـــاوة البالغة التى قوبـــل بها وعلى التطور العلمـــى والاقتصادى والعسكرى والسياسى والاجتماعى فى اسرائيل .

وكان فى تقدير اسرائيل أن السواح سيزدادون بعد حرب عـــام ١٩٦٧ ، خاصة بعد احتلال الاماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية . ولكن لم يصدق هذا التقدير ، لأن الأمن ليس مستتبا داخل اسرائيل ، مما حرمها من العملة الصعبة ومن الدعاية لها أيضا .

فاذا قارنا طاقات اسرائيل البشرية والمادية بطاقات العرب ، وجــدنا أن الطاقات العربية متفوقة على الطاقات الاسرائيلية تفوقا ساحقا .

تعداد العرب مائة مليون أو يزيدون ، وهم يتزايدون بسرعة داخل اسرائيل وخارجها ، وعلى سبيل المثال فان نفوس الجمهورية العربية المتحدة يتزايد مليون نسمة كل عام . وفى داخل اسرائيل يتزايد العرب بنسبة ثلاثة الى واحد من تزايد يهود ، وسيكون عدد العرب داخل اسرائيل خلال عشرة أعوام مساو لعدد يهود فيها ، وبعد هذا التاريخ تصبح النسبة العددية للعرب أكثر من النسبة العددية ليهود .

ويقطن العرب رقعة واسعة متصلة تجمع بين آسيا وافريقية من المحيط الى الخليج ويتسلطون على أخطر الممرات والمعابر البحرية .

وتضم بلادهم ثلاثة من أعظم أنهار الدنيا البالغ عددها ثلاثين نهرا كبيرا فى العالم كله : النيل والفرات ودجلة .

فى هذه الارض العربية ٢٣٪ من بترول العالم ، و ٦٠٪ من احتياطى بترول العالم ، ويبلغ مجموع الاراضى الزراعية فيها أكثر من مائة الف فدان تحوى على أكثر من مائة مليون رأس من الماشية ، وتنتج ٨٥٪ من محصول التمور فى العالم ، و ٧٪ من القطن و ٨٥٪ من الاقطان الطويلة التيلة و ٨٪ من الكروم و ٩٪ من الموالح و ١٤٪ من الزيتون .

هذه الارض العربية التى تبلغ مساحتها (٤٥٠٠٠٠٠) ميل مربع أو نحو (١١٠٠٠٠٠٠) كيلومتر مربع ، يمكن أن يتضاعف اقتصادها القومى بادخال الاساليب الحديثة على الزراعة والصناعة ، وقد كان العراق وحده يضم ثلاثين مليونا من السكان فى أيام العباسيين ، وقد أطلق عليه هيردوتس أبو التاريخ اسم : « مستودع الحبوب فى العالم » .

ان طاقات اسرائيل البشرية والمادية قليلة بالنسبة للطاقات العربية .

ولكن الطاقات الاسرائيلية (منظمة) ، والطاقات العربية غير (منظمة) .

والطاقات القليلة (المنظمة) تتغلب دوما على الطاقات الكبيرة غير (المنظمة) .

فأين تصبح اسرائيل لو نظم العرب طاقاتهم ؟

واذا كانت الطاقات العربية مبعثرة وغير منظمة اليوم ، فلن تبقى كذلك غدا وهذا معناه أن الوقت مع العرب على اسرائيل .

— ٧ —

ان الاخبار التى تتسرب من اسرائيل تؤكد أن التذمر بين سكانها يتزايد يوما بعد يوم ، فقد كانت العسكرية الاسرائيلية تمنى شعب اسرائيل بأنهم سيعيشون بأمن وسلام واطمئنان بعد كل نصر تحرزه تلك العسكرية على العرب .

وبعد نصر اسرائيل فى حرب عام ١٩٦٧ ، بدا قادة اسرائيل واثقين بأنفسهم وباستسلام العرب دون قيد أو شرط .

ولكن لم يتحقق كل ذلك ... بالعكس تصاعد الرعب فى اسرائيل ، وأصبحت كل بقعة فيها غير آمنة ، كما أصبح العرب أشد اصرارا على المطالبة بحقوقهم الكاملة .

هذا التذمر الاسرائيلى ، وهذا الصمود العربى ، جعل ثقة شعب اسرائيل بحكومته وجيشه متزعزعة ، وتعالت صيحات كثيرة تتساءل بحيرة وجزع : الى متى ؟ لقد ضحينا كثيرا من أجل العسكرية الاسرائيلية دون جدوى ، فمتى تتحقق الاحلام ؟؟ متى ؟!

وفى اسرائيل تناقضات لا تعد ولا تحصى : احزاب كثيرة من اقصى اليمين الى اقصى اليسار ، وفيها تمييز عنصرى بين يهود الشرق ويهود الغرب ، بل هناك تمييز عنصرى بين كل قسم من هؤلاء اليهود ، فمكانة يهود العراق مثلا ليست كمكانة يهود اليمن ، وهناك فروق طبقية وفروق اجتماعية وفروق اقتصادية وفروق سياسية بين سكانها .

هذه التناقضات مكبوتة فى الوقت الحاضر لخوف الشعب الاسرائيلى من العرب ، ولعل التصريحات غير المسؤولة التى صرح بها قسم من زعماء العرب قبيل حرب عام ١٩٦٧ لها نصيب عظيم فى هذا الخوف . ان العرب لم يضطهدوا العنصر اليهودى فى كل تاريخهم الطويل ، وقد أعطى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرتبا شهريا ليهودى من بيت مال المسلمين لأنه كان بغير معيل ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من عادى ذميا فقد عادانى » . وقد وصل قسم من يهود الى منصب الوزارة فى العهد العباسى ، وكان منهم أطباء للخلفاء وقد اضطهدهم الاسبان قبل فتح الاندلس فعاشوا بعد فتح المسلمين للاندلس عيشة رغيدة يذكرونها حتى اليوم . تلك لمحات من معاملة العرب لليهود ، فلمصلحة من يصرح بعض زعماء العرب بأنهم سيفنون الصهاينة ويقضون عليهم قضاءا مبرما ، ومتى أفنى العرب أهل الذمة فى تاريخهم العريق ؟

وقد قرأت أكثر ما كتبه المؤلفون اليهود بعد حرب عام ١٩٦٧ ، فوجدت أن تصريحات بعض زعماء العرب المتطرفة مسجلة حرفيا فى كتبهم لاستثارة الجماهير الصهيونية بها ولاظهار دولة اسرائيل بمظهر المدافع عن حياة شعبها ومصيره !!

والدرس الذى يجب أن نتعلمه هو أن نفكر قبل أن ننطق ، والا نذيع التصريحات المرتجلة التى تضر مصالحنا وتفسد قضيتنا دون مسوغ .

والحرب دماء ودموع وموت ودمار ومشاكل ومشاق ، يتحملها الطرفان المتحاربان بكميات وكيفيات متفاوتة .

أما النصر فلا يكون الا للاكثر صبرا من الطرفين ، وعمر الشعوب لا يقاس بالساعات والايام والاشهر والسنوات . .

وصدق الله العظيم : (ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الايام نداولها بين الناس) (٣) .

وصدق الله العظيم . (ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ، ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون ، وكان الله عليما حكيما) (٤) .

ولكن اذا كان عامل الوقت مع العرب على اسرائيل ، وأن المعركة الاخيرة للعرب على اسرائيل ، فليس معنى ذلك أن ننام أو نستنيم للامانى والاحلام ، ونترك أعداءنا يعدون ويستعدون .

ليس معنى ذلك أن تبقى اسرائيل فى أعلى درجات الاستعداد والحذر واليقظة ، ويبقى العرب لا يبدون ولا يعيدون فى سبات عميق .

ان العرب يجب أن يعدوا ما استطاعوا من قوة ، وأن يتطوروا علميا فى ميدان العلوم التطبيقية ، وأن يرتفعوا بمستواهم العسكرى تدريبا وتسليحا وتجهيزا وتنظيما وقيادة ، وأن يحشدوا كل طاقاتهم المادية والمعنوية للحرب ، وأن يعودوا الى تعاليم دينهم الحنيف وعلى راسها الجهاد بالاموال والانفس فى سبيل الله ، وأن يطهروا أنفسهم ويتوبوا توبة نصوحا .

على العرب أن يستعدوا للحرب وأن يعدوا كل متطلباتها ، ليستفيدوا من

عامل الوقت الذي هو في جانبهم ، ولينتصروا حتما على اسرائيل بأقرب وقت ممكن وبأسرع مدة ممكنة .

أما اذا بقوا يغطون في نومهم : طاقاتهم المادية تذهب بددا ، وطاقاتهم المنوية معطلة ، فأنهم لن ينتصروا أبدا حتى ولو أصبح تعدادهم أضعاف تعدادهم اليوم ، وأصبحت مواردهم الاقتصادية أمثال ما هي عليه اليوم .

وصدق رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام : « يوشك ان تداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة الى قصعتها » ، فسأله أحد أصحابه : « أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟؟ » ، قال : « بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم كغثاء السيل » .

أقولها صريحة حاسمة : ان العرب اذا وجدوا طريقهم السليم اليوم ، اعدادا واستعدادا وايمانا بالله والعلم ، فالنصر لهم باذن الله وهو نصر فاصل قريب .

واذا بقوا على ما هم عليه متواكلين متفرقين ، اعدادهم للحرب قليل ، واستعدادهم للقتال تافه ، وايمانهم بالله ضعيف ، وايمانهم بالعلم طفيف ، فان النصر منهم بعيد .

ولكنني أضيف ، أن النصر النهائي مهما طال الوقت مضمون للعرب ، لأن جيل النكبة اذا نام ساعة ، فلن ينام أولادهم وأحفادهم الى قيام الساعة .

في الصحيحين حديث عن مقتلة تقع في المستقبل بين يهود والمسلمين وتكون النصرة فيها للمسلمين على يهود .

جاء في صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودي .. تعال فاقتله » . وعن ابن عمر أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم ، حتى يقول الحجر : يا مسلم ! هذا يهودي ورائي فاقتله » . وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبيء اليهودي وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ! .. يا عبد الله .. ! هذا يهودي خلفي ، فتعال فاقتله » .

وجاء في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تقاتلون اليهود ، حتى يختبيء أحدهم وراء الحجر فيقول : يا عبد الله ! هذا يهودي ورائي فاقتله » . وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، حتى يقول الحجر وراءه يهودي : يا مسلم ! هذا يهودي ورائي فاقتله » .

تلك بشارة من وراء الغيب لا بد وأن تتحقق اليوم أو غدا .
وان غدا لناظره قريب .

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في كتابنا : الايام الحاسمة قبل معركة المصير وبعدها – بيروت – ١٩٦٧ – ص (٨٣ – ٩٢) .

(٢) كان يتجول خلال شهر نيسان (ابريل) ١٩٧٠ .

(٣) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٤٠) .

(٤) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ١٠٤) .

الحقوق المزعومة لليهود في فلسطين

للشيخ
عبد الحميد السائح

مهما ارادت أن تتستر اسرائيل الدولة ، وعصابة العسكريين التى تسيرها ، وتقوم على أمرها ، ومهما وضعت على وجهها من براقع ، فانها تمت فى جذورها الى اعتبارات دينية ، بصرف النظر عن سلامة هذه الاعتبارات أو عدم سلامتها .

ونحن نعتقد قطعا انها اعتبارات واهية لا تلبث ان تنهار أمام البحث العلمى ، أو الاعتبار المنطقى فى هذا العصر .

وقد استغلت الصهيونية ما شوهت به العلاقة بين اليهودية والمسيحية ، وما موهت به من احقيتها فى ارض فلسطين ، وغير فلسطين ، اعتمادا على نصوص دينية ، من العهد القديم ، سنتعرض لمناقشتها فى هذا المقال .

كما استغلت ضعف العالم الاسلامى ، وضعف العالم العربى ، وتفرق حكامهم ، وانشغالهم بما بينهم من خلافات ومشكلات اصطنعها الاستعمار ، وآثار اوارها ، فوجهت الضربة الاولى الى العالم الاسلامى والعالم العربى ، فى اعز بقعة من بقاعها ، واغتصبت قسما كبيرا من ارض فلسطين عام ١٩٤٨ م ، وكان المفروض ان يهتز العالم الاسلامى ، والعالم العربى ، لتلك الكارثة ، ويدرك الاخطار التى تتهدد مصيره ، فى عقيدته ، ومقدساته ، وحضارته ، ووجوده ، فيتدارك الخطر قبل استفحاله ، ويبادر الى القضاء عليه ، ويتناسى كل خلافاته وتناقضاته ، امام هذا الخطر الاكبر .

ولكن القوى المؤازرة للصهيونية ، من دول الاستعمار والامبريالية ، وعلى راسها الولايات المتحدة ، حجبت الرؤية عن المسلمين والعرب ، رغم امكاناتهم الهائلة ، وشلت طاقاتهم ، حتى تحقق العدوان الغادر سنة ١٩٦٧ م ، واتى على باقى فلسطين ، وبعض أراضى عربية من دول أخرى ، ثم بلغ بالصهيونية الاستهتار بالمشاعر العربية والاسلامية ، فى تحد سافر ، فاقدمت على احراق المسجد الأقصى المبارك ، لتقيم على انقاضه ، الهيكل المزعوم ، وقد كان فى تقدير الكثيرين ، ان هذه الخطوة وحدها ، وما تحمل فى طياتها من ابعاد خطيرة ، تكفى لينتفض العالم الاسلامى ، وتهتز قواعده ، وتتحرك فصائله ، لتدق ابواب القدس ، وتنقذها من نكبتها ، وتخلصها من شر كبير ، وبلاء عظيم ، ولكن الرياح جرت على غير ما تشتهى السفن .

ويعتقد الكثيرون ان لتلك القوى الاستعمارية المؤيدة للصهيونية أثرا كبيرا فى تلك النتيجة .

ومع ان أوروبا أو أميركا المسيحية ، قد فقدت صفتها المسيحية الحقيقية ، وأصبحت تسير وراء مخططات استعمارية بالوان جديدة ، فقد كان لتلك الجذور الدينية أثر كبير فى أوساطها وجماعاتها ، حتى اعمتهم عن ان يروا الحقيقة ، أو يحاولوا رؤيتها ، وبقيت الفكرة الشائعة ، كأنها قضية مسلمة ، ان أرض فلسطين أرض اليهود ، وعدوا بها من السماء ، لا سبيل الى ذلك أو النقاش فيه .

ورغم انه ظهر هنا وهناك ، اشخاص أو جماعات محدودة ، تتلمس الحقيقة أو تحاول تلمسها الا انه لاتزال الحجب كثيفة ، تحول دون رؤية الحقائق أو البحث عنها ، بفضل أساليب التضليل والتشويه المتعددة التى سلكتها الصهيونية العالمية ، ومن وراءها ، فى شتى انحاء الارض ، وخصوصا فى أوروبا وأميركا .

لذلك كانت الحاجة ماسة الى فضح تلك الاساليب ، وما تدعيه الصهيونية من حقوق لها ، فى ديار العروبة والاسلام .

الحقوق التاريخية

يزعم اليهود الصهيونيون ان لهم فى فلسطين حقوقا تاريخية وأخرى دينية ، جعلت فلسطين لهم دون غيرهم ، وقد اغتر كثير من الأوروبيين والاميركان بمثل هذه الاقوال ، واعتبروها مبررا لعدوانهم . مع انه من الثابت تاريخيا ان العرب استوطنوا فلسطين منذ أقدم الازمنة وبقوا فيها ولم يغادروها ، رغم طروء عدد من الغزاة عليها ، مكثوا فيها مدة من الزمن ، ثم ارتحلوا عنها ، وقد تسلل اليهود الى فلسطين ، فى فترات متعددة ، جماعات جماعات ، ولم يعرف بنو اسرائيل فى فلسطين حياة الاستقرار على الاطلاق ، وظل السكان الاصليون يناضلون ضدهم حتى اخرجوهم منها .

وفى عهد داود وسليمان عليهما السلام ، اتحدت القبائل اليهودية ، وانشأوا لهم فى قسم من فلسطين مملكة دامت ٧٣ عاما ، وقد عجزت هذه المملكة عن ان تضم اليها يافا وغزة وسيناء .

ويقول المؤرخ الانكليزى ويش ان اليهود لم يكن لهم حينئذ منفذ على البحر ، فالموانىء الشمالية كانت تحت سلطان الفينيقيين ، وموانىء

الجنوب كانت تابعة للفلسطينيين .
ولما توفى سليمان عليه السلام سنة ٩٢٧ ق.م. انقسمت المملكة قسمين : مملكة اسرائيل ، ومملكة يهوذا .
أما مملكة اسرائيل فقد عاشت حتى عام ٧٢٢ ق.م. ثم زالت . واما مملكة يهوذا فقد عاشت حتى عام ٥٨٧ ق.م. ثم عفى على آثارها وتفرق اليهود أيدى سبا خارج فلسطين .

وان كورش ملك الفرس بعد ان استولى على بابل سنة ٥٣٨ ق.م. وقضى على الدولة الكلدانية ، سمح لمن يرغب من سبى بنى اسرائيل بالعودة الى القدس وتجديد المدينة والمعبد ، على ما ذكره سفرعزرا ، فعاد بعضهم وبقى الكثيرون منهم حيث هم ، ولم يعودوا .

ولما استولى الرومان على البلاد ساءت الامور ، وعلى الاخص فى عهد فيلكس وفستوس ، ومن بعدهما فلوروس ، الذى تولى الحكم سنة ٦٤ م . وفى عهده قامت حرب بين اليهود والرومان بدأت سنة ٦٦ م وانتهت سنة ٧٠ م ، وذلك باستيلاء تيطس الرومانى على أورشليم ، وتدميرها هى وهيكلها ، ومنذ ذلك الحين لم تقم لليهود قائمة فى تاريخ فلسطين .
ويقول المؤرخ ويلز ، لقد كانت حياة اليهود فى فلسطين ، وخاصة القرون الثلاثة الاخيرة ، أشبه بحياة رجل أصر على الوقوف وسط ميدان صاخب ، فكان مصيره ان دهمته السيارات .

وفى أوائل القرن السابع الميلادى ، قامت الدولة العربية الاسلامية ، واستولت على ما بين النهرين ، وعلى سوريا ، فدخلت فلسطين فى حيز تلك الدولة ، بل صارت قلب العالم العربى ، وبقيت تلك البلاد فى الادارة العربية والاسلامية ، ما عدا حقبة الحروب الصليبية .
وقال المستر نيوتن ، فالعرب لا اليهود هم أصحاب تلك الصلة التاريخية الثابتة المتمادية غير المنقطعة .

وعند العلامة المحقق المشهور ، جيمس فريزر ، ان الناطقين بالعربية من فلاحى فلسطين هم من ذرارى القبائل التى استوطنت فلسطين قبل الوجود الاسرائيلى ، وانهم ما زالوا متصلين بالارض لم ينفكوا عنها ، ولا اقتلعوا منها ، ولئن طغت عليهم الفتوح موجات ، فانهم ثبتوا واقاموا .

وقصارى القول انه ان صح لليهود وجود مدته مئات السنين ، فالعرب فى فلسطين اقامة مستمرة ، مداها ألوف لا مئات ، ثم ان الوجود اليهودى انقطع العهد به منذ ١٨٠٠ سنة ، وقد دام العهد العربى دون انقطاع ، فهم لا اليهود أصحاب تلك الصلة ، واصحاب ذلك الحق (١) .

وفوق هذا كله ، فاننا لا نسلم بان مجرد الصلة التاريخية فى أى بلد من بلدان العالم ، تخول مدعى تلك الصلة ، ان يغزو بلادا مسكونة باهلها ، من أقدم الازمان ، ويطردهم منها ، والا لتغيرت خارطة العالم ، ولقضى على ميثاق الامم المتحدة ، والقوانين والاعراف الدولية ، ولرجعنا بالعالم الى عهود الفوضى والبربرية والغزوات الشريرة ، وهذا ما لا يقره العالم فى القرن العشرين .
وبذلك يظهر ان دعوى الحقوق التاريخية لليهود فى فلسطين لا مبرر لها ولا تعتمد على ما يصح الاستناد اليه (٢) .

الحـــقوق الدينية

ان الحقوق الدينية تستند الـــى ما جاء فى بعض اســـــفار العهد القديم . وان البحث العـــلمى اثبت ان تلك الاسفار ليست هى التـــوراة الاصلية ، والتى هى كتاب سماوى ، وانما هى من وضـــــع حاخاماتهم ورؤسائهم بعد موسى عليه السلام ، بعدة قرون ، مما لا يدفع عنها تهمة التحريف والاضافة حسب اهوائهـــم ومخططاتهم .

يقول الســـــيد ندرة اليازجى : لا تعتبر التوراة برمتهـــــا توراة ، فالتوراة الحقـــة كما يدعى البعض، هى الاسفار الخمس الاولى ، وليست هى الا أخبار شعب أو تاريخا قوميا، لا يسعنا القول الا انه مرادف للتاريخ العادى ، لاية أمة حاولت ان تـــزج الله فى قضاياها القومية ، لذلـــك لا نستطيع ان نعتمد على التوراة فى شىء ، ذلك لانها **مبادىء سرقت من مصر والكلدان ، وزعمت انها يهودية ووضعت فى قالب قومى شـــديد ،** ولا يمكننا ان نبقى من التـــــوراة الا على الاجزاء المتعلقة بحياة بعض الانبياء واقوالهم فقط ، وسلخها عن التاريخ القومى اليهودى ، ولـــــكن لما كانت التوراة لا تسمح لنا بهذا ، **فلا بد اذن من ان نهمل مخلفاتهـــا كلها (٣) .**

واذا رجعنا الى الاصحاح الثانى عشر من سفر التكوين ، لوجـــدناه يتضمن ان ابراهيم ومن معه ، أتوا الى أرض كنعـــان ، واجتازوا الى مكان شكيم (نابلس) وظهـــر الرب لابراهيم ، وقال : لنسلك أعطى هذه الارض الخ .

وفى الاصحاح الثالث عشر مـــن نفس السفر ، ان ابراهيم اقام عنـــد بلوطـــــات ممرا التى فى حبـــرون (الخليل) وقال له الرب : ان جميع الارض التى انت ترى ، اعطيها لك ولنسلك الى الابد .

وفى الاصحاح الخامس عشر ان الرب قطع ميثاقا مع ابراهيم قائلا : لنسلك أعطى هذه الارض ، من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفـــرات (وعدد اقواما) منهم الكنعـــانيون واليبوسيـــون ، الذين هـــم مـــن العـــرب .

وفى الاصحاح السابع عشر ان الرب وعده ان يعطى له ولنسلـــــه مـــن بعده ، كل أرض كنعان الخ . وفى بعض الاصحاحات ان الوعد مشروط بان يحفظوا عهده ، مما يدل عـــلى التضارب فى هذه الاصحاحات عن المساحة التى وعد الله بها ، وعما يتعلق بالموعود ، فتارة يكون الوعد قاصرا على أرض كنعان الواقعـــــة غرب الاردن ، وتارة تشمل اقواما عديدة ومساحات واسعـــــة ما بين النيل والفرات ، وتارة يذكـــر الوعد لابراهيم ونسله ، وتارة لاسحق ، واخرى ليعقوب ، مما يضعف قيمة هذه الوعود ، أو صحـــة الاعتماد عليها .

على اننا لو سلمنـــا جدلا بـــان كتبهم الدينية تعد نسل ابراهيــــم بفلسطين فان العرب هم من سلالة اسماعيل بن ابراهيم ، كما ان اليهود هم من سلالة اسحق بن ابراهيم ، وبذلك لا يكون لهم فى فلسطين حق

مطلق . وفوق هذا فان الآية ٤٣ وما بعدها من سفر يشوع وردت هكذا : فاعطى الرب اسرائيل جميع الارض التى اقسم ان يعطيها لآبائهم فامتلكوها وسكنوا بها ، فاراحهم الرب حواليهم ، حسب كل ما اقسم لآبائهم ، ولم يقف قدامهم رجل من جميع أعدائهم ، بل دفع الرب جميع اعدائهم بايديهم ، لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح ، الذى كلمه به الرب ، ببيت اسرائيل بل الكل صار :

وعلى فرض صحة صدور الوعد ، يكون وعد الله قد تحقق ، ووعد الله لا يتكرر ، ولا وجه للتشبث باوهام لا أساس لها .

على ان صاحبى كتاب تاريخ فلسطين ذكرا ان علماء التوراة كانوا قسمين ، فرقة تقول : ان النبوات تمت وانقضى زمنها ، وأخرى تقول : ان الله سيعطى البلاد لليهود بعد ان ينتصروا .

ومع اعتقادنا بان الموقف مع الصهيونية ليس موقف الاقناع والحجة ، الا انه ينبغى علينا ان نفضح الاساليب التى يعتمدون عليها ، ليعرف العالم حقيقة دعواهم وأكاذيبهم (٤) .

وبذلك تبين بجلاء ان كلا من الحقوق التاريخية والحقوق الدينية ، التى يتشبث بها اليهود للاستيلاء على ديار العروبة والاسلام ، لا أساس لها ، يصح الاعتماد عليه ، وان معظم الاوساط الاوروبية والاميركية مضللون ، ويجب ان نعمل قدر الامكان على ازالة الحجب عن عيونهم وتوضيح الرؤية .

وان واجب العرب والمسلمين ، ان يقبلوا التحدى الصهيونى ، ويبرهنوا على وعيهم للاخطار التى يتعرض لها وجودهم ، وعقائدهم ومقدساتهم ، وان يكونوا على مستوى مسئولياتهم ، وان يردوا على الصهيونية ومن يشايعها من دول الاستعمار والامبريالية ، باثبات وجودهم ، وادراكهم لواجبهم ، ويبادروا الى درء الاخطار المتلاحقة ، فى قوة المؤمنين ، وصلابة المجاهدين ، وتضحية الموقنين بالنصر المبين ، ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز .

---

(١) خمسون عاما فى فلسطين .

(٢) انظر كتاب ماذا بعد احراق المسجد الاقصى ؟ للكاتب .

(٣) رد على اليهود واليهودية المسيحية ص ٢٧ — ٢٨ .

(٤) المرجع السابق المشار اليه . ماذا بعد احراق الاقصى ؟



التربية الدينيّة أوّلاً..

للشيخ : محمد الغزالي

فى صدر تاريخنا ، وعلى امتداده مع الزمن ، كان العالم الاسلامى يعرف بحبه للجهاد ، وارتضائه لأشق التضحيات كى يحق الحق ويبطل الباطل .

كان هذا العالم الرحب عارم القوى الأدبية والمادية حتى يئس المعتدون من طول الاشتباك معه فقد كبح جماحهم ، وقلم أظافرهم ، ورد فلولهم مذعورة من حيث جاءت ، أو ألحق بهم من المغارم والآلام ما يظل بينهم عبرة متوارثة وتأديبا مرهوبا . . .

ويرجع ذلك الى أمور عدة ، أولها أن الحقائق الدينية عندنا لا تنفك أبدا عن أسباب صيانتها ودواعى حمايتها ، فهى مغلفة بغطاء صلب يكسر أنياب الوحوش اذا حاولت قضمها وذلك هو السر فى بقاء عقائدنا سليمة برغم المحاولات المتكررة لاستباحتها ، تلك المحاولات التى نجحت فى اجتياح عقائد أخرى أو الانحراف بها عن أصلها . .

ثم ان الاسلام جعل حراسة الحق أرفع العبادات أجرا ، أجل فلولا يقظة أولئك الحراس وتفانيهم ما بقى للايمان منار ، ولا سرى له شعاع « قيل يا رسول الله : ما يعدل الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : لا تستطيعونه ! فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا ، كل ذلك يقول : لا تستطيعونه ! ثم قال : مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام . . . حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله » (١) .

واذا كان فقدان الحياة أمرا مقلقا لبعض الناس ، فان ترك الدنيا بالنسبة

الى المجاهدين بداية تكريم الهى مرموق الجلال شهى المنال حتى أن النبى صلى الله عليه وسلم حلف يرجو هذا المصير « والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل » (٢) فأى اغراء بالاستماتة فى اعلاء كلمة الله ونصرة الدين أعظم من هذا الاغراء ؟

لقد كانت صيحة الجهاد المقدس قديما تجتذب الشباب والشيب ، وتستهوى الجماهير من كل لون ، فاذا سيل لا آخر له من أولى الفداء والنجدة يصب فى الميدان المشتعل ، فما تضع الحرب أوزارها الا بعد أن تكوى أعداء الله ، وتلقنهم درسا لا ينسى ..

هل أصبحت هذه الخصائص الاسلامية ذكريات مضت ، أم أنها محفورة فى عقلنا الباطن تحتاج الى من يزيل عنها الغبار وحسب ؟

ان الاستعمار الذى زحف على العالم الاسلامى خلال كبوته الأخيرة بذل جهودا هائلة لشغل المسلمين عن هذه المعانى ، أو لقتل هذه الخصائص النفسية فى حياتهم العامة ، وذلك ليضمن فرض ظلماته ومظالمه دون أية مقاومة !!

وقد توسل الى ذلك بتكثير الشهوات أمام العيون الجائعة ، وتوهين العقائد والفضائل التى تعصم عن الدنايا ، وابعاد الاسلام شكلا وموضوعا عن كل مجال جاد ، وتضخيم كل نزعة محلية أو شخصية تمزق الأخوة الجامعة ، وتوهى الرباط العام بين أشتات المسلمين .. وقد أصاب خلال القرن الأخير نجاحا ملحوظا فى سبيل غايته تلك .

ومن ثم لم تنجح محاولات تجميع المسلمين لصد العدو الذى جثم على أرضهم ، واستباح مقدساتهم ... وما قيمة هذا التجميع اذا كان الذين ندعوهم قد تحللوا من الايمان وفرائضه ، والقرآن وأحكامه ؟ ان تجميع الاصفار لا ينتج عددا له قيمة !! وان الجهد الاول المعقول يكمن فى رد المسلمين الى دينهم ، وتصحيح معالمه ومطالبه فى شئونهم ، ما ظهر منها وما بطن ...

عندئذ يدعون فيستجيبون ، ويكافحون فينتصرون ، ويحتشدون فى معارك الشرف ، فيبتسم لهم النصر القريب ، وتتفتح لهم جنات الرضوان ...

ان الرجل ذا العقيدة عندما يقاتل لا يقف دونه شىء ، أعجبتنى هذه القصة الرمزية الوجيزة ، أسوقها هنا لما تنضح به من دلالة رائعة .

حكوا أنهم فيما مضى كانوا يعبدون شجرة من دون الله ، فخرج رجل مؤمن من صومعته وأخذ معه فأسا ليقطع بها تلك الشجرة ، غيرة لله وحمية لدينه !!

فتمثل له ابليس فى صورة رجل وقال له : الى أين أنت ذاهب ؟ قال : أقطع تلك الشجرة التى تعبد من دون الله ، فقال له : اتركها وأنا أعطيك درهمين كل يوم ، تجدهما تحت وسادتك اذا استيقظت كل صباح !!

فطمع الرجل فى المال ، وانثنى عن غرضه ، فلما أصبح لم يجد تحت وسادته شيئا ، وظل كذلك ثلاثة أيام ، فخرج مغضبا ومعه الفأس ليقطع الشجرة .

فاستقبله ابليس قائلا : الى أين أنت ذاهب ؟ قال أقطع تلك الشجرة ! قال : ارجع فلو دنوت منها قطعت عنقك .

لقد خرجت فى المرة الاولى غاضبا لله فما كان أحد يقدر على منعك !!

أما هذه المرة فقد أتيت غاضبا للدنيا التى فاتتك ، فما لك مهابة ، ولا تستطيع بلوغ أربك فارجع عاجزا مخذولا ...

ان الغزو الثقافى للعالم الاسلامى استماتت فى محو الايمان الخالص وبواعثه المجردة ، استماتت فى تعليق الاجيال الجديدة بعرض الدنيا ولذة الحياة ، استماتت فى ارخاص المثل الرفيعة وترجيح المنافع العاجلة ..

ويوم تكثر النماذج المعلولة من عبيد الحياة ومدمنى الشهوات فان العدوان يشق طريقه كالسكين فى الزبد ، لا يلقى عائقا ولا عنتا ..

وهذا هو السبب فى جؤارنا الدائم بضرورة بناء المجتمع على الدين وفضائله ، فان ذلك ليس استجابة للحق فقط ، بل هو السياج الذى يحمينا فى الدنيا كما ينقذنا فى الآخرة ...

ان ترك صلاة ما قد يكون اضاعة فريضة مهمة ، واشباع نزوة خاصة قد يكون ارتكاب جريمة مخلة ، لكن هذا وذاك يمثلان فى الأمة المنحرفة انهيار المقاومة المؤمنة والتمهيد لمرور العدوان الباغى دون رغبة فى جهاد أو أمل فى استشهاد ، ولعل ذلك سر قوله تعالى : :

« فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا » (٣) .

ان كلمة الجهاد المقدس اذا قيلت — قديما — كان لها صدى نفسى واجتماعى بعيد المدى ، لأن التربية الدينية السائدة رفضت التثاقل الى الارض والتخاذل عن الواجب ، وعدت ذلك طريق العار والنار وخزى الدنيا والآخرة .

وهذه التربية المغالية بدين الله ، المؤثرة لرضاه أبدا هى التى تفتقر اليها أمتنا الاسلامية الكبرى فى شرق العالم وغربه .

وكل مؤتمر اسلامى لا يسبقه هذا التمهيد الحتم فلن يكون الا طبلا أجوف !!

والتربية الدينية التى ننشدها ليست ازورارا عن مباهج الحياة التى تهفو اليها نفوس البشر ، ولكنها تربية تستهدف ادارة الحياة على محور من الشرف والاستقامة ، وجعل الانسان مستعدا فى كل وقت لتطليق متعه اذا اعترضت طريق الواجب .

كنت أقرأ مقالا مترجما فى أدب النفس فاستغربت للتلاقى الجميل بين معانيه وبين مواريثنا الاسلامية المعروفة ، التى يجهلها للأسف كثير من الناس .

تأمل معى هذه العبارة « يقول جوته الشاعر الالمانى : من كان غنيا فى دخيلة نفسه فقلما يفتقر الى شىء من خارجها !

أليس ذلك ترجمة أمينة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس » !

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ترى كثرة المال هو الغنى ؟ قلت نعم يا رسول الله ! قال : فترى قلة المال هو الفقر ؟

قلت : نعم يا رسول الله . قال : انما الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب .

واسمع هذه العبارة من المقال المذكور : النفس هى موطن العلل المضنية ، وهى الجديرة بالعناية والتعهد ، فاذا طلبت منها أن تسوس بدنك سياسة صالحة فاحرص على أن تعطيها من القوت ما تقوى به وتصح ، هذا القوت شىء آخر غير الاخبار المثيرة والملاهى المغرية والاحاديث التافهة والملذات البراقة الفارغة ، ثم أنظر اليها كيف تقوى بعد وتشتد ، أن التافه الخسيس مفسدة للنفس !! واعلم

أن كل فكرة تفسح لها مكانا فى عقلك ، وكل عاطفة تتسلل الى فؤادك تترك فيك أثرها ، وتسلك بك أحد طريقين اما أن تعجزك عن مزاولة الحياة واما أن تزيدك اقتدارا وأملا . . .

أليس هذا الكلام المترجم شرحا دقيقا لقول البوصيرى .

واذا حلت الهداية نفسا ... نشطت للعبادة الاعضاء !

وتمهيدا حسنا لقول ابن الرومى :

أمامك فانظر أى نهيجيك تنهج ... طريقان شتى ، مستقيم وأعوج

واقرأ هذه الكلمة أيضا من المقال المترجم (٤) : **رب رجل وقع من الحياة فى مثل الأرض الموحلة فكادت تبتلعه ، ولكنه ظل يجاهد للنجاة مستيئسا ، وبينما هو كذلك انهارت قواه ، وشق عليه الجهاد ، وأسرعوا بـه الى الطبيب .. ان الطبيب لم يجد بجسده علة ظاهرة . كل ما يحتاج اليه الرجل مـن أول أمره ، ناصح يعلمه كيف ينازل الحياة وجها لوجه لا تثنيه عقبة ولا رهبة !**

ان هذا الكلام ذكرنى بما روى عن جعفر الصادق : من طلب ما لم يخلق تعب ولم يرزق ! قيل وما ذاك ؟ قال : الراحة فى الدنيا .

وأنشدوا :

يطلب الراحة فى دار الفنا ... خاب من يطلب شيئا لا يكون !

ان التربية التى ننشدها نحن المسلمين ليست بدعا من التفكير الانسانى الراشد انها صياغة الاجيال فى قوالب تجعلها صالحة لخدمة الحق ، وأداء ضرائبه ، واحتقار الدنيا يوم يكون الاستمساك بها مضيعة للايمان ، ومغاضبة للرحمن ..

والاستعمار يوم وضع يده على العالم الاسلامى من مائة سنة صب الاجيال الناشئة فى قوالب أخرى ، نمت بعدها وهى تبحث عن الشهوات ، وتخلد الى الارض ، فلما ختلها عن دينها بهذه التربية الدنيئة استمكن من دنياها ، فأمست جسدا ونفسا لا تملك أمرها ، ولا تحكم يومها ولا غدها . . .

بل انها فى تقليدها للعالم الأقوى تقع فى تفاوت مثير عندما تنقل المباذل ، ومظاهر التفسخ فى الحضارة الأوربية تنقلها بسرعة الصوت أما عندما تنقل علما نافعا ، وخيرا يسيرا ، فان ذلك يتم بسرعة السلحفاة وكثير من الشعوب الاسلامية تبيع ثرواتها المعدنية والزراعية بأكوام من المواد المستهلكة ، وأدوات الزينة والترف مع فقرها المدقع الى ما يدفع عنها جشع العدو ونيابه السود فى اغتيالها وابادتها . . !!

وظاهر أن هذا السلوك استجابة طبيعية لأسلوب التربية الذى أخذت به من الصغر ، وأثر محتوم لاتخاذ القرآن مهجورا ، ونبذ تعاليمه وقيمه ، وهل ينتج ذلك الا طفولة تفرح باللعب المصنوعة ، والطرف الجديدة ، والملابس المزركشة ، والمظاهر الفارغة ؟ ولا بأس بعد توفير هذا كله من استصحاب بعض الآثار الدينية السهلة ! ولتكن هذه الآثار الاحتفال بذكرى قديمة أو زيارة قبر شهير !!

ثم يسمى هذا السلوك التافه تدينا !!

لقد جرب المسلمون الانسلاخ عن دينهم ، وأطراح آدابه ، وترك جهاده فماذا جر عليهم ذلك ؟ حصد خضراءهم فى الأندلس فصفرت منهم بلاد طالما ازدانت بهم وعنت لهم ، وما زال يرن فى أذنى قول الشاعر :

قلت يوما لدار قوم تفانـــوا أين سكانـك العزاز علينـا ؟
فاجابت هنا أقاموا قليـــلا ثم ســاروا ولست أعلم أينا !!

أسمعت هذا النغم الحزين يروى فى اقتضاب عقبى اللهو واللعب ، عقبى اضاعة الصلاة واتباع الشهوات .. ان عرب الاندلس لم يتحولوا عن دارهم طائعين ، ولكنهم أخرجوا مطرودين .

أفلا يرعوى الأحفاد مما أصاب الأجداد ..؟

لقد قرأت أنباء مؤتمرات عربية واسلامية كثيرة اجتمعت لعلاج مشـــكلة فلسطين فكنت أترك الصحف جانبا ثم أهمس الى نفسى : هناك خطوة تسبق هذا كله ، خطوة لا غنى عنها أبدا .

هى أن يدخل المسلمون فى الاسلام ..

اننى ألمح فى كل ناحية استهانة بالفرائض ، وتطلعـا الى الشـــهوات ، وزهادة فى المخاطرة والتعب ، وايثارا للســطوح عن الاعماق والاشـكال عن الحقائق ، وهذه الخلال تهدم البناء القائم ، فكيف تعيد مجدا تهدم ، أو ترد عدوا توغل ..؟

ما أحرانا أن نعقل التحذير النبوى الكريم : « انما أخشى عليكم شـــهوات الغى فى بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى » .

فاذا أصغينا الى هذا النذير ابتعدنا عن منحدر ليســت وراءه الا هاويــة لاقرار لها ، ثوى فيها ــ من قبلنا ــ المفرطون والجاحدون ؟

---

(١) (٢) الحديثان من رواية البخارى .

(٣) سورة مريم الآية رقم ٥٩ .

(٤) المختار مختصرة عن مجلة « ذى فورم » .

النشاط الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية

لمطلع كبير ..

كان هدف الصهيونية حتى عام ١٩٤٧ انشاء دولة لليهود فى الشرق الأوسط ، ثم صار بعد قيام تلك الدولة فى عام ١٩٤٨ المحافظة على كيانها وتقويتها عسكريا وسياسيا وماليا ، وكان نشاط اليهود الأمريكيين فى كلتا المرحلتين عظيما وواضحا ، بل انه ليقال : « لولا يهود أمريكا — أو بعبارة أخرى : يهود نيويورك — لما قامت اسرائيل ولما صمدت فى دفاعها عن كيانها المعتدى » .

* * *

كان عدد اليهود فى الولايات المتحدة حتى عام ١٨٩٠ م دون المليون نسمة يتركز ربعهم تقريبا بمدينة نيويورك ، وكان هناك اتجاه بينهم نحو الاندماج فى البيئة الأمريكية ولم يكن هناك تشدد ضد التزاوج مع غير اليهودى بل قامت بينهم حركة على يد المهاجرين من المانيا منهم ترمى الى التجديد ونبذ التقاليد اليهودية البالية العتيقة ، ونشأ عن هذه الحركة انقسام دينى بينهم ، لذلك نجد اليهود الأمريكيين الآن طوائف دينية ثلاثة : المحافظين والأرثوذوكس والمجددين .

ولكن حدث فى الفترة ما بين عام ١٨٩٠ وعـــام ١٩٢٤ م ان جاءت موجات يهودية هائلة من بلاد شرق أوربا يعرفون بقبائل «الأشكنازميين» بلغ عددهم مليونى نسمة استقـــر ثلثهم فى مدينة نيويورك ، جاء هؤلاء بأفكارهم التعصبيـــــة وفلســفتهم الصهيونية العــــدوانية ومعارضتهم العنيفة للدعوة للاندماج فى البيئــة الجديدة واصروا على وجوب احتفاظ اليهودى بشخصيته اليهــودية بكامل عناصرها ولاموا الدعوة الى الاندماج والتكيف فى البيئة الجديدة ، ونظرا لكثرة عــددهم وخشونتهم وتعصبهم لآمـــال تثيــر عــواطف اليهــودى وتتجاوب معها فقد غلبوا عـــلى الأفكـــار التنويرية التى كان ينادى بها مهاجرو اليهود الألمانيين الـــذين كانوا أعلى منهم ثقافـــة وأكثر رقـــة وتهذيبا ، وبمرور الـــزمن صبغوا الجميع بصبغتهم وتلاشـــت الفروق بينهم ، وطرحوا القول بأن أمريكـــا بوتقة تنصهر فيها الثقافات وجاءوا بفكرة ان أمريكا باقة تلتقى فيها شتى الحضارات مع احتفاظ كل زهرة فيها بلونها وعنصرها ولقيت هـــذه الدعوة تاييـــدا من بعض الأوربيين البيض الذين كانوا يتهيبون فكرة الانصهار اذا تناولت العنصر الامريكى الأسود الذى هو من سلالات الافارقة الذين جلبهم الأوربيون واستعبدوهم .

انشأ هؤلاء المنظمات اليهوديـــة المختلفـــة لترعى صالحهم ، كان من أهمها :

« المنظمة الصهيونية الأمريكية » (١٨٩٧) ، والمنظمة الصهيونيـــــة النسوية المسماة « حداســـــة » (١٩٢٢) ، ثم « الوكالة اليهودية » (١٩٢٩) ، وهيئة « مقاومة التشهير باليهود » (١٩١٣) والهيئة الكبيرة المسماة « اللجنة اليهودية الأمريكية » (١٩٠٦) وتشغل الآن هذه المنظمات عمائر كبرى عالية واسعة ولها فروع فى شتى البلاد ، وتقوم بنشاط متنوع وجبار وتتغلغـــل فى شـــتى نواحى الحياة الأمريكية ، ويعمل أكثرهـــا على مستوى عالمى .

ومنذ ضعف شأن اليهــــود فى المانيا تحت الحكم النازى فى السنوات السابقة على بدء الحرب العالميـــة الأخيرة فى عام ١٩٣٩ اعتبر يهود أمريكا أنفسهم الهيئة الراعية لمصالح جميع اليهود فى العالم والساهـــرة على سلامتهم والمسئولة عن حقوقهم فتتبنى أهدافهم وتعمل بشتى الوسائل على تحقيق أمانيهم ، ولقد استغلوا الاضطهاد الذى انزلته النازية بيهود المانيا ، وعداء الحلفاء للنازية فى نفس الوقت فى جلب عطف الغربيين عليهم ، وادخلوا فى روع الجميع ان هتلـــر قتل منهم ستة ملايين نسمة وبالغوا ولا يزالون ، فى تصوير وحشيتـــه النازية عن طريق شاشة السينمـــا والتلفزيون والصحافة ونظرا لكراهية الغرب لألمانيا النازيـــة فقـــد لقيت دعايتهم اذنا صاغية ، ونفوســــا متأثرة ، وقد سموا أى موقف أو قول لا يتفق مع اغراضهم « معاداة السامية » وهى تسمية خاطئة لانها معاداة لليهود وحدهم لا للساميين جميعا ، ولكنهم نجحوا فى هـــــذه التسمية وجعلوها مقبولـــة مسلمة لدى الغربيين ، وربطـــوا هـــــذا المصطلح بأعمال النازيين وجرائمهم ضدهم حتى أصبح الفـــرد الغربى الآن يخشى للغاية الاتهام بهذه التشبهة لما يلحقه من عار ودمار ، ولا يتورع اليهود من ان يوصموا بهذا الاتهام

أى مخلوق يتصرف أو ينطق بغير ما لا يرضيهم .

* * *

وكان من عمل اليهود الأمريكيين فى المرحلة الأولى من تأسيس اسرائيل المزعومة ما يلى :

أولا : أثروا على حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أثناء الحرب العالمية الأولى بايعاز من الأنجليز فدخلت أمريكا الحرب لصالح الحلفاء ، وكافأتهم انجلترا على ذلك بوعد بلفور المشئوم عام ١٩١٧ م .

ثانيا : ومنذ ذلك الحين يرسمون الخطط لاقامة الدولة اليهودية فى فلسطين ويعملون على تهجير اليهود اليها بشتى الطرق مستخدمين فى ذلك أموالهم وألسنة دعايتهم ذات الانتشار الواسع ، من صحافة وغيرها ، كما مولوا الحركات الارهابية اليهودية بفلسطين وأمدوها بالسلاح وعملوا على شراء الاراضى هناك وخاصة منذ تأسست الوكالة اليهودية التى يعتبر مكتبها فى مدينة نيويورك اعظم فروعها .

ثالثا : ولما تكونت هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب الثانية واتخذت مدينة نيويورك مقرا لمركزها الرئيسى ثم عرض مشروع تقسيم فلسطين على هيئة الأمم لعب اليهود دورا كبيرا لنجاح هذا المشروع الذى لم يكن فى صالح العرب حينئذ ، بل لم تكن لهيئة الأمم صلاحية لتفرض على أمة عزلاء التنازل عن الجزء الأفضل من بلادها لعدو مسلح خبيث ، لذا كان أكثر الأعضاء فى غير جانب المشروع ، ولكن لجأ اليهود لشتى الطرق للتأثير على الأعضاء وعملوا من وراء الكواليس للتصويت فى صالح المشروع ، واستخدموا فى ذلك نفوذ الرئيس الأمريكى لدى بعض الدول التى تتلقى معونات من أمريكا للضغط على مندوبيها فى هيئة الأمم ، وبذلك مر المشروع عام ١٩٤٧ رغم معارضة أصحاب البلاد الشرعيين .

* * *

وبعد أن اقاموا دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ يعمل اليهود الأمريكيون للأهداف التالية :

١ ــ الدعوة الى الفلسفة الصهيونية وجعلها عقيدة مقبولة ثابتة مسلمة ، والعمل على تدعيم اسرائيل وتنفيذ سياستها أيا كانت والدفاع عنها ، واظهار اسرائيل بمظهر المسالم الوديع الذى تتجمع حوله الذئاب لتنهشه .

٢ ــ مساعدة اليهود فى كل مكان وخاصة من بقى منهم فى بلاد لا تتودد للصهيونية ولا تقبل عدوانها مثل روسيا والبلاد العربية ، فيعملون على تهجيرهم الى اسرائيل بالذات ، أو الى غيرها كالولايات المتحدة الأمريكية ويرصدون الأموال الكثيرة ويخططون لذلك فى دقة .

٣ ــ الحفاظ على الشخصية اليهودية دينيا وثقافيا وعنصريا والعمل على عدم الاندماج أو الذوبان فى البيئات المحيطة ، واحياء التراث اليهودى واللغة العبرانية واظهار اليهودية على انها منبع الأديان ورأس الحضارة والثقافات،وبث فكرة أن اليهود شعب الله المختار وترويج الزعم بان كل ما تم من أعمال مجيدة فى التاريخ ــ حتى بناء الاهرامات ــ واختراع الاصطرلابات وما كان من اختراعات أخرى واكتشافات انما كان بفضل عباقرهم وعمل النابغين من بينهم

ويسلك اليهود شتى الأساليب

لتحقيق هـذه الأهـداف ، ومن هذه الأساليب ما يلي :

أولا : تنظيـم نشاطهـم المتنوع المتشعب تنظيما دقيقا والقيام به عن طريق منظماتهم المختلفة التي تحدثنا عن بعضها من قبل كاللجنة اليهودية الأمريكية ، والمنظمات الصهيونيـة والوكالة اليهودية ، ثم « الصندوق الاتحادى للاكتتابات » الذى أنشىء عام ١٩٣٩ ومنذ ذلـك الحين وهو يبعث الأموال الطائلة الى حركـات الارهاب اليهودية بفلسطين ثم بعد ذلك الى حكومة اسرائيل .

ثانيا : الضغط عـلى الهيئـات والحكومات :

كالضغط على البنوك مثلا بمعاملة موظفيه اليهود معاملة خاصة فاذا تردد البنك أوعزت المنظمات اليهودية الى زبائنه بسحب حساباتهم منـه ومقاطعته ، واذا مالت احـدى الصحف للاعتدال فى القضية العربية أوعزوا الى اليهود الا يعلنوا فيهـا فتفلس الصحيفة حيث ان مواردها من الاعلانات ، وهـكذا ، وقد راينا كيف استفادوا من الضغط عـلى الحكومة الامريكية لدخول الحـرب العالميـة الأولى ليحصـلوا عـلى وعد بلفور عام ١٩١٧ ، وبضغطهـم عليها حصلت اسرائيل على طائرات الفانتوم ويضغطون الآن عليها للمزيد منها ، الى جانب ما يهربونه اليهـا سرا أو علانية ، ومن تدبيرهم انهـم يوقتون اجتماعات مؤتمراتهم أثنـاء المعـارك الانتخابية عـلى مختلف المستويات أو عند نشوء أزمة معينة تعنيهم ، ثم يدعون المرشحين ليخطبوا فى مؤتمراتهم ، وبما ان المرشـح بحاجة الى تأييدهم فهو مضطر ليتكلم فى صالحهم فتعتبر تصريحاتـه فى نظرهم عهـدا يأخذونه بـه اذا ظفر بالحكم ، ومما يجعلهم موضع العناية من السياسيين انهم رغم ضآلـة عددهم حيث لا يزيدون عن سـتة ملايين نسمة موزعين عـلى سائر البلاد ، أى مالا يزيد على ٣٪ من مجموع السكان فانهم حريصون على استخدام حقهم الانتخابى واستغلاله فى صالحهم ، أضف الى ذلك نفوذهم القوى على الصحافة ووسائل الاعلام المختلفة ، كأمواج الاذاعـة وقنوات التلفزيون ودور المسارح وشاشـة السينما ، فلهم فى كل ذلـك النفوذ الأكبر والسيطرة الواضحة عن طريق أموالهم ونشاطهم فى كل منها ، ومن وسائلهم فى الضغط العمل من وراء الكواليس والاندساس فى الحفلات والمجتمعـات والمنتديات لا لأغراض التجسس فحسب بل بقصد التأثير على ذوى النفوذ او الأعضاء فـى مجلس يوشك ان ينظر ويتخذ قرارا فى أمر يعنيهم ، واكبر مثل لذلـك تأثيرهم على ممثلى الدول بهيئـة الأمم المتحدة للتصويت لصالح قرار تقسيم فلسطين عـام ١٩٤٧ ، ومنذ قوى شانهم ازداد نشاطهم فى هذا السبيل مستفيدين من وجود السفارة والقنصليات الاسرائيلية التى تتوصل بسهولة لكبار رجال الحكومة وأعضاء الكونجرس ــ وبعضهم من اليهـود أيضا ــ وتتعاون السفارة والممثلون الاسرائيليون بوضوح مع زعمـاء الصهيونية ، وييسر عملهم درايتهـم بالخبايا والاوضاع .

وبفضل هـذه الوسائل نجـح الصهيونيون فى التأثير على سياسة امريكا التى اصبحت تعتبر اسرائيل ابنها اللقيط وتؤيدهـا فى دورهـا كرأس جسر للاستعمار على مشارف الطرق الى آسيا وأفريقيا ، حتى ان بعض أعضاء مجلس الكونجـرس أصبحوا ينظرون الى اسرائيل وكأنها

ولاية أمريكية مما يجعل حمايتهـــا والدفاع عنها وتنمية اقتصادهـــا واجب مقدس فى نظرهــــم ، وان الحفاظ على الكيان الاسرائيلى انمـــا هو حفاظ على المصالح الأمريكية ضد النفوذ الروسى المتزايد فى منطقـــة الشرق الأوسط .

ثالثا : جمع الأموال عن طـــريق الاكتتابات بطرق منظمة وعلى جميع المستويات من بينهـــم ومن بين انصارهم وذلـــك بحجة الانفاق على خدمات اجتماعية ولذلك تعفى هـــذه الاكتتابات من الضرائب ، ولكن يرسل ٧٠٪ من الحصيلة السنوية عـــلى الاقل الى اسرائيل عن طريق الوكالة اليهودية ، ومنذ انشىء صنـــــدوق الاكتتاب اليهودى عـــام ١٩٣٩ وهم يجمعون الملايين ، كان يرسل أكثرها ليصرف على الأعمال الارهابيـــة فى فلسطين فلما أقاموا اسرائيل عـــام ١٩٤٨ بلغ ما أرسل لها ذاك العام مائتى مليون دولار ، ثم تـــوالت المساعدات اليهودية لاسرائيل سنويا بمبالغ هائلة ، ويقـــال أن مجموع ما تبرعوا به لاسرائيـــل فى العامين التاليين لحرب عام ١٩٦٧ بلـــغ ٧٥٠ مليونا ويعملون عـــلى جمع خمسمائة مليون فى العـــام الحالى ، والمعروف أن من الأهداف الكبـــرى لاسرائيل تجميع يهود العالم فيهـــا لاستعمار الاراضى المغتصبة ، ولكن يهود أمريكا لم يهاجر منهم لاسرائيل الا القليل ويقتصر تأييدهم حاليا على مد اسرائيل بالمال والعتاد وترويج سياستها والدفاع عنهـــا وتهجير يهود روسيا والبلاد غير الموالـيـــة اليها .

رابعا : اهانة العرب ودينهـــم واظهارهم بمظهر التأخر والرجعية ووصمهم بالفساد والاسراف والجهل والوحشية ليخذل الشعب والحكومة قضايا العرب ، ويظلوا على مناصرة اليهود والصهيونية ، يستخدمون فى ذلك بصفة خاصة شاشة السينمـــا والتلفزيون والمسارح ، يلبســـون العربى شخصية المزواج السكيـــر المتجر بالعبيد المستهين بالاعـــراض الجارى وراء الشهوات وحشيا مسرفا مبذرا لاقيا فى النهاية مصيرا ذليـــلا مهينا على يد يهودية أو يهـــودى فيؤثرون بذلـــك عـــلى المشاهدين والمشاهدات فى وقت ومناسبـــات مستعدين فيها للتقبـــل والتأثر ، وبالاخص من قبل الشباب والناشئة ومن خلا ذهنه عن الحقيقة من الكبار، وقد امتد نفوذهم ــ بالاضافة الى الصحافة والتلفزيون والسينما ــ الى الجامعات ودور التعليم غير اليهودية فيبثون السموم ضد الاســلام فـــى المحاضرات والكتب الدراسيـــــة ، ويستغلون فى ذلك احقاد المسيحية الصليبية وجهل الابرياء ثم تخـــاذل المسلمين وتفرق العرب حتى أمـــام هذا العدو الـــذى يهدد كيانهم ويخرب ديارهم ويستبيح دماءهم وأموالهم .

خامسا : التشهير بما يسمونـــه « التعصب ضد السامية » وقد بينا كيف يتخذون من هذا التعصب ذريعة لجلب العطف عليهم وعلى قضاياهم مستغلين الاتجاه الحديث للكنائس من التفاهم مع مختلف الأديان لمواجهـــة المبادىء اللادينيـــــة ، وبشىء من الضغط على رؤساء الكنائس ، أو بدون ضغط لدى الحمقى ممن يحقد على الاســــلام من بينهم ويريد ان يتملقهم فيستكتبونهم كما يستكتبون المشاهير من الاساتذة والعلمـــاء والكتاب تصريحات ونداءات موقعـــا عليها منهـــم لصالح اسرائيـــل والصهيونية وينشرونها فى شكل بارز على صفحات الجرائـــد ويذيعونهـــا على الأثير وعلى شاشـــة التلفزيون

للتأثير بها على الناس ، ثم انهم يؤولون عبارات العهد القديم ليجعلوها تتنبأ بما يجب أن يحدث لبنى اسرائيل فى العصر الحديث من مجد وعز ولعدوهم من ذل ودمار .

وبعد : فان تمسك اليهود واعتصامهم بما يعتقدون انه دينهم ويزعمون انه تقاليد اسلافهم ، ثم استفادتهم من وسائل الدعاية الحديثة ، وترابطهم فيما بينهم حتى على باطلهم جلب الكثيرين من ذوى النفوذ الى جانبهم واعانهم على تحقيق هدفهم رغم ما ينطوى عليه من ظلم وعدوان ، ولعله آن الاوان لنا معشر المسلمين لنجتمع ونتحد كى يرد الله عنا ما لحق بنا من ظلم ويعيننا على استرداد مجد أسلافنا الأبرار .

حقائق وارقام

١ ــ انه ، عندما نشأت مشكلة فلسطين عام ١٩١٧ ، كان أكثر من ٩٠٪ من كان فلسطين عربا ؟ وانه لم يكن فى فلسطين ، فى ذلك الوقت ، أكثر من ٥٦٠٠٠ يهودى ؟

٢ ــ وان أكثر من نصف أولئك اليهود الذين كانوا يعيشون فى فلسطين فى ذلك الوقت ، كانوا من المهاجرين الجدد ــ الذين قدموا اليها فى السنوات الخمس والثلاثين السابقة هربا من الاضطهاد فى أوروبا؟ وان أقل من ٥٪ من سكان فلسطين عام ١٩١٧ كانوا من اليهود الفلسطينيين المواطنين ؟

٣ ــ وان عرب فلسطين كانوا يمتلكون فى ذلك الوقت ١/٢ ٩٧٪ من الاراضى ، بينما لم يكن فى حوزة اليهود (المواطن الفلسطينى منهم والمهاجر الجديد) الا ١/٢ ٢٪ من الاراضى ؟

٤ ــ وانه ، خلال ثلاثين عاما من الاحتلال والحكم البريطانى ، لم يستطع الصهيونيون ان يتملكوا سوى ١/٢ ٣٪ من أرض فلسطين ــ وذلك على الرغم من تشجيع الحكومة البريطانية ؟ وان الحكومة البريطانية هى التى نقلت ملكية معظم هذه الاراضى الى الهيئات الصهيونية ، ولم يبعها ملاكها العرب ؟

٥ ــ وانه ، لذلك ، لم يكن فى حوزة الصهيونيين أكثر من ٦٪ من مجموع مساحة أراضى فلسطين عندما نقلت بريطانيا قضية فلسطين الى الأمم المتحدة ١٩٤٧ ؟

٦ ــ وانه ، على الرغم من هذه الحقائق ، فقد أوصت الجمعية العامة للامم المتحدة بانشاء « دولة يهودية » فى فلسطين ، وان توصية الجمعية العامة منحت هذه « الدولة » المقترحة حوالى ٥٤٪ من مجموع أراضى البلاد ؟

٧ ــ وان اسرائيل استولت اثر ذلك (ولا تزال تستولى) على ٤٨ ــ ٨٠٪ من مجموع مساحة أراضى فلسطين ؟

٨ ــ وان معظم هذا التوسع حدث قبل ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ ، أى قبل انتهاء الانتداب البريطانى رسميا وانسحاب القوات البريطانية من فلسطين ، وقبل دخول الجيوش العربية الى فلسطين وقيام الحرب بين الدول العربية واسرائيل ؟

تجار الحروب

بقلم : الأستاذ عبد الله التل



إن الثورات والانقلابات والحروب التى وقعت منذ عصر التسامح مع اليهود ، وهو الممتد عبر القرون الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين ، تكاد تكون من صنع اليهود أنفسهم ، لجأوا إليها تنفيذا لتعاليم التوراة والتلمود التى تحض على القضاء على غير اليهود كلما استطاع اليهود إلى ذلك سبيلا ، مستخدمين كل السبل التى توصلهم الى أهدافهم البعيدة فى حكم العالم من (أورشليم) عاصمة ملكهم كما يدّعون . ويسعى اليهود قبل الالتجاء الى سفك دماء الجوييم (Goyim) وإبادتهم ، الى السيطرة عليهم ماديا وثقافيا وروحيا لتسهل مهمة تدميرهم والقضاء عليهم . فمن الناحية المادية استطاع اليهود أن يمتلكوا المال والذهب ويسيطروا على المصارف وغيرها من المؤسسات الاقتصادية التى تتحكم فى المال الأوروبى الأمريكى . وبذلك سيطروا على كبار الشخصيات العالمية التى تستطيع أن تلعب دورا رئيسيا فى زج بلادها فى حروب تكون نتائجها لصالح اليهود وحدهم . ولقد تعددت وسائل اليهود وتنوعت لإغراء الشخصيات العالمية ودفعها للوقوف الى جانبهم . ومن هذه الوسائل إغداق المال وعرض المناصب ذات الجاه والمناصب العلمية ووسيلة الخداع فى النواحى الدينية ثم الارهاب .

أما المال فهو السلاح الذى أذلّ وما زال يذل كبار شخصيات العالم التى استطاع اليهود شراء ضمائرها وتسخيرها فى خدمة اليهودية العالمية . ومن لم ينفع معه إغراء المال اشتراه اليهود بالألقاب العلمية التى أغدقوها على عدد لا يحصى من رجال الغرب ، استصدر اليهود بها قرارات من جامعات يسيطرون عليها . ولا يخفى أن عددا كبيرا من اليهود حصلوا على الألقاب العلمية الرفيعة بطريقة أو بأخرى ، ليخدعوا العالم بألقابهم العلمية ، مع انهم

في حقيقة أمرهم احط شعوب الأرض علما وخلقا ومدنية ، بدليل انهم لم يتركوا منذ آلاف السنين اى اثر لمدنيـــة او فلســـفة اذا مـــا قورنوا بأى شعب من شعوب العالم .

ويكسب اليهود فريقا من الشخصيات العالمية عن طريق التضليل الدينى التاريخى ، موهمين ضحاياهم أنهم الشعب المختار الذى نصت نبوءات التوراة المدسوسة على وجوب عودته الى ــ ارض الميعاد ــ . . . ! كما يكسبون عددا آخر من رجال السياسة العالمية بالارهاب اليهودى الذى يهدد كل صاحب قلم حر . ولدى اليهود من الجمعيات الإرهابية السرية ما يؤمن لهم الوسائل الكفيلة بتنفيذ تهديدهم أى إنسان من شعوب الغرب الأعمى الذى ســـعى الى حتفه بظلفه وشجع اليهود على التمادى فى غيهم وطغيانهم . ولقد كان من نتيجـــة التسامح الغربى الأبله استفحال شر اليهودية العالمية وتمكنها من إثارة الفتن والحروب والثورات ، بعد أن سيطرت على اقتصاد دول الجوييم وأذلت كبـــار الحكام ورجال السياسة والفكر فى الغرب الأعمى . فلنتتبع فى هذا المقال أثر اليهود فى أهم الثورات والانقلابات والحروب التى حدثت فى عصر التســـامح ، مبتـــدئين بآل روتشـــيلد وما كان لهم من اثر فى تلك الثورات والانقـــلابات والحروب .

آل روتشـــيلد

كانوا وما زالوا يمثلون قوة المال فى اليهـــودية العالمية طـــوال القرون الثلاثة الماضية . ولد جدهم الأكبر (ماير أمشيل روتشيلد) ١٧٤٣ ــ ١٨١٢ فى مدينة فرانكفورت بألمانيا من أب صاحب بنك . وحين أرسله أبوه ليدرس الدين اليهودى ويصبح حاخاما ، لم يجد عنده الاستعداد لهذه الدراسة . فانكب على الأعمال المالية والتجارية منذ طفولته . واشترك فى أعماله التجارية مع يهودى آخر اسمه جاكوب شيف الذى أصبح فيما بعد وذريته من أكبر اغنياء نيويورك . ووطد روتشيلد صلاته بملك المانيا ذى الثراء الفاحش ، واستثمر له أمواله فى الدنمارك ، فتضاعفت أرباحه وازداد وثوقا به . وحين غزا نابليون ألمانيا وهزم البروسيين (١٨٠٦) هرب الأمير وليم وترك أمانة عند روتشيلد الذى استغلها وتاجر بها وساعد نابليون ضد الألمـــان الذين احسنوا إليه وتسببوا فى ثرائه الفاحش . وأنجب روتشيلد خمسة أولاد وخمس بنات ، وزعوا أنفسهم على العواصم والمدن فى أوربا وأمريكا ليؤسسوا فروعا لبنك روتشيلد فى هاتين القارتين . ظلّ أمشيل الثـــانى فى فرانكفورت الى جـــانب والده ، واستقر سولومون فى فينا بالنمسا ، وناثان فى لندن ، وكارل فى نابولى بايطاليـــا ، وجيمس فى باريس . واشتغلوا فى الأعمال المصرفية والربا والقروض المحلية والدولية ، وكونوا بذلك أخطر أخطبوط اقتصادى فى تاريخ الانسان . ولعب هذا الأخطبوط الاقتصادى أدوارا رئيسية فى اثارة الحروب والفتن والثورات بمساعدة الماسونية اليهودية والجمعيات السرية التابعة لها .

أثر اليهود فى الثورة الفرنسية

كان اليهود من وراء الثورة الفرنسية التى جاءت بالشعار المزيف ـــ حرية ، مساواة ، إخاء ـــ ذلك الشعار الذى اخترعته الماسونية اليهودية لتخدع به العالم وتقضى على مقومات بقاء الدول والتحكم فى مصائرها . وفى العهد الذى قامت به الثورة الفرنسية ١٧٨٩ كان حكام الدول الأوربية وقادتها بما فى ذلك روسيا وبولندا ، يتبادلون انظمة التعليم العلمانى وأفكار الإصلاح التى روج لها اليهود . وحين قامت الثورة كان المحفل الماسونى الأكبر فى باريس مركزا لتجمع قادة الثورة . وقد وضعت القوانين والأنظمة للثورة الفرنسية فى ذلك المحفل . وتعترف دائرة المعارف الماسونية : « انه منذ القرن السادس عشر والبناؤون الأحرار فى مقدمة القائمين بحركات اجتماعية سلمية كانت أو عنيفة ، قلبت الأوضاع القديمة ووضعت الأسس الديمقراطية الحديثة . وكانت الثورة الفرنسية فى مقدمة هذه الحركات الاصلاحية القوية العنيفة ... »

وتضيف دائرة المعارف الماسونية الى اعترافها :

« قال لامرتين ان اعتقادى ثابت بأن الماسونية أخرجت الأفكار العالية التى تأسست عليها الثورات الكبرى فى سنوات ١٧٨٩ ، ١٨٣٠ ، ١٨٤٨ . وقال المؤرخ السياسى الاقتصادى لويس ربلان بأن الماسونية كانت معملا للثورة ، وكان أثرها فيها أعظم من أثر موسوعة ـــ الانسكلوبيديا ـــ وحقا قال ، فقد مكثت الماسونية نحو نصف قرن ، تعد محافلها أفكار الشعب الفرنسى للقيام بثورته الكبرى ... ولا غرابة فى الأمر ، فالماسونية قد اتخذت شعارا لها كلمات ثلاث ، حرية ، مساواة ، إخاء ، اتخذتها قبل أن تتخذها الثورة الفرنسية شعارا ... »

أما عن تمويل الثورة الفرنسية فتعترف دائرة المعارف اليهودية أنه كان وراء الثورة عدد من اليهود قاموا بتمويلها ، وتذكر أسماءهم صريحة وهم :

دانيال اتزج (١٧٢٢ ـــ ١٧٩٩) من برلين
ديفد فريد لاندر (١٧٥٠ ـــ ١٨٣٤) من برلين
هرز سيرف بير (١٧٣٠ ـــ ١٧٩٣) الالزاس
بنجامين جولد سمد (١٧٥٥ ـــ ١٨٠٨) لندن
ابراهام جولد سمد (١٧٥٦ ـــ ١٨١٠) لندن
موزس موكاتا (١٧٦٨ ـــ ١٨٥٧) لندن وهو عم المليونير اليهودى الانجليزى مونتفيورى .

وحين اندلعت نيران الثورة الفرنسية كان وجهها يهوديا توراتيا تلموديا . إذ لم يعرف التاريخ كالغوغاء الذين نظموا وتآمروا وثاروا ضد كل طبقة من الناس ، وكانت غايتهم تدمير النظام ومقوماته من الملك الى النبلاء ورجال الدين ، وطمس القوانين ، وتغيير العملة وعلم البلاد والتقويم الرسمى . ولوحظ أن الثورة لم يقم بها فرنسيون لحماية فرنسا وخيرها ، بل قام بها أجانب يتسترون وراء قوة سرية ترمى الى هدم كل شىء فى فرنسا . ولم يكن أولئك الأجانب سوى اليهود الذين خططوا للثورة ومهدوا لها بخلق فراغ كبير بين الأسرة الحاكمة وبين الشعب ، ثم باثقال كاهل البلاد بالديون اليهودية التى

تظهر الملك الحاكم أمام شعبه مبذرا أنانيا ظالما . ومعروف أن نيكر Necher اليهودى كان وزيرا لمالية لويس السادس عشر ملك فرنسا . فأغرق هذا الوزير فرنسا بالديون حتى وصلت ١٧٠ مليون جنيه استرلينى ، وهى ديون باهظـة فى ذلك الحين . وكانت الملكة مارى أنطوانيت بما لها من قوة الشخصية عقبة فى طريق خطط اليهود والماسون . وتلقت منهم الإنذار تلو الانذار لتفسح لهم مجال العمل فلم تعبأ بهم . فرسموا خطة تجويع فرنسا . ثم أشاعوا أن الملكة قد أوصت على عقد ماسى بربع مليون جنيه بينما شعبها يتضور جوعا ... واستغلت الصحافة الواقعة تحت تأثير اليهود الحـادث المختلق لنشر هـذه الأكذوبة بين الشعب الجائع . ولم تكن الملكة فى وضع يمكنها من تكذيب الاشاعة التى اختلقها اليهود العاملون بتجارة الجواهر .

وفى سنة ١٧٨٩ أكره الدائنون اليهود ملك فرنسا على إصدار قوانين تسهل لهم سرقة العرش والكنيسة وتدمر الأعيان والنبلاء والتقـاليد والثقافة والثروة الوطنية . واشتعلت الفتنة ، وسارت المظاهرات تطالب بقتل الملك . وكان من أبرز رؤوس الفتنـة شولديرو دى لاكوس مدير القصر الملكى وهـو يهودى إسبانى ، ومانيول قائد عامة الشعب وهو يهودى إسبانى كذلك ، وهو الذى قاد الحملة ضد الملك وعائلته وأعدمهم فى الدير . وكان من بينهـم ديفد الرسام وهو يهودى كان يرأس لجنة الأمن العـام ويحاكم الضحايا الأبرياء . وفتك اليهود ومعهم الشعب الأعمى بالملكة بعد أن سيق زوجها لويس السادس عشر الى المقصلة ، كما فتكوا بعشرات الألوف من أبناء فرنسا الأبرياء .

واتبع الثوار طريقة اليهود التوراتية التلمودية فى ذبح الأسرى والمساجين وذبح النساء والأطفال ورجال الدين ، وهدم الكنائس والأديرة ونهب أموالها ومصادرة ممتلكاتها التى كانوا يذيعون أنها تزيد على ١٥ مليار فرنك ، وحين تم تقديرها بعد النهب والتدمير ، وجد أنها لم تزد على مليار فرنك وزعت على اليهود الذين قادوا الثورة . وسرعان ما شرع اليهود يزيفون التاريخ ويصورون الثورة الفرنسية بذلك العمل التاريخى العظيم ، الذى خدم الانسانية وأعطى وثيقة حقوق الانسان .. !

وهى لعمرى فرية يهـودية انطلت عـلى ملايين البشر الذين انخـدعوا بالأكاذيب اليهودية ، كما انخدعوا بالتاريخ المزيف الذى كتبه اليهود وعملاؤهم عن السلطان عبد الحميد والعثمانيين بشكل عام .

فالثورة الفرنسية غدت فى حقيقتها من أسـباب شقاء العـالم وإذلال الشعوب وتسخيرهـا لخدمة اليهودية العـالمية التى خططت للثورة ومولتها ونفذتها وجنت أرباحها . ويكفى أن نذكر الحقيقـة المرة وهى أن فرنسا منذ ثورتها اليهودية الماسونية سنة ١٧٨٩ قد تحولت تدريجيا الى مزرعة يهـودية بمالها وثقافتها وعلمهـا وسياستها واقتصـادها . كما غدت فرنسـا بفضل

التسامح المخل الذى فرضته الثورة ، بؤرة فساد ، توزع الرذيلة والفسق والفجور على العالم بأسره . كما تولى اليهود عملية تحويلها الى ماخور للترفيه عن الأثرياء والأفاقين والمغامرين الذين يرحلون الى فرنسا للاستمتاع بالفن اليهودى الفرنسى والمدنية اليهودية المدمرة .

أثر اليهود فى حروب نابليون

استمر اليهود فى استغلال الثورة الفرنسية بعد أن حطموا أسس الدولة من نواحيها الاجتماعية والدينية والاقتصادية والثقافية ، وأصبحوا القوة الحقيقية التى ترهب الشعب الفرنسى تحت ستار الشعار المزيف حرية ، مساواة ، إخاء . وحين انتهت السلطة العليا فى فرنسا الى نابليون ، انتهز اليهود الفرصة وأخذوا فى الاتصال به والإيحاء اليه عن طريق مستشاريه من اليهود وخاصة رجال الدين منهم . ويقول ليفى أبو عسل فى كتابه الذى نشره عن اليهود فى مصر قبل ست وثلاثين سنة :

« ... وقد أدرك نابليون بفرط ذكائه ما يمكن أن تنتجه أذهان اليهود . وكان يعلم أن انقاذهم وإعادة نشاطهم فى ميدان السياسة ومناحى الثقافة فى وطن أجدادهم وفى جزء من الأقاليم المصرية لا يقتصر أمرهما على أن يكون حادثا تاريخيا وإنسانيا فحسب ، بل يجب أن يكون من الوسائل الفعالة لتحقيق ما له — لنابليون — من المقاصد الكبيرة والمرامى البعيدة فى الشرق ... وقد تأهب نابليون لهذا الأمر بأن ضم اليه اليهود والذين كان يجب أن يفعلوا ما يطابق الحالة الجديدة التى سيشرع فى ايجادها ولكى يتمكن من احتلال فلسطين من أقصاها الى أقصاها . ولإحاطة جيوشه بسياج من الأمن والطمأنينة .. »

ونجحت عمليات الاتصال بنابليون ومخادعته وإيهامه بقوة اليهود وما يناله من خير حين يستعين بهم فى حروبه . وتخلق نابليون القائد المغوار بأخلاق اليهود الخادعة الخسيسة ، وانحط الى مستواهم فى الغش والتلون والمكر . ففى الوقت الذى كان فيه يصدر نداءه ووعوده لليهود باقطاعهم أرض مصر وفلسطين ، كان يتظاهر أمام المصريين بالصلاح والفلاح حتى انه ادعى الاسلام فى منشوره الكاذب الذى جاء فيه :

« ... يا أيها المصريون قد قيل لكم اننى ما نزلت بهذا الطرف الا بقصد إزالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه .. أيها المشايخ والقضاة والأئمة واعيان البلد قولوا لأمتكم ان الفرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون ... »

وتكشفت وعود اليهود لنابليون عن أوهام وأحلام ، فلم تظهر لهم أية قوة فى الشرق يمكن أن تعينه على تحقيق أطماعه العسكرية وأطماعهم اليهودية . وتحطمت الآمال والأحلام على صخرة الدفاع فى عكا . واندحر نابليون القائد الجبار الذى لم يهزم ، اندحر أمام القوة الصغيرة المؤمنة الصابرة . وتضيع مع اندحاره آمال اليهود وأحلامهم فى الاستيلاء على مصر وفلسطين — الى حين — .

واليهود فى جميع أعمالهم وخططهم لا يخدمون الا انفسهم . فهم تجار حروب لا يتورعون عن امتصاص دماء الشعوب فى الوقت الذى تحترب فيه تلك الشعوب بدوافع يهودية غايتها سفك دماء الجوييم أو الجنتايلز كما يسمون غير

اليهود . وهم فى الحـــروب والثورات جميعها ينقســـمون على جانبى المعركة ليتمكنوا من ابتزاز أموال الطرفين المتحـــاربين . فآل روتشـــيلد وغيرهم من أصحاب الملايين اليهـــود ، كانوا يقســـمون أنفسهم بين الاطـــراف المتحاربين لاستغلال المعارك فى جمـــع الملايين من دماء الشـــعوب الغافلة . ففى حرب نابليون مع بريطانيا ، كان أغنياء اليهود يقدمون القروض للانجليز والفرنسيين معا . وفى معركة واترلو لعب روتشيلد لندن لعبة يهودية قذرة بأن دبر مـــع روتشيلد باريس طريقة سرية لنقل أخبار المعركة . واستطاع روتشيلد لندن أن يعلم من أخيه فى فرنسا رجحان كفة الانجليز فى المعركة . فما كان منه الا أن ذهب للبورصة متجهم الوجه فظن الانجليز أن المعـــركة خاسرة . وأقبلوا على بيع الأسهم فهبطت أسعارها فى دقائق لتجد عملاء روتشيلد يشترونها بأثمان زهيـــدة . ثم تصل انبـــاء المعركة الرسمية الى لندن بعـــد ساعات من شراء الأسهم من المساهمين البؤساء . وفى صباح اليوم التالى يكون خبر النصر قد انتشر فى البلاد . وتفتح البورصة ابوابها لتعود الأسهم الى الارتفـــاع من جديد وليربح روتشيلد لندن عشرة ملايين دولار فى أقل من أربع وعشرين ساعة .

ولم يكتف اليهود بالاتجار فى أموال الناس وسرقتها عن طريق البورصة والقروض والربا ، بل كانوا يتحكمون فى التموين والغذاء اليومى للشعب فى كل من بريطانيا وفرنسا . ففى بريطانيا مثلا كانوا يحملون السيف ذا الحدين ، بمعنى ان الحكومة البريطانية كانت تشترى الذهب من روتشلد لتشترى بالذهب التموين من روتشيلد نفسه . .

وحين فرضت الدول المتحالفة على فرنسا ـــ بعد معركة واترلو ـــ معاهدة باريس الثانية ٢٠ نوفمبر ١٨١٥ كان من بنودها أن تدفع فرنسا غرامة حربية مقدارها سبعمائة مليون فرنك . فلجأ لويس الثامن عشر الى جيمس روتشيلد لاقتراض المبلغ ، فاشترط هذا أن يحصل اليهود على منصب رفيع فى القصر الملكى .

وصحا نابليون فى أيامه الأخيرة وقبل سقوطه وأدرك الى أى مدى نجح اليهود فى خداعه والغدر به فقال عنهم :

« لقد عزمت على تحسين أحوال اليهود ، غير أنى لا أريد زيادة منهم فى مملكتى . لقد عملت بالفعـــل كل ما يثبت ازدرائى لأحقـــر شعب على وجـــه الأرض . . . »

أثر اليهود فى ثورات القرن التاسع عشر وحروبه

استفحل أمر اليهود بعد نجاحهم الحاسم فى الثورة الفرنسية ، وما نالوه بعدها من مكانة مرموقة فى فرنسا وغيرها من بلدان أوربا ، مما شجعهم على التمادى فى خلق الفتن وتدبير المؤامرات وتحريك الثورات وتنفيـــذ الاغتيالات

السياسية . كانوا وراء الانقلابيين الذين وقعا فى فرنسا سنة ١٨٣٠ وسنة ١٨٤٨ . وكانوا وراء عمليات اغتيال غستاف الثالث ملك اسوج ، وابن الملك شارل العاشر الدوق دى بارى ، والملكة اليعابات فى النمسا ، والملك همبرت الأول فى ايطاليا ، واسكندر الثالث فى روسيا ، وشارل الثانى فى البرتغال . هذا فضلا عن الذين سعوا فى قتلهم وحبط مسعاهم مثل الملك لويس فيليب ، ونابليون الثالث ، والقيصر نيقولا الثانى ، والملك الفرنسى الثانى عشر وابنه الفرنس الثالث عشر . ولم يسلم من شرهم رئيس جمهورية خط الاستواء غرسيا مورينو الذى كان من أعظم رجال عصره ، ولم يقترف اثما سوى قيامه فى وجه الفوضى اليهودية الماسونية ، فقتلوه غيلة وغدرا .

وأسهم اليهود كذلك فى حرب السبعة أسابيع (١٨٦٤) التى وقعت بين بروسيا والنمسا ، وفى حرب السبعين (١٨٧٠) التى وقعت بين فرنسا وبروسيا . وكانوا وراء العصيان الذى أعلنه الشيوعيون (١٨٧١) فى باريس وهم الذين أوجدوا حركة النهليست (Nihilism) فى روسيا والشعلة فى بافاريا والكربونارى فى ايطاليا . وهى الحركات الثورية الفوضوية التى قامت لتحارب الدين والاخلاق والتقاليد ونظام الأسرة والملكية الشخصية والادارة المركزية . وحين نهضت حكومة القيصر للوقوف فى وجه الحركة التخريبية ، رد النهليست اليهود بأعمال ارهابية واغتيالات عديدة ضد حكام المقاطعات وضد ضباط الشرطة . ولم ينته القرن التاسع عشر الا وحركة النهليست قد غدت نواة الثورة الشيوعية التى قامت فى أكتوبر ١٩١٧ .

ومن ابرز حروب أواخر القرن التاسع عشر التى دبرها اليهود ، هى حرب البوير بين الانجليز وشعب البوير (١٨٩٩ — ١٩٠٢) . فحينما اكتشف الذهب بكميات كبيرة فى الترنسفال سنة ١٨٨٥ ، هرع اليهود لسرقة الثورة الجديدة من شعب البوير الفقير . وحين أحس شعب البوير بالمؤامرة اليهودية الجشعة هب يدافع عن حقه فى الثروة . بيد أن اليهود استطاعوا كعادتهم ان يحركوا شهية الاستعمار البريطانى ويوهموه أن الثروة له . ونجح اليهود كذلك فى إقناع الشعب البريطانى أن المعركة فى جنوب إفريقية هى من أجل مجد الامبراطورية البريطانية ومن أجل تأمين الثراء للشعب البريطانى . ولكن الحقيقة كانت تشير الى أن دماء الانجليز والبوير معا تسفك فى سبيل تحقيق أطماع اليهود وجشعهم فى تكديس الذهب وامتصاص دماء الشعوب . وظن المغامر البريطانى سيسيل رودس انه يستخدم اليهود فى الحصول على أكبر كمية من الذهب لبريطانيا ، مع أنهم فى الواقع كانوا يسخرونه لخدمة اغراضهم ، وجعلوا منه آلة تساعد على أشعال الحرب التى ذهبت ضحيتها آلاف الشبان من الانجليز وعشرات من شباب البوير بقيادة البطل الوطنى كروجر الذى نزح الى أوربا بعد انكسار قواته ، محاولا إسماع صوته الى حكومات أوربا الغافلة عن خطط اليهود ومؤامراتهم . وذهبت صيحاته أدراج الرياح وانتصر اليهود وسخروا الابمراطورية وقواتها من أجل نقل الذهب من جنوب افريقية الى بنوك اليهود فى بريطانيا .

ويضيق هذا المقال عن استيعاب الحديث عن أثر اليهود فى الحربين العالميتين الاولى والثانية ، ولذا فانى أرجىء استكمال البحث الى عدد مقبل من المجلة ان شاء الله .

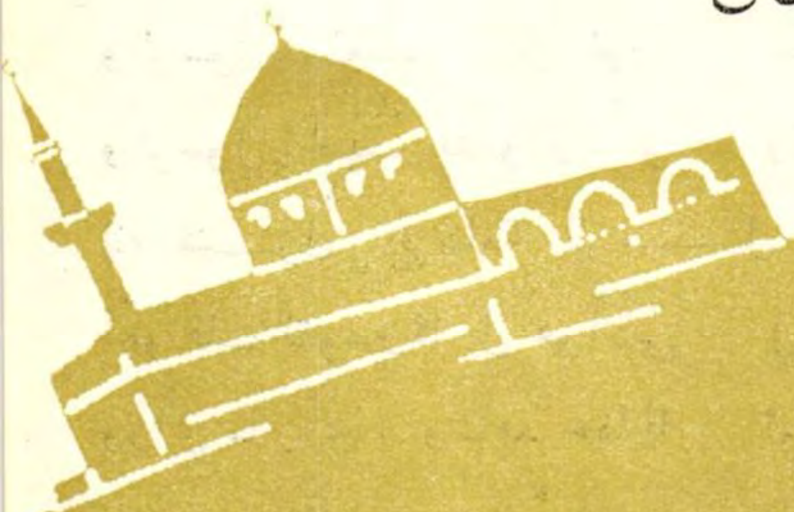
مع الإسراء

ليسَ في الكاسِ جرْعةٌ من نشيدِ　　ضاعَ في زَحْمةِ الهمومِ قَصيدي !
وبقايا الأقداحِ من خمْرةِ الفكر تلاشـــت وغابَ عنهما وجُــودى
حُطِّمَ النّايُ ، لم يَعُدْ يتغنّى !　　كيف يشدُو الهزارُ غيرَ سعيدِ؟!
أيُغنّى الحزينُ يقتلهُ الهمُّ ، وتحبُـــو أوطانُه في القيــودِ ؟!
أيْن مِنّى القصيدُ - ياأمـة العُرْ　　بِ - وآلامُنا بغيرِ حُدودِ ؟!
وجراحى كتمتُهــا فى فؤادى !　　فتوالتْ سهامُها من جديدِ !!
كيف أشدُو ،ومسجدُ القدْس أضحى　　يابنى العُرْب طُعمةً للوقودِ ؟؟
ومُصَلّى الرسولِ قـــد دنَّسَتْه　　واستبدت به كلابُ اليهودِ !
وشبابُ الإسلام يلهوُ ، ويلهو !!　　ليس يُعْنى بغير عيش رغيدِ !
فلهذا هجرتُ شِـــعْرى وفنّى　　وجـراحى مليئةٌ بالصديدِ !!!



كان بالأمسِ يستعدُّ بَيـــانى　　يومَ ذكْرى الإسراءِ بالألحان
لكنْ اليومَ يقطرُ الشّعرُ هماًّ　　ويُثيرُ العميقَ من أشـــجاني

للأستاذ : محمود سلطان
الكويت



إين ما شادَه الجـدودُ قديماً ؟! أَين مجدٌ يفوق كُلَّ المعانى ؟،
وحدودُ الإسلام في الصين شرقاً ثم غرباً لدولـة الاسبان
ويخرّ الملوكُ للعُـرب إجلا لاً ، وعزُّهم بكلّ مكان !
ويقول الرشيدُ للسُّحْبِ : ألْقِى أوْ دَعِى ، فالخراجُ بين بَنَانِى !!
ثم دارَ التاريخُ ، وا حسرتاهُ !! فانتكسنا في عالمِ الأحزان !
ورأينا أعزَّ شـىءٍ لَدَيْنا قدْسَ أقداسنا مع الشيطانِ !!
وحِمانا العزيزُ !! ضاعَ حِمانا ! ورجعنا بالخزى والخسرانِ !
ثم ذكرى الإسراءِ تأتي ، ومسرى أشرفِ الخلق في أسىً وهوان
يالهولِ الأحداثِ قد أذهلتنى !! فلسانى مُكبَّلٌ وجنـانى !!



ه اعتذارى لخاتمِ الأنبـياءِ يوم ذكرى المعراج والإسراءِ !
عاجزٌ عاجزٌ عن الوصفِ شعرى فالرسول الكريم فـوقَ الثَّناء
فلندعْ مركبَ الفضاءِ ومافيه فهذا يفـوق كلَّ ادّعاء !

إنها رحلةٌ لأعظمِ هادٍ رحلةٌ كفكفت دموعَ البلاءِ
فإذا الرسْلُ كلهم فى لقاءٍ وأذا البشْرُ كُلُّه في السماءِ !
والرسولُ العظيم ينهَلُ نوراً سابحاً سابحاً ببحرِ الضياء
والرسولُ الحبيبُ يَدْنُو ويَدْنو وتوالى العطاءُ إثْر العطاء !
إنه منزِلُ الزعامةِ للرسْل جميعاً، وقمةُ الأنبياء !
أهوَ قَاب القوسين؟! بل هُو أدْنى في بهاءٍ ، في عالمٍ من سناء
ورَأَى ما رَأى ، وشاهَدَ حقاً !! ثم كان اللّقاءُ أَسْمَى لقاء !!!
يا رسولَ الإسلامِ ، إنيِّ ظامى فاسْقنى من هُداك، وارْوِ أُوامى
سيدى المصطفى ، وفؤادى يشكو من رَزَايَا قدْ زِدْنَ فى إيلامي !
أنت خيرُ العبادِ ، أَسْرى بك اللهُ ، وحُزْتَ الوِسامَ أَعْلَى وِسام
يارسولَ الإسلامِ ، قلْبى جريحٌ فخطوبُ الإسلامِ جِدُّ عِظامِ !
سيدى المصطفي أتيناك والأبوا بُ سُدَّتْ ، وأنت خيرُ إمام
قد ضَلَلْنا الطريقَ ، والدَّربُ وعْرٌ وأضعنا المصباحَ وسْط الظلام !
يارسولَ الإسلامِ ، ذُبْنَا اشتياقاً لضياءٍ يُزيحُ وَجْهَ القتَامِ
مالشعبِ الإسلامِ غيرك مأْوًى في الملماتِ ، ياشِفَاءَ السّقام
وعليك الصلاةُ من كلّ قلبٍ وعليك السلامُ ، خيرُ سلام !!



الفكر الإسلامي

ومراكز الأبحاث والدراسات

للأستاذ : فاروق منصور

ان الحاجة ملحة لمعرفة الكثير من المعلومات الصادقة والدراسات الجادة عن الاسلام . ماضيه ، وحاضره ، ومستقبله .

وتتزايد على مر الأيام ضرورة توفير الأبحاث والوثائق الميسرة لمعرفة الاسلام والمؤدية لفهمه ، كعقيدة ، ودين سماوى ، منزل ، وكحضارة وتاريخ ، مع الالمام بدوله ورجاله ومؤثراته الحضارية وقيمه الاجتماعية ومشاكل شعوبه المعاصرة ، وافضل الوسائل لتجميع شملها ، والتقريب بين جماعاتها ليكونوا جميعا هذه الأمة التى أرادها الحق تبارك وتعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

واذا كانت أمانة حمل هذا الدين تقتضى العمل على استخدام أكثر الوسائل فاعلية فى نقله الى الآخرين فاننا مطالبون بالبحث عن تلك الوسائل ومعرفة السبيل الأمثل فى القيام بها .

ولقد اقتضى التطور العلمى أن يتوافر ما يلبى حاجة الناس ، ويجيب عن تساؤلاتهم اليومية ، وما يطرحونه من استفسارات متزايدة حول الدين أو الفكر ، أو الفن أو فى مجالات العلوم ، وكافة ما يتعلق بحياة الانسان ، لا فى عالمنا فحسب بل فى العوالم الأخرى بعد أن غزا الانسان القمر ، وأصبح يجاهد لغزو كواكب أخرى ، وكان نتيجة للتقدم العلمى ، أن قامت المراكز المتخصصة للأبحاث ، والدراسات والقياسات والوثائق كمعهد جالوب للاحصاء وقياسات الرأى فى الولايات المتحدة ومعهد الدراسات الاستراتيجية فى لندن ومركز شئون الشرق الأوسط أو الشئون السوفيتية بميونخ ، وتتسابق الدول اليوم فى انشاء تلك المراكز ، وتغدق عليها الأموال

والتيسيرات ايمانا منها بأهمية تلك المراكز وادراكا لفاعلية عملها .

ولقد صاحب التقدم العلمى أيضا تأليف الموسوعات ودوائر المعارف المتخصصة فى العلم ، والأدب ، والفن ، والصناعات ، بل حتى فى التنجيم ، بل وصل الأمر الى تأليف دوائر المعارف لفروع الفن أو العلم ، فرأينا دائرة معارف الموسيقى أو الفنون التشكيلية ، أو العمارة ، بحيث يكون فى مقدور القارىء العصرى المتعجل أن يجد ما يبغيه من معلومات دقيقة عن كل ما يشغل اهتمامه ، أو تتطلبه احتياجاته المهنية أو التثقيفية .

نقص يجب أن نستكمله :

فاذا انتقلنا الى مجال الدراسات الاسلامية أو الاسلام كدين ، وتاريخ ورجال وشعوب ودول . نجد أننا نفتقر الى هذا كله . ولا نكاد نملك موسوعة واحدة ، بعد أن توقف المرحوم فريد وجدى طيب الله ثراه ، عند الأجزاء التى أصدرها من دائرة معارف القرن العشرين والتى باتت غير قادرة ، على سد كثير من اهتمامات القارىء .

والملاحظ اليوم أنه مع كثرة الجهات المعنية بالشئون الاسلامية فى العالم الاسلامى الا أننا ما زلنا نعانى نقصا كبيرا ومخلا فى معرفة أبسط المعلومات عن واقع الحياة فى الدول الاسلامية ، وتطور الفكر الاسلامى وقضاياه .

ويعجز الكثيرون عن متابعة هذا الفكر فى مساره أبان عصوره المختلفة ويقتضى هذا أن نفكر عمليا فى علاج جذرى وأن نبحث عن أفضل الوسائل فى عرض هذا الفكر على الأجانب ، كما يقتضى منا العمل الجاد ، والتفكير البناء لايجاد المناهج الكفيلة بتعريف أبناء المسلمين وشبابهم بهذا الدين الذى يشرفون بالانتساب اليه ، والذى يجب عليهم أن يعوا قيمه ، ويتفهموا فكره ، ويلموا بتراثه ، ليستفيدوا به ويبنوا حياتهم على هديه .

وبالاضافة الى ذلك كله ، فعلينا أن نهتم وبصفة دائمة ومنتظمة ، وبأسلوب علمى منظم ، بتوفير الاجابات الاسلامية المستمدة من جوهر الدين ، وسامى قيمه لكل ما يطرحه قارىء اليوم من تساؤل ، أو ما ينشده من معرفة .

وهذا فرض كفاية ينهض به القادرون من المسلمين ، أفرادا وجماعات ، وفرض عين يجب أن تقوم به الحكومات الاسلامية كلها . وهى جميعها تقوم بجزء من ذلك ، أو تؤدى بعضا منه . فى صور متعددة ولكنها ما زالت حتى الآن دون الغاية المرجوة ، وأقل من المستوى المطلوب .

مناهج اعداد الباحثين :

واذا استوعبنا أهمية تلك المراكز التى لا يختلف فيها اثنان ، فاننا سنجد أنفسنا مدفوعين الى التفكير فى توفير المجال الصالح للبحث العلمى ، فى مجال الدراسات الاسلامية . وذلك بايجاد قاعات البحث ، التى يلتقى فيها الباحثون ، والتى يجد الباحث الناشىء فيها الفرصة ليتعرف على أجيال سبقته فى البحث ، ونظم منهجية واضحة تعينه على ما هو مقبل عليه .

وفى هذا الجو العلمى ، تتأكد الأخوة الاسلامية ، وتوجد الوسيلة العملية للتقريب بين المفكرين المسلمين ، أولئك الذين تكاد تكون الصلة بينهم مقطوعة . لأننا لو نظرنا اليوم لوجدنا أن المعنيين بأمر

الفكر الاسلامى والمهتمين به ، لا يكاد يعرف بعضهم البعض ، الا علــى صفحات الكتب ، كما أن الباحث فى أى فرع من فــروع الدراســـات الاسلامية يجد نفسه دائما فى متاهة كلماهم بأن يقدم على عمل فكرى ، فيجد الصلة مقطوعة غالبا بينه وبين قديمه . والعلاقة بينه وبين ما يكتب عن الاسلام بلغته العربية فى بلــد عربى غير الذى يعيش فيه أو بلغــة أجنبية . مقطوعة أيضا .

ولقد عجزت الصحافة والكتاب عن أن يكونا وسيلة سريعــة للتعريف بما ينتجه المفكر العربى أولا بأول ، وبصورة تتيح للقارىء فى أى بلــد عربى أن يكون باستمرار ملما بكــل ما يكتبه فى مجال اهتمامــه الكتاب العرب فى بقية البلدان العربية . أو يكون متابعا لما تخرجــه المطابــع العربية ، فى الوطن العربى كله . أو ما تصدره دور النشر فى العالم الاسلامى .

متاعب فى الدراســـات العليا الاسلامية :

واذا انتقلنا الى مجال الدراسات العليا فى العلوم الاسلامية ، فاننـــا نسمع مر الشكوى من الدارسين لما يلاقونه من صعاب فى معرفـــة المراجع الأساسية لمواضيع أبحاثهم ، أو الأماكن التى توجــد فيهــــا . كما يشكون دائما من متاعب التعرف على المفكرين المسلمين القــدامى ، وعدم قدرتهم على اقامة صــــلات حقيقية بالأحياء منهم ، لأنه لا توجد جهة علمية تخطط ، وتضع الوسائل، وتوفر الظروف التى تتيح أقامة صلات وثيقة بين المفكرين المسلمين ، وانه من المخجل حقا أن يتقــدم الطــالب فى جامعاتنا للحصول عــلى شهادة علمية فيحصل على الدكتوراة بأعلى تقدير وهذا اعتراف بأنه حصل من المعارف فى مجال تخصصه ، وأنه اضاف الى تلــك المعارف جديدا . بينما هو لا يعرف أهل هذا العلم فى بلده ، وتقف حدود معرفته عند قراءة الكتب ، أو عدة زيارات للاســـتاذ المشرف على البحث ، ولقـــاءات سريعة للجنة الاشراف التى تناقش موضوعه ولقد أدى ذلــك الى وجود دراسات ناقصة أو مبعثرة أحيانا ، وادى فى أحيان أخرى الى تقصير الدارسين عن ارتياد مجالات كثيرة كانت تحتاج الى الدراسات العصرية، وتتطلب جهدا دؤوبا . وقدرا متزايدا من المعرفة . ولم يدفع بهم الى ذلك الا قلة المراجع وعجز الجهد الفردى ، عن تذليل العقبات الكثيرة المتراكمة على طريق البحث العلمى فى بلادنا . وتتمثل فى نقص المراجع ، أو ارتفاع ثمنها ارتفاعا مخيفا ، أو عدم وجود صور من المخطوطـــات فى بلــد الدارس .

ولو وجد الدارسون من يزلل لهم تلك العقبات ، لوجهوا جهودهـــم لما هو أكثر ثمرة ، وأكثر عمقا وجدية ولكان فى أيدينا اليوم الكثير مما نفتقر اليه من دراسات .

الأجانب والدراسات الاسلامية :

واذا كان هذا هو ما يواجه الباحث المسلم ، فما أكثر ما يعترض الباحثين غير المسلمين فى مجالات الدراسات الاسلامية ، ان كثيرا من الدراسات كتبت عن الاسلام فجاءت تشويهـــا له ، أو قصرت عن فهمه ، وتبيـــان حقيقته . وقد يكون ذلـــك لنقص المعلومات المتوافرة لدى الدارس عن الاسلام أو لصعوبة الحصول عـــلى المعلومات الدقيقة والاحصائيـــات الجديدة عن العالم الاسلامى بصورة مستمرة وكلما دعت الحاجة العلمية

أو لأنها فهمت النص الاسلامى فى جو بعيد عن روح الاسلام ،

ولو وجدت جهة أو مؤسسة أو هيئة علمية تهتم بتوفير ذلك ، لخدمت الاسلام كثيرا ، ولأسهمت فى تطوير البحث العلمى ، وأفادت الفكر الاسلامى ، وأعانت الباحثين فى مجالاته المختلفة بتوفير المعلومات الدقيقة ، التى توضح القضايا ، أو ترشد للمراجع ، أو توثق الصلات بين الباحثين ، وهذا ما يمكن أن تنهض به مراكز الدراسات والابحاث الاسلامية .

المسلمون والدراسات التى كتبت عنهم :

وكما يجهل الدارس الأجنبى الكثير عنا فاننا نجهل الكثير عما يكتب عنا بلغات أجنبية ، أما لأن الكثيرين منا لا يجيدون اللغة الأصلية التى كتب بها البحث أو الدراسة عن الاسلام ، أو لصعوبة الحصول على المرجع العلمى بلغته أو لعجز الباحث الفرد عن متابعة كل ما يكتب ، ومعرفة صدوره أولا بأول ، أو لصعوبة الحصول على الدراسات التى تصدرها الهيئات العلمية المتخصصة .

ولسنا بحاجة الى التأكيد على مدى أهمية هذه الدراسات التى تكتب عن الاسلام وضرورة متابعتها بصورة علمية منتظمة تتمثل فى قسم يتابع ما ينشر ويترجمه اذا رأى فيه فائدة ، ويقيم ما يحتاج منه الى تقييم ويوضح ما تدعو الحاجة الى ايضاحه أو يرد على ما يتطلب الرد ، أو يرى فيه طعنا على الاسلام . أو تجنيا على المسلمين . والامر هنا أمانة علمية ، وخدمة للدين ، كما أنه عمل قومى وانسانى ، بالغ الأهمية ، وهو من أهم ما يتطلبه واقعنا .

وتحتمه ظروفنا ويستلزمه تطورنا العلمى المتمثل اليوم فى هذه الجامعات والهيئات العلمية ودور الطباعة والنشر التى تملأ البلدان الاسلامية والعربية .

اننا يجب أن نعرف أولا بأول ، كل ما يكتب عنا لنفهم رأى الآخرين فينا ، جهلهم بحقيقتنا .. تخبطهم فى فهمنا .. عداءهم لنا .. ملاحظاتهم علينا .. أعجابهم بنا أو استهانتهم بشأننا ، وسخريتهم منا .

لأن من الرأى ونقيضه ، ومن المدح والذم نستطيع أن نتبين الطريق لمخاطبة الآخرين ، وأن نفهم كيف نقدم الاسلام للناس ، كيف نستفيد من معرفة موقفهم تجاهنا لنوجد الوسائل التى تضمهم لصفنا أو تقنعهم برأينا ، لأنهم بين أمرين : جاهل عن حقيقتنا ، لو عرف لاقتنع ، أو عدو لو عرفناه لانتصرنا عليه ، لأن معرفة العدو بداية الطريق الى النصر ولاننا بمعرفة رأى غير المسلمين فى الاسلام ، وغير العرب فى العروبة وتحليلنا لهذه الآراء نخرج بمعرفة أسلم الطرق لعمل أفضل ، وتفكير أكثر ثمرة .

هذا .. هو الطريق :

لهذا فانه من الخير أن نسارع بانشاء مراكز للدراسات والبحوث والوثائق الاسلامية فى كل بلد اسلامى ، وفى كل مكان يعنى بالاسلام ، بل فى كل مؤسسة أو هيئة أو جماعة أو جمعية تستهدف العمل الاسلامى فى جميع البلاد الاسلامية ، ما دامت تبتغى حقا خدمة الاسلام ، وتنشد صدقا أن تؤدى حق الله كما يجب فى عصر العلم والمعرفة .

وتقوم تلك المراكز بتوفير

المعلومات الاسلامية الدقيقة والكاملة وتنظمها بصورة تمكن من الافادة الدائمة منها ، وتيسر توصيلها الى كل من يطلب الاستفادة العلمية بها . كما يوفر كل مركز مكتبة متخصصة قادرة على أن تفى بحاجات الباحثين كلما أمكن ، وتعد السجلات العلمية للمفكرين المسلمين القدامى والمحدثين ، وتعمل على الاضافة الدائمة بحيث تغطى بالتعريف والتوضيح كل رجالات الفكر الاسلامى فى مجالاته المختلفة ، كما تحرص تلك المراكز على أن توفر المعلومات المبسطة عن الاسلام ، الصالحة للطفل أو التى يطلبها الشباب ، بحيث تلبى احتياجات كل سن ، وتتمشى مع مراحل النمو الجسمى والعقلى للنشء المسلم ، وتهتم أيضا بزيادة معرفة الانسان العادى بالعلوم الاسلامية ، والتاريخ الاسلامى ، وتنقى تاريخنا من الخرافات والاسرائيليات . كما توفر ما يصلح للرد على الغزو الفكرى ، أو دعاوى التبشير علاوة على انشاء أقسام الوثائق التى تضم صورا للمخطوطات والوثائق ، وتضم الاحصائيات اللازمة للمتخصصين ، لأننا نفتقر اليوم الى الكثير من ذلك ولا نجد احصائية دقيقة عن تعداد السكان المسلمين فى العالم ولو بصورة اجمالية ، ناهيك عن الاحصاء النوعى والتعداد العلمى الدقيق .

ان انشاء تلك المراكز سيحقق هذه الغايات ، وسيكون وسيلة للربط بين الباحثين فى الاسلام بعقد اللقاءات والندوات العلمية بينهم ، كما سيؤدى الى خلق جيل من الباحثين المسلمين ، ويوجه أنظار الشباب المسلم الى البحث العلمى فى المجالات المختلفة للفكر الاسلامى ويحفز جهدهم ، وييسر الصعاب أمامهم ، ويقدم لهم كل عون ممكن فى سبيل أن ينهضوا بعبء تطوير مجتمعهم ، وحمل رسالة الاسلام فى عصرهم ، لينقلوا الامانة كاملة وميسرة لأجيال كثيرة تأتى من بعدهم تعتز بما نقل اليها ، وتجد الأمر ميسورا لحمله ، والطريق مذللة للاضافة اليه .

ويمكن عن طريق قاعات البحث التى توجد فى تلك المراكز ، والتى ستكون ميدانا للتدريب العملى على البحث ، أن نستفيد بالخبرات الاسلامية والكفاءات العلمية النادرة التى تتمثل فى كبار رجال الفكر الاسلامى الأحياء الآن أمد الله فى عمرهم ، وبارك فيهم ، وأثمر فى غرسهم ، ومكننا من الاستفادة بهم وبعلمهم . وتتم هذه الاستفادة عن طريق وجود هيئة علمية دائمة للبحث داخل كل مركز تضم نخبة من المفكرين المسلمين ، يلتقى بهم الشباب ، ويبحث معهم ، ويأخذ عنهم ، ويستفيد من توجيهاتهم ، وملاحظاتهم ، كما يمكن الاستعانة بجميع الاساتذة المسلمين على نظام الاستاذ الزائر ونظام تبادل المعلومات والمطبوعات ويجب أن يهتم كل مركز بذلك ، ويضيف اليه أن يصدر دورية علمية تتضمن أبحاثه الجديدة ، وتعرف بالفكر الاسلامى ، وقضاياه ، كما تعرف بالباحثين المسلمين الجدد وتتبنى أبحاثهم ، ويمكن لكل مركز أن يقدم من المعونات بقدر ما تساعده ظروفه .

بهذا نكون قد قدمنا شيئا لديننا وأمتنا ولاجيالنا القادمة ، وتكون تلك الأجيال معبرا حضاريا يتطور خلاله الفكر الاسلامى ، وتنتقل منه الحضارة الاسلامية ، كما تكون تلك الأجيال اضافة حقيقية من المسلمين للفكر ومن الاسلام للبشرية .

مكتبة المجلة

اعداد : الاستاذ عبد الستار فيض

الديـــــوان

فى سنة ١٩٢١ لاحظ الاستاذان عباس محمود العقاد ، وابراهيم عبد القادر المازنى ، أن ريح الأدب راكدة ، وأن المقاييس الأدبية والفنية بحاجة الى التصحيح والتقويم ليتبين للناس الرشد من الغى فى مناهج الأدب والفكر ، فتعاهدا على تأليف كتاب فى النقد والأدب سمياه (الديوان) ، وقالا انه سيكون فى عشرة أجزاء تصدر تباعا ، ثم أصدرا الجزء الاول من هذا الكتاب وألحقاه بالثانى ، ثم سكت العقاد والمازنى . ولم يقدما بقية الاجزاء العشرة ، ومضى على هذا السكوت سبع وأربعون سنة عادت فيها ريح الأدب الى الركود ، واختلت المقاييس الأدبية والفنية اختلالا بينا ، لذلك قامت الحاجة الى وصل ما انقطع من سلسلة كتاب الديوان لتتم الأجزاء العشرة فتطوع الاستاذ العوضى الوكيل ليحمل هذا العبء وقام بكتابة الجزء الثالث من الديوان ، وهو الذى بين أيدينا ويتكون من ٤٨ صفحة ، ومن طبع ونشر مطبعة وادى النيل بالقاهرة .

عبير من دمشق :

ديوان شعر للشاعر السورى عدنان مردم بك ، يحتوى على العديد من القصائد الرائعة فى وصف الآثار والطبيعة وفى وصف الصور الحية لبائع العرقسوس ، وشواء الذرة ، وصانع الزجاج ، والحائك ، والخزاف ، والحمال ، وغيرهم من المعذبين فى الأرض ، كذلك احتوى الديوان على الكثير من تأملات المؤلف الروحية كما أنه اختتمه بقصائد تاريخية عن وقائع نور الدين زنكى ، وموقعة حطين ، وأمثال ذلك ، والكتاب يقع فى مائتى صفحة ومن طبع ونشر دار عويـدات ص.ب ٦٢٨ بيروت ـ لبنان .

قطرات من نور الهداية :

صفحات خالدة وتفسيرات كاملة لأركان ديننا الاسلامى الحنيف سلك مؤلفها الاستاذ محمد أبو عجوة عبد المطلب فى تأليفها مسلك التسلسل والعمق دون اسفاف أو تعقيد لتكون منهلا ينهل منه الجميع ما يرغبون من لمحات الهداية .

وهذا الكتاب يضع أمام المسلم صورة لبعض تعاليم الاسلام وجملة من آدابه يقع فى أكثر من مائة صفحة ومن طبع مطبعة الحرية بالزقازيق ـ ج.ع.م.

المؤتمر والمهرجان بين بغداد والبصرة

الكتاب السادس من سلسلة الثقافة العامة التى تصدرها وزارة الثقافة والاعلام بالعراق بقلم الاستاذ العوضى الوكيل كتبه عن مؤتمر الادباء السابع ومهرجان الشعر التاسع اللذين انعقدا فى بغداد والبصرة بالجمهورية العراقية فى ابريل / نيسان ١٩٦٩ م .

ولم تكن كتابة المؤلف استعراضا خالصا لما قيل فى المهرجان ولا نقدا خالصا له ، ولكنه جمع بين الاتجاهين كما أنه ألحق بالكتاب خمس قصائد مما ألقى فى المهرجان ويحتوى الكتاب على (١١٢ صفحة) ومن طبع مطبعة الجمهورية ـ ببغداد .

ابن باديس والإنسان العربي

للأستاذ : عبد الحليم عويس

أستاذ التاريخ والحضارة بثانوية ابن باديس — الجزائر

فى الساعة الثامنة من صباح السادس عشر من ابريل من العام المسيحى الحالى (١٩٧٠ م) انطلق ثلاثة عشر مليونا من أعضاء الامة العربية يترجمون فى الذكرى الثلاثين بكل لغات القول والفعل عن مظاهر التبجيل والحب والوفاء لرجل من رجالات الاسلام وعلم من أعلام البعث العربى ، وضمير من ضمائر اليقظة ، وداعية من دعاة الحل الاسلامى لأزمة الانسان العربى الحضارية .. نعم .. انطلقت هذه الملايين القابعة فى الشمال الافريقى ، وانطلقت من ورائها أمة الاسلام تبكى بقلبها المكلوم ذلك الرجل الذى انطلق من بين آلاف الظلمات الاستعمارية ، ومن خلف أسوار (الفرنسة) الرهيبة ليعلن للعالم بأعلى صوت :

«ان هذه الامة الجزائرية الاسلامية ليست هى فرنسا ، ولا يمكن أن تكون هى فرنسا ، ولا تريد أن تصير فرنسا . ولا تستطيع ان تصير فرنسا ولو ارادت بل هى أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد فى لغتها وفى أخلاقها وفى عنصرها وفى دينها .. لا تريد أن تندمج ، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائرى بحدوده الحالية المعروفة » .

ان احدا لا يستطيع أن يمنح هذه الكلمات قيمتها التاريخية الحقيقية الا اذا عاش الواقع الجزائرى الحالى ، ورأى عن كثب بصمات فرنسا الاستعمارية التى لا تزال تفرض نفسها بعد ثمانية أعوام من الاستقلال .

بصمات تتجلى فى (استعمار خلقى) يجعل من الخمر والميسر والعلاقات الجنسية الملوثة عادات شخصية تدل على التطور ، وتعمق معنى الحرية الفردية ..

بصمات تتجلى فى (استعمار عقدى) يتمثل فى تلك الخرافات التى انتشرت حتى طمست حقائق الاسلام كقوة حركية قادرة على استيعاب واقع الانسان العربى وقيادة طريق مستقبله .

بصمات تتجلى فى (استعمار لغوى) يتمثل فى لسان ذلك الانسان الجزائرى الذى يبكى قلبه حين يريد أن يترجم عن خلجات فؤاده بالعربية فيتعثر به اللسان ، فلا يملك الا أن يلعن الاستعمار ..

هذه البصمات وتلك تتناثر هنا وهناك يلعنها الجزائرى المسلم فى أعماقه المسلمة العربية ، ويترجم عنها بلسانه الذى يتأرجح بين العربية والفرنسية ، ويحاول جهده التخلص منها كبقايا استعمارية ، ويتجشم فى سبيل ذلك ما لا يعلم مداه الا الله ، وكل ذلك الصراع مع كل هذه البصمات لا يزال يدور بعد ثمانية أعوام من نزوح فرنسا رسميا عن الجزائر ، ومن وجود نظام يجعل العربية لغة الدولة الرسمية ، ويستعمل كل نفوذه لنشرها ، ويحترم الاسلام ، ويفرض له مكانته التى نرجو أن تنمو وتتقدم . .

نعم . . كل ذلك يدور فى هذه الايام — مع هذه الوضعية الاخيرة — فكيف اتيح لرجل من الناس منذ أكثر من أربعين سنة أن يكتب هذا الكلام فى صحيفته العربية التى يصدرها رغم أنف الاستعمار !!

طاقة اسلامية :

من خصائص هذا الدين انه قادر على الانبعاث من اشد ظروف الهزيمة المادية والنفسية ، و (صلاح الدين) فى التاريخ الاسلامى ليس فردا بذاته ، وانما هو ظاهرة تاريخية تتكرر فى مراحل الوجود الاسلامى كلما تطلب الامر ذلك .

ولو أن هذا الدين يجرى على سنن القواعد البشرية العادية دون أن تحميه من الخارج قوة تظهر له بين الحين والحين (صلاح الدين) يجدد ما كاد يندثر من أمره ، ويرفع بين الناس راية حضارته لأمكن أن تندثر حضارة هذا الدين منذ قرون عديدة !!

. . . انى أرفع صوتى بهذا الكلام لأشير الى حقيقة هامة هى انى لا أريد أن أكتب عن ابن باديس احياء لذكراه فى النفوس أو اعترافا بفضله على العروبة والجزائر فحسب ، وانما أكتب عنه ليعلم الذين رأوا واقع هذه الامة رؤية السائح المتفرج — بعد هزيمتها الاخيرة — فلم يحاولوا رفع راية أمل ولا التضحية فى سبيل كلمة حق ، وانما انطلقوا يزرعون بذور الهزيمة الابدية ويروجون لأفكار التحلل والاستسلام . . نعم انى أتكلم عن ابن باديس ليعلم هؤلاء — اذا كانوا يجهلون — حقيقة ما يتمتع به هذا الدين من أصالة حضارية ، وليعلموا أيضا سيرة رجل آمن بالعمل قبل القول وآمن باسلامه وعروبته ، وانطلق منهما على نحو ايجابى ثورى ينتشل شعبا كان قصارى أمل بعض مثقفيه أن يجدوا أنفسهم فى مستوى بشرى متقارب مع الاستعمار السيد ، ولم يكن أحدهم يحلم — مجرد الحلم — بامكان وجود جزائر اسلامية عربية ذات كيان دولى خاص وذات رسالة فى محيط العالم الاسلامى والعالم العربى على حد سواء !!

فى قسنطينة :

ولد الامام ابن باديس (الشيخ الرئيس) سنة ١٨٨٩ م فى مدينة قسنطينة — اكبر مدن الشرق الجزائرى — وأبدع مدن الجزائر على الاطلاق من حيث الموقع الطبيعى ، واشهرها من حيث احتضانها القديم للثقافة الاسلامية ، وانجابها لكثير من قادة الفكر الاسلامى فى الجزائر ، وكذلك كثرة الآثار الاسلامية بها . .

لقد كانت قسنطينة — طيلة عهد الاستعمار الفرنسى بالذات — طليعة مدن

الجزائر كفاحا فى سبيل الثقافة الاسلامية والعربية .. وقد ساهمت بطائفة ممتازة من العلماء والمفكرين المسلمين كسيدى عمار بن شريط القسنطينى المفتى وسيدى محمد الشاذلى القسنطينى ، والشيخ الفاضل عبد الحفيظ الهاشمى الذى أصدر من قسنطينة فى عهد الاستعمار أكبر جريدة عربية يومية (النجاح) .. وقد صدرت فى قسنطينة كذلك جريدة (المنتقد) بقيادة مجموعة من علماء الاسلام .. ومن قسنطينة كذلك صدرت (الشهاب) مجلة شيخنا ابن باديس التى كانت الصوت الاقوى والاكبر لجماعة العلماء المسلمين ، ولحركة البعث العربى فى الجزائر .

فى قسنطينة هذه نشأ الشيخ الرئيس وترعرع وتلقى علومه ، ثم تخرج من الزيتونة عام ١٩١٢ م ، ولم يلبث أن قام بالحج الى بيت الله الحرام ــ شأنه شأن الامير عبد القــادر ــ حيث استغل هذه الرحلة الدينية فطــاف بالمشرق والمغرب ، وأتيح له أن يعرف من أمراض المسلمين الشىء الكثير ، فعاد الى الجزائر عازما على الاصلاح وفق منهج اســلامى تكونت أبعاده فى ذهنه من مجموعة من المؤثرات الهامة صدر بعضها عن الواقع ، وصــدر بعضها عن الثقافة التى تشبع بها الشيخ ، وصدر بعضها عن الروح الاسلامية الجديدة التى أشاعها فى سماء العالم الاسلامى السيد جمال الدين الافغانى وتلميذه وصديقه الشيخ محمد عبده خاصة وأن الشيخ محمد عبده قد زار الجزائر سنة ١٩٠٣ م وأصبح ذا تأثير كبير فى نفوس المثقفين والوطنيين الجزائريين ..

الكفاح الاسلامى الجزائرى :

لكى نعطى حركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التى اسسها الشيخ الرئيس مكانتها التاريخية الحقيقية فى قصة الكفاح الاسلامى الجزائرى .. يجب أن نربطها ربطا موضوعيا بقصة الكفاح الاسلامى فى الجزائر كلها ..

وفى الحق فان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم تك الا تجسيما حيا ومنظما لقصة كفاح الاسلام فى الجزائر منذ سنة ١٨٣٠ م .

ولسنا نتحيف حقائق التاريخ اذا ما ذكرنا أن (العنصر الاسلامى) كان هو العنصر الوحيد البارز فى انقــاذ الجزائر من المصــير الذى آلت اليه الاندلس ..

واذا ما استثنينا الطابع الاسلامى الذى امتازت به حركة الامير عبــد القادر فاننا نجد كل بواكير النضال ضد فرنسا قد حملت البصمات الاسلامية .. ولئن كانت حركة (نجم شمال افريقيا) التى ظهرت سنة ١٩٢٥ م كأول حركة ثورية تنظيمية ضد الوجود الفرنسى فى الجزائر .. لئن كانت هذه الحركة هى أول محاولة تنظيمية ضد فرنسا ظهرت فى دور الكفاح التنظيمى فان هــذه الحركة ذاتها كان العنصر الاسلامى محركا قويا لها حتى أنها تماشيا مع واقعها ، قد أعطت نفسها اسمها الصريح منذ سنة ١٩٣٦ م وأصبحت تدعى (الاتحاد الوطنى للمسلمين المغاربة) ..

على أنه فى نفس التأريخ الزمنى لقيام حركة نجم شمال افريقيا ١٩٢٥ م قد ظهرت جمعيات الاصلاح بوادى ميزاب وكان شعارها : « الدين والخلق قبل الثقــافة ، ومصلحة الوطن قبل مصلحة الفرد » .. ومواكبة لجمعيــات الاصلاح ظهر (نادى الترقى) الذى كان نصيرا كبيرا للثقافة الاسلامية والعربية وداعيا اليها بين الجماهير الجزائرية ..

وفى نفس الموكب الاسلامى الذى يقود معركة انقاذ الجزائر من براثن الفرنسة العاتية ظهرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برئاسة الشيخ ابن باديس معطية كل الاهداف الجزائرية المبعثرة صيغتها التقنينية الواضحة التى تمثلت فى :

☐ مقاومة الادماج والتجنيس وابراز الشخصية الجزائرية .

☐ فصل الدين الاسلامى بكل أجهزته عن سلطة الدولة الفرنسية الحاكمة .

☐ اتاحة الفرصة للتعليم العربى والثقافة العربية ليأخذا مكانتهما اللائقة بهما فى الجزائر .

☐ تربية الشباب الجزائرى تربية اسلامية ، وتكوين طليعة شبابية تقود بعث الجزائر بعثا اسلاميا .

☐ العمل على توحيد كلمة المسلمين والقضاء على أسباب انحطاطهم ..

.. هذه هى جماع أهداف جمعية العلماء التى انطلقت منها — وانطلق منها الشيخ ابن باديس فى محاولة كفاحية لاعطاء الشعب الجزائرى صفته التاريخية الاسلامية .. وسيرا فى الطريق الى تحقيق هذه الاهداف فقد قامت الجمعية بقيادة ابن باديس بتنفيذ الخطوات التالية :

☐ انشاء المدارس العربية والاسلامية وعلى رأسها معهد ثانوى بقسنطينة .

☐ انشاء المساجد والنوادى الثقافية .

☐ ارسال البعثات العلمية الى بلاد الاسلام المتقدمة .

☐ تأسيس الكشافة الاسلامية .

☐ تأسيس جمعية التجار المسلمين .

☐ تأسيس جمعية الفنون الجميلة والموسيقى العربية .

☐ انشاء صحافة عربية واسلامية !!

الشيخ الرئيس ومنهجه الاصلاحى :

على امتداد ما يزيد عن ربع قرن من الزمان من حياة الشيخ التى لا تزيد عن واحد وخمسين عاما كان الشيخ الرئيس — رحمه الله — يقضى سحابة نهاره ومعظم ليله فى (الجامع الاخضر) أو (سيدى قموش) أو (سيدى بو معزة) أو (مدرسة التربية والتعليم) بقسنطينة يعلم ويحاضر ويفسر القرآن ويغرس القيم الاسلامية بكل الطرق المستوحاة من منهج القرآن فى التربية .. لقد آمن الشيخ بشىء عظيم .. لقد آمن بأن مستقبل الجزائر الاسلامى يتوقف على تكوين قيادات شبابية تنصهر فى بوتقة الاسلام ، ويتاح لها أن تتصل بالاسلام من خلال منبعه الثر الصافى (القرآن الكريم) ، ومع أننا نلمح فى هذه الطريقة أصداء (المنهج التعليمى) الذى انتهجه الامام محمد عبده وخالف به طريقة أستاذه جمال الدين الا أننا — اعطاء للصورة حقها — نعترف بأن الشيخ ابن باديس كانت له جولات يغلب عليها الطابع الثورى .. ولقد تمثلت هذه الجولات فى عديد من مقالاته ونظراته التربوية كما تمثلت فى ذلك المؤتمر الاسلامى الكبير الذى جمع فيه ابن باديس شعب الجزائر سنة ١٩٣٦ م ، والذى يتاح له أن يدرس بعمق الوضعية الفرنسية فى الجزائر سوف تتكشف له الاعماق الثورية لهذه المحاولات ، وفى ذات الوقت

سوف تتكشف له نواح كثيرة من نواحى ذكاء وعبقرية الشيخ ابن باديس .

ان الشيخ الرئيس لم يقف عند حدود المحاضرات والدروس فى قسنطينة ، وانما كان دائم التجوال والانخراط فى كل التجمعات التى يستطيع من خلالها أن يغرس القيم التى يؤمن بها .. وتحقيقا لأكبر أرضية يمكن أن تصل اليها هذه القيم فقد شجع الشيخ الصحافة العربية والاسلامية التى كانت تجد كل عنت من السياسة الفرنسية وعملائها .. ومن هنا فقد قام الشيخ نفسه باصدار مجلة (الشهاب) وجريدة (التقدم) كما ساعد فى تحرير جريدة صديقه الشيخ البشير الابراهيمى (البصائر) وفى مجلات السنة ، والشريعة ، والصراط ، وجريدة المرصاد .. وغير هذه وتلك من المجلات والجرائد التى تسير مع طريق الشيخ وطريق جمعية العلماء المسلمين ..

لقد كان الشيخ الرئيس يؤمن بتكوين (الفرد) ايمانا مطلقا ، ويرى أن (الفرد) أساس المجتمع الصالح ، ومن هنا فقد عكف على الدروس والمحاضرات وعمل على الاتصال المباشر بتلامذته ، وتكوين علاقات فردية يستشف من خلالها روح الفرد ، ويتمكن من التأثير فيه ــ وهذا المنهج مع قربه من منهج الشيخ محمد عبده لكنه كان عماد منهج جمال الدين فى نفس الوقت ــ بيد أنه من جراء هذا المنهج الذى الزم الشيخ به نفسه ، فانه كان يرفض أية جولات دعائية أو (مؤتمراتية) خارج الجزائر وكل ما هو من هذا القبيل كان يحيله الى صديقه الشيخ البشير الابراهيمى .. كما أنه من جراء هذا المنهج سالف الذكر لم يتوفر له أن يترك آثارا علمية ضخمة ، وكل الآثار التى ظهرت بعده هى من صنع تلامذته الذين حضروا عليه دروس قسنطينة طيلة خمسة وعشرين عاما .. وربما كان من أبرز آثاره التى جمعها تلامذته بعده (تفسير ابن باديس) وهو تفسير عصرى لبعض الآيات القرآنية التى ألقاها الشيخ كدروس فى (حلقات الذكر) التى كانت تعقد فى (الجامع الاخضر) .. وقد جمعها تلميذه (أحمد أبو شمال) لكن حالت ظروف دون نشرها كاملة ، ثم وفق الله الاستاذين : محمد الصالح رمضان ، وتوفيق محمد شاهين فقاما بنشرها خير قيام .. كما قام الاستاذ محمد صالح رمضان وحده بنشر بعض آثار الامام الاخرى فى كتاب أسماه (العقائد الاسلامية) من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، ثم وفق الله احد تلامذته أخيرا وهو الاستاذ محمد الطاهر فضلاء فجمع كثيرا من مقالاته وخطبه بين سنوات (١٩٣٢ ــ ١٩٣٩ م) ونشرها بعنوان قال الشيخ الرئيس .. وتحت الطبع الآن كتاب (التربية الاخلاقية عند ابن باديس) للأستاذ الكبير (تركى رابح) ..

وفى الحق لا تزال آثار كثيرة من آثار الامام حبيسة أضابير كثير من تلامذته المنتشرين فى انحاء الجزائر الآن ، ولا تزال بعض آثار الشيخ فى حاجة الى تحليل موضوعى . .ولعل هؤلاء الذين أتيح لهم أن يتنفسوا فى مناخ الشيخ وأن يعيشوا فى ظلاله ــ أطال الله أعمارهم ــ لعلهم يبادرون ــ فى ذكراه الثلاثين ــ باعطاء (ابن باديس) الفكرة و (ابن باديس) الثورة و (ابن باديس) التاريخ والحقيقة .. بعض ما يستحقه (ابن باديس) الظاهرة التاريخية الفذة من درس وتحليل وحفظ .. انهم بذلك يمنحون شجرة الفكر الاسلامى بعض أوراقها اليانعة ، ويمنحون الاجيال العربية والاسلامية الجائعة غذاءها الذى لا يصح جسمها الا به ..

رحم الله ابن باديس ، وأقال الامة التى عمل من أجلهــا من عثراتها ، وهداها الى الطريق المستقيم .

مائدة القارئ

« وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم » .

صدق الله العظيم

المشورة فى الحرب

أتى قوم من العرب شيخا لهم قد أربى على الثمانين ، وأهدف على التسعين ، فقالوا له : ان عدونا استاق انعامنا ، فأشر علينا بما ندرك به الثار ، وننفى به العار .

فقال : الضعف فسخ همتى ، ونكث ابرام عزيمتى ، ولكن شاوروا الشجعان من ذوى العزم ، والجبناء من ذوى الحزم ، فان الجبان لا يألو برأيه ما يقى مهجكم ، والشجاع لا يألو برأيه ما يشيد ذكركم ، ثم اخلصوا من الرأى بنتيجة تبعد عنكم معرة نقص الجبان وتهور الشجعان ، فاذا نجم الرأى على هذا كان أنفذ على عدوكم من السهم الصائب والحسام القاضب .

شيخ الاسلام

لقب ظهر فى النصف الثانى من القرن العاشر ، وكان مقصورا على العلماء والمتصوفة ، لقب به فى القرن الحادى عشر رأس فقهاء الشافعية فى خراسان (اسماعيل ابن عبد الرحمن) ومن بعده (فخر الدين الرازى) وأصبح اللقب فى مصر والشام لقب تشريف، وليس لقبا رسميا ، وكان ذلك فى أوائل العهد المملوكى .

وأطلق هذا اللقب على مفتى الاستانة ثم ألغى سنة ١٩٢٢ .

رجل الشرطة

قال الحجاج بن يوسف : دلونى على رجل للشرطة ، فقيل له : أى رجل تريد ؟

قال : أريد رجلا دائم العبوس ، طويل الجلوس . سمين الامانة أعجف الخيانة .

فقالوا : عليك بعبد الرحمن التميمى ، فأرسل اليه ، فقال له عبد الرحمن : لست أعمل لك عملا حتى تمنع من الدخول على ولدك وأهل بيتك وحاشيتك .

فقال : لك ذلك . يا غلام ناد : من دخل عليه أو طلب اليه حاجة منهم فقد برئت منه الذمة .

اعداد : أبو نـــزار

((لما كذبتنى قريش فى الاسراء قمت فى الحجر ، فجلى اللــه لى بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته ، وأنا أنظــر اليه)) .

حديث شريف

العصـــا

سئل أعرابى عـــن عصاتــــه فقال :

أركزها لصلاتى ، وأعدهــــا لأعدائى ، وأسوق بهـــا دابتى ، وأقوى بها على سفرى ، وأعتمد عليها فى مشيتى ليتسع خطوى ، وأعبر بها النهر فتؤمننى ، وألقـــى عليها كسائى فتسترنى من الحر ، وتقينى من القر ، وتدنى ما بعد منى وهى محمل سفرتى ، وعلاقـــة أدواتى ، ومشجب ثيابى . أعتمد بها عند الضراب ، وأقرع بهـــا الأبواب ، وأتقى بها عقور الكلاب ، تنوب عن الرمح فى الطعـــان . ورثتها عن أبى ، وأورثهـــا بعدى ابنى ، وأهش بها على غنمى ، ولى فيها مآرب أخـــرى كثيرة لا تحصى .

أربـــع كلمـــات

خرج الزهرى يوما من عنـــد هشام بن عبد الملـــك فقال :

ما رأيت كاليوم ، ولا سمعت كأربع كلمات تكلم بهم رجل عنـــد هشام . دخل عليـــه فقال له :

يا أمير المؤمنين احفظ عنى أربع كلمات ، فيهم صلاح ملكك واستقامة رعيتك ، قال : هاتهن . قال :
لا تعـــدن عدة لا تثق من نفسك بانجازهـــا .

ولا يغرنك المرتقى وان كـــان سهلا اذا كان المنحدر وعـــرا .
واعلم ان للأعمال جزاء ، فاتق العواقب ، وان للأمور بغتـــات فكن على حذر .

فقيـــرة تشكـــو

خرج الخليفـــة المهـــدى بعـــد هدأة من الليل يطوف بالبيت ، فسمع أعرابية من جانب المسجد تقـــول : قوم متظلمون ، نبت عنهم العيون ، وفدحتهم الديـــون ، وعضتهـــم السنون ، باد رجالهم ، وذهبت أموالهم ، وكثر عيالهم ، أبنـــاء سبيل وأنضاء طريق . وصية الله ووصية رسول الله ، فهل آمـــر بخير كلأه الله فى مقره ، وخلفه فى أهله .

فأمر الخليفـــة نصرا الخادم ، فدفع اليها خمسمائة درهم .

ركن الموسوعة الفقهية

تحرره : إدارة الموسوعة

الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على الصعيد العالمى

تحدثنا فى الأعداد السابقة عن عدة مجالات قانونية دولية ، وبينا مدى الحاجة الماسة الى موسوعة الفقه الاسلامى بالنسبة الى تلك المجالات . ونختم اليوم ببيان مجال جديد هو مراكز الاعلام القانونى التقليدى والآلى .

كانت الطريقة السائدة حتى عهد قريب فى ترتيب المعلومات ليسهل الرجوع اليها هى ما يعرف بالفهرسة بأنواعها وأساليبها المختلفة التى يمكن معرفة تفاصيلها من الكتب المتخصصة فى هذا الميدان .

ثم حدثت ثورة حقيقية فى هذا الميدان بعد ما كثرت الكتب والمجلات والوثائق والمعلومات التى ينبغى على الباحثين الرجوع اليها ، وأصبحت الوسائل التقليدية لا تفى بالغرض ولا تسعف الباحث ، وتقدمت الآلة تعرض خدماتها على الانسان فى هذا الميدان ، واذا بامكانياتها الضخمة تيسر ما كان يصعب على الانسان عمله وتنجزه بسرعة مذهلة ، بل وتقوم بما لم يكن بوسع الانسان أن يقوم به ولو تضافرت الجهود وامتد الوقت .

وليس هنا مجال شرح الدور الذى تقوم به الآلة فى هذا المجال ويكفى أن نشير الى البحث القيم الذى نشرته مجلة « عالم الفكر » التى تصدرها وزارة الارشاد والانباء فى الكويت فى عددها الثانى بعنوان « العقول الالكترونية » للدكتور صلاح الدين طلبة ، ففيه البيان الوافى لانواع هذه الآلة وطرق عملها ومجالات استخدامها .

وينبغى فقط أن نضيف هنا أن استخدام هذه الادمغة الالكترونية قد بدأ فى ميدان القانون منذ عدة سنوات ، وأصبح الآن منتشرا فى العديد من كليات الحقوق ، وادارات المحاكم ، والشرطة ، ومراكز الاعلام ، ومكاتب المحامين ، ومعاهد البحوث القانونية ، وادارات الضرائب ، والمنظمات الدولية فى أوربا وأمريكا والدول الشيوعية .

ويختلف البرنامج الذى تقوم به الآلة من حالة الى حالة وفقا للغرض الذى أعدت لتحقيقه : فهى أحيانا تجمع القوانين واللوائح ، وأحيانا أخرى تجمع السوابق القضائية ، وفى حالات ثالثة تجمع المعاهدات الدولية .. الخ .

ثم ان مهمتها تقتصر أحيانا على اعطاء المعلومات التى لقنتها دون

« اعمـــال فكر »(١) ، وفى حالات أخرى تعطى نتيجة معينـــة أو رأيا معينا جوابا على السؤال الذى يلقى اليها .

وحتى لا يتشعب بنا الحديث فى هذا المجال المستحدث الطريف فاننا نقتصر على ما يختص بمراكز الاعلام القانونى التى تهتم بجمع القـــوانين على الصعيد الدولى ، والتى يكون من الطبيعى أن تشـــــمل الشريعة الاسلامية ضمن برامجها .

بدأ الاهتمام بتوسيع نطـــاق عمل الادمغـــة الالكترونية فى ميـــــدان القانون الى الصــــــعيد الدولى فى جامعة واشنطن التى شمل برنامج « دماغها الالكترونى القانونى » الى جانب معـــــاهدات الامم المتحدة ، مجموعة من الدراســــات القانونية المقـــارنة عن عدة دول علاوة على سلسلة من الاتجاهات ذات التوسع العالمى .

غير أن الفكرة أخذت صـــورتها الكاملة حينما أوصى « مركز السلام العالمى بواسطة القانون » بانشـــاء مركز دولى للاعلام القانونى فى جنيف يتســـــع لتخزين كافة المعـــاهدات والتشريعات والاحكام وغير ذلك من المواد القـــــانونية من كافة النظم القانونية ، ومن كافة بلدان العـــالم ليكون فى خدمة رجل القانون من أى بقعة فى العالم ، مستعينا بوسائل الاتصالات الحديثـــة من « فيلكس » وغيرها ..

أما عن نطاق الاستفادة من هذا المركز الاعلامى القانونى فســـتتسع للمحامين (وعددهم فى العــــالم حوالى مليون) والقضاة (وعددهم فى العــــالم حوالى ٣٠٠٠ر٠٠٠) وللحكومات (حوالى ١٢٥) والمنظمات الدوليـــــة (يبلغ عددها الالوف) وأساتذة القانون (حوالى ٦٠٠٠ فى العــــالم لحوالى ٦٠٠ كلية حقوق و ١٠٠٠ر٠٠٠ طالب حقـــــوق) والشركات ذات النشــــاط الدولى (يبلغ عدد القـــانونيين فيها حوالى ١٥٠٠ر٠٠٠) وعـــدد غير قليـــل من الجمعيات والمنظمات الخاصة .

ان دخول الشريعة الاســـــلامية ضـــمن برنامج هذا المشروع يتوقف الى حد كبير على مدى تنظيم احكامها وسهولة معرفتها ..

واذا ظلت أحكام الفقه مبعثرة فى بطون الكتب القديمة ، حيث تجدها فى غير مظـــــانها ، وحيث يختلف ترتيبها ، بل ومصــــــطلحاتها ، من مذهب الى مذهب ، وحيث لا يجمعها عرض مقارن موحد ، وحيث لم تمتد يد الفهرسة والتنظيم الشـــكلى الى كتبها .. اذا ظلت أحكام الفقه على هذه الحــــال ، فالعذر كل العذر للقائمين على مشروع مركز الاعلام القانونى اذا أغفلوا ادخالها ضـــمن برامجهم ، اذ كيف يتســـنى لهم حل رموزها التى تستعصى على الكثيرين من أبنـــاء العربية المثقفـــين بل والمتخصصين ..

لذلك كان مشروع الموســـوعة الفقهية ضرورة أساسية وعاجلة ، كى تخرج أحكام الفقـــه من بطون أمهـــات المراجع القديمـــة لتعرض بأسلوب حديث موطأ ميسر مفهوم ، على أســـاس مخططات منطقيـــة واضـــحة ، جامعة لرأى المذاهب المختلفة ، ومقســـمة على فقرات

(١) ومن ثم نرى أن التسمية المناسبة لها هى : (الادمغة الالكترونية) وليس (العقول الالكترونية) على أن تسميتها أيضا (أدمغة) يعتبر ســابقا لاوانه فقد يتبين لزوم تغيير هذه التسمية فى المستقبل ، ولاسيما اذا نظرنا الى معانى أسمائها الاجنبية فى الانكليزية والفرنسية

مرقمة يسهل الاحالة عليها . وهذه كلها من مستلزمات « الادمغة الالكترونية » حتى يمكن تغذيتها بها وتخزينها تمهيدا لتلبية طلبات الراغبين فى معرفة أحكام الشريعة الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها .

من بريد الموسوعة

وصلتنا رسائل عدة منها ما يتعلق بتفاصيل موضوعى الاشربة والاطعمة ، ومنها ما يتعلق بأمور عامة عن خطة الموسوعة ونحن نورد اليوم بعضا من الملاحظات العامة المتعلقة بخطة الكتابة فى الموسوعة شاكرين للاساتذة الذين تفضلوا بالكتابة الينا ملاحظاتهم القيمة ، والتى هى موضع تقدير واعتبار ادارة الموسوعة ..

١ — كتب الاستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور علامة تونس مقترحا « تأليف لجنة مهمتها تدوين المحررات بصورة نهائية ليكون طبع الموسوعة جاريا على أسلوب متحد وليس على هاته اللجنة جناح فى طلب مخاطبة الاساتذة المحررين اذا أشكل شىء من تحريراتهم » .

فنقول : اذا كان مقصود فضيلته لزوم تأليف هيئة تحرير فى جهاز الموسوعة نفسه تحرر فى موضوعاتها الى جانب نظام الاستكتاب من الخارج فهذا حاصل ، وان كانت هيئة التحرير فى جهاز الموسوعة حتى الآن لم تستكمل عدد الاعضاء المحررين المأمول أن تتألف منه . وقد كتبت بالفعل موضوعات للموسوعة عديدة فى هيئة التحرير .

واذا كان مقصود فضيلته لزوم تأليف لجنة مراجعة للموضوعات التى تكتب توحيدا لخطة الكتابة وأسلوبها فهذا واجب حقا ، ولكن لم توجد حتى الآن لجنة مراجعة بهذا المستوى لأسباب خارجة عن ارادة الادارة ، ونأمل أن توجد فى المستقبل . لكن الادارة وضعت خطة تفصيلية للكتابة فى بيانات تعطيها للاساتذة الكتاب ليراعوها توحيدا للخطة والاسلوب ، كما أن الادارة والجهاز العامل معها تقوم حاليا بهذه المراجعة .

٢ — واقترح فضيلته أيضا : « توخى استعمال العبارات الاصطلاحية الفقهية بالاساليب الفقهية دون تغييرها الى التعبيرات المتبعة فى الانشاءات الحديثة » .

فنقول : من خطة الكتابة فى موضوعات الموسوعة — كما هو موضح فى بياناتها الآنفة الذكر — لزوم محافظة الاستاذ الكاتب على عبارات الفقهاء ما دامت واضحة سهلة ، فان كانت معقدة يعسر على غير الفقهاء المختصين حلها وفهمها يجب نقل مضمونها بعبارة واضحة مبسطة . وهذا من أهم المزايا المنشودة فى الموسوعة .

أما الاصطلاحات فقد نصت خطة الكتابة أيضا على لزوم المحافظة عليها ، وما كان منها يحتاج الى شرح ليفهمه القارىء غير المختص فانه يشرح بايجاز فى الحاشية . وادارة الموسوعة تراعى تطبيق ذلك بكل دقة ممكنة .

٣ — وكتب الاستاذ الدكتور أحمد حمدى الخياط الطبيب الجراثيمى بدمشق يقترح « عصرنة الكثير من المباحث (لعله يعنى المصطلحات) لتكون أكثر نفعا فى تثقيف الجيل الحاضر فقهيا . مثال على ذلك : الشروط الموضوعة للخمر المسكرة أنها ماء العنب النيىء بعد ما غلى واشتد ، وقذف بالزبد .. الخ .

يمكن التعبير عن ذلك كله : بالاختصار الذى له أكثر هذه الصفات وأسهل فهمها على من يريد التفقه من المثقفين » .

ونقول : ان هذا الاقتراح على وجاهته يمشى فى اتجاه معاكس للاقتراح السابق . والادارة حريصة على أن تسلك مسلكا وسطا بقدر الامكان يأخذ من كل من هذين الخطين المتعاكسين بطرف : وذلك بالمحافظة على نقل المعايير الفقهية كما نص عليها الفقهاء لأنها معايير ثابتة صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان ، حفاظا على أمانة النقل . وفى الوقت نفسه يذكر ما يمكن أن يقابلها من تعابير عصرية أو علمية حديثة ، لأن (العصرنة) المحض قد تؤدى الى تغيير الصورة الفقهية ، فتظن اخلالا بأمانة النقل ، واجتهادات جديدة من كتاب الموسوعة .

٤ — وكتب بعض الاساتذة يقترحون « تخريج جميع ما يرد من الاحاديث النبوية الشريفة وبيان درجتها وعزوها الى كتب الحديث الاصلية كالبخارى ومسلم وأبى داود .. دون الكتب المجمعة والمختارة والشروح والمختصرات كنيل الاوطار مثلا .. » .

ونقول : ان خطة الكتابة الموسوعية المبينة فى البيانات المشار اليها تتضمن نصا صريحا على وجوب تخريج الاحاديث وعزوها الى مراجعها الاصلية . وقد طبق ذلك فعلا فى موضوعى الاشربة والاطعمة .. واذا ندر شىء لم يجر تخريجه فهو سهو يستدرك فى الطبعة النهائية . أما العزو الى كتب الفقه دون تخريج وعزو للمصادر الحديثية الاصلية فنبه الى ذلك .

ولكن ينبغى أن يعلم أن الموسوعة لا تتدخل فى الحكم على درجة الحديث من عندها ، وانما تنقل بايجاز ما تقوله المراجع تصحيحا أو تضعيفا ، ولاسيما عند نقل مناقشات الأدله . وكل ذلك بالحدود التى تقتضيها الضرورة ولا تخرج بالموسوعة عن صفتها الفقهية . ويبقى على مريد التوسع والمناقشة التفصيلية أن يرجع الى المراجع الحديثية المعزو اليها والى شروحها .

٥ — كما اقترح البعض عدم التعرض لشرح المعانى اللغوية الا فى حدود الحاجة ، وكذلك عدم الدخول فى شرح مصطلحات غير متعلقة مباشرة بالموضوع ، وعدم الترجمة لبعض الفقهاء ، ولو بايجاز فى الحاشية .

فنقول : ان هذا الاقتراح (فى غير قضية التراجم) يخالف خطة الموسوعة التى يجب أن تكون مغنية للقارىء عن كثير من المراجعات التى يتوقف عليها فهم ما تنقله من أحكام الفقه . أما تراجم الفقهاء فلا شأن للموسوعة بها وقلما يتعرض لها الا نادرا فى الحاشية عندما تلحظ حاجة القارىء الى معرفة شىء عن الفقيه المار ذكره .

وقد وقع ذلك فى ترجمة مقتضبة للشيخ عبد الغنى النابلسى فى موضوع الاشربة (ف/٩١) .

على أنه قد يرى تخصيص جزء فى آخر الموسوعة للتعريف الموجز بالفقهاء على أساس الترتيب الابجدى لاسمائهم .

٦ — لاحظ الكثيرون أن حروف الطباعة كبيرة الحجم (حجم ٢٤) واقترحوا استعمال حجم (٢٠ أو ١٦) .

فنقول : ان هذه الملاحظة واردة .. وقد كانت ضخامة الحرف فى موضوعى الاشربة والاطعمة اضطرارية ، وسيعدل الى حرف أصغر حجما فى الموضوعات المقبلة .

أجنادين بين داهية العرب وداهية الروم

للأستاذ : أحمد محمد السفاريني

الفصل الأول
ــ المشهد الأول ــ

فى ساحة المعركة ، يبدو الفريقـان (جيش المسلمين وجنود الروم) وقد أشتد أوار المعركة بعد أن استمرت أياما . أحد جنود المسلمين يقول لرفيقه : لقد اختلت صفوف الروم ، أنظر اليهم يتطايرون كالذباب فرقا وهلعا .

الجندى الآخر : ألم تر أن جثث صرعاهم ملأت السهل ؟ ولا شك أنهم أيقنوا بالهزيمـة .

الأول : انه وعد اللـه عباده بالنصر ، ومن أوفى بعهده من اللـه يا سعيد .

صوت القائد عمرو بن العاص يرتفع فى المسلمين : أيها المسلمون ، يا جند اللـه ، شدوا على عدوكم ، فان الوهن قد حـل بهم وأصابتهم الذلـة ، واصـدقوا اللـه ما وعدتموه فانكم الغالبون باذن الله .

(صيحات الجنود تتعالى : الله أكبر ، الله أكبر) .

الجندى الأول : شكرا للـه ، ها هم يتراجعون عن مواقعهم ، ولا أراهم الا فارين شراذم يطلبون النجاة قانعين بالهزيمـة .

الثانى : أجل ، أجل يا سعيد لقـد انكشف قلب هجومهم ، وها هـى الميمنـة تنهـار والميسرة تولى الادبـار . الله أكبر .

عمرو بن العاص ينادى فـى الجيش : دعوهم يفرون ولا تلاحقوهم أيها الجنـد ، اجمعوا غنائمكم ، وأدفنوا شهداءكم ، ثم عودوا الى معسكركم وخذوا قسطكم مـن الراحة .

عمرو بن العاص : يا عبد الله ، خـذ خمسين من الجنود وأصعد الى أعالى تلـك الهضاب التى أمامنا ، واستقصوا لنا أخبار العدو ، وطبيعة المنطقـة ، وراقبوا القلعة فى أجنادين .

عبد اللـه : أمر القائد عمرو مطـاع ، ولسوف نتعقب فلولهم الى أسوار القلعة .

عمرو : ما لهذا ندبتك يا عبد اللـه ، وانما أريدك أن تختار للجند معسكرا يشرف على القلعـة .

عبد اللـــه : كما ترى أيها القائد ، سأرتاد المنطقـــة وآتيك بالخبر .

عمرو : وأنتم أيها الجند ، تهيأوا للانتقال الى المعسكر الجديد .

(ينادى حارس خيمته) يا عامر .

عامر : لبيك أيهـــا القائد .

عمرو : أدع لى قادة الجيش فى الحال .

عامر : (مناديا) الى فسطاط عمرو بن العاص يا قادة الجيش .

(يدخل القادة فيسلمون على عمرو ثـــم يأخذ كل منهم مكانه) .

عمرو : ان هذه القلعـــة التى آوى اليهـــا قائد جيش عدونا ، أصبحت تتحدانا ، ولا بـــد من فتحهـــا .

أحد القادة : أمن أجل هذا دعوتنا أيهـــا الأمير ؟

عمرو : أجل وهل لى سواكم من سلاح ألقى به عدو اللـــه وعدو المسلمين .

الثانى: سنهاجم القلعـــة وننقض سورها حجرا حجرا .

عمرو : وكيف نهاجمها وهم قد تحصنـــوا فيها ؟ وفى ذلـــك تعريض الجند للمشقـــة والهـــلاك ؟ !!

ثالث : اذن نحاصر المدينة ، حتى تنفذ مـــن مخازن المحـــاصرين الأقوات فيضطـــرون للاستسلام .

عمرو : ان الأخبار التى عندنا تشير الى أن الشهر والشهرين لا تستنفد أقواتهـــم المخزونـــة !!

الأول : وماذا ترانا فاعلين بهم ؟ !

عمرو : لا بد من استدراجهم حتى يخرجوا الينا ، فنقاتلهم فى معركـــة مكشوفـــة يهزمون فيها .

الثانى : ولكـــن أمر اخراجهم ليس سهلا الى هذا الحد ، وبالقدر الـــذى تتصـــوره يا عمرو ، فان مرارة الهزيمـــة التى ذاقوها تركت فى نفوسهم عقدة لن تحل أبدا ، فكيف السبيل الى ذلـــك ؟

عمرو : أجل أيها القائد . ولكن مهما يكن من أمر فلا بـــد من كسب الوقت الـــذى يضيع بسرعة ، ولا بد من تصفية الروم من أرض فلسطين ، لتفتح الطريق أمامنا الى مصر .

القائد : لننتقل اذن الى محاصرة القلعـــة ونتدبر هناك على مهل ما يمكن أن نفعلـــه .

عمرو : هو ذاك ، فانفر بالجند الى المكان الذى اختار عبد اللـــه ، وابنوا فيـــه معسكركم الجديد .

(المنادى ينادى فى الجيش) : الأميـــر يأمر بالمسير الى المعسكر الجديد ، فسيروا على نظـــامكم .

المشهد الثانى —

(الجيش فى مسيرته الى المعسكر الذى اختاره عبد اللـــه ، ووافق عليه عمرو) .

عمرو : (لعبد الله) : صف لنا موقع المعسكر الذى اخترته يا عبد الله .

عبد اللـــه : اننا اخترنا معسكرنا خلف اهدى الهضاب المطلـــة على أسوار القلعة ، بحيث نستطيع مراقبة الرومان منه ، ولا يطلعون على ما يدور فى معسكرنا أيها القائد وبحيث نسيطر على جميع الطرق المؤدية الى القلعـــة .

عمرو : هذا حسن يا عبد اللـــه ، ولكن قل لى ما أخبار القلعـــة نفسها ؟ وماذا يجرى فى داخلها ؟

عبد اللـــه : انها محصنة بأسوار منيعة ، ورجال الحامية كثيرون على ما يبدو .

عمرو : ليس هذا هو المهم ، هل تبينت شيئا من أخبار القائد ؟ .

عبد الله : أجل أيها الأمير ، فقد قيل لنا أن قائد الحامية هو الأرطبون ، وقد عين قائدا عاما للرومان فى فلسطين كلها ، بعد الهزائم المتلاحقة التى منوا بها .

عمرو : ذاك داهية ، وأمره يتطلب جهدا كبيرا .

عبد اللـــه : ما دمت مع اللـــه فلا تبال ، ان الله معيننا عليه .

(يصل الجيش الى مقرهم الجديد) .

عمرو : دع الجنود يستريحون من عناء الجهد وينصبون خيامهم ، ويأخذون طعامهم .

عبد الله : أيها الجند انصبوا خيامكم ، وهيئوا لأنفسكم الطعام ، والزموا معسكركم

عمرو : أما أنت يا عبد الله فخذ فئة من جندك وطف بهم حول الحصن ، فلعلك تقع على جانب ضعيف نأتيهم منه .

عبد الله : لا عليك أيها الأمير فانى منقب السور عن الثغرات وآت بما يفتح الله علينا ان شاء الله .

عمرو : لا تنس أن تحضر الينا كل من تلقاه فى طريقك فهم يعرفون الموقع ، ويخبرون من أمر الحصن ما يخفى علينا .

عبد الله : اطمئن أيها الأمير ، فالنصر لنا باذن الله .

(يذهب عبد الله مع جنده ويبقى عمرو فى الفسطاط وحده) .

عمرو : أيها الحارس .

الحارس : لبيك أيها الأمير .

عمرو : أين قواد السرايا ؟

الحارس : هم فى خيامهم ينظمون أمور الجند ويتفقدونهم .

عمرو : ادعهم الى فى الحال .

الحارس (ينادى) : يا قادة السرايا ، الأمير عمرو بن العاص يدعوكم الى مجلسه ، فهلموا اليه .

(يتوافد القادة الى فسطاط عمرو) .

القادة : (يدخلون على عمرو) : السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته .

عمرو : وعليكم السلام ورحمة الله . حياكم الله ، وأيدكم بنصر من عنده ، لقد أبليتم فى جهادكم البلاء المحمود .

أحدهم : ذلك بفضل الله عز وجل ، وبفضل قيادتكم الحكيمة أيها الأمير .

عمرو : والآن .. ما عندكم من خطة لفتح هذه القلعة التى احتمى بها عدونا ؟

الثانى : نحن عند رأى الأمير ، وخططه ننفذها بكل ثقة وشجاعة .

الثالث : ان ايماننا الذى لا يتزعزع بربنا يمدنا بالقوة التى لا تغلب ، فمرنا نهجم على القلعة .

عمرو : أنا لا أشك فى مقدرتكم وجرأتكم ، على فعل كل عظيم من الأمور ، وأنا أستشيركم فهل من رأى لدى أحدكم ؟

الأول : الرأى عندنا أن نتسلق الاسوار عليهم فى غفلة منهم .

عمرو : رأى لا بأس به ولكنه صعب التنفيذ، فمن يتسقط لنا أخبار غفلاتهم ، والا كان غير مضمون النتائج .

الثانى : نكيد لهم فنوهمهم أنا مرتحلون ، حتى اذا خرجوا باغتناهم على حين غرة ، وسبقناهم الى باب القلعة .

عمرو : لقد فعلناها بهم أكثر من مرة ، وهم الآن حذرون منها ، ويصعب علينا اقناعهم بذلك .

الثالث : اذن نبعث اليهم وفدا يفاوضهم على الصلح أن كانوا يرغبون فيه بشروط مغرية لهم .

عمرو : ذلك رأى معقول ، نستطيع أن نطلع منه على حالهم وأحوال قلعتهم ، ولا ضير علينا من فشل مفاوضتهم .

الاول : ولكن لماذا نحن متعجلون فى أمر القلعة أيها الأمير ؟

الثانى : ولا علينا فنحن أصبحنا نسيطر على معظم أرض فلسطين ، وآمنون فى الارض التى خضعت لنا .

عمرو : هذه النظرة للأمور ، وخاصة العسكرية منها ، ليست بعيدة ، ولا حكيمة فالحرب سيف ذو حدين ان لم تحسمها بسرعة وفى الوقت المناسب ، جرت المخاطر التى يصعب السيطرة عليها .

الثالث : وما الخطر الممكن حصوله أيها الامير ، وقد أصبحنا سادة الموقف ؟

عمرو : انا نخشى أن يتصلوا بقومهم فى مصر فيرسلوا لهم العدد ، ويتعقد الموقف .

الاول : اذن ، فالأمير عازم على وضع خطة سريعة الأثر .

عمرو : أجل ، وقد أصبحت الآن أميل الى أرسال بعثة التفاوض ، فلعل الله أن يفتح علينا .

الثانى : انها مهمة شاقة ، وصاحبها يجب أن يجمع الى الذكاء وحسن التصرف ، الحكمة والفضل .

عمرو : سنختار أحدكم ليؤدى هذه المهمة فمن ينهض لها ؟

الأول : كلنا يحرص على السبق بها ، وللأمير أن يختار وينتدب من يشاء .

عمرو : لقد وقع اختيارنا عليك يا حماد ، فاذهب وهيىء نفسك .

حماد : انه لفخر لى أن يعهد الى بأمر أرجو أن يكون فيه كل الخير للمسلمين .

عمرو : أريد أن أوصيك بوصية تحفظها فى سفارتك هذه ، فانت ذاهب لمعرفة أسرار العدو لا للبحث معه فى أمر يرضيه ، فوافقهم على الكثير ، وأطمعهم فيما يريدون ، ولكن اياك والغبن .

حماد : لا عليك ايها الامير ، فانى سأبذل فى سبيل ذلك كل جهدى .

عمرو : واعلم أنك ذاهب الى الأرطبون قائد الرومان المخادع الماكر ، الذى لا تنطلى عليه الكثير من الحيل .

حماد : وبم تشير أيها القائد ؟

عمرو : اتبع معه ما اعتدنا عليه فى مثل حالته ، ولا تظهرن عليك الدهشة أو الارتباك .

حماد : اعرض عليه الاسلام ، أو الدخول تحت سلطان المسلمين وذمتهم فان أبى فالجهاد

عمرو : أحسنت يا حماد ، ثم خض معه فى شروطه التى يشترط ولا تقطع بشىء .

حماد : أنا ذاهب اليه ، فليأذن لى الامير بالانصراف .

عمرو : انتظر قليلا حتى نكتب له كتابا تحمله اليه .

حماد : لا داعى للكتاب ما دمت أحفظ دورى وأعرف مهمتى .

عمرو : لا ، يا حماد ، انها عادة السفراء دائما ، أين الحارس ؟

الحارس : لبيك أيها الأمير .

عمرو : هات الدواة والقرطاس .

الحارس : (يحضرهما اليه) هذه الدواة ، وهذا القرطاس .

عمرو : (يكتب الكتاب) بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمرو بن العاص أمير جند المسلمين الى قائد جيش الروم الأرطبون .

سلام على من اتبع الهدى وبعد : أعرض عليكم شروطا ثلاثة : الاسلام ، وتكونون ان استجبتم اليه أخوة لنا ، لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ، فان أبيتم فتدخلون فى ذمتنا تدفعون الجزية ، ولكم علينا الحماية ، وتكونون فى دولتنا أهل ذمة ، فان أبيتم فليس أمامنا بعد الا المناجزة بالسيف .

عمرو : هذا الكتاب سلمه اليه يا حماد ، وقد سمعت ما فيه (بعد أن يقرأه جهرة) .

حماد : سمعا وطاعة أيها الأمير .

عمرو : والآن يمكنك أن تذهب ، واياك وما عليه الحصن وأهله ، رافقتك السلامة وحالفك التوفيق .

الفصل الثانى
ــ المشهد الأول ــ

عمرو بن العاص فى خيمته يقطعها بعصبية جيئة وذهابا ومعه أحد قواده .

عمرو : هل حضر القائد الذى أرسلنا به الى الحصن يا عبد الله ؟

عبد الله : لما يحضر بعد ، ولا أظنه الا قادما عن قريب .

عمرو : ان أخشى ما أخشاه يا عبد الله أن لا يدعه الرومان يفهم شيئا أو يرى شيئا .

عبد الله : وتكون سفارته حينئذ فاشلة .

الحارس : (يدخل الحارس عليهما) لقد حضر القائد الذى ذهب الى الارطبون ، وهو يستأذن فى الدخول .

عمرو : دعه يدخل فنحن فى حاجة الى سماع أخباره .

حماد : السلام عليكما ورحمة الله وبركاته .

عمرو وعبد اللـــه : وعليك السلام يا حماد
عمرو : ما وراءك ، وما الذى جئت به ؟
حماد : لقد ذهبت الى الحصن وقابلـــت الأرطبون وتحدثت اليه .
عمرو : وكيف كان حديثك معه ؟ هل عرفت لنا من أسرار الحصن شيئا ؟

حماد : انهم حجبوا عنى كل شىء . أدخلونى فى سرداب معتم لم أخرج منه الا لمقابلـــة الأرطبون .
عمرو : هذا ما كنت أتوقعه ، وأخشاه ، ولكن ألم أنبهك الى ما يجب عملـــه ؟

حماد : لم أستطع أن أفعل شيئا فقـــد أحاطوا بى ، ولم يدعونى أتجول فى الحصن .
عمرو : ألم أقل لـــك يا عبد اللـــه ؟ فما كل شجاع يتقن السياســـــة ، ويحسن المراوغة .
حماد : كم حاولت ذلـــك فما مكنونى منه أبدا .
عمرو : هذا أمر محير حقا ، ولكن لا بـــد من عمل مجد ، ولكن قل لى : هل فى القلعـــة جنود كثيرون . ؟

حماد : لقد رأيت أكثر من خمسين جنديـــا يقفون على باب مقر الأرطبون .
عمرو : وهل لاحظت على وجوههم تحولا ، أم أنهم صامدون مصممون على القتال ؟
حماد : ما انتبهت الى هذه الملاحظـــة أيها الامير .
عمرو : وكيف كانت معاملتهم لك يا حماد ؟

حماد : كانت بين اللين فى بعض الاحيان والفلظة فى أكثرها .
عمرو : على أية حال ، لا بأس عليك ، اذهب الى خيمتك يا حماد ، وخذ قسطك من الراحة .
حماد : أنا عند رأى أمير الجيش .
(يخرج حماد ويذهب الى فراشه) .

عمرو : أرأيت يا عبد الله كيف خاب السهم الذى صوبناه الى الأرطبون ؟
عبد اللـــه : لقد علمت أن الارطبون داهية الرومان ، وليس من السهل التحايل عليه .

عمرو : كنت أظن أن الأمر لا يحتاج الى جهد جهيـــد .
عبد الله : وعلى ماذا عزم الأمير للخروج من هذه الحال الملة ؟ .
عمرو : لقد طال أمد الحصار ، ولست منتظـــرا بعد الآن .
عبد اللـــه : ولكن لا بد من خطـــة موزونة ومحكمـــة .
عمرو : أما الخطة فهى جاهزة ومفصلـــة ، ولن يصعب علينا كثيرا استبدالها أو تغييرها .

عبد اللـــه : اذن فقد اعتزمت أمرا أراك مصمما على تنفيذه أيها الأمير .
عمرو : أجل يا عبد اللـــه ، ولكنى أريد أن تبقى الخطـــة سرا ، وأن لا يعلم بها أحـــد أبدا .
عبد اللـــه : كما تشاء ، وحتى أنا لا ينبغى لى أن أعلم ؟ !!

عمرو : أما أنت فلا بأس عليك ، فاعلم أننى سوف أذهب بنفسى لمقابلـــة الارطبون .

عبد الله : أنت بنفسك ؟! والخطر الـــذى ينتظرك هناك ؟ انهم ان اكتشفوا أنـــك عمرو فسيقتلونك ؟

عمرو : ان العمر بيد الله وحده يا عبـــد الله ، ولا بد من العمل المجـــدى . فهم لن يخرجوا لقتالنا الا بالحيلة .
عبد الله : انا لا أخاف عليك أيهـــــا الأمير فالـــداهية الأرطبون لا يجابهـــه الا مـــن كان أقدر منه ، وأنت له .
عمرو : اذا كان الصباح ، تنكرت وارتديت ثياب جندى وذهبت الى القلعة .
عبد الله : نسأل الله لك التوفيق والنجاح ... فاذهب على بركة اللـــه .

الفصل الثالث

ـــ المشهد الاول ـــ

تظهر القلعة وبابها الخشبى الضخم المغلق وقد بدا من كوى المراقبة جنديان ، وعمرو بن العاص يتقدم نحو القلعـــة .

رابى : انظر يا ماريوس ، هذا قادم الينا . ترى من يكون ؟

ماريوس : ما أراه الا رسولا من جيش المسلمين .

رابى : وماذا يريد ؟ ولم يمض على سابقه سوى أيام ؟

ماريوس : لعلهم رأوا بشأن المفاوضات معنا رأيا آخر .

رابى : ربما جاء يعرض على القائد الأرطبون صلحا بشروط مقبولة .

ماريوس : لننتظر ، فهذا هو مقبل رافعا منديله الأبيض .

رابى : مكانك أيها الرجل ، ولا تتقدم خطوة واحدة ، والا اخترق هذا السهم صدرك .

عمرو : رويدك أيها الحارس .

رابى : من أنت ؟ ومن أين أنت قادم ؟

عمرو : أنا رسول من قائد جيش المسلمين الى قائد الحصن .

رابى : وماذا تريد منه يا رسول جيش المسلمين ؟!!

عمرو : معى له رسالة أبلغها اياه من قائد الجيش .

رابى : انتظر حتى أنقل خبر قدومك الى الأرطبون وأستأذن لك ، واحترس أنت يا ماريوس من هذا العربى .

ماريوس : لا عليك فأنا عين ساهرة عليه .

(بعد فترة وجيزة ماريوس يطل من كوة السور وعمرو يقف أمام باب القلعة) .

عمرو : ألم يحضر رفيقك بعد أيها الحارس ؟

ماريوس : ها هو ذا قادم .

رابى : أين رسول جيش المسلمين يا ماريوس ؟ افتح له باب الحصن ، فقد اذن الأرطبون بدخوله .

ماريوس : تقدم أيها العربى ، وقف قريبا من الباب .

رابى : فتشه يا ماريوس قبل أن يدخل ، وان كان معه سلاح فخذه منه ، ولا تدعه يدخل حتى يسلمك اياه .

ماريوس : (يفتح باب الحصن) هات سلاحك الذى تحمله ، ثم ادخل .

عمرو : لا أحمل الا هذا السيف فى غمده ، خذه .

ماريوس : هاته ، ودعنى أفتشك .

عمرو : لا داعى لذلك فنحن المسلمين لا نكذب .

ماريوس : الأوامر لدينا مشددة بأن لا نترك أحدا يمر بالباب حتى يفتش .

عمرو : أنتم أيها الرومان شديدو الحرص على أمور تافهة ، فماذا يستطيع جندى — أن يفعل بسيفه المغمد هنا ؟ !!

ماريوس : ان الحذر من السلامة .

عمرو : هيا فتش ، وتأكد مما أقول ؟ !

ماريوس : (يفتشه فلا يجد معه شيئا) الان وقد اطمأننت فادخل .

(يدخل عمرو من الباب فيغلقه ماريوس من خلفهما) .

ماريوس : قده يا رابى الى الداخل ، ثم أدخله على الأرطبون .

— المشهد الثانى —

رابى : اعصب عينيه ولا تتركه يرى شيئا داخل الحصن .

عمرو : ولكن كيف أستطيع السير وأنا معصوب العينين ؟ يا للعجب مما تفعلون أيها الرومان .

رابى : اننا نخشاك على أسرارنا .

عمرو : وأية أسرار هذه التى يفضحها من يمر بالطريق ، ان هذا لا يطاق ، ولن أخضع له أبدا .

رابى : وماذا عليك لو فعلت فأنا أقودك عبر الدروب والأزقة حتى نصل مقر الأرطبون .

عمرو : أولى لى أن أعود أدراجى من حيث أتيت .

رابى : لا تفعل ، حسنا اذن ، سر أمامى ولا تلتفت يمنة أو يسرة .

عمرو : الآن يستطيع الانسان أن يمتع ناظريه بجمال ما فى القلعة من أشياء بديعة .

رابى : لقد اتفقنا أن لا ننظر شمالا أو يمينا .
عمرو : دعنا يا هذا ، انظر الى ملابس الجند ما أجملها ، كم تمنيت أن أمتع نظرى بالتفرج عليها .
رابى : وماذا ترى ، لو أنك تشاهد حرس القائد بالثياب المزركشة والخوذ اللامعة ! ! !
عمرو : وكيف لى بذلك يا رفيقى ؟ وانا مغرم بالمناظر الجميلة ، ولم يسبق لى أن رأيتها ، فانا خادم فى المعسكر لا أغشى المعارك ، ولا أدخل الحروب .
رابى : ما دمت خادما فلا خوف منك ، ولأدورن بك طريقا طويلة ، ولأفرجنك على ملابس الحرس ، فنحن نعرف أنكم أيها العرب لم تعتادوا مثل تلك المناظر الخلابة .
عمرو : ولكن قل لى ، أين تصنعون هذه الملابس المزركشة ؟
رابى : كنا نصنعها فى دمشق وقنسرين .
عمرو : وهذه الابراج ما أبدع هندستها ما أمهركم معشر الرومان فى بناء الأسوار ، فمن أى شىء تبنونها ؟
رابى : حتى هذه تسأل عنها ، الامر فى غاية البساطة ، نأتى بالجبس ونعجنه بالزيت وهما عندنا وافران .
عمرو : وهل كل أبراج الحصن وجدرانه مصنوعة من الجبس والزيت ؟
رابى : نعم الا الجزء الجنوبى المغربى فهو مبنى من الطين لأنه رمم على عجل ولم يكن هناك متسع لاحضار الجبس والزيت ...
عمرو : أنحن الآن بعيدون عن مقر الأرطبون
رابى : كلا ، فالحصن كما ترى صغير ومقر القائد فى وسط الحصن .
عمرو : ان وقت صلاتنا قد حان فهل لى أن أصلى فى هذا المكان ؟
رابى : وكيف تصلى هنا وليس فى المكان مسجد أو مكان للعبادة ؟ !!
عمرو : ان ديننا جعل لنا من الارض مسجدا تؤدى عليها صلواتنا ، ولا ضرورة أن يكون هناك مكان خاص بالعبادة .
رابى : لا بأس ، اذن سر بنا الى تلك الساحة وأقم فيها صلاتك .
عمرو : (محدثا نفسه) : انها لفرصة سانحة ، أطلع فيها على تحصيناتهم .
رابى : هل أنتهيت من عبادتك ؟ هيا بنا الى مقر القائد الأرطبون .
عمرو : أجل ، وأسرع بنا فقد تأخرنا كثيرا .

ــ المشهد الثالث ــ

(رابى وعمرو بن العاص يصلان الى مقر الأرطبون قائد الرومان) .
رابى : أيها الحارس استأذن لهذا العربى رسول جيش المسلمين على القائد الأرطبون .
الحارس : انتظر قليلا ، (يدخل الحارس على الأرطبون) .
أيها القائد رسول من جيش المسلمين بالباب ينتظر الاذن له بالمثول بين يديك .
الأرطبون : أدخله فى الحال .
الحارس : أمر القائد مطاع (يخرج الى عمرو ورابى) . ادخل أيها الرسول فقد أذن القائد .
عمرو : (يدخل على الأرطبون ويجده وحده) سلام على من اتبع الهدى .
الأرطبون : أهلا بك أيها الرسول ، بلغ ما تحمله من أمرك ، وأجلس قريبا منى .
عمرو : جئتكم أيها القائد مفاوضا ، ولم أحمل اليكم رسالة .
الأرطبون : على ماذا تفاوضنا أيها العربى
عمرو : فى أمر هذه الحرب التى طالت بيننا وبينكم .
الأرطبون : وماذا تريدون منا ؟ وما هى شروطكم ؟
عمرو : أنت تعلم أننا لا نحمل معنا الا هدى نبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا دخلتم فيه مسلمين انتهى ما كان بيننا ، والا دخلتم فى ذمتنا ، ولا شىء عندنا غير هذا .
الأرطبون : هذان شرطان رفضناهما من قبل ، ولا داعى لتكرارهما على أسماعنا ، ونحن لا نسمح بالتحدث أمامنا بهما .
عمرو : هذا شانكم وحدكم ، ولكنا مضطرون

لتبليغكم أمانة فى أعناقنا ، وأنتم بعد ذلك أحرار فيما تفعلون .

الأرطبون : لقد تجاوزتم الحد فيما تأتون من أفعال ، ألم يكفكم أنكم هاجمتمونا فى عقر دارنا حتى تفرضوا علينا شروطكم ؟ .

عمرو : ليست شروطا نفرضها عليكم من أجل منفعة لنا عاجلة ، ولكنها تعاليم ديننا الحنيف التى لا يجوز لنا أن نحيد عنها .

الأرطبون : ثقوا بانه ليس من شئ يرغمنا على التسليم ، وليس لكم الا أن ترحلوا عن حصننا هذا .

عمرو : من أجل هذا أتيتكم اليوم مفاوضا فهل لكم فى ما يحقق مصلحتنا ومصلحتكم ؟

الأرطبون : ان كان الأمر كذلك ، فقل ما عندك أسمع ؟

عمرو : كنت أرجو أن أستمع منكم الى ما يمكن أن تعرضوه علينا .

الأرطبون : نحن نريدكم أن تتركونا وشأننا .

عمرو : وما الذى يضمن لنا عدم اعتدائكم على جندنا بعد أن نتركم ؟

الأرطبون : نقطع لكم على ذلك العهود ، ونلتزم بها ، فلا نتعرض لكم ، ونعيش فى حصننا آمنين .

عمرو : ان هذا الأمر يحتاج الى مزيد تفصيل وبحث ، فاننا نخشى أن تتصلوا بالرومان وتستعدوهم علينا بعد أن نرحل عنكم .

الارطبون : اننا نعهد فيكم أيها المسلمون حسن الجوار ، وعدم نقض العهود ، واذا أمنا على أنفسنا وحقوقنا فلن يكون ثمة داع لطلب العون من أحد .

عمرو : هذا رأى معقول ولكنا نشترط عليكم عدم التدخل فى حربنا مع الحصون الباقية التى نعتزم فتحها ، فهل توافقون على ذلك ؟

الأرطبون : لا داعى لمثل هذا التخوف ، فنحن لا شأن لنا بغيرنا .

(يقف الأرطبون ليخرج وهو يقول) : لا تخش شيئا أيها العربى ، فقد عرضت لي حاجة أقضيها وأعود ، (ويخاطب الحارس) أيها الحارس ، أين الجندى الذى جاء بالعربى ؟

الحارس : رابى ، أيها الجندى ، أجب القائد الكبير .

رابى : الطاعة والتحيات للقائد العظيم .

الأرطبون (محدثا نفسه) : لا شك فى أن هذا العربى هو قائد الجيش أو ممن يعتمد القائد عليه (للجندى) : انتبه جيدا أيها الجندى .

رابى : أمرك مسموع ومطاع أيها القائد العظيم .

الأرطبون : اذهب الى حارس باب الحصن وأبلغه أمرى بأن يقتل هذا العربى الذى جاء معك عند خروجه من الباب .

رابى : أنقتله أيها القائد ؟

الأرطبون : أجل ، أفهمت ما قلته لك ؟

رابى : نعم فهمته وسأبلغه الأمر يا سيدى القائد . وسوف أشترك معه أيضا .

(يعود الأرطبون الى خيمته .)

عمرو بن العاص : (ما أظن الداهية الا قد أمر بقتلى قبل أن أغادر الحصن ، ولا بد من حيلة أتخلص بها من شره (مخاطبا نفسه) .

الأرطبون (ممازحا) لعلك لم تستوحش بوحدتك أيها العربى ؟

عمرو : نحن العرب أيها القائد لا نعرف الخوف ولا توحشنا الوحدة ، لنا ايماننا ، ولا عليك .

الأرطبون : هل فكرت جيدا فى الذى تحدثنا به قبل قليل لانهاء الحرب ؟

عمرو : أنا شخصيا موافق على الاقتراح .

الارطبون : اذن يمكننا أن نكتب المعهد الآن ، أليس كذلك ؟

عمرو : هذا لو أن أمر الجيش كله لى ، ولكن وراءى آمر الجيش ، ولا أستطيع البت بأمر دونه .

الأرطبون : ولكنك أخبرتنى أنك مفوض فى أن تمضى ما تراه !!!

عمرو : انا واحد من عشرة وجهنا الخليفة

فى المدينة مجلس شورى لأمير الجيش لا يقطع دوننا أمرا ولا يخالف لنا مشورة أبدا .

الأرطبون : ألا تنوب عنهم وأنت مبعوثهم الينا ؟ !!

عمرو : أخشى أن قطعت الامر دونهم أن يخالفونى فيما أمضيت .

الأرطبون : فنحن على هذا فى حاجـــة الى مشاورتهم .

عمرو : انه أمر لا بد منه اذا كنـا نريـد أن يتم اتفاقنا وأن ينفذ وألا يتعرض الاتفــاق الى النقض .

الأرطبون : وما العمــل الآن اذن ؟ !! اذهب اليهم وائتنى فى الغداة بجلية الامر .

عمرو : أرى أن أحضرهم جميعا الى هنـا اذا كان الغد فيجرى الاتفاق على مسمع منهم وموافقــة .

الأرطبون : يحضرون هنا !! انه لامر معقول جدا ، (ولنفسه) : فكرة رائعة .

عمرو : المصلحــة العامة تقتضى ذلـك ولا يمكنهم مخالفة أمر الأمير الــذى يروم انهاء الحرب بسرعه ليستريح قليلا .

الأرطبون : ما أصوب الرأى الــذى تقول به أيها العربى .

عمرو : ولكنى أخشى أن لا يسمـــح لنا حراسكم بالدخول ، ونحن عشرة .

الأرطبون : الأمــر هين فسأبلغهم أوامرى بأن لا يمنعوكم من الدخول ساعة تحضرون .

عمرو : هل لى أن أطلب من القائـــــد الأرطبون امارة على الذى اتفقنا عليه ليصدقنى حجتى .

الارطبون : سأكتب الى أميركم كتابا ، وسأبعث لكل واحد من أصحابك هــدية تليق بهم وبمكانتهم .

عمرو : الآن أضمن لــك أن يسير كـــل شىء بالطريق الطبيعى ، وستنجح خطتنا .

الارطبون : هذا ما نرجوه .. اليك الكتاب مختوما بخاتم الأرطبون . وهذه الهدايـــا العشرة .

الارطبون : انتظر قليلا ، فقد بقيت هدية الأمير ، سآتيك بها .

الفصل الرابـــع

ـ المشهد الاول ـ

(يخرج الارطبون من المكان وينادى على الحارس) .

الأرطبون : أيها الحارس ، أين الجندى الذى أرسلناه الى باب الحصن ؟

الحارس : ذهب ليبلغ ما أمرته به .

الأرطبون : ائتنى بجنود ثلاثة .

الحارس : أيها الجنود اجيبوا القائد .

الأرطبون : اسمعوا جيدا ، اذهبوا الى باب الحصن وأبلغوا الحارسين أن لا يتعرضا للعربى الــذى أمرتهما بقتله ، هيا .

الجنود : السمع والطاعة لأمـــر القائد الأرطبون .

الارطبون : (لنفسه) : ان قتل عشرة من خيرة القادة فى جيشهم خير من قتل واحــد فقط وانه لصيد ثمين .

(يدخل الارطبون الى مقره) : هذا كساء من الحرير الثمين هديـــة لأميركم .

عمرو : ليأذن لى القائد بالانصراف .

الارطبون : رافقتك السلامة ، وتذكر أننا بانتظارك غدا مع صحبك .

عمرو : لن أنسى فانا أحرص منــك على انهاء هذا الامر وحسمه .

الارطبون : أيها الحاجب رافق العربى هذا وحافظ على سلامته ، ولا تدعــه حتى يخرج من باب الحصن .

(يصل عمرو والحاجب الى باب الحصن) .

الحاجب : افسحوا الطريق للرسول أيهــا الحراس ، وأنت يا ماريوس ، افتح بــاب الحصن .

ماريوس : أين الكتاب الــذى يحملـــه من القائـــد ؟

عمرو : هو ذا ومختوم بخاتمـــه ؟

ماريوس : حسنا اذن ، تفضل واخرج ، وهذا سلاحك فخذه ، ولا تنتظر ، فقد نجوت .

عمرو : الحمد للـــه الــذى خلصنى من شر الأرطبون ، هكذا فلتكن الخديعة ، وما الحرب الا الخدع .

المشهد الثانى

(يسرع عمرو الى معسكر جيشه)

عبد الله : حمدا لله على سلامتك يا عمرو ، فقد خفنا عليك كثيرا .

عمرو : كاد الداهية أن يفترسنى لولا خدعتى له .

فاستعدوا أيها القادة ، وهيئوا سراياكم للزحف على الحصن .

عبد الله : وكيف نهاجم الحصن ؟ ومن أى جهاته نأتيه ؟

عمرو : اختر يا عبد الله فئة من الجيش وتسللوا الى الزاوية الجنوبية الغربية . ثم اعملوا فيها فؤوسكم حتى تحفروا فيها مدخلا . أيها الحارس .

الحارس : لبيك أيها الأمير .

عمرو : لينادى المنادى يا معشر الجند ازحفوا لملاقاة عدوكم .

(صيحات التكبير تنطلق من حناجر الجند ، بينما يتسلل عبد الله وفئته الى حيث أمرهم عمرو) .

المشهد الثالث

فى مقر الأرطبون ، الأرطبون جالس كعادته بين بعض من قادته يدخل الحارس .

الحارس : يا سيدى القائد ، ان المسلمين يهاجموننا من جهات ثلاث .

الأرطبون : ردوهم عنكم بالنبال وبالنار .

أحد القادة : لنخرج اليهم فلعل أمرا جديدا قد حدث .

جندى آخر : أيها القائد لقد فتح جند المسلمين ثغرة فى الزاوية الجنوبية الغربية من السور .

الأرطبون : وكيف حدث هذا ؟.

الجندى : لا ندرى .

الأرطبون : لم يبق الا آن نخرج اليهم فنقاتلهم فى ساحة المعركة .

(يخرج جنود حامية الروم الى خارج القلعة) .

أحد الجنود : انظر أيها القائد الى هذا المقاتل ، أليس هو الرسول العربى الذى جاءنا بالأمس .

الارطبون : يا للداهية ، هذا هو صاحبنا بالأمس ، انه كما قدرت قائد الجيش ، لقد خدعنى هذا الرجل ، هذا أدهى الخلق جميعا .

(ويتلفت الى حارسه) أيها الحارس عد الى الحصن سريعا ، وأحمل معك ما خف وغلا ، واسبقنى على طريق مصر ، فهذا القائد لا ينفع معه شىء ، والهرب من وجهه أضمن للسلامة ، هيا ولا تبطىء .



الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القــراء وتجيب عنها ..

الخطبة بغير العربية

السؤال :

ما يقول العلماء وفقهم الله تعالى فى أمر نزل فى عامة مسـلمى العجم الذين لا يفهمون اللغة العربية فهل يجوز لهم خطبة الجمعة بلغتهم المفهومة لهم ليتمكنوا من الاستفادة من الوعظ والارشاد الأسـبوعى فى الجمعة الشريفة ؟ وهل كان الصحابة رضوان الله عليهم يخطبون باللغة العربية فى البلاد الأعجمية التى فتحوها أو بلغة العجم كما يفهمون ؟

(عمر بن على المليبارى ــ مكة المكرمة)

الاجابة :

لعلماء المسلمين فى هذه المسألة قولان :

القول الاول : أن الخطبة لا تصح بغير العربية ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب بها ، وكان أمراء المسلمين فى الاقطار المفتوحة يخطبون بها . فان لم يحسنها أحد منهم لزمهم أن يتعلمها أحدهم . وان لم يمكن ذلك صلوا صلاة الظهر .

والقول الثانى : أنه لا مانع من أن تكـون الخطبة بغير الـعربية ، لأن المقصود الوعظ وهو يحصل بكل اللغات .

والقولان عند الشافعية والحنفية .

والاولى للخطيب اذا كان المستمعون لا يفهمون العربية أن يأتى بأركان الخطبة بالعربية ، وذلك من حمد الله والصلاة والسلام على نبيه ، والأمر بالتقوى وتلاوة آيات من القرآن . ثم يكلمهم بعد ذلك باللغة التى يفهمونها ، لأن الله تعالى يريد أن تصل كلمته الى العالمين وتقوم حجته عليهم ولا يتم ذلك الا باللسان الذى يفهمونه ، كما قال الله عزوجل (وما أرسـلنا من رسـول الا بلسـان قومه ليبين لهم) .

وأولى من هذا أن يلقى الخطبة كاملة بالعربية على فقرات ، وكلما انتهى من فقرة منها ترجمها وهو على المنبر بلغة المستمعين .

وذلك لأن الله أنزل الكتاب عربيا ، على رسول عربى ، وجعل الدين حكما عربيا ، فينبغى أن يكون الظاهر فى شئون الدين اللسان العربى ، وأظهر ما يكون ذلك فى الخطبة على المنبر الذى يجتمع حوله المسلمون ، متشوقين الى الاستماع الى الآيات البينات المنزلة من ربهم على نبيهم الحبيب ، بنفس الطريقة التى كان يلقيها على صحابته رضوان الله عليهم أجمعين . والله أعلم .

تنظيم النسل

السؤال :

هل يجوز شرعا لرجل فقير الحال أن يعطى زوجته حبوب منع الحمل ؟

الاجابة :

ورد فى الصحيحين عن جابر رضى الله عنه انه قال : كنا نعزل على عهد النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل ، وفى رواية لمسلم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا .

وورد أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فى العزل فقال له : (اعزل عنها ان شئت فسيأتيها ما قدر لها) .

وفى غزوة بنى المصطلق سأل الصحابة رضى الله عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزل : فقال : (لا عليكم أن لا تفعلوا فانما هو القدر) رواه مسلم .

وروى أحمد واصحاب السنن ، انه ذكر للنبى صلى الله عليه وسلم قول اليهود : ان العزل هو الموؤدة الصغرى ، فقال عليه الصلاة والسلام : (كذبت يهود ، لو أراد الله أن يخلقه ما استطعت أن تصرفه) .

فهذه الأحاديث صحيحة وصريحة فى أن العزل جائز ومأذون فيه شرعا ، ولا مانع يمنع منه سواء للفقير والغنى ، وللزوجة المريضة والصحيحة . وسواء كان القصد منه تقليل النسل ، أو عدم الحمل أصلا ، أو الابقاء على نضارة الزوجة مدة أطول ، أو لأى سبب آخر .

وليس فى ذلك مضادة لارادة الله ، فان الله اذا شاء فلا راد لمشيئته ، فلو أراد خلق الولد هيأ الأسباب من الشوق الى الزواج ، والى وجود الولد ، وغير ذلك مما يؤدى الى نفاذ ارادته سبحانه ، قطعا ، وقد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم هذا المعنى عندما قال : (لو أراد الله أن يخلقه ما استطعت أن تصرفه) .

وليس فى ذلك أيضا عدم ثقة برزق الله ، ولا هدم للتوكل على الله ، فان الولد يحتاج الى رعاية وتربية وتأديب والى طلب للرزق وسعى فيه ، واجهاد للبدن فيما يحفظ الولد ويحوطه ويجمله وينشئه النشأة الصالحة ، وكل ذلك مجهودات لا بد لبدن الأب وعقله أن يؤديها . فالأب انما يريد بمنع النسل أو تقليله الاقتصاد فى تلك المجهودات والاقتصار على ما يستطيع أن يقوم به . وكذلك الأم ، والتوكل على الله لا ينافى الأخذ بالأسباب التى خلقها الله ، فمن اتخذ سببا للكسب لا يقال انه غير متوكل ، ومن طلب العلاج والتداوى من مرضه لا يقال انه غير متوكل ، ومن نظم دخله وخرجه ومجهوداته وأعماله لا يقال انه غير متوكل على الله . وكذلك هنا : فمن نظم نسله وتحكم فيه بحسب ما يرى أنه أصلح له لا يقال انه غير متوكل على الله .

ولذلك ورد العزل عن عشرة من الصحابة ، صح عن أربعة منهم على الأقل ، ونصت كتب المذاهب الأربعة المعتمدة عند أهل السنة على الاباحة الا أنهم اشترطوا تراضى الزوجين على العزل ، فلا يجوز العزل الا برضاهما جميعا . لأنهما جميعا يشتركان فى حق التمتع باللذة الكاملة التى يقطعها العزل أو

ينقصها ، وفى الرغبة فى الولد . وفى وجه للشافعية أن للرجل العزل ولو لم ترض المرأة . فالمسألة عند فقهاء المذاهب اذن مسألة حفظ حق كل من الزوجين فى كمال اللذة ، وليس فى جواز العزل من حيث هو ، فهذا أمر مفروغ منه محقق شرعا .

ولكن مع هذا لا ينبغى أن يكون تحديد النسل سياسة عامة للأمة ، تتبناها الدولة وتسلك السبل المختلفة للوصول اليها ، وخاصة فى بلادنا الاسلامية التى تفتقر افتقارا شديدا الى السكان . فالسكان فى البلاد العربية لا يزيدون عن مئة مليون مع أن مثل مساحتها اتسعت فى اوروبا وامريكا الى اضعاف ما اتسعت له البلاد العربية من السكان . لكن الذى يجب أن تنصرف اليه أذهان المخططين والمفكرين فى البلاد الاسلامية هو تغيير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وغيرها ، والتى تحول بوضعها الراهن دون الانطلاقة الكبرى التى تهيىء الفرصة لمئات أخرى من الملايين المسلمة القوية أن تظهر الى الوجود ، فى هذا العش البشرى الممهد ــ الأرض ــ عاملة بارادة الله وناطقة بحقيقة الكون الأساسية ــ لا اله الا الله ــ والله أعلم .

طلب العلم

السؤال .

أنا طالب أتابع دراستى فى التعليم (الدينى) بالمغرب وقد حصلت والحمد لله على الشهادة الثانوية فى هذه السنة . ولكن مشكلتى هى أن أبى كان يقف دائما فى وجهى دون مواصلة التعليم ويحثنى على مزاولة التجارة . مع أن الأخ وعدنى بالمادة .

فهل اذا خالفت أبى وتابعت دراستى يعد ذلك عصيانا للأب ؟

(الصالحى محمد بن الحسين) الدار البيضاء

الاجابـــة :

طلب العلم الدينى فرض على كل مسلم عربيا أو غير عربى ، لأن الله أنزل الكتاب ليدبروا آياته ، والأمى والجاهل لا يتمكن من التدبر لأنه تعوزه آلة ذلك وهى فهم أصول الكلام العربى وقواعده ، ويجهل كيف فسر النبى صلى الله عليه وسلم كتاب ربه بقوله وعمله .

وبر الوالدين وطاعتهما واجبة ، خاصة اذا أمر الولد بتعلم ما ينفعه فى دينه ودنياه . فاذا رأى الوالد أن من مصلحة الولد أن يتعلم التجارة ويتعامل بها لزم الولد طاعته .

ومن الخير لمن يتعلم العلم الدينى أن تكون له تجارة أو حرفة يعتمد عليها فى تحصيل قوته لئلا يكون معدم الكسب الا عن طريق ما يعلمه من العلم الدينى .

لذلك نرى للأخ أن يستمر فى دراسته ويطيع والده فى ما يريد له من مزاولة التجارة ، فيجمع بين الخيرين ، ويجعل مزاولة التجارة بعد الانتهاء من الدراسة يوميا ، وفى أثناء العطلات الموسمية ، والله يهدى السبيل .

أجاب على هذه الأسئلة فضيلة الشيخ محمد الأشقر .

بريد الوعي الإسلامي

حديثـان موضوعـان

ورد فى مجلة الأعتصام القاهرية العدد التاسع ربيع الأول سنة ١٣٩٠ هـ فى باب تطوف ما يلى :

١ — روى عن عمر رضى الله عنه مرفوعا « ان آدم عليـه السـلام رأى اسم النبى صلى الله عليـه وسلم مكتوبـا على العرش وان الله قـال لآدم لولا محمد ما خلقتك » فادعنى بحقه أغفر لك) .

٢ — وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضـا « أوحى اللـه الى عيسى — آمن بمحمد ومر أمتك أن يؤمنـوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ، ولا الجنـة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليـه لا الـه الا الله محمد رسول اللـه فسكن » ثم هو يرجع هذه الأحاديث للحاكم والى مرجع آخر يسميه المقامات العلية .

فما مدى صحة هذه الأحاديث ؟ وهل هى صحيحـة ؟ أم موضوعـة واذا كانت صحيحـة فلم أنفرد بها الحاكم ولم يرد لها نص فى صحيح البخـارى او صحيح مسلم .

سعيد عثمان
ج ٠ ع ٠ م

تفضل بالاجابـة على هذه الرسالة فضيلة الشيخ محمد الأشقر :

هذان حديثان موضوعان ومعنى انهمـا موضوعان مكذوبان مختلقـان منسوبان الى رسول الله صلى اللـه عليه وسلم زورا ، ولـم يقلهما . بين ذلك علماء الحديث ونقـاده .

فقد روى هذين الحديثين الحاكم فى المستدرك فى الجزء الثانى الصفحة ٦١٥ من طبعة حيدر آباد ، و (المستدرك) ليس موضع ثقـة عنـد علمـاء الحديث بل قد وجهوا اليه سهام اللوم والتجهيل ونعتوه بالتساهـل فى تصحيح الأحاديث ، وادعاء انها على شرط البخـارى او شرط مسلم .

أما الحديث الأول منهما فقد قال عنه الذهبى فى كتابه الـذى تتبع فيـه ما فى المستدرك قال — ليس هـذا الحديث على شرط الشيخين بل هـو حديث موضوع ، وعبد الرحمن (راويه وهو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم) واه اى ضعيف جدا . وفى رواته عبد الله بن مسلم القهرى ولا يدرى من هو .

وأما الحديث الثانى فقد قال عنه الذهبى أظنه موضوعا عـلى سعيد . ومما يدلك على تهافت عمـل الحاكم فى المستدرك انه روى هـذين الحديثين ثم روى بعدهما ما يلى : —

عن أنس بن مالك قال ــ كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فاذا رجل فى الوادى طوله اكثر من ٣٠٠ ذراع .. فأتيته فقال ــ قل لمحمد صلى الله عليه وسلم أخوك الياس يقرئك السلام فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فعانقه ، وأكل معه ، ونزلت عليهما مائدة من السماء عليها خبز وكرفس وحوت فأكلا وأطعمانى .. ثم رأيته مر نحو السماء على السحاب قال الحاكم (٦١٧/٢) هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجه البخارى ولا مسلم .

قال الذهبى (بل هذا حديث موضوع قبح الله من وضعه . وما كنت أحسب ولا أجوز ان الجهل يبلغ بالحاكم الى ان يصحح هذا . والذى افتراه هو يزيد بن يزيد البلوى أو ابن سيار) انتهى كلام الذهبى .

وقال الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله زعم بعضهم انه لم ير فى المستدرك حديثا على شرط .. الشيخين ، وهذا اسراف وغلو ، وبعضهم اعتمد تصحيحه مطلقا وهو تساهل ، والحق ما قال ابن حجر ان الحاكم سود كتابه لينقحه فأعجلته المنية عن ذلك .

أقول ان ابن حجر يعنى ان الحاكم جرى على طريقة بعض المحدثين أنهم ، يجمعون ما يسمعون من سمين الحديث وغثه ، ثم اذا رووه فتشوا عنه وفيه فلم يرووا منه الا ما كان صحيحا . ويقولون فى ذلك (اذا جمعت فقمش ، ثم اذا رويت ففتش) الا ان الحاكم جمع فقمش ، ولكن لم يتيسر له ان يفتش فيما كتب لأنه لم يرو كتابه لأحد وانما أخذ غالبه عنه بطريق الاجازة كما قال ابن حجر ، والأجازة لا يخفى عدم ثقة العلماء بها كطريقة لنقل الأحاديث وهذا من أحسن ما اعتذر به عن الحاكم . وقيل انه اعترته غفلة فى آخر عمره ، دخل بسببها عليه أحاديث لم يكن يرضاها .

أما الكتاب الآخر الذى ذكر السائل ان الحديثين وردا فيه وهو كتاب (المقامات العلية) فانى لم أجده ولم أطلع عليه . ولا يبعد أن يكون حاكيا عن مستدرك الحاكم فقط .

هذا وان النظر فى الحديثين بعين فاحصة يظهر ما فيهما من العلل الدفينة ، فان الله عز وجل ذكر قصة آدم فى مواضع كثيرة فى القرآن وذكر توبته عليه مفصلة فى سورة البقرة وسورة الأعراف وغير ذلك فبين أن الله تاب عليه لانه اعترف بخطيئته وندم وأظهر لربه حاجته وفقره الى مغفرته (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) فلو كان الذى وقع ان آدم دعا الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم لذكره فى القرآن فكيف يترك القرآن بيان هذا الأمر المهم ، ثم تتركه السنة النبوية المشهورة أيضا وهل يجوز لعالم أن يأخذ بأمثال هذه الروايات المكذوبة ؟..

وهناك أمر آخر وهو انه ذكر فى هذين الحديثين ان الله عز وجل ما خلق آدم ولا خلق الجنة ولا النار لولا محمد صلى الله عليه وسلم فسبحان الله رب العالمين قد أمر الله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول (انما أنا بشر مثلكم يوحى الى) فهو صلى الله عليه وسلم بشر كسائر البشر وانما تميز بما أوحى الله اليه وبجهاده الذى كان سببا فى أهتداء جمهور كبير من البشر فالله خلق خلقه ليعبدوه ويطيعوه ولا يعصوه وخلق الجنة ثوابا لمن أطاعه ، والنار لمن عصاه ، فالله عز وجل هو الذى خلق آدم وبنيه والجنة والنار وخلق كلا من الثلاثة لأجل ان يطاع فلا يعصى . فهو الخالق وطاعته سبب الخلق وحكمته

بأقلام القراء

نظرة جديدة الى التبشير بالاسلام

كتب الأستاذ : محمود حنفى كساب تحت هذا العنوان يقول :

تعنى كلمة الاستعمار تحرك قطعان من البشر تتسم بالتقدم الى مكان غير ماهول ، أو ماهول بقصد نشر المدنية فيه ، ولكن الاستعمار كما نعرفه لايعنى أكثر من الاستخراب .. فمن الناحية الاقتصادية لا يفعل الاستعمار فى المكان الذى يسيطر عليه سوى أن ينزح ثروته ، وخاصة المواد الخام اللازمة لمصانعه ، ثم حين يجىء اليوم الذى يرحل فيه لا يترك فى البلد شيئا تستطيع الاعتماد عليه لبناء نفسها ، ذلك لأن المستعمر قد سلب كل شىء !

فجزيرة كالجزيرة البريطانية تعدادها أكثر من خمسين مليونا ، لو أنها لم تنزح ثروات مستعمراتها لما استطاعت أن تصل الى دولة الرفاهية التى يعيش الشعب البريطانى فى كنفها ، ومثال الجزيرة البريطانية كثير من الدول مثل هولندا ، وبلجيكا ، والبرتغال .. فالمستعمرات كانت وسيلة رئيسية فى سبيل تكدس الثروات داخل هذه البلاد ، ومن ثم كان تقدمها فى المدنية والحضارة !!

ومن الناحية الثقافية يحاول الاستعمار جاهدا طمس كل ما يملكه الشعب المستعمر من حضارة ، وذلك عن طريق فرض لغته ، وثقافته ، وقيمه الذكرية ، وكلنا يذكر أن مصر قبل ثورة ١٩١٩م كان التعليم فيها باللغة الانجليزية ، ولكن الشعب استطاع ، وذلك عن طريق تمسكه بلغته ودينه وعروبته ، أن يعرب التعليم كله .. والجزائر ومحاولة فرنسا فرنستها حتى أنه مازال الى الآن وسيلة التخاطب فى الجزائر العربية هى اللغة الفرنسية .. بل ان كتابها المشهورين لا يزالون يكتبون باللغة الفرنسية .. وأمثلة كثيرة فى آسيا وأفريقيا تدل على أن الاستعمار يحاول أن يضع ركائز تضمن تبعية الشعب المستعمر له !!

ومن الناحية الدينية يحاول الاستعمار أن يجعل شعوب المستعمرات تدين بدينه .. ولقد كان أول انقضاض استعمارى على الشرق هى الحملات الصليبية ، وكان رجال الدين المسيحى يحركون التعصب الدينى لدى أوروبا ، ويدفعون الجيوش للتحرك نحو الشرق لتنصير الوثنيين اتباع محمد !! والتاريخ يخبرنا عما فعله المتعصبون فى الأندلس الاسلامية .. ومحاكم التفتيش وغيرها !

كل ذلك يطلعنا على أن الاستعمار ليس فقط نهب ثروات بمعنى قرصنة ، ولكن نهب كل ما تملكه الشعوب ماديا أو معنويا .. فحينما يحل الاستعمار ببلد تتبعه على الفور بعثات التبشير فى صورة مدرسة أو كنيسة أو مستشفى ..

وأهمية التبشير بديانة المستعمر راجعة الى أن الدين عامل مهم فى الولاء للحاكم .. ومن هنا يدرك الاستعمار أهمية نشر ديانته وذلك ليسهل عليه حكم الشعوب المغلوبة على أمرها .. لذا كانت أهمية البعثات التبشيرية .. وكان اهتمام المستعمر بتعضيدها !

والشعب المستعمر عادة يكون متخلفا ، وهو يحتاج الى التعليم ، ومن ثم يذهب طلاب العلم الى مدارس الاستعمار الذى يعلم فيها لغته الدخيلة ، وعن طريق اللغة يمكن ربط وجدان المتعلم بوجدان المستعمر ، وخطوة بخطوة يكون المبشر قد استطاع أن يكتسب ثقة الطالب ، ومن ثم يلقنه الديانة عن طريق غير مباشر ، وذلك عن طريق الحكايات وغيرها مما هو مألوف فى التدريس !

واذا مرض الانسان يذهب الى مستشفى المستعمر ، ويعالج بالطب الحديث فيشفى .. ويسأل : من نشكر على الشفاء العاجل ؟ .. فيجد من يقول له على الفور : أشكر المسيح .. ومن هو المسيح ؟ ! .. انه الهنا والهك .. شكرا للمسيح .. وهكذا .. وعادة يختار المبشرون من الأفراد الذين على درجة كبيرة من الثقافة ، والايمان ، وانكار الذات ، وتوفر لهم كافة الامكانيات وذلك حتى يأتوا بالمعجزات !

وعادة يكون المبشر عالما فى فقه اللغات ، أو مهندسا ، أو طبيبا ، وذلك حتى يستطيع أن يقنع بأن المسيحية هى التى أتاحت له كل هذا التقدم ، وأن اعتناقها من شأنه أن يجعل المرء متدينا .. وتمويل البعثات التبشيرية لاحد له .. فهناك معونات الدولة ، وهناك تبرعات الهيئات الاحتكارية ، والمؤسسات الاقتصادية ، لأن مصلحة الاحتكاريين فى انتشار ديانتهم .. وذلك لترويج منتجاتهم لأن المسيح يقول : (احبوا أعداءكم) ، ومع ايماننا بالمسيح كرسول للسلام ، الا أن الاستعمار قد شوه رسالة المسيح فى آسيا وأفريقيا .. فليست رسالة المسيح نهب ثروات الشعوب ، وحبس حرياتها ، وانما رسالة المسيح أن يسود السلام والحب كافة العالم ! (ويل لك أيها المخرب) (اشعيا ٣٣) .

وخطورة التبشير فى البلاد التى يعيش شعوبها على الفطرة ، أى الشعوب التى لم تبلغها رسالة سماوية مثل قبائل افريقيا ، هى أنه ذيل للاحتكارات العالمية .

والسؤال الآن : وما هو موقف الاسلام من كل هذا ؟ . ويكون الرد بالسلب ! ذلك أن الاسلام مرت عليه فترة نام فيها نشاط دعاته ، وهذا يرجع الى أسباب عدة منها :

— الدعاة أنفسهم والبلاد التى أتوا منها .
— عدم الايمان بقدسية الرسالة التى يضطلع بها الداعية .
— مستوى الدعاة الثقافى والحضارى .

اننا نريد الداعية المسلم مهندسا ، وطبيبا ، وخبيرا زراعيا .. فهذا من شأنه أن يعلو بالاسلام .. فالاسلام هذا الدين الذى انتشل أمة العرب من وهدتها منذ قرون .. فى مقدوره الآن أن ينتشل أمما كثيرة من وهدة الذل

اننا نريد تخطيطا عربيا اسلاميا شاملا لمواجهة الحرب التبشيرية التى يشنها المبشرون فى آسيا وأفريقيا .. وهذا رهن بفهم المسلمين لرسالة الاسلام العالمية ، وقبل أن يفوت الاوان .



قالت صحف العالم

القرآن
هو كل شيء في حياة المسلمين

نشرت **مجلة (المجتمع) الكويتية** الكلمة التالية التى وجهها معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية للمسئولين عن مراكز تحفيظ القرآن التابعة لجمعية الاصلاح الاجتماعى أثناء زيارته لها :

القرآن هو كل شيء فى حياة المسلمين .. هو مبدأ وجودهم وعماد بقائهم ، وأساس سيادتهم ، ومن أجل هذا كانت المحافظة عليه محافظة على الكيان والمصير لهذه الأمة ، وكان التفريط فيه والغفلة عنه هدما للأمة واذابة لشخصيتها . هذه حقيقة لا تقبل الجدال والمكابرة ، والقرآن الكريم بما اشتمل عليه من عقيدة صحيحة وتشريع كامل وآداب عالية . هو المنهج السماوى لتربية الشباب وتكوين الجيل المسلم ، وهو الواقى للجيل المعاصر من الانحرافات الضالة والغزو الفكرى المحموم ، واننا نهيب بشبابنا المأمول أن يعود الى رياض الكتاب العزيز ، يلتمسون فيه أسباب العزة والقوة ، وأن يسيروا على نهج سلفهم الصالح فى حفظه ومدارسته وتطبيقه فى محيط الفرد ، ومحيط الأسرة ، ومحيط الجماعة .

ومن توفيق الله لجمعية الاصلاح الاجتماعى انها أقامت ستة مراكز لتحفيظه فى العطلة الصيفية انتظم فيها عدد كبير من الطلبة وأقبلوا على حفظ القرآن الكريم وبعض العلوم الدينية والعربية ، وهى بادرة طيبة مباركة ، وخطوة ناجحة نرجو أن تتبعها خطوات ، وأن تتم العناية بالقرآن الكريم فى جميع المدارس والمعاهد .

وقد سعدت بزيارتى للجمعية ورؤية أبنائنا يقبلون على حفظ القرآن الكريم وترتيل آياته ..

كما سرنى عناية المسئولين عن الجمعية بهؤلاء الناشئة ، وتعليمهم بجانب القرآن الكريم بعض العلوم الدينية والشرعية المناسبة لهم ، وانا لنرجو أن تتضاعف هذه الجهود ، حتى يصبح للجمعية عشرات المراكز التى تغطى مناطق الكويت ، كما نرجو من أولياء الأمور أن يشجعوا أبناءهم على الانتظام فى هذه المراكز التى باركها الله سبحانه ، وهذا من فضل الله عز وجل الذى تعهد بحفظ كتابه الكريم : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

الدين والشباب

ومن مقال تحت هذا العنوان نشرته **مجلة (دعوة الحق)** المغربية نقتطف الفقرات التالية :

لعل من أهم ما تجب الاشارة اليه أولا أن مشكل الشباب على العموم ، هو اليوم مشكل عالمى لا يختص بالشباب المسلم ولا يقتصر على موقفه من الدين ، فالثورة التى أضرمها الشباب الفرنسى ربيع سنة ١٩٦٨ وكادت تطيح بنظام الحكم فى فرنسا ، كان لها صدى فى جميع أنحاء العالم ، وتجاوب معها شباب أكثر من قطر غربى فضلا عن بعض الأقطار الشرقية . والملاحظ أن

انبعاثها كان من الأوساط الجامعية والطلاب فى المعاهد العليا ، ثم عمت المراهقين من الشباب الذين كانوا يعربون بضراوة عن تمردهم وسخطهم وخروجهم على كل الأعراف والمواصفات الخلقية والاجتماعية .

ومن المألوف الآن فى كل البلاد رؤية الأفواج من الشباب الذين اتخذوا التبذل واسدال الشعور ، والهندام المثير شعارا لهم ، أما جماعة (الهيبيين) الذين تخطوا هذه المرحلة ، فانهم قد انغمسوا فى القذارة الحسية والمعنوية ، وأقبلوا على تعاطى المخدرات ، وممارسة أنواع الانحراف ، متحدين أولياءهم ومجتمعهم ، ومعبرين بشذوذهم واستهتارهم عن احتقار كل المبادىء والقيم الانسانية .

فنقطة الانطلاق عند شباب العصر فى تحركاته وسلوكه هى الرفض ــ كما رأينا ــ لكل المسلمات ، والتقاليد ، والآداب العامة التى وجدوا عليها آباءهم وبيئاتهم ، والتى هى أساس المدنية الحديثة ، لا للدين فقط كما هو حال غالب شبابنا .

ان الدين عند شباب العصر نزعة عدمية نشأ على رفضها مسبقا ، لأن أولياءه لم يكونوا يعتبرون الدين شيئا عمليا ، وقد نفضوا أيديهم منه لما كانوا شبابنا فمهدوا بذلك لما يقوم به أبناؤهم اليوم من رفض تام لكل ما هو طيب وصالح .

وهذا ما نخشاه على مستقبل شباب الاسلام ، فان الالحاد الذى ينتشر اليوم بين شبابنا سيكون مدرجة لوقوع المجتمع الاسلامى فى مآسى وانتكاسات الله أعلم بعواقبها . وذلك حينما تنشأ النابتة الجديدة فى أحضان هذا الشباب ولا يكون لها رادع من دين أو خلق يحجزها عن التردى فى حافرة الجاهلية الأولى .

الغارة الصهيونية

ونشرت **مجلة (الفكر الاسلامى) البيروتية** تحت هذا العنوان مقالا نقتطف منه ما يلى :

فى هذه الظروف التى يمر بها العالم الاسلامى والعربى ازاء العدوان الاسرائيلى ، والتى لم تسفر بعد عن ادراك كاف لمدى الأخطار والأهوال الصهيونية التى تحيط بالاسلام ودياره ومقدساته .. يجب أن يبحث علماء الاسلام ومفكروه فيما أدى الى هذه النظرة السلبية المحدودة ..

وفى ظنى أن السبب فى هذه النظرة يرجع الى عدم ادراك البعد الدينى للصهيونية وأنه أساس أبعادها السياسية والاقتصادية والاستعمارية الاخرى ، وأنه هو الذى يجعل اليهود يصرون ويندفعون الى فلسطين وما حولها لاسترداد أرض مقدساتهم الدينية والقومية ولتحقيق وعود الله لابراهيم عليه السلام ، ويجعلهم ينزعون أنفسهم ومصالحهم المادية من أوطان عاشوا فيها مئات السنين وصارت لهم فيها عزة وحرية وثروة ونفوذ وسيطرة لا يمكن الانخلاع منها والهجرة من أرضها الا تحت تأثير عقائد دينية استقرت فى أعماق النفس اليهودية وحكمتها وسيطرت على تصرفاتها منذ أن طردت من فلسطين .

وقد تكشف لكل بصير ، أن الصهيونية تفجر الحرب علينا وعلى الانسانية باسم الدين والعنصرية وعقيدة (الشعب المختار) .

وزعماء الصهيونية أنفسهم يعلنون البعد الدينى لحركتهم ولا يخفونه .. فلماذا نتطوع نحن باخفائه عن جماهيرنا وجنودنا الذين يقع عليهم أعباء مقاومته ودفعه .. ؟

أخبار العالم الإسلامي

الكويت :

● يقضى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم فترة من الوقت فى ربوع لبنان للراحة والاستجمام .

● أعرب رئيس مجلس الوزراء بالنيابة ووزير الدفاع والداخلية عن أمله فى أن يجنب الله الامة العربية خطر الانقسام وأن يلهمها القدرة على استرداد مكانتها وعزتها .

● صرح معالى وزير الخارجية بأن الكويت ستستمر فى دعم الدول المتضررة بالعدوان ، وأنها لن تسحب قواتها من قناة السويس ، وأن المعركة لم تنته بعد .

● رأس معالى وزير الخارجية وفد الكويت الى اجتماعات دورة الجمعية العامة للامم المتحدة.

● ستنشأ وكالة رسمية للانباء تغطى الأخبار فى العالم من خلال مكاتب ومراسلين لها .

● قدمت الكويت خمس منح دارسية لكل من تونس والمغرب والسودان للاشتراك فى الدراسات التى يقوم بها معهد الكويت للتخطيط الاقتصادى .

● تم التوقيع على اتفاق ثقافى بين الكويت والاردن يهدف الى تنمية العلاقات الثقافية والاعلامية وتبادل البرامج الاذاعية والتليفزيونية بين البلدين .

● أعلنت نتيجة امتحان الدور الثانى للنقل والشهادة فى معهد الامامة والخطابة التابع لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية .

● ذكرت مصادر مطلعة ان الجهات المختصة تدرس برنامج مساعدات تربوية وعلمية مع امارات الخليج .

القاهرة :

● توقف اطلاق النار بين مصر والأردن من جانب واسرائيل من جانب آخر لمدة ٩٠ يوما ابتداء من منتصف ليلة ٩/٨ وكلف وسيط الأمم المتحدة بوضع قرار مجلس الأمن موضع التنفيذ .

● أكد وزير الارشاد بأن مصر لا تفكر فى عقد صلح مع اسرائيل وانه لن يكون هناك أى مفاوضات طالما أنها تحتل أراضى عربية .

● أوصت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى باصدار سندات للجهاد لتمويل الأعباء التى تستلزمها المعركة .

● تعقد جامعة الدول العربية دورتها (٥٤) لمجلس الجامعة يوم ١٢ سبتمر الحالى .

● تم تحويل قسط الدعم السعودى وقدره عشرة ملايين ومائتان واثنان وستون جنيها استرلينيا .

السعودية :

● اعترفت المملكة العربية السعودية بجمهورية اليمن ، وتبادلت الدولتان التمثيل الدبلوماسى .

● صرح نائب وزير الدفاع والطيران بأنه سيفتتح قريبا مصنع للأسلحة الحديثة فى المملكة .

● أصبح ميناء ينبع مستعدا لاستقبال البواخر الكبيرة بعد الفراغ من الاصلاحات التى تمت فيه .

بغـــداد :

● صرح مصدر مســئول بأن العراق يرفض أية ادعاءات أجنبية فى الخليج العربى وطالب بضرورة انسحاب القوات البريطانية وتصفية القواعد الاستعمارية فيه .

بيروت :

● يواصـــل العدو الاسرائيلى عدوانه على الأراضى اللبنانية ، وتقوم القــوات اللبنانية بالرد على العدو .

صنعاء :

● صرح رئيس مجلس الوزراء بأن المجلس الوطنى يضع الآن الخطوط العريضة لدستور جديد مستقى من الشريعة الاسلامية .

عمـــان :

● صرح وزير الخارجية بانه اذا لم تنسحب اسرائيل من الأراضى المحتلة فانها ستحول بذلك دون أى تسوية ممكنة .

● ازدادت هجمات الفدائيين على المستعمرات الاسرائيلية بعد قرار وقف اطلاق النار .

الخرطوم :

● قال رئيس مجلس قيادة الثورة السودانى : ان القوات العربية مصـــممة على الاستمرار فى الكفاح لتحرير أراضيها .

● صرح مسئول بان الصهيونية كانت وراء حركة التمرد التى وقعت مؤخرا فى البلاد .

طرابلس :

● تم ترحيل الايطاليين الذين قرر مجلس قيادة الثورة استرداد ممتلكاتهم فى ليبيا .

تونس :

● صرح وزير الخارجية بان وقف اطلاق النار سيســاعد المبعوث الخاص للامم المتحدة على أداء مهمته فى الشرق الاوسط : ولن ينجح السلام الا اذا أخذت مسألة الفلسطينيين بعين الاعتبار

الجزائر :

● ينتظر أن يرأس الرئيس الجزائرى هوارى بومدين الوفد الذى يمثل الجزائـــر فى مؤتمر القمة الافريقى الذى يعقد فى هذا الشهر .

● وقعت الجزائر وموريتانيا اتفاقيات اقتصادية وفنية وثقافية وشكلت لجنة من البلدين لوضع هذه الاتفاقيات موضع التنفيذ .

اندونيسيا :

● تعقد المسابقة الثالثة لتلاوة القرآن الكـريم فى عاصـــمة مقاطعات كلمنتان الجنوبية فى اكتوبر القادم .

● ظهر فى المكتبات كتاب يحمل الأفكار الالحادية وقد طلبت سكرتارية الحزب الاسلامى منع تداول هذا الكتاب .

كوالالامبور :

● صرح مصدر مسئول بأن الأمير تنكو عبد الرحمن يرى دعوة وزراء خارجية الدول الاسلامية الى عقد اجتماع فى أقرب وقت لحل الخلافات بين الدول العربية .

أثينــا :

● أطلقت الحكومة اليونانية سراح الفدائيين السبعة المسجونين لاختطافهم طائرة بوينج يونانية .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة .

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان .

بغداد : المؤسسة العامة للصحافة والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيذ فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

حضرموت : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) المكلا .

دبى : مكتبة دار الحياة ص. ب ١٨٨٤ .

مسقط : المكتبة الحديثة / يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

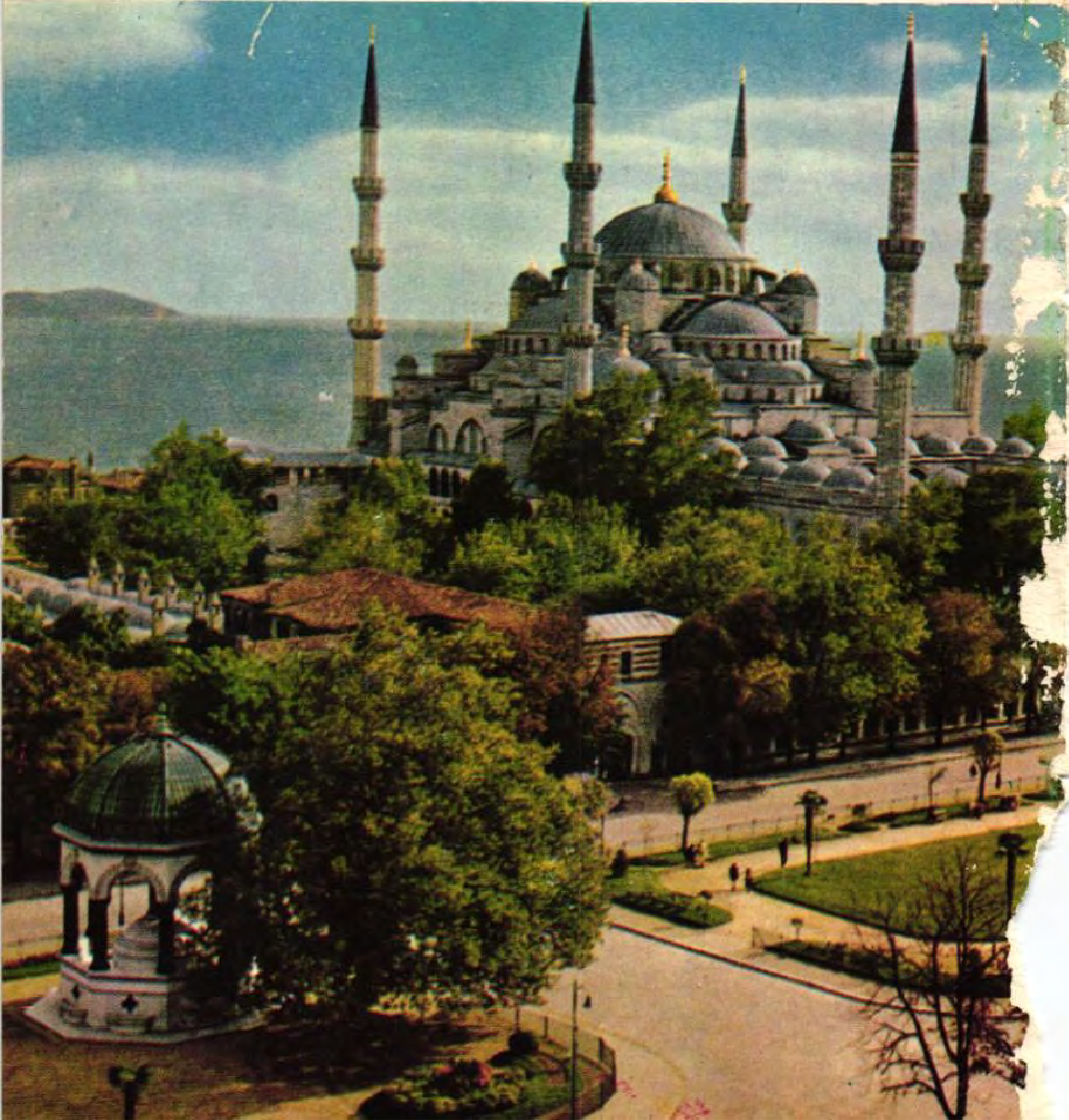
ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

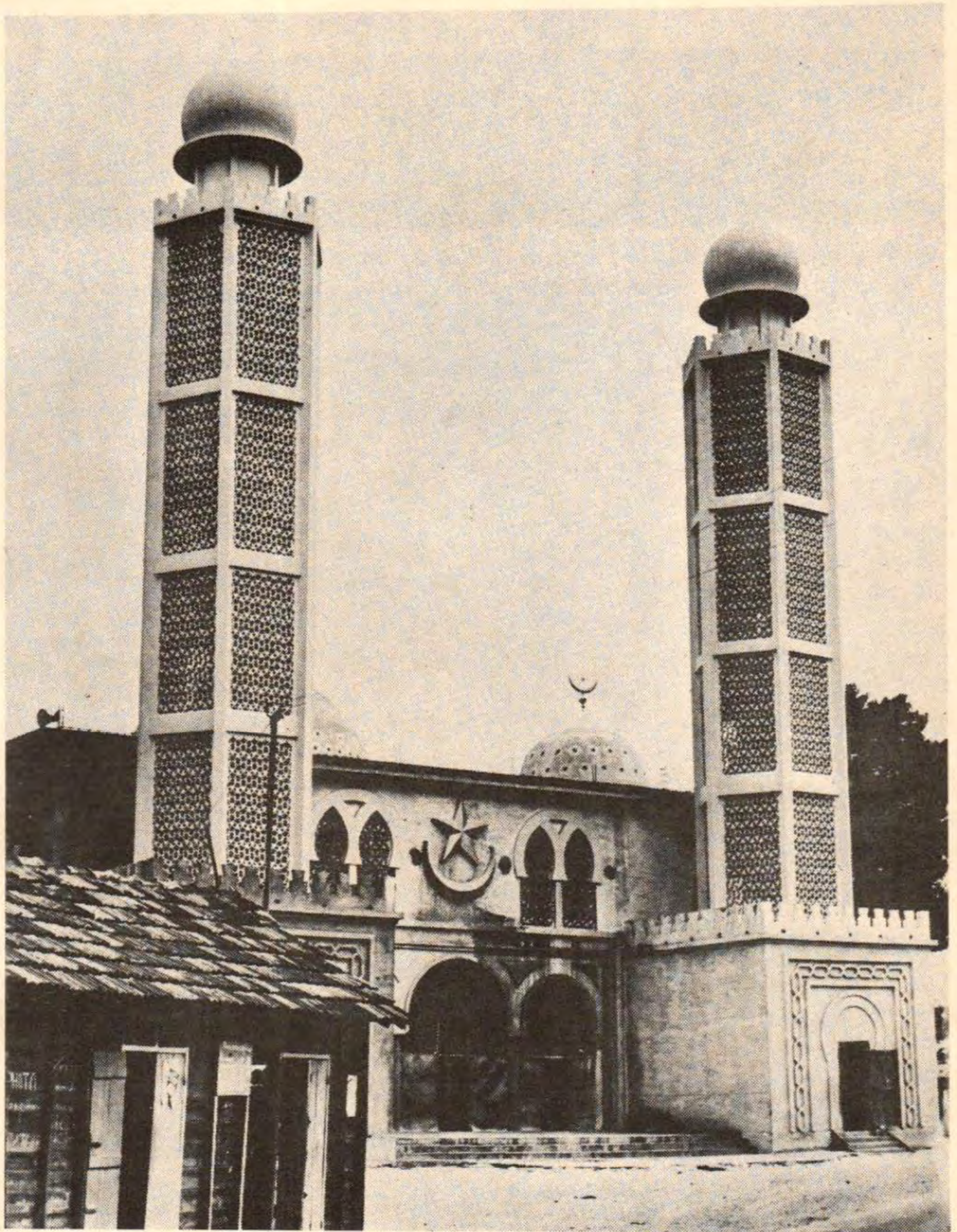
اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

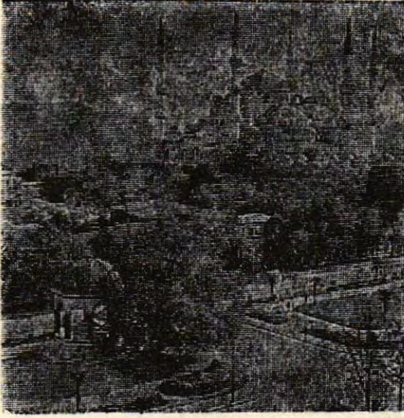
اسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة ـ العدد ٦٨ ـ شعبان ١٣٩٠هـ ـ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٠م





المركز الاسلامى بمدينة (تيوافون) بالسنغال ويتكـــون من مسجـــد كبير ومدرسة وقاعـــة للاجتماعات وقد بناه الشيخ أحمد التجانى سى على نفقتـــه الخاصة .



مسجد السلطان أحمد الذى يسمى بالجامع الأزرق بسبب الفسيفساء الزرقاء التى تزين جدرانه ويبلغ ارتفاع قبته ١٩٠ قدما ويعتبر من أجمل مساجد مدينة استانبول استمر بناؤه على يد المهندس محمد آغا من سنة ١٦٠٩ الى ١٦١٦ وتحيط به حديقة خضراء واسعة .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد الثامن والستون

شعبان ١٣٩٠ هـ

اكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

الدعوة والدعاة

تسير الدول المتقدمة اليوم فى سياستها الحضارية والعمرانية على منهج التخطيط والتنسيق ، وكان لهذا المنهج أثره البعيد فيما أنجزته من أعمال ضخام ، وما حققته من آمال كبار ما كانت تنجز وتتحقق بهذه الصورة لو أن الأمور فيها سارت مسيرة الفوضى والارتجال ، فدراسة المشروعات الكبرى فى كل قطاع من قطاعات الدولة ، وتنفيذها وفق خطة مدروسة فى زمن معين — ثمرة من ثمرات التقدم الحضارى الذى يتميز به العصر الذى نعيش فيه .

والتخطيط عملية شاقة يحشد لها الخبراء وكبار العلماء الذين يدرسون احتياجات الدولة فى مدى عشر سنوات أو خمس فى المجالات المختلفة كالتعليم والصحة والزراعة والصناعة ، وعلى ضوء من هذه الدراسات يضعون المشروعات التى تفى بهذه الحاجات فى حدود الامكانيات المادية المتاحة التى تضمن تنفيذها جنبا الى جنب حتى لا يطغى مشروع فى قطاع على حساب مشروع فى قطاع آخر .. وبهذا التخطيط يتم التوازن والتنسيق بين حاجات الامة وبين امكانياتها ، ويتحقق التطور والتقدم الحضارى المنشود .

والتقدير والحسبان سنة من سنن الخلق والابداع الالهى ، وعلى هذه السنة المحكمة أقام الخالق المبدع — سبحانه — نظام الوجود كله ، ولولاها لدكت قواعده ، وانهارت عمده ، واختل نظامه ، وتوقفت مسيرة الحياة فيه .

والقرآن الكريم يشير فى كثير من آياته الى هذا السنن الكونى ، والى أن الكائنات كلها تخضع لحكمه ، وتسير وفق نظامه ، وأنه ينطبق على الكواكب والليل والنهار ، كما ينطبق على الأمطار والنباتات ، وأنه لا يشذ مخلوق كائنا ما كان عن هذه

القاعــدة المضطردة : ((وخلق كل شيء فقدره تقديرا)) .

والمتتبع لآيات الكتاب العزيز يرى أن المبدع المستغنىعن المشير والوزير جل علاه ــ يلفت الانظار والعقــول الى ان مسلك القدر الأعلى جرى فى ايجاد كل شيء وفقا لنظــام محــكم سبق فى الأزل قبل تنفيذه وايجاده : ((وما تســـقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمــــات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين)) .

والشمس والقمر انما يتحــركان بحساب بالغ الدقة ، والليل والنهار انما يتعاقبان على خطة رتيبــة . لا يتقدمان ، ولا يتأخران ((الشمس والقمر بحسبان)) ــ ((والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القــديم . لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون)) والماء الذى هو أصــل الحياة ينزل بقدر معلوم ((وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض)) والنباتات المختلفة تنبت وتتنوع بالقدر الذى تحتاج اليه الحياة على وجــه الأرض ((وجعل فيها رواسى وبارك فيها وقدر فيها أقواتها)) ــ ((والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنــا فيها من كل شيء موزون)) .

وهل تأويــل يوسف ــ عليــه الصلاة والسلام ــ رؤيا الملك الا خطة (سبعية) وضعها الصديق عن علم لمواجهة الأخطار التى تحيط بالشعب فى سنى القحط والمجاعة : ((وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات)) .

وقال يوسف فى تعبيرهــــا : تستقبلون سبــع سنوات مخصبــة تزدهر فيها حقولكم ، وتكثر غلاتكم ، ثم تأتى فى أعقابها سبع شداد يسود فيها وجه الارض ، وتمسك فيهـــا الســماء ، فلا ماء ينزل ، ولا نبات ينبت ، فما حصدتم فى سنوات الرخاء آخزنوه فى أهرائكم ومخازنكم محفوظا فى سنبله حتى لا تفسده الآفــات وذلك ليسد حاجتكم فى السبع الشداد والسنين العجاف : ((تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فــى سنبله الا قليلا مما تأكلون . ثم يأتى من بعد ذلــك سبع شداد يأكــلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون . ثم يأتى من بعد ذلــك عــام فيــه يغاث الناس وفيه يعصرون)) وقد نفذت الخطة باحكام ، فوقت الأمة ويلات الجدب والقحط .

والتخطيط والتنسيق كما يلزم ، وينفع فيما يصلح الناس فى شئــون معاشهم ودنياهم .. فى تخطيط المدن وتعبيد الطرق ، وانشاء المصانــع واصلاح الاراضى وشق الترع وحفر المصارف وادارة الآلات . كذلك لا بد من التخطيط فيما يكون به الانسان انسانا فى تكوين عقيدته ، فى تهذيب خلقه . فى تقويم سلوكــه . فــى تغذية مشاعره وتنمية وجدانه . فى التسامى بغرائزه . فى هدايتـــه وتبصيره الصراط المستقيم .

وبهذا جرت السنة الالهية الحكيمة فان الله سبحانه كمــا قــدر أرزاق العباد ، ودبر أقواتهم ، وسخر لهم ما فى السموات وما فى الارض للوفاء بحاجاتهم ــ تعهدهم كذلــك بالوحى ينبههم الى ما غفلوا عنه ، ويحذرهم مما انخدعــوا به ، ويذكرهم بالله ، وابتعث فيهم النبيين والمرســلين يحدونهم الى طريق الحق ، ويعرفونهم

الفضائل ، ويشرحون لهم ما أمر الله به ، وما نهى عنه .
وكان ابتعاث المرسلين فى فترات متقطعة . يرتفع فيها صـوت النبوة كلما مست حاجة البشرية الى بشير ونذير ، واذا كانت حالـة الامـة تستدعى أكثر من رسول فى زمن واحد ومكان واحد ، كما حدث فى بنى اسرائيل أرسل الله عددا من المرسلين يفى بحاجة الامة ويتعاونون عـلى اصلاح امرها .

وظلت هـذه السنة الالهيـة فى التعريف باللـه قائمة على تعهـد الامم والشعوب بحملة الوحى الاطهار فى فترات متقاربة أو متباعـدة من الزمان حتى القيت مقاليد الوحى كلها فى يد محمد رسول اللـه خاتم النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .
وكانت مناهج الوحى الى المرسلين مناهج واضحة مفهومة كاملة بالقدر الذى تحتاج اليه اممهم ، ويفى بعلاج أدوائها وعللها ، فما ارسل اللـه من رسول الا بلسان قومه وما انزل من كتاب الا كان مفصلا يكشف معالم الطريق امام الناس ، وكان جهـد المرسلين عـلاج الخلل فى السلوك الانسانى ومداواة العلل التى تشيع فى الامة وتنذرها بسوء المصير .
ان الدعوة الى الله عمـل ضخم يتطلب كفايات مؤمنة متميـزة . اذ الدعوة هى بناء الانسان بناء روحـه وقلبه ومعنوياته . بناء فكره ومشاعره ووجدانه ، وليس هنـاك اصعب مراسا من الانسان ، فهو كثير اللدد ـ والخصومة . عصى لا ينقـاد الا لهواه ولا يستسلم الا لشهواته ومن أجل هـذا كانت مهمة الداعيـة من اشق المهام واصعبها ، وخاصة فى هذا العصر الذى فسد فيه التصور والتفكير ، واختلت فيـه المقاييس والموازين حتى أصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا والحسن قبيحـا والقبيح حسنا ، وأى فساد وخلل أكثر من أن يستسيغ عقل وتفـكير رواد هـذه الحضارة المادية الشامخـة أمورا تعافها الحيوانات . ان الشذوذ الجنسى الآن يمارس فى ظل قانون وضعه أصحاب العقـول الجبارة . ان المخادعـة والمخادنة فى ظـل الأعراف الحضاريـة المتقدمـة شىء لا معرة فيه . انه لا يقدر على نقـل أقـدام الغارقين فى الوحـل الى انقاذهم الى الطريق السـوى .. الا الاشداء الأقويـاء أولو العقيـدة والقلب الحى .
ان الاسلام يتعرض فى هذا العصر لغزو عقائدى مدمر . وضع مخططه فى دقة واحكام وخبث ودهاء وظهرت آثاره فى العقل المسـلم والمظهر المسلم ، فهل نشط المسلمون لحماية عقولهم ومجتمعهم والوقوف فى وجه هـذا الغزو المنظم بمخطط مماثـل يدفع المسلمين الى الاستمساك بدينهم والاعتصام بكتابهـم ، والاعتزاز بشريعتهم والحفاظ على اخلاقهم ؟
ان الدول الاسلامية الكبرى فى هذا العصر تتدارك فى مجال الحضارة المادية ما فاتها فى عصور التخلف ، وتحشد كل قواها وامكانياتها للعمران والتشييد وفق مخطط زمنى محدد ، فالمدن والجسور والقصور والمنشآت فيها صورة طبق الاصل لما فى العالم الغربى المتقدم ، فهل وجد الجانب الروحى فى هـذه الدول ما وجـده الجانب المادى من التخطيط والعناية حتى يتم بناء الامـة عـلى قواعـد

الاسلام ومبادىء الدين ، أم أن شئون الدعوة الى الله تتبع سياسة الفوضى والارتجال ، وتتحكم فيها الأهـواء والرغبات ، وينظر اليها نظرة ثانوية لا تستحق الاهتمام والتفكير .

ان حصوننا مهددة من الداخل ، وأن ميدان الدعوة الى الله يقف فيه كثير ممن لا يحسنون القيادة والتوجيه ... ان نفرا من المسلمين أقحموا أنفسهم فى هذا الميـدان مدفوعين بفيض من الحماس والغيرة عـلى محارم الله مع الجهل الفاضح بالكتاب والسنة وفقـه الشريعـة وعـدم القدرة على مخاطبـة الجماهير .. فمنهم من لا يفرق بين الآية والحديث والمثل والحكمة ، ومنهم من لا يميز بين ما صح من الحديث وما لم يصح منه ، ومنهم من يتصدى للفتوى وهو لا يحسن الوضوء ، ومنهم من يتسلط على عقول العامة ، ويستولى عـلى عواطفهم بما يحدثهم به من خرافات وأساطير بعيـدة كـل البعـد عن الصحة والعقل والمنطق والصدق ، وكثير منهم من يعتلى المنابـر فى البوادى والريف ليسمع الناس هجر القول وفاحش السباب . يكـفر ويفسق ويدخل الجنة ، ويؤجج النيران على حسب هـواه وجهلـه .. وقد تعود المستمعون لهـذا الصنف من الناس على الخطب الحاميـة والمواعظ الكاوية ، وأصبح لا يقنعهم، ولا يؤثر فيهم الا هذا اللون من الكلام، وخطر هؤلاء المتحدثين الجهلـة اذا قيس بخطر المؤلفين الجهلـة كان أهون وأخف فان الحديث يتبخر مع الهواء ، ولا يستقر منه فى أوعية النفوس الا القليل .. أما الكتـاب المحشو بالكذب على الله ورسولـه والمملوء بمن سار على الماء ومن طار نعشه ، ومن تزوج بالجن ، أما هذه الكتب فان الاجيال تتناقلها وتتأثر بها ، ومن العسير أن تقنع الأمى الدينى بكذب ما جاء فيهـا لأنها فى نظره مطبوعة ومتداولة ، ومضى على طبعها وتداولها كـذا من السنين وقرأهـا العديد من الناس ، وما فيها منسوب كذبا الى الامام الغزالى والى أبى يزيد البسطامى والقطب الشعرانى والامام الخواص ، ويعلم اللـه أن هؤلاء الصالحين برءاء الى الله مما زور عليهم ونسب اليهم ... ولا يوجد قانون يحمى عقول البسطاء والسذج ويمنع تداول هـذه الكتب بين الناس بل ان المطبـوع منها من مئـات السنين يعاد طبعه على نفقـة بعض المحسنين المغرر بهم من أهـل الخير والبر .

يجب على المسئولين والمشتغلين بالدعوة الاسلامية أن يأخذوا الأمـر مأخذ الجد ، وأن يبصروا من بعيـد الخطر الزاحف الـذى ظهرت طلائعه بيننا .. ويجب أن يفهم أن الخطـر أسرع وأعقد من أن يعالج بمقال ينشر أو حديث يذاع ، أو قرارات وتوصيات تتخذ ، ثم لا تنفـذ .

ان الناس لا يستغنون عن هداية الله كما لا يستغنون عن رزقـه ، ومهما أوتوا من علم فلن يستطيعوا ان يدبروا شئونهم بعيدا عن وحى الله « وأن هذا صراطى مستقيمـا فاتبعـوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكـم تتقون » .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

رضوان النبلى

السنة والبدعة

(قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم :

① من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) متفق عليه .

١ ــ تعريف السنة والبدعة والفرق بينهما
٢ ــ تدوين السنة وعلومها
٣ ــ أدب السنة والحديث

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد

المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

١ ــ التعريف

ورد لفظ « السنة » فى اللغة العربية بمعنى الطريقة مطلقا مرضية كانت او غير مرضية .

وعند علماء الأصول هى اقوال النبى صلى الله عليه وسلم وافعاله وتقريراته (١) .

وعند علماء الفقه هى المطلوب طلبا غير جازم ، أى ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه .

وعند علماء الحديث هى كل ما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وتعرف فى الشرع تعريفا عامـا بمعنى ما يقابل « البدعة » فيقال ، هى الطريق المسلوكة فى الدين ، بأن سلكها رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه

---

(١) معنى تقرير الرسول (صلى الله عليه وسلم) لصحابته هو أن يرى أو يعلم بعض افعالهم فيقرهم عليها ولا ينهاهم عنها .

الراشدون والسلف الصالح من بعدهم ، وبهذا المعنى تشـــمل الواجب والمندوب والمباح سواء كانت من قبيل الأقوال أو الأفعال أو الاعتقادات .

وأما البدعة فهى (فى الاطلاق اللغوى العام) ــ كما قال الشـــاطبى فى الاعتصام أصل مادة « بدع » للاختراع على غير مثال سابق ، ومنه قوله تعالى (بديع السموات والأرض) أى مخترعهما على غير مثال سابق ، وقوله سبحانه (قل ما كنت بدعا من الرسل) أى ما كنت أول من جاء بالرســـالة من الله الى العباد ، بل تقدمنى كثير من الرسل ، ويقال ابتدع فلان بدعة يعنى ابتدأ طريقة لم يسبقه أليها سابق ، فاستخراج البدعة للسلوك عليها هو ألابتداع ، وهيئتها هى (البدعة) .

والبدعة والأبتداع من الأمور التى ينشأ عنها تطور الوجود فى كل شىء فالبقاء على حال مســـتقرة محال ، وهى فى المجال العام لازمة للحياة الأفضل دائما كتطور الصناعات ، وتعدد المخترعات فى كل وسائل الحياة الانســـانية ، وما الحضارة التى نرى الا نتيجة للابتداع والاختراع المتكرر ، وهذا عمل يحث عليه الاسلام لانه يحمل على الأخذ بالافضل دائما فى كل الأمور .

وأما البدعة التى حذر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فيها يوما « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » فالمقصود منها اختراع شىء فى أصول الدين لم يكن على عهد رسول الله صـــلى الله عليه وسلم ، وذلك لأن الأصول الدينية قد تكاملت وتركها رسول الله على المحجة البيضـــاء غير قابلة للنقص ولا الزيادة ، قال تعـــالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) .

ولهذا عرفوا البدعة شرعا

بأنها طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الشرعية يقصـــد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية ...

وينسب الى الامام مالك وأصحابه ، وجرى عليه الشاطبى فى الاعتصام تعريف البدعة بأنها ما أحدث بعد النبى صـــلى الله عليه وســـلم على أنه دين وشرع ، بأن يجعل من الدين ما ليس منه ، بناء على تأويل أو شبهة غير معتد بها .

فالمبتدع متبع هواه ، ولا تكون البدعة على هذا التفسير الا مذمومة .

فالخلاصة أن الكلام فى الدين وأصوله يقبل فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترفض البدعة فان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

٢ ــ تدوين السنة وعلومها

أ ــ فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ب ــ فى عهد الصحابة .
ج ــ فى عهد التابعين .
د ــ فى العصور التى تلت .

أ ــ فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

يجمع الباحثون فى هذا الموضوع على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى صحابته عن كتابة الأحاديث ، ثم عاد فأجازها ، **وتفصيل ذلك** أنه لما كان القرآن الكريم هو المصدر الأول فى الاسلام للعقيدة والتشريع ، أولاه الرسول عليه الصلاة والسلام كل عنايته ، ووجه اليه اهتمام صحابته ، فحفظوه فى صدورهم وقيدوه كتابة فى الرقاع المتخذة من الجلود ، والسعف ، وعلى الحجارة ، والعظام ولم يدعوا فرصة تمر دون أن يسألوا الرسول عليه الصلاة والسلام عما خفى عليهم من أحكامه وتشريعاته ، فعرفوه وفقهوه وحفظوه جملة وتفصيلا ، ونظرا للاهمية البالغة التى توجب الحفاظ على آى القرآن نقية بعيدة عن شبهة الاختلاط بكلام آخر ولو كان كلام الرسول نفسه ، نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته عن تدوين الأحاديث كتابة ، وأمرهم بالاقتصار على كتابة القرآن وحده ، وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه الأمام مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى « لاتكتبوا عنى غير القرآن ، ومن كتب شيئا فليمحه » ... ولم يكن هذا النهى مانعا لبعض الصحابة الذين يجيدون الكتابة أن يتخذوا لأنفسهم صحفا خاصة يسجلون فيها ما يسمعون من الرسول عليه السلام ، وقد حدث هذا فعلا فاتخذ عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفة كانت تسمى « الصادقة » لدقة ما ورد فيها ، وقد أخرج الامام أحمد ، والبيهقى فى المدخل عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال « ما كان احد اعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منى الا عبد الله بن عمرو بن العاص فقد كان يكتب ولا اكتب » ... وكتابة عمرو استرعت أنظار بعض الصحابة الذين قالوا له « انك تكتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما يقول ، ورسول الله قد يغضب ، فيقول ما لا يتخذ شرعا عاما » فرجع ابن عمرو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له « اكتب عنى فوالذى نفسى بيده ما خرج من فمى الا حق » (١) ومعنى اذنه عليه الصلاة والسلام لابن عمرو بالكتابة أنه نسخ نهيه الأول عنها لزوال المانع ، وقال العلماء فى هذا (أن النهى خاص بمن لا يؤمن عليه الغلط والخلط بين القرآن والسنة ، أما الاذن فهو خاص بمن أمن عليه ذلك) (٢) ووجدت صحائف أخرى لكثير من الصحابة رضوان الله عليهم مثل سعد بن عبادة الأنصارى وعبد الله بن أبى أوفى وسمرة بن جندب ، وجابر بن عبد الله ، وعلى بن أبى طالب ، وعبد الله بن عباس .. الخ .

٢ ــ عهد الخلفاء الراشدين

ولما ولى أبو بكر رضى الله عنه امر المسلمين بعد وفاة النبى صلى الله عليه

---

(١) ابن عبد البر جامع بيان العلم ٧٦/١ .
(٢) الدكتور السباعى السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى /٩ .

وسلم تشـــدد كثيرا فى الـــرواية وتورع عن الكتابة ، ويذكر مؤلف (تذكرة الحفاظ (١) أنه أى أبا بكر جمع الأحاديث المكتوبة وأحرقها ، ولما جاء بعده عمر رضى الله عنه مال الى أن يكتب الحديث ، ولكن غلب عليه الخوف من اختلاطه بالقرآن ، أو انصراف المسلمين عن القرآن الى حفظ الأحاديث المكتوبة فعدل عن الأمر بالكتابة وقال (أنى كنت ذكرت لكم من كتاب السنن ما قد علمتم ثم تذكرت فاذا اناس من أهل الكتاب قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله وأنى والله لا ألبس كتاب الله بشىء أبدا) وقال الخطيب البغدادى (أن سبب كراهة من كره الكتابة من الصدر الاول انما هو الخشية من أن يضاهى بكتاب الله تعالى غيره أو يشتغل عنه بسواه) .

٣ ـ عهد التابعين

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرر فى خطبه دائما وخاصة فى حجة الوداع قوله (الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب) تفانى الصحابة فى نشر وصاياه واوامره وتشريعاته بين الناس ، وظل كبار التابعين ممتنعين عن الكتابة والتقييد ، ولكن فى أوائل المائة الثانية من الهجرة الشريفة بدأ البعض يميل الى التدوين خوفا من ضياع السنة بموت حملتها ، ففى سنة ١٠١ هـ أصدر عمر بن عبد العزيز أمرا بتدوين الحديث مستندا الى آراء كبار علماء الشريعة فى عهده الذين ايدوا هذا الأمر ونفذوه عمليا ، وفى طبقات أبن سعد (أن عمر بن عبد العزيز كتب الى عامله على المدينة أبى بكر بن محمد بن عمر بن حزم ما نصـــه « انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو سنة ما ضية ، أو حديث عمرة بنت عبد الرحمن الانصارية (٢) فاكتبه فانى قد خفت دروس العلم وذهاب أهله » وكان عمر قد كتب الى الأمصار بمثل ما كتب به الى أبن حزم ، (وكان أول من استجاب له فى حياته وحقق له غايته عالم الحجاز والشام محمد ابن مسلم بن شهاب الزهرى المدنى المتوفى سنة ١٢٤ هـ الذى دون له كتابا فغدا عمر يبعث الى كل أرض دفترا من دفاتره ، وكان الزهرى يفخر قائلا « لم يدون هذا العلم أحد قبلى » (٣) ويبدو أن الداعى الأقوى الى التدوين فى هذا العصر هو انتشار وضاعى الحديث ، والقصاص الذين كانوا يعظون الناس ويخوفونهم بأحاديث غير صحيحة النسبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد خشى العلماء على أحاديث الرسول ان تختلط بغيرها من المفتريات وصار من الضروري لديهم أن يكتب الحديث الصـــحيح وبدأ التدوين فى تلك الحقبة مخلوطا بفتاوى الصحابة والتابعين كما ورد فى موطأ الامام مالك المتوفى سنة ١٧٩ هـ .

٤ ـ وعلى رأس المائتين بدأ تدوين المسانيد خالية من الفتاوى (واول من كتب مسندا خاليا من الفتاوى هو ابو داود الطيالسى ٢١٤ هـ ، ومن أرقى المسانيد

---

(١) نقل هذا النص الدكتور صبحى صالح عن جامع بيان العلم وطبقات ابن سعد .
(٢) امرأة من الانصار اشتهرت بالتحديث .
(٣) الدكتور صبحى الصالح فى علوم الحديث ص ٤٦ .

مسند الأمام احمد بن حنبل ٢٤١ هـ ، ولم تدون السنة الصحيحة وحدها مرتبة على أبواب ألا فى عصر أتباع التابعين ممن عاصروا البخـــارى ، وأما من جاء بعدهم من المتأخرين عن هذا العصر فغالب ما قـــاموا به هو التهذيب والشرح وأختصار الكتب الصحيحة المشهورة) (١) .

علوم السنة

١ ــ أنتشار الأحاديث الدخيلة (الموضوعة) وأسبابه
٢ ــ عناية المسلمين بأمر السنة
٣ ــ ظهور علم الحديث رواية ، ودراية (مصطلح الحديث)

---

١ ــ أسباب أنتشار الأحاديث الموضوعة

منذ مقتل عثمان رضى الله عنه لم يجمع المسلمون على خليفة له ، ونشب نزاع شديد بين على ومعاوية تطور الى قتال سالت فيه دماء المسلمين الذكية بغزارة ، وصار لكل منهما مناصرون ، وتفرق المسلمون شيعا واحزابا ، وبذل كل فريق ما استطاع لنصرة من يواليه ، وبدأوا يخترعون أقوالا ينسبونها ألى رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤيد فى نظرهم ما يرومون ، وكان هذا ايذانا بالتزيد على رسول الله ونســـبة ما لم يقله وما لم يفعله أليه صـــلى الله عليه وسلم .

ويلاحظ أن الحقبة التى عاش فيها كبار الصحابة كابن عمر وابن عباس لم يتغشاهاالفساد بالصورةالتى انتشر بها بعدهم لأن هؤلاءالاصحاب كانوا يقفون بالمرصاد لكل من يتزيد فى فعل أو قول ، فهذا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يقول فى الحجاج بن يوسف (... عدو الله ، استحل حرم الله ، وخرب بيت الله ، وقتل أولياءه) ويجابهه حين وقف يخطب ضد عبد الله بن الزبير ويصفه بأنه بدل كلام الله ، فيقول له (كذبت لم يكن ابن الزبير يستطيع أن يبدل كـــلام الله ولا أنت ، فأجاب الحجاج أنت شـــيخ خرف فرد ابن عمر أما أنك لو عدت لعدت) .

كما كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل يتورعون عن القول دون علم أو سماع من رسول الله فقد أخرج البيهقى عن البراء قوله (ليس كلنا كان يسمع حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، كانت لنا ضياع واشغال ، ولكن الناس لم يكونوا يكذبون فيحدث الشـــاهد الغائب ، كما كانوا يحاورون الناقل حتى يثقوا بصحة نقله ، فقد قال قتادة (ان أنســـا حدث بحيث فقال له رجل أسمعت هذا من رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ؟ قال نعم (أو حدثنى من لم يكذب) (٢) ، والله ما كنا ندرى ما الكذب) .

---

(١) الدكتور صبحى الصالح ص ٤٨ علوم الحديث .
(٢) شك من الراوى فى اللفظ .

وقبل أن تشتد الفتن فى بلاد المسلمين وتستشرى ، كان الناس يتقبلون الحديث دون مناقشة ، وخاصة اذا تكلم به صحابى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما استعر أوارها بدأ سامعو الحديث الشريف يشــكون فى كل ما يسمعون ألا أذا استوثقوا من القائل ، وكان من الموثوق بهم فى قوة دينه وعدالته، وذكره الحسن بين الناس ، ومما يصور تلك الحالة ، ويعطى فكرة واضحة دقيقة عن هذا التحول العجيب والسريع فى الوقت نفســه ما رواه الامام مســلم فى صحيحه حيث يقول (حدثنا رباح عن قيس بن سعد عن مجاهد قال « جاء بشير (بالصغير) العدوى الى ابن عباس رضى الله عنهما فجعل يحدثه ويقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل أبن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر اليه ، فقال يا ابن عباس مالى لا أراك تســمع لحديثى ، أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع ، فقــال ابن عباس ، أنا كنا مرة اذا سمعنا رجلا يقول قال رســول الله صــلى الله عليه وسلم ، ابتدرته ابصارنا ، واصغينا اليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس الا ما نعرف) .

وأهم الاسباب التى دعت الى أختلاف الأحاديث ونسبتها كذبا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (النزاعات السياسية والزندقة والعصبية والجهل بالدين مــع الرغبة فى الــخير والــتقرب الى المــلوك والأمراء والقصــص والوعظ) .

٢ ـ عناية المسلمين بأمر السنة

ولما مضى هذا العصر ، ونمت الفتنة واستعرت نارها ، كثرت الاحاديث الموضوعة التى يناصر بها كل فريق فريقه ، واول بلد نشأ فيه تغيير الأحاديث هو العراق يقول الزهرى وهو أمام أئمة الحديث واول من جمعه ودونه (يخرج الحديث من عندنا شبرا فيرجع الينا من العراق ذراعا) وكان الأمام مالك يسمى العراق (دار الضرب) أى تضرب فيها الأحاديث وتخرج للناس .

كل ما مر حمل الغيورين على دينهم الذين وقفوا حياتهم على خدمته خالصا لوجه الله ، وفتح الله عليهم ابواب المعرفة ، وآتاهم القوة الروحية الخارقة فصبروا على تحمل المشاق ، وهاجروا طويلا فى سبيل جمع الأحاديث الصحيحة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وعملوا على تنقيتهــا من شــوائب الوضع والوضاعيين ، ورسموا لعملهم خطة مدروسة متميزة ، نشأت عنها علوم الحديث التى أوصلها بعضهم الى اثنين وخمسين علما والبعض الى خمســة وستين علما ، ومن أهمها علمان رئيسيان هما علم السنة دراية ورواية .

(للحديث بقية)

لغة القرآن ٣

الفواصل

للدكتور : على محمد حسن

ويسميها أبو زكرياء الفراء العالم النحوى المشهور (الفصول) ، و (رءوس الآى) ، جاء عند نظره فى قول الله تعالى : (أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) قوله : (وهذا فى القرآن كثير بغير الفاء ، وذلك لأنه جواب يستغنى أوله عن آخره بالوقفة عليه ، فيقال : ماذا قال لك ؟ فيقول القائل : قال كذا وكذا ، فكان حسن السكوت يجوز به طرح الفاء ، وأنت تراه فى رءوس الآيات — لأنها فصول — حسنا) .

وبعد أن ذكر بعض آيات جاء فيها الجواب بغير الفاء ، وكلمات جاءت فيها الفاء ، وأخرى جاءت الواو قال : (فاعرف بما جرى تفسيره ما بقى ، فانه لا يأتى الا على الذى أنبأتك به من الفصول ، أو الكلام المكتفى يأتى له جواب) .

ونظن أن هذه الكلمة (الفصول) جاءت تسمية لرءوس الآى لأول مرة فى كلام الفراء ، وعلى وجه التأكيد لم أر فيما وقفت عليه من كتب أحدا استعملها قبل الفراء .

أما كلمة (الفواصل) فأول ما وقفت عليها فى رسالة (النكت) لأبى الحسن على بن عيسى الرمانى ، فقد جعلها عنوان فصل من فصوله ، وعرفها وخصها بحديث لعله الأول من نوعه قال فى تعريفها : (الفواصل حروف متشاكلة فى المقاطع توجب حسن الافهام) ، وفرق بينها وبين الأسجاع ، فقال : (والفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب ، وذلك أن الفواصل تابعة للمعانى ، وأما الأسجاع فالمعانى تابعة لها ، وهو قلب ما توجبه الحكمة ، فى الدلالة اذ كان الغرض الذى هو حكمة انما هو الابانة عن المعانى التى الحاجة اليها ماسة) .

قال : (وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة لأنها طريق الى افهام المعانى التى يحتاج اليها فى احسن صورة يدل بها عليها) .

ثم بين نوعى الفواصل فى القرآن الكريم ، فقال : (والفواصل على وجهين : أحدهما على الحروف المتجانسة ، والآخر على الحروف المتقاربة) .

ومع أننى لم أقف على هذه الكلمة فى كتاب سابق على رسالة الرمانى أظن أن استعمالها سبق هذا التاريخ ، لأن حديث الرمانى عنها حديث من يتكلم على أمر معروف عند الناس وفى العادة يأتى التعريف والتقسيم وذكر الفائدة ، بعد أن تكون الكلمة قد شاع استعمالها .

وأيا ماكان فان مدى علمى الآن هو أن الفراء أول من استعمل فى رءوس الآى كلمة الفصول ، وأن الرمانى هو أول من استعمل كلمة (الفواصل) .

ثم جاء المتأخرون فكان أكثرهم على ما سار عليه الفراء والرمانى ، من أن الفواصل هى رءوس الآى ، وان لم يكن ذلك واضحا فى كلام الرمانى ، لكن تمثيله يفيد أنه يجعل الفواصل ورءوس الآى مترادفين ، وقليل من المتأخرين من جعل الفواصل أعم من رءوس الآى ، جاء فى كتاب (البرهان فى علوم القرآن) لبدر الدين الزركشى المتوفى سنة ٧٩٤ هـ ما يأتى : (معرفة الفواصل ورءوس الآى . وهى كلمة آخر الآية كقافية الشعر ، وقرينة السجع ، وقال الدانى : كلمة آخر الجملة) .

قال : (وفرق الامام ابو عمرو الدانى بين الفواصل ورءوس الآى ، أما الفاصلة فهى الكلام المنفصل مما بعده ، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية ، وغير رأس آية ، وكذلك الفواصل بين رءوس آى وغيرها ، وكل رأس آية فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية) .

ونلاحظ الفرق بين تعريف الرمانى للفواصل بأنها (حروف متشاكلة) وبين تعريف الزركشى للفاصلة بأنها (كلمة آخر الآية) ، غير أن تقسيمهم للفواصل ، وحديثهم عنها يرجح تعريف الزركشى ، فالفاصلة ليست الحرف الأخير المماثل أو المقارب للحرف الأخير فى الجملة السابقة ، وانما هى الكلمة التى تتفق أو تتقارب مع كلمة أخرى فى آخر جملة جاءت معها ، وتمثيله بقافية الشعر ، وقرينة السجع تأكيد لمراده ، وهى أن الفاصلة هى (الكلمة) .

ومثال الفاصلة التى ليست رأس آية قول الله تعالى من سورة الاعراف : « قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا » ومن شواهد ذلك أيضا قول الله تعالى : « ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم » وقوله سبحانه : « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها » وقوله عز اسمه « أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله » وقوله على لسان سيدنا زكريا « رب انى ، وهن العظم منى » .

ويبدو أن العلماء أخذوا هذه التسمية « الفواصل » من قوله تعالى : (كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) وقوله سبحانه : (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) .

وليس من اليسير حصر الطرق التى جاءت عليها الفواصل فى القرآن من حيث التزام حرف مماثل أو مقارب ، وانما يمكن فقط أن نعطى أمثلة .

فمن سور القرآن الكريم ما جاءت كلها على حرف واحد مثل سورة (القمر) فكل فواصلها على حرف الراء ، ومثل سورة (القدر) ففواصلها على

الراء كذلك ، ومثلهما سورة (الاخلاص) فهى على الدال ، وسورة (الناس) فهى على السين .

ومن سور القرآن ما يلتزم حرفا واحدا فى أكثر الفواصل ، ويخالف فى فواصل قليلة ، مثلا سورة الأعراف ، جاءت جمهرة فواصلها على حرف النون ، وآياتها مائتان وست ، والفواصل التى جاءت على غير النون نحو عشر آيات أكثرها على الميم ، وبعضها على اللام .

أما أكثر سور القرآن فمتعددة الفواصل ، والأمثلة على ذلك كثيرة .

وقد لاحظ بعض الباحثين أن القرآن الكريم كان يلتزم الفواصل المتماثلة فى مواطن الوعظ والترهيب وأن هذا يغلب على السور المكية .

أما من حيث الـــتزام حرف أو أكثر ، فقد لاحظ الباحثون أن التزام حرف واحد هو الكثير الغالب ، وقد يلتزم حرفان فى مثل قوله تعالى : (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر) ، وقد تجىء الفواصل على ثلاثة أحرف ، مثل قوله تعالى : (بل عجبت ويســـخرون واذا ذكروا لا يـــذكرون واذا رأوا آية يستسخرون) ، وقد تجىء على أربعة أحرف ، وهذا آخر ما انتهى اليه مجىء الفاصلة فى القرآن الكريم ، ومثال ذلك قوله تعالى : (ان الذين اتقوا اذا مسهم طـــائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون) .

كما لاحظ الباحثون أن أكثر الفواصل فى القرآن تجىء على النون والميم وحروف المد واللين ، قالوا : وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك .

قال سيبويه رحمه الله : أما اذا ترنموا فانهم يلحقون الألف والواو والياء لأنهم أرادوا مد الصوت .

وتختلف الفواصل عن قوافى الشعر اختلافا كثيرا ، ولذلك فكثير مما يعد عيبا فى القوافى لا يعد عيبا فى الفواصـــل ، فمثلا يكره فى القوافى أن تتكرر الكلمة الواحدة فى القافية قبل سبعة أبيات ، ولكننا نجد فى الفواصل مثل قوله تعالى : (والسماء رفعهـــا ووضع الميزان الا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) ، وكذلـــك نجد الفواصل تكون بحروف متقاربة بخلاف القوافى ، ومن أمثلة ذلك من القرآن الكريم : (ص . والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) . وقوله سبحانه : (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) . وهكذا .

قال صاحب البرهان : (ومبنى الفواصل على الوقف ، ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس ، وكذا المفتـــوح بالمنصوب غير المنون ، ومنه قوله تعالى : (انا خلقناهم من طين لازب) مع تقدم قوله (عذاب واصب) و (شهاب ثاقب) .

● ●

وقد شغل العلماء من قديم بقضايا ثلاث تتعلق بالفواصل :

الأولى : هل يراعى القرآن الكريم المناسبة اللفظية فيغير وضـــع الجملة الطبيعى من أجل الفاصلة ؟

الثانية : هل يسمى ما ورد فى القرآن من الفواصل المتماثلة سجعا ؟

الثالثة : كل آية فى القرآن ختمت بما يناسب أولها ، وان غمض ذلك فى

بعض الآيات . وسنلم بهذه القضايا الثلاث لنوفى هذا البحث حقه من الدراسة .

●●

القضية الأولى :

لعل أقدم ما وصلنا من بحث مفصل فى هذا الموضوع هو ما بسطه الفراء فى كتابه (معانى القرآن) ، وقد ألف هذا الكتاب فى شهور سنتى ٢٠٢ و ٢٠٣ هـ أى قبل وفاته بأربع سنوات .

ذهب الفراء الى أن القرآن الكريم قد يعنى بالمناسبة اللفظية الى حد أن يغير من طبيعة الجملة من أجل هذه المناسبة .

فالقرآن – مثلا – يثنى فى موضع الافراد فى قوله تعالى : (ولمن خاف مقام ربه جنتان) قال : وانما هى جنة واحدة .

والقرآن يحذف المفعول للمناسبة بين رءوس الآى ، كما فى قوله تعالى : (والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) .

والقرآن يورد الكلمة الواحدة بنطقين مختلفين من أجل المناسبة كما فى كلمة (نكر) فقد جاءت فى قوله تعالى : (فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا) مخففة ، أى بسكون الكاف ، وجاءت فى قوله تعالى : (فتول عنهم يوم يدع الداع الى شىء نكر) مثقلة أى محركة الكاف بالضمة . والتخفيف والتثقيل لغتان ، ولكن آثر القرآن التخفيف فى الآية الأولى لأن الفواصل التى معها كلها مخففة ، وذلك فى قوله تعالى : (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق بما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسريسرا وكأين منقريةعتت عنأمر ربهاورسله فحاسبناهاحساباشديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولى الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا) ، فالفواصل كلها : يسرا – نكرا – خسرا – ذكرا – مخففة وهذا سر التخفيف فى كلمة نكرا .

وآثر القرآن التثقيل فى الآية الثانية لأن الفواصل كلها مثقلة ، وذلك فى قوله تعالى : (حكمة بالغة فما تغنى النذر فتول عنهم يوم يدع الداع الى شىء نكر خشعا أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر) ، وهكذا جاءت كل الفواصل التى سبقت هذه الفاصلة ، والتى جاءت بعدها مثقلة (القمر – مستمر – مستقر – مزدجر – عسر – ازدجر – منهمر) الى آخر السورة .

ويرجح الفراء قراءة على قراءة خضوعا للمناسبة ، فقد روى قراءتين فى كلمة (ناخرة) من قوله تعالى : (ائذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة) روى عن ابن عباس أنه قرأ (ناخرة) ، وأن أهل المدينة والحسن قرأوا (نخرة) ثم قال – أعنى الفراء – : (وناخرة أجود الوجهين فى القراءة لأن الآيات بالالف ، الا ترى أن (ناخرة) مع (الحافرة) و (الساهرة) أشبه بمجىء التنزيل والناخرة والنخرة سواء فى المعنى) .

بل ينفى عن الكلمة الاستقامة فى القراءة اذا لم توافق بقية الفواصل ، فهو ينظر فى قوله تعالى : (فمالهم لا يؤمنون واذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون) ثم يقول : (وقوله : بما يوعون .. ما يجمعون فى صدورهم من التكذيب والاثم والوعى ، ولو قيل – والله أعلم – :

بما يعون — لكان صوابا ، ولكنه لا يستقيم فى القراءة) وقد ذكر الفراء شواهد أخرى من الآيات مؤكدا ان القرآن يراعى المناسبة اللفظية .

ثم جاء فيما بعد الشيخ شمس الدين بن الصائغ فألف كتابه (احكام الرأى فى أحكام الآى) وقال فيه انه تتبع الأحكام التى وقعت فى آخر الآى للمناسبة اللفظية فوقف منها على نيف وأربعين حكما ، وقد ذكرها الامام السيوطى فى كتابه (الاتقان فى علوم القرآن) ونذكر منها على سبيل المثال : تقديم الضمير على ما يفسره فى نحو قوله تعالى : (فأوجس فى نفسه خيفة موسى) ، واجراء غير العاقل مجرى العاقل فى قوله تعالى : (انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) وقوله سبحانه : (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون) والفواصل بعدها (المشحون — يركبون — ينقذون — حين — ترحمون) .

وممن وافقوا الفراء فى رأيه الامام العالم المفسر (ابن عطية) الأندلسى ، فقد قال فى قوله تعالى : (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى) ان قوله (وأجل مسمى) معطوف على (كلمة) ولهذا رفع ، والمعنى : (ولولا كلمة سبقت من ربك) فى التأخير (واجل مسمى) لكان العذاب لزاما . لكنه قدم وأخر لتشتبه رءوس الآى .

ومنهم (ابن سيده) العالم اللغوى الأندلسى صاحب (المحكم) و (المخصص) فقد قال فى قوله تعالى : (وما كنت متخذ المضلين عضدا) : أى أعضادا ، وانما أفرد ليعدل رءوس الآى بالافراد ، والعضد : المعين .

والآية من سورة الكهف ، والفواصل قبلها : (أحدا — بدلا) . ومنهم (امام الحرمين) فقد ذكر فى كتابه (البرهان) أن من ذلك صرف ما كان جمعا فى القرآن ليناسب رءوس الآى ، كقوله تعالى : (سلاسلا وأغلالا) .

وممن ناصروا الفراء الامام بدر الدين الزركشى ، فقد قال فى كتابه (البرهان) : (واعلم أن ايقاع المناسبة فى مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جدا ، ومؤثر فى اعتدال نسق الكلام ، وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما ، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها فى مواضع) ثم ذكر اثنى عشر موضعا ، ونسب بعضها الى علماء سابقين . وقد جاء فى الموضع الثانى عشر قوله : (العدول عن صيغة المضى الى الاستقبال كقوله تعالى « ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » حيث لم يقل : (وفريقا قتلتم) كما سوى بينهما فى سورة الاحزاب ، فقال : « فريقا تقتلون وتأسرون فريقا » ، وذلك لأجل انها هنا رأس آية (١) .

قلت : والفواصل قبلها : (تعملون — ينصرون) وبعدها (يؤمنون) .

ومنهم العلامة أبو السعود العمادى صاحب التفسير المعروف ب (ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم) فقد قال عند تفسيره لقول الله تعالى : (الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون) من سورة الانبياء ، قال : وتقديم الجار — أى من الساعة — لمراعاة الفواصل) . يريد أن نظم الكلام كان : وهم مشفقون من الساعة ، ولكن لما كانت الفواصل قبل هذه الآية وبعدها على (النون) مع الواو أو الياء ، قدم الجار والمجرور مراعاة للفواصل .

ولم تمض نظرية الفراء ومن ناصره دون معارضة ومعارضة عنيفة من القدامى والمحدثين .

---

(١) أوفى ما كتب عن الفواصل — فيما وقفت عليه — هو ما جاء فى كتاب (البرهان) للزركشى ، وعنه أخذ السيوطى أكثر ما كتبه عنها فى (الاتقان) .

ولعل (ابن قتيبة) أول عالم أنكر على الفراء مذهبه ، وشدد عليه النكير ، فقد اعتبر صنيع الفراء (تعسفا) استعاذ بالله منه ، وذلك حيث يقول : (ونحن نعوذ بالله أن نتعسف هذا التعسف ، أو أن نجيز على الله الزيادة والنقصان فى الكلام لرأس الآية) وحيث يقول : (انما يجوز فى رؤوس الآى زيادة هاء السكت أو الالف أو حذف همزة أو حرف ، فأما أن يكون الله وعد جنتين فنجعلهما جنة واحدة من أجل رءوس الآى فمعاذ الله ، وكيف هذا وهو يصفهما بصفات الاثنين ، قال : (ذواتا أفنان) ثم قال : (فيهما) ، (ولو أن قائلا قال فى خزنة الناس : انهم عشرون . وانما جعلهم تسعة عشر لرأس الآية ، ما كان هــذا القول الا كقول الفراء) .

قلت : وبصرف النظر عن تأييدنا أو معارضتنا لرأى الفراء نرى أن ردود ابن قتيبة وأدلته غير متجهة .

أولا : لا يلزم الفراء تنظيره بعدة الملائكة لأن الفراء يقول ان مجىء الاثنين مكان الواحد انماهو مذهب العرب فى تثنية البقعة الواحدة وجمعها،كقول الشاعر

ديار لهــا بالرقمتين كأنهــا مراجيع وشم فى نواشر معصم

وكقول الآخر :

فقولا لأهل المكتين تحاشدوا وسيروا الى آطام يثرب والنخل

قال الفراء بعد أن أورد موضعى الشاهد من هذين البيتين : (وأشير بذلك الى نواحيها أو للاشعار بأن لها وجهين ، وانك اذا وصلتها ونظرت اليها يمينا وشمالا رأيت فى كلتا الناحيتين ما يملأ عينك قرة ، وصدرك مسرة) .

ثانيا : أن التثنية فى قول الله تعالى (ذواتا أفنان) و (فيهما) لا تعكر على مذهب الفراء اذ له أن يقول أنها جاءت بحسب اللفظ .

قال صاحب (البرهان) : وكأن الملجىء للفراء الى ذلك قوله تعالى : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) وعكس ذلك قوله تعالى : (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) .

ولكنه عاد يحذو حذو ابن قتيبة ، ويرد قول الفراء ، فقال : على أن هذا (يريد ما جاء فى الآيتين السابقتين) قابل للتأويل ، فان الالف واللام للعموم خصوصا أنه يرد على الفراء قوله : (ذواتا أفنان) .

وقبل أن نترك الحديث مع ابن قتيبة أحب أن أقول انه لم يرفض مراعاة المناسبة اللفظية رفضا باتا بل أجازها ، ولكنه قصرها على زيادة هاء السكت أو حذف حرف مثلا ، ولعله يشير بذلك الى مثل ما جاء فى قوله تعالى : (والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر) فان قراءة حفص على حذف الياء من (يسرى) وظاهر أن سبب ذلك هو مراعاة الفواصل .

وجاء بعد ابن قتيبة أبو بكر الباقلانى العالم الاشــعرى صــاحب كتاب « اعجاز القرآن » وعرض فيما عرض له من أبحاث لقضية تغيير النظم من أجل مراعاة الفواصل ، فوافق ابن قتيبة فى رأيه ، ورفض نظرية الفراء رفضــا حاسما ، وان أجاز ذلك فى مواضع تجىء غير مقصودة ، قال عن الفراء وأمثاله (وأقوى ما يستدلون به : اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هرون عليهمــا السلام ، ولمكان السجع قيل فى موضع (هرون وموسى) ، ولمــا كانت الفواصل فى موضع آخر بالواو والنون ، قيل : (موسى وهرون) ويجيب الباقلانى عن (أقوى ما يستدلون به) فيقول : (وأما ما ذكروه من تقديم موسى على هرون عليهما السلام فى موضع وتأخيره عنه فى موضع لمكان السجع وتساوى مقاطع

الكلام فليس بصحيح لأن الفائدة عندنا غير ما ذكروه ، وهى أن اعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدى معنى واحدا من الأمر الصعب الذى تظهر به الفصاحة ، وتتبين البلاغة) .

والحق أن رد الباقلانى غير مقنع ، فالامر واضح ظاهر فى مراعاة الفواصل فحين تكون على الالف يتأخر ذكر موسى ، وحين تكون على الواو والنون يتأخر ذكر هرون ، وادعاؤه أن ذلك من تنويع التعبير لا ينهض مدافعا لما هو الظاهر ، ويمكن أن يكون جوابا فى كل موضع لكنه جواب غير مقنع .

ويدعى الباقلانى أنه يستطيع أن يأتى على فصل فصل من أول القرآن الى آخره ، ويبين الموضع الذى يدعى فيه مراعاة المناسبة من الفوائد ما لا يخفى قال : (ولكنه خارج عن غرض كتابنا) .

ويا ليت الباقلانى فعل ، اذا لجاءنا بأسرار جمة لمجىء الفواصل التى ذكر الفراء ومن شايعه أن مجيئها للمناسبة اللفظية .

وقد نقل صاحب البرهان عن الزمخشرى أنه كذلك يرفض نظرية الفراء ، قال : (ذكر الزمخشرى فى كشافه القديم أنه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها الا مع بقاء المعانى على سدادها على النهج الذى يقتضيه حسن النظم والتئامه ، كما لا يحسن تخير الالفاظ المونقة فى السمع ، السلسة على اللسان ، الا مع مجيئها منقادة للمعانى الصحيحة المنتظمة فاما أن تهمل المعانى ، ويهتم بتحسين اللفظ وحده ، غير منظور فيه الى مؤداه على بال ، فليس من البلاغة فى فتيل أو نقير) .

ومن المتأخرين الذين شددوا النكير على مجرد مراعاة المناسبة اللفظية الشيخ محمد عبده ، فقد وقف عند قوله تعالى : (وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم) مبينا سر تقديم الرأفة على الرحمة ناعيا على من يقول : ان ذلك للفاصلة . قال صاحب المنار السيد رشيد رضا فى تفسيره : قال الجلال : والرأفة شدة الرحمة ، وقدم الابلغ للفاصلة ، وأنكر الاستاذ الامام هذا القول أشد الانكار ، وينكر مثله فى كل موضع ، فيقول : ان كل كلمة فى القرآن موضوعة موضعها اللائق بها ، فليس فيه كلمة تقدمت ولا كلمة تأخرت لأجل الفاصلة لأن القول برعاية الفواصل اثبات للضرورة .

.. وما قال بعض المفسرين مثل هذا القول الا لتأثرهم بقوانين فنون البلاغة وغلبتها عليهم ، مع الغفلة فى هذه النقطة عن مكانة القرآن فى ذاته ، وعدم الالتفات الى ما لكل كلمة فى مكانها من التأثير الخاص عند الذوق العربى .

ونظن أن الأستاذ الامام لم يهيأ له الاطلاع على كتاب (معانى القرآن) للفراء ، فانه يرجع القول برعاية الفواصل الى غلبة الفنون البلاغية على بعض المفسرين ، وقد أكد الفراء رأيه فى هذه القضية قبل أن تنشأ فنون البلاغة .



هذه صورة لما وقفت عليه من آراء القائلين برعاية الفواصل ، والمنكرين لها وأحب أن أقول :

أولا : ان القائلين بمراعاة الفواصل لم يمنعوا أن يلتمس فى بعض المواضع سر آخر للصنيع الذى جاء فى الآية . وقد نقل السيوطى عن ابن الصائغ صاحب كتاب « إحكام الرأى » قوله : لا يمتنع فى توجيه الخروج على الاصل

فى الآيات المذكورة ــ يريد الآيات التى لاحظ فيها مراعاة الفواصل ــ أمور أخرى مع وجه المناسبة ، فان القرآن العظيم ــ كما جاء فى الأثر ــ لا تنقضى عجائبه .

ثانيا : القرآن الكريم أنزل بلغة العرب ، وجرى على منهجهم فى بلاغتهم ، ومراعاة التناسب اللفظى مما يزداد به المعنى جمالا فليس يضير القرآن أن يكون راعى فى بعض آياته مجرد التناسق اللفظى ، ومما لا شك فيه أن مراعاة التناسب اللفظى ميزة من ميزات اللغة العربية ، ونحن نؤمن أن القرآن لم يترك ميزة تمتاز بها هذه اللغة الا أخذ منها بنصيب موفور .

ثالثا : اننا نجد القرآن الكريم يلتزم فى بعض السور وزنا خاصا للفواصل ، وربما طالت السورة كما هو الشأن فى الأعراف ــ مثلا ــ ولا يمكن أن يكون ذلك أمرا غير مقصود اليه .

رابعا : فارق كبير بين أن نقول ان هذا الوزن جاء للفاصلة ، وبين أن نقول ان الكلمة موضوعة فى غير موضعها ، فهذا قول لا يمكن أن يقال ، فالكلمة قارة فى موضعها ، ولها معناها الجميل اللائق بالجملة ، ولكن الأمر فى ايثارها دون غيرها مما يؤدى مؤداها فهذا قد يكون لمجرد التناسب .

خامسا : ثبت أن النبى صلى‌الله عليه وسلم ــ وهو أفصح العرب كان يراعى المناسبة اللفظية فيغير صيغة الكلمة ، من ذلك قوله وهو يعوذ الحسن : (أعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة) وانما أراد (ملمة) لأنها من (ألم) ، وقوله عليه الصلاة والسلام للنساء اللاتى تبعن جنازة : (ارجعن مأزورات غير مأجورات) وانما أراد (موزورات) لأنها من الوزر ، فقال (مأزورات) لمناسبة مأجورات ، قصدا للتوازن وصحة السجع .

سادسا : العرب أنفسهم يغيرون صيغة الكلمة مراعاة للتناسب ، من ذلك قولهم : ويل للخلى من الشجى بتشديد الياء فيهما ، وهى مشددة فى (الخلى) غير مشددة فى (الشجى) وانما شددوها مراعاة للتناسب .

ومن ذلك قولهم : (هنأنى الطعام ومرأنى) فقد حذفوا الهمزة من (أمرأنى) وهى الصيغة الصحيحة لهذا الفعل ليناسب (هنأنى) ، وكانوا اذا نطقوا بالكلمة مفردة قالوا (أمرأنى الطعام) . روى ذلك عن الفراء .

أقول ــ كما قال الفراء ــ اذا كان العرب يتصرفون فى الصيغة لمراعاة التناسب ، واذا كان الرسول الكريم ــ وهو أفصحهم ــ يفعل ذلك ، واذا كان القرآن جاء على أبلغ الاساليب العربية ، فليس هناك ما يمنع أن يراعى القرآن هذه المناسبة ، وفى بعض الأحايين تكون هى وحدها الداعية الى أن يجىء النظم على صورة خاصة .

● ●

القضية الثانية :

اتفق العلماء على أن الفواصل لا يجوز أن تسمى قوافى ، وقالوا فى تعليل ذلك : لأن الله تعالى لما سلب عن القرآن اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضا لأنها منه ، وخاصة به فى الاصطلاح .

كما اتفقوا على امتناع استعمال الفاصلة فى الشعر ، لأنها صفة لكتاب الله تعالى فلا تتعداه . ثم اختلفوا وطال بينهم الخلاف حول جواز استعمال السجع فى القرآن .

وقبل أن نفيض الحديث فى هذا الخلاف نشير الى موقف العلماء من السجع

فى ذاته فنقول : قضـــية السجع قضـــية قديمة ، وقد كان الجاحظ من أوائل المتكلمين فيها ، فقد دافع عنه ، وأكد أنه فضيلة من فضائل الكلام البليغ .

جاء فى (البيان والتبيين) : قيل لعبد الصـــمد بن الفضـــل بن عيسى الرقاشى : لم تؤثر السجع على المنثور وتلزم نفسك القوافى ، واقامة الوزن ؟ قال : ان كلامى لو كنت لا آمل فيه الا سماع الشاهد لقل خلافى عليك ، ولكنى أريد الغائب والحاضر ، والراهن والغابر ، فالحفظ اليه أسرع ، والآذان لسماعه أنشط ، وهو أحق بالتقييد ، وبقلة التفلت ، وما تكلمت به العرب من جيـــد المنثور ، أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره .

قالوا : فقد قيل للذى قال : يا رسول الله ، أرأيت من لا شرب ولا أكل ، وصاح واستهل أليس مثل ذلك بطل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أسجع كسجع الجاهلية » ؟

قال عبد الصمد : لو أن هذا المتكلم لم يرد الا الاقامة لهذا الوزن لـــما كان عليه بأس ، ولكنه عسى أن يكون أراد ابطال حق ، فتشادق فى الكلام .

وفى هذا الكلام سببان من أسباب الرغبة فى السجع :

أولهما : الرغبة فى بقاء الكلام ، لأن الحفظ الى الكلام المسجوع أسرع والتقييد له أكثر ، وذلك أن الكلام المرسل لا يعلق بالنفس علوق الكلام الموزون ، بدليل أن ما ضاع من شعر العرب أقل كثيرا مما ضاع من نثرهم ، مع أن نثر العرب كان أكثر من شعرهم .

ثانيهما : أمر نفسى ، وذلك أن النفس بطبيعتها تميل الى النغم ، وتنشط له ، والنغم يوجد فى السجع ، ولا يوجد فى الكلام المرسل الذى أطلق عليـــه هذا السائل للرقاشى اسم (المنثور) فكأن المنثور عنده مقابل للمقيد بوزن أو بسجع .

وفى كلام عبد الصمد اجابة واضحة ، ورد للحجة التى يتذرع بها الكارهون للسجع ، وتلك هى انكار النبى صلى الله عليه وسلم على الرجل الذى سجع عنده ، وقد أجاب الرقاشى بأن النبى لم ينكر عليه السجع ، وانما أنكر عليه أنه أراد أن يتوسل به الى ابطاق حق .

ثم وضح الجاحظ هذه الاجابة ، فقال : وكأن الذى كره الاسجاع بعينها ، وان كانت دون الشعر فى التكلف والصنعة ان كهان العرب الذين كان أكثر الجاهلية يتحاكون اليهم ، وكانوا يدعون الكهانة ، وأن مع كل واحد منهم رئيا من الجن كانوا يتكهنون ، ويحكمون بالاسجاع .

والجاحظ يشير الى الرواية الاخرى لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أنكر بها على من سجع عنده ، وهى : أسجعا كسجع الكهان ؟!

ثم قال الجـــاحظ : قالوا : فوقع النهى فى ذلك الدهر لقـــرب عهـــدهم بالجاهلية ، ولبقيتهـــا فيهم ، وفى صدور كثير منهم ، فلما زالت العـــلة زال التحريم .

والجاحظ يجعل نظيرا لذلك النهى ما ورد من النهى عن رواية مرثيـــة أمية بن أبى الصلت لقتلى أهل بدر ، ورواية هجاء الاعشى لعلقمة بن علاثة ، قال : فلما زالت العلة زال النهى .

ومن كلام الجاحظ نفهم أن السجع كان فى وقت ما محرما ، وأن ناسا كرهوا السجع لذلك ، ولكنه يعود فيحتج لجواز السجع ، واستحسانه ، فيذكر

أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع الشعر واستحسنه ، وأمر به شعراءه ، وأن عامة الصحابة قالوا شعرا واستمعوا واستنشدوا ، والسجع دون الشعر فكيف يحـــل الشعر ، ويحرم السجع ؟ وأن النبى صلى الله عليـــه وسلم كان يسجع ، وكذلك الخطباء كانوا يسجعون عند الخلفاء الراشدين فلا ينهونهم وكان بعض الوعاظ الكبار سجاعا ، وقد كان يحضر مجلسه بعض كبار العلماء والزهاد فلا ينكرون عليه .

والجاحظ الذى دافع عن السجع هذا الدفاع ، ووصف به كلام النبى صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة نزه القرآن الكريم عنه ، وأبى أن يسمى ما فيه من الفواصل أسجاعا ، وعبارته فى ذلك : (خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور ، وهو منثور غير مقفى على مخارج الاشعار والاسجاع) .

ولعل الجاحظ هو أول من أبى اطلاق السجع على الفواصل ، ثم رأينا الخلاف يحتدم فى هذه القضية فجمهور علماء المسلمين يمنعون هذه التسمية كما منعها الجاحظ ، وجماعة من العلماء والادباء يجيزونها .

قال الرمانى : (ذهب الاشعرية الى امتناع أن يقال فى القرآن سجع ، وفرقوا بأن السجع هو الذى يقصد فى نفسه ، ثم يحال المعنى عليه ، والفواصل التى تتبع المعنى ، ولا تكون مقصودة فى نفسها) قال : (ولذلك كانت الفواصل بلاغة ، والسجع عيا) .

وقد نقل القاضى أبو بكر الباقلانى هذا المذهب عن أبى الحسن الاشعرى ، ودافع عنه دفاعا مخلصا ، فقد عقد له فصلا فى كتابه (اعجـــاز القرآن) ، ترجمته : (باب نفى السجع عن القرآن)وقد ربط بين نفى السجع ، وبين رأيه فى تفرد القرآن بأسلوب خاص ، وذلك حيث يقول (ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلا فيها لم يقع الاعجاز) .

وهذا كلام غريب حقا ، كأنه لا وجه لاعجاز القرآن الا كونه خارجا عن أساليب العرب . وكأن تسمية رءوس الآى (فواصل) يجعله خارجا عن كلام العرب ، وتسميتها (سجعا) يجعله داخلا فيها ، ولم لم يجعله داخلا فى أساليب العرب تلك الالفاظ المشتركة ، وهذه الصور التركيبية التى لا تختلف عن كلام العرب فى شىء ، الا فى كونها فى أعلى درج البلاغة ؟

ثم يعود الباقلانى الى هذا القول الغريب ، فيقـــول : (ولا بد لمن جوز السجع فيه ــ فى القرآن ــ وسلك ما سلكوه من أن يسلم بما ذهب اليه النظام وعباد بن ســـليمان ، وهشـــام الفوطى ويذهب مذهبهم فى أنه ليس فى نظم القرآن وتأليفه اعجاز ، وانه يمكن معارضته ، وانما صرفوا عنـــه ضربا من الصرف) .

ويمكن تلخيص الحجج التى اعتمد عليها المانعون فيما يلى ، كما جاء فى الاتقان للسيوطى :

أصل السجع من سجع الطير فشرف القرآن أن يستعار لشىء منه لفظ أصله مهمل ، وشرف عن مشاركة غيره من الكلام الحادث فى وصفه بذلك ، ولأن القرآن من صفاته تعالى فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الاذن بها ، ولأن السجع عيب يتبع فيه المعنى اللفظ ، ولأن وصف القرآن بالسجع يجعله غير خارج عن أساليب كلام العرب ، ولو جاز أن يقال : ســـجع معجز لجـــاز أن يقولوا : شعر معجز ، والسجع مما كان تألفه الكهان من العرب ، ونفيه من القرآن أجدر أن يكون حجة من نفى الشعر ، لأن الكهانة تنافى النبوات بخلاف

الشعر ، ولأن النبى صلى الله عليه وسلم ، ذم السجع بقوله للرجل الذى سجع عنده : أسجع كسجع الكهان ، وللسجع منهج محفوظ من أخل به وقع الخلل فى كلامه ، وفواصل القرآن متفاوتة ، بعضها متدانى المقاطع ، وبعضها يمتد حتى يتضاعف طوله عليه ، وترد الفاصلة فى ذلك الوزن الاول بعد كلام كثير ، وذلك السجع غير مرضى ولا محمود .

هذه خلاصة الادلة التى ذكروها فى امتناع اطلاق لفظ السجع على الفواصل ، وأكثر هذه الادلة — كما هو ظاهر — قابل للجدل والمناقشة ، وقد فعل كثير من المؤلفين ذلك .

فقد عقد أبو هلال العسكرى فى كتابه (الصناعتين) فصلا ، ترجمته : (فى ذكر السجع والازدواج) وقد جاء فيه : (وكذلك جميع ما فى القرآن مما يجرى على التسجيع والازدواج مخالف فى تمكين المعنى وصفاء اللفظ ، وتضمن الطلاوة والماء لما يجرى مجراه من كلام الخلق) .

ثم أجاب عن بعض ما يحتج به المانعون ، فقال عن انكار النبى — صلى الله عليه وسلم — على من سجع عنده : (ولو كرهه عليه الصلاة والسلام لكونه سجعا لقال : أسجعا ، ثم سكت) ثم قال بعد ذلك : (وكيف يذمه ويكرهه ، واذا سلم من التكلف ، وبرىء من التعسف لم يكن فى جميع صنوف الكلام أحسن منه) .

والعسكرى على مذهب الباقلانى فى أن القرآن (فى نظمه خارج عن كلام الخلق) ولكنه يثبت السجع فيه ، ويمثل له بآيات كثيرة ، وكذلك يثبت الازدواج بل ويقول : (ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن) .

فوجود السجع والازدواج فى القرآن عند العسكرى لا يخرجه عن أن يكون مغايرا لكلام الخلق .

ويفصل ابن سنان الخفاجى القول فى رد شبه الاشاعرة ، فيتحدث عن السجع والازدواج ويلحقهما بالمناسبة بين الالفاظ فى الصيغ ، ويذكر الآراء فى استحسانها وكراهيتها ، وحجة كل فريق من المستحسنين والكارهين ، ثم يقول : (والمذهب الصحيح أن السجع محمود اذا وقع سهلا متيسرا بلا كلفة ولا مشقة ، وبحيث يظهر أنه لم يقصد فى نفسه ، ولا أحضره الا صدق معناه ، دون موافقة لفظه) .

ثم يفرق بين الفواصل والاسجاع ، فيقول : (ان الاسجاع حروف متماثلة فى مقاطع الفصول ، والفواصل على ضربين : ضرب يكون سجعا ، وهو ما تماثلت حروفه فى المقاطع ، وضرب لا يكون سجعا ، وهو ما تقابلت حروفه فى المقاطع ولم تتماثل) . وكل من هذين الضربين يكون محمودا ومذموما : (فأما القرآن فلم يرد فيه الا ما هو من القسم المحمود) .

ثم ذكر آيات من القرآن ، وأشار الى بعض السور ، وقال ان جميعها على الازدواج : (وهذا جائز أن يسمى سجعا ، لأن فيه معنى السجع ، ولا مانع فى الشرع يمنع ذلك) . وهو يشير بذلك الى الحجة التى تمسك بها المانعون من أن اطلاق السجع على القرآن لا يجوز شرعا ، لأن القرآن كلام الله تعالى فهو صفة من صفاته ، ولا يجوز وصف الله بصفة لم يرد بها اذن من الشرع ، فلا يصح أن يقال : الله يسجع ، وابن سنان لم يناقش الحجة ، وانما اكتفى باصدار الحكم ، وهو أنه لا مانع فى الشرع يمنع من أن يسمى ما فى القرآن سجعا ، ثم قال : (وأظن أن الذى دعا أصحابنا — يريد الاشاعرة —

الى تسمية كل ما فى القرآن فواصل ، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا رغبة فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم ، وهذا غرض فى التسمية قريب . . ولا فرق بين مشاركة بعض القرآن لغيره من الكلام فى كونه مسجوعا ، وبين مشاركة جميعه فى كونه عرضا وصوتا وحروفا وكلاما وعربيا ومؤلفا) .

ومرة أخرى لم يجب ابن سنان اجابة مقنعة عن حجة أصحابه ، فان كون القرآن عرضا وصوتا وحروفا . . كل هذه أوصاف عامة لكن السجع اقترن بقوم بأعيانهم هم الكهان ، فاذا كان المانعون نزهوا القرآن أن يصفوه بالسجع لأنه اقترن بطائفة خاصة فان لهم وجها من الرأى ، وهذا بخـلاف كونه كلاما ومؤلفا يشارك كلام العرب فى ذلك .

وقول ابن سنان (هذا غرض فى التسمية قريب) لا يصلح ردا ، فالذى يتضح للمنصف أن ابن سنان حاول أن يؤيد رأيه ، ويرد على المانعين ولـكنه حام ولم يقع .



ويجىء ضياء الدين بن الاثير صاحب كتاب (المثل السائر) فلا يجادل ولا يحاج ، وانما يسوق القضية مساق المسلمات ، فهو يذكر ــ أولا ــ أن السجع نوع من صناعة تأليف الالفاظ ويقول ان بعض أصحابه من الكتاب قد ذمه ، ويعلل ذلك بعجزه عن أن يأتى به ، ثم يقول : (والا فلو كان مذموما لما ورد فى القرآن الكريم ، فانه قد أتى منه بالكثير ، وحتى انه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة كسورة الرحمن ، وسورة القمر ، وغيرهما ، وبالجملة فلم تخل منه سورة من السور) فالرجل يتجاوز الخلاف ويأبى أن يشير اليه ، ولا شك أنه اطلع عليه فالرجل كان كثير القراءة للكتب التى ألفت قبله ، وهو ــ على وجه الخصوص ــ قد أشار الى كتاب (سر الفصاحة) لابن سنان ، وأشاد به ، فهو يقول فى مقدمة (المثل السائر) عن علم البيان وأن الناس ألفوا فيه كتبا ، وجلبوا ذهبا وحطبا ، يقول : (وما من تأليف الا وقد تصفحت شينه وسينه ، وعلمت غثه وسمينه فلم أجد ما ينتفع به فى ذلك الا كتاب الموازنة لأبى القاسم الحسن ابن بشر الآمدى ، وكتاب سر الفصاحة لأبى محمد عبد الله بن سنان الخفاجى) فلا شك أن الرجل اطلع على حجج المانعين ، ورد المجيزين ولكنه أعرض عن كل ذلك .

غير أنه وقف عند انكار النبى صلى الله عليه وسلم على الرجل الذى سجع عنده ، ولم يزد فى اجابته عما ذكره الجاحظ .

وكما أعرض عن الخلاف فى هذه المسألة أعرض ــ أيضا ــ عن الخلاف فى قضية مراعاة المناسبة اللفظية ، وساقها مساق المسلمات ، فذكر أن القرآن قد يزيد كلمة بمعنى الكلمة السابقة عليها لأجل السجع ، وشاهده فى ذلك قول الله تعالى (واذكر فى الكتاب اسماعيل ، انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) فهو يرى أن اللفظين (رسولا ــ نبيا) بمعنى واحد ، ولكن لما كان أكثر سورة مريم مسجوعا على الياء ذكر القرآن كلمة (نبيا) ليحقق بها السجعة . قال : (ايراد لفظين فى آخر احدى الفقرتين بمعنى واحد : لا بأس به لمـكان طلب السجع) . ونظر بقول النبى صلى الله عليه وسلم (مأزورات) مكان (موزورات) و (لامة) مكان (ملمة) وقد سبق أن ذكرنا هاتين الكلمتين ، ثم قال : (فالسجع قد أجيز معه تغيير وضع اللفظة ــ أى كما فى قول النبى صلى

الله عليه وسلم ــ وأجيز معه أن يورد لفظتـــان بمعنى واحد فى آخر احدى الفقرتين) أى كما فى الآية الكريمة .

والذى أراه ــ بعد كل هذه الرحلة الطويلة ــ أنه لا شىء يدعونا الى أن نسمى ما جاء من الفواصل المتماثلة سجعا ، ما دامت كلمة (الفواصل) تؤدى المعنى ، حتى يظل القرآن الكريم على قدسيته ، لا يوصف الا بما يناسبه من الالفاظ ، وحتى نسد الباب على كل مدع فنحول بينه وبين أن يطلق على القرآن أو على الفاظه ما يطلقه على عامة كلام الناس ، وقد رأيت فى أثناء هذا البحث من يحلو له أن يقول (موسيقى الفواصل) ومن يقول (الموسيقى القرآنية) وتعدى بعضهم ذلك كثيرا فأطلق على بعض قصص القرآن « سيمفونية » وآخر اجتلب كل الالفاظ التى تستعمل فى الموسيقى فأطلقها على القرآن ، وهذا باب يأتى بأعاصير وعواصف وواجبنا أن نقف دونها ، ولا نسمح لأحد أن يصف القرآن الا بكل كلمة تليق به جلالا وقدسية .

وقد كان الاشـــاعرة على حق حين منعـــوا أن يطلق على القرآن لفظة (السجع) وان لم تكن أدلتهم مسلمة ، ولكن الشىء الذى لا ينبغى أن يمـــارى فيه أن فتح الباب أمام كل كلمة يستعملها الناس لتطلق على القرآن يجيئنا بما يمس جلال القرآن وعظمته ، فكما أن من الواجب علينا أن نحافظ على قراءات القرآن ، وعلى رسمه كذلك يجب علينا أن نقتصر فى أوصافه على ما ورد به الخبر ، أو ما يؤخذ من القرآن نفسه .

القضية الثالثة :

وهى أهم القضايا الثلاث من حيث دلالتها على الاسرار البلاغية التى يراعيها القرآن الكريم .

وقد شغلت هذه القضية كل مفسرى القرآن ، وكل الباحثين فيه ، وعنى بها علمـــاء البديع فسموها (مراعاة النظير) وبعضهم خصها باسم (تشابه الاطراف) وجعل هذا نوعا من مراعاة النظير ، وقالوا فى تحديده : أن يختم الكلام بما يناسب ابتداءه فى المعنى ، أما لكون ما ختم به كالعلة لمـــا بدىء به ، أو العكس ، أو كالدليل عليه ، أو نحـــو ذلك ومثلوا له بقول الله تعـــالى : (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير) . قالوا : فان عدم ادراك الابصار له وهو مدلول الجملة الاولى يناسبه قوله اللطيف ، وكونه مدركا للأبصار وهو مدلول الجملة الثانية يناسبه قوله الخبير .

ونحو قوله تعالى : (ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرءوف رحيم) .

لمـــا عدد جلائل نعمه على الناس ، وكانت كلها مسخرة مدبرة ، وكانوا لولا رحمته متعرضين حيالهـــا لمتالف عظيمة من الاهوال البحـــرية والآفات السماوية عقبها بذكر الرأفة والرحمة لينبه على كمال لطفه ، وعظيم رحمتـــه بالخلق .

قالوا : ومن أوضح ذلك ما تعطيه المقارنة بين هاتين الآيتين ، من سورة السجدة : (أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون أو لم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون) .

فالآية الاولى مسوقة للعظة عن طريق ما يروى فيسمع ، ولذلك جاء فى نهايتها : (أفلا يسمعون) والآية الثانية موعظتها بصرية مشاهدة ، ولذلك جاء

فى أولها (أو لم يروا) وفى نهايتها : (أفلا يبصرون) .

وهذا النسق أمر فطرى عند أصحاب اللغة ، وبدهى عند أصحاب الاذواق السليمة الذين تمرسوا بلغة العرب ، وأطالوا النظر فى بيانها .

روى أن أعرابيا سمع قارئا يقرأ : (فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم) ولم يكن الاعرابى على علم بالقرآن ، ولكنه قال :

وصدق حس الاعرابى ، فان ختام الآية : (فاعلموا أن الله عزيز حكيم) .

ان كان هذا كلام الله فلا ، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل ، لأنه اغراء عليه .

فالعزة والحكمة هما اللتان تناسبان فى معاملة من يزل من بعد ما تبين له الحق لأن فى وصف الله بالعزة ما يجعله ينتفع بعلمه ، ويتمهل طويلا قبل أن يزل ، وفى وصفه بالحكمة ما يشعر بأنه ــ سبحانه ــ له فى خلقه شئون ، ومن ذلك أن يضل السالك طريقه ، وهو يحمل المصباح الذى يهديه ، ويكشف له مزلات الطريق !

وقد عنى بعض المفسرين ببيان هذا التناسب فى كل آية ختمت بجملة منفصلة عن الجملة الاولى .

ويسمى الباحثون فى علوم القرآن هذه المسألة (ائتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام) وقد أكثروا من الشواهد لها ، غير أنهم ذكروا أن من ذلك ما يظهر ، ومنه ما يستخرج بالتأمل ، وعرف عندهم ــ لذلك ــ ما سمى (مشكلات الفواصل) .

وذكروا لذلك ، شواهد كثيرة ، منها قوله تعالى : (ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) ، فانه يبدو لغير المتأمل ــ فى بادىء النظر ــ أن المناسب أن تختم الآية بقوله (فانك أنت الغفور الرحيم) .

ومثل ذلك قوله تعالى : (أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم) وقوله سبحانه فى سورة الممتحنة : (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) وقوله فى سورة غافر : (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم) .

وقد أزال العلماء فى كل هذه الآيات ما خفى على قصار النظر ، ومن قولهم فى الآية الاولى : ان المحدث عنهم عصاة ، يستحقون العقوبة ، والغفران لمن يستحق العقوبة انما يكون من العزيز أى القاهر الغالب ، الذى لا يعترض على أمره ، اذ العزيز مأخوذ من عز اذا غلب ، ثم لما ذكر أن المغفرة للمذنب انما تكون من العزيز الغالب الذى لا اعتراض على أمره ناسب زيادة « الحكيم » دفعا لما يتوهم من أن العفو عن المستحق خال عن الحكمة فذكر الحكيم اشارة الى أن فعله ذلك لحكمة وسر يراعى قهرا وعدلا فكأنه يقال : ان تعف لهؤلاء المذنبين فأنت أهل لذلك اذ لا اعتراض عليك لعزتك ، ومع ذلك ففعلك لا يخلو عن حكمة ، ولو خفيت عن الخلق .

وقيل : ليس هو على مسألة الغفران ، وانما هو على معنى تسليم الامر الى من هو أملك لهم ، ولو قيل : (فانك أنت الغفور الرحيم) لأوهم الدعاء بالمغفرة ، ولا يسوغ الدعاء بالمغفرة لمن مات على شركه .

... وبعد .. فهذا حديث عن الفواصل فى القرآن الكريم ، تضمن أهم القضايا فيها ، ولكنه لم يوفها حقها من البحث والاستقصاء ، وان كان فيه بعض الغناء . والله الهادى الى سواء السبيل .



نشأة الفقه الاسلامي وأصول مذاهبه

للأستاذ : مناع القطان

(١)

الحديث عن الفقه الاسلامى حديث عذب شائق ، تتعدد جوانبه ، وتشرق ملامحه فى كل مبحث من مباحثه ، ولطالما استشرقت النفوس المؤمنة فى أنحاء العالم الاسلامى الى مراجعة رصيدها الضخم ، وذخيرتها الهائلة فى التشريع الاسلامى ، وفقه أئمته ، حتى تبصر سبيل مجدها ، وتدرك طريق سعادتها ، وتعمل جادة على استئناف الحياة الاسلامية الفاضلة فى كل ميدان من ميادين الحياة .

والفقه الاسلامى هو المعين الذى يمد الانسانية بالمنهج السديد فى كل شأن من شئونها ، حتى يستقيم أمرها على الجادة ، وتشق طريقها على هدى من ربها ، فحرى بأبناء الاسلام أن يعوا هذه الحقيقة ، وبيدهم هذا الخير المتوارث الذى سعدت به البشرية قرونا عديدة ، وهى اليوم ــ وقد كابدت ألوان الشقاء من جراء انحرافاتها عن الاسلام ــ أشد ما تكون تعطشا الى سبيل الخلاص ، فى فقه الاسلام ومبادىء الشريعة .

معنى الفقه :

والفقه فى اللغة بمعنى الفهم ، ومنه قوله تعالى : (وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وقوله (قالوا ياشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول) وفى الاصطلاح : العلم بالاحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية .

والفقة بمعناه العام واكب الحياة الاسلامية منذ بزغ فجر الاسلام ، حيث كان الوحى يتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتلقاه عنه صحابته ولهم من سلامة الذوق العربى ما يمكنهم من فهم القرآن الكريم ، والعمل بمقتضاه ، ولم يكن لديهم حاجة الى الاجتهاد فى استنباط حكم الا حيث لا يجدون نصا من كتاب أو سنة ، وقد أقر رسول الله معاذا على ذلك حين بعثه الى اليمن فقال له : كيف تصنع ان عرض لك قضاء ؟ قال : أقضى بما فى كتاب الله ، قال فان لم يكن فى كتاب الله ، قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فان لم يكن فى سنة رسول الله ، قال : اجتهد رأيى ، لا آلو ، قال : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى ثم قال : الحمد الله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد نقل أهل العلم هذا الحديث ، واحتجوا به على جواز اجتهاد الصحابة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما لا نص فيه من كتاب أو سنة ، ووردت حوادث تدل على أنهم كانوا يجتهدون فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فى كثير من الاحكام ولم يعنفهم .

١ ــ قال لهم رسول الله يوم الأحزاب : (لا يصلين أحد منكم العصر الا فى بنى قريظة) فاجتهد بعضهم وصلاها فى الطريق حين أدركتهم الصلاة ، وقال : لم يرد منا التأخير ، وانما أراد سرعة النهوض ، وتعجيل المسير ــ فنظروا الى المعنى ــ واجتهد آخرون وأخروها الى بنى قريظة ، فصلوها ليلا ــ ونظروا الى اللفظ ــ قال ابن القيم تعليقا على هذا : وهؤلاء سلف أهل الظاهر ، وأولئك سلف أصحاب المعانى والقياس .

٢ ــ ولما كان على رضى الله عنه باليمن أتاه ثلاثة نفر يختصمون فى غلام ، فقال كل منهم هو ابنى ، فأقرع على بينهم ، فجعل الولد للذى خرجت له القرعة ، وجعل عليه للرجلين ثلثى الدية ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فضحك حتى بدت نواجذه من قضاء على رضى الله عنه .

٣ ــ ومسألة الزبية مشهورة عن على كذلك ، روى أن قوما من أهل اليمن حفروا زبية للأسد ، فاجتمع الناس على رأسها ، فهوى فيها واحد ، فجذب ثانيا ، فجذب الثانى ثالثا ، ثم جذب الثالث رابعا ، فقتلهم الأسد ، فرفع ذلك الى على رضى الله عنه فقال : للأول ربع الدية لأنه هلك فوقه ثلاثة ، وللثانى ثلث الدية لأنه هلك فوقه اثنان ، وللثالث نصف الدية لأنه هلك فوقه واحد ، وللرابع كمال الدية ، وقال فانى أجعل الدية على من حضر رأس البئر ، فرفع ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : هو كما قال .

٤ ــ واجتهد سعد بن معاذ فى بنى قريظة ، وحكم فيهم باجتهاده ، أن يقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذرارى والنساء ، فصوبه النبى صلى الله عليه وسلم وقال : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات » .

٥ ــ وخرج رجلان من الصحابة فى سفر ، فحضرت الصلاة وليس معهما ماء ، فتيمما صعيدا طيبا ثم وجدا الماء فى الوقت ، فأعاد أحدهما الوضوء والصلاة ، ولم يعد الآخر ، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرا ذلك له ، فقال للذى لم يعد ، أصبت السنة وأجزأتك صلاتك ، وقال للذى توضأ وأعاد ، لك الأجر مرتين ، أى أنه صوبهما فى اجتهادهما .

٦ ــ وعن عمار قال : « أجنبت فلم أصب الماء ، فتمعكت الصعيد ، وصليت فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : (انما يكفيك هذا) وضرب النبى صلى الله عليه وسلم بكفيه الأرض ونفخ فيهما ، ثم مسح بهما وجهه وكفيه ، الى غير ذلك من الحوادث .

فهذه ونظائرها نماذج لفقه الصحابة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عند غيبتهم عنه ، حيث لايجدون نصا من كتاب أو سنة . وقد وجدوا فى ذلك مندوحة ، لأن يجتهدوا على ضوء ما عرفوه من شريعة ربهم ، وهدى نبيهم .

الفتوحات الاسلامية ومقتضياتها :

أخذ الفتح الاسلامى يبسط نفوذه فى عهد الخلفاء الراشدين على الأقطار

المجاورة للجزيرة العربية ، ودخل تحت لواء الاسلام من أصحاب الحضارات القديمة ناس من الفرس والروم ، لهم من العقائد والتقاليد والأنظمة ما يتنافى كله أو جله مع العقيدة الاسلامية وشريعتها الغراء ، وطبيعة هذا الفتح تستوجب ثقل المسئولية وعظيم التبعة على المسلمين الفاتحين ، وتستدعى من الخلفاء أن يواجهوا هذا بتنظيم الجيوش وامدادها ، وتولية الولاة على البلاد المفتوحة ، وادارة شئونها .

وباتساع الفتوحات الاسلامية تتجدد مشكلات الناس ، وتجد أقضية لم تكن معهودة من قبل ، وليس لها أصل فى كتاب أو سنة ، وكان موقف الصحابة من القضايا الجديدة أن يجتهدوا فيها ، فمنها ما اتفقوا فيه على رأى ومنها ما اختلفوا فيه .

أهم القضايا التى اتفق عليها الصحابة :

١ ــ كانت القضية الأولى التى واجهها الصحابة اثر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم قضية الخلافة ، حيث اختلفوا فيمن يخلف النبى صلى الله عليه وسلم فى سياستهم وتدبير شئونهم ، أما الأنصار فظنوا أن الأمر ينبغى أن يكون فيهم ، لأنهم آووا النبى صلى الله عليه وسلم والذين هاجروا ، وخاضوا المعارك فى سبيل الله ، فاجتمعوا بالفعل ، وأزمعوا أن يبايعوا رجلا منهم بالخلافة ، ورشحوا سعد بن عبادة زعيم الخزرج . ولكن الأمر انتهى الى زعماء المهاجرين ، فأسرع أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح الى الأنصار ، ودار بينهم شىء من الجدال ، وخطب فيهم أبو بكر ، وقال لهم نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، وأقنعهم بالأمر حتى سمحت نفوسهم ، ثم أسرع عمر الى بيعة أبى بكر فتبعه الأنصار ، وبايع بعد ذلك سائر المسلمين .

٢ ــ وكانت القضية الثانية التى واجهها الصحابة هى امتناع جماعة من العرب عن أداء الزكاة ، فعزم أبو بكر أمره على قتالهم ، ولم يكن من رأى عمر بادىء الأمر قتال هؤلاء لأنهم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فظل أبو بكر يراجعه حتى شرح الله صدره للقتال ، واتفق الصحابة عليه .

٣ ــ ومن القضايا التى اتفقوا عليها كذلك جمع القرآن ، فقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن قد جمع فى مصحف واحد ، وليس هناك فى كتاب أو سنة ما يدل على جمعه ، ولكن عمر رأى ضرورة ذلك بعد موقعة اليمامة ، وظل يراجع أبا بكر حتى اقتنع بذلك ، وصار هذا اجماعا من الصحابة .

٤ ــ وشاور عمر فى تدوين الدواوين ، وكان قد اتبع رأى أبى بكر فى التسوية بين الناس فى الأعطية ، فلما جاء فتح العراق رأى التفضيل فيما بينهم بقدر بلاء الرجل وجهاده ، واستشار فى ذلك ، وانتهى الأمر الى قول عمر : (ما من أحد الا له فى هذا المال ، وما أنا فيه الا كأحدكم ، ولكنا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرجل وبلاؤه فى الاسلام ، والرجل وقدمه فى الاسلام ، والرجل وغناؤه فى الاسلام ، والرجل وحاجته » .

أهم القضايا التى اختلفوا فيها :

١ ـ تدخل الأرض فى البلاد المفتوحة عنوة فى عموم الغنيمة التى قال الله تعالى فيها : (واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) ومقتضى هذا أن تقسم الأرض المغنومة قسم الغنائم ، فيكون أربعة أخماسها للغزاة ، والخمس للمصالح العامة المذكورة فى الآية ، ولما فتحت الفتوحات فى زمن عمر سأله الصحابة قسمة الأرض التى فتحت عنوة بين الغانمين ، ولكن عمر رأى أن مستقبل المسلمين فى هذه البلاد وما تحتاجه من نفقات فى ادارتها وتنظيم شئونها وتحقيق مصالح الناس فيها يستدعى التفكير فى ابقاء هذه الأرض دون أن تقسم ، حتى يبقى لمن يجىء بعد الغانمين شىء ، وذلك بوقفها على مصالح المسلمين ، لهذا رأى عمر ترك الأرض لأهلها ، على أن يوضع عليهم ما يحتملون من خراج تكون منه أعطيات المسلمين ، وما يحتاجون اليه من نفقات للجند والقضاة والعمال وسد حاجة المعوزين من اليتامى والمساكين ، ووافق عمر على رأيه جماعة من الصحابة ، منهم عثمان وعلى ومعاذ بن جبل ، وطلحة ، وخالفه آخرون ، منهم : عبد الرحمن بن عوف ، وعمار بن ياسر ، ورأوا أن تقسم الأرض ، ويقسم أربعة أخماسها على الغزاة ، والخمس لمن ذكروا فى كتاب الله تمسكا بآية الغنيمة .

وقد حاول بعض الفقهاء تبرير فعل عمر كما رواه ابو يوسف فى الخراج ، وذلك لقول الله تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا) الى قوله سبحانه : (والذين جاءوا من بعدهم) ونقل عن عمر أنه قال فى هذه الآية : فكيف أقسم لكم وأدع من يأتى بغير قسم ، فأجمع على تركه ، وجمع بين خراجه واقراره فى أيدى أهله ، ووضع الخراج على أيديهم والجزية على رءوسهم .

٢ ـ حد الخمر : كان الأمر قبل خلافة عمر فى عقوبة شارب الخمر على الضرب بالأيدى والنعال وأطراف الثياب دون حد مقدر ، حيث لم يفرض الرسول صلى الله عليه وسلم فى الخمر حدا ، ولم يسن سنة ، فلما جاء عمر استشار الناس بعد أن كثر شرب الخمر ، فقال عبد الرحمن بن عوف أخف الحدود ثمانون فأمر به عمر .

٣ ـ الطلاق الثلاث : وأمضى عمر بن الخطاب الطلاق الثلاث على خلاف ما كان الأمر قبله (فعن طاوس عن ابن عباس أنه قال : كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب : ان الناس قد استعجلوا أمرا كان لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ، فأمضاه عليهم) .

٤ ـ صلاة التراويح : ومما ينسب الى عمر جمع الناس على صلاة التراويح فى رمضان ، وقد جاء قيام رمضان عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحابته جماعة ، ثم ترك ذلك مخافة أن تجب عليهم ، وقد صلاها الناس فرادى فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وصدرا من خلافة عمر ، فخرج عمر ليلة فرأى الناس أوزاعا يصلون فى المسجد فقال : لو جمعتهم على امام ؟ فأمر أبى بن كعب فصلى بهم ، ثم خرج

ليلة أخرى فرآهم مجتمعين على أبى بن كعب فصلى بهم ، كما ينسب اليه زيادة النفل فى رمضان أو غيره على احدى عشرة ركعة الى عشرين ركعة أو أكثر ، وهذا أمر لم يتم الاتفاق عليه .

٥ ــ المعهود فى حقوق العبد ، التنصيف ، واختلفوا فى الطلاق عند اختلاف الزوجين فى الحرية والرق ، فأفتى عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت بأن الحرة تكون زوجة للعبد تحرم الحرمة المؤبدة بطلقتين ، واعتبروا الطلاق بالزوج لأنه الموقع للطلاق ، وهو الذى بيده عصمة النكاح ، وخالفهما على ، فقال لا تحرم إلا بثلاث طلقات ، أما الأمة تكون زوجة للحر فتحرم بطلقتين ، فاعتبر الطلاق بالزوجة لأنها هى التى وقع عليها الطلاق .

٦ ــ قال الله تعالى : (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) وقال : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) فقال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذكر الله فى المطلقات أن عدة الحوامل أن يضعن حملهن وذكر فى المتوفى عنها أن تعتد أربعة أشهر وعشرا ، فعلى الحامل المتوفى عنها أن تعتد أربعة أشهر وعشرا وأن تضع حملها حتى تأتى بالعدتين معا ، اذ لم يكن وضع الحمل انقضاء للعدة هنا الا فى الطلاق ــ ويقول غيرهم : اذا وضعت ذابطنها فقد حلت ، ونقل عن ابن مسعود أنه قال : من شاء باهلته ، أن سورة النساء القصرى نزلت بعد سورة النساء الطولى ، يعنى البقرة ، ومآله تخصيص آية البقرة بآية الطلاق .

٧ ــ سهم المؤلفة قلوبهم : عن ابن سيرين عن عبيدة قال : جاء عيينة بن حصن ، والاقرع بن حابس الى أبى بكر فقالا : يا خليفة رسول الله ان عندنا أرضا سبخة ، ليس فيها كلأ ولا منفعة ، فان رأيت أن تعطيناها ؟ فأقطعها اياهما ، وكتب لهما عليها كتابا ، وأشهد وليس فى القوم عمر ، فانطلقا الى عمر ليشهد لهما ، فلما سمع عمر ما فى الكتاب ، تناوله من أيديهما ، ثم تفل فيه فمحاه ، فتذمرا وقالا مقالة سيئة ، فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتألفكما ، والاسلام يومئذ قليل ، وان الله قد أغنى الاسلام ، اذهبا فاجهدا جهدكما ، لا يرعى الله عليكما ان رعيتما .

فقد خالف عمر فى ذلك أبا بكر رضى الله عنهما ، ثم أمضى أبو بكر ما فعله عمر ، مما يدل على أنه سوغ له اجتهاده ، مع أن سهم المؤلفة قلوبهم مذكور بنص القرآن فى مصارف الزكاة : (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله) .

٨ ــ واختلفوا فى الجد : فقال زيد بن ثابت ــ وهو المروى عن عمر وعثمان وعلى وابن مسعود ــ يورث مع الأخوة ــ وقال أبو بكر ــ وروى عن عائشة وابن الزبير وعبد الله بن عقبة ــ أنهم جعلوه أبا وأسقطوا الأخوة معه .

تفرق العلماء فى الأمصار :

بدأت الفتوحات الاسلامية تتسع فى عهد عمر بن الخطاب ، وظلت موجة المد الاسلامى فى المشرق والمغرب تشق طريقها من بعده ، وكان لا بد للعرب المسلمين الفاتحين أن يؤهلوا أنفسهم لحكم البلاد التى فتحوها بالعلم والمعرفة ،

ولا بد للذين دخلوا فى الاسلام من غير العرب أن يتعلموا العربية لدينهم ولدنياهم فا ستتبع الفتح الاسلامى حركة علمية فى البلاد المفتوحة .

وكان عمر يميل الى استبقاء كبار فقهاء الصحابة بالمدينة للاستعانة بهم فى الفتيا عند عرض المشكلات ، والحيلولة بينهم وبين الاشتغال بالحياة الدنيا ومظاهر الحكم ، ولكنه مع ذلك أرسل بعض الصحابة معلمين فى الأمصار بعد أن اتسعت الفتوحات ، وكتب عمر الى أهل الكوفة : « انى بعثت اليكم بعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا ، وآثرتكم به على نفسى ، فخذوا عنه » فقدم الكوفة ونزلها ، وابتنى بها دارا الى جانب المسجد . .

وبعد عهد عمر كثر انتشار الصحابة فى البلاد المفتوحة ، وقد أنشأ هؤلاء الصحابة العلماء الذين تفرقوا فى الأمصار حركة علمية فى كل مصر نزلوا فيه ، ولدى كل واحد منهم من العلم ما قد لا يكون مع الآخر ، وكونوا مدارس منهجية فى تعليمهم ، وكان لهم تلاميذ ينقلون عنهم العلم ، فتخرج عليهم التابعون ، وتأثرت البلاد التى نزلوا فيها بشخصياتهم ، ونهجوا فى العلم مناهجهم ، ومن الطبيعى أن تزدهر هذه الحركات العلمية فى المدن خاصة ، لأنها أكثر ناسا وأوفر عمرانا ، وقد تميز فى هذه الحركة منهجان :

أحدهما : منهج أهل الرأى أو مدرسة الكوفة بالعراق . والثانى : منهج أهل الحديث أو مدرسة المدينة بالحجاز .

١ ــ مذهب أهل الرأى فى العراق :

ربما كان عمر بن الخطاب أكثر الصحابة فقها للنصوص واجتهادا فى فهمه ، واقداما على ابداء الرأى فيه ، والمشكلات التى اعترضت الصحابة ، واجتهدوا فيها تعطى لعمر بن الخطاب رضى الله عنه هذه الميزة فى أكثر من موضع ، وان كان قد حرص على استشارة الصحابة ، والتريث فى الأمور ، فعن الشعبى قال (كانت القضية ترفع الى عمر رضى الله عنه فربما تأمل فى ذلك شهرا ويستشير أصحابه ، واليوم يفصل فى المجلس مائة قضية) وسار عبد الله بن مسعود رضى الله عنه على طريقة عمر ، وتأثر به فى آرائه ، وروى عنه أنه قال (انى لأحسب عمر ذهب بتسعة أعشار العلم) وجاء فى أعلام الموقعين أن ابن مسعود كان لا يكاد يخالف عمر فى شىء من مذاهبه ، وقال الشعبى (كان عبد الله لا يقنت ولو قنت عمر لقنت عبد الله) وهذا يدل على ان ابن مسعود نهج منهج عمر فى التفكير والاستنباط والرأى حيث لا نص . وروى عن ابراهيم النخعى أنه كان لا يعدل بقول عمر ، وابن مسعود اذا اجتمعا ، فاذا اختلفا كان قول عبد الله أعجب لأنه كان ألطف .

وقد عرفت من قبل أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسل عبد الله بن مسعود الى أهل الكوفة ليعلمهم ، وكانت حركته العلمية فى العراق كبيرة واسعة ، ونهج تلاميذه نهجه من بعده فاعتبرت مدرسة ابن مسعود بالعراق نواة لمدرسة الرأى حتى نسب اليها بعض التابعين فقيل (ربيعة الرأى) .

ويرجع انتشار مدرسة الرأى فى العراق الى الأمور الآتية :

١ ــ تأثرهم بالصحابى الجليل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه الذى كان من منحى عمر بن الخطاب واستاذ الكوفة كما عرفنا .

٢ ــ كان الحديث فى العراق قليلا اذا قيس الى ما لدى أهل الحجاز ، موطن الرسول صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة .

٣ ــ والعراق متاخم للفرس ، واتصل بالحضارة الفارسية اتصالا وثيقا ، وذلك من شأنه أن يحدث كثيرا من المسائل الجزئية والمشكلات المتعددة التى تحتاج الى إعمال الرأى .

٤ ــ وكان العراق موطن الشيعة والخوارج ، وعلى أرضه دارت الفتنة ، ثم شاع الوضع فى الحديث تأييدا للمذاهب السياسية ، وهذا جعل علماءه فى مدرسته يقلون من رواية الحديث ويتحفظون فيها ، تحرزا من الوقوع فى الأحاديث الموضوعة ، فكانت الاحاديث التى يعول عليها لديهم قليلة ، وهذا يدعوهم عند النظر فى المسائل الى القول بالرأى حيث لا نص .

مميزات مدرسة أهل الرأى :

١ ــ كثرة تفريعهم الفروع لكثرة ما يعرض لهم من الحوادث نظرا لتحضرهم ، وقد ساقهم هذا الى فرض المسائل قبل أن تقع ، فأكثروا من أرأيت لو كان كذا ؟ فيسألون المسألة ويبدون فيها حكما ثم يفرعونها بقولهم (أرأيت لو كان كذا ؟) ويقلبونها على سائر وجوهها الممكنة وغير الممكنة أحيانا ، حتى سماهم أهل الحديث (الأرأيتيون) وقال سعيد بن المسيب لربيعة الرأى وقد اعترض عليه فى مسألة (أعراقى أنت ؟) وقدم على مالك بن أنس ، أسد بن الفرات ، قال أسد : وكان أصحاب مالك يهابونه فى السؤال فكنت اسأله عن المسألة ، فاذا أجاب يقولون قل له : فان كان كذا ، فأقول له ، فضاق على يوما فقال : هذه سليسلة بنت سليسلة ، ان أردت هذا فعليك بالعراق .

٢ ــ قلة روايتهم للحديث واشتراطهم فيه شروطا لا يسلم معها الا القليل .

مذهب أهل الحديث فى الحجاز :

كان للمدينة منزلة خاصة باعتبارها دار الهجرة التى نزل فيها التشريع وشهدت ما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا أو فعلا ، وعاش فيها الخلفاء الراشدون ، فأصبحت مهد السنة ، ومنبع الحديث ، وملتقى الصحابة ، وهذا يجعل أهلها أثبت الناس بالفقه وأشدهم تمسكا بالرواية ، ووقوفا عند الآثار .

ومدرسة المدينة فوق هذا تستقى منهجها من شيوخها الأوائل الذين فى مقدمتهم زيد بن ثابت ، وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم جميعا ، وقد عرف ابن عمر بحرصه الشديد على تتبع آثار الرسول صلى الله عليه وسلم والاعتزاز به ، وتأثر بهذا المنهج تلاميذه الذين حملوا لواء العلم بهذه المدرسة ، وفى مقدمتهم سعيد ابن المسيب الذى أكب على جمع الآثار وفتاوى الصحابة ، وحفظ كثيرا منها ، وقيل فيه انه أعلم الناس بما تقدمه من الآثار ، وأفقههم فى رأيه . وعن ميمون ابن مهران قال : (أتيت المدينة فسألت عن أفقه أهلها فدفعت الى سعيد فسألته) ومن هذه المدرسة الشعبى الذى يقول : (ما جاءكم به هؤلاء من أصحاب رسول الله فخذوه ، وما كان من رأيهم فاطرحوه فى الحسن) .

ومذهب مدرسة أهل الحديث أنهم اذا سئلوا عن شىء فان عرفوا فيه آية أو حديثا أفتوا والا توقفوا ، روى عن رجل سأل سالم بن عبد الله بن عمر عن شىء فقال : لم أسمع فى هذا شيئا ، فقال له الرجل : فأخبرنى أصلحك الله

برايك قال : لا ، ثم اعاد عليه فقال : انى أرضى برايك فقال سالم : انى ؟ لعلى أن اخبرتك برأيى ثم تذهب فأرى بعد ذلك رأيا غيره فلا أجدك .

وترجع أسباب وقوف أهل الحجاز عند النصوص الى الأمور الآتية :
١ ــ تأثرمدرستهم بالمنهج الذى التزمه علماؤهم كما ذكرنا فى حرصهم على الاحاديث والآثار وتجنبهم الاخذ بالرأى وإعمال القياس الا اذا كانت هناك ضرورة ملجئة .
٢ ــ ما لديهم من ثروة كبيرة لدى الصحابة الذين استوطن أكثرهم الحجاز عامة والمدينة خاصة من أحاديث وآثار .
٣ ــ بساطة الحياة لدى أهل الحجاز وقلة مشكلاتهم ــ حيث كانوا على الفطرة الاولى بمنأى عما تحدثه المدنية الفارسية أو اليونانية من تفريع للمسائل.
٤ ــ بعدهم عن مواطن الفتنة وبواعث النزاع بالنسبة لما كان عليه الأمر فى العراق .

ومن مميزات هذه المدرسة :

١ ــ كراهيتهم لكثرة السؤال وفرض المسائل وتشعب القضايا .
٢ ــ الاعتداد بالحديث والوقوف عند الآثار .
وكان بين أهل الرأى واهل الحديث منافسة شديدة ، وعاب كل فريق منهم طريقة الآخر ، وان كان من بين الحجازيين من يميل الى الــرأى كربيعة بن عبد الرحمن شيخ الامام مالك ــ أخرج مالك فى الموطأ عن ربيعة قال : سألت سعيد ابن المسيب : كم فى اصبع المرأة ؟ قال عشرة من الابل ، قلت ففى اصبعين ؟ قال : عشرون ، قلت : ففى ثلاثة ، قال : ثلاثون ، قلت : ففى أربع ؟ قال : عشرون . قلت : حين عظم جرحها واشتدت مصيبتها نقص عقلها ؟ ! فقال له سعيد : أعراقى انت ؟ فقال ربيعة : بل عالم مستثبت أو جاهل متعلم ، فقال سعيد : هى السنة . يشير بهذا الى ماأخرجه النسائى عن النبى صلى اللــه عليه وسلم قال : (عقل المرأة مثل عقل الرجل حتى تبلغ الثلث من ديتها) ومع ورود النص لا مجال للعقل ، ولذلك عاب سعيد على ربيعة ما يعيبــه على العراقيين يومئذ من تحكيم العقل فى النصوص .

الفقهاء السبعة :

وقد اشتهر من مدرسة أهل الحجاز الفقهاء السبعة :
قال ابن القيم فى أعلام الموقعين : وكان المفتون بالمدينة من التابعين : ابن المسيب ، وعروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد وخارجة بن زيد ، وأبا بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هاشم ، وسليمان بن يســار ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وهؤلاء هم الفقهاء ، وقد نظمهم القائل فقال :
اذا قيل من فى العلم سبعة أبحر — روايتهم ليست عن العلم خارجة
فقل : هم عبيد الله عروة قاسم — سعيد أبو بكر سليمان خارجة
وعن هؤلاء السبعة انتشر فقه أهل المدينة وعلى يدهم تخرج من جاء بعدهم من الفقهاء ، وتعتبر مدرسة الفقهاء الســبعة المدرســة الفقهية الأولى فى هذا العصر ، حتى سمى باسمهم ، فقيل عصر الفقهاء السبعة ، وكان علمهم الفقهى أساسا لمنهج الفقه الاسلامى فى البحث والنظر .

للحديث بقية

حوار حول الجهاد الأكبر

للأستاذ: أحمد محمد جمال
مكة المكرمة

خلال حوار علمى فكرى رائع .. تحدث فريق من العلماء والمفكرين حول (الجهاد الاكبر) ، وقد رأينا أن لا نحرم منه قراء « الوعى الاسلامى » لأنه جزء من رسالتها الفكرية السامية ، ولأن المسلمين ـــ اليوم ـــ أحوج ما يكونون الى (وعى) حقيقة الجهاد الاكبر .. الذى هو فى نظرنا دواء دائهم ، وقوة عيائهم ، ومجدد أمر دينهم ، وباعث عزائمهم ، ومحقق مكارمهم .

يرى (بعضهم) إن الحديث المشهور : « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر : جهاد النفس » وهو بلفظ آخر : « قدمتم خير مقدم .. وقدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر : مجاهدة العبد هواه » ـــ يرى بعضهم ان هذا الحديث ضعيف الاسناد . وقد رواه السيوطى فى الجامع الصغير وحكم عليه بالضعف ، كما حكم به البيهقى والعراقى ايضا .

فالحديث ـــ فى نظر هذا البعض ـــ واه ضعيف . مع أن كثيرا من العلماء يدافع عنه ويرى معناه صحيحا ، وهو يعارض معارضة بينة قوله تعالى : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر ، والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ـــ فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما » (١) .

---

(١) سورة النساء / ٩٥ .

راى الامام ابن القيم

● قال (أحدهم) : ان العــلامة ابن القيم رحمـــه الله يقول فى كتابه « الفوائد » تعليقـــا على قول الله عز وجل « والذين جاهدوا فينـــا لنهدينهم سبلنا » (٢) : علق سبحانه الهداية بالجهاد ، فأكمل النـــاس هداية أعظمهم جهادا . وأفرض الجهاد جهاد النفس ، وجهاد الهوى ، وجهـــاد الشيطان ، وجهاد الدنيا . فمن جاهد هذه الاهواء الاربعة فى الله هداه الله سبل رضاه الموصلة الى جنته ... ولا يتمكن من جهاد عدوه فى الظاهر الا من جاهد هذه الأعداء باطنا ، فمن نصر عليها نصر على عدوه ، ومن نصرت عليه نصر عليه عدوه » اه ــ افلا نفهم من قوله افرض الجهاد جهاد النفس .. ما يهدف اليه الحديث النبوى الذى ضعفوه : (رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر) ومن قوله « ولا يتمكن من جهـــاد عدوه فى الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطنا » ما يهدف اليه الحديث الآنف الذكر ؟ ثم ان هزيمتنا أمام الشرذمة الباغية (اسرائيل) يؤيد ما ذهب اليه ابن القيم رحمه الله فى قوله : « ولا يتمكن من جهاد عدوه فى الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطنا » وكأنه رحمه الله قد شاهد هزيمتنا ، ورأى انها نتيجة انهزامنا أمام انفسنا واهوائنا والشيطان !

راى العلامة المناوى

● قلت : وكابن القيم يرى العلامة (المناوى) « أن الجهاد الاصغر هو جهاد العدو المتبين ، والجهاد الأكبر هو جهاد العدو المخالط ــ أى النفس ــ » ، وهو رأى كثير من علماء السلف ــ رحمهم الله ــ الذين يرون أن معنى الحديث صحيح ، وان كان من حيث السند ضعيفا .

وتعقيبا على استدلال (بعضهم) بآية « لا يستوى القاعدون .. » قلت : ان فضل المجاهد على القاعد أمر غير منكر ، ولا خلاف بل اختلاف بيننا فى هذا الفضل العظيم الذى ميز الله به المجاهدين على القاعدين .

وانما نرى أن جهاد النفس يجب أن يسبق جهاد العدو ، كاعداد وتربية تمهد للقتال وتمكن من الانتصار .. كما نرى أن المسلم الذى يعجز عن مجاهدة أهوائه يعجز ــ بالتالى ــ عن مجاهدة أعدائه .. تماما كمـــا هو الحال فى (الطهارة) لا تتم الصلاة الا بها ، ومع ذلك فليست الأولى أفضل من الثانية . والقعود مجردا ليس أفضل من الجهاد ، ولا القعود للتربية والاعداد أفضل من الجهاد مطلقا . وانما كانت الأهمية والأسبقية لجهاد النفس .. لأنه الوسيلة والمقدمة والسلم للانتصار فى مجاهدة الاعداء .

فليلاحظ الفرق الواضح بين القول : ان القعود أفضل من الجهاد ، وهو بلا شك باطل حكم ببطلانه القرآن الكريم ، وبين القول : ان جهاد النفس مقدم وسابق على جهاد العدو .

وقريب من هـــذا المعنى قول أبى الطيب :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهى المحل الثـــانى

---

(٢) سورة العنكبوت / ٦٩ .

جهاد النفس فرض عين

● فرد (ثالث) : يجب أن لا يغيب عن البال أن جهاد العدو فرض كفاية ، بينما جهاد المسلم لأهوائه فرض عين . كما أن الأول مؤقت والثانى دائم .. لان القتال استثناء ، والسلام ــ فى الاسلام ــ هو القاعدة . واصلاح الأنفس وتربيتها على الحق والعدل والخير ، واعدادها للدعوة الاسلامية قولا وعملا وحكما وسياسة هو المطلوب دائما ، من أجل تسعيد المجتمع الاسلامى ، وترشيد أفراده ، وجعله مثالا يحتذى صدقا وعدلا ، ومروءة وفضلا .

● وعاد (البعض) يردد : ان المستعمرين وجدوا فى هذا الحديث الضعيف سندا ، والذى يصحح كثير من العلماء معناه ــ وجدوا فيه صارفا للمسلمين عن الجهاد الحقيقى .. الذى هو جهاد العدو ــ فى نظرنا ــ وذلك بتصويره جهادا أصغر كما جاء فى لفظ الحديث !

موقف الاستعمار من الحديث

● قلت : ان المستعمرين كانوا أذكى وأوعى لمعنى الحديث الذى قيل انه ضعيف الاسناد ــ فذهبوا منذ زمن طويل يحببون الى المسلمين اللذائذ والشهوات وانتهاك الحرمات ، واختلاط الاولاد بالبنات ، ويطعنون فى أحكام الاسلام وآدابه ، وبذلك أسكتوا فى نفوسهم هاتف (الجهاد الأكبر) ، جهاد النفس ، فانغمس المسلمون فى متع الحضارة الغربية المادية ، وشغفوا بزخرفها .. فكان ما كان من ضعفهم عن الجهاد الاصغر ، وانهزامهم أمام أحقر الدول وأذل الشعوب .

وبين أيدينا بروتوكولات صهيون ، وأعمال المبشرين ، ومفتريات المستشرقين : شواهد قائمة على صدق ما نقول من خدمة أعدائنا فى معرفة حقيقة (الجهاد) التى صرفونا عنها باسم التطور والتحضر ، والتحرر من مكارم الاخلاق ، التى بعث من أجلها الرسول صلى الله عليه وسلم وأنزل علينا القرآن الكريم .

موقف الفقهاء من الأحاديث الضعيفة

● قال هذا (البعض) نفسه : ان الحديث ضعيف السند كما ترون . وكم أساءت الأحاديث الضعيفة الى السيرة النبوية ، بل الى الشريعة الاسلامية .. حيث كانت ــ الأحاديث الضعيفة ــ سببا للاختلاف بين العلماء والفقهاء !

● قلت : اننى أخالفكم فى هذا أيضا .. فالحديث الضعيف ــ كما قال الامام أحمد رضى الله عنه ــ « خير من آراء الرجال » . ولذلك يؤخذ به فى فضائل الأعمال ومناقب الرجال . كما أن الامام أبا حنيفة رحمه الله يقدمه على القياس الذى هو الأصل الثالث من أصول التشريع الاسلامى .

ومن ناحية أخرى نرى أن الحديث الضعيف عند هذا الامام أو ذاك الفقيه .. صحيح عند امام أو فقيه آخر . وربما كان ــ من وجهة نظر بعضهم ــ

صحيح المعنى ، أو انه مؤيد بسنة متبعــة أو عمــل جار أو بآيات وأحاديث اخرى .

وهناك أحاديث نبوية صحيحة السند عارضتها فى المعنى أحاديث مثلها صحيحة السند ، فاضطر العلماء والفقهاء الى تأويلها للجمع بينها ، أو الى القول بنسخ السابق للمسبوق .

ولا شك أن نظام الجرح والتعديل ــ اى معرفة رجال الحديث النبوى بما يسمى مصطلح الحديث ــ هو مما امتازت به الشريعة الاسلامية على كافة الشرائع والأديان السماوية والوضعية ، اذ به حفظت سنة الرسول صلى الله عليه وسلم التى هى الأصل الثانى للتشريع الاسلامى ، كما تكفل الله عز وجل بحفظ القرآن من التحريف : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (٣) .

والحديث ــ موضوع البحث ــ وان كان ضعيف الاسناد ، الا أنه صحيح المعنى ، سليم المتن ، ولا نزعم أن الرسول عليه الصلاة والسلام قاله ، ولكننا نرى أن آيــات كثيرة من القرآن وأحاديث أخرى من ســيرة الرسول وتاريخ الصحابة تؤيد معناه .

الجهاد الأكبر .. هو جهاد النفس

أجل ان الجهاد الأكبر هو جهاد النفس ــ كما يرى ذلك كثير من علماء السلف والخلف . وهذا لا يعنى أن يقعد المسلمون عن قتال أعدائهم وخصماء دينهم . بل يعنى أن جهاد النفس هو المقدمة والوسيلة والسلم للجهاد الأصغر الذى هو جهاد العدو .. لأنه لا نتيجة بلا مقدمة ولا غاية بلا وسيلة ، ولا ارتقاء بلا سلم ، ولا انتصار على عدو الا بقوة نفسية وأخلاقية ، ولا شجاعة صحيحة الا برأى حكيم ــ كما قال أبو الطيب .

والجهاد الأكبر هو جهاد النفس لأنك « لا تجنى من الشوك العنب » كما يقول المثل العربى .. لا تجنى من النفوس التى طمست بصائرها المعصية ، وشدت على ضمائرها القسوة ، وعميت عليها الأنباء والسبل ، وركنت الى الشهوات والملاذ ــ انك لا تنتظر من هذه النفوس : نفوس الجبناء والفساق : قوة أمام العدو ، ولا جراة على القتال ، ولا صبرا على التضحية والفداء ، ولا رغبة فى النصر أو الشهادة .

لذلك كان جهاد النفس أكبر من جهاد العدو ، فهو الذى يمهد له ويحققه ، ويجعله محببا ميسورا ، ويدفع بالرجل التقى الصالح ، الى ساحة الجهاد ، وهو مبتسم فرح بلقاء العدو ، بل تراه فى ميدان المــعركة يتشمم ريح الجنة التى تنتظره اذا قتل شهيدا ، وتسمعه وهو يهتف : (هبى ريح الجنة) !

وتراه .. وهو ينطلق الى الجهاد ، قاذفا بما فى يده من طعام شهى ، أو هاجرا عروسه الجميلة الحبيبة ولما يكمل ليلته معها ــ كما حدث لحنظلة بن أبى عامر ــ أو متمنيا لقاء ولده المشرك ليقتله وابنه يتحاماه ــ كما حدث لأبى

---

(٣) سورة الحجر / ٩ .

بكر رضى الله عنه فى غزوة بدر .. الى آخر تلك النماذج الصالحة المؤمنة التى رباها الاسلام فى مدرسته ، وصنعها الرسول على عينه ، وأنشأها القرآن على التقوى ، على جهاد النفس ، الجهاد الاكبر ، حتى كان الله ورسوله فى قلوبها وسلوكها أحب اليها من أنفسها وولدها والناس أجمعين .

فلا شىء — الا الجهاد الاكبر جهاد النفس أو (مجاهدة العبد هواه) — يجعل الرجل مؤمنا صادق الايمان ، تقيا صحيح التقوى ، جريئا على لقاء أعدائه ، زاهدا فى متاع الدنيا وزينتها ، مؤثرا الشهادة فى سبيل الله على الزوجة والولد والحياة .

ومن هنا جاءت الآيات القرآنية تؤيد معنى الحديث ، وان كان ضعيف الاسناد . جاء القرآن يحث على (التقوى) فى آيات كثيرة مكررة . كما يحث على (الايمان) أيضا . والايمان والتقوى هما الجهاد الأكبر .. جهاد النفس .

ولذلك قال الله عز وجل — فى سورة الحجرات(٤) — : (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا ..) وقال بعد ذلك : (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون) .

فلنتأمل قوله « ثم لم يرتابوا » فمعناه : أنهم آمنوا بالله ورسوله ولم يرتابوا فيما أمرا به وفيما نهيا عنه ، وفيما وعدا به من حسن المثوبة على صالحات الأعمال .

وهؤلاء الذين : (آمنوا .. ثم لم يرتابوا) هم المجاهدون لأنفسهم ، ومجاهدتهم لأنفسهم هى الجهاد الأكبر ، لأنهم صبروا على شدائد الطاعات ، وفطموا أنفسهم عن لذائذ المنكرات ، وقاوموا مغريات الشح والبخل بالمال والنفس فبذلوهما فى سبيل الله عن رضى وسماح .

الايمان : قول وعمل ونية

● فقال (بعضهم) : ان الايمان بتعريف السلف هو قول وعمل . قال الامام الشافعى رضى الله عنه — فى الأم — وكان الاجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون : ان الايمان قول وعمل ونية لا يجزى واحد من الثلاثة عن الآخر » فكيف تقولون : ان الايمان والتقوى هما الجهاد الأكبر جهاد النفس ؟

● قلت : إننى لم أقصد التعريف الحرفى للايمان ، والذى يفرق بينه وبين الاسلام والاحسان .. كتحديد لكل معنى من المعانى الثلاثة ، كما يفعل المؤلفون والمدرسون بالنسبة للطلاب أو المبتدئين فى معرفة الدين .. وانما قصدت المفهوم الكلى للايمان وثمراته ، مضافا اليه التقوى التى هى الائتمار والازدجار . وبهذا المفهوم لا تختلفون معى فى القول : بأن الايمان والتقوى معا هما الجهاد الاكبر ، جهاد النفس — فالايمان كما يراه الشافعى وكما يراه السلف من

---

(٤) الآية / ١٥ .

صحابة وتابعين ـــ كما نقلتم عنه ـــ قول وعمل ونية وهذه الثلاثة مجتمعة هى : الجهاد الأكبر جهاد النفس .. حتى تؤمن بالله ورسوله وكتابه عقيدة وقولا وسلوكا ، فتتقى محارمه وتجتنب معاصيه ، وتقبل على طاعاته وعباداته ، وتجاهد أهواءها الباطنة أو المخالطة ـــ كما يقول المناوى ـــ ثم تجاهد عدوها الخارجى ، حيث ترى الدنيا ـــ فى عينيها ـــ رخيصة وما عند الله أبقى وأغلى وأجل .

فلا فرق ـــ اذن ـــ ولا اختلاف بين المعانى والمقاصد الكلية لكلتا العبارتين عن (الايمان) وقد جاءت (التقوى) فى عبارتى زيادة فى تأكيد المعنى وتوضيحه وتركيزه .

لا طمانينة فى الحديث الى القعود !

أما قولكم : ان الحديث يعطى الطمأنينة ، ويحبذ القعود .. للمسلمين ، فهو ان كان له هـذا الأثر ، فذلك بالنسبة للمسلمين المحسوبين على الاسلام بأنسابهم أو بشهادات ميلادهم .. الذين (ارتابوا) فى دين الله ، فآمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه ، انهم لا يكفون عن معصية ، ولا يفرون الى طاعة ، وان صلوا أو صاموا فليس لهم من صـلاتهم أو صيامهم الا القيام والقعود ، والا العطش والجوع . لأنهم لم يصدقوا الله ايمانا ، ولم يخلصوا لرسوله اتباعا .

الجهاد .. فى الحديث النبوى

وكذلك قدم الحديث النبوى (الايمان) بالله ورسوله على الجهاد . لأن الايمان هو التربية على الجهاد ، قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه البخارى ومسلم : (سئل النبى صلى الله عليه وسلم : أى العمل أفضل ؟ فقال : ايمان بالله ورسوله . قيل ثم مـاذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله . قيل ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور) .

وفى الحديث النبوى : « أفضل الجهاد : كلمة حق عند سلطان جائر) . وكلمة الحق هنا تعنى الأمر بالمعـروف والنهى عن المنكر ، فهو لون من ألوان الجهاد الأكبر جهاد النفس ، وأفضل هذه الألوان من جهاد النفس : أن يكون الأمر والنهى موجهين الى سلطان مرهوب البطش ، مخوف السطوة .

وقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـــ فى حديث معروف ـــ من تداعى الأمم علينا ، كما تتداعى الأكلة على قصعتها ، على الرغم من كثرتنا ، ولكننا غثاء كغثاء السيل .. وذلك لانكبابنا على حب الدنيا وملذاتها ، وانتزاع المهابة من قلوب أعدائنا لنا .

وفى الحـديث النبوى أيضا ـــ أن شابا قـويا مر بين أيدى الصحابة والرسول عليه الصلاة والسلام معهم ، فقال بعضهم : لو كان هذا فى سبيل الله ! أى تمنوا أن يكون شبابه وجلده ونشاطه جهـادا فى سبيل الله . فرد عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما أوضح لهم أن الجهاد فى سبيل الله ليس هو لقاء العدو فى الميدان وحده ، فهناك ألوان من الجهاد فى سبيل الله قد

تساوى أو تفضل مجاهدة الأعداء فى معترك القتال . قال عليه الصلاة والسلام : انه اذا كان يسعى على نفسه يكفها عن سؤال الناس فهو فى سبيل الله ، وان كان يسعى على أبوين ضعيفين فهو أيضا فى سبيل الله — أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

فهذا نموذج تربوى نبوى يعطينا الدليل الساطع على أن السعى على النفس أو الأهل للاستغناء والتعفف عن مساءلة الناس ، وللاستعلاء على هوان الحاجة — هو جهاد فى سبيل الله يضارع جهاد الأعداء — بل يفوقه ويسبقه والا لما دافع الرسول عليه الصلاة والسلام عنه ، وأبرأ ذمة الشاب من الملامة عليه .

والنموذج الثانى من التربية النبوية على جهاد النفس : شاب آخر جاء اليه صلى الله عليه وسلم .. يستأذنه للجهاد فى سبيل الله ؟ فسأله الرسول : أحى والداك ؟ قال : نعم . قال : فيهما فجاهد !!

هذا التوجيه النبوى له نفس دلالة الاول ، ويزيد عليها بتقديم المجاهدة فى سبيل اغناء الأبوين عن ذل الحاجة وهوان المسألة على الجهاد فى الميدان .

الجهاد أنــواع شتى

ان الحديث الاول يوجه الى أن الجهاد فى سبيل الله أنواع شتى ، وليس هو الجهاد مع العدو وحده .. فالجهـاد لصيانة الـوجه من ذل السؤال ، وللتكسب بطريق الحلال ، والجهاد لرعاية الأبوين وبرهما واكرامهما عن الحاجة — هما جهاد فى سبيل الله كجهاد العدو تماما ، بل يفضلان عليه .

أما الحديث الثانى فصريح فى ايثار الجهـاد بالعمـل المعيشى من أجل الكرامة النفسية والعائلية ، وحفظها من ذل الفاقة ، وهوان المسألة — ايثار ذلك على جهاد العدو ، اذ قال عليه الصلاة والسلام للشاب : (ففيهما فجاهد) ولم يأذن له بالخروج الى المعركة .

ونخلص من هذين النموذجين للتربية النبوية الرشيدة الى تأكيد ما سبق من أن مجاهدة النفس ، وتربيتها على الايمان والتقوى ، وعلى الخلق الكريم ، وعلى العزة والاباء ، وعلى السعى الجاهد للتكسب والاحتراف .. من أجل الاستغناء عن المسألة ، والارتفاع على مذلتها وهوانها — ان مجاهدة النفس وتربيتها على نحو ذلك هو الذى يليق بالمسلم ، وهو المقدمة والسابقة والوسيلة الى امكان مجاهدة العدو الخارجى ، على حالة من التقوى والكرامة والعزة ، تعين على الانتصار عليه .

ذلك أن النفس التى أذلتها الحاجة ، أو أخلدت الى المزيد من الشهوات والملاذ والأهواء ، أو أقعدها الكسل والجبن عن التكسب الحلال والاحتراف الكريم ، أو لازمها عدم الاهتمام بواجب أو حق فرضه الله عليها نحو أسرتها

ــ وفى مقدمتها الوالدان ــ هذه (النفس) ليست جديرة ... بل ليست قديرة على مجاهدة الاعداء فى ميدان القتال .

الجهاد الاكبر .. فى نظر عمر

ولنلاحظ هنا : أن عمر بن الخطاب الخليفـــة الراشدى الثانى ــ والرجل المحدث الملهم ــ كان اذا بعث بعوثا لقتال العدو .. يحذر جنده من ارتكاب المعاصى ، ويقول لهم : انكم لا تنتصرون على عدوكم بكثرة ولا قوة ، فانهم أكثر منكم عددا وأقوى سلاحا .. وانما تنتصرون عليهم بطاعتكم لله ، ومعصيتهم ايــاه !!

و (من يهن ــ كما يقول أبو الطيب ــ يسهل الهوان عليه) وفاقد الشىء لا يعطيه ، وانك لا تجنى من الشوك العنب ، وعلى قـــدر أهل العزم تأتى العزائم ، وتأتى على قدر الكرام المكارم ــ كما يقول أبو الطيب أيضا .

دروس من المعارك الاسلامية

وفى دروس التاريخ الاسلامى ، من خلال المعارك الاسلامية الاولى .. نجد صورا أو عبرا تؤيد كون الجهاد الأكبر هو جهاد النفس ، بمعنى تربيتها وتقويمها على الايمان والطاعة والصبر والمصابرة ، والتزام المبادىء والاوامر التى تصدر من القائـــد الأعلى ، أو الرئيس أو الأمير أو الخليفة .

ان انهزام الجيش الاســــلامى فى معـــركة أحد وغزوة حنين ــ مع أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان قائـــدهم ورائدهم ــ كان انهزاما أخلاقيا أساسا ثم عسكريا تبعا . فقد خالف الرماة أمر الرسول بعـــدم ترك الجبل والتزامه ولو أنهم رأوا الطير تتخطف الجيش ، أو حتى لو انهم رأوهم منتصرين .. فنزلوا عن الجبل ، والتف عليهم خالد بن الوليد وكان يومذاك قائد فرسان المشركين ، فكانت الهزيمة ــ لان الرماة لم يجاهـــدوا أنفسهم وأهواءها فى الرغبة فى مشاركة المسلمين فى جمع الغنائم .

وفى غزوة حنين أعجبت المسلمين كثرتهم ، فقالوا : لن نهزم أو نغلب اليوم من قلة . وقد منعهم أدب الاسلام من الاغترار بقوتهم أو كثرتهم ، لأن النصر من عند الله . فانهزموا تأديبا وتربية لهم ، وسجل القرآن الكريم الحادثة تذكيرا للمســلمين من بعدهم ، وتحـــذيرا من العجب والخيلاء ، والاعتداد بالنفس ، وترويضا على الايمان بالله ناصرا ومعينا : (.. ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) (٥) .

---

(٥) الآية ٢٥ من سورة براءة .

ومن تجارب المسلمين الحديثة : حربهم مع اسرائيل خلال العشرين سنة الماضية ، اى منذ ١٩٤٨ حتى اليوم . انها مصداق لمعنى الحديث الذى يضعفون اسناده ، فنحن العرب : مئة مليون نحارب اسرائيل التى لا يزيد عدد سكانها على مليونين . نحن العرب اربع عشرة دولة نحارب دويلة حقيرة صغيرة ، نحاربها خلال عشرين سنة ولا ننتصر عليها ، بل هى التى تنتصر علينا ، وتسلبنا ارضا جديدة من أرضنا ، ونظل نشكو على من لا ينصفنا !

ولو كنا نجاهد انفسنا لتحكيم (الاسلام) فى أخلاقنا وأسرنا ومجتمعاتنا ، وصبرنا على طاعاته ، وهجرنا لذائذ معصياته ـ لتهيأنا للجهاد الاصغر ، وهزمنا عدونا فى المعركة الاولى !

وكلنا يعرف القائد العسكرى المؤمن اللواء الركن محمود شيت خطاب الذى كتب فى مجـــلة (الوعى الاســـلامى) سلسلة من التحليلات العسكرية والسياسية والأخلاقية الرائعة عن هزيمة العرب فى حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ تجاه اسرائيل ..

هذا العسكرى العربى المفكر المؤمن .. الــذى الف العديد من الكتب القيمة عن الرسول القائد ، وعن الفتوح والغزوات الاسلامية الاولى .. وعن اسرارها ونتائجها ـــ يقول فى احدى مقالاته ـــ بمجلة الوعى الاسلامى : انه لا قيمة للسلاح بدون انسان ، ولا قيمة للانسان بدون ايمان . ولا يزال الانسان هو المسيطر على كل سلاح وعتاد ، وبدونه لا قيمة لكل سلاح ولكل عتاد . ولكن الانسان بدون عقيدة تجمع شمله ، وترص صفوفه ، وتوحد كلمته ، وتشيع فيه الانسجام الفكرى .. الذى بدونه لا يكون تعاون ولا اتحاد ـــ هذا الانسان لا قيمة له من الناحية العسكرية . وهذه العقيدة هى مثل عليا يؤمن بها الانسان ويضحى من أجلها بالنفس والمال . ولان نفس الانسان هى أغلى ما يملكه .. فمن المستحيل أن يضحى بها الانسان الا اذا كانت له عقيدة راسخة ، وأهداف سامية . وحين كان العرب قادة وجنودا وافرادا وشعوبا متمسكين بعقيدتهم السماوية فتحوا العالم ، وقادوا الحضارة العالمـــية ، وحين تخلى العرب عن عقيدتهم .. تداعت عليهم الامم كما تداعى الاكلة على الثريد » .

قلت : هذا هو مايعنيه « الجهاد الأكبر .. جهاد النفس » فى الحديث الذى يرتاب بعض العلماء الأفاضل فى صحة معناه .

وفى كتاب (الطريق الى القيادة) الذى وضعه « مونتغومرى » أبرز قادة الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـــ ١٩٤٥) يقـــول المؤلف : ان القائد يجب أن يكون متمسكا بمثل عليا ، وبالفضائل الدينية ، كما يجب أن تكون حياته الخاصة فوق الشبهات لكى يحترمه الذين يقودهم ، والميزة الاولى للقائد الناجح اخلاصه ونكران ذاته ، وولاؤه التام للقضية التى يخدمها . وقد كان نجاحى نتيجة لتمسكى بدينى وعقيدتى الروحية ، وبالخالق الفاضل » .

وفى مقال للعلامة الاستاذ أبى الحسن الندوى بعنوان « الحقيقة » نشرته (الرائد) الهندية ــ يعزو فضيلته تخلف المسلمين عن الجهاد فى سبيل الله ، واعلاء كلمته ، وتحمل المشاق وتجرع المرائر فى هذا السبيل ــ يعزو ذلك الى عبادتهم للمادة وحب الدنيا ، وتأثرهم بالحضارة الغربية وزخارفها ومتعها !

وفى محاضرة بعنوان (الاسلام ومعركة المصير) القاها الدكتور أحمد شوقى الفنجرى بالكويت ونشرتها مجلة (النهضة) الكويتية ــ يقول المحاضر : ان الله قد جعل لنا من حرب اسرائيل امتحانا لنا لكى ينبهنا الى (أهمية) الرجوع اليه ، والاستعانة بتعاليمه حتى نصل الى النصر . وليس القصد من (معركة المصير) ما اصطلح عليه بعض الساسة من تسميته « بمشكلة الشرق الاوسط » أو انسحاب اسرائيل الى حدود ٦٧ أو ٤٨ ــ ولكن معــركة المصير تبدأ من الأعماق لا من السطح ، ومن نقطة الصفر لا من آخر المطاف . انها معركة يجب أن تبدأ مع أنفسنا ، قبل أن تبدأ مع أعدائنا . . . تبدأ باعادة تربية الفرد ، وبناء المجتمع ، واصلاح الدولة ، وبعث أمة جديدة لها عزة وهيبة وبأس !!

ويقول الدكتور مصطفى عبد الواحد ــ فى مجلة الرابطة المكية ــ (ان افضل الجهاد فى عصرنا : هو الوقوف أمام هــذا الغزو الفكرى الذى توجهه الحضارة الغربية المادية ، ويستهدف القضاء على كيان المجتمع الاسلامى ، وذلك بفضح خططه وأساليبه ، وتحذير المخدوعين ببريقه .. من التهلكة التى يلقون بأنفسهم فيها) .

قلت : وهكذا يظل الحديث الذى ضعفوه سندا ــ صحيح المضمون قوى الاعجاز .. لان تجارب التاريخ الاسلامى ، منذ عهــد النبوة الى اليوم تؤكد « أهمية » التربية النفســية ، والاعــداد الخلقى ، فى عملية الانتصار على الأعداء .

أقول قولى هذا .. وأحمد الله ان أصبت ، وأستغفره ان اخطأت . وفى نفس الوقت أدعو رجال الفكر والعلم الى مناقشة هذا الموضوع المهم الذى هو مشــكلة المسلمين الاولى ــ اليوم ــ وقضيتهم الكبرى ، ومنــاط تقدمهم أو تخلفهم ، وانتصــارهم أو انهزامهم أمام التيارات الفكرية والسياسية المعادية المهاجمة . والله الموفق والمستعان .



الوجدان المسلكي

م س محمد مؤذنه

وأثره في تقدم الأمم والجماعات

للدكتور
وهبة الزحيلي

كلما ارتقى الانسان ، ازدادت مسئوليته ، وتضاعفت تبعاته ، وعظم حسابه ، وبقدر علو المراتب يسمو المرء المخلص ، وتعلو همته ، ويتفاقم نشاطه ، ويتعاظم خطره ، وكل مسئول في أي منصب عز وهان ، علا وانخفض : يعتبر عنوان تقدم الأمة ، ورمز حضارة شعبها ، ودليل المجد والتفوق فيها .

فاذا أخلص العامل في عمله ، وتفانى في القيام بواجبه ، واستشعر عظم التكليف بمهمته ، ارتدت آثار ذلك على أمته بالخير والنمو والازدهار والنتاج الخصيب .

وأما اذا خان الأمانة أو قصر وأهمل في واجب العمل ، انتكست طبيعته ، وارتكست فطرته ، وأضر مجتمعه ، وكان عنصر وبال وخراب ودمار ، ومنشأ كل تخلف وتأخر وانحطاط .

اذا تأمل كل انسان في الجهاز الحكومي لكل دولة لاسيما في شرقنا الأدنى ، وجد جيشا من الموظفين في كل وزارة ، وكتلا بشرية متراصة في كل دائرة ، ومناضد ومكاتب

مصفوفة فى كل قاعة هنا وهناك ، واذا لقى المرء فى أوســـاط ذلك الحشد الضخم والبناء الفخم صاحبا له ، سارع الى بث شكواه وانينه من ضآلة انتاج أولئك الموظفين ، واخذ يسرد له أعاجيب القصص عن معاملات وقضـــايا طال عليها الزمن دون أن يؤذن فجر صبحها بالانفلاق ، أو تقترب فيها ساعة المخاض ، أو ولادة النجل الشقى أو السعيد .

وتضيع الســـاعات بل الأيام فى البحث عن اضبارة قضية ، ويتمنى صاحبها بعد اليأس والانتظار والكلل والملال أن يزج به ولو فى النـــار ، ليخلص من رجاء هذا الكاتب او ذلك الرئيس ؟! ويدور صـــاحب المعاملة فى حلقة مفرغة ، وكأنه أمام الموظف الذى يهزأ به ، ويسخر سائل معوز أو عابر سبيل مفزع ؟!

وتخصص بنود كبيرة من ميزانية الدولة للرواتب والمعاشـــات التى جمعت بواســـطة الضرائب المتنوعة من عرق المســـكين والم المحروم وقوت الأفراخ ؟! وقد لا يصل المرء الى مطلبه مع ذلك الا برشـــوة أو شفاعة وسيط ، والكثيرون عن مثل هذا عاجزون ، أو غرباء لا يعرفون ولا يؤلفـــون ، وكأن ذلك المواطن المسئول غافل عن القاعدة الاجتماعية التى أبانها رســـول الاســـلام عليه الصلاة والسلام وهى : « **لعن الله الراشى والمرتشى والرائش الـــذى يمشى بينهما** » .

فهل بذلك تعيش الأمة التى تريد النصر على عدوها ، وهل بمثل ذلك السلوك ينتظر الخير الموعود ، وهل كانت دولة الاسلام على هذا النحو من طوابير الموظفين ، أم انه لم تكن تعرف الا الجهاد ، وبعض الدواوين التى تنظم أمور الصرف والانفاق فى سبيل الله والصالح العام ؟!

أجل ! اننا نعانى فى عصرنا هذا أزمة الضـــمير ، ووازع الدين فى النفوس ، فلا خير يرتجى ، ولا نصر يؤمل بدون وجدان مسلكى ، وضمير يقظ ، وروح طيبة وثابة نحو الفضيلة والمعروف وقضـــاء الحوائج بسرعة هائلة ، وانجاز مختصر ، فكل موظف من أصغر مرتبة الى أعلى مركز فى الدولة مطالب فى شرعة الله تعالى ، وفى كل نظام بأن يتجـــاوب مع متطلبات العصر الحـــاضر وظروف المعركة الطويلة المريرة ضـــد العدو وأعوانه ، وذلك بالقيـــام بالواجب خير قيام ، منبعثا من ضميره الحى الواعى ، ومراقبا لله خالق الكون فى سره وعلانيتـــه ، دون مصـــانعة ولا رياء ، ولا تملق ولا نفـــاق ، ولا احتســـاب للأجر فقط ، أو طلب للمزيد منه ، أو تطلع الى الترقيـــة المادية ، أو اعتلاء المنصب الأرفع ، أو المكان الأسد الأمنع .

ومن المعروف أن القيام بالواجب مدعاة الى طمأنينة النفس وارتيـــاح القلب وســـعادة الانســـان وطهر الكسب وســـلامة العافية ، وأما التلكؤ فى العمل والابطـــاء بأداء الواجب فهـــو مجلبة للنقـــائص والفضائح ، وسبيل الشقاء ، ومثار القلق والاضطراب ، وشتات الجنان وذهول الفكر .

ونظام الاســـلام بدوره الباعث للحضارة الانسانية أشاد اشـــادة بالغة بمبدأ القيـــام بالواجب أو الوجدان المسلكى ، واعتبره مظهرا من مظـــاهر الأمانة العظمى التى حملها الانســـان فى هذه الحياة ، والتزمها رسل الله الكرام ، واتصفوا بها على أنها أقدس الصـــفات التى ينبغى التحلى بها لتكون وســـيلة أســـاسية للنجـــاح فى دعوتهم الاصلاحية التى ترفد العالم بكل خير وسعادة .

وأتباع الرسل وبخاصة المسلمون

تنعكس عليهم صفة الأمانة هده ، فالمسلم الصادق الايمان امين على كل شيء في حياته ، أمين في دينه واخلاقه وسيرته وعمله وفي جميع حقوقه وواجباته ، فهو في وظيفته وفيما يتعلق بمصالح أمته ووطنه أكفأ الناس وأمثلهم وأرعاهم للحق وأوفاهم بالعهد والالتزام ، وأحرصهم على واجب ، وأتقنهم لصنعته وعمله ، وأخلصهم في انتاجه : **« ان ألله يحب من العامل اذا عمل ان يحسن »** ، وهذا كله نابع من ايمانه وأمانته ، قال الله تعالى واصفا المؤمنين : **« والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون »** وقد أمرنا سبحانه باتقان العمل فقال : **« يايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله »** والقوام هو المبالغ في القيام بالشيء ، والاتيان به تاما كاملا سواء أكان عملا دينيا أم دنيويا ، فالاتقان والاخلاص أساس الظفر والنجاح .

والايمان الحق والأمانة بمختلف مظاهرها متلازمان ، فالمؤمن من أكرم الناس ، لأنه يقف عند حقه ، ويلتزم بواجباته المفروضة عليه تلقاء غيره دون حساب لأحد الا اطاعة أوامر الله سبحانه ، وطلبا لمرضاته ، وخشية من عذابه ، فالله عز وجل يأمر بالتزام الأمانة في كل الأحوال سرا وعلانية فيقول : **« يايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم »** ، **« ان الله يامركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها »** وقد ثبت عن على رضى الله عنه قال : **« كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطلع علينا رجل من اهل العالية ، فقال : يا رسول الله ، اخبرني باشد شيء في هذا الدين والينه ؟ فقال : الينه اشهد ان لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، واشده يا اخا العالية الأمانة : انه لا دين لمن لا امانة له ، ولا صلاة لمن لا زكاة له »** وقال أنس بن مالك : قلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال : **« لا ايمان لمن لا عهد له ، ولا دين لمن لا عهد له »** رواه أحمد وابن حبان في صحيحه .

والاخلال بواجب الأمانة كفر ونفاق ، وذلة وشقاق لذا قال صلى الله عليه وسلم — فيما يرويه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة — **« آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا ائتمن خان »** زاد مسلم في صحيحه : « وان صام وصلى وزعم أنه مسلم » .

واذا كانت الأمانة تعني كل ما يجب حفظه ، وكل ما يجب اداؤه الى صاحبه من الحقوق المادية والأدبية ، فان القيام بالواجب في الوظائف وغيرها من أهم مظاهر الأمانة ، فهو التزام ديني واخلاقي ووجداني ضروري في مجال العلاقات الاجتماعية بين الناس لاسيما في عصرنا الحاضر ، لأنه الأساس الذي يرتكز عليه مبدأ الثقة العامة في التعامل ، والثقة قاعدة المعاملات ومدار الحياة ، ولولاها لما اطمأن الأفراد في ممارسة نشاطهم الاقتصادي أو التربوي أو الاجتماعي أو السياسي أو العسكري .

فالتاجر أمين في اختيار أصناف السلع الجيدة والربح المعقول ، وبيان العيوب الخفية أو الظاهرة ، قال صلى الله عليه وسلم : **« المسلم اخو المسلم ، لا يحل لمسلم باع من اخيه بيعا ، وفيه عيب ، الا بينه له »** وفي رواية **« ولا يحل لأحد يعلم ذلك الا بينه »** وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يبيع طعاما ، فأدخل يده فيه ، فاذا هو مبلول ، فقال : **« من غشنا فليس منا »** .

والمدرس فى مختلف مراحل التعليم أمين فى تحضير درسه وتمحيص معلوماته ، واصطفاء الآراء الملائمة لدين الله وقانون الأخلاق ، كما أنه أمين فى ايفاء الحق المطلوب منه لطلابه وانهاء تدريس منهاجه ، وشغل حصة الدرس كاملة بالعلم النافع ، والتثقيف الناجع ، والتهذيب السديد دون تفريط ولو بدقيقة واحدة من ساعة الدرس .. والعلماء فى هذا المضمار أمناء فيما يقولون ، وفيما يعلمون ، وفى الوقت المخصص المكافىء لما يتقاضون أو يأخذون ، يبينون الحق ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

والموظف أمين فيما يعمل ، ناصح الناس فيما يستشار عنه ، لأن « المستشار مؤتمن ، والرائد لا يكذب أهله » وهو مطالب بقضاء حوائج المحتاجين لا تفضلا منه ولا منة ، وانما قياما بواجبه المسلكى ، ورعاية لحق الله فى عنقه دون تقصير ولا اهمال ولا تهرب أو تكاسل وتقاعس ، ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((**من ولي شيئا من أمور المسلمين ، لم ينظر الله فى حاجته حتى ينظر فى حوائجهم**)) رواه الطبرانى ، وعن ابن مريم عمرو بن مرة الجهنى رضى الله عنه انه قال لمعاوية : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

((**من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم ، أحتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة**)) فجعل معاوية رجلا على حوائج المسلمين ، رواه أبو داود والترمذى ، وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**الخلق كلهم عيال الله فاحب الخلق الى الله انفعهم لعياله**)) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط .

والمراة أمينة فى بيتها وعرضها ومال زوجها ، وتربية أولادها تربية صالحة قوية ، فلا يحل لها ديانة الاخلال بواجبها فى مملكتها الصغيرة ، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((**كلكم راع ، ومسئول عن رعيته : الامام راع ، ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى اهله ومسئول عن رعيته ، والمراة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده ، ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته**)) رواه البخارى ومسلم .

والحاكم او القائد أعظم الأمناء على مصالح الناس والبلاد واحترام تاريخ الأمة والاعتزاز بمقوماتها الدينية وتراثها الأنضر الأنصع ، ولاسيما فى وقتنا الحاضر الذى نمر فيه بمرحلة حاسمة من مراحل الصراع والكفاح وتقرير المصير مع العدو الغاصب لبلادنا المقدسة ، عن عبد الله بن مغفل المزنى رضى الله عنه قال : أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((**ما من امام ولا وال بات ليلة سوداء غاشا لرعيته الا حرم الله عليه الجنة**)) رواه الطبرانى باسناد حسن ، وفى رواية له : ((**ما من امام يبيت غاشا لرعيته الا حرم الله عليه الجنة ، وعرفها يوجد يوم القيامة مسيرة سبعين عاما**)) .

وفى هذه المناسبة أحب أن أضيف الى ما يقرره الكاتبون من أن الجهاد فى هذه الأيام فريضة عينية فى هذا الزمن على كل مسلم ومسلمة ،

فيأثم كل واحد بتركه كترك أحد أركان الاسلام من صلاة وصيام وحج وزكاة ، أحب أن أضيف أمرا آخر هو أن فقهاء الاسلام اجمعوا كما هو مقرر فى دساتير الدول الحديثة على أن ولى الامر هو القائد الأعلى للجيش المقاتل فهو المختص باعلان الحرب حسبما تقضى بذلك مصلحة الأمة ، ويظهر له من مشاورة أهل الرأى والاختصاص فى قضايا الحرب ، وتدابير المعارك بعد توفير الخبرة والاخلاص والكفاءة والسلاح الملائم لأوضاع الحروب الحديثة ، والا كان الجهاد توريطا للأفراد والقاء بالنفس الى التهلكة .

ومن المعلوم أن الجندى أو الفدائى أو الضابط أمين فى تنفيذ المهمة الموكولة اليه ، والأمر الصادر له ، ولقد كانت السرايا والبعوث فى الاسلام مثالا فذا لالتزام الواجب المكلفة به بأمانة ودقة وصدق ، وحزم وعزم وايمان .

وكل مسلم مسئول عن رعاية الأمانة فى مجتمعه الأصغر أو الأكبر بقدر الطاقة وجهد المستطاع ، فيقاوم الانحراف ، ويحارب المنكر ، ويحمى الفضيلة ، أخرج مسلم عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « **ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى الا كان له من أمته حواريون ، وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل** » .

وهكذا فان واجب الانسان نحو غيره يمتد فيشمل مختلف نواحى الحياة ، مع الأهل والجيران والأصدقاء حتى تتوطد صلات الناس مع بعضهم بعضا ، وتتضام شبكة منيعة بين الأفراد فى روابطهم المتعددة بحيث تتحقق كل معانى التضامن الاجتماعى التى ينشدها الاسلام ، روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم ، مرضت فلم تعدنى ؟! قال : يا رب ، كيف اعودك ، وأنت رب العالمين ؟ قال : اما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ، اما علمت انك لو عدته لوجدتنى عنده ، يا ابن آدم ، استطعمتك فلم تطعمنى ؟ قال : يا رب ، كيف اطعمك ، وأنت رب العالمين ؟ قال : اما علمت ان استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ، اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندى ، يا ابن آدم ، استسقيتك ، فلم تسقنى ؟ قال : يا رب ، وكيف اسقيك وانت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ، اما انك لو سقيته وجدت ذلك عندى** » .

هذه بعض مظاهر الوجدان المسلكى أو الأمانة فى العمل ، فمن فرط فى جانب منها ، أو قصر فى رعايتها ، عاش ابد الدهر فريسة الأحزان والآلام والشقاوات ، وان كل ما نجده من شكاوى أرباب الأسر وغيرهم من اعتلال الأجسام ، وفشوا الأمراض والبلايا ، والقلق والاضطراب ، واختلال الأمن وفقد الطمأنينة ، وتكاثر المحن والفتن ، وتسلط الأعداء ، مرجعه الى الاخلال بواجب الأمانة فى القول والفعل والدين ، والوظيفة .

نعوذ بالله من هذا الخذلان والغفلة ، وما أحوجنا اليوم دولا وأفرادا الى يقظة شديدة وتنبه واع

من سجلات تاريخ

الصهيونية

للأستاذ : سعد صادق محمد

« ان الغاية تبرر الوسيلة . وعلينا ــ ونحن نضع خططنا ــ الا نلتفت الى ما هو أخلاقى وما هو خير بقدر ما نلتفت الى ما هو ضرورى ومفيد » .

« ان موازين المجتمع وتقاليده القائمة ستنهار سريعا ، لأننا على الدوام نفقدها توازنها كى نبليها بسرعة . ونمحق كفايتها » .

« وحينما نمكن لأنفسنا ونكون سادة الأرض لن نسمح بقيام أى دين غير ديننا وسنكون قد حطمنا كل عقائد الأديان الأخرى . وسيفضح فلاسفتنا كل مساوىء الديانات الأمية » .

هذه ثلاثة من نماذج « بروتوكولات حكماء صهيون » التى حددوا فيها مسار حياتهم فى العالم وعلاقتهم مع غيرهم قبل تكوين الحكومة اليهودية العالمية وبعدها . الى أن يصبحوا أصحاب دولة وقوة .

ويبدو من خلال هذه النماذج : الروح الشريرة التى تسيطر على اليهود . كما تظهر رغبتهم المحمومة فى القضاء على دعوات الأخلاق وموازين الخير والمثل والمدنيات فى العالم . ارضاء لاستعلائهم وفسادهم . وتمشيا مع اتجاهاتهم المادية فى الحياة .

اليهود مع انبيائهم :

واذا قلبنا صفحات التاريخ . ورجعنا الى الماضى البعيد . فسنجد ان حياة اليهود ومعاملتهم لأنبيائهم ــ فى اية فترة من فترات التاريخ ــ تسير على نفس هذا المنهج النفعى المادى الذى خططوه فى مؤتمر بال . وتطابق الروح العدائية التى اعلنوها فى بروتوكولاتهم .. هذه الروح التى ظلت ملازمة لهم منذ وجدوا الى يومنا هذا .

لقد كانوا وما يزالون اعداء للانسانية . ومناهضين لدعوات الرسل الهادية . ومتعطشين لسفك الدماء . واهدار القيم ، واغفال الحقوق .

فقديما جاءتهم انبياؤهم بدعوات هادية تدلهم على طريق الخير والاصلاح . لكنهم كانوا غلف القلوب . فما انتفعوا بالارشاد والهدى ، بل اختاروا طريق الضلال والبطش والاستعلاء وملأوا الدنيا تمردا وشرورا . فقتلوا بعض انبيائهم .. ومن سلم من انبيائهم من القتل . لم يسلم من التكذيب والارهاق ومقالة السوء والزور ..

لقد سجل عليهم انجيل متى فى الاصحاح الثالث والعشرين من كتاب العهد الجديد خطاب المسيح عيسى عليه السلام لهم : ايها الحيات أولاد الأفاعى ، كيف تهربون من دينونة جهنم ؟ .. لذلك ها أنا أرسل اليكم أنبياء وحكماء وكتبة . فمنهم تقتلون . وتصلبون ، ومنهم تجلدون فى مجامعكم . وتطردون من مدينة . لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا » . وقال لهم أيضا : (يا أورشليم .. يا أورشليم .. يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين . اليها كم مرة أردت أن اجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا .. هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا) . كما سجل عليهم القرآن فظائعهم واساءاتهم ضد الرسل والأنبياء فقال تعالى : (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) .

اليهود بعد سليمان :

ورث اليهود من سليمان عليه السلام ملكا عظيما . ودولة كبيرة . وجاها عريضا . فتوفرت لهم بذلك عوامل القوة والهيلمان والسلطان ، لكنهم بدلا من أن يحفظوا نعم الله عليهم . ويشكروا له منه وفضله . استولى عليهم الكفر والبطر شأنهم فى ذلك شأن أصحاب النفوس النكدة . والقلوب المريضة التى تمكر برحمة الله . وتحيلها شرا وبلاء . تتغذى به وتلقى بثمرة هذا النكد الى ما حولها .

هكذا فعل اليهود .. فقد كفروا بهذا الملك العريض . وتمردوا بالسلطان العظيم . فبغوا وطغوا وافسدوا . والقوا بثمرة فسادهم وكفرهم الى من حولهم من الشعوب والأمم باثارة الفتن والاضطرابات ليفسدوا عليهم حياتهم .. ويخربوا حضارتهم . فسلط الله عليهم البابليين عام ٥٨٦ ق.م . اذ استولى ملك البابليين (بختنصر) على (يهوذا) مملكة دولة اسرائيل ودمر هيكل سليمان . وساق القوم أسرى الى بابل . وهذا ما تشير اليه الآية الكريمة (فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا) .

اليهود ايام الرسول :

وعندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ليضع هنالك نواة دولة الاسلام الجديدة . كان يسكن هناك بعض اليهود . فنظر اليهم النبى كنظرته الى الانصار . وأراد أن يعاملهم معاملة طيبة . فعقد معهم عهد أمان ومودة . آملا أن يعيشوا مع المسلمين فى ظل دعوة الاسلام فى حياة آمنة مستقرة . وليجعل منهم أفرادا صالحين يفيدون المجتمع الاسلامى . وليشتركوا مع المسلمين فى دفع عجلة الدولة الاسلامية الجديدة الى التقدم والقوة

والسلطان . . لكن اليهود بدلا من أن يضعوا أيديهم مع المسلمين لدفع عجلة الدولة الاسلامية الى الأمام . ساروا فى اتجاه مضـــاد للدعوة المحمدية وأرادوا ارجاع العجلة الى الخلف بكل قوتهم .

فما كادت نتائج غزوة بدر الكبرى تسفر عن انتصار المسلمين . . ثم تتوالى بعد ذلك انتصاراتهم . حتى تحركت فى يهود المدينة أحقادهم وشرورهم . . لقد أيقنوا أن انتصارات المسلمين وما تلاها من تزايد عددهم . وانتشار عقائد الاسلام ستجعل المسلمين أصحاب السلطان والسيادة والقوة فى المدينة . وأيقنوا بالتالى أن قوة المسلمين وسيادتهم ستناهضهم . وتضعف مركزهم فى المدينة . . ومن هنا بدأوا يفكرون فى الأمر فلجئوا الى سياسة المناوشة والمشاكسة . فراحوا ينظمون الأشعار ضد المسلمين لاثارتهم . . ونسوا ما كان بينهم وبين النبى من عهود الأمان والاخاء . فنقضـــوه تماما . وعملوا على ايقاد نار العداوة والحرب والشرور كما اعتادوا .

وكم من مرة انذرهم النبى وحذرهم من مغبة تصرفاتهم الطائشـــة . ولكنهم مضوا فى أحقادهم وتآمرهم ضد القيم والمثل والأخلاق . وأرادوا أن يعضوا اليد التى امتدت اليهم بالسلام والمحبة . ورفضوا معايشة النبى لهم . فأسفروا عن وجه العداوة والبغضاء للنبى وللمسلمين . ووقفوا يثيرون المسلمين تارة . ويتعاونون مع غيرهم من أعداء الاسلام تارة . ويتآمرون لقتل النبى تارة . فما كان من النبى صلى الله عليه وسلم الا أن قرر القضاء عليهم ليتفرغ لدعوته . ولينجز ما أمر به فى رسالته . أما بنو قينقاع . فقد اعتدوا على المســـلمين . فأجلاهم النبى عن المدينة . . وأما بنو النضير فقد ذهب اليهم النبى مسالما فتآمروا على قتله بحجر . فحاصر بيوتهم وقاتلهم وطردهم منها . . وأما بنو قريظة فقد تحالفوا مع الاحزاب الذين تكتلوا ضد الرسول وهاجموه بالمدينة للقضاء عليه وعلى دعوته . فحاصر ديارهم . ثم حكموا فى أمرهم من حكم على رجالهم بالموت وبسبى نسائهم وذراريهم وبتقسيم أموالهم غنيمة على المسلمين .

أما يهود خيبر وفدك فقد استسلموا للنبى صاغرين اذلاء . بعد طول عناد واستعلاء . هذا هو دور اليهود كجماعة وكقوة كانت موجودة فى عصر النبوة . أراد النبى لهم المعايشة والسلام . لكنهم كانوا خونة معتدين . ينقضون المواثيق . ويعملون ضـــد اتجاهات الخير والحق ويسعون لتشكيك المســـلمين فى دينهم . وزعزعة الايمان فى قلوبهم . وقد نزل فيهم قول الله تعالى : (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم) وقوله تعالى : (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون) .

الصهيونية . . والبهائية :

وبعد أن قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جموع اليهود . وحطم كيانهم فى المدينة وخيبر وفدك ظلت أحقادهم ملتهبة ضد المســـلمين . وضد دعوة الاسلام . . كانوا يحاولون من حين لآخر أن يتحينوا الفرص السانحة ــ ولو كانت رخيصة دنيئة ــ ليصلوا الى أغراضهم الخبيثة .

ومن الفرص التى انتهزوها ظهور « الدعوة البهائية » فى المحيط الاسلامى كدعوة أرادت أن تجمع حولها مريدين يؤمنون بمزاعمها وأباطيلها . فتقودهم الى حيث يشاء هواها ودينها المزيف وفى هذه التربة الخصـــبة تستطيع الصهيونية أن تمرح وتصل الى أعماق ما تريد باسم البهائية .

والبهائية حركة فوضوية . وابعد ما تكون عن الاسلام وروحه وعقائده . وقد ظهرت على يد راعيها ومنشئها : ميرزا حسين الملقب بالبهاء . وهى امتداد طبيعى للدعوة البابية . ولكنها اشد غلوا من البابية .

بدأت صلة الصهيونية بالبهائية مع غانية البابية (قرة العين) واليك مايقوله مؤرخ بهائـــى كبير عن صـــلة الصـــهيونية بالبهائية (اقبـــل فوج عظيم ــ اى اليهود ــ على هذا الأمر واعتنقوه ودخلوا فى ظل البهائية . واصبحوا يشار اليهم بالبنان فى جميـــع بلدان ايران . وكان أول من بذر بذور تلك التطورات هناك قرة العين) .

وكانت البهائية قد ظهرت حينا فى ايران . لكنها وجدت ان المناخ فى ايران لن يســـاعدها على الاســـتقرار . فانتقلت الى فلســـطين بايعاز من اليهود . واستوطنت فى عكا وحيفا . وهناك اغدق عليها الاستعمار الأموال بسخاء ليمكنها من بث أفكارها المضللة . توطئة لخدمته . . وخدمة الصهيونية العالمية أيضا .

واخذ الصهيونيون يسخرون البهائية لمكائدهم . ويحتضنونها فى مناهضة الاسلام . ويتسترون وراء هذا القناع الجديد . فأمدوا البهاء بما جاء فى أسفارهم عن بهاء الله . بعد أن لقبوه به . ودفعوه الى أن يزعم أنه المراد بلقب البهـــاء ويقول مؤرخ بهائى كبير : (المراد ببشارات الكتب المقدسة هو : ظهور بهاء الله الأبهى ، فانه ــ جل ذكره ــ هو وحده ادعى أن ظهوره هو ظهور اللـــه الموعود ووجهه هو وجه الله المعبود . ويومه هو يوم الله المعهود) .

كما مضت الوكالة اليهودية تساند البهائية فى نشر آرائها المسمومة التى اتخذت من شعائر الماسونية (الحرية ــ الأخوة ــ المساواة) شعارا لها . كما مضت تتعاطف بهذا الشعار مع الحركة الصـــهيونية فى دعوة الاخاء والمحبة . لتتمكن البهائية من العمل لصالح اليهودية العالمية .

هكذا استغلت اليهودية العالمية دعوة البهائية الفوضوية . وتعاونت معها للعمل فى سبيل القضاء على الوجود العربى فى فلسطين . وتدمير كل معالم الأمة العربية وحضارتها ومقوماتها ليعيشوا على أشلاء كيان العرب والمسلمين جميعا .

الصهيونية بعد مؤتمر بال :

وفى عام ١٨٩٦ م اجتمع مؤتمر ضـــم يهود العالم فى مدينة بال بسويسرا حيث تم تأليف الصهيونية . وأطلق عليها اسم (الأمة اليهودية) حيث تم وضـــع (بروتوكولات حكماء صهيون) وعددها أربعة وعشرون . وهى عبارة عن مؤامرة خطيرة موجهة ضد البشرية جمعاء . وضد أمنهم واستقرارهم .

وبعد مؤتمر بال قامت الصهيونية بالشروع فى تكوين منظماتها واداراتهـــا الفعالة فى كل بلدان العالم لتنفيذ قرارات الصهيونية كما رســـمها مؤتمر بال بسويسرا .

وهذه القرارات هى :

١ ــ العمل على استعمار فلسطين بالعمال الزراعيين والصناعيين اليهود وفق أسس مناسبة .

٢ ــ تنظيم الصهيونية العالمية وربطها بمنظمـــات محلية ودولية حسب قوانين الدول التى يعيش فيها اليهود .

٣ ــ دعم وتقوية الضمير اليهودى وروح الوطنية .

٤ ــ اتخاذ خطوات تمهيدية للحصول على موافقة الحكومات كلما كان ذلك ضروريا على تحقيق أهداف الصهيونية .

أما المنظمات والادارات فهى :

- المؤتمر الصهيونى .
- اللجان التنفيذية .
- اللجان الاستشارية .
- المصرف اليهودى للمستعمرات .
- لجنة الاستعمار .
- الصندوق القومى اليهودى .

وبدأت الاجهزة الصهيونية هــذه تعمل كاملة لترتبط بالجهــود الصهيونية الشاملة لاستعمار فلسطين . وتنفيذ قرارات مؤتمر بال .

وتنفيذا للخطة عمليا بدأت هجرة اليهود المستمرة الى فلسطين عام ١٩٠٧ ، كما بدأ شراء الاراضى من عرب فلسطين لتجريد أهلهــا تدريجيــا من كل قوة وسلاح . حتى يحين الحين المنــاسب للانقضاض على الضحية وهى : انتزاع فلسطين من أيدى أهلها الشرعيين .

وكان الاساس الذى قامت عليه الصهيونية بغزو فلسطين هو الخرافة التى آمن بها شعب اليهود من أن الله وعــدهم بأنهم راجعون الى أرض الاجداد : فلسطين باعتبارها وطنهم القومى القديم وأنهم سيقيمون دولة تمتد من النيل الى الفرات .

الغاية تبرر الوسيلة :

ان الصهيونية العالمية حققت بأجهزتها المالية والادارية أهدافها وقراراتها متخذة شعار (الغاية تبرر الوسيلة) فقد اثبت ثيودور هيرتزل هذا الشعار فى مذكراته فقال : (على المرء أن يستخدم جميع الوسائل لتحقيق الغاية) .

وحين تؤمن الصهيونية بمبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) لا تتعفف عن اتخاذ اى أسلوب مهما كان هذا الأسلوب . ان اتسم باللاأخلاقية والفوضوية . ما دام سيصل بها الى غايتها الدنيئة المنشودة .

الصهيونية امس :

أما أمس . فان التــاريخ يحفظ لنا كيف رمى اليهــود :مريم ابنة عمران بتهمة الزنا حين ولدت عيسى عليه السلام من غير أب كما يولد كل البشر بواسطة اتصال الذكر بالانثى .

وكيف قام اليهودى عبد الله بن أبى بن سلول بتدبير قصة الافك ضد عائشة الطاهرة زوجة رسول الله لاثارة الشكوك حولها ، والكيد لرسول الله ارضــاء لنفوسهم المريضة حتى أنزل الله آية براءتها وطهرها .

وكيف عاد عبد الله بن أبى بثلث المقاتلين من أهل النفاق . والرسول فى طريقه الى غزوة أحد لمقاتلة مشركى قريش . وذلك بغرض توهين الجيش وتثبيط همته واعاقته عن مجابهة العدو ونزاله .

وكيف قام يهود المدينة بمحاولات لاثارة الاحقاد والضغائن بين قبيلتى الأوس والخزرج بغرض هدم بنيان الاخوة الاسلامية بين هاتين القبيلتين بعد أن قام

رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصلاح ما تهدم من بنيان العلاقات بينهما . اذ دفعوا بغلام منهم الى مجلس يجمع بين الاوس والخزرج يذكرهم بيوم (بعاث) وما كان من انتصار الاوس فيه على الخزرج وكادت القبيلتان أن تتنازعا . ويعودا الى ما كان بينهما من خصام وشقاق لولا تدخل رسول الله الذى ذكرهم بما الف الاسلام بين قلوبهم . فنزل قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين » .

وأكثر من ذلك يحفظه لنا التاريخ عن مكائد الصهيونية قديما ضد الاخلاق والفضيلة وضد دعوات الحق والخير . ويضيق المقام هنا عن ذكر كل مكائدهم ومساوئهم .

الصهيونية اليوم « وراء اجهزة الاعلام » :

واليوم تسير الصهيونية على نهج أسلافهم فى التسلط على العالم وافساد حياة الناس واثارة الشكوك فى قيمهم وتقاليدهم وتسخيرهم لمصالحهم ليحققوا أطماعهم المادية فى الحياة ولهم طرق كثيرة يسلكونها لتحقيق هذه الاطماع .

فخلف وسائل الاعلام يقف اليهود للسيطرة على الصحافة ووكالات الانباء ودور النشر والاذاعة والتلفزيون فى معظم بلاد العالم ليوجهوا الرأى العام الى ما يريدون . كما أنهم يسيطرون على الصحافة ودور النشر بطريق آخر ، هو احتكار تجارة الورق ليقبضوا أيديهم ويبسطوها حسب استجابة الصحافة لأغراضهم . وقد استطاع اليهود أن يحققوا هدفهم بهذه الوسائل كلها الى حد كبير . فقد ثبت أن الصحف والمجلات التى تخضع لسيطرة اليهود فى العالم بلغت ٨١٩ صحيفة ومجلة بمختلف اللغات وفى مختلف الاقطار .

ولا يخفى على القارىء أن الاهتمام بالسيطرة على اجهزة الاعلام جاء ضمن قرارات (بروتوكولات حكماء صهيون) فقد جاء فيها عن الصحافة (الصحافة هى القوة العظيمة التى نستطيع بها توجيه الناس . فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجمهور . وتعلن شكاوى الشاكين . وتولد الضجر بين الغوغاء ، وقد سقطت الصحافة فى أيدينا ومن خلالها أحرزنا النفوذ . وكدسنا الذهب دون أن نظهر للعيان) .

وراء الفنون :

ومن الوسائل التى يقف خلفها الصهيونيون نجوم السينما والمسرح . وفى هذا المجال تستطيع الصهيونية أن تقدم للعالم أفلاما وروايات تحمل سموما وأفكارا صهيونية مضللة يأخذها المشاهدون وهم فى نشوة السرور والفرح دون معارضة . وفى هذا تقول بروتوكولاتهم (سنلهى الجماهير بأنواع شتى من الملاهى والالعاب لملء الفراغ . وسندعوا الناس للدخول فى مباريات شتى فى كل أنواع المشروعات كالفن والرياضة وما اليها) .

وراء التجسس :

والتجسس أيضا من الوسائل التى يستعملها اليهود . فيتمكنون بواسطته من الحصول على أسرار الدول والجماعات ليخدموا بها مصالحهم . أو يتمكنون

بها من تدمير مصالح غيرهم .. وقصة يهوذا الاسخريوطى الذى تذكر الاناجيل أنه عمل جاسوسا لليهود وساومهم على تسليم عيسى نظير مبلغ من الفضة .. هذه القصة تشهد بذلك ، كما يشهد أيضا بذلك ادعاء بعض اليهود من المنافقين الدخول فى الاسلام . فقد اتخذوا النفاق مدخلا الى الاسلام لينالوا منه ومن دعوته ويذكر لنا التاريخ من هـؤلاء : داعس ، ورافع بنحريملة ، وسعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت وكثيرين غيرهم .. وكان هؤلاء يجلسون مع المسلمين فى المسجد .. وحلقات الدرس ليتجسسوا على أخبار المسلمين ويتعرفوا على أمورهم حتى راقبهم المسلمون وكشفوا أمرهم وأخرجوهم من المسجد وفضحوا للملأنفاقهم .

أما فى عصرنا هذا ، فقد عملوا جواسيس للحلفاء فى المانيا والنمسا وأمريكا ، واستخدموا نفوذهم السياسى والاقتصادى والمالى والصحافى لتأييد قضية الحلفاء ، وفى تلك الحرب كافأهم بلفور وزير خارجيـة انجلترا بوعده المشئوم عام ١٩١٧ بانشاء وطن قومى لهم بفلسطين .

ولا تنقطع خيوط التجسس فى الدول العربية بوسائل تخريبية متنـوعة وغيرها . وكم انكشف منها الكثير .

وراء التآمر والاغتيال :

والتآمر والاغتيال احدى وسائل الصهيونية فى التسلط والسيطرة . ومن طبائعهم فى الحياة . فقديما تآمروا ضـد يوسف بن يعقوب ليتخلصوا منه . ويقول الله تعالى فى هذا : « كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقـا كذبوا وفريقا يقتلون » .

وعندما جاء الاسلام بتشريعاته وأحكامه العادلة . تضايق اليهود من ذلك لأن الاسلام وقف ضد بغيهم وتسلطهم ، فحاولوا اغتيال النبى صلى الله عليه وسلم بعدة طرق .. فقد أوعزوا الى امرأة أن تضع له السم فى طعام دعته اليه .. ثم محاولة بنى النضير قتل رسول الله بحجر من فوق منازلهم حين ذهب اليهم مسالما ليستعين بهم فى دفع دية رجلين من بنى عامر كانا يحملان كتاب أمان من النبى وقتلهما المسلمون خطأ .. حاولوا قتله فأنجاه الله من غدرهم ، كما أنهم دبروا مقتل عمر وعثمان رضى الله عنهما .. كذلك نجد أن معظم حركات الاغتيال التى حدثت فى العالم الاسلامى بعد عصر النبوة كانت من تدبيرهم .

ولقد ظلت طبيعة الاغتيال ملازمة لليهود فى كل فترات التـاريخ . ففى تاريخنا المعاصر قتلوا ستة من الروسيين عن طريق المنظمة الارهابية (الحزب الاشتراكى الثورى) التى كان يرأسـها اليهودى (غرشونى) . وقتلوا بعض الانجليز فى فلسطين والمانيا وأمريكا . كما قتلت (جماعة شتيرن) الارهابية اللورد موين الذى كان وزير دولة بريطانيا . ومقيما بالقاهرة لاعتقـادهم أنه اشترك مع وزير المستعمرات فى اغلاق أبواب فلسطين فى وجه اليهود .

وان نسينا فلن ننسى أبدا ما حيينـا مذبحة (دير ياسين) التى تعرضت لجريمة صهيونية فظيعة اقشعرت لهـا الابدان ، وهزت الرأى العـالمى كله بلااستثناء .

ففى أثناء حرب فلسطين هاجمت عصابتا (الأرغون وشتيرن) تلك القرية الآمنة . وفاجأوا سكـانها أثناء نومهم . بزرع الألغام فيها ومهاجمتها بالمدافع الثقيلة والأسلحة الاتوماتيكية فخربوا منازلها وهدموها على من فيها . ثم فتكوا بنحو مائتين وخمسين من أهلها دون تفريق بين ذكر أو أنثى .. شيخ أو طفل ،

ومثلوا فيهم ببقر البطون ، وتقطيع الأيدى والأرجل والأثداء . وفقء العيون وجدع الأنوف . وكسر الجماجم .. ثم كدسوا جثثهم فى الآبار ليخفوا معالم تلك الجريمة البشعة . ثم ساقوا من بقى من أهل القرية حيا الى القدس . وساموهم سوء العذاب ضربا وتقتيلا .. وكان الهدف من تلـــك الجريمـــة التى فاقت كل وصف : بعث الرعب والفزع فى سكان القرى العربية فى فلسطين . ليجبروهم على ترك ديارهم خشية أن يصيبهم ما أصاب أهالى (دير ياســـين) من القتل والهول .

كما لا ننسى كارثة (اللد والرملة) اللتين احتلتهما اليهود . وقتلوا مـــن سكانها عدة آلاف وتركوا الباقى يومين بدون طعام أو شراب . ثم جردوهم من كل شىء . وطردوهم من ديارهم .

ثم قامت العصابات الصهيونية عام ١٩٤٨ باغتيال الكونت برنادوت وسيط هيئة الأمم لأنه قال كلمته العادلة فى اعادة النقب للعرب .

وراء الجمعيات السرية :

والجمعيات السرية أيضا كانت من الهيئات التى اعتمدت عليها الصهيونية العالمية فى تنفيذ أغراضها الخبيثة عن طريق نشر أفكارهم المسمومة . فقد وجهوا أنشطة « جمعية فرســـان المعبد » و (جمعية الصـــليب الوردى) للنيل من المسيحية . كما وجهوا القرامطة وغيرهم من أعضاء الجمعيات المعادية للمسلمين للنيل من الاسلام . والتشكيك فى عقائده ونظمه ،

الصهيونية عدوة للسلام :

ان الصهيونية ماتزال للآن تهدر القيم . وتعبث بالأخلاق والانسانيات . وتدنس أرض النبوات وتستهين بالحضارات وذلك بما تمارسه اليوم فى العالم العربى من الاعتداءات الوحشية المتكررة على القرى والأراضى العربية من تخريب وقتل للأبرياء . والعدوان على المقدسات الاسلامية وخاصـــة حرق (المسجد الأقصى) واستباحة هذا الحرم المقدس موطئا لأقدام جنودها . واتخاذه مكانا للعربدة والسكر واقتراف الخطايا .

ولعل فى هذا كله ما يكذب ادعاءات الصهيونية المتكررة بحبها للتعايش السلمى . وبمحافظتها على حسن الجوار والمحبة والسلام .. ولعل فى هذا أيضا ما يؤكد أن الصهيونية عدوة للبشر والانسانية . وهادمة لصروح الحضـــارات ومعوقة لتقدم الانسانية ولا عجب . فقد تحدث القرآن عن اليهود بأنهم انسلخوا عن الانسانية . وفقدوا كل معانيها الكريمة . وصفاتها الجميلة . حتى انحطوا بفسادهم وضلالهم الى مستوى القردة والخنازير فقال تعالى عنهم : (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل) .

ان الصـــهيونية شر مستطير وخطر داهم . وكابوس ثقيل يجثم على صدر الأمة العربية فهم قوم لا ترتاح نفوسهم الا على الاستعلاء والا ستقطاب والظلم . والحياة معهم ضرب من المستحيل .

وان على العرب جميعا أن يجابهوا هذا العدو اللئيم بكل ما لديهم من اصرار وعناد وايمان وفى شىء من التضحية والبذل والصبر والمصابرة (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) .

المنهج الاجتماعي في الإسلام

للدكتور: مصطفى عبد الواحد

ان تحقيق المنهج الاجتماعى فى الاسلام ضرورة تفرضها طبيعة الاسلام وتفرضها مهمته فى الحياة ..

فربما كان لبعض الديانات السابقة العذر فى نأيها عن الحياة وتخليها عن المجتمع ، وقنوعها بأن تتجه الى الضمائر والقلوب داعية الى تصفية الروح وتهذيب النفس ، لا تعيش مع الناس دنياهم ولا تقيم حياتهم على أساسها ..

أو بعبارة أخرى .. تقسم الحياة الانسانية قسمين : قسم لله ، يتناول العبادات التى لاتكمل الا باعتزال الحياة ونبذ زينتها والهروب من فتنتها ، وترك الانغماس فيها .

وقسم آخر للناس ، هو الحياة الانسانية ، بأثقالها وتبعاتها ، بمشكلاتها وعقباتها ، وهذا لاينبغى أن يتدخل فيه الدين ولا أن يفتى فيه برأى ، بل يترك قيصر يصنع فى دنيا الناس ما يشاء ويتصرف كيف يريد ، ويذر الحياة كبحر هائج تصطخب فيه الأمواج ويعلو فيه الزبد فوق القمم ..

ربما كان لهذه الديانات عذر ، فهى بحكم ظروفها التاريخية وأهدافها المحدودة ، وما استقر فى ميزانها من قيم ، لاتجد ماتفتى به ، ولا ما تمسك به الزمام فى ميدان الحياة ..

الاسلام والحياة :

لكن الاسلام خاتمة الرسالات السماوية جاء ليقود الحياة ويمسك زمامها ،

وليضع أمام البشر منهاج حياة متوازنة مستقرة ، تتضح فيها نظرة متكاملة ، ليس فيها عقد أو مجاهيل ، وليس فيها غموض ولا ازدواج ..

لقد جاء ليضيء آفاق الحياة أمام الناس ويمحو من دنياهم الظلام والضلال ..

« كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم ، الى صراط العزيز الحميد » (١) .

فليس فى وسعه أن يدع الناس يحيون بعيدا عن نور الوحى وهداية السماء .. بل كان عليه أن يبين لهم كيف يحيون فى هذه الدنيا كما يريد ربهم ويرضى ، وكيف يقيمون علائقهم فى شتى المجالات وفق عقيدتهم وعلى أساس مبادئهم ..

كان على الاسلام أن يقيم مجتمعا يحقق مبادئه ويطبق نظرته الى الوجود ويفسر رأيه فى الحياة والأحياء ..

وبهذا لايمكن أن ينأى الاسلام عن المجتمع ، ولا أن يرضى عن مجتمع يعتمد مبادىء ظالمة ويعتنق نظريات ضالة ، أو يحتفظ بعلاقات وقيم غير علاقات الاسلام وقيمه .

فقد صح فى القرآن أن رسالته هى قيادة الحياة وتوجيهها الى معرفة الله سبحانه وعبادته والرضا بحكمه ، فما يرضى الاسلام بالانعزال عن الحياة فى أنحاء مجتمع لا يرفع شعاره ولا يعلى رايته ، ولا ينزل على حكمه وهداه .

يقول الله سبحانه :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٢) .

وهذه الآية لاتعنى أن يصير الرسول قاضيا فى مجتمعه يلجأ اليه الخصوم وينزلون على حكمه ، ولكنها تعنى أن يرتضى المؤمنون أحكام الشريعة التى جاء بها الرسول صلوات الله عليه وسلامه ، وأن تتحقق الغايات وتتأكد العلائق التى أرادها الاسلام ..

وحين يحكم الرسول بين الناس فانه لا يحكم الا بما أراه الله من نور الوحى وهداه .

« إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » (٣) .

ولقد تأكد فى القرآن هيمنته على الشرائع والأنظمة ، واحاطته بالأهداف والمرامى جميعا ، اذ هو تنزيل الحكيم الحميد الذى أحاط بكل شىء علما ، فلله من القدرة ما يحكم به على كل شريعة أو قانون ، ومن العلم بالحقائق والتجارب ما يدرك به كل منزع ، ويقضى فى كل جانب ويهدى فى كل سبيل ، ويقدم للناس ماهو خير من كل محاولة قاصرة أو فكر عاجل ..

فليس من العدالة أن يعزل الاسلام عن اصلاح المجتمع مع هذه القدرة الفائقة على تسيير دفة الحياة فى صواب ورشد ، وأن يقف متفرجا على مايدور حوله ، وهو فى فطرته قائد رائد ..

« وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ،

---

(١) سورة ابراهيم ١ .
(٢) سورة النساء ٦٥ .
(٣) سورة النساء ١٠٥ .

فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » (٤) .

والحق أن كل ما يعارض الوحى الالهى الصادق من الاتجاهات والفلسفات فهو هوى ونزوة تنزع بالفرد والمجتمع الى الهلاك ، ومن ثم فان على الاسلام ، وهو حامل المشعل ورافع اللواء ، أن يؤدى واجبه الاجتماعى ويقوم برسالته وينهض بعبئه ، فيغنى البشرية عن كل ماعداه من شرائع ونظم وتقاليد . .

« وان أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ، فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وان كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » (٥) .

★ ★ ★

غاية الاسلام :

ومن الجانب الآخر فان الغاية التى جاء الاسلام من أجلها لا تتحقق الا بتوجيهه للمجتمع المسلم ورعايته . . .

أليس قد جاء لاخراج الناس من الظلمات الى النور ؟

لرفع الاصر عن المستضعفين وفك الأغلال عن المستعبدين ؟

لتحقيق الحياة الطيبة والهداية للتى هى أقوم ؟

فهو ليس عقيدة تكتفى بالاستقرار فى الوجدان ، ولا فكرة يمتلىء بها الذهن فحسب ، بل هو عقيدة تفضى الى شريعة ، وفكرة يقوم على أساسها نظام كامل يهدف الى اقامة الحياة المتوازية المطمئنة على دعائم من معرفة الله وفى ظل من رضوانه . .

فهل يمكن أن يقوم الاسلام بذلك اذا انفصل عن الحياة وغض النظر عن آلام الانسانية .

وهل يمكن أن يحقق الاسلام الطمأنينة والسلام ويأخذ بأيدى البشر الى سبيل مستقيم دون أن يهديهم فى حياتهم للتى هى أقوم .

ان الاسلام حين يحال بينه وبين تطبيق مبادئه وتحقيق غاياته الاجتماعية يصبح معطلا عن عمله مصروفا عن رسالته . .

ولا تنتظر منه حينئذ أن يثمر ثمرته ويحقق هداه .

ان للاسلام رأيه فى العلاقة بين البشر ، ونظامه فى الثروات والأموال ، ومنهاجه فى القيم والمعاملات ، وتوجيهه للشباب ، وخطته للمرأة ، وأسلوبه فى الحياة واتجاهاته فى الغايات والاهتمامات . . فهل يمكن أن نغض النظر عن ذلك كله ، ونريد من الاسلام أن يقنع بجانب الشعائر والعبادات ، ويفرح بأن تصير له طقوس ومعابد ، ثم يتجاهل رسالته الأولى ويقطع صلته باصلاح المجتمع وهداية البشر ؟

ان ذلك لا يكون أبدا وآيات الكتاب الكريم تنطق فى وضوح وحزم بأن الحياة الاجتماعية لابد أن تكون فى ظل الاسلام وعلى أساس هديه وتوجيهه . .

وذلك التزام يقبله المسلم بمقتضى اسلامه . .

---

(٤) سورة المائدة ٤٨ .

(٥) سورة المائدة ٤٩ ، ٥٠ .

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » (٦) .

★ ★ ★

خطة الاسلام الاجتماعية :

وانك لتجد الاسلام يعلن خطته الاجتماعية ويكشف عن صبغته ويبين عن رسالته فى هداية المجتمع وتحقيق الحياة الطيبة ، منذ أيامه الأولى ..

كان من الواضح منذ نزلت آيات القرآن أن هذا الدين يختلف فى أسلوبه وغايته عما سبقه من رســالات السماء .. وان كانت تلتقى جميعا عند معرفة الله والايمان به والخضوع له .. لكنها لم تخض المعارك الاجتماعية ولم تجىء بمنهاج ينظم مجالات الحياة ويعالج مشكلاتها ..

أما الاسلام فقد كان منذ أيامه الأولى يهاجم أوضاع المجتمع الجاهلى الفاسد ويكشف سوءاتها ويسدد ضربات قاصمة اليها ، اعلانا لخطته الاجتماعية واشارة الى أنه قد جاء ليقوض ذلك البناء المتداعى ويقيم مكانه نظامه الالهى الخالد ..

كان المجتمع الجاهلى قد فقد الأساس الأخلاقى السليم ، وفشت فيه أدواء الأثرة وبدت فيه نوازع السيطرة والاستبداد وضاعت فيه حقوق الضعاف وأهمل البائسون ..

وقد واجهت آيات القرآن فى مكة هذا الفســاد وحملت عليه فى مواقف متعددة ..

« كلا بل لا تكرمون اليتيم ، ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث اكلا لمــا وتحبون المال حبا جما » (٧) .

كذلك كان الاهتمام وكانت العلاقة فى المجتمع الجاهلى ، وقد كان بامكان الاسلام لو لم تكن اقامة المجتمع المســلم من أهدافه أن يغضى عما يسود ذلك المجتمع الجاهلى من قيم وما يحكمه من علاقات ، ويقنع بأن يسلم الناس بجانب العقيدة والعبادة فيه ، وبهذا يصبح بمأمن من العداوات التى جرها عليه تعرضه للنظام الاجتماعى ومهاجمته لأوضاعه ..

ولكنها رسالته التى كان عليه أن يحققها ويجاهد فى سبيلها ..

وفى دعوة الاســلام الى العقيدة وتوجيهه الناس الى عبادة الله لا يجنح الى الشــعائر وحدها ، ولا يرى فى مجرد قيامها تحقيقا لرسالته ولا يفرح بأن يصبح له عبادات ومحاريب وخلوات ، ويعزل ذلك عن الحياة والمجتمع وما يدور فيه من ظلم وأثرة ، ولكن القرآن يعلن وهو فى مكة أن نظرته الى الحياة شاملة ، وأنه لا يعزل الجانب الاجتماعى عن جــانب العقيدة والعبادة ، ولا بد أن تحكم الانسان وحدة الاتجاه والنظر ، وأن يصدر فى حياته عن اقتناع بالنظرة الاسلامية الشاملة فتتسق علاقته بربه مع علاقته بالناس والحياة .

فلن يرضى الاسلام عن مسلم يخلص فى عقيدته وعبادته ثم يقصر عن دوره الاجتماعى ويعيش فى فردية وأثرة ولا يشــارك فى تحقيق الطمأنينة والعدالة فى المجتمع ..

ومن هنا يعلن القرآن أن المساهمة فى اشاعة الرحمة فى المجتمع وشفاء

---

(٦) سورة الاحزاب ٣٦ .

(٧) سورة الفجر ١٧ — ٢٠ .

الآلام والمســح على الجراح وتخفيف الأحزان هو التجربة الكبرى التى يجب أن ينجح فيها الانسان . .

يقول الله سبحانه :

« فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ، أو اطعام فى يوم ذى مسبغة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ، ثم كان من الذين آمنــوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ، أولئك أصحاب الميمنة » (٨) .

فنرى القرآن يبرز المشكلات الاجتماعية البارزة التى كان يشيعها التظالم ويضـــاعف من بلائها الأنانية والتكالب على المال فى المجتمع الجاهلى ، ويدفع أبنـــاءه الى المسارعة فى تحقيق التكافل والتراحم فى المجتمع ، وبناء العدالة الاجتماعية على أسســـها الراســخة ، ويجــعل ذلك محكا للايمان واختبارا مؤكدا للعقيدة . .

ويكشف عن تلك النظرة ما يبرزه القرآن حين يعلن الخطايا التى أودت بالكافرين وهوت بهم فى الجحيم ، فاذا هى تشتمل على الخطيئة فى حق المجتمع والنكوص عن واجباته كما تشتمل على الكفر بالله وجحود فضله . .

« انه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحض على طعام المسكين ، فليس له اليوم هاهنا حميم ، ولا طعام الا من غسلين لا يأكله الا الخاطئون » (٩) .

وبذلك يفصح الاسلام عن غايته ، ويرسم حدوده فى الأذهان ، ان تضييع طعام المسكين كفر بالنظام الاجتماعى الذى يراه الاسلام ، قرنه القرآن بالكفر بالله ونكران حقه . .

وفى سبيل اقرار القيم الحقة للنظرة الاســـلامية الشاملة ، والربط بين الجانب الاعتقادى والجانب الاجتماعى فى الاسلام ، يبادر القرآن فى مكة أيضا برسم صورة مجسمة للمكذب بالدين ، تتضح فيها النقائض الاجتماعية التى كانت تفشو فى المجتمع الجاهلى . .

يقول الله سبحانه :

« أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين » (١٠) .

ان ذلك لا يدع شكا فى أن منهج المجتمع المسلم ضرورة لابد من تحققها ، فان الآية ترسم صورة للكفران بالجزاء وانكار البعث من خلال السلوك الاجتماعى المخالف لتعاليم الاسلام وخطته ، وليس الاسلام بالذى يفرح بأن يصدق به الناس دون أن يرتبطوا به فى دنياهم ويقيموا حياتهم على أساس مثله وقيمه . .

وتكتمل هذه الحقيقة وتتسق فى بقية سورة الماعون التى نزلت فى المدينة ، فلئن كان مطلع السورة وصــفا للمكذب بالدين من جانب أخــلاقه الاجتماعية الفاســدة ، فان ختامها حرب على التدين الكاذب الذى يحاول الاكتفاء بمظاهر

---

(٨) سورة البلد ١١ — ١٨ .

(٩) سورة الحاقة .

(١٠) سورة الماعون .

الشعائر دون أن يصل الى الحقيقة الشاملة التى يؤكدها الاسلام ، وهى أن الدين فى حقيقته منهاج حياة وأسلوب معاملة وبرنامج متكامل لتحقيق السعادة والطمأنينة للبشر ..

فما الذى يفرق بين جانب معرفة الله وبين الالتزام بأمره فى الحياة ؟

ان العابد الذى لا يتعلم من عبادته كيف يشارك فى اسعاد الناس وكيف يلتزم بالخير فى سلوكه معهم ، عابد كذاب لا يرضى عنه الاسلام ..

« فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون » (١١) .

ان السورة كلها توجيه الى الحقيقة الكبرى ، حقيقة المنهاج الاجتماعى للاسلام ، وحرب على التدين القاصر الذى يقنع بالشعائر والطقوس ..



القرآن يحارب المجتمع الجاهلى :

والذى يتتبع اشارات القرآن المكى الاجتماعية وتناوله للمفاسد والمظالم التى كانت تعج بها الحياة الجاهلية يصل الى الاقتناع بأن الجانب الاجتماعى من الاسلام من الأصالة والوضوح بحيث لا يمكن تجاهله أو الاغضاء عنه ..

ان الاسلام لم يغض الطرف عن تلك المفاسد ولم يشغله جانب العقيدة والعبادة عن توجيه الحملات الى مظالم الجاهليه ولو لم يكن لها ارتباط بجانب الاعتقاد ..

فقد كان ذلك المجتمع يقوم على الأثرة وتشيع فيه أدواؤها المريرة ولم يكن بد أن يهاجم الاسلام تلك المظاهر الاجتماعية الأثيمة ، ويقتلع الأسس الفاسدة التى يقوم عليها الترابط والتعامل ..

فهذه صورة هاجمها القرآن فى مكة ، وهى صورة قد تبدو جزئية أو فرعا مرتبطا بأصله ، لكن مغزاها الاجتماعى ودلالتها على سوء العلاقة وخبث الصلة بين الناس ، جعلت القرآن ينزل بشأنها وتسمى سورة منه باسمها ، سورة المطففين :

« ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، الا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، كلا ان كتاب الفجار لفى سجين » .

فلو لم يكن للاسلام منهجه الاجتماعى الواضح ، لما كان له ذلك الاهتمام بمثل تلك المواقف ، ولترك البشر يتعاملون وفق قيمهم ورغائبهم ، أو عواطفهم واتجاهاتهم .

ولكن أى منفعة تبقى للاسلام حين يترك البشر يتظالمون ويتضاغطون ويعصف بهم الظلم والهوان ؟

ان ذلك الموقف من المطففين يؤكد أن للاسلام برنامجه الاجتماعى الأصيل ، وأنه لا يطمئن بالحياة فى مجتمع لا يعتنق منهجه ولا يحقق مبادئه .

والمغزى الواضح لتلك الحملات والمواقف الاجتماعية فى السور المكية ، أن هذا الدين قد اتى بخطة اجتماعية جديدة عليه أن يثبت دعائمها فى الحياة ،

---

(١١) سورة الماعون .

وانه لا يتخلــى فى احرج الظروف عن هــذه الغاية ، لانه يرى ان التخلى عنها يصرفه عن وجهته ويعوقه عن أهدافه ..

ولو لم يكن قيام المجتمع الاسلامى ضرورة لابد منها لما أثار القرآن عداوات ألكفار ولما أخرج اضغانهم فى هجومه على الأوضاع الاجتماعية الفاسدة وحربه للتقاليد الظالمة وفضحه للعورات الاجتماعية الشائنة ، ولقنع الاسلام بالعقائد والشعائر ، ولم يقاتل قتاله العنيف فى هذا السبيل ..

جهاد الاسلام لتحقيق منهجه :

ومضت السنون بالدعوة الاسلامية فىمكة وهى تعيش فى مجتمع يخالفها ويصد عنها ويعترض سيرها ..

فكان على الاسلام أن يمد بصره الى ماوراء مكة ويتطلع الى اقامة مجتمع جديد يصدر عن هديه ويقوم على مبادئه ويستهدف تحقيق الغايات التى جاء بها .

وما هو الا أن وجد الأنصار الذين قبلوا دعوته وبايعوا على نصرته ورضوا به على سـبى الذرارى وفقد الأموال وعض الحرب والوقوف فى وجه الناس جميعا ، حتى كان على كل مسلم أن يهاجر الى المدينة ويخرج من مجتمع الكفر فى مكة ، حتى يضع لبنة فى بناء المجتمع الاسلامى ..

وسارع المسلمون الى الهجرة لا يمنعهم عنها مال ولا ولد ..

كأبى سلمة الذى حاول الهجرة الى المدينة فحال أصهاره بينه وبينها ، وقالوا له : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتك هذه علام نتركك تسـير بها فى البلاد ؟

قالت أم سلمة : فنزعوا خطام البعير من يده فأخذونى منه ، وغضب عند ذلك بنو عبد الأسـد رهط أبى سـلمة فقالوا : لا واللـه لا نترك ابننا عندها اذ نزعتموها من صاحبنا ..

قالت : فتجاذبوا بنى سـلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسنى بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجى أبو سلمة الى المدينة .

قالت : ففرق بينى وبين زوجى وبين ابنى !

وما زالت أم سلمة حزينة باكية حتى رحموها فلحقت بزوجها ومعها ولدها .

ومنهم من تخلى عن ماله حتى يخلى المشركون سبيله ، كصهيب الرومى الذى قالوا له : اتيتنا صعلوكا فقيرا ، فكثر مالك عندنا وبلغت الذى بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ؟ والله لا يكون ذلك .

فقال لهم صهيب : أرأيتم ان جعلت لكم مالى اتخلون سبيلى ؟ قالوا : نعم قال : فانى جعلت لكم مالى .

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسـلم فقال : ربح صـهيب ربح صهيب !

وذلك يدل على اهمية الخطوة التى خطاها المسلمون بتحولهم من مكة الى المدينة ، وخروجهم من مجتمع الكفر الى مجتمـع الايمان ، انها لم تكن مغامرة ولا رحلة ولا لجوءا ولا هربا ، لكنه كان بناء لمجتمع جديد على أساس عقيدة جديدة ، ولولا ذلك لقضى على الدعوة الاسلامية فى مهدها ، أو على الأقل لعاشت صدى خافتا لا يملك هداية الناس ولا يأخذ بأيديهم للتى هى اقوم .

وبلغ من حرص الاسـلام على اقامة مجتمعه الجديد وحتميته فى فرض الهجرة ، أن عزل الذين لم يسارعوا الى الهجرة الى المدينة وليس هناك ما يحول

بينهم وبين ذلك ، عن المجتمع الاسلامى ، وحرم على المسلمين موالاتهم حتى يهاجروا ...

قال الله سبحانه : « ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ، والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا » (١٢) .

وتتابع المهاجرون الى المدينة ونزلوا على الأنصار . الذين وسعتهم ديارهم وأموالهم ، على النحو الذى سجله القرآن ، مما لا نظير له فى تاريخ الدعوات والأديان .

وكان لابد للاسلام أن يحكم الرابطة ويعمل على تأكيد الأواصر وحث الخطى فى بناء المجتمع المسلم .. فلم يدع فرصة لنزعة نحو الانفراد أو نأى عن الجماعة أو خروج عن رابطتها أو قصور عن واجباتها ...

ومن هنا كان الخطاب فى القرآن دائما يتجه الى الجماعة باعتبارها كيانا واحدا ، فى التكاليف والفرائض : يا أيها الذين آمنوا .

وذلك حتى يشعر كل مسلم أن كيانه الحق فى اطار مجتمعه وأن وجوده مقترن بوجود الجماعة التى تعينه على اتباع سبيل المؤمنين وتؤازره فى سلوك الطريق المستقيم ..

ولذلك فقد ارتبطت العبادات فى الاسلام بنزعته الى التجمع واستهدفت تأكيد الرابطة فى مجتمع الاسلام ..

فالصلاة فى أكمل صورها وأعظمها أجرا حين تكون فى جماعة ..

وليس لذلك من مغزى الا اغتباط الاسلام باعلان شعائره ورضاه عما يؤكد رباطه الاجتماعى ويحقق سعيه لتشييد صرح مجتمعه القوى .. بل يجعل صلاة الجمعة فريضة محتمة ، لتكون رباطا ضروريا يزيد الصلات ويحفظ كيان الجماعة ..

وفى تشريع الصيام كانت النظرة واضحة الى رعاية العلائق وشد الأمة المسلمة الى كيان نفسى ونظامى واحد . فارتبطت فريضة الصيام بشهر واحد وأوقات منظمة وشعائر واحدة ، تعمل عملها فى تقوية البناء واذكاء رباط الوحدة بين المسلمين ..

والى هذا المنزل أيضا اتجه الحج على نطاق اشمل وفى دائرة أرحب ، تؤكد لهذه الأمة أن ربها واحد وأن دينها واحد وأن غايتها فى الحياة واحدة .

« ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » (١٣) .

مكانة المجتمع فى الاسلام :

ويتبين لنا مما عرضناه أن الاسلام قد وضع المنهج الاجتماعى فى رسالته موضعه الأصيل ، وكان ذلك متسقا مع دور الاسلام فى حياة البشر ، اذ كان على الاسلام أن يقود الحياة الى شاطىء الطمأنينة وأن يتجه بالبشر الى السلام فى حياتهم بعيدا عن الشقاء والدمار ..

كما أن الأمد الذى تبقى فى حياة الانسانية — منذ جاء الاسلام — كان أمدا يتضح فيه دور المجتمع فى حياة الانسان ، وكانت الانسانية تخرج بسعة من دور القبيلة الى دائرة المجتمع والدولة فكان المجتمع بأنظمته ومناهجه وروابطه هو

(١٢) سورة الانفال ٧٢ .
(١٣) سورة الانبياء ٩٢ .

المجال الذى ينتظر هداية السماء والذى يفتقر الى كلمة الحق المضيئة التى تبدد العماية والفساد ..

ومن غير الاسلام كان قادرا أن يأخذ بيد المجتمع الانسانى أو أن يقول له كلمة الحق ... ؟

ان الأديان السابقة بما تبقى فى يدها وبما واجهته من ظروف معنتة لم تكن تقوى على أن تمسك الزمام أو تدعى القدرة على هداية الركب الانســانى فى بيدائه المحيرة ولم يكن هناك الا بقايا الحضارات المادية التى تهتدى الى عنصر من الحق يختلط به العديد من الاوشاب والأقذاء !!

ولولا الاسلام فى ذلك العالم ، الذى بزغ فيه ، لما كان للانسانية القدرة على مواصلة المسير الى هدف صائب حتى اليوم ..

فلقد هدى الاسلام البشرية فى متاهتها وأخرجها الى آفاق رحيبة مضيئة تنفست فيها الصعداء وأدركت من الحقائق والأهداف مالم تكن تعلم ..

والحق أن أثر الاســلام فى المجتمع الانســانى — من جوانبه المباشرة وانعكاساته على السواء — من الوضوح بحيث لايجحده الا مكذب كنود .

وكان من فضل الاسلام على الانســانية أنه أقام فى هذه الحياة مجتمعا أثبت للانسان أن بامكانه أن يذوق السعادة ويشعر بمعنى هذه الحياة حين يتبع منهج السماء ويذعن لارادة خالقه فيما يهديه اليه ..

واستطاع الاسلام أن يمد جنــاح الحب والرحمة والطمأنينة على طول البلاد التى دخلت فيه وفرحت به واســتظلت بظله ، طالما حافظت على هديه واستمسكت بمبادئه ، قرونا عديدة لم يغير أمرها بعد ذلك الا نبذها لتعاليمه وفتنتها عن هداه نتيجة لمكر الكافرين وخطط الجاحدين فى عصرنا المادى الذى نعيش فيه ..

الاسلام والمجتمع فى العصر الحديث :

والحق أن خطة الاسلام الاجتماعية لم تكن فى عصر ألزم له وأهم من هذا العصر الذى نعيش فيه ! ؟

انه عصر النظم الاجتماعية والبرامج المتكاملة التى يخايــل بها المزورون الانسانية والتى يدعون بهــا أنهم توصلوا الى الحل النــاجع لمشاكل الانسان وأحاطوا حقا بدائه ودوائه ...

ورغم أن الليالى تفضح البهتان وتكشف الزيف الا أن احكام الدعاية وبهرجة المنطق ربما تفتن المخدوعين وتلعب بأحلامهم الصغيرة فيتصورون فى خيالهم جنات زاهية وقصورا مزدهرة وراء تلك الدعايات الاجتماعية الزائفة ، وهى فى حقيقتها لا تسلم الا الى سجون كريهة وسفوح منتنة كما هو مشاهد فى الغرب المادى .

فكيف يقف الاسلام اليوم فى المجتمع الانسانى صامتا بينما يتكلم الافاكون ويفصح الدجالون ..

وكيف يوارى الاســلام منهجه الاجتماعى ويخفى حلولــه أو يئدها بينما الشياطين تتخطف الناس الى أوديتها السحيقة وتهوى بهم الى المهالك ؟

ان الذين يطلبون من الاســلام اليوم أن يكتم بعضــه وأن يبتر شــطره الاجتماعى ، ويقنع بأن يحيا دين اعتقاد وشعائر ، انما يريدون من الاسلام أن يتخلى عن رسالته وأن ينصرف عن غايته التى جاء الى هذه الحياة من أجلها ..

وهذا مايأباه الاسلام بطبيعته ، ويأباه دوره فى حياة الانسان ..



خليل الله

أي يوم للعلا ، أشرق بي ... أنا منه في خيال عجب ؟
هذه الوثبة من تاريخنا ... تربط العرب بمجد العرب
فأعدوا ما استطعتم قوة ... فهي اليوم سبيل الرهب
ان للمدفع صوتا راعدا ... طالما أيد صوت الكتب
سلحوا الأشبال بالايمان ، والبأس ، والعلم ، وحسن الأدب
هو ذا اليوم الذي يربطنا ... بشباب من كرام النسب
قد وعى التاريخ من سيرتهم ... ما وعاه في أبر الكتب
انني أذكر منهم فارسا ... وفتى كان أبا للعرب
فادع فتيان الحمى كي يأخذوا ... عن نبي للهدى ، وابن نبي
عرك الخطب ، واذ ناجزه ... جاءه النصر بأقوى سبب
من كابراهيم اذ حفت به ... عصبة الشر ، وأهل الريب
انه نعم الفتى يوم مضى ... يعجز القوم بقول عجب
أإله ذاك ، أم ذا صنم ؟ ... ما يعي رأسا له من ذنب
إنما الله إله واحد ... كيف نستهدي بدين كذب ؟!
كان للشرك لواء خافق ... عقدوه فوق هام النصب
كيف يغدو دونه ذاك الفتى ... مسرفا في غيه ، واللعب ؟!
إنه يدعو الى نبذ الذي ... قدسوه ، يا لهول الطلب
قف معي ، والقوم في سكرتهم ... والفتى ينسل خلف الحجب
هرول الشيطان مجنون الخطى ... أسحم الوجه كليل المخلب
وحثا الترب على هامته ... وهو مزور بنار الغضب
كان إبراهيم يدعو ربه ... بولاء الخاشع المقترب
يجمع العزم ، ويهوي بالتي ... مزقت شمل ضحايا القرب
حطم الأصنام لم يترك سوى ... كابرا منها عريض المنكب
علق الفأس على كاهله ... عله إن يسألوه يجب

قف معي .. والقوم في سكرتهم ..

للأستاذ : محمد هارون الحلو

ذهل القوم ، وقد روعهم ... زلة الرأى ، وفقد السلب
واستطار اللب منهم ، وغدوا ... بالفتى بين القنا ، والقضب
وسنا البرهان من منطقه ... يعجز القوم ، فما من معتب
اسألوهم إنهم آلهة ! ... كيف لا تدفع بأس النوب ؟!
يا لابراهيم فى إيمانه ... وهو فى المحنة سامى المأرب
لم يكن ذاك الفتى فى رهبة ... إنما الغى حليف الرهب
صدق العقل بما جاء به ... وأبوه منه لم يستجب
ومضى النمرود فى قصته ... وهو يدعو قومه عن كثب
حرقوه ، وانصروا آلهة ... واجعلوه طعمة للهب
يا لابراهيم يغدو باسما ... وله هالة وجه الكوكب
جاء نصر الله ، فانقاد له ... فى ضحى الحق حماة الشغب
قم معى نصعد رءوس الحقب ... حيث دين الله عالى الطنب
حيث ابراهيم يدعو ربه ... رب ، وابعث فيهم خير نبى
واسمع اللحن سماوى الصدى ... وهو بالبشرى سنى الموكب
أيها الغادى اتئد **إنا على** ... مرفأ النور بحلم أعذب
نحن فى جلوة عيد المصطفى ... النبى الهاشمى العربى
خصه الله بدين قيم ... واجتباه ، وهو نعم المجتبى
جاء بالقرآن نورا ، وهدى ... فى بيان قدسى عجب
لم يكن شعرا ، ولا سحرا ، ولا ... من كهانات دعى أكذب
إنه الحق الذى أرسى به ... أحمد المختار دين العرب
وامض بالتاريخ فى موكبه ... هل ترى من ناصح ، أو معتب ؟
أين فرسان شداد نهضوا ... لدفاع الشرك ، من كل أبى ؟
هذه القصة من تاريخنا ... قصة المجد ، ودرس الغلب
نبعث الفتيان من أشبالنا ... فى هداها ، وهى أسنى مذهب



عمر بن عبد العزيز معلم العلماء

قانون التفرغ للبحث العلمي

خطر الثنائية بين العلم والعمل

للدكتور: عماد الدين خليل

لم يترك عمر بن عبد العزيز ميدانا من ميادين العمل والكفاح الا أدلى بدلوه فيه: (رسم المشاريع، وحدد الخطط، وأشار الى الأهداف، وسار بما يحيط به من امكانيات أمة متحضرة، فتية، حثيثا صوب تلك الأهداف ... ان الشخصية الايجابية الفعالة للمسؤول المسلم تتبدى ــ هكذا ــ واضحة فى خلافة عمر، انه يريد أن يطبع كل ميدان بصبغة الله، وان يشد كل فاعلية الى مصادرها الأصيلة من القرآن والسنة، وان يرسى أسس الدولة الاسلامية وحضارتها على قواعد العقيدة التى تقوم على شهادة لا اله الا الله، محمد رسول الله.

وها نحن معه، لحظات، وهو يعمل مع أحبار الأمة ومربيها ومعلميها فى ميدان التربية والتوجيه والتثقيف، ودائما ننطلق مبتدئين بوجوده هو، فتلك هى القاعدة التى أكدها الرسول عليه السلام طيلة ثلاثة عشر عاما من عمر الدعوة: ان يبدأ الانسان ثورته من الداخل، ان يقوم بعملية تغيير باطنى سماه الرسول الجهاد الأكبر ومن ثم يجيء الانقلاب على القيم والأوضاع والقيود الخارجية .. وسيرى هذا الانسان آنذاك كيف ستؤتى ثورته أكلها، وكيف سيشهد التاريخ انقلابا تتوازن فيه القيم الخارجية والباطنية على السواء. وكيف أن الثورة الأصيلة فى كل ميدان ــ هى تلك التى تقوم على ما يمكن أن نسميه (التغيير الداخلى ــ الوجدانى) اذ أن أية ثورة لا تقوم الا على الفراغ؛ وعلى ارادة التحطيم الخارجى فحسب، سوف تنتهى بالفشل لأن الله سبحانه: (لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

وما كان لعمر اذن — هنا فى ميدان ، التربية والتثقيف ، الا أن يبدأ عملية التغيير العظيم هذا فى نفسه أولا ، بمعنى آخر : ان يكون مثقفا كى يمارس التثقيف ، وأن يكون القدوة الحية الصالحة كى يمارس التوجيه .

ونستطيع الآن ان نخمن ماذا يمكن أن يحدثه أى توجيه تربوى يمكن أن يمارسه عمر تجاه أمته ، بل تجاه أمم الأرض وقادتها وحكامها ، قال البلاذرى فى فتوح البلدان : « .. كتب عمر بن عبد العزيز الى ملوك الهند يدعوهم الى الاسلام والطاعة ، على أن يملكهم ، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم . وقد كانت بلغتهم سيرته ومذهبه ، فأسلموا وتسموا بأسماء العرب » ونضيف الآن رواية الطبرى حيث يقول : « كان الوليد بن عبد الملك صاحب بناء ، واتخاذ مصانع وضياع ، وكان الناس يلتقون فى زمانه فانما يسأل بعضهم بعضا عن البناء والمصانع ، فولى سليمان بن عبد الملك فكان صاحب نكاح وطعام ، فكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن التزويج والجوارى، فلما ولى عمر بن عبد العزيز ، كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل : ما وراءك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن ؟ ومتى تختم ومتى ختمت ؟ وما تصوم من الشهر ؟ ! » .

ولنا أن نتصور — بعد هذين الشاهدين — الدور الكبير الذى لعبه الخليفة القدوة فى حياة الناس الذين عاصروه ، انه استطاع عن طريق انتصاره ، لا ان يكسب حكاما وشعوبا الى الاسلام فحسب ، بل — وهذا هو الانتصار الحقيقى — ان يعيد الأمة الاسلامية نفسها الى تجربتها الروحية والفكرية ، والى ارتباطها الجماعى الدائب — عبر الايام والليالى — بالله : صلاة وصياما وتلاوة قرآن ، وذكرا لله قياما وقعودا ، وتفكيرا فى خلقه ، وايمانا حيا ، دفاقا فى وجدانهم يتفجر عن هذا الاتصال المستمر بالله وملكوته .

وتلك هى القاعدة — أو الخلفية — التى هيأت للأمة الاسلامية فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وخلفائه الراشدين أن تصنع المستحيل ، وان تنتقل بمدنية العالم خطوات الى الأمام ، بعد أن صبغتها بصبغة الله ، ورفعت فوقها راية (لا اله الا الله) .

ولنا الآن ان نعرف شيئا عن عمر (المثقف) لكى نستعرض بعض مشاريعه ومنجزاته فى هذا الميدان . (لقد هيأت الظروف لعمر ، مذ كان طفلا يرعاه ابوه عبد العزيز بن مروان امير مصر ، أوضاعا ممتازة للتعلم والتثقيف ، وكان هو قد أعرب عن حرصه على العلم وحبه للأدب منذ تفتح وعيه للحياة » (١) . فقد عكف منذ صباه — وهو بعد فى مصر — على مجالسة الصحابة ورواة الحديث ، والاستماع الى الشعر والأدب ، حتى قيل أن مجلسه كان ندوة للفقهاء والعلماء والأدباء . وحفظ القرآن وهو بعد صغير . ثم ما لبث أبوه ان أرسله الى المدينة المنورة لطلب العلم ، فتفقه فى الدين ، وروى الحديث ، وعكف على دراسة الأدب ونظم الشعر (٢) كما قام باتصالات عديدة بشيوخ المدينة ، تمكن عن طريقها ان يبلغ شأوا بعيدا فى ميادين الفقه والحديث (٣) .

ظل عمر بن عبد العزيز يعمل فى هذا الميدان ، وينهل من موارد المعرفة الاسلامية : قرآنا وتفسيرا ، وفقها وحديثا وعقائد وتشريعا ، حتى بلغ من علو كعبه واستبحاره فى العلم ان قيل : كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة (٤) ، وحتى قال الذهبى عنه فى تذكرة الحفاظ (كان عمر يقرن بالزهرى فى علمه (٥) وقال مجاهد (أتينا لنعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه) (٦) وقال ميمون بن مهران (كان عمر معلم العلماء) ، وقال رجاء بن حيوة : (ما رأيت أفصح من عمر بن عبد العزيز) وقال أحد عماله : (ما التمسنا علم شيء

الا وجدنا عمر أعلم الناس بأصله وفرعه) ويبلغ من تقدير الامام أحمد بن حنبل لعمر أن يقول عنه : (لا أدرى قول أحد من التابعين حجة الا قول عمر) ويحكى الليث كيف ان أحد أصحابه رأى سليمان بن يسار خارجا من عند عمر فسأله : أمن عند عمر خرجت ، قال : نعم قال : تعلمونه ؟ قال : نعم . قال : هو والله أعلمكم .

ولولا الخلافة وتكاليفها لكان عمر قد قطع خطوات واسعة أخرى فى هذا الميدان ، ولأصبح من العلماء المعدودين والفقهاء المشهورين وما أن تولى عمر أعباء مهمته كخليفة للمسلمين حتى بدأ بتحويل مركز حكمه الى ساحة يجتمع فيها علماء الامة وأحبارها وربانيوها ، وأبعد كل الشعراء المرتزقة الذين كان البلاط يعج بهم . ومن ثم راح يبذل نشاطا واسع النطاق فى هذا الميدان ، أبرزه تلك العناية العظيمة التى أولاها (علم الحديث) الذى يمثل السند اليقينى الثانى — بعد القرآن الكريم — لعقيدة المسلمين وشريعتهم ووجودهم . يقول ابو الحسن الندوى : أراد الله سبحانه أن يكون لعمر فضيلة السبق فى هذا الميدان كما كان لجده العظيم — عمر بن الخطاب — فضيلة السبق لجمع القرآن فانه رضى الله عنه هو الذى أشار على أبى بكر بجمعه . وقد كتب عمر بن عبد العزيز الى أحد كبار علماء الحديث وأوعية العلم فى عصره : أبى بكر بن محمد بن حزم : (انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاكتبه ، فانى خفت درس العلم وذهاب العلماء) وأشار عليه بالعناية الخاصة بمجاميع عمرة ابنة عبد الرحمن الانصارية وقاسم بن محمد بن أبى بكر ، لأهميتهما ، ولم يكتف بأبى بكر بن حزم ، بل كتب الى عماله فى الاقاليم (انظروا الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه) ، وأصدر منشورا يأمر فيه أهل العلم أن ينشروا العلم فى مساجدهم (فان السنة كانت قد أميتت) .

من ثم سيظل المسلمون يدينون لعمر بن عبد العزيز فى هذا الميدان العظيم حيث أقبل على تدوين العلوم الاسلامية المتمثلة بالحديث ، بعد أن تعرض للضياع لانصراف الناس الى السياسة والادارة والحروب .

لم يكن عمر بالانسان الذى تستهويه المشاريع الكبرى فيقف عند مشارف الخيال لا يتعداه .. بل هو — بما عرف عنه من عملية ايجابية — سرعان مايحيل الخيال العريض هذا الى واقع يشهده التاريخ : فيمهد له الظروف ويحيطه بالضمانات العملية ، ويهيىء له من الاسباب ما يجعله يستحيل حركة مشهودة . وها هو فى مجال هام كهذا ، يضع ما يسمى اليوم بـ (قانون التفرغ) حيث تتولى الدولة كفالة عدد من العلماء والمفكرين كى تتيح لهم التفرغ الكامل لانجاز المشاريع الفكرية التى يعكفون عليها اختيارا أو بتوجيه من الدولة .. فيجرى الارزاق على علماء الحديث والجمع هؤلاء ، ويرتب لهم الرواتب ليتوفروا على نشر العلم ويكتفوا مؤونة الاكتساب . فكان يمنح من بيت المال مبلغا قدره مائة دينار لكل من انقطع الى مسجد جامع فى أى بلد اسلامى لغرض التفقه ونشر العلم ، وتدريس القرآن وتلاوته وكتب الى والى حمص (انظر الى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه ، وحبسوها فى المسجد عن طلب الدنيا ، فاعط كل رجل منهم مائة دينار يستعينون بها على ماهم عليه ، من بيت مال المسلمين ، حين يأتيك كتابى هذا ، وان خير الخير أعجله والسلام) وفى رسالة أخرى لوالى حمص يزيد الخليفة مشروعه هذا توضيحا فيقول : (مر لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم ، لئلا يشغلهم شىء عن تلاوة القرآن ، وما حملوا من الاحاديث) . كما قام عمر بارسال يزيد بن أبى مالك والحارث بن محمد

الى البادية ليعلما الناس السنة وأجرى عليهم الرزق ، فقبـل يزيد ولم يقبل الحارث وقال : ما كنت لآخذ على علم علمنيه الله أجرا . فذكر ذلك لعمر فقال : (ما نعلم بما صنع يزيد بأسا ، وأكثر اللـه فينا مثل الحادث) وقـد عبر عمر بهذا الجواب عما يجب أن يتحلى به الحاكم المسلم من مرونة فكرية وعدم جمود على الاشكال ، فأعلن أن أخذ الاموال لقاء الخدمات العلمية أمر لا بأس به ، وسأل الله ــ من جهة أخرى ــ أن يكثر من أمثال أولئك الذين يتبرعون بهـذه الخدمات مبتغين أجر الله وحده !!

ونشهد موقفا آخر من المواقف التى تعبر عن هذه المرونة الفكرية عندما استدعى عمر الى دمشق عامله على خراسان لدى سماعه أنباء تشير الى عدم التزام هذا العامل بالعدل الكامل مع أهل خراسان . فأسرع هذا بمغادرة ولايته تنفيذا لأمر الخليفة . وعندما وصل دمشق ، ووجد الخليفة على وجهه سيماء التعب والاجهاد ، سأله : متى خرجت ؟ أجابه : فى شهر رمضان ، فرد عليه الخليفة : قد صدق من وصفك بالجفـاء !! هـلا أقمت حتى تفطر ثم تخرج ؟ ثم لنتأمل معا قوله : (ما يسرنى لو أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا ، لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة !!)

لم تشغل أعباء الخلافة عمر عن توجيه الاهتمام الكافى شخصيا فى هذا الميدان ، فهو لا يكتفى بتوجيه العلماء الى أداء المهام الاساسية ، وتهيئة الظروف العملية لانجاز هذه المهام ، بل يسهم بنفسه فى تقديم معطياته الثقافية للأمة الاسلامية بشتى فئاتها : فيعقد مجالس الحديث ، ويروى عن المحدثين الثقاة من التابعين : أبيه وأنس وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب وابن قارظ ويوسف بن عبد الله بن سلام وعامر بن سعد وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وأبى بكر ابن عبد الرحمن والربيع بن سمرة وآخرين . وينقل عنه الحديث علماء كبار من التابعين كالزهرى ومحمد بن المنكدر ويحيى بن سعيد الانصارى ومسلمة بن عبد الملك ورجاء بن حيوة وآخرين .

ويقوم بجمع الاحاديث الموثوقة المسندة ، وتدوينها فى (مسند) يعرف حتى اليوم باسمه . ويبعث برسالة الى عماله يوصيهم فيها بالاحتياط فى تنفيذ العقوبات ويشرح لهـم نظام التعزير الاسلامى ، ويكتب الى أحد عمالـه (ان للايمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا ، فمن استكملها استكمل الايمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان ، فان أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها ، وان أمت فما أنا على صحبتكم بحريص) ، وكان يقتطـع من أوقـات راحتـه فى الليل ساعات لاقامة الندوات العلمية وفتح باب النقـاش الحر الذى أدرك ــ عمر ــ كم هو حيوى للتوصل الى الحقائق المجردة ، وقد أعرب عن ادراكه العميق لـا ينتج عن التقاء الافكار من نتائج فكرية ايجابية ، عندما سأله رجاء بن حيوة : يا أمير المؤمنين ، نهارك كله مشغول ، وهذا جزء من الليل وأنت تسمر معنا ؟! فيجيئه الجواب من معلم العلمـاء : يا رجاء ان ملاقاة الرجال تلقيح لأوليائها ، وان المشورة والمناظرة باب رحمة ومفتاح بركة ، لا يضل معهما رأى ، ولا يفقد معهما حزم) .

(وجدت ملاقاة الرجال تلقيح لأوليائها) !! لقد أصاب عمر كبد الحقيقة : ان صدام الافكار بالافكار ، ومقارعة الحجة بالحجة ، وتقابل البرهان بالبرهان ، يحرك الفكر ، ويعمقه ، وفوق هذا وذاك يحدث لقاحا فتمخضا عن مزيد من الافكار .

أدرك عمر المثقف ، المسؤول ، قوة الكلمة ، وانها اذا ما انبثقت عن قلب

يتفجر بالايمان ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، غدت أعظم نفعا وأكثر فاعلية من كثير من الوسائل الاخرى التى يتوسل بها المرشدون لتوجيه الناس صوب ساحات الخير واليقين .. وكتب الى القرطبى — أحد علماء الامة — يقول (ان الموعظة كالصدقة ، بل هى أعظم أجرا وأبقى نفعا وأحسن ذخرا ، وأوجب على المرء المؤمن حقا . لكلمة يعظ بها الرجل المؤمن أخاه ليزداد بها فى هدى رغبة ، خير من مال يتصدق به عليه ، وان كان به اليه حاجة .. ولئن ينجو الرجل بموعظتك من هلكة خير من أن ينجو بصدقتك من فقر . فعظ من تعظه لقضاء حق عليك ، واستعمل نفسك حين تعظ !! ولكن كالطبيب المجرب العالم الذى قد علم أنه اذا وضع الدواء حيث لا ينبغى أعنته وأعنت نفسه .. واعلم أنه لم يجعل المفتاح على الباب لكيما يغلق فلا يفتح ، أو ليفتح فلا يغلق ، ولكن ليغلق فى حينه ويفتح فى حينه) .

كما أدرك عمر حقائق جديرة بالاعجاب فى ميدان التربية . التربية التى تسعى الى تكوين طفل مسلم ، موحد الذات والاهداف غير منقسم على نفسه بين القول والعمل ، أو بين الواقع والمثال، طفل ينمو ويكبر وهو يمشى ، ان قراءة القرآن والتشبع بأدبه ترتبط ارتباطا شرطيا بركوب الخيل والتراشق بالنبال ، وان الفطام — منذ هذه المرحلة — عن الترف والملذات والملاهى هو الذى يخلق الرجال . وتلك — لعمرى — أهداف ارتدت عنها خائبة جل البرامج التربوية الحديثة .

ولنقرأ معا كتاب عمر الى مؤدب أولاده : « .. انى اخترتك على علم منى بك لتأديب ولدى ، فصرفتهم اليك عن غيرك من موالى وذوى الخاصة بى . فحدثهم بالجفاء فهو أمعن لاحترامهم ، وترك الصحبة فان عادتها تكسب الغفلة ، وقلة الضحك فان كثرته تميت القلب . وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهى التى بدؤها من الشيطان .. فانه بلغنى من الثقات من أهل العلم ان حضور المعازف واستماع الاغانى واللهج بها ينبت النفاق فى القلب كما ينبت العشب الماء .. وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن ، يتثبت فى قراءته ، فاذا فرغ تناول قوسه ونبله وخرج الى العرض حافيا ، فرمى سبعة أرشاق ثم انصرف الى القائلة .. » .



ان أبرز ما يلاحظ فى رسائل عمر المتتالية الى ولاته وموظفيه ، هو التأكيد على ربط العلم بالعمل . فلا عمل بلا علم ، ولا علم بلا عمل . فهذا هو المفهوم التربوى الذى جاء به الاسلام ، وكرس القرآن والرسول من أجله عددا كبيرا من الآيات والاحاديث . وتلك هى ميزة الاسلام عن سائر المبادىء الوضعية التى تعانى ثنائية وازدواجا فى طبيعة العلاقة بين العلم والعمل . هذه الثنائية التى تتبدى فى دراساتهم ومشاريعهم النظرية ، وفى واقعهم العملى .. فهنالك دائما جدار فاصل بين المذاهب وبين الاعمال . والذى يقرأ معطيات الوضعيين الفكرية والفلسفية منذ عهد أفلاطون وحتى العصر الحديث يلاحظ هذه الثنائية وما من شك فى أن هذا الانفصال أمر محتم فى كل مبدأ لا يخاطب كينونة الانسان ، ولا يتعامل مع واقع الحياة ، ولا يرسم الخطوات الحصيفة لربط الاسباب بالمسببات والافكار بالاعمال . ان جانبا من أهم جوانب اعجاز الاسلام ربما انه مبدأ الهى — هو هذا الاتصال الطبيعى ، العفوى بين التوجيه والتنفيذ ، أو بين

العلم والعمل . لأن الله ـــ الذى هو سبحانه ادرى بخلقه ـــ كان يخاطب فى رســالاته دائما فطرة الانســان وكينونته ، لا جــانبا واحدا منه فحســب . وكان ـــ ســبحانه ـــ قد هيأ لمبادئه كل امكانات التعامل مع الواقع البشرى للتسامى به الى الآفاق التى شهدها دائما تاريخ الأنبياء والمؤمنين . وقد أدرك الأنبياء ، ومن بعدهم خلفاؤهم وتلاميذهم ، ان اخطر ما يمكن أن يصيب اتباع ديانة من الديانات هو ايجاد هذا الانفصال الخطير بين العلم والعمل ، وخلق هذه الثنائية بين التوجيه والتنفيذ . لأن ثنائية كهذه ـــ مهما كانت درجتها ـــ كفيلة بتجميــد فاعلية المبادىء الاســاسية للأديان من جهــة ، وتمزيق وحدة الذات الانسانية من جهة أخرى ، بحيث لا تغدو قادرة أبدا على التوحد واعادة الانسجام والأخذ عن المبادىء السابقة . هذا ما حدث لبنى اسرائيل ، ولكثيرين غيرهم من اتباع الديانات . فضلا عن ان ثنائية كهذه امر محتم بالنسبة لكل المبادىء الوضعية التى تقع دائما فى خطأ اهمال الانسان كانســـان ، ومخاطبة جانب واحد منه فحسب . ومن ثم تفقد أية قدرة على تربيته وتحريكه . ومن جهة أخرى فان من الامور المســلم بها ان العمل ، دون قاعدة علمية توجيهية ، لا يأتى بأية نتيجة جدية . وهذا العمل ، وان كان يتسم احيانا بطابع الشعبية والجماهيرية الا ان نتائجه تأتى دائما كالزبد الذى يخدع فورانه الظاهر كثيرا من الناس . ثم انه سرعان ما يذهب جفاء ولا ينفع الناس !! وتلك هى حركات الفوضى العديدة التى شهدها التاريخ ، والتى انبثقت عن اعمال مرتجلة لا تســتند الى أية قاعدة توجيهية أو علم .. كيف انطلقت كمياه الفيضان الجارفة التى تحطم السدود ، وتسحق فى طريقها كل عناصر الحياة والنماء ، وتنشر الموت والدمار والخراب . ثم ما تلبث أن تبتلعها أغوار الأرض ، وتمتصها أشعة الشمس المحرقة ، فلا تنكشف ـــ بعد ذلك الهدير ـــ الا عن أراض تتحدى ارادة الدمار والتخريب عن غير علم ، وتنتظر الايدى العاملة التى تعرف كيف تستنبتها وتنشر فيها الخضرة والحياة .

وها هو عمر بن عبد العزيز ، يحذر الامة الاسلامية ، ومسؤوليها ، من خطأ الوقوع فى هذه الهاوية ، فيبعث برسائله المتتالية ، منددا ، محذرا ، طالبا الالتزام الكامل بالتوحد بين العلم والعمل . يكتب الى عامله على خراسان : (ان العلم والعمل قريبان !! فكن عالما بالله عاملا له ، فان أقواما علموا ولم يعملوا فكان علمهم عليهم وبالا) وفى رسالة أخرى له يقول : (اما بعد : فاعمل عمل رجل يعلم ان الله لا يصلح عمل المفسدين) ويعلن (ان من عمل على غير علم كان مـــا يفسد أكثر مما يصـــلح !! ومن لم يعد كـــلامه من عمله كثرت ذنوبه) ويعمم رســـالة على عماله يحثهم فيها على اتباع ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه .

وعمر ، فى توجيهاته وأوامره تلك لعماله وموظفيه ، يريد أن يجعل من كل واحد منهم (القدوة الحية الصالحة) فى الاقليم الذى يشرف عليه ، كى يقتدى به مواطنو ذلك الاقليم . كما يريد منهم تحويل الاجهزة والامكانات الادارية التى بأيديهم الى وسائل تربوية تستهدف الربط الدائم ، والمراقبة المستمرة ، لتحقيق مفهوم التوحد بين العلم والعمل .

ورسائل أخرى كثيرة ـــ لا مجال لعرضها ـــ فى ميادين توجيهية وتثقيفية شتى ، كان عمر يصدرها الى كل الجهات ، فضلا عن رسائله فى ميادين الحرب والسياسة والادارة والاقتصاد ، تتكشف كلها عن شيئين اساسيين . أولهما : ثقافة عمر الواسعة ، وذكاؤه الفذ ، وادراكه العميق لأساليب التعليم والتربية والتفكير . وثانيهما : حرصه العجيب على خلق أجواء ثقافية حرة ، وحركة علمية

دائبة ، وحوار فكرى متصل بين كبار مثقفى الامة وعلمائها وفقهائها ، تلك الاجواء التى جعلت عصر عمر ـــ الذى لم يتجاوز السنتين والنصف ـــ يعج بعدد كبير من أبرز العلماء والفقهاء والمفكرين . عدد لم يشهد مثيلا له ، كثرة وتركيزا ، أى عصر آخر مهما طال . واليكم بعض الأسماء : خارجة بن زيد بن ثابت ، يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، ابو سلمه بن عبد الرحمن ، سالم بن عبد الله بن عمر ، القاسم بن محمد بن أبى بكر ، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، محمد ابن كعب القرظى ، عاصم بن عمر بن قتادة ، نافع مولى عبد الله بن عمر ، سعيد ابن يسار ، محمد بن الحارث التيمى ، عبد الله بن دينار الزهرى ، وعبد الله بن أبى بكر ، عطاء بن أبى رباح، مجاهد بن جبير ، عكرمة مولى عبد الله بن عباس ، الشعبى ، سالم بن أبى الجعد ، حبيب بن أبى ثابت ، عبد الملك بن ميسرة الهلالى ، ابو اسحق السبيعى ، الحسن البصرى ، ابن سيرين ، ابو قلابة عبد الله بن يزيد ، عبد الملك بن يعلى الليثى ، زيد بن نوفل ، علقمة بن عبد الله المزنى ، رجاء بن حيوة ، مكحول الدمشقى ، راشد بن سعد ، سليمان بن حبيب المحاربى ، ميمون بن مهران ، يزيد بن الأصم ، ابو قبيل المعافرى ، طاووس اليمانى !!

لم يأخذ الزهو عمر بن عبد العزيز يوما ، وهو معلم العلماء ، فيسعى الى استغلال منصبه ليظهر أمام هذا الحشد العظيم من العلماء ، واقفا على القمة .. وحاشاه .. ان رأيه كان ينصب دائما على أن يكون معهم .. مع ابناء الأمة التى يرعاها فى شتى المجالات .. فى ميدان الحرب والسياسة كان عمر مع الجندى ومع المعارضة !! وفى ميدان الادارة كان عمر مع أبناء الولايات حتى لو تاخمت بلادهم حدود الصين أو انتثرت على سفوح البيرنيه .. فى ميدان الاقتصاد والاجتماع مع المظلومين والفقراء والبائسين حتى يرفعهم الى الكفاية . وها هو ـــ فى هذه الساحة ـــ عالم من العلماء ، واحد منهم ، يأخذ منهم ويعطيهم ويجتمع بهم اجتماع الرفيق برفاقه ، والند بأنداده .. كان رضى الله عنه يعلم أن هؤلاء العلماء هم رءوس الأمة المفكرة ، ومخططو برامجها العقائدية ، ورواد شرفها وامتيازها وتفردها على الأمم . ومن ثم فان المكانة والتقدير التى حظى بها كل منهم ، بلغت فى عهد معلم العلماء شأوا بعيدا .. ونحن اذ نؤكد هذه الحقيقة ، نورد هذا الكتاب ، من بين عدد من الكتب والتأكيدات ، لنختتم به ـــ فى نفس الوقت صفحة مشرقة من خلافة الخليفة المعلم الى عدى بن ارطاة ـــ عامله على البصرة : (انك لن تزال تعنى الى رجلا من المسلمين فى الحر والبرد يسألنى عن السنة كأنك ، انما تعظمنى بذلك !! وايم الله لحسبك بالحسن (البصرى) . فاذا اتاك كتابى هذا فسل الحسن لى ولك وللمسلمين .. فرحم الله الحسن فانه من الاسلام بمنزل ومكان ، ولا تقرئنه كتابى هذا !!) . وتلك هى قمة التواضع التى ما بلغها يوما علماء الارض ومفكروها .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ١٩٣/٩ .

(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ٣٢٥/١ .

(٣) على ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامى العام ص ٣٠٨ .

(٤) حسن ابراهيم حسن : المصدر السابق ٣٢٥/١ .

(٥) تذكرة الحفاظ ص ١٠٦ .

(٦) المصدر السابق ص (١٠٦) .

وثيقة إسلام جورج

جرت فى موقعـــة اليرموك محاورة طريفة بين خالد بن الوليد ، وبين جـــورج بن تيودور ، وهو نصرانى رومى .

نادى جورج : ليخرج الى خالد . فخرج خالد حتى التقى بـــه بين الصفين . .

فلما أمن كلاهما صاحبه قال جورج : يا خالد أصدقنى ، ولا تكذبنى ، فان الحر لا يكذب ، ولا تخـــادعنى فان الكريم لا يخـــادع المسترسل .

باللـــه هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء ، فأعطاكـــه فـــلا تسله على قـــوم الا هزمتهم .

قال : لا !

قال : فبم سميت سيف اللـــه .

قال : ان الله عز وجل بعث فينا نبيه ، فدعانا ، فنفرنـــا منه ، ونأينا عنه جميعا ، ثم أن بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنـــا باعده وكذبه ! فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتلـــه ، ثم ان اللـــه أخذ بقلوبنا ونواصينا فهـــدانا به فتابعناه .

فقال : أنت سيف من سيوف اللـــه سله الله على المشركين ودعـــا لى بالنصر ، فسميت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين .

قال : صدقتنى .

ثم أعاد اليه جورج : يا خالد أخبرنى الام تدعونى .

قال : الى شهادة أن لا الـــه الا اللـــه وأن محمـــدا عبده ورسوله، والاقرار بما جاء به من عند الله .

قال : فمن لم يجبكم ؟

قال : فالجزية ، ونمنعهم : أى نحميهم من أعدائهم .

قال : فان لم يعطها ؟

قال : نؤذنه بحرب ثم نقاتلـــه .

قال : فما منزلة الذى يدخل فيكم ، ويجيبكم الى هذا الامـــر اليوم ؟

قال : منزلتنا واحدة فيما افترض اللـــه علينا : شريفنا ووضيعنا ، وأولنا وآخرنا .

ثم أعاد عليه جورج : هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل ما لـــكم من الاجر والذخر ؟

قال : نعم وأفضل . . !

قال جورج : باللـــه لقد صدقتنى . ولم تخادعنى ، ولم تتألفنى .

قال : باللـــه لقد صدقتك ، وما بى اليك ولا الى أحد منكم وحشة ، وان اللـــه لولى ما سألت عنه !

فقال : صدقتنى ، وقلب الترس ومال مع خالد وقال : علمنى الاسلام . فمال به خالد الى فسطاطه ، فشن عليه قربة من ماء ، ثم صلى ركعتين .

هؤلاء ابتغوا الإسلام ديناً..

الأستاذ محمد نعيم

فى مكتب الدكتور عبد الحليم محمود .. التقيت بهم .. رجلين وامرأة .. اعتنقوا الاسلام منذ مدة قصيرة ، وجاءوا الى الازهر ليدرسوا اللغة العربية ، وعلوم القرآن الكريم .. وجرى بيننا حديث طويل رووا فيه قصة اسلامهم ، ولمحات من حياتهم السابقة للاسلام .. وكان مما قالوه لى .. أنهم عاشوا الحياة المادية بكل جوانبها ، ومع ذلك لم يجدوا انفسهم وظلوا يبحثون ويدققون ، فلما وجدوها كانت على اول طريق الاسلام ..

قلت لهم : ولماذا اخترتم الاسلام ؟ ..

قالوا : وجدناه بعد قراءات طويلة ودراسات مستفيضة ، خير دين لنا .. فهو دين العقل والحق .. دين البشرية والاسرة ..

.. .. ..

.. واذا كنا نقدم اليوم للقراء قصة اسلام هؤلاء الثلاثة ، فانما نسوق حقيقة لتكامل انسانيتهم ورجوعهم الى سليم فطرتهم ، وصدق الله العظيم اذ يقول « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون » ..



عائشة عبد الله وفارض رحمة اللهومصطفى يوسف ..

ونبدأ بأول عناصر هذه القصة .. الأخ مصطفى يوسف ، الذى كان يسمى فى السابق « ستيفنس كلارك » .. وهو أمريكى الجنسية من مواليد مدينة نيويورك وعمره ٢٢ عاما .. متخرج من جامعة كولومبيا — قسم الاديان الشرقية ..

يقول الأخ مصطفى .. كانت المادية التى سيطرت على مختلف نواحى الحياة تبعث فى نفسى الضيق والاضطراب .. وكنت أبحث عن مخرج ينتشلنى من حومة القلق القاتل الذى الم بحياتى .. كنت أبحث عن الحياة الانسانية الصحيحة التى تحكمها روابط المودة والاخاء والحق والعدل والسلام .. كنت انشد الاستقرار الروحى الذى يوصل الى السعادة الحقيقية .. وفى طريق البحث المستمر صادفتنى موجة « الصوفية » السائدة بين الشباب المسلم ، فاستهوتنى ، ونالت اهتمامى .. وفى نفس الوقت دفعتنى لدراسة هذا التصوف .. فالتحقت بجامعة كولومبيا — قسم الاديان الشرقية — وكان من الطبيعى أن أدرس الاديان عامة ، ومن بينهم الدين الاسلامى ، ولكنى تبينت بعد فترة من الزمن أن الدراسة بالقسم المذكور مركزة فى البوذية والهندوكية ، فلجأت الى مكتبة الجامعة التى كانت تحتوى على كثير من كتب التصوف فى الاسلام ، وأقطاب المتصوفين ، ثم تابعت قراءاتى فى المكتبة العامة بالمدينة .. وكان الغزالى من أحد الشخصيات التى قرأت لها ، فى كتابه « احياء علوم الدين » .. وبعض الكتب الاخرى المترجمة ..

صلى الله عليه وسلم ، بشر ، وضع موضع الاسوة التى يمكن لكل بشر أن يقتدى بها ، لأنه بشر مثله .. وايمانا بذلك ، قررت أن أعتنق الاسلام فتوجهت الى تونس حيث قابلت الشيخ الجليل الفاضل بن عاشور ، من علماء تونس المبرزين ، وأسلمت على يديه ..

.. .. ..

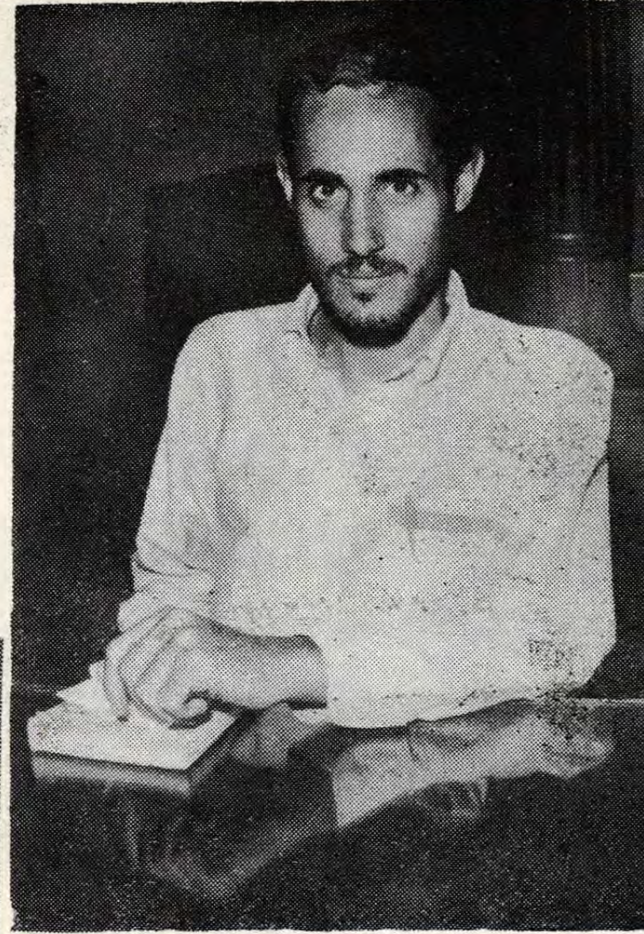
ويجيء دور الأخ فارض رحمة الله .. وكان اسمه السابق « فيدور ايفان جفرنور » .. وهو فانزويلى الجنسية من مواليد مدينة كاراكاس



« فيدور ايفان جفرنور »
أصبح
فارض رحمة الله

ــ عمره ٢٧ عاما ، ومتخرج من جامعة كولومبيا ــ قسم فن الاعلام الجماهيرى وشعبة الانتاج السينمائى ..

فيقول الأخ فارض .. هجرت



« ستيفنس كلارك »
أصبح
مصطفى يوسف

كما قرأت عددا كبيرا من التراجم لاشعار جلال الدين الرومى .. وغيرها .

وبعد الدراسة والاطلاع لمست أن كثيرا من تعاليم الاديان ، لا تتفق مع العقل والواقع .. فكيف مثلا : اذا ضربنى أحد على خدى الايمن ، أدير له خدى الايسر .. أو يتحول الخمر والخبز الى دم المسيح ولحمه فى بدن الانسان .. وغيره .. انها مسائل تدخل فى باب السحر ، ولا تدخل فى باب الواقع كما أن المسيح كان يعيش حياة يتعذر على الانسان أن يحيا مثلها . انه من عالم آخر ، وينبغى لمن يريد أن يتابعه أن يكون من جنسه ، ليستطيع أن يفعل مثله .. أما بالنسبة للاسلام .. فمحمد

أسرتى الى الولايات المتحدة الامريكية ، ودرست فى المعاهد العليا هناك ، ثم توجهت الى ايطاليا حيث تخرجت فى أكاديمية الفنون الجميلة بجامعة روما ، وعدت مرة أخرى الى أمريكا لألتحق بجامعة كولومبيا — قسم فن الاعلام الجماهيرى — شعبة الانتاج السينمائى .. وخلال مراحل دراستى واتصالاتى لمست الكثير من التناقضات داخل المجتمع الامريكى ، ووسط الطلاب .

وبعد تخرجى كانت معى مهنة ذات دخل عال يحتاجها المجتمع بكثرة ، فعملت فى نيويورك ، وهوليود ، وكاليفورنيا ، وشيكاغو .. ومارست كل التقاليد والعادات المتبعة هناك .. وتمتعت بكل الامتيازات المادية من حياة فاخرة ، وغيرها من الاشياء التى يعرفها الناس ، والتى توفرها مهنة السينما .. والغريب أن كل فرد فى العالم حين ينظر الى الافلام الامريكية يتمنى أن يعيش الحياة الامريكية ، وعندما يعرف الناس أننى قادم من أمريكا يدور بأذهانهم هذا المستوى الذى يرونه فى أفلامهم ..!!.. ولكننى رغم ذلك كله اكتشفت أن ما أعيش فيه انما هو حلم .. بل حلم فارغ .. أو حلم خطر .. فقد كنت أحلم بالنجاح فى الحياة ، ولكننى بعد أن حصلت على هذا المتاع الدنيوى لم أجده شيئا .. ولم أحصل على السعادة الحقيقية ، بل وجدت أننى كنت فى خدعة كبرى ، ولم أجد أمامى طريقا آخر ، فانغمست مرة أخرى فى الشهوات حتى وصلت الى مرحلة أحسست أننى أعيش من خلالها فى جهنم نفسها .. هذه جهنم الذى يتمنى كل انسان أن يدخلها !! ..

(وهذا معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم « حفت النار بالشهوات » .. فالسيارات والنساء والخمر ، وكل ما تمتلكه الولايات المتحدة من هذه الشهوات والرغبات المادية) .. ولم يعد أمامى غير احتمالين .. اما أن أستمر فى هذه الخديعة الجهنمية ، وكان ذلك مستحيلا بعد أن زاد شقائى ، أو أن أهرب منها الى طريق آخر .. لكن ما هو الطريق ، فلا أعرف .. وخلال هذه المعاناة كان لا بد لى من قوة عليا تخرجنى من تلك الحيرة ، ومن ذلك اليأس ، فنظرت عفوا الى الدين ، وكنت منذ صغرى مسيحيا كاثوليكيا ، ودرست فى المدارس الكاثوليكية بمدينة نيويورك ، ولكنها تركت انطباعا سيئا فى نفسى ، ثم درست البوذية والهندوكية ، وبعض الديانات الوثنية ، ولكنى لم أطلع على الاسلام طوال هذه المدة ، فقد كان من السهل الاطلاع على كل الاديان فى أمريكا ، ما عدا الدين الاسلامى .. ويرجع ذلك الى سببين :

● أولهما : أن المؤسسات اليهودية هى التى تتحكم فى وسائل الاعلام من صحافة وسينما ومسرح .. وكل شىء .

● ثانيهما : أنه حدث أن تحول قسم دراسى بأكمله الى الاسلام ، وتصادف أن جميع طلبته كانوا من السود .. والسواد هناك يساوى فى نظرهم الشيطان ، أو الموت .. والزنوج يمثلون مقدمة الثورة ، وكذلك دينهم يمثل دينا خطيرا باعتباره مقدمة للثورة ..

وبعد أن نظرت فى هذه الاشياء ، وفى الاديان الاخرى ، لم أجد ما يشفى روحى ، فتوجهت الى الله أن يوفقنى ويهدينى .. وما لبثت أن اتخذت بالفطرة هيئة السجود التى

يعرفها المسلمون فى صلاتهم .. وشعرت فى هذا بالتسليم المطلق لهذه القوة العليا .. وكنت كلما شعرت بالحيرة أتجه الى الله بمثل هذه الصورة ، حتى رآنى بعض الناس ، فأخطرونى أن ما أفعله هو نفس ما يقوم به المسلمون فى صلاتهم ..

ولما كنت لم أجد مقنعا فيما قرأته من أديان ، فلم أبحث عن الاسلام الا بعد مرور شهرين ، فبدأت أقرأ عن الاسلام بعين ناقدة ويائسة .. أن أجد فيه !! .. ومن أهم ما قرأته كتاب الاستاذ حموده عبد العاطى « الاسلام تحت المجهر » ففيه على بساطته عمق ودقة ..

وأحاول الآن ترجمته الى الاسبانية لعل بعض المواطنين فى بلادى يطلع عليه ويهتدى به الى الاسلام ..

ثم قرأت ترجمة لمعانى القرآن ليوسف على ، فوجدت فى القرآن تعبيرا دقيقا عن أعماق نفسى ، وصورة مطابقة لفطرتى التى تذكرتها وأنا أتدبر فى معانيه .. فعندما كنت صغيرا تعودت الذهاب الى الكنيسة لاعترف « للأب » ببعض الخطايا ، لكنى أحسست وقتئذ أن هذا أمر غير طبيعى ، واتجهت الى الله مباشرة قائلا له : انك لا تحتاج الى قسيس يقف بينى وبينك ، لاعترف لك بذنوبى .. وبعد ذلك كنت كلما أردت أن أتوجه الى الله ، توجهت اليه مباشرة دون واسطة قسيس له ..

وهذا معنى أن الله قد خلقنا على الفطرة ، فالاطفال يولدون على الفطرة ، ولكن آباءهم ورؤساء الاديان يوجهونهم توجيها آخر ..

وزادت قراءتى للقرآن ، وتشبعت به ، وشعرت بالسعادة لأننى وجدت فيه تلبية لكل حاجاتى الروحية ، فقررت أن أعتنق الاسلام ، وأسلمت .. والواقع أننى كلما قرأت عن الاسلام ازددت يقينا بهذا الدين ، واكتشفت العديد من جواهر هذا الكنز الذى كان مختفيا على .. ويكفينى أنه فى الوقت الذى اعتبرنى فيه المجتمع ناجحا غاية النجاح كنت أشعر بينى وبين نفسى أننى محطم فاشل .. أما بعد أن أسلمت فان هذا المجتمع ينظر الى نظرته الى الرجل الفاشل فى الوقت الذى أعتبر نفسى فيه بلغت غاية من أقصى غايات النجاح .

وقد سمعت والدتى عن الاسلام فآمنت به ، وتبعتنى فيه .. واذا كان لى من حديث الى اخوانى المسلمين ، فاننى أرجو لهم أن ينظروا الى ما فى أيديهم من الدين الحق ، وأن يتمسكوا به ، ويحرصوا عليه ، دون أن ينظروا الى الحياة المادية ، والسعادة المادية الزائلة التى يبثها الشيطان .. وبدلا من أن يستمعوا الى موسيقى الجاز والروك آند رول ، عليهم أن يستمعوا الى صوت المؤذن وهو يناديهم « الله أكبر .. الله أكبر .. حى على الصلاة .. حى على الفلاح » .

•• •• ••

أما الأخت عائشة عبد الله .. وكانت تعرف قبل الاسلام باسم « فرجينيا جراى هنرى » فهى أمريكية الجنس من سكان مدينة

لوى فيل كنتكى ــ وعمرها ٢٦ سنة ، ومتخرجة من جامعة كولومبيا ..

تقول الاخت عائشة .. كنت منذ صغرى متدينة ، أذهب دائما



« فرجينيا جراى هنرى »
اصبحت
عائشة عبد الله

الى الكنيسة البروتستانتية التى انتمى اليها .. وكان من تعاليم هذه الكنيسة أن أؤمن بالحياة الآخرة .. ولكن اية حياة هذه ومعظم الناس لا يفكر فى الموت .. الا عندما يتقدم فى السن ..

وحدث فى صغرى أن شاهدت كثيرا من قريناتى واقرانى فى السن يموتون فى بعض الحوادث ، فبدأت أفكر فى مصيرهم ، وماذا يحدث لهم بعد موتهم ؟ .. كما ان طريقة الحياة الامريكية تجعل المرء يشعر فى قرارة نفسه أنه سيموت عندما يبلغ الستين من عمره ، فعليه أن ينتهز فرصة هذه الحياة لينفقها فى المتعة والملذات قبل أن ينتهى كل شىء !!

ولم أكن راضية عن هذه الحياة التى تحيط بى .. وبحثت عن سبيل للاستقرار الروحى ، فالتقيت بحركة كبيرة تسمى « الروحية » تؤمن بالحياة بعد الموت ، وعند بعضهم ــ كما يقولون ــ مقدرة على الاتصال بعالم الاموات .. ويرون أن هؤلاء من الموهوبين !! .. ولكن عندما تتفحص وجوههم أثناء غيبتهم ، واتصالهم بهذا العالم الذى يقولون عنه ، انه عالم روحى ، تجدهم لا يسألونه ارشادا عن الحياة الروحية ، ولا عن الحياة الطيبة الصالحة ، ولكنهم يسألونه عن النواحى المادية التى لا صلة لها بالدين .. كما يعتقدون أن كل شىء له تعليل فى حياتهم المادية يكون فى عالم الارواح ، أو يكون من عالم الارواح .

وقلت فى نفسى ان عالم الارواح لا يعقل أن يقتصر عمله فى ارشادهم على الحياة المادية الزائلة ، ولا شك أن ذلك هو عالم الجن الذى ذكره القرآن .. الا اننى لم أكن واثقة من ذلك .. وشعرت بأنه ينبغى على أن اجمع البراهين العقلية الكافية لاثباته ، فدرست فى الجامعة مقارنة الاديان لمدة أربع سنوات باستثناء الدين الاسلامى الذى لم يكن يدرس لنا لأن رئيس القسم كان أستاذا يهوديا يدعى « موريس فريدمان » .. واستمر بحثى عن حقيقة عالم الارواح مستعينة بخبرتى التى اكتسبتها فى الحركة الروحية ، وباتصالاتى بأحد الاساتذة الانجليز

الضالعين فى هذا المضمار ، لكنه مع الاسف قتل بعد مدة ، فهزنى ذلك من أعماقى ، ووجدت كل شىء حولى يبدو غير حقيقى ، حتى الكتب التى تنشر عن الاديان .. فمؤسسة مثل مجلة « لايف » التى تشرف عليها هيئة يهودية تنشر كتبا عن الاديان مثل البوذية والهندوكية والاسلام وكأنها أديان أثرية غير حية ، لذلك كان اطلاعى على الاسلام ضعيفا ، ولم أشعر بوجوده الا بعد أن أسلم زوجى ، فبدأت أقرأ وأدرس الكتب الصوفية ، والتراجم الاسلامية ، وأسأل المسلمين عن تعاليمه حتى وجدت فيه الهداية والحقيقة التى أبحث عنها فأسلمت .

.. وشعرت عندئذ أن الله قد أنعم على بأعظم نعمة حين هدانى الى الاسلام .. فقد تغير كل شىء فى حياتى .. حتى نظرتى الى الحياة قد تغيرت .. انها معجزة كبرى ..

هذه هى قصة ثلاثة من الاخوة جاءوا من الغرب ونزلوا فى ضيافة مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر .. لم تجمع بينهم سوى العقيدة الواحدة .. والهدف الواحد الا وهو الاستزادة من علوم دينهم الجديد حتى يكونوا فى بلادهم مشاعل تضىء الطريق لكل متخبط ، أو حائر .. وليردوا بأنفسهم على الافتراءات الكاذبة التى يلصقها المشككون بالاسلام ..

حقائق وأرقام

الحديث عن القدس جد اليم ..

بعد خمسة اسابيع فقط من سقوط القدس سنة ١٩٦٧ يبدأ مشروع بناء عشرة آلاف مسكن على مدى اربع سنوات ثم تم الآتى :!

- **عاد اليهود الى الحى اليهودى من القدس .**
- **هدم السور الذى يفصل المدينة القديمة عن الجديدة .**
- **تم بناء مستعمرة على تل الذخيرة شمال القدس .**
- **فى ربيع ١٩٦٩ تم بناء حى جديد من ١٤٠٠ مسكن شمال شرق القدس .**
- **اعلن فى سبتمبر ٦٩ عن بناء ٢١٠٠ مسكن على امتداد شارع النبى اسرائيل وانجز ذلك فى مارس ١٩٧٠ .**
- **بدأ بناء ١٤٠٠ مسكن آخر تنتهى فى نهاية ١٩٧١ .**
- **تم بناء مساكن لمائة عائلة فوق جبل المكبر .**
- **تم بناء ٢٠٠٠ دار فى منطقة النبى يعقوب بين القدس ورام الله .**

الوحدة العسكرية العربية

عرض وتحليل

للدكتور : محمد بديع شريف

بين يدى كتاب : «دراسات فى الوحدة العسكرية العربية» القاه محاضرات اللواء الركن محمود شيت خطاب على طلاب معهد البحوث والدراسات العربية قسم فلسطين فى القاهرة ونشرته جامعة الدول العربية فى القاهرة ونشرته دار الارشاد فى بيروت ايضا .

واللواء الركن خطاب صاحب سيف وقلم ، كتب والف فى الدراسات العربية والفتوحات الاسلامية والموضوعات الحربية كتبا جليلة القدر ، اخذت مكانتها فى المدارس الحربية فى البلاد العربية وفى المعاهد العلمية والجامعات والمكتبات ، وكتاباه : الرسول القائد والفاروق القائد ، وكتبه عن قادة الفتح الاسلامى من الكتب الخالدة فى المكتبة العربية ، وليس بدعا أن يبرز اللواء ايضا فى هذا البحث الذى يعتبر كتاب الساعة لمعالجة الواقع العربى ازاء عدو رابض فى اقدس قطعة من ربوع وطننا العربى . هذا العدو العنيد المتمكن يداب ليل نهار فى جمع العدة والعدد وتعبئة الجيوش المجهزة بالاسلحة الفاتكة للانقضاض على وطننا وتحقيق احلامه فى التوسع بين الفرات والنيل يشد ازره الاستعمار وتعاونه القوى المعادية للعرب والاسلام .

واللواء الركن خطاب قائد محارب شهد حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وخبر قوة اليهود ولمس مواطن الضعف والقوة فى صفوف العدو وصفوفنا ، ومن صفات القادة الاركان تقدير الموقف العسكرى ووضع الخطط ، فماذا كتب اللواء وخطط

حالفه صدق الحكم لخبرته فى موضوعه واختصاصه به وسعة اطلاعه . وها هو ذا يعرض فى كتابه هذا العرض الشامل لقوة هذه الامة يوم كانت موحدة تحت راية (الرسول القائد) ويوم تهيأت لها فرص الوحدة والاستقرار ، فاندفعت تحت راية الايمان تستأنف الفتح الاسلامى المتدفق فى الشرق والغرب ، فقصرت آماد الدهر وأمدت العالم فى أقل من ربع قرن بقواعد حضارة خالدة لا تزال مفخرة بين مفاخر حضارات الامم القديمة والحديثة ، تلك الحضارة العربية الاسلامية عنوان العدل والاخاء والمساواة .

ومنذ أن وقعت هذه (النكسة) التى نعدها جميعا فلتة من فلتات الزمن التى لم تألفها عزة الاسلام واباء الامة العربية منذ وقعة (ذى قار) الى يومنا هذا ، لا نزال حيارى فى تفسير وقوعها ، ولكننا سنجد فى هذا الكتاب ما يرفع الحيرة ويوضح السبب ويفتح الامل بالنصر المرتقب ، ويجيب اللواء فيـــه عما به الناس يتساءلون .

يقول اللواء : «ان ضرورة بقائنا أمة ذات سيادة ومكانة تحتم علينا أن نحقق الوحدة العســكرية ، وان نضـــع تحت اقدامنا كل ما يحول دون تحقيقها ، والا فسنكون بعد سنوات عبيدا فى بلادنا أو لاجئين فى بلاد اخرى . وكل فرقة تقع فى صفوفنا تهيىء لاسرائيل تحقيق أطماعها التوســعية ، والقاعدة الثابتة التى لا يمكن أن تتغير ليس بالنسبة الى العرب وحدهم بل بالنسبة الى شعوب العالم كلها ، هى أن الشعب ــ كل شعب ــ لا يكون قويا ما لم يكن موحد الصـــفوف والاهداف ، فالوحدة تجعل من الامة قوة ضاربة لا تغلب من قلة ابدا ، والفرقة تجعل من الامة غثاء كغثاء السيل لا قيمة لها فى حرب ولا سلام » .

ويضرب اللواء الامثال فى عهد عمر وعهد عثمان وعن معاوية بن ابى سفيان وعهد عبد الملك بن مروان ويجعل من سنة ثلاث وسبعين الهجرية فى عهده عاما لوحدة الامة حيث خفقت راياتنا على ربوات بلاد فارس والروم وربوع الاندلس الجميلة .

واسرائيل لا تخشـــى شيئا خشيتها من وحدة العرب ، ويروى اللواء عن (أنتونى ناتنك) قوله : « ان زعماء وزارة الخارجية الاسرائيلية قالـــوا له : ان حكومتكم ستلجأ الى كل وسيلة ممكنة من أجل ابقاء جيرانها العرب ممزقين » .

كما يروى عن المؤرخ البريطانى توينبى قوله : « ان القضية الفلسطينية لن تحل حلا نهائيا الا اذا اتحد العرب » .

ويعلق اللواء على هذين القولين : « ان المسئول العربى الذى يقدم على توحيد العرب وجهاد أعدائهم ، سيجد القلوب فى الوطن العربى تهوى اليه ، وسيجد النفوس فى دار الاسلام تبارك خطواته ، وسيجد الذين يقاومون جهوده يتهاوون تحت اقدامه كماتتهاوى أوراق الشجر اليابســـة فى أيام الخريـــف ؛ وحينذاك ســـيكون للعرب قوة لها شأن فى العالم كله تعيد للمســـلمين عزهم ومجدهم » . ويختم هذا التعليق بقوله : « بالوحدة تموت اسرائيل ، وبالفرقـــة يطول عمرها » .

ومن هذه القاعدة الثابتة قاعدة الوحدة الاساسية لحياة الشعوب ، يفتح اللواء آفاق الامل بالعزة والمجد ، ويقترح أن يعاد النظر فى تكوين جامعة الدول العربية التى هى المنظمة الوحيدة التى يمكن أن تجمع صـــفوفهم وتوحد كلمتهم وتجعلهم أكثر تعاونا وتكاتفا ، وأن يكون أسلوب عملها حلفا سياسيا عسكريا ،

وان يتكون فيها جهازان : الجهاز السياسى والجهاز العسكرى ، ويجب أن يكون واجب مؤتمر القمة الخامس تحقيق هذا الامل الكبير للعرب ، وان يستفيد مؤتمر القمة من تجارب الاحلاف العسكرية الكبرى فى العالم وعلى رأسها حلف الأطلسى للدول الغربية وحلف وارسو للدول الشرقية .

ويقترح اللواء ان تتألف أجهزة الوحدة السياسية العربية والوحدة العسكرية من مجلس الملوك والرؤساء لمعالجة المصالح المشتركة ورسم الاتجاهات السياسية وتقديم التوجيهات الكبرى ورعاية تنفيذ المقررات ورسم السياسة العليا للعرب ورسم السياسة العسكرية للدول العربية والمصادقة على القرارات الهامة التى سيعرضها عليه مجلس الدفاع المشترك الذى يعتبر الموجه الرئيسى للسياسة العسكرية العربية والذى يتألف من وزراء الدفاع ورؤساء أركان الجيوش العربية وهو تكوين يستحسنه اللواء على أن يجتمع مجلس الدفاع دوريا مرتين فى كل عام على الأقل اضافة الى حضور أعضائه اجتماع مجلس الملوك والرؤساء . ومجلس رؤساء الحكومات العربية الذى يتألف من رؤساء الوزارات فى البلاد العربية والذى واجباته متابعة ومواصلة الاجتماعات الدورية بوضع مقررات مؤتمرات القمة فى حيز التنفيذ العملى .

ومهما يكن من شىء فان اللواء خطاب يؤكد القول دوما فى أن تكون اجهزة الجامعة فى التكوين السياسى والعسكرى قوية تستند الى قوة الشخصية والى الاختصاص فاذا كان الامين العام للجامعة العربية عسكريا فى نظره ، فيجب أن يكون من النوع المتميز الرفيع الذى يشرف الكرسى ولا يشرفه الكرسى ويكون الامين العام المساعد العسكرى ضابط ركن الامين العام وساعده الايمن فى الشئون العسكرية وهو همزة الوصل بين الجامعة العربية من جهة والقيادة العربية الموحدة من جهة أخرى . ويشترط اللواء تفرغا لهذا المنصب لان الذى يتولاه يجب أن يكون الدماغ المفكر لتفاصيل القضايا العسكرية التى لها صلة مباشرة بالجامعة العربية وان يكون مسئولا عن اعداد ملكات الاجهزة العسكرية وتفاصيل الميزانية وجداول اعمال الاجهزة ومناهج اعمالها وتوقيتها واعداد النشرات اللازمة عن واجبات هذه الاجهزة وتنسيق التعاون الوثيق الفعال بينها . وقد رسم اللواء جدولا ممتازا لا سلوب العمل فى الجامعة على أساس تكوينها حلفا سياسيا عسكريا .

ويعلق اللواء على هذه الاقتراحات بقوله : « ولا شك فى ان كيان الجامعة العربية حين تصبح حلفا عسكريا سياسيا سيكون أقوى مما هو عليه الآن داخل البلاد العربية وخارجها اذ ان مجرد اقامة هذا الحلف سيزيد فى التحام الدول العربية بالجامعة وسيساعد على زيادة شعور الجامعة العربية نحو القضايا العسكرية لانها ستكون مسئولة عن تلك القضايا بالاضافة الى مسئوليتها السياسية ، والواقع هو ان ميثاق الجامعة العربية جمع شمل الدول الاعضاء فى رابطة ابتدائية وتجريبية الا انه لم ينشىء أجهزة قوية لها من السلطات والصلاحيات ما يجعلها قادرة على تحقيق اهداف الجامعة ، لذلك جاءت هذه المنظمةاتحادا ضعيفا وجودهأفضل من عدمه ولو أن هذا الوجود كان يجب أن يكون اكثر فائدة للعرب .

وفى هذا الكتاب عرض ممتاز للقيادة العربية الموحدة ويوجه اللواء اليها نقدا ذاتيا ولكنه نقد بناء ففى رأيه أن تأسيس هذه القيادة كان لطمة قاسية لاسرائيل ولمن وراء اسرائيل لان كل توحيد للجيوش العربية يبدأ من انشاء هذه القيادة ولأن

هذه القيادة هى النواة الصالحة المنشئة البناءة للوحدة العسكرية العربية ولأن اسرائيل ستكون مهددة بأفدح الأخطاء اذا قدر للوحدة العسكرية العربية ان توضع فى حيز التنفيذ وقد حملت اسرائيل عليها حملة شعواء واخذت تبث التشكيك فى هذه القيادة وعاونتها الصحف المعادية لنا وساعدت على ذلك الأذاعات الاجنبية الضالعة مع اسرائيل ولاسرائيل العذر ولمن وراء اسرائيل العذر فى ان يرجفوا ويشككوا ولكن ما عذر العرب فى اقتفاء آثار اسرائيل فان اكثر العرب الذين ينهضون بالتشكيك لا يعرفون اقل القليل عن واجبات هذه القيادة وعما قامت به منذ مولدها عام ١٩٦٤ حتى تجميدها فى اوائل عام ١٩٦٧ . ان اعمال هذه القيادة فيها السرى وفيها الجهرى وما خفى من اعمالها اعظم مما ظهر وسوف تظهر الايام اعمالها ويومها سيندم الذين فرطوا فى حقها من العرب ولات ساعة مندم .

وبعد هذا العرض النقدى يوضح اللواء واجبات القيادة الموحدة ويجملها فى توحيد التدريب العسكرى وذلك لتنوع السلاح وتطور الكتب التى تبحث فى التدريب تبعا لتطور الاسلحة ثم التمارين العسكرية بقطعات ودون قطعات والعمل على توحيد تسليح الجيوش العربية وانتاج السلاح والذخيرة وتعاون البلاد العربية فى توزيع الانتاج كل حسب مقدرته . وتوحيد تنظيم الجيوش وتوحيد التجهيز مع انتاج التجهيزات انتاجا محليا ومن واجبات هذه القيادة ايضا جمع المعلومات العسكرية المفصلة عن قوات العدو وقياداتها وتنظيمها وتسليحها ومصانعها ومجمل القول ان تنظيم القيادة العربية فى راى اللواء الذى اورده فى هذا البحث تنظيما كما ينبغى يجعل مهمتها فى اداء واجباتها الصعبة سهلة ميسورة وفى الملحق (ب) وضع اللواء مخططا ممتازا للقيادة السياسية واجهزتها والقيادة العسكرية واجهزتها ليوضح تناسق العمل والترابط بين القيادتين .

ولا ينسى اللواء ما للوحدة العسكرية من اثر فى المعنويات التى يزيد بها القوى الكامنة فى صلب الانسان التى تكسبه القابلية على الاستمرار فى العمل والتفكير بعزم وشجاعة مهما اختلفت الظروف المحيطة به ومهما اشتدت الازمات وكثرت التضحيات ، ويضرب لتوضيح ذلك أروع الامثلة ومن ذلك ما نقله عن خالد بن الوليد قبيل نشوب القتال بين المسلمين والروم فى معركة اليرموك الحاسمة عام ثلاثة عشر الهجرية (٦٣٤م) قال رجل من المسلمين لخالد ابن الوليد : ما اكثر الروم واقل المسلمين ، فقال خالد ما اقل الروم واكثر المسلمين انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان . ومعنى ذلك ان الجيش بعدده وعدده وبمعنوياته وليس العدد والعدد بأهم من المعنويات بالنسبة للجيوش خاصة وبالنسبة للشعوب عامة . ونقل عن نابليون انه يقول : « قيمة المعنويات بالنسبة للقوى المادية ثلاثة على واحد » وايده كبار القادة فى الماضى والحاضر .

والمعنويات للجيوش لا تزال ذات قيمة عظيمة حتى بعد ظهور الاسلحة الجهنمية الفتاكة وستبقى عاملا حاسما من عوامل النصر . ومن الجدير بالذكر ان ادامة المعنويات اصبح مبدءا من مبادىء الحرب بعد الحرب العالمية الثانية .

ويقول اللواء ان العقيدة من أهم عوامل تقوية المعنويات ولا نصر لجيش لا عقيدة له يدافع عنها دفاع المؤمن بها ويضحى فى سبيلها بما يملك من روح ومال والعقيدة هى التى تشيع الانسجام الفكرى فى العقول والقلوب معا واختلاف العقيدة فى الجيش الواحد يجعل منه قوة غير متعاونة كذلك اختلاف العقيدة فى الشعب الواحد يجعل منه كتلا متناقضة وتحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ، والقيادة الممتازة ترفع المعنويات والقائد الممتاز هو الذى يحوز ثقة من يعمل تحت قيادته

ولن يجوز ذلك حتى ينسى نفسه من اجلهم ويفعل ما يقول وينفذ أوامره على نفسه قبل ان ينفذها على غيره ومن صفاته أن يكون واعيا نزيها على خلق رفيع حريصا فى اداء اعماله ، حريصا على مصير الذين هم تحت قيادته سريع القرار يتحمل المسئولية محبا لرجاله واثقا بهم ويولى الرجل منهم العمل المناسب له ولا يميل لأحد ويساوى نفسه برجاله ولا يستأثر عليهم بشىء ويتمتع بشخصية قوية نافذة . مثل هذا القائد يراه اللواء قائدا يسير برجاله الى النصر فى يسر وسهولة . ويقول اللواء ان انتصارا واحدا للعرب على اسرائيل كفيل أن يبدل المعنويات العربية من حال الى حال . وبعد أن يفصل اللواء القول فى مكانة المعنويات بالنسبة للجيوش والشعوب ينتقل الى أثر الوحدة العسكرية فى تكامل الانتاج الحربى وتطويره ويرى ان الوطن العربى من المحيط الى الخليج وحدة اقتصادية متكاملة والتنسيق الاقتصادى العربى يؤدى حتما الى الاكتفاء الذاتى للعرب ويحرم اسرائيل من اطماعها وتهديد العرب اقتصاديا .

وكل تخطيط سليم فى هذا السبيل يضع المبادأة الاقتصادية بيد العرب على اسرائيل ومن وراء اسرائيل ففى بلاد العرب الثروة البترولية وفيها الثروة المعدنية فى اختلاف المعادن وفيها الثروات الطبيعية الاخرى والمواد الخام ما يعادل جميع الثروات الطبيعية فى أوربا كلها ، وفى بلاد العرب الممرات البرية والبحرية والمراكز السوقية (الاستراتيجية) الممتازة التى يستطيع اصحابها التحكم فى قارات ثلاث . ويركز اللواء القول على التنسيق الصناعى وصنع الاسلحة المختلفة والاكتفاء الذاتى بقدر المستطاع ومن اهداف التنسيق الصناعى العسكرى للعرب كما يراه اللواء اقامة معامل مختلفة فى الاقطار العربية تنتج سلاحا او ذخيرة أو تجهيزات عسكرية فاذا كان مصنع عربى ينتج سلاحا خفيفا فيمكن أن ينشأ مصنع آخر فى قطر عربى آخر ينتج غير هذا السلاح وهكذا يكون هدف التنسيق زيادة فى التعاون بين البلاد العربية فى التسليح والتجهيز .

ويقول اللواء ان تنسيق الصناعات العسكرية فى كل دول العالم يعتمد على ثلاثة اصناف من الخبراء وهم الخبراء العسكريون وهؤلاء واجبهم اعطاء القرار عن اسبقية انشاء المصانع الحربية ومواضع انشائها ومقدار انتاجها والحفاظ على امنها وسرية انتاجها . والخبراء الاقتصاديون وهؤلاء واجبهم اعطاء القرار عن احسن طريقة اقتصادية لاخراج هذه المصانع الى حيز الانتاج لتسد حاجة الجيوش العربية فى الحاضر والمستقبل ، وعلماء انتاج السلاح والذخيرة والتجهيزات العسكرية وهؤلاء واجبهم انتاج هذه المواد بكفاية ومقدرة وبميزات مفضلة وكميات تسد حاجات الجيوش العربية حاضرا ومستقبلا . وقد بذلت الجامعة العربية وبعض الدول العربية والقيادة العربية الموحدة جهودا لتنسيق الصناعات العسكرية العربية ولكن هذه الجهود لم تثمر لان الوحدة العسكرية لم تصبح حقيقة ملموسة .

ولكى يعرف العرب واجبهم العلمى فى هذه الظروف العصيبة ينتقل بنا اللواء الى موضوع آخر شيق من هذا الكتاب وهو اثر الوحدة العسكرية فى المجال العلمى ويرى فى ذلك أن ما يحتاج اليه العرب فى هذا الظرف ايمان بالله لترصين معنوياتهم وايمان بالعلم لترصين الاعداد العسكرى فان الحروب الحديثة اصبحت سباقا علميا واصبح علماء الطبيعة والكيمياء والفيزياء فى مكانة مرموقة وربما يقرر العلماء بما يقدمون من أسلحة جديدة نتيجة الحرب كما حدث لليابان فى الحرب العالمية الثانية عندما ضربت هيروشيما وناجازاكى عام ١٩٤٥

بالقنبلتين الذريتين فاعلن امبراطور اليابان ان هذا السلاح الجديد لا قبل لليابان بالصمود امامه واعلن الاستسلام . فكان انتصار الحلفاء على اليابان انتصارا علميا لامراء فيه .

وتقوم اسرائيل اليوم بتجارب علمية لا حدود لها . وقد أنشأت المفاعلات الذرية ولها علماء منتشرون فى ارجاء العالم يزودونها بالخبرة ولها أثرياء يزودونها بالمال وتتنافس روسيا والولايات المتحدة تنافسا علميا عنيفا لاخراج أفتك أسلحة الدفاع والهجوم . ويعرض اللواء ما تقوم به اسرائيل فى تطوير صواريخها وقد انتهت الاعمال التحضيرية كلها فى قسم هندسة الابحاث الجوية فى معهد التكنيون خلال عامى (١٩٥٧ — ١٩٥٨) وفى الساعة الرابعة والدقيقة الواحدة والاربعين من صباح ٥ حزيران (يونيو) عام ١٩٦١ اطلقت اسرائيل صـــاروخها الاول من قاعدة سرية على شاطىء البحر الابيض المتوسط بالقرب من تل ابيب . ومنذ ذلك الوقت وهى تطور ابحاثها حتى يومنا هذا . ويذكر لنا اللواء جهود علماء الذرة فى اسرائيل ويقول اذا كان فى معهد وايزمن فى رحبوت وحده مئتا عالم ذرى وخمسون فنيا باعمال الابحاث الذرية قبل عام ١٩٦٧ فكم هو عددهم فى معاهد اسرائيل العلمية الاخرى ؟ ويتصل علماء اسرائيل بعلماء العالم للتعاون فى هذه الموضوعات وقد زودت فرنسا اسرائيل بكمية من البلوتونيوم وهو عنصر يستخرج من اليورانيوم كما أصبح الآن فى وسع اية دولة شراء هذا المعدن من الاسواق العالمية وقد اكتشفت اسرائيل وجود هذا المعدن فى صحراء النقب وهو متيسر فى منطقة البحر الميت .

وبعد أن يذكر اللواء هذا العرض الشيق العلمى الدقيق لا يفقد الأمل ويقول ان العرب يستطيعون منافسة اسرائيل فى المجال العلمى اذا تعاونوا بالجهاد بأموالهم وعلمائهم لتحقيق السبق العلمى وصمموا على ذلك . فان أثرياء العرب يستطيعون شراء اليورانيوم أما اذا بقى أهل المال حراسا على أموالهم وأهل العلم يفكرون ببطونهم فان العرب لن يستطيعوا اللحاق باسرائيل علميا وسيؤدى التفوق العلمى الاسرائيلى الى نتائج خطيرة جدا على المصير العربى كله بما فيه الاموال والعلماء .

ولا يقف بحث اللواء عند حد البحث عن الذرة بل ينتقل الى ما تفعله اسرائيل فى جانب الاسلحة الكيماوية والاسلحة الجرثومية واسلحة الحرب الاشعاعية ويحيلنا فى دراسة هذا البحث العلمى الى كتابه « العسكرية الاسرائيلية » ففيه تفصيل يوضح جهود هذه الدولة المقحمة فى أرضنا فى هذه الحقول والتى تطمع فى ثرواتنا ومنافذ مواصلتنا وتكون ركيزة للاستعمار تأتمر بأمره وتنفذ مخططاته . وما عدا تلك الاسلحة الفاتكة يعمل علماء اسرائيل على ايجاد جهاز تغيير اتجاه القذائف وجهاز الاختفاء عن الانظـــار ويعمل فى هـــذا المختبر عدد من العلماء الاسرائيليين بينهم يهود من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا الغربية وتشيكوسلوفاكيا .

وبعد فماذا عن البحث العلمى والتطور التكنولوجى فى مجـــال التعاون العربى ؟

يقول اللواء : يتفاوت التقدم العلمى فى كل دولة من الدول العربية حسب ماتبذله من الجهود ومايتوفر لديها من امكانات علمية وعلى الصعيد الدولى لم يؤد العرب دورا ظاهرا فى مجـــال البحث العلمى والتطور التكنولوجى . واقتصر التعاون العربى على نشاط مركز الشرق الاوسط الاقليمى للنظائر المشعة للدول العربية طبقا لاتفاق عقد بين الوكالة الدولية للطاقة الذرية التـــابعة لهيئة الامم

المتحدة وبين الدول العربية ، وقد أصبح هذا المركز ملكا للجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٦٨ ويوالى هذا المركز نشاطه منذ انشائه بالمعونة التى تقدمها الوكالة الدولية للطاقة الذرية وهذه الوكالة تحابى اسرائيل فقد نالت اسرائيل (٣٩٠) شحنة من أصل (٣٧٨٥) شحنة من النظائر المشعة أى حوالى ١١٪ وهو أكثر من حصة ست دول عربية مجتمعة .

« وقد مهدت الامانة العامة لجامعة الدول العربية لوضع مشروع اتفاق التعاون العربى فى استخدام الطاقة الذرية للاغراض السلمية وتشكيل المجلس العلمى المشترك وعينت اغلب الدول العربية مندوبيها فى هذا المجلس وعقد دورته الاولى ووضع المندوبون مسودة المشروع ولكن لم يتم التصديق عليها من بعض الدول العربية كما لم توضع موضع التنفيذ حتى الآن » .

ويقول اللواء : ان منطق القضايا العسكرية يحتم حساب أسوأ الاحتمالات عما يستطيع أن يقوم به العدو وذلك لاتخاذ ادق التدابير لمواجهته واسرائيل لا تستخدم سلاحها الذرى ضد العرب اذا أصبح لدى العرب سلاح ذرى أيضا .

« لقد استخدم الامريكان سلاحهم الذرى ضد اليابان اما اليوم فلا يستطيعون استخدامه ضدالسوفيت عملا بالقاعدة المعلومة الحرب انفى للحرب، وعلىالعرب ان يبذلوا أقصى ما لديهم من جهود للتسابق مع اسرائيل وبسرعة وذلك لتقليل المدة التى ستكون اسرائيل فيها متفوقة على العرب بهذا السلاح » . ويمضى اللواء فى عرضه عن الاسلحة وعن واجب العرب فى امتلاكها وعن مكانة الوحدة العسكرية فى تحقيقها حتى يصل بنا الى الخاتمة فيقول : والدولة التى تريد أن تعيش مرهوبة الجانب مصونة الكرامة عزيزة لا بد أن تكون قوية تفرض أرادتها بالقوة وتحمى مصالحها بالقوة وستبقى هذه الشريعة سائدة حتى يرث الله الارض ومن عليها وصدق قول الشاعر :

النواميس قضت لا يعيش الضعفاء
ان من كان ضعيفا أكلته الأقوياء

ان من مميزات اللواء خطاب ثروته العلمية والتاريخية وخبرته العسكرية وسعة أفقه فى تحليل المواقف الحربية وقدرته على ربط الحوادث بعضها مع بعض ليخرج الموضوع مسمطا فى مقدماته ونتائجه وهو فوق كل ذلك يعرض موضوعاته وابحاثه باسلوب عربى سهل ممتع ويسكب فيه روحية اسلامية يشعر بها القارىء لأول وهلة .

ان اللواء يهب من هذه الثروة ولا يقدم حسابا عليها انما يريد بذلك ان يقرأ شباب هذه الامة ما كان عليه آباؤهم من قبل وما يحيق بهم من أخطار يهيئها الاستعمار وتنفذها هذه الركيزة المقحمة فى وطننا العربى والرابضة فى اقدس بقعة فيه واهمها .

وهذا الكتاب الذى اجملنا القول فيه ونعرضه للقارىء فيه دروس وعظة وفيه تحذير وتبشير وفيه تخطيط ممتاز واقتراحات موفقة وآراء صائبة يفتح عيون الامة العربية والاسلامية على مخططات صهيونية خطيرة . فأجدر بكل شاب عربى مسلم أن يقرأ ما فيه واننا لنرجو أن تتسع صفحات هذا الكتاب فى المستقبل كلما تجددت الحوادث وتطورت ليكون مرجعا يرجع اليه دوما فى هذا المجال وننتظر ما يجود به قلم اللواء فى المستقبل القريب بمثل هذا النتاج المثمر الباهر البناء .

مائدة القارئ

اعـــداد : أبي نـــزار

« واذا جاءهـم امر من الأمن او الخـوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرســول والى اولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليـكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلاً » .

صدق الله العظيم

حبوب منع الحمل لماذا تعطى للمراة ولا تعطى للرجل

من المعروف ان المراة عنـدماتحمل تصـبح فى نفس الوقت عقيمـا .. اى انها لا يمـكن انتحمل مرة اخرى اثناء فترة الحمل .. وكل ما فعله العلماء .. انهماخذوا الهرمونات التى يفـرزها جسـم المراة اثنـاء الحمل والتىتمنعها من الحمل مرة اخرى خلال شهور الحمل وصنعوا مادة مماثلةلها هى الأسـاس فى حبوب منع الحمل .. وفى الحقن الجـديدةلمنع الحمل .. فهذه المادة عندما تعطى للمراة تمنعهـا من الحملمؤقتا .. اما الرجل فان الطبيعة لم تمنحه اى وسيلة للعقم المؤقت .. ولم يسـتطع العلماء حتى اليوم ابتكار اى مادة تسبب العقمالمؤقت للرجال ..

ومن هنـا نرى ان الفطرةوليس العلمـاء هى التى حددت الطريق الذى يمكن استخدامه فىمنع الحمل !

الناس على دين ملوكهم

قال الطبرى : كان الوليـد صاحب بناء واتخذ مصـانع وضياعا ، وكان النـاس يلتقون فى زمانه فانما يسـأل بعضهم بعضا عن البناء والمصانع .

فولى سـليمان فكان صـاحب نكاح وطعام ، فكان الناس يسأل بعضـهم بعضـا عن التزويج والجوارى .. فلما ولى عمر بن عبد العزيز كانوا يلتقون ، فيقول الرجل للرجل : ما وردك الليلة ؟ وكم تحفظ من القـرآن ؟ ومتى تختم ؟ وما تصوم من الشـهر ؟ واصبح الناس وقد شملتهم نعمتا الرضا واليسر .

ام الشافعى

شهدت أم الشافعى عند قاضى مكة هى وأخرى مع رجل ، فأراد القـاضى أن يفرق بين المرأتين ليسـمع شهادة كل واحدة منهما منفردة . فقـالت له : ليس لك ذلك لأن الله سـبحانه وتعالى يقول : (ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى) فنزل القـاضى على رأيها .

كفن ابى ذر

عندما حضرت الوفاة (ابا ذر) حارت امرأته فى أمرها لتوحدها فى الفلاة ، فكانت تصـعد الى كثيب ، فتنظر ، ثم ترجع اليـه فتمرضـه ، فبينما هى كذلك اذا هى بنفر على رواحلهـم فلوحت لهم بثوبها ، فأقبلو حتى وقفوا ، قالوا مالـك ؟ قالت امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه ، قالوا :

الطاغوت

الطاغوت : كهاروت الأصنام وكل رأس ضال . يقع على الواحد والجمع ، والجمع طواغ وطواغيت ، وردت فى القرآن مؤنثة (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) .

كما وردت فيه مذكرة : (وقد أمروا أن يكفروا به) .

صلاة فى المسجد الحرام مائة الف صلاة ، وصلاة فى مسجدى الف صلاة ، وصلاة فى بيت المقدس خمسمائة صلاة .

(حديث شريف)

القرطاس

القرطاس : كان من أدوات الكتابة المعروفة فى بلاد العرب من قديم ، وقد ورد فى القرآن مفردا ومجموعا .

قال تعالى : (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) .

وقال عز وجل : (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا)

خمر .. جارية

لما قدم عبد الرحمن الداخل الأندلس أتوه بخمر وجارية ، فرد الخمر وقال : انى محتاج لما يزيد فى عقلى ، لا لما ينقصه .

ونظر الى الجارية وقال :

ان أنا لهوت عنها بالجهاد ظلمتها ، وان لهوت بها عن الجهاد ظلمت دينى فلا حاجة لى بها ..

من هو ؟ قالت : أبو ذر ، فأسرعوا اليه ، فوجدوه فى الرمق الأخير ، فنظر اليهم وقال : لو كان ثوبى يسعنى كفنا لم أكفن الا فى ثوب هو لى ، أو لامرأتى ثوب يسعنى كفنا لم أكفن الا فى ثوبها ، فأنشدكم الله والاسلام الا يكفننى رجل منكم كان أميرا أو عريفا أو نقيبا أو صاحب بريد .. فكل القوم قد ولى عملا من هذه الأعمال الا فتى من الأنصار ، قال : أنا أكفنك فانى لم أصب شيئا من ذلك .. أكفنك فى ردائى هذا الذى على ، وفى ثوبين من غزل أمى ، قال : أنت تكفنى .. فكان ذلك الفتى الانصارى هو الذى تولى تجهيزه ..

قصة العدد

رجل في التيه

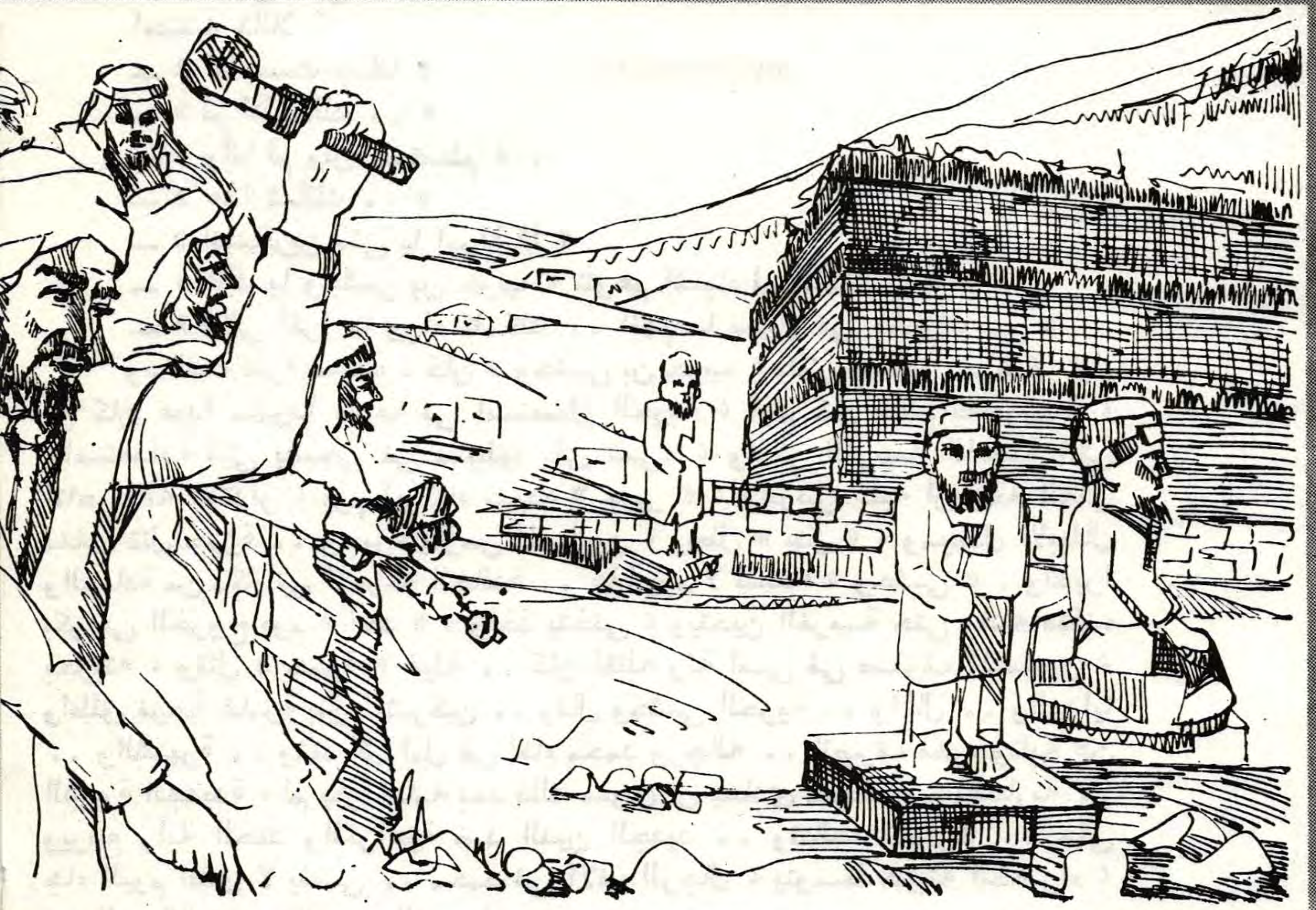
للدكتور : نجيب الكيلاني

انطوى فى مخبأه حزينا ساخطا ، يستشعر عجزا لم يتعذب بمثله طول حياته ، قلبه يفيض بأشتات من الحقد لا شبيه لها ، واحلامه تجوس خلال أشلاء ودماء وثارات حرى لا تهدأ ، لكن مقدرته هشة تافهة ، لا تكاد تلمسها يد الواقع ، حتى تتحول الى رماد .. أهذا هو المآل يا « وحشى بن حرب » ، يا أسطورة مكة والمدينة « يا قاتل حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ؟؟ » أهذه هى النهاية يا مؤجج ثورة الحقد ، ويا منتزع الحرية من براثن « جبير » سيدك القديم !؟

وتلفت وحشى حواليه ، المخبأ الصغير ضيق كصدره اللاهث ، والضوء فيه شاحب لا ينبض بغير العناء والتعاسة والمستقبل المجهول ، وتدخل امرأة سمراء ذات فتنة واثارة ، لكنها تبدو خابية النظرات ، شاحبة الوجه ، مضطربة الحركات ، ثم وضعت أمامه اناء به ماء ، دون أن تنطق ، رماها بنظرات قلقة وقال:

ـ « ما الأخبار ؟؟ »

ردت فى اقتضاب :



ــ « أنت تعرف . . »

قال مغالطا نفسه ، متناسيا الحقيقة المرة التى تصفعه . .

ــ « أنا لا أعرف شيئا » .

رمته بنظرة ساخرة وقالت:

ــ « انتصر محمد بن عبد الله . . احتلت جيوشه أنحاء مكة . . استسلم له كل شىء . . خرج كبراء مكة وسادتها اليه يطلبون الصفح والغفران . . أتريد أن تسمع شيئا آخر ؟ »

هز رأسه ووجهه الشاحب وهدر :

ــ « تكلمى . . »

ــ « أنزل الأصنام من عليائها ، داسها تحت أقدامه ، صوت المسلمين يتردد فى الآفاق . . لا اله الا الله وحده . . صدق وعده . . ونصر عبده . . وأعز جنده . . »

حك أنفه غاضبا ، ودفع اناء الماء بقدمه ، وصاح :

ــ « الا يقاومه أحد الآن ؟؟ »

ــ « المقاومون لا وجود لهم الآن . . هم واحد من اثنين اما هارب خارج

كة .. أو لاجىء الى مختبأ .. »
احتـــد قائلا :
ــ « أنا لست جبانا »
ــ « لم أقل ذلك .. »
ــ « وأنا لم ولن أستسلم » .
ــ « هذا شأنك .. »
ــ « أتسخرين منى يا امرأة ؟! »
ــ « انك يا وحشى بن حرب » تتوهم أشياء لم أقلها .. »
ــ « لكنى أقرأ ما وراء كلماتك .. أفهم ما يجول فى خاطرك .. »

وسادت فترة صمت ، كان « وحشى بن حرب » يفكر أثناءها .. تذكر أيام ان كان عبدا متمردا بارعا فى استعمال الحربة ، أيام كان يحلم بالحريـــة ، واستعداده لكى يضحى فى سبيلها بأى شىء ، وتذكر الفرصة الذهبية التى أتاحتها له الاقدار ، يوم ان أتاه سيده « جبير » ، وعرض عليه أن يهبه العتق مقابل قتل حمزة .. وحمزة فارس المسلمين ، وبطل « بدر » ، ومجندل الأبطال والسادة من مكة فى المعركة الخالدة .. هذا يوم لا ينساه « وحشى » . وأخيرا بكر فى الخروج يوم « أحد » ، وأخذ يتخفى ، ويتحين الفرصة حتى واتته فقذف بحربته ، وقتل « حمزة » غيلة .. كان لقتله رنة أسى فى صفوف المسلمين ، وأطلق فرحة غامرة بين المشركين .. ونال وحشى الحرية .. والمال .. والهدايا .. والشهرة .. وفقد كل أمل فى لقاء محمد ورجاله .. انصرف فكره وقلبه عن الدعوة الجديدة ، لم يكن أمامه بعد ذلك سوى أن يعادى محمدا .. ويحاربه .. ويرفع راية الحقد والكراهية ضد الدين الجديد .. وتتالت المعارك .. حتى جاء اليوم الذى لا ينسى .. محمد فى آلاف الرجال ، يتوسط كتيبته الخضراء ، ويدخل مكة فوق ناقته « القصواء » .

رفع وحشى وجهه وقال :
ــ « هل أسلم أبو سفيان حقا ؟! »
ضحكت المرأة فى مرارة وقالت :
ــ « وزوجه هند .. هى الأخرى أسلمت .. »
هز وحشى قبضته فى دهشة وقال :
ــ « آكلة الأكباد ؟؟ تلك التى أهدر محمد دمها ؟؟ كيف ؟؟ ان الأمر يبدو لى وكأنه حلم سخيف لا معنى له .. »
ثم استطرد قائلا :
ــ « وعكرمة بن أبى جهل ؟؟ »
ــ « حاول الفرار الى اليمن » وذهبت زوجه الى الرسول تستأمنـــه ، فعفا عنه ، أدركوه قبل أن يركب السفينة ، فعاد ، ثم اعتنق دين محمد .. »
زمجر وحشى غاضبا وقال :
ــ « تعسا لك يا عكرمة ، تنكرت لدم أبيك ، وخنت ما بيننا من عهـــود ومواثيق .. »
اقتربت المرأة من وحشى ، وربتت على كتفه فى رقة وقالت :
ــ « لقد مات عصر .. وولد عصر جديد .. ألا تدرك ذلك يا وحشى ؟؟ »
صاح :
ــ « الحمقى وحدهم هم الذين يستسلمون عند أول صدمة .. لم يولد

عصر ، وانما تغيرت الوجوه والأسماء .. »
هتفت مغتاظة :
ــ « أنت تخدع نفسك ، وتزيف الحقائق .. »
ــ « انا أبعدنظرا منكم جميعا .. وأفهم ما خفى على البلهاء والسذج من سادات مكة وأساطينها .. قبائل « هوازن » كلها سوف تخرج لمحمد ولن تتركه حتى تقضى عليه .. « ثقيف » بحصونها ورجالها فى « الطائف » لسوف تتصدى لزحفه .. أشتات فى أنحاء بلاد العرب سينهكون قوى محمد ، ويستنزفون عدته .. »
ويبدو أن « وحشى » قد نجح فى اقناع نفسه ، فانتعش قلبه ، وفاضت الطمأنينة على ملامح وجهه الأسود ، ومد يده محاولا مداعبة المرأة الفانية التى اتخذها عشيقة له ردحا من الزمن ، لكنها ردته فى عنف لم يألفه ، ورفضت الاستجابة لكل محاولاته ، وخيل اليه أنها تصفعه بكلماتها حينما قالت :
ــ « لسوف أذهب الى محمد » ..
ــ « لتخبريه عنى ؟؟ »
ــ « بل لأشهد الا اله الا الله ، وأنه رسول الله » .
قهقه وحشى ، حتى كاد يستلقى على قفاه ، واحتقن وجهه ، حتى كاد يتفجر منه الدم وقال :
ــ « أوتظنينه يفتح بابه للداعرات ؟؟ »
ــ « لقد قال محمد ان الاسلام يجب ما قبله .. »
ــ « لكنك لن تستطيعى أن تنسى الكؤوس .. والرجال .. وليالى الغناء والمتعة .. »
رفعت رأسها فى تحد قائلة :
ــ « كانت مكة كلها تنضح بالعار .. كنت أبيع المتعة الحرام .. وكان الناس يشترون .. كلنا سواء فى الاثم .. وكان الناس يظلمون .. والظلم عار .. وكان السادة يقتلون .. والقتل عار .. للعار مئات الأوجه .. ولقد أسلموا برغم ذلك .. ومحمد لن يغلق بابه فى وجه أحد يأتيه تائبا مسلما .. »
جذبها من كمها فى عنف ، ثم أقعدها الى جواره ، وأظهر لها اعتراضه الشديد وعول على أن يمنعها بالقوة من الخروج ، وكان واضحا لها أنه يتصرف كطفل مشاكس ، فان الأمر لن يخفى طويلا ، وستطوله أيدى المسلمين ، وهو مهدور الدم ، وانتظرت حتى سكن غضبه ، وعاد اليه قليل من الهدوء وقالت :
ــ « اما أن تسلم ، أو تخرج من مكة تحت جنح الظلام .. اختر أيهما شئت يا وحشى ، كن عاقلا ، ولا تتصرف بحماقة والا أضعت كل شىء .. »
فكر فى كلماتها ، انها برغم ايجازها قد بلورت الموقف ، وحددت أبعاده ، لقد كانت تتكلم كفيلسوفة ، تتخذ لها موقفا لا تردد فيه ولا تخوف ، وهو الفارس .. الحر .. الذى نال حريته بحربته ، قاتل حمزة .. صاحب الاسم الطنان .. لا يعرف كيف يمضى فى الطريق .. أوليس هذا سخرية ما بعدها سخرية ؟؟ لقد كان يظن أن العبودية العن ما فى الوجود ، أما الآن فهو يشعر انه أتعس من أى عبد على ظهر الأرض .. المجد والحرية لم تشفعا له ، لم تستطيعا أن تبللا قلبه المشتعل بقطرات من أمن وسعادة .. لم تستطيعا أن تنقذا ضميره من براثن العذاب والتمزق والاضطراب .. وتمتم وقد طأطأ رأسه فى حسرة :

ـ « انني أتعس انسان .. »
ـ « لأنك أناني .. تفكر وأنت غارق في بحر من الكبرياء الزائفة .. وتخاف الجزاء العادل .. »
سدد اليها نظرات تائهة وقال :
ـ « وماذا أفعل ؟؟ »
ـ « ابحث عن الحق والباطل .. ثم اختر طريق الخير .. »
ابتسم في حزن وقال :
ـ « الذين يتهددهم الموت لا يفكرون في حق أو باطل .. »
ـ « فيم يفكرون اذن »
ـ « في النجاة .. »
ـ « العودة الى الحق هي طوق النجاة .. »
ـ « واذا قتلوني ، فأية نجاة أنال اذن »
ـ « الموت لا معنى له هنا .. »
ـ « لم اصل بعد لهذه المرحلة من السذاجة .. »
ـ « لئن مت مسلما يا وحشي فان هذا عين المنى .. »
هب واقفا ، ورماها بنظرة سزراء وقال :
ـ « حياتي أهم ما في الوجود .. حياتي فوق المبدأ .. انني لا أثق في شيء بهذه الدنيا على الاطلاق .. لا احب أحدا .. ولسوف أخرج من مكة ، وانطلق في أرض الله الواسعة ، لا اخضع .. متحللا من كل قيد .. وأنا واثق من انني سأجد أعداء لمحمد .. وسأمضي في ركبهم .. فان انتصرت نلت ما أريد وان هزمت .. فسأواصل رحلة الهروب حتى آخر العمر ... »
غمغمت المرأة :
ـ « انك ترمي بنفسك في تيه لا قرار له .. »



ومضت الأيام والشهور ، وانهزمت هوازن ، وفتحت الطائف أبوابها لنور الحق ، فأسلمت « ثقيف » ، وتسابقت القبائل لاعتناق الدعوة الالهية ، وتسلل « وحشي بن حرب » الى المدينة ، ووقف قبالة رسول الله ، ونطق الشهادتين ، فقبله الرسول ، لكنه صلى الله عليه وسلم دقق فيه النظر ، ثم قال في حزن ، وقد تذكر مأساة الشهيد حمزة بن عبد المطلب وقال :
ـ « آانت وحشي ؟ »
ـ « نعم .. »
ـ « أرو لي كيف قتلت حمزة ؟ »
وما أن انتهى من قصته الدامية ، حتى اطرق الرسول قائلا :
ـ « غيب وجهك عني .. »
تلك الكلمة التي ظلت تطارد وحشي طول حياته ، وتبعث في نفسه الأسى والعذاب ، وتثير لديه كامن الندم ، وتغرق ليله بالدموع ، ولم يشعر وحشي بشيء من الراحة والرضى الا بعد أن شارك في ضرب المرتدين وقتل « مسيلمة الكذاب » ، ويومها قال في تأثر :
ـ « بحربتي هذه قتلت أشرف الناس حمزة بن عبد المطلب ، وأكذب الناس مسيلمة الكذاب .. »

مـع الخالدين

صلاح الدين الأيوبي

* الملك الناصر صلاح الدين يوسف الأول بن الأمير نجم الدين أيوب ولد فى تكريت ٥٣٥ هـ نشأ فى بعلبك وصحب أباه حيث يعمل فى بلاط نور الدين بدمشق .
* كان مغمورا فى صباه وشبابه ولوعا بالجدل الفقهى .
* جاء الى مصر مع شيركوه فى ٥٥٩ هـ وأظهر شجاعة وقدرة ، فعين وزيرا لأول مرة فى ٥٦٤ هـ ولقبه الخليفة بالملك الناصر .
* جعل من أهدافه مقاومة الصليبيين الذين توقعوا الخطر عليهم منه فاستجلبوا النجدات من أوروبـــا .
* اشتغل بتوحيد مصر والشام والمغرب والنوبة فى يــده مع مناوأة الصليبيين .
* هجم على الصليبيين بغتة فى ٥٧٣ الا أنهم انتصروا بمعجزة وأقاموا صلاة شكر فى بيت المقدس .
* بعد عشر سنوات من انتصار الصليبيين كان صلاح الدين قد تأهب من جديد والتقى بهم فى حطين فهزمهم هزيمة لم تقم لهم بعدها قائمة فسقطت فى يده بعدها حصون طبرية والناصرة والسامرة وصيدا وبيروت وتيران وعكا والرملة وغزة وحيرون ثم فتح بيت المقدس ٥٨٣ وتحقق أمل العالم الاسلامى بذلك حينئذ .
* دخل فى مفاوضات صلح أحيانا وحروب أحيانا أخرى مع ريتشارد قلب الأسد الا أن ذلــك أدرك أن لا أمل فى انتصـــار حقيقى على المسلمين ففاوض صلاح الدين ورحل ، وانتهى تقريبا الوجود الصليبى فى بلاد الاسلام .
* توفى فى دمشق فى صفر ٥٨٩ .
* رحمه الله وجعل منه قدوة ومثـــلا .

عبد المعطى بيومى

الأسرة

اعداد الاستاذ : عبد الستار فيض

الأسرة في الإسلام

الأسرة هى اللبنة الاولى فى بناء المجتمع ، ولذا كان اهتمام الاسلام بها تكوينا ونموا . أصلا وفرعا ، زوجا وزوجة وولدا . خطبة وزواجا وعشرة . حقوقا وواجبات . تشريعا وقصصا ، قيما وتطبيقا .

ويقوم بنيان الأسرة فى الاسلام على أسس ثابتة أهمها :

١ ــ وحدة الأصل والمنشأ ، فأعضاء الأسرة من أصل واحد ومنشأ واحد ، قال تعالى : **(يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس**

من كتاب الله

((وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)) .

سعادة الاسرة فى التزام امر الله ونهيه .

نساء خالدات

السيدة خديجة

هى خديجة بنت خويلد بن اسد ، وامها فاطمة بنت زائدة ، من سيدات قريش وكانت تدعى قبل البعثة الطاهرة . تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سن الخامسة والعشرين وكانت سنها أربعين سنة ، وقد تعرفت عليه من خلال اخلاقه الفاضلة وسيرته العطرة ، تاجر فى مالها وسمعت عنه الكثير من الأمانة والصدق .

ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أول من آمن به من النساء ، وأعانته بمالها وواسته بحسن عشرتها على تحمل أعباء الدعوة ، وهيأت له المنزل السعيد الذى أعانه على تبليغ رسالة ربه .

وعاشت معه اربعا وعشرين سنة وبضعة اشهر ، ولم يجمع الرسول بينها وبين زوجة أخرى ، وانجبت له (رقية وام كلثوم وفاطمة وزينب والقاسم وعبد الله) ..

توفيت لعشر خلون من رمضان سنة عشر من البعثة وعمرها خمس وستون سنة ودفنت بالحجون ، ونزل النبى صلى الله عليه وسلم فى حفرتها ، ولم تكن شرعت الصلاة على الجنائز ، وحزن عليها حزنا شديدا وظل يذكرها طول حياته ويثنى عليها ويقول : **(آمنت اذ كفر الناس ، وصدقتنى اذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها اذ حرمنى الناس ، ورزقنى منها الله الولد دون غيرها من النساء) ..**

رضى الله عنها وارضاها ، وجعل الجنة منقلبها ومثواها ..

واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) .

٢ ـ المودة والسكن : فالزوجية السعيدة تحقق التناسق والتقارب فى المشاعر والأحاسيس ، وتعين على احتمال اعباء الحياة ومواجهة مسئولياتها قال تعالى : **(ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) .**

٣ ـ العدالة : فى تحديد الحقوق والواجبات على أساس من الاستعداد البدنى والنفسى لكل من الزوجين قال تعالى : **(الرجال قوامون على النساء)** وقال سبحانه : **(ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف)** وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(النساء شقائق الرجال) .**

٤ ـ وقايتها من عوامل التفكك والانحلال : فقد شرع الاسلام أحكام النفقة والحضانة والرضاع والميراث وبين حدود الطلاق وتعدد الزوجات وآداب السلوك والمعاشرة ، وحذر من المضارة والانحراف والقاعدة الكلية التى بنى عليها الحياة الزوجية : **(امساك بمعروف او تسريح باحسان) .**

من اقوال الحكماء

قالوا :

القلب يدفع طالب الزواج الى الحسناء والمصلحةتدفعه الى الدميمة والعقل وحده يسوقه الى المراة الفاضلة ..

بريد الأسرة

انا فتاة ابلغ من العمر ست عشرة سنة اقوم بأداء فروض دينى والحمد لله واتمتع برضاء الوالدين والأهل واكثر من قراءة القرآن ولكن اشد ما يحيرنى هو أننى أمشى سافرة كبنات عصرى هذا مع العلم اننى لا أستطيع لبس العباءة التى كادت ان تختفى . اننى فى حيرة لأننى أظن أن الله غير راض عنى وانى سأدخل النار بسبب ذلك .

كما اننى اعتقد ان الله لن يقبل منى اعمالى الصالحة ما دمت أسير سافرة .

(م٠ ع٠ م ـ الكويت)

المطلوب شرعا من المراة هو ستر العورة ، وعورتها جميع بدنها ما عدا وجهها وكفيها باى لباس ساتر بشرط الا يكون ملفتا للنظر بالوانه البراقة ولا يكون ضيقا بحدد اعضاء الجسم ، ويبرز مفاتنه ، ولبس العباءة ليس شرطا ويجب على الفتاة المسلمة ان تكون متميزة بشخصيتها فى زيها وسلوكها ، وكثير من النساء يحتفظن بزيهن الوطنى المتميز كالباكستانيات والسودانيات وهو زى يتفق مع متطلبات الشريعة الاسلامية ، وهذا الزى موضع اعتزاز لهن ، ولم يكن فى يوم من الأيام مثارا لقلقهن وحيرتهن ، ولا مثارا لاستهزاء الغير بهن ..

ونحن اذ نشكر لك حرصك على اداء الفرائض الاسلامية وقراءتك للقرآن الكريم نلومك اشد اللوم على السفور ونرجو أن تكونى مثالا حسنا للفتاة المسلمة المحافظة .

الفتاوى

زواج التحليل

السؤال

طلقت زوجتى ثلاث طلقات متفرقات فى مدى خمسة عشر عاما ، واستفتيت احد العلماء فقال : انها لا تحل لى حتى تتزوج رجلا آخر ، ونظرا لأن لى منها اطفالا يحتاجون الى رعايتى ، ولنا رغبة فى استئناف الحياة الزوجية وافقت زوجتى ان تتزوج برجل آخر سموه باسمه ، ويدخل بها دخولا شرعيا ، ثم يطلقها لأتزوجها مرة ثانية ، فهل هذا الزواج الثانى صحيح شرعا ، وبالتالى هل يحل لى العقد عليها مرة ثانية بعد تطليقها من زوجها الأول ؟

سليم عثمان ـ السودان .

الاجابه

هذه الظاهرة موجودة فى كثير من المجتمعات الأسلامية وترد الى المجلة رسائل كثيرة تطلب راى الشريعة فى هذه المشكلة .

وقد رجعنا الى فضيلة الشيخ السيد سابق فى الاجابة على هذا السؤال فقال :

زواج التحليل هو أن يتزوج المطلقة ثلاثا بعد انقضاء عدتها، ويدخل بها ثم يطلقها ليحلها للزوج الأول .

حكمه

وهذا النوع من الزواج كبيرة من كبائر الاثم والفواحش حرمه الله ولعن فاعله .

١ ـ فعن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله المحلل والمحلل له » رواه أحمد بسند حسن .

٢ ـ وعن عبد الله بن مسعود قال . « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له . » رواه الترمذى ، وقال . هذا حديث حسن صحيح ، وقد روى هذا الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ من غير وجه .

والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ــ منهم ، عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعبد الله بن عمر ، وغيرهم . وهو قول الفقهاء من التابعين .

٣ ــ وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن المحلل ، فقال .

« لا . الا نكاح رغبة ، لا دلسة ، ولا أستهزاء بكتاب الله عز وجل حتى تذوق عسيلته » .

رواه أبو اسحاق الجوزجانى .

٤ ــ وعن عمر رضى الله عنه قال .

« لا أوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما » .

فسئل ابنه عن ذلك فقال . كلاهما زان .

رواه ابن المنذر ، وابن أبى شيبه ، وعبد الرزاق .

٥ ــ وسأل رجل ابن عمر فقال .

ما تقول فى امرأة تزوجتها لأحلها لزوجها ، ولم يأمرنى ولم يعلم ؟

فقال له أبن عمر . « لا ، الا النكاح رغبة ، ان أعجبتك أمسكتها ، وان كرهتها فارقتها ، وان كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقال . لا يزالان زانيين وأن مكثا عشرين سنة اذا علم أنه يريد أن يحلها .

حكمه

هذه النصوص صريحة فى بطلان هذا الزواج وعدم صحته لأن اللعن لا يكون الا على أمر غير جائز فى الشريعة ، وهو لا يحل المرأة للزوج الأول . ولو لم يشترط التحليل عند العقد ما دام قصد التحليل قائما ، فان العبرة بالمقاصد والنوايا .

الزواج الذى تحل به المطلقة للزوج الأول .

اذا طلق الرجل زوجته ثلاث تطليقات فلا تحل له مراجعتها حتى تتزوج بعد انقضاء عدتها زوجا آخر زواجا صحيحا لا بقصد التحليل .

فاذا تزوجها الثانى زواج رغبة ، ودخل بها دخولا حقيقيا حتى ذاق كل منهما عسيلة الآخر ثم فارقها بطلاق أو موت ، حل للأول أن يتزوجها بعد انقضاء عدتها .

روى الشافعى واحمد والبخارى ومسلم عن عائشة : جاءت امرأة رفاعة القرظى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ــ انى كنت عند رفاعة فطلقنى . فبت طلاقى فتزوجنى عبد الرحمن بن الزبير ، وما معه الا مثل هدبة الثوب فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وقال .

« اتريدين أن ترجعى الى رفاعه ؟ . . . لا . . . حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك » .

وذوق العسيلة كناية عن الجماع .

ويكفى فى ذلك التقاء الختانين الذى يوجب الحد والغسل ونزل فى ذلك قول الله تعالى ــ (فان طلقها فــلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله »

وعلى هذا فان المراة لا تحل للأول الا بهذه الشروط :

١ ــ أن يكون زواجها بالزواج الثانى صحيحا .
٢ ــ أن يكون زواج رغبة .
٣ ــ ان يدخــل بها دخولا حقيقيا بعد العقد ، ويذوق عســيلتها وتذوق عسيلته .

حكمة ذلك

قال المفسرون والعلماء فى حكمة ذلك ــ انه اذا علم الرجل أن المراة لا تحل له بعد أن يطلقها ثلاث مرات الا اذا نكحت زوجا غيره فانه يرتدع ، لأنه مما تأباه غيرة الرجال وشهامتهم ، ولا سيما اذا كان الزوج الآخر عدوا أو مناظرا للأول . وزاد على ذلك صاحب المنار فقال فى تفسيره .

: ان الذى يطلق زوجته ، ثم يشعر بالحاجة اليها فيرتجعها نادما على طلاقها ثم يمقت عشرتها بعد ذلك فيطلقها ، ثم يبدو له ويترجح عنده عدم الاستغناء عنها ، فيرتجعها ثانية ، فانه يتم له بذلك اختبارها .

لأن الطلاق الأول ربما جاء عن غير روية تامة ومعرفة صحيحة منه بمقدار حاجته الى امرأته .

ولكن الطلاق الثانى لا يكون كذلك ، لأنه لا يكون الا بعد الندم على ما كان أولا ، والشعور بأنه خطأ ولذلك قلنا ان الاختيار يتم به .
فاذا هو راجعها بعده كان ذلك ترجيحا لامساكها على تسريحها .
ويبعد أن يعود الى ترجيح التسريح بعد أن رآه بالاختبار التام مرجوحا .
فاذا هو عاد وطلق ثالثة ، كان ناقص العقل والتأديب .
فلا يستحق ان تجعل المراة كرة بيده يقذفها متى شاء تقلبه ويرتجعها متى شاء هواه .

بل يكون من الحكمة ان تبين منه ، ويخرج أمرها من يــده ، لانه علم ان لا ثقة بالتئامها واقامتهما حدود الله تعالى .

فأن اتفق بعد ذلك ان تزوجت برجل آخر عن رغبة ، واتفق أن طلقها الآخر أو مات عنها ثم رغب فيها الأول وأحب أن يتزوج بها ــ وقد علم أنها صــارت فراشا لغيره ــ ورضيت هى بالعودة اليه ، فان الرجاء فى التئامهما واقامتهما حدود الله تعالى ، يكون حينئذ قويا جدا ، ولذلك أحلت له بعد العدة .

بين الشريعة والطب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بول الغلام ينضح عليه ، وبول الجارية يغسل » وقال قتادة : هذا ما لم يطعما ، فان طعما غسل بولهما . رواه الأمام احمد .

الحديث الشريف يفيد ان هناك فرقا فى الحكم بين بول الذكر وبول الأنثى . فهل الطب يؤيد هذا ؟

عبد الحميد رشاد ــ السعودية

يقول الدكتور حسن هويدى :

يتألف بول الآدمي مطلقا ــ من ذكر او انثى ــ رضيعا او غيره ، طعم او لم يطعم من الماء بنســبة (٥و٩٥٪) ، ومن عناصر أخرى كالبولة وحمض البول ، والنوشادر ، والكلور وغيرها . بنسبة (٥ر٤٪) ، وهذه العناصر لها مقادير طبيعية لا تتعداها فى حال الصحة ، فاذا اختلفت هذه المقادير ، أو دخل على البول عناصر أخرى ، دل على انحراف الصحة ، وكانت تلك العناصر مرضية ، واذا ثبت أن تركيب البول واحد لدى جميع الآدميين ، وجب أن يكون الحكم الشرعى واحدا وهو الحكم بنجاسته ، وهذا الاستنتاج ينسجم مع اجتهاد الحنفية والمالكية الذى لم يفرق بين الذكر والأنثى فى حال الرضاعة .

وأما الترخيص الشرعى الذى أخذ به الشافعية بالاكتفاء برش الماء على بول الغلام الذى لم يطعم ، والتمييز بينه وبين الجارية فيمكن حمله على أحد الاحتمالات التالية :

١ ــ أنه أمر تعبدى ورد به الشرع ، دون معرفــة سر التفريق بين الذكر والأنثى فى هذا الشأن .

٢ ــ أن بول الرضيع الذى لم يطعم تكون كثافته أقل (فى حدودها الدنيا) وبالتالى تكون عناصره المخالطة للماء بنسبة أقل أى فى حدودها الدنيا الطبيعية ، بينما تكون كثافة البول فى حدودهــا العليا لدى التغذى بالأغذية المختلفة ، مما

يجعل بول الرضيع المعنى قريبا من تركيب الماء في رقته وخفة لونه ورائحته ، ويجعل بول غيره كثيفا شديد اللون والرائحة ، وبهذا الفارق الواضح ، والذى يمكن كشفه بالعين المجردة دون المخبر ، أمكن التفريق والقول بالترخيص بنضحه بالماء دون الاصرار على غسله . أما التفريق بين الذكر والانثى ففى ما يلى :

٣ـ ورد فى بعض الكتب أن اختصاص الرضيع الذكر بذلك لكثرة حمله وائتلاف الناس لذلك ، فكان الاكتفاء بنضح الماء على بوله تسهيلا على الامة كبقية الرخص المشروعة .

٤ ـ أن اختلاف التكوين التشريحى للجهاز التناسلى والبولى بين الذكر والانثى يجعل ثمة فرقا دقيقا فى البول قد يعلل به ورودهذا الترخيص فى الذكردون الأنثى ، ذلك أن بول الذكر حين ينطلق من قصبة الاحليل ينطلق حرا لا يخالطه شىء آخر ، بينما لا ينطلق بول الأنثى دون أن يجرى على أعضائها التناسلية الظاهرة وثناياها المجاورة التى كثيرا ما تحتوى على الفضلات من حاصلات التعرق والمواد المخاطية والعذرة أحيانا ، فيختلط ذلك بالبول ويغير لونه ورائحته وكثافته ويصعب جدا التفريق بين الحالة التى يحصل فيها التلوث وغيرها ، فكان الاحتراز الشرعى يقضى ببقاء الحكم على الاصل ، فأمر الشارع بالغسل ولم يرخص بشأنها ما رخص بشأن الغلام والله أعلم .

اخطاء فى ترتيب صفحات بعض المصاحف

بعث الينا السيد فارس المالكى الرسالة التالية :

طالعت مجلة (حضارة الاسلام) التى تصدر فى دمشق عدد جمادى الاولى سنة ١٣٩٠ هـ فى باب قدوة الفكر بيانا بالأخطاء التى وقعت فى ترتيب صفحات احدى نسخ المصحف المطبوع فى دار الجامعة للطباعة والتجليد فى دمشق ، وبيانا آخر باخطاء وقعت فى ترتيب صفحات احد المصاحف المطبوعة على نفقة مكتبة محمد هاشم الكتبى بدمشق .

ونظرا لأن مجلة (الوعى الاسلامى) اوسع المجلات الاسلامية انتشارا واكثرها قراء ارى أن دينى يحتم على ان ارسل لكم بيان هذه الأخطاء ، وارى ان من واجبكم ان تنشروها ليتنبه اليها كل مسلم تصله هذه المجلة .

الاخطاء التى وقعت فى ترتيب احدى نسخ المصحف المطبوع فى دار الجامعة للطباعة والنشر .

الصفحة ٤٨ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٥٣ من السورة المذكورة .
الصفحة ٥٣ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٥٠ من السورة المذكورة .
الصفحة ٥١ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٥٦ من السورة المذكورة .
الصفحة ٥٦ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٤٩ من السورة المذكورة .
الصفحة ٤٩ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٥٤ من السورة المذكورة .

الصفحة ٥٥ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٥٢ من السورة المذكورة .
الصفحة ٥٢ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٦١ من السورة المذكورة .
الصفحة ٦١ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٥٨ من سورة المذكورة .
الصفحة ٥٩ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٦٤ من السورة المذكورة

ومن سورة النساء .
الصفحة ٦٤ من سورة النساء تعقبها الصفحة ٥٧ من سورة آل عمران .
الصفحة ٥٧ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٦٢ من سورة آل عمران .
الصفحة ٦٣ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٦٠ من سورة آل عمران .
الصفحة ٦٠ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٦٥ من سورة النساء .

الأخطاء التي وقعت في احدى نسخ المصحف المطبوع على ذمة مكتبة محمد هاشم الكتبي :

صفحة ٥٧٦ من سورة فاطر تعقبها الصفحة ٥٦٥ من سورة الأحزاب .
الصفحة ٥٦٥ من سورة الأحزاب تعقبها الصفحة ٥٧٨ من سورة فاطر .
الصفحة ٥٧٩ من سورة فاطر تعقبها الصفحة ٥٦٨ من سورة سبأ .
الصفحة ٥٦٨ من سورة سبأ تعقبها الصفحة ٥٦١ من سورة الأحزاب .
السفحة ٥٦١ من سورة الأحزاب تعقبها الصفحة ٥٨٢ من سورة يس .
الصفحة ٥٨٣ من سورة يس تعقبها الصفحة ٥٦٤ من سورة الأحزاب .
الصفحة ٥٦٤ من سورة الأحزاب تعقبها الصفحة ٥٧٣ من سورة سبأ
الصفحة ٥٧٣ من سورة سبأ تعقبها الصفحة ٥٨٦ من سورة يس .
الصفحة ٥٨٧ من سورة يس تعقبها الصفحة ٥٧٦ من سورة فاطر .
الصفحة ٥٧٦ من سورة فاطر تعقبها الصفحة ٥٦٩ من سورة سبأ .
الصفحة ٥٦٩ من سورة سبأ تعقبها الصفحة ٥٩٠ من سورة الصافات .
الصفحة ٥٩١ من سورة الصافات تبعقبها الصفحة ٥٧٢ من سورة سبأ .
الصفحة ٥٧٢ من سورة سبأ تعقبها الصفحة ٥٩٣ من سورة الصافات .

الصفحة ٥٩٣ من سورة الصافات وحتى النهاية تتعاقب الصفحات بشكل سليم .

من الواضح أن هذا الترتيب في صفحات القرآن الكريم يؤدي الى اخطاء فاحشة في سياق النص القرآني ، ويلاحظ مما تقدم ان الصفحات ٥٧٧و ٥٨٠و ٥٨١و ٥٨٤و ٥٨٥و ٥٨٨و ٥٨٩و ٥٩٢ لا وجود لها في هذه النسخة .

الوعي : راجعنا العدد المذكور من المجلة ، فوجدنا فيه بيان هذه الأخطاء وهو مطابق لما جاء في رسالة الكاتب ننشره على مسئولية المجلة رجاء أن يتنبه اليه القراء مع الشكر لصاحب الرسالة .

بأقلام القراء

شريعتنا الغراء بين التشريعات الحديثه

كتب الأستاذ مختار عبد العليم تحت هذا العنوان يقول :

رزح العالم طويلا تحت الظلم من الملكية الأستبدادية والأرستقراطية المتحكمة حتى جاء الأسلام فتجاوبت الدنيا باصداء صوت جديد يفيض بالرحمة وتنضح منه الحرية والاخاء والمساواة ، وما زال هذا الصوت يدنو من أوروبا حتى جاورها عدة قرون وقرع منها اذانا واعية ، ففهمت منه ان رئيس الدولة ينتخب أو يبايع ويتقيد فى تصريف شئون الجماعة بالشورى ولا تستقر فيه حقوق السلطان بصفة اصلية بل باعتباره نائبا عن الامة بدليل ان من ولاهم لا ينعزلون بموته كما ينعزل الوكيل بموت الموكل لان الوكيل الحقيقى هو الأمة وهى باقية ولو مات الامام ، وسمعناه لا يحابى ملكا ولا رسولا ولا يغض الطرف عن الحق اينما كان ويجعل من الامة رقيبا على الوالى بحيث يحقق لها الضرب على يده .

سمعت اوربا هذا واكثر منه فتفاعلت به وتاثرت نظمها بتعاليمه فتصدعت العروش والتيجان واندلع لهيب ثورة حامية الوطيس بين القديم البالى والجديد المستحدث — وانتصر الحق بعد ما قدم العالم ملايين النفوس قربانا لهذا النصر وتأسست مدرسة شريعة الطبيعة والامم واضطلع اساتذتها روسيوس بوفان دورف قابيل بنشر مبادىء العدل بين الناس ثم تلاهم جان جاك روسو وما لبثت اوروبا أن اعلنت حقوق الانسان فى المجنا كارتا والثورة الفرنسية وغيرهما .

وأذا انتهى المشرعون المحدثون بعد كثير من المدنيات المتلاحقة الى ان تطبيق التشريع من حيث المكان يجب أن يكون اقليميا لا شخصيا بمعنى ان يكون القانون واحدا والمحكمة واحدة لكل القاطنين فى حدود الدولة غير ناظرين الى الفوارق القومية أو الخلافات المقيدية واصبحت هذه القاعدة المستقرة فى البلاد الغربية بعد أن كان القانون الرومانى يطبق على الرومان فقط .

أما فى بلاد الشرق فلم يأخذ بهذه القاعدة سوى اليابان وتركيا وفارس واذا ذهب هؤلاء المتشرعون الى أن استقرار المعاملات وتنظيم العلاقات وضمان العدالة أمور تقضى فى تطبيق التشريع من حيث الزمان الا يكون له

اثر رجعي خاص فلا يسري على الماضي واستثنوا منها ما يتعلق بالنظام العام أو ورد به نص خاص . فان الشريعة الاسلامية قد كانت أول من أرسى هذه القاعدة . واصلها تأصيلا استقر في نفوس اتباعها حكاما ومحكومين فاعتبرت أن التشريع اقليمي لا شخصي وكان ذلك منذ القرن السادس الميلادي قبل تفتح الحضارات في العالم اذ أن الاسلام وضع النظم لجميع القاطنين في الدولة الاسلامية مسلمين وغير مسلمين وقسم الأرض الى دارين اثنين أولهما دار الاسلام بغض النظر عن السكان وثانيهما دار الحرب وهي ما عدا ذلك .

كذلك سبق الاسلام الى تقرير عدم سريان التشريع على الماضي فقال الكتاب الكريم (عفا الله عما سلف) ويستثنى من ذلك ما يمس النظام العام (فأن تبتم فلكم رؤوس اموالكم) .

وفقهاء الشريعة عندما يستنبطون احكامه يجرون مجرى الفقهاء المحدثين في محيط اوسع ونظرات اتم بعدما سمعوا القرآن الكريم يصدع بالحجة والبرهان (هاتوا برهانكم) (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) (تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) . فدائرة القياس ومفهوم المخالفة والبحث عن حكمة التشريع عندنا اوسع فهي من اخصب مصادر التشريع الاسلامي بعكسه عند الغربيين فهم يتحسسون فيه ولا يلجأون اليه الا للضرورة الملحة .

ولعل في ذلك اجابة للسؤال الخالد الذي يتساءل به الكثيرون : لماذا جاء الاسلام قواعد كلية لا تفصيل فيها بينما الشرائع الأخرى كثيرة النصوص والتفاصيل والافتراضات وهو ايضا يعطينا في نفس الوقت فكرة عن تفسير التشريع عندهم حين تعارفوا على وجوب الأخذ بالنص الذي يبين قصد الشارع فيه من الألفاظ بصرف النظر عن تقدم المدنيات وتغير الملابسات . أما الشريعة فقد استنبط الفقهاء لكل حادثة حكمها .

ولله در القائل ان هذه الشريعة امتازت بخصائص ثلاث فقد امتدت عرضا حتى شملت جميع الامم (سبحان الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا .) وطولا حتى شملت آماد الزمن (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون .) وعمقا حتى تناولت جميع النظم (ما فرطنا في الكتاب من شيء) .

شهر شعبان

وتحت هذا العنوان يقول الشيخ مشهور ضامن :

روى أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : (قلت يا رسول الله : لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان فقال الرسول ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال لرب العالمين واحب أن يرفع عملي وانا صائم) (رواه النسائي) .

ان شهر شعبان يفصل بين رجب ورمضان ورجب شهر معظم في الجاهلية والاسلام بتحريم القتال فيه ، ووقوع حوادث تاريخية لها اثرها البليغ في نشر الدعوة الاسلامية كحادث الاسراء والمعراج . ورمضان شهر فرض فيه الصيام ، وانزل فيه القرآن ، ومجيء شعبان بين شهرين بهذه المكانة مدعاة للتهاون فيه ، وعدم القيام بالطاعات والعبادات ، وانطلاق

نزعات النفس وشهواتها ، فذكرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بتعظيم هذا الشهر وبين أن الانسان لا ينبغى ان يغفل عما يرضى الله فى كل زمان وحين ، وأرشد أن ابلغ ما يعيد اليه الذكرى التى تنفعه وتكبح جماح نفسه ويهذبه هو الصيام تهيئة لأستقبال رمضان ، وتذكيرا بأن هذا الشهر ترفع فيه الأعمال الى رب العالمين ، ويحب أن يرفع عمله وهو صائم .

ولا ريب أن فى هذا الارشاد والتذكير ما يحمل الانسان على الطاعة وعمل الصالحات ويبعده عن السيئات ويبين سر عناية النبى عليه الصلاة والسلام بالصوم فى شهر شعبان الأمر الذى يدعوه للأخذ بأسباب الخير والهدى والرشاد ليعد نفسه للفيض الالهى العظيم .

وقد صحت الأحاديث بفضل شهر شعبان كله وطلب الاكثار فيه من الصوم ، من ذلك ما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الصوم افضل بعد رمضان ؟ قال : شعبان) رواه الترمذى، وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا شهر رمضان ، وما رأيته فى شهر أكثر صياما منه فى شعبان) رواه الشيخان وابو داود .

أرجو ونحن فى ظلال شهر شعبان ان نذكر هذه الحكم والعظات ، ونقتبس من هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة لعمل الصالحات ، والانتفاع بالذكريات ، وان نقرن مع احياء هذه الأيام بالعبادات ذكرى القبلة الأولى وثالث الحرمين الشريفين ، ذكرى الوطن المقدس الذى اتجه الى حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحافظوا على كرامته وقداسته ، ونكون حراسا أمناء لننقذه من ويلاته ونكباته .



شبهات فى وجه الفكر الاســـلامى

تحت هذا العنوان نشرت مجلة الدراسات الاسلامية مقالا جاء فيه :

ان هناك العديد من الشـــبهات ، التى يكتبها الباحثون الغربيون ، عن الفكر الاسلامى تحتاج الى توضيح وتصحيح .

وليس معنى هذا اننا ننكر فضل الفكر الغربى على الفكر الانسانى .

وليس معنى هذا اننا نشـجب الفكر الانسانى جملة ، بل على العكس من ذلك ، نحن نؤمن بعظمة المعرفة الانسانية ونذكر روائع الفكر العالمى والانسانى فى مجال دفع الانســـانية الى الأمام ، واعلاء القيم الكبرى ـــ كالحرية والاخاء والبطولة ، والاستشهاد فى سبيل العلم والكشف .

ولكنا ننكر من الفكر الغربى محاولة اذلالنا وتحطيم مقوماتنا ، فى ســـبيل تركيز النفوذ الأجنبى وادامة السيطرة على العالم الاسلامى .

ونحن ننكر من الفكر الغربى ، عقوقه للقيم الانسانية واستعلاء الانسان الابيض فى غرور ، وتطبيق نظرية قوامهـــا التفرقة العنصرية ، تلك التى تقول ان ما سوى الغرب عبيد .

كما نقاوم نظريات الالحاد والاباحـــة ، والمادية واذلال القيم الانســـانية للانسان ، وانكار الغرب لقيم الدين والاخلاق .

ونحن من ناحية اخرى ، نؤمن بأن فكرنا العربى الاسلامى ، قادر على ان يعطى الانسانية زادا ونورا وضياء ، خاصة فى هذه المرحلة التى نما عليها عقل الانسانية ، وتمجيد ضميرها وروحها .

ومن هنا تبدو حاجة الانسانية الى جوهر فكرنا وعصارة قيمنا ، هذا الفكر الذى يرسم للانسانية طريقا جديدا ويحل مشكلات النفس والمجتمع ، والسياسة والاقتصاد ، فى ذلك المزيج الرائع بين الروح والمادة ، والعقل والوجدان والعلم والدين والدنيا والاخرة .

وأعتقد ان رسالة المفكر المسلم فى هذه المرحلة الدقيقة من حياة الأمـــة العربية والعالم الاسلامى ان يكشف فى يقظة ووعى ، كل الشبهات التى يرددها النفوذ الاجنبى ، والتبعية الثقافية ، وحملات الغزو والتغريب الفكرى .

ونحن نعلم تماما ، ان الاستعمار والصهيونية ، والالحاد ما تزال هى القوى الثلاث التى تحاول أن تعيد العالم الاسلامى مرة أخرى الى مجال الســـيطرة وذلك بالقضاء ، على مقوماته واشاعة الشكوك والاتهامات والدعوات الهدامة

فى جوانبه حتى تحول بين شعوب هذا العالم ، من الالتقاء على (وحدة الفكر) هذه الوحده ، التى هى الاســاس العميق المدى فى بناء الوحدة السـياسـية والاقتصادية ، وقيام الجبهة الموحدة القادرة على العمل والبناء .

وعلينا ان لا نوقف رسالة كشف الشبهات ودحض المفتريات ، فان الحملة على الاسلام واللغة العربية والتاريخ ، والتراث العربى والاسلامى ، لا تتوقف ، وهى تتجدد بين كل حين وآخر ، نقطة تثار من هنا ونقطة تثار من هناك ، وكأن ليس بيننا ارتباط ، ثم يعودون لاثارتها من زوايا اخرى وبأقلام أخرى .

الصحافة ســـــلاح . . . .

وتقول صحيفة الرائد تحت هذا العنوان ،

فى هذه الفترة من التاريخ التى اضفت على العالم البشرى قداسة العلم ، وصبغت حياة الانسان بالصبغة المادية العلمية ، وجعلت المجتمع البشرى يعتمد على الطلقات الكونية أكثر منه على خالقها العظيم ، فى هذه الفترة تضـاعفت مسئوليات الدعاة والقادة الاسلاميين وتحتم عليهم فى كل مجال ان يثبتوا تفوق الدين الاسلامى على كل تقدم علمى وخلود الرســالة الاســلامية على رغم كل الخوارق العلمية ، والابداعات المادية المدهشة .

ولا شك فان المسلمين وعلى رأسهم دعاة الاسلام المخلصون اســتفادوا من جميع هذه الاكتشــافات والاختراعات فى مجال دعم الحــركة الاســلامية وتوطيد أركان الدعوة واستدلوا بها على خلود رسالة الاسلام ومســايرتها مع الطبيعة العلمية والانسانية فى كل زمان ومكان ، والحقيقة ان ذلك كان مدعاة الى توسيع نشاطهم ومددا كبيرا فى اقناع الطبقة التى كانت تبحث عن الضوء بعدما طال تيهها فى دياجير الحياة ومحالك المادة .

ولم تكتف الفئة المؤمنة بسلاح واحد فى مواجهة هذا التيار الضخم وانما اخترعت أنواعا عديدة من الاسلحة تســتعمل فى كل جهة وعلى كل ثغرة ، ومن بينها الصــحافة والكتابة التى لعبت دورا هاما فى كسب المعركة العلمية على الدوام ، وكان لها تأثير عميق واسع فى المعارك الفكرية والنظرية ، وتأييد الحق على الباطل . ولــكن بتأثير النظريات المادية الخالصة — وجد هناك نوع من الصحافة والكتابة يسعى فى نشر كل هزيل من الافكار وبشكل مريض من الآراء ، وبكلمة اخرى أسس هذا النوع من الصــحافة والكتابة لمحاربة كل فضــيلة ، ومساندة كل رذيلة .

فليحرص كتابنا ودعاتنا على مقاومة هذه الصــحافة الخليعــة المأجورة والكتابات المحترفة الاثيمــة بالصحافة السليمة المخلصة ، والكتابات الهادفة النزيهة ، وليســاهم كل كاتب وكل صــحفى من المسلمين فى هذه المعركة بكل ما أوتى من امكانيات ووسائل وليؤد كل منهم واجبه فى نطاقه وحسب طاقاته ، (لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) .

اعـــداد : ع. ب.

الكويت : اذاع سمو الأمير المعظم حديثا بمناسبة اليوم العالمى لمحو الأمية ،جاء فيه : اننا لن ندخر وسعا فى العمل على محو الأمية بجميع اشكالها .

● وافق مجلس الوزراء على تقديم مساعدة مالية قيمتها (٢٠) عشرون الف دينار لتدعيم النشاط التربوى فى الجمهورية اليمنية .

● قرر مجلس الوزراء التبرع بمبلغ (٥٠٠٠) خمسة آلاف دينار كويتى للقيام ببناء مسجد ومركز اسلامى وملحقاته فى السنغال .

● زار معالى وزير الخارجية موريتانيا فى الشهر الماضى تلبية لدعوة من حكومتها ، وقد أجرى معاليه مع المسئولين فى موريتانيا مباحثات استهدفت توثيق العلاقات بين البلدين المسلمين .

● تبرعت الكويت بمبلغ (٢٥) الف دينار ومواد طبية قيمتها ١٠ آلاف دينار لمنكوبى الفيضانات فى باكستان .

● قررت وزارة التربية فصل مادة التربية الدينية عن مادة اللغة العربية وانشاء تفتيش خاص لها بالوزارة للتربية الاسلامية .

● احتفلت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بذكرى الاسراء والمعراج فى مسجد السوق الكبير .

● عقد فى الشهر الماضى اتفاق ثقافى بين الكويت والأردن يقضى بتبادل الخبرات وتقريب المناهج التعليمية تمهيدا لتوحيد كافة المناهج العربية فى المستقبل .

القاهرة : زار القاهرة فى الشهر الماضى كل من الرئيس الموريتانى والرئيس النيجيرى لتقوية العلاقات بين كل من مصر وموريتانيا ونيجيريا .

● استقبل فضيلة شيخ الأزهر مدير كلية الدراسات الاسلامية بالسودان حيث تعرف على أعضاء البعثة الأزهرية التى طلبتها الكلية السودانية من الأزهر .

● عقد بالقاهرة فى أواخر الشهر الماضى مؤتمر العلوم والثقافة والتربية العربى ، وقد حضر المؤتمر وفود من الدول العربية حيث ناقشوا الأمور المتعلقة بالثقافة والتربية .

● قامفضيلة شيخ الأزهر فى أوائل الشهر الماضى بزيارة المسلمين فى الجمهوريات السوفيتية لمدة خمسة عشر يوما ضمن رحلة فى بعض البلدان الاسلامية لشرح القضية العربية للراى العام الاسلامى .

السعودية : وجه الملك فيصل نداء فى الشهر الماضى ناشد فيه قادة المسلمين وشعوبهم أن يهبوا لتحرير القدس ، ودعا جلالته الى عقد مؤتمر قمة اسلامى .

● زار وفد اقتصادى سعودى جمهورية اليمن لاستكمال مباحثات التعاون الاقتصادى بين البلدين ، ويشمل التعاون دعما ماليا سعوديا لليمن ، وانشاء

شركة سعودية يمنية للبترول ومصفاة ، كما يشمل انشاء بنك سـعودى فى الحديدة وصنعاء .

● تم التوقيع على اتفاقية للنقل الجوى بين السعودية وجمهورية اليمن فى نطاق تدعيم العلاقات بين البلدين .

سوريا : عقد فى الشهر الماضى مؤتمر طارىء لوزراء الصحة فى سوريا ولبنان والأردن والعراق والكويت لبحث وتوحيد الاجراءات الوقائية لمكافحة وباء الكوليرا .

لبنـان : انتخب الرئيس اللبنـانى السـيد سليمان فرنجية رئيسـا للجمهورية .

● تم انشاء يونسكو عربية من جميع الدول العربية مهمتها العمل على توحيد المناهج التعليمية فى العالم العربى .

ليبيا : تبرعت ليبيا بمبلغ مليون جنيه ليبى للمسـاهمة فى التخفيف عن الجمهورية اليمنية من آثار الجفاف .

الجزائر : عقد فى مدينة قسنطينة المؤتمر الرابع للفكر الاسلامى الـذى اشترك فيه لمدة تسعة أيام من الشهر الماضى أساتذة ومفكـرون من العالـم العربى ، وقد ناقشوا دور الاسلام والحياة .

موريتانيا : عقدت بين موريتانيا والجزائر اتفاقية للتعاون الثقافى والعلمى والاقتصادى ، وستشكل لجنة على مستوى وزارى بين البلدين لمتابعة تنفيـذ الاتفاقية .

باكستان : اجتاحت الفيضانات فى الشـهر الماضى شرق باكستـان وشملت منطقة مساحتها ٥٥ الف ميل مربع ، وقد تضرر من هذه الفيضانـات حوالى ٣ ملايين شخص .

ايران : قام وفد صحفى واعلامى ايرانى بزيارات متتاليـة فى الشـهر الماضى الى الكويت وامارات الخليج العربى .

اندونيسيا : عقدت المنظمة الاسلامية الآسيوية الافريقية أول مؤتمر لها فى ٢١ — ٢٧ سبتمبر الماضى ، وقد حضره أكثـر من ممثلين لأربعين دولـة اسلامية .

ماليزيـا : احتفلت ماليزيا فى أواخر الشهر الماضى بعيدها الوطنى .

● دعا تنكو عبد الرحمن رئيس وزراء ماليزيا وأمين عام الأمانة الاسلامية الى اجتماع لوزراء خارجية الدول الاسلامية ، وقال ان أحد اغراض الأمانـة الاسلامية تحقيق التعاون وتقديم المعونـة فى حالة حدوث كارثـة لأية دولة اسـلامية .

● تقرر تشكيل منظمة ماليزية فلسطينية تكون مهمتها تفهيم القضيـة الفلسطينية للشعب الماليـزى وتقديم العون المـادى والمعنوى للفـدائيين الفلسطينيين .

اخبار متفرقة :

نيويورك : بدات الجالية الاسلامية فى نيويورك فى انشاء مركز اسلامى ومكتبة ومسجد للمسلمين .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ـ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة .

جدة : الدار السعودية للنشر ـ ص.ب (٢٠٤٣)

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ السيد محمد سعيد بابيضان .

بغداد : المؤسسة العامة للصحافة والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيذ فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد .

حضرموت : مكتبة الشعب ـ ص.ب (٢٨) المكلا .

دبى : مكتبة دار الحياة ص. ب ١٨٨٤ .

مسقط : المكتبة الحديثة / يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية ـ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ـ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ـ بيروت ـ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة الوطنية ـ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ـ ص.ب (١٣٢) ـ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ـ صب (٢٨٠) ـ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

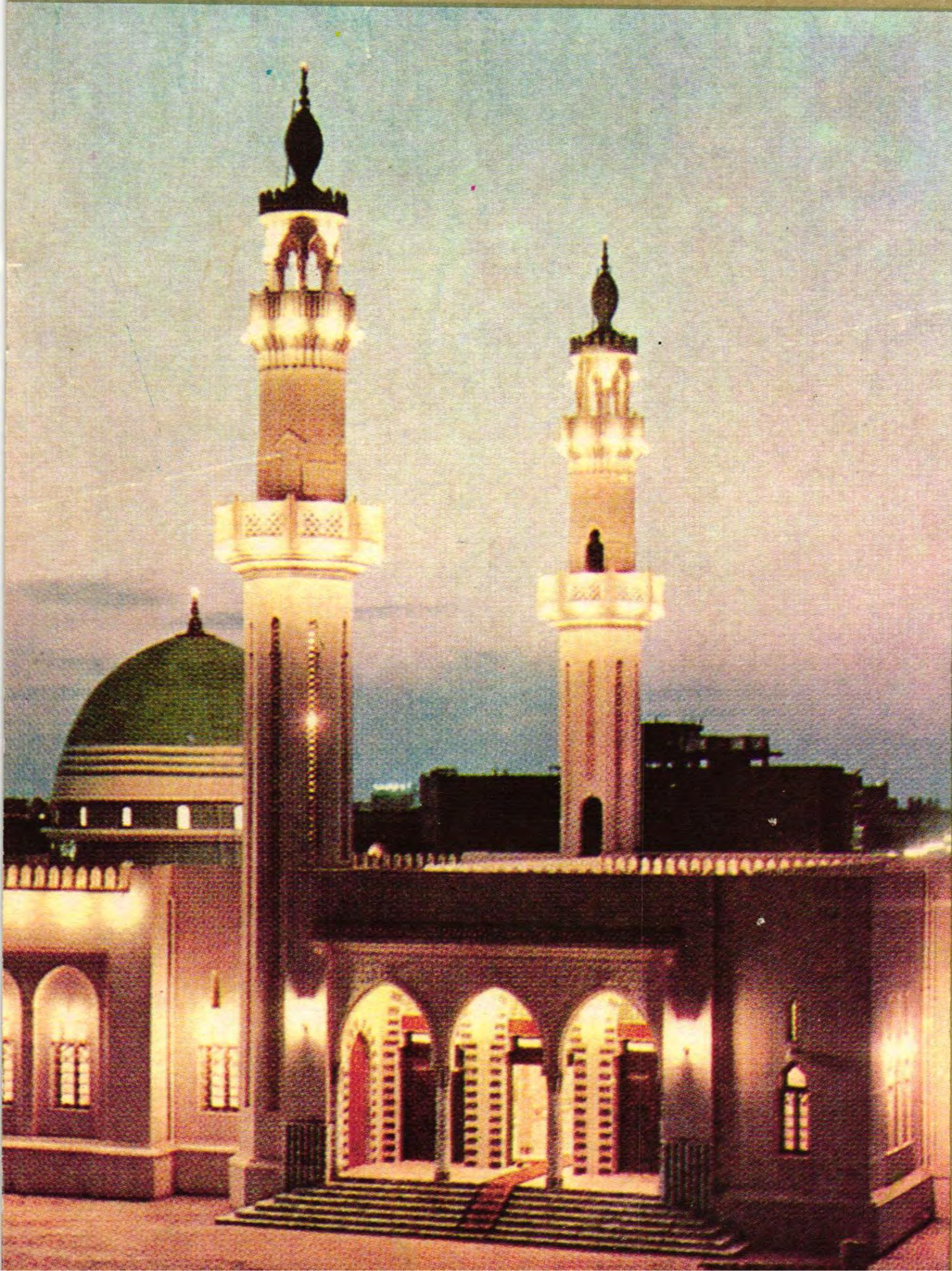
ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلاميّة ثقافيّة شهريّة

السنة السادسة ـ العدد ٦٩ ـ رمضان ١٣٩٠ هـ ـ ٣١ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٠ م



رسالة

الصيام والزكاة
هديتك مجاناً
هذا العدد



سمو الامير يؤدى صلاة الجمعة فى الجامع الأزهر اثناء زيارتـــه للقاهرة سنة ١٩٦٦ وعن يساره الرئيس الراحل جمـــال عبد الناصر ، وعن يمينه الرئيس الحالى أنور السادات .

مسجد الشملان



هكذا تبدو مساجد الكويت ليلا في شهر رمضان في أجمل زينة . عامرة بالصائمين القائمين .

وفي الصورة مسجد الشملان الذى يمتاز بطرازه العربى الرفيع وموقعه الفريد .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد التاسع والستون

رمضان سنة ١٣٩٠ هـ

٣١ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)

أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطا

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ـ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

من الهلال إلى الهلال

الأول هلال شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان والثانى هلال شهر شوال الذى افتتح الله به أشهر الحج الى بيته الحرام ، ومن الهلال الأول الى الهلال الثانى يقوم المسلم الصائم برحلة سنوية وفقا لبرنامج سماوى شرعه رب العالمين ، وبينه خاتم الانبياء والمرسلين .

وارتباط عبادة الصوم الذى تتميز به هذه الرحلة بالقمر ليس بدعابين العبادات فى الاسلام فاركان الدين العملية التى تعبدنا الله بها من صلاة وزكاة وصيام وحج ترتبط زمنيا بالكوكبين المنيرين (الشمس والقمر) ارتباطا وثيقا .

فالصلوات الخمس لها اوقات محدودة لا بد ان تؤدى فيها لقول الله تعالى : ((ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا)) .

وقد اشار القرآن الكريم الى هذه الاوقات اشارة مجملة فقال سبحانه : (واقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل) ، وفى سورة الاسراء (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا) ، وفى سورة طه : (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى) .

وجاءت السنة النبوية بتحديد وقت كل صلاة منها بدءا ونهاية ، وهذا التحديد مرتبط بالشمس ، عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل عليه السلام ، فقال له : قم فصله . فصلى الظهر حين زالت الشمس ، ثم جاءه العصر ، فقال : قم فصله ، فصلى العصر حين صار ظل كل شىء مثله ، ثم جاءه المغرب فقال : قم فصله ، فصلى المغرب حين وجبت الشمس ثم جاءه العشاء ، فقال : قم فصله ، فصلى العشاء حين غاب الشفق ، ثم جاءه الفجر حين برق أو قال سطع الفجر .. ثم جاءه من الغد

للظهر فقال : قم فصله ، فصلى الظهر حين صار ظل كل شيء مثله ، ثم جاءه العصر ، فقال قم فصله ، فصلى العصر حين صار ظل كل شيء مثليه ، ثم جاء المغرب وقتا واحدا لم يزل عنه، ثم جاءه العشاء حين ذهب نصف الليل أو قال ثلث الليل ، فصلى العشاء ، ثم جاءه حين أسفر فقال : قم فصله ، فصلى الفجر، ثم قال : ما بين هذين الوقتين وقت .

وهناك صلوات اخرى غير المفروضة يرتبط وقتها بالشمس ، فصلاة العيدين من ارتفاع الشمس قدر ثلاثة أمتار ، قال جندب رضى الله عنه : (كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى بنا الفطر والشمس على قدر رمحين والأضحى على قيد رمح) وصلاة الضحى يبتدىء وقتها بارتفاع الشمس قدر رمح وينتهى عند الزوال ، قال زيد بن أرقم : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل قباء وهم يصلون الضحى ، فقال : ((صلاة الأوابين اذارمضت الفصال من الضحى)) اذا وجدت أولاد الناقة حر الشمس .

وزكاة النقدين وعروض التجارة والأنعام انما تجب بمرور حول على نصاب كل منها ، والحول سنة قمرية .

والحج اشهر معلومات ، وهى شوال وذو القعدة وعشرة ايام من ذى الحجة وهى اشهر قمرية .

والشهر المفروض صومه رمضان وهو يبدأ بهلاله وينتهى بهلال شوال .

ففى حديث مسلم عن ابى هريرة : ان رسول الله ذكر الهلال ، فقال : اذا رأيتموه فصوموا واذا رايتموه فافطروا فان غمى عليكم فعدوا ثلاثين .

ووقت الصوم من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، قال تعالى : (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الأسود من الفجر) .

وتحديد مواقيت العبادة وضبطها بالشمس والقمر ، وتوضيحها بالوحى على لسان المعصوم صلى الله عليه وسلم لم يجعل لكائن من كان فى اى عصر من العصور مجالا للتلاعب او الابتداع ، فلا يملك أحد تغيير هذه المواقيت ولا تعديلها بالزيادة او النقص أو التقديم أو التأخير فذلك شرع الله الذى شرعه لعباده .

وكيفية أداء هذه الطاعات وصورها العملية لم تتغير عند المسلمين فى عهد من العهود عما كانت عليه فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالصلوات باقوالها وافعالها - وعدد ركعاتها والزكاة بانواعها ومقاديرها ، والصوم بحدوده والتزاماته ، والحج بمناسكه وشعائره كل ذلك لم يختلف عما كان يفعله صلوات الله وسلامه عليه ، وما كان يفعله موافق تمام الموافقة لما جاء به الوحى اليه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : (صلوا كما رايتمونى اصلى) و (خذوا عنى مناسككم) .

وبهذا يكون كل مسلم ملتزما باداء هذه العبادات فى مواقيتها وعلى النحو والصورة المنقولة الينا قولا وعملا جيلا عن جيل من العدول الثقات .

ومن فضل الله على المسلمين أن بقيت شعائر الاسلام وعباداته سليمة نقية بريئة من التحريف والتغيير منزهة عن عبث العابثين واهواء الضالين المبتدعين ، وهذه ميزة للاسلام لم تكن لدين من الأديان ، فأنواع العبادات وصورها فى الديانات الأخرى دخلها من الزيف والابتداع ما اخرجها عما شرع الله ، أما الاسلام فقد أوصى المسلمين ان يتبعوا ولا يبتدعوا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة) وقال : (من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد) .

وقال أبو بكر رضى الله عنه : لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به ، انى اخشى ان تركت شيئا من امره أن ازيغ .

وقال عمر بن عبد العزيز : انه ليس بعد نبيكم نبى ، ولا بعد كتابكم كتاب ، ولا بعد سنتكم سنة ، ولا بعد امتكم امة ، الا وان الحلال ما احل الله فى كتابه على لسان نبيه حلال الى يوم القيامة ، الا وان الحرام ما حرم الله فى كتابه على لسان نبيه حرام الى يوم القيامة الا وانى لست بمبتدع ولكنى بمتبع . الا وانى لست بقاض (مشرع) ولكنى منفذ .

وجاء رجل الى الامام مالك وهو بالمدينة وقال له : يا ابا عبد الله من أين أحرم ؟ قال من ذى الحليفة ، (ميقات اهل المدينة) من حيث احرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انى أريد أن احرم من المسجد ، فقال : لا تفعل . قال : انى اريد ان احرم من المسجد من عند القبر (قبر النبى) قال : لا تفعل ، فانى اخشى عليك الفتنة . قال : واى فتنة فى هذا ؟ وانما هى اميال ازيدها قال : وأى فتنة أعظم من ان ترى انك سبقت الى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم . انى سمعت الله يقول : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) .

وقال الحسن فى تفسير قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) كتب الله صيام رمضان على من كان قبلكم : فاما اليهود فرفضوه ، وأما النصارى فشق عليهم الصوم ، فزادوا فيه عشرا وأخروه الى اخف ما يكون عليه فيه الصوم من الأزمنة .

والعبادات فى الاسلام مقصودة بذاتها تؤدى فى مواقيتها المعلومة وبكيفياتها المشروعة ، فهى اولا وقبل كل شىء حق المعبود ، وواجب الخالق للمخلوق قال تعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وروى البخارى ومسلم عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : (كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد ؟ قلت : الله ورسوله اعلم . قال حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به أحدا) وفى الحديث القدسى : (يا بنى آدم انى ما خلقتكم لأستأنس بكم من وحشة ، ولا لأستكثر بكم من قلة ، ولا لأستعين بكم من وحدة على امر عجزت عنه ، ولا لجلب منفعة ولا لدفع مضرة وانما خلقتكم لتعبدونى طويلا ، وتذكرونى كثيرا ، وتسبحونى بكرة واصيلا) .

ولو أن مسلما صام ولم يقصد بصومه اداء حق الله ولا القيام بواجب العبودية والطاعة للمعبود وانما قصد بصومه تحصيل مقاصد معنوية كالتحرر من سلطان النفس ، أو فوائد مادية كتصحيح البدن ـ ما كان صومه هذا الا عادة لا عبادة ، ورياضة لا طاعة ، وما نظن انه يحظى بالقبول عند الله ، اذ المقصود من العبادة هو الانقياد والخضوع لله ، يقول الامام محمد عبده فى تفسير معنى العبادة : تدل الأساليب اللغوية الصحيحة والاستعمال العربى الصراح على أن العبادة ضرب من الخضوع بالغ من النهاية ناشىء عن استشعار القلب عظمة للمعبود لا يعرف منشؤها ، واعتقاده لسلطة له لا يدرك كنهها وماهيتها ، وقصارى ما يعرفه منها أنها محيطة به ، ولكنها فوق ادراكه ، وللعبادة صور كثيرة فى كل دين من الأديان شرعت لتذكير الانسان بذلك الشعور بالسلطان الالهى الاعلى الذى هو روح العبادة وسرها .

والذين لا يفقهون سر العبادة وروحها يحاولون بفلسفتهم الطائشة أن يتجاوزوا شريعة الله الى شريعة الهوى والشيطان فيظنوا أن اطعام الطعام يغنى عن الصيام ، وأن حسن المعاملة يقوم مقام الصلاة ، وانه لا فائدة من معاناة آلام الجوع والعطش فى الصوم ، وبذل الجهد فى الركوع والسجود فى الصلاة .. خير لهؤلاء الذين يقترحون على الله أن يغيروا النفوس ولا يغيروا النصوص : (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

أن العبادات التى جاء بها الاسلام ستبقى أشرف مظاهر العبودية لله ، وستظل أقوم مناهج التربية والتقويم أمام الذين يريدون ان يعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة .

وبعد :

فان المسلم الصائم يقوم فى رمضان برحلة روحية ينتقل فيها كيانه المعنوى بمشاعره وعواطفه وعقله وقلبه الى معاهد الوحى ومعالم التنزيل ، ويلتقى فيها بالرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم فى اصفى حالاته وهو يتلقى الوحى ، وفى أشجع حالاته وهو يقود المعارك الكبرى فى بدر ، وفى أسعد لحظاته وهو يحرر البيت الحرام من رجس الشرك فى فتح مكة .

فى رمضان يحلق المسلم الصائم بروحه فوق القرون المتطاولة ، فيشهد تاريخ أمته وهو يكتب بقوة العقيدة وصدق العزيمة وحرارة الدماء فيؤمن من جديد بان لا سبيل للعزة والنصر الا سبيل المؤمنين الصادقين ..

ومن الهلال الى الهلال يعيش المسلم الصائم فترة من الزمان مع الأناسى فى الأرض ومع الملائكة فى السماء ، وكم يود ان تطول حتى يصبح رمضان السنة كلها .

مدير ادارة الدعوة والارشاد
رضوان النبلي

السُنّة والبدعة ٢

للدكتور: علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

فى مقال سبق جرى البيان موضحا البدعة التى نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وانها ما مست اصلا من اصول الدين فأضافت اليه ما ليس منه او انقصت من مقدراته شيئا ، وأما ما جد فى الدنيا من مخترعات واكتشافات فى كل ميادين الحياة ، فلا يدخل تحت طائلة الذم ما دام مفيدا للانسانية ، وذلك أن الدين قد كملت احكامه ورست قواعده واستبان كل شيء فيه فلم يلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى الا وقد تركها على المحجة البيضاء لا عوج فيها ولا أمت ، وبعد أن أنزل عليه فيما أوحى اليه ربه من محكم التنزيل « .. اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا .. » .

ولما كانت السنة الشريفة شارحة لما اجمل فى القرآن الكريم ، ومؤسسة أحيانا فى بناء الاسلام ، وكانت الحكمة التى أوتيها رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام — أقول — لهذا عنى بها علماء الاسلام قديما وحديثا وحظيت منهم بدراسات وعناية لم يحظ بها علم آخر ، ووضعت لتفهمها وتنقيتها مما قد يكون علق بها من شوائب قواعد وأسس لم يصل اليها علماء ملة أخرى ولا حملة دين أيا كان فصارت للسنة علوم خاصة خالصة تحفظها نقية طاهرة صافية لتمضى مع الزمان الى جانب كتاب الله العزيز تحمل النور والهداية للناس أجمعين ، ويعرج مقال هذا العدد على ذكر بعض علومها وآدابها ..

١ — علم الحديث رواية :

ويقوم على النقل المحرر الدقيق لكل ما أضيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو تقرير أو عمل ، وما أضيف الى الصحابة أو التابعين (١) .

وفائدته : البعد عن الخطأ فى نقل

اقوال النبى صلى اللــه عليه وسلم وافعاله وتقريراته وصفاته .

وأول من الف فيه محمد بن مسلم ابن عبد اللــه بن شهاب الزهرى عالم الحجاز والشام المتــوفى سنة ١٢٤ هـ .

٢ ــ وعلم الحديث دراية :

ويقـــوم على مجمـــوعة من المباحث والمســائل يعرف بهـــا حـــال الــراوى والمــروى مــن حيث القبول والرد (كما عرفه ابن حجر) ويطلق عليه (علم اصـــول الحديث) ويسمى أيضا علم (مصطلح الحديث) ويعنى بتقسيم الخبر الــى صحيح ــ وحسن وضعيف وتقسيم كل من هــذه الثلاثة الى أنواع ، ثم بيان الشروط المطلوبة فى الــراوى والمروى ، وما يدخل الأخبار من علل واضطراب وشذوذ . .) (٢) .

والراوى : هو الذى ينقل الحديث باسناده رجلا كان أو امرأة .

والمروى : هو ما أضيف الى النبى صلى اللــه عليه وسلم .

وفائدته : معرفـــة ما يتبـــل وما لا يقبل من الأحاديث ، وأول من الف فيه هو القاضى أبـــو محمـــد الرامهرمزى المتوفى سنة ٣٦٠ هـ .

ادب السنة والحديث (٣)

محمد رسول الله هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، أوحى اليـــه بالعقيـــدة والشريعة الكاملتين الصالحتين لكـــل عصر ومصر ، ولهذا تلمس بوضوح بعد دراسة ما اثر عنه صلى اللـــــه عليه وسلم من أقـــوال وافعال ، أنه ما ترك شيئا يوثقروابط الحياة الحرة الكريمة بين الناس ، ويدفعهم للمضى قدما فى كل ميادين العمل النافـــع المجدى ، ويمحو من بينهم ما يعكـــر صفوهم وينتزع جذور النفار والشقاق من أرضهم الا وحث عليه ، ووضع أسسه العلميـــة فى عصره ، حيث سادت الألفة وعم التعـــاون عـــلى الخير ، ومضى المسلمون جميعا الـــى هدفهم الأسمى ، وهو حمل مشاعل الهداية الربانية الى العالمين ، غايتهم رضوان اللـــه فى الدنيا والآخرة ،

والحق الذى يجب أن تخضع له العقول المنصـــفة ،وتنطوى تحت لوائه القلوب التى تنشد الســـلام والخير وتتسم به المجتمعـــات التى تتلمس النجاة من المزالق والمهالك ، وتطمح الى مستوى انسانى رفيع ، وتطمع فى احتـــلال منزلة مرموقة تهفو النفوس الى هداها ، وتســير على نورها وتقواها ــ أقول ــ ذلك الحق هو انتهاج سنة رســـول الله صلى الله عليه وسلم وترسم خطاه ، والتفكير العميق فى مداخل الشريعة ومخارجها ، حتى تطبق واقعيا فى الســلوك الفردى والجماعى ونظام الدولة وخطط المعاش عامة ــ والا ــ فقلى بربك ! ماذا جنينـــا من اتبـــاع الهوى وما أفدنا من الأوبئة الفـــكرية الوافدة من هنا وهناك ، اليست للنـــاس عقول تدرك وأفهام تعى وقلوب تلين لذكر الله وما نزل من الحق ، الى متى نظل نعامة تدفن رأسها فى الرمال ، والصائد بريشنا فيصمينا ، ويرمينا حتى يفنينا ونحن أولو التراث المجيد ، وأصـــحاب القول الفصــــل اذا حكم العقـــل الرشيد ، هل لا نحس ما صرنا اليه من التمزق والتفرق ، وما نجم عنه من الصراع الدموى فى كل مكان ، وما وقعنا فيه من تأريث نار العداوة والبغضاء والتمكين للشقاق والنفرة بين الأخ وأخيـــه والولد وأبيه دون رعاية حقوق الأرحام ، وأتت فعالنا على كل نافع مفيد ، فأطفـــأنا

مصابيحنا بأنفاسنا اللاهثة جريا وراء الخراب والدمار ، وسبحنا فى دامس الظلام وأطلقنا من كنانتنا السهام خبط عشواء فأصبنا أنفسنا دون تمييز بين القريب والبعيد ، وان العالم فيما هو واقع لينظر الينا نظره الى فئة ضالة ، وقطعان هائمة على وجوهها دون راع ولا حام ، ولنمر سراعا ببعض ما رسمه الأدب النبوى لهناء الانسان ، مبتدئين من النواة الاولى لكل مجتمع وهى الأسرة ، عابرين الى الكون الفسيح فى مختلف كينوناته ومقوماته :

لقد عظم عليه الصلاة والسلام أمر الوالدين ، وجعل طاعتهم مكملة لطاعة الله ورسوله ، واوصى بالأمهات ما لم يوص بالآباء لما قاسين من مشقات الحمل والولادة والارضاع وحسن الرعاية للصغار ، جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله : من أحق الناس بحسن صحابتى يا رسول الله ؟ قال : أمك ، قال ثم من ؟ قال أمك ، قال ثم من ؟ قال أمك ، قال ثم من ؟ قال أبوك ، كما جعل للأبناء على آبائهم حق الرعاية وحسن التوجيه وتيسير سبل السلوك القويم، ومجتمع تترابط أسره ، لا بد وأن ينعكس فضلها عليه فيمضى الجميع لطيتهم فى هدوء وحب وسلام .

وبعد الأسرة الجار ، وحق الجار فى الاسلام غير منكور ، فقد قال عليه الصلاة والسلام « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه » يريد ضمه الى أسرة جاره كولد وذى رحم وعد من الأعمال التى ينتفى معها الايمان ، ايذاء الجار ، فقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام قال : « ... والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، وكررها طويلا ، فقال الصحابة من يا رسول الله ؟ قال : « من لا يأمن جاره بوائقه » وما الناس الا جار ومجاوره فمتى سادت الثقة والمحبة بين الجيران ، واهتم كل بمصالح صاحبه فتلك نهاية السعادة للوطن الذى يضمهم جميعا .

والأصدقاء ، ولا بد فى الدنيا من صديق تبثه شكواك ، وتستعينه فى نوازلك ، وتعتمد عليه فى كربك ، وتسدى اليه الخير فى يسارك ، وما أكثر ما طلب الرسول الى المسلمين أن ينتقوا أصدقاءهم فكل قرين بالمقارن يقتدى ، وفى أدبه الشريف تشبيه للصاحب الفاضل ببائع المسك ، والجليس السىء بنافخ الكير .

فالأول اما أن يعطيك من مسكه او تشترى منه أو تجد منه ريحا طيبا فهو مصدر خير على أى حال .

وأما الثانى فلو اقتربت منه لأصابك شرر ناره فأحرق ثوبك أو بدنك ، وان حاذيته شممت ريحا خبيثا ، فلا يصلك منه الا الشر فى جميع أحواله فالاولى للعاقل أن يتخير جلساءه من كرام الناس خلقا فالمرء مع من أحب .

وحث رسول الله على الاخلاص والتصافى بين الناس جميعا ، وكشف عن قبح الأخلاق الملتوية التى تشوبها المنفعة الخالصة ، ويعكرها لؤم الطباع وخسة التصرفات ، وسرد من علامات النفاق أحوالا تبين عنه ، ودلائل تشير اليه حتى يتحاشاه ذو البصيرة النيرة ، قال عليه الصلاة والسلام : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا ائتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر ، وطريق ترفع منه تلك الأشواك لا شك يجمل السير فيه .

وفى الأدب النبوى دعوة قوية الى ادامة التناصح بين مختلف الفئات التى تكون بناء المجتمع العام ، فقد

روى تميم الدارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الدين النصيحة ، قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم » وهذا لتدوم اليقظة التامة بين الناس ولا توجد فرصة لصاحب غي كي يسدر في غيه فتستقيم الأحوال دائما وتنعم الأمة بالعيش الهنىء .

وفيه تحريض على العمل ، وتنفير من البطالة والتكاسل ، والمساهمة في كل أحوال الوطن الذى يجمع بين جوانبه أبناء متجانسين ، قال عليه الصلاة والسلام : « على كل مسلم صدقة ، فقالوا يا نبى الله فان لم يجد ؟ قال : يعمل بيده ، فينفع الناس ويتصدق ، قالوا : فان لم يجد قال : يعين ذا الحاجة الملهوف ، قالوا : فان لم يجد ؟ قال : فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فانها له صدقة » . وهذا ترغيب في اسداء الجميل الى الناس ، ودفع الى ترك التواكل والركون الى الراحة ونهى عن ايذاء الغير .

والبشر في الاسلام سواء لا فضل لأحدهم على الآخر بغنى أو جاه أو جمال مظهر أو لون ، فمن أفاء الله عليه الخير ، واتخذ من يخدمه ويساعده ، فليجعله في منزلة نفسه سواء بسواء فالتعالى خلق جاهلى ، والتفاخر نعرة غير اسلامية ، عن معروف بن سويد قال : رأيت أبا ذر الغفارى رضى الله عنه ، وعليه حلة ، وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك ، فقال انى سابيت رجلا فشكانى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أعيرته بأمه ؟ انك امرؤ فيك جاهلية ، ثم قال : ان اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم » .

وحذر من اتباع الهوى ، ونهى عن الفوضى ، وأوجب طاعة الامام ما دام عاملا بما أمر الله به ورسوله ، فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة .

هذا : ولو ذهبنا نستعرض الأدب النبوى في مسالك الحياة ومدارجها لضاق المقام ، وما انقضى القول ، وقد ذكرنا طرفا مما لا بد من ذكره ، والذى لم يتمالك كثير من علماء الغرب المعاصرين أن يشهدوا بسموه وعظمته واحقيته في الخلود ، وذلك حين اطلعوا عليه في مصادره ، والفضل ما شهدت به الأعداء ، وحبذا لو أن المسلمين كانوا دعاة خير بسلوكهم ، وعناوين صادقة لاسلامهم في أعمالهم ، وأدوات صلاح فيما يأتون وما يذرون ، فعندها لا تحتاج الانسانية الى جديد من التوجيه ولا تفتقر الى فلسفات توضح الطريق الى السعادة والسلام والمحبة والوئام ، فكل ذلك كامن في وصايا الرسول الكريم كمون النار في الحجر يوريها الزند ، وما زندها الا التطبيق العملى ، وما أحفل الأدب النبوى بالخير ، فيا ليت قومى يعلمون .

(١) المنهل الحديث ص ٢٥ للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى القاهرة ١٩٤٧ م .

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الاسلامى للدكتور السباعى ص ١٢٦ حسب نشر دار العروبة بالقاهرة ١٩٦١ م .

(٣) السنة : كل ما اثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير . كما مر بك آنفا .

والحديث : هو كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام ولا زيادة .

اقرأ باسم ربك ..

محاضرة ارتجلها الدكتور عبد الحليم محمود
وكيل الأزهر

في الموسم الثقافي الذي اقامته وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية في شهر رمضان الماضي
نقلها واعدها : عبد المعطى بيومى

آية من كتاب الله حددت موقف الاسلام من قضايا الفكر العالمية في صراحة وحزم وسمو .. وتضمنت رسالة الاسلام الشاملة عقائد واخلاقا وعبادات (قدمها في زهاء ساعة ونصف في عشية ليلة من ليالي الاشراق الروحي فضيلة الدكتور المحاضر في اسلوب سهل .. راق رائق) .

قال فضيلته : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين :

ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب .

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا .

وبعـــد :

فان موضوع هذا الحديث أول آية نزلت من القرآن الكريم (اقرأ باســـم ربك الذى خلق) .

والآية لها الفاظ ولها جو وسنتحدث عن الفاظها وعن جوها بقدر الطـــاقة البشرية مستعينين بالله متوكلين عليه .

القرآن والعلم :

وأول ما يلاحظ ان تبتدىء الآية الكريمة بـ (اقرأ) فهى من اول الأمر ولأول لحظة موجهة الى الجانب العلمى ، والواقع أن الأمة الاسلامية الآن فى هذه

القرآن والعلم • بدعة تعارض الدين والعلم • تقييم الثقافة البشرية العقلية • الفلسفة لارأي لها • علاج الملحدين • موقفنا من الثقافة الغربية

النهضة لابد لها من العلم اساسا تقوم عليه فاذا انحرفت عن هذا الأساس فانها لا تقوم على اساس سليم ولا على اساس صحيح .

ومنذ البدء **كان للاسلام حملة قوية فى سبيل** حث المسلمين على العلم ، وان الآيات لتتوالى بعد ذلك حاثة على العلم ، محبذة له ، آمرة به : حتى ليصل الأمر فيما يتعلق بموقف الاسلام من العلم أن يلتمسه الرسول عليه الصلاة والسلام من ربه (رب زدنى علما) و (رب زدنى علما) شعار العالم المسلم الحق (رب زدنى علما) فى كل لحظة فى كل ساعة .. فى كل يوم والشعار الاسلامى **هو أن من استوى يوماه فى الجانب العلمى فهو مغبون** ومن لم يصل الى زيادة فى الجانب العلمى فهو الى نقصان .

بل ان الأمر ليصل الى أن الله سبحانه وتعالى يرفع العلماء الى أسمى مرتبة ايمانية : (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط) فقد شهد اولو العلم فى هذه الآية الكريمة مع الله وملائكته التوحيد : شهدوا أن لا اله الا هو ، وشهادة التوحيد أسمى مراتب الايمان ، والواقع أن العلماء يصلون الى هذه المرتبة لأنهم يرون من حكمة الله فى الكون ما لا يراه غيرهم .. فعلماء التشريح يرون الا بداع المبدع لاتقان المتقن ، يرون هذه الحكمة الحكيمة فى صنع الله سبحانه وتعالى فيخرون للأذقان سجدا له وحده ، كذلك فان علماء الفلك يرون هذه السعة الشاسعة فى الكون كما يرون تنظيمه وتنسيقه ودقة جريان افلاكه (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون) يرون هذه الدقة فيخرون له موحدين فى أسمى شعور ايمانى .

نعم .. انها قمة الايمان : شهادة التوحيد ، تلك التى يشهدها العلماء مع الله والملائكة . وللايمان مراتب منها اقول : لا اله الا الله . أو انطق : لا اله الا الله . أو اقتنع : بأن لا اله الا الله . أو اومن بأن لا اله الا الله . او أعتقد أن لا اله الا الله وكل هذه المراتب هى دون المرتبة الأخيرة وهى اشهد أن لا اله الا الله .

ولقد اعلن الله سبحانه وتعالى ان هذه المرتبة الأخيرة — شهادة التوحيد — ينالها العلماء المقتدون بالله وملائكته فى هذه الشهادة ، ولن تجد فى مجالات الآداب العالمية شرقية ولا غربية اشادة بالعلم اكبر من هذه الاشادة او اسمى من هذه الاشادة .

واذا قصرت الأمة الاسلامية فى تحصيل العلم فهى مقصرة فى تحصيل اسمى مراتب الايمان واذا قصرت فى الجانب العلمى فهى مقصرة فى المنهج الذى دعا اليه سبحانه وتعالى وحثت عليه اول كلمة من القرآن « اقرأ » .

اى عـــلم ؟

ولكن ما هو العلم المقصود الذى دعا اليه سبحانه واشاد به رسوله ؟ انه العلم على وجه العموم . العلم بالكون . العلم بالطبيعة . العلم بالفلك . العلم بالكيمياء . كما أنه العلم بالتفســـير وبالفقه وبغير ذلك من علوم الدين .. انه العلم على اطلاقه المطلق ... !

هذه الدعوة الى العلم بين فيها رسول الله صـــلى الله عليه وسلم قيمة العلماء أيضا يقول عليه الصلاة والسلام (من سلك طريقا يبتغى به علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء .. وفضل العالم على العابد (وانظروا هنا التشبيه والقياس . فضـــل العالم على العابد لايشـــبه رسول الله صـــلى الله عليه وسلم ولا يقرن فى التمثيل العالم وصـــاحب المنصب أو العالم والثرى وانما العالم والعابد) وفضـــل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر ..

هذه هى الدعوة الاسلامية الى العلم .

بدعة تعارض الدين والعلم :

وهنا يأتى سؤال من أين هذه البدعة الشائعة التى يروجها كثير من الملاحدة عن تعارض الدين والعلم ؟ هل يتأتى حقيقة والأمر كذلك أن يكون هناك تعارض بين الاسلام والعلم ولنتبصر الأمر قليلا ما هو العلم الذى يقولون انه متعارض مع الدين ؟ انه العلم بمعناه الحديث وكلمة العلم بالمعنى الحديث تعنى : القواعد والقوانين التى اتخذت اساسا لها التجربة والملاحظة . اذن العلم الذى يعنونه ميدان الكون .. الطبيعة .. العالم المحسوس .. عالم المادة .. وما دام الأمر كذلك فلا يتأتى مطلقا ان يكون هناك تعارض بين عالم الألوهية عالم الايمان .. عالم الأخلاق .. عالم التوحيد .. عالم العقـــائد .. وبين العالم الذى مجالـــه محدود بالمادة والحس، فان دائرة الدين ودائرة المادة والحس مختلفتان فلا يتأتى أن يكون هناك تعارض . فكيف نشأت اذن فكرة التعارض بين الدين والعلم .

الواقع انها لم تنشأ فى ربوع الاسلام بل ولم تنشأ فى الشرق وانما نشأت فى أوربا ، والسبب بسيط ومعروف عند كل من درس تاريخ الفكر فى أوربا .

فى يوم من الأيام فى العصور الوسطى تبنت الكنيسة آراء ارســـطو فى الطبيعة وما وراء الطبيعة واتخذت هذه الآراء قاعدة ومقياســـا ومقدســـا من

المقدسات ، وارسطو شخصية بشرية تخطىء وتصيب فلما بدات النهضة وقامت على اساس الملاحظة والتجربة بدأت ترى ان طبيعة ارسطو .. كيمياء ارسطو .. اخلاق ارسطو كل ذلك منهار، وبدأ العلماء يبرهنون على انهيار نظريات ارسطو فى الطبيعة وغيرها ، وكان كل عالم يحـاول الخروج على فكر ارسـطو كانت الكنيسة تنكل به ، تبعث به الى السجن ، تعذبه على اى وضع من الاوضاع ، وكانت هناك محاكم التفتيش تنكل بكل من خرج على آراء ارسطو . وآراء ارسطو التى يمكن بسهولة هدمها والتى تنهار فى يسر انما هى الآراء فى الطبيعة والكيمياء والفلك ، ولم يكن عند ارسطو الوسـائل التى تمكنه من الاجادة فيما يتعلق بعالم الكون ، عالم المادة ، عالم المحسوس ، فأخفق فى كل خطواته وكان انهياره فى عصر النهضة تاما شاملا . ولكن العلماء لم يكفوا : كانوا يبرهنون على اخطاء ارسطو فى عالم المادة . وشاعت فكرة التعارض بين الكنيسة والعلماء ، وانتهت هذه الفكرة بأن صارت ـ بعد تحريفها ـ تعارضا بين الدين والعلم ، وتناقلها الأوربيون . واسـبابها معروفة فى اوربا . ثم كان هنـاك هؤلاء الببغاوات فى الشرق الذين يريدون ان ينقلوا كل ما فى الغرب الى الشرق ، والذين يعتقدون ان البيئة الشرقية هى البيئة الغربية تماما بتمام فى جوها الفكرى وفى جوهـا الروحى والايمانى .. واخطـأوا فليس هناك تعارض بين الدين والعلم وليس هناك تعارض بين الاسلام والعلم على وجه الخصوص .

هدف القراءة فى الاسلام :

وننتهى بذلك من كلمة اقرأ ويأتى بعد ذلك « باسم ربك » ، انه لم يقل اقرأ وينتهى الأمر وانما قيدها ، قيدها لا فى مجالها ولا فى موضـوعها ولم يقيدها فى السماء ولا فى الارض ولا فى ما بينهما وانما قيدها فى النوايا .. فى الأهداف والغايات ، قيدها بأن تكون : « باسم ربك » وقد يقرأ الانسان ويقول : اقرأ باسم المصلحة العامة وأكثر الناس يقرأون باسم المصلحة العامة ، وقد يقرأ الانسان باسم ملك أو باسم الوطن وهؤلاء جميعا يختلفون ويتعارضون وهم وان اختلفوا وتعارضوا فانهم جميعا يقرأون باسم الوطن أو الملك أو المصلحة العامة او الى غير ذلك من الأمور ، وليست هذه هى القراءة الاسلامية ان القراءة فى الاسلام لا تكون باسم المصـلحة شخصـية أو عامة ، انما يجب ان تكون القراءة باسم ربك .

اقرأ رمز لكل عمـل :

وكلمة القراءة هنا رمز فلا يعنى القرآن ابدا فى اقرأ باسـم ربك القراءة وحسب ، وانما يعنى بـ « اقرأ باسم ربك » رمزا لكل ما يمكن عمله فى الحياة . اعمل باسم ربك . قم باسم ربك . تحرك باسم ربك . نم باسم ربك .. لتكن حياتك حركة وسكونا قولا وعملا فعلا وتركا ليكن كل ذلك باسم ربك والآية التى تفسر ذلك بعض التفسير قوله تعالى : (قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين) فالصلاة والنسك والحياة بأكملها بل والممات ايضا لله رب العالمين يجب أن يكون كل ذلك لله رب العالمين وفى سـبيل الله رب العالمين أو يجب أن يكون كل ذلك « باسم ربك »

ومهما تعددت أنواع الأعمال فى الحياة ومهما تعددت أصناف الأقوال فالمسلم مادام قد دخل فى الاسلام وما دام قد عقد مع الله بيعة الايمان فان حياته كلها يجب أن تكون باسمه تعالى .

فاقرأ رمز اذن تعنى تعلم أو اعمل أو امتنع عن العمل ، واذا عملت فيجب أن يكون عملك باسم ربك ، واذا امتنعت عن العمل فلا بد أن يكون الامتناع أيضا باسم ربك .

واذا كانت اقرأ فى جانب الايجاب واذا كانت قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى فى جانب الايجاب أيضا فان هناك آيات فى جانب السلب مثل قوله تعالى : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق) وكل مالم يذكر اسم الله عليه فانه فسق .

الايجاب والسلب الحركة والسكون الأقوال والأعمال الصمت كل ذلك يجب أن يكون باسم ربك .. ونأتى بعد ذلك الى (اسم ربك) .

التربية الالهية هى اطار الاسلام :

كنا نعتقد أن تأتى أول آية فى القرآن قائلة اقرأ باسم « الله » لأن كلمة الله هى الكلمة التى تنطوى على كل الأسماء والصفات الالهية انها الكلمة التى تتضمن جميع المعانى ، ولكن الله سبحانه وتعالى لم يقل اقرأ باسم الله وانما قال : اقرأ باسم ربك ولم يعبر الله سبحانه وتعالى بـ « ربك » مصادفة او اعتباطا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واعمال الله سبحانه وتعالى اعمال حكيمة والمعنى هنا : اقرأ باسم المربى أو اقرأ باسم التربية الالهية : اذا دخلت فى هذا النظام الذى يسمى الاسلام فوطن نفسك منذ المبدأ على أن تكون قراءتك وحياتك فى اطار التربية الالهية فاذا خرجت عن اطار التربية الالهية فقد خرجت عن هذا النظام ، اقرأ فى اطار التربية الالهية ايجابا وسلبا ، اقرأ فى اطار التربية الالهية قولا وعملا وحركة وسكونا ، فاذا لم تفعل ذلك فلست داخلا ابدا فى نطاق هذا النظام .. الاسلام ..

كيف تكون الثقافة باسم ربك .. ؟؟

ونحن الآن فى خضم من الثقافات الوافدة من الغزو الفكرى كيف تكون القراءة باسم ربك . ؟ والواقع ان الاسلام فرق منذ المبدأ بين أمرين وأوجب أن تكون هذه التفرقة ظاهرة بين أعين المصلحين فى الأمة الاسلامية : فرق بين مجال المادة الكيمياء والطبيعة والفلك الى آخر هذه النواحى ، وبين مجال الثقافة النظرية البحتة ، الثقافة التى تتصل بما وراء الطبيعة وبالاخلاق .

اما فيما يتعلق بالمادة : بناحية الحس ، بغزو الفضاء ، بالصواريخ ،

بالذهاب الى القمر ، بكل ما يتعلق بهذا الكون المادى بأرضه فى أعماقها ببحاره فى أغوارها ، بسمائه فى فضائها الشاسع ، بسمواته بالكواكب : فان القرآن والاسلام أوجب علينا وجوبا أن نسخر كل ذلك . والله سبحانه وتعالى قد امتن علينا ان سخر لنا الأرض والكواكب والقمر فذكر كل ذلك صراحة وسخر لنا ما بين السموات والأرض فاذا أردنا الاستجابة لله سبحانه وتعالى فيجب أن نكون أول المسخرين للأرض والسماء وما بينهما من الشمس والقمر ، يجب ان نكون من أوائل أو من ائمة الذين يكتشفون كل ذلك ويسيطرون على كل ذلك وان نحن تأخرنا فى جانب من هذه الجوانب فنحن آثمون دينيا ووطنية وعروبة واسلاما وآثمون فى حق انفسنا باعتبارنا أمة من الأمم أو جنسا من الأجناس . هذا الجانب أوجبه الله سبحانه وتعالى وسماه المسلمون تسمية جميلة سموه « اكتشاف نواميس الله فى الكون » وبينما الاسلام يوجب هذا الجانب فانه يقف موقفا حاسما من الثقافة النظرية الدخيلة وفى هذا المجال يمكننا ان نذكر بعض القصص .

رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا عمر رضى الله عنه يقرأ فى صحيفة من التوراة فقال له ما هذا يا عمر قال انها صحيفة من التوراة واذا برسول الله صلى الله عليه وسلم ينفعل ويخاطب سيدنا عمر بلهجة ليست هى لهجة الود المألوفة بين الرسول وعمر بل يقول له منتهرا : « أتتهوكون فيها يا ابن الخطاب يعنى اتتشككون فيها فى ملتكم فى دينكم فى شريعتكم ، والله لو كان موسى حيا لما حل له الا اتباعى مالكم تذهبون الى التوراة أو الى غير التوراة من الكتب وعندكم كتاب الله ويطيع سيدنا عمر مستجيبا لما حثه عليه رسول الله قائلا « رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا » . .

وينتهى الأمر فيما يتعلق بالتوراة . وهناك صورة أخرى : حدث ان بعض الصحابة كانوا مع اليهود وهم يقرأون التوراة فتخشع الصحابة تقول الرواية تخشع الصحابة اى خشعوا معتقدين ان التوراة ـ فى اساسها ـ كتاب منزل من الله وان كان قد حدث له تغيير أو تبديل فلم يحدث له ذلك فى جملته .

وعلم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك بمجرد تخشع صحابته لسماع التوراة فقرأ على الصحابة معاتبا « أولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » ما بالهم يتخشعون للتوراة وعندهم كتاب الله سبحانه وتعالى وينتهى الامر بالصحابة الى أن لا يفعلوا مرة أخرى مثل ذلك فان الرسالة الاسلامية لها ذاتية معينة فاذا فقدت هذه الذاتية وانماعت فى الثقافات والأمم الأخرى فان الأمة الاسلامية لا يصبح لها مبرر لوجودها لأن مبرر الوجود للأمة الاسلامية هى رسالتها وذاتية هذه الرسالة .

هذا هو الرسول صلى الله عليه وسلم يبرهن للصحابة أن هدايتهم فى رسالتهم وأن بقاءهم ووجودهم مرتهن ببقاء هذه الرسالة فيجب الا يكون هناك ما يلوث هذه الرسالة من قريب أو من بعيد حتى ولو كان توراة أو كان انجيلا . يجب علينا أن نكون فى اطار هذه التعاليم : اقرأ باسم ربك . . لا باسم افلاطون ولا ارسطو ولا ديكارت ولا داروين ولا كارل ماركس وانما باسم ربك . .

تقييم الثقافة البشرية العقلية :

هذه الثقافة البشرية الغازية ما وضعها فى حقيقة الأمر وحين نحاول ان

نحدد وضعها فى حقيقة الأمر لن نلجأ الى راينا الشخصى بل الى حقائق التاريخ والواقع .

أما وضعها الحقيقى فهى متغيرة لاثبات لها وفى كل يوم هناك « مودة من المودات » وكأى « مودة » تنشأ وتتطور وتعم ثم تأخذ فى التقلص وتنتهى ليحل محلها « مودة » أخرى وتيار آخر وموجة أخرى وكل شخصية من الشخصيات التى أثرت فى التاريخ لها دور يبدأ وينتهى ولنأخذ مثلا شخصية من الشخصيات ، لا نأخذها هى بالذات وانما نأخذها كمثال ، هنـــاك مثلا : (اوجســت كونت) مؤسس علم الاجتماع او الفيلسوف الاكبر فى عهده فيما يتعلق بعلم الاجتماع .. كادت فرنسا أن تؤلهه وكادت اوربا جميعها أن تقدسه ثم لم يمض الا قليل حتى انتهى اوجست كونت واصبحت آراؤه مجموعة من خرافات العهد الماضى لا قيمة لها فى العهد الحاضر وكل شخصـــية على هذا المثل تنشأ وتتطور وتعم وينتهى الامر بأن تندثر وتنهار وتزول واذا أردنا أن نقول الحقيقـــة الخالصة فانا نقولها ، وعلى أرض صـــلبة : ، هذه الثقافة البشريـــة الغربيـــة هى مجـــرد سوفسطائية .

حقيقة انهم يفرقون بين شـــخصيات كالسوفسطائية وبين شخصـــيات كديكارت مثلا لكن فى حقيقة الامر فان هذه التفرقة ليست على أساس سليم .

لماذا ؟ لأنه — وهذه نقطة من أهم النقاط — فى مجال الثقافة النظرية ليس هناك مقياس للحقيقة والخطأ ، للصواب والوهم ، للباطل والصدق . لقد حاول العلماء منذ العصر اليونانى الى الآن ايجـــاد هذا المقياس فلم يمكنهم ايجـــاده المقياس العقلى للثقافة العقليـــة ، المقياس الذى يفرق بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ لم يوجد للآن ، حاول أرسطو ايجاده فيما ســـموه بالمنطق فلم يفلح واخفق المنطق اخفاقا كاملا وقد حاول ديكارت ايجاده فأخفق .

ولقد أعلن ديكارت يوما أنه وجد المقياس واشـــادت أوربا بديكارت لانه عثر على مقياس الحقيقة وأعلن ديكارت ايضا انه سيؤلف مذهبا فى الطبيعة وفيما وراء الطبيعة وسيؤلفه على هذا المقياس الذى وجده وألف ديكارت مذهبه فى الطبيعة وقبل أن تنتهى حياة ديكارت أعلن العلماء أن مذ- ، ديكارت فى الطبيعة باطل .

وهكذا بقيت هذه الثقافة العقلية للآن فى -ميع ادوارها وعصورها ثقافة ظنية وكلما جاءت أمة لعنت أختها ولو كان فى هذه الثقافة العقلية يقين لظهر ولو فى موضوع واحد وتصوروا أن جميع قضايا الثقافة العقلية منذ أن نشـــأت فى العصر اليونانى حتى الآن ليس فيها قضية واحدة اتفق عليها وهذا شىء بديهى معروف ولكن هذا التعميم الذى أعممه قد لا يكون واضحا عند بعض العقول ولكنه شىء بدهى معروف عند مؤرخى الفكر .

الفلسفة لا راى لها :

ويمكن أن نقول ونحن من الصدق بمكان ان الفلسفة — والفلسفة هى قضايا

عقلية بحتة — لا راى لها فى اى موضوع من الموضوعات ولا فى اى قضية من القضايا لأن كل موضوع من الموضـوعات فيه رأيان أو عدة آراء فهناك فى كل موضوع المنكر له والمثبت ، فليس هناك موضوع واحد فى قضايا الفلسفة أو فيما وراء الطبيعة والاخلاق الا وفيه الرأى المثبت والرأى المنكر فالفلسفة فى حقيقة أمرها لا رأى لها .

ومن أجل ذلك لا تطور فيها ولا تقدم بخلاف العلم المادى القائم على الأسس المادية لأن هناك التجربة التى تفرق بين الخطأ والصواب ومن أجل ذلك فان كل عالم يأتى يبنى على ما وصل اليه من سبقه ، أما الفلاسفة فكل فيلسوف يأتى يهدم ما قبله من آراء ويبنى آراء جديدة وهى من أجل ذلك لاتتطور والفلاسفة أنفسهم هؤلاء الذين يبحثون فيما وراء الطبيعة والأخلاق يؤمنون بأن آراءهم ظنية لا ثبات لها .

وكل هذا يهدينا ويرشدنا الى انه يجب أن نقرأ باسم ربك يجب أن تكون أخلاقنا وتشريعنا فى اطار التربية الالهية ومن هنا كانت الحكمة فى عدم التعبير بـ « اقرأ باسم الله » والتعبير بـ « اقرأ باسم ربك » ونأتى الآن الى قوله تعالى فى الآية الكريمة : « الذى خلق » .

لماذا نقرأ باسم ربك :

ويمكن أن يتساءل الانسان .. ماهى الضرورة التى توجب ان اقرأ باسم ربى ولم لا اقرأ باسم افلاطون أو ارسطو وتأتى كلمة « الذى خلق » كبرهان طويل عريض على ضرورة القراءة باسم ربك .. باسم الذى خلق والذى سوى والذى نسق كل خلية فيك ورتب كل ذرة فى جسمك . اقرأ باسم الاعرف بك والأعرف بما يتناسب معك وهو الذى وضع لك هذه التربية ، وهذا الذى خلق ، تربيته ليست تربية من لا يعرفك وانما هى تربية الذى رتب وسوى ونسق فهو أعرف بك منك وأعرف بما يتناسب معك .

وهكذا فان (الذى خلق) هى البرهان الذى يحسم الأمر فى أن لا تقرأ باسم افلاطون وارسطو لأنهم بعيدون عنك بل هم بشر من البشر يخطئون ويصيبون ولكن (الذى خلق) لا يتأتى أن يخطىء سبحانه وتعالى ..
هذا هو الجو الذى نأخذه من الالفاظ ..

الصدق هو الجو العام :

ونأتى بعد ذلك الى الجو العام للآية أى اننا لن نتجه هنا الى الألفاظ لفظا لفظا وانما نتجه الى الآية بشكل عام لنتعرف على جوها العام .

(اقرأ باسم ربك) انها بدهيا تحمل الصدق فى نفسها لا تحتاج مطلقا الى مناقشة ولا الى مماراة فيما يتعلق بالصدق ، يدعوك الى أن تقرأ باسم ربك والى أن تتجرد لربك . لا يدعوك باسمه ولا باسم مصلحة وانما يدعوك وقد تجرد من كل هذه النوازع المادية والنفسية وهو يدعوك ان تتجرد لله سبحانه وتعالى هذه الدعوة لا يمكن ان تكون خطأ لأنه فالصواب حينئذ ؟ انها مجرد دعوة الى أن تتجرد لله سبحانه وتعالى فى حياتك ومن أجل ذلك فحين سمعها لأول وهلة

ورقة بن نوفل قال : هذا هو الناموس الذى أنزل على موسى وآمن . آمن بها من غير دليل لأن الجو العام يفضى الى الصـــدق ويهدى الى الحق ولا يمكن أن يتخلله باطل أو يغشاه كذب .

فالصدق اذن هو جو الآية الـــكريمة . الصدق اينمـــا كانت وكنا : شرقا او غربا قديما أو حديثا لا يتغير جو الآية بحسب الزمان ولا بحسب المكان لا يمكن لمؤمن ايا كان ان يقول ان هذه الآية فيها كذب او شبهة كذب وهى حين تحمـــل الصدق فى نفسها تعتبر مرادفة لكلمة أخرى لا تحتمل الا الصـــدق أيضا تلك الكلمة هى : « الاسلام » . الكلمة التى هى عنوان لهذا الدين فهى تحمل الصدق فى نفسها لأنها تعبير موجز لقوله تعالى : « اقرأ باسم ربك » وهذه تعبير موجز لقوله تعالى : « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العـــالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

ذلك ان معنى الاسلام أن تستسلم لله سبحانه وتعالى ان توطد نفســك على أن تكون فى اطار التربية الالهية .

اسلام .. اقرأ باسم ربك .. وتوحيد ايضا .. يتفق كل ذلك ويتطابق مع كلمة الدين الخضوع لله . الاستسلام له فالاسلام تسليم مطلق . سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو ؟ فقال أن يسلم لله قلبك وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك فان يســلم لله قلبك هذا هو معنى اقرأ باسم ربك وهذا هو الدين وهذا هو : قل ان صلاتى ونسكى .. الخ .

والواقع اننا منذ المبدأ مباشرة فى جو من الصدق اذا تدبره الانســان فلا يتأتى الشك فيه أو المماراة .

مسالة وجود الله فى الاسلام :

واذا كان الصـــدق جو من أجواء الآية فهناك جو آخر ذلك اننا كنا ننتظر أيضا ان تبدأ الرسالة بالاستدلال على وجود الله ولكن الرسالة الاسلامية لم تبدأ بالاستدلال على وجود الله وانما بدأت بأن افترضته ســبحانه وتعالى موجودا لاشك فى ذلك وأما المشكلة الكبرى أو المهمة الأساسية للدين هى ان تقرأ باسم ربك أى ان تكون حياتك فى اطار التربية الالهية .

ومسألة وجود الله سبحانه وتعالى مسألة لم توجد قط قبل العهد اليونانى وقد كانت البشرية قبل العهد اليونانى لا تنكر وجود الله ولا تلحد فيه بل كانت بالعكس تعتقد فى أكثر من الـــه . نزل آدم عليه الســـلام بالتوحيد الخـــالص وانحرفت الانسانية لا الى الانكار بل الى التعدد فلما عم الانكار أو أوشك ان يعم نزل رسول مبشر بالتوحيد ، وكل رسول كان مبشرا بالتوحيد . وحينما تنتهى الحياة بالرسول يبدأ الانحراف فى الانســـانية لا بانكار وجود الله بل بالاعتقاد فى أكثر من اله فينزل رسول ثالث وحكمة ارسال الرسل كانت فى أســـاسها

التبشير بالتوحيد وحينما نتصفح التوراة لا نجد فيها ـ حتى على وضعها الراهن ـ اثبات وجود الله كهدف من الاهداف فلم يكن وجود الله مشكلة حتى يكون اثبات له ثم جاءت قبل المسيحية الفلسفة اليونانية وحينما جاءت الفلسفة اليونانية كان الدين الذى عليه اليونان دينا خرافيا اسطوريا وذلك معروف ونشأ فى هذه الفترة اليونانية القديمة كثير من الناس لم يرضوا بهذا الدين دينا فحاولوا أن يكونوا لأنفسهم دينا فبدأوا عقليا باثبات وجود الله وجاءت المسيحية محررة منظمة للأمر ذاهبة الى وضعها الصحيح وتركت خرافة أو اسطورة أو بدعة اثبات وجود الله وليس فى الانجيل محاولة من قرب ولا من بعد فيما يتعلق باثبات وجود الله ، ولكن العقلية اليونانية التى أضرت بالبشرية كلها والتى سارت مع أديانها دائما منحرفة بها الى الوضع البشرى بدل أن تتبع هذا السمو الذى أحبه الله للانسانية بقوانينه وقواعده كانت العقلية اليونانية تنحرف بالانسانية الى أن تتلوث افكارها بالبشرية بالعقلية البشرية الغير معصومة والتى تخطىء وتصيب وقد انحرفت المسيحية الى الوضع الذى أصبحت فيها مسألة وجود الله مشكلة يجب الاستدلال عليها .

وجاء القرآن وذهب بالانسانية الى الوضع الصحيح مسألة وجود الله فيه مسألة فطرية وليست من مسائل المناقشة أو الجدل أو الاستدلال بل ان وجود الله فى القرآن من القداسة بحيث لا يوضع موضع الجدل ولا موضع المناقشة ولا موضع الاستدلال ليس هناك هدف فى القرآن هو اثبات وجود الله هناك مثلا هدف فى القرآن هو اثبات رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم اثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وهناك آيات كثيرة بهذا الصدد وآيات كثيرة فى اثبات التوحيد صراحة أو ضمنا وبكل وسيلة من وسائل الاثبات تلك أهداف من أهداف القرآن لكن تجرد القرآن تماما من هدف اثبات وجود الله اذ لا يتأتى مطلقا ان يضع الله نفسه مسألة وجوده موضع استدلال لأن الاتجاه الى الاستدلال ينطوى فى ثناياه على أن الأمر الآخر ـ وهو الانكار ـ محتمل ، ولا يتأتى أن يضع الله مجرد وجوده لاصفة من صفاته موضع مناقشة واستدلال للأخذ والرد ومن أجل ذلك لم يكن هناك فى أول آية نزلت من القرآن محاولة لهذا الاثبات .

ثم حينما بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يعلن الاسلام ويجهر به لم يبدأ باثبات وجود الله وانما بدأ بالأسلوب الصحيح القويم .. التحدى بصدقه .. اثبات أنه صادق ، هل عهدتم على كذبا ؟ اعلنوا جميعا انهم لم يعهدوا عليه من كذب قط ، وأنه كان صادقا طول حياته . وكان من المنطق حين أعلنوا عن صدقه ان يؤمنوا بما جاء به لكنهم لم يؤمنوا لأسباب كثيرة تحدث عنها القرآن منها مثلا : التنافس القبلى . الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحاول اثبات وجود الله .

ولكن من الغريب أيضا انك اذا تصفحت العهد المكى لا تجد سؤالا وجه لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن اثبات وجود الله ولا تجد الرسول صلى الله عليه وسلم يتحدث عن هذا الاثبات واذا انتقلنا الى عهد سيدنا ابى بكر وعمر وعثمان وعلى لا نجد المسألة تطرح على بساط البحث واذا سرنا الى عهد الامويين حتى عند نشوء المعتزلة فى آخر عهد الامويين والمعتزلة سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد ، عدل الله وتوحيد الله

لم يدر فى خلدهم مسألة اثبات وجود الله وهكذا الأمر الى عهد المأمون ، فى هذه الفترة ـــ من بدء الاسلام حتى عهد المأمون ـــ لم يدر ابدا نقاش ولا جـــدل ولا حديث عن مسألة وجود الله اثباتا ولا انكارا وانما القضية مسلمة فى كل هذه الأجواء وفى كل هذه العهود .

فى عهد المأمون ترجمت الفلسفة اليونانية ولما ترجمت الفلسفة اليونانية ترجمت بكل ما فيها من أضاليل وبكل ما فيها من أوهام وانحرافات وقد انحرفت الأمة اليونانية فى الفن وانحرفت فى الأدب والفلسفة والفكر وانحرفت فى كل المجالات التى تحدثت عنها وخاضت فيها وهذا الانحراف هو الذى اثر على الامم فى مجال التاريخ الواسع لأنها انحرفت الى البشرية، والانسان ميال بطبيعته الى أن يحقق بشريته التى تخطىء وتصيب وتهتدى وتضل ، وليس ذلك بالأمر الصعب على الانسان بل ان الانسان يندفع بغريزته الى أن يحقق بشريته وما اتت الأديان الا لترتفع بالانسان الى درجة من الدرجات الايمانية التى يحبهـــا الله ويحبهـــا رسوله .

ترجمت الفلسفة اليونانية فى عهد المأمون كما قلنا وكان المســـلمون قبل ذلك يرون أن هذا الذى يترجم ان كان فى مجال العقائد حقا فعندنا ما هو أحق منه وهو عقيدتنا بالأسلوب القرآنى فقرآننا بأسلوب عربى مبين ، هو الأسلوب الالهى الدقيق فى نضرته فى صفائه فى قوته فى دقته مالنا وللبشر الآخرين فى البيئات والأديان الأخرى نترجم ثقافتهم فى العقائد وهل عندنـــا نقص فى هذا المجال .. كان ذلك شعور المسلمين وكان الأمر كذلك فى مجال الأخلاق فعندنا مصدران .. الكتاب والسنة وان كانت الأخلاق الواردة حقا فعندنا ما هو احق منها وان كانت باطلا فنحن فى غنى عن هذا الباطل .

وتحدى المأمون شعور المسلمين الأتقياء تحداهم فى صراحة وأمر بترجمة الثقافة اليونانية فى غثها وسمينها فى خطئها وفائدتها فى انحرافها وعدم انحرافها وأتت مع هذه الثقافة فكرة اثبات وجود الله .. هذه الثقافة كان من الممكن ان تكون محدودة لولا أن الأمراء فى عهد المأمون حاولوا التقرب اليه ، ومن وسائل التقرب ان يكونوا مع هوى المأمون ، وهواه فى ترجمة هذه الثقافة وبذلوا هم الآخرون الأموال فى ترجمتها . الأثرياء حاولوا كذلك التقرب اليه بهذه الترجمة فبذلوا هم الآخرون أموالهم فى هذا السبيل كما حاول المثقفون نفس الشـــىء فأقبلوا على تعلم الثقافة اليونانية وتعليمها وشاعت الثقافة اليونانية . وبدأت ينفر منها المسلمون الاتقياء وبدأت كأنها ليست لها شرعية الاقامة ولكنها اخذت تتخذ مظهر الشرعية فى الاقامة وأقامت واحتلت أرض المسلمين وأذهانهم وعقولهم وبدأت مسألة وجود الله معها تتخذ مظهر المشـــكلة بل انتهى بها الأمر الى ان أصبحت المسألة الاولى فى علم الكلام الاسلامى مع انها بدعة يجب أن تزول من الجو .

علاج الملحدين :

وهناك من يتساءل عن الملحدين كيف نناقشهم والواقع أن الملحد لا يؤمن بالمناقشة بل هو الذى يحاول أن يجرك اليه . ان يجعلك من الملحدين ما استطاع

الى ذلك فان الملحدين فى اغلبهم الأعم طائفة مأجورة تنطق باســم الأجر الذى تأخذه واذا لم يمكن أن يتخلى عن أجره اذن لا يتخلى عن فكرته ولو ظهر له الحق.

ولكن ما هو الحل الاسلامى لموضوع الملحد ؟ الواقع أن هناك مقدسات فى كل دولة مثلا أمريكا من مقدساتها الرأسمالية وكل دعوة الى الشيوعية فى عرف أمريكا تذهب بصاحبها الى السجن والتنكيل، وروسيا من مقدساتها الشيوعية وكل دعوة الى الرأسمالية فى روسيا تذهب بصاحبها الى التنكيل والتعذيب والسجن. للدول مقدسات وأقدس مقدسات الدولة الاسلامية هو الايمان بالله ويجب على الأقل أن يكون لنا فى القانون ما يشبه ما فى قوانين أمريكا وروسيا فيما يتعلق بمقدساتها اما الحل الاسلامى فى نفسه فهو أن الملحد مرتد يستتاب والا قتــل ولتنفذ هذه الفكرة فى شخص واحد فى قطر فسوف لا تجد فى هذا القطر ملحدا واحدا واذا نفذ نظام الاسلام كان ذلك هو الحل الوحيد لأزمة ــ ان كان هناك ازمة ــ الانحراف الالحادى فى الامة الاسلامية.

موقفنا من الثقافة الغربية :

والسؤال الاخير الذى اسأله واجيب عليه لننتهى من هذه المحاضرة هو ما قد يقوله قائل : ماذا نفعل بهذه الثقافة الغربية ، أنتركها تركا باتا لا نتفهمها ولا نعقلها ولا نبحث فيها ، أننعزل عن هذا العالم ..؟

وهذا ما لا ادعو اليه ولا أقول به انما الذى أريده من المسلمين ان يأخذوا هذه الثقافة بمأخذها الواقعى الصحيح اى أنها ثقافة بشرية ثقافة معارضـــة بالثقافات الاخرى البشرية فى البيئات الغربية أيضا ، انها ثقافة لا نسبة لها الى الصدق الا كنسبة الرأى المعارض، ومن أجل ذلك كانت كلها منذ أن وجدت الى الآن ظنية وليس فيها مسألة عقلية واحدة يمكن اثباتها فى يقين ، ولقد كان منهج الامام الغزالى فى تحدى الفلاسفة منهجا من أقوى المنـــاهج : انكم تقولون بالعقل ، وتثبتون بالعقل وها أنذا أجعل جميع آرائكم منهارة بالعقل نفسه وليس منطقى بأقل من منطقكم بل ربما يكون أقوى . وهدم الامام الغزالى جميع آراء الفلاسفة بالعقل نفسه الذى برهن به الفلاسفة على جميع آرائهم .. اذا أخذنا الثقافة الغربية النظرية على أنها قضايا عقلية ظنية لا ثبات لها تنشأ وتنتهى ، اذا اخذناها على هذا الوضع فليس هناك من بأس من أن نعبث فيها اذا شئنا أن نعبث فى يوم من الايام .

والوضع الصحيح ان يكون المنبع الوحيد لثقافتنا لأخلاقنا لتشريعنا لعقائدنا هو ما أحبه الله ورسوله : القرآن والسنة « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » .

النظم في الدبلوماسية

تمهيد :

السفير فى اللغة هو الرسول والمصلح بين القوم وجمعه سفراء ، وقد جاء فى القاموس المحيط للفيروزابادى فى مادة سفر : « سفر وأسفر بين القوم أصلح ، ومصدرها سفر وسفارة ـ بكسر السين وفتحها ـ فهو سفير » . كما جاء فى لسان العرب : « وقد سفر بينهم يسفر سفرا وسفارة بمعنى أصلح . وفى حديث الامام على رضى الله عنه انه قال لعثمان بن عفان رضى الله عنه : ان الناس استسفرونى بينك وبينهم اى جعلونى سفيرا وهو الرسول المصلح بين القوم . يقال سفرت بين القوم اذا سعيت بينهم فى الاصلاح .

ويتبين من هذا أن سفارة كلمة عربية أصيلة ، وذلك على خلاف كلمة دبلوماسية فهى من الكلمات المستوردة التى لم تدخل فى لغتنا الا حديثا ، فان العرب فى الجاهلية والاسلام لم يكونوا فى حاجة اليها بالنظر الى وجود لفظة عربية الأصل تعطى مدلولها وتغنى عنها ، وترجع كلمة دبلوماسية فى اصلها القديم الى اللغة الاغريقية وكانت تعنى الوثيقة أو المكاتبة التى تطوى كما يطوى الخطاب أو الصحيفة أو السجل ، ويبعث بها الحكام بعضهم الى بعض فى علاقاتهم الرسمية ، وتخول حاملها امتيازا خاصا .

وقد انتقلت هذه الكلمة من اليونانية الى اللاتينية ومنها الى اللغات الأوروبية كالانجليزية والفرنسية ثم الى اللغة العربية وتطور استعمالها فى اكثر من معنى عبر العصور المختلفة حتى أصبح مدلولها فى العصر الحديث ينصرف الى فن ادارة العلاقات الخارجية للدولة ، أو هو بمعنى آخر ممارسة الدولة لسياستها

الجاهلية والإسلام

للأستاذ : حسن فتح الباب

الخارجية عن طريق المفاوضات وغيرها من الوسائل السلمية دونما حاجة الى تنفيذ سياستها فى المحيط الدولى عن طريق الالتجاء الى الحرب . وثمة معان اخرى متنوعة تستعمل فيها كلمة الدبلوماسية جوازا ، الا ان المدلول الذى اشرنا اليه هو المعنى المألوف والأكثر شيوعا . ومن هذه المعانى المتعددة التفاوض او المفاوضات فيقال : حل النزاع بالطرق الدبلوماسية . ومنها الذكاء والكياسة وما ينطوى عليه هذا المعنى من اللباقة وحسن التصرف لكسب الود والثقة ، او لاتقاء مشكلة ، أو للحيلولة دون نشوب نزاع أو استفحال خلاف ، أو لتحقيق غاية بعيدة بالأساليب الودية دون استخدام العنف . وما زالت الدبلوماسية تستخدم بمعناها الذى استعملها فيه الرومان وهو صفات المبعوث أو السفير اى الشخص الذى يوفد فى مهمة ، وما قضت به تعليمات السفارة حينئذ من وجوب التزام الأدب الوافر واصطناع المودة وتجنب أسباب النقد .

ويستخدم لفظ الدبلوماسى والسفير بمعنى واحد اى انهما لفظان مترادفان . وقد استقر الاصطلاح فى العصر الحديث على : أن السفير هو المبعوث الذى توفده دولة ما فى مهمة من المهام ، فيسعى لانجازها عن طريق المحادثات وغيرها من الأساليب الدبلوماسية مع ممثلى الدولة المرسل لديها ، وهو ـ بتعبير آخر ـ وكيل حكومته المرخص بتمثيلها لدى اى دولة اخرى فى جميع المفاوضات الهامة . فالسفير فى عرف علم السياسة هو ذلك الشخص المرسل رسميا من دولة الى دولة اخرى ليكون نائبا عنها او وكيلا لها ـ وقد تكون مهمته قاصرة على نقل رسالة شخصية أو خطاب شفهى أو مذكرة الى رئيس تلك الدولة أو الى اصحاب السلطة فيها.

ويخلع القانون الدبلوماسى على السفراء والمبعوثين حصانات واعفاءات

معينة تعرف بالحقوق والامتيازات ـ الدبلوماسية التى نشأت بتواتر العرف الدولى . وللسفارات أغراض شتى تختلف باختلاف مقاصد الدبلوماسية واهدافها . فثمة سفارات تجارية ، وسفارات سياسية ، واخرى عسكرية .

المبحث الأول :

الدبلوماسية فى العصر الجاهلى

ولقد كان المعنى الحديث لكلمة سفارة معروفا فى تاريخ العرب والاسلام ، فكانت السفارة فى الجاهلية من المناصب التى دانت لقبيلة قريش وسطوتها ، وكان معناها عندهم أنهم كانوا اذا وقعت بينهم وبين غيرهم من القبائل حرب وارادوا المخابرة بشأن الصلح بعثوا سفيرا ، وان نافرهم حى لمفاخرة جعلوا السفير مفاخرا ورضوا به .

ومن ثم عرف العرب نظام السفارة بينهم وبين غيرهم من القبائل والأمم والشعوب المجاورة ، فاستخدموه فى تنظيم العلاقات بين بعضهم وبعض ، وبينهم وبين غيرهم . وكان من الطبيعى أن تكثر الوفادات والسفارات فى تاريخ العرب قبل الاسلام ، بوصفها وسيلة ليس ثمة بديل عنها للخروج من عزلتهم فى شبه الجزيرة ، ولتبادل المنافع مع جيرانهم وخاصة فى الشرق والشمال فضلا عن حاجتهم الى كسب الأنصار فى المعارك الضارية التى كانت تنشب بين القبائل أو لوقف هذه المعارك . ومن ثم أدت السفارات أغراضها لديهم سواء فى السلم أو فى الحرب .

وساعد على ازدهار السفارات ودخول العرب فى علاقات ودية وروابط عهدية مع جيرانهم ، واقامتهم أنظمة وتقاليد راسخة فى علاقاتهم ومعاملاتهم الخارجية ـ ساعد على ذلك الموقع الاستراتيجى لشبه الجزيرة العربية والناشىء عن متاخمتها مراكز الحضارات القديمة فى العالم ، وهى الحضارة الأشورية فى العراق ، والحضارة الفينيقية فى الشام ، والحضارة الفارسية فى بلاد فارس ، وقرب الجزيرة من الحضارة الفرعونية فى مصر . وكانت أكثر الدول صلة بالعرب دولتا فارس والروم : وهما أكبر قوتين سياسيتين فى العالم فى ذلك الحين . ومن ثم توالت السفارات السياسية بين حكام هاتين الدولتين وبين القبائل العربية المقيمة على الحدود لعقد المحالفات والاتفاقات المختلفة .

وكما كانت وحدة اللغة باعثا على توثيق صلات العرب ببعضهم قبل الاسلام ، فان مركزهم التجارى الممتاز بين الممالك والبلاد الاخرى فى الشرق والغرب والشمال كان باعثا على الاتصال وقيام العلاقات الودية اذ كانت شبه الجزيرة العربية معبرا وملتقى للقوافل التجارية التى كانت تتخذ عدة طرق يبرز بينها طريقان أساسيان : أولهما الطريق الشرقى وهو يتاخم الخليج العربى ، ويتاخم دجلة ، ويقتحم بادية الشام الى فلسطين ، والثانى الطريق الغربى ويتاخم البحر الاحمر . وعن هذين الطريقين كانت تنقل مصنوعات

الغرب الى الشرق ، ومتاجر الشرق الى الغرب . وقد اقتضت هذه التجارة الدخول فى محادثات لعقد الاتفاقات بين تلك الجماعات البشرية بعضها وبعض ، وأتاح موقع الجزيرة مكانة تجارية ممتازة لسكانها وروابط حميدة فى العالم المعروف اذ ذاك . وتحفل كتب التاريخ بأخبار رسلهم الى الملوك ووفاداتهم ومفاوضاتهم ، بل لقد قدمت اليهم بعثات من البلاد الأخرى تخطب ودهم وتطلب مؤازرتهم .

والى جانب العلاقات التجارية الخارجية بين العرب وبين البلاد المجاورة ، كانت ثمة علاقات مماثلة بين القوى السياسية داخل الجزيرة العربية . فكان هناك شريان تجارى يصل بين اليمن جنوبا ومكة شمالا . وقد ورد فى القرآن الكريم ذكر هذه الحركة التجارية النشطة بين مكة والشام شمالا وبينها وبين اليمن جنوبا ، وذلك بالاشارة الى رحلة الشتاء والصيف . ومن الطبيعى أن هذه الحركة كانت تتطلب اتصالات واتفاقات دبلوماسية بين القبائل بعضها وبعض ، وبين الممالك والبلاد الأخرى فى سبيل توطيد العلاقات التجارية .

ومما يسر هذه الاتصالات ودعمها على مختلف انواعها أن بلاد الشام شمالا والجزيرة العربية جنوبا كانتا تضمان أعظم المقدسات الدينية ، فثمة بيت المقدس فى مدينة القدس ، والكعبة بيت الله الحرام فى مكة . فكانت القوى السياسية داخل الجزيرة وخارجها تنتهز حلول مواسم الزيارة والحج لعقد اللقاءات وابرام الاتفاقات والمصالحات والمحالفات ، الأمر الذى نهجه النبى عليه الصلاة والسلام بعد بعثته اذ كان يخرج فى مواسم الحج لدعوة القبائل الى دين الله .

وعرف من سفارات الجاهلية سفارة عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابرهة ملك الأحباش ، وهو فى طريقه الى مكة ، مفاوضا اياه على رد الابل التى استولت عليها طلائع جيوش الحبشة .

ووجد منقوشا على سد مارب ما يفيد قدوم سفارات التهنئة على ابرهة من شتى الأمصار والممالك سنة ٥٤٣ ميلادية ، اثر انتصاره على الحميريين وتأسيسه أول دولة مسيحية باليمن ، وذلك ما يلى :

« وجاءت اليهم سفارة النجاشى ، وسفارة الروم ، وسفارة ملك فارس ، ومبعوث المنذر ، ومبعوث من قبل الحارث بن جبلة ، ومبعوث أبى خيرين جبلة ، جميعهم طلبوا مودتنا بقوة من لدن الرحمن » .

ومن المعروف أن آخر سفراء قريش فى الجاهلية كان عمر بن الخطاب قبل أن يسلم .

بيد أن سفارات العرب فى الجاهلية ظلت قاصرة على هذه الحدود ، فلم تستوعب — فى ميدان العلاقات الدولية — ما هو افسح وأهم من مجرد العلاقات التجارية المرتهنة بظروفها .

المبحث الثانى :

الدبلوماسية فى الدولة الاسلامية

اولا : فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين :

فلما جاء الاسلام فى القرن السابع للميلاد طرأ تغيير جذري فى ميدان السفارات شأنها فى ذلك شأن سائر الميادين من سياسية واجتماعية واقتصادية . فأصبحت منهجا ذا قواعد ونظم محددة تترسمها الدولة فى تسيير علاقاتها بغيرها من الدول عبر العصور المختلفة .

ومن ثم نشأ نظام السفارات الاسلامية وتطورت اغراضها ونظمها واساليبها تبعا لنشأة الدعوة الاسلامية . وتطويرها . فلقد اقتضت طبيعة الرسالة أن يتخذ النبى من السفارات وسيلة لنشر دعوته وسبيلا الى تأليف القلوب ودستورا فى علاقاته العامة فى الجزيرة العربية ومع الأمم والشعوب الأخرى .

فكان الرسول هو المعلم الأول للسفراء المسلمين ، وهو مؤسس نظم السفارات وواضع أصولها الثابتة وقواعدها المحددة ومنهاجها القويم الذى اتبعه خلفاؤه من بعده فى سبيل تثبيت بناء الدولة الاسلامية والدفاع عن عقيدتها وكيانها .

ولا غرو فالاسلام دين ودولة ، وهو شريعة النور التى انزلت للبشر كافة . ومحمد عليه السلام هو مبعوث السماء الى العالمين ، ارسله الله مبشرا ونذيرا مصداقا لقوله تعالى فى كتابه العزيز :

« يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » .

« وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » .

فالنبى الكريم مرسل من عند الله ، فهو سفير العناية الالهية وحامل رسالتها الى الناس جميعا . ويقول الله تعالى :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم » .

وهذا التعارف الذى تدعو اليه الآية الكريمة انما يتم بالاتصال بين الناس ، أو هو بمعنى آخر يتم من طريق السفارات بين فرد وجماعة او بين الجماعات بعضها وبعض أو بين دولة واخرى .

ولقد خاض الرسول صلى الله عليه وسلم حروبا كثيرة ضد اعداء الاسلام ، ولكنه لم يقدم على حرب منها الا بعد أن استنفد الوسائل الودية وفى مقدمتها السفارات . ومن ثم كانت الحرب فى الشريعة مشروطة بقصد حماية الدعوة والدفاع عن النفس . فان حض الاسلام على الجهاد فقد دعا كذلك الى نشر العقيدة بالطرق السلمية . قال تعالى :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن » .
« ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون » .
« يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » .
« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .
« فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

فالجهاد أو الحرب الدائمة لم تكن بمثابة العلاقة الطبيعية أو الوحيدة القائمة بين المسلمين وغيرهم . ففى غير أوقات الجهاد كانت تقوم علاقات ودية بالوسائل الدبلوماسية بين الدولة الاسلامية وبين الأمم والشعوب المحيطة بها .
« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله أنه هو السميع العليم » .
« لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » .

والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتخذ الحكمة وهى أولى مقومات السفير أسلوبا لتبليغ رسالته ويجعل منها منهاجا لمعاملاته مع الناس جميعا . ويتجلى ذلك فيما سطر من كتب وما أوفد من بعوث الى القبائل العربية والى ملوك الدول المتاخمة للجزيرة ورؤسائها ، وفيما نظمه من مؤتمرات واجتماعات ، وما عقده من معاهدات للمحالفة أو الهدنة وفداء الأسرى أو تبادل المعونة وتحقيق المصالح المشتركة فى غير ذلك من الأغراض .

ومن ذلك يتبين ان السفارات العربية فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم تغاير ـ مضمونا وأهدافا ـ السفارات التى أوفدها العرب قبل الاسلام . اذ كانت سفارات العرب فى جاهليتهم ـ كما تقدم ـ تتسم بالبساطة التى تتناسب مع ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية وتستهدف أساسا انشاء الروابط التجارية بين القبائل العربية بعضها وبعضها من جانب وبينها وبين الدول المجاورة من جانب آخر . أما السفارات الاسلامية على عهد رسول الله فكان الغرض الأول الذى تستهدفه هو الدعوة الى الاسلام ونشر رسالته .

وهكذا تطورت نظم السفارات ـ فى ظل الاسلام ـ لتفى بهذه الحاجة الجديدة ودخلت فى مرحلة اكثر تقدما فى أسلوبها ومحتواها ونعنى بها السفارات الاسلامية فى نشأتها الأولى . وتختلف حلقات هذه المرحلة بحسب ظروف الدعوة واغراضها وتطورها المرتقب فى المستقبل . فقد كانت العلاقات الخارجية التى أقامها الرسول قاصرة فى بداية الأمر على المحادثات الشخصية وارسال الكتب وايفاد البعثات الى القبائل العربية للتعريف بالدين والحث على الدخول فيه . ومن أجل هذا الغرض كانت سفارات الصحابة الى مختلف القبائل ، وكانت المؤتمرات التى عقدت فى الجزيرة العربية لشرح مبادىء الاسلام والاقناع بها .وكانت المواثيق التى عقدها رسول الله مع الأوس والخزرج .

وهكذا تعددت وسائل الاتصال فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم بمكة من محادثات شخصية ومراسلات الى سفارات ومؤتمرات وعقد معاهدات حسبما كانت تتطلب الظروف . واستهدفت هذه الوسائل الدبلوماسية جميعها غاية واحدة هى الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

ولما كانت الهجرة الى المدينة واثمرت الدعوة وتحققت للعرب ــ لأول مرة ــ وحدتهم السياسية ، فقامت أول دولة فى المدينة برئاسة النبى صلى الله عليه وسلم ، اصبح انتهاج اسلوب السفارات احدى ضرورات جوهرية لدعم اركان الدولة الناشئة ، فاتسع نطاقها وتعددت وسائلها واغراضها وتوطدت اركانها ودعائمها . فلم تعد علاقات المسلمين بجيرانهم قاصرة على التبادل التجارى ، بل امتدت الى مختلف النواحى الأخرى لشدة حاجة الدولة الجديدة الى الاتصال بالدول المجاورة فى سبيل تنفيذ السياسة الخارجية الاسلامية عن طريق ايفاد السفارات وارسال الكتب الى ملوك الدول المجاورة ورؤسائها .

وظل نشر الدعوة وتوسيع نطاقها الهدف الأساسى للسفارات الاسلامية ، فاستخدمت جميع الأساليب لتحقيق هذه الغاية النبيلة . بيد أن الحروب التى خاضها المسلمون على عهد رسول الله بعد أن هاجر الى المدينة كان من شأنها توسيع اغراض السفارات ، فعقدت المعاهدات مع ممثلى الأمصار والمدن المفتوحة لتنظيم الهدنة أو السلم وما يقتضيه ذلك من وقف القتال وتبادل الاسرى . ذلك أن الدولة الاسلامية قد استغرقت معظم حياتها فى عهده صلى الله عليه وسلم فى الحروب الوقائية دفاعا عن رسالة الحق . وقد غزا الرسول بنفسه سبعا وعشرين غزوة ، وكانت بعوثه وسراياه ثمانية وثلاثين ما بين بعث وسرية . فكان تبادل السفارات يكاد يقتصر على عقد الهدنة ودفع الجزية وما الى ذلك من الأغراض السياسية والعسكرية ، وكان ذلك أمرا طبيعيا بالنظر الى أن من طبيعة الدولة فى نشأتها أن تقضى معظم سنى حكمها فى ارساء كيانها والدفاع عنه ضد القوى المعادية .

وكان عهد الخلفاء الراشدين امتدادا لعهد النبى الكريم ، فالدولة الاسلامية منصرفة الى توطيد أركانها ومد سلطانها فى أرجاء الأرض ، فهى تخرج من فتح الى فتح . ولا تزال مقاصد السفارات لديها تتركز فى بث الدعوة الى الاسلام واعلان الحرب دفاعا عن حماه والتمكين له بعقد المعاهدات . وهكذا كان العمل الدبلوماسى وسيلة لتوطيد أركان الدولة بالافادة من الأسلوب الودى كبديل للحرب أو مساعد لها فى تنفيذ الخطط السياسية ، الأمر الذى كان ينبع من طبيعة العقيدة الاسلامية .

ثانيا : فى عصر الدولة الأموية :

ثم قامت دولة الأمويين التى اتخذت دمشق حاضرة للخلافة . ولم تختلف السفارات الدولية كثيرا فى ذلك العهد من حيث طبيعتها واغراضها عما كانت عليه فى عهد الخلفاء الراشدين ، اذ ظل هدفها الرئيسى هو تأييد الفتوحات

الاسلامية فى سبيل نشر رسالة الاسلام والتمكين له — دينا ودولة — بالأقطار والمدائن التى لم يكن قد وصل اليها بعد ، والجهاد فى سبيل حمايته . فلم يحدث من هذه الوجهة تطور كبير فى مجال السفارات الدبلوماسية ، وانما كان التطور قاصرا على التقدم الفنى متمثلا فى أسلوب تلك السفارات وطابعها وتنظيمها وسعب ميادينها . انعكاسا لقوة الدولة الأموية وبداية العصر العلمى والأخذ بأسباب الحضارة بعد الانفتاح على حضارات البلاد المفتوحة . وكان استمرار الحروب بين الدولة الاسلامية ودولة الروم لا يسمح بأكثر من تبادل السفارات لعقد معاهدات الهدنة أو تنظيم فترات السلم ودفع الجزية .

ومن ثم لم يدخل الخلفاء الأمويون فى علاقات وطيدة مع الروم ، ولم يسعوا بطبيعة الحال الى عقد أواصر الصداقة والتعاون معهم الا حينما كانت تضطرهم الظروف الداخلية الى ذلك . فكانت العلاقات السياسية الودية بين الدولتين قاصرة على الفترات التى شعرفيها الأمويون بالرغبة فى اقامة هذه العلاقات لاحتياجهم الى الاستقرار أو الى قدر من الهدوء الخارجى لمواجهة الثورات المعادية لهم فى الداخل . وقد عمد خلفاء بنى أمية الى عقد معاهدات الصلح والسلم مع الدولة البيزنطية فى أواخر القرن السابع الميلادى حتى يأمنوا الجبهة الخارجية ويتفرغوا للقضاء على الفتن التى نشبت فى البلاد على اثر الانقسام والفرقة التى دبت فى صفوف المسلمين فحولتهم الى أمويين وعلويين وشيعة . أما فى غير هذه الفترة — وهى قليلة نسبيا— فقد كانت المعارك الحربية مستمرة بين الجانبين .

وازاء هذه الظروف السياسية والعسكرية ظلت السفارات السياسية الودية محدودة فى العصر الأموى حتى فى الفترات التى ساد فيها السلام بين الدولة الاسلامية ودولة الروم ، فقد كانت تلك الفترات — فضلا عن قلتها — لا تمثل سلاما دائما يسمح بقيام تلك السفارات وانما هى فترات سلام مسلح أو صلح مؤقت .

وثمة عامل آخر حال دون ازدهار التبادل الدبلوماسى فى المجال السياسى والمجال الاقتصادى والمجال الثقافى وغير ذلك من مجالات السلام ، وهو أن النهضة فى تلك الميادين لم تعد طور البداية خلال تلك الحقبة ، اذ كانت الفتن التى أشرنا اليها والتى تمخضت عن الخلاف الذى نشأ فى أواخر عهد عثمان واستمر فى عهد على رضى الله عنهما تستأثر معظم جهود الدولة التى بذلت فى حصرها والقضاء عليها . والسفارات الدولية فى المجال السلمى وليدة عاملين لابد من توافرهما :

الأول استقرار الدولة ورخاء المجتمع وما يسفران عنه من تقدم ونهضة فى العلم والتجارة وغيرهما .

والثانى قيام العلاقات الودية فى الميدان الدولى وما تؤدى اليه من تفاهم وتعاون فى سبيل قضاء المصالح المشتركة وهى علاقات تتوقف الى حد كبير على التوازن الدولى . ولا ريب أن السلم هو البيئة الصالحة لتدعيم الروابط الدولية من طريق تبادل السفارات .

ثالثا : فى عصر الدولة العباسية :

ولما انتهى العصر الأموى وأعقبه عصر بنى العباس ، تطورت السفارات الاسلامية تطورا على جانب كبير من الأهمية ، ويرجع ذلك الى اشتداد ساعد الدولة الاسلامية حتى أصبحت فى طليعة القوى السياسية والدولية بل غدت احدى القوتين السياسيتين الكبريين فى العالم : قوة المسلمين ، وقوة البيزنطيين . وقد امتدت رقعتها من أطراف الصين شرقا الى المحيط الأطلسى غربا ، فضلا عن اتساع أرجائها شمالا وجنوبا . فكان لذلك أثره البالغ فى السفارات المتبادلة بين دولة العباسيين وامبراطورية الروم المسيحية — الامبراطورية البيزنطية — التى كانت تبسط ظلها على آسيا الصغرى وبلاد البلقان وايطاليا . فازدادت تلك السفارات باتساع نطاق العلاقات الدولية بين الجانبين وتعددت ، اغراضها ووظائفها بحيث أصبح تبادل السفراء أو الممثلين السياسيين وسيلة لتوثيق العلاقات التجارية وتبادل الأسرى ، أو تبادل العطايا ، وفض المنازعات وعقد المعاهدات ، وغير ذلك من الأغراض السياسية والعسكرية ، كما استحدث غرض آخر للسفارات وهو تعزيز الروابط العلمية والثقافية بين الدول لما يحدثه ذلك من اقرار علاقات المودة والسلام بينها دعم الحركة الثقافية فى البلاد .

ومن هذا يتبين ان الحرب لم تكن هى العلاقة الوحيدة بين العباسيين والبيزنطيين بل نشأت بينهما فى كثير من الأوقات علاقات مودة وسلام وفقا لمصالحهما التجارية ولمقتضيات التوازن الدولى .

ويرجع ذلك الى ان سياسة الفتوح فى عصر العباسيين لم تستمر كما كانت عليه الحال فى عصر الخلفاء الراشدين والأمويين . فلم تزد رقعة الدولة الاسلامية بل بدأت الحركات الانفصالية تعتريها فى أواخر هذا العهد ، فكانت فى حاجة الى الحفاظ على سلامة ارجائها اكثر منها الى الاستمرار فى الفتح . ومن ثم كان اكثر حروب العباسيين ضد البيزنطيين وغيرهم دفاعا عن دولتهم فى المقام الأول . وكانت تلك الحروب هى الجانب السلبى للعلاقات السياسية اما فى الجانب الآخر فقد اهتم العباسيون اكثر من الأمويين بتوسيع دائرة علاقاتهم الخارجية السلمية . فسارت السفارات بينهم وبين القسطنطينية وروما ومملكة البلغار ودولة الفرنجة والهند والصين . وعقدت بيزنطة مع بغداد معاهدات الصلح وتبادل الأسرى فى عهد هارون الرشيد والمأمون والمعتصم ، وتبادلت معها السفارات فى مختلف الأغراض . وكان دعم الروابط العلمية والثقافية من اهم ما استهدفته السفارات الاسلامية من أجل توثيق علاقاتها مع جاراتها مما يشبه المهمة التى يقوم بها المستشارون الثقافيون فى سفارات الدول الحديثة اليوم .

وهكذا اقترن عصر استقرار الدولة الاسلامية وازدهارها واتساع نفوذها وترامى أطرافها بازدهار السفارات الثقافية بينها وبين الدولة البيزنطية . فتبادل الجانبان الكتب أو الرسائل التى كانت تصاغ فى أساليب ودية ثم دخلا فى مفاوضات أسفرت عن معاهدات لاقرار التبادل الثقافى . وكانت تلك المعاهدات تنص على دراسة الكتب النادرة التى تتوافر لدى

الجانبين أو فى مكتباتهما العامة ، وتبادل البعثات العلمية ، وتيسير مهام الطلاب الباحثين فى جامعات المسلمين والبيزنطيين وفى عواصمهم .

رابعا : فى عصر الأمويين بالأندلس :

وفى عهد الأمويين بالأندلس ــ حيث أسس عبد الرحمن الداخل احد ابناء البيت الأموى الذى تداعى أمام قوة العباسيين امارة مستقلة سنة ٧٥١ م ــ خطت السفارات الاسلامية اشواطا بعيدة فى مجال التطور والتقدم . ذلك أنه كانت ثمة أربع قوى سياسية كبرى: الدولة العباسية فى المشرق وعاصمتها بغداد ، ودولة الروم فى القسطنطينية ، والدولة الأموية فى الأندلس وعاصمتها قرطبة ، ودولة الفرنجة فى بلاد الغال (فرنسا) وقد قامت فى زمن معاصر لقيام دولة الامويين بالأندلس واتخذت (اكس لا شابل) عاصمة لها ، وحاول امبراطورها شرلمان أن يعيد مجد روما القديم وينافس الدولة الرومانية الشرقية التى تأسست فى بيزنطة وتزعمت العالم المسيحى . واصبحت دولة الفرنجة فى عصر هذا الامبراطور أعظم قوة فى أوربا الغربية ، واستطاعت بتحالفها مع البابوية فى روما أن تحد من نفوذ الدولة البيزنطية ، وتطلعت الى مد سلطانها الى شرق أوربا وبسط حمايتها على المسيحيين هناك .

وفى ظل هذه الظروف لعبت سياسة توازن القوى دورها فى العلاقات السياسية بين هذه الدول الأربع المتنافسة ، اذ كان ثمة تنافس بين العباسيين والروم الشرقيين ، ثم جد تنافس آخر بين بنى العباس فى المشرق وبنى أمية فى المغرب من جانب ، وبين البيزنطيين فى شرقى أوربا والفرنجة فى غربها من جانب آخر .

وقد أحدث التغيير الذى طرأ على التوازن الدولى فى تلك الحقبة أثره فى العلاقات القائمة بين تلك القوى السياسية المتنازعة ، ونشأ عن ذلك تطور كبير فى السفارات . فلم تعد الحرب هى السبيل الوحيدة لتنفيذ السياسة الخارجية للدولة وحل مشكلاتها وتحقيق أهدافها فى التوسع والسلطان ، وأصبح حد السيف لا يكفى ــ ازاء تلك القوى الدولية الكبيرة ــ لفض المنازعات بينها . فلم يكن بد من استخدام الدبلوماسية كاحدى الأصول التى يتعلمها رجال الدولة وينتهجون على أساسها فى اقرار علاقاتهم مع الأمم الأخرى . واصبحت الدبلوماسية نظاما مدروسا تسير عليه الدولة فى علاقاتها الخارجية .

لقد كانت حاجة الروم الى العرب ماسة ومستمرة ، وكانوا ضعفاء أمامهم منذ وحدة العرب أيام الخلافة الاسلامية . فلا غرو أن تغدو هذه الحاجة أشد بعد الانشقاق الذى دب فى صفوف المسيحيين وقيام دولة الفرنجة ومنافستها للامبراطورية البيزنطية ، هذا فضلا عن ظهور الأمم البربرية المستقلة على حدود الرومان ، وان يؤدى هذا الى أن تلجأ تلك الامبراطورية الى التفاهم مع جيرانها العرب ، وأن تسعى الى محالفتهم لمقاومة أعدائها وتأمين جبهتها الداخلية كما يتجلى ذلك فى مفاوضاتها مع هارون الرشيد والمأمون والمعتصم . وقد انعكس هذا التطور الدبلوماسى على السفارات بمختلف اغراضها ولا سيما الثقافية منها فتواتر سير السفارات الاسلامية من بغداد الى عاصمة الرومان .

ولما نافست دولة عبد الرحمن الداخل فى الأندلس سلطان الخلفاء العباسيين فى بغداد ، اتجهت الخلافة العباسية الى دولة الفرنجة القائمة على حدود الأندلس تنشد محالفتها ضد الأمويين ، واستعانت فى سبيل دعم أواصر المودة والصداقة بينهما بالتبادل الدبلوماسى ، فسيرت السفارات فيما بين بغداد وعاصمة الفرنجة . وقد تعددت الوفود بين الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور وبين سيد الفرنجة ، وبين هارون الرشيد وشارلمان .

ولم تحقق الدولة البيزنطية مآربها فى محالفة العباسيين ضد الفرنجة اذ كان هؤلاء — كما أسلفنا — يسعون للتحالف مع دولة الفرنجه ضد بنى أمية فى الأندلس . وقد حاول شرلمان مهاجمة دولة الامويين ولكنه لم ينجح ، فكان من الطبيعى أن يقيم البيزنطيون علاقات دبلوماسية مع دولة الأندلس ، وبلغت تلك العلاقات أوجها فى عهد الامبراطور قسطنطين الرابع والخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر . وسارت السفارات بين القسطنطينية وقرطبة مثلما سارت بينها وبين بغداد . وكان للسفراء المسلمين فى القسطنطينية مكان الصدارة بين الممثلين الدبلوماسيين ، ولسفراء العباسيين الأسبقية فى الترتيب على سفراء الأمويين .

وقد أدى التوازن الدولى — كما تقدم — الى قيام السفارات الاسلامية من قرطبة الى العواصم الاوروبية بقصد توثيق الروابط السياسية والعلمية والاجتماعية بين الدولة الاموية فى الاندلس ودولتى المسيحية فى القسطنطينية واكس لا شابل ، ثم بينها وبين جماعة النورمان فى الجزر البريطانية التى بدأت تظهر كقوة سياسية جديدة فى ذلك الحين .

وقد بلغ التبادل الثقافى ذروته فى ذلك العهد بفضل النهضة العلمية التى ازدهرت فى العواصم الاسلامية والمسيحية ، فقد كانت بغداد وقرطبة والقسطنطينية مراكز اشعاع للعلوم والفنون والآداب ، تنافس كل منها الاخرى فى التزود بالعلم والثقافة ، والبحث عن كل جديد ومبتكر من المعارف والافكار ، وتشجيع العلماء والطلاب على البحث والدراسة ، ولقد لعبت تلك السفارات دورا هاما فى اقرار السلام بين تلك القوى الكبيرة التى كانت تحتل مسرح السياسة الدولية حينئذ .

وموجز القول فى تاريخ السفارات فى الاسلام أن العرب لما تحضروا فى ظل شريعة التوحيد والحق والحرية وأخذوا بأسباب المدنية بعد رسوخ قدمهم فى مملكتهم الواسعة الاطراف وكثرت علاقاتهم بالدول والممالك المعاصرة لهم ازدهرت السفارات فى عهدهم ، فكانوا يرسلون ممثليهم — وعلى الاخص فى عهد العباسيين الأول والثانى — الى الملوك والأمراء ، ليس فى أحوال الصلح فقط ، بل كذلك فى المفاوضات السياسية والودية وحوادث المصاهرة . ولم تقتصر السفارات على الخلفاء والامراء المسلمين بعضهم وبعض بل شملت علاقاتهم التجارية والسياسية والثقافية مع رؤساء الدول الاجنبية . فجرت السفارات الاسلامية بين العباسيين وملوك الشرق فى الهند والصين ، كما جرت بين ملوك أوربا وملوك الاسلام فى الشرق والاندلس . والتاريخ حافل بأخبار السفارات التى كانت لا تنقطع بين الخلفاء المسلمين فى الأندلس وبين ملوك الافرنج .

حديث عن

رمضان

للشيخ : أحمد حسن الباقوري

طرح شهوات الجسد تحصيل لصحة الصوم

تجنب المغامز الخلقية تحصيل لكمال الصوم

خير ما نستقبل به رمضان ان نستفتح الحديث عنه بالثناء على ربنا تعالى وعز بما هو أهله . ثناء العاجزين عن حصر نعمائه ، المحتاجين الى جميل معونته . فان عبدا من عباده لا يحصى ثناء عليه هو كما اثنى على نفسه ، وننتهز فرصة هذا الشهر موسم خير ورحمة فنضرع الى الله عز وجل أن يعيده على أمتنا الاسلامية بالأمن والطمأنينة والسلام ، كما نضرع اليه أن يسبغ من ظلال هديه على ملوك أمتنا ورؤسائها وأمرائها ما يزيدهم فقها بأمجاد أسلافهم وغيرة على تراث أمتهم التى خرجت به الانسانية كلها من الباطل الى الحق ومن الضلال الى الهدى ومن الظلمات الى النور .

ثم ان الصيام يقتضينا حقه من البيان فى مجالين ، مجال اللغة ومجال الشريعة .

فقد كان العرب اهل جاهلية قبل البعثة المحمدية

يعرفون للصيام معانى تداولوها فى شـــعرهم ونثرهم ، ورواها الأخلاف عن الأسلاف .

ومن تلك المعانى الامساك عن الحركة فى الانســان والحيوان والجماد ، كل ذلك فى عرف اللغة صــيام ، فهم يقولون صـــامت الريح : يعنون أنها ركدت فلم تتحــرك . ويقولون صامت الشمس : يعنون أنها قامت فلم تبرح مكانها عند انتصــاف النهار ، ويصـــفون البكرة بالصيام اذا هى استعصت على الدوران فلم تخرج الدلو من البئر . وفى هذا يقول راجزهم :

شرا الدلاء الولفــة الملازمة والبكرات شرهن الصــائمة

يعنى الشاعر أن الدلو الضيقة التى لا تفارق صاحبها هى شر الدلاء وان البكرة المستعصية على الدوران هى شر البكرات .

والعرب تطلق على الموضــع الذى تظهر فيه نجــوم الثريا كأنها معلقة فى الفضاء لا تبرح مكانها كلمة مصام وفى هذا يقول امرىء القيس :

كأن الثريا علقت فى مصامها بأمراس كتان الى صم جندل

فهو فى هــذا البيت يصف طــول الليل ضائقا به فيتخيــل أن مجموعة النجوم المعروفة بالثريا واقفة فى مكانها لا تتحرك فكأنها مشدودة الى صخور صم بحبال من الـــكتان متينة الفتل .

ذلك اجمال لمعنى الصوم فى اللغة .

وقد ورد فى كتاب الله الكريم الصوم بمعناه اللغوى وليس بحقيقته الشرعية على ما تشير الى ذلك الآية الكريمة « انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا » فالصوم فى هذه الآية يعنى الصمت والامساك عن حركة الكلام .

وليس بخاف أن بين المعنيين اللغوى والشرعى صلة وثيقة ، من حيث كانت اللغة تعطى أن الصوم امساك عن الحركة أيا كانت هذه الحركة فى انسان أو حيوان أو جماد ، وكأن الاصطلاح الشرعى يعطى أن الصــيام نية فى القلب وامساك عن حركة المطعم والمشرب .

واذا كانت حقيقة الصيام لا تتم شرعا الا بالامساك عن الشهوات ، فان تمام الصيام وكماله لا يتأتى الا باجتناب المحظورات من الدس والكذب والنميمة والتجسس والخوض فى أعراض الناس . كما يقول النبى عليه السلام « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يترك طعامه وشرابه » .

وقد حرص أسلافنا الصالحون على رعاية حرمة هذا الشهر فكانوا يستقبلونه بأجل معانى التكريم ، ويقضون حقه عليهم من جهتيه جميعا . فيطرحون شهواتهم الجسدانية ارادة تحصيل صحة الصوم ، ويجتنبون المغامز الخلقية ارادة تحصيل كمال الصوم . وانما دعاهم الى هذا الحرص ما كانوا يعرفونه من فضل الصوم وجميل ثوابه ، فقد وردت فى ذلك أخبار كثيرة صحاح وحسان ، حسب المؤمن منها فى فضل هذا الشهر العظيم أن الله تعالى قد خصه دون سائر الفرائض بالاضافة الى ذاته جل ثناؤه على ما فى الحديث القدسى « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فهو لى وأنا أجزى به » ..

ومع أن العبادات كلها لله خضوعا لأمره ، واستدامة لنعمه ، فان اختصاص الصيام بالاضافة الى الله فى هذا الحديث ، انما كان لأمرين يستأثر الصيام بهما دون سائر ما افترض الله على عباده ، وأحد الأمرين أن الصيام يمنع الصائم من اللذاذات والشهوات . وهذه خصيصة له دون سائر العبادات ، وثانى الأمرين أن الصيام سر بين العبد وبين ربه فاذا كانت العبادات ظاهرة مكشوفة للناس يتمكن كل أحد من الاطلاع عليها . وقد يرائى بها ، فان الصيام محجوب لا يطلع عليه أحد سوى علام الغيوب .

وليس يسع الذين يدرسون كتاب الله ، وينظرون فى أوامره ونواهيه ، أن يجاوزوا الصيام دون أن يتلمسوا له حكمه . فان معرفة الحكمة للحكم الشرعى من شأنها أن تضاعف الرغبة فى الأخذ به والعمل بمقتضاه .

ومما هو مركوز فى الفطرة أن توقع المنفعة فى عمل من الاعمال ، يسارع بالمكلف الى تحصيل هذا العمل كما أن ادراك المضرة فيه يسارع به الى اجتنابه والتحرز منه والابتعاد عنه .

وأهل العلم يعرفون أن أحكام الله تعالى مشتملة على

حكم تصلح أن تكون مقصودة للشارع من شرعه الحكم .
فقد كان العرب أهل الجـــاهلية قبل البعثة المحمدية
ولا شك أن الصـــــوم ينطوى على حكم بالغة لعلنا لا نركب متن الشطط اذا قررنا لأنفسنا وللنـــاس أن القرآن طواها على كثرتها فى كلمتين اثنتين فى آية الصيام « لعلكم تتقون » .

وبيان ذلك أن امتثـــــال أوامر الله فى تحرى مواقع رضوانه ، هو من التكاليف التى تشق عادة على النفوس . وكل أمر يشق على النفس تحصيله ، لا بد له من ارادة قوية وعزيمة صادقة تكون معوانا للمكلف على تحمل المشاق فى ابتغاء رضوان الله امتثالا لأمره ، واجتنابا لنهيه ، فالمسلم فى ليلة باردة قارصة البرد ، لا يستطيع بغير الارادة القوية أن يقوم الى متوضئه والى صلاته . وهو نفسه فى مجـــال الرغبات الجامحة والشهوات المتحكمة ، لا يســـتطيع بغير العزيمة الصـــــادقة أن يتغلب على نزوات النفس ودوافع الهوى .

والصيام هو الرياضة النفسية الفاردة بالقدرة على تكوين الارادة القوية وتربية العزيمة الصادقة . واذا استقام للمسلم أن يحصل الارادة القوية والعزيمة الصادقة فقد استقام له أن يحكم نفسه فيرغب بها فى مرضاة الله كما يرغب بها عن سخطه جل ثناؤه . وهذا عند التحقيق هو خلاصة التقوى اذ لا سبيل الى التقوى الا من هذا الطريق وهو ما أشارت اليه آية الصيام فى كتاب الله العزيز .

تلك حكمة الصيام التى تعود ثمراتها على الفرد نفسه . وهى حكمة تعم الغنى والفقير ، والمأمور والأمير . وهى من اجل هذا أحق بالاعتبار من كل ما يذكر الناس للصيام من حكم على كثرة ما ذكر الناس له حكم . فهى عند بعضهم ترويض للاغنياء حتى يشعروا بحاجة الفقراء . وهى عند آخرين تكفير عن الخطايا بعقاب الاجساد وتعريضها لمعاناة ما تعانيه فى الصـــيام من الظمأ والجوع . وهى عند فريق ثالث تطهير للجسم ، وتنزيه للانسان عن حاجاته الحيوانية .

ولا ينبغى أن تفوتنا فى هذا المقام حكمة لا يضيق بها الاعتبار ، ولا تتراءى للناظر خارجة عن آفاق الحكم المقبولة .

وخلاصة هذه الحكمة أن المسلمين هذا الشهر فى كل آفاق الدنيا وأنحاء العالم يتحولون الى أسرة واحدة ، يتناولون طعامهم فى وقت واحد ، ويؤدون شعائر دينهم فى وقت واحد

ومن يشذ منهم عن هذا النظام يشعر بالغربة فى نفسه كما يشعر مواطنوه بالغربة عنهم .

ولقد اذكر أن أمما فى الارض تزهى على الناس بأن لها عادات وتقاليد يجتمع عليها كبارهم وصغارهم واغنياؤهم وفقراؤهم فى ســـاعات معينة من ليل أو نهـــار . كالأمة البريطانية مثلا فان أبناءها يفخرون بأنهم يجتمعون فى منتصف الحادية عشرة من صباح كل يوم على تنـــاول القهوة وفى منتصف الواحدة ظهرا على تناول الغذاء وفى منتصف السادسة مساء على تناول الشاى والحلوى . وعلى قدر ما يفخـــر ابنـــاء الأمـــة البريطانية بهـــذه العادات ، يعجب بهـــا غير البريطانيين ويعتبرون ذلـــك فضيلة لهـــا تستحق التقديـــر والاعتبار .

واكثر الذين يذهبون هـــذا المذهب يعـــرفون أن افراد الأمة الاسلامية يجتمعون فى كل مكان على تناول طعـــــام الافطار فى شهر رمضان بعد غروب الشـــــمس ، وتناول سحورهم فى وقت محدد أيضا . ويمتنعون عن شـــهواتهم امتنـــاعا كاملا فى غير هذين الوقتين من طلوع الفجر الى غروب الشمس . فلا مطعم لطاعم ، ولا مشرب لشارب .

ومع ذلك ترى الذين يقفون من الأمة البريطانية موقف الاعجاب ، لا يكادون ينتبهون لهذه المعانى الجليلة نفسها فى الأمة الاسلامية وقد جمع الاسلام عليها المسلمين منذ أربعة عشر قرنا خلت من الزمان . وهذا مع تفرق هذه الأمة وتباعد ديارها ، واختلاف آفاقها ، وذلك أمر كان من شأنه أن يدعو الى أعظم العجب واكرم الاعتبار أبناء أمتنا واصـــــدقاءها وخصـــــومها على سواء ، ولكن الذهول العجيب هو الذى يحول بين أهل العلم وأهل العقل وبين التماس الحكم الغالية فى كل ما شرعه الله من خير للمســـــلمين على أن شـــهر الصيام فى العالم الاسلامى قد أصبحت له الى جانب هذه المزايا مزايا اخر لا تقتصر على الكبـــار الصـــائمين ولكنهـــا تنتظم الصغار أيضا فهو موسم فرحة للاطفـــال وتزاور بين الناس واقبال على الله بحسن العبادة ومدارسة العلم .

فرمضان شـــــهر مبارك الثمرات ، ميمون الغدوات والروحات على الافراد والجماعات فى كل ما يتصل بشئون الدنيا وشئون الدين .

الشورى

في الإسلام

تشريعاً ... وتطبيقاً

للأستاذ : عبد الكريم الخطيب

كم يعانى الباحث من مشقة ، وكم يجد من حرج ، حين يعرض لقضية من القضايا التى تكاد تكون فى ضمير التاريخ من المسلمات التى لا يختلف عليها عدو أو صديق ، ثم هو لايجد بين يديه من واقع الحياة فى عصره مايقيم منه الشاهد الحى على معطيات هذه القضية ، وعلى مالها من أثر فى أهلها الذين ينتسبون لها ، ويضافون اليها .. ان الباحث هنا لايعدو ان يكون صدى موحشا مستجلبا من أغوار الزمن السحيق ، فيما يقرأ على الناس من صحف التاريخ ، وفيما يقص عليهم من أنباء قضيته ، وما حملت فى وقت ما من ثمرات طيبة مباركة !! انه اذا قال ــ ان التاريخ يقول كذا وكذا ، جبهه لسان الحال ، وأفحمه وامسك به عن أن يمضى فيما هو فيه ، فان هو أبى ان يزايل موقفه ، أو أن يتحول عن طريقه ، لم يجد العزم الذى كان معه ، ولا اليقين الذى استقر فى وعيه ، وسكن فى ضميره ، فيمضى ان مضى ــ مستخزيا ، ويدافع ان دافع واهنا فاترا ..

فقضايا الاسلام ، ومقرراته فى بناء الاخلاق القويمة ، وفى اقامة موازين العدل والاحساس بين الناس بما شرعه هذا الدين من التواصى بالحق ،

والصبر والمرحمة والاخاء ، والتكافل ، ونصرة المظلوم ، والاخذ على يد الظالم ، والجهاد فى سبيل الله ، والسعى فى طلب الرزق ، واتقان العمل .. وغير ذلك مما ينتظمه دستور الشريعة الاسلامية من احكام وآداب ، بها يستأهل الانسان ان يكون خليفة الله فى الأرض وصاحب اليد المبسوطة على كل شىء فيها ـ هذه القضايا وتلك المقررات يعيش فيها المسلمون اليوم كلمات محفوظة مرددة على الالسنة ، دون ان ترتبط بمشاعرهم ، او تخالط وجدانهم او تظهر فى سلوكهم انها اشبه بتلك المخلفات الثمينة من آثار العصور الماضية التى تحويها المتاحف وتضمها دور الآثار لا يتعامل بها الناس فى حياتهم ولا يأخذون بها أو يعطون وان وقفوا حيالها معجبين ، ونظروا اليها فى اجلال واكبار وتقديس !!

هكذا نحن المسلمين ، فيما بيننا وبين احكام ديننا وآدابه ، قد رضينا من ديننا بما نشهد من بنائه المحكم المعجز ، وشغلنا بالطواف حول هذا الأثر الخالد عن التزود منه بالزاد الذى نصحبه معنا فى رحلة الحياة . وكل حظنا من هذا الخير العظيم ، تلك اللحظات المسعدة التى نقف فيها بين يديه فاذا زايلناه انقطع ما بيننا وبينه ، وأخذنا طريقنا فى الحياة على غير الطريق القائمة عليه ، لا نكاد نذكر من ديننا الا انه رسوم نقف عليها ، وآثار نلم بها ، ونملأ العين بها ، كلما شاقنا الحنين الى هذا الغالى العزيز الذى أودعناه بطون الصحف والكتب ، كما يودع الآباء فلذات أكبادهم بطن الثرى ، ثم يلتمسون العزاء فى الوقوف على القبور ، ومناجاة من فى القبور .

ـ ٢ ـ

ارأيت اذن كم هو شاق غاية المشقة ، عسر اشد العسر أن يواجه الباحث المسلم تحديات العصر ، وواقع الحياة فيه ، بحقائق الشريعة الاسلامية ، وعرضها لتكون اسلوب حياة ، وسلوك مجتمع ، ونظام أمة ؟ واذا وجد هذا الباحث عند الذين يدينون بشريعة الاسلام اذنا تسمع أو عقلا يصدق ، او قلبا يستجيب ـ فهل يجد عند غير الذين لا يدينون بشريعة هذا الدين ، من يستمع لقوله ، أو يستجيب لدعوته ؟ وكيف ولسان الحال يقول ـ لو كان هذا حقا لأخذ به أهله ، ولو كان خيرا لأفادوا منه ، ولكان مقامهم فى الحياة غير هذا المقام ، الذى لا يحسدهم عليه عدو أو صديق ؟

واشهد أننى ما هممت بعرض وجه من وجوه شريعتنا المشرقة ، أو حقيقة من حقائق ديننا القويم الا وقفت موقف الحيرة والتردد ، والا انتهى أمرى آخر الأمر فى كثير من الاحيان الى التحول عن هذا الموقف الى اى شأن من شئونى الخاصة او العامة ، مما استطيع أن اعطيه صورة عملية واقعة فى الحياة ، مهما صغر قدره ، وقل غناؤه ، فذلك على ما به هو ـ فى تقديرى ـ اجدى من الوقوف على منبر الخطابة ، وترديد الاحاديث المعادة التى كادت لكثرة ترددها على الآذان ان تكون اشبه بتلك الاصوات التى تنطلق من افواه الباعة الجوالين يعرضون بها ما معهم من سلع بائرة ، قد لفظتها السوق ، ولم تجد لها فى ساحتها طالبا أو شاريا !!

ان حقائق الشريعة الاسلامية اظهر من ان يدل عليها عند أهلها ، وعند كثير من غير أهلها ، والالحاح فى عرضها ، والمناداة عليها ، مما يزرى بقدرها ، ويسىء الظن بها ... ومع هذا فان التزام الصمت ، واخذ جانب

السكوت ، هو سكوت عن الحق الذى خذله أهله ، فى موقف علا فيه صوت الباطل ، وراجت فيه دعاوى الضلال والبهتان ، والساكت عن الحق فى هذا المقام شيطان اخرس ، كما يقول الرسول الكريم ......

فاذا كان للسكوت اسبابه ودواعيه ، فان للنطق ايضا اسبابه ودواعيه ، ان لم يكن حديثا الي الناس فهو حديث الى النفس ، اشبه بالزفرات التى ينفس بها المكروب كربته :

ولواله المكروب من زفرات سكون عزاء او سكون لغوب

— ٣ —

هذه مقدمة لم يكن بدمنها ، وان تكن قد طالت اكثر مما كنت اقدر لها .. ولكن لاباس ، فانى ما كنت لأستضيع ان اكتب فى هذا الموضوع الذى جعلته عنوانا لهذا الحديث ، لولم اقف مع نفســى هذه الوقفة المستأنية ، واحاورها هذا الحوار الصريح ، الذى نلتقى فيه على كلمة ســواء آخر الامر ، وهو أن امضى فيما قصدت اليه ، فهو ان لم ينفع فلن يضر ، والله سبحانه وتعالى يقول لنبيه الكريم : « فذكر انما انت مذكر . لست عليهم بمسيطر » ..

فلنأخذ اذن فى حديثنا عن « الشورى فى الاسلام » كمادة اولى من مواد هذا الدستور الســماوى الذى يحكم الجماعة الاســلامية ، ويدين به الفرد والجماعة على السواء ...

— ٤ —

فالشورى شريعة من شرائع الرسالة الاسلامية ، ومصدر من مصادر احكامها العاملة فى المسلمين ، حيث ينعقد بها الاجماع الذى هو اصل من اصول التشريع الاربعة المعتمدة فى الاســلام ، وهى الكتاب والســنة ، والقياس ، والاجماع .. اذ لا يكون الاجماع على أمر الا بعد تمحيصــه ، وتقليب وجوه الراى فيه ، وتقديم الحجج والادلة بين يدى كل راى ، حتى ينتهى الامر الذى يجمــع عليه ، بالتقاء آراء ذوى الراى فيه من المســلمين ، وهم الذين اطلق عليهم : اهل الحل والعقد .

وليس المراد بأهل الحل والعقد طبقة خاصة من الناس ، او طائفة معينة من طوائفهم ، بل هم فى كيان المجتمع الاســلامى كله ، فى كل زمان ومكان ا لا يختص بهم موطن ، ولا يحصرهم زمن .. فحيث كان المســلمون فهم جميعا المجتمع الاسلامى ، وفيهم اهل الحل والعقد ، اى اصحاب الراى والنظر ، فكل ذى راى ونظر هو من اهل الحل والعقد ، وله ان يأخذ مكانه فى الأمر الذى يعرض للمسلمين ، وأن يدلى برأيه فيه ، ويقدم حجته التى تدعم هذا الراى ، كما ان له أن ينظر فى راى غيره ، وان يقول فيه رايه ، معدلا او مجرحا ، كل ذلك بالحجة القائمة على الحق والعدل ، المجانبة للهوى ، والشهوة ، وحب الغلب . والراى الذى ينتهى اليه المسلمون ، او أولو الحل والعقد فيهم ، هو ملزم

لجمـــاعتهم ، لا يجوز لأحد منهم مخالفته ، والخروج عليه عملا بقوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

وليس فى هذا الالزام جور على ذاتية الفرد ، ولا عدوان على حقه فى النظر الى الأمور ، ووزنها بميزان ادراكه وتقديره ، بل ان هذا الالزام هو حماية للفرد من أن يتبع هواه ، أو أن يذهب مذهبا غير مأمون العاقبة ، لو أنه اخذ برأيه وترك رأى الجماعة ، اذ كان رأيها هو الذى تلاقت عنده الآراء ، ونخلته العقول ، وانه لخير له أن يأخذ برأى الجماعة ، الذى لاشـــك انه اقرب الى الحق ، والى الخير ، من الرأى الذى انفرد به .

واذا كان الاجماع هو الوجه البارز من وجوه الشورى ، فان للشـــورى وجوها أخرى كثيرة .. اذ ليس كل أمر يعرض للجماعة الاســـلامية ، تنتهى بالتشاور فيه الى اجماع فى الرأى على نحو الاجماع المعروف فى الشريعة ، بل انه كثيرا ما يقع الخلاف فى الرأى على أمر من الأمور ، ثم يرجح جانب فيه على جانب ، فيؤخذ بالجانب الراجح ، ويترك الجانب المرجوح .

— ٥ —

على أن الذى يعنينا هنا ، ليس هو مصدر الشورى وأشـــكالها ، وانما الذى يعنينا بالمقام الاول ، هو مبدأ الشورى ذاتها ، من حيث اعتبارها حقيقة من حقائق الاسلام ، وحكما من أحكامه العاملة ، التى يأخذ المسلم بها نفسه ، ويقيم حياته عليها ...

ففى قوله تعالى فى مقام عرض المؤمنين فى صورتهم الكاملة المشرقة : « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » .. (٣٨ الشورى) — فى هذا أمر ملزم للمسلمين بالشـــورى فى أمورهم ، حيث اقترن قوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » بركنين من أركان الدين ، وتوسطهما ، وهما اقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والمأمور بهما شرعا ، فكان حكم الشـــورى حكمهما من حيث الوجوب ، والالزام .. فقوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » — خبر يراد به الامر والالزام .

وفى مجىء الشورى بعد اقام الصلاة ، وقبل ايتاء الزكاة — اشارة الى أمور :

اولا : ان الصلاة اقوال وافعال ، والشـــورى اقوال تعقبها افعال .. اما الزكاة فهى افعال خالصة ... فناسب أن تأخذ الشورى هذا المكان المتوسط بين الصلاة والزكاة .

وثانيا : ان الصـــلاة يؤديها المرء منفردا او فى جماعة .. وهو فى حال افراده يؤديها على الصورة التى يراها ، من حيث الطول والقصر فى افعالها ، قراءة ، وقياما ، وركوعا ، وسجودا .. اما فى حال ادائها فى جماعة ، فانه لا يملك هذا الخيار بعد ان يأخذ مكانه فى الجماعة ، وينتظم فى عقدها ، فهو والجمـــاعة من وراء الامام ، الذى يجب ان يلتزموا متابعته فى كل اعمـــال الصلاة . قياما ، وركوعا ، وسجودا . والشورى صورة مقاربة للصلاة . من هذا الوجه الذى صورناها به ..

فاذا كان المرء خاليا مع رايه ازاء امر من الامور العارضة له ، كان له ان يتصرف فى هذا الامر على الوجه الذى يستشـــير فيه عقله ، ويحتكم فيه الى رايه ، وما يؤديه اليه اجتهاده .. اما اذا دخل مع جمـــاعة المسلمين فى امر عام ، واخذ برايه مكانه بينهم ، لم يكن له ان يخرج عن الراى الذى تنتهى اليه الجماعة ، والذى يتمثل لهم حينئذ فى صورة الامام الذى يأتمون به فى الصلاة .. فكما لا يخرج المأموم عن متابعة الامام فى الصلاة ، ولا يجوز له ان يستجيب لارادته فى ان يطيل او يقصر فى قراءة او فى قيام ، او ركوع ، او سجود — كذلك لايجوز ان يخرج المؤمن عن الراى اجتمع عليه المسلمون ، بعد تشاورهم فيه ، اذ الراى الذى اجمع عليه المسلمون هنا هو من راى الاسلام ، والسبيل التى يسلكها — متابعة لهذا الراى — هى سبيل المسلمين .. والله سبحانه وتعالى يقول : « ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » (١١٥ : النساء) ..

وثالثا : ان الصلاة فريضة عامة تجب على كل مسلم ومســلمة وجوب عين ، متى تحققت فيه اهلية التكليف .. وكذلك التشاور بين المسلمين امر ملزم لهم جميعا وحق يؤديه كل مسلم ومسلمة للجماعة الاسلامية ، ما دام اهلا له ، وانه ليس لأحد ان يحــول بين المســلم وبين ان يأخذ مكانـــه فى الجمـــاعة الاســـلامية ، وان يبدى الراى الذى يراه فى اى امر يعرض لهم ، تماما كما يأخذ مكانه فى صلاة الجماعة بين ، الصفوف المنتظمة فى الصـــلاة ، وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : « وامرهم شورى بينهم » ففي تنكير كلمة « شورى » دليل على اطلاقها وعمومها وانها ليست على صفة خاصة معروفة باهلها .. فكل مسلم كان اهلا للصلاة مكلفا بها ، كان اهلا للشورى مطالبا بها ..

ورابعا : ان الصلاة يجب ان يســبقها قبل الدخــول فيها ، اعداد لها بالتطهير والوضوء كما يجب قبل ذلك تحصيل العلم بأركانها ، وشروط صحتها — وكذلك الشورى يجب ان تسبقها طهارة النفس من الهوى وخلوها من الدخل ، او المداهنة ، هذا الى ما ينبغى لمن يحمل امانة المشورة ان يتزود بأكبر قدر من العلم والمعرفة ، فى كل ما يتصل بأمور الدين والدنيا جميعا ..

وخامسا : ان للصلاة وقتا تؤدى فيه ، فاذا جاء وقتها اذن المؤذن بها ، ودعا المسلمين اليها ، « ان حى على الصلاة » .. وكذلك للشورى وقتها الذى تجب فيه .. فاذا حزب المسلمين امر تنادوا به ، واجتمعوا له وتشـــاوروا فيه ...

ذلك هو بعض السر فى قرن المشورة باقامة الصلاة ، ووصلها بها ، لما بينهما من هذه المشابه الكثيرة ، قدرا واثرا ..

اما وصل « الشورى » بالزكاة من طرفها الاخر ، فانه يشير كذلك الى امور .. منها :

اولا : ان القرآن الكريم لم يعبر عن الزكاة فى هذا المقام بلفظ الزكـــاة ، بل جاء بها فى هذا النظم الكريم « ومما رزقناهم ينفقون » ... فجعلها انفاقا من رزق ، وهذا الرزق هو من فضل الله ... وكذلك الشورى هى انفاق من رزق ، هو مما وهب الله ســبحانه من عقل ، ومما رزق اهل العقل من علم ومعرفة وهذا يعنى ان ابداء الرأى من ذوى الراى ، هو امر واجب عليهم ، وهو

الزكاة المطلوبة منهم فيما آتاهم الله من فضله ، من علم ، وحكمة ، واصالة رأى ، وحسن تدبير ..

فمن رأى فى اى امر من امور المسلمين خللا ، وكان عنده من الرأى والتدبير ما يصلح به هذا الخلل ، ثم امسك رأيه وحبس نصحه ـ كان آثما .. شأنه فى هذا شأن من كان ذا مال وسعة ، ثم لم ينفق من ماله فى سبيل الله ، وفى سد حاجة ذوى الحاجة من المؤمنين ...

وثانيا : لم يقيد النص القرآنى هنا الانفاق بالشىء الذى ينفق منه ، من مال ، او طعام ، او كساء ، ونحو هذا ، بل جعله انفاقا مطلقا ، يشمل كل ما يرزقه الله الانسان من خير ، فسماه سبحانه رزقا ، ليشمل المال ، وغير المال ، من رأى ، وعلم ، وفن ، وكل ما فيه للناس نفع ، فلا يستبد المؤمن وحده برزق رزقه الله اياه ، وفيه فضل وسعة لغيره من المسلمين ...

وثالثا : لم يقيد النص القرآنى كذلك ما ينفق من هذا الرزق بحد محدود ، كالزكاة ، بل جعله انفاقا مطلقا ، لأنه فى مقام الشورى ، لا يكون الانفاق بقدر محدود مما يملك الانسان من علم ، ومما عنده من معرفة بل ان المطلوب منه فى تلك الحال أن ينفق كل ما يملك ، غير ممسك شيئا من رأيه ، أو محتجز شيئا من جهده واجتهاده فى تحرى وجه الحق والتهدى اليه ..

ونقرأ الآية الكريمة ، « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » .

وننظر مرة اخرى فى قوله تعالى : « وامرهم شورى بينهم » وفى مقام هذا المقطع من الآية الكريمة وتوسطه بين ما سبقه ، وما جاء بعده من كلمات الله ، فنرى كيف كان احتفاء الاسلام بالشورى ، وكيف انه أفسح لها مكانا بين فريضتين من فرائضه ، وركنين من اركانه ، هما الصلاة والزكاة اللتان آخى بينهما القرآن فى كل موضع اجتمعا فيه ، ولم يفرق بينهما بشىء من آدابه واحكامه الا حين يكون هذا الشىء داعية من دواعيهما ، او لازما من لوازمهما ،كما رأينا ذلك فى « الشورى » واثرها فى حياة الجماعة الاسلامية ، وفى الحفاظ على بنائها الروحى والمادى جميعا .. وكما وقع الفصل ايضا بين الصلاة والزكاة فى قوله تعالى « قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون » فقد فصل هنا بين الصلاة والزكاة بقوله تعالى : « والذين هم عن اللغو معرضون » لأن من معطيات الصلاة ، ومن آثارها المباركة فى المصلين أن تقطعهم عن لغو الكلام وساقطه ، كما أن من معطيات الزكاة ، ومن آثارها الطيبة فى المزكين ، أن يتجنبوا الخسيس الرذل من المال كسبا وانفاقا !

- ٦ -

والسؤال هنا هو : ـ لماذا كانت الشورى بهذه المنزلة من الاسلام ؟ ولماذا تلتفت اليها الشريعة الاسلامية بهذا القدر ، وتنوه بها هذا التنويه الذى يرفعها الى مساماة فرائض الاسلام وأركانه ؟ ولا بد للاجابة على هذا السؤال وما تفرع منه من العودة الى النظر فى قوله تعالى « وامرهم شورى بينهم » ... فهذا الخبر ـ كما قلنا ـ هو امر ملزم للمسلمين بأن يقوم امرهم على الشورى بينهم ، وهذا يعنى ان يكون المسلمون على كلمة سواء فيما بينهم من شئون ..

فتكون طريقهم واحدة ، ووجهتهم واحدة ، ويدهم واحدة ، وموقفهم فى مواجهة الاحداث واحدا ، فلا يذهب كل واحد منهم مذهبا ، ولا تركب كل جماعة منهم طريقا . . . .

فالدعوة الى الشورى ، وجعلها شعيرة من شعائر الدين ، هى فى الواقع دعوة الى وحدة الامة الاسلامية ، وحدة عامة شاملة ، تنتظم مشـاعرها ، وتفكيرها ، واتجاه خطوطها فى الحياة ، فتجعل من الامة كيانا واحدا ، وجسدا واحدا ، الامر الذى اذا تحقق لجماعة من الجماعات ، اقامها فى هذه الحياةفى اكرم مقام ، واعزه ، فلا يصيبها وهن ، ولا ينزل بساحتها ضيم : !

وننظر فى هذا التدبير الحكيم لدعوة الامة الاسلامية الى الوحدة ، وجمعها على كلمة سواء .. انهـا لم تجىء دعوة قاهرة ملزمة ، من غير أن يقوم الى جانبها الوجود الذاتى للانسان ، والهاتف الشعورى المنبعث من ذاته الى هذه الوحدة ، بل قام مع هذه الدعوة ــ بل امام هذه الدعوة ــ دعوة الى الشورى التى يأخذ كل فرد من المسلمين مكانه منها ، ويشارك بنصيبه فيها ، فاذا انتظم للجماعة الاسـلامية من تشاورهم فيما بينهم راى ، كان هذا الراى قائما على وجهة واحدة ، هى التى رضيها الجميع ، ونسجوا رايتها من تلك الخيوط التى اجتمعت من آرائهم جميعا ، وبهذا تكون مسيرة المسلمين تحت هذه الراية ، مسيرة ينتظمها شعور واحد ، ويحكمها راى واحد ، وتشدها عزيمة واحدة ، فيكون منهم بهذا نسيج واحد متلاحم ، اشبه بنسيج هذه الراية التى تشـكلت من مجتمع آرائهم .. وهذا هو بعض السر فى ان جاء النظم القرآنى : « وأمرهم شـورى بينهم » بدلا من ان يجىء مثلا : « وكانوا امة واحدة ، او مجتمعـا واحدا » .. وذلك أنه لن تكون الامة امة واحدة ، ولن يكون المجتمع مجتمعـا واحدا ، الا اذا تلاقت الافكار ، وتقاربت المنازع وتوحدت المشاعر ، ولن يتم شىء من ذلك الا بالتشاور فى أمورهم ، وتبادل الآراء بينهم ، وعرض راى كل ذى راى فى حرية مطلقة ، بلا حدود ولا قيود . . . . . . !

ــ ٧ ــ

فالمسلمون مطالبون ديانة وشريعة ، كما هم مطالبون سياسة وتدبيرا ان يقيموا امرهم كله على الشورى بينهم .. وهذا من شأنه ان يجعلهم دائما فى تواصل ، وفى تواص بالنصح ، ومشاركة فى السراء والضراء ، حيث يجد المرء انه مطالب بأن يكشف لاخيه عن المشكلات التى تعرض له ، كما يجد صـاحبه انه مطالب بأن يبذل له الراى والنصيحة فى صدق واخلاص ، بل وان يسعى معه ما استطاع ، فى دفع الضر عنه ، وحمل بعض الهم الذى نزل به ، حسبة لله ، واداء لحق وجب عليه ..

فاذا كان الامر العارض من البلايا العامة التى تمس المجتمع ، او طائفة منه ، تنادى اليه المسلمون وتداعوا عليها بالراى والعمل معا ، وحمل كل منهم همها ، وشـارك فى دفعها بكل ما وسـعه من جهد وبما ملك من مال ونفس وولد !

وهذه المشاركة الجماعية التى تتم بين المسلمين فى مجلس المشورة الذى ينعقد بينهم للنظر فى شئونهم الخاصة ، والعامة ــ هذه المشـاركة هى التى

توحد مشاعر المجتمع الاسلامى ، وتشد المسلمين بعضهم الى بعض ، وتجعل منهم جسدا واحدا ، فلا يشعر احد منهم انه بمنجاة من الخطر الذى يتهدد اى عضو من اعضاء الجماعة !

ومن جهة أخرى ، فان فى عرض مشكلات المجتمع على الجماعة ، وفى طلب الراى والنصيحة من افرادها ، تربية للفرد على أداء وظيفته الاجتماعية فيها وافساح مكان له بينها .. وهذا من شأنه ان يهيىء للفرد فرصا طيبة ، يبرز فيها وجوده ويربى فيها ملكاته وينمى قدراته واستعداداته ، حتى يكون أهلا للمشورة ، ووجها من وجوهها البارزة ، وهذا بدوره داعية قوية تدعوه الى طلب العلم ، والمعرفة ، والى لقاء الجماعة بما حصل من علم ، وما وعى من معرفة ..

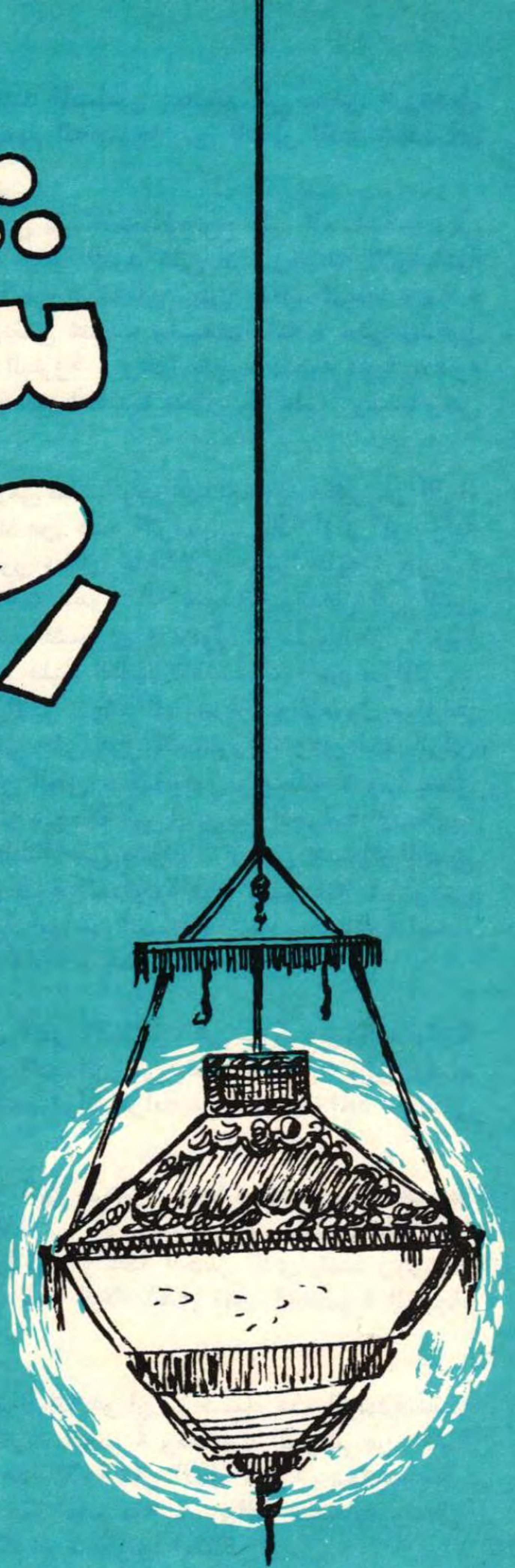
ومن جهة ثالثة ، فان عرض الآراء وفى تقليب وجوهها تصحيح لكثير من الآراء الخاطئة وتصحيح للمشاعر التى تتولد عن هذه الآراء .. فاذا اقام المرء رأيه عن مشورة ومناصحة فى امر من الامور ، كان هذا الامر عزيزا عليه ، حريصا على انجاحه وانضاج ثمرته ، ولهذا كانت دعوة الله سبحانه وتعالى الى النبى الكريم : ان يقيم امره فى المسلمين على الشورى ، فيقول له سبحانه : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك .. فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر » (٥٩ آل عمران) والرسول صلوات الله وسلامه عليه — بما أراه ربه فى غنى عن المشورة ، وعن أخذ الرأى من احد ، اذ كان انما ينطق بالحق عن الحق ، كما يقول سبحانه « وما ينطق عن الهوى» (٣ النجم) ولكن هكذا اقام الله سبحانه امر النبى مع الجماعة الاسلامية على المشورة ، حتى تصحح الآراء الخاطئة على ضوئها ، وحتى يشارك الجميع مع النبى فى اقامة الرأى ، وفى حمل تبعة المسئولية فيما ينجم عنه .. وحتى لا يقول قائل كما قال المنافق عبد الله بن ابى فى شماتة وتشف بعد غزوة احد : « لو كان لنا من الامر شىء ما قتلنا هاهنا » (١٥٤ آل عمران) .

هذه هى بعض ملامح « الشورى » فى الاسلام وهى — كما ترى — وثيقة من اروع الوثائق ، ودستور من اقوم الدساتير فى بناء المجتمع ، وفى وصل مشاعر افراده بعضها ببعض ، وفى صب آراء افراده فى مجرى واحد ، يفيض بالخير والبركة عليهم جميعا ..

فهل انتفع المسلمون بهذه الدعوة التى يدعوهم اليها دينهم ، وتأخذهم بها شريعتهم ؟ وواقع الحال ينطق بغير هذا .. فلو استقام المسلمون على مبدأ الشورى لما كانوا شيعا وفرقا ، ولكانوا فى مواجهة الخطر الذى يتهدد وجودهم يدا واحدة ، تدفع هذا الخطر ، وترد هذا البلاء الذى تهب اعاصيره الهوجاء على الامة الاسلامية من كل افق ..

وعزاؤنا فى هذا المصاب فى وحدة امتنا هو أن مواد بناء هذه الوحدة قائمة لا تزول ، خالدة لا تفنى ، وانه اذا فترت الهمم ، وضعفت العزائم عن اقامة هذا البناء فى جيل أو أكثر من اجيال هذه الأمة فان الأمل لا يزال معقودا على اجيال اخرى تعيد هذا البناء ، وتجدد ما تهدم منه .. والله سبحانه وتعالى يقول : « وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

شهر رمضان



حل بنا شهر عظيم مبارك ألا وهو شهر رمضان ، شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن ، شهر العتق والغفران ، شهر الصدقات والاحسان ، شهر تفتح فيه أبواب الجنات وتضاعف فيه الحسنات وتقال فيه العثرات ، شهر تجاب فيه الدعوات وترفع الدرجات وتغفر فيه السيئات ، شهر يجود الله فيه سبحانه على عباده بأنواع الكرامات ويجزى فيه لأوليائه العطيات ، شهر جعل الله صيامه أحد أركان الاسلام فصامه المصطفى صلى الله عليه وسلم وأمر الناس بصيامه وأخبر عليه الصلاة والسلام أن من صامه ايمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ومن قامه ايمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من.

ذنبه ، شهر فيه ليلة خير من الف شهر من حرم خيرها فقد حرم فاستقبلوه رحمكم الله بالفرح والسرور والعزيمة الصادقة على صيامه وقيامه والمسابقة فيه الى الخيرات والمبادرة فيه الى التوبة النصوح من سائر الذنوب والسيئات والتناصح والتعاون على البر والتقوى والتواصى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة الى كل خير لتفوزوا بالكرامة والأجر العظيم .

وفى الصيام فوائد كثيرة وحكم عظيمة منها تطهير النفس وتهذيبها وتزكيتها عن الأخلاق السيئة كالأشر والبطر والبخل وتعويدها الاخلاق الكريمة كالصبر والحلم والجود والكرم ومجاهدة النفس فيما يرضى الله ويقرب لديه .

ومن فوائد الصوم أنه يعرف العبد نفسه وحاجته وضعفه وفقره الى ربه سبحانه وتعالى ، ويذكره بعظيم نعم الله عليه ، ويذكره أيضا بحاجة أخوانه الفقراء ، فيوجب له ذلك شكر الله سبحانه والاستعانة بنعمه على طاعته ومواساة اخوانه الفقراء والاحسان اليهم .

وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذه الفوائد فى قوله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » فأوضح سبحانه أنه كتب علينا الصيام لنتقيه سبحانه فدل ذلك على أن الصيام وسيلة للتقوى ، والتقوى هى طاعة الله ورسوله بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه عن اخلاص لله عز وجل ومحبة ورغبة ورهبة ، وبذلك يتقى العبد عذاب الله وغضبه ، فالصيام شعبة عظيمة من شعب التقوى ووسيلة قوية الى التقوى فى بقية شئون الدين والدنيا .

وقد أشار النبى صلى الله عليه وسلم الى بعض فوائد الصوم فى قوله صلى الله عليه وسلم « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر واحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فأنه له وجاء » فبين النبى صلى الله عليه وسلم أن الصوم وجاء للصائم ووسيلة لطهارته وعفافه وما ذاك الا لأن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، والصوم يضيق تلك المجارى ويذكر بالله وعظمته فيضعف سلطان الشيطان ، ويقوى سلطان الايمان ، وتكثر بسببه الطاعات من المؤمن ، وتقل به المعاصى .

وفى الصوم فوائد كثيرة غير ما تقدم تظهر للمتأمل من ذوى البصيرة ، ومنها أنه يطهر البدن من الاخلاط الرديئة ويكسبه صحة وقد اعترف بذلك كثير من الاطباء ، وعالجوا به كثيرا من الأمراض وقد ورد فى فضله وفريضته آيات وأحاديث كثيرة قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات» الى أن قال عز وجل « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون » وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام

الصلاة وايتاء الزكـــاة وصوم رمضان وحج البيت . .

واخرج الترمذى عن معاذ بن جبل رضى اللـــه عنه قال قلت يا رسول اللـــه اخبرنى بعمل يدخلنى الجنـــة ويباعدنى عن النار فقـــال لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا . ثم قال النبى صلى اللـــه عليه وسلم الا ادلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار وصلاة الرجل فى جوف الليل ثم تلا رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهـــم ينفقون . فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» ثم قال عليه الصلاة والسلام الا أخبرك براس الأمر وعموده وذروة سنامه . قلت بلى يا رسول اللـــه فقـــال : رأس الأمر الاسلام وعموده الصـــلاة وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله ثم قال صلى الله عليـــه وســـلم الا اخبرك بملاك ذلـــك كلـــه قلت بلى يا رسول الله قال : كف عليـــك هذا وأشار الى لسانه فقلت يا رســـول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم بـــه ؟ فقال صلى اللـــه عليه وسلم. ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو قال على مناخرهم الا حصائد السنتهم » .

ان الصوم عمل صالح عظيم وثوابه جزيل ولاسيما صوم رمضـــان فانه الصوم الذى فرضه اللـــه على عباده وجعله من أسباب الفوز لديه ، وقد ثبت فى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كـــل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف يقول اللـــه عز وجل الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به انه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلى للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلـــوف فم الصائم أطيب عند اللـــه من ريـــح المسك » وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال (اذا دخـــل رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وسلسلت الشياطين . وأخرج الترمذى وابن ماجه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « اذا كان أول ليلة من رمضان صفـــدت الشياطين ومردت الجن وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وغـــلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وينادى مناد يا باغى الخير اقبـــل ويا باغى الشر اقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة » .

وجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يبشر اصحابه بقدوم شهر رمضان ويقول لهم جاء شهر رمضان بالبركات فمرحبا به من زائر وآت ، واخرج ابن خزيمة عن سلمان الفارسى عن النبى صلى الله عليـــه وســـلم انه خطب الناس فى آخر يـــوم من شعبان فقال : « أيها الناس انه قـــد اظلكم شهر عظيم مبارك شهر فيه ليلـــة خير من الف شهر جعل اللـــه صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلـــة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن ادى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد فيه رزق المؤمن الى أن قال : « فاستكثروا فيه من أربـــع خصال خصلتين ترضون بها ربكـــم وخصلتين لاغناء بكم عنهمـــا فأما

الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا اله الا الله والاستغفار وأما الخصلتان اللتان لاغناء بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار » .

وفي الحديث الصحيح عن أبى هريرة رضى اللـه عنه أن النبى صلى اللـه عليه وسلم قال : (من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر اللـه له ما تقدم من ذنبه ومن قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر اللـه له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر اللـه له ما تقدم من ذنبه .

وثبت عنه صلى اللـه عليه وسلم انه كان فى الغالب لا يزيد فى رمضان ولا فى غيره على احدى عشرة ركعة يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثا وثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه فى بعض الليالى يصلى ثلاث عشرة ركعة وفى بعضها اقل من ذلك وليس فى قيام رمضان حد محدود لقول النبى صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قيام الليل قال مثنى فاذا خشى احدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ماقد صلى ولم يحدد صلى اللـه عليه وسلم للناس فى قيام الليل ركعات معدودة بل أطلق لهم ذلك فمن احب أن يصلى احدى عشرة ركعة ، أو ثلاث عشرة ركعة أو ثلاثا وعشرين أو اكثر من ذلك أو أقل فلا حرج عليه ولكن الأفضل هو ما فعله النبى صلى اللـه عليه وسلم ودام عليه فى أغلب الليالى وهو احدى عشرة ركعة مع الطمأنينة فى القيام والقعود والركوع والسجود وترتيل التلاوة وعدم العجلة لأن روح الصلاة هو الاقبال عليها بالقلب والخشوع فيها وأداؤها كما شرح الله باخلاص وصدق ورغبة ورهبة وحضور قلب كما قال اللـه سبحانه «قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون » وقال : النبى صلى اللـه عليه وسلم (وجعلت قرة عينى فى الصلاة) وقال : للذى أساء فى صلاته اذا قمت الى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم أقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم أرفع حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم أرفع حتى تطمئن جالسا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم أفعل ذلك فى صلاتك كلها .

وكثير من الناس يصلى فى قيام رمضان صلاة لا يعقلها ولا يطمئن فيها ، بل ينقرها نقرا وذلك لا يجوز بل هو منكر لا تصح معه الصلاة فالواجب الحذر من ذلك ، وفى الحديث عنه صلى اللـه عليه وسلم انه قال أسوأ الناس سرقة الذى يسرق صلاته قالوا : يا رسول الله كيف يسرق صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها ، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه أمر الذى نقر صلاته أن يعيدها .

فيا معشر المسلمين عظموا الصلاة وادوها كما شرح اللـه وأغتنموا هذا الشهر العظيم وعظموه رحمكم اللـه بأنواع العبادة والقربات ـ وسارعوا فيه الى الطاعات فهو شهر عظيم جعله الله ميدانا لعباده يتسابقون اليه فيه بالطاعات ، ويتنافسون فى أنواع الخيرات ، فأكثروا فيه رحمكم الله من الصلاة والصدقات وقراءة القرآن الكريم والأحسان الى الفقراء والمساكين والايتام والتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة الى الخير .

وقد كان رسول اللــه صلى الله عليه وسلم اجود الناس وكان اجود ما يكون فى رمضان فاقتدوا به صلى اللــه عليه وسلم فى مضاعفة الجود والاحسان فى شهر رمضان ، واعينوا اخوانكم الفقراء على الصيام والقيام ، واحتسبوا أجر ذلــك عند الملــك العلام واحفظوا صيامكم عما حرمه اللــه عليكم من الأوزار والآثام ، فقد صح عن النبى صلى اللــه عليه وسلم أنه قال (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) وقال عليه الصلاة والسلام (الصيام جنة فاذا كان يوم صــوم احدكم فلا يرفث ولا يفسق فان امرء سابه أحد فليقل انى امرء صــائم) وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (ليس الصــيام من الطعــام والشراب وانما الصيام من اللغــو والرفث) وصح عن النبى صلى اللــه عليه وسلم انه قال : (الصلاة الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر) .

وقال جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنه اذا صمت فليصــم سمعك وبصرك ولسانك عن الكــذب والمحارم ودع أذى الجار وليكن عليك وقار وسكينة ولا تجعل يوم صومــك ويوم فطرك سواء .

فينبغى للصائم الاكثار من تــلاوة القرآن بتدبر وتعقل والاكثــار من الصلوات والصدقات والاستغفــار وسائر أنواع القربات فى الليــل والنهار أغتناما للزمان ورغبة فــى مضاعفة الحسنات ومرضات فاطــر الارض والسموات ، واحذروا رحمكم اللــه كل ما ينقص الصوم ويضعف الاجر ويغضب الرب عز وجل مــن سائر المعاصى كالتهاون بالصــلاة والبخل بالزكاة وأكل أموال اليتامى وانواع الظلم وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم والغيبة والنميمة والــكذب وشهادة الزور والدعاوى الباطلــة والأيمان الكاذبــة والتكبر واسبــال الثياب واســتماع الاغانى وآلات الملاهى وتبرج النساء وعدم تسترهن من الرجال وغير ذلــك مما نهى الله عنه ورسوله .

وهــذه المعاصى التى ذكرنا محرمة فى كل زمان ومكان ولكنها فى رمضان أشد تحريما وأعظم اثما لفضل الزمان وحرمته ومن اقبح هــذه المعاصى واخطرها على المسلمين ما ابتلى به الكثير من الناس من التثاقــل عــن الصلوات والتهــاون بأدائهــا فى الجماعة فى المساجد ولا شك أن هذا من اقبح خصال أهل النفــاق ومن اسباب الزيغ والهــلاك قال تعالى : « ان المنافقين يخادعون اللــه وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالا » وقال : النبى صلى الله عليه وسلم (من سمع الندى فلم يأت فلا صلاة لهالا من عذر ، وقال له : صلى الله عليه وسلم رجل أعمى يا رسول اللــه انى بعيد الدار عن المسجــد وليس لى قائد يلائمنى فهل لى مــن رخصة أن اصلى فى بيتى — فقال له النبى صلى الله عليه وسلم هــل تسمع النداء للصلاة ؟ قال : نعم قال : فأجب . وقال : عبد الله بن مسعود رضى اللــه عنه وهو من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رايتنا وما يتخلف عن الصلاة فــى الجماعــة الا منافق معلوم النفاق او مريض وقال : رضى الله عنه لو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصــلى هــذا المتخلف فى بيتــه لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم . .

ومن أخطر المعاصى اليوم أيضا ما بلى به الكثير من الناس من استماع الاغانى وآلات الطرب واعلان ذلك فى الاسواق — وغيرها ولا ريب أن هذا من أعظم الاسباب فى مرض القلوب وصدها عن ذكر الله وعن الصلاة وعن استماع القرآن الكريم والانتفاع به ومن أعظم الاسباب ايضا فى عقوبة صاحبه بمرض النفاق والضلال عن الهدى كما قال تعالى : « ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين » وقد فسر أهل العلم لهو الحديث بأنه الغناء وآلات اللهو وكل كلام يصد عن الحق وقال النبى صلى الله عليه وسلم (ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف والحر هو الفرج والحرير معروف والخمر هو كل مسكر والمعازف هى آلات الملاهى كالعود والكمان وسائر آلات الطرب والمعنى أنه يكون فى آخر الزمان قوم يستحلون الزنا ولباس الحرير وشرب المسكرات واستعمال آلات الملاهى وقد وقع ذلك كما اخبر به النبى صلى الله عليه وسلم وهذا من علامات نبوته ودلائل رسالته عليه الصلاة والسلام وقال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه ان الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء الزرع . فاتقوا الله أيها المسلمون واحذروا ما نهاكم الله عنه ورسوله واستقيموا على طاعته فى رمضان وغيره وتواصوا بذلك وتعاونوا عليه لتفوزوا بالكرامة والسعادة والعزة والنجاة فى الدنيا والآخرة والله المسئول أن يعصمنا والمسلمين من أسباب غضبه ، وأن يتقبل منا جميعا صيامنا وقيامنا وأن يصلح ولاة أمر المسلمين وأن ينصر بهم دينه ويخذل بهم أعداءه وأن يوفق الجميع للفقه فى الدين والثبات عليه والحكم به والتحاكم اليه فى كل شىء انه على كل شىء قدير وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم .



يبحث الشاعر عن

أنا أبحثُ في الأرض طويلا
أبحثُ عن قارئيَ الضـــائعْ

أبحثُ عن إنسانٍ قلقٍ يحترق على وهـج الواقعْ
ويعيش العمرَ على أمل الإبحـار إلى الشيء الرائع
ويعبّيءُ كلَّ جيوب الصمتِ بتـوْقٍ ظمآنٍ جائع
إنسان يرفض أن يحيـــا إلاَّ إنساناً .. ويُتـابع
لايعرفْ خَلْفاً .. ووراءً .. رحلتُه عن فجرٍ طالع

أنا أبحث في الأرض طويلا
أبحث في شوقٍ عن حرفٍ

حرفٍ لم يُهْزَم في شفةٍ شَهَرَتْهُ في وجـــه الخوفِ
فالحرْفُ تَهَرَّأَ خلْف جبال الصمت على لهب الزيْف
وانهار .. ونام على العتبات .. وعانق أحلامَ الصيف
وتلفَّعَ في ليـــل الآلام مُسُوحَ بَرَاءَاتِ الطيف
من لي بالحرف كما وَلَدَتْهُ الكلمةُ عملاقَ الزحف ؟

سَيفٌ وَحرف

للأستاذ: محمد أحمد العزب

انا أبحث في الأرض طويلا
أبحث عن قلبين أحبا
ولِدَا فى أرضٍ لم تعرف وجهاً للأحقاد وشبَّا
أبحت عن قلبين حميمين اتَّحدَا فى العالم قلبا
مِرآتِى .. لا تعكس إلاَّ قلبين لَدُودَين أكبّا
حتى صدئتْ عَيْنَا المِرآةِ وعادت لا تعكسُ دربا
لو أنّا فتّشنا فى وجه الحقد فلن نُبصرَ ربّا

أنا أبحث فى الأرض طويلا
أبحث عن كلِّ الأشياء
أُعطِي لِلَّوْن هيُولَى اللَّوْن.. وأُهرقُ فى الظّل الأضواء
أعقدُ خاصرةَ الوعى طُمُوحاً في سارية الأجواء
أتمدّدُ في الأرض جذوراً للشّجر النابت في الصحراء
أضربُ بالسيف.. وأهجو بالحرف المُتَوَضِّىءِ جُبَنَاء

أنا أبحث فى الأرض طويلا
عن أرضٍ تُفضي لسماء

جوانب من أخطاء المستشرقين في الدراسات القرآنية

للدكتور : عبد العال سالم مكرم

بينت فى مقال سابق (١) بعضا من الدراسات القرآنية التى قام بها بعض المستشرقين ، وكان هدفى من هذا البيان هو اتاحة الفرصة لشبابنا المثقف ليقف على هذه البحوث ، ويدرك ما فيها من صواب او خطأ ليكون على بينة من أمر هذه الدراسة القرآنية التى كتبت بأقلام قوم عاشوا فى هذه الدراسات وأفنوا أعمارهم فيها من أجل المعرفة والعلم أحيانا ومن أجل الأغراض الخفية ، وتشويه الحقيقة أحيانا وفى هذا المقال سأحاول عرض جوانب من أخطاء المستشرقين فى الدراسات القرآنية .

اولا : فى النص القرآنى وتوثيقه :

نحن نعلم أن القرآن الكريم وصل الى الذروة العليا فى التوثيق ، وهذا سر عظمته ، ومفتاح خلوده ، أتفق أهل العلم والمعرفة على هذه الحقيقة وحينما أقول : أهل العلم والمعرفة فانما أعنى هؤلاء الذين سمت عقولهم وأشرقت بصائرهم ، وكان الحق رائدهم .

وقد سجل هذا القرآن الكريم تسجيلا رائعا فى مصحف لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، يقول ابن حزم فى مجال هذا التوثيق (ان هذا القرآن ظل ينقله أهل المشرق والمغرب عن أمثالهم جيلا جيلا لا يختلف فيه مؤمن ، ولا كافر



(١) سُورَةُ الفَاتِحَة
مكية وآياتها سبع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣
مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧

(٢) سُورَةُ البَقَرَةِ مَدَنِيَّة
وآياتها ست وثمانون ومائتان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ
هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ
مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤

منصف غير معاند للمشاهدة . . لا يشكون ولا يختلفون فى أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب اتى به ، واخبر ان الله عزوجل اوحى به اليــه ، وأن من اتبعه أخذه عنه كذلك ، ثم اخذ عن أولئك حتى بلغ الينا)(٢) ، وكانت الخطوة الأولى فى توثيق النص القرآنى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابته حين النزول ، ومنع كتابة شىء سواه ، والســبب فى ذلك يرجع الى صيانة القرآن الكريم من الاختلاط بغيره ، يدل على ذلك ما رواه أبو سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لا تكتبوا عنى شيئا ســوى القرآن فمن كتب عنى شيئا سوى القرآن فليمحه)(٣) .

وقد حدثنا أبو سعيد الخدرى أنه قال : استأذنت النبى عليه السلام أن أكتب الحديث فأبى أن يأذن لى)(٤) .

ولم يكن أبو سعيد الخدرى فى هذا المجال وحده ، فقد شاركه فى الرواية ايضا ابو هريرة الذى يقول : (خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وســلم ، ونحن نكتب الأحاديث ، فقال : ما هذا الذى تكتبون ؟ قلنا أحاديث سمعناها منك ! قال : أكتابــا غير كتاب اللــه تريدون ؟ ما أضــل الأمم من قبلكــم الا ما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى)(٥) .

من هذه الأحاديث الشريفة يتضــح لنا فى جــلاء ان القرآن الكريم وثق توثيقا مكينا فى عهده صلى الله عليه وسلم ، لأنه كتب كله بأقلام كتاب الوحى بيد أنه لم يجمع فى مصحف ، لأن الحاجة لم تكن ماسة اليه ، ولأن الصــحابة رضوان الله عليهم كانوا يتسابقون فى حفظه ، ويتبارون فى كتابة نصه والرسول عليه السلام معهم يتلو عليهم من آياته ما تلين القلوب .

وقد أدرك الامام السيوطى هذا السر فقال فى كتابه : (الأتقان) ما نصه : (قال الخطابى : أنما لم يجمع صلى الله عليه وسلم القرآن فى المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته ، فلما انقضى نزوله ، ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك ، وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة)(٦) .

رأى المستشرقين فى هذا التوثيق :

يقول (أرثر جفرى) فى مقدمته لكتاب (المصاحف) لأبن أبى داود ما نصه : (الرأى الشائع فى أن القرآن الكريم كتب فى عهد النبى عليه السلام لا يقبله المستشرقون ، لأنه يخالف ما جاء فى أحاديث أخرى أنه قبض صلى الله عليه وسلم ولم يجمع فى القرآن شىء) .

ويؤمن (أرثر جفرى) بهذه القضية ، ويؤكد ايمانه بها بقوله : (وهذا يطابق ما روى من خوف عمر بن الخطاب ، وأبى بكر الصديق لما استمر القتل بالقراء يوم اليمامة .. وسبب الخوف هو قتل القراء الذين كانوا قد حفظوا القرآن ولو كان القرآن قد جمع ، وكتب لما كانت هناك علة لخوفهما) (٧) .

واعنى هذا القول ، واطلق التفكير فيه ، ولم اجد سببا قويا يحمل هؤلاء المستشرقين الى هذا القول الباطل غير التشكيك فى النص القرآنى ، لأن الذاكرة مهما كانت قوية ، فأنها لا تستطيع أن تحتفظ بما لديها فترة طويلة ، ومعنى ذلك أن القرآن الكريم يكون شأنه فى مجال الذاكرة والحفظ شأن الشعر المروى عرضة للزيادة والنقص بل عرضة للتغيير والتبديل .

وفى رأيى أن الدليل مفقود فى هذه القضية ، فليس المراد من الأحاديث التى تقول : أن النبى عليه السلام قبض ، ولم يجمع فى القرآن شىء ، أن القرآن لم يكن مكتوبا حين ذاك ، بل المراد أن القرآن الكريم لم يجمع فى مصحف ، وقد قدمت السبب فى ذلك ، فتفسير المستشرقين لهذه الأحاديث أو الأخبار بهذا المعنى الذى يخالوه تفسير خاطىء وراءه ذلك الغرض الخفى، وهو اهتزاز الثقة بالنص القرآنى على انه ليس هناك أصرح من الروايات التى تؤيد كتابة القرآن فى عهد الرسول عليه السلام ، والتى تؤكد : (أن القرآن كان مجموعا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه ما نزلت آية الا وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يكتب له أن يضعها فى موضع كذا من سورة كذا) (٨) .

وأما خوف عمر بن الخطاب ، وأبى بكر الصديق حين استمر القتل بالقراء يوم اليمامة فالأستدلال به فى غير موضعه ، لأن خوفهما زيادة تحر فى صيانة القرآن الكريم وحفظه ليلتقى المحفوظ بالمكتوب وذلك لأن طريقة أداء هذا المكتوب لا يتأتى الا عن طريق التلقين والرواية ، ومن ثم نشأ خوف الخليفتين الجليلين من أن يموت القراء ، فتتعثر طريقة الأداء (٩) .

ثانيا : فى رسم المصحف العثمانى والقراءات :

يقصد بالرسم رسم الحروف الهجائية التى تدل على الكلام ، ورسم الكلمات فى القرآن كان غاية ما وصل اليه فن الرسم الأملائى فى هذا العهد ، وكتب القرآن الكريم بهذا الرسم ، وأطلق عليه الرسم العثمانى ، لأن عثمان رضى الله عنه حينما كتب المصحف وضع للثلاثة القرشيين الطريقة التى أساسها يكتبون فقال : (اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم) (١٠) .

فهذا الرسم الذى سار عليه كتبةالمصحف العثمانى اصطلاحى يسير على قواعد الكتابة التى كانوا بها يكتبون .

ولماذا اتخذ المصحف هذا الرسم شعارا له أصبح سنة متبعة لا تخالف ، ذلك لأن رسوم الهجاء تتغير من زمن الى زمن ، بل من شعب الى شعب ، فصيانة لكتاب الله من عبث العابثين ، واغلاقا لباب التغيير فيه ، واحداث ما ليس منه أصبح هذا الرسم مقدسا لا يمس .

ومن هنا (قال أشهب : سئل (مالك) هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا : ألا على الكتبة الأولى) (١١) ، وقال الامام أحمد : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان فى واو أو ياء أو الف أو غير ذلك) (١٢) .

وقال البيهقى فى شعب الأيمان : (من كتب مصحفا فينبغى أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به المصاحف ، ولا يخالفهم فيه ، ولا يغير مما كتبوا شيئا ، فأنهم كانوا أكثر علما ، وأصدق قلبا ولسانا ، وأعظم أمانة منا فلا ينبغى أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم) (١٣) .

وأذا كان رسم المصحف العثمانى لا يخالف ، ولا يصح الخروج عن رسمه فهل هذا يعنى أن هذا الرسم تلزمنا القراءة به ، وانه صورة للكلمات القرآنية المنطوقة ، وانه بهذا الاعتبار يحدد طريقة القراءة أو الأداء كما يحدد طريقة الرسم أو الكتابة ؟

الحق الذى لا مرية فيه أن الرسم غير القراءة ، لأن القراءة مصدرها الرواية ، والرسم مصدره طريقة الكتابة المعروفة اذ ذاك ، وبناء على هذا أننا نقرأ الآية ، وننطق بكلماتها كما رويت لا كما رسمت ، ولو سرنا فى طريق الرسم وحده لخرجنا بالقرآن عن حقيقته التى نزل بها ، وترتب على ذلك أننا نقرأ كلمات من القرآن بطريقة لم ترو عن النبى عليه السلام .

رأى المستشرق (جولد تسيهر) فى رسم المصحف والقراءات :

يقرر ذلك المستشرق أن نشأة الكثرة من القراءات المختلفة ترجع الى رسم المصحف ، يقول : (وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات ــ يقصد الاختلاف فى القراءات ــ الى خصوصية الخط العربى .. الى أن يقول : وأذن فاختلاف

تخلية هيكل الرسم بالنقط ، واختلاف الحركات .. كانا هما السبب الأول فى نشأة حركة اختلاف القراءات فى نص لم يكن منقوطا أصلا ، ولم تتحر الدقة فى نقطه أو تحريكه) (١٤) .

وعجبت كيف يتورط ذلك المستشرق فى هذا الخطأ الفادح ؟ ومن أين تسرب الى فكره هذا الرأى الخطير الذى يرجع الكثرة من القراءات الى الخط أو الى رسم المصحف ، أنه بهذا الرأى يهدم الحقيقة التى استقرت فى نفوس المسلمين أن القراءات مصدرها الرواية والسماع لا الخط والرسم .

قلت فى نفسى : لعل هذا المستشرق استقى هذا الرأى من الزمخشرى حينما وقف من قراءة ابن عامر للآية المشهورة فى سورة (الأنعام) : (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم) (١٥) برفع القتل ونصب الأولاد ، وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء ، والفصل بينهما فى غير ظرف .

وكان من رأى الزمخشرى أن هذه القراءة مردودة ، وأرجع الزمخشرى خطأ ابن عامر فى هذه القراءة الى رسم المصحف حيث قال : (والذى حمله على ذلك أنه رأى فى بعض المصاحف (شركائهم) مكتوبا بالياء) (١٦) ومعنى ذلك أن ابن عامر اعتمد على المصحف ، ولم يعتمد على الرواية .

ومن هنا فتح الباب أمام المستشرق فقال ما قال :

يقول ابو حيان الأندلسى صاحب البحر المحيط واعجب لعجمى ضعيف فى النحو يرد على عربى صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها فى لسان العرب فى غير ما بيت ، وأعجب لسؤ ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقا وغربا ، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ، وفهمهم ، وديانتهم) (١٧) .

وقد جانب الصواب هذا المستشرق حينما عرض هذه المغالطة التى تتجافى عن الواقع وعن التاريخ .

أما مجافاتها للواقع ، فانه لو كانت القراءات ترجع الى رسم المصحف لراعتنا هذه الكثرة الهائلة من القراءات التى يحتملها الرسم ، والتى لم يثبت أو لم ترو عن النبى عليه السلام .

ذلك لأن الرسم تحتمل الكلمة فيه ، وبخاصة اذا لم تكن منقوطة او مجردة من الحركات وجوها عدة من القراءات .

والقراءات التى بين أيدينا والتى صنفها العلماء . ووفقوا فى عرضها ، وتثبتوا من سندها قراءات معروفة محدودة ، وكلها ترجع الى الرواية والنقل والى الكتابة والرسم .

وربما كان من اكبر الأدلة على بطلان رأى جولد تسيهر (أن هذه القراءات رويت وشا ت القراءة بها قبل تدوين المصاحف ، كما كان القرآن محفوظا فى الصدور قبل تدوين المصاحف ، ثم حين دونت المصاحف لم يكن النقط عرف ، ولا الشكل اختراع فظهرت حركة القراءات قبل النقل والضبط . فكانت قراءاتهم للكلمة على حسب ما يروون وينقلون لا على حسب ما يقرءون فى المصاحف) (١٨) .

واذا كان نقل اللغة عن الصحف أمر معيب بعد تصحيفا ، فالأمر كذلك بالنسبة للمصحف فمن نقل القرآن عنه ، واغلق اذنه دون الرواية ، وقع فى التصحيف ، الرواية مثلا حفظ القرآن من المصحف ، وقد أخذ عليه انه كان يقرأ : (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها أباه) (١٩) بالباء الموحدة (٢٠) . وحمزة الزيات ، كان يتعلم القرآن من المصحف فقرأ يوما ، وأبوه يسمع (الم ، ذلك الكتاب لا زيت فيه) (٢١) فقال أبوه : دع المصحف ، وتلقن من أفواه الرجال) (٢٢) .

ومن أجل هذه التصحيفا تالتى تخل بمنطق الآيات قالوا : (لا تأخذوا القرآن من مصحفى ، ولا العلم من صحفى) (٢٣) .

والى هذا الوقت نجد معالم (الكتاب) يبتدىء مع التلميذ الصغير اول ما يبتدىء بتحفيظ القرآن الكريم قبل أن يجيد القراءة والكتابة ، لأيمانه أن قراءة القرآن أمر لا يؤخذ من الخط والرسم .

وأما مجافاتها للتاريخ ، فأن عثمان رضى الله عنه جرد المصحف من النقط ليحتمل رسمه القراءات المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يحدده فى قراءة بعينها أو حرف بعينه ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفقوا على صنيع عثمان فى المصحف ، وعلى رسمه ، وبذلك كانت هذه القراءات العديدة لا ترجع الى الرسم ، وأنما مرجعها الاول والأخير الى السند والرواية .

والدليل الأوضح الذى يهدم رأى المستشرق هو محاكمة ابن شنبوذ الذى ثار عليه العلماء من أجل رايه الذى يقول فيه : ما وافق خط المصحف العثمانى صحت القراءة به متى صح وجهه فى العربية بقطع النظر عن الرواية (٢٤) .

هذا وقد رجع ابن شنبوذ عن رايه لما أدب وعذب واستتيب (٢٥) .

ثالثا : الأعراب والقرآن الكريم :

بدأت حركة الآعراب فى القرآن الكريم بتنقيط المصحف على يد ابى الأسود ورووا أنه أحضر له زياد بن أبيه ثلاثين رجلا لهذا العمل العظيم ، فاختار منهم أبو الأسود عشرة ، ثم لم يزل يختارهم حتى أختار منهم رجلا من عبد القيس فقال له : خذ المصحف ، وصبغا يخالف المداد ، فاذا فتحت شفتى فانقط واحدة فوق الحرف، واذا ضممتهما فاجعل النقطة الى جانب الحرف ، واذا اكسرتها فاجعل النقطة فى أسفله ، فأن اتبعت شيئا من هذه الحركات عنه ، فانقط نقطتين ، فابتدأ بالمصحف حتى اتى على آخره ، ثم وضع المختصر المنسوب اليه بعد ذلك) (٢٦) .

رأى كارل فولرس فى أعراب القرآن الكريم :

هذا الراى احدث ضجة بين العلماء فى الغرب والشرق ذلك لأن صاحب هذا الرأى قال : (أن القرآن الكريم قد نزل فى الأصل بلهجة محلية من اللهجات العربية ، وانه لم يكن معربا ، ثم أدخل الأعراب عليه على وفق قواعد لغة الشعر) (٢٧) .

وقد ردد هذا الرأى من المستشرقين ، كاله ، وحاييم دين ، وشبهة هؤلاء أن كاله (وجد فى مخطوطين عثر عليهما فى لندن أحاديث فى الحث على التزام قواعد الأعراب فى قراءة الكتاب العزيز ، فاستدل بهــا على أن الناس لم يكونوا يراعون الاعراب فى قراءة كتاب الله ، فى بادىء الأمر ، ثم روعى الأعراب فيها على وفق قواعد المنطق المضبوطة فى الشعر العربى والتى دونها علماء النحو فيما بعد) (٢٨) .

مناقشة هذا الرأى :

أن العلة الأولى لهذا الرأى الخطير ترجع الى وجود بعض أحاديث تنص على التزام الأعراب فى قراءة القرآن كالحديث الذى رواه أبو عبيدة باسناد له عن أبى هريرة قال : قال رســول الله صلى الله عليــه وسلم : أعربوا القرآن وكحديث ابن مسعود قال : أعربوا القرآن فأنه عربى .

وكــحديث عمر بن الخطــاب : تعلــموا أعراب القرآن كمــا تتعلمون حفظه (٢٩) .

والواقع أن هذه الأحاديث والأخبار فيها نظر ، لأن الأعراب لم يظهر بمعناه الاصطلاحى الا فى عصر متأخر .

وفى نظرى أن المراد بألاعراب هنا الابانة والتوضــيح ، وفهم الغريب : (وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يسمون هــذا الغريب (اعراب القرلأن) لأنهم يستبينون معانيه ، ويخلصونها) (٣٠) .

على اية حال أستطيع أن أؤكد فى هذا المقال أن هذا الفهم الذى فهمه بعض المستشرقين يدل على جهل باللغة ، بل على جهل بالتاريخ .
أما الجهل باللغة ، فأن الأعراب هنا كما قلت : معناه ، الأبانة والوضوح ، يقول الفيروز ابادى : الأعراب : الأبانة والأفصاح عن الشىء) (٣١) .

وأما أن يرجع الأعراب الى بيان حلاله وحرامه ، اى تعرفوا على ما فيه من حلال فاعملوا به ، وعلى ما فيه من حرام ــ فتجنبوه يدل على ذلك أن الصحابة كانوا اذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيهــا من العلم والعمــل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم ، والعمل جميعا) (٣٢) .

وأما الجهل بالتاريخ ، فأن القرآن الكريم نزل على قوم تمكنت من السنتهم الفصاحة وغذوا بلبان البلاغة ، وتدربوا على ميادين القول ، ولن يكون ذلك الا بأعراب ، ولو كان بلهجة محلية كما يقول بعض المستشرقين لسهل الأمر واصبح القرآن غير معجز ، لأنه من السهل الاتيان بمثله ، ومن السهل أن يندثر هــذا القرآن كما أندثرت بعض هذه اللهجات ، وأصبحت ، أثرا بعد عين أما والقرآن الكريم قائم بيننا بصولته البلاغية ، يتحدى أرباب القول ويعجز أساطين البلاغة ، وهو الذى خلد هذه اللغة ، وخلد اعرابها ، وجعلها حية بعد هذه السنين الطويلة التى طوت فيما طوت كثيرا من اللغات ، فأنه لا سبيل الى انكار أنه نزل معربا ، وأن القول فى ذلك قول مغرض أكبر الظن أن فتح الثغرات فى جبهة القرآن لينال

مثه من ينال كان من دأب هؤلاء المستشرقين ، ولكن القرآن الكريم أكبر من هذه السخافة ، وأقوى من هذه الفتنة ، وصدق الله العظيم .. انا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون .

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم جـ ٢ ص ٧١ .
(٢) تقييد العلم للخطيب البغدادى ص٢٩ .
(٣) تقييد العلم للخطيب البغدادى ص ٣٢ .
(٤) تقييد العلم للخطيب البغدادى ص ٣٣ .
(٥) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى جاص ٥٧ .
(٦) المصاحف لابن أبى داود ص ٥ .
(٧) المرجع السابق والصفحة .
(٨) مقدمتان فى علوم القرآن ص ٢٧ .
(٩) أنظر : كتاب القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية طبع دار المعارف لصاحب البحث ص ٥ .
الاتقان جاص ٥٩ .
(١١) الاتقان جـ٢ص ١٦٧ .
(١٢) مفتاح السعادة جـ٢ص ٢٢٥ .
(١٣) مفتاح السعادة جـ٢ص ٢٢٥ .
(١٤) تفسير المذاهب الأسلامية : ص ٨ ، ص ٩ .
(١٥) الأنعام (١٣٨) .
(١٦) البحر المحيط (جـ٤ص ٢٢٩) .
(١٧) البحر المحيط جـ٤ص ٢٢٩ و ص ٢٣٠ .
(١٨) القراءات واللهجات : عبد الوهاب حمودة ص ١٨٣ .
(١٩) التوبة / ١١٤ .
(٢٠) مذاهب التفسير الأسلامى .
(٢١) البقرة ٢ .
(٢٢) التصحيف والتحريف للعسكرى ص ٩ .
(٢٣) التصحيف والتحريف ص ٩ .
(٢٤) هامش مذاهب التفسير الأسلامى ص ٨ .
(٢٥) نفس المرجع والصفحة .
(٢٦) نزهة الالباب لأبن الانبارى ص ١٢ .
(٢٧) الثقافة الأسلامية والحياة المعاصرة ص ٣٢٨ .
(٢٨) المرجع نفسه والصفحة .
(٢٩) الزينة للرازى ص ١١٧ .
(٣٠) أعجاز القرآن للرافعى ص ٧٥ .
(٣١) القاموس المحيط فى المادة نفسها .
(٣٢) مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية ص ٥ .

المسلمون في الفلبين

اعداد : ادارة الشؤون الاسلامية

مقدمــة جغرافيــة :

أ ــ تقع جزر الفلبين فى الشرق الأقصى من آسيا ، يحدها المحيط الهادى شرقا ، وبحر الصين غربا ، وفورموزا شمالا ، وسيليبس جنوبا .

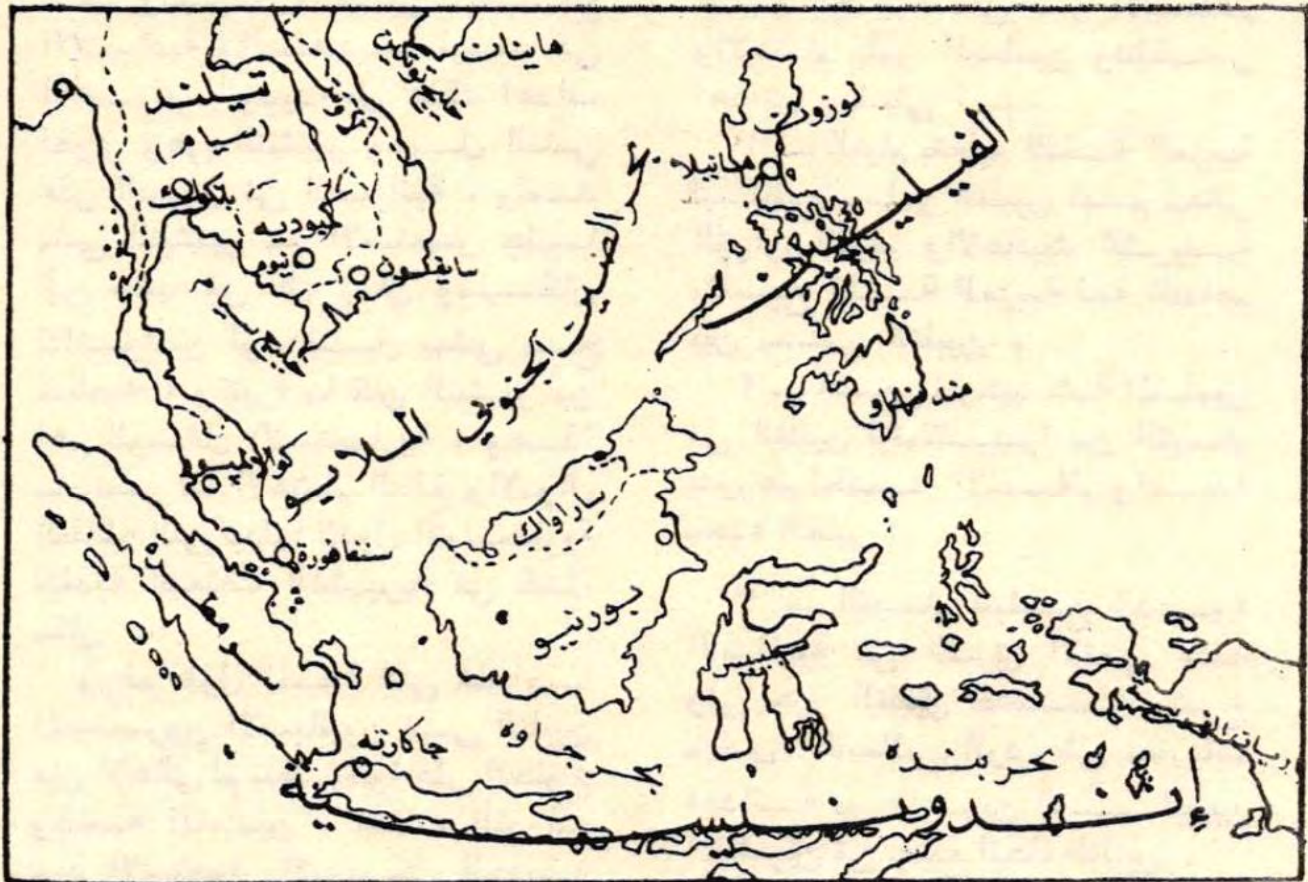
ب ــ تبلغ مساحتها ١١٥٦٠٠ ميل مربع .

جـ ــ يبلغ عدد سكان الفلبين حسب آخر الاحصائيات (٣٧) مليونا منهم أربعة ملايين مسلم ..

دخول الاسلام الى الفلبين

لمحــة تاريخيــة :

كان دخول الاســلام الى الفلبين عام ١٣٨٠ م عن طريق الرحالــة العرب الذين حملوا معهم الدعــوة الاسلامية الى هذه البلاد ، وكــان أشهر هؤلاء الرحالــة وأكثرهم تأثيرا الشريف اسحاق بن شريف أوليــاء المخزومى .. ولم يمض وقت كبير



حتى بدا عدد المسلمين بالازدياد ومبادىء الاسلام السمحة بالانتشار فى مختلف الجزر فتكونت منهم عدة سلطنات وامارات اسلامية ، وعاش المسلمون ردحا من الزمن ينعمون بالحرية فى ممارسة شعائرهم والدعوة لدينهم حتى كان عام ١٥٢١ م حين غزا الاسبانيون جزر الفلبين وبسطوا نفوذهم الاستعمارى البغيض باسم الصليب ، ولجأوا الى استخدام أقسى وأشد وسائل القمع والتنكيل والاضطهاد ضد سكان البلاد لاخماد ثوراتهم واضعاف مقاومتهم .

وكان للمسلمين من هذه المعاملة الشرسة النصيب الاوفى نظرا لبسالتهم وقوتهم واستماتتهم بالدفاع عن الدين والوطن . وطيلة المدة التى ظل فيها الاستعمار الاسبانى فى الفلبين والتى تبلغ حوالى ٣٧٧ عاما لم تهدأ مقاومة المسلمين للاستعمار والمستعمرين الذين كانوا يرفعون شعار الصليب والسيف . وقد استشهد عدد كبير جدا من المسلمين فى المعارك الكثيرة التى جرت مع الاسبانيين الصليبيين وقد استطاع المسلمون ببسالتهم الاحتفاظ بسيطرتهم وسلطانهم الكامل على بعض الجزر التى يقطنونها مثل جزيرة ميندانو وارخبيل صولو ، بينما وقعت جميع الجزر التى يقل فيها عدد المسلمين أو ينعدم تحت نفوذ السلطات الاستعمارية «الاسبانية» بعد ان عجز سكانها عن المقاومة .

وفى سنة ١٨٩٨ م شهدت الفلبين غزوا جديدا من المستعمرين الامريكان الذين طردوا الاسبانيين وحلوا محلهم ، ولم تختلف نوعية الاساليب التى استخدمها الامريكيون عن أساليب الاسبانيين من حيث الوحشية واللؤم والضراوة ، كما أن الاهداف

كانت واحدة ، فتأمين المصالح الاقتصادية والسياسية ليست هى الأهداف الوحيدة بل هناك اهداف أخرى وهى التبشير وحمل الناس على الدخول فى النصرانية ، ولقد مشى التبشير مع الاستعمار جنبا الى جنب فى كل زمان ومكان كالتوأمين او كالظل يمشى مع صاحبه ، وكثيرا ما كان التبشير من اهم الوسائل الاستعمارية ، وهذا ما يفسر لنا الاهتمام البالغ والأموال الطائلة التى تبذلها الدول الاستعمارية لتغذية البعثات التبشيرية فى كل مكان .

ورغم طول المدة التى قضاها المستعمرون الاسبانيون فى الفلبين فان الأهالى لم يتعودوا على الخنوع وخاصة المسلمين ، فقامت الثورات ضد الاستعمار الامريكى الجديد واستبسل المسلمون فى مكافحة الامريكيين ولما ادرك الامريكيون ان القوة لا تجدى مع المسلمين بل تزيدهم استبسالا وتضامنا واندفاعا للاستشهاد غيروا أساليبهم وأخذوا باستمالة المسلمين واعطائهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية وقسطا من الحرية فى حياتهم العامة للتخفيف من نقمتهم ومقاومتهم .

النشاط الاسلامى بعد الاستقلال :

وبعد ان نالت الفلبين استقلالها عام ١٩٤٦ م نشط المسلمون للنهوض بأنفسهم ولنشر الدعوة الاسلامية فى أنحاء البلاد ، فقامت جماعات من المسلمين بتأسيس الجمعيات والمعاهد والمدارس الاسلامية ، وأشهر هذه الجمعيات (جمعية اقامة الاسلام) التى تأسست عام ١٩٥٥ فى مدينة مراوى وتعمل هذه الجمعية على نشر الاسلام والاهتمام بأمر المسلمين وتتلخص اهدافها بما يلى : —

١ — القيام بتعليم اللغة العربية ليستطيع مسلمو الفلبين فهم معانى القرآن الكريم والاحاديث الشريفة ولتصبح اللغة العربية لغة التفاهم بين مسلمى الفلبين .

٢ — السعى لتوحيد كلمة المسلمين فى الفلبين ليتمكنوا من القيام بدورهم لخدمة الاسلام واعادة مجده الغابر .

٣ — القيام بتبليغ الدعوة الاسلامية فى الشرق الاقصى عامة وفى جزر الفلبين خاصة وشرح مبادىء الاسلام والرد على مفتريات اعدائه من المبشرين الصليبيين المنتشرين فى جميع أنحاء الفلبين .

وقد قامت هذه الجمعية باتخاذ الوسائل التى تمكنها من تحقيق اغراضها وتتلخص هذه الوسائل وما قامت به الجمعية بما يلى :

١ — تأسيس المعاهد والمدارس فى المدن والقرى .

٢ — اصدار مجلة اسلامية باللغة المحلية وباللغة العربية والانجليزية .

٣ — ارسال الوعاظ والدعاة الى المساجد والمجتمعات العامة والى المناطق المسلمة وغير المسلمة .

٤ — تعليم ابناء المسلمين أمور دينهم الحنيف فى المدارس التابعة للحكومة .

٥ — انشاء مكتبات اسلامية مزودة بالكتب الاسلامية والعربية والثقافية .

٦ — القاء المحاضرات الاسلامية ونشر تعاليم الاسلام عن طريق الاذاعة فى بعض المناسبات .

والجدير بالذكر ان مجلس جمعية اقامة الاسلام استطاع بفضل الله



مبنى المجمع الاسلامى فى مدينة ماراوى

تعالى أن يجمع شمل اربع وعشرين جمعية اسلامية فى الفلبين ويوحد بينهم فى منظمة واحدة اتفقوا على تسميتها بـ (اتحاد الجمعيات الاسلامية بالفلبين) ..

وقد كان لكل جمعية من هذه الجمعيات مدرسة أو مدرستين فأكثر وكلها تعتنى بتعليم اللغة العربية والدين الاسلامى ، واما جمعية اقامة الاسلام فلها ما يزيد على مئة مدرسة ابتدائية وتحضيرية لقراءة القرآن الكريم ومدارس اعدادية وثانوية الى جانب معهد ميندانو العربى ، ويعتبر هذا المعهد أكبر معهد من المعاهد الاسلامية فى الفلبين وجعلته الجمعية مركزا لتعليم اللغة العربية والدين الاسلامى ، وتتدرج الدراسة فيه على ثلاث مراحل : ابتدائية واعدادية وثانوية ومدة كل مرحلة/٤/سنوات وتعطى للطالب الناجح فى نهاية كل مرحلة شهادة بذلك ، وقد تخرج من هذا المعهد عدد كبير من الطلاب والطالبات وأرسل بعضهم فى بعثة علمية الى الدول الاسلامية العربية مثل المملكة العربية السعودية والمملكة الاردنية الهاشمية والجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية الليبية والجمهورية التونسية والجمهورية السودانية ليتقنوا فى هذه البلاد تعلم اللغة العربية والدين الاسلامى ، ويتم ايفاد هؤلاء الطلاب بمنح دراسية ، ويعمل بعض خريجى هذا المعهد بالتدريس فى المدارس الاسلامية المنتشرة فى المدن والقرى المختلفة فى أنحاء الفلبين ، وللمعهد مكتبة كبيرة مزودة بانواع الكتب المدرسية والمراجع والنشرات التى



مسجد تولاى ـ فى صولو ـ الفلبين ـ

تصل اليها كهدية من الدول العربية والاسلامية وبعضها من مشتريات الجمعية وتسمى المكتبة بـ « دار الكتب الميندناوية » ..

ولكن المشكلة التى تعترض مشاريع الجمعية هى عجزها عن تمويل مشاريعها الواسعة تمويلا كافيا للنهوض بالمهمات التى تضطلع بها وهى بحاجة ماسة الى مساعدات مادية لسد هذا العجز القائم ، وهناك جمعيات اسلامية أخرى فى الفلبين أهمها جمعية المهتدين الى الاسلام ، كما أن فيها نواة جامعة اسلامية تتألف من خمس كليات ويبلغ عدد طلابها حوالى أربعة الاف طالب وطالبة وقد تأسست فى الآونة الاخيرة جماعة نصر الاسلام يرأسها الاستاذ أحمد الونتو ولها صحيفة ناطقة بلسانها تدافع عن قضايا الاسلام والمسلمين .

أوضاع المسلمين العامة فى الفلبين

يتمتع المسلمون فى الفلبين بقسط لا بأس به من الحرية ، فمن الناحية الدينية فان الحكومة لادينية وتترك لاتباع الديانات المختلفة الحرية فى ممارسة الشعائر والتعبير عن معتقداتهم ولا تمنع من أى نشاط دينى سلمى ، ولكل اتباع دين من الديانات الحق فى الدعوة لدينهم بما لا يتعارض

مع القوانين الرسمية وسلامة الأمن كما ان الحكومة لا تساعد أية فئة دينية ولا أى دين من الاديان مساعدة مالية ، وقد سمحت الحكومة بتدريس الدين الاسلامى والدين المسيحى وغيرهما فى مدارسها الرسمية بحدود ثلاث حصص فى الاسبوع وفى مجال الحقوق السياسية والمدنية فللمسلمين الحق والحرية فى ترشيح انفسهم لأى منصب من المناصب الانتخابية بشرط توفر الكفاءة لذلك المنصب وقد فاز أربعة من المسلمين بعضوية البرلمان كما تولى ثلاثة من المسلمين منصب محافظ فى عام ١٩٦٦ ويدير المسلمون شؤون مناطقهم التى يكثرون فيها .

وأهم مشكلات المسلمين فى الفلبين تتركز فى الفقر والجهل مما يؤثر فى انخفاض مستواهم العام من جميع النواحى ، وتعمل البعثات والمؤسسات التبشيرية الصليبية على زيادة هاتين المشكلتين وتساهم فى تعقيدهما بما تقوم به من حرب وتضييق على المسلمين فى كل المجالات ، وتستخدم لحربهم كافة الوسائل والاسباب مهما كان نوعها .

النشاط التبشيرى فى الفلبين :

تعتبر الفلبين المركز الاول للدعوة الصليبية فى الشرق الأقصى والمركز الثانى بعد الفاتيكان فى العالم المسيحى الصليبى ، اذ يوجد فيها عدد كبير جدا من المؤسسات والبعثات التبشيرية المسيحية وكلها تتصرف بمبالغ كبيرة من الاموال تنفقها على تحقيق أهدافها الصليبية ومحاربة الاسلام واجتذاب ابناء المسلمين الى مدارسها الكثيرة وتبذل الجمعيات التبشيرية المسيحية فى الفلبين جهودا كبيرة جدا لتنصير ابناء البلاد وبث نشاطها بين المسلمين ، وقد قامت هذه الجمعيات بانشاء مدارس فى المناطق الاسلامية بلا استثناء مستغلة حماية الحكومة للحرية الدينية ، وقد تمكنت من اجتذاب عدد لا بأس به من ابناء المسلمين الى مدارسها بعد أن تمكنت بوسائلها من اغلاق أبواب المدارس الاخرى فى وجوههم أو لعدم توفر هذه المدارس ، كما أنشأت مؤسسات للتسليف والقروض بفضل الاموال الطائلة التى يغدقها الفاتيكان والمنظمات الكاثوليكية كمنظمة نوتريديم التى استطاعت أن تحقق نجاحا كبيرا فى مقاطعات كوتاباتو وقامت بانشاء جامعة نوتريديم فى مدينة كوتاباتو وزودتها بمطبعة حديثة وتصدر نشرة باسم (صليب ميندناوصلو) وهى لا تدخر وسعا فى محاربة الاسلام وبث الدعاية المعادية له فى محاولة تنصير اكبر عدد ممكن من أبناء المسلمين وغير المسلمين .

خاتمة :

من كل هذا تتجلى حاجة المسلمين ومنظماتهم فى الفلبين الى العون المادى والمعنوى ليتمكنوا من الوقوف فى وجه الحملات التبشيرية ولحماية أبنائهم والحفاظ على عقيدتهم والتمكن من نشر الاسلام والدعوة له .

مائدة القارىء

« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » .
(صدق الله العظيم)

الفتن :

عن عامر بن سعد عن ابيه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل ذات يوم من العالية ، حتى اذا مر بمسجد بنى معاوية، دخل فركع فيه ركعتين ، وصلينا معه ، ودعا ربه طويلا ، ثم انصرف الينا ، فقال : « سالت ربى ثلاثا ، فاعطانى اثنتين ومنعنى واحدة » :

سالت ربى الا يهلك امتى بالسنة (القحط) فاعطانيها ..
وسالته الا يهلك أمتى بالغرق فاعطانيها ..
وسالته الا يجعل باسهم بينهم فمنعنيها ..

« رواه مسلم »

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتى على الناس يوم لا يدرى القاتل فيم قتل ، ولا المقتول فيم قتل » . فقيل : كيف يكون ذلك ؟ قال : « الهرج ، القاتل والمقتول فى النار » .

« رواه مسلم »

العصا .. العصا

دخل حطاب غابة ، ومعه حديد فاس يحتطب به ، فلما رات ذلك شجرة صغيرة بكت ، فقالت لها شجرة كبيرة : ما يبكيك ؟ قالت : اما ترين حديدة الفاس بيد الحطاب ؟ فقالت لها : ان الفاس لا تقطع الا بعصا منا نحن الشجر .

الصمصامة :

بعث عمر بن الخطاب الى عمرو بن معدى كرب أن يبعث اليه بسيفه المعروف بالصمصامة ، فبعث به اليه، فلما ضرب به وجده دون ما كان يبلغه عنه ، فكتب اليه فى ذلك ، فرد عليه : انما بعثت الى أمير المؤمنين بالسيف ، ولم أبعث اليه بالساعد الذى يضرب به .

البطن والمزهر !!

قال أبو طالب المكى : مثل البطن مثل المزهر ـ وهو العود المجوف ذو الاوتار ـ انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه اجوف غير ممتلىء . فكذلك الجوف اذا خلا كان اعذب للتلاوة وأدوم للقيام ، واقل للمنام .

زاد السفر

عن الأحنف بن قيس أنه قيل له : انك شيخ كبير ، وان الصيام يضعفك . فقال انى أعده لسفر طويل ، والصبر على طاعة الله سبحانه وتعالى أهون من الصبر على عذابه ..

الامام الزهرى

دخل الزهرى على الوليد بن عبد الملك ، فقال له : ما حديث يحدثنا به اهل الشام ؟ قال يحدثوننا ان الله اذا استرعى عبدا رعيته كتب له الحسنات ، ولم يكتب عليه السيئات .

قال : باطل يا أمير المؤمنين . انبى خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبى ؟

قال : بل نبى خليفة .

قال : فان الله تعالى يقول لنبيه داود عليه السلام : « يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » .

فهذا وعيد يا امير المؤمنين لنبى خليفة ، فما ظنك بخليفة غير نبى ؟

قال : ان الناس ليغووننا عن ديننا ..

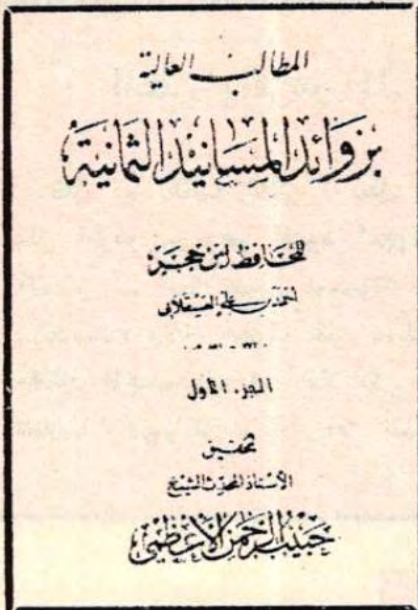
وصية للجيش

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول عند عقد الألوية : باسم الله ، وبالله ، وعلى عون الله ، امضوا بتأييد الله والنصر ، ولزوم الحق والصبر ، فقاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ، ولا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تمثلوا عند القدرة ، ولا تسرفوا عند الظهور ، ولا تقتلوا هرما ، ولا امرأة ، ولا وليدا ، وتوقوا قتلهم اذا التقى الزحفان ، وعند حمة النهضات ، وفى شن الغارات .

رؤية هلال رمضان

كان القاضى أبو عبد الرحمن « عبد الله بن لهيعة » الذى ولى القضاء فى مصر سنة ١٥٥ هجرية ـ ٧٧١ ميلادية أول قاض خرج لرؤية هلال شهر رمضان .. فكان ذلك سنة لمن جاء بعده من القضاة .. فهم يخرجون مع الناس الى (مسجد محمود) بسفح جبل المقطم لرؤية الهلال وذلك فى شهر رجب ، وشهر شعبان استعدادا وتمهيدا لرؤية هلال رمضان .. وقد امدت فى مكان مرتفع عن المسجد دكة عرفت بدكة القضاة حيث كانوا يجلسون عليها لرصد الهلال ، الى ان بنى مكانها فى العصر الفاطمى مسجد فصاروا يرصدونه من فوق ماراته .





المطالب العالية
بزوائد المسانيد الثمانية

تعريف ونقد للاستاذ : عبد الحميد محمد البسيوني

الكتاب : المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية .

المؤلف : الحافظ ابن حجر ، احمد بن على بن محمد العسقلانى الاصل ، المصرى المولد والمنشا والدار والوفاة . ولد بمصر سنة ٧٧٣ هـ، وبها مات سنة ٨٥٢ هـ. قال عنه مترجموه : « شيخ الاسلام ، امير المؤمنين فى الحديث » .. « الحافظ الكبير ، الامام المنفرد بمعرفة الحديث وعلله فى الأزمنة المتاخرة ، حتى صار اطلاق « الحافظ » عليه كلمة اجماع » .

ويصدق مقالتهم هذه ما بين ايدينا من تآليفه ، واشهرها واجلها كتابه « فتح البارى بشرح صحيح البخارى » .

المحقق : الشيخ حبيب الرحمن الاعظمى ، من كبار علماء الاسلام فى الهند ، واحد المتضلعين فى علوم الحديث والفقه ، كما يعرف من الكتب التى نشرت بتحقيقه ، كمسند الحميدى ، والزهد لابن المبارك ، وسنن سعيد بن منصور وغيرها ..

ويكفيه شهادة بعلو قدره فى فن الحديث تعقيباته على الاستاذ المحدث الشيخ احمد محمد شاكر فى تحقيق مسند الامام احمد ، وقد نشرها له الشيخ احمد — رحمه الله — فى آخر اجزائه ، وتلقاها بالتقدير والثناء .

الناشر : ادارة الشؤون الاسلامية ، بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية فى دولة الكويت .

تقديم :

لا توجد امة لها سماتها المميزة ، الا ولها اصول ثابتة تقوم عليها ، ومعالم واضحة تنتهى اليها ، وشيات لازمة تفرقها من غيرها ، وموازين ضابطة تحتكم لها .. وهذا كله جميعه لا يخلق فى لحظة ، ولا يولد فى ساعة ، ولا يصنع فى المصانع ، أو يركب فى المعامل ، بل هو مد تاريخى ينتقل موجه من جيل الى جيل ، ويورثه الخلف للسلف .

وبقدر حيوية الأمة يرى فيها اثر تراثها .

وليست امة من الأمم ـ بشهادة الحس والواقع ـ اغنى تراثا ، واثرى ماضيا من امتنا العربية المسلمة ، فى كل علم وفن ، ولم يعد انكار ذلك سائغا عند عدو او صديق ، قريب أو بعيد .

ولكن الحوادث الجسام ، والتدبيرات الماكرة ، التى حاكها الكفر ضد الايمان على طول التاريخ ، منذ البعثة النبوية الى يوم الناس هذا ، والتى ما زالت تدبر ، جعلت لوننا فى بعض فترات تاريخنا يحول ، واستطاع الشيطان أن يجذب اليه فريقا يكاد ينفر من هذا التراث ، بله الجهل به والغربة عنه .

فمن خير الأعمال ، ولا ريب ، اذا نحن أردنا حياة حقيقية ـ أن نعود فنتعرف على ذواتنا ، ونستجد ما حال من الواننا ، ونسترد ما ضاع من معارف وجوهنا وقسماتنا ، وذلك بصحة النسب الى تراث هذه الأمة ، وبحمد الله ، كما هو منظور معروف ، قامت فى الزمن الأخير حركة احياء جيدة للتراث الفكرى والعلمى ، قيض لها فى أول الأمر أفراد وأعوان مخلصون ، ثم مع حركة الأحياء التى عمت الأمة بدأت الدول العربية : مصر وبلاد الشام والجزيرة .. تتبنى حركة الاحياء هذه وتنشر من تراثنا ما لم يكن فى قدرة الأفراد وحدهم القيام به .

والكويت ـ احدى لبنات أمتنا الكبرى ـ تحمل من ذلك نصيبها ، وتؤدى للأمة حقا عليها ـ تقوم اليوم بقسمها فى حركة الأحياء . ومن الأجهزة العاملة فى هذا المجال ادارة الشؤون الاسلامية بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية ، وانه لعمل جيد مشكور أن تخص ادارة الشؤون الاسلامية فى هذه الوزارة بجهدها كتب القرآن والسنة ، فهى فى كلمة واحدة « الدين » الذى ندين به ((**هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة**)) ، والحكمة السنة ، كما صرح بذلك العالمون ومنهم الامام الشافعى رحمه الله .

وهذا الكتاب (المطالب العالية) هو كتابها الرابع ، تخرج به على العالم الاسلامى « وقد اختير كسابقه الثالث (مختصر صحيح مسلم) من رياض السنة المطهرة ، بعد كتابين سلفا يتصلان بنور القرآن المجيد » كما جاء فى كلمة معالى وزير الأوقاف فى تقديمه للكتاب .

موضوع الكتاب :

أما موضوع الكتاب فتحتاج معرفته الى لمحة سريعة عن دواوين السنة وطريقة جمعها . فهى باعتبار طريقة جمعها نوعان :

١ ـ المسانيد :

واعتبار التبويب فيها هو الصحابى الذى روى عنه الحديث ، بمعنى أن يذكر المؤلف اسم الصحابى ويذكر تحته الأحاديث التى ارتضاها مما تجمع لديه من رواية هذا الصحابى ، مهما كانت درجتها من الصحة أو الحسن أو الضعف ، ودون نظر الى موضوع الحديث ، ومن هذا النوع كثير ، كمسند عبد بن حميد ، والدارمى ، وأبى يعلى ، والبزاز ، وأبى داود الطيالسى ، والحسن بن سفيان ، واسحاق بن راهويه ، وعبد الله بن موسى ، وغيرهم . اكبر ما فى ايدينا واجله من هذه المسانيد هو مسند الامام أحمد بن حنبل .

٢ ـ الصحاح :

ثم تلا المسانيد كتب الصحاح ، واول من اعتنى بجمعها أبو عبد الله محمد

ابن اسماعيل البخارى ، وتلاه صاحبه وتلميذه أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، فهما أصح كتب الحديث . ثم تبعهما بقية أصحاب السنن : أبو داود ، والترمذى والنسائى ، وابن ماجه ، وهى التى تعرف فى الاصطلاح بالكتب الستة .

وليس معنى هذا ان هؤلاء قد التزموا باخراج جميع ما يحكم بصحته من الأحاديث « فان البخارى ومسلما — مثلا — قد صححا أحاديث ليست فى كتابيهما كما ينقل الترمذى وغيره عن البخارى تصحيح أحاديث ليست عنده ، بل فى السنن وغيرها . ولذلك خرجت كتب كثيرة على الصحيحين (البخارى ومسلم) يؤخذ منها زيادات مفيدة ، وأسانيد جيدة ، كصحيح أبى عوانة ، وأبى بكر الاسماعيلى والبرقانى ، وأبى نعيم الاصبهانى ، وغيرهم . وكتب أخرى التزم فيها أصحابها صحتها ، كابن خزيمة ، وابن حبان البستى . وكذلك يوجد فى مسند أحمد من الأسانيد والمتون شىء كثير ، مما يوازى كثيرا من احاديث مسلم ، بل والبخارى أيضا ، وليست عندهما ولا عند أحدهما ، بل ولم يخرجه أحد من أصحاب السنن ، كما يقول ابن كثير رحمه الله .

اذا عرف ذلك عرف موضوع كتاب (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية) فان الامام الحافظ ابن حجر أراد أول الأمر أن يجمع على صعيد واحد جميع ما وقف عليه من كتب السنة : مسانيدها وصحاحها ، ثم عدل عن ذلك — كما يقول فى مقدمته — « الى جمع الأحاديث الزائدة على الكتب المشهورات ، فى الكتب المسندات . وعنيت بالمشهورات الأصول الستة ومسند أحمد ، وبالمسندات ما رتب على مسانيد الصحابة .. وقد وقع منها ثمانية كاملات ، وهى لأبى داود الطيالسى ، والحميدى ، وابن أبى عمر ، ومسدد ، وأحمد ابن منيع ، وأبى بكر بن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، والحارث بن أبى أسامة .. الخ » .

وليس معنى قوله : « الأحاديث الزائدة على الأصول الستة ومسند احمد » أن جملة ما فى (المطالب العالية) ليس موجودا بنصه أو معناه فى هذه الكتب المذكورة ، بل قد يكون نص الحديث أو معناه مرويا عندهم ، ولكنه فى هذه المسانيد الثمانية التى يذكر ابن حجر الزوائد فيها مروى بسند آخر ، أو عن صحابى غير الذى روى عنه فى هذه الكتب .ولذلك أزال ابن حجر هذا الوهم الذى قد يعطيه العنوان بقوله فى ختام « مقدمته للمطالب : » **وشرطى فيه ذكر كل حديث ورد عن صحابى لم تخرجه الأصول السبعة من حديثه ، ولو أخرجوه — أو بعضهم — من حديث غيره ، مع التنبيه عليه أحيانا .**

ولهذا أهمية سيقف القارىء عليها بعد .

أما كيف رتب ابن حجر هذه الأحاديث الزوائد ، فهو يقول فى مقدمته : « ورتبته على أبواب الأحكام الفقهية ، ثم ذكرت بدء الخلق ، والايمان ، والعلم والسنة ، والتفسير ، وأخبار الأنبياء ، والمناقب ، والسيرة النبوية ، والمغازى ، والخلفاء ، والآداب ، والأدعية ، والزهد ، والرقائق ، والفتن ، والتعبير ، والبعث والنشر » .

اهمية الكتاب :

يقول المحقق فى مقدمته (كتاب المطالب العالية) أغنى ما ألف من كتب السنة ثروة ، وأغزرها فائدة ، لاحتوائه على زوائد تلك المسانيد الثمانية تماما ، وعلى شىء كثير من زوائد مسندين آخرين ، ولجمعه فى مكان واحد على

الترتيب الفقهى ما كان مبددا فى ثمانية أمكنة ، بل عشرة ، من غير مراعاة لهذا الترتيب ، ولاشتماله فى كثير من المواضع على بيان درجة الحديث ، من صحة وضعف ، واتصال وانقطاع . .

« وقد ازدادت قيمته العلمية فى عصرنا ، لأن أكثر الكتب الأصول التى انتقيت فيه زوائدها قد دخلت فى خبر كان ، وعسى أن يكون عبثت به يد الحدثان . فلما امتنعت الافادة منها لعوزها ، أوجبت الظروف أن يشتد الحرص على الاحتفاظ بهذا السفر الجليل ، لأنه يسد مسد تلك الأصول فيما تنفرد به » .

مخطوطات الكتاب :

يؤخذ من مقدمة المحقق أن للكتاب مخطوطات ثلاثا :

١ — الأولى مسندة ، أى يذكر الحديث فيها بسنده ، تقع فى ٨٤ ورقة (١٦٨ صفحة) وعدد سطور الصفحة ٦٩ ، والسطور متدانية ، والخط دقيق جدا ، وقد وقع الفراغ من نسخها على يد ملا محمد بن ملا محمد فريد بن ملا محمد عثمان السليمانى الأفغانى فى جمادى الآخرة سنة ١١١٠ هـ ، وقد وصفها المحقق بأنها مملوءة بالأغلاط والتصحيفات والتحريفات . .

٢ — والثانية نسخة مجردة من الأسانيد ، تقع فى ٢٥٧ ورقة (٥١٤ صفحة) عدد سطور الصفحة ٢٩ بخط دقيق ، كتب فى عام ١١١٢ ، نسخها أحمد بن عبد القادر الرفاعى المكى ، ويرجح المحقق أنه هو الذى تولى تجريد النسخة من الأسانيد .

٣ — والنسخة الثالثة تشمل النصف الأول من الكتاب ، وتوجد فى المكتبة السعيدية (بحيدر آباد — الهند) ، وقال عنها المحقق : « وهى رغم كونها ناقصة ، أحسن خط من نسخة تركيا ، وأجود من حيث الصحة ، وأقدم عهدا ، فانها كتبت سنة ٨٧٥ هـ . أى بعد وفاة المؤلف بثلاث وعشرين سنة فقط » .

منهج التحقيق :

أما جهد المحقق ، ومنهجه فى التحقيق ، فقد أبان عنه فى مقدمته بيانا مفصلا ، فى الصفحات (ر ، ش ، ت) ، وكان أهم ذلك :

١ — ترقيم الأحاديث بالأرقام المتسلسلة (ليسهل العزو الآن وفيما اذا تكرر الطبع) كما يقول .

٢ — مقابلة النسخة المجردة على النسخة المسندة ، واثبات المغايرات بينهما ، والحاق ما حذفه المجرد أو أخل باختصاره من كلام ابن حجر .

٣ — مقارنة الكتاب بكتاب آخر مشابه (للمطالب) من تأليف البوصيرى احمد بن أبى بكر بن اسماعيل المتوفى سنة ٨٤٠ هـ .

٤ — بيان درجات الأحاديث من كلام ابن حجر والبوصيرى والهيثمى فى كتابه (مجمع الزوائد) ، والتنبيه عليه — أحيانا — ان لم يكن لهؤلاء أو غيرهم كلام فيه .

٥ — عزو كل حديث أو أثر الى مصنف آخر .

٦ — تعقب المؤلف اذا أورد حديثا ليس على شرطه ، بأن يكون فى شىء من الأصول السبعة ، والتنبيه على ذلك .

٧ — قال المحقق علقت على الكتاب « تعليقات وجيزة ، فسرت فيها غريبه وأوضحت غامضه » .

وهذا منهج — كما يرى القارىء — فيه جهد جاهد ، ومشقة شاقــة . ويكفى أن تنظر الى نموذج النسخة المسندة المصدر فى مقدمة الكتاب ، وترى دقة الخط وصعوبته لتصدق ما قال المحقق من أنه : (لا يستطيع قراءتهــا الا الأفذاذ .. ورغم ذلك فقد تجلدت وتصبرت لقراءتها والافادة منها) . زد على ذلك ما التزم به المحقق من عزو كل حديث الى مصنف آخر سوى من عزاه اليه ابن حجر ، وما تعقبه به من التنبيه على الأحاديث التى ليست على شرطه .. وهذا يحتاج الى تمرس بهذه الكتب واع ، وصبر طويل فى الحركة خلالهــا ، فربما استنفد الحديث الواحد اياما واسابيع حتى يعود الباحث بما اراد ، او ربما بلا شىء .

وثمة فائدة جليلة حظى بها كتاب المطالب من المحقق ، وجناهــا القراء ، اذ اضاف المحقق اليه فوائد وزيادات من كتاب مخطوط ليس فى أيدى الناس ، هو كتاب البوصيرى المشار اليه .

وقد قرأت الكتاب مستفيدا منه، متعلما من محققه ، ولكن عنت لى ملاحظات اضعها بين يدى المحقق اولا ، والقارىء ثانيا ، وعسى أن أكون مصيبا فيتــم لكتاب من كتب السنة بعض ما ينبغى له من الضبط ، وان كانت الأخرى فهــو جديد اتعلمه ، وحق أرجع اليه .

وهذه الملاحظات منها ما يتعلق بمنهج التحقيق واصوله المتعارف عليها ، واخص منها ما لم يلتزم المحقق فيه نهجه الذى ارتضاه وأبان عنه فى مقدمته ، واختصرناه آنفا . ومنها اقامة تحريفات وتصحيفات لم يتنبه لها ، ومنها تصويبات لشروح خاطئة ، ومنها ما نراه يضيف فائدة للكتاب ، ثم اخطاء الضبط والطبع .

فأول ذلك عدول المحقق عن النسخة المسندة ، والاســناد — كما هــو معروف — من أهم الضوابط لمعرفة درجة الحديث . ولا حجة فى قول المحقق : « ان نشر المسندة لا يغنى عن نشر الكتب المجموعة فيها كل على حدة » ، بل هو حجة عليه ، فقد قال قبل ذلك وهو يبين أهمية كتاب المطالب . ان « أكثر الأصول التى انتقيت فيه زوائدها قد دخل فى خبر كان ، وعسى أن يكون عبثت به يــد الحدثان » .

ولا حجة ايضا بقارىء هذا الزمان ودعوى التُسهيل عليه ، فقارىء هــذا الزمان ، وذاك الزمان ايضا ، يستطيع أن يجرى بعينهِ على السطر الذى يحوى الاسناد ، ويصل الى نص الحديث ، اذا كان ذلك همه !

زد على هذا أن اهمال السند فى هذا الكتاب يضع قارئه احيانا كثيرة أمام كلام لا يفهمه ، لأنه يتحدث عن شىء غير موجود ..

ومن امثلة ذلك ما جاء فى التعليق رقم ٥ ص ٨٤ : « فى المسندة : هــذا المتن رواه أحمد وغيره من طريق عمرو بن عبسة ، وهذه الطريق شاهدة لتلــك الا أن فيه انقطاعا ، لأن عونا لم يدرك عبد الله . » ويبحث القارىء أمامه عن عون هذا المتحدث عنه فلايجده .

واوضح من ذلك ، ما جاء تعليقا على الحديث رقم ١٠٠٩ ص ٢٩٤ من قول ابن حجر (قلت : هذا اسناد مقلوب ، ومتن مقلوب ، اما الاسناد فالصواب حرملة بن اياس كذا اخرجه احمد وغيره .. » .

ولا وجود أمامنا فى الكتاب لشىء نفهم منه كيف كان السند مقلوبا، أو يهدينا لمعرفة ما يتحدث عنه ابن حجر من شأن حرملة بن اياس أو سواه .

واشد وضوحا من هذين المثالين ما قاله ابن حجر تعقيبا على الحديث رقم

١٢٦٥ ص ٣٧٥ : « قلت : يحيى وشيخه ضعيفان جدا ، وهذا الاسناد خطأ لهما ، رواه زياد بن أبى سودة ، عن أخيه ، عن عثمان (كذا) ، عن ميمونة وليست زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، فخبط يحيى أو عمرو فى اسناده . »

وليس من هذه الأسماء كلها — عدا ميمونة — اسم واحد مذكور أمامنا لنفهم قضية ابن حجر ما هى .

ومثال رابع ، الحديث رقم ٢٧١ ص ٧٧ ، نصه « وقال البزار : حدثنا القاسم بن محمد ، حدثنا عبد الله بن داود بسنده ، ولم يشك ، ولفظه .. » .

هذه الجملة المعترضة (ولم يشك) تشى بأن غيره من الرواة شك .. فلو قد نشر اسناد الحديث السابق لربما عرفنا لهذه العبارة معنى .

وأمثلة ذلك كثيرة ، نجتزىء منها بهذه الأربعة ، وأحسبها — مع ما تقدمها من أسباب — كافية لبيان ضرورة نشر النسخة المسندة .

وكان من نهج المحقق (اتخاذ امارة طباعية يعرف منها لأول نظرة الحديث الموثق رجاله ، أو المصحح اسناده وهى عبارة عن هذه النجمة الصغيرة (*) توضح قبل رقم الحديث المتحقق فيه ذلك ..)

وهذا عمل مرضى ولا ريب ، يعين القارىء العجل ، والقارىء غير المتخصص على بلوغ غايته ، ولكن هذا ربما افضى الى مشكلة أو شبهة تزرى بهذه الفائدة ، فمجموع أحاديث هذا الجزء ١٤٩١ ، أشير بالصحة منها على ٤١٤ حديثا فقط . وقد يغرى هذا بعض من ساء فهمه وقل علمه ان يظن ان هذا شأن الأحاديث ، لا يصح منها الا اقل من الربع .. من أن المدار هنا على الأسانيد فقط ، بمعنى أن الحديث فى هذه الزوائد التى ينقلها ابن حجر قد يكون مرويا بسند معلول مع صحة المتن (نص الحديث) من طرق أخرى . فكنا نرجو من المحقق الفاضل ، وهو على ذلك قادر فيما نحسب ، ان يعلمنا ذلك ويرشدنا اليه ، بل ان هذا من تمام العمل ، فابن حجر مؤلف الكتاب يقول : « وشرطى فيه ذكر كل حديث ورد عن صحابى لم يخرجه الأصول السبعة من حديثه ، ولو اخرجوه أو بعضهم من حديث غيره ، مع التنبيه عليه أحيانا .. » فكان حق العمل أن يتم المحقق بقية الأحيان .. »

والأحاديث التى هذا شأنها كثيرة جدا فى هذا الجزء ، ونجتزىء ايضا بعض الأمثلة دون الاستقصاء ..

١ — الحديث رقم ٢٦ ، عرى من علامة الصحة ، وضعفه الهيثمى ، ونصه : « أم سلمة : ماتت لنا شاة كنا نحتلبها ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال : ما فعلت شاتكم ؟ قالت قلت : ماتت فألقيناها . قال : الا كنتم تنتفعون باهابها ؟! قالت فقيل : يا رسول الله انها ميتة ! قال : ان دباغها احلها كما أحل الخمر الخل .. » .

أقول : لهذا الحديث شاهد فى صحيح مسلم عن ابن عباس ، وان الشاة تصدق بها على مولاة لميمونة . انظر مسلم (بشرح النووى) ٥١/٤ ، ٥٢ (كتاب الحيض ، باب طهارة جلود الميتة) ، وسنن ابى داود (تحقيق محيى الدين) ٤/ ٩٢ ، ٩٣ (كتاب اللباس ، باب فى أهب الميتة) ، وانظر الترمذى (تحفة الأحوذى) ٤٤/٣ وما قاله بعده ، وقد خلا حديث ابن عباس من هذه الزيادة (ان دباغها أحلها ..) .

٢ — الحديث رقم ٢٠٥ عرى ايضا من علامة الصحة ، مع ان متنه مروى عن أبى سعيد الخدرى فى البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه وأحمد . انظر مثلا مسلم : ٧٣/٤ .

٣ ـ الحديث ٢٧٦ عرى من علامة الصحة ، وحكم البوصيرى بضعفه ، ولمتنه شاهد فى مسلم (١٤٢/٥ ، ١٤٣) وابى داود (٤٠٦/٤) وغيرهما .

اضف الى ذلك أن هذه النجمة المتخذة اشارة للصحة قد اختل موضعها فى بعض الأحيان فقد وضعت أحيانا مع أن فى التعليق ما يناقض ذلك ، انظر الحديث رقم ١٤٢ ص ٤٢ ، قال المحقق معلقا عليه : (فيه المثنى بن الصباح وهو ضعيف) ومع ذلك فهو مصدر بنجمة الصحة !!

* * *

وكان من منهج التحقيق الذى أبان عنه المحقق فى مقدمته ترقيم الأحاديث بأرقام متسلسلة (للاستعانة بها فى العزو الآن ، وفيما اذا تكرر الطبع) .

وليت المحقق فعل ذلك حقا ، لأن العزو فى الحقيقة يمثل نظرة كلية شاملة للكتاب ، أو هو ربط لأجزائه بعضها ببعض ، وفيه فوق ذلك فوائد جمة ، فقد يكمل موضع ناقص فيه من موضع آخر ، أو يتضح ما غمض فى جزء منه من جزء آخر ، وهكذا ، خاصة فى أمثال هذه الدواوين الطوال .

فهناك مواضع كثيرة ترك المحقق فيها العزو ، فكان ذلك مضيعا لفوائد يتم بها اخراج الكتاب على صورة مرضية . والأمثلة التالية تصدق ذلك :

١ ـ الحديث رقم ٢٤٧ ص ٧٠ جاء معزوا لأحمد بن منيع وحده ، وكان على المحقق أن يضيف اليه بين قوسين معقوفين ، كما يصنع أحيانا (وابو بكر ابن أبى شيبة) ، لأن الحديث نفسه جاء فى ص ٩٥ برقم ٣٤٢ منسوبا لهما .

٢ ـ ص ٣٣٣ قال ابن حجر تحت عنوان (باب) دخول مكة وفضلها : « سيأتى حديث ابن أم مكتوم فى السعى ، وفيه : حبذا مكة » .

لم يشر المحقق للحديث المذكور وهو رقم ١٢٣٢ ص ٣٦٥ .

٣ ـ وفى الصفحة نفسها ٣٣٣ جاء تحت عنوان (باب) جواز الغسل للمحرم : « حديث عمر تقدم فى باب الستر فى الغسل من الطهارة » .

ولم ينبه المحقق اليه ، وهو رقم ١٧٣ ص ٤٨ .

٤ ـ ص٢٥٢ باب استحباب عدم الاستعانة فى التصدق ، قال ابن حجر : (حديث عائشة تقدم فى أواخر أبواب الوضوء) .

ولم ينبه المحقق اليه ، وهو الحديث رقم ٩٦ ص ٣٠ .

٥ ـ قال ابن حجر بعد الحديث رقم ٩٨٢ ص ٢٨٨ : « .. الحديث ، وتقدم فى الصلاة » ونبحث عن عنوان لكتاب الصلاة فلا نجد ، ونرجع للفهرس فنجد فيه (كتاب الصلاة ٦٢ ـ ١٣٦) أى أن العنوان ساقط من الأصل . فضلا عن الحيرة التى تنتاب القارىء وهو يبحث عن هذا الحديث فلا يجده . وقل مثل ذلك فى الحديث رقم ١٠٥٧ ص ٣١٤ .

٦ ـ ولبيان فائدة العزو وضرورته فى ضبط الكتاب ، أن ابن حجر قال بعد الحديث رقم ٥٤٠ « وحديث الحارث عن على تقدم قريبا » .. ولم يرشدنا المحقق لرقم الحديث المقصود ، ولو فعل هو لوجد فائدة .. فالحديث الذى يشير اليه ابن حجر هو رقم ٥٢٧ ص ١٤٤ ، ولم ينسبه ابن حجر للحارث كما قال هنا ، بل نسبه لمسدد وابى بكر بن ابى شيبة ، ألا تستحق هذه من المحقق التنبيه ؟! الا أن يكون الحارث ليس مقصودا به الحارث بن ابى أسامة صاحب المسند بل قصد به ابن حجر أحد الرواة عن على .

ومما هو قريب من قضية النظرة الشاملة للكتاب امر فات المحقق التنبيه عليه :

ــث أنا نجد فى ص ١٠٢ عنوان (باب فضل ملازمة المسجد) ثم نجد فى ص ١٣٤ (باب فضل ملازمة المساجد) ، فما الفرق بين العنوانين ؟!

كان هذا يقتضى من المحقق التنبيه على الأقل ، خاصة وأنه استجاز لنفسه التدخل فى تبويب الأصل مراعاة لمناسبة الأحاديث ابوابها .. (انظر ص ٥٣) . ونحن نوافق المحقق فى هذا النهج ، اذ بين من مقدمة ابن حجر لكتابه هذا أنه مسودة ، وذلك اذ يقول ص ٤ : « ووقفت على قطع من عدة مسانيد .. فلم أكتب منها شيئا ، لعلى اذا بيضت هذا التصنيف أن أرجع فأتتبع ما فيها من فوائد » .

فاذا كان الأستاذ المحقق قد فعل ذلك ، فكان اولى به أن يلزم منهجه ماءة واحدة .

ويدخل فى ذلك الحديث رقم ١٤١١ ، فانه فى كتاب البيوع ، باب الغصب ونصه عن الحكم بن الحارث السلمى : « وغزوت مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع غزوات احداهن حنين ، فكنت أسير فى مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخلأت راحلتى ، فمر بى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا اضربها فقال : مه ! وزجرها فقامت » .

اليس المحقق معى فى أن هذا الحديث لا توجد بينه وبين الترجمة (العنوان) أية صلة ، وأن مثل ذلك يستحق التنبيه على الأقل ، وأن حقه أن يكون فى كتاب المغازى ، وهو أحد الموضوعات التى يضمها الكتاب كما جاء فى المقدمة ؟!

أو أن الذى دعا ابن حجر الى ايراده فى هذا الباب هو ذكر الصحابى (الحكم بن الحارث السلمى) الذى روى عنه الحديث السابق لهذا ، فان الحديث رقم ١٤١٠ من روايته رضى الله عنه .

وكان من نهج المحقق كما أبان فى مقدمته : « علقت على الكتاب تعليقات وجيزة ، فسرت فيها غريبه ، وأوضحت غامضه » .

وهذا نهج لازم لمن ينشر كتابا كهذا ، ويضع فى اعتباره جمهرة القراء فى هذا الزمن الذين يحذف الاسناد من اجلهم ..

ولكن هناك عشرات من الكلمات تركها المحقق على غرابتها وغموضها . وهاك بعض الأمثلة :

١ ــ الحديث ٥٨٨ (قلنا : أو ما جمعت ؟ قال : لا ، حبسنا هذا الردغ) ، لم تشرح كلمة الردغ . قال فى اللسان : الردغ والردغة والردعة بالهاء : الماء والطين والوحل الكثير . وانظر النهاية لابن الأثير .

٢ ــ الحديث ٧١٦ ، فيه : **« اذا مت فاغسلونى .. وحنطونى واجمرونى »** .

الحنوط والحناط : طيب يخلط للميت خاصة ، وقال ابن الأثير : هو ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة . ومعنى أجمرونى : بخرونى بالطيب .

٣ ــ الحديث ٧٢٠ « كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثوبين أبيضين سحوليين » .

سحول : قرية من قرى اليمن ، يحمل منها ثياب قطن بيض ، تسمى السحولية بضم السين . كذا فى اللسان ، وعليه فينبغى ضبط السين بالضم بدل الفتحة التى عليها .

٤ ــ الحديث ١٤٤١ « وليس لعرق ظالم حق » .
هو أن يجيء الرجل الى أرض قد أحياها رجل قبله ، فيغرس فيها غرسا غصبا ، ليستوجب به الأرض .

ونسوق هذه الكلمات كنماذج فقط لهذا الغريب المتروك :

الحديث ٣٠ (أما ان الشراب كان في سقاء **منيحة** لنا ماتت) .

الحديث ١٨٩ (أن ابن عمر كان يدخل الحمام **فينوره** صاحب الحمام) .

الحديث ٤٢٣ (وخلفه اعرابي معه **ناضح** له) .

الحديث ٧٣٩ (استهل الصبي) .

الحديث ٨٦٦ (سأل عمر رجلا عن ابله فذكر عجفا **ودبرا**) (بفتح الدال والباء) .

الحديث (١٣٣٧ (لا تلامسوا ، ولا تناجشوا ، ولا تبايعوا بيــع الغرر) وهذه الثلاثة مصطلحات فقهية ، ما احوج القارىء للوقوف عليها .

ص ٤٠١ (باب السفتجة ؟؟)

وغير هذا كثيرا جدا ، ولولا خشية الاطالة لنقلت شرحها أجمع اثباتــا للفائدة .

وهناك ملاحظات على بعض ما تناوله المحقق بالشرح نذكر منها :

١ ــ الحديث ٨٣٤ : وفي البيت سرير محبوك بليف) .

قال المحقق في شرحها : (المحبوك : المحكم الصنعة) .

وهذا وان كان صوابا لغة ــ غير مقصود هنا . فالمحبوك هنا : المشدود المربوط ، ومنه الحبكة (بضم فسكون) والحباك : الحبل يشد به على الوسط ، والقدة التي تضم الرأس الى الغراضيف من القتب والرحل ، والتحبيك : التوثيق فالمعنى أن أجزاء السرير مربوطة ومشدود بعضــها الى بعض بليف .. وهذا واضح جدا .

٢ ــ الحديث ١٣٧٧ : (ابو سعيد قال : حضرت جنازة فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما وضعت سأل النبي صلى الله عليه وسلم : أعليه دين ؟ قالوا : نعم . فعدل عنها وقال : صلوا على صاحبكم . فلما رآه على **(قفى)** قال : يا نبي الله ، بريء من دينه ، أنا ضامن لما عليه) .

رسمت كلة (قفى) بالألف المدودة ، وشرحها المحقق بقوله : (أى : تبع) وليس كذلك . قال في النهاية : (ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم (المقفى) هو المولى الذاهب ، ومنه الحديث (فلما قفى قال كذا وكذا) أى ذهب موليا ، وكأنه من القفا ، أىأعطاه قفاه وظهره) .

وهذا واضح المعنى جدا ، بل مفهوم من قوله في الحديث (فعدل عنها) .

ونلاحظ أن المحقق لم يشر الى المراجع التي تعين على ضبط النص وتوثيقه وتهدى الى استكمال صورته .

وقد وقع ذلك من المحقق كثيرا عندما يأتي في نص كلام ابن حجر ، أو التعليقات التي ينقلها المحقق عن البوصيري والهيثمي وسواهما ، أن حديثا ما مخرج في الصحيحين مثلا ، أو كذا أو كذا من دواوين السنة المطبوعة .. فمن حق النص ، وهداية للقارىء ــ غير المتخصص على الأقل ــ ان يعرف موضع الحديث في الكتب المذكورة . بل ان المتخصص المشتغل ايضا بحاجة الى توفير جهده ووقته في تقصي ذلك ومراجعته ، وتكفي هذه الأمثلة للتدليل :

١ ــ الحديث ١٢٦٥ ص ٣٧٥ ، ونصه :

« ابو أمامة قال : قالت ميمونة بنت الحارث زوج النبى صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، افتنا فى بيت المقدس ، قال : أرض المحشر والمنشر . ائتوه فصلوا فيه ، فان صلاة فيه كألف صلاة فيما سواه . قالت : يا رسول الله ارايت ان لم نطق محملا اليه ؟! قال : فتهدى له زيتا يسرج فيه ، من أهدى اليه شيئا كان كمن صلى فيه » (لأبى يعلى) .

ثم قال ابن حجر بعده (وسبق أن نقلناه لأمر غير هذا) :

« قلت : يحيى وشيخه ضعيفان جدا ، وهذا الاسناد خطأ لهما ، رواه زياد ابن ابى سودة ، عن أخيه ، عن عثمان عن ميمونة ، وليست زوج النبى صلى الله عليه وسلم . فخبط يحيى أو عمرو فى اسناده ، وهو عند أبى داود وابن ماجه على الصواب » .

لو قد رجع المؤلف لابن ماجه وابى داود لوجد فوائد جمة .

فالحديث فى ابن ماجه ٤٥١/١ برقم ١٤٠٧ (كتاب الاقامة ، باب ما جاء فى الصلاة فى مسجد بيت المقدس) ، وسنده هكذا (حدثنا اسماعيل بن عبد الله الرقى ، حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا ثور بن يزيد ، عن زياد بن أبى سودة ، عن أخيه عثمان بن أبى سودة ، عن ميمونة مولاة النبى صلى الله عليه وسلم ..)

فصحة الاسناد كما ترى أن زياد بن ابى سودة يرويه عن أخيه عثمان ، وليس الأمر كما اثبت المحقق (زياد بن ابى سودة عن أخيه ، عن عثمان) .

وفى سنن أبى داود ١٨٢/١ (كتاب الصلاة ، باب فى السرج فى المساجد) جزء من هذا الحديث ، ونصه :

« ... عن زياد بن أبى سودة ، عن ميمونة مولاة النبى صلى الله عليه وسلم انها قالت : افتنا فى بيت المقدس ، فقال : ائتوه فصلوا فيه ــ وكانت البلاد اذ ذاك حربا ــ فان لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيت يسرج فى قناديله »

وانت ترى أن اسناد ابن ماجه اتم وأصح من اسناد أبى داود ، فان أبا داود اسقط عثمان بن أبى سودة .

هذا ، وقد جاء هذا الحديث على الصواب فى مسند الامام احمد فى مسند ميمونة بنت سعد رضى الله عنها ، ولم يذكره ابن حجر ، انظر المسند ٤٦٣/٦ .

٢ ــ بعد الحديث ١٢١٧ قال ابن حجر : « قلت : أصله فى الصحيحين بدون ذكر جابر ، وسميت أم سليم » .. لم يرشدنا المحقق الى موضعه فى الصحيحين ..

ورواه البخارى فى صحيحه (كتاب الحج ، باب اذا حاضت المرأة بعد ما افاضت) ، وانظر فتح البارى ففيه فوائد ، ورواه مسلم فى كتاب الحج ٧٩/٩ .. وفيهما أن الخلاف وقع بين ابن عباس وزيد بن ثابت .

٣ ــ الحديث ٥٤٩ ، قال ابن حجر بعده « قلت : أصله فى السنن » .

ارشدنا المحقق للترمذى فقط ، والحديث فى صحيح مسلم ٦/٦ ، وفى نيل الأوطار : ١٧/٣ « رواه الجماعة الا البخارى » .

٤ ــ قال المحقق تعليقا على الحديث رقم ٩٦ ص ٣٠ هامش (٣) : « قال البوصيرى : رواه ابن ماجه من حديث ابن عباس وترك المحقق عزوه ، وهو فى ابن ماجه ١٢٩/١ ، حديث رقم ٣٦٢ (كتاب الطهارة ، باب تغطية الاناء) .

٥ ــ وقال المحقق تعليقا على الحديث رقم ٩٧ ص ٣٠ هامش (٣) : « .. وقال ابن حجر والبوصيرى : رواه ابن ماجه ، وليس فى سماعنا » واهمل

المحقق الهداية اليه ، وهو فى ابن ماجه ١٨٣/١ حديث رقم ٥٥١ (كتاب الطهارة ، باب فى مسح أعلى الخف وأسفله) .

وانظر الأحاديث : ٤٢٨ ، ١٠٠٩ ، ١١٧٤ ، وغيرها كثير .

هذه هى أهم ملاحظاتنا على منهج التحقيق ، على ما هو مقرر بين العاملين فى ميدانه ، وعلى ما قرر المحقق الالتزام به ، وبقيت ثلاث مسائل فى هذا الشأن ننوه بها ، وان كنا لا نرى الزام المحقق بذلك :

الأولى : اعتذاره فى المقدمة عن عدم الانتفاع بالنسخة الحيدر آبادية ، مع أنها أقدم النسخ وأوضحها خطا على ما قرر هو . ونرجو فيما يستقبل من أجزاء الكتاب ، وهى كثيرة فيما يبدو ، أن تكون موانع تصويرها قد زالت ، اذ هى ــ والله أعلم ــ نسخة أصيلة والرجوع اليها ضرورى .

والثانية : أننا كنا نرجو من المحقق أن يتم لنا نصوص الأحاديث التى اختصرها ابن حجر ــ كلما أمكن ــ ولو فى الهامش ، اتماما للفائدة . والحق أنه أرشدنا أحيانا الى مواضع بعض الأحاديث فى الكتب الأخرى ، ولكن الغريب من ذلك أنه أحالنا أحيانا على كتاب البوصيرى المخطوط .

الثالثة : الاستغناء عن كلمة (رفعه) التى يقحمها المجرد بلا فائدة ، كما قرر هو فى المقدمة .

والآن وقد انتهينا من قول كلمتنا فى منهج التحقيق وتوابعه ، وما فات المحقق منه ، أو لم يهتد لصوابه من ذلك ــ ننظر فى الكتاب من حيث قراءته وتقويم نصه على ما نراه من الصواب والضبط ان شاء الله تعالى .

١ ــ الحديث رقم ٥١٠ ص ١٤٠ : « ... أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة لأصلى بصلاته ، فافتتح الصلاة فقرأ قراءة سهلة ، ليست بالخفيفة ولا بالرفيعة ، قراءة حسنة سهل فيها .. »

كذا أثبتها المحقق (ليست بالخفيفة ولا بالرفيعة) وواضح أن صواب الكلام (ليست بالخفيضة ولا بالرفيعة) اذ خفض الصوت ــ أى خفوته وخفاؤه ــ هو قسيم رفاعته ، أى جهارته . (انظر اللسان : خفض ، رفع) .

٢ ــ الحديث ٢٢٧ ص ٦٤ : « ... فانطلقت وأنا أقول : ليت بلالا لم تلده أمه ، وابتل من نضح دم جبينه » . كذا كتبه المحقق مرسلا ، وقول بلال هذا شعر ترنم به رضى الله عنه :

ليت بلالا لم تلده أمه وابتل من نضح دم جبينه

٣ ــ وجدت مثل هذا فى الحديث رقم ٢٣٨ ص ٦٧ « كان عثمان اذا سمع الآذان قال : مرحبا بالقائلين عدلا ، وبالصلاة مرحبا وأهلا » .

هذا أيضا شعر ، وصواب كتابته :

مرحبا بالقائلين عدلا وبالصلاة مرحبا وأهلا

٤ ــ الحديث رقم ١٣٦٢ ص ٤٠٦ : وفيه أن عليا انتهى الى السوق : « .. ثم أتى صاحب التمر فاذا خادم تبكى ، فقال : ما شأنك : باعنى هذا تمرا بدرهم (كذا !) فأبى مولاى أن يقبله ، فقال : خذه **واعطها درهما** ، فانها خادم ليس له أمر ..

وقال عبد بن حميد : حدثنا محمد بن عبيد به مثله ، وزاد فيه بعد قوله **واعطاها درهما** .. الخ .

● فبين ــ أولا ــ أن صواب سياقة الحديث « فقال : ما شأنك ؟ قالت : باعنى هذا تمرا بدرهم » أى أنه سقطت منه كلمة قالت ، وعندما استدركها المحقق فى آخر الكتاب جعل مكانها (قال) وهو خطأ أيضا .

٥ ــ الحديث رقم ٤٣ ص ١٧ : « ... انه رأى أبا هريرة بال قائما وعليه موردتان » .

علق المحقق على كلمة (موردتان) بقولـــه (كذا فى الأصليــن ، وفى الاتحاف موزجان ، هو الصواب عندى) .
وهذا الصواب الذى ارضتاه غير مفهوم ، فكان يحسن أن يقول : الموزج هو الخف ، تعريب (موزه) بالفارسية .
على أن ما فى الاصلين يحتمل الصواب ، كأنها ــ والله أعلم ــ ثيــاب بلون الورد ، أو عليها صور الورد ، فقد قالوا : « ثوب مبرج » فيه صور البروج و « ثوب مصلب » فيه كالصليب ، و « ثوب ممرجل » فيـــه صور المراجـــل و (مرحل) فيه صور الرحال .. وشواهده كثيرة جدا (أنظر المخصص كتاب اللباس : ٤/٦٦) . وجاء فى اللسان : « ورد الثوب : جعله وردا ، وقميص مورد : صبغ على لون الورد ، وهو دون المضرج » .

٦ ــ الحديث رقم ١٠٨٦ ص ٣٢٤ : « ما من رجل يضع ثوبه وهو محرم فتصيبه الشمس حتى تغرب الا عزبت بخطاياه » والصواب الذى يستوجبــه نسق كلام العرب : « الا غربت بخطاياه » .

٧ ــ الحديث رقم ٨٨ ص ٢٧ « عليك باسباغ الوضوء ، يحبك حافظاك ، ويزاد فى عمرك » اختار المحقق الرفع فى (يحبك) ، و (يزاد) ، وعلق عليه بقوله : « فى الزوائد : يزاد ، وفى الأصلين « يزد ، فانه مجزوم ، فان كان ما هنا صوابا فقوله (يحبك) أيضا مجزوم » .
ولا داعى لهذا الاحتياط ، والذى فى الأصلين صواب على ما تقضى بـــه قواعد النحو ، قال ابن هشام فى القطر (جوازم المضارع) : « اذا تقدم لنا لفظ دال على أمر أو نهى أو استفهام أو غير ذلك من أنواع الطلب ، وجاء بعده فعل مضارع مجرد من الفاء ، وقصد به الجزاء ــ فانه يكون مجزوما بذلك الطلب لما فيه من معنى الشرط » .

٨ ــ جاء فى آخر التعليق رقم ٥ ص ٥٥ : « .. وفى المسندة : معمر (ابن أبى حبيبة الراوى عن عبيد بن رفاعة) ، ابن معين ، وأصله فى الصحيح بغير ضعفه هذا السياق » .
وهذا كلام غير مفهوم ، صوابه : « وفى المسندة : معمر .. ضعفه ابـــن معين وأصله فى الصحيح بغير هذا السياق » .

٩ ــ جاء فى آخر التعليق رقم ٢ ص ٤٣٠ : « .. قال وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث ، قال عبد الملك بن شعيب بن الليث : وثقه مأمون ورفع من شأنه » . وهذا كلام مضطرب جدا ، صوابه : « .. قال عبد الملك بن شعيب : ثقة مأمون ، ورفع من شأنه » .

١٠ ــ الحديث رقم ٩٧٠ ص ٢٨٥ ، وأوله « الوليد بن بشر عن حصين بن أبى الحر .. » علق المحقق على (حصين) بقولـــه : « لم أقف على حالهـــــا » وواضح أشد الوضوح خطأ ما قال ، وعدم مناسبته ، فهو ابن أبى الحر ، وليس بنت أبى الحر .
١١ ــ الحديث رقم ٣٧٢ ص ١٠٣ ، وفيه « .. أو عند مريض ، أو يتبـــع

جنازة » . علق المحقق على كلمة (يتبع) بقولـــــه « كذا فى كشف الأستـــار والبوصيرى ، وفى الأصلين يتبع » .

ولا جديد يضيفه التعليق ، غير حيرة القارىء لأن ما فى الهامش هو عينه الذى فى المتن ، ولعل احدى الكلمتين (يشيع) والله أعلم) .

١٢ ــ الحديث رقم ٤٢٢ ص ١١٦ :

ورد هذا الحديث فى الكتاب من زوائد أبى يعلى ، ومما تجدر الاشارة اليه أن الحافظ ابن كثير أثبته فى تفسيره أيضا من رواية أبى يعلى عند تفسير الآية « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » من سورة الحديد .

ورواه أيضا أبو داود فى سننه ٣٨٠/٤ (كتاب الأدب ، باب الحد) .

وسأثبت هنا نص الحديث كما هو فى الكتاب ، جاعلا الفروق التى فى ابن كثير وأبى داود فى الهامش اتماما للفائدة ، وتصويبا لما هنا .

« دخل سهل بن أبى أمامة هو وأبوه على أنس بن مالك (١) زمن (٢) عمر ابن عبد العزيز وهو أمير (٣) ، فصلى (٤) صلاة خفيفة (٥) كأنها صلاة مســـافر أو قريب (٦) منها ، فلما سلم قال (٧) : يرحمك الله ، أرأيت هـــذه الصـــلاة ، المكتوبة أم شىء تنفلته ؟ قال : انها المكتوبة ، وانها لصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخطأت منها (٨) الا شيئا سهوت عنه . ان رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم كان يقول : لا تشددوا على انفسكم ، فان قـــوما (٩) شددوا علـــى أنفسهم فشدد عليهم ، فتلك بقاياهم فى الصوامع والديارات (١٠) « **ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم** » أبو يعلى .

وراجع سنن أبى داود ففيه زيادة عما هنا .

كما أنه قد وردت فى الكتاب كلمات كثيرة مضبوطة على غير الوجه ، ولعلها ليست مسئولية المحقق بقدر ما هى مسئولية الطبع .

وبعد ، فلعلى أطلت حتى أمللت ، وعسى أن يغفر لى العالمون من اربـــاب فن الحديث فنحن ما زلنا تلاميذ صغارا فى هذا الميدان ، وقد وجدت الكثيرين من اقرانى وأبناء زمانى منبتا ما بينهم وبين هذا العلم الشريف ، فمن أجل ذلك ، ومن أجل أنه كتاب حديث ، استجزت لنفسى هذه الاطالة .

واختتم بما استفتحت به ، أن ما قلت انما هو وقفات عنت لى ، وليس يزرى بعمل المحقق ، أو يغض من قيمة جهده الكبير ، نسأل الله له حسن المثوبة .

---

(١) فى ابن كثير وأبى داود (دخلت على انس بن مالك) .

(٢) فى ابن كثير : (زمان عمر) ، وفى أبى داود : فى زمان عمر .

(٣) فى أبى داود : وهو امير المدينة :

(٤) فى ابن كثير : وهو يصلى ، وفى أبى داود : فاذا هو يصلى .

(٥) فى أبى داود (صلاة خفيفة دقيقة) وفى رواية ابن داسة له (صلاة ذفيفة ، بالذال المعجمة وفاءين ، اى خفيفة ، وجاءت الكلمة محرفة فى مطبوعة الحلبى لابن كثير (صلاة خفيفة وقمة) .

(٦) فى ابن كثير وأبى داود (او قريبا منها) .

(٧) فى أبى داود : قال أبى .

(٨) فى ابن كثير وأبى داود : (ما اخطأت الا شيئا) ، ليس فيهما كلمة (فيها) .

(٩) اثبت المحقق فى المتن (كان قوما) ، وعلق عليه بقوله (كذا بالاصلين ، ولعل الصواب (فان قوما) قلت وصوابه كما قال ، فهو كذلك فى ابن كثير وأبى داود .

(١٠) فى ابن كثير وأبى داود : الديار .

ركن الموسوعة الفقهية

تحرره : إدارة الموسوعة

فى هذا العدد سنقتصر من ركن الموسوعة على بريدها لان لدينا تعليقا يستغرقه .

بريد الموسوعة :

كان حمل الينا البريد ملاحظات انتقادية مطولة تقع فى ٢٦ صفحة مطباع (ستانسل) من الاستاذ عبد القادر السبسبى (من حلب) بعنوان : « أبحاث علمية حول الموسوعة الفقهية » تضمنت انتقاداته على موضوع الأشربة الذى هو أول موضوع صدر فى الطبعة التمهيدية لموضوعات الموسوعة الفقهية . وكان الأستاذ قبل ارسالها الى ادارة الموسوعة بزمن وزعها على مختلف الجهات والأشخاص فى مختلف البلاد السورية وغيرها من البلاد العربية ، ثم نشرها تباعا فى مجلة « حضارة الاسلام » التى تصدر بدمشق ، وكان آخرها فى العدد ٣ من السنة ١١ فى جمادى الاولى سنة ١٣٩٠ هـ آب ١٩٧٠ م .

ولدى الاطلاع على الملاحظات المذكورة تبين منها بوضوح أن الاستاذ الناقد قد كتبها وهو غير متصور غاية الموسوعة ومهمتها على حقيقتها ، فقد كتبها كما لو كانت الموسوعة مشروع قانون انتقيت مواده من مختلف المذاهب ليصدر بها قانون يبيح من الأشربة اشياء ويمنع اشياء . فهو يقول مثلا : « وعليه يجب الأخذ بما قاله صاحب المحلى . . » (ص/١٦) ولذا قد ينسى احيانا انه أمام موضوع فقهى قسم الكلام فيه الى فقرات بأرقام متسلسلة تمييزا لمقاطع الكلام وتسهيلا للاحالة ، فيسمى فقرات الموضوع (مواد) فيقول تفيد هذه المادة كذا ، أو تقول المادة رقم كذا . . متصورا انه أمام مشروع قانون !! (ص/١٠ فى الملاحظة/٢٠ و ص/١٢ فى الملاحظة/٢٢ وغيرهما) .

— وقال أيضا عما نقلته الموسوعة عن ابن عمر رضى الله عنهما : « اقول ان هذا مذهب صحابى وهو لا يجب تقليده » (ص/١٦) مع ان الموسوعة لم تقل بوجوب تقليده وانما عرضت ما نقل عنه عرضا كغيره ، وليس من مهمتها ان تقول بوجوب تقليد أحد .

— وفى الصفحة (١٧) من ملاحظاته قال الأستاذ الناقد : « على انى أرى الاقتصار على ما رواه الامام الدهلوى وما قال به الامام محمد . . الخ » .

— وقال فى الصفحة (١٨) : « لذلك كان تمسك لجنة الموسوعة بهذا

الحديث الشريف ، تخصيص الخمر فى هاتين الشـــجرتين النخلة والعنبة وعدم تشميله لجميع انواع الخمر مخالفا لما عليه جمهور الفقهاء » .

هكذا يقول مع ان الموسوعة لم تتمسك بحديث دون آخر ، ولا بتشميله أو قصره ولا يحق لها ولا تسوغ لنفسها ذلك . وانما هى ناقلة امينة تعرض مختلف الاجتهادات المعتبرة بترتيب موطأ ميسر تسهيلا للاطلاع ، وممنوع فى نظامها وخطتها على كتاب موضوعاتها ان يدخلوا آراءهم واجتهاداتهم فيها . واذا اقتضت الضرورة العلمية تدخل الكاتب برأيه لايضـــــاح غامض ، أو حل مشكل من النقول ، فلا يكون ذلك فى متن الموضوع بل فى الحاشية مبينا انه من كلام الكاتب أو من ادارة الموســـوعة ، تمييزا له عن الفقه المنقول . وهذا كله معلن فى بيانات الموسوعة عن خطتها .

ويتجلى من ملاحظات الأستاذ الناقد فى محطات نقده كلها انه دائما فى معرض بيان عقوبة شرب المســـكرات ، وعند اختلاف الاجتهـــادات بين اخف واشد ، يوجب على الموسوعة أن تتبنى الحكم الأشد وتقتصر عليه على أساس انه هو حـــكم الشريعة لا غير . والدافع له الى ذلك حرصـــه على مصـــلحة الزجر .

فمن أمثلة ذلك ان الموسوعة نقلت جواز اكل الخل الحاصل بتخليل الخمر عند الظـــاهرية وان كان فعل تخليلها فى نظرهم معصـــية للحديث الوارد فى اراقتها وعدم تخليلها . فقد علق الاستاذ الناقد على ذلك فى الملاحظة (٢٠) من انتقـــاداته بقوله : « اقول : يجب عدم الأخذ بهذه المـــادة (كذا) ما دام اكله يسبب معصية الله تعالى . . » هذا بقطع النظر عن خطئه فى فهم كلام ابن حزم ، فانه لم يقل ان اكل الخل معصية ، بل فعل التخليل ، وميز صراحة بين هذا الفعل وبين جواز الأكل من الخل الحاصل به .

ونحن ــ مع تقديرنا لهذا الدافع الدينى لدى الاستاذ الناقد فى رغبته ان يؤخذ بالأشد الأضيق وينبذ الراى الاجتهادى الأخف او الاوسع ــ لا نستطيع أن نغير من واقع الاجتهادات ، ولا نملك حق حذف بعض منها وتبنى بعض ، بعد أن تـــكون صادرة عن اهلها من ائمة الاجتهـــاد وكبار رجالات مذاهبهم . ولو قمنا بهذا التغيير لسقطت قيمة الموسوعة لدى اهل العلم ، اذ لا يبقى عملا مجمعيا موسوعيا ، او كما يقال بلغة اليوم : (اكاديميا) .

ففى أمثال هذا النوع من الانتقادات نريد ان نقول للأستاذ الناقد : ان له الحق ان يقول هو بوجوب الأخذ براى ابن حزم أو فلان او فلان من فقهـــاء السلف . وكذلك لو أريد مثلا وضع مشروع قانون اسلامى للعقوبات فى بلد ما فلواضعيه الحق أن يختاروا الحكم الأشد فيصوغوه مادة قانونية للتطبيق اذا رأوا المصلحة فى ذلك . اما الموسوعة فليس هذا من شأنها وليس القـــائمون عليها هيئة تشريعية ، ولا موضوعاتها التى تصوغها وتعرضها مشروعات قوانين اسلامية تختار فيها من الاجتهادات فى كل مسألة ما تراه افضل دون ســـواه بمقياسها الخاص فتلزم به الناس ، وانما الموســـوعة كتاب أمين ينقل مختلف الاجتهادات المعتبرة فى كل مســـألة بمنتهى الدقة والأمانة والتجرد ، وبترتيب حديث تسهيلا لمن يريدون الاطلاع على هذه الثروة الفقهية العظمى .

هذا تعليق موجز جدا على احدى الجهات التى يراها الناظر فى انتقادات الاستاذ السبسبى وملاحظاته . وهى ما يتعلق بخطأ تصوره لمهمة الموسوعة ، مع نماذج وأمثلة التقطناها عرضا تعطى فكرة عن سواها !

ولكن فى انتقاداته التى حملها الينا البريد ما يبعد بهده الانتقادات عن جادة الهدف العلمى !

فالمعروف فى أصول النقد السليم العلمى المجرد أن يأتى الناقد بالنص الذى يريد نقده فيعرضه بأمانة دون تصرف فيه ، ثم ينقده كما يشاء . وبذلك يترك المجال للقارىء أن يحكم على بصيرة بين الناقد والمنقود . فليس كل ناقد مصيبا !

غير أن الاستاذ السبسبى قد تصرف فى نقله لكلام الموسوعة فى موضوع الأشربة الذى ينقده . فهو تارة يلخص كلام الموسوعة تلخيصا غير صحيح فيعوض للقارىء عنه خلاصة مشوهة وينقدها ! وتارة يقول إنه يستفاد من كلام الموسوعة فى المكان الفلانى كذا وكذا ، ثم ينقده ، فيفرض على القارىء فهمه هو للكلام المنقود دون عرض الأصل ، لكى يقبل نقده ولو كان خاطئا ! وتارة أخرى ينقل كلام الموسوعة في الموضوع على أساس أنه ينقله بنصه الحرفى ، ثم ينقده ، وهو فى الواقع قد حذف من كلام الموسوعة ما لو اثبته لسقط الانتقاد ، وذلك منه دون أ ى اشارة الى أن هناك شيئا محذوفا ، كوضع نقط فى محله ونحو ذلك .

ولنعرض الآن بعض أمثلة من ذلك بطريقتنا فى النقل الأمين ، وهى أمثلة التقطناها عرضا ومثلها كثير .

(مثال أول) — قال الاستاذ الناقد فى الملاحظة (٢٦) من انتقاداته ما نصه بحروفه :

« الفقرة ٦٢ الى ٦٧ — تفيد هذه الفقرات ان كل شراب يتخذ من غير الكرمة والنخلة هى مباحة .

اقول : ان هذا يفتح بابا للفسق والفجور وشرب الخمور على انها مباحة فى قول ابى حنيفة وابى يوسف . على انه يعجبنى فى هذا الموضوع قول العلامة الكبير الدهلوى رحمه الله ملخصه : ولما كان قليل الخمر يدعو الى كثيره .. الخ » .

ونحن — بعد أن نعجل للقارىء الكريم القول بأن كلام العلامة الدهلوى الذى أعجب به الاستاذ الناقد قد نقلته الموسوعة نفسها فى الموضوع ولم يكن من مكتشفاته — ننقل ما جاء تحت الفقرات (٦٢ حتى ٦٧) المشار اليها من موضوع الأشربة ، ليرى القارىء كيف فهم منها الاستاذ الناقد انها تبيح جميع الخمور المتخذة من غير الكرمة والنخلة ، وتفتح الباب للفسق والفجور . فقد جاء فى موضوع الأشربة ص (٣٨) تحت عنوان : « الفئة الثالثة — الأشربة المختلف فى كثيرها ، والراجح الحرمة مطلقا » ما يلى :

٦٢ — فى هذه الفئة الاشربة المتخذة من غير العنب والنخيل ، فتشمل نبيذ العسل أو التين أو البر أو الشعير أو الذرة ونحوها ، سواء طبخ أم لا (ثم جاء فى بقية هذه الفقرة تعريف النبيذ بمعناه المقصود وهو يختلف عن الخمر كليا) .

٦٣ — وحكم كل شراب من أشربة هذه الفئة الثالثة فى القول المرجوح من مذهب الحنفية ، وهو المنقول عن ابى حنيفة وابى يوسف أنه يحل شربه قليلا كان أو كثيرا اذا شربه الشارب لغير التلهى والطرب ، بل لغرض مشروع كالتداوى لدفع الألم ، أو اساغة الطعام ، أو القوة على العمل وأداء

الواجبات . فان كان الشرب بقصد اللهو والطرب يحرم قليله وكثيره اجماعا . وكذلك يحرم من هذه الأشربة ما يعلم يقينا أو بغالب الرأى انه يسكره هو بذاته وان لم يؤثر فى غيره .. وكلما حرم الشرب وجب العقاب لينزجر الفساق .. واذا لم يجب الحد للشبهة وجبت عقوبة تعزيرية . وهذا هو رأى جمهور فقهاء العراق أيضـــا . غير ان الرأى الراجح المفتى به هو قول محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة ، وهو تحريم القليل من هذه الأشربة .. ويحد من ســـكر منها كما سيأتى بيانه قريبا .

(ثم جاء فى الفقرتين ٦٤ و ٦٥ ذكر الأدلة الشرعية التى اســـتدل بها الفريقان ، وختمت بأن رأى الامام محمد هو الصحيح المفتى به عند الحنفية ، وذكرت أدلته ، ثم فى الفقرة ٦٦ نقلت الموسوعة عبارة العلامة الدهلوى التى أعجب بها الاستاذ الناقد) .

٦٧ ـــ رأى السلف والمذاهب فى المسكرات غير الخمر :

ذكرنا ان الامام محمدا من اصحاب أبى حنيفة يرى ان كل مســكر حرام كالخمر ، سواء أكان قليلا أم كثيرا ، ولكنه لا يرى وجوب الحد على شاربها الا فى حالة الســـكر فقط . وفى غير تلك الحـــالة فالعقوبة هى التعزير . أما المذاهب السبعة الاخرى وائمة السلف فانهم يوجبون مع هذه الحرمة الحد فى القليل منها ـــ كالخمر ـــ ولو لم يسكر منه (ثم ذكر فى بقية هذه الفقرة (٦٧) من يقول بهذا القول من كبار الصـــحابة والتابعين فى التحريم المطلق للقليل والكثير من أشربة هذه الفئة الثالثة وهى فئة الأنبذة) .

هذا كل ما جاء تحت الفقرات (٦٢ حتى ٦٧) سوى ما لخصـــناه بين اقواس أو وضعنا محله نقطا لعدم اى جدوى فى نقله حرفيا ويطول به الكلام ولا يحتمله المقام .

فليحكم القارىء الكريم على فهم الناقد أن ما جاء فى هذه الفقرات يفيد حل كل شراب مسكر متخذ من غير الكرمة والنخلة ويفتح باب الفسق والفجور على مصراعيه !!

(مثال آخر) ـــ فى الملاحظة ٢٦ ص (١٨) من انتقاداته قال الاســـتاذ الناقد ما نصه بحروفه :

« جاء فى الفقرة (٦٧) (أى من موضوع الأشربة الموسوعى) ان الامام يرى ان كل مسكر حرام كالخمر ولكن لا يرى وجوب الحد على شاربها الا فى حالة السكر فقط . واما المذاهب السبعة الأخرى وائمة السلف فانهم يوجبون مع هذه الحرمة الحد فى القليل منها كالخمر ولو لم يسكر منه .. الخ » .

اقول : جاء فى القهستانى ج ٢ ص ١٨٧ ما نصه : (وحاصله ان شرب نبيذ الحبوب والحـــلاوات بشرطه حلال عند الشيخين بلا نيـــة لهو او طرب ، فلا يحد الســـكران منه ولا يقع طلاقه ، وحرام عند محمد فيحد ويقع طلاقه وعليه الفتوى) . ويؤيده ما فى رد المختار ايضا وفى شرح الوهبانية :

وفى عصرنا فاختير حد واوقعـــوا طلاقا لمن من مسكر الحب يسكر
وعن كلهـــم يروى ، وافتى محمد بتحـــريم ما قد قل وهو المحـــرر

وعليه فان ما ورد فى هذه الفقرة بأن محمد لا يرى وجوب الحد الا فى حالة السكر مخالف لهذا النص الفقهى ولما جاء فى شرح الوهبانية » .

انتهى كلام الاستاذ الســـبسبى فى الملاحظة (٢٦) من انتقاداته . وقد

عجبنا من دعواه المخالفة بين ما فى الفقرة (٦٧) من كلام الموسوعة وما نقله من النقول عن القهستانى ، وعن المنظومة الوهبانية (لا شرحها) ، ووضعنا العبارات تحت المجهر لنرى تلك المخالفة التى ادعاها فأعجزتنا رؤيتها . فان قول القهستانى : (فيحد ويقع طلاقه) مرجع ضميره الى السكران السابق الذكر ولا مرجع له مذكور سواه .

فالقهستانى وابن وهبان فى منظومته ميز كل منهما بين الحرمة والحد عند الامام محمد ، وبينا أن تناول القليل من هذه الأنبذة حرام عند محمد . واما الذى يسكر منها فانه يحد عنده ، ويقع طلاقه اذا طلق . وهذا عين ما جاء فى الفقرة (٦٧) من كلام الموسوعة فأين المخالفة ؟!!

فان قيل : فما فائدة الحرمة عند محمد اذن فى القليل اذا كان لا يحد منه ؟

نقول : ان هذا السؤال لا يعترض به على كلام الموسوعة التى نقلت راى الامام محمد بأمانة ، ولكنه يوجه الى راى الامام محمد نفسه . وان الموسوعة قد توقعت هذا السؤال ، ووضعت جوابه ولكن الاستاذ الناقد قد حذفه من كلامها الذى نقله ليفتح بهذا الحذف ثغرة الى النقد !!

ففى الفقرة (٦٧) من كلام الموسوعة الذى نقله الاستاذ الناقد بعد قولها (ولكن لا يرى وجوب الحد على شاربها الا فى حالة السكر فقط) جملة قد حذفها الاستاذ الناقد من بين الكلام — على كبير اهميتها وتلك الجملة المحذوفة — هى : (وفى غير تلك الحالة فالعقوبة هى التعزير) وقد سبق أن نقلناها حين عرضنا مضمون الفقرة ٦٧ فى المثال الاول ومنها يتضح أن جزاء حرمة شرب القليل من هذه الأنبذة غير الخمر عند محمد هو عقوبة التعزير . اما الحد فلا يقام عنده الا على من يسكر منها .

وليس هذا هو المحل الوحيد الذى يعمد فيه الاستاذ الناقد حين ينقل كلام الموسوعة الى حذف الجزء الذى ينص على وجوب العقوبة التعزيرية حين عدم توافر شرائط اقامة الحد فى بعض الحالات فى نظر الفقهاء ، بل تكرر منه ذلك فى أماكن أخرى :

ففى الملاحظة (٢٧) من انتقاداته ص (١٩) قال ما نصه :

« ورد فى الفقرة (٨٢) « اى من موضوع الاشربة الموسوعى » المتعلقة فى البنج والحشيش والأفيون : فان اكل الشخص شيئا من ذلك لا يقام عليه حد الشرب او السكر وان تخدر منه لأن الشرع اوجب الحد بالسكر من المشروب المائع لا الماكول » .

اقول : ان هذا مذهب السادة الحنفية . واما عند الائمة الشافعية فقد وجب اقامة الحد بالسكر الخ .. » انتهى كلامه .

فهنا أيضا حذف الاستاذ الناقد بقية عبارة الموسوعة على اهميتها وكونها قيدا ضروريا ، منعا لتوهم الاباحة من عدم اقامة الحد وتلك التتمة التى حذفها من كلام الموسوعة هى : « وانما يعاقب بالعقوبات التعزيرية الاخرى ، او بالضرب دون الحد الشرعى وفقا لما يراه القاضى محققا للزجر والردع » فقد بتر الاستاذ الناقد هذه التتمة من عبارة الموسوعة واقتصر على جملة عدم اقامة

حد الشرب او السكر !! فحذف من عبارة الموسوعة صمام امانها تمهيدا لمهاجمتها ظلما ، لأنه لو ابقى العبارة كما هى لما بقى مجال لنقدها !

هذه صورة اجمالية مدعومة ببعض الأمثلة الناطقة المفصحة عن طبيعة انتقادات الاستاذ السبسبى لموضوع الأشربة من الموسوعة الفقهية فى طبعته التمهيدية دون تتبع . وهى تعطى فكرة عنهـا كلها ، لأنها جميعا تجرى على نغم واحد .

وقد جاء فى مقدمة انتقاداته هذه قوله : « ولقد لفت نظرى ان هذا الكتيب فيما يظهر عليه انه ليس من وضع لجنة الموسـوعة وانما استكتب من خارج اللجنة ، وجرت عليه بعض التعديلات واخرجته الموسوعة على انه من بعض اعمالها ، وقد استغربت ان تجعل لجنة الموسوعة باكورة اعمالها تبنى موضوع ليس من انتاجها » !!

فهنا لا بد لنا من وقفة على هذا الكلام تنويرا لمن يهمه ان يعلم :

يظهر ان الاستاذ لم يقرأ الملاحظة البارزة التى وضعت آخر الموضـوع فى صفحة مستقلة (ص ٥٦) لفتا للانظار اليها وفيها اعلنت ادارة الموسوعة : « ان هذا الموضوع مما استكتب من خارج جهاز الموسـوعة واجرى عليه فى ادارتها تنقيح كثير وتعديلات اساسية واسعة » . ولذا احتاج الاستاذ الناقد ان يستنتج هذا استنتاجا ، ويسوقه بأسلوب يوحى بأن الموسـوعة اخذت عمل غيرها « واخرجته على انه من بعض اعمالها » !! هذا مع اننا نبهنـا فى تلك الملاحظة البارزة فى آخر الموضوع على ان للموسوعة طريقين تسـلكهما فى تحرير الموضوعات الفقهية : « فبعضها يكتبه اعضـاء هيئة التحرير فى جهاز الموسوعة ، وبعضها يستكتب من خارج جهاز الموسـوعة » اى لقاء مكافأة مالية .

والواقع ان الموسوعة بدأت اعمالها بطريق الاسـتكتاب ، وهى الطريق الأساسية الرئيسية المعتادة فى تحرير الموسوعات العلمية فى العالم . اما وجود هيئة تحرير ثابتة فى مركز الموسوعة فهذا نافلة لجأت اليه الادارة هنا ابتغاء زيادة الجهود . فأى موسوعة علمية فى العالم تبلغ عشرات المجلدات الضخمة تسـتطيع لجنة من بضـعة افراد ان تقوم هى وحدها بكتابتها على تنوع اختصـاصاتها ؟ وهناك فى اقطار العـالم العربى والاسلامى فقهاء ممتازون لا يستطيعون ترك أوطانهم والاقامة فى سواها ، وقد يكونون أعلى كعبا فى العلم والكتابة الفقهية الموسـوعية من سواهم ، فاشراك هؤلاء فى تحـرير الموسوعة يجعلها نتاجا مشتركا تعاون عليه كل ذى طاقة من علماء المسلمين ، وليس نتاج بضعة افراد .

وبعد ، فان ادارة الموسـوعة لا تكره النقد والملاحظـات ، بل هى التى طلبته وطبعت هذا الطلب عبـارة ثابتة على طرة كل موضـوع فى الطبعة التمهيدية . ولكننا لا نستطيع الترحيب بالنقد على غير بصيرة ، بل نريده نقدا بناء . فعملنا ونحن بشر من فرد او لجنة لا يخلو من نقص أو خطـأ او عيوب

ولاسيما العمل المبتكر ،فان العصمة لله وحده . فيجب ان يتعاون النقد البرىء المخلص مع الموســـوعة ليأتى النتاج أقرب الى الـــكمال بقدر الامكان خدمة للشريعة الاسلامية الخالدة وثروتها الفقهية العظمى التى هى أمانة فى أعناقنا .

وهذا العمل الضخم لا ينهض به فرد ولا لجنة ما لم يتعاون عليه القادرون باخلاص من كل اقطار العالم الاسلامى ، مالا وعلما ومجهودا ، كل فى حدود قدرته . وعلى هذا الأســـاس قام هذا المشروع هنا فى الـــكويت ، وعلى هذا الأساس نبتت فى ادارة المشروع فكرة الطبعة التمهيدية لموضوعات الموسوعة رغم تكاليفها الباهظة ، وان الادارة تشكر كل من يتجاوب معها فى هذا الشعور ويهديها ملاحظاته وانتقاداته البريئة ارشادا وتصحيحا وتوضيحا ، لا تشـــهيرا وتجريحا . هدانا الله سبحانه الى سواء السبيل .

العُمرة في رمضان

للعمرة فى رمضان ثواب كبير يساوى ثواب حجة

روى البخارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الانصـــار سماها .. ما منعك أن تجىء معنا ؟ قالت كان لنا ناضح فركبه أبو فلان وابنه — لزوجها وابنها —وترك ناضحا ننضح عليه ، قال : فاذا كان رمضان اعتمرى فيه فان عمرة فى رمضان حجة أو نحوا مما قال (وفى رواية مسلم) قال : فعمـــرة فى رمضان تقضى حجة أو حجة معى .

ولكن يجب أن يعلم ان العمرة فى رمضان وان كان لها مثل ثواب الحج الا انها لا تسقط فريضة الحج عمن عليه هذه الفريضة .

عمرات النبى وزمانهـــا

روى انس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر كلهن فى ذى القعدة الا التى مع حجته . عمرة من الحديبية أو زمن الحديبية فى ذى القعدة ، وعمرة مع العام المقبل فى ذى القعدة ، وعمرة من جعرانه حيث قسم غنائم حنين فى ذى القعدة ، وعمرته مع حجته .

وانما اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة لفضيلة هذا الشهر، ولمخالفة الجاهلية فى ذلك فانهم كانوا يرونه من افجر الفجور ففعله صلى اللـــه عليه وسلم مرات فى هذا الشهر ليكون أبلغ فى بيان جوازه فيها ، وابلـــغ فى ابطال ما كانت الجاهلية عليه .

المــآذن والمحاريب والمنابر الإسلاميّة

تصميمها وطرزها

كان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة هو النموذج الذى احتذاه المعمار الاسلامى لبناء المساجد فى الامصار والولايات الاسلامية على مر الازمان ، فالصحن المكشوف الذى يتوسط المبنى يحيط به رواق من كل جانب ، ونظام الاعمدة التى تحمل السقف اتخذ من المبانى والمعابد القديمة اول الامر ثم استبدلت باعمدة الرخام او الآجر فيما بعد .

وكانت سنة التطور تقضى بتزيين المساجد وتنميقها وزخرفتها حتى تتفق هذه المساجد مع عظمة الدولة الاسلامية وسلطانها الذى امتد من الهند فى الشرق حتى المحيط الاطلسى فى الغرب ، كما ان المساجد عدت بمثابة معاهد للدراسة والعلم ومكانا للتحدث والتشاور فى امور الدولة يلقى فيها الخليفة اوامره وتعليماته ويحث فيها على الجهاد فى سبيل الله ويدعو المؤمنين الى الانخراط فى سلك الجيش للدفاع عن حدود البلاد كما انه يجب ان تحظى المساجد باهتمام الحكام فهى بيوت الله يجدر الاهتمام بها تعظيما لها وتقديرا لمكانتها فى نفوس المسلمين .

المـــآذن :

ولم تكن المآذن معروفة ايام النبى عليه الصلاة وأزكى السلام ، بل كان بلال يؤذن من اعلى سطح يجاور مســـجد المدينة ، ولما فتح العرب دمشـــق وشاهدوا فى معبدها القديم صوامع مربعة الشكل فى الاركان الاربعة للسور الذى كان يحيط بالمعبد ، وجـــدوا فى هذه الصـــوامع مكانا مناســـبا للأذان لارتفاعها عن المبانى ولامكان سماع صوت المؤذن من شرفاتها بوضـــوح ، وقد امر معاوية بن ابى سفيان ببناء اربع مآذن لمسجد عمرو بن العاص (بالفسطاط) فى مصر عام ٥٣ هـ ولا زالت كلمة صومعـــة تعنى مئذنة فى بلاد المغرب حتى الوقت الحاضر .

ومن المآذن الفريدة فى طرازها وضخامتها منارة جامـــع القيروان التى شيدها حاكم القيروان بشر بن صفوان بأمر الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك فى عام ١٠٥ هـ وهى مربعـــة التخطيط وتتكون من ثلاث طبقات يبلغ ارتفـــاع القاعدة ١٨ر٨٧ مترا وارتفاع الطابق الثانى خمسة أمتار والثالث يصل ارتفاعه نحو ٧ر٥٠ مترا وهكذا تصل المنارة الى ٣٩ر٨٩ مترا عدا القبة التى تتوجها .

اما طـــول ضلع القاعـــدة فحـــوالى ١٠ر٦٧ مترا وتميـــل ميـــلا هرميا حتى تصبح فى اعلى الطابق الاول ١٠ر٢٠ مترا وهذا الميل الهرمى يدل على فطنة المعمار الاسلامى وادراكه العلمى الصحيح لاسلوب البناء اذ جعل للبناء نوعا من التوازن السليم يحفظه من السقوط ولا تظهر ظاهرة الميل الهرمى فى

وزخارفها

للاستاذ
محمد الحسيني عبد العزيز

الطابقين العلويين من المنارة اذ يبلغ ارتفاع طول ضلعيها على التوالى ٧ر٥٩م ٦ر١٥م وقاعدة المنارة مشيدة من الحجر وتبتدىء بسبعة مداميك من كتل من الحجر اخذت من الآثار الرومانية القديمة ويبلغ ارتفاع كل من الاربع مداميك الاولى ٤٧سم بعضها نقشت عليه حروف لاتينيه اما باقى المنارة فقد بنيت من قطع منتظمة صغيرة من الحجر سمكها ١٣ر٥سم وتبدو لصـــغر حجمها كأنها مصنوعة من الآجر ، ويصعد المؤذن من داخل المنارة على درج يصعد الى قمتها يلتف حول كتلة مربعة وفى أعلى الطابق الثالث جوسق ارتفاعه ٥ر٤٠م وتعلوه قبة حوالى مترين . ويغلب على بناء المنارة فى العمارة السورية .

ومن روائع منارات المغرب منارة جامع حســـان بن النعمان الرائعة فى مبناها وزخارفها وقد اقيمت فى الجهة الشمالية من المسجد وهى مربعة الشكل طول ضلعها ١٦ مترا وارتفاعها ٥٦ر٥٠م وهى مطعمة من الخارج بحجـــارة زهرية اللون تحولت بفعل المناخ الى اللون الأحمر ، وهكذا فمنارة مسجد حسان من أجمل المنارات فى فن العمارة المغربى .

ومنارة جامع احمـــد بن طولـــون فى القطائع حاضرة مصر الطولونيـــة



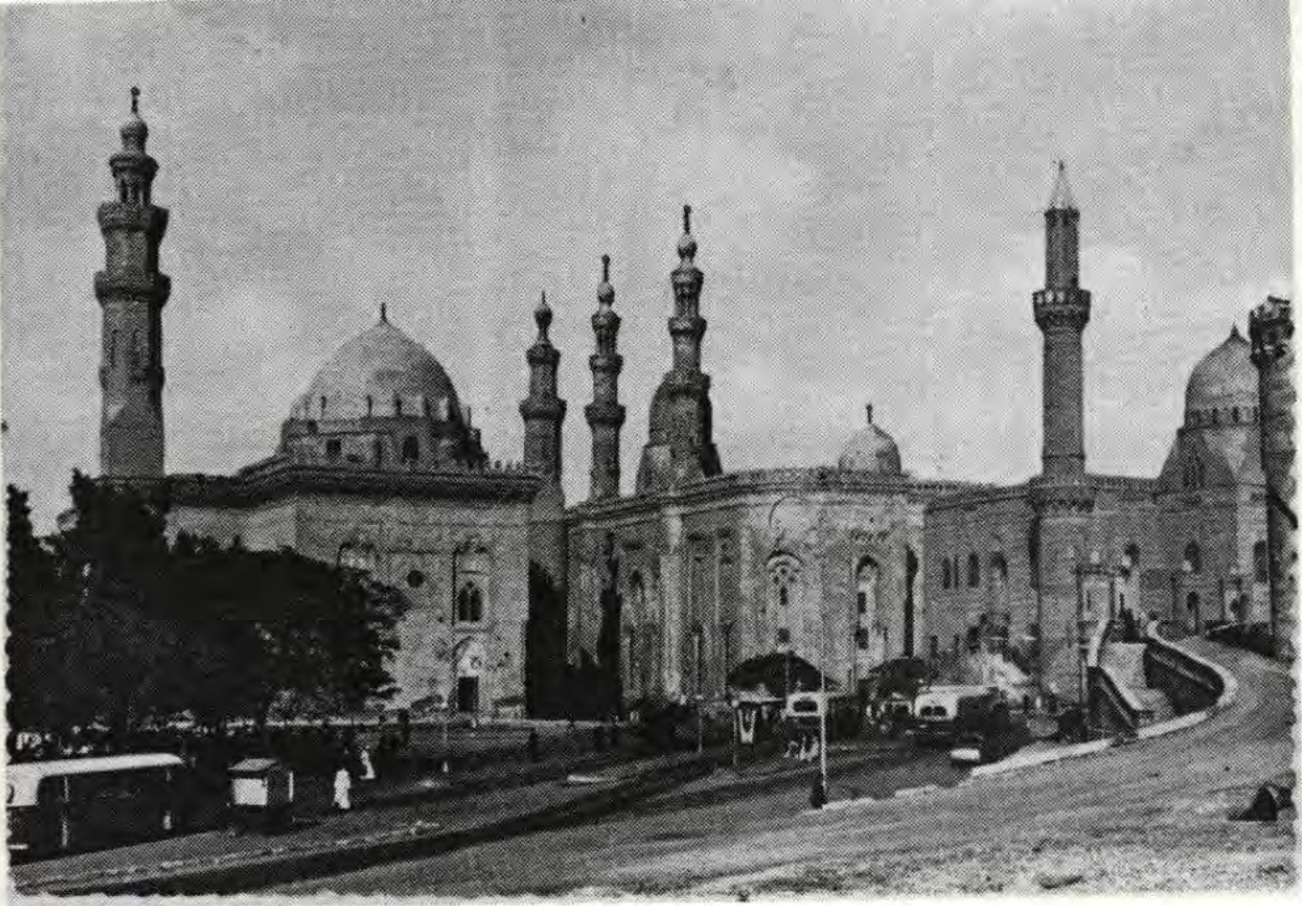
طـراز المـآذن العثمانيـة

فريدة فى طرازها حيث يصعد الى قمتها بدرج حلزونى يدور حولها من الخارج ، والمنارة مربعة المسقط تقريبا (١٢٫٧٨ × ١٣٫٦٥ مترا) وترتفع الكتلة الحجرية السامقة الى مايربو عن أربعين مترا فى روعة وفخامة وتتكون المنارة من ثلاث طبقات يصعد الى سطح الطبقة الاولى بعد ان يرتقي الانسان مائة وسبعين مرقاة ، وتعلو الثانية سابقتها بنحو ستة عشر مرقاة وينتهى السلم الى الطبقة الثالثة التى بنيت على هيئة مبخرة تغطيها قبة مثمنة .

وقد اقتبست هذه المئذنة عن المنارة الملوية التى شيدها المتوكل العباسى بمسجده بمدينة سامرا بالعراق ٢٣٤ هـ وقد أخذت الاخيرة عن المعابد البابلية التى كانت مستطيلة التخطيط غالبا او مربعة ، وطرازها برج مدرج ذو طبقات تتناقص اضلاعها كلما ارتفع البناء وواجهتها عمودية ويصل الصاعد الى قمة الطابق الاسفل عبر سلم خارجي شديد الانحدار والى الطبقات العليا بامتداد هذا السلم ومسقط المنارة مربع ذو مطلع قليل الانحدار يدور حـول البناء فى دورات كاملة حتى القمة .

ومن أروع المآذن الاسلامية وأعظمها منارة مسجد اشبيليـة التى أمـر ببنائها الخليفة ابو يعقوب يوسف عام ٥٨٤ هـ وقد شيدت من الآجر على مثال منارة جامع حسان ومنارة جامع الكتبية بمر اكش ويشهد بناؤها على روعة الفن الاسلامي وجمال زخارفه ويصل ارتفاعها ٩٦ مترا ويصـعد اليها من الداخـل بواسطة ممرات رصفت بالآجر ولها نوافذ وشرفات وتتوجها تفاحات مذهبة تام بصنعها ابو الليث الصقلى .

ولنعد الى منارة جامع قرطبة أول مسجد شيد بالاندلس وكان درة المساجد الاسلامية والنموذج الاساسى الذى احتذاه المعمار الاسلامى فى بناء المساجد هناك ، وقد شيد لمسجد عبد الرحمن الداخل صـومعة (منارة) تتناسب مع حجم المسـجد وقت بنائه ولما تولى الخليفـة عبد الرحمن الثالث (الناصر) عام ٣٤٠ هـ أمر ببناء صومعة عظيمة بدلا من صومعة هشـام التى كانت قد تصدعت وجمع لها شيوخ المهندسين واحضر لها الحجارة الضخمـة وكـان

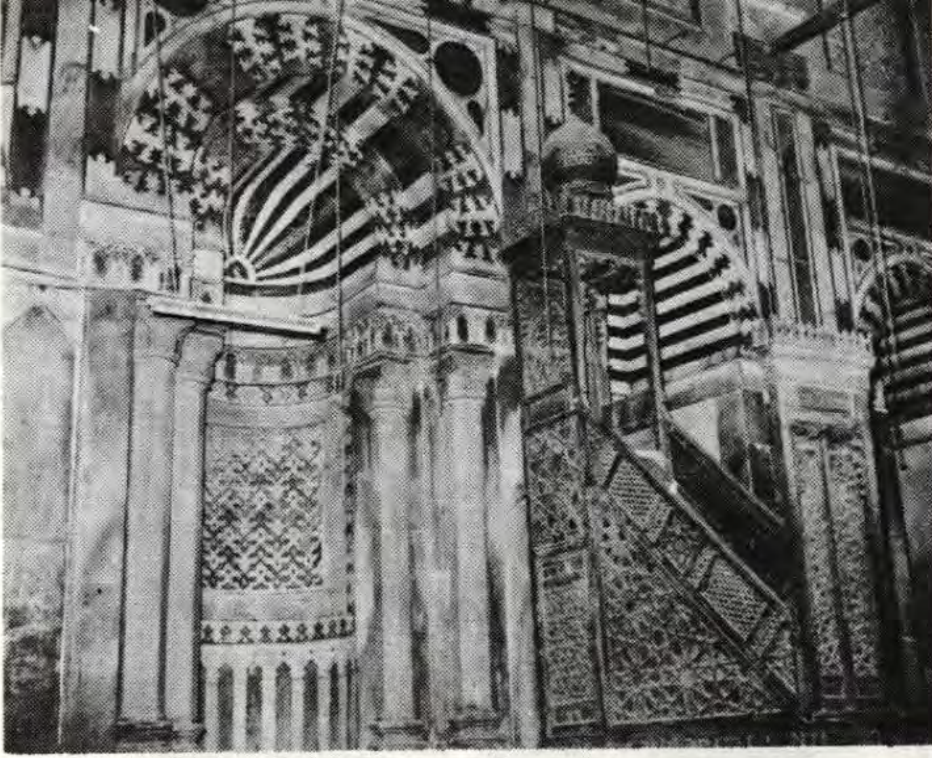


جامع السلطان حسن مآذنة على طراز المملوكى

للصومعة الاولى مصعد واحد لكن المنارة الجديدة ذات مصعدين فصل بينهما بالبناء فلا يرتقى الصاعدون اليها الا عند وصولهم اعلاها ، وكان لكل مطلع منها مائة وسبع ادراج ونصب فى اعلى الصومعة سورا ركبت فيه ثلاث تفاحات تبهر الناظر بجمالها ، السفلى والعليا من الذهب المفرغ والوسطى من الفضة وارتفاع كل تفاحة ثلاثة اذرع ونصف ذراع وكان طول كل جانب من قاعدتها المربعة ٨٤ر٨ مترا وكان نظام بنائها على اساس كتلتين من الحجر موضوعتين بعرضهما بين كتلة طويلة طولها (١٫٥٠ × ٧٠ر مترا) وقد اهتم الباحثون بدراسة هذه المنارة واثبتوا انها كانت ذات نوافذ وعقود متجاورة للغاية يزينها فى محيطها شريط بارز .

وقد امتاز العصر الأيوبى بنماذج جديدة للمنائر حيث تتكون من قاعدة مربعة تنتهى بشرفة مثمنة محمولة على كوابيل خشبية ويعلوها طابق آخر مثمن الشكل واقل ارتفاعا من السفلى ويعلو المنطقة المثمنة صفان من المقرنص (حنية كالمحارة) وفى نهاية المنارة من قمتها قبة لها استطالة راسية مضلعة تعرف باسم المبخرة ونموذج هذه المنارات منارة الصالح نجم الدين أيوب بالقاهرة .

وجاء عصر المماليك البحرية بطراز جديد للمآذن فى مصر فقد تحول أسلوب بنائها فى الطابق الاوسط من المربع الى المثمن والشرفة الجميلة التى تفصل هذا الجزء المثمن الاوسط عن العلوى محمولة على صفوف من المقرنصات والمثمن العلوى اقل ارتفاعا وضلعه اصغر من سابقه وتزخرف اضلاعه الصماء اشرطة افقية من الرخام الملون وينتهى هذا المثمن بشرفة محمولة على المقرنصات (الدلايات) وتعلوها سقيفة مثمنة محمولة على اعمدة رخامية رفيعة يتوجها كورنيش بارز من المقرنصات بقمته نهاية منتفخة .



محراب مسجد محمد على بالقلعة القاهرة



جـامع القيروان

اما فى عصر المماليك الشراكسة (١٣٨٢ ـ ١٥١٦ م) فتتكون المنــارة من مربع يليه مثمن فدائرة ويظهر جمال النسب وروعة الانسجام فى شكل البناء مع رشاقة التصميم وتمثلها منارة السلطان قايتباى بصحراء المماليك فهى تحفــة معمارية من حيث جمال النسب ودقة التفاصيل .

اما المنائر التركية فتمتاز بصغر بدنها وزيادة ارتفاعها حتى اصبحت رفيعة مدببة اشبه بالقلم الرصاص وتتكون كل منها من ثلاث مناطق متعددة الاضلاع تفصلها عن بعضها ! شرفتان محمولتان على صفوف من المقرنصات وتنتهى كل منها فى اعلاها بقمة مخروطية مدببة وقد اقتبست عن سانتا صوفيا ، ويمثلها مسجد السلطان احمد فى اسطنبول ومسجد محمد على بالقاهرة .

وتمتاز عمارة المساجد الفارسية بالمآذن الاســطوانية ، اما الهندية فمآذنهــا اسطوانية أو مضلعة الشكل التى تتخذ شكلا مخروطيا فى أعلاها ويمثلها المسجد الجامع فى دلهى من القرن الحادى عشر الهجرى .

المحاريب :

ولم يكن المحراب المجوف معروفا قبل العصر الأموى حيث اقتبسه المعمار الاسلامى عن المعابد بدمشق وقد ظهر أيام الوليد بن عبد الملك فى مسجده الذى شيده بدمشق كما نقل النظام والأسلوب الى مســجد المدينة ومســجد عمرو بالفسطاط وكان المحراب بسيطا لا نقش فيه ولا زخرفة يتفق مع بساطة الدين فلما عظم شأن الدولة الاسلامية وزاد رخاؤها وكثرت مصــادر خيراتهــا من الولايات والأمصار التى دخلت فى حكمها تفنن المعمار فى تزيين المحراب وتنميقه

فكساه بالرخام المختلف الألوان وطعم اجزاءه بقطع الفسيفساء النادرة ومن الأمثلة على هذا التجديد والتهذيب ما يشاهد فى محراب ابن طولون .

وكانت عناية الفاطميين بالمساجد وتزيين المحاريب بالغة اذ وضح الاهتمام كما يشاهد فى المحراب المعزى الذى شيده القائد جوهر فى الجامع الازهر ، ويمتاز المحراب بزخارفه وكتاباته التى تنطق روعة وجمالا ، فضلا عن زيادة عدد المحاريب فى المســجد ، ومنها المحراب الذى امر الخليفة الآمر بالله الفاطمى بعمله وقد صنع المحراب من الخشب وتزخرفه نقوش وكتبت فوقه لوحة من الخط الكوفى نصها « بسم الله الرحمن الرحيم » « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » مما أمر بعمل هذا المحراب المبارك برسم الجامع الأزهر الشريف بالمعزية القاهرة مولانــا وسيدنا المنصور بن عبد الله أبى على الامام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين فى شهور سنة تسع عشرة وخمس مائة الحمد لله وحده .

كما امر الحكم المستنصر الأموى عام ٣٥٤ هـ ببناء محراب ثالث لمســجد قرطبة وكساه بالرخام المزين كما شيد قبة ضخمة رصعت بقطع من الفسيفساء قام بصنعها فنانون من القسطنطينية .

ونال مســجد ابن طولون عناية الخلفــاء الفاطميين حيث امر الخليفة المستنصر بالله الفاطمى عام ٤٢٧ هـ بتشييد محراب للمســجد وجاء المحراب آية فى الروعة والابداع فى زخارفه وطريقة الحفر ودقتها ، وسجل عمله بكتابة كوفية مزهرة أمر بانشــاء هذا المحراب خليفة امير المؤمنين الامام المســتنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائــه المنتظرين السيد الأجل الأفضل سيف الاسلام شرف الأنام ناصر الدين .

وقد حظى المسجد برعاية احد حكام المماليك حسام الدين لاجين عام ٦٩٦هـ الذى شيد محرابا لمســجد ابن طولون زينه بقطع الفسيفســاء المذهبة وارخ المعمار هذا التجديد للمحراب بهذه العبارة « اقام هذا المحراب المبارك مولانــا السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين سلطان الاسلام » .

ومن المساجد المملوكية مسجد الرفاعى الذى أمر ببنائه ذخيرة الملك جعفر متولى الشرطة ووالى القاهرة ومحتسبها حوالى عام ٥١٦ هـ ويتوســط الجدار الشرقى المحراب الكبير الذى كسى بالرخام الملون كما زين عقده وتواشــيحه بمزررات رخامية ملونة فوقه مقرنص مذهب ، ويقوم على جانب المحراب منبر كبير ، حاشيته موشاة بالعاج والابنوس ونقشت قبته ومقرنصاته بالذهب .

ومن أشهر المحاريب فى صناعتها وزخرفتها محراب السيدة نفيسة الذى يتألف من عدة حشوات مجمعة تضم زخارف نباتية ورسوما هندسية وله اطار يجرى فيه شريط من الكتابة الكوفية كما يجرى شريط آخر حــول حنية القبلة نفسها ، والزخارف النباتية فى هذا المحراب غاية فى الدقة وفيهــا ســيقان ووريقات بينها اوراق العنب والعناقيد مرسومة فى اسلوب قريب من الطبيعة وتتألف زخارف حنية القبلة من رسوم متشابكة وبينها وريقات وفروع نباتية اكبر حجما وهى غنية بالمراوح النخلية واوراق العنب وحباته .

اما محراب السيدة رقية فهو احدى آيات الصناعة وتتألف حنية القبلة فى هذا المحراب من حشوات سداسية الشكل مجمعة بحيث تحصر بينها حشــوة على شكل نجمة ذات ستة اطراف وتزين كل حشوة من الحشوات سيقان نباتية

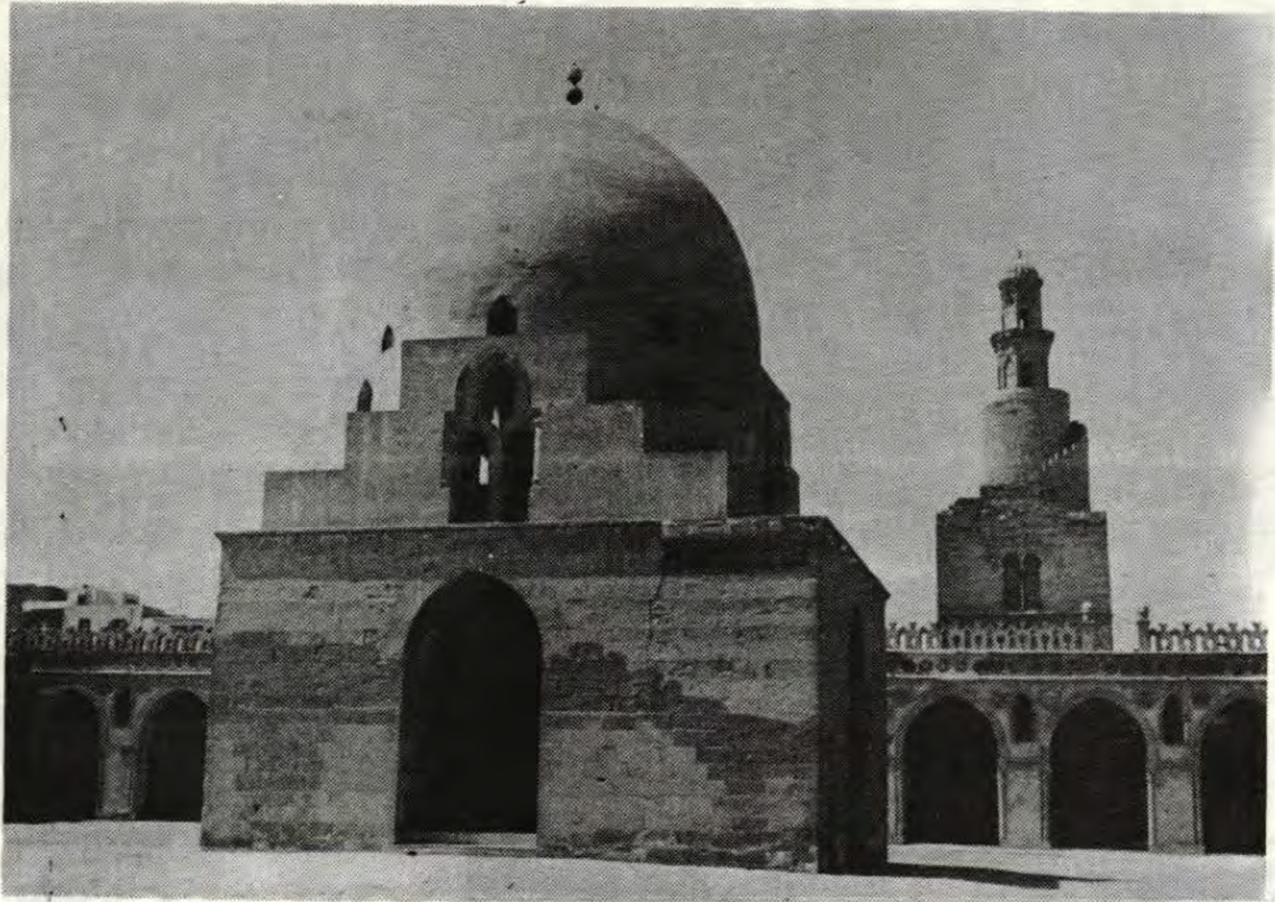


واجهـة محـراب جامـع القيروان

دقيقة فيها وريقات ذات فصوص تحف بها كتابة بالخط الكوفى المورق ، وواجهة المحراب من خشب جيد ومزخرفة بحشوات من الساج وخشب زيتون على شكل نجوم واشكال هندسية كثيرة الاضلاع ووريقات دقيقة ويحيط بالزخارف اطار من الكتابات الكوفية ، وظهر المحراب مزين يتسع حشوات كبيرة بين رسومها تباين جميل فالمعينات والأشـكال النجمية مزينة بفروع نباتية قليلة الحفر بينما الحشوات الأخرى مزينة بأوراق عنب وعناقيد عميقة فى حفرها .

ومحراب المستنصر الفاطمى يتألف من قبلة من الخشب يحف بها عمودان ينتهى بكل منهما بمحمـل وبقاعدة رومانية الشكل ويرتكز عليها عقد فارسـى كعقود الرواق الرئيسى بجامـع الازهر ويحيط بالقبلة شبه اطار فى كـل من جانبيه الايمن والايسر أربع حشـوات من خشب النبق وفيهـا زخارف نباتية ووريقات ذات ثلاث او خمس فصـوص وفوق المحـراب نص بالخط الكوفى « بسم الله الرحمن الرحيم » « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » .

وفى الاندلس الاسـلامية يعد محراب جامع قرطبة النموذج لفن المعمار الزخرفى فقد اهتم المهندس العربى ، وعنى به اكبر عناية لانه أنبـل مكان فى المسجد « فقوسه احكم تقويس ووشمه بمثل ريش الطواويس حتى كانه بالمجرة مفرطق وبقوس قزح ممنطق وكان اللازورد حول وشومه وبين رسومه نتف من قوادم الحمـام أو كسف من ظلل الغمام » وعلى واجهتـه سـبع عقود ثلاثية الفصـوص مزججه دقيقة التكوين والزخرفة يعلوهـا افريزان بين بحرين من الفسيفساء المذهب على أرض الزجاج اللازوردى وتحت هذه العقود افريزان آخران وعلى رأس المحراب خصة من الرخام مشبوكة محفورة منمقة تشـبه



منارة جامع ابن طولون ــ القاهــرة

القوقعة المقلوبة ويؤزر المحراب من واجهته لوحتان جانبيتان من الرخام حفرت فيهما توريقات وتشجيرات غاية فى الجمال والروعة .

ويختلف محراب مسجد محمد على بالقلعة عن الاسلوب الزخرفى البسيط الذى يسود المحاريب التى اقامهــا العثمانيون فى مســاجدهم على حين يزخر محراب مسجد محمد على بالرخام الالبستر حليت طاقيته بزخارف مذهبة تمثل اشعة الشمس يجاوره منبر رخامي جديد بالقرب من المنبر الخشبى القديم وهو اكبر منبر حلى بنقوش بارزة مذهبة .

وعلى هذا النحو تطور المحراب فى أسلوبه وزخارفه فبعد ان كان مسطحا فى عهد النبى والخلفاء الراشدين واوائل العهد الاموى غدا مجوفا رائعا فى زخرفته بديعا فى صنعه كسى بالرخام ووشــى بالفســيفساء المذهبة واحيط بعمودين معقودين ونقشت على واجهته الآية القرآنية الكريمة « كلما دخل عليها زكريا المحراب ... » وتفنن المعمار فى نقشه وزخرفتــه بالكتابات الكوفيــة والنسخية والزخارف البديعة .

المنابر :

كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب فى مســجده الاول بالمدينة وهو مستند الى جذع نخلة وقد اتخذ الرسول الكريم المنبر من خشب الاثل وكانت له

ــ البقية على الصفحة (١٠٤) ــ

ثم نسفوا البيت

تمثيلية شعرية قصيرة



للأستاذ : أحمد حسن القضاة

« المنظر الأول »

المكان : مدينة غزة الباسلة .

المنظر : فدائيان التجآ الى بيت عربى ، بعد أن قاما باحدى العمليات مع زملائهما بالقرب من المدينة . طرقا الباب ليلا ، ولما فتح الباب وجدا شيخا وامراته العجوز اللذين ما أن عرفا الطارق حتى بادرا بادخالهما . ولكن الفدائيين البطلين لا يريدان اقحام نفسيهما على هذين الشيخين من غير أن يطلبا الاذن بالدخول ، ولذا وبعد أن توسطا صحن الدار قال الفدائى الأول :

ايها الشـــيخ الهمـــام   يا ابن ســـادات كرام
نحـــن من قومك نرجـــو   ســـاعة فيها ننـــام
فاذا شـــئت دخلنـــا   أو رحلنا بســـلام

الشيخ (للفدائيين بعد أن عرفهما) :

مرحبا أهلا وســـهلا   بـــكم الحـــق تجلى
ان ما يصـــعب يغدو   فى سبيل الله ســـهلا
فاذهبـــا للنوم حتى   نحضر المـــاء واكلا
راحـــة المتعب أولى

الفدائى الثانى للشيخ :

بارك الله كثيـــرا   فيك يا شـــيخا وقورا
عاشـــت الأمة من تنجب أبطـــالا نســـورا
قد تســـاووا فى البطولات صـــغيرا وكبيرا

يدخل الفدائيان ليأخذا قسطا من الراحة ، وينصرف الشيخان لاعداد الطعام لهما . كانا راضيين بما سيقدمانه من خدمات لمثل هؤلاء الأبطال الذين يذودون عن الحمى ويدافعون عن الديار . ثم يدور حوار بسيط بين الشيخ وامراته :

(الشيخ) :

زوجتى الخير الرضـــية   يا ابنـــة العرب الأبيـــة
أوقدى النـــار هلمى   نصـــنع الزاد ســـوية
عض داء الجـــوع هذين بأنيـــاب قوية
انمـــا الجوع منيـــة

المرأة :

انننـــى طوع الأوامـــر يا ابن أبطـــــال أكابر
ســـوف أمضى بسرور أوقد النــــــار لثائر
وهنيئـــا ومريئـــا زادنا للحـــر حاضر

وبعد ساعة وما أن أخذ الفدائيان قسطهما من الراحة حتى جلس الجميع يتناولون الطعام . وفى أثناء ذلك تحدث دردشـــة وأحاديث .

(الشيخ مرحبا ومحذرا) :

كم أنا جد فخـــور ويواتينى الســـرور
ولقد أثلج صـــدرى وتولانى الحبـــور
يوم أن حل ببيـــتى من رجالات الثغـــور
فــكلا مما رزقنـــا واذهبا قبل (النشـــور)
قبل أن يشرق صـــبح ويعـــم الكون نـــور
عنـــدها يغدو المرور
منفذا نحـــو القبـــور

ثم يقضى الفدائيان شطرا من الليل ويغادران البيت بعد ذلك تحت جنح الظلام عائدين الى قاعدتهما بطريقتهما الخاصة . . وكان هذا دابهما فى أكثر الاحيان .

(ستار)

« المنظر الثانى »

المكان : نفس المكان الأول .

المنظر : تناهى الى سمع جنود الاحتلال الاسرائيلى بأن هذا البيت يؤوى بين الحين والآخر جماعة من رجال المقاومة العرب ، فقرروا نسف البيت بعد عملية تفتيش واسعة فنسفوه على مرأى من أصحابه وقتلوا الزوج الشيخ ، وقبل أن يثنوا بالمرأة دار هذا الحوار بين الضابط اليهودى وبين المرأة العجوز :

انتـــم يا مجـــرمون ويحـــكم ! ما تطلبون ؟
قتـــل الزوج وماذا بعـــده من تقتلـــون ؟
نســـف البيت وماذا بعـــده ، ما تفعلـــون ؟
ويحـــكم يا مجرمون !

يأخذ الضـــابط اليهودى وجنوده العجب لمـــا رأوا من بلاغة المرأة وجرأتها ، ويخاطبها الضابط بمكر وسخرية :

الضابط اليهودى :

اننـــا أهل ســـلام ودعـــاة للوئـــام
فلمـــاذا قد أويتم من ذوى أهل اللئـــام ؟
نبئى قومك لســـنا من حثـــالات الأنام
ودعى هـــذرك نامى

(المرأة بكبرياء وغضب) :

انتـــم شر البـــرية لم توحـــدكم (هوية)
كلصـــوص جمعتهم غاية النهب الدنيـــة
فاســـتحالوا بعد حين لذئاب همجيـــة

كلهم يبغى (الضحية)

يتقدم الضابط نحو المرأة مصوبا بندقيته لصدرها ، بعد أن استفزته بكلامها اللافح فتصرخ العجوز قائلة :

المرأة :

أين أبطـــال الجهـــاد من رجـــالات بلادى ؟
سمع الصـــوت (ولــكن لا حيــاة لمن تنــادى)
عجزت نســـوة قومى أن يلدن اخا جهـــاد
اذا طغى ظلم الأعادى

وهنا يخاطب الضابط المرأة قبل أن يطلق عليها النار بقوله :

الضابط اليهودى (ساخرا وغاضبا) :

أين أبطـــــالك أين لم لم يأتوا الينــــا ؟
كخفــافيش الليــــالى لا يبينون علينــــــا
يا عجوز الســوء هذى (طلقة) تطفح بينـــا
فخذيها وأســـــبقينا

ثم يطلق عليها النار فتسقط مضرجة بدمائها ، وعندئذ يذهب الضابط وجنوده عن المكان .

(ستار)

« المنظر الثالث »

المكان : نفس المكان الأول .

المنظر : تحضر الى مكان الحادث فتاة من نفس الحى بعد ان راقبت ما جرى من نافذة بيتها المجاور . كما يحضر كثير من سكان الحى الى المكان . تحدث جلبة وأصــوات حول الجثتين . تجس الفتاة نبض العجوزين فتجدهما ميتين ، فتبكى وترفع يديها صوب السماء وتقول :

الفتاة :

يا اله الكائنـــــــات يا مجيب الدعـــوات !
أنت تدرى ما نلاقــــى من حثـــالات بغـــاة
ولقد طال شـــــقانا فمتى نصـــرك آت ؟
أو أرحنا من حيــاة !

يسمع الناس صوتا دون أن يتبينوا صاحبه .

(يصحب الصوت موسيقى حزينة)

الصوت :

أيهــا الطـــــالب نصرا قـــل لأقوامك طــــرا
ان نصـــــــر الله يأتى يوم لا تتبـــــع كفـــرا
يوم لا يخرس صــــوت أو يـــكون الحـــق مرا
يوم أن يصـــحوا أهـــلك اذ بلاد العرب سكرى
ويضـــــم الصــف فردا بين أفراده حـــــرا
هكذا الخــــــالق يقضى وهو فى حكمـــه ادرى
غيـــروا (الواقع) حالا تجــدوا عزا ونصـــرا

يتلاشى الصوت .

« ســتار الختام »

ثلاث درجات وكان صاحب الرسالة يجلس على الدرجة الرابعة واضعا قدميه على الدرجة الثانية ولما تولى أبو بكر خليفة رسول الله صار يجلس على الدرجة الثانية على حين كان يجلس عمر بن الخطاب اثر توليه الخلافــــة على الدرجة الاولى واضعا قدميه على الارض .

ولما اتخذ عمرو بن العاص منبرا بمسجده بالفسطاط نهاه الخليفة عمر بن الخطاب وكتب اليه ــ « اما بعد فقد بلغنى انك اتخــذت منبرا ترقى به على رقاب المسلمين ، أو ما يكفيك ان تكون قائما والمســلمون تحت عقبيك فعزمت عليك الا ما كسرته » .

وما لبث النجار العربى أن تفنن فى صناعة المنابر من حشــوات مجمعة ومن أروع هذه المنابر المنبر الذى صنعه بدر الجمالى لمشهد الحسين بعسقلان والذى نقل لمســجد الخليل وزخارف هذا المنبر دقيقة ويمتاز بالفروع النباتية المنقوشة فى مناطق من اشكال هندسية ومن نجوم تتألف من سيقان نباتية بين شريطين لازخرفة فيهما .

ومن التحف النادرة منبر الجامع العمرى بمدينة قوص بصعيد مصر وعليه لوحة من الخشب تشتمل على الآية الكريمة مكتوبة بخط كوفى مورق « بســم الله الرحمن الرحيم » « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » وينسب الى الحافظ بالله الفاطمى .

ومن أبدع المنابر التى تنسب الى القرن السابع الهجرى منبر جامع ابن طولون ومنبر جامع الماردانى والأول من خشــب الســاج والابنوس وزخرفته بالرسوم النباتية وقد صنع بأمر السلطان لاجين أما المنبر الثانى فحشواته من السن وقد تسربت بعض قطعه الى اوروبا لكن لجنة حفظة الآثار العربية تمكنت من شرائه واعادته الى المتحف الاسلامى بالقاهرة .

ومنبر الكتبية فى مراكش غنى بالحشوات ذات الرسوم النباتية الدقيقة والاشكال المختلفة ، وحشواته عبارة عن نجوم مثمنة الاطراف ومعظم الحشوات مثلثة الجوانب وسدايب الخشب التى تحبس الحشــوات مرصــعة بالعاج . والاخشاب الثمينة وعليه كتابات كوفية بسيطة ومورقة وتبدو الثروة الزخرفية فى رسوم الحشوات وقوامها المراوح النخلية ذات العروق الدقيقة .

وقد صنعت بعض المنابر ابان العصر المملوكى فى مصر من الرخام واقدمها منبر مسجد الخطيرى (٧٣٧ هـ) ومنبر جامع آق ســـنقر وهو غنى بزخارفه النباتية ذات الاوراق والعناقيد .

كانت هذه المنابر موضع اهتمام الصانع الفنان المسلم وهب لها عقله وفكره لتكون رائعة فى نقوشها دقيقة محكمة فى صنعها لتليق بمكانة الامام الذى يؤم المصلين ويهديهم الى امور دينهم ويرشدهم الى أقوم الطرق لاكتساب رضاء الله كما انها كانت المكان الذى جلس عليه اشرف خلق الله محمد رسول الهدى فى اول مسجد بالاسلام ولهذا فهى جديرة بعناية الفنان وتشجيع الدولة لقدسيتها .

الفتاوى

ميراث ذوى الارحـــام

الســـؤال :

توفى رجل عن زوجة وبنتى بنته وبنت اخيه الشقيق فما نصيب كل منهم ؟
اسماعيل الدهشان ـ البصرة

الاجــابة :

للزوجة الربع فرضا لعدم وجود فرع وارث بالفرض أو التعصيب ، ولبنتى بنته الباقى من التركة يوزع عليهما بالســوية اذ هما من الصنف الأول من ذوى الارحام ، ولا شىء لبنت الأخ الشقيق لأنها من الصنف الثالث المؤخر فى الارث عن الصنف الاول .



الســـؤال :

توفى رجل عن زوجته ووالدته واخته الشقيقة واخــويه لامه (ذكر وانثى) واخيه لأبيه ، فما نصيب كل منهم ؟

عبد العليم سمهان ـ لبنان

الاجــابة :

للزوجة الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، ولوالدته الســدس فرضا لوجود جمع من الأخوة ، ولأخته الشقيقة النصف فرضا ، ولاخــويه لامه الثلث فرضا بالسوية ، ولا شىء للأخ لاب لاستغراق اصحاب الفروض التركة ، وتقسم التركة الى خمسة عشر سهما توزع على النحو التالى :

الزوجة ثلاثة اسهم ، الأم سهمان ، الأخت الشــقيقة ستة ، للأخوين للام اربعة اسهم بالسوية بينهما .

سيد على ـ ج. ع. م.

الحلف فى الانتخابات

الســؤال :

احد المرشحين لمنصب يتم التعيين فيه بالانتخاب ـ حلف الناخبون على المصحف ان ينتخبوه ، ولا ينتخبــوا المنافسين له ، فحلف بعضهم ثم تبين له ان المصلحة العــامة توجب عليه انتخاب غيره ، فهل يلزمه شرعا التقيــد باليمين ، وانتخاب من حلفه غير الكفء ؟ او يجوز له شرعا ان يحنث فى يمينه ، وينتخب الكفء الصالح .

س. ع. ـ الكويت

الاجـــابة :

نص الفقهاء على أن الحلف بالمصحف يمين لأن المراد به الحلف بما فيه من كلام الله تعالى .

والحنث فى اليمين يوجب الكفارة ، وهى كما قـــال الله تعالى فى سورة المائدة (فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم) .

والحنث فى هذه الحالة مشروع ، بل هو أفضل لما فيه من المصـــلحة ، عن عبد الرحمن بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا حلفت على يمين ، فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك) .

مؤخـــر الصـــداق

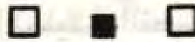
السـؤال :

توفى رجل عن زوجته قبل أن يدخـــل بها ، فما مقـــدار ما ترثه فى مؤخر صـــداقها ؟

ابو فارس ــ دمشق

الاجـــابة :

جميع الصداق المؤجل يحل للزوجة بالوفاة ولو قبل الدخـــول بها ، ويكون دينا فى تركتـــه يؤديه ورثته الى زوجته كسائر الديون التى يجب اخـــراجها من التركة قبل حق الورثة .



التزوج بالملحـــد

السـؤال :

هل يجوز لرجل ملحد ينكر وجود الله تعالى ان يتزوج مسلمة ؟

سعيد السامرائى ــ العراق

الاجـــابة :

اجمعت الشرائع السماوية على وجود الله تعالى فانكار وجوده سبحانه كفر صريح ، وبناء على هذا لا يحل شرعا للمسلمة ان تتزوج هـــذا الملحد ، واذا تم العقد فهو باطل الا أن يعود للاسلام فيجوز له أن يتزوجها بعد توبته .



بريد الوعي الإسلامي

القــرآن

بعث الأخ ســـــليمان التركى من استامبول برسالة يسال فيها عــن اشياء كثيرة تتصل بالقرآن الكــريم وفيما يلى الاجابة على الرسالة :

القرآن كتاب الله المنزل عــــلى سيدنا محمد صلى الله عليه وســلم ومعجزته الكبرى ، وقد نزل فى بضع وعشرين سنة على حسب الحوادث والمناسبات ، واغلبه نزل فى مكــة وضواحيها (٨٥ سورة) ويســمى المكى ، ونزل الباقى فى المدينة (٢٩ سورة) ويسمى المدنى ، واوله نزولا سورة اقرأ) وحكمة نزوله منجمـــا تثبيت قلب الرسول ، وتيسير حفظه وفهمه على المســـلمين ، ومسايرة الحوادث .

والآية جزء من القرآن ذو مبــــدأ ومقطع ، وأطول آية (آيــة ٨٢ من ســـورة البقــرة) ، واقصر آيـــة (والضحى) ورتبت الايـــات بتوقيف من الرسول .

والسورة جزء من القرآن وتشتمل على عدة آيات وجملة السور ١١٤ سورة ، واطولهـــا سورة البقرة (٢٨٦) آية ، واقصرها سورة الكوثر (٣ آيات) .

وترتيب السور كالآيات بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان للوحى كتاب يكتبون ما نزل منه باملاء الرسول على الجلــود والعظـــام والأحجار والجريد والنسيج ، وبقى القرآن فى حياة الرسول محفوظا على هذه الصورة فى تلك الصحف ، وفى صدور عدد غير قليل من الصحابة ، وبعد وقعة اليمامة التى قتل فيهــا عدد من الحفاظ ، ندب أبــو بكــر ــ بناء على اقتراح عمر ــ زيد بن ثابت لجمع القرآن ، وبقيت هـــذه الصحف مرتبة تحت رعاية أبى بكر وعمر من بعده ، ثم أودعت فى بيت أم المؤمنين حفصة ، ولما اتســعت الفتوح ، وتفرق المسلمون فى الأمصار جمع عثمان الصحابة واستشارهــم فى جمع القرآن فى مصحف واحد ، تنسخ منه نسخ ترسل الى الأمصار فأقروه على ذلــك ، وندب لهذا العمل الجليل جماعة من الحفاظ على رأسهم زيد بن ثابت ، وكتبوا عدة مصاحف من المصحف الموجود عنـد السـيدة حفصة وبعثوا الى كل قطر بمصحف واحتفــظ عثمـــان لنفســه بمصحف منها سمى المصحف الامام .

هدايا المجلــة :

شكا الينــــا كثير من القراء فى مختلف الأقطار من أن الباعة يخفون

الهدايا التى توزع مع بعض اعداد المجلة ، ولا يظهرونها الا لمن يدفع لهم الثمن الذى يرضيهم ، وقد احلنا هذه الشكايات الى شركة التوزيع لازالة اسباب الشكوى ، وسبق أن كتبنا فى هذا الموضوع ، واهبنا بالباعة أن يراقبوا الله فى عملهم ، وأن يكتفوا بالربح الحلال ، ولا يأكلوا مال الله ومال الرسول ومال المسلمين ، ولكن يبدو أن بعضهم اعماه حب المال عن القيم والمبادىء .

ونحن نذكرهم بأن كل شىء يأخذونه بغير حق حرام وسحت ، وانه لا يبارك لهم فيه ، وكل لحم نبت من حرام فالنار اولى به .

وعلى الاخوة القراء ان يتشددوا فى طلب هذه الهدايا ، وأن يتعاملوا مع من يرضون دينه وخلقه .

توزيع المجلة :

وهذا سيل من الخطابات يشكو فيها اصحابها من تأخر وصول المجلة اليهم ، وهذه الشكوى هى أهم ما يشغلنا منذ صدور المجلة حتى الآن ، وقد اتخذنا من جانبنا علاجا لهذا التأخير وهو انجاز العدد قبل موعد توزيعه بخمسة عشر يوما ، ومراجعة المسئولين عن النقل والشحن والتوزيع برقيا ، ومع هذا فلا تزال هذه العقبة قائمة ، ونحن ندرك تماما ما مدى تأثير هذا التأخير على التوزيع ، ونشعر بقلق القراء وحرصهم على الحصول على المجلة فى موعدها ، ونرجو أن تذلل هذه العقبات فى القريب العاجل ان شاء الله .

اصحاب السبت :

الأخ فرحان عبد الماجد من البصرة يسال فى رسالته عن سبب تسمية اليهود باصحاب السبت . وفيما يلى الاجابة :

اختار اليهود يوم السبت فى كل اسبوع يستريحون فيه من عناء العمل ويتفرغون فيه لعبادة الله عز وجل ، ولا يزاولون عملا من أعمال الدنيا كالصيد والتجارة والصناعة ، وحدث ان جماعة منهم كانوا يسكنون قرية تقع على ساحل البحر ، وكانوا يشتغلون بالصيد ، فرأوا الحيتان تكثر فى يوم السبت ، ولكنهم لا يصطادونها كما جرت بذلك عادتهم ، فتحركت فى نفوسهم دواعى الطمع والجشع وخرجوا على عادتهم وتعاليم انبيائهم ، ولم يستمعوا الى نصح الواعظين منهم ، وحفروا حفرا كبيرة وصلوها بالبحر فكانت الحيتان تتجمع فيها ليلة السبت ويوم السبت ، فاذا غربت شمس السبت ، وهمت الحيتان بالرجوع الى البحر حجزوها بسدود أقاموها ، وكان ذلك احتيالا منهم ، فعاقبهم الله بزلزال شديد ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « **وسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون . واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون . فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون** » .

بأقلام القراء

كلمة المسلم

يقول الاستاذ عبد الرحمن احمد شادى تحت هذا العنوان :

شهدت بيعة طريفة محزنة ، بدأ البائع الكلام فى ثمن سلعته — وكانت سكينا بسعر مرتفع خمسة وعشرين قرشا ، ثم شرع فى عملية المماكسة والتغابن ، والجدل الطويل ، والأيمان الكاذبة وأخيرا تمت الصفقة بعشرة قروش أخذها البائع وسلم السكين للمشترى ، ولم تنفع الأيمان الكاذبة ولم يجد طول الكلام واضاعة الوقت واظهار المهارة شيئا .. لأن المشترى كان على علم بأصناف السلعة واسعارها قبل أن يتحدث مع البائع ، ثم ادعى بعد ذلك كله ان الصفقة كانت مجاملة فقط (وليس فيها ربح) لأمثاله الفقراء أصحاب المصلحة الواحدة ، وتكليف كل مشتر بأن يكون على علم بما يشتريه وأن يمر على الأسواق ويقضى وقتا طويلا عند التجار ، والا يشترى من أول مرة بل من عاشر مرة تكليف بالمشقة فليس كل انسان عنده هذا الفراغ الطويل الذى يقضيه فى السوق وبين التجار قبل أن يشترى شيئا واذا فعل ذلك مرة فلن يستطيعه كل مرة ، فشغله بالرزق لا يتيح له الفرصة لأن يكون خبير مشتريات فى كل شىء يلزمه .

واذا اشترى لأول مرة وهو جاهل بالأسعار وبالاصناف وفى قلبه شىء من الثقة والطمأنينة وصادف هذا الصنف من الباعة .. فانه حينئذ صيد ثمين يضاعفون له ثمن السلعة ثم يتحسرون حين يكتشفون أنه كان فى الممكن الحصول على ربح أكبر من الصيد الثمين ..

ويدعون أن كل مكسب جاء عن هذا الطريق انما هو من المهارة والذكاء وهذه هى الطريقة الوحيدة للربح فى نظرهم ولا يستطيع تاجر يجلس فى السوق للمكسب ان ينال ربحا الا بها ولو تركها لمات جوعا وعطشا واشتغل طول يومه بمطاردة الذباب وتفقد السلع والتحسر على وقف الحال .

وليس للباطل ارجل فلا بد ان يعلم المشترى ان عاجلا أو آجلا مقدار الغبن الذى وقع عليه والربح الفاحش الذى حصله التاجر منه عن طريق الغش ، والكذب ، والأيمان الباطلة ، وشهادات الزور والظلم ، واستغلال الثقة بين الناس استغلالا سيئا وجهل المشترى ، فهل يعود للتاجر الذى خدعه بعد ذلك أم لا يعود ، انه يفضل أن يذهب الى من لا يخدعه ولو كان (خواجا) على غير دينه لأن كلمته أصبحت مثلا فى الوحدة ، والصدق والايجاز وتقدير الوقت والعدل والبعد عن اللغو الكثير الذى يصحب عمليات البيع والشراء عندنا .

ومن أجل هذا اصبح انصار الكلمة الواحدة الصادقة والمواعيد المنظمة والمعاملة الحسنة أصحاب الحظ العظيم فى دنيا المكاسب والتجارات ، ومن المحزن أن ينظر البائع أو التاجر الى المكسب الكبير فى يوم واحد أو فى شهر

واحد أو فى عام واحد ثم لا يبالى بمكسبه بعد ذلك طول عمره وقليل دائم خير من كثير منقطع .

وان الاسلام حين وصى بالعدل بين الناس ونهى عن الغش ، والكذب ، وخلف الوعد ، والتغابن ، وترويج البضائع بالأيمان المغلظة واستغلال جهل الجاهل وحاجة المضطر اثبت انه دين الدنيا والآخرة معا ، ودين من أراد أن يكون وجيها فى الدنيا والآخرة وكان الأجدر بالمسلم أن ترتبط كلمته بهذه المعانى السامية ليربح ربحا عظيما فى الدنيا لا ليفلس .. الصدق ، والوحدة ، والايجاز وتقدير الوقت ، والعدل بين الناس فمكسبه من الصغير يساوى الكبير ومن الخبير بالسلعة يساوى الجاهل بسعرها واصنافها وكانت هذه المعاملة المثالية الحسنة خير عون على نشر الاسلام والدعوة اليه فان العالم ينظر الى الاسلام من خلال المسلمين وبتعبير آخر من خلال المعانى المجسدة لا المعانى المجردة .

حاجتنا الى التدين !!

وكتب الاستاذ ابراهيم الحسنات تحت هذا العنوان يقول :

يولد البشر جميعا وفى نفوسهم حب كامن للعبادة لا يقل فى قوته وأثره فى حياتهم عن دوافع التعليم أو طلب الماء والطعام لمقاومة الظمأ والجوع وعلى هذا فان عدم اشباع هذه الناحية بتجاهل الشعور الدينى من العوامل الرئيسية التى تحول دون السعادة التى ينشدها البشر ، كما أنه سبب كثير من حالات الاضطراب النفسى ، وقد نستطيع أن نخفى على غيرنا شعورنا الدينى ، ولكنا اذا تعمدنا اخفاءه فى عقولنا الواعية وحاولنا أن نساير الاتجاه العصرى الالحادى لتعرضت نفوسنا لصراع داخلى عنيف اشد خطرا على الأعصاب ، والصحة النفسية ، والجسدية من كبت الغرائز المختلفة ، والكبت الروحى هو علة العلل فى العصر الذى نعيش فيه .. فهو سبب ما يعانيه كثيرون من شقاء ومرارة نفسية برغم ما هيأته لهم المدنية من رغد ، وترف ، وبرغم ارتفاع مستوى المعيشة ارتفاعا ملحوظا بالقياس الى معيشة آبائهم وأجدادهم .

ان انكار الجانب الروحى يؤثر فى (فلسفة) الناس وسلوكهم فى الحياة ، فهو يحفزهم الى الشعور بتفاهة الغرض الذى من اجله يعيشون ويعملون ، والى الاعتقاد بعجزهم عن وقاية انفسهم وذويهم من المصائب والاخطار المحدقة بهم ، مما يبعث فى نفوسهم القلق والفزع . وهو يجعلهم بذلك يسلمون زمام حياتهم الى (الغالبية) لتحدد لهم أهدافهم ونظام حياتهم كما أنه يؤدى الى عدم المبالاة بشعور الآخرين والاستهتار بالمبادىء السامية وبذلك كله تصبح الحياة لا قيمة لها ولا مغزى وتمتلىء النفس البشرية يأسا ومرارة وضيقا ..

اننا نعيش اليوم فى عصر مضطرب ، فنحن لا نخلص من حرب حتى نستعد لحرب أخرى .. ومن العسير على اكثر الناس أن يواجهوا كوارث الحروب وما تثيره من فزع واضطراب بغير عقيدة دينية صحيحة قوية ، تعينهم وتشجعهم وتواسيهم . واذا كان من السهل على البشر فى عهود الدعة والسلام أن يتخيلوا أن فى وسعهم الاستمتاع بالحياة بغير معان سامية ترفعهم عن مستوى الحيوانية الكامنة فى نفوسهم ، فان ذلك متعذر الآن .



قالت صحف العالم

مهمة الصحافة الاســـلامية

وأجاب الاســـتاذ عبد الــرحمن الفارس وكيل وزارة الاوقاف والشـــئون الاسلامية المساعد عن أسئلة وجهتها اليه مجلة البلاغ الكويتية فقال عن القضية الفلسطينية .

قضية اسلامية اولا واخيرا ، بالأرض المغتصبة ارض الاسلام ، والمخرجون منها مسلمون ، والمقدسات التى أحرقت اسلامية ، والأقطار والشـــعوب المهددة بعد ذلك قلب الاسلام .

والقضـــية من الجانب الآخر ، يهودية ، فاسم الدولة التى كونها الغازون « اسرائيل » وهى اسم دينى لنبى من الأنبياء ، والأرض المحتلة انما اغتصـــبوها بحجة أنها ارض الميعاد ، والدار التى يرسمون فيها سياستهم سموها (الكنيست) والمسجد الأقصى أحرقوه ليبحثوا عن هيكل ســـليمان ، وكل يهودى لا يهاجر الى فلسطين خارج عن اليهودية .

فالعدو ينظر اليها نظرة دينية ويتحرك ويتجمع ويحارب فى مجال العقيدة اليهودية التى تملى عليهم ، ان الرب منحهم هذه الأرض ويجب أن يفهم المسلمون أن معركة فلسطين معركة اســـلامية فعلا لا قولا ، اســـلامية فى ميدان الحرب لا على فحسب .

● وعن واجب الصحافة الاسلامية ــ قال :

● يجب أن نبحث عن الصـــحافة الاســـلامية اين هى ؟ هل نســـمى هذه المجلات التى تصدر فى بعض البلدان الاسلامية صحافة اسلامية تســـتطيع أن تقف فى وجه العدو وتفضحه وتفضح مخططاته ؛ ان ما يصدر من هذه المجلات محدود فى كل شـــىء فى عدده وفى مادته وفى وريقاته فى تحريره وفى الكمية التى تطبع وفى القراء الذين يقرأون ، أين دور النشر الاسلامية التى تصدر عنها مجلات اسلامية عالمية تطبع الملايين من النسخ ، وبمختلف اللغات ، ويقوم على تحريرها محررون مسلمون عالمون بأساليب الصحافة الحديثة ؟

ان للعدو صحافة تصدر فى اسرائيل ، وتصـــدر فى العالم الاجنبى كله ، وتطبع بمختلف اللغات ويقرؤها ملايين الناس ، ومع هذا فاننا لا نســـتطيع أن ننكر الدور الذى تقوم به صحافتنا الاسلامية الحالية فى حدود الامكانيات المتاحة

فمن الواجب اذن على الصـــحافة الاسلامية المخلصـــة فضح المخططات وأساليب اعداء الاسلام بشتى صورهم وخاصة العدو اليهودى الحاقد الذى هو من وراء كل طعنة توجه للاسلام والمسلمين .

ان مهمة الصحافة تطورت تطورا كبيرا فى العصر الحديث ، فهناك صحافة عالمية تعنى بالبحوث المختصـــة وهناك صحف تربوية ضخمة ، كما توجد صحف اخبارية ، وصحافتنا الاسلامية يجب أن تساير هذا التطور فتعنى أول ما تعنى بشرح العقيدة، وتغرس الايمـــان فى قلوب الشـــباب مع الدفاع المخلص عن المسلمين وما يلاقونه من الوان العذاب والتشريد وخاصة فى الدول التى يمثلون فيها الاقلية .

حضـارة الاســـلام

ليس بالأمانـــى . . . .

تحت هذا العنوان كتبت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية فى افتتاحيتهـا تقول :

ان من الحماقة البلهاء ما يكون من تجاهل أو تغـافل عما به كان التحول فى حياة أمتنا منذ بعثته عليه الصلاة والسلام حين بلغت رســالة الوحى وهى وهى تتلمس طريقها فى الظلام ، فلقد كان أمر الوحى نقطة البدء فى هذه المرحلة الخطير فى حياة أمتنا منذ بعثته عليه الصلاة والسلام حين بلغت رسالة الوحى هو من عند الله وليس من عند نفسه كان اعلان تحول جذرى من حيث مفهومات الحياة ، والمقاييس التى ينبغى أن يقيموا عليها وجودهم بين أمم الأرض ، والمعايير التى بها توزن أقدار الرجال حتى صـــدق فيهم قول النبى عليه الصلاة والســـلام **« الناس معادن فخيارهم فى الجاهليه خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا »**

وأبرز مافى الموضوع أن تلك المقاييس بالاضافة الى ماصنعت فى اصلاحهم وتوجيه طاقاتهم وأهليتهم الوجهة الرشيدة ، وتنمية كيانهم فى ظل الهداية الربانية المشرقة جعلتهم فى حال تحفز دائم لأن يخرجوا على واقعهم قبل الرسالة ، وكان ذلك والحمد لله ، فبجانب الاصلاح الداخلى استطاعوا أن يكسروا القيد الذى ضربته عليهم غطرسة الفرس والرومان بل ورثوا أرضهم وديارهم ، ونقطة البدء هذه جعلت من العربى صاحب رســالة يتطلع من خلالها الى ما وراء الحدود ، ويقوم بميزاتها تلك العقائد المثقلة بالخرافة وتعطيل العقــل عند أولئك الاقوام فضـــلا عما كان عند بنى جلدته الذين يســاكنهم ويعيش معهم من تلك العادات والتقاليد الموروثة المتدحرجة مـــع الزمن ارثا عن الآباء والجدود ، والتى أناخت بكلكلها الجاهلى ردحا من الزمن حتى أكرم الله هذه الأمة بالاسلام ، وحمل العرب رسالته الى العالمين .

والذى يرصد التحرك الاسلامى الواعى يوم كان المســلمون على الطريق يرى كيف أن الرسالة بصرت الأمة بالخط المســتقيم الذى يفضح كل الـــخطوط المعوجة ، ويكشف الأقنعة عن وجوه أصحابها ، ولقد علمنا الله كيف نحمده على هذا وهو أهل المحامد كلها فقال **« الحمد للـــه الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعـــل له عوجا . قيما لينذر باسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم اجرا حسنا »** والحق أن هذه المرحلة كانت رحلة جديدة علـــى طريق الانسانية التى عانت من ظلم الانســـان لأخيه الانسان ، وغرقت فى بحار مظلمة من الوهم والخرافة والتقلب على أشواك الضياع .

ومن هنا كانت محاولة زعزعة الايمان واقصاء المســلم عن ساحة الاعتقاد الصحيح من الأمور التى تشكل المرتكز الاساسى فى منهج أعداء الأمة .

ولقد يتهيأ المناخ المناسب من طريق امتصاص الشعور الاسلامى والتطلعات الضائعة بقضايا عاطفية جانحة ، ناهيك عن تشوية الحقائق وعرض القضـــايا من وجهة النظر الخبيثة الماكرة وما أسواها حالا أن يستخدم ذلك عند الحكم على الماضى ، ويتخذ سياطا يقود فلســفة الوقائع ، ويرسم طريق المســتقبل للفرد والجماعة .

ولو رحت تتلمس ذلك فى المجـــالات الفكرية وغير الفكرية لهـــالك الأمر وادركت أننا حين نتغافل عن ذلك ونغمس رؤوسنا شأن النعامة فى التراب نكون كمن يريد أن يفكر من أخمص قدميه وما هو بفاعل .

العالم الاسلامي

اعـداد : عبد المعطى بيومى

الكـويت : رأس سمو امير البـلاد المعظـم الوفد الذى اشترك فى تشييع جنـازة الرئيس جمال عبد الناصر وقد اعلن الحداد فى الكويت لاربعين يوما وعطلت المصالح الحكومية يوم تشييعه واقيمت صـلاة الغائب فى جميع مساجد الدولة وخرجت المسيرات الشعبية فى موكب حزين ..

● بدأ مجلس الأمة دوره العـادى الخامس المكمل للفصـل التشريعى الثانى يوم ٢٠ من شعبان الماضى .

● وجه سفير العربيـة المتحدة كلمـة شكر الى سمو أمير البلاد المعظم وسمو ولى العهد والوزراء والشعب الكويتى على شعوره بمشاركة المتحدة بوفاة الرئيس الراحل .

● درس مجلس الوزراء عددا من المذكرات التى قدمتها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تقترح فيها تقديم مساعدات مادية لبعض الجمعيات الاسلامية كما درس احتياجات هذه الجمعيات .

● صرح معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية بأن مشروع الموسوعة الفقهية يسير على خير مـا يرام وأن الوزارة قامت بتـوزيع ١٢٠ ألف مصحف وكتاب اسلامى فى افريقيـا وجنوب شرقى آسيا ..

● استقبل معـالى وزير الاوقاف والشئون الاسـلامية فى الشهر الماضى رئيسـة جمعية المسلمين فى تايلاند .. كما استقبل نائب رئيس جمعية المسلمين فى الارجنتين .

● دعت وزارة الاوقاف والشئون الاسـلامية عددا من كبار العلماء والمفكرين والمقرئين فى موسمها الثقافى لهذا العام خلال شهر رمضان المبارك .

القـاهرة : فى السابع والعشرين من رجب ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠/٩/٢٨ م) انتقل الرئيس جمال عبد النـاصر ـ فجـاة ـ الى رحاب ربه متاثرا بسكتة قلبيـة ، واثارت وفاته كثيرا من الحـزن والاسى ، وقد ودعته الامة العربية والاسلامية الى مثواه الاخير يوم الخميس ٣٠ رجب ١٣٩٠ هـ ، وسار فى جنازته زعماء العرب وممثلو دول العالم وحوالى ٥ ملايين شخص من مصر والدول العربية .

● انتخب السيد أنور السادات رئيسا للجمهـورية ، وقال فى وفد أزهرى ان الأصـل أن أسعى الى الازهر لا أن يسعى الأزهر الينا وقد أقسم على مواصلة الجهد لتحرير جميـع الأراضى العربية المحتلة ، كما أقسم على أن يحافظ على حقوق شعب فلسطين .

● أبدى الدكتور عبد الحليم محمود وكيل الأزهر استعداد الأزهر لتقديم المنح الدراسـية وايفـاد المدرسين والوعاظ من علمـاء الأزهر الى أوغنـدا وذلك حين زاره القـائد العام للقوات المسلحة الأوغندية .

السعودية : زار البلاد ضمن جولة فى بعض الدول العربية والاسلامية وفد من المركز الاسلامى فى الارجنتين بهدف تدعيم الصلات الثقافية بين المراكز وهذه الدول فى خدمة الدعوة الاسلامية .

● قرر مجلس الجامعة الاسلامية فى المدينة المنورة توزيع المنح الدراسية لهذا العام وعددها ١٠٥ منحـة على ٤٩ دولة اسلامية .

● تواصل رابطة العالم الاسلامى اجتماعاتها فى دورتها الثانية عشرة منذأوائل الشهر الماضى

الأردن : تواصل اللجنة العربية العليا المنبثقة عن آخر مؤتمر قمة عربى مراقبتها لوقف اطلاق النار واشرافها الفعلى على تنفيذ الاتفاق بين الحكومة والمقاومة الفلسطينية .

العـراق : قررت الحكومة العراقية فتح مركز تجارى عراقى فى صنعاء وتتخذ الاجـراءات اللازمة لاقامة هذا المركز .

● ستجرى قريبا مباحثات بين العراق وكل من السودان والمغرب لعقد اتفاق اعلامى بينما تجرى مفاوضات من هذا القبيل منذ عام بين العراق والاردن .

سوريا : تقرر تأجيل مؤتمر الأدباء العرب الذى كان مقررا عقده فى ٣ أكتوبر (تشرين ١) الماضى الى الربيع القادم لعدم وصول الأبحاث والدراسات المطلوبة للمؤتمر .

لبنان : شكل السيد صائب سلام أول وزارة فى عهد الرئيس الجديد .

السودان : أصدر اللواء جعفر نميرى بيانا الى الشعب المصرى عقب وفاة الرئيس جمال عبد الناصر قال فيه : – لن نخونكم يا أبناء مصر ، ولن نخذلكم سنحارب ان حاربتم ونسالم ان سالمتم وأكد أنه سيظل وفيا لكل عهد قطعه مع الرئيس عبد الناصر .

جمهورية اليمن : أنهى المجلس الوطنى وضع مسودة الدستور اليمنى على ضوء الكتاب والسنة وسيتم انتخاب الشعب لأعضاء مجلس الشورى قريبا .

● تقرر انشاء كلية للتربية كما تقرر انشاء كلية للشريعة تابعة لجامعة الأزهر .

ليبيا : أصدر الرئيس معمر القذافى بيانا دعا فيه الى الانتصار على الحزن لوفاة الرئيس عبد الناصر ونبه الى الاخطار المحدقة بالامة .

تونس : عقد فى الشهر الماضى مهرجانان دينيان لحفظ القرآن الكريم وقد ألقيت فى كل مهرجان الكلمات ثم وزعت الجوائز على الفائزين فى حفظ القرآن الكريم .

● أكد وزير التربية التونسى أن غاية الحكومة من رفع مستوى التعليم الدينى تخريج مفكرين وفلاسفة فى التشريع . وأعلن أنه ابتداء من السنة القادمة سيتم انشاء مساجد فى جميع المعاهد الثانوية .

المغرب : ندد السيد أحمد الكتانى مندوب المغرب الذى انتخب رئيسا للجنة حقوق الانسان (بالأمم المتحدة) بالتمييز العنصرى الذى تمارسه اسرائيل فى الأرض العربية المحتلة .

باكستان : قال البروفسور غلام أعظم أمير الجامعة الاسلامية فى باكستان الشرقية أن التضامن الاسلامى هو الطريق الوحيد لاستخلاص بيت المقدس وجميع الأراضى الاسلامية التى تحتلها اسرائيل .

الهند : حث أعضاء البرلمان المسلمون السلطة على عدم اجراء اى تعديل على وضع الجامعة الاسلامية فى عليكرة وأكدوا ضرورة الابقاء على ميزتها الاسلامية .

ماليزيا : تعهد الامير عبد الرحمن أمين عام المؤتمر الاسلامى ببذل أقصى الجهود للمهمة الخطيرة التى أوكلت اليه من قبل الدول الاسلامية لاقامة مؤتمرها عملا لايجاد الوحدة الاسلامية .

● اقترح الامير عبد الرحمن انشاء مصرف اسلامى تساهم فيه الدول الاسلامية ويشرف على تمويل المنشآت فى العالم الاسلامى .

أندونيسيا : عقد فى الشهر الماضى مؤتمر اسلامى فى باندونج حضره مندوبون عن ٢٠ دولة اسلامية .

اخبار متفرقة

البرازيل : افتتحت الجالية الاسلامية فى البرازيل مدرسة اسلامية لتعليم أبناء الجالية تعاليم دينهم ولغة قرآنهم .

كاليفورنيا : يقوم مركز دراسات الشرق الادنى بجامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة بنشاط واسع فى هذه الايام لالقاء الضوء على الحضارة العربية والاسلامية .

لوس انجلوس : يجرى انشاء المركز الاسلامى بلوس انجلوس بمساهمة مالية من الكويت ومساهمة بالخبراء والفنيين من العربية المتحدة ومساهمة ببعض المواد من تركيا .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة .

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان .

بغداد : المؤسسة العامة للصحافة والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيذ فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

حضرموت : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) المكلا .

دبى : مكتبة دار الحياة ص. ب ١٨٨٤ .

مسقط : المكتبة الحديثة / يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ صب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

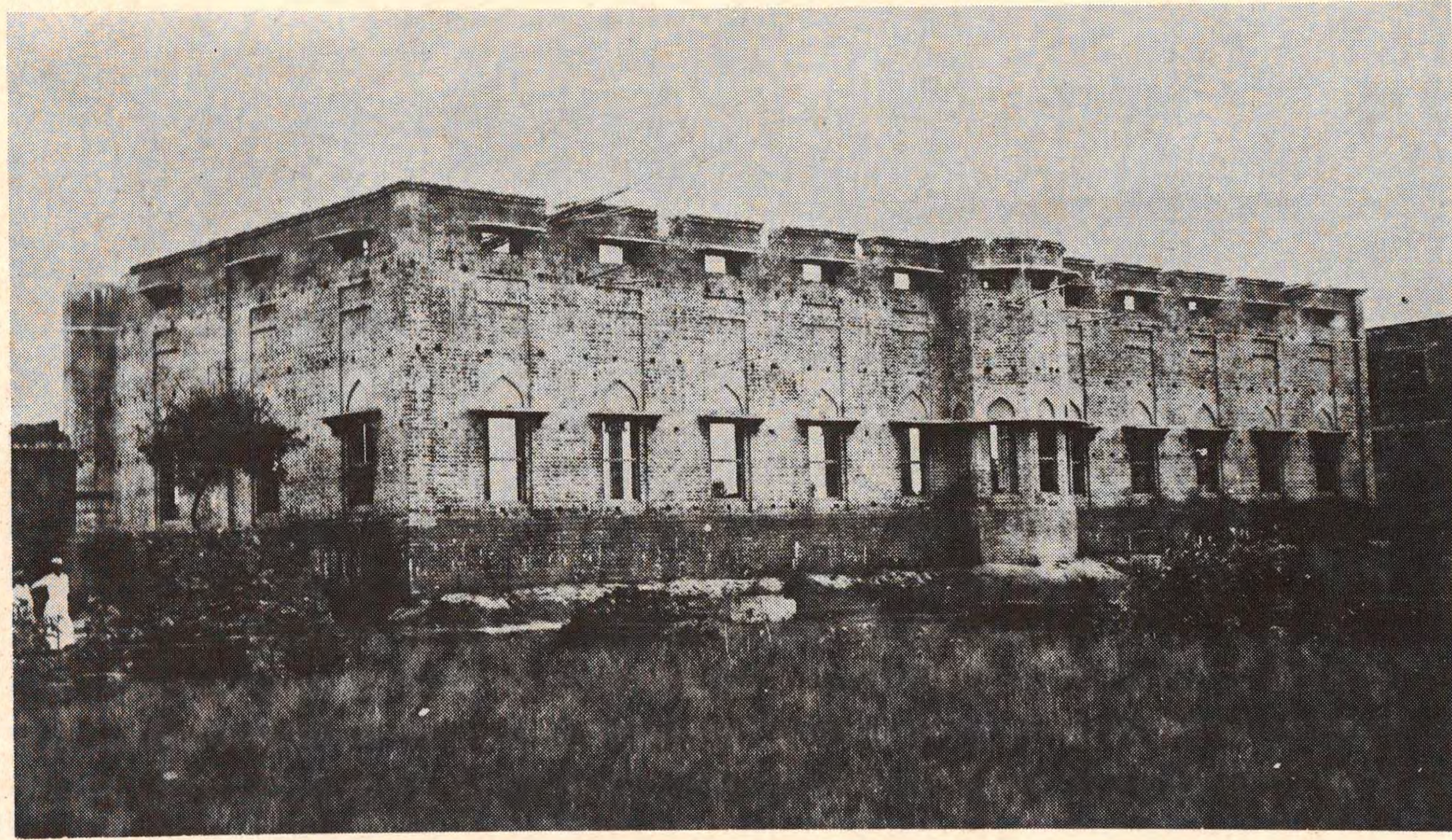
مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد السبعون ـ شوال سنة ١٣٩٠ هـ ـ ٢٩ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٧٠ م





مسجد جامعة الفلاح بلوياكنج مديرية اعظم كر « الهند



مســجد الأشرفية بجبل الأشرفية بعمــان . بناه أحد المسلمين الاغنياء ويعتبــر هـــذا المســجد مــن أحدث المســاجد فى الأردن وأجملها موقعا ، وأعظمها روعة وفنا .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العـــدد السبعون

شـــوال سنة ١٣٩٠ هـ

٢٩ نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسـياسية

الثمن

الـكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريـال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر	دينـار وربع	
المغرب	درهم وربـع	
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الـكويت ١ دينـار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافراد فيشـتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشـاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ــ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

أعيادنا الإسلامية

تتنوع اعياد الأمم والشعوب من عهد الى عهد ، وتتغير أسماؤها ، وتعدل مواعيدها من مناسبة الى مناسبة ، وتكثر وتقل ، ويزاد فيها ، وينقص منها مسايرة للأحداث ، أو مجاراة للأهواء ، وتتأثر مراسيمها وتقاليدها بتطور الزمن وتغير الأفكار .. أما أعيادنا الاسلامية الأصيلة فهى ثابتة مذ كانت لا تتغير اسماؤها ، ولا تعدل مواقيتها ، لا تطور شعائرها ، ولا يزاد فيها وينقص منها لأنها مرتبطة بعبادة من العبادات الالهية . أصيلة أصالتها ، ثابتة ثباتها ، مشروعة شرعيتها ، وهذا هو الفرق بين ما صنع الله ، وبين ما صنع البشر .

تقوم دولة من الدول فى مكان ما من الارض ، فتكون لها أعيادها ، وتسقط هذه الدولة وتقوم مقامها اخرى ، فتلغى من الأعياد ما تشاء وتثبت ما تشاء ، وتزيد ما تشاء ، ويسود نظام من النظم جماعة من الجماعات ، فتكون له أعياده ، ويسقط هذا النظام ، ويحل محله نظام آخر يخالفه او يناقضه ، فيلغى اعياد سابقه ، ويقيم أعيادا جديدة ، ويتولى عظيم من العظماء ، فتكون ولايته عيدا ، وتنتهى هذه الولاية بموته أو بتنحيته ، ويتولى سواه فيتخذ لنفسه عيد آخر يفرضه على المحكومين .

وتختلف مراسم الاحتفال بالأعياد من شعب لآخر ومن عصر لعصر ، فآنا مواكب الخيل المطهمة ، وحينا عرض للدبابات ومظاهر القوة ، وحينا آخر اطلاق المدافع الفارغة والسهام النارية .

اما اعيادنا الاسلامية الأصيلة ، فلا صلة لها بعظيم من العظماء أيا كان مبلغه من العظمة لا بولادته ، ولا بولايته ولا بموته ، ولا ارتباط لها بقيام نظام من النظم البشرية المتغيرة المتضاربة ، ولا بتخليد موقعة من الوقائع الحاسمة

ولا تسجيل فتح من الفتوحات ، وشعائر أعيادنا هى هى لم يطـرأ عليها تغيير ولا تحوير .. نشيد علوى سماوى : الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر كبيرا . لا اله الا الله . والله أكبر الله أكبر ولله الحمد .. وصـلاة جامعة محدودة المعالم . ثابتة الاقوال والأفعال بعـد ارتفاع الشمس ، وخطبتـان مناسبتان بعدهما .

اعيادنا الاسلامية الأصيلة : عيد الفطر وعيد الأضحى ، لم يزد عليهما ، ولم ينقص منهما ، ولم تتغير معالمهما وشعائرهما منذ ألف وثـلاثمائة وتسعين سنة حين قدم رسول الله صلى الله عليـه وسلم المدينـة ، فوجد الأنصـار يومين يلعبون فيهما ، فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : يومان كنا نلعب فيهما فى الجاهلية فقال : قد أبدلكما الله بهما خيرا منهما : يوم الاضحى ويوم الفطر .

عيدان اثنان . لا يزيدان ، ولا ينقصان . للأمة الاسلامية كلها . أيا كان مقامها فى أرض الله ، وأيا كان وجودها فى أيام الله .. عيـد الفطر ، وهو أول يوم بعد رمضان يفرح فيه المسلم الصائم فرحتين : فرحة القيام بواجب الطاعة لله ، وفرحة الفوز بجائزة الله له على هـذه الطاعـة ، وهى جائزة فوق كل تثمين وتقدير ، يحدثنا عنها سعد بن أوس الأنصارى عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكـة على أبواب الطرق ، فنادوا : أغـدوا معشر المسلمين الى رب كـريم ، يمن بالخير ، ثم يثيب عليه الجزيل ، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيـام النهار فصمتم ، وأطعتم ربكم ، فاقبضوا جوائزكم ، فاذا صلوا نادى مناد : ألا أن ربكم قد غفر لكم ، فارجعوا راشدين الى رحالكم فهو يوم الجائزة ، ويسمى ذلك اليوم فى السماء يوم الجائزة .

اما العيد الثانى فهو عيد الأضحى فى اليوم العاشر من ذى الحجة ، وهو اليوم الـذى سماه الله يوم الحج الاكبر ، وفيه تفرح جموع الحجيج الى بيت الله بأداء الركن الخامس من أركان الاسلام ، ويفرح فيه المسلمون قاطبة بتمام نعمة الله عليهم وأكمال دينهم : « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون . اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسـلام دينـا » ..



وأعيادنا مع أنها تتسم بجمال الروحانيـة وجلال التقوى ، وتبدأ شعائرها بالخروج الى المصلى والوقوف صفوفا بين يدى الله تبارك وتعالى فى مظاهرة كبرى تشهدها الصبيان والنسـاء . قالت أم عطيـة : أمرنا أن نخرج العواتق (البنات) والحيض فى العيدين يشهدن الخير ودعوة المسلمين ، ويعتزل الحيض المصلى . مع هـذه الروحانية العالية التى تتميز بها أعيادنا تتساوق مع الفطرة الانسانية الزاكية ، وتستجيب للطبيعة البشرية ، ولكن فى اتزان واعتدال ،

فهى بجانب الشفافية والنورانية والصفاء الـذى يسود المسلمين فى كل لحظة من لحظاتها ــ تضفى على القلوب الأنس وعلى النفوس البهجـة وعلى الأجسام الراحة ، ولهذا كان منشعائر الاسلام فيها التطهر والتزين والتطيب ولبس أجمل الثياب ، قال الحسن السبط : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العيدين أن نلبس أجود ما نجد ، وأن نتطيب بأجود ما نجـد .

واللعب المباح ، واللهو البرىء والغناء الحسن العفيف مما رخص فيه فى يوم العيـد رياضة للبدن واستجابة لتطلعات القلوب والنفوس .. قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فيما رواه الامام أحمد والشيخان : ان الحبشـة كانوا يلعبون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم عيد ، فأطلعت من فـوق عاتقه ، فطأطأ لى منكبيه ، فجعلت أنظر اليهم من فوق عاتقه حتى شبعت ، ثم انصرفت . ورووا عنهـا أيضا قالت : دخل علينا أبو بكر فى يوم عيـد وعندنا جاريتان يذكران يوم بعاث (وهو يوم مشهور من أيـام العرب) فقال أبو بكر عباد الله أمزمور الشيطان . قالها ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر أن لكل قوم عيدا ، وان اليوم عيدنا . وفى رواية عروة أنه قال : لتعلم يهود المدينة أن فى ديننا فسحة . انى بعثت بحنيفية سمحة .



أعيادنا الاسلامية أعياد عامة . لا تصطبغ بصبغـة فردية ولا محليـة ولا اقليمية ولا جنسية ، أعياد للصغير والكبير ، للفرد والاسرة ، للقرية والمدينة الأمة الاسلامية قاطبة ، يشترك فيها أعداد لا حصر لها من المسلمين فى الشرق والغرب من كل لون ولغة ، تشمل الفرحة فيها كل قلب ، وتعم النعمة فيها كل بيت ، وترتسم الابتسامة فيها على كل شفة ، فيها تتقارب القلوب على الود ، وتجتمع النفوس على الألفـة وتطهر الصدور من الضغن والحقـد ، وتتصافح الأيدى بعد طول انقباض ، ويتناسى الناس ما بينهم من أحن وثـارات ، وتبرز العواطف الانسانية النبيـلة . الناس كلهم رضا والناس كلهم شـكر يتلاقون فيقول بعضهم لبعض ما كان يقوله أصحاب رسول الله : تقبل الله منا ومنك ..



أعيادنا أعياد مبرات وخيرات . ينمو فيها وعى الافراد بحق الجماعـة عليهم ، وتقوى صلة الفرد بالمحيط الـذى يعيش فيه ، ويتعاون مع الناس على الخير والاحسان اليهم ، وكلما نما الوعى بحق الجماعة والاحسـاس بمشاكل المجتمع كلما عظم الترابط بين أفراد المجتمع حتى يكونوا كالبنيان المرصـوص

أو كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء ، وفى ظلال هذا الوعى والاحساس الندية الرحيمة تذوب الفوارق الكبيرة التى يشقى بهـا الناس ، وتخف حدة المآسى والأرزاء التى تمتلىء بها دنياهم ، فتنبسط الأيدى بالبـذل والعطاء ويمسح الغوث والنجدة دموع المنكوبين والفقـراء ، ويشعر الجار بحاجة جاره كما يشعر بحاجته ، ويتذوق طعم السعادة فى ادخال السرور على أولاد صديقه كما يتذوقها فى مسرة أبنائه .. ولقد عاش مجتمعنا الاسلامى فى ظل هـذه المعانى الانسانية الرفيعـة فترة من الزمان كان فيها أسعـد المجتمعات ، وأحناها على بائس ، وأعطفها على فقير ، وأسرعها لنصرة مظلوم وأغاثـة مضيع ..

حدث الواقدى وهو من كبار علماء القرن الثانى الهجرى فقال : « كان لى صديقان أحدهما هاشمى ، وكنا كنفس واحدة فنالتنى ضائقة شديدة ، وحضر العيد فقالت امرأتى : أما نحن فى أنفسنا فنصبر على البأس والشـدة ، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبى رحمة لهم لما عليهم من الثياب الرثة ، فانظر كيف تعمل لكسوتهم . قال الواقدى : فكتبت الى صديقى الهاشمى أسأله التوسعة على ، فوجه الى كيسا مختوما فيه ألف درهم ، فما استقر فى يدى حتى كتب الى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت الى صديقى الهاشمى ، فوجهت اليه الكيس بختمه ، ثم أخبرت امرأتى بما فعلته ، فاستحسنته ، ولم تعنفنى عليه ، فبينما أنا كذلـك اذ وافانى صديقى الهاشمى ، ومعه الكيس كهيئته ، فقـال لى : انك حين طلبت منى المال لم أكن أملك الا ما بعثت به اليـك ، ثم أرسلت الى صديقى الثالث أسأله المواساة ، فوجه الى الكيس الـذى بعثت به اليه ، قال الواقدى : فتقاسمنا الألف فيما بيننا ، كل واحد ثلاثمائة ، ثم أخرجنا للمرأة مائة درهم ، ونما الخبر الى المأمون ، فدعانى وسألنى ، فشرحت له الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد منا ألفا دينار وللمرأة ألف دينار .



هذه بعض المعانى التى تعبر عنها أعيادنا الاسلامية ، وهذا نموذج لسلوك المسلمين فيها ، وفهمهم لحقوق الأخوة الاسلامية عليها . نذكر بها فى الوقت الذى لا يغيب فيه عن المسلمين مشرقين ومغربين نداءات لجنة الاغاثة العربيـة لضحايا حوادث الاردن الاخيرة ، ولا أنين المشردين المضيعين ، ولا صيحـات الثائرين المقاتلين من أبناء فلسطين . وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

رضوان الشبلى

من هدي السنة

الدعـاة إلى الله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » .

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

١ ــ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما للأنبياء ، وكان العاقب الذى لا نبى بعده ، وضمن الله تبارك وتعالى استمرار هداية القرآن الى يوم القيامة ، وحمل الدعوة من بعد الرسول رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، وساروا بها مرشدين ومعلمين الى آفاق الارض دون أن تصدهم عقبات أو تحول بينهم وبين هدفهم معوقات ، فاستقر أمرها عبر القرون المتطاولة ، ولم يخب ضوؤها رغم ما لاقت من أعاصير هوج ، وحروب ظاهرة حينا ولابسة ثوب الصداقة أحيانا ، وقيض الله لها المدافع بالسنان تارة ، وبالقلم وقوة المنطق تارات ، وكان آخر العهد بالقتال السافر المنظم قبل الحروب الاسرائيلية ، الحروب الصليبية التى انتهت بما سجله التاريخ لضراغم الاسلام ضد ضراوة التنظيم الاوربى لتلك الحروب ، ولما رأى العدو الذى لا ينام دون غايته أن السيوف فلت ، وأن الكتائب اندحرت ، وأن جموعه المقاتلة تفرقت وامحت أو كادت ، سلك للصراع أسلوبا ليس بالجديد فى تاريخ الانسانية ، ولكنه طوره وقواه ، ذلك هو محاولة هدم البناء من أساسه وتقويض أركانه بأساليب الخداع والمكر ، وطرق اللين والمحاورة البريئة فى ظاهرها ، والمنطوية على حقد دفين وسم قاتل فى نتائجها ، وهيأت له الفرصة غفلة المسلمين ، وتصدع وحدتهم ، وتفرق كلمتهم ، فصار لكل منهم (ليلى) يغنى عليها ، وصيودا يلقى اليها شباكه ، والعدو متربص فى حذر يسدد سهامه ويفرى البغضاء بين الاخوة والاصدقاء وفى غمرة تلك الليالى السود ، ولج بالمسلمين الى بيداء مهلك ، وحاد بهم عن الجادة التى سلكها القادة من الآباء ، ودعاة الحق من الاجداد ، ولكن رحمة الله ولطفه ما كانت لتفارق المسلمين لا الى رجعة ، وانما قيضت لهم العناية رجالا تسلحوا بالتقوى ، وبالتقوى يلين الحديد ، وتواصوا بالحق والصبر وبهما يتوصل الى الهدف مهما طال المسير ، فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا .

٢ ــ راجع تاريخ الدعوة الاسلامية واستنبئه خبرها ، واستمع اليه يقص عليك نضال علمائها ، وكفاح عقلائها تلقى فى كل مرحلة تاريخية عملاقا أو عمالقة فى الفهم والعلم

وقوة القلب وثبات الجنان لا يقلون فى ميدان النقاش والجدل ، والفهم والوعى والعلم والحكمة عن خصومهم ان لم يزيدوا ، فمنذ ظهور الحسن البصرى فى القرن الاول الهجرى الى يومنا هذا (سبعينيات القرن العشرين الميلادى) ما خلا عصر ولا مصر من ذادة عن الحق ، حملوا عبء الدعوة الى الله بكل طريقة واسلوب ، فالمجالس التى عقدت فى المساجد فى صدر الاسلام ، ورجالها الذين صاغوا هداية الشريعة فى اساليب متطورة ، وتصدوا لكل مخالف يدافعونه بطريقته ويواجهون سلاحه بمثله ، قد غصت كتب التراث بأسمائهم ووصف علومهم ، والحديث عن مناظراتهم ، ومنازلاتهم ، فقد جالوا فى كل فن وتسلحوا بكل باتر وكونوا فرقا تفارقت سبلها ، واتحدت أهدافها ، فلئن سمعت عن سنى ومعتزلى ، وعن حامل فلسفة اليونان ومنطقهم ، وعن مفسر الكتاب وشارح السنة ، فاعلم أن الهدف واحد وهو الذب عن حياض الاسلام ، وان اختلفت الاساليب وتنوعت الطرق — وقد أدى الجميع رسالتهم على اكمل وجه وأحسنه ، ولا زالت خطاهم على الدرب نورا وهداية لكل مدلج حائر ، وعونا وقوة لكل ذى بصر وعزم ، ولئن لم يرتبط حديث بقديم لا يثبت ولا يتطور ، ولا يقوى ساعده ولا يشتد ، وما وجد شىء نشازا وصدفة ، وانما هى مراحل يسلم سابقها **للاحقها ما علم ، فيضع** لبنة فوق لبنات حتى يستوى البناء شامخا ، وبناء أساليب العلوم التى تتخذ وسائل دفاع عن الحقائق لا يمكن أن يجىء اليوم الذى يقال فيه انه انتهى الى حد ، فلكل صباح اشراقة قد تتماثل مع سابقتها مظهرا فهو تماثل لبادى الرأى ، ولكنه مع الغائص على طلاسم الكون معلم جديد يرشد الى خبىء يجب أن يكشف عنه النقاب ، ويزاح عن ابداعه التراب ، ويعرض للناس اختراعا وفكرا ، وفنا وعلما ، ومن سار على الدرب وصل .

٣ — بعد أن فتح الله على المسلمين الدنيا ، وظهرت لهم الوان جديدة من الحياة ، غيرت أساليب معيشتهم ، وكادوا أن يقعوا فى شراكها ، وأن تحتويهم حبائلها ، ولكن الحراس كانوا يقظة فدخلوا الى مجالس الخلفاء وذكروهم بالله ، وسمع لهم أولوا الأمر فلم يوصدوا دونهم الباب ، وطالما بكى العالم واستبكى الخليفة وأعوانه ، وكان ذلك فى صدق قوله ، وسلامة قلبه ، ولجوئه الى ربه وعزوفه عن دنيا الناس ، وترامى الى سمع المسئول عن الرعية « اتق الله » وتقبلها بقبول حسن وشجع المبلغ وايده ، فسارت الأمور كلها على منوال كريم وسلوك مستقيم ، وانتشرت جيوش الحق الى كل صقع وبقعة ، واتسعت رقعة الدولة الاسلامية ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

ولما كانت أزمة القلوب بيد الله ، وكان من سنته فى خلقه أن تضعف الهمم مع الترف ، وتتلاشى العزائم مع الركون الى الراحة ، وتتصارع الشهوات مع المثل الدافعة الى الخير ، وكان منها ايضا أن يعتور الهرم كل شىء ويلم بكل كائن ، وما الدول عن ذلك ببعيد ، هرمت الدولة وكادت أن تذهب أدراج الرياح ، ومع هذا ظل للاسلام دعاته وحملة رسالته فى أشد العصور ظلاما ، تحملوا وطأة العذاب وفى سبيل عقيدتهم استعذبوه ، وكلما هلك منهم سيد داع الى الله قام خلفه يحملون رسالته ، ولله رجال ما صدهم عن عقيدتهم صاد ، ولا استطاع الحديد والنار أن يضعف من قوتهم ، ولا أن

يخضد شوكتهم ، على مر الليالى وكر الأيام ، وحاولوا ونجحوا فى انشاء جماعات مترابطة تؤمن بالله فتنشأ دور العلوم الاسلامية ، وتبنى الجماعات المؤمنة ، وقام فى كل قطر اسلامى من يحمل راية الاسلام ، ومن يجرد قلمه ويضع معارفه فى خدمة دين الله ، وان اختلفت الأساليب وتنوعت المالك .

٤ ــ ولنترك العصور التى مضت كما مضت ، فقد كان لها رجالها وحملة الدعوة فيها الذين من آثارهم ما تركوه مسطورا فى تراثهم ، وما نشاهده من أزهر وزيتونه ، ودار علوم فى القارة الهندية ، وكلية أصول الدين فى ايران ، وأفذاذ فى العلم والمعرفة فى العراق والشام ، ودعاة للحق فى القارة السوداء ، ولنيمم وجوهنا شطر حاضرنا فماذا نرى ؟ !

يحاول بعض الدارسين الذين يوصفون بالسطحية فى تفكيرهم ، والتعمق فى تبعيتهم لأذناب يهوذا أن يقللوا من قيمة جهود الدعاة فى عصرنا ، ويتهموهم بالجمود تارة ، وبالضعف أخرى ، وبالقصور تارات ، ولا أدرى لماذا ؟ ألينافسوهم فى ميدان ليس لهم بتافه من القول وضحالة فى الفكر ، قد يكون هذا ، وقد يكون لقصر باع وضيق عطن ، أو تحصيلا لما يعيبونه على غيرهم ظنا منهم أن كل الناس نعام ، وأن كل من عداهم طغام ، وانى أقول لأولئك وأمثالهم ان الاسلام ليس ملكا لأحد ، وتبعته لا تختص بها طائفة دون أخرى ، ومع هذا فأرى أن كثيرا قد أدوا واجبهم ولا يزالون يؤدونه ، ولأضرب مثلا بما يجرى فى تلك الدولة التى نعيش على أرضها ولنتدارس ما يجرى فيها ، ولنعط كل عامل حقه ولا نبخس الناس أشياءهم فقد فتحت ثروة البلد عيون الدنيا عليها ووفد كل طالب للثراء السريع اليها ، وحملت اليها العادات الغريبة والتقاليد التى لا عهد لها بها ، ورأى المقيمون من وطنيين ووافدين صراع الأفكار والعقائد ، ومحاولة تقليص نور الاسلام ليخلو الجو للعابثين بالمقدسات ، وليسطوا على خيرات البلد فى هدوء من طريق مشروع أو غير مشروع ، وهذا موقف عصيب ولا شك يحتاج الى سياسة حازمة وحكيمة ولكن بالطرق السلمية الهادئة ، وقيض الله لها من أبنائها من هيأ لهم القبض على زمام الأمور فى وعى وادراك وعمق فهم وحسن تأت للأمور ، فقامت للعبادة دور سامقة شاهقة واستقدم لها خيرة العلماء من بلاد المسلمين ، وحفلت بالدروس يؤديها دعاة فاقهون للدين ، مدربون على الدعوة اليه ، مخلصون لله ، درسوا القديم ومزجوه بالجديد ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، ولا يقف أمر دون الكمال اذا قام عليه وتولاه من يحسن التأتى له مع دربة ودراية ، ونشأت فى وزارة الأوقاف ادارات لها أجهزتها القوية ، وظهر أثرها فى اعداد محكم لوسائل الدعاية للاسلام والتصدى الحازم لكل مارق من حملة مكروبات الالحاد والزيغ ، وصدرت مجلة (الوعى الاسلامى) وتقدمت وشقت طريقها بكل ثبات وصارت مجلة العالم الاسلامى الأولى كما تشهد بذلك تقارير وأنباء ، ووجد قراء العربية فى أيديهم كتيبات تحمل الترياق لسم الالحاد ، وستكون فى المستقبل القريب ملاحق مع الوعى بلغات المسلمين فى كل مكان ، واتخذ نشر التراث طريقا واضحا وسار بخطى ثابتة وارتضاه كل من اطلع على ماصدر منه من علماء العالم الاسلامى ، ورأوا فيما تسلكه الوزارة

منهجا واضحا يقاوم كل عوامل الهدم ويدفعها ويقضى على آثارها .

بقيت همسة نسرها فى أذن أولئك الـذين لا يهمهـم الاالحـديث عن الخطباء ؟ خطباء المنابر ، ويحاولون النيل بمختلف الهمزات والغمزات من قدرتهم وكفاءتهم ، والواقع أن هذه الفئة فى الكويت وفى طليعتهم علماء الأزهر الشريف المخلصـون لدينهم تقوم بأفضل دعاية للأسلام الحنيف ، وجهاز الدعوة والمساجد فى هذا البلد يعنى به ويشـرف عليه كبار رجال الوزارة الذين ثقفوا العلوم العالية فى الاسلام واللغة لغة العرب ، ويبذلون كل جهد فى سبيل الوصول الى أعلى المستويات ، وعلى هؤلاء النافرين الغامزين مهما حملوا من ألقاب وزاولوا من تعليم أو تجهيل — أن يوضحوا — أهدافهم حين يقولون ان من العلماء من يجامل على حساب دينه ، وحين يصيح أحدهم ان الوعاظ مقصرون ، وحين يريد أن يشـير الى أن بعض الداعين الى الله مرتزقة — ولنكن صرحاء — مع هؤلاء ان كانوا بعيدين عن الديار ووافدين اليها ، ماذا يريدون من صـيحاتهم . ان كانوا يريدون الاصلاح . فالطريق أمامهم مفتوحة ، فليدلوا بدلوهم وليقدموا ما عندهم .

ان أهل البلد يعلمون لانهم عقلاء ، وليست هـذه مجاملة ، وانما هى نتيجة خبرة طويلة ، يعلمون أن العلماء الذين عندهم هم أمثل الناس وأحـق الناس بالرعاية ، ولهذا أكرموهم بما لم يحلم به أولئك الحاسدون ، وان هدأوا وحافظوا على الصلات الطيبة فنحن معهم وان لا فلنا جولة سوف لا نغلب فيها حفاظا على تقاليد بلد عشنا فيـه زمانا طويلا وحفظنا وحفظناه وأكرمنا ، ونحن نسأل الله أن يعيننا على رد جميله كما يرضيه سبحانه .

وأخيرا : أسمع فى كل اذاعة ومن كل قطر اسلامى دعاة مفوهين وعلماء فاقهين ومحـدثين مبدعين ، ويشهد بذلك العالم كله ، ولجـهودهم آثار واضـحة فى مقـاومة الانحـراف والهداية .

ثم ماذا — ثم هاهى وزارة التربية فى الكويت تنشىء ادارة دينية وتفتيشا للدين خاصا وتزوده برجال لا يرقى الشك الى اخلاصهم لربهم وعملهم ، وما أمر الجامعة عنا ببعيد ففيهـا تدرس ثقافة اسلامية وعقيدة اسلامية ولديها أساتذة فى الشريعة ، لايألون جهدا فى التوجيه الى الخير والهداية .

وفى الكويت جماعات لها وزنهـا الدينى ولها عملها المنتج وعلى قمتها فى الحكم رجال يعرفون واجبـاتهم نحو الله ، وفى أعيانها أعيان الاسلام ولولا ذلك لجرف التيار كل شىء وأتى على كل شىء .

وفى مصر ماذا فعل المجلس الاعلى للشئون الاسلامية فكم وزع من كتب وأرسل من بعوث وأنشأ محطـة القرآن ، وسـجل القرآن وفى السعودية مثل ذلك ، وفى العـراق والشام ، ولولا هذا الدفاع القـوى المنظم الآن لوجدت الاسلام ذكرى أيها المتجنى المقنع بالعفة والحـرص على الاسلام .

ان اللسان العربى هو أقدر الالسنة على تبليغ رسالة الاسلام ومن وراء هذا اللسان قلب مؤمن وادراك واع وفهم صحيح ، وبذل وتضحية ، فعلى المتجنين على الدعاة أن يتقوا الله فى دينهم وكتابهم وأخيرا وليس آخـرا أذكر هؤلاء بأن الهدم أسرع من البناء وان كل انسان قادر على الهـدم ، وليس كل انسان قادرا على البناء .

الحج

في مجال الجماعة الكبرى

الدخول في علاقة
ارتباط البشرية
التعبير عن
في اللقاء العام والاتجاه
التعبير عن الوقوف
في التضامن

إنسـانيـة خـالصـة : شـعيرة الإحـرام
بعضـها ببـعض : شـعيرة الطـواف
المثـابـرة والصـبر : شـعـيرة السـعي
الى الله وحـده : شـعيرة الوقـوف بعـرفات
في إصرار في وجه الباطل : شعيرة رمي الجـمار
والإخـاء : شـعـيرة النحـر

للدكتور : محمد البهي

اذا كانت صلاة الجماعة لها دورها فى الترابط فى الحياة اليومية للمؤمنين فى نطاق السكان فيما يحيط بالمسجد ، واذا كانت صلاة الجمعة لها دورها كذلك فى الترابط وتقوية الشعور بالاخاء بين المؤمنين فى دائرة أوسع وعلى فترة تتجاوز اليوم الى الأسبوع .. فان حج بيت الله الحرام هو العبادة السنوية التى تجمع بين المسلمين ممن يستطيعون أداءه فى مشارق الأرض ومغاربها ، فى صفاء نفسى وفى مساواة تامة لا يتميز فيها غنى عن فقير ، ولا صاحب جاه عن عديم الجاه .

١ ــ الدخول فى علاقة انسانية خالصة :

ووظيفة العبادة فى الاسلام اذا كان من شأنها أن تخلق فى نفوس المؤمنين بالله روح « المساواة فى الاعتبار البشرى » وروح « المساواة أيضا أمام الله » فان الحج بوجه خاص يؤكد هذه المساواة منذ اللحظة الأولى فى مباشرة أدائه . فالاحرام ــ وهو أول شعيرة من شعائره ــ اعلان من المحرم أمام الله

وأمام نفسه بتحريم كل ما يحول دون المساواة فى الاعتبار البشرى ، أو يحول دون اخلاص النفس لله وحده ، وصفائها فى العلاقات بين المؤمنين .

فالمحرم باحرامه يعلن تحريم لبس المخيط على نفســه ، كما يعلن العودة الى « البساطة » فى الثياب ، وترك الزينة عن طريق شــعر الرأس أو طيب البدن والثياب . لأن المخيط من الثياب قد يختلف ويتنوع فى مظهره . وعن طريق اختلافه وتنوعه فى المظهر يخرج الأمر بين الحجاج قليلا أو كثيرا عن مســتوى المساواة المطلوب فيما بينهم . وبذلك يتميز بعضــهم عن بعض فى الصــورة المحسوسة . ولأن أيضا تزيين الشعر بقصه أو تسويته ، ووضع الطيب على الملابس والبدن من شــأن أى منهما كذلك أن يحدث أثرا مميزا بين الحجاج فى المظهر ، مما يقلل من تأكيد « المساواة » ، التى تستهدفها هذه العبادة فى لقاء المسلمين فى يومهم العظيم . فهى تستهدف « التجرد » عند أداء شعائرها مما يترك أثرا فى النفوس : من أن هذا غنى أو صــاحب جاه ، وذاك فقير أو عديم الجاه .

وعن هذا « التجرد » فى الاحرام لا تشتغل نفوس الحجاج بشىء سوى الله ، وســوى ما بينهم من علاقات الأخوة فى الايمان بالله ، ومما يتطلبه هذا الايمان فى سبيل بقائهم وقوتهم .

وفى الوقت الذى يعلن فيه المحرم تجرده من المخيط والزينة يعلن فيه أيضا بعده عن كل ما يربطه بمتع الدنيا ، وعما يسيىء الى الآخرين معه .. يعلن بعده عن المرأة ، وبعده عن كل ما يؤدى الى الانحراف والخروج عن الصراط السوى ، وبعده عن لغو القول وفضوله ، والخصومة واللجاجة فى المناقشة . وفى الوقت نفسه يحزم أمره على أن يكون ســلوكه ، كموقفه ، هو ســلوك الخير المهذب وموقف الممتثل الى الله ولهدايته . وفى هذا تقول الآية الكريمة :

« الحج أشهر معلومات ،

« فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ، ولا فسوق ، ولا جدال فى الحج ،

« وما تفعلوا من خير يعلــمه الله ، وتزودوا فان خــير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى « الألباب » (١) .

ومع ذلك فليس من المحظور على « المحرم » أن يباشر السعى لتحصــيل الرزق أثناء أدائه عبادة الحج . لأن ســعيه لذلك لا يجعل منه ماديا منحرفا ، ولا ينزل به الى مجال يناقض هدف احرامه فى مباشرة هــذه العبادة : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » (٢) . والسعى من أجل الرزق لا يخل بعبادة الحج ، كما لم يخل بأداء الجمعة الانتشار فى الأرض بعد أدائها لا بتغاء فضل الله : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (٣) .

وهــذا وذاك يدلان على أن العبادة لله وحــده وان كانت هى الغاية من خلقه ، فيما تذكره الآية الكريمة : « وما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون » (٤) .. فالعمل من أجل الرزق والسعى ابتغاء وجه الله لا يخرج عن غاية الانسان من خلقه ، وهى العبادة . فالانسان فى عبادته يتجه الى الله ، وهو فى ســعيه ابتغاء فضل الله يتجه اليه كذلك .. هو طالب عونه جل شــأنه : ان فى أداء الصلاة ، وان فى أداء السعى من أجل الرزق .. وهو مقر بربوبيته فى مباشرة شعائر الحج وفى ابتغاء فضل الله .. وهو ان سعى وتقوت من رزق الله فلكى

ينهض بأداء العبادة لله ، وان نهض بأداء العبادة لله فلكى يستعين به على الهداية الى الصراط المستقيم ، ومن الصراط المستقيم تجنب ارتكاب المنكرات من قتل وسرقة واستباحة أكل مال اليتيم والضعيف بالباطل فى سبيل القوت والمعيشة ، والاتجاه الى الله والتوكل عليه وحده فى سعيه الخاص وعمله لتحصيل رزق الله .

٢ ـ ارتباط البشرية بعضها ببعض :

واذا كانت شعيرة « الاحرام » ـ أولى شعائر الحج فى أداء عبادته ـ تستهدف « المساواة » بين حجاج بيت الله والترابط بين المؤمنين بالله على أساس من الصفاء النفسى وعدم الاحساس بفروق التميز فى الاعتبار البشرى .. فان شعيرة أخرى من شعائره ، وهى شعيرة الطواف بالكعبة تعيد الى الترابط بين البشرية كلها فى أجيالها العديدة منذ ابراهيم الى محمد عليهما الصلاة والسلام ، قوته واعتباره . كما أن تقبيل الحجر الأسود داخل الكعبة يجسد المحبة لله .

فقد كانت الكعبة أول بيت وضع للناس على عهد ابراهيم ، وكان الطواف حولها شعيرة مستمرة من شعائر الحج الى هذا البيت الحرام . واستمرار الطواف كشعيرة للحج ينبىء عما تتوخاه هذه الشعيرة من الاسهام فى تذكير المؤمنين بالله من الصلة القوية التى تربط أجيالهم . وهى صلة الايمان بالله فى مواجهة الالحاد على الأخص . وهذه صلة تاريخية تضيفها عبادة الحج الى صلة الترابط بين المؤمنين بالله عن طريق رسالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بأداء العبادة ذاتها . يقص القرآن ما وجه الى الرسول فى قول الله تعالى :

« انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شىء ، وأمرت أن أكون من المسلمين .

« وأن أتلوا القرآن ، فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين » (٥) .

وما أمر به رسوله الكريم هنا هو ما استجاب الله اليه من ابراهيم ـ عليهما الصلاة والسلام ـ عندما دعاه بقوله :

« واذ قال ابراهيم ، رب اجعل هذا البلد آمنا ، واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام .

« رب ! : انهن أضللن كثيرا من الناس ، فمن تبعنى فانه منى ، ومن عصانى فانك غفور رحيم .

« ربنا انى أسكنت من ذريتى (زوجه هاجر ، وولده اسماعيل) بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » (٦) .

... فقد دعا ابراهيم ربه :

أ ـ فى أن يمكنه من أن تكون عبادته لله وحده ، ويجنبه بذلك الشرك ، وعبادة الأصنام ، والوقوع تحت تأثير الوثنية المادية : « واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام . رب انهن أضللن كثيرا من الناس » . وذلك لصالح البشرية واخراجها من الضلال .

ب ـ وأن يجعل هذا البلد ـ وهو مكة ـ بلدا آمنا : « رب ! اجعل هذا البلد آمنا » ليكون مثابة للناس وأمنا .

جـ ـ وأن يجعل منه مكانا يتجه اليه الناس بعبادة الحج حتى يكون مكانا صالحا للسكنى ، وبذلك تستمر فيه عبادة الله وحده فى البيت العتيق ، أول بيت وضع لله تعالى : « ربنا : انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » . فحجاج بيت الله الحرام تهوى افئدتهم اليه فيؤمونه يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا .

.. ثم يتجه القرآن الى المؤمنين لاقرار فريضة الحج على من استطاع اليه فيما يقوله الله جل شأنه :

« قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين .

« ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة ، مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات ، مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا .

« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » (٧) .

.. فوق أن الكعبة اول بيت لله وضع للناس منذ عهد ابراهيم عليه السلام ، وأن الحج اليه فريضة على من استطاع اليه سبيلا .. فان من يدخله له حق الامان وحق الحماية على الله سبحانه وتعالى .

وبذلك ـ كما يعطى الطواف حول الكعبة معنى الترابط التاريخى للبشرية فى ايمانها واستقامتها ـ يعطى الاحساس بالامان من الخوف والتتبع فى رحاب الله وبيته العتيق . فالكعبة تجسم هذا الاحساس بالامان كما تجسم الذكرى التاريخية للبشرية : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما (أى سندا) للناس » (٨) . « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » (٩) .

٣ ـ التعبير عن المثابرة والصبر :

وشعيرة ثالثة من شعائر الحج قصد بها كذلك توكيد الروابط بين المؤمنين ، ولكن من جهة التعبير عن مثابرتهم وصبرهم ، وعن خفة حركتهم وسرعتها فى الاستجابة الى ما يطلبه الايمان بالله منهم من معاونة ومؤازرة فى وقت الشدة ، أو من دفع اعتداء عدو عليهم وقت عدوانه . وهى شعيرة السعى بين الصفا والمروة . فتحديد المطلوب فى السعى فى الطريق الواقع بين هذين الجبلين : الصفا ، والمروة ، بأنه سعى ينم عن النشاط وخفة الحركة وابعاد البطء والتراخى فيه وأنه سعى متكرر .. ليرشد المؤمنين فى أداء عبادة الحج الى أن بعض ضرورات الحياة قد تتطلب من المؤمنين زيادة المثابرة والصبر ، والمبادرة وسرعة الاستجابة ؟ على نمط ما يلاحظ فى أداء شعيرة السعى بين الصفا والمروة ، وتكون سرعة الاستجابة عند ئذ عبادة وقربى الى الله كذلك ، وكذلك المثابرة والصبر على تكرار السعى وزيادة مراته .

وفيما تطلبه الآية فى أداء هذه الشعيرة ، فى قول الله تعالى :

« ان الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » (١٠) .. من المتطوع ، بالزيادة فى أداء شعيرة السعى ، وفيما تعتبره من أن الزيادة فى أدائها خير ، هو لتقرير هذا النموذج وفى سرعة الحركة فى نفوس حجاج بيت الله ، فى الصبر عند الاستجابة لما يطلبه الله سبحانه من المؤمنين به .

٤ — فى اللقاء العام والاتجاه الى الله وحده :

وهكذا اذا انتقلنا من هذه الشعائر الثلاث التى تستهدف « روح الجماعة الكبرى » فى أداء عبادة الحج الى الشعيرة الرئيسية فيه ، وهى : الوقوف بعرفات وجدنا : أن طريق أداء هذه الشعيرة من « تجمع »جميع حجاج بيت الله فى يوم معين هو يوم التاسع من ذى الحجة ، وعلى قمة جبل معين هو عرفات ، وتوجههم الى الله سبحانه فى دعاء واحد : « لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .. وجدنا أن هذه الصورة فى أداء هذه الشعيرة تزكى روح الجماعة الكبرى ازكاء ماديا ومعنويا : تتلاصق اجسامهم الغفيرة فى صعيد واحد ، وترتفع أصواتهم من على قمة جبل واحد ، تردد دعاء واحدا وتضرعا واحدا الى الله المعبود الواحد . تملأ الكثرة العددية نفوسهم فخرا بقوتهم ، وتتجاوب فيها قوية اصداء الايمان بالمعبود الذى وعد المؤمنين به وحده بالنصر والظفر على الاعداء الأول للاسلام أصحاب الشرك والمادية الالحادية ، وطهر منهم بيت الله العتيق الى الأبد . ينسون الدنيا ومتعها ، وينسون وجودهم الشخصى ، ولا يذكرون الا الله الواحد .

والذهاب الى « منى » والمبيت بها ليلة التاسع من ذى الحجة ، تمهيدا للوقوف بعرفات ، قيل : انه لتذكر التقاء آدم وحواء بعد خروجهما من الجنة . والوقوف بجبل الرحمة — كما يسمى — لا يقوى فحسب الشعور بالقوة والعزة والترابط بين المؤمنين برسالة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، ولا يذكرهم فقط بالمؤمنين السابقين منذ ابراهيم عليه السلام وبرسالته فى محاربة الشرك والوثنية المادية . وانما يذكرهم كذلك بالتقاء آدم وحواء ، بعد خروجهما من الجنة .. يذكرهم اذن بأب البشرية ، كما يذكرهم بأولى الرسالات السماوية ، بجانب تعزيز روابط الأخوة الايمانية بينهم .

وهكذا : شعائر الحج اذا ارتبطت بأمكنة معينة فلأن هذه الأمكنة المعينة تجدد ذكريات خاصة من شأنها أن تطهر النفوس وتزكيها ، وتقوى الصلات بين بعضها بعضا . والأمكنة اذن لا تقصد لذاتها ، بقدر ما يتصل بها من ذكريات . فهى رموز ، أو تعبير ، أو تجسيد لهذه الذكريات . وهى لا تقدس لأنها أمكنة . وانما يقدس ما توحيه من ذكريات خالدة للانسانية كلها .

٥ — التعبير عن الوقوف فى اصرار فى وجه الباطل :

وشعيرة رمى الجمار نيط بها الوقوف فى ايمان وثبات فى وجه الباطل . والجمار ثلاث فى الطريق من منى الى مكة . وأولاها جمرة العقبة ترمى فى يوم النحر . ولاشك أن يكون للعزم الأكيد الناشىء عن الوقوف بعرفات وأداء شعيرته أثره فى الثبات على الحق ومؤازرته ومناوأة الباطل ومطاردته . ومن هنا كان رمى الجمار تعبيرا محسوسا وواضحا عن مطاردة الباطل والاصرار على الوقوف فى وجهه . فتكرار الرمى ، وعلى أيام متفرقة ، يعطى التعبير عن مدى مناوأة الشر والباطل مناوأة أكيدة ، لا هوادة فيها .

وكان الحاج برميه الجمار الثلاث يعطى العهد على عدم تراخيه فيما بعد فى انكار المنكر ، وفى دفع الباطل ، وفى الوقوف بجانب الحق . فهو الآن

شهد من شعائر الحج ومناسكه ما جعله يحمل « روح الجماعة الكبرى » .. روح الجماعة المؤمنة منذ ابراهيم الى محمد عليهما السلام وهى تلك الروح التى تساند الحق وحده ، وتعبد الله وحده ، وتدفع فى عنف وثنية المادية الالحادية والشرك بالله تعالى ، باعتبار أنه مصدر اضلال كثير من الناس : « واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام . رب انهن أضللن كثيرا من الناس » .

والأصنام من الأحجار ان دل اتخاذها وعبادتها على الجهل لمن يعبدها ، فان الأصنام من الناس يدل تقديسها على المهانة والمذلة لمن يقدسها . وما ينشأ عن الجهل ضلال . وما ينشأ عن المهانة والمذلة ضلال أنكى ، وهو ضلال الضعف والنفاق والاحساس بالصغار والحقارة .

٦ ـ فى التضامن والاخاء :

وعن روح الجماعة الكبرى التى يحملها كل حاج ـ أو يجب أن يحملها ـ يقوى فى نفس الحاج باعث التضحية فى سبيل الاخاء والتضامن . ومن هنا كان « نحر الهدى » عقب رمى الجمار ، واشراك الفقراء فى طعام ما ينحر تعبيرا واقعيا عن « الاخاء » و « التضامن » بين المؤمنين .

والهدى أو الأضحية أو النحر فى التعبير المادى عن الاخاء والتضامن ، تشير من جانب آخر الى أن ختام شعائر الحج يحمل من معناه الشىء الكثير ، تلك العبادة التى تسعى الى تحقيق المساواة فى الاعتبار البشرى .

ولذا يبرز القرآن الكريم هذه الشعيرة ـ وهى شعيرة النحر ـ كهدف قوى من أهداف الحج يماثل هدفه العام فى جملته من المنافع المادية والمعنوية . اذ تذكر الآية :

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ،

« ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » (١١) .

... وذكر الله على مارزق من بهيمة الانعام كناية عن النحر والذبح . وجعل مقصود ما يذبح وينحر هو « المشاركة » فى الطعام منها مع أصحاب الحاجة « فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » . فاذا لم تقع المشاركة فى الطعام منها من جانب صاحب الهدى وتركها جميعها للبائس والفقير فان هذه الشعيرة لم تؤد حينئذ غايتها الكاملة .

كذلك اذا لم ينحر ويذبح ودفع ثمن ما يذبح وينحر نقدا لأصحاب الحاجة فان « واجب » الهدى ـ اذا وجب بارتكاب ما يخالف بعض الشعائر أو بالتمتع بالعمرة الى الحج مثلا ـ أو التبرع به جريا على السنة الشريفة ، لا يؤدى كما يقضى الواجب أو كما جرت به السنة .

ان شعائر الحج جميعها تكاد تكون تجسيدا لمعان تكون الهدف الأصيل من أداء عبادته .

أ ـ فشعيرة الاحرام والتجرد من لبس المخيط تجسد المساواة فى الاعتبار البشرى ،

ب ـ والطواف بالكعبة يجسد الترابط بين المؤمنين بالله طولا وعرضا ، أو فى حاضرهم وماضيهم ،

جـ ـــ وتقبيل الحجر الأسود يجسد حب الله والولاء له ،
د ـــ والسعى بين الصفا والمروة يجسد المثابرة والصبر فى الحياة ، والسرعة فى الاستجابة الى حاجة الآخرين ،
هـ ـــ والوقوف بعرفات يجسد الاعتزاز بالقوة المادية للمؤمنين وبقوتهم المعنوية فى صلتهم بالله ،
و ـــ ورمى الجمار الثلاث يجسد الاصرار فى دفع الباطل وانكار المنكر ،
ز ـــ والنحر أو الهدى يجسد التضامن والاخاء .
وروح الجماعة الكبرى المستهدفة اذن من أداء عبادة الحج هى مجموع هذه « المثل » أو المعانى التى هى :

* المساواة فى الاعتبار البشرى ،
* والترابط بين المؤمنين فى حاضرهم وماضيهم ،
* والاخلاص لله وحده ومحبته ،
* والصبر والمثابرة والسرعة فى الاستجابة الى أصحاب الحاجة من الآخرين ،
* والحرص على القوة المادية والمعنوية ،
* والاصرار على مناوأة الباطل الممثل بالأخص فى الوثنية المادية الالحادية ،
* والتضامن والاخاء بين الغنى والفقير وصاحب الجاه ومن لا جاه له .

واذا كانت شعائر الحج هى رموزا أو تعبيرات حسية عن معان مستهدفة تتكون منها الروح العامة للمؤمنين ولجماعتهم ، فانه من غير المقبول أن تؤدى شعيرة منها فى غير الرمز والتعبير الذى وردت فيه . أو على الاقل لا يبلغ عند ئذ تعظيم الشعيرة المستوى المطلوب على نحو مايوصى القرآن الكريم فى قوله : « ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » .
وفيما تنتهى به هذه الآية من قول الله تعالى : « ... وأحلت لكم الأنعام الا ما يتلى عليكم (اى الا ما يتلى عليكم تحريمه فى كتاب الله) ، فاجتنبوا الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور ، حنفاء لله ، غير مشركين به » (١٢) ... قصد منه تحذير : أن ينقل تعظيم هذه الشعائر الحسية لما فيها من معان مستهدفة الى صورها المادية فتقدس كأمكنة محسوسة ترى وتشاهد ، وليس كتعبيرات ورموز عن معان مطلوبة .
فاذا نقل التعظيم على هذا النحو صار الامر الى رجس الاوثان ، الذى نهت عنه الآية : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان » لأنها تصبح عندئذ أوثانا مادية ، وصار الى قول الزور المنهى عنه كذلك : « واجتنبوا قول الزور » لأنه ينسب الى الله الآن الامر بتعظيم ما لا يعظم فى قوله : « ذلك ومن يعظم حرمات الله » فهو يدعو جل جلاله الى تعظيم المعنى المستهدف وليس الى الصورة الحسية التى يظهر فيها ، وكان الذين يفعلون هذا النقل والتحويل آنئذ من المشركين بالله ، على النقيض مما يطلبه الله فى قوله : « حنفاء لله غير مشركين به » .

واذا ضمت عبادة الحج هذه الشعائر العديدة فان الثمرة المرجوة منها هى البقاء على ذكر الله وحده ، بحيث يكون ذكره فى السلوك والافعال والمواقف ، وفى التفكير والتصور كذكر الآباء أو اشد ذكرا . ولذا يربط القرآن هذه النتيجة بالانتهاء من أداء مناسك الحج فى قوله : « فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله

كذكركم آباءكم ، أو أشد ذكرا » (١٣) . والتشبيه بالآباء لأن أمرهم لا ينسى من أبنائهم ، اذ ينتسبون اليهم ويحملون أسماءهم فى تمييز أشخاصهم .

وينص القرآن الكريم على طلب هذه النتيجة لأن الطبيعة البشرية ــ مهما تمرســت على أداء العبادة لله ــ قد تنجذب الى اغراء المتع الدنيوية . وعندئذ قد تنسى الله سبحانه وتعالى فلا تذكره ، ولا تذكر هدايته ، ولا صراطه المستقيم فى سيرها فى الحياة ، حتى بعد أن أدى صاحب الطبيعة التى استهواها فيمـا بعد بريق الحياة المادية ، عبادة الحج ، وبعد أن شارك فى شعائرها وحرماتها . وعندئذ لا يعفيه أداء الحج ممـا سيلحقه من جزاء مقرر . وهنا تستطرد الآية السابقة فتقول :

« .. فمن الناس من يقول : ربنا آتنا فى الدنيا ، وما له فى الآخرة من خلاق (أى من نصيب) .

ومنهم من يقول : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا ، والله سريع الحساب » .

فالقرآن هنا ان ربط الجزاء بنوعية العمل الذى يؤدى من الانسان وبالاتجاه الذى يسير فيه طوال حياته ويحول أن يشـفع عمل صـالح لعمل سىء ، فانه لا يرى « الدنيا » شرا ولا مباشرة ما فيها من متع أمرا سيئا .

والسىء فى رأيه هو الاكتفاء بالدنيا عن الآخرة .. هو الوقوف بالسعى عند تحصيل متع الدنيا ، ولو كان طريق تحصيلها يسبب ايذاء وأضرارا للآخرين . وهذا هو ما يتصـوره الفريق الأول من الناس الذى تصـف الآية اتجاهه فيما تقوله : « فمن الناس من يقول : ربنا : آتنا فى الدنيا ! ، وما له فى الآخرة من خلاق (أى من نصيب) » . فان هذا الفريق يقصر أمله على ما فى الدنيا وحده . والتعبير بـ « آتنا فى الدنيا » دون ذكر نصـيب مما فيها يجعل المـطلوب كله دنيويا .

أما الفريق الآخر الذى يطلب فى هدفه وفيما يحصله بسعيه نصـيبا من الدنيا ، ونصـيبا آخر من الآخرة ، كما تذكره الآية : « ومن الناس من يقول : ربنا ! : آتنا فى الدنيا حسنة (أى نصيبا حسنا لا شبهة فيه من حرام أو باطل) وفى الآخرة حسنة (أى نصيبا مقبولا عند الله خالصا لوجهه) وقنا عذاب النار (هو تأكيد لما يطلبه من حسن النصيب الدنيوى والأخروى) أولئك لهم مما كسبوا (أى مما أتوا به وحصلوه بسعيهم وارادتهم سواء فى الدنيا أو من أجل الآخرة) والله سريع الحسـاب (للمثيب والمسيىء على السواء) « .. أما هذا الفريق الآخر الذى يطلب الدنيا والآخرة معا ، ويعمل من أجلهما سويا بحيث لا ينطوى عمله على اساءة ما فهو مجزى على حسن عمله بالحسنى : ان فى اليوم أو فى غـد .

وما قد يشاع بين العامة اذن من أن الحج فى أدائه يمحو كل سـىء فى حياة الانسان : ما سبق وما سيأتى ؛ فهو لا يتفق مع ربط الجزاء بنوعية العمل فى صلاحه وفى اساءته . هذا الربط الذى يمثل ارادة الله سـبحانه وتعالى ، كقانون لا يتخلف فى حياة الانسان على مداها .

وما قد يفهم خطأ كذلك : من أن الدنيا شر يجب تجنبه ، فهو يخالف منطوق

الآية السابقة مخالفة صريحة . والعبرة دائما بنوع السعى للانســـان ، وبنوع اتجاهه فى الحياة .

والعمل فى الدنيا من أجل الآخرة لا ينفصل عن العمل من أجر تحصيل بعض متع الـــدنيا . عمل الآخـــرة فى الدنيا هـــو فى بعد العمل من أجل الدنيا عن الاساءة .. هو فى رعاية « الحسنى » والتصديق بها فيما يعمله فى دنياه .

والعمل لذات الدنيا هو الاستهانة « بالحسنى » فى أدائه .. هو التكذيب بها كمبدأ فى السلوك والعمل .

وآية العمل الأول هو التقوى والعطاء من المال . وآية الثانى هو البخل والاستغناء بالمال والاعتزاز به وحده :

« والليل اذا يغشى . والنهار اذا تجلى . وما خلق الذكر والأنثى . ان سعيكم لشتى :

« ــ فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى (أى نجعل طريقه سهلا ميسورا)

« ــ وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى . وما يغنى عنه ماله اذا تردى .

« ان علينا للهدى . وان لنا للآخرة والأولى . » (١٤) .

وننادى بما نادى به رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى حجة الوداع فى السنة العاشرة من الهجرة على جبل « الصفا » :

« لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ولله الحمد ، وهو على كل شىء قدير .

« لا اله الا اللـــه وحده ، أنجـــز وعده ، ونصر عبده ، وهـــزم الأحزاب وحده » .

ويجب أن ينادى به المســلمون عن ايمان ليشـــهدوا نصر اللـــه لهم على أعدائهم ، ويروا وعده حقيقة منجزة فى حياتهم بالحسنى ، فى الدنيا والآخرة .

---

(١) البقرة ١٩٧ .
(٢) البقرة ١٩٨ .
(٣) الجمعه ١٠ .
(٤) الذاريات ٥٦ .
(٥) النمل ٩١ ، ٩٢ .
(٦) ابراهيم ٣٥ : ٣٧ .
(٧) آل عمران ٩٥ ــ ٩٧ .
(٨) المائدة ٩٧ .
(٩) البقرة ١٢٥ .
(١٠) البقرة ١٥٨ .
(١١) الحج ٢٧ ، ٢٨ .
(١٢) الحج ٣٠ ، ٣١ .
(١٣) البقرة ٢٠٠ .
(١٤) سورة الليل ١ ــ ١٣ .

من آيات الوجود

للشاعر: الربيع الغزالي

أرأيت آيات الوجود عِيانا … أرأيت برهانا يلي برهانا
أرأيت آفاق الفضاء بعيدةً … أعيت أساطين العلوم رهانا
تمضي ريادات الفضاء لغايةٍ … فيها فلا تستطيعها إمكانا
إنْ أدركت قمراً ونالت زهرةً … نطقت بآية ربها إيمانا
وكأنما قد سبّحت بجلاله … سبحانه سبحانه سبحانا
هذا الوجود شموسه ونجومه … يسبّحن في أفلاكهن أمانا
وعلى كواكبه الحياة تغايرت … وتشابهت .. وتفرّقت ألوانا
وكواكب تجري الحياة بها على … نسقٍ تفيض حياته عمرانا
وعوالمٌ ألله يعلم أمرها … وعوالم الأسرار فوق نهانا
من صانع الأجرام في ملكوته … تجري على أفلاكها دورانا
وكأنّ سرعتها الخيال إذا جرى … في ومضةٍ بلغ السّماء عنانا
وعلى نظامٍ ليس يدري كنهه … عقلٌ وليس يحيطه استكهانا
لا الحصر يبلغ عدّها بمراصدٍ … دقّت وسائل علمها إتقانا
كلاّ ولا هم بالغون بعلمهم … ما جلّ من أسرارها أو هانا
تمضي لغايتها فليس يعوقها … شيءٌ وليس يسومها إذعانا
لا تلتقي مهما التقت أفلاكها … وتشابكت وتعدّدت أفنانا
تمضي بناموس الوجود لغايةٍ … مرصودةٍ حتّى ترى إيذانا
يمضي الزمان على تقادم عهده … أزلاً إلى أبدٍ بما قد كانا

هَذَا ٱلنِظَامُ مَن الذى قَدْ صاغَهُ وأقامَ مُحْكمهُ البَدِيعَ وَصَانَا ؟!
اللهُ رَبُّ الْخَلْقِ جلَّ جَلالُهُ سُبْحَانَه سُبْحَانَه سُبْحَانَا
مَاسِرُّ هَذَا كُلِّهُ مَا حِكْمَةُ دَقَّتْ على فَهْمِ الْوَرَى تِبْيانَا ؟!
اللهُ رَبُّ الْخَلْقِ جَلَّ جَلالُهُ سُبْحَانَه سُبْحَانَه سُبْحَانَا
سِرُّ الْحَياةِ ... مَنْ ٱلّذِى أحْيا بِهِ صُوَرَ الْحَيَاةِ تَخَالَفَتْ أَلْوَانَا؟!
هَلْ يَسْتَطِيعُ الْعِلْمُ خلْق قُلامَةٍ أوأن يُسَوِّىَ في الْيَدَيْنِ بَنَانَا !؟
وَالنَّفْسُ يَا لَلنفْسِ مَا أسْرارُها وَٱلْعَقْلُ مَنْ أَعْلى بِهِ الإنْسانا
وَالْجِسْمُ صَوَّره سُلالَةَ طِينَةٍ تَجْرِى الْوِارِثَةُ فِيهِ أَعْجَبَ شانَا
قُلْ لِلأُولَى قَدْ أنكَرُوا أحْلامَهُمْ وَعُقولَهُمْ : لاتَبْتَغُوا بُرهانَا
بُرْهانُكم : أَنْتُمْ يَضِلُّ ضَلالُكُمْ وَتَرونَ مَابعيُونِكُمْ عُمْيانَا
هَاتُوا مِنَ الْجَزَّارِ : بَعْضَ عِظَامِهِ أوبَعْضَ لَحْمٍ .. وَاصْنَعُوا إنْسانَا
ثُمَّ اصْنَعُوا عقْلاً لَهُ ودَعُوهُ يَمْشِى بَيْنَكُمْ .. هَلْ يَسْتَوِى حَيوانا
يا كَافِراً بالله .. فَانْظُرْ .. هَلْ تَرَى مَنْ أَنْتَ مَاذَا فِى إهَابِكَ كَانا؟!
جِئتَ ٱلْوُجُودَ .. أجِئتَهُ بِإرَادَةٍ قَدْ شِئْتَها وحَلَلْتَ فِيهِ مَكانَا؟!
وَحَيِيتَ .. هَلْ تَحْيَا بِأَمْرِكَ آنَةً وَشَبَبْتَ هَلْ تَنْمُو بِأَمْرِكَ آنا ؟!
وَإذا قَضَيْتَ فَهَلْ بِأَمرِكَ تَنْتَهِى مِنْكَ الْحَيَاةُ وتَلْبَسُ الأكْفَانا ؟!
مَنْ ذا أَرَادَ لَكَ الْوُجُودَ أأنْتَ أمْ أبَواكَ قَدْ شَاءَاكَ سَاعَةَ كانَا ؟!
قَدْ أَلْقَيَاكَ مُجَاجَةً مَمْجُوجَةً فَإِذَا الْمجَاجَةُ سُوِّيَتْ إنْسانَا
مَنْ ذَا أرادَ أأنتَ أمْ رَحِمٌ : بِهَا قَدْ كُنْتَ شَيْئًا يُشْبِهُ الدِّيدَانا
يَادُودَةً فِي الْقاعِ .. مَنْ قَدْ شاءَهَا بَشَراً سَوِيًّا .. يَملأُ الأكْوانا ؟
اللهُ رَبُّ الْخَلْقِ جَلَّ جَلالُهُ خَلَقَ الْحَيَاةَ وَصَوَّرَ الأَبْدانَا
الْحَمْدُ للهِ الّذِى قَدْ خَصَّنَا مِنْهُ بِنِعْمَةِ دِينِهِ وَهَدَانَا
وأَنَارَ بِالقُرْآنِ لَيْلَ حيَاتِنَا لِنَرَى الْحَيَاةَ وَنُورَهَا : الْقُرْآنا

الفطرة.. والكون

للأستاذ : البهي الخولي

قد يقول بعضهم فى انكار أو عتب : ما بال القرآن يقحم فى مباحث الفلسفة ، والعلم ، والفكر ؟ ! ذلك ان من الاسس التى يعتمدها الغرب ضابطا للتفكير العلمى ، استبعاد النصوص الدينية جملة عن أفق العلم ، فلا يستشهد بها لصحة شىء منه ، ولا تجعل مصدرا لحقيقة من حقائقه ، ولا تتخذ قاعدة للتفريع فيه أو البناء ... عندهم أن لكل عالم أو مفكر أن يعتقد ما شاء فى الخالق .. له أن يجحده وله أن يؤمن به ، وليس له بحال أن يجعل لعقيدته والنصوص المتعلقة بها أثرا ما فى حياته العلمية ومنهجه العقلى ، فان امور العقيدة والدين لديهم ــ على أحسن التقدير ــ أمور وجدانية ترجع الى الذوق الباطن ، والتصديق القلبى والوحى الالهى اذا اعتقدوا ان الدين وحى من السماء ، أما امور العلم فترجع الى حكم الواقع المحس الذى تمحصه الملاحظة والتجربة وتضبطه معايير العقل بمختلف القواعد والأقيسة الرياضية .. ولا يستقيم شأن الانسان فى الدين والعلم الا ان يأخذ كلا بدستوره فى التحصيل والتعاطى هذا بالقلب والالهام وذاك بمعايير الفكر وفيصل التجربة .

وبيننا كثيرون أخذوا هذا الأخذ بحسن نية أو بمحض التبعية العقلية للغرب ، فقضايا الدين لديهم ليست من قضايا الفكر ولا حقائق العلم التى تناقش بها شئون الواقع وتحرر بها أوضاع الحياة ، ومنهم من صرح بأن موضوعات الدين وبرامجه الاذاعية ليست برامج ثقافية ، انما هى موضوعات لطمأنينة النفس وارضاء الوجدان العام فاذا رأوا عنوانا يتحدث عن « القرآن ومنهج المعرفة ــ مثلا انغضوا رءوسهم وزموا شفاههم وقالوا ــ ما للقرآن نقحمه فى

أخص موضـــوعات الفلسفة والفكر وربما طووا المجلة أو طووا ــ على الاقل صفحات المقال لأنه يقوم على فكرة خاطئة تستبيح الخلط بين ما هو من شئون الوجدان وما هو من شئون المنطق » .

ونحن نعذر الغرب ــ الى حد ما ــ اذ جعـــل للدين هذا المفهوم الذى يفصل بين الدين والحياة ويعزل العقيدة عن مجال العقل ، فان لذلك أســـبابه من سلوك رجال الدين المسيحى وتفســـير نصوصـــه فى القرون الوسطى ، ونعذر الى حد ما ــ أيضـــا ــ اولئك الذين تابعوهم منا على ذلك المفهوم فان له ــ أيضا ــ أسبابه التى لا نطيل بذكرها ، ونعلن لهؤلاء وأولئك أن المعنى الذى فهموه للدين هو تلفيق شـــائه لا يمثل حقيقة كونية ولم يرده الله لدين من الأديان ، انما اراد الله دينا هو حقيقة علمية يشهدها العقل فى صفحات الكون المحس كما يشهد أن الواحد نصف الاثنين وأن الكل اكبر من الجزء .. اراد الله دينا هو حصـــيلة نظر عقلى حر فى حقائق الكون المادى غير متأثر بأى ايحاء ، أو تخيل أو تقليد موروث .. فاذا كانت حصيلة النظر فى آفاق الكون تعتبر فى ضوابط المعرفة وموازينها (علما) فهذه الحصيلة ذاتها هى مفهوم الدين .. أى هى علم ودين ما .. وذلك معنى سنعرض لبيانه ان شاء الله فى موضعه .

فاذا ذكرنا القرآن بصـــدد المعرفة فانا نعنى كتابا نمطا غير الذى تمثلوه للكتب الدينية ، نعنى كتابا يتضمن مناهج سديدة فطرية للنظر فى الكون ، ويجعل حصيلة ذلك النظر قوام علم الانســـان وجماع مبادئه وقيمه ، وهو فى تقريره لتلك المناهج لايعنت الفطرة باقحام الاوامر وســـوقها الى مالا تعهد ، بل ينبه معايير الوعى والادراك فيها أن تنظر فيما حولها ، ولا يرضى بتة بغير ما تقبل وتأتى به تلك الفطرة .. فلينظروا معنا فيما يعرض ذلك الكتاب الحكيم ، فانهم موشكون أن يروا النمط الأصح لمسلك الفكر الى المعرفة ، وهو نمط يحســـم الاخطاء ويبلغ اليقين الذى تقر به الافئدة وتسعد الضمائر .

فالقرآن فى هذا الباب انما هو ترجمة مافى الفطرة ، يقرر صلتها بالكون ، وما تتضمن من ملكات النظر وكيفيته .. فلو أن انسانا ــ لايعرف القرآن ــ أقام فطرته على سمتها فى نظره الى الكون ، وانعم النظر وتحليل الملاحظة ، وسجل ماينتهى اليه جهـــد التفكير والتفاعل مع الكون لوجدنا حصـــيلة تتحلى بنفس الخصائص التى يقررها القرآن مع فارق أساسى ظاهر هو الشمول والاحاطة فى تقرير القرآن مع صدق الخصائص وعمقها .. وهذا هو النهج الذى اتبعته فى هذا المبحث فانى عولت على الفطرة وواقع تفاعلهـــا مع الكون ، واطلقت العقل على سجيته فألفيته فى أكثر ما كتبت ينتهى بى الى مفهوم آية قرآنية لم تكن بخلدى حين بدء الكتابة ، بحيث لا يشرق على نصها الا وقد تمهد العقل لمفهومها فيظن العقل لقوة وضوح المعنى فى البديهة كأن الآية لا تتضمن ناموسا باقيا أو حقيقة خطيرة تستأهل التقرير .

تماثل الكـــون والفطـــرة

وقد كتب الباحثون كثيرا عن بداءة الانسان وتطور صلته بالكون منذ وعى نفســـه الى اليوم .. وكتبوا على الاخص فى صحبته العقلية له ، او صـــلته العقلية به ، فبينوا كيف كانت ساذجة بادىء بدء لاتحسن التعليل والحكم على ماترى من مشاهد وظواهر كونية خطيرة كمشاهد الشمس والقمر والســـماء والنجوم .. وكظواهر الرعد والبرق والسحب والمطر والسيل ، اذ كان يسأل

نفسه فى دهشـــة ما هذا ؟ وكيف ؟ ولم ؟ أو من أحداثه ؟ فلا يجد فى خزانة تجاربه وملاحظاته ما يقدم له الحكم الصادق والتعليل القويم لما يرى .

وتمضى الحقب وتتتابع الدهور ، ويأخذ على ضوء ما حصل من تجربة وما توالى من ملاحظات فى تعديل احكامه ومراجعة ماله من تعليل حتى بلغ اليوم شأوا يعتد به فى ذلك .. ولسنا بصدد احصاء ما كان له من خطأ وصواب .. وخرافة وعلم وحمق وحكمة ، ولكنا نلحظ فى حصيلة ذلك الماضى وما انتهى اليه الآن ان بين الكون وفطرة الانسان فطرته الحسية وفطرته النفســية وفطرته العقلية علاقة تواؤم أو توافق تلفت النظر ومن ظواهر ذلك التوافق ما يلى :

١ ــ الملاءمة التى يلبى بهــا الكون ضرورات الانســـان واحتياجاته فقد صحب الانسان الكون منذ بداءته بصفحة بيضاء خالية من التجربة فقادته حواسه ومعدته الى التفاعل معه فوجد انه كلما احتاج الى طعام أو شراب أو نحوهما من مقومات حياته قدمه له الكون أى وجده أمامه ميسرا حاضرا موافقا لفطرته وحاجته .

وهذا ضرب من التوافق بديهى وخطير معا ، بديهى لانه واضح وضوحا لا يكاد الانسان يلتفت اليه « ومن شدة الظهور الخفاء » كما يقول البوصيرى وخطير لانه أساس حياة الانسان الحسية فى الأرض . وقد كان من وضوح هذا التوافق اننا شغلنا عن التفكير فى خطورته وعجائبه حتى اذا رحل الانسان الى القمر لم يرحل اليه الا ومعه طعامه وشرابه ، بل لم يرحل اليه الا ومعه هواؤه الذى يتنفسه ، وكل من تتبع أنباء رحلات الفضاء كان يعلم أنه لو ثقبت ملابس أحد رجال الرحلة لفقد حيــاته ولا بد ، لأن هواء القمر ليس له التركيب الذى يتلاءم به مع كيان الانسان الحسى .

ومن هنا ندرك ان قوله تعالى (ياأيها الناس كلوا مما فى الأرض حــلالا طيبا) و (كلوا واشربوا من رزق الله) لا يقتصر فحواه على أنه مجرد دعوة الى أن نأكل ونشرب مما فى الأرض لأن ضرورة الانسان تدعوه بل تضطره الى ذلك دون انتظار لصدور الاذن أو الأمر به ، انما يتضمن القول الكريم ــ الى معنى الدعوة ــ حقائق هى سنن من سنن الله ، يدخل فى غرضنا منها الآن اثنتان : الاولى تقرير افتقار حياة الانسان أى افتقار فطرته الحسية الى مافى الارض من عناصر ، وتلك حقيقة كونية خاصة بنا لا جدال فيها ، والثانية تقرير الملاءمة بين عناصر الأرض وفطرة الانسان وهى سنة كونية أخرى ..

وفى كل ذلك للانسان آفاق من الاعتبار والعلم على مثل ما يقول تعالى (كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى) ولسنا بصدد الاستطراد الى حديث تلك الافاق فسيأتى ان شاء الله فى مناســبته ، والذى يعنينا فى مقامنا هذا أن ما قررناه هو ضرب من الملاءمة أو التماثل بين الانسان والكون لا مرية فيه .

٢ ــ وفى الكون ضروب من الثروات كالحديد والنحاس والذهب والفضة وغيرها من الفلزات التى ليست بطعام ولا شراب ولا تدعو اليها ضرورات البدن الحيوية ، اذ أن أى حيوان انما يعيش دون حاجة الى حديد أو معدن ، بل دون أن يدرى ما الحديد ولا المعدن ، ولكنا ندرك فى الوقت نفسه أن تلك المعادن تدخل فى حياتنا دخولا عمليا فلا نجد ظرفا من ظروف حياتنا المختلفة الا ولها فيه دور يتطلبها ، (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) ذلك ان للانســـان فطرة عدا فطرة الحيوان التى قدمنا فى الفقرة الســـابقة هى فطرة التحضر

والتمدن التى لا تنشد طعاما ولا شرابا بل تنبعث باحتيـاجات لا تجد سدادها الا فى مكونات تلك الأرض من معدن وحجارة ونحوهما .

والمعروف أن الانسان القديم حين دعاه الخوف الى التجمـع ليدرأ عن نفسه غائلة الضوارى ظل له احساسه بفرديته التى يسمونها : ال (أنا) فان التجمع كان مطلوبا لحماية ال (أنا) لا لتذوب فيه الفردية وتتلاشى ، وما لبث بالتجمع أن وجد نزوعا فطريا ينبثق من تلك الفردية فى عمق ينشـد التستـر والانفراد بمسكن مستقل ، وسـنعود لشىء من تحليل ذلك بعد قليل فى هذا المقال ، والذى يعنينا هنا أن هذا النزوع الفطرى كان بمثابة نداء باطنى ملح فى طلب السكن المستقل ، ولم يكن باستطاعة الانسان أن يتجاهله فتحرك فى بيئة الجبال يطلب الكن ، واقبل فى بيئة البدو يتخذ من الجلود والأوبار خباءه ، وفى بيئـة الادغال يتخذ كوخه ، وفى الريف وجد ما ينشـد فى مادة الارض حجارتها وطينهـا ونحوهـا وفى هذا المعنى الدقيق الذى يمثل البذرة الأولى لحضارة الانسان يقول تعالى : « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم » ، « والله جعل لـكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا » .

وإلحاح هذا الباعث وشدة دأبه على الحفز والاسـتحثاث لطلب البيت المستقل يذكرنا بالحاح باعث المعـدة لطلب القوت ، كأن الباعث الاول (معدة نفسية) الى جانب المعدة المحسة ، فهما دائبتان على حفز الانسان للاتصـال بالكون الخارجى ، معدة الحس تطلب القوت من مادة ذلك الكون ، لتحصـيل الطاقة التى بها سـعى البدن وممارسة نشاطه على وجـه الأرض ، والمعدة الاخرى تطلب (البيت) من مادة الكون نفسه اذ هو الحضانة الضرورية لخصائص حضارة الانسـان ، فتكون المعانى والطاقة النبيلة التى تقوم بها الحضـارة وتزدان الحياة .

ولسنا نتحدث عن دور البيت بل نتحدث عنه باعتباره أمرا مطلوبا تنشده الفطرة وتلح فى طلبه فلا تسـكن الا أن ينبعث الانسان ويحقق لهـا من مادة الأرض ما تريد ، ويعنينا من ذلك أن كوننا الأرضى واجه مطلب الانسان فقدم له من مادته ما يلائم ضرورته ، وهو ضرب من التماثل أو المواءمة لا مرية فيه .

٣ ــ وفى الكون ما نسميه (قوانين الطبيعة) وهى حقائق مغلقة دون الحواس ، ولا تجـد مفاتحها فى ذهن حيوان أو معـدن أو نبات ، انما تجدها فى ذهن الانسان وحده ، ومعنى ذلك أن لذهن الانسان خاصية تلائم نظام تلك القوانين ، فاذا التقت تلك الخاصية بتلك القوانين على السنة العلمية المقررة أو المقدرة لالتقائها أفضت القوانين للذهن بسر تسخيرها ، وكان للانسان منها كل منفعة مقدورة ممكنة ، فالانسان بهذا لم يسخر القوانين ، ولم يوجدها كما يتبادر لذوى النظر السطحى الذين يزعمون أن الانسان قهر الطبيعة وسـخر قوانينها ، وتحدى الكون فظهر عليه ، فان الانسان لا يملك أية قدرة عقلية أو بدنية لتسخير قانون مافى غير ماقدر له ، أى لاقدرة له بتة على اخراج نواميس الكون عن طبيعتها ليجعلها كما يشاء ، فالذى يدل عليه النظر الصادق النافذ أن نواميس الكون سويت على ما أراد خالقها ، وقد سويت على الوضـع الذى يحقق التطابق بين بعضها وبعض « ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت » ومن تلك النواميس نظام عقل الانسان ، وبهذا التطابق بين الجميع تعمل كافة النواميس فى تناسق وتكامل ، فلا يكون النظام الذى يتفق مع مصلحة كل كائن بحسب

مكانه فى الكون ودرجته فى سلم الحياة وكل الكائنات فى ذلك سواء الا أن خاصية الرياضة فى ذهن الانسان ــ أى خاصية فهم تقديرات النواميس لا تهتدى الى نظام تطابقها الا بالتجربة ودقة الملاحظة ، فاذا اهتدت تيسرت للانسان منها منفعة ، وقيل انه سخر الطبيعة وهو خطأ قدمنا صوابه ، فالطبيعة قد خلقت مسخرة ميسرة لما أريد لها ، والمصالح انما هى ثمرة التطابق ومظهره ،، واذا كان التطابق يعنى معرفة التقديرات الرياضية التى تعمل بها كافة قوانين الطبيعة عملها الدائب ، فيكيف الانسان أسلوب سعيه فى تحقيق منافعه ومصالحه على قواعد الاستفادة من تلك القوانين ، اذا كان التطابق يعنى ذلك فان مرادنا هو ذلك التماثل بين عقل الانسان ونظام الكون .. وهو ضرب ثالث من الملاءمة والتوافق لا مرية فيه .

تلك ظواهر ثلاث قائمة مسلمة ، لا شك فى قيامها وتسليمها ، ويعنينا منها أنها دليل حاسم على ما بين فطرة الانسان ونظام الكون من تواؤم وتطابق ، بل ان الامر على ماهو واضح فوق مرتبة الدليل الحاسم ، فان ماقدمنا انما هو ثمرة الملاءمة والتطابق يراها العقل ملحقة بأصلها فى يقين لا شبهة فيه بتة ، والمرء بازاء رؤيته العقلية لتلك الثمرة لا يجد فى نفسه أى مجال لالتماس دليل يثبت له تلك الصلة ، فان التطابق لو لم يكن أمرا مشتركا بين الكائنات وسنة جامعة لها لرفض الجسم أى طعام يتناوله الانسان بل لما كان ثمة طعام قط ، ولما تهيأ للانسان ادراك أى قانون طبيعى ، ولما نشأت له أى حاجة الى حديد أو نحوه ، ولكانت صلتنا بالفلزات عامة كصلة أى حيوان أو دابة فى البر والبحر والجو ، ونخرج من هذا بأن التطابق بين نظام فطرة الانسان ونواميس الكون وحقائقه ليس من قبيل الدعوى أو القضية ، انما هو حقيقة مشهودة بآثارها لمن اعتادوا أن يدركوا بقولهم حقائق الكون الحسية والمعنوية .

الفطرة رائدة الى التواؤم

وواضح مما تقدم أن فطرة الانسان ــ فطرته الحسية والنفسية والعقلية ــ كانت هى رائدة جهوده فيما حقق من تطابق بينه وبين الكون .

١ ــ فان حواس الانسان ومعدته قادته ــ على ما قدمنا ــ الى التفاعل مع الكون ، فوجد أنه كلما احتاج الى طعام أو شراب قدمه له : وتقرير ذلك من حيث طبيعة الجسم أن الانسان يحس الجوع فيبعثه الى أن ينهض باحثا عن القوت أو ساعيا اليه ، فاذا أدرك حاجته منه سكن عنه الجوع ، ثم يتقلب فى الأرض تقلبه ويكد ما يكد ، فيفقد الجسم بما يبذل من جهد وحركة الكثير من خلاياه ــ أو الكثير من لبنات بنائه فيتخلخل ويفقد توازنه ويحتاج الى عملية تعويض تعيد اليه ما فقد من بنائه ، ويكون (الاحساس بالجوع) هو الناقوس الذى ينبه الانسان ويدعوه الى عملية التعويض ــ أى الى وجبة طعام ــ تقيم الصلب على سمته الطبيعى .. وبنداء هذا الداعى ــ الجوع ــ ينهض الانسان باحثا عن الطعام أو ساعيا اليه .. وهكذا ... وذلك ما يسمونه غريزة « المحافظة على الذات » .

ونلاحظ فى تقرير ذلك أن المعدة لا تفقد شيئا من بنيتها بسبب سعى الانسان وكدحه اليومى ، انما الذى يفقد هو الدم ، وهو الذى يضار ويتخلخل ، ويحصل بتلك الخلخلة وما احترق من الخلايا أن يحس الانسان (بالتعب) وذلك منطق تركيب بنية البدن ، فاذا أصاب الانسان حظا من الراحة قد يذهب عنه احساسه بالتعب ، ولكن يظل الجسم تنقصه (عملية التعويض) فاذا لم يكن هناك ناقوس

فطرى يسوقه سوقا الى وجبة الطعام ، فان الانسان لا يتنبه لشىء الا الى أن جسمه فى ضمور وذبول مستمر .. حتى يقضى .. فشاءت حكمة الخالق أن ينبعث هذا (الاحساس الصائح) الجوع من جوف المعدة ، العضو الذى لم يمسه نصب ولم يفقـد من بنـائه خلية واحدة مع التساهل بعض الشىء فى المصطلحات الطبية ، فالاحساس بالجوع هو قوام غريزة (المحافظة على الذات) .. وهو بما قدمنا أمر فطرى مركوز فى النفس لا ينفك عنها ، وهو اذ يؤدى للانسان أخطر ما يحفظ كيانه الحسى ، **يعمل عمـله الدائب القوى فى سوقه الى التواؤم مع الكون .**

هذا وقد بلغ الانسان فى هذا الضرب من التواؤم أقصى غايته اذ لم يبق فى الأرض عنصر واحد تدعو اليه المحافظة على الذات ــ أى تتعلق به حياة البدن ــ الا أخذ حظه منه منذ أقدم العصور من هواء وماء وخضر وحب وفاكهة وبقـل ونحوه .. وما نشهد للانسان من جهود فى هذا السبيل انما هو اعادة وتكرير لمطالب (المحافظة على الذات) وليس من قبيل الاضافة التى تحقق بها غريزة المحافظة على الذات تطابقا جديدا مع عناصر لم تكن تطابقت معها .

على أن الانسان منذ أقدم عصور تحضره نسى باعث المحافظة على الذات ، وتولاه نهم الى الترف ومضاعفة الاحساس باللذة ، وتنوع صنوفها ، والحصول على اكبر قدر ممكن منها : فلا يأكل أو يشرب ليؤدى لبدنه حقه ، بل اسـتجابة لما يصبو اليه من لذات .. كل ذلك فى طموح يزيد الجهد والتوسع فى الانتاج مع ابتكار المثيرات والأخلاط التى تشهى الطعام وتثير الرغبة اليه .

ولا شك أن اللذة أمر زائد على ماتطلبه غريزة المحافظة على الذات ، فان الاغراق فيها والاستكثار من صنوفها ليس عنصرا غذائيا يتجدد به للجسم ما فقد من خلاياه ، فهو بذلك أمر دخيل على طبيعة ونواميس صحته ، يرهقه وينهكه ، الى مايلحق بالنفس من تلف وبطر .. فاذا عرضـناه على منطق السنن الفيناه طاقة أو جهدا خاسرا لا مكان له فى الكون ، لا يأوى الى سـنة ولا يتطابق مع شىء ..

ولا جرم أن نبذ القرآن هذه الآفة ــ آفة الترف ــ وجعلها من ظواهر انحلال الحضارات والأمم على ما سيأتى فى مكانه .

أما الطموح الذى أشرنا اليه فهو قوة مباركة تحدو الانسان الى المثل الأعلى فى كل شأنه (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) ولكن استيلاء عوامل الغفلة على الانسان ينسيه مثله الأعلى ، فتضل تلك القوة غايتها ، وسنعرض لذلك ان شاء الله فى مناسبته ، وما أردنا بالاشـارة اليه الا أن نفرق بين ما هو حق وما هو باطل فى الميدان الذى تصطرع فيه قوى الانسان المختلفة ليعرف فضـل غريزة المحافظة على الذات فيما تؤدى اليه من مصلحة وفيما تحدوه اليه من تطابق مع الكون ..

٢ ــ والتجمع بالنسبة للانسان كان وسيلة يدفع بها عن ذاته مع بقاء تلك الذات على ما لها من معالم الفردية ، وخصـائص الأنانية .. وفى ظل التجمع وحماه بدأ يحس نزوعا من أعماق ذاته ينشد التستر فى بعض أمره .. بدأ يحس لنظرات الناس اليه فى بعض أمره حسابا غير حساب تعاونهم معه فى جلب صيد أو مغالبة الضوارى ، بدأ يحس لهذه النظرات انقباضا يحمله على ستر

بعض أعضائه واقامة ركن مستقل لمواراة بعض شأنه ، وازاء الحاح هـذا الاحساس وقوة دفعه وتوجيهه أقام الانسان (البيت) وسكنت به نفسه .

ولم يكن ذلك عرفا أو وضعا ارتضته الجماعة ، فان الاعراف قواعد محلية تنشأ ببواعث خاصة وتختلف من بيئة الى أخرى ، على حين نرى تلك الظاهرة ــ ظاهرة اتخاذ البيت ــ عامة فى كل بيئـات الانسان التى تسنى له فيهـا التجمع ، حتى لنرى أهل الريف والبدو وسكان الجبال والادغال تأخذهم داعية ذلك النزوع فيتخذون ذلك الكن ، فمنهم من وجد فى الجبال كنه ، وفى الادغال كوخه ، وفى البدو ــ من جلود الانعام ــ خباءه ، وفى مادة الريف من الطين أو اللبن مأواه ، على ما يعم القرآن بقوله الذى قدمنا (والله جعل لكم من بيوتكم سـكنا وجـعل لكم من جلود الأنعـام بيوتا تسـتخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم) .. (والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا) .. واذا كان ذلك عامـا فى كل بيئـة فقد مضى عليـه شـأن الافـراد فى كل عصر .

وكذلك لم يكن عامل المناخ هو الذى حفز الانسان أساسا لاتخاذ (البيت) ، فقد رأينا (البيوت) فى بعض البيئات ولا سقف لها فقصارى أصحابها منها أن تكنهم عمالا يريدون من نظرات التطفل والاستكناه (١) ذلك الى أن داعى التستر فى بيوت البدو أوفر وضوحا من دواعى اتقاء البرد والريح وغيرهما من عوارض الجو فى الليل والنهار (٢) .

ومن الملاحظ أن الانسان فى بعض المناطق يكتفى بستر عورته مع أنها أقل أعضاء بدنه تأثرا بحرارة الجو ، هذا وقد صحب الانسـان عوامل الجو دهورا طويلة قبل مرحلة التجمع فلم تثره الى ستر عورة أو اتخاذ بيت خاص ، انما كان ذلك بعد التجمع فى شأن لسنا بازاء بيانه .

واذا لم يكن اتخاذ البيت من قبيل العرف فى الجماعة ولا لاتقاء عوارض الجو ، وهو مع ذلك عام لجميع الافراد فى كل بيئة وجيل فهو أمر ذاتى لا عرضى يرجع الى فطرة النوع نفسه .

ويلاحظ أن باعث جمع القوت فى الفقرة السـابقة ــ الموسـومة برقم ١ ــ باعث حسـى حيوانى ، اذ المراد بالمحافظة على الذات المحافظة على حياة البدن ، أما الباعث هنا فلا يطلـب قوتا وليس هو من الـبواعث التى تنبثق من فطرة المحافظة على الذات ــ رأس غرائز الانسان ــ فليس هو جمعا لعرض ، أو منافسة عليه ، أو تصديا لقرن ، أو طلبا لسيادة ..

وقد يذكر هنا داعى (الفردية الاقتصادية) الذى يجنح بالفرد ليحوز الى جانبه حصيلة عمله فيكون جمعها فى (حيز خاص) تحقيقا لفرديته وارضاء لأنانيته وتوكيدا لشخصيته وارادته ، ويكون ذلك تفسيرا اقتصاديا لاتخاذ البيت ، وذلك مردود لأن من كان رزقه فى الغابة أو مذخورا له فى صيد البحر ، يحصل عليه يوما بيوم دون ضرورة لحيز لم يغنه ذلك عن اتخاذ البيت .

وكذلك الكثيرون الذين لا تزيد حصـيلة عملهم عن كفاية قوتهم اليومى ، فانهم قد اتخذوا البيت مع عدم الحافز الاقتصادى اليه ، ذلك الى أن (للفردية الاقتصادية) وزنا آخر يجردها من شوائبها وتعقيداتها ــ سنعرض له ان شاء الله فى حينه ــ وقصارى ما تنتهى اليه تلك الفردية بعد تجريد جوهرها من عقابيل الانانية ، وأوهامها الدخيلة ، انها عامل عمارة واحياء ، وليست من مقاصـد الطبيعة فى الحيازة والكنز .. ولما انحرف الانسان عن مثله الأعلى باسـتيلاء

الغفلة والعوامل الدخيلة انحرف معه طموحه وصادف اتجاهه نحو الحيازة نفس اتجاه عاملنا الأدبى الملح فى اتخاذ البيت ..

واذا فباعث اتخاذ البيت لا ينبثق من فطرة الحس فى الانسان .

واذا كان هذا الحافز فطرة غير حسية ، وهو فى الوقت نفسه فطرة فى كافة أفراد النوع فهو فطرة معنوية أو روحية أو أدبية ، ولولا أثرها العميق الحافز الى التستر فى دأب لا يسكن الا أن يتخذ الانسان بيته لما أحس لها أحد وجودا ، وأول ما قص القرآن من تجارب الانسان فى تلك الفطرة النازعة الى النيل أن آدم وزوجه عليهما السلام لما أكلا من الشجرة وبدت لهما سوءاتها أدركهما وازعهما ، أو داعيهما النبيل ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة سترا لما بدا منهما ..

ولقد سمى النزوع الى جمع القوت (غريزة المحافظة على الذات) لأن تلك المحافظة هى الغاية من الطعام ، وامضاء لهذا المنطق نسمى نزوع النفس الى اتخاذ البيت (غريزة السكن) ، اذ بهذا البيت تسكن النفس بستر ما يؤذيها تعرضه للأنظار ، وقد سماه الله (سكنا) بقوله : (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) ، وليس الشأن فى النص الكريم شأن مبتدأ وخبر انما هو نص على قانون من فطرة الانسان ، لا ينفك عنها ، وهو سكن نفسى لاحسى ، لا يتحقق الا أن يحتوى الانسان (بيت) خاصيه ، ومما له دلالة على (فطرية) هذا القانون فى النفس أن الانسان اذا نزل (فندقا) أحس — بامتداد الاقامة — نزوعا الى بيته الخاص مهما يكن بالفندق من أسباب الراحة وجودة الطعام والخدمة .

واذ تقرر أن تلك غريزة تبعث الانسان على التماس مطلب له من مادة الأرض ، وقد وجدت فى تلك المادة ما يلائم المطلب ، فذلك شاهد لتلك الفطرة بأنها قائد الانسان أو رائده الى التطابق مع الكون .

ويبقى أن نسأل : هل أتمت غريزة السكن دورها فى تحقيق التطابق أو أن ثمت مدى عليها أن تبلغه ؟.. والاجابة ميسورة اذا ذكرنا أن تلك الغريزة لا تنشد سوى ما يكنها عن نظرات الفضول ، وقد تحقق ذلك من أول الأمر بأيسر المواد .. بخباء البادية ، وكوخ الأدغال ، وبالحجارة الساذجة أو الطين أو اللبن أو بهن جميعا فى الريف ، وما زاد عن ذلك بالاتساع وكثرة الحجرات أو التعالى فى البنيان ، فليس من مطلب الفطرة وهو فوق ما تدعو اليه الضرورة ، فمكانه هنا هو مكان التزيد فى الأطعمة من الترف وتزينها بالنسبة لغريزة المحافظة على الذات ، وقد كان بيت النبى محمد — عليه الصلاة والسلام — حجرة بسيطة قائمة بالجريد الذى يشده الطين والشعر بعضه الى بعض ، فليس التعالى والتوسع والغلو فى الزخرف والأثاث ونحوه الا أثر الاستغراق فى شهوات المظهر وفتنة حاسة النظر عما جعلت له ..

ويجب ان نفرق بين ذلك الغلو فى اتخاذ البيت وبين واجب العمارة الذى القى على الانسان بقوله تعالى (هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها) اى طلب اليكم عمارتها بالزرع والاحياء ، وبناء المدارس والمستشفيات والمصانع ونحوها من المنشآت النافعة ، ولذا نعى الله على قوم مجاوزتهم للحكمة فى البنيان بقوله : (أتبنون بكل ريع آية تبعثون) ، واعتد ذلك من مظاهر انحلال الأمم وذهاب الحضارات ، وسنعرض له فى موضعه من البحث .

فثمت عمارة دعى اليها الانسان وأهل لها بملكة فى الذهن ، وثمت مطالب غريزة السكن التى لا تنشد سوى مجرد بيت ،، ويجب أن نفرق بين هذين

وبين مظاهر الطموح الذى ضـــل سبيله ، فجاوز بجهود الانســـان حدا الحكمة والضرورة فى المطعم والمسكن الى عبث يوبق النفس والمال والمجتمع .

ونخلص مما تقدم بأن غريزة السكن قد أدركت غايتها من تطابق الانسان مع الكون ، منذ استخلصت من مادته الطبيعية حاجتها الى بيت يكن على صورة أولية ، وأن جهود الانسان فيما وراء ذلك لا تحقق جديدا من التطابق فى بابها لأنها اما عبث ذاهب الى خسر ، واما عمارة سيأتى نبؤها على ما قدمنا . .

٣ ــ وكان ما حقق الانسان من مواءمة عقلية بينه وبين نواميس الكون ثمرة فطرة حافزة رائدة ، انبثقت فى الانسان وصحبته فى مدارج تطوره منـــذ وعى نفسه الى اليوم ، اذ كانت تلك الفطرة تستشرف لكل ما يثير اهتمامها من ظاهرة أو حدث أو كائن ، محاولة أن تعرف ماهيته ، أو كيفيته ، أو علته . . لم تكن تملك أن تنظـــر السماء والقمـــر والنجـــوم والشمس فى غير اهتمـــام وتساؤل ، وما من شك فى أن ظاهرات البرق والرعد والعواصف والسحب والمطر وارتفاع مد البحر مثلا قد أثارتها فانبعثت تسأل ما هذا ؟! كيف كان ؟! لم ، أو من أحدثه ؟! وكانت فى كل ذلك تثير العقل للبحث والكشف عن المراد ، وكان العقل خلال هذا المدى الطويل كثيرا ما يعود من بحثه باجتهاد خاطىء أو وهم وقع له على غير أساس علمى . . وقلما كان يصيب . .

ولا يعنينا ما كان للعقل فى ذلك من خطأ وصواب ، وخرافة علم وكذلك لايعنينا لم كان الخطأ أو لم كان الصواب ، انما يعنينا شأن تلك الفطرة المستشرفة التى تتساءل فتبعث العقل ليعرف ما تسأل عنه . . ان هذا التساؤل يمثل ولا بد رغبة نازعة الى المعرفة أو الى التعلم ، ومن البديهى أن يسبق التساؤل ادراك الحواس لشىء يثير السؤال ، ظاهرة أو حدث أو كائن ، فاذا حصل ذلك الشىء فى وعى الانسان ، وكان غير معروف الكنه أو الكيفية أو العلة ــ استشرفت تلك الفطرة فطرة التعلم الى معرفة ما تجهل ، فادراك الحواس لشىء ما أمر ضرورى لحصول ذلك الشىء فى وعى الانسان ، ثم يكون الاستشراف للمعرفة والتساؤل ويكون انبعاث العقل للملاحظة والتجربة والموازنة والكشف .

وتلك فطرة فى كل آدمى بلا جدال ودون استثناء ، وهى جديرة أن تسمى (فطرة المعرفة) ، ولكن أجدر من ذلك أن تسمى (فطرة التعلم) ، ففى كلمة (التعلم) معنى ايجابى ، و دلالة على جهد ذاتى ، ينشد الكشف عما لا يعلم الانسان ، وذلك نفسه هو شأن تلك الفطرة ، على أننا ننظر فى ذلك الاختيار الى قوله تعالى فى أول ما نزل به الوحى « علم الانسان ما لم يعلم » فالتعليم هنا ليس تعليم تفـــاصيل الشرائع وأصولها ، وليس تعليم كائنـــات الطبيعة عناصرها وخواصها وقوانينها ، وليس تعليم السنن الانسانية الخاصة بتقويم الانسان ، وما بذلك التقويم من عجائب الملكات ، وقوانين الايجاب ، وحقائق السلب ، وما له فى مجتمعـــه من نواميس الصـــلاح والترابط أو الفســـاد والانحلال . التعليم هنا لا يراد به قطعـــا شىء من ذلك لأنه حين نزول النص الكريم (علم الانسان ما لم يعلم) لم يكن للانسان علم بما قدمنا أو نحوه ، واذ هو تعالى صادق أتم الصدق وأكمله ، فالنص الكريم يتضمن اخبارا بخصوصية تكوينية ثبت بها فى الانسان ملكات التعلم ، واستعداداته التى تجعله طلعـــة دائم الاستشراف لمعرفة ما لم يعلم ، ويؤنسنا فى هذا قوله تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) ، فان التأمل فى تاريخ الانسان ، وتدرجه فى المعرفة مع الاطلاع على ما لأئمة المفسرين من قول فى ذلك ، يوجه العقل الى أن هذا التعليم ليس

مرادا به أنه تعالى علم آدم كل علم كان وكائن وسيكون بكل لغة كانت وكائنة وستكون ، فكان عليه السلام يعلم قوانين الطبيعة فى الفلك والكيمياء وتسخير المـاء والهواء والمغناطيس والكهرباء والرياضة البحتة ونظرية النسبية والذرة ومحتوياتها ونحوه مما هو معروف الى ما يجد الانسان فى معرفته وكشف اللثام عنه ، ولسنا نستبعد ذلك على قدرة الله ، ولكنا نقوله لأن الاليق بحكمة الله أن يعلمه ـــ فعلا ـــ ما ينظم صلته بواقعه ، وتتحقق به المصلحة ، أما أن يعلمه ذلك كله كما يعرفه العلماء الآن وكما سيعلمونه فيما بعد ليكون معطلا فى ذهنه لا يطبق منه شيئا فى حياته ولا يكون له أثر فى انتفاع أهله وبنيه به ، فهو مناف للحكمة على ما علمنا من سنته تعالى ، اذ لا يجلى الشىء الا حين تتهيأ الاسباب للانتفاع به ومعرفة حكمته ، انما نذهب فى هذا التعليم الى ما ذهبنا فى قوله تعالى (علم الانسان ما لم يعلم) . .

ونخرج من هذا بأن أجدر ما تسمى به تلك الفطرة هو (فطرة التعلم) لمطابقته لغويا لواقع الانسان فى المعرفة ولورود الوحى به .

واذ تقرر من فطرة التعلم أنها نازعة أبدا الى التساؤل والاستشراف ، سائقة الانسان أو متنقلة به من جهل الى معرفة ، والمعرفة هى الأمر الحتمى للتطابق بين نظام عقل الانسـان وقوانين الكون ـــ فان معناه أن فطرة التعلم كانت رائدة الانسان فيما حقق من تطابق .

وقد سألنا فى شأن غريزتى (المحافظة على الذات) و (السـكن) هل أدركت كل منهما تمام دورها فى التطابق ، وتبين من المناقشـة أن كلا منهما أدركت الغاية من ذلك ، ومن الطبيعى أن نسأل هنا السؤال نفسه : هل حققت فطرة التعلم غايتها ؟ أى هل حققت دورها فى التطابق العقلى بين الانسـان والكون ؟

ولكى يتهيأ الذهن للاجابة عن هذا نذكر .

ا ـــ أن صفحة الكون الطبيعى كله فى الأرض والسـماء بما حوت من كائنات ونواميس هى مجال نشاط تلك الفطرة ، وذلك بديهـى ، فانه ليس لنا مصدر طبيعى للعلم سواها .

ب ـــ وان وسيلة تحصيل العلم منها تلك الفطرة .

جـ ـــ وأن صفحة الكون مبسوطة أمامنا لا تطوى عنا شيئا من محتوياتها ودلالاتها ، ولا تكف أحدا عن التطلب والتعلم ، واذا كان ذلك هو الواقع البديهى فقد قرره القرآن الكريم بقوله : ـــ (انظروا ماذا فى السموات والأرض) ؟ ، أى يطلب الينا أن نقوم بعمليات مسح عقلى لآماد الكون وآفاقه لنعرف (ماذا فى السـموات والأرض) ، ومعلوم أن ذلك مطلب رهيب خطير ، فان مفهوم السموات يمتد آفاقا بعد آفاق فى مسافات تحيد الرءوس لذكر أبعادها الى ما لا يمكن ادراك أبعاده ، وتنقطع دونه أدق الوسائل العلمية ، فلن تبلغه يوما من الايام ، (فلا أقسم بما تبصرون . وما لا تبصرون) ، ولكن الخالق تعالى ما كان ليكلفنا هـذا التكليف الخطير الشريف الا وهو يعلم أن ما كرمنا به من أهلـية التعلم كفء له ، (لا يكلف الله نفسـا الا وسعها) ، لا يكلف الله نفسـا الا ما آتاها) .

واذا كلفنا الله النظر فى تلك الآفاق السـحيقة والمجاهيل التى لا يعلم كنهها الا هو ، طلب الينا ألا نجاوز مادة الواقع المحس قيد شعرة ولا ما دونها (انظروا ماذا فى السموات والأرض) ؟ ، أى انظروا أى شىء فى السموات والأرض .. وهو نظر حسى عقلى معا ، وانما يقع الحس والعقل على مادة الكون لا غير ، وما يلابسها من حقائق عقلية ، أما ما وراء مادة الكون ، أى ما عداها ، وما يسمونه الشطحات والتورط فيما لا يناله الحس ولا يضبطه العقل برؤية بديهية أو قانون محسوب بقواعده وأقيسته ، فليس من سنن النظر العلمى الذى دعا اليها النص الكريم .

وقد ذكرنا (ملابسات) المادة ، ونعنى بها (حقائق) تلازمها ، ولا تنفك عنها ، ولا يمكن أن ترى المادة مستقلة عنها بحال ، من ذلك . أن المادة تشغل (حيزا) ، ولا بد .. وهـذا الحيز بقدر حجمها ، ولا بد .. لا يزيد عنه ولا ينقص ، ولا يتسنى للعقل بحال أن يرى المادة دون أن يراها متلبسة بالحيز كما لا يستطيع أن يرى حيزا ما مستقلا عن المادة بحيث يقول هذا حيز طائر فى الجو أو طائرة أو سحابة دون أن يكون ثمت شىء من ذلك ..

فالحيز حقيقة علمية لا شك فيها ، لأن العقل يشهدها ملابسة للمادة . كما تبصر العين شـخوص الأشـياء العادية ، ولكنه حقيقة لا تدل على ذاتها بنفسها بل تدل عليها المادة .

هذا مثال للحقائق البديهية العلمية التى تلابس المادة ، ويشهدها العقل ملابسة لها ، فاذا قلنا : ان المادة وحدها وما يشهد فيها العقل والحواس من عناصر وخصائص وملابسات هى موضوع (فطرة التعلم) ، واذا قلنا مع ذلك إن الحواس والعقل هما وسيلة تلك الفطرة ، وفيصـلها فى تمحيص وتحرير ما يستخلص الانسان من حقائق . فقد المنا بالأسـاس الذى لا يعتمد العلم سواه نهجا للمعرفة ، اذ ليس لنا فى غير الكون الشاخص للحس والعقل معا معتمد طبيعى للحق .

وبعد فتلك فطرة التعلم ، وذلك مجالها ونهجها .. فهل حققت غايتها من التطابق بين عقل الانسان وحقائق الكون ؟ ذلك ما سنعرض له فى المقال التالى ان شاء الله .

---

(١) مما يتسق مع كون البيوت للكن (والاستتار قول النبى محمد عليه الصلاة والسلام (لو أن امرأ طلع عليك بغير اذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك جناح) . وقول القرآن (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم) .

(٢) من شواهد اللغة عندنا ـ على ذلك أن البدوى يسمى بيئته (الخباء) ومنه خبأ الشىء أى ستره ، والخباء ما يعمل من وبر أو صوف للسكن ، وليس فى ذلك ما يتصل بمعانى مدافعة الجو .. ذلك الى أن البيت أصلا مصدر بات يبيت وهو متصل أو ملابس لليل ، وفيه معنى الستر ولـما رأى العربى فى مسكنه حقيقة الستر الدائم أطلق عليه كلمة بيت ، فصارت اسما له ، كان سدول الليل التى لا تنفذ منها الابصار تفشيه كل آن فلا تقتحمها نظرة فضول بليل أو نهار .. وليس فى تلك اللفتات والحركات الفعلية والنفسية ما ينظر الى هجمات جو ، لأن سدول الليل مقصورة على رد عوادى النظر لا عوادى الجو من أى نوع .

فلينظر الإنسان مم خلق

وأثر هذه النظرة في تثبيت العقيدة وتقويم الخلق

للدكتور : محمد سلام مدكور

صلة الانسان بالطين

بينا فى المقال السابق المنشور بالعدد رقم — ٦٥ — جماد الاول سنة ١٣٩٠ هـ

الصلة الوثيقة التى بين الانسان وبين أمه الارض ، وتمييز الانسان عن كل ما فى الأرض من كائنات بجعله خليفة لله فى الأرض ، وسر هذه الخلافة ، وأن هذه النظرة فى خلق الانسان وتطور مراحله جنينا دفعت البعض قديما الى الاعتراف بوجود قوة عليا مسئولة عن خلق الحياة ، وأن العلم لم يصل الى الحقائق التى جاء بها القرآن فى شأن تطورات الجنين فى الرحم الا فى قرون متأخرة جدا ، وأن الكشف عن هذه الحقائق خير هاد ومرشد للحق وموجه للايمان الكامل .

وسنتناول فى مقال هذا العدد : تنوع الآيات التى أشارت الى خلق الانسان ، وأساس تكوينه ، وكيف خلق الله الانسان الأول من الطين ، وقدرة الله على خلق بعض أفراد البشر على غير ما جاء فى هذا النص الكريم .

الآيات القرآنية الكريمة التى أشارت الى خلق الانسان عديدة ومختلفة ،

فمنها ما تناول خلق الانسان الأول الذى تنتهى عنده البشرية ، ومنها ما تناول الخلق نتيجة التزاوج ،

والحمل ، والتوالد ومن ذلك قوله تعالى (١) : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق » . وقوله جل شأنه (٢) : « فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » .

ومنها ما تناول الأمرين معا فنبه الانسان الى أصل خلقه من الأرض الميتة ، ثم التوالد من نطفه مستقطرة أو مستلة من جسم الحى يقول الله سبحانه (٣) : « الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين » . ويقول جل شأنه وعظمت قدرته (٤) : « هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الأرض واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم » .

أما الآيات التى أشارت الى خلق الانسان الأول والى ربط الانسان بالارض وبيان صلته بالتراب والماء فانها بينت ان الانسان خلق من مادة البناء الأولى وهى عناصر الأرض يقول الله سبحانه (٥) : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون .. » .

ويصور موقف ابليس من خلق آدم وقد أمر الله الملائكة بالسجودلآدم فسجدوا جميعا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين فيقول الله (٦) . « ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك ؟ . قال : أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » .

وينقل النويرى فى كتابه نهاية الارب (٧) عن وهب بن منبه أنه قال : قرأت فى التوراة ان الله عزوجل حين خلق آدم ركب جسده من أربعة أشياء ثم جعلها وراثة فى ولده تنمو فى جسدهم وينمون عليها الى يوم القيامة : رطب ، ويابس ، وسخن ، وبارد . فالله خلق آدم من تراب وماء ، وجعل فيه يبسا ورطوبة . فيبوسة كل جسد من قبل التراب ، ورطوبته من قبل الماء ، وحرارته من قبل النفس ، وبرودته من قبل الروح .

والواقع أن الروح الانسانية هو ذلك المعنى الذى ميز الله به الانسان على غيره من الاجناس حتى الملائكة الذين أمرهم الله أن يسجدوا لآدم اذ نفخ فيه من روحه فان جمهور المحققين على أن خواص البشر أفضل من خواص الملائكة لأنهم يطيعون الله لا عن جبلة ، وانما يطيعونهعن رياضة وجهاد حتى تصفو نفوسهم ، وأما عوام البشر فان عوام الملائكة أفضل منهم لأنهم أقرب الى الله طاعة وأكثر منهم عبادة يقول العز بن عبد السلام الفقيه الشافعى المتوفى سنة ٦٦٠ ه « اختلف الناس فى التفضيل بين الملائكة والبشر ، ولا شك أن الملائكة من حيث اجسادهم أفضل وأشرف من أجساد البشر ،

وأما باعتبار الأرواح فان روح الانبياء أفضل من عدة وجوه .. » .

ولقد نفخ الله الروح فى آدم على ذلك الوجه الخارق ، ثم شاء الله أن يجعل لاعادة النشأة الانسانية طريقا معينا هو طريق التوالد نتيجة التقاء الذكر والانثى واجتماع البويضة التى يفرزها مبيض الأنثى بالحيوان المنوى الذى يفرزه الرجل اجتماعا يتم فيه تلقيح البويضة وتكون أداة لبدء التكوين الجنينى . وقد مضى مألوف الناس على قاعدة التزاوج والتناسل بالتصوير فى الأرحام كيف شاء الله على السنن التى ألفتها البشرية « فيهب لمن يشاء أناثا . ويهب لمن

يشـــاء الذكور » ويهب لمن يشـــاء الجنسين ويجعل من يشاء عقيما .

والآيات التى أشـــارت الى خلق الانســـان . تدل فى جملتها على أن التراب ، والطين هـــو أول طور من أطوار الانسان على معنى أنه أصل للغذاء الذى هو مادة تلك الـــنطفة فان مادتها ترجـــع الى التغذى من النبات الذى تنبتـــه الأرض فى أى صورة كان تناول ذلك النبات ، ومن الحـــيوان الذى عاش وتغذى على ذلك النبات . فعناصر التربة الأرضية غذاء للانسان بطريق مباشر أو غير مباشر .

ومن المفسرين من يرى أن التراب المقصود فى آيات تكوين الانســـان هو التراب الذى نشأ منه الأب الذى هـــو أصـــل الانســـان آدم عليـــه السلام ولا كلام فى أنه المادة الاولى التى تكون منها الانســـان الأول ثم تناسلت ذريته منه . ومهما يكن فان التراب هو الأصل فى تكوين الانسان فى مادته الاولى الـــتى كان منهـــا بلا واسطة وهى « آدم » وفى أفراده المتناســـلة أيضا ، وبذا يكون معدن الانسان من التراب ، والطين ، ويكون مرد هذا الانســـان الى التراب فمن الارض نشـــأنا واليها نعود . انظر قول الله تعالـــى (٨) « ولقد خلقنا الانســـان من صـــلصـــال من حمأ مسنون » . والصلصال كما فى كتب اللغة . الطين اليابس الحر المخلوط بالرمل ... وانظر قوله جل شأنه (٩) « هـــو الذى خـــلقكم من طـــين » وقوله (١٠) . « يا أيهـــا الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب » .

وقد أثبت العلم أن هناك تشابها بين المواد التى يتـــكون منها الطين والمواد التى يتكون منها الانســـان . فالطين كما يقول المتخصصون فى علم طبقات الأرض يحتوى على مـــواد معدنية مثل الحديد ، والفســـفور ، والكالســـيوم والنحاس وغير ذلك . ومواد عضوية أساســـها النباتات والحـــيوانات الـــدقيقة التى فتتت وتحللت وامتزجت مع المواد المعدنية الموجـــودة فى الطين والتى جلبتها الأمطار من الجبال ، والصـــخور ، والمرتفعات .

وقال المتخصـــصـــون فى علم الحيوان: ان جسم الانسان يحتوى على كميات ونسب معينة من المواد التى يتكون منها الطين مما يقطـــع بقوة الصلة بين الانسان وبين الطين ويجعلنا نؤمن عن اعتقاد صادق بأننا من سلالة من طين وأن الانسان خلق من صلصال .

ويجعلنا نؤمن بحق بقرآنية هـــذا الـــكلام وأنه من عند الله . فما كان محمد صلوات الله وســـلامه عليه بالمتخصص فى علم طبقـــات الارض ولا عنده من الأجـــهزة ما يمكنه من معرفة تراكيب الانسان ومعدنه بل لم يكن عرف الجنس البشـــرى هذه الاجهزة وتلك الحقائق .

وبعد اثـــبات هذا التشـــابه فى التركيب بين عناصر الانسان والأرض يظهر بوضـــوح بطلان النظـــريات العلمية القديمة التى اتجهت الى أن الكائنات الحية نشأت هكذا من نفسها بطريق التوالد الـــذاتى من مـــواد الأرض ، والتى اتجهت الى أن المادة الحية قد وصلت الى الأرض بطريق الصدفة عن بعض الاجسام الاخرى الموجودة فى الفضـــاء ومن حقنا أن نتساءل كيف نشأت الحياة فى هذه الأجسام الأخرى الموجودة فى الفضاء

ومن الذى صنع هذا التوالد الذاتى وأوجد هذه الخاصية فيه . لابد أنه قوة عليا فوق طاقة هذه الحياة . لابد أنه الله خالق كل شىء ، وصدق الله فيما أخبر به .

وواضح أن أساس ما أتناوله بالكتابة فى هذا الموضوع هو الانسان الناشىء عن التوالد . الانسان الذى خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب . فلا يدخل فى موضوعنا ما خرج عن دائرة الجنين مما هو معروف من آيات الله فى خلقه غير خاضع لنظام التطوير . فهذا الخلق الأول الذى أشرنا اليه آية من آيات الله التى لا ترتبط بهذه السنن التى نحاول عرضها على القارىء الكريم ليثبت عقيدته ويقوم خلقه ويطمئن كل الاطمئنان الى أنه على حق فى عقيدته الاسلامية وأن الله حق وأن محمدا رسول الله حقا وصدقا وأن الله على رجعه لقادر ، وأنه محاسب على ما قدمت يداه .

كما أن خلق الأم الأولى للبشرية ليست مما يتصل بموضوعنا لأنها ما كانت من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ، وانما خلقها الله كما شاء على مقتضى قدرته وحكمته وكما يقول (١١) : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .. » وكما دلت عليه السنة النبوية الكريمة فلم يكن عجيبا بالاضافة الى قدرة الله أن يكون الذكر وعاء للأنثى وظرفا لخلقها وتكوينها .

وكذلك خلق المسيح عليه السلام من أمه البتول العذراء مريم لم يكن فى نظام هذا التطوير الذى نحاول عرضه على قراء مجلة الوعى الاسلامى ، وانما كان آية من آيات الله وقعت على وجه الاعجاز من غير خضوع لسنن الكون وأطواره لقول الله سبحانه (١٢) : « واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت . انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا . قال : انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا . قالت: انى يكون لى غلام ولميمسسنى بشر ولم أك بغيا . قال : كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ... » .

وسواء قلنا ان حمل المسيح عيسى ووضعه كان فى ساعة واحدة كما ينقل الالوسى فى كتابه (١٣) ، أو فى مدة الحمل الطبيعى ، أو دونه بقليل كما يقول بعض آخرون فهو شىء لم يخضع لنظام التوالد الذى نقصر بحثنا هنا عليه تبعا للآية التى ندور فى فلكها « فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » .

هذا وقد بين لنا الله جل شأنه وعظمت قدرته أنه قسم خلق الانسان فى أقسام ثلاثة وأضاف اليها ارادته العقم فى بعض الأفراد كما يقول سبحانه (١٤) « لله ملك السموات والأرض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير » فانظر كيف قدم الله سبحانه عرض هذه الأقسام بأن له ملك السموات والأرض مما يدل على أن له أن يتصرف بمقتضى ملكه بما يشاء ويحقق أى قسم من هذه الأقسام بقوله : « انه عليم قدير » . ليدل على أن كل هذه الأحوال كما أنها خاضعة لتثبيته . فهى غير جارية على مطلق الاستبداد بالأمر وانما هى على وفق

علمه الدقيق الحكيم وبمقتضى قدرته .
ولهذا فان الله قد يخرق العادة لبعض خلقه ممن وقع فى العقم كما وقع ذلك لسيدنا ابراهيم الخليل وزوجته سارة فقد كانت امرأته عجوزا ، عقيما وكان هو شيخا كبيرا كما يقول سبحانه (١٥) فى قصة سارة وقد بشرتها الملائكة بالولادة حكاية عنها . . « قالت ياويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشىء عجيب » . ويقول فى موضع آخر (١٦) . « فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت : عجوز عقيم . قالوا : كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم » .

وكما وقع لزكريا وزوجه فيما يقصه الله علينا بقوله (١٧) : « قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر » وبقوله سبحانه (١٨) حكاية عنه : « أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا » .

فهذا التحويل الآلهى من العقم الى الانجاب شىء من آيات الله التى لا تتصل بالسنن الكونية ونظامها المعهود مع مافيه من دلالة واضحة على قدرة الله الخارقة وأنه اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . وهو ان اتصل بموضوعنا فانه لا يتصل به من ناحية ما فيه من اعجاز تتمثل فى نتاجه بعد عقم وانما يتصل به من خضوعه للسنن الكونية والتطورات التى يمر بها الجنين بعد أن من الله عليه بذلك الانتاج . ولذلك فان العقم ليس من موضوعنا هنا أيضا وانما يقتصر كلامنا على الانسان الطبيعى ومراحل تطويره فى الرحم من بدء تكوينه حتى ولادته .

والى لقاء فى مقال آخر لنبدأ الكلام فيه عن أطوار الجنين فى الرحم التى يشير اليها قول الله تعالى (١٩) : « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث . . » .

---

(١) سورة العلق آية ٢/١ .
(٢) سورة لاطارق آيات ٧/٥ .
(٣) سورة السجدة آية ٨/٧ .
(٤) سورة النجم آية ٣٢ .
(٥) سورة آل عمران آية ٥٩ .
(٦) سورة الاعراف آية ١٢ .
(٧) ج٢ص٧ طبع دار الكتب بالقاهرة .
(٨) سورة الحجر آية ٢٦ .
(٩) سورة النعام آية ٢ .
(١٠) سورة الحج آية ٥ .
(١١) سورة النساء .
(١٢) سورة مريم آيات ١٦ ـ ٢١ .
(١٣) روح المعانى جـ ١٦ ص ٧٩ .
(١٤) سورة الشورى ٤٩ ـ ٥٠ .
(١٥) سورة هود آية ٧٢ .
(١٦) سورة الذاريات آية ٢٩ ـ ٣٠ .
(١٧) سورة آل عمران آية ٤٠ .
(١٨) سورة مريم آية ٨ .
(١٩) سورة الزمر آية ٦ .

نشأة الفقه الاسلامي وأصول مذاهبه

تطور الفقه ومنهج أتباع التابعين

تطور الفقه الاسلامى أمر ضرورى تتطلبه حياة الأمة التى تتجدد من زمن لآخر بمتطلباتها وحوادثها تلك الحوادث التى لايمكن حصرها على مدى العصور ، ولن يتأتى أن يكون لكل حادثة منها نص فى كتاب الله أو سنة رسوله ، ولهذا تدعو الحاجة الى الاستنباط والاجتهاد لمعرفة حكم ماجد من حوادث ، وفى هذا يقول الشهرستانى (وبالجملة نعلم قطعا ويقينا أن الحوادث والوقائع فى العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر والعد ، ونعلم قطعا أنه لم يرد فى كل حادثة نص ولا يتصور ذلك أيضا ، والنصوص اذا كانت متناهية والوقائع غير متناهية ، ومالا يتناهى لايضبطه ما يتناهى علم قطعا أن الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد) .

وقد حذا أتباع التابعين حذو أسلافهم من الصحابة والتابعين فى فقه ماجد من حوادث معتمدين فى ذلك على ما نقل اليهم من أقوال هؤلاء السلف بعد كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لأنهم أقرب الى عهد النبوة وأصدق فهما للقرآن (وما استنبطوه من أحكام ينبغى أن يكون موضع اهتمام الا اذا اختلفوا فيما بينهم ، وكان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالف قولهم مخالفة ظاهرة .

وهذا النهج الذى نهجه أتباع التابعين هو طريق السداد الذى تقتضيه الأمانة العلمية مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم « **يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله** » .

تطور الفقه - المدارس الفقهية - أسباب الاختلاف - المذاهب الفقهية المشهورة ..

للأستاذ : مناع القطان

وكان اختلاف آراء الصحابة والتابعين فى المسألة الواحدة حافزا لأتباع التابعين على البحث فى مرجع هذا الاختلاف وتمحيص الرأى فيه ، وأدى هذا الى افساح المجال للاختيار وان تأثر علماء كل بلد بشيوخهم السالفين .

المدارس الفقهية للأمصار

كان من آثار استقرار عدد كثير من الصحابة فى الأمصار الاسلامية أن نشأ فى كل مصر منها مدرسة تولاها بادىء الأمر الصحابة بأنفسهم ، ثم خلفهم أتباعهم الذين ورثوا عنهم فقههم ورووا فتاواهم وانتقل الأمر الى أتباع التابعين على هذا النمط .

١ — فقهاء المدينة السبعة المشهورون انتقل الفقه من بعدهم الى نافع مولى عبد الله بن عمر ، وأبى بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى ، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر ، ويحيى بن سعيد ابن قيس الأنصارى ، وأبى الزناد عبد الله بن يزيد بن هرمز ، وربيعة ابن أبى عبد الرحمن مولى بنى تيم من قريش وهو المعروف بربيعة الرأى ، ثم انتقل الفقه بعد ذلك الى عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، ومحمد بن اسحاق بن مالك بن أنس ، وعبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون ، والامام مالك بن أنس .

٢ — وفى مكة انتقل فقه التابعين فيها من تلاميذ ابن عباس : عطاء بن أبى رباح ، وطاوس بن كيسان ومجاهد بن جبر وعمرو بن دينار وعكرمة الى أبى الزبير المكى ، وعبد الله بن طاوس ، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج وسفيان ابن عيينة — ثم الى مسلم بن خالد بن سعيد الزنجى — ولقب بذلك لحمرته — وسعيد بن سالم القداح ثم الى محمد بن ادريس الشافعى .

٣ — وفى الكوفة انتقل الفقه من كبار التابعين علقمة بن قيس النخعى ،

والأسود بن يزيد النخعى وشريح بن الحارث الكندى القاضى وأبى ميسرة عمر وبن شرحبيل الهمدانى الى ابراهيم النخعى ، وعامر الشعبى ، وسعيد بن جبير — ثم الى حماد بن أبى سليمان ، وسليمان الأعمش ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، وشريك القاضى النخعى وسفيان بن سعيد الثورى ، وأبى حنيفة النعمان بن ثابت .

٤ — وفى البصرة — انتقل الفقه من الحسن البصرى ومحمد بن سيرين وأبى بردة بن أبى موسى الأشعرى وجابر بن زيد أبى الشعثاء — الى أيوب بن كيسان ، والقاسم بن ربيعة ، وأياس بن معاوية القاضى ثم الى عبيد الله بن الحسن العنبرى ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد .

٥ — وفى الشام انتقل الفقه من أبى ادريس الخولانى وقبيصة بن ذؤيب الخذاعى ، وسليمان بن حبيب — الى عبد الرحمن بن جبير ، ومكحول وعمر بن عبد العزيز ، ورجاء بن حيوة وعبد الملك بن مروان — الذى كان يعد من الفقهاء قبل أن يلى الخلافة — ثم الى سعيد بن عبد العزيز والعباس بن يزيد وأبى اسحاق الفزارى صاحب ابن المبارك ويحى بن حمزة القاضى ، وأبى عمرو عبد الرحمن ابن عمرو الاوزاعى .

٦ — وقدم الى بغداد بعد أن بناها المنصور عدد كثير من الائمة والمحدثين ، وكان من فقهائها أبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو ثور ابراهيم بن خالد الكلبى صاحب الشافعى ، ثم كان امام أهل السنة أحمد بن حنبل .

٧ — وفى مصر انتقل الفقه الى يزيد بن حبيب ، وبكير بن عبد الله بن الأشج ، وعمرو بن الحارث ، ثم انتقل فقه هؤلاء الى عالم مصر أبى الحارث الليث بن سعد الذى كان معاصرا للامام مالك — ثم الى عبد الله بن وهب ، وأشهب ، وابن القاسم من أصحاب مالك ، والمزنى ، وابن عبد الحكم والبويطى من أصحاب الشافعى .

٨ — كما نشأ فى المدن الأخرى المفتوحة كثير من الفقهاء ، فكان بالقيروان سحنون بن سعيد وسعيد بن محمد الحداد .

وكان بالأندلس يحيى بن يحيى ، وعبد الملك بن حبيب ، ومنذر بن سعيد ، ويوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ،

وكان باليمن وهب بن منبه الصنعانى ، ويحيى بن أبى كثير ، ومطرف بن مازن قاضى صنعاء ، وعبد الرزاق بن همام ، وسماك بن الفضل .

وهؤلاء الفقهاء الذين عرفوا فى الأمصار الاسلامية المختلفة كانوا جميعا يتصدون للفتيا ، دون أن يقلد أحدهم الآخر ، وان أخذ فقهاء كل مصر عن شيوخهم السابقين ، يقول ابن حزم « ثم أتى بعد التابعين فقهاء الأمصار كأبى حنيفة ، وسفيان ، وابن أبى ليلى بالكوفة وابن جريج بمكة ، ومالك وابن الماجشون بالمدينة وعثمان التبى ، وسوار بالبصرة والأوزاعى بالشام ، والليث بمصر ، فجروا على تلك الطريقة من أخذ كل واحد منهم عن التابعين من أهل بلده فيما كان عندهم ، واجتهادهم فيما لم يجدوا عندهم ، وهو موجود عند غيرهم ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها » ، وقد ذكر الخضرى هذا المعنى فقال « ولم يكن عرف بين الناس الانتساب الى فقيه معين يعمل بما ذهب اليه من رواية أو رأى وانما كان هؤلاء المفتون فى الأمصار المختلفة معروفين بالفقه ورواية الحديث ، فكان المستفتى يذهب الى من شاء منهم فيسأله عما نزل به فيفتيه ، وربما ذهب مرة أخرى الى مفت آخر ، وكان القضاة فى الأمصار يقضون بين الناس بما

يفهمونه من كتاب الله أو سنة رسوله أو رأى ان ظهر لهم ، وربما استفتوا من ببلدهم من الفقهاء المعروفين ، وربما أرسلوا الى الخليفة يسألونه ، كما حصل كثيرا فى عهد عمر بن عبد العزيز » .

أسباب الاختلاف بين الأئمة فى صدر هذه الأمة .

أولا : الظاهرة البشرية : فمما لا شك فيه أن الناس بشر ، وأن هؤلاء الائمة يعرض لهم الخطأ والنسيان ، وليست هناك عصمة فيما طريقه البلاغ الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد نجد الرجل يحفظ الحديث ثم ينساه ، ولا يحضره ذكره عند الفتوى ، فيفتى بخلافه ، بل ربما عرض هذا فى آيات القرآن الكريم ، وآية ذلك أن عمر بن الخطـــاب رضى الله عنه خطب على المنبر وأمر الا يزاد فى مهور النساء فذكرته امرأة بقول الله تعالى **« وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شـــيئا »** فترك قوله وقال ــ كل احد أفقه منك يا عمر ــ امرأة أصابت وأمير المؤمنين اخطأ .

وأمر برجم امرأة ولدت لستة اشهر ، فذكره على بقول الله تعالى **« وحمله وفصاله ثلاثون شهراً »** مع قوله تعالى **« والوالدات يرضـــعن اولادهن حولين كاملين »** فرجع عن الأمر برجمها .

ثانيا : ان الصحابة لم يكونوا على درجة واحدة فى الأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وســـلم وعند كل واحد منهم من العلم ما ليس عند الآخر ، وفيهم المقل وفيهم المكثر ، وقد تفرق هؤلاء وأولئك فى الأمصار بعد أن اتسعت الفتوحات الاسلامية ، فاذا عرضت قضية فى مصر منها نظر الصحابة الحاضرون فيها ، فان وجدوا أثرا عن النبى صلى الله عليه وسلم حكموا به ، والا كان الاجتهاد ، وقد يكون فى تلك القضية حكم عن النبى صلى الله عليه وسلم لدى صحابى آخر فى بلد آخر ، ولهذا أمثلة كثيرة .

١ ــ فقد كان حكم التيمم عند عمار وغيره ولم يعلمه عمر وان مسعود فقالا لا يتيمم الجنب .

٢ ــ وكان حكم الاستئذان عند أبى موسى ، وعند أبى ســـعيد ولم يعلمه عمر .

٣ ــ وكان حكم تحريم المتعة والحمر الأهلية عند على وغيره ، ولم يعلمه ابن عباس .

٤ ــ وكان حـــكم الاذن للحائض فى أن تنفر قبل أن تطوف عند ابن عباس وأم سليم ، ولم يعلمه عمر وزيد بن ثابت .

٥ ــ وكان حكم أخذ الجزية من المجوس عند عبد الرحمن بن عوف ، ولم يعلمه عمر وجمهور الصحابة .

٦ ــ وكان حكم اجلاء أهل الذمة من بلاد العرب عند ابن عباس وعمر ، فنسيه عمر سنين ، ثم ذكر فأجلاهم .

ثم جاء التابعون ، ثم اتباع التابعين ، وتفقه كل على من قبله .

ثالثا : ان بعض النصوص قد يبدو فى ظاهرها التعارض ، فيجتهد فيها أحد هؤلاء الفقهاء وهو مأجور أصاب أم أخطأ ، فيميل الى ترجيح احد النصـــين على الآخر ، بينما يميل غيره الى ترجيح هذا الآخر لمرجح لديه .

كما روى عن عثمان فى الجمع بين الاختين قال : حرمتهما آية ، وأحلتهما

آية ، وكما مال عمر الى تحريم نســـاء أهل الكتاب لقوله تعالى **« ولا تنكحــوا المشركات حتى يؤمن »** وقال لا أعلم شركا أعظم من قول المرأة ان عيسى ربها ، وغلب ذلك على الاباحة المنصوصة فى الآية الأخرى **« والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب »** .

المذاهب الفقهية المشهورة وأصولها

تحدثنا آنفا عن المدارس الفقهية ، وذكرنا أئمة الفقه فى كل مصر ، ولكن بعض هؤلاء الأئمة قد وجد أتباعا يعملون على ذيوعه وانتشاره ، فكان مذهبهم أوفر حظا ، وتتابع الأخذ به والتفريع عنه حتى صار مذهبا مشهورا ،، بينما لم يجد الآخرون مثل هذا الحظ فأصبح فقههم منثورا فى بطون الكتب ، ولم يتيسر لهم من الأتباع من ينشر مذهبهم ، فالأئمة الأربعة المعروفون لم يكونوا جميعا أحق بالخلود من آخرين كالاوزاعى امام أهل الشام ، وسفيان الثورى الذى قال فيه ابن عيينة : ما رأيت رجلاأعلم بالحلال والحرام من الثورى ، والليث بن سعد امام أهل مصر ، وصديق الامام مالك الذى قال فيه الشافعى هو أفقه من مالك الا أن أصحابه لم يقوموا به ، وغير هؤلاء كثير ، وسوف نقتصر هنا على بيان أصـــول المذاهب المشهورة اجمالا بما يعطينا فكرة عن كل مذهب منها .

١ ــ أبو حنيفــة

تركزت مدرســـة أهل الكوفة أو أهل الرأى فى أبى حنيفة ، ويمكن اجمال أصول مذهبه فيما يأتى :

١ ــ التشدد فى قبول الحديث :

كان أبو حنيفة يتحرى عن رجال الحديث ، ويتثبت من صحة روايتهم فقد لا يقبل الخبر عن رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم الا اذا رواه جماعة عن جماعة ، أو اتفق فقهاء الأمصار على العمل به فأصـــبح مشهورا ، وبهذا تضيق دائرة العمل بالحديث ، وقد نقل الشافعى فى الأم عن أبى يوسف ما يوضح خطته وخطة أبى حنيفة شيخه فى ذلك قال أبو يوسف (فعليك من الحديث مما تعرفه العامة ، واياك والشاذ منه ، فانه حدثنا ابن أبى كريمة عن أبى جعفر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا اليهود فحدثوه حتى كذبوا على عيسى ، فصـــعد النبى صلى الله عليه وسلم المنبر فخطب الناس فقال **(ان الحديث سيفشو على فما آتاكم عنى يوافق القرآن فهو منى وما آتاكم عنى يخالف القرآن فليس منى)** وكان عمر فيما بلغنا لا يقبل الحديث عن رسول الله صـــلى الله عليه وسلم الا بشـــاهدين ، وكان على بن أبى طالب لا يقبل الحديث عن رسول الله والرواية تزداد كثرة ويخرج منهـــا مالا يعرف ولا يعرفه أهل الفقه ، ولا يوافق الكتاب ولا السنة ، فاياك وشاذ الحديث ، وعليك بما عليه الجماعة من الحديث ، وما يعرفه الفقهاء ، فقس الأشياء على ذلك فما خالف القرآن فليس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان جاءت به الرواية فاجعل القرآن والسنة المعروفة لك اماما وقائدا ، واتبع ذلك وقس عليه مايرد عليك مما لم يوضح لك فى القرآن والسنة .

٢ ــ التوسع فى القياس

وحيث ضــاقت دائرة الأخذ بالحديث كان التوســع فى الأخذ بالقياس ، وهكذا كان أبو حنيفة يعمل رأيه فى المسألة ، ويجتهد فى استنباط حكمها دون أن يتقيد بقول سابق للصحابة أو التابعين مالم يتبين له صحة نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد روى عنه أنه قال (انى آخذ بكتاب الله اذا وجدته فما لم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار الصحاح عنه التى فشت فى أيدى الثقات ، فاذا لم أجد فى كتاب الله ولا سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه من شــئت وأدع قول من شئت ، ثم لا أخرج من قولهم الى قول غيرهم ، فاذا انتهى الأمر الى ابراهيم والشعبى والحسن وابن سيرين وسعيد ابن المسيب فلى أن أجتهد كما اجتهدوا) .

٣ ــ الاستحســـان :

يعتبر الاستحسان من أصــول الادلة فى مذهب أبى حنيفة وان بالغ فى الاخذ به بعض العلماء الاحناف فقالوا : ان المجتهد له أن يستحسن بعقله الا أن المتأخرين منهم على أن الاستحسان عبارة عن دليل يقابل القياس الجلى الذى تسبق اليه الافهام .

٤ ــ الحيل الشرعية :

ينسب كثير من الباحثين الى فقه أبى حنيفة الحيل الشرعية ، وأنها كانت بابا واسعا من أبواب الفقه فى مذهبه ، وقد تكلم ابن القيم عن الحيل فى كتابه (أعلام الموقعين) وشنع على من توسع فيها وقال (ان المتأخرين أحدثوا حيلا لم يصح القول بها عن أحد من الائمة ، ونسبوها الى الائمة وهم مخطئون فى نسبتها اليهم) . وأكثر ما ينسب الى أبى حنيفة من ذلك أفتى به فى مســائل تتعلق بالايمان عامة وبالطلاق خاصة ، وليس فيهــا تحايل على ابطال حق ، ولكنها استنباط فقهى للخروج من مأزق كأن يحلف رجل ليقربن امرأته نهارا فى رمضان فيفتيه أبو حنيفة أن يسافر بها فيقربها نهارا فى رمضان ، ويحلف آخر وقد رأى امرأته على السلم فيقول : أنت طالق ثلاثا ان صعدت ؛ وطالق ثلاثا ان نزلت ، فيفتيه أبو حنيفة أن تقف المرأة على السلم ولا تصعد ولا تنزل ، ويحتال جماعة يحملون السلم بالمرأة فيضعونها على الارض وهكذا .

٢ ــ مالك :

كما تركزت مدرسة أهل الرأى فى أبى حنيفة تركزت مدرسة أهل الحديث فى مالك رضى الله عنه ومن أصول مذهبه .

١ ــ الاهتمام بالحديث :

اهتم مالك بالحديث ولم ينهج نهج أبى حنيفة فى تضييق دائرته ، واشتراط

شهرته مع تحرى صحة السند ، وكان يقول لا يؤخذ العلم من أربعة ، ويؤخذ ممن سواهم لا يؤخذ من سفيه ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الى بدعته ، ولا من كذاب يكذب فى أحاديث الناس وان كان لا يتهم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة اذا كان لا يعرف مايحمل وما يحدث به .

وقد جمع مالك فى كتابه (الموطأ) ما صح من الاحاديث والاخبار لديه ، واعتبره أساسا لمذهبه .

٢ ــ عمل أهل المدينة :

ذهب مالك الى ان المدينة هى دار الهجرة ، وبها نزل القرآن ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام صحابته ، وأهل المدينة أعرف الناس بالتنزيل ، وبما كان من بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم للوحى ، وهذه ميزات ليست لغيرهم ، وعلى هذا فالحق لا يخرج عما يذهبون اليه ، فيكون عملهم حجة يقدم على القياس ، وعلى خبر الواحد ، وفى كتاب الامام مالك الى الليث بن سعد « ان الناس تبع لأهل المدينة التى اليها كانت الهجرة ، وبها نزل القرآن » .

٣ ــ قول الصحابى :

ويرى مالك فى مذهبه أنه اذا لم يرد حديث صحيح فى المسألة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فان قول الصحابى اذا لم يعلم له مخالف يكون حجة ، وقد ضمن موطأه العديد من أقوال الصحابة والتابعين ، فالصحابة أعلم بالتأويل ، وأعرف بالمقاصد لأنهم حضروا التنزيل وسمعوا كلام رسول الله ، فقولهم أولى بالاخذ يخص به العام ، ويترك لأجله القياس .

٤ ــ المصالح المرسلة :

والعمل بالمصالح المرسلة أساس من الاسس التى اعتمد عليها مالك فى مذهبه ، وهى جلب منفعة أو دفع مضرة لم يشهد لها الشرع بابطال ولا باعتبار معين ، لأن تكاليف الشريعة ترجع الى حفظ مقاصدها فى الخلق ضرورية كانت أو حاجية أو تحسينية ، **والضرورية :** هى التى لابد منها فى قيام مصالح الدين والدنيا فى الضروريات الخمسة الثابتة فى الملل جميعا وهى حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل .

والحاجية : هى التى تؤدى الى رفع الضيق والحرج والمشقة .

والتحسينية : هى المتعلقة بمكارم الاخلاق ، وكون هذه المعانى مقصودة عرف بأدلة كثيرة لا حصر لها من الكتاب والسنة مما يدل على مقاصد الشرع ، ولذا ذهب مالك الى أن هذه المصلحة تكون حجة .

٣ ــ الشافعى :

١ ــ المنحى الوسط :

كانت رياسة الفقه قد انتهت فى العراق الى أبى حنيفة ، وفى المدينة الى

مالك بن أنس ، وقد لازم الشافعى مالكا ، وأخـذ عنه كما أخذ عن محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة ، فاجتمع اليه علم أهل الرأى وعلم أهل الحديث ، وانتحى مذهبا وسطا أصل أصوله ، وقعد قواعده .

خالف أبا حنيفة فى تقديم القياس على خبر الآحاد ، ودافع دفاعا شديدا عن العمل بخبر الواحد ، ما دام راوية ثقة ضابطا ، وما دام الحديث متصـلا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يشترط شهرته كما اشترط أهل العراق كما أنكر على أهل الرأى العمل بالاستحسان ، وخالف مالكا فى حجية عمل أهل المدينة ، والقول بالمصالح المرسلة .

٢ ــ أساس مذهبه :

دون الشافعى أسـاس مذهبه فى رسالته الاصولية فهو يحتج بظـاهر القرآن ، ثم بالسنة ، ثم بالآثار الصحيحة ، ثم يعمل بالاجماع عند عدم العـلم بالخلاف ، فان لم يكن هناك دليل مما سبق عمد الى القياس فعمل به ، مشترطا أن يكون له أصـل معين يقول فى رسـالته (ان جهة العلم الـكتاب والسنة والاجماع والآثار ، ثم القياس عليها ولا يقيس الا من جمع الآلة التى له القياس بها ، وهى العلم بأحكام كتاب الله عز وجل فرضه وأدبه وناسخه ومنسوخه وعامه وخاصه ، ولا يجوز لأحد أن يقيس حتى يكون عالما بما مضى قبـله من السنن ، وأقاويل السلف ، واجماع الناس واختلافهم ولسان العرب ، ولا يكون له أن يقيس حتى يكون صحيح العقل وحتى يفرق بين المشبه ، ولا يعجل بالقول به دون التثبت ، ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه لأنه قد يتنبه بالاستماع لترك الغفلة ، ويزداد تثبتا فيما اعتقد من الصواب ، وعليه فى ذلك بلوغ غاية جهده والانصاف من نفسه حتى يعرف من أين قال ما يقول وترك ما يترك) .

٤ ــ أحمد بن حنبـل :

أصول مذهبه :

فقه السنة : أخص ما يتميز به مذهب أحمد أنه يقوم على فقه السـنة ، ولذا فانه يعد من كبار المحدثين ، وقد ذكر ابن القيم أن فتاوى أحمد بن حنبل مبنية على خمسة أصول نجملها فيما يأتى :

١ ــ أحدها النصوص :

فاذا وجد النص أفتى بموجبه ، ولم يلتفت الى ما خالفه ، ولا من خالفه كائنا من كان ، ولم يكن يقدم على الحديث الصحيح عملا ولا رأيا ولا قياسا .

وثانيها :

فتاوى الصحابة أى ما أفتى به الصحابة اذا وجد لبعضهم فتوى لا يخالفه فيها أحد منهم ، ولم يقل الامام أحمد ان ذلك اجماع ، بل كان يقول تورعا لا أعلم شيئا يدفعه أو نحو ذلك .

وثالثها :

الاختيار من فتاوى الصــحابة اذا اختلفوا فانه يتخير من أقوالهم أقربها الى الكتاب والسنة .

ورابعها :

الأخذ بالمرســل والحديث الضــعيف اذا لم يجد فى الباب أثرا يدفعه ولا قول صاحب فان العمل به عنده أولى من القياس .

وخامسهما :

القياس للضرورة فاذا لم يكن عنده فى المسألة نص ولا قول للصــحابة أو واحد منهم ، ولا أثر مرسل أو حديث ضعيف عدل الى القياس فاســتعمله للضرورة .

الظاهريــة :

كانت العراق قاعدة أصحاب الرأى ، ولكننا نرى فى مطلع القرن الثالث الهجرى رجلا يولد بالكوفة (٢٠٠ ــ ٢٧٠ هـ) وينشأ ببغداد ، ويأخذ العلم عن اسحاق بن راهويه ، وأبى ثور ، ويدرس مذهب الامام الشافعى ، ويتعصب له ، ويصنف فى مناقبه ، وتنتهى اليه رياسة العلم ببغداد ، ثم يستقل بمذهب جديد على النقيض من مذهب أصــحاب الرأى ، فينــكر القياس ، ويــرى أن عموم النصوص من الكتاب والسنة تكفى لبيان الأحكام ، لأن القول بالقياس تشريع عقلى ، والدين الهى ولو كان الدين بالعقل لجرت أحكام على خلاف ما أتى به الكتاب والســنة ، ولهذا وجب أن نتقيد بظاهــرهما الا اذا قرن النص بعلة الحكم ، وقد قال الله ((**وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله**)) ولم يقل الى الرأى والقياس .

ذلك الرجل هو أبو سليمان داود بن على بن خلف الأصبهانى ، المعروف بالظاهرى .

وقد اتبــع مذهب الظاهرية كثير من الناس فى فارس والأندلس ، ومن أشهر رجاله أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن محمد المغلس ، وأبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى ، ومن أمثلة ذلك فى فقههم .

١ ــ أن الاسلام حرم الربا وقال صلى الله عليه وسلم « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطى فيه سواء » .

وقد ذهب عامة الفقهاء الى أن الحرمة لا تقتصر على هذه الأنواع الستة بل تتعداها الى غيرها قياســا ما وجدت العلة واختلفوا فى علة المطعومات

١ ــ فقال جماعة ان علة تحريم الربا فى المطعومات الكيل والوزن وعلى هــذا يجرى الربا فى كل مكيــل أو موزون بيع بجنســه مطعوما كان أو غير مطعوم .

٢ ــ وقالت طائفة : العلة كونه مطعوما فيحرم الربا فى كل مطعوم قوتا كان أو فاكهة أو دواء .

٣ — وذهب قوم الى أن العلة كونه طعاما مكيلا أو موزونا .

٤ — وقال آخرون العلة الاقتيات والادخار أى كون الطعام مقتاتا مدخرا .

أما الظاهرية الذين لا يأخذون بالقياس فلم يوافقوا على هذا ، وقصروا الربا على الأصناف الستة المذكورة فى الحديث ، وقالوا ان الشارع خص من المكيلات والمطعومات والاقوات أشياء أربعة — فلو كان الحكم ثابتا فى كل المكيلات أو فى كل المطعومات لقال مثلا :

لا تبيعوا المطعوم بالمطعوم متفاضلا بالنص على علة التحريم ، فان هذا الكلام يكون أكثر اختصارا وفائدة ، فلما لم يقل ذلك ، بل عد الأربعة علمنا أن حكم الحرمة مقصور عليها .

٢ — وذهب الأئمة الأربعة الى أن حد الأمة اذا زنت خمسون جلدة بكرا كانت أو ثيبا ، أما الثيب فلقوله تعالى ((**فاذا أحصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب**)) والمراد بالعذاب الجلد لأن الرجم لا يتجزأ ، وأما البكر فلما فى الصحيحين من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الأمة اذا زنت ولم تحصن فقال ((**اذا زنت فاجلدوها ثم ان زنت فاجلدوها ثم ان زنت فبيعوها ولو بضفير**)) .

وقال داود — على الأمة نصف الحد اذا زنت وكانت محصنة لظاهر الآية وتجلد مائة اذا كانت بكرا لظاهر العموم فى قوله تعالى ((**الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**)) وقد خرج من هذا العموم الأمة المحصنة بقوله تعالى ((**فاذا أحصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات**)) فتبقى التى لم تحصن فى العموم .

هذه فكرة مجملة عن نشأة الفقه الاسلامى وأصول مذاهبه تصور لنا ذلك الجهد الذى بذله علماء هذه الأمة وأئمتها ، وكيف حرص هؤلاء المجتهدون على النظر فى شريعة الله ؟ واجهدوا قرائحهم فى معرفة أحكام ماجد من حوادث ، وقد خلفوا لنا تراثا فقهيا خالدا يتضمن من الشروح والتفسيرات ما يكشف عن ثروة شريعتنا وعظمة مبادئها ونمو قواعدها ، فهى شريعة حية لاينضب معينها ، ولا يغيض ماؤها .

واليوم — وقد تكالبت على أمة الاسلام قوى الشر فى الشرق والغرب ، ونفثت سموم أفكارها وسحرت أعين الناس ببريق خداعها ، وتخلت أقطار اسلامية عزيزة عن تحكيم شريعة ربها ، وانسلخت عن تاريخ مجدها وولت وجهها شطر الغرب تارة ، والشرق أخرى — اليوم وقد وصلت أمتنا الى هذا الدرك تتطلع النفوس المؤمنة الواعية فى أنحاء العالم الاسلامى الى يقظة جديدة تنفض عن كاهل أمتنا ركام هزيمتها ، وتعيد اليها ثقتها فى عظمة شريعتها وتشق طريق الكفاح فى سبيل هذه الغاية مجاهدة صابرة محتسبة حتى تحطم طواغيت الضلال والفساد ((**الم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا**)) .

والانسانية المعذبة التى تكتوى بنار الصراع الدولى فى عصر يسمونه عصر المدنية تنتظر ساعة الخلاص مما أصابها من بلاء ،

وعلى يد الجيل المسلم المجاهد فى كل بلد ترتقب الدنيا هذه الساعة لتقر عينها ويهدأ بالها فالاسلام كان — ولا يزال — سفينة نوح فى كل طوفان .

مميزات

"١"

ريادتها وأسبقيتها

"٢"

عمومها وشمولها

"٣"

توازنها واعتدالها

"٤"

مراعاتها للحقوق الإنسانيّة الاخرى

"٥"

جمعها بين التشريع والتطبيق

أشرقت شمس الاسلام ، فى تلك البقعة الصحراوية بين تهامة ونجد ، وظلمات العصور الوسطى ، تسود العالم شرقا وغربا ، فلا بصيص لأى حق من حقوق الانسان ، ولا حرية ولا اخاء ولا مساواة ، هنا أو هناك .. عند العرب أو غيرهم ..

عند العرب :

أ ـ فالعرب تنكروا بجاهليتهم الجهلاء لسائر هذه الحقوق ولا سيما حق المساواة ، بين العربى والعربى وبين العربى وغير العربى .. وقد حاول كسرى أبرويز ـ وهو ملك الفرس ـ أن يصهر الى النعمان بن المنذر أحد ولاته الخاضعين لجبروته وسلطانه ، ولكن النعمان أبى أن يزوجه من ابنته (حرقة بنت النعمان) فكبر ذلك على كسرى ، الذى استدعاه الى (المدائن) عاصمة الفرس ، حيث أمر بطرحه تحت أقدام الفيلة التى صرعته شر مصرع .. ولما حاول كسرى أن يظفر بابنة هذا العربى الصريح ، أباها عليه هانىء بن قبيصة ، الذى استودعه النعمان

ابنته قبيل سفره الى (المدائن) . .وانتهى الأمر بالعرب والفرس من جراء ذلك الى (موقعة ذى قار) (١) التى هى أول معركة أنتصر فيها العرب على الفرس .

ويحدثنا مجد الدين بن الأثير ، أن أحد دهاقين الفرس ، حاول أن يتزوج عربية من قبيلة باهلة ، ولكن الباهليين أبوا عليه هذا « الشرف الرفيع لأنهم يرون نفوسهم — وان كانوا من باهلة — أسمى وأعظم من كل أعجمى كائنا من كان . . فلا مساواة بين العربى والاعجمى — ولا مساواة بين العربى من قريش مثلا والعربى من باهلة أو تيم التى قال فيها شاعرهم بيته المشهور مستخفا بها :

ويقضى الأمر حين تغيب « تيم » ولا يستأمرون وهم شهود

(عند بنى اسرائيل)

ب — والاسرائيليون كانوا يعتقدون فى نفوسهم أنهم « شعب الله المختار لأنهم من سلالة الأبن البار بأبيه » سام بن نوح على حين أن الكنعانيين أبناء الابن العاق لأبيه « حام بن نوح » لم يخلقهم الله الا خدما وأتباعا لهم ، استجابة لدعوة نوح على ابنه حام ونسله الكنعانيين . . مصداقا لما جاء فى الاصحاح التاسع من سفر التكوين .

(وفى اليونان)

ج — واليونان القدامى ، كانوا يطلقون على غيرهم أسم « البربر » ويرون نفوسهم أفضل الناس ، وذلك ما عبر عنه بأسلوبه الفلسفى المعلم الأول

---

(١) انظر الطبرى ج ٢ ص ١٥٠ ، ثم ، العقد الفريد ٣ : ١١٣ .

أرسطو — كما جاء فى كتاب (السياسة) .. ثم عبر عنه عفوا أو قصدا بأسلوبه التاريخى (هـ . ا . ل . فشر) حيث قال ص ١١ من كتابه « تاريخ أوربا فى العصور القديمة » ما نصه « اننا معشر الأوروبيين أبناء هيلاس » وفى شرح هذه العبارة قال المترجمان لهذا الكتاب ص ١٤٥ « يطلق اسم (هيلاس) أو (جرايكيا) ، على شتى البقاع التى استقر بها الاغريق قديما » .

(وفى الهند)

د — والبراهمة فى الهند وغيرها ، كانوا يعتقدون أن (براهما) قد خلقهم من فمه ، على حين أنه خلق سواهم من ذراعه ، أو من فخذه ، أو من قدمه فكيف يرضون المساواة بينهم وبين غيرهم ؟ وأين الفخذ أو الذراع فضلا عن القدم من الفم أعلى وأشرف الاعضاء ؟ وأين المنبوذون الخدم الاتباع ، من سادتهم البراهمة ؟ وأين الثرى من الثريا ؟

هكذا كان حق المساواة بين الانسان وأخيه الانسان ، لا مكانة له ولا مكان وقت ظهور الاسلام ، الذى أعلن وطبق كل حق من حقوق الانسان ، ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وللمرة الاولى فى تاريخ الانسان .

(الاسلام وحده)

وبذلك أحرز الاسلام قصب السبق (والتقدمية) مع الاحاطة والشمول ، فى توازن واعتدال بين الحقوق والواجبات .. حتى لا يجور حق على واجب ، ولا يطغى حق على حق آخر من حقوق الانسان ، التى اعتبرها الاسلام كلا لا يتجزأ ، بل حلقة مفرغة لا يدرى : أين طرفاها ؟ ولا غنى لطرف منهما عن الآخر .. واعتبرها فى تعاونها على اسعاد الانسان ، كاليدين للانسان ، والجناحين للطائر ، واليد الواحدة لا تصفق ، والجناح الواحد لا يحلق .

(حقيقة المساواة)

وماذا يعنى الاسلام بالمساواة ؟

لا يعنى بها المساواة بين الناس ، فى الملكات الشخصية ، والمواهب الطبيعية ، والاستعدادات الوراثية (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم ..) مختلفين ومتفاوتين فى مواهبهم وقدراتهم وامكانياتهم ، والمساواة بينهم فى ذلك . هى عين المستحيل ، الذى عناه الفيلسوف الانجليزى الحديث (هكسلى) بقوله « ان أية محاولة للمساواة بين الناس مقضى عليها بالاخفاق ، وانما المستطاع تهيئة فرص متساوية للجميع ، لأن بعض الناس يولدون مبصرين ينظرون بعيدا ، وبعضهم يولدون عميانا أو ضعاف بصر ، على تفاوت طبيعى بينهم فى ذلك ... » .

وانما يعنى الاسلام بالمساواة ، المساواة بين الجميع ، على اختلاف أديانهم وألوانهم وأجناسهم ، فى تكافؤ الفرص بينهم ، وفى اتاحة العمل الملائم لكل منهم ،

وفى جزاء كل منهم على عمله خيرا أو شرا فى الدنيا والآخرة ، دون ما نظر الى الفوارق والاعتبارات التى تحيد بنا مراعاتها عن سواء السبيل ، أو تميل بميزان العدالة المنشودة بعض أو كل الميل (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) .

وهذه المساواة الاسلامية ، نستطيع أن نقسمها تقسيما تقريبيا الى ثلاثة أقسام :

١ ــ مساواة اقتصادية ...
٢ ــ مساواة اجتماعية ....
٣ ــ ومساواة قانونية ....

أما المساواة الاقتصادية فأبرز معالمها ما يأتى :

١ ــ المساواة بين الناس فى التمتع بحق بقاء الملكية الشخصية بقاء حقيقيا أو بقاء اعتباريا ، وقد اعتبر الاسلام حرمة هذه الملكية الفردية أعظم وأقدس عند الله من حرمة الكعبة البيت الحرام ــ كما قال عليه الصلاة والسلام ــ ما دامت هذه الملكية الشخصية لا تتجاوز الحدود المشروعة بالتضخم أو الاستغلال أو المضارة للمصلحة العامة ، التى يجعل الاسلام لها الاعتبار الأول .

٢ ــ والمساواة بينهم فى الانتفاع بالملكيات الجماعية ، التى لا يملكها ولا يصح أن يملكها شخص معين ، وانما تملكها الشخصية المعنوية للجماعة أو الأمة أو الدولة أو الانسانية ، شأنها فى ذلك تقريبا شأن الأرض والسماء والشمس والقمر والهواء وما الى ذلك مما يدخل فى (المرافق العامة) التى أشار الى بعضها رسول الاسلام بقوله صلى الله عليه وسلم « الناس شركاء فى الماء والكلأ والنار » وفى [1] رواية (الناس شركاء فى ثلاثة الماء والكلأ والنار) ، وفى سنن أبى داود أن رجلا سأل الرسول صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ما الشىء الذى لا يجوز منعه ؟ فقال الماء . قال وماذا أيضا ؟ قال الكلأ فقال وماذا أيضا ؟ قال الملح ...

وفى حديث آخر أن رجلا يدعى « أبيض بن حمال » وفد من اليمن على رسول الله ، وطلب اليه أن يقطعه الملح الذى ببعض الجهات فى بلاده ، فأقطعه له رسول الله .. ولما خرج الرجل قال أحدهم يارسول الله أن هذا الملح بأرض ليس فيها ماء ، ومن ورده من الناس أخذه وهو مثل الماء الجارى . فعاد الرسول وانتزع الملح من أبيض بن حمال ... وجعله من المرافق العامة التى ينتفع بها الجميع ... وفى تعليل ذلك يقول ابن قدامه فى كتابه (المغنى) ما نصه (لأن هذا الملح تتعلق به مصالح المسلمين العامة ، فلم يجز اقطاعه) وفى القياس على الملح وما اليه يقول امامنا الشافعى فى الجزء الثالث من (الأم) ص ٢٦٦ فى (باب احياء الموات) (... ومثل هذا كل عين ظاهرة كنفط أو قار أو كبريت أو مومياء أو حجارة ظاهرة

---

(١) انظر مصابيح السنة فى الحسان ، ثم انظر كتاب الأموال لابن سلام ص ٢٩٥ .

فى غير ملك لأحد فليس لأحد أن يتحجرها دون غيره ، ولا لسلطان أن يمنعها لنفسه ولا لخاص من الناس ، لأن هذا كله ظاهر كالماء والكلأ ، ولو تحجر رجل لنفسه من هذا شيئا أو منعه من له سلطان كان ظالما .. » .

٣ ـ والمساواة بينهم فى امكانيات الفرص واتاحتها للحصول على المال ، بالجد والعمل ، دون ما انحراف عن سواء السبيل بالربا أو الرشوة أو الغش أو الاستغلال .. أو نحو ذلك من ألوان أكل أموال الناس بالباطل ، أو الاخلال بأى حق من حقوق الأمة والجماعة ، مما يؤدى الى التفاوت الطبقى المدمر ، ويستحيل به رأس المال من عامل له أثره فى الانتاج العام ، الى غول يفترس المصلحة العامة ، ويفرض سيطرته ونفوذه عليها ، ووراء ذلك ما وراءه من الضرر والضرار « لا ضرر ولا ضرار » فى الاسلام كما قال عليه الصلاة والسلام ..

٤ ـ والمساواة بين جميع الولاة والحكام ، فى تحريم استغلال النفوذ والسلطان ، وهذا واجب الأمة حكومة وشعبا فى محاسبة هؤلاء الحكام أو الرؤساء المستغلين ، كما حاسب رسول الله ابن اللتيعة الأزدى عامله لجمع الزكاة ، وسأله عما معه من المال ، فقسمه الرجل قسمين قائلا : هذا لكم .. وهذه هدايا أهديت إلى .. فظهر الغضب فى وجه رسول الله ، وقام وخطب الناس قائلا ـ كما روى البخارى وغيره ... « ... أما بعد .. فانى أستعمل رجالا منكم فى أمور مما ولانى الله ، فيأتى أحدكم فيقول : هذا لكم وهذه هدايا أهديت إلى .. فهلا جلس فى بيت أبيه أو بيت أمه فينظر : أيهدى إليه أم لا ؟ » وكما حاسب عمر بن الخطاب أبا هريرة عامله على البحرين ، وعمرو بن العاص عامله على مصر ، وابنه عبد الله بن عمر ـ كما روى الامام الذهبى فى « تاريخ الاسلام » ...

٥ ـ والمساواة بين أصحاب الملكيات الشخصية فى وجوب مراعاة المصلحة العامة ، فمن تقبل منهم ذلك بروح تعاونية سمحة كان جديرا بشرف المساواة بينه وبين أمثاله ... ومن أبى فليس له الا السلطان الذى يزع الله به ما لا يزع بالقرآن ، كما صنع الرسول مع « سمرة بن جندب » الذى كان له نخل فى بستان رجل من الانصار ، وكان يكثر من دخوله البستان هو وأهله ، مما جعل صاحب البستان يستغيث برسول الله .. فاستدعاه الرسول صلى الله عليه وسلم وأمره أن يبيعه نخله .. فأبى .. فقال له : هبها لى ولك مثلها فى الجنة . فأبى أيضا . فقال له عليه الصلاة والسلام بقوة وحزم : أنت مضار ... ثم قال لصاحب البستان : اذهب فاقلع نخله ..

وكما صنع عمر بن الخطاب القوى الأمين ، مع محمد بن مسلمة الذى كان يملك بستانا يمر من خلاله الماء الى أرض يملكها الضحاك بن خليفة الأنصارى .. فأبى صاحب البستان أن يدع الماء يصل الى أرض الضحاك .. فاستدعاه عمر وسأله : أعليك ضرر فى أن يمر الماء ببستانك ؟ قال : لا ... فقال عمر : والله لو لم أجد له ممرا الا على بطنك لأمررته ...!!!

٦ ـ والمساواة بين جميع التجار فى تحريم الاحتكار ، والتحكم فى الاسعار ، وما الى ذلك من أساليب الضرار التجارى التى حرمها الاسلام تحريما

قاطعا بقول الرسول « لا ضرر ولا ضرار » وقوله « من احتكر طعاما أربعين يوما فقد برىء من الله ، وبرىء الله منه » وبهذا الهدى المحمدى اهتدى الخلفاء الراشدون . فى وصاياهم للولاة والعمال ، من طراز وصية على بن أبى طالب الى الأشتر النخعى عقب توليته حكم مصر ...

وأما المساواة الاجتماعية الاسلامية فأبرز معالمها ما يأتى :

١ ــ المساواة بين الناس جميعا فى سائر الحقوق الاجتماعية للفرد ولا سيما حق الغذاء .. والكساء .. والمسكن .. والعلم .. ونحو ذلك ، دون ما تفرقة بين المسلم وغير المسلم . وهنا مسولية الأمة حكومة وشعبا ، تلك المسئولية التى قررها وأكدها كثير من فقهــاء الاسلام الذين ذهبوا ــ وفى مقدمتهم الامام ابن حزم ــ الى تقرير مسئولية البلد الذى يموت أحد أفراده جوعا فيدفع أهل البلد الدية متضامنين ، كأنهم شركاء فى المسئولية عن موته جوعا ، مسلما كان أو غير مسلم ، مصداقا للحديث المحمدى الشريف : « أيما أهل عرصة أمسوا وفيهم جائع فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله.. » وبهذه الروح الاسلامية تشبع عبد الله بن عباس وهو يقول لغلامه أكثر من مرة : يا غلام لا تنس جارنا اليهودى ... وتشبع عمر بن الخطاب وهو يظل بلــواء التضامن الاجتماعى الاسلامىشيخا ضريرا يهوديا ــ كما روى أبو يوسف فى كتابه « الخراج » ص ١٢٦ ...

٢ ــ المساواة بين الجميع فى وجوب النهوض بالأعباء الاجتماعية التى تقتضيها المصلحة العامة ، ولا سيما الزكاة والضرائب والكفارات وما الى ذلك مما يطالب به القادرون عليها ايجابا أو ندبا ، حسبما يملك هؤلاء القادرون ...

٣ ــ المساواة بين الجميع فى وجوب احترام قواعد الميراث الاسلامى احتراما كاملا غير منقوص

أ ــ فلا حرمان لولد دون آخر من الميراث كما حاول النعمان بن بشير أن يصنع ذلك لولده من عمرة بنت رواحة ... فأبت عليه هذه الزوجة المؤمنة أن يحابى ولدها ... مستشهدة برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أيدها فى موقفها قائلا لزوجها : اذهب فانى لا أشهد على جور .

ب ــ ولا حرمان للأنثى دون الذكر من الميراث فهذه جاهلية جهلاء ، ما تزال لها رواسبها حتى اليوم مع الأسف الشديد .

ج ــ ولا تحايل على قواعد الميراث بالوصية لوارث ميلا مع الهوى اهتداء بقول الرسول صلى الله عليه وسلم عقب نزول آيات المواريث « إن الله أعطى لكل ذى حق حقه فلا وصية لوارث ... »

د ــ ولا عدوان على حقوق الورثة بالوصية لغير وارث إلا فى حدود ثلث التركة ــ والثلث كثير ــ كما قال الرسول لســعد بن أبى وقاص فى حديثه المشهور ...

٤ ـ المساواة بين البيض والسود ، وبين العرب وغيرهم بقول رسول الله « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ، وليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح » وهذه المساواة العنصرية واللونية التى شرعها وطبقها الاسلام منذ مئات الأعوام ما تزال بعض الدول « الراقية » بمعزل عنها فى النصف الثانى من القرن العشرين قرن التفرقة العنصرية واللونية التى ما تزال لها رواسبها ومظاهرها وآثارها ، حتى فى بيوت الله ، ومعاهد العلم والثقافة ، فى اتحاد جنوب إفريقية ، وفى بعض الولايات المتحدة الأمريكية ، ولا سيما ولاية« أركيساس » وولاية « ألاباما » وولاية « فرجينيا » ...

وقد أبت العنصرية البغيضة على العالم الفرنسى « جوبينو » الا أن ينادى عام ١٨٥٨م بتفضيل الجنس الآرى على الجنس السامى ، ونسج على منواله « رينان » و « هانوتو » و « داركور » .. وأخيرا « أرنولد توينبى » و « أزفلد شبنجلر » اللذان رسما للعالم المتحضر الأبيض حدودا تمتد من ألمانيا شرقا .. إلى الولايات الأمريكية المتحدة غربا .. ومن السويد والنرويج شمالا ... الى ايطاليا جنوبا ...

فأين هذه التفرقة العنصرية واللونية البغيضة من المساواة الاسلامية الاجتماعية التى أعلنها الاسلام ، ثم طبقها بالمؤاخاة العملية بين بلال الحبشى وصهيب الرومى .. والمؤاخاة بين سلمان الفارسى وعلى بن أبى طالب الهاشمى .. والصعود بالعبد الحبشى بلال فوق الكعبة المعظمة لأداء الأذان الاسلامى الخالد وتوليته على المدينة .. وتولية ميمون الفارسى بلاد اليمن ، ثم تولية ابنه مهران من بعده .. وارسال عبادة بن الصامت سفيرا إسلاميا الى المقوقس حاكم مصر الذى لم يكد يرى لونه الأسود الرهيب حتى قال لمن حوله مذعورا : نحوا عنى هذا الأسود .. فأجابه عبادة مرفوع الرأس ، موفور الكرامة : إن ورائى من هو أشد سوادا منى وأفظع منظرا . وانى لأدعوك الى الاسلام .. فان أبيت فالجزية .. فان أبيت فالسيف ..

٥ ـ المساواة بين الرجل والمرأة مع الاقرار للرجل بدرجة شورية تعاونية . تشبه درجة الرأس على سائر أعضاء الجسم مصداقا لقوله سبحانه « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » وقوله تعالى « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض .. » وقد أثبت الله فى هذه الآية ـ كما قال المرحوم السيد رشيد رضا فى كتابه « نداء الجنس اللطيف ص ٧ ـ « الولاية المطلقة » : للمؤمنات كما أثبتها للمؤمنين على السواء ...

المساواة القانونية الاسلامية :

وهى بتعبير شعبى موجز : المساواة بينهم فى **الأصل والفصل** وتفصيلا لهذا الاجمال نقسم هذه المساواة ثلاثة أقسام :

١ ـ المساواة بين البشر جميعا فى الأصل الانسانى الواحد .
٢ ـ المساواة بين النساء جميعا فى الأصل الأبوى الأسرى ...

٣ ــ المساواة بين الجميع فى الفصل القضائى . والحكم القانونى .

بين البشر جميعــا

١ ــ أما المساواة بين البشر جميعا فى الانتساب الى الأصل الانسانى الواحد فهى من حق كل انسان ، لأن آدم أبو البشر جميعا ، وحواء أم البشر جميعا ، وما دام الناس جميعـــا من أصل واحد ، فالواجب أن يساوى بينهم مساواة تستمد قوتها وعدالتها وحرارتها من وحدة هــذا الأصل ، وذلك ما عبر عنه الاسلام بآيات قرآنية كريمة ، وأحاديث نبوية شريفة . يكفينا منها قول الله تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلنـــاكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » وقول الرسول صلى الله عليه وسلم من خطبة الوداع : « أيها الناس ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، وليس لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض عـــلى أحمر ، فضل إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟.. اللهم فاشهد . ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

وقولـــه عليه الصلاة والســـلام لأبى ذر الغفارى ، حينما سمعه فى سورة الغضب ، يتطاول على بلال بن رباح قائلا له : يا ابن السوداء ... فقال له المرشد الأعظم فى حسم وقوة : طف الصاع .. طف الصاع « كناية عن تجاوز الحد اللائق » ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو العمل الصالح واستجاب أبو ذر لهذا التأديب المحمدى الكريم ، استجابة عملية حارة ، حيت سارع فوضع خده على الأرض ، مقسما على بلال بن رباح أن يتفضل فيطأه بحذائه ، حتى يغفر الله له هذه العنجهية الجاهلية الرعناء ، التى تجاوزت به حدود المساواة بينه ــ وهو ابن البيضـــاء ــ وبين بـــلال ــ وهو ابن السوداء !!!

بين النساء :

٢ ــ وأما المساواة بين النساء جميعا ، فى انتسابهن قبل الزواج وبعده الى الأصل الأبوى الأسرى ، فهى حق لكل امرأة ، لأن عقد الزواج فى الشريعة الاسلامية ، لا يقطع صلة المرأة بأبيها ، ولا ينقل نســـبة اسمها من أبيها الى زوجها كائنا من كان الأب ، وكائنا من كان الزوج .

فهؤلاء أمهات المؤمنين ، ينسبن حتى اليوم الى آبائهن .. لا الى زوجهن رسول الله ... فخديجة بنت خويلد ، وعائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر ، وصفية بنت حيى بن أخطب اليهودى .. وليس للزوج بعقد الزواج أن يسلبها حرفا واحدا من نسبتها الى أبيها ، فضلا عن أنيتصرف فى مثقال ذرة من ثروتها الشخصية وملكيتهـــا الخاصة ، التى هى وحدها دون زوجها صاحبة الحق الأول والأخير فيها ، غير منازعة أو مدافعة أو مدفوعة الى استشارة زوجها أو استئذانه ...

وذلك ما حرمته المرأة الفرنسية تحت وطأة المـــادة ٢١٧ من القانون

المدنى الفرنسى الذى يقول ويقرر « إن المرأة المتزوجة ، حتى لو كان زواجها قائما على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها ، لا يجوز لها أن تهب ولا أن تنقل ملكيتها ولا أن ترهن ولا أن تملك بعوض أو بغير عوض ، بدون اشتراك زوجها فى العقد ، أو موافقته عليه موافقة كتابية » وعلى الرغم مما أدخل على هذه المادة من تعديلات ، فان المرأة الفرنسية ، ما تزال حتى كتابة هذه السطور ، محرومة من مقومات الشخصية المدنية بعد الزواج ، تلك المقومات التى تتمتع بها المرأة المستظلة بلـواء المساواة الاسلامية كاملة غير منقوصة .

أمـــام القانون

٣ ــ وأما المساواة بين الجميع فى الفصل القضائى ، والحكم القانونى ، والجزاء العادل على العمل .. فهى من حق اللائذين بمحراب العدالة الاسلامية التى تساوى بينهم جميعا فى الدنيا والآخرة ، مساواة كاملة ، لا تشوبها أية شائبة من شـــوائب التفرقـــة الجنسية أو العنصرية أو اللـــونية أو المادية ، مصداقا لقول الله تعالى « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانـــوا يعملون » « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقســـط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا .. » « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون .. » « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا » .

وبهذا الهدى القرآنى الكريم ، اهتدى الرسول وخلفاؤه الراشدون ، فى إعلانهم وتقريرهم المساواة بين الناس جميعـــا ، وفى تطبيقهم أحـــكام هذه المساواة تطبيقا عمليا بين ســـائر الناس والعبرة بالتطبيق لا بمجرد التشريع ــ كما قال توماس بين ــ والى جانب الأمثلة التطبيقية التى مرت بنا فى تضاعيف هذا البحث ، نضيف الأمثلة التاريخية الحيـــة الآتية ، فى فخر واعتزاز بالاسلام ومجد الاسلام ، دون سواه :

ولا يستوى وحى من الله منـــزل وقافيـــة فى العالمين شـــرود

١ ــ سرقت فاطمة المخزومية قطيفة وحليا ، وعز على قومها بنى مخزوم من أشرف البطون القرشية . واليهم ينسب خالد بن الوليد .. أن تقطع يدها .. فتشفعوا بأسامة بن زيد الى رسول الله الذى صاح فى وجه حبيبه أسامة غاضبا لله دون سواه :

يا أسامة . أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب الناس معلنا أروع دستور للمساواة القانونية عرفه التاريخ : « إنما هلك الذين من قبلكم ، أنهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ،

وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » . وهكذا انتهت المساواة عمليا الى العدالة الكاملة بين فاطمة بنت رسول الله فضلا عن فاطمة بنت مخزوم ... وبين سائر الناس ...

٢ ــ ورأى عمر بن الخطاب رجلا يجامع امرأة ، فجمع الناس يستشيرهم فيما يعمل ، دون أن يذكر اسميهما ... فقال له على بن أبى طالب : يا أمير المؤمنين إما أن تأتى بأربعة شهداء وإما أن يقام عليك حد القذف اذا صرحت باسميهما ، لأن الله تبارك وتعالى يقول « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » فسكت عمر ... ولم يصرح باسمى الشخصين اللذين رآهما رأى العيان ...

٣ ــ وشكا يهودى على بن أبى طالب الى عمر بن الخطاب فى خلافته . ولاحظ على أن عمر قد نادى اليهودى باسمه .. وناداه هو بكنيته قائلا : يا أبا الحسن .. فغضب لأن عمر لم يسو ــ غير قاصد ــ بينه وبين اليهودى حتى فى أسلوب الخطاب ..

٤ ــ وشكا أحدهم الى عمر بن الخطاب أن أبا موسى الأشعرى أقام عليه حد شرب الخمر .. ولكنه تجاوز الحد بأن حلق شعره ، وسود وجهه ، ودعا الناس الى مقاطعته .. فانتصف له عمر من أبى موسى ، الذى هدده عمر بقوله له فى كتابه : لئن عدت لأسودن وجهك ولأطوفن بك فى الناس ...

٥ ــ وشكا قبطى من أهل مصر الى عمر عدوان ابن عمرو بن العاص حاكم مصر عليه فى سباق كان بينهما ، فانتصف عمر للقبطى من ابن عمرو وصاح فى وجه عمرو بكلمته العمرية الخالدة : يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ..؟!!

٦ ــ وشكا عربى فزارى الى عمر بن الخطاب أن الأمير الغسانى جبلة بن الأيهم لطمه فى موسم الحج لطمة هشمت أنفه .. فسأل عمر جبلة .. ولما اعترف بأنه لطمه لأنه وطىء إزاره .. أصر عمر على القصاص منه .. فسأله جبلة فى دهشة : أتقيده منى وأنا ملك وهو سوقة .. فقال عمر كلمته الحاسمة : ان الاسلام قد سوى بينكما .

٧ ــ وساوى الخليفة المأمون العباسى بين ابنه العباس وبين امرأة من عامة الناس فى محراب العدالة ، كما ساوى القاضى شريك بين الأمير العباسى على بن موسى وبين امرأة أخرى من غمار الناس ، وأصر على هذه المساواة حتى النهاية ...

وما هذه الأمثلة الا غيض من فيض المساواة الاسلامية بين الجميع ، وفى كل ناحية من نواحى الحياة ، جامعة بين التشريع والتطبيق ، حريصة على الموازنة بين الحقوق والواجبات .

فما أعظم فضل الاســلام على الانسان وحقوق الانسان ولجنة حقوق الانسان فى هيئة الأمم المتحدة ، التى تقول فى المادة الأولى من الاعلان العالمى لحقوق الانسان(١) « يولد الناس أحرارا متساوين فى الكرامة والحقوق ، وقد وهبوا عقلا وضميرا وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الاخاء » . ولعل من المناسـب أن أختم هذا المقال بشـــهادة لها مغزاها من رجل له تاريخه فى « التحررية » و « التقــدم » وهو الدكتور طه حسين الذى قال فى مقدمة الجزء الأول من كتابه « الفتنة الكبرى » ما نصه :

« النظم الاجتماعية التى عرفتها الانسانية عجزت كلها عن تحقيق المساواة بين الجميع وتحقيق العدل الاجتماعى ، تحقيقا ينتهى بالناس الى اطمئنان لا يشوبه قلق ، وأمن لا يشوبه خوف ، والانسانية المعاصرة ترى من ذلك ما لا يحتاج الى أن نطيل القول فيه :

١ ــ فالشيوعية قد ضمنت للناس قليلا أو كثيرا من العدل الاجتماعى ... ولكنها ضحت فى سبيل ذلك بحريتهم كلهــا .

٢ ــ والفاشية قد ضحت بالحرية والعدل جميعها ...

٣ ــ والديموقراطية قد ضمنت للناس شيئا من حرية وقليلا من مساواة أمام القانون ، ولكنها لم تضمن لهم من العــدل الاجتماعى شيئا ...

سلكت الانسانية فى سبيل الحكم الصالح كل هذه الطرق ، وجربت كل هذه النظم : فلم تنته الى غاية .. وما زالت تشــكو الظلم والجور والضيق والاستغلال والاستذلال ...

وتبحث عن النظام القويم الذى يضمن للناس الحرية والعدل جميعا ، وهذا النظام القويم هو الذى حاولت الخلافة الاسلامية لعــهدى أبى بكر وعمر أن تنشئه ... ولم يعرف المسلمون ولا غير المســلمين ، أميرا حاول من العدل ما حاول عمر ، وحقق منه ما حقق عمر » .

ذلك ما قاله طه حسين .. وأقول : ذلك سر الاسلام فى أهله : و (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) .

---

(١) ص ٦٤ من كتاب المواطن للدكتور محمد مندور .

آراء لرشيد رضا



الثقافة والتربية والتعليم

للدكتور : أحمد الشرباصي

نشر التعليم :

أدرك رشيد رضا قيمة التعليم ، فتحدث عنه فى كتابته أكثر من مرة ، وحث على نشره فى مناسبات كثيرة باللسان والقلم ، وبالمقالة والمحاضرة والرسالة والمحاورة ، وفى مفتتح القرن العشرين تقريبا كتب يقول : « لو أن كل فقير فى القطر المصرى مثلا يبذل فى السنة قرشا واحدا لأجل التعليم ، لاجتمع من ذلك ألوف الالوف ، وتيسر به عمل فى البلاد كبير ، فكيف اذا أنفق كل أحد على قدره ، كما قال تعالى : (لينفق ذوسعة من سعته) (١) » .

ورشيد يرى أن التربية والتعليم هما الركنان اللذان يقوم عليهما بناء السعادة ، والعاملان الرافعان الى قنة السيادة (٢) .

ويؤمن رشيد بوجوب تعميم التربية والتعليم ، لأنه يؤمن بأن طلب العلم فريضة على كلمسلم كما علمه رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ويتألم رشيد لأنه يسمع كثيرا ممن يتحدثون عن نشر التربية والتعليم ، دون أن يصحب ذلك ايمان بما يقولون ، أو انتقال الى التطبيق والتنفيذ ، ويقول : « الذى قلت انه

وسيلة لسعادة الأمة تجمع كل الوسائل ، وسبب يرجع اليه كل الأسباب ، هو تعميم التربية والتعليم ، وهذا اللفظ تلوكه الألسنة كثيرا ، الا أن معناه لم يعط حقه من التبصر والتأمل (٣) » .

وعاد رشيد فتوسع فى شرح ذلك خلال مقال كتبه بعنوان : « التربية والتعليم (٤) » . وينبغى أن نلاحظ أن رشيدا فى هذا المجال يردد كلمتى « التربية والتعليم » مع أن اللفظ الشائع فى عصره المعبر به عن هذه الناحية هو كلمة « المعارف » ، بل قد ظللنا فى أكثر البلاد العربية نقول : « وزارة المعارف » الى عهد قريب ، ثم استجبنا لتوجيه أمثال رشيد رضا ، فتركنا كلمة « وزارة المعارف » ، واستعملنا كلمة « وزارة التربية والتعليم » .

ويبدو واضحا أن رشيدا يريد من كلمتى « التربية والتعليم » أن نجمع بين العلم والخلق ، لأن حشو الذهن بالمعلومات والمعارف لايكفى ، بل لابد معه من تأديب وتهذيب وتربية .

ونفهم من كلام رشيد أنه كلما كثرت الوان المعارف والعلوم التى يأخذها الناشىء ازداد صلة بالثقافة الصحيحة ، واتسع أفقه العلمى ، ولذلك ينعى على بعض قومه أن يقتصروا فى ثقافتهم وتعلمهم على طائفة معينة من العلوم ، قد يكون لها قيمتها العالية ومكانتها السامية ، ولكنها لاتكفى لتكوين الثقافة العامة الواسعة ، ويحذر رشيد من طول العكوف على هذه العلوم وحدها ، دون تلقيحها بغيرها مما يساعد على هضمها ، أو يوسع دائرة الانتفاع بها ، وهو يقول :

« ان طول مدة التلقى والأخذ عن المعلمين لعلوم وفنون قليلة كالعربية والشرعية ، يضعف فى الطالب ملكة الحكم ، والاستقلال فى العلم ، ويحصر علمه فيما يسمع ويقرأ ، حتى لايكاد يجد غيره فيما يقرر أو يملى ، أو يصنف أو يفتى ، ومن كان هذا كل علمه فلا علم له ، وانما هو ينقل ماعند غيره ، علما كان أو ظنا ، حقا أو باطلا ، خطأ أو صوابا (٥) » .

ونحن نفهم أن رشيدا فى هذا النص يدعو الى أكثر من أمر ، فهو يدعو الى ترك الاقتصار على طلب علوم معينة لمدة طويلة ، ويدعو الطالب الى ترك الاقتصار على مايسمع أو يقرأ فى هذه العلوم ، ويحثه على اضافة علوم أخرى الى هذه العلوم السابقة ، وأن يحرص خلال ذلك على تربية ملكة الحكم عنده ، والاستقلال فى العلم والفهم ، حتى لايكون نسخة مكررة ممن سمع عنه ، أو من الكتاب الذى طالعه .

ولذلك نرى رشيدا فى مقام آخر يطالب أمته بأن تعرف العلوم الطبيعية والرياضية والتاريخ وتقويم البلدان (الجغرافية) ، لأن الاسلام دين الفطرة الآمر بكل علم نافع ، والناهى عن كل جهل مضر ، ويطالبها رشيد كذلك بالجد والعمل ، وترك الخمول والكسل (٦) .

ولما كان الكتاب هو أساس للتعليم دعا رشيد الى العناية بالكتب وحسن اختيارها ، وتأييد الصالح منها ، ومقاومة الضار ، وقال فيما قال : « الأمة لايصلح حالها الا اذا كانت الكتب المتداولة بين أفرادها فى التعليم والمطالعة مشتملة على مافيه صلاحها وطرق منافعها ، على الوجه الصحيح ، من حيث الأخلاق والآداب ومن حيث الأعمال » .

ثم يذكر أنواعا من الكتب الضارة المنتشرة فى مجتمعه ، ويطالب بمحاربتها ، ويدعو الى تيسير المعارف فى كتب سهلة واضحة ، ويقول : « هذا ركن عظيم من أركان الاصلاح ، وهو مطلوب من رجال العلوم وحملة الأقلام ، لا من رجال

السياسة والأحكام (٣) » .

وآراء رشيد السابقة سديدة موفقة ، تدل على عمق ادراكه لأهمية التربية والتعليم فى المجتمع .

رشيد ونوادر المخطوطات :

كان رشيد رضا طالب علم ، وعالما ، وكاتبا ، ومؤلفا ، وصاحب مطبعة ، وناشر كتب ، ولذلك لم يكن غريبا أن يعنى بالبحث عن المخطوطات المهمة ، وبخاصة ما اتصل منها بما عنى به من علوم الدين واللغة ، ومن أمثلة ذلك أنه شغل نفسه مدة طويلة بالبحث عن مخطوطات تتعلق بالمسائل المجمع عليها ، ولقد كتب فى أكتوبر سنة ١٩٣٤ رسالة الى صديقه أمير البيان شكيب أرسلان يقول له فيها :

« فى المسائل المجمع عليها خلاف كثير ، وللحفاظ فيها مصنفات لا يوجد عندنا منها شىء ، الا أن يكون فى بعض المجاميع المجهول مافيها بدار الكتب ، أو فى بعض المكاتب الخاصة ، وجميع العلماء المحدثين ينقلون عن كتاب أو كتابين لأبن المنذر ، يوجد أحدهما فى مخطوطات خزائن الآستانة ، ولابن حزم كتاب آخر استدرك فيه على أبن تيمية بكتاب خطأه فيه بدعوى الاجماع فى مسائل كثيرة .

وقد ظفرت بهذا الكتاب مخطوطا ، وما زلت أبحث عن أصله لابن حزم ، حتى علمت بوجود نسخة منه فى الآستانة ، وبأنه تنقص منه ورقة من آخره .

وقد سافر فى الصيف الى الآستانة حسن بك عديل فؤاد بك سليم صديقنا الذى يقيم معه فؤاد بك فى داره ، فكلفته أن يسعى لأخذ صورة عكسية منه .

فان فعل فاننى أطبعه مع كتاب ابن تيمية ، فيكون أكمل كتاب لنا فى بابه ، وأضع له مقدمة فى بيان ماهو دينى ، وما هو غير دينى من مسائل الاجماع ، ويكون حجة لى وسندا فى سائر كتبى الاصلاحية (٨) » .

وفى أثناء كتابة رشيد فى مجلته وفى كتبه أشار أكثر من مرة الى عنايته بالمخطوطات الدينية وغيرها ، ولقد أسهم رشيد بذلك فى نشر الكتب القيمة التى كان قراؤها فى أشد الحاجة اليها حينئذ ، وكان نشر الكتب يسيرا متواضعا فى نطاق ضيق ، وهذا جهد منه مذكور ومشكور .

ومما يتصل بنشر الكتب أن رشيدا فى سنة ١٩٠٣ أبدى اعجابه بالفهارس التفصيلية التى يضعها الأوربيون مع الكتب التى ينشرونها ، وكان ذلك الابداء بمناسبة حديث عن ديوان « سبط ابن التعاويذى » الذى نشره المستشرق الانجليزى مرجليوث ، حيث قال رشيد :

« وهذه الفهارس التى يلحقها الافرنج بكتبهم ، وما يطبعونه من كتبنا ، مفيدة جدا لتسهيل المراجعة على الباحث والمؤلف ، ومتى صرنا نعرف قيمة الوقت فاننا نحذو حذوهم فيها (٩) » .

وقد أعجبت برشيد حين رأيته سارع فحذا حذو هؤلاء ، فوضع فهارس كافية لمجلدات مجلته (المنار) ، وفى كثير من هذه المجلدات جعل رشيد فى صدرها فهرسا عاما لجميع الموضوعات ، مرتبا حسب الحروف الأبجدية ، وفهرسا للآيات القرآنية . وفهرسا للأحاديث الواردة فى المجلد ، وفهرسا للكتب والمجلات التى تحدث عنها ، وفهرسا للكاتبين فى هذا المجلد .

وقد يضيف فهرسا لوفيات الأعيان ، وقد تزيد صفحات هذا الفهرس للمجلد الواحد عن ثلاثين صفحة .

ولكن رشيدا فاته ــ لظروف مختلفة ، كغلاء الورق ، أو سفره بعيدا عن مصر ، أو عدم وجود من يعاونه ــ أن يضع مثل هذه الفهارس لبعض مجلدات المنار .

ولا شك أن هذه الفهارس جهد محمود ، لأنها تعين على مراجعة موضوعات « المنار » : تلك الموسوعة الاسلامية العربية الضخمة ، وقد سلك رشيد هذا المسلك الحميد فى « تفسير المنار » أيضا .

وانه لمن الخير العلمى والأدبى أن يوضع فهرس كامل شامل لمجلدات « المنار » كلها ، لكى يتسع نطاق الانتفاع بهذه الموسوعة ، والفهارس التى وضعها رشيد لمجلدات المنار تصلح أساسا لهذا الفهرس الكامل الشامل .

وأذكر بهذه المناسبة أن مجلة « المشرق » اللبنانية لها فهرس كامل شامل فى مجلد مستقل ، وهذا الفهرس يجعل طالب الحاجة من مجلداتها يهتدى اليها والى مواطنها فى أسرع وقت ممكن ، فليت مجلة « المنار » يتحقق لها ما تحقق لمجلة « المشرق » ، ولعل الأيام تتسع والأسباب تتهيأ لأحقق هذا العمل .

رشيد والترجمة :

لم يتقن رشيد لغة غير اللغة العربية ، وان كان قد عرف جانبا من اللغتين الفرنسية والانجليزية ، وقد حدثنا رشيد عن طلبه العلم فى المدرسة ، فأخبرنا أنه لم يعن باللغة التركية ولا الفرنسية ، وان كان قد حفظ مافرض عليه من دروسهما فى المدرسة الوطنية ، ثم ندم على عدم تعلم الفرنسية ، بعد أن علم أن لها فوائد كثيرة فى خدمة الاسلام (١٠) .

ولهذا عنى رشيد بأن يعوض هذا النقص بمطالعة كل مايستطيع مطالعته من الكتب المترجمة ، وكان يطلب أحيانا من أصدقائه الذين يعرفون لغات أجنبية أن يترجموا له مايحتاج من مقالات أو بحوث .

ونفهم من رسالة كتبها رشيد الى الأمير شكيب أرسلان بتاريخ ٣٠ من كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٢٦ أن رشيدا كان حريصا على ترجمة كتاب « سرائر القرآن فى خلق وافناء واعادة الأكوان » الذى ألفه المرحوم مختار باشا ، وأنه حاول ذلك ، واتصل بالأمير شكيب ، ومحمود باشا مختار ، وعبد الغنى بك سنى ، والدكتور شرف الدين التركى ، لكى يحقق هذه الامنية (١١) .

وكذلك عنى رشيد بأن ينشر فى المنار الترجمة التى قام بها الأستاذ عبد العزيز محمد لكتاب « اميل القرن التاسع عشر » ، كما نوه أكثر من مرة بكتاب « سر تقدم الانجليز السكسونيين » الذى ترجمه أحمد فتحى زغلول عن الانجليزية . كما نوه بكتاب « الرد على الدهريين » الذى ترجمه الشيخ محمد عبده ، وطبع كذلك كتاب « الصحة » الذى كتبه المهاتما غاندى ، وترجمه الشيخ عبد الرازق المليح أبادى ، وقصة « آخر بنى سراج » التى ترجمها الأمير شكيب أرسلان ، كما عنى بأن ينشر بحوثا ومقالات كثيرة مترجمة فى مجلة « المنار » .

● ● ●

رشيد والأدب الشعبى :

لم يفت رشيدا أن يتحدث عن الأدب الشعبى ، وأن يسجل بعض النصوص من هذا الادب — وان كانت موضع نظر عند رشيد وغيره من الجهة الدينية فهو ينكر هذا أشد الانكار — ومن أمثلة ذلك قوله :

« أعرف رجلا شيخا أشيب أعمى أجش الصوت ، ينشد الأماديح المنظومة على طريقة المواويل ، بالاستغاثة بالسيدة (١٢) .

يابنت بنت النبى ، طلى وشوفينا
يابنت بنت النبى ، دخلك أنا عيان

وأعرف امرأة عمياء كانت تجلس فى ظل دارنا ، وهى تحفظ أسجاعا متناسقة فى الدعاء ، هممت غير مرة بأن أنصت اليها وأكتبها عنها (١٣) » .

وينبغى أن نتأمل قوله هنا : « أنصت اليها » وقوله : « وأكتبها عنها » فان هذين القولين يدلان على عناية رشيد رضا منذ وقت مبكر بالأدب الشعبى ، ورغبته فى متابعته ، ولنتذكر أنه قال هذا الكلام فى أوائل القرن العشرين ، وفى وسط عام ١٩٠٤ ، فهو اذن قد وضع الاشارة الدالة على استحسان العناية بتتبع الأدب الشعبى ومحاولة تقييده .

رشيد ومقاومة العامية :

قد يفهم فاهم من محاولة رشيد رضا تتبع الأدب الشعبى أنه كان يرضى عن نشر العامية ، أو يدعو اليها ، وهذا خطأ ، لأن رشيدا عاش نصيرا للفصحى ، كارها للعامية ، محاربا للذين دعوا الى نشرها .

ومن الشواهد على ذلك — وهى كثيرة مبثوثة فى مجلة المنار وغيره من كتب رشيد — أنه فى سنة ١٩٢٩ سأله سائل عن مدير لمدرسة اسلامية فى بيروت ألقى خطابا فى مدرسة تبشيرية دعا الناس فيه الى احلال العامية محل الفصحى ، أو تسكين أواخر الكلام ، فرد عليه رشيد مستنكرا ذلك ، وقال فى اجابته :

« ان كان المدير الذى أشرتم اليه يدعو الى أن تجعل العامية لغة القراءة والكتابة ، أو يترك الاعراب منها ، فهو اما جهول لايعقل مصلحة الأمة العربية فى دينها ولا دنياها ، واما سىء النية يخدم الأجانب فى اضعاف هذه الأمة ، وافساد أمرها عليها ، الا ان كان يقصد بذلك الكلام المعتاد ، فله عذر ما ، وهذا الذى نظنه ، وقد يكون الناقل مخطئا فى الفهم (١٤) » .

رشيد واصلاح الخط العربى :

تكلم رشيد رضا سنة ١٩١٠ عن صعوبات الخط العربى ، ووجوب اصلاحه ، واقترح أن تكون الحروف متفرقة ليسهل الطبع والجمع ، وأن تختصر

هيآت الحروف ، ويستغنى عن « الفتحة » فى الشكل ، لأنها كثيرة ، ويوضع للرفع والكسر أداة ، واقترح رشيد على من يقومون بسبك الحروف أن يقدموا على تنفيذ هذه الفكرة (١٥) .

ولابد أن نتذكر هنا أن هذا الموضوع قد أثير بعد ذلك بعشرات من السنين فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة وغيره من الهيئات المختصة بالبحوث اللغوية ، واتجه الرأى فى السنوات الأخيرة — بعد بحوث ومحاولات طويلة متشعبة — الى الاخذ بما يقرب من رأى رشيد ، واستعملت فعلا هذه الحروف الميسرة فى بعض مطبوعاتها .



رشيد وقضية القديم والجديد :

فى بحث لرشيد بعنوان : « التجديد والتجدد والمجددون » قال :

« وأما المتقدم والمتأخر من الناس فقد كانت القاعدة عند أهل العلم والأدب منا تفضيل المتقدم على المتأخر ، ولكن القاعدة عند أهل النشوء والارتقاء العكس. وانما هذا وذاك بالنسبة الى جملة أهل العصر ، دون الأفراد النابغين الذين قلما تجود بمثلهم الأزمان » .

ثم يقول : « وقد كان بعض الأدباء يفضل المتأخرين فى بعض الأشياء ، وقد افتتح عنترة معلقته المشهورة بقوله : (هل غادر الشعراء من متردم) يعنى أن الشعراء قبله لم يتركوا لمن بعدهم قولا يقوله .

ولكنه هو جاء فيها بمعان لم يسبقه اليها غيره ، وقد عارضه ابن أبى حجلة فى تفضيل كتابه (ديوان الصبابة) على ما سبقه فى معناه . يقول فى خطبته : فان قلت الفضل للمتقدم ، وهل غادر الشعراء من متردم ، أقول : فى الخمر معنى ليس فى العنب ، وأحسن مافى الطاووس الذنب .

وكلمة (الفضل للمتقدم) صارت مثلا فى أفواه العلماء والأدباء ، ولا أدرى أول من قالها ، هل هو عدى بن الرقاع الشاعر الأموى الذى ضمنها فى شعره أم غيره (١٦) ، وهذا شيخ صناعة الادب الحريرى (١٧) قد استشهد فى تفضيل بديع الزمان على نفسه فى مقدمة مقاماته بقول عدى هذا .

ثم رأيناه عقد المقامة السادسة منها لتفضيل الطريف على التليد ، ونصر العصاميين على العظاميين » .

ثم يقول : « والقول الحق فى الموضوع أنه لابد للبشر فى كل من القديم والجديد ، وأن فى كل منهما الحسن والقبيح ، والنافع والضار ، وأن من الناس من هو أميل بطبعه الى هذا ، ومن هو أميل الى ذاك من أجناس الأشياء وأنواعها ، وقلما يفضلها لمحض جدتها الا الأطفال ، ومن على مقربة منهم من النساء والرجال .

وأما العقلاء المستقلون فلا يرغبون عن النوع القديم الى الجديد الا بمرجح

يرجحه عليه ، عملا بالقاعدة المنطقية فى المتساويين ، وانما تكون الجدة مرجحة فى جزءيات النوع الواحد ، اذا كانت متساوية فى سائر صفاتها ، فان الجديد يكون أزهى وأبهج ، وأثبت وأبقى (١٨) » .

وعندى أن هذا رأى معتدل ، لايعنى بالعصبية للزمن ، بل يعنى بالموضوع والثمرة .

---

(١) تفسير المنار ، ج ٤ ص ١٣٣ .
(٢) المنار ، المجلد الأول ، ص ٥٦٧ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٤٦ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٥٦ ـــ ٦١ .
(٥) المنار والازهر ، ص ١٩٦ .
(٦) مجلة المنار ، المجلد ٣ ص ٢٤٤ .
(٧) المنار ، المجلد ٣ ص ٤٩ ـــ ٥٣ .
(٨) كتاب السيد رشيد رضا ، ص ٧٥٥ .
(٩) المنار ، المجلد ٦ ص ٩٤٥ .
(١٠) المنار والازهر ، ص ١٣٨ .
(١١) السيد رشيد رضا ، ص ٤٦٥ .
(١٢) يقصد السيدة زينب بنت على .
(١٣) المنار ، المجلد ٧ ص ٣١٩ . عدد ٣٠ يونيه سنة ١٩٠٤ .
(١٤) المنار ، المجلد ٣٢ ص ٧٣٨ .
(١٥) المنار ، المجلد ١٣ ص ٢٠٤ . عدد ١٠ أبريل (نيسان) سنة ١٩١٠ .
(١٦) تكرر من رشيد اتيانه بلفظة « أم » مع « هل » ، وهذا مما يلاحظ عليه لغويا .
(١٧) قد يثير هذا التعبير من رشيد عن الحريرى شيئا من العجب ، فقد عرفنا فى موطن آخر ان رشيد رضا يفضل بديع الزمان فى المقامات على الحريرى ، ويرى أن الحريرى متكلف متصنع .
(١٨) المنار ، المجلد ٣٢ ص ٥١ و ٥٥ .



سألقاك يا بنيّ

طالما تملكتنى هزات عنيفة اعادت الى خاطرى ما وعيناه فى دراساتنا الاسلامية ، هل يكون الجندى محاربا حقا اذا ذهب الى المعركة وهو حريص على حياته كلفا بان يرجع من المعركة وكانه راجع من مباراة لكرة القدم مثلا ، ادى واجبه فلعب الوقت المحدد ليلاقى بالتصفيق او الاسف ، او انه يذهب الى المعركة كنزهة يعود بعدها لياخذ قسطه من الراحة ، أم أنه يذهب الى المعركة مملوءا بالرغبة فى القتال حتى آخر نفس يتردد فى صدره وحتى آخر قطرة من دمه تجرى فى عروقه .

اذا كانت الأولى فخير له الا يذهب لأنه فى مناى عن رسالته التى عليه اداؤها .

واذا كانت الثانية فهو يذهب حبا فى وطن حريصا على شرف راغبا فى شهادة ، وهذه هى رسالة الجندى .

لذلك كنت حريصا على تسجيل هذه الخواطر التى ملكت على مشاعرى حين جاءنى نبأ استشهاد انسان شرفت بشهادته شرفا لم انله قبله واحب لكل اب ولكل أم لهما جندى فى الميدان أن يناله .

كان امله دائما ان يلتحق بالخدمة فى القوات المسلحة . فقد كان على خلق عظيم ورجولة مبكرة لا تعهد فيمن هم فى مثل عمره ، هادئا عطوفا على كل صغير او كبير عرفه وعاشره .

تحقق امله بالالتحاق بالقوات المسلحة ، وكنت اتلقى شجاعته واقباله على القتال فخورا ومشفقا فى وقت معا ، حصل من قيادته على التقدير يلى التقدير ماديا ومعنويا .

كان يرد على نصيحتى بالحذر بايمان عميق بقضاء الله وبالرسالة الخالدة للجندى وللمقاتل ، كان يقول لى ان ما سيصيبنى قذيفة كتب عليها اسمى وغيرها لن يصيبنى وان كانت هى فلا مفر منها .

ايمان بالله عريق وحب وفناء فى سبيله بلغ ذروة لم يصل اليها الا المجاهدون الصادقون الذين باعوا انفسهم لله ليشتروا بها جنة ونعيماً فى جواره فربحت تجارتهم .

ايمان جعلنى انسى العمر والزمن واتمنى ان اعود مقاتلا كما كنت منذ نيف من السنين وانادى بقول الحق « يا ليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما » .
كنت اخلو الى نفسى فتغلبنى العاطفة ســانحة من الوقت واقول لها ، قد اكون اعطيت هذا الابن الحبيب من طاقة الحماس اكثر مما يحتمله شبابه الغض وليس من العدل ان افرغ حصيلة من الجندية اختزنت فى عشرات السنين بلغت بنا وبلغنا بها خريف العمر فى نفس شاب فى ربيع الحياة امامه سنين طويلة حتى يقوى على حملها ، لقد قدمت اخا شهيدا من ثلاث سنوات بها وليس عدلا ان اقدم بها ابنا نافعا يعدون العدة ليوم عرسه ويقترب مع الأيام يوم زفافه .

كنت استمع اليه يسرد قصصا حبيبة الى نفس كل جندى وهو يقول : لقد حطمت تحصينات العدو فى مواجهتى ، وسانتقل بوحدتى الى موقع آخر لاحطم ما بقى منها ، وهكذا كان يتنقل بوحدته من شمال الجبهة الى جنوبها مؤديا لواجبه الحبيب الى نفســه ، وهو تحطيم مواقع العدو وتحصــيناته ، ومعها احلامه وآماله .
كان يقص على كيف اصيبت دبابته ولم يصب وهو بداخلها ، وكيف اخطاته قذيفة سقطت وانفجرت على بعد قليل منه ، ولم يصبه منها شظية بسوء فيزداد ايمانه بالقضاء ويقوى عزمه على القتال والاستبسال .

كان يستمع الى بشغف وثقة وانا اردد على ســمعه « انك واقرانك من المقاتلين تدافعون عن عقيدة عن شرف عشــيرة وكل اسرة لها مثلك جندى فى الميدان يحمى فى الوطن عرضها ووجودها وامنها وان وطننا جدير بان يحب بكل قوة وبكل حياة ، واذا كان العدو الخبيث فى سبيل باطله يقاتل بهذه الضراوة والشراسة فحرى بكم ان تدافعوا عن حقكم بضراوة وشراسة اعنف واشد ، انكم تدافعون عن تاريخ مجيد حقيق بان يحب بكل نفس وبكل جارحة وبكل روح ، احب لكم ان يكون هتافكم وانتم تخوضون كل معركة ضد عدوكم — الله اكبر — كانى بك يا بنى وصوتك يهدر بالنشيد ، قد صدقت القدر فصدقك وكنت الشهيد .

اعطيت حياتك لله فهنيئا لك ما اعطيت وما اخذت فربحت عوضك الله عن عروس فى الارض عروسا تزف اليهــا فى السماء اطعت ربك ووفيت عهدك وفديت انسانيتك ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا .
هنيئا لك يابنى هذه الصــحبة الطاهــرة فى ظل العرش الكريم الى يوم القيامة ، هنيئا لك يابنى طيب الحياة وطيب الموت فقد ادركت الشهادة مقبلا غير مدبر حاملا سلاحك مصوبة الى نحر عدوك وعدو وطنك .

هنيئا لك يابنى فقد غسلت بالنار لا بالماء ودرجت فى علم لا فى كفن وكتبت الخلد فى سجل الخلود لا فى دفتر الصحة .

هنيئا لك قد بلغت بغيتك وبغية كل نفس مؤمنة بالله وبوطنها وعد الصدق سالقاك يابنى مرتين سالقاك وصحبك اعلاما خفاقة يوم النصر القريب ان شاء الله ، وسالقاك فى جنات ونهر فى مقعد صــدق عند مليك مقتدر ، يوم البعث مع الشهداء الصديقين فهذا وعد لن يخلفه الله .

سلام عليك وعلى صحبك فى الصالحين الأبرار
سلام عليك وعلى صحبك فى الخالدين .

إمام الفقهاء

أبو حنيفة النعمان

للدكتور : محمد محمد أبو شهبة

تقدمة

لما انتشر الاسلام واتسعت رقعته ، وامتد سلطانه حتى بلغ ما بلغ الليل والنهار دخلت فيه الكثرة الكاثرة من أبناء هذه البلاد التى استظلت بلواء الاسلام عن طواعية واختيار ، واخلصوا لهذا الدين وللغته العربية : لغة القرآن غاية الاخلاص فلا تعجب اذا وجد من هؤلاء أئمة أعلام : فى التفسير والحديث ، والفقه والاجتهاد ، واللغة العربية وعلومها وآدابها .. والعلوم العقلية ولا سيما الكلام ، والعلوم العملية كالطب والهندسة ، والرياضيات كالحساب والجبر والمقابلة ، والعلوم الكونية كالكيمياء والطبيعة ، والفلك ..

من هؤلاء الأئمة الاعلام . امام الفقهاء أبو حنيفة النعمان ، الذى يعتبر مفخرة للفقه الاسلامى ولاسيما فى عصوره الاولى . وسأتناول فى هذا المقال شيئا من جوانبه الفقهية والاجتهادية ، وعلمه بالقرآن والسنة وانه ذو باع طويل فيها ، وعصره ونسبه ، وحياته الخصبة المشرفة التى تجعله فى عداد الخالدين من رجالات العلم فى العالم .

نسبه ونشاته :

الامام ابو حنيفة : هو النعمان بن ثابت بن زوطى(١) التيمى ولاء ، ذلك ان زوطى جد الامام كان فارسا من اهل كابل(٢) وكان مملوكا لبنى تيم الله ابن ثعلبة ، فأسلم فأعتق فصار ولاؤه لهم أما والده ثابت فقد ولد على الاسلام ، وهذا هو المعتمد فى نسبه ، وان زعم بعضهم انه لم يجر على احد من اجداده رق بل بالغ البعض ، فجعله يتصل الى العرب بنسب .

ولا يضير الامام قط أن يكون اصله فارسيا ، ولا أن يكون احد اجداده استرق ثم أعتق ، لأن الاسلام لا يفرق بين عربى وعجمى ، ولا بين مولى وسيد فى التقدير الدينى والعلمى ، وفى الموالى من رفعه دينه وعلمه الى مقاعد الشرف والسيادة ، وفى العرب من أوبقه كفره ، ورمى به فى زوايا الاهمال جهله ، وكانت ولادة الامام بالكوفة سنة ثمانين للهجرة ، وقد عاش بها معظم حياته ، ولم يفارقها الا الى مكة فترة وجيزة ، والى بغداد قبيل وفاته وكانت وفاته سنة مائة وخمسين فهو اذا عاصر معظم الدولة الاموية ، وأوائل دولة بنى العباس .

عصره وكونه تابعيا :

ان العصر الذىعاش فيه الامام يعتبر من عصور الاسلام الذهبية ، والامام ولد ونشأ فى قرن يعتبر من القرون الخيرة الفاضلة ، وهو عصر التابعين ففى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .. وقد صح كما قال الامام الذهبى(٣) انه راى أنس بن مالك — رضى الله عنه — وهو صغير ، وروى ابن سعد فى كتابه (الطبقات) عن الامام أنه قال : « قدم أنس بن مالك الكوفة ونزل النخع ، وكان يخطب بالحمرة قد رأيته مرارا » كما أنه راى عبد الله ابن ابى اوفى ، وغيره من الصحابة ورؤيته بعض الصحابة ليس فيها خلاف بين العلماء ، وانما الخلاف فى سماعه منهم ، والثقات من حفاظ الحديث ونقاده على أن الامام لم يسمع من أحد منهم ، ومذهب جمهور المحدثين أن السماع من الصحابى ليس شرطا لتحقق كونه تابعيا(٤) وهى خصوصية امتاز بها الامام عن بقية الائمة الاربعة .

اساتذته وشيوخه :

وللامام شيوخ كثيرون من اعيانهم محمد بن السائب الكلبى النسابة المفسر ، وجعفر الصادق ، وابن شهاب الزهرى عالم الشام والحجاز ، وشعبة بن الحجاج ، وربيعة الراى شيخ الامام مالك وسليمان بن مهران من كبار المحدثين ، وحماد بن ابى سليمان وهو الاستاذ الاكبر للامام ابى حنيفة ، وقد لازمه ملازمة طويلة وتخرج على يديه، ونهل وعل من معينه الثر ، وحتى أثر عن حماد أنه قال : « لقد أنزفتنى »(٥) .

تلاميذه :

وقد روى عن الامام وأخذ منه العلم والفقه الكثيرون من الأئمة من مشاهيرهم محمد بن اسحاق بن يسار امام أهل المغازى ، ومحمد بن عمر الواقدى ، وابراهيم بن ادهم ،

والحسن البصرى ، وابو يوسف القاضى ، ومحمد بن الحسن ، وزفر ابن الهذيل ، وغيرهم وهؤلاء الثلاثة هم أخص تلاميذه المتفقهين عليه ، ويدل على جلالته أن بعض شيوخه قد أخذ عنه كربيعة الراى ومالك وحماد بن أبى سليمان ، ووصل بعض المؤلفين فى مناقبه بتلاميذه والآخذين عنه الى نحو الثمانمائة وسرد أسماء الكثيرين منهم(٦) .

فقه الامام :

والامام ابو حنيفة احد اذكياء الدنيا المعدودين ، ورائد الائمة المجتهدين المشهورين ، واحد الفقهاء الأربعة المتبوعين ، الذين طبقت شهرتهم الآفاق ، وسادت مذاهبهم فى اقطار العروبة والاسلام ، وقد اقر للامام بالفقاهة وتملك ناصية الاجتهاد ، وبلوغه الغاية فى ذلك جمهرة من فقهاء الشريعة الكبار ، وائمة الحديث المشهورين روى عن الامام اللوذعى محمد بن ادريس الشافعى انه قال : « الناس فى الفقه عيال على ابى حنيفة ، وهذا عبد الله بن المبارك يقول « كان ابو حنيفة افقه الناس ما رايت افقه منه » .

ويقول فى حقه سفيان الثورى : « وهو افقه أهل الارض » وأثنى عليه وعلى قوة حجته امام دار الهجرة مالك بن انس فقال : « لقد رايت فتى لو كلمك فى هذه السادية ان يجعلها ذهبا لقام بحجته » .

علمه بالقرآن والسنة :

وقد كان الامام حافظا للقرآن ، مديما للقراءة له ، وقد روى انه كان يختم القرآن فى رمضان ستين ختمه ختمة بالليل وختمة بالنهار ، كما كان عالما بعلومه وناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وعامه وخاصه ، ومطلقه ومقيده الى غير ذلك من علوم القرآن التى لا بد منها لمن يبلغ الاجتهاد فى الأحكام ، وبيان الحلال والحرام . كما كان ــ رضى الله عنه ــ حافظا للأحاديث والسنن شديد العناية بها ، ثقة فى الرواية ، بصيرا بالعلل والرجال ، مقبول الجرح والتعديل ، روى الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد عن سفيان بن عيينة قال : « أول من اقعدنى للحديث أبو حنيفة قدمت الكوفة ، فقال أبو حنيفة : هذا أعلم الناس بحديث عمرو بن دينار فاجتمعوا على فحدثتهم » وناهيك برجل يزكى سفيان بن عيينة فى الحديث ، والامام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى وهو احد الأئمة الستة فى الحديث يعتمد على الامام فى التعديل والتجريح فيروى فى كتاب العلل من (جامعه) عن الحمانى قال : سمعت ابا حنيفة يقول : ما رايت اكذب من جابر الجعفى(٧) ولا أفضل من عطاء ابن أبى رباح « كما أثنى عليه جهابذة الحديث ونقاده ، سئل يحيى بن معين وهو الامام الحجة فى الجرح والتعديل : هل حدث سفيان عن أبى حنيفة ؟ قال : نعم كان أبو حنيفة ثقة صدوقا فى الفقه والحديث مأمونا على دين الله ، وروى عنه أنه قال : « سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول : « لا تكذب الله تعالى ، ما سمعنا أحسن من رأى أبى حنيفة » .

وكان يحيى بن سعيد القطان يذهب فى الفتوى مذهب الكوفيين

فيختار قول أبىحنيفة من أقوالهم(٨) ويقــول فى حق الامام تلميــذه أبو يوسف وهو من حفاظ الحديث كما قال ابن جرير الطــبرى « كان أبو حنيفة أبصر بالحديث منى » ويقول : « ما رأيت أعلم بتفسير الحديث من أبى حنيفة » ولا عجب أن يكون الامام أبو حنيفة بهــــذه المنزلة وقد أخذ الحديث عن رجاله كسفيان الثورى وشــعبة بن الحجــاج ، والأعمش وغيــرهم من أئمة الرواية ، وكانت الــكوفة آنئذ منزلا لكثير من الأئمة الذين جمعوا بين الرواية والدراية(٩) وأما ما ذكر فى تاريخ بغـــداد من الطعــن فى الامام فذلــك من آثار التحــامل والتعصب ، قال الامام الســيوطى فى كتابه « مناقب أبى حنيفة » : « لا تغتر بكلام الخطيب فان عنده العصـــبية الزائدة على جماعة من العلماء كأبى حنيفـــة وأحمد ، وبعض أصحابه ، وتحامل عليهم بكل وجه » ولم يسلم ــ فى الغالب ــ أحد من مشــاهير العلماء من الطعن والتجريح بغير حق ولعن الله الحاسدين والحاقدين .

التجنى على الامام :

وقد غمط الامام حقه فى العنــاية بالأحاديث والسنة ، وثقته فى الرواية بعض حاسديه ورموه بما ليس فيه ، فزعموا أنه قليل البضـــاعة فى الحديث ، وأنه قلت روايته تبعا لذلك قلة لا نصــدقها فى حق طالب من طلاب الحديث فضلا عن امام مجتهد تزعم مدرســة فى الفقه والاجتهــاد يعتبر رجالهــا مفخرة من مفــاخر الاسلام قديما وحديثا ، واليك ما ذكره العلامة ابن خلدون فى مقدمته(١٠) ، وحكايته هذا القول الضعيف عن هذا البعض ، ورده عليهم قال : « واعلم أن الأئمة المجتهدين تفاوتوا فى الاكثار من هذه الصناعة والاقلال فأبو حنيفة رضى الله عنه ــ يقال بلغت روايته الى ســبعة عشر حديثا أو نحوها ومالك ــ رحمه الله ــ انما صح عنده فى كتاب الموطأ وغايتها ثلاثمائة حديث(١١) أو نحوها ، وأحمد بن حنبل فى مسنده خمسون ألف حديث ولكل ما أداه اليه اجتهاده فى ذلك ، وقد تقول بعض المبغضين المتعسفين الى أن منهم من كان قليل البضاعة فى الحديث فلذا قلت روايته ، ولا سبيل الى هذا المعتقد فى كبار الأئمة لأن الشريعة انما تؤخذ من الــكتاب والسنة ، ومن كان قليل البضاعة فى الحديث فيتعين عليه طلبه .. الى أن قال والامام أبو حنيفـــة انما قلت روايته لما شــدد فى شروط الرواية والتحمل ، وضعف رواية الحــديث اليقينى اذا عارضها الفعل النفسى ، وقلت من أجلها روايته فقل حديثه لا أنه ترك رواية الحــديث متعمدا فحاشاه من ذلك ، ويدل على أنه من كبــار المجتهدين فى علم الحديث اعتمــاد مذهبه بينهم ، والتعويل عليه » .

فها نحن نرى أن ابن خلدون ذكر هذه المقالة المتجنية على الامام بلفظ (يقال) وهى من صيغ التضعيف فى عرف علماء الرواية ، واذا كان ابن خلدون بين الســبب فى قلة رواية الامام فمراده بذلك القــلة النسبية لا ما حكاه فى صدر كلامه بصــيغة التضــعيف ، ومما ذكرنا من نص المقــدمة يتبين للبــاحث المنصف والقارىء المتثبت أن عزو هذا القول الضعيف الى ابن خلدون تجن كذلك على العلامة ابن خلدون ، وخيانة للامانة فى البحث ، وقد انزلق الى هذا الرأى الضعيف الذى لا سند له

بعض الكاتبين المحدثين(١٢) في الحياة العقلية في صدر الاسلام وجعله من قول الثقات ، ويعلم الله أن القائل به ليس من الثقة في شيء وانا لا انكر تفاوت الأئمة في الحفظ والرواية فذلك أمر معلوم مفروغ منه ، ولكن الذى لا أكاد أصدقه أن تنزل مرويات الامام الأعظم الى هذه القلة الضئيلة وكيف يتهيأ لمجتهد أن يبنى مذهبا على سبعة عشر حديثا صحت عنده ، واقل ما يقال في مسائله التى تكلم فيها انها تبلغ ثلاثا وثمانين الف مسألة في العبادات والمعاملات ، وكيف يجوز قبول هذا القول وشاهد العيان يرده ، فكثرة أحاديث الامام تظهر من حججه المسرودة في أبواب الفقه التى نقلها عنه أصحابه ، والمدونة في تلك المسانيد السبعة عشر(١٣) لكبار الأئمة من أصحابه وسائر الحفاظ ، وكان مع الخطيب البغدادى عندما حل في دمشق مسند أبى حنيفة للدارقطنى ، ومسند أبى حنيفة لابن شاهين وهما زائدان على السبعة عشر المذكورة(١٤) .

والظاهر أن الخطأ دخل على القائل بأن الامام لم يصح عنده الا سبعة عشر حديثا من أنه سمع أن للامام سبعة عشر مسندا أى كتابا مرتبة أحاديثه على حسب الصحابة فظن أن المراد بالمسند الحديث الذى ذكر له اسناد فوهم هذا الوهم الفاحش . وكيف نصدق مثل هذا الراى العارى عن الحجة ، وهذا هو الحسن بن زياد أحد تلاميذ الامام كان يقول : « كان أبو حنيفة يروى أربعة آلاف حديث : ألفين لحماد ، وألفين لسائر المشيخة » واليك ما ذكره الحافظ الناقد الذهبى في حق الامام : « ولولا كثرة اعتنائه بالحديث ما تهيأ له استنباط مسائل الفقه فانه أول من استنبطه من الادلة ، وعدم ظهوره في الخارج لا يدل على عدم اعتنائه بالحديث كما زعمه بعض من يحسده ، وليس كما زعم ، وانما قلت الرواية عن الامام وان كان متسع الحفظ لأمرين : أحدهما : اشتغاله باستنباط المسائل من الأدلة كما كان اجلاء الصحابة كأبى بكر وعمر وغيرهما يشتغلون بالعمل عن الرواية حتى قلت روايتهم بالنسبة لكثرة حديثهم ، وكثرة رواية من دونهم بالنسبة اليهم ، وهذان الامامان مالك والشافعى لم يرويا الا القليل بالنسبة لما سمعاه لاشتغالهما باستخراج المسائل . ثانيهما : ان الامام أبا حنيفة كان من المتشددين في الرواية وفي تصحيح الاحاديث ، وقد ذكر العلامة ابن الصلاح أن من مذاهب التشديد ـ يعنى في الرواية ـ مذهب من قال : لا حجة الا فيما رواه الراوى من حفظه وذلك مروى عن مالك وأبى حنيفة رضى الله عنهما(١٥) .

وكان للامام شغوف نظر في الأحاديث ، والترجيح بينهما ، ومن لا يعرف ذلك يلصق بهما هو براء منه ، سئل الأعمش وهو من كبار المحدثين عن مسائل ، فقال لأبى حنيفة : ما تقول فيها ؟ قال كذا وكذا فقال الاعمش من أين لك كذا ؟! فقال الامام : أنت حدثتنا عن أبى صالح عن أبى هريرة عن رسول اله صلى الله عليه وسلم بكذا وحدثتنا عن فلان الصحابى عن رسول الله بكذا وسرد عدة أحاديث على هذا النمط وصار يتكلم فيها ، ويستنبط منها على حسب اجتهاده فقال الأعمش :

حسبك ما حدثت به ساعة واحدة ما علمت بأنك تعمل بهذه الاحاديث ، يا معشر الفقهاء أنتم الأطباء ، ونحن الصيادلة ، وانت أيها الرجل أخذت بكلا الطرفين !

وقصارى القول وحماداه أن الامام أبا حنيفة برىء من تهمة قلة البضاعة فى الحديث ، والحمد لله الذى هدانا الى تجلية هذه المسألة الشائكة ، وبحسبنا هذا اليوم ، وندع الحديث عن بقية جوانب الامام الخصبة المشرقة الى المقال الآتى ان شاء الله تعالى ..

---

(١) زوطى بوزن موسى كما ضبط الامام النووى ، وضبطه صاحب القاموس بفتح للزاى كسلمى والمحققون على الأول .

(٢) عاصمة أفغانستان .

(٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٥٨ ط الهند .

(٤) الذى عليه الجمهور والمحققون من العلماء أن التابعى : من لقى الصحابى وهو مسلم سواء سمع منه أم لا ، وان كان من سمع من الصحابى أجمل ممن لم يسمع ولا شك .

(٥) يعنى أحدث كل ما معى من العلم .

(٦) عقود الجمان فى مناقب الامام أبى حنيفة النعمان مخطوط بمكتبة الحرم المكى .

(٧) انظر ما ذكره الامام مسلم فى مقدمة صحيحه عن جابر بن يزيد الجعفى صحيح مسلم بشرح النووى ج ١ ص ١٠١ — ١٠٣ .

(٨) عقود الجمان .

(٩) مقدمة نصب الراية فى تخريج أحاديث الهداية ص ٣٣وما بعدها .

(١٠) مقدمة ابن خلدون « بحث علوم الحديث » .

(١١) هذا العدد يخالف ما ذكره الامام ابن عبد البر وهو أعلم الناس بالموطأ من أن عدة أحاديثه المسندة المرفوعة ثمانمائة وثلاثون حديثا هذا عدا ما فيه من الموقوفات والمقطوعات والبلاغات ..

(١٢) هو الاستاذ أحمد أمين — رحمه الله — فى كتابه « فجر الاسلام » ص ٢٤٤ .

(١٣) طبع بالهند من هذه المسانيد خمسة عشر مسندا فى مجلدين كبيرين وهى تعرف بجامع المسانيد وقد جمعها الامام الخوارزمى المتوفى سنة ٦٦٥ هـ .

(١٤) مقدمة نصب الرواية ص ٤١ .

(١٥) علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٨٥ ط حلب .



مائدة القارئ

الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولى الألباب .

صدق الله العظيم

ان عبدا صححت له جسده ، ووسعت عليه فى المعيشة تمضى عليه خمسة اعوام لا يغدو الى لمحروم .

رواه ابن حيان فى صحيحه

« وصية الحاج »

قال رجل لولادة العبدية كانت من اعقل النساء انى اريد الحج فاوصينى .

قالت ــ جد تسد ، واصبر تفز ، ولا يتعد غضبك حلمك ، ولا هواك علمك ، وقِ دينك بدنياك ، ووفر عرضك بمالك وتفضل تخدم ، واحلم تقدم ، واستعن بالجلد النشيط ، والناصح الأمين ، واستشر المجرب الكيس ، واستصحب الصديق الملم ، ثم قالت ــ يا ابناه انك تفد على ملك الملوك ، فانظر كيف يكون مقامك بين يديه .

« صحيح البخارى »

روى محمد بن سليمان عن البخارى قال ــ

رايت النبى صلى الله عليه وسلم وكاننى واقف بين يديه ، وبيدى مروحة أذب بها عنه ، فسألت بعض المعبرين للرؤيا ، فقال لى ــ أنت تذب عنه الكذب ، فهو الذى حملنى على اخراج الصحيح .

« حصاد الألسنة »

قال كسرى ــ انا على قول ما لم اقل اقدر منى على رد ما قلت .

وقال قيصر ــ لا اندم على ما لم اقل ، وانما اندم على ما قلت .

وقال ملك الصين ــ اذا تكلمت بالكلمة ملكتنى ولم املكها .

وقال ملك الهند ــ الكلمة اسيرة فى وثاق الرجل ، فاذا تكلم بها صار فى وثاقها .

« القلـــــم »

وصف على بن عبيدة القلم فقال — أصم يسمع النجوى ، أعيا من باقل ، وابلغ من سحبان . يجهل الشاهد ، ويخبر الغائب ويجعل الكتب بين الاخــوان السنا ناطقة ، واعينا لا حظة ، وربما ضمنها من ودائع القلوب مالا تبوح به الالســن عــند المشاهدة .

« الملك والزهــــد »

دعا احد الملوك زاهدا ، فلم يلب دعوته .

فقال الملك — وكيف لا يجيئنا وقد دعوناه ؟

فأرســل اليه الزاهد يقول — ان الذى منعك ان تجــيئنا هو الذى منعنى من المجىء اليك وهو الكبرياء .

مناظرة بين محمد الباقر وابى حنيفة

يروى أن محمدا الباقر قال لابى حنيفة فى أول لقاء لهما بالمدينة — انت الذى حولت دين جدى واحاديثه بالقياس فقال ابو حنيفة . معاذ الله . فقال محمد بل حولته ، فقال أبو حنيفة اجلس مكانك كما يحق لك حتى اجلس كما يحق لى فان لك عندى حرمة كحرمة جدك صلى الله عليه وسلم فى حياته على اصحابه ، فجلس ثم جثا أبو حنيفة بين يديه ثم قال انى ســالتك عن ثلاث كلمات فاجبنى الرجل اضعف ام المراة ؟ فقال محمد المراة فقال أبو حنيفة كم سهما للمراة فقال للرجل سهمان وللمراة سهم فقال ابو حنيفة هذا قول جدل ولو حولت دين جدك لكان ينبغى فى القياس أن يكون للرجل سهم وللمراة سهمان . لأن المراة اضعف من الرجل ثم قال : الصلاة افضل ام الصــوم ؟ فقال : الصلاة افضل قال هذا قول جدك ولو حولت قول جدك لكان القياس أن المراة اذا طهرت من الحيض امرتها أن تقضى وقت الصلاة ولا تقضى الصوم ، ثم قال البول أنجس أم النطفة ؟ قال البول انجس ، قال فلو كنت حولت دين جدك بالقياس لكنت أمرت أن يغتسل من البول ويتوضا من النطفة ، ولكن معاذ الله أن احول دين جدك بالقياس فقام محمد فعانقه وقبل وجهه واكرمه .

« اوسعتهم سبا واودوا بالابل »

يضرب مثلا للرجل يتهدد عدوه ويسبه وليس على عدوه منه ضرر . المثل لكعب بن زهير قاله لأبيه زهير لما أغار الحرث بن ورقاء من بنى أسد على ابله وذهب بها ويراعيها ، فجعل زهير يهجوه ويسبه ويتهدده هو وقومه وهم لا يكترثون به فقال له ابنه كعب أوسعتهم سبا وأودوا بابلك راضروا بــك .

سيراليون : جبال الأسود
فريتاون : مدينة الحرية

للأستاذ : سليمان محمود عطا

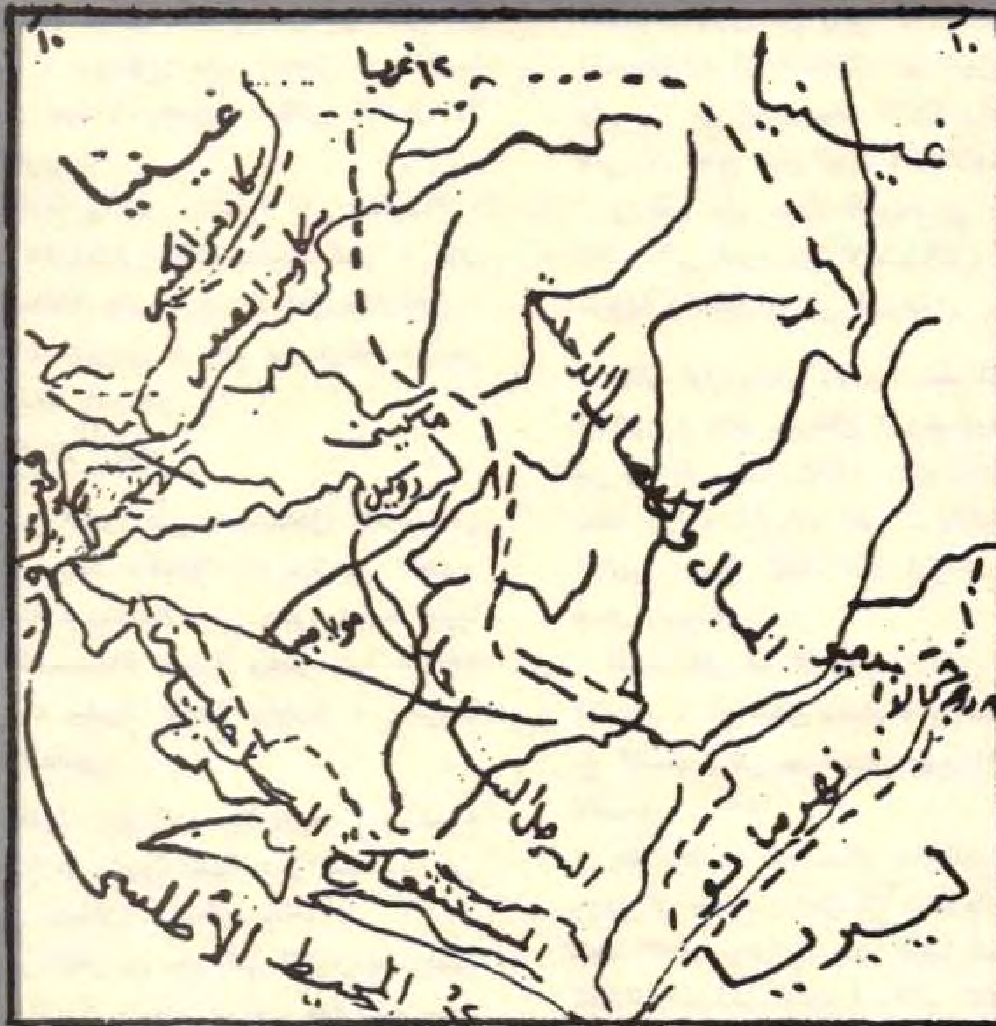
كان البرتغاليون يتحسسون طريقهم على طول الشاطىء الغربى للقارة الافريقية بغية الوصول الى الهند ، وفى مكان من هذا الشاطىء الممتد ، ارتفعت الصخور وازدادت قسوة وصلابة ، وتجمعت كانها عرين الاسود وهبت الرياح عاصفة عنيفة مزمجرة عاتية ، وتردد صداها بين هذه الجبال ، وتلك الاودية والصخور كانه زئير الاسود . اطلق البرتغاليون على هذا الجزء من الشاطىء الغربى « سيراليون » اى جبال الأسود ولا يزال هذا الاسم مرتبطا بهذا المكان الى الآن ..

وحين اصدر « لورد مانسفيلد » الحكم فى قضية « جيمس سمرست » الرقيق الزنجى الذى هرب من سفينة كانت متجهة الى «جمايكا» ونزل بارض لندن ، وقام سيده « شارلس ليتوارت » برفع قضية يطالب فيها بالقبض عليه ، قضى الحكم « بان الرقيق ينال حريته عندما تطا اقدامه ارض بريطانيا »

لقد اثر هذا الحكم على اربعة عشر الفا من الرقيق كانوا يعيشون وقتئذ فى بريطانيا فرد اليهم حريتهم المسلوبة وحقوقهم الضائعة .

ولكن هذه الحرية التى اكتسبوها كانت تبعاتها كثيرة ، واعباؤها ثقيلة ، لقد كانوا قبل الحرية يعيشون فى بيوت ساداتهم ، وهم غير مسئولين عن طعام او شراب او كساء ، ولكن بعد التحرير اصبحوا مسئولين عن كل ذلك ، ولم تكن الاعمال فى متناول ايديهم فادركتهم البطالة وارهقهم الجوع والمرض والبرد والحاجة الملحة .

وبعد اربعة عشر عاما من صدور الحكم فى قضية « سمرست » جاء الحل لهذه المشكلة ، وكان من اقتراح « دكتور سثمان » وهو خبير سبق له العمل فى غرب افريقيا لقد اقترح الاستفادة من « سيراليون » واعدادها لامرين ...



الأقاليم الفزيوغرافية لسيراليون

اولا ــ ان تكون وطنا للرقيق المحررين .

ثانيا ــ ان تكون قاعدة فى غرب افريقيا لمقاومة تجارة الرقيق ، ونشر الثقافة المسيحية فى هذا الجزء من القارة .

واستطاعت جماعة « كلافارم » وهى جماعة وهبت نفسها لتحرير الرقيق ، استطاعت الحصول من الزعيم الافريقى « توم » وهو من قبيلة التمنى ــ على مساحة من الارض فى شبه جزيرة « سيراليون » .

وفى ٢٢ فبراير سنة ١٧٨٧م ابحرت من بريطانيا المجموعة الأولى من الرقيق المحررين وكان عددهم نحو اربعمائة تقريبا ، ووصلت السفينة سيراليون فى مايو من السنة نفسها وسمى هذا المكان الذى افرغت فيه السفينة حمولتها من الرقيق المحررين « فريتاون » اى مدينة الحرية .

ومن هذا التاريخ « وفريتاون » عاصمة « سيراليون » .

ولعلنا بهذه المتقدمة الخفيفة نكون قد عرفنا لماذا سميت سيراليون وفريتاون بهذين الاسمين

ولقد استمر ارسال الكثير من العبيد المحررين ، ولم ينته القرن الثامن عشر الا وكانت بريطانيا قد تمكنت من ارسال جميع المحررين فيها الى سيراليون .

واصبحت فريتاون بعد ذلك قاعدة للاسطول البريطانى لمراقبة تجارة الرقيق عبر الاطلسى والقضاء عليها ، ومصادرة ما تحمله السفن منها ، ثم اعادته الى موطنه ان امكن والا فالى سيراليون ليسهم فى تكوين المجتمع الجديد .

وسكن هؤلاء جميعا فريتاون وما حولها .. واطلق عليهم اسم « الكريول » وهم بهذا

يتميزون عن سكان الداخـل من القبـائل الافريقية ، ويمثلون عالما جديدا ، وثقافـة متميزة ، فهم لا يجمعهم بسكان الداخل الا وحدة اللون .

اما اللغة والدين والنظرة الى الحيـاة ، والموقف الاجتماعى والاقتصـادى ، فكان يختلف اختلافا جذريا بين الساحل والداخل ، اى بين « الكريول » وهم من عرفنا ، وبين سكان البلاد الاصليين !!

موقع سيراليون :

تقع سيراليون على السـاحل الغربى من افريقيا ، ويمتد ساحلها ٢١ ميلا من الحدود الغينيـة شمـالا حتى حدود ليبريا جنوبا وتحـد شـمالا بغينية وجنوبـا بالمحيط الاطلسى ، وشرقا بغينية وليبريا ، وغربـا بالمحيط الاطلسى .

ومساحتها : ٢٧٩٢٥ ميلا مربعا ، ومجموع سكانها ٢ ٤/٣ مليون نسمة ، والسـنة فى سيراليون فصلان : ممطر وجاف .

ويستمر المطر من مايو الى اكتوبر او نوفمبر والامطار غزيرة ، وقد تستمر عدة ايام دون انقطاع .

اقتصاد سيراليون :

واقتصاد سيراليون يعتمد اساسا عـلى عاملين :

انتاج الغلات الزراعيـة ، واسـتخراج الخامات المعدنية .

واهم حاصلاتها الزراعية ــ زيت النخيل ، والكاكاو ، والكولا ، والزنجبيل والبن والموز والموالح والفول السودانى والارز .

واهم معادنها الماس ، ــ وله اهمية كبيرة فى اقتصاد سيراليون ــ والى جانب الماس تعنى سيراليون ، باستخراج الحـديد ، والالمنيت والبلاتين ، والذهب ، والكروم .

كيف ومتى استقلت سيراليون ؟

كان فى سيراليون تسعة احزاب ، اتفقوا جميعا على تكوين جبهة واحدة للمطالـبة باستقلال سيراليون ، وكونوا وفدا ، وعندما وصـل الوفد الى لندن لحضـور المؤتمر الدسـتورى فى ربيع ١٩٦٠ ــ قال وزير المستعمرات ان استقلال سيراليون امر مقرر ، وفى ٢٧ من ابريل سنة ١٩٦١ وافقت بريطانيا على ان تمنح سيراليون استقلالها .

وارتفع علم جديد للحرية فى سيراليون ، انضم الى غيره من الاعلام التى حصلت على حريتها واستقلالها فى افريقيا .

وكان اول رئيس للوزراء بعد الاسـتقلال الدكتور « ملتن مارجاى » وقد زرته فى مكتبه فى رمضان سنة ١٩٦٢ حيث كنت عضوا فى بعثة وزارة الاوقاف الى سيراليون فى هذا الشهر ، ولقد كانت هذه اول بعثة ازهريـة تدخل سيراليون .

لقـد قال لنا الدكتور « ملتن » انا احب الاسلام ، لان جدى مسلم ، ولذلك فانا اصلى مع المسلمين فى مساجدهم ومع المسيحيين فى كنائسهم .

وتلك طبيعة حكـام سيراليون الى الآن ويبدو ان هذا من اجل ان الغالبية مسـلمة فيجد الحاكم وهو مسيحى دائما نفسه مضطرا لمجاملة المسلمين لانهم اصحاب الاكثرية .

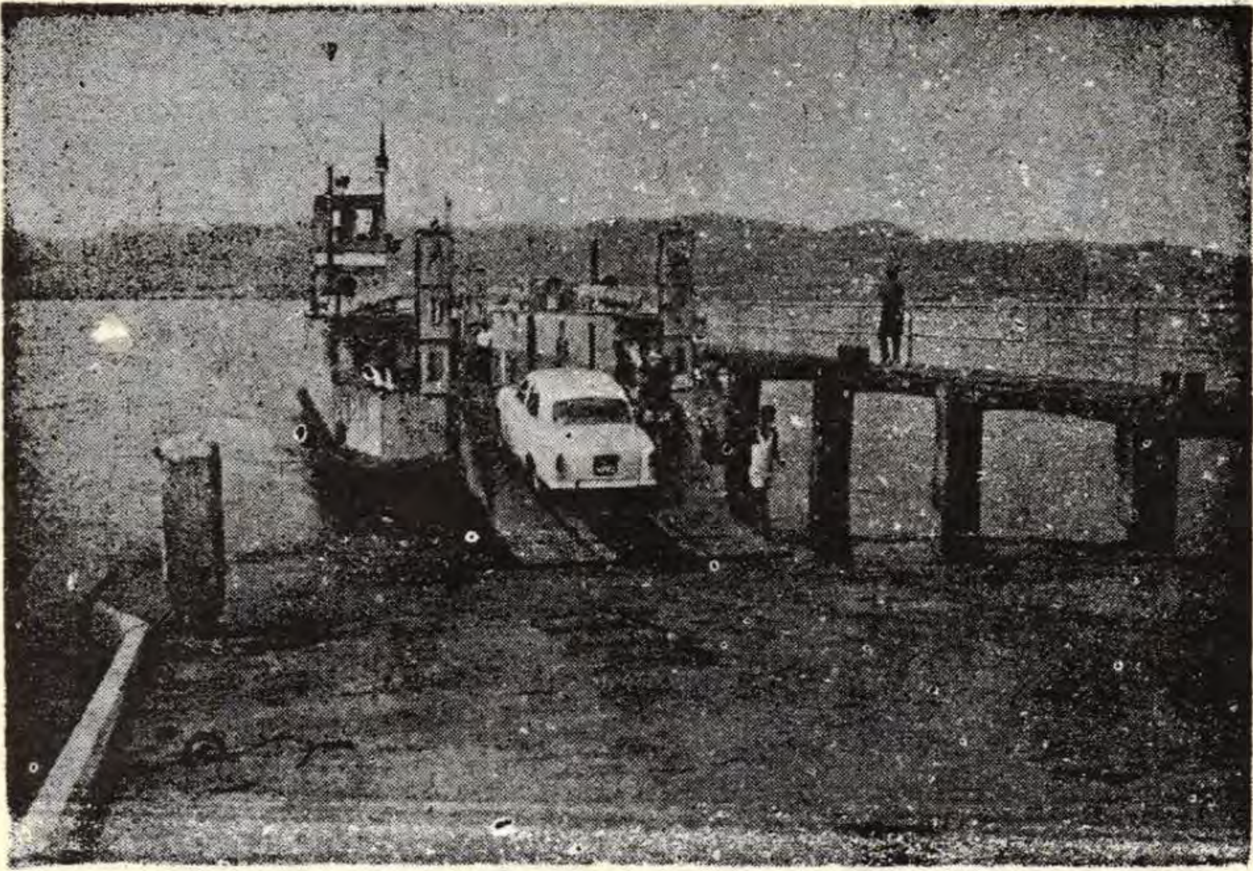
وخلف الدكتور « ملتن » شقيقه « البرت مارجاى » وسار على نفس الطريق وسلك نفس المنهج ، واستمر فى الحكم حتى انقلاب سنة ١٩٦٧ .

سيراليون المسلمة :

لقد عرفنا شيئا عن تاريخ سيراليون وعن قصة نشاتها كدولة ذات كيـان . ويجب ان نعرف شيئا عن تاريخ الاسلام فى هذه البلاد وكيف دخل اليها ؟ وما هى العوامـل التى ابقت عليه ، وجعلته دين الاغلبية فى هـذه البلاد بالرغم من غلبة التبشـير ، وتنصر الحكومات المتعاقبة التى حكمت سيراليـون سواء ما كان منها تحت الحماية وما اصبح فى ظل الاستقلال بعد سنة ١٩٦١ م .

لقد وصل الاسلام الى غرب افريقيـة عن طريقين .

طريق الصـحراء من تونس والجزائر والمغرب . الطريق الساحلى الى السـنغال ومنها الى بقية غرب افريقيا جنوب الصحراء .



ـ الفيرى ـ الذى ينقل المســـافرين الى فريتاون بعد وصولهم الى المطار عبر المحيط الاطلسى .

وقد تعاقبت على غرب افريقيا امبراطوريات اسلامية بعد قيام دولة المرابطين سنة ١٠٤٢ هى امبراطوريات غانا ، ومالى وصنفهاى ، وانتشر الاسلام بين كثير من قبائل الفـولا ، على ساحل غينيا ، ثم جماعات الهوســـا والماندنجو .

ولقد دخل الاسلام الى سيراليون بواسطة اولا ـ طريق التجارة والمعلمين فى الفترة بين القرنين الحادى عشر والسابع عشر ودان به الحكام دون الشعب وكان بطىء الانتشار غير محسوس .

ثانيا ـ عن طريق حروب الفولا المقدسـة التى بدأت حوالى سنة ١٨٠٠ م بعد تكوين المملكة الاسلامية فى مرتفعات فوتاجالون ، والتى قام دعاتها بالحروب المقدســـة ضد القبائل المجاورة جنوبا وغربـــا ، حتى دان بالاسلام كثير من القبائل الوثنية ، ووصــل بعض الدعاة الى مناصب المشايخ ، مما كان له اكبر الاثر فى اتبــاع العامـــة للعقيدة الاسلامية ..

واستمر انتشار الاسلام على يد جماعات الماندنجو ، والفولا ، والسوسو .. خـــلال القرون التالية . حتى أصبح الاسلام هــو الدين السائد فى شمال ســـيراليون حيث تتركز جماعات التمنى ، ثــم فى الشرق بين المندى ، واصبح يدين به حاليا ما يزيد على ال ٧٠٪ من سكان البلاد .

ولقد كان للفرق الصوفية التى تكونت فى غرب افريقية اثر كبير فى انتشار الاسلام . ولعل أهم هذه الطرق التيجانية والقادرية ، واتباعها كثيرون ، ولهم أوراد يلتزمون بهـــا ولا يحيدون عنها ، ويجتمعون عليها فى بيوت الله مساء الاثنين والخميس ولهم دوى كدوى النحل ، ولا تكاد ترى مسلما من اتباع هاتين الطريقتين ، يمشى الا ومسبحته فى يـــده ولسانه يلهج بذكر الله .

وبسبب هاتين الطريقتين تسربت العقيدة الاسلامية الى الوثنيين فى غرب أفريقيـــا ، وانتشر الاسلام فى قوة وبصفة متصـــلة ، وبخطوات وئيدة هادئة .

وكان المعلمون حتى منتصف القرن التاسع عشر يؤسسون المدارس ، ويقومون بالانفاق

عليها ، كما كانوا يقومون بنشاطهم فى نشر الدعوة الاسلامية بين القبائل بالحكمة والموعظة الحسنة ، والقدوة الصالحة .

ولقد زاد انتشار الاسلام ، وكثر اتباعه فى سيراليون ، خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ، ودانت به اغلبية السكان .. لانه دين الفطرة ، ودين يتناسب يسره ومرونته مع اهل هذه البلاد . ودين يسوى بين الجميع فلا فضل لعربى على عجمى ولا لأسود على ابيض الا بالتقوى .

ولو ان افريقيا كلها خلى بينها وبين الاختيار وزالت العقبات التى تحول دونه لما اختارت غير الاسلام دينا ، وغير محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ... ولقد ظل التعليم بين ابناء البلاد قاصرا على تحفيظ القرآن الكريم يقوم به المعلمون من أبناء قبائل الفولا والماندنجو والهوسا حسبة لله سبحانه وتعالى ولا تزال هذه الكتاتيب قائمة تؤدى رسالتها وتقوم بواجبها ، وتعد التلاميذ لدخول المدارس الاسلامية التى انشئت فى الآونة الأخيرة ..

وكم كان جميلا ومؤثرا حين كنا على سفر فى فجر يوم من الايام ، ورأينا امام كثير من القرى التى مررنا عليها نيرانا مشتعلة قد هتكت حجب الظلام وحين سألنا عن مصدر هذه النيران واسبابها ، قيل لنا ان هذه النار يوقدها الالفوات ويجتمعون عليها مع تلاميذهم الذين يحفظونهم القرآن حتى يروا على ضوئها الواحهم ، ويتبينوا كتاباتهم ، ويقرأوا ما يكتبون ، حين سمعت ذلك أطرقت هنيهة ، وقلت فى نفسى صدق الله العظيم حيث قال (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

التبشير :

عاش اهل البلاد فى عزلة معرضين عن مدارس التبشير التى قامت فى بعض المدن ، والتى كانت تصر فى تعسف على تعميد ، وتنصير ، وتغيير أسماء كل من يدخلون فيها من ابناء المسلمين .

وبهذه العصبية الكافرة من مدارس التبشير هرم الكثير من أبناء المسلمين من فرص التعليم التى هيئت لغيرهم ، من ابناء الكريول . والتى رشحتهم فيما بعد لتولى اعلى المناصب فى الدولة .

ومن العجيب أن هذه المدارس لا زالت تصر على ذلك وتقوم به على الرغم من أن قانون التعليم فى سيراليون لا يسمح لها بهذا الاعتداء الاثيم على حرية الاديان ولكم نبهنا المسئولين الى ذلك ، وكان الصدى ..

لقد اسمعت اذ ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادى

احجم المسلمون عن الحاق ابنائهم بمدارس التبشير ، وقد قال احد كبارهم حين سألته عن كثرة الجهل وقلة الوظائف بين طوائف المسلمين ، قال لقد فضلنا ان نكون مسلمين جهلاء على ان نكون كفارا علماء ..

اما الذين لم يحجموا عن مدارس التبشير من المسلمين والحقوا ابناءهم بها ، وتغاضوا عن تنصيرهم أو تعميدهم ، فقد وصل ابناؤهم الى كثير من المناصب الرئيسية فى الدولة .

ومن الأسر التى كانت تدين بالاسلام ، وتحول ابناؤها الى النصرانية «اسرة مارجاى» وهى أسرة مندية ، وكان منها أول رئيس للوزراء ، وهو الدكتور (ملتن مارجاى) وآخر رئيس للوزراء حتى قبل انقلاب ١٧ مارس سنة ١٩٦٧ . وهو « البرت مارجاى »

وكذلك أسرة « كاريفا سمارت » وزير خارجية سيراليون الاسبق وهو من قبيلة التمنى وكذلك البريجادير (لانسانا) قائد القوات المسلحة السابق قبل ثورة ١٧ مارس سنة ١٩٦٧ ولكم دعانا لصلاة العيد فى القوات المسلحة ، وحدثنا عن ذكرياته الاولى فى حفظ القرآن الكريم ، وانه لا يزال يحتفظ بمصحف فى مكتبته .

ان التبشير فى سيراليون له اصول عميقة عمق الاستعمار الذى جاء به وحمله الى هذه البلاد فى غفلة وجهل من اهلها ..

وهو يسير على سياسة مدروسة وخطة محكمة لا تقوم على المظاهر وانما تقوم على تخطيط زمنى وعقائدى .

وهو لم يجىء وحده ، وانما جاء فى ركاب الاستعمار ، والاستعمار هو الذى كان يحميه ويؤازره ، وقدم له كل اسباب البقاء والحياة

وكل المعونات المادية والمعنوية ، وهو الذى هيأ له تربة صالحة ، وجوا ملائما بين اوساط الحاكمين الذين تعاقبوا على سيراليون ، وكانوا يملكون فى ايديهم سلطة البلاد ومقاليدها

ان سيراليون بها ما يزيد على ثمانمائة مدرسة ، بين ابتدائية ، وثانوية ، غالبيتها يسيطر عليها ويديرها جمعيات تبشيرية وهيئات كنسية .

التعليم فى سيراليون :

تتمثل فى سيراليون جميع انواع التعليم الابتدائى ، والثانوى ، والتجارى ، واعداد المعلمين ، والصناعى ، والمهنى ، والجامعى حيث تم انشاء كلية فورابى وقامت بتاسيسها الجمعية الارسالية الكنسية سنة ١٩٢٧م وهى تابعة لجامعة درهام فى بريطانيا ، وقد اتسعت هذه الكلية حتى اصبحت جامعة تشتمل على الكثير من الكليات والدراسات ، كما تستقبل العدد الوفير من ابناء غرب افريقيا ، وعدد طلابها يزيد الآن عن الخمسمائة طالب يمثلون الكثير من دول القارة الافريقية مثل نيجيريا ، وغانا ، وغمبيا ، وكينيا ، واوغنده ، وروديسيا الجنوبية وجنوب افريقيا .

ومما يذكر ان بها قسما للعلوم الدينية ، يشتمل على دراسات للعلوم الدينية للحصول على الليسانس .

وبرامج دراسية فى دراسة الانجيل ، ودبلوم للدراسات العليا فى اللاهوت وكل الدراسة فى سيراليون باللغة الانجليزية

التعليم العربى :

حتى سنة ١٩٦١ لم يكن للتعليم العربى نصيب ، بل كان كل حظه هذه الكتاتيب المتناثرة هنا وهناك .. حتى تاسست جماعة الاخوة الاسلامية وافتتحت اول مدرسة لها بمجبوراكا وامدتها الجمهورية العربية المتحدة باثنين من المدرسين ، وتوالت البعثات بعد ذلك ، وتسابق المسلمون فى كل البلاد فى فتح مدارس عربية اسلامية حتى تركناها سنة ١٩٦٨ ولجماعة الاخوة الاسلامية ما يزيد



صورة لتلاميذ مدرسة الأخوة الاسلامية بمدينة فريتاون

على ٤٢ مدرسة ابتدائية ــ ومعهد لاعداد المعلمين ومشروع انشاء مدرسة ثانوية ولا تزال البعثة التعليمية هناك تؤدى واجبها على اكمل الوجوه .

والى جانب مدارس الاخوة الاسلامية . توجد مدرسة ثانوية للمؤتمر الاسلامى والمدرسة الايمانية التى يديرها الحاج جبريل سيسى شيخ قبيلة التمنى ، واول من تعلم فى الازهر الشريف .

ومدارس جماعة الاحمدية ، وللاحمدية فى سيراليون نشاط ملحوظ ، وقد وصل اول دعاتها الى سيراليون سنة ١٩٣٧ واخذ يتنقل



مسجد الفولا بمدينة فريتاون وهو من اكبر المساجد

من مكان الى مكان ، حتى استقر فى « بو » ومنها امتد النشاط الى فريتاون حيث بنوا مسجدا ، ومكتبة ، ومطبعة وقاموا بانشاء بعض المصانع لانتاج بعض احتياجات البيئة ومتطلباتها وكان بعض الوزراء ينتمى الى هذه الجماعة ، والكثير من المسلمين لا يعرفون ما تنطوى عليه دعوتهم وحين يعلمون حقيقتها ينفضون من حولهم ، حيث لا يوجد مسلم يقبل أن يناقش فى قضية ان محمدا رسول الله وانه خاتم الانبياء والمرسلين ،

مساجد سيراليون :

وسيراليون بها الكثير من المساجد فكل قبيلة لها مسجد ومسجدان وثلاثة ، وفريتاون وحدها بها ما يزيد عن الثلاثين مسجدا ، وبعض هذه المساجد يرجع الى تاريخ قديم يرتبط بتاريخ الاسلام فى هذه البلاد .

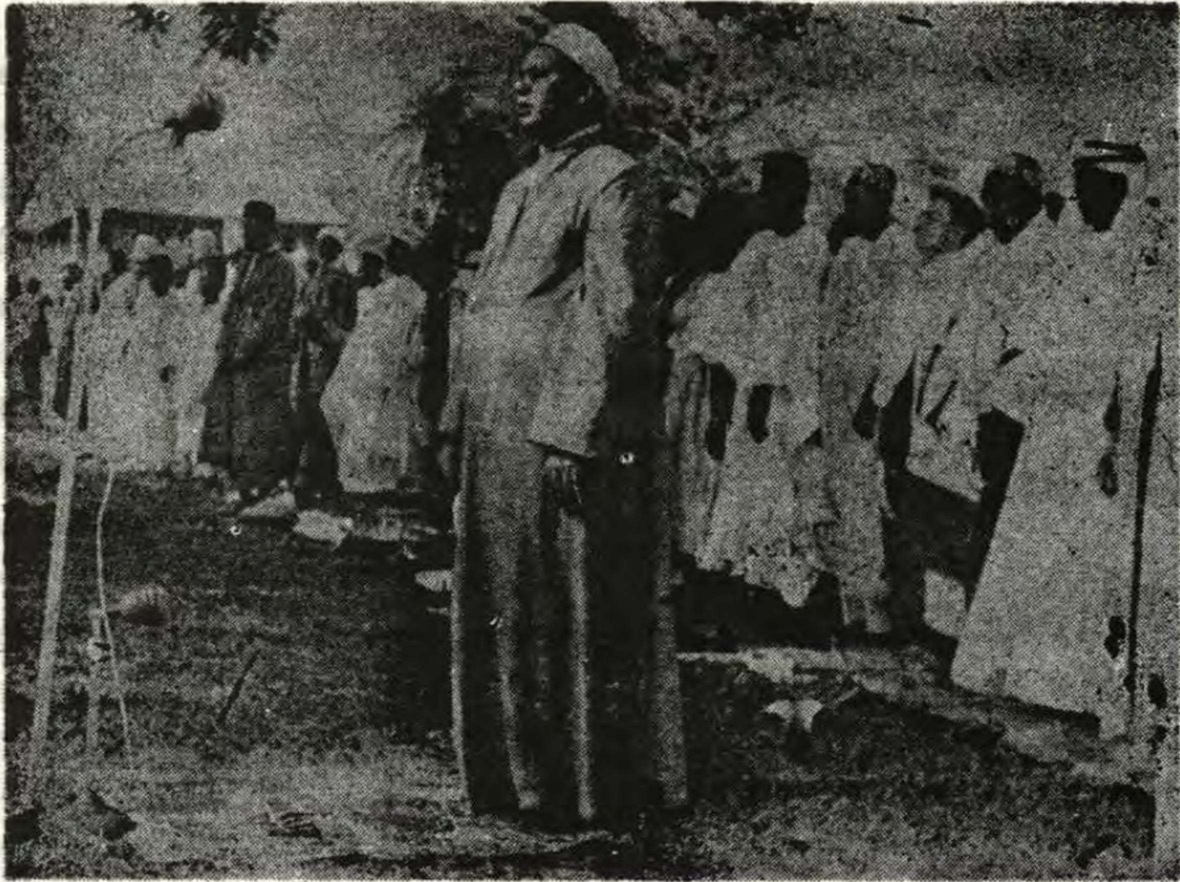
ومن التقاليد الجميلة فى هذه المساجد تخصيص ربع المبنى تقريبا للسيدات لانهن يؤدين الصلاة جماعة مع الرجال فى كل الاوقات ..

الجالية العربية :

فى سيراليون جالية عربية لبنانية تزيد عن خمسة آلاف نسمة ، وهى تعمل بالتجارة ولهم هناك ناد كبير ، ومدرسة ، وفى طريقهم الى انشاء مسجد كبير يساهم فيه كل ابناء الجالية وهم يتفاعلون دائما مع الاحداث التى تمر بالعالم العربى والاسلامى ، فصلتهم باوطانهم قائمة ، وارتباطهم بعروبتهم وثيق ، ويرجى منهم خير كثير لو احسنوا صلتهم بربهم ، واقاموا شعائر الاسلام فيما بينهم .

النشاط العربى :

للجمهورية العربية فى سيراليون ، سفارة ومركز ثقافى به الآلاف من الكتب فى مختلف العلوم والفنون ويؤمه الكثير من عشاق العلم والمعرفة ، وهناك فرع لشركة النصر وبعثة تعليمية بها اكثر من خمسة وعشرين مدرسا وواعظا يعملون فى مدارس الاخوة الاسلامية والمؤتمر الاسلامى ، والمساجد ، والاذاعة



صورة لمبعوث الأزهر فى صلاة عيد الفطر المبارك

والتلفزيون وقد كان لنا برنامج تليفزيونى كل اسبوع يسمى « نور على نور » وكان نافذة يطل منها وجه الاسلام والعروبة فى هذا البلد الكريم .

وقد كان لمدير المركز الثقافى اثر فعال فى هذا البرنامج حيث كان يترجم ما يقال فيه من اللغة العربية الى اللغة الانجليزية بالاضافة الى نشاطه المتعدد فى جميع المجالات كما كان لنا درس اسبوعى لتعليم اللغة العربية فى التليفزيون ولقى اهتماما كبيرا .

النشاط الاسرائيلى :

فى الآونة الاخيرة كان للاسرائيليين نشاط معمارى وتجارى ملحوظ ، ولكن تبين بالتجربة ان اعمال اسرائيل تنقصها الامانة والدقة ، وان كل المنشآت والمبانى التى قاموا بها او اشرفوا عليها كانت تخالف المواصفات المتفق عليها ، وبدأ الخلل يظهر فيها ، كما ظهر كثير من الاختلاسات التى قام بها موظفون اسرائيليون ، وحين اكتشف امرهم فروا هاربين وعلى الرغم من كل هذا فنشاط اسرائيل لا يتوقف ، وأطماعها فى افريقيا ليس لها حدود ، ولها اساليب ماكرة خبيثة تستميل بها الكثير من الشخصيات الكبيرة التى ينتظر ان تكون عونا لها وسندا فى يوم من الايام ومن هذه الاساليب اعطاء تذاكر الدعوة للسفر الى اسرائيل وزيارتها مجانا وتسهيل سفر الطلاب اليها للدراسة حتى يعودوا بافكار جديدة ، ويكونوا عونا لها فى تنفيذ مخططها الاستعمارى البغيض .

ثورة الجيش فى سيراليون :

بعد خلاف طويل قام بين حزب الحكومة

وحزب المعارضة .A. B. C اثر نجاحه فى الانتخابات العامة ، وعدم تمكينه من مزاولة الحكم ، وحدوث بعض القلاقل والاحداث ، قام الجيش بثورته فى ١٧ مارس سنة ١٩٦٧ وتولى قائد الجيش زمام الامور ، ثم تبعــــه انقلاب من الجيش نفسه ، تولى بعده زمام الامر حزب المعارضة وتولى منصـــب رئيس الوزراء المستر « شياكة ستيفن » وهو اول رئيس للوزراء تفهم القضية العربية وافسح صدره لها ، كما اعطى للصحف حريـــة نشر وجهة النظر العربية على اوسع نطاق ، وقامت صحيفة الديلى ميل وهى الصحيفة الرســمية الاولى للبلاد بنشر عدة تحقيقات كان لها اكبر الاثر فى القاء الاضواء على مشكلات الشرق الاوسط وعلى اعتداء اسرائيل الغاشم الاثم على جميع المقدسات ..

كما كان من نتيجة الثورة اختيار الحاج محمد بنجاتيجان سى حاكما عاما لسيراليون . وهـــو اول حاكم عام مسلم يتولى هذا المنصب فى تاريخ سيراليون وهو من اسرة مسلمة وكان والده احد ائمة المسلمين . وهو عضو بجماعة الاخوة الاسلامية .

وقد رأس وفد برلمان ســــيراليون لزيارة الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٦٥ بدعوة من رئيس مجلس الامة العربى .

العادات والتقاليد :

ان شعب سيراليون كاى شعب له عاداته وتقاليده وفلسفاته ، فهو يشـــتمل كما ذكر « هاريسون تشرتش » على مائة وستين زعامة قبلية ، ولكل قبيلة عاداتها وتقاليدها ، ولكل قبيلة لغتها التى تتعامل بها فيما بينها .

وان كانت اللغة السائدة فى الاوساط المثقفة هى لغـــة « الكريول » ، وهى خليط من البرتغالية ، والانجليزية ، وخليط من لغـــة بعض القبائل كالتمنى ، والاوكو والسوسو ، والفولو . حتى جعل بعض الكتاب يصفونها بانها خليط المخاليط .

ومن الغريب ان المســـافر الى سيراليون يستعمل طرق المواصلات الثلاثة الجو ، والبحر والبر . فالطائرة تقطع رحلتهـــا من القاهرة الى سيراليون فى اثنتى عشرة ساعة تقريبا وبعدها تصل الى « لونجى » وهو مطـــار سيراليون ، ومن المطار تنقل الســـيارات المسافرين الى شاطىء المحيط الاطلسى المقابل لشاطىء فريتاون ، ومن هذا الشاطىء يقوم « الفيرى » وهو المعـدية بنقل الركاب عبر المحيط حتى يصل بهم الى شاطىء فريتـــاون وبهذا تنتهى رحلة المسافر الى سيراليون .

خاتمة ..

هذه لمحات سجلتها عن سيراليون لم تشمل كل ما فيها وان شملت بعضه وكنت فيها عـــلى حد قول القائل ما لا يدرك كله لا يترك كله ، ولعلى اســتطيع ان شاء الله ان اعود الى الحديث مرة اخرى لاوفى بعض الجوانب حقها من البحث ، ونصيبها من التوضيح . واللــه المستعان .



الفتاوى العالمكيرية

فكرة جمع الفتاوى وخطواتها العملية

للأستاذ : أنور أحمد قادري

تقديم : *

كتاب (الفتاوى الهندية) العالمكيرية من أعظم وأهم مراجع الفقه الحنفي ، كانت في التاريخ الاسلامي أول مشروع تأليف كتاب فقهي جامع تقوم به لجنة رسمية من كبار فقهاء العصر تؤلف بأمر ملك حاكم لهذه الغاية قبل نحو أربعة قرون ، لتجميع الاحكام المبعثرة ، وتسهيل الرجوع اليها واختيار الرأي الفقهي الراجح في كل مسألة ، منعا لفوضى الفتوى والقضاء . فهي الخطوة الأولى من نوعها في تاريخ تدوين الفقه الاسلامي ، وهي تمهيد وتعبيد لطريق التقنين من الفقه .

وللأستاذ الباكستاني السيد انور احمد قادري الأستاذ في كلية الحقوق الاسلامية السندية في كراتشي عاصمة باكستان بحث مسهب باللغة الانجليزية عن هذه الفتاوى ، كان أرسله الى ادارة الموسوعة الفقهية لترجمته ونشره ، فعهدنا الى الاستاذ الدكتور برهان الشطي في مجلس التخطيط بالكويت بترجمتها ، فقام بهذه المهمة مشكورا رغم ضيق وقته وزحمة اعماله خدمة للفقه الاسلامي ، ثم جرى في ادارة الموسوعة تنقيح الترجمة ورد الكلمات الاصطلاحية واسماء الاعلام والكتب الى اصولها العربية ، لان كثيرا من هذه الالفاظ اعتراها تحريف كبير في نقلها عن العربية الى الانكليزية التي كتب بها البحث كاتبه ، ثم ترجمتها عن الانكليزية .

والآن نقدمها الى مجلة (الوعي الاسلامي) لتنشر ويطلع ابناء العربية على

---

* كتب التقديم الاستاذ مصطفى الزرقا خبير الموسوعة الفقهية بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .

اوسع بحث يؤرخ مشروع وضع الفتاوى الهندية العالمكيرية الذى ظل حتى اليوم لا يوجد عنه فى العربية الا معلومات بسيطة يسيرة .

وجدير بالتنبيه أن تسمية هذا الكتاب الفقهى الجامع الجليل باسم (الفتاوى) لا يدل على ما لهذه التسمية من معنى معروف ، فالمعروف أن كتب الفتاوى — وكثير ماهي فى مدونات فقه المذاهب — تدل على مجموعات من أجوبة المسائل والوقائع التى سئل فعلا عنها جامعوها من كبار الفقهاء وأجابوا عنها ، ثم رتبوها على الأبواب واخرجوها فى كتاب كبير أو صغير .

اما هذه الفتاوى العالمكيرية فهى ليست فتاوى بهذا المعنى ، وانما هى مجموعة كبرى من فروع الفقه الحنفى وأحكام مسائله فى جميع الأبواب الفقهية جمعت من أمهات مدونات الفقه الحنفى متونا وشروحا ، ومن كتب الفتاوى (بمعناها المعروف) وانما سميت بالفتاوى العالمكيرية ، لأنهم جمعوا فيها الاقوال والآراء الفقهية الراجحة فى المذهب الحنفى ليعتمدها المفتون والقضاة فى الافتاء والقضاء فهى الأحكام الفقهية التى يجب اعتمادها للفتوى ، ومن هنا جاءت تسميتها بالفتاوى .

تنسب الفتاوى العالمكيرية الى الامبراطور الملقب عالمكير — اى فاتح العالم — واسمه اورانك زيب وهو من أعظم اباطرة هندستان المغوليين ، واورانك زيب هو الابن الثالث للشاه جهان ، وقد ولد فى شهر اكتوبر من عام ١٦١٨م وكان اسمه الاصلى عند الولادة «محمد» الا ان والده بدل اسمه الى اورانك زيب ومعناه « زينة العرش » لأنه كان الابن المفضل لديه ، وقد اتخذ أورانك زيب فيما بعد القابا اضافية منها (محيى الدين) و (عالمكير) ، وقد أظهر اورانك زيب فى سن مبكرة وطوال حياته شعورا دينيا عميقا ، ويقال بأن هذا الشعور الدينى تولد لديه خلال مرحلة تعليمه على يد كبار العلماء المسلمين (١) . وقد ناضل تحت رايته السواد الاعظم للمسلمين من أجل بعث المثل الاسلامية العليا ، وبعد أن تغلب على العقائد الكافرة تسلم عرش دلهى فى عام ١٦٥٨ م ، وقد اصدر أوامره راسا بالاقتصاد فى نفقات البلاط الملكى ، واتخذ اجراءات عديدة لاصلاح طرق الحياة وأساليب المعيشة ، فانشأ لهذه الغاية (محكمة الاحتساب) وتبنى خطوات لتحسين أحوال عامة الناس وضمان الرفاهية لهم .

وليس بين المؤرخين من يستطيع أن يجادل فى أن الامبراطور عالمكير قد كان عاهلا تقيا وملكا نيرا ، فقد كتب مرة الى والده قائلا له :

« ان السيادة هى الحفاظ على مصالح الشعب وليس الانغماس فى الشهوات والتبذير » وكان يقول : (ان كل ما لدى الامبراطور من املاك وثروات ليست ملكا له ، بل هى وديعة تخص البلاد والعباد) وفى شؤون ادارة الدولة كان يقول :

(نحن اتباع عمر العظيم) ولذلك (فان الملك يمكن الادعاء عليه امام القضاء) وكان كثيرا ما يستشهد بمثنويات الشاعر سعدى القائلة : تخل عن ان تكون ملكا بربك تخل عن ان تكون ملكا ، او قرر بان يكون حكم ممالكك بيدك فقط) (٢) .

كل هذا جعل الآخرين يلقبونه بأنه : (محيط العدالة) ، وبكونه اكثر الناس تميزا بالاخلاص والتقشف وقد كان ضليعا فى قوانين الشريعة ، ورجل دولة ،

وإداريا من الطراز الأول ، فقد شمل برعايته المتعلمين ، وأسس لهذا الغرض عدة مدارس ، وأوجد نظام المرتبات الثابتة لـــكل من المعلمين والتـــلاميذ على السواء . وفى عهده توطدت بشكل خاص العلاقات السياسية والدبلوماســـية والثقافية والتجارية والعلاقات الدولية الأخرى مع البلاد الاسلامية فى آسيـــا الوسطى ، فقد تم تبادل السفراء مع بلاد تركســـتان ، وكان الامبراطور يحترم مبعوثى البلاد الأجنبية احتراما عظيما . وكان القانون الدولى الاسلامى يطبق فى عهده بحق على جميع بلاد العالم المسلمة على السواء ، كما كانت الدول غير المسيحية تتمتع بالســـيادة التامة فى نظره ، تمارس حق ارســـال الســـفراء وقبولهم ، وكان استقلال دولة ما استقلالا قائما بحكم الواقع يعنى فى الوقت نفسه ســـيادة قائمة بحكم القانون بصرف النظر عن أى اعتراف رســـمى بتلك السيادة ، ولقد انحرف القانون الدولى المعاصر انحرافا جذريا عن هذا المفهوم الطبيعى للسيادة مما أدى الى المغالطة بالحكم على تصرفات دولة ما خلال القرون الماضية على أساس مفاهيم القانون الدولى المعاصر (٣) .

ووصل الاســـلام بسلطته الزمنية فى عهـــد هذا الامبراطور العظيم الى ذروتها ، ومع مرور القرون التى فصلت بين عهد النبى عليه الصلاة والســـلام وعهد علماء المسلمين البارزين فى ظل حكم الامبراطور — توصل الدين الاسلامى الى بلوغ أعلى مستويات الحضـــارة الفكرية ، ولم يكن فى عهد الامبراطور أية معارضة سياسية من قبل من كانوا ضد الاســـلام لأنهم لم يكونوا ليجرؤوا على القيام بأى نشاط معاد ، وكان هناك شعور بالحاجة لأن يكرس الامبراطور نفسه لمبادىء الحكم الاسلامى فى الشؤون الدستورية وشـــؤون الادارة الحكومية ، ولما كان حجر الزاوية فى قيام الدول والحـــكومات هو القوانين المتعلقة بالادارة القضائية والقانونية شعر الامبراطور شعوراً صادرا من صميم قلبه بأنه كان عليه أن يعمل على ادخال المثل العليا الاســـلامية فى العقائد والمعاملات بصـــورة رسمية ، وبالتالى ادخال نظام يقوم على مبادىء تحكم الشؤون اليومية للحكومة والافراد وأساليب فض المنازعات التى تقوم فيما بينهم .

الخطوات المتخذة من قبل الامبرطور فى سبيل اعداد مدونة الفتاوى :

لمـــا كان الامبراطور نفسه فقيهـــا فقد كان يهتم اهتماما عظيمـــا بالفقه الاسلامى ، وهذا ما جعله يدرك حاجة زمنه اليه ، وكان أول خطوة اتخذها فى ســـبيل جمع الفتاوى وترتيبها اختياره لكبار علماء الفقه والشريعة ، ممن كان مشهودا لهم بطول الباع فى هـــذا المضمار ، وبعد ذلك اتخذ الترتيبات اللازمة لـــكى يحصل هؤلاء العلماء المختارون على التعويضات المـــالية المناسبة ، وفى خطوة ثالثة اصدر الامبراطور أوامره بجمع كل مايمكن جمعه من الكتب والمؤلفات لتكون مراجع تسهل على العلماء المهمة الموكولة اليهم ، واخيرا اقام الامبراطور نفسه مراقبا ومتتبعا للعمل على اساس يومى وبذلك كان يطلع يوميا على ماتم انجازه من اعمال .

وقد اتخذ الامبراطور هذه الاجراءات جميعها خلال اربع سنوات من تسلمه العرش وعين مجلس الفقهاء فى سنة ١٠٧٣ هـ ، وكان من مقاصد الامبراطور

بالاضافة الى ما ورد ذكره أعلاه ان يتم بشكل نظامى ترتيب الآراء الفقهية الموثوق بها ، التى جاء بها المجتهدون السابقون ، والتى كانت مبعثرة فى العديد من كتب الفقه والفروع وذلك لكى يمكن وضع مؤلف شامل وسجل ترجع اليه المحاكم والأفراد فيما يتعلق بشؤون دينهم ، ويمكن القول بالاستناد الى الوثائق المتوافرة ، بأن العلماء والفقهاء الذين ساهموا فى جمع كتاب الفتاوى كانوا ذوى الأسماء التالية :

الملا نظام الدين برهان بورى رئيسا لمجلس الفقهاء ، الملا وجيه الدين من غاباماو ، الملا حميد جاونبورى ، القاضى محمد حسين جاونبورى ، الملا جلال الدين محمد جاونبورى ، السيد نظام الدين تتاوى ، الملا محمد جميل صديقى ، مولانا شافع سرهندى ، القاضى محمد ابو الخير ، الملا ابو واعز هوغمى الملا وجيه الرب ، الملا زياد الدين محدث ، السيد محمد قناوجى ، الشيخ رضى الدين بهاغا البورى ، الملا محمد أكرم لاهورى ، مولانا محمد فائق ، القاضى على اكبر سعد الله خانى ، السيد عناية الله مونغرى ، الملا غلام محمد لاهورى ، الملا فصيح الدين جفرى ، الشيخ احمد خطيب ، الملا محمد غوث ، الامير ميرغان علامة الآراء ، وغيرهم من أكابر العلماء .

وقد تم ترتيب العمل بحيث عهد الى الشيخ وجيه الدين من غاباماو القيام بالربع الأول من العمل ، وعهد بالربع الثانى الى الشيخ جلال الدين محمد جاونبورى ، وأعطى الربع الثالث الى القاضى محمد حسين جاونبورى وخصص الربع الرابع للملا حميد جاونبورى . وقد ألحق بكل من هؤلاء العلماء الأربعة عدد من المستشارين وعلماء الشريعة ، وكان عليهم القيام بجمع كتب الشريعة الموثوق بها ، والمذاهب الفقهية الاسلامية وترتيبها حسب تسلسلها الزمنى ، وترأس الملا نظام الدين العلماء الأربعة المذكورين ، وكان هو بدوره مرتبطا ارتباطا مباشرا بالامبراطور ، وكان الملا نظام الدين بوصفه رئيسا لمجلس الفقهاء يستدعى يوميا لمقابلة الامبراطور ليطلعه على ما تم انجازه من أعمال ، وذكروا أن الامبراطور كان كثيرا مايبدى ملاحظات انتقادية على العمل اليومى المنجز ، الذى كان يقدر بحوالى ثلاث أو أربع صفحات يوميا ، كما كان يشير الى بعض النواقص فيما يقدم اليه من مسودات ، وقد استغرقت عملية جمع الفتاوى فترة ثمانى سنوات ، وقدرت تكاليفها المالية بحوالى ثمانية لخات من الروبيات أى (٨٠٠،٠٠٠) روبية (وهذا يعادل ــ على أساس النظام النقدى الحديث والتطورات الاقتصادية الطارئة ــ حوالى ثلاثين لخا من الروبيات ، أى ثلاثة ملايين روبية) .

وقد جمعت الأحكام الفقهية باللغة العربية ، وسميت (بالفتاوى العالمكيرية) ، واحتوت على عرض موثوق به لأحكام الشريعة وقوانينها واجتهاداتها ، وعلى علوم الدين ، واتخذت صفتها الرسمية على شكل مرسوم امبراطورى ، وقد ترجمت هذه الفتاوى فيما بعد الى اللغة الفارسية بناء على رغبة ابنة الامبراطور (٤) .

مصادر الفتاوى ومحتوياتها :

نظرا الى أن الامبراطور نفسه كان مهتما بعملية جمع الفتاوى ، فانه يقال

بأن مجموعة الفتاوى استندت بصورة رسمية على المراجع الموثوق بها فى أحكام السنة والمذهب الحنفى ، وتسجل مجموعة الفتاوى هذه خطوة رائعة فى تاريخ قوانين الشريعة الاسلامية بالهند ، وبالنظر لأساليب العمل التى اتبعت فى اعداد مجموعة الفتاوى والترتيب النظامى لموضوعاتها فانها تتفوق على جميع المجموعات الفقهية التى تم اعدادها فى الهند سابقا ، وعلى الأخص منها (الفتاوى التتارخانية) فى زمن الامبراطور فيروز شاه تغلاق فى القرن الرابع عشر الميلادى و (الفتاوى الابراهيم شاهية) المنسوبة الى ابراهيم شاه شاركى فى القرن الخامس عشر ، وان الكتب التالية تعتبر من أهم مراجع الشريعة الاسلامية والاجتهاد وعلوم الدين التى تم الاستناد اليها فى تحضير مجموعة الفتاوى العالمكيرية :

١ ــ (الهداية) لبرهان الدين ابى الحسن على بن ابى بكر الفرغانى المرغينانى (٥١١ ــ ٥٩٣ هـ) وقد كتب هذا الكتاب بصورة متواصلة خلال ثلاثة عشر عاما .

٢ ــ (الوقاية) و (شرحها) لعبيد الله بن مسعود بن تاج الشريعة .

٣ ــ (النقاية) لصدر الشريعة ، مع شروح : الشيخ تقى الدين أبى العباس أحمد بن محمد الشمنى ، والشيخ زين الدين عبد الرحمن بن أبى بكر المعروف بابن العينى ، والشيخ عبد الواجد بن محمد ، والشيخ علاء الدين على ابن محمد ، والعلامة قاسم بن قطلوبغا ، والشيخ محمود بن الياس الرومى ، ومولاى شمس الدين محمد الخراسانى القهستانى ، وابى المكارم بن عبد الله ، والملا على القارى .

٤ ــ (كتاب الطحاوى) وهو المعروف بشرح معانى الآثار ، للامام أحمد ابن محمد بن سلامة الازدى .

٥ ــ (كنز الدقائق) لأبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى .

٦ ــ (كتاب القدورى لأبى الحسين أحمد بن محمد القدورى .

٧ ــ (المحيط) لبرهان الدين محمود بن تاج الدين أحمد بن الصدر الشهيد .

٨ ــ (المحيط) لرضى الدين محمد بن أحمد السرخسى .

٩ ــ (الجامع الصغير) للامام محمد بن الحسن بن فرقد الشيبانى .

١٠ ــ (المبسوط) ويقال له (الأصل) للامام محمد أيضا .

١١ ــ (الكافى) للحاكم الشهيد جمع فيه ستة من كتب الامام محمد .

١٢ ــ (منية المصلى) لسديد الدين الكاشغرى .

١٣ ــ (فتح القدير) للمحدث الفقيه ابن الهمام (بالنسبة للأجزاء الخمسة الأولى من شرح الهداية وتكملته (نتائج الأفكار) للمفتى أحمد شمس الدين قاضى زاده (بالنسبة للأجزاء الباقية) .

١٤ ــ (النوازل) للامام أبى الليث السمرقندى .

١٥ ــ (بدائع الصنائع) لأبى بكر بن مسعود الكاسانى .

١٦ ــ (السراج الوهاج) لأبى بكر بن على الحدادى شرح به القدورى .
١٧ ــ (كتاب الزاهدى) لنجم الدين مختار بن محمود الزاهدى شرح به القدورى .
١٨ ــ (المنتقى) للحاكم الشهيد .
١٩ ــ (البحر الرائق) لزين الدين بن نجيم .
٢٠ ــ (العناية) للشيخ اكمل الدين محمد بن محمد البابرتى .
٢١ ــ (جامع المضمرات) لجمال الدين يوسف بن عمر الكادورى ، شرح به القدورى .

ومن المؤلفات القيمة التى تم الرجوع اليها بالاضافة الى ماورد ذكره :

القنية ــ زيادات الجامع الكبير ــ المختار ــ الذخيرة ــ غاية البيان ــ البرجندى ــ البناية ــ الزبدة ــ التهذيب ــ الاختيار ــ فتاوى قاضيخان ــ الفتاوى التتارخانية ــ معراج الدراية ــ التمرتاشى ــ الجوهرة النيرة ــ غياث السرنجى ــ جواهر الاخلاطى ــ الفتاوى البزازية ــ ــ فصول العمادية ــ الفتاوى السراجية ــ التجنيس ــ مختار الفتاوى ــ خزانة الفتاوى ــ الفتاوى الكبرى ــ الفتاوى الصغرى ــ الحاوى للقدسى ــ الفتاوى المجبية ــ خزانة المفتين ــ النهر الفائق ــ مجمع البحرين ــ التنوير ــ الشمنى ــ خزانة الفقه ــ البرهانية .. الخ ..

وقد جمعت هذه المؤلفات كلها ، ودرست بعناية فائقة ، وفحصت محتوياتها فحصا دقيقا ، وصنفت حسب درجة الوثوق بها ، وذلك لغاية الاستعانة بها فى عملية جمع الفتاوى العالمكيرية ، وكان على القائمين بعملية جمع هذه الفتاوى ان ينظموها بحيث يمكن استخراج مبادىء عامة منها قابلة للتطبيق ، ويزيلوا ما علق بها من خلافات ، أو ما كان منها مثارا للشك او الجدل

وقد تم تبويب الفتاوى :

أ ــ المقدمة وتشتمل على سبب تاليف الكتاب وفضل الملك أورانك زيب فى ذلك ، وأن جامعيه اقتصروا فيه على المفتى به من المسائل الفقهية ، ومن ظاهر الرواية فى المذهب الحنفى غالبا ، والاشارة الى اصطلاحهم فى عزو النصوص الى مراجعها ..

ب ــ الفصول الرئيسية وتشمل الموضوعات والكتب التالية :

كتاب الطهارة ــ كتاب الصلاة ــ الزكاة ــ الصوم ــ والمناسك ــ النكاح ــ الرضاع ــ الطلاق ــ العتاق ــ الأيمان ــ الحدود ــ السرقة ــ السير ــ اللقيط ــ اللقطة ــ الاباق ــ المفقود ــ الشركة ــ الوقف .

كتاب البيوع ــ كتاب الصرف ــ الكفالة ــ الحوالة ــ كتاب أدب القاضى ــ كتاب الشهادات ــ كتاب الوكالة ــ كتاب الدعوى ــ كتاب الاقرار ــ كتاب الصلح ــ المضاربة ــ الوديعة ــ العارية ــ الهبة والاجارة ــ كتاب المكاتب ــ

وكتاب الولاء ــ وكتاب الاكراه ــ كتاب الحجر ــ كتاب المأذون ــ كتاب الغصب ــ كتاب الشـــفعة ــ كتاب القســـمة ــ كتاب المزارعة ــ كتاب المعاملة (أى المغارسة) ــ كتاب الذبائح ــ كتاب الاضحية ــ كتاب الكراهية ــ كتاب الرهن ــ كتاب التحرى ــ كتاب أحياء الموات ــ كتاب الشرب ــ كتاب الأشربة ــ كتاب الصيد ــ كتاب الجنايات ــ كتاب الوصايا ــ كتاب المحاضر والسجلات ــ كتاب الشروط ــ كتاب الحيل ــ كتاب الخنثى ــ كتاب الفرائض .

وقد اشار الذين قاموا بعملية جمع الفتاوى الى المصـــادر المعتمدة التى جمعت منها الآراء الفقهية . كما أنهم ذيلوا هذه الآراء بتعليقات حـــول المفتين الذين ادلوا بتلك الآراء ، وشـــملت عملية جمع الفتاوى جميع ميادين الشريعة الالهية التى اعتمدت فيما بعد لتكون المرجع القانونى الأساسى الى جانب المؤلفات المعروفة فى فقه الشريعة .

وقد تناولت محتويات الفتاوى المذكورة كل مظهر من مظاهر الحياة الاسلامية الاجتماعية والدينية للفرد والمجتمع على السواء ، وعلى هذا الأساس خصصت فصول مستقلة للأمور العائدة للمعاملات الفردية والاجتماعية وللسلوك الدينى ، ولادارة القضاء ، ولشؤون الدولة الداخلية والخارجية .

واحتوت الفتاوى على قواعد محددة للتفسير والتأويل ، ورغبة فى حسن تفهم المســـائل الفقهية بشكل مناسب فقـــد رؤى أن يستخدم جامعو الفتاوى اصطلاحات توضح المسائل المبحوثة ، وعلى هذا الأساس ، استخدم التعبيران التاليان ، وهما : هو الصحيح ، وهو الأصح ، للتمييز بين قوة الآراء الفقهية التى تم جمعها والتى تتعلق بمسألة معينة من المسائل الفقهية ، وكذلك الحال بالنسبة لتعبير : (عليه الفتوى) وهذا للدلالة على أن الرأى الفقهى مسند الى ســـلطة افتائية ، (* *) وتعبير (عليه الاعتماد) وهو يعنى بأن علماء الشريعة يثقون بالرأى الفقهى موضوع البحث ، واذا أخذ عامة الناس برأى شرعى ما يشـــار حينئذ الى هذا الرأى بعبارة : (عليه عمل الأمة) . أما اذا كان التعامل الجارى يأتلف مع رأى شرعى فيشـــار اليه بعبـــارة : (عليه العمـــل اليوم) . وهذه التعابير المستعملة لتمييز الآراء الفقهية قد اختيرت بشكل يمكن معه بيان الرأى الفقهى المفضل .

كل ما سلف يدل دلالة واضحة على ما للفتاوى العالمكيرية من قيمة كبيرة ، وما لها من وضع مرموق بالمقارنة مع غيرها من كتب الشريعة والاجتهاد فى العالم الاسلامى ، وفى الحقيقة يقال بأنه ليس هناك من عمل فقهى يماثل ما تتصف به الفتاوى العالمكيرية من ميزات خاصة بها حتى أصبحت مرجعا اساسيا فى كل الأقطار الاسلامية حتى بلدان العالم العربى (٥) .

وقد تميز عهد الامبراطور أورانك زيب فى تاريخ الهنـــد بادارة قضائية وقانونية نزيهة . والادارات التالية كانت الادارات الرئيسية فى الدولة :

ا ـ ادارة الخزينة العامة والايرادات تحت اشراف الديوان العالى .

ب ـ البلاط الملكى تحت اشراف خان الزمان او كبير الحجاب .

جـ ـ النفقات وادارة المحاسبة العسكرية تحت اشراف البكشى الامبراطورى .

د ـ الهبات الدينية تحت اشراف الصدر الاعظم (ويدخل تحت اشرافه ايضا أمور الاحسان والصدقات) .

هـ ـ القوانين المدنية والجزائية تحت اشراف كبير القضاة .

و ـ مراقبة الأخلاق العامة تحت اشراف المحتسب .

ز ـ وفى نطاق الادارة القضائية يعتبر قاضى القضاة القاضى الأعلى .

وكانت ادارة الولايات تسير على هذا النمط نفسه مع بعض التغييرات المحلية ، ويروى المؤرخون بأن الامبراطور كان فى مناسبات عديدة ينتقد الأحكام الصادرة عن المحاكم الدنيا ، وكان يشعر بأن بعض هذه المحاكم لا تلم الماما كافيا بالقوانين ، وكان هذا بالاضافة الى الرغبة السائدة آنذاك ، من الاسباب الرئيسية التى حملت الامبراطور على تنفيذ مشروع جمع الفتاوى (٦) .

وفى مجال الادارة القضائية صدر الامر بأن توضع الفتاوى موضع التطبيق والتنفيذ ، وهكذا فقد ورد عن بعض المؤرخين ورواها السيد م . ب احمد (الصفحة ١٨٦ وما يتبعها) بأنه كما جاء فى الجزء السادس (الصفحة ٢٤٩ ـ ٣٧١) من الفتاوى العالمكيرية : (لا يجوز اتلاف سجلات القضايا ويجب اتاحتها بناء على الطلب الى المحاكم الاخرى) .

(انظر الامر الصادر عن اورانك زيب فى قضية عظمة الله ضد غلام محمد فى الباقيات ص ٥ وكذلك ص ٢٤ ، وانظر كذلك سفر العوض ص ٦) وعندما كان أورانك زيب يعيد قضية ما لاعادة النظر فيها لم يكن يكتفى باعطاء توجيهاته الى المحكمة التى اعيدت القضية اليها ، وانما كان يشير الى القواعد والاجراءات التى غفلت المحكمة عن اتباعها ، وفى قضية استئنافية تتعلق بموضوع كفالة وجد أورانك زيب اجتهاد المحاكم الدنيا معيبا (بوجه شرعى) (انظر الكلمات الطيبات) وبالاضافة الى ذلك ادخل الامبراطور اصلاحات قانونية تبعا لحاجات زمانه ، فقد روى انه ادخل نظام السجن الاحتياطى ، الذى أخذ به فى قانون اصول المحاكمات الجنائية لعام ١٨٩٨ م فى عهد الادارة البريطانية ، كما أصدر اوامره بأن يبت فى القضايا الجنائية بسرعة ودون اى ابطاء ، وكذلك اوعز بضرورة تعيين وكلاء للدفاع عن المتهمين المعوزين ، وقام بالاضافة الى ذلك باصلاح نظام الاستئناف ، وهذا كله غيض من فيض مما قام به اورانك زيب من خطوات اصلاحية (٧) . ويقال بأن العلاقة بين الجهاز القضائى والجهاز التنفيذى فى عهده كانت على العموم حسنة ، ومما لا شك فيه أن شخصية الحاكم كانت عاملا أساسيا فى حسن ادارة الدولة ، ففى عهد عالمكير كانت قرارات المحاكم تحظى بالطاعة كما كان القضاة يتمتعون باحترام فائق ، ومن الأمثلة البارزة فى هذا

الصدد ان السيد ميرزا كوتشاك حاكم لا هور أصدر أوامره مرة باجراء تحقيق فى بيت السيد على أكبر قاضى لاهور الذى كان يشك بأنه أقدم على قتل اثنتين من امائه وقد فضـــل حاكم لاهور أن يقدم على الانتحار على أن يذهب لمقابلة أورانكزيب ليشرح له ملابسات قتل القاضى على أيدى رجال الشرطة بسبب محاولة القاضى منع رجال الشرطة من اجراء التحقيق (٨) . ومثل هذه الأمثلة التى رواها ساركار (الجزء الخامس ص ٤٢١ ، خافى خان الجزء الثانى ص ٤٣٦) تدل دلالة واضحة على أن خضوع القضاة لسلطة الملك لم تؤثر على حريتهم القضائية (٩).

---

(١) دائرة المعارف البريطانية المجلد ٣ صفحة ٩٩ وما بعدها من الطبعة التاسعة ادنبره .

(٢) للتفاصيل انظر مآثر عالمكيرى ، عالمكير ــ ناما ، رقعة عالمكيرى ، منتخب اللباب ، فتوحات عالمكيرى .

(٣) مآثر عالمكيرى ٤١ ــ ٦٤ ، ٦٦ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ٢٠٣ ، ٢٤١ (ترجمة ج ، ن ساركار) ، أسس القانون الدولى (مقدمة أ. بلييه ، باريس ١٩٠٤) دى ليجاسيونييوس ليبرى تريس لالبريكو جنتيلى (ترجمة ج. ج. لينج) طبعة ج. ب. سكوت ١٩٢٤ ، ستة كتب ذات فائدة عامة لـ.ج بودان . (ترجمة ر . كنولز لندن ١٩٠٦) ، س . هـ ــ الكسند روفيتش ــ الكسندر : سيادة المغول والقانون الدولى : دراسات فى القانون (كلية قانون باتنا ، الـــكتاب الذهبى التذكارى) ص ١١٥ وما بعدها (دار النشر الآسيوية ١٩٦١ بومباى) .

(٤) ن ب . ا . بيلى : البيع فى الشريعة المحمدية ، ملاحظات مبدئية ، (١٨٥٠) ، م . ب . أحمد : ادارة العدالة فى الهند فى العصور الوسطى ٤١ (١٩٤١ عليجرا) ، هـ. م. اليوت : تاريخ الهند ، المجلد السابع ١٦٠ ، تحليلات هارينجتون ، المجلد الاول ٢٤١ . الفتاوى العالمكيرية (الترجمة الاردية طبعة ديوباند ١٩٦٥) جزءا ص ١٦ ــ ٢٤ ، دائرة المعارف الاسلامية ــ المجلد الثانى الكراسة ٣٦ (الطبعة الجديدة ١٩٦٤) ص ٨٣٧ .

* ســـقط عند الكاتب ذكر ٢٠ بابا مفرقة ، وقد استدركناها من كتاب الفتـــاوى ، العالمكيرية واضفنا كلا منها فى ترتيبه (ادارة الموسوعة) .

** تعبير « عليه الفتوى » ليس معناه كما فهم الاستاذ الكاتب ان الرأى مستند الى ســـلطة افتائية ، اى صادر عن دار فتوى اومفت رسمى بل معناه فى اصطلاح المذهب الحنفى أنه هو الرأى الذى يجب العمل به (ادارة الموسوعة) .

(٥) ج.ن.ساركار ، الادارة المغولية ، ٢٢ ، الفتاوى العالمكيرية (الترجمة الاردية ديوباند ١٩٦٥) جزء ١ ص ١٦ ــ ٢٤ ، خافى خان : منتخبات اللباب (المكتبة الهندية) المجلد الثانى ٢٥١ ، بيلى : المختار من الشريعة المحمدية ، المجلد الاول ص ٧ ، ٨ ، م. ب. أحمد : المصدر السابق ٤١ وما بعدها .

(٦) انظر مآثر عالمكيرى ٥٢٩ ، تجلى نور ٧٧ ، ٩٨ ، ١١٩ وما بعدها ، م.ب. أحمد ٤٢ ، ج ن ساركار : تاريخ أورانكزيب المجلد الثالث٨٤ ، مرآة أحمدى تعليمات الامبراطور الىحاكم جوجرات) ، الفتاوى العالمكيرية المجلد الخامس ١٠٦ ــ ٢٥١ (الطبعة الاردية المعادة ١٩٦٤ فى لاهور باسم الفتاوى الهندية) .

(٧) انظر عالمكير ناما ١٠٧٦ وما بعدها ، زمانوشى : تاريخ المغو لر .ا.س . لندن م.ب. احمد: المصدر السابق ٢٠٦

(٨) م. ب. أحمد ٢٧٦ ، (مانوشى) ستوريا الجزء الثانى ٢٥٤ .

(٩) المصدر السابق ص ٢٧٣ وما بعدها ومراجعها .



قصة من الأدب الديني

مخاوف إبليس



للأستاذ : محمد لبيب البوهي

شعر ابليس بالارهاق الشديد .. فقد توالت الأحداث وتكاثرت .. واخذ بعضها برقاب بعض ... وكان يلهث بالليل والنهار ... كى يوالى ارشاد أتباعه ... وانصاره .. عما يجب ان يفعلوه ... وكان قد اتخذ له اماكن اقامة مختلفــة ــ فى فيتنام وكمبوديا .. وأمريكا الـلاتينية واميركـا غير اللاتينية .. وجنوب أفريقيا والتبت وغيرها .. وغيرها ..

لقد كانت له مراكز فى كثير من هذه الأماكن .. غير ان محل اقامته فى الشرق الأوسط لم يكن فى الشرق نفسه .. وإنما كان رؤوس اقوام آخرين فى الغرب .

انه يوسوس فى هذه الرؤوس .. فتمتد خفافيش النوايا السوداء .. من الرؤوس الى الأيدى فتوقع قرارات ــ بارســال المزيد من الـطائرات والالكترونات الى « ترسانة » الأسلحة والعدوان فى الشرق الأوسط .

على كل حال .. ليس هذا هو الجديد ... انما الجديد ان ابليس شعر بانه مرهق .. متعب ... مريض ــ وكان يبدو شــاحب الوجــه مرتجف الأوصال ...

وقال الذين من حوله : مسكين جدنا الملعون .. انه يحمل على عاتقه اعباء مئات الملايين من السنين .

وقال شيطان صغير لشيطان آخر وهو يحاوره : —
كم تظن النسبة المئوية من الناس الذين يتبعون جدنا الكبير ؟

فقال صاحبه : —

ربما يزيد اتباع جدنا فى هذه الأيام عن خمسين فى المائة من الناس ..
فضحك الذى عنده شىء من العلم الأسود وقال : —
سوف يموت جدنا كمدا لقلة انصاره اذا قلت نسبتهم فى العالم عن تسعين فى المائة او أكثر .

■ تقول تسعين فى المائة من البشر ... ؟

هذا هو الحد الأدنى والا انهار كمدا
ورانت فترة من الصمت على الاثنين .. كان كل منهما ينظر الى الآخر فى عجب ولكن اولهما صاح :
مالى أراك أنت الآخر شاحب الوجه ترتجف .. ؟ هل هذا اشفاق منك على الجد الكبير ؟ ان الشفقة ليست من طباعنا .. اتخشى على ابينا ان يموت كمدا ؟
فضحك الآخر حتى اهتزت جبال الجليد فى القطب الشمالى ، وتساقطت قممها من زلزلة ضحكاته ثم قال : —
لا تخف يا اخانا فان أبانا لن يموت ... الموت امل عظيم لن يتحقق لاحد منا ... لقد امهلنا الى آخر الدهر ... ثم نساق يوم الساعة الى الهول الكبير ... لقد تحدثت عن موت جدنا على سبيل الأمنية التى لن تتحق ... الموت نعمة حرمنا منها ... علينا أن نواصل حمل هذه الرسالة السوداء .. التى ناء بحملها عبر الأجيال جدنا ابليس حتى اصيب بالارهاق الشديد .
وبينما كان هذان الشيطانان الصغيران على هذا المنوال فى الحديث ... اذ هب اعصار شديد اقتلع الأشجار من جذورها ، ثم انفجر زلزال اطاح ببنيان مدينة كانت قائمة على مقربة منهما ... وانتشرت ريح عفنة حتى هم احدهما أن يسد أنفه فضربه الآخر على يده وقال : لا تفعل ... فان هذه هى ريح جدنا ...... انه على وشك الوصول وهذه هى علامات قدومه ..
وفجاة سمعا التحية التقليدية : عليكما اللعنة ...
فسجدا حتى مست الأرض منهما الجباه وصاحا فى صوت واحد : —
اللعنة الكبرى لسيادتكم ... لعنت اينما كنت يا ابانا .. يا من يفرخ الشر ويتضاعف فى ركابك ..
فرح ابليس الكبير بهذه التحية ، وطلب اليهما ان يستويا قائمين وقال : — انه كان فى أقصى الغرب حيث أقيم حفل كبير فى بلد هناك . قال قائل منهما : — حفل كبير فى بلد غربى ..!! ولكن لماذا تحظى الاطفال هناك بتشريفك اياها .. ؟
زم الشيطان شفتيه اسفا لغباء حفيده وقال —
يبدو انكما لا تطالعان جريدة .... « على الدنيا الخراب » ..
فظهر الأسف فى وجهيهما وقالا : —

لأول مرة سوف نقول الحق ... فاغفر لنا هذه الخطيئة ... اننا لم نعد نقرا صـــحيفة « على الدنيا الخراب » منذ ان تركت انت تحـــرير المقال الرئيسى فيها .

فقال الجد .. هناك لذلك عدة اسباب ... اولها انه لم يعد هناك من سبب كبير للكتابة .. ان الخراب لم يعد فى حاجة الى وصف ، والذين يخربون بيوتهم بأيديهم لم يعودوا فى حاجة الى توجيه ، انما انتم ايها الأغبياء ما زلتم فى حاجة الى المزيد من العلم الأسود ، هيا معى الى الأعالى ، سوف نرتفع فوق الارض الف ميل كى تنظروا اليها فتبدو لكم كالكرة الصغيرة فى يد طفل ، وحين تدور تحت أنظاركم فسترون الأحداث التى تجرى عليها كانها رواية مما يشهده البشر فى دور الصور المرئية .

وتم تنفيذ ذلك ، واخذ الشياطين ينظرون الى الأرض من بعيد ، وكانت احداثها تجرى تحت عين كل شيطان لقد بدت الكرة مشتعلة من اقصاها الى اقصاها ، ودخان المدافع ، والقنابل ، والبارود ، يكاد يغطيها ، وتصور احد الشياطين أنها تبدو تافهة ، وفى مقدوره بقبضة يده ان يحطمها ، وقرا صاحبه ما يدور فى خلده فقال له : حذار أن تفعل — لقد اصبحت الأرض بهذه الصورة قرة لأعيننا .

وأخـــذت الأرض تدور وتدور ... مرات ومرات .. تـــحت انـــظار الشياطين ... وكلما دارت دورة راوا نارا يتطاير شـــررها ، ودخانا يعم البقاع ، وسمعوا صراخا يتبعه صراخ ، وقبورا تحفر .. واخذ احد الشياطين يصفق بيديه فرحا مسرورا وهو ينظر الى الكرة من الشرق ومن الغرب ، ومن الشمال ومن الجنوب ، فلا يجد شيئا غير الصراخ والعويل ، حقول تحترق ، ودور تنهار ، اطفال ابرياء يدفنون احياء تحت جدران مدارسهم ... مصانع تتحطم .. اشجار تتهاوى .

وقال احد الشياطين لصاحبه وهو يحاوره : —

اتظن اننا نحن الذين نصنع كل هذا .. ؟

فاجابه الآخر قائلا ، كيف تتصور هذا ايها الأحمق .. انهم هم انفسهم الذين يتولون النصيب الأكبر من الأمر . كل ما كان علينا ان نغرس البذور .. ونتركها تنمو .. ولقد فعلنا ، ولكننا نستعد الآن لجولة اخرى ... اننا سوف نضع بذورا اخرى ، وهذه البذور الجديدة سوف لا تؤتى اكلها الشيطانى على الفور ، سياتى موعدها بعد حين .

قال الشيطان الصغير : واين نضع هذه البذور ؟

قال الشيطان الكبير : سوف نهبط الى الأرض ، وسنجول فى حقول جديدة — هى مزارعنا الجديدة . وهبط ابليس ومعه تلميذاه فى مكان ما ، فى اقصى الغرب ، حيث وجدوا مئات من بنى البشر — رجالا ونساء — عراة كما ولدتهم امهاتهم يذهبون ويجيئون متعانقين فى غير مبالاة بشىء .

مئات من العورات مكشـــوفة فى غير حيـــاء ، واعمال مخزية تتم فى سعادة ، وهم الشيطان الصغير ان يخفى عينيه لولا ان ضرب جده على يده وقال : هؤلاء هم الذين يصنعون المستقبل لنا . فتساءل الصغير وماذا تسمى هذا ... ؟

قال الكبير : يمكنك ان تسميه انحلالا . هيا معى الى مكان آخر .

وانطلق الشيطان الكبير وتلميذاه الى حيث مئات ومئات اخرى ...

رجالا ونساء ... صبية وفتيات ، اكواما فوق اكوام ، وقد تدلت شعور الرجال والفتية فاصبحت مثل شعور النساء سواء بسواء . يتدافعون نحو صيدليات تمدهم بصنوف مختلفة من المخدرات — يسرعون بها الى الأرصفة ويتهادون متعانقين تحت ضربات موسيقى قوية مزعجة معربدة ، ذات جلاجل ، كانما تحركها يد الجان .

ودخان يتصاعد من الأركان .

قال الشيطان الذى يريد ان يتعلم : وما هذا ؟

ما هذا النوع الآخر من البذور ؟ لقد علمت ان البذور الأولى هى الانحلال .. ؟ فما هذه ؟

قال الجد : يمكنك ان تسميها المخدرات ..

قال الشيطان الصغير : ولكنى ارى الذكور يطلقون شعورهم فيما يشبه الضفائر ، وهم يتفاخرون بما يصنعون ، واسمعهم يطلقون على انفسهم اسماء مخزية ..

قال ابليس : —

انهم يسمون انفسهم (الخنافس) وهو اسم يدل على منتهى ما وصلوا اليه ، هوام خرجت من الجحور لتعيث على سطح الأرض ، الا يدل هذا الاسم الذى اختاروه لأنفسهم على مستواهم !! انهم خنافس — انهم بذلك يفرحون ... انهم بهذا الوصف يتفاخرون ، هلا سموا انفسهم أسودا .. أو نمورا .. او حتى جيادا او حميرا .. ؟

لا .. انهم لم يفعلوا ، لقد صدقوا فى وصف انفسهم ... خنافس .. انه الاسم الذى ينطبق تمام الانطباق على الذين ياخذون انفسهم بالانحلال ، والمخدرات . لقد ابتلعوا الطعم الذى القيناه اليهم فصاروا خنافس ، ومن يدرى فلعلك تسمع بعد ذلك انه سيكون من ذريتهم من يطيب لهم أن يطلقوا على انفسهم صراصير ، ومن يدرى ايضا .. فلعل الأمر يصل بنفر من بنى البشر أن يستمروا فى هذا التحول ليكون منهم بعد الخنافس فئات مثل الخنازير ، والقردة ، والخفافيش وابناء آوى ..

هلل الشيطان الصغير ، وضرب بيديه ، ورقص ، فتلك مناظر سوف تكون رائعة .. سوف يرتد الذين خلقوا فى احسن تقويم الى اسفل سافلين ..

واخذ ابليس بايدى تلاميذه وراح يطوى الأرض طيا .. غير انه فى جوف الليل .. فى مكان ما فى الشرق بدت مآذن .. وساحات .. ورجل ينادى ، وقد اوشك النهار ان يبين ... بأن هناك ماهو خير من النوم .

ان الرجل يقرع طبلا ، وهناك آخر يصعد الى مئذنة ، ويرسل فى سمع الدنيا الاذان الرائع ... وراح الشيطان يتطلع الى البيوت والى الطرقات فاذا قوم يسيرون ، يلبون النداء ، مهطعين الى الداع ... فى وجوههم نور ، وبين ايديهم نور .

قال الشيطان الصغير متسائلا .. من هؤلاء ؟ وما هذا الذى يصنعون ؟

قال جده الكبير فى غيظ كظيم : اولئك الذين لو اشتدت يقظتهم لضاع امرنا ، وتهدم بنياننا ، انهم حراس الحقول الذين ناموا عنها فقمنا فى غفلة ووضعنا البذور .

هؤلاء الذين لو اشتدت يقظتهم فان الأمر سوف يتبدل .

وضحك الشيطان الصغير مرة اخرى ... لو ...

ركن الموسوعة الفقهية

تحرره : إدارة الموسوعة

الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامي على الصعيد العالمي :

انتهينا في عدد سابق من استعراض مختلف المجالات الدولية التي هي بحاجة ملحة الى موسوعة الفقه الاسلامي .

وقبل ان ننتقل الى بحث آخر نشعر ان ثمة سؤال يفرض نفسه وينبغي ان نتعرض للاجابة عليه ، وهو : اليس فيما كتبه المستشرقون عن الشريعة الاسلامية ما يغني ويسد الحاجات التي تحدثنا عنها في الاعداد الماضية ؟

ونحب أولا ان نشير الى وجود العديد من أقسام الدراسات الاسلامية في الجامعات الاوربية والامريكية التي تعتني بتدريس الشريعة الاسلامية ، كما تشرف على رسائل دكتوراه لمن اراد البحث في الشريعة . وكذلك يقوم الاساتذة المستشرقون بتأليف الكتب للدراسات الجامعية وغيرها في موضوعات في الشريعة الاسلامية .

وليس في نيتنا أن نستعرض قوائم الكتب والابحاث ، حتى لا يضيع القارىء في متاهة كتابات المستشرقين بمختلف اللغات ، اذ الحقيقة انها تعد بالمئات ، وانها بدأت مبكرة منذ القرن الثامن عشر ومعظمها اصبح نادر الوجود لا يحصل عليه الا في دور الكتب الخاصة بهذه المراكز الاستشراقية ، وسنكتفي هنا بالاشارة الى بعض ما أنتجه المستشرقون المعروفون في مسائل الشريعة الاسلامية في السنوات الأخيرة :

- خطوط عريضة في الشريعة المحمدية لآصف فيضي الهندي (باللغة الانجليزية) في حوالي ٥٠٠ صفحة .
- مصادر الفقه المحمدي ليوسف شاخت الألماني الأصل (باللغة الانجليزية) في حوالي ٣٠٠ صفحة .
- مدخل للشريعة الاسلامية ليوسف شاخت (باللغة الانجليزية) في حوالي ٢٠٠ صفحة .
- المختار من الشريعة المحمدية (وهو مختصر للفتاوى الهندية) لنيل بيلي (باللغة الانجليزية) في حوالي ٨٠٠ صفحة .
- دراسة في الشريعة الاسلامية المقارنة للينانتدي بلغوند الفرنسي (باللغة الفرنسية) في حوالي ٩٠٠ صفحة .
- مدخل لدراسة الشريعة الاسلامية للويس ميليو الفرنسي

(باللغة الفرنسية) فى حوالى ۸۰۰ صفحة .

ـ مصادر وتطور الشريعة الاسلامية لمجيد خدورى (باللغة الانجليزية) فى حوالى ۳٥۰ صفحة .

ـ ويتضح من هذه الامثلة ، وهى قليل من كثير ، أن انتاج المستشرقين على صعيد الفقه العام الاسلامى لا يعدو أن يكون دراسات موجزة تتناول جميع فروع الشريعة فيما لا يتعدى الألف من الصفحات ، وغالبا ماتكون الآراء مستمدة من مذهب واحد او مذهبين من مذاهب الفقه الاسلامى ، مما لا يجد طالب الاستزادة بغيته فيه .

ـ هذا من جهة الحجم ومدى التوسع فى الدراسة .

اما من جهة صحة الآراء المنسوبة الى الفقه الاسلامى وسلامة الحكم عليها ، فاننا نجد الكثير من الاخطاء غير المقصودة ومن القصور فى فهم الآراء وعرضها ، وهذه نتيجة طبيعية لصعوبة المراجع الفقهية القديمة ووعورة مسالكها على ابناء العربية انفسهم ، فلا غرابة ان تكون اشد استغلاقا على غير المستمكنين من اللغة العربية .

هذا كله مع افتراض حسن النية لدى بعض المستشرقين فى دراسة الشريعة وعرضها ، أما بالنسبة للحاقدين منهم على الاسلام وبعضهم من اليهود والقساوسة فلا غرابة فى ان تنطوى كتاباتهم على الكثير من الدس الخبيث والتحريف الملتوى المعمود ، والافتراء ، وكل ذلك يتلقاه القراء ولا سيما الاجانب ايضا بحسن نية . وهيهات ان يستطاع دفع ما تثيره هذه الكتابات من شبهات ، مع انتشار هذه الكتابات فى مختلف بقاع العالم وبمختلف اللغات .

فمن كل ما تقدم يتبين ان ما يكتبه المستشرقون عن الشريعة الاسلامية لا يمكن ان يسد الحاجات التى تحدثنا عنها ، بل ان تصحيح الأخطاء الواقعة فى كتابات المستشرقين انفسهم ـ عن قصد أو عن غير قصد ـ هو احدى الحاجات الجوهرية التى تتطلب سرعة انجاز موسوعة الفقه الاسلامى وترجمتها الى اللغات الاجنبية .

بهذا نكون قد انتهينا من عرض وجوه الحاجة الى الموسوعة على الصعيد العالمى ، وسنبدأ فى العدد القادم باذن الله عرض وجوه الحاجة اليها على الصعيد الاسلامى والله الموفق .

اخبار الموسوعة

تجرى الآن المراجعة النهائية لموضوع الحوالة وهو الموضوع الثالث من الطبعة التمهيدية وسيقدم الى المطبعة قريبا ان شاء الله .

وستكون طباعته بحرف اصغر مما طبع به الموضوعان السابقان « الأشربة » « والاطعمة » وذلك استجابة لملاحظات وردت الى الادارة بهذا الخصوص ولتكون اقرب الى حجم الحرف المألوف فى الموسوعات العالمية .

هذا وسيتتابع باذن الله نشر موضوعات اخرى من الموضوعات الناجزة والموجودة حاليا بملفات الموسوعة والتى اصبح عددها أربعين موضوعا ، وذلك فور الانتهاء من مراجعة كل منها .

ويؤمل فى المستقبل ان يسير عمل

المراجـــعة بســـرعة اكثر متى تمت زيادة عدد الاساتذة المراجعين وهو ما يجرى الآن الســـعى له فى نطاق خطة تدعيم اجهزة العمل فى ادارة الموسوعة وزيادة فاعليتها .

بريد الموسوعة

ورد من الاستاذ المفضال الشيخ عبد الجليل عيسى استيضـــاح عما اذا كانت خطة الموسوعة تقضى بنقل كل ما ورد فى كتب الـــفقه من آراء وخلافات ، حتى الآراء الفاسدة التى وردت فى بعض كتب المتاخرين والتى تتجافى مع أصول الاســـلام العامة كاجازتهم اسقاط الصـــلاة بالطريقة المعروفة والتى يبرأ منها العلم والدين وان ذكرها بعض الفقهاء المتاخرين مثلا ، وكذا ذكر ما به يعتق الميت من العذاب بقراءة الصـــمدية كذا الف مرة ، ويسمونها عتاقة ، وما يزعمه بعضهم من ان السنة قد تزرى بالمسلم وعلى ذلك ترتكب البدعة وتكون هى السنة ... فما موقف الموسوعة من مثل هذه الآراء المنكرة : هل تنقلها فى جملة الخلافات مع العلم بان المسلمين يرتقبون الموســـوعة عـــلى انها دين الله الحق الخالص من الشوائب ... وهى جهالات بل ضلالات ، او تهملها ، وعند ئذ قد يغتـــر بصـــحتها بعض الجهلة ؟

وقد اجابه الاستاذ خبير الموسوعة مبينا خطتها التى ينبغى ان يراعيها كتابها فى هذا الشان ويتلخص جوابه بما يلى :

١ــ ما كان من آراء بعض المتاخرين المذهبيين الذين عرفوا بالاغراب فى التصويرات والتفريعات التى تنافى الفقه السليم وتعتبر تشويها له مما يؤســـف لوجـــوده فى كتب بعض المتاخرين ، لهذا لا ينبغى ذكره ــ فى الموضوعات التى تكتب للموسوعة ــ بين فقه المسائل واحكامها الشرعية ، وذلك كالطريقة المـــعتادة بعد وفاة الانســـان لاســـقاط ما فى ذمته من صلوات متروكة ، ويسمونها عملية (سقوط الصلاة) التى فى صـــورتها المعتادة هى بالمهزلة المضحكة اشبه ، وقد ذكرها (مع الاسف الشـــديد) بعض المتاخرين من فقهاء المذاهب ، والمؤسف اكثر من ذلك ان يوجد من فقهاء العصر البارزين المعدودين فى فئة المجددين من يدافع عنها وينشرها فى مجلة الازهر ، ويراها صـــورة عملية من الدين ، وهى ليست سوى غفلة وشرود ذهن عن مقياس مقاصد الشريعة وقواعدها التى تابى قبول الاحتيـــال على الله تعالى ومن هذا القبيل حيل اسقاط الزكاة . فكل ذلك مما يجب دفنه لا نشـــره ، لأنه من تلويثات الفقه وليس من الفقه . ولكن المهم هو تحديد ما ينطبق عليه هـــذا الوصـــف كى يعرف الكاتب ما ياخذ وما يدع . ولا ســـبيل الا ترك تقدير ذلك للكاتب نفسه . وستكون هناك مراجعة لما يكتب وتنقيح اذا تسرب شـــىء من ذلك الى الموضـــوعات المكتوبة .

على انه لا باس بان يشير كاتب الموضـــوع فى الحاشـــية اشـــارة تنبيهية الى هذه الآراء الفاسدة المنكرة اجمالا لا تفصيلا ، فى مناسباتها من الموضوع للتحذير من اغترار احد بها وظن صحتها وجواز الاعتماد عليها بين الآراء والخلافات الفقهية المحترمة .

الفتاوى

الحج اولا او الزيـــارة

السؤال :

هل الافضل لمن اراد الحج ان يبدا به او بالزيارة ؟

الاجابة :

يقول فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية الأسـبق جوابا على هذا السؤال : ــ

اتفق فقهاء السلف على جواز البدء بأيهما شاء ، وعلى افضلية البدء بالمدينة للزيارة اذا كانت فى طريقه الى مكة تيسيرا له وتخفيفا ، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا خير بين امرين يختار ايسرهما واهونهما ، واختلفوا فيما هو الأفضل بالنسبة لمن ليست المدينة فى طريقه الى مكة ، كأهل مصر مثلا ، فذهب علقمة ، والأسود ، وعمرو بن ميمون ، الى افضلية البدء بالزيارة لا حراز فضيلة الاحرام من ميقات المدينة الذى أحرم منه الرسـول صلى الله عليه وسـلم فى حجته .

وذهب من التابعين الى افضـلية البدء بالحج ، عبد الـرحمن بن يزيد ، وعطاء ، والنخعى ، ومجـاهد ، واختـاره أبو حنيفة وأحمد ، وبه أفتى الليث السمر قندى .

ومأخذ ذلك ، على ما يظهر لنا ، اعتبار الأصالة والتبعية ، كما صرح به النخعى ، ومجاهد ، فيما روى عنهما : « اذا أردت مكة للحج او العمرة فاجعل كل شىء لهما تبعا » سواء أكان الحج فرضا أم نفلا ، واليه يشير حديث ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : . **((من حـج فزار قبرى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى))** رواه الدار قطنى ، والطبرانى فى الكبير والأوسط من طريق حفص بن سليمان القارى عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عمر ، وحفص قد وثقه احمد وحديثه الآخر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : . **((من حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى))** .

وقال صاحب الفصول نقلا عن صالح وأبى طالب : « اذا حج للفرض لم يبدأ بالمدينة لأنه اذا حدث به حدث الموت ، كان فى سبيل الحج ، فاذا كان تطوعا بدأ بالمدينة » ا هـ . ومقتضى ماذكر أن الخلاف انما هو فى الحج المفروض .

اما فى النفل : فيبدأ بالمدينة للزيارة ، ثم يحرم من ميقاتها للنسـك ، وقد نقل الاتفاق على ذلك ، ولكن قد علمت مما سبق اطلاق القول بأفضـلية البدء بالنسك سواء كان فرضا أم نفلا .

وكذلك القول فيمن يسافر بقصد العمرة ، والزيارة ، وليست المدينة فى طريقه الى مكة ، فالأفضل له على القول الأول البدء بالزيارة ، وعلى الثانى البدء بالعمرة كما صرح به النخعى ومجاهد .

ويظهر لنا ترجيـح القول الثانى فى الحـج والعمرة باشـارة الأحاديث

السابقة ، فيبدأ بالنسك ثم يتبع بالزيارة ، وان رجح السمهودى الأول ، والسعيد من وفقه الله تعالى لأدائهما على اى نحو كان ، والله أعلم بالصواب .

فـــى النســـــــــب

تلقى الأستاذ مصطفى أحمد الزرقا خبير الموسوعة الفقهية هذا السؤال من أحد الشباب المسلمين المقيمين فى أوربا :

السؤال :

عن شاب زنى بامرأة هناك ، ثم اتت بمولود قالت انه منه ، ونظرا لاهمية الموضوع من الوجهة الاسلامية ، ولكثرة شبابنا الذين يقيمون فى البلاد الاجنبية لفترات طويلة للدراسة او سـواها ، راينا نشر الجواب فيما يلى :

الاجابة :

ان الزنى المحض لا يثبت به نسب من الرجـل الزانى ولو تحقق ان الولد منه . وان النسب يثبت بالاقرار او بالدعوى بأن يدعى بأن هذا الولد ولده او أن يقر بذلك ، ولو لم يبين سببا شرعيا من زواج ونحوه ، فيحمل على سبب شرعى حملا ، اى يفترض افتراضا انه ابنه بسبب شرعى كزواج غير مشهور أو وطء بشبهة ، وذلك بشرط أن يكون الولد مجهول النسب ، . (اى ليس له نسـب ثابت قبلا من رجل معروف بأنه ابوه) وان يكون المدعى بالنسب والمقريه لم يعطف البنوة على الزنى ، اما اذا قال هو ابنى من الزنى ، فانه لا عبرة عند ئذ لدعواه او اقراره ، لأن الزنى ليس سببا للنسب ، ولا يثبت به ولو حصل المتحقق بأن هذا الحمل من هذا الزنى ، وان ثبوت النسب بالدعوى أو الاقرار دون بيان سبب شـرعى هو حكم القضـاء الذى يبنى على الظـاهر اذا وقعت امامه الدعوى او الاقرار ، وليس معناه حل هذا الادعاء أو الاقرار ديانة ، فاذا كان الـرجل يعلم أن الولد ليس ابنا شرعيا منه لا يحل له ديانة ادعاء نسبه أو الاقرار به ، لأنه بذلك يثبت به حقوقا غير شرعية فى الواقع تزاحم ذوى الحقوق الشرعية من مالية وغير مالية .

هذا حكم الشريعة فى مختلف المذاهب الفقهية بل فى أوسعها ، لا أعلم فى ذلك خلافا وانما يثبت نسب ولد الزنى من أمه فقط فى أوسع المذاهب ، وتترتب بينه وبينها أحكام الأمومة والبنوة من حرمة ونفقة . فان لم يكن لأمه مال فنفقته فى بيت المال .

والنفقة بسبب القرابة فرع عن تلك القرابة نفسها : فحيث لا نسب فلا نفقة واجبة شرعا فى حكم القضاء ولو مع العلم بأنه ولد زنى منه .

هذا قانون الشرعية الذى يقضى به القاضى .

ولكن هذا لا يمنع من أن يشـعر الأب من الزنى (اذا تحقق أن هذا الولد ثمرة زناه) بواجب أدنى نحو هذا الولد الذى جنى هو عليه ، وكان هو السبب فى مجيئه الى الدنيا منقطع النسب ، فتقدم الى أمه فى صـغره واليه فى كبره نفقة تقيم أود حياته .

يتضح مما تقدم انه اذا لم يعترف بأنه ابنه فى بلاد تلزمه بالنسب أو بحقوق قضائية لو اعترف بذلك ، فانه لا اثم عليه شرعا وانما الاثم محيط بعنقه من ذلك الزنى وهو الجريمة الاصلية ولا سيما اذا كان غير متحقق انه من زناه ، وكون الأم كانت بكرا لا يكفى لهذا التحقق ، اذ قد تكون بكرا حين زناه بها ، ثم تخالط غيره بعد ذلك لا سيما فى بلاد تفشى فيها الزنى عمليا ، واعتادته واستباحته كبلاد أوروبا والله سبحانه أعلم .

باقلام القراء

« الاسلام ومسئولية الفرد فى المجتمع »

كتب الشيخ حماد محمد حماد الواعظ بالقاهرة تحت هذا العنوان يقول : —

القوة فى نظر الاسلام ليست الا طريقا من طرق الاصلاح العام وسبيلا من سبل السلام بارهاب المفسدين فى الأرض ، ورد كيد المعتدين الآثمين ، قال صلى الله عليه وسلم (المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف) . وقال الشاعر :

النواميس قضت الا يعيش الضعفاء
كل من كان ضعيفا أكلته الأقوياء .

لقد كنا فى زيارة اخوتنا وابنائنا من الضباط والجنود فى جبهة القتال على خط النار فوجدنا والحمد لله رجالا وأبطالا رابضين كالأسود يتحينون الفرصة للقاء العدو انهم شعروا بالمسئولية الكبرى الملقاة على عاتقهم ، وهى تحرير هذه الأرض السليبة ، وقد آلوا على أنفسهم الا يعودوا الى ذويهم الا اذا تحررت هذه الأرض ، وعاد اليها أصحابها اللاجئون . لقد نظرنا الى عيونهم فرأينا فيها العزم والتصميم والارادة الصادقة لتطهير هذه الأرض ، ورأينا سواعدهم القوية وقلوبهم الفتية المليئة بالايمان العميق .

رأينا صورا مشرقة حقا تحيط بها البطولة والتضحية والفداء ، فاذا طلب قائد عددا من الجنود ليقوم بعملية خاصة تقدم اليه عدد كثير ، كل منهم يريد أن يأخذ هذا الشرف لنفسه ، ليرجع باحدى الحسنيين اما النصر واما الشهادة ، انها حقا صور تذكرنا بقول ابى بكر الصديق رضى الله عنه (احرص على الموت توهب لك الحياة)ومما أدخل السرور على قلوبنا وسيعجل لنا النصر القريب بعون الله أننا رأيناهم وهم على خط النار يؤدون الصلاة فى أوقاتها ، فقد استوى عندهم حى على الصلاة وحى على الجهاد . ان العالم العربى والاسلامى لينظر الى أبنائنا على خط النار فى كل مكان نظرة التقدير والاجلال ، نظرة الترقب والاصرار ، ينتظرون منهم الوثبة الخالدة التى تمحو العار وتطهر الأرض . أما نحن فعلينا الآن أن نقوم بالمسئولية الأخرى ، وهى مد المقاتلين بالمال والسلاح والكلمة الطيبة والمشاركة الوجدانية لرفع روحهم المعنوية ، بمعنى أن نعيش معهم وهم على خط النار بوجداننا ومشاعرنا وحواسنا ، فلا يكون قوم من أبنائنا جادين يضحون بالدم الغالى فى سبيل الشرف والكرامة والحرية ويكون قوم منا هازلين منصرفين قد نسوا احتلال أرضهم ، ونسوا الثأر الذى بيننا وبين أعدائهم .

لقد شحنت اسرائيل جنودها فى معركة ٦٧ بالروح المعنوية ١٠٠٪ فأجدر بنا نحن أن نشحن أبناءنا بهذه

الروح العالية الوثابة حتى نسترد حقنا المغتصب . وقد رسم لنا القرآن الكريم طريق النصر على الاعداء فى أوامر عشرة ليعرف كل منا مسئوليته ، وهذه الاوامر اربع منها فى وقت السلم قال تعالى : — « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلو الخير لعلكم تفلحون » . وقد تعهد بها رسول الله وصحابته ، واربع منها فى وقت الاستعداد للمعركة ونحن فيها الآن قال تعالى : —

«ياأيهاالذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » واثنتان فى وقت الاشتباك مع العدو قال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) ، وقد أخذ رسول الله وصحابته بها كلها فكان النصر وكانت العزة والقوة والمنعة .

((اخوان شقيقان))

كتب الأستاذ عبد الرحمن شادى تحت هذا العنوان يقول —

زادت نسبة غزو المرض الرهيب وهو السرطان الذى استعصى علاجه على الأطباء ، وهم يروضونه كما تروض الوحوش المفترسة ، وكثرت ضحاياه وفرائسه للمدمنين على التدخين ، والغريب ان كلمة العلم حين تبتعد عن مرحلة الفروض والتجارب ، وتنتفى من حولها الادعاءات ، وتبلغ غايتها وتستقر فى النهاية على اسس راسخة متينة وتصبح حقا لا مرية فيه ، ويقينا لا يقبل الجدل تتفق حينئذ مع كلمة الايمان ، وكلاهما يصدر عن واهب الوجود ومفيض النعم ..

ولكن الشهوات قد اكتسحت الجميع ، وأصبح التقليد الأعمى سيفا مسلطا على الرقاب لا يستطيع الفرار منه الا القليل .. ومهما نصح الايمان والعلم والعقل والاقتصاد بنى الانسان فهم عن النصح معرضون .

مؤمن عليه ان يحارب العادات السيئة وأن يعرض عن قرناء السوء ، والمفروض أن تكون فيه الحصانة الكافية ، والمقاومة اللازمة للأمراض والعادات السيئة التى تفد علينا من الغرب ، ولكنه بدلا من هذا انساق فى التيار .

طبيب يعلم الخطر قبل سواه ، ولكنه اسير العادة يدخن بشراهة منقطعة النظير ،

اقتصادى يعلم قيمة الأموال وفائدتها اذا استخدمت فى اغراض حميدة ، وضررها اذا استخدمت فى أغراض سيئة ، وانفقت فى مصارف قذره ، ويعلم بلوى الاسراف ، ولكنه مدخنة بشرية .

عاقل من يحمد التجربة بعد أن سار فيها فترة طويلة من الزمن ، وهو ينصح أبناءه أن لا يكونوا مثله ، ولكن كلامه فى واد .. وملازمته للدخينة اكثر من ملازمته للرغيف فى واد آخر ، ليت هذه الأموال الطائلة التى تقدر بملايين الجنيهات فى كل بلد توجه الى منابع الثروة ومصادر الأرزاق .

اتفق الأخوان الشقيقان العلم والايمان على عداوة الدخان فهل يكون لهذا الاتفاق ثمرة فى الاعراض عنه ، واذا كانت هذه عادة سيئة مذمومة بالنسبة للدول الغنية ، فكيف تقلدها الدول النامية التى تحارب الفقر ..

فلينظر الانسان مم خلق

نشرنا في عدد جمادى الأولى ، لهذا العام ، الحلقة الأولى من سلسلة الحلقات التي يكتبها تحت هذا العنوان ، الدكتور محمد سلام مدكور ، رئيس قسم الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق جامعة القاهرة ، وقد بعث الينا الأخ سفيان كامل برسالة من امريكا ، يقول فيها ان هذا الموضوع يتصل بدراسته ويستفسر عن بعض النقاط التي وردت في المقال ، وقد احلناها على الدكتور فتفضل بالاجابة الآتية :

اننا اذ نشكر لسيادة السائل اهتمامه بالموضوع او تعلقه به ، وحسن ادبه لتحفظاته الكريمة في خطابه ، فاننا نبدأ اولا بتوجيهه الى أن المقال ليس مقالا طبيا ، وليس كاتبه طبيبا او متخصصا في علم الأجنة ، وانما هو متخصص في فرع من فروع الشريعة الاسلامية ، كما ان المقال ليس الهدف منه بيان دقائق خلق الانسان في مراحل تطوره ، مما يظهره علم التشريح وعلم الأجنة ، وانما الهدف من ذلك العرض النظر والتأمل في خلق الله ، الذي احسن كل شيء ليؤمن بقدرته جل شأنه على بعثه بعد الموت ، ويحاسبه على ما قدمت يداه في دنياه ، حتى يتعظ فيستقيم أمره وتحسن سيرته .

وتنحصر استفسارات السيد السائل في الآتي :

١ ــ المجاهر .. بالجمع .

٢ ــ الظلمات الثلاث ..

٣ ــ الاعتراف قديما بوجود قوة عليا مسئولة عن خلق الانسان ..

٤ ــ الترائب في قول الله « يخرج من بين الصلب والترائب » .

٥ ــ الأغشية الصماء ..

٦ ــ بصمات الاصابع ..ونجيب بالآتي :

١ ــ جمع مجاهر صحيح من ناحية القياس ، مثل مكتب ومكاتب ، والجمع هنا مقصود به ما يقابل المفرد ، لان المخترع حينما اخترع المجهر صنع منه عدة أفراد ، سواء اكانت من نوع واحد أم من أنواع مختلفة فان الجمع هنا لا يفيد اكثر من أن هناك شيئا متعددا من هذا النوع ، سواء اختلفت صفاته أم اتحدت ، على انه لا مانع من أن نقصد في التعبير بالجمع الانواع المختلفة التي ظهرت للمجاهر في قولنا : (وما كان للبشرية أن تلمس هذه الحقائق التي اشار اليها القرآن عن خلق الانسان ومراحل تطور الجنين لولا اختراع المجاهر ..) فان هذا كما تقول : اننا قبل اختراع الطائرات ماكنا نستطيع ان نصعد الى الفضاء او نحلق في الجو ، ولو انك قلت : قبل اختراع الطائرة لأوهم خلاف المقصود ، اذ قد يوهم ان المخترع انما هو طائرة واحدة ..

٢ ــ الظلمات الثلاث تعبير قرآني سليم ، والظلمة لاتدل على مكان ولا غشاء ، وانما هي وصف

يقوم بالمكان فيجعله مظلما ، وهذا التفسير للتعبير القرآنى ليس من اختراعنا ، وانما هو كلام ائمة التفسير ، ويريدون به ان الظلمة حلت فى المكان الذى به الجنين ، وزادها تكاثفا تعدد الطبقات . فالمشيمة وان كانت غشاء الا انها تحوى الجنين ، وهى داخل الرحم الذى هو داخل التجويف البطنى ، وكلها لا ينفذ اليها الضوء . وهذا كما وصف القرآن الكريم الظلمات بان بعضها فوق بعض . (أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض) ، فهذا يعنى ان الظلمات وجدت فى البحر ، وزادت بسبب تكاثف هذه الاجسام فحالت دون وصول الضوء والنور ، فكان المشبه « اذا أخرج يده لم يكد يراها » لوجود هذه الظلمات .. على ان المشيمة وان كانت تتكون من اغشية فانها تصير مكانا يحوى الجنين ، وتقع داخل الرحم الذى يقع اسفل البطن فهو فى مكان مغلق داخل مكان مغلق .

٣ ـ اما عن استفساره الثالث عن التعبير فى قولنا : « وكثيرا مادفع التخبط والحيرة فى امر خلق الانسان البعض قديما الى الاعتراف بوجود قوة عليا مسئولة عن خلق الحياة ، فراى فريق ان المادة الحية (البروتبلازم) لا تخضع فى تفاعلها للقوانين العادية ، ولكنها تتم بتداخل قوى خارجية غير عادية ، وقد مثلنا بما قاله اخناتون ، وما انتهى اليه ارسطو فهو يسال عن مدى هذا ، القدم وارتباطه بمادة البروتبلازم »» .

ونحن نذكره بان موضوع مقالنا (فلينظر الانسان مم خلق) لتوجيه الناس الى وجود الخالق وقدرته ، وأن الاتجاه الى معرفة الخالق عن طريق النظر فى خلق الانسان عرف قديما جدا ، فقد قال اخناتون ، فرعون مصر ، الذى وجه الناس الى دين الله الواحد ، وبين لهم مافى خلق الانسان وتكوينه من دقة تدل على الخالق وقدرته : (... ياامانحا الحياة للصغير فى بطن امه ، متوليا شئونه فى الرحم ، انك تمنح القدرة على التنفس كى يبقى كل من تخلقه حيا لحين خروجه من الرحم) . ومن المعروف أن اخناتون كان فى عصر قبل الميلاد باربعة عشر قرنا .

فنحن لم نقل ان أخناتون عرف اسم البروتبلازم ، وانما هو يتحدث عن المادة الحية التى عبر منها العلم الحديث بالبروتبلازم ، ولذا وضعناها بين قوسين .

وكذلك بالنسبة لما قلناه عن أرسطو فانه قد نظر الى بيض الدجاجة والتطورات التى تمر بها حتى يخرج منها الجنين ، وانتهى من نظره وتامله الى أن هناك عنصرا حيويا يوجه نشاط المادة الحية ، وهذا الموجه القادر شىء فوق طاقة البشر .

فنحن لم نقل ان اسم البروتبلازم قد عرف فى عهد أرسطو ، ولم نقل ان ارسطو درس ذلك فى المعامل وبالاجهزة ، انما خرج بهذه الدراسة نتيجة التامل والنظر الذى جاءت دعوة الله اليه « فلينظر الانسان مم خلق » الذى هو موضوع المقال .

٤ ـ الترائب فى قول الله تعالى : « يخرج من بين الصلب والترائب » فالسائل يستفسر عن كم عظام الصدر ، وكيفية اتصالها بالمبايض ، ونحن نقول لسيادته : اننى لست طبيبا أو متخصصا فى علم التشريح ، وانما انا مشتغل بعلوم الشريعة الاسلامية ، ومتخصص فى فرع منها وهو الفقه الاسلامى ، وما قلته من تفسير للترائب هو ما قاله المفسرون قديما ، ومدون بكتبهم ، وليس من اختراعنا .

وقد يكون هناك اتصال على اى وجه كان ، بين صدر المراة والمبايض ، مما يجعل ما قاله المفسرون لا يبعد كثيرا عما ينتجه علم التشريح ، وخاصة ان الشرايين تمتد فى الجسد فى جميع الاتجاهات .

٥ ـ الاغشية الصماء ـ يسال سيادته ما المقصود بالصماء ؟ فنقول المراد ان هذه الاغشية لا ينفذ منها الماء ولا الضوء ولا الهواء ، والتعبير بالاغشية الصماء مصدره ، كتب اساتذة كلية العلوم واساتذة كلية الطب ، ولادة وأمراض نساء ، (راجع للدكتور نجيب محفوظ كتابه فن الولادة ، وللدكتور عبد الحليم كامل بحثه المنشور بمجلة منبر الاسلام ، عدد رجب سنة ١٣٨٤ هـ ، والدكتور

ايدث سيرول فى كتابه جسم الانسان ، ترجمة الدكتور عبد الحافظ حلمى ، وغيرها من المراجع التى اشرنا اليها فى كتابنا (الجنين والاحكام المتعلقة به فى الفقه الاسلامى) سنة ١٩٦٩ ، الذى نشرته دار النهضة العربية بالقاهرة) .

اما ترتيب خلق الحواس الذى يسال عنه سيادته فقد بينته هذه الكتب والبحوث وذكرته فى كتابى المذكور ، وقد لا يتسع هذا الرد لذكره ، على اننا قد نتعرض له فى هذه السلسلة من المقالات ان وفقنى الله ، واتسعت له صفحات المجلة .

٦ ـ بصمات الاصابع ، ويسال اخيرا سيادته ماهى علاقة البصمات بخلق الانسان ، وتطور الجنين ، ويقول المعروف ان البصمات معجزة من معجزات خلق الجنين ، ونحن نقول له : اننا بصدد بيان فضل الله علينا ، وعظمة قدرته ، وانه خلق فى كل انسان بصمات تختلف عن غيره ، من سائر افراد البشر ، نشير الى ذلك ونربطه بقول الله تعالى « بلا قادرين على ان نسوى بنانه » فقد قال كثير من المفسرين المتاخرين فى الزمن : ان المقصود بتسوية البنان الاشارة الى هذه البصمات ، وسنبين ذلك فى موضعه من المقالات المتتابعة التى سنقدمها لمجلة الوعى الاسلامى لتتكرم مشكورة بنشرها .

واخيرا فان سيادته يسال عن كيفية تغذية الجنين ، وعلاقته بالام ، وكيفية تطور اقسام الجسم ومقاومة الامراض ، ووراثة الصفات .. ونحن نقول له اننا سنشير الى ذلك فى سلسلة المقالات التى سنوافى بها المجلة بعون الله تعالى ، ومع ذلك ففى وسع سيادته ان يراجع كل هذا فى كتابنا الذى اشرت اليه ، ولا ينسى اننى استاذ مادة الشريعة الاسلامية ، وان اساس بحثى اسـلامى ، وان مقارنتى بالطب وبعلم الاجنة لمجرد تقريب الاطوار ـ التى يمر بها الجنين ، والتى اشار اليها القرآن الحكيم ـ لذهن القارىء ، والله سبحانه الموفق والعاصم من الخطأ ، فان كان فى شىء مما قلته او اقول خطا فمنى ، واستغفر الله عليه ، وان كان قد وفقنى الله الى الصواب فمن الله ، وهو جل شانه اعلم بالصواب .

واخيرا فانى اشكر للقارىء اهتمامه بالموضوع ، وحرصه على التفهم ، كما اشكر لادارة المجلة توجيه السؤال لى للاجابة عليه ، وفقنا الله جميعا لخدمة الاسـلام والمسلمين ، ولتبصـير الناس بحقيقة الدين ، وان الله سـبحانه جعل فى خلقنا آية ومعجزة ، ولو نظرنا فى انفسـنا لآمنا به ، وايقنا انه على رجعنا لقادر .... والسلام عليكم ورحمة الله .





كيف دخل الاسلام الصين

ومن مقال بهذا العنوان نشرته صحيفة الاخبار القاهرية نقتطف ما يلى :

انهم يزيدون عن خمسين مليونا .. وهم من اكثر المسلمين تدينا فى الدول الشيوعية .. ونسبة كبيرة منهم على المذهب الحنفى .. وهم يحبون العرب وتتحدث نسبة كبيرة منهم العربية .. وهم يمثلون عشر قوميات .. ولديهم اربعة آلاف جامع .. والمعهد الاسلامى الدينى عندهم يشبه الأزهر لدينا يتخرج فيه رجال الدين .. وقد سمح لهم بالسفر الى الحج سنة ٥٢ ولهم عضوان مسلمان فى الحكومة المركزية .. وتمثيل فى مجالس النواب ..

ويتركز المسلمون فى اقليم سينكيانج فى الشمال الغربى .. حيث تعيش جماعات (اليوغر) المسلمة وهى تركية الاصل ويزيد عددها على ٥ ملايين نسمة وقد منح هذا الاقليم استقلالا ذاتيا .

والى جانب ذلك توجد عناصر اخرى من الصينين (الهان — والكازاخ — والمغول — والخوى — والفاغا — والأوزبك — والتتار) . ويتركز المسلمون فى اقليمى (كاسو وتنجسياخوى) — المستقل — ذاتيا والذى يوجد فى الركن الجنوبى الغربى من نهر هوانج (النهر الاصفر) ، ويعيش شعب (الخوى) المسلم حول هذا النهر حتى اعالى نهر (هوانج) بين مقاطعات كانسو وهونان وتشنغاى ، ويوجد مسلمون ايضا فى مقاطعة (يونان) فى جنوب الصين وفى منطقة (زتشوان) الى الجنوب .

ولكل قومية من القوميات المسلمة عدد من النواب فى مجالس نواب الشعب فى درجاته المختلفة وذلك بالنسبة لمجموع السكان .. ويحتل المسلمون عددا من المناصب الهامة فى جميع نواحى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وهم على درجة عالية من العلم والثقافة ، وكثير من المسلمين وصلوا الى منصب الرياسة للمناطق المستقلة ذاتيا .

واكبر مقاطعة تضم أكبر عدد من المسلمين هى (سينكيانج) أو تركستان الصينية ، وهى أكبر مقاطعات الصين ، وهى ، تقع بين حدود الصين والاتحاد السوفيتى وجمهورية منغوليا الشعبية وافغانستان والتبت وكشمير ..و٨٠٪ من سكانها مسلمون ، وأغلب مطبوعاتها باللغة التركية (بالحروف العربية) ، وأهلها خليط من الأتراك والمغول والايرانيين ، وقد توطد الاسلام هناك فى القرنين الخامس والسادس عشر .

وقد اصبحت تركستان فى العصر العباسى من أقوى المناطق التى تشع الثقافة الاسلامية ، من مدنها (كاشغر وبلخ) وظهر منها الامام الترمذى ، والنسائى ، والزمخشرى ، والجرجانى ، والخوارزمى ، والفارابى وعلى بن سيناء ، وأبو زيد البلخى ، وأبو ريحان البيرونى .. وهؤلاء وغيرهم كانوا من ائمة العلماء فى العالم قاطبة ، والذين ادخلوا العلوم الحديثة مثل الطب والفلك والجغرافيا والهندسة وغيرها ..

والحقيقة ان أول صلة بين الاسلام وهذه المنطقة تعود الى القرن السابع الميلادى بعد معركة نهاوند التى اكتسح فيها العرب ايران ، وهرب ملكهم (يزدجرد) آخر ملوك الأكاسرة الساسانيين الى تركستان .. وقد استنجد ابنه (فيروز) بملك الصين لحمايته من العرب ، لكنه اعتذر من بعد المشقة ،

والحقيقة انه كان يخشى بطش العرب ، وان يورط بلاده فى معركة معهم .. ورغم ان العلاقة بين العرب والصين كانت متصلة عن طريق التجارة قبل ذلك ، الا ان اول غزو منظم قام به العرب ، كان ايام عثمان بن عفان على منطقة خراسان ، ومنذ هذا التاريخ وهذه المنطقة اساسية للاسلام فى آسيا الوسطى ، واستطاعت الدولة الأموية ان تدعم مكانها ، وان تجتاح جيوش العرب كل منطقة تركستان الشرقية واصبحت (شغر) من اهم المدن الاسلامية منذ ذلك التاريخ وذلك بعد ان استسلمت هذه البلاد تماما فى معارك استمرت ١٢ عاما متصلة ..

وقد شهد القرن العاشر اسلام اكثر من (٢٠٠) الف أسرة اغلبهم من الأتراك بين منطقة طشقند وفاراب .

وكانت مقاطعة .. « كان سوا » تعتبر مركز حربيا لتخريج المقاتلين ، واهم مدنها (لانتشيود) ومعظم سكانها من الاتراك ، وتكتب الحروف باللغة العربية والقرآن يدرس باللغة العربية بحروف عربية ، وللجمعية الاسلامية الصينية فرع ضخم بها لتخريج العلماء .. واغلب السكان يتبعون المذهب السنى وهم خليط من الشافعية والحنفية .

وهذه المنطقة فى الحقيقة هى نافذة الاسلام على الصين الغربية ويمتاز اهلها بمعرفة أصول الفقه واللغة العربية والشريعة الاسلامية وحفظ القرآن .. وهم من اكثر المسلمين فى العالم تدينا .. وشهدت هذه المنطقة حركات دينية مسلمة متعددة ، كان آخرها منذ ٦٠ سنة (حركة اهل السنة) ، وبهذه المنطقة اكثر من ٣٢ مسجدا اكثرها مساجد اثرية تعود الى العصر الأموى والعباسى والتركى . وبها مسجد عبد الرحمن البغدادى وهو من الذين قدموا فى فرقة الانقاذ وقضى نحبه بها .

الاسلام .. والعالم

تحت هذا العنوان كتبت صحيفة الأهرام القاهرية تقول :

هل يمكن أن يفيد العالم اليوم من العالم الاسلامى .. أو أن الاسلام قد ادى رسالته وانتهى .. ؟

أن عدد المسلمين اليوم يربو على ستمائة مليون نسمة ، ولا يدخل ضمن هذا العدد كثير من الأقليات الاسلامية فى المناطق التى لم تخضع الى حصر دقيق حتى اليوم ، أو لم تهتم بعمل حصر دقيق للمسلمين بنوع خاص .

وهذا العدد الضخم من البشر الذى يتحد فى العقيدة وفى الهدف والغاية . ولا يوجد له نظير فى العالم على الاطلاق ، يتميز عن غيره بالتجاور فى المكان ، والتركز فى قلب العالم ، فدول العالم الاسلامى تتجمع فى بقعة مستطيلة — تمتد دون حواجز ، أو فواصل — من اواسط آسيا الى المحيط الاطلسى ، ومن روسيا فى الشمال الى المحيط الهندى ، واما فى افريقيا فيتضخم حجم الكتلة ، فتمتد شمالا الى ما وراء البحر الأبيض المتوسط ، وجنوبا الى ما وراء خط الاستواء .

اثر الوضع الجغرافى فى انتشار الاسلام :

فوضع المسلمين الجغرافى هو الذى مكن لهم — ولا يزال يمكن لهم — من الاتصال بغيرهم من البشر والثقافات المختلفة ، فينقلون عنهم — يسر وسهولة — ماالديهم من مبادىء وقيم ، وينقلون اليهم ما يؤمنون به من عقيدة ودين ، فتلقى آذانا واعية وقلوبا متفتحة ، وهكذا انتشر الاسلام فى الشرق والغرب والشمال والجنوب ، على أيدى الأفراد وبجهد الدعاة .

فالفرد المسلم فى اى بقعة من بقاع الارض يشعر بانه داعية الى الله يعرف الناس بالاسلام وينقل اليهم تعاليمه ، ويبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يشعربانه خليفته فى القيام بالدعوة والبلاغ ، وهذا التعريف والتبليغ — فى نظره — فرض عليه ينبغى أن يؤديه فى كل الاحوال ،

من انباء العالم الاسلامي

اعداد : الاستاذ عبد المعطى بيومى

الكويت : تفضل حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم بافتتاح دور الانعقاد الخامس التكميلى للفصل التشريعى الثانى لمجلس الأمة ثم القى سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء فى الجلسة الافتتاحية خطابا جامعا اوضح فيه سياسة الكويت تجاه القضايا المحلية والعامة .

● صرح معالى وزير الخارجية الشيخ صباح الاحمد الجابر ان الكويت تعمل لتسوية الخلاف فى وجهات النظر بين امارات الخليج .

● أعلن معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية أن الوزارة سترسل بعض الوعاظ مع بعثة الحج هذا العام وقال ان الوزارة فرغت من اعداد مدينة للحجاج المارين بالكويت وستكون معدة اعتبارا من هذا العام .

● ساهمت الكويت بمبلغ عشرة آلاف دولار لمساعدة مؤسسة الأيتام الاسلامية فى تايلاند وقد سبق للكويت مساعدة هذه الجمعية بمبلغ ستين ألف دولار .

●زار سماحة مفتى لبنان البلاد ، واعلن السيد عبد الرحمن المجحم وكيل وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ان زيارة سماحته تهدف الى توطيد سبل التعاون الاسلامى بين البلدين من تبادل العلماء والخبرات الدينية وكل ما يتعلق باى نشاط اعلامى دينى .

● تبرعت الكويت بمبلغ (١٧٥) الف دولار للصندوق الخاص للأمم المتحدة و ١٥٠ الف دولار لبرنامج المساعدة التقنية التابع للمنظمة الدولية .

● يعقد فى الكويت أسبوع التربية الثالث خلال الفترة ما بين ١٩ — ١٢/٢٤ ويهدف الى تنشئة التلاميذ تنشئة دينية واتاحة كل الوسائل لتوعيته توعية كاملة .

● احيا شهر رمضان المبارك بتلاوة القرآن الكريم والوعظ والارشاد عدد من كبار العلماء والقراء الذين استضافتهم وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية .

القاهرة : اقيم فى القاهرة يوم ٥ من الشهر الماضى مؤتمر كبير فى ذكرى الأربعين لوفاة الرئيس جمال عبد الناصر وقد تحدث فى هذا المؤتمر رئيسا ليبيا والسودان ومندوبون عن الكويت والأردن وبعض الدول ..

● تم الاتفاق بين المتحدة وزعيمى مسلمى داهومى وتشاد على ان تبعث القاهرة الى المسلمين فى البلدين مكتبات اسلامية ونسخا من المصاحف والمصاحف المرتلة واسطوانات الوضوء والصلاة .

● عقد فى القاهرة فى الشهر الماضى مؤتمر قمة ثلاثى بين رؤساء المتحدة وليبيا والسودان وقد علم ان اجتماعاتهم تهدف الى وضع اصول للتنسيق الكامل بين البلدان الثلاثة .

● أعد الاتحاد العام لتحفيظ القرآن ثلاثة آلاف جائزة وكأسا باسم الرئيس عبد الناصر لمن يفوز فى مسابقة حفظ القرآن التى تجرى يوم الاسراء والمعراج فى العام القادم .

الأردن : يقوم السيد الباهى الأدغم رئيس اللجنة العربية العليا لمراقبة اتفاقية القاهرة بجولة فى بعض الدول العربية لاطلاعها على الوضع فى الاردن .

● أبدت المتحدة والسعودية ولبنان مساعدتها للأردن فى ازالة الأنقاض الهائلة المتخلفة عن الحرب التى دارت بين الجيش والفدائيين .

● شكل الملك حسين حكومة جديدة في الشهر الماضى برئاسة وصفى التل وقد اعلن رئيس الوزراء انه يعمل على ــ تنفيذ اتفاقية القاهرة وعمان .

لبنان : قام فضيلة الشيخ حسن خالد مفتى الجمهورية اللبنانية بزيارة الكويت فى الشهر الماضى بدعوة من معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية

● أصدر مكتب مؤتمر العالم الاسلامى فى بيروت فى الشهر الماضى عدة محاضرات عن حقوق الشعب الفلسطينى واطماع اسرائيل فى القدس والخطر الناجم عن تدويلها .

الصومال : فى ذكرى ثورة الصومال فى الشهر الماضى اعلن رئيس مجلس الثورة ان الثورة تعمل على تحقيق امانى شعب الصومال .

تونس : اجتمع المكتب التونسى لبناة الجمهورية فى دورته الخامسة لتنظيم جهود الشباب والعمل على تنظيم هذه الجهود بين اقطار المغرب العربى فى مجالات التربية وغيرها .

المغرب : فرضت حكومة المغرب ضريبة خاصة توجه لمساعدة الشعب الفلسطينى .

● قام وفد اقتصادى جزائرى بزيارة المغرب لتوقيع اتفاقية حول اقامة علاقات مباشرة بين الدولتين تشرف على المصاريف فى خزينتى الدولتين .

ايران : ذكرت احصائيات رسمية ان عدد سكان ايران بلغ ٢٨ر٤٠٠ر٠٠٠ نسمة .

باكستان : تلقى السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية من السيد ابو الاعلى المودودى خطابا يؤكد له فيه ان الجماعةالاسلامية فى باكستان تنظر بالتقدير الى فتح وانها جمعت لها بعض التبرعات وعلى استعداد لمواصلة التعاون معها .

طشقند : حث المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى طشقند فى الآونة الأخيرة على الكفاح فى مواجهة الاستعمار والظلم والعمل على حرية الشعوب وتقرير المصير للشعوب المضطهدة .

ماليزيا : اعلن تنكو عبد الرحمن سكرتير عام امانة الدول الاسلامية ان وجود كتلة اسلامية بين الكتلتين الشرقية والغربية من شانه ان يحافظ على السلام العالمى ويضع المسلمين فى مسار التقدم فى العالم .

● اعلن فى كوالا لا مبور ان احدى عشرة دولة اسلامية اشتركت فى المسابقة الدولية لقراءة القرآن التى اقيمت فى ١٧ نوفمبر الماضى .

اندونيسيا : ثبت من فحص دقيق ان المراة التى ادعت انها تحمل جنينا يكلم الناس ويقرأ القرآن انها تخفى مسجلا سجلت عليه آيات من القرآن وكلمات معينة .

● اتخذ المؤتمر الاسلامى الافريقى الآسيوى الذى انعقد فى باندونج اخيرا عدة قرارات هامة تمس التعاون الاسلامى الدولى وانشاء بنك اسلامى ومنظمة دولية اسلامية ورعاية الأقليات الاسلامية فى العالم .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة .

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان .

بغداد : المؤسسة العامة للصحافة والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيذ فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

حضرموت : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) المكلا .

دبى : مكتبة دار الحياة ص. ب ١٨٨٤ .

مسقط : المكتبة الحديثة / يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد احمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص ب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

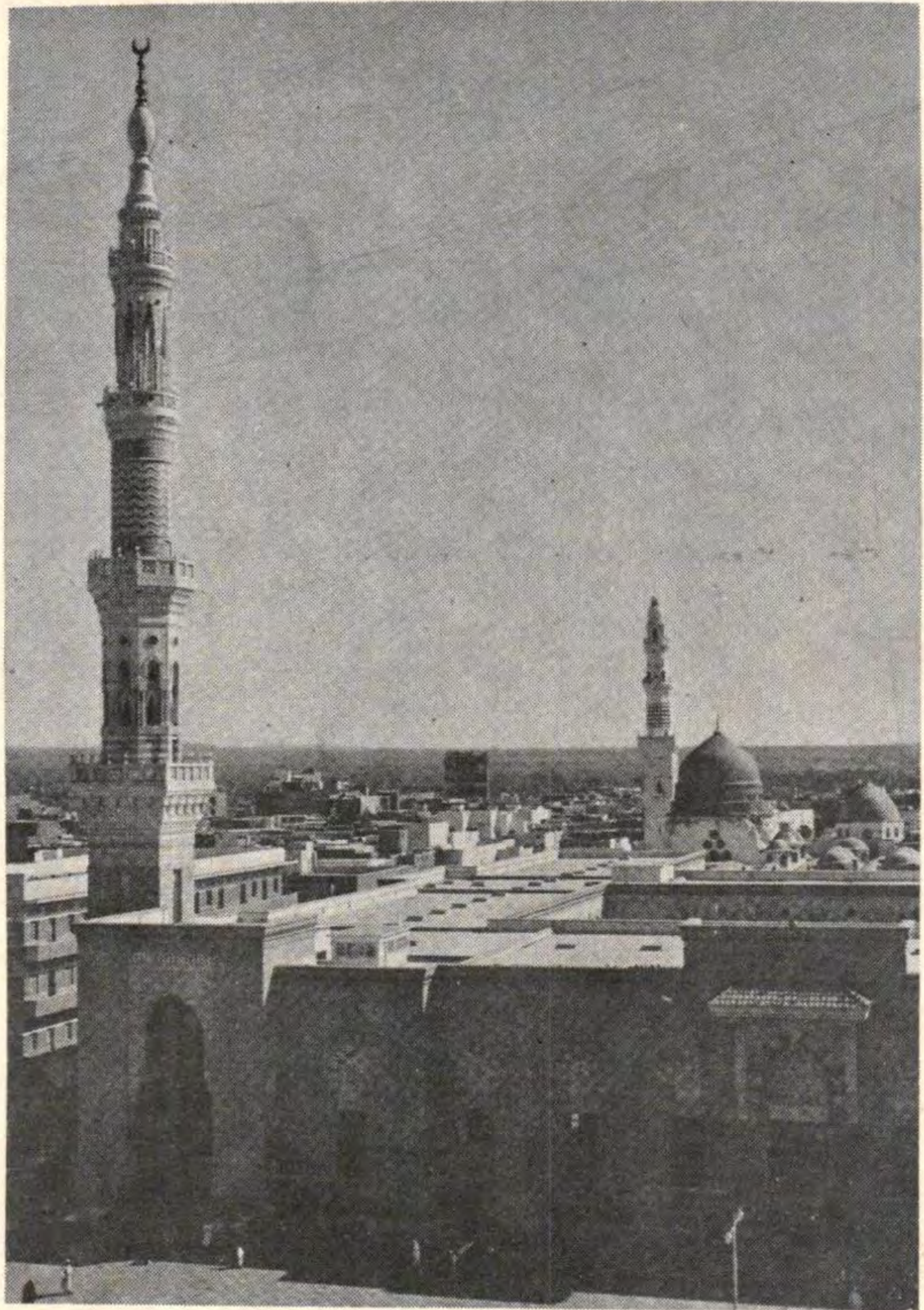
إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة ـ العدد ٧١ ـ ذى القعدة ١٣٩٠ هـ ـ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٠ م

هديتك مع
هذا العدد

رسالة الحج





المسجد النبوى الشريف والقبة الخضراء .



المسجد الحرام اقدم المساجد وأفضلها ، واوسعها ، ويتكون من طابقين ويتسع لـ ٣٠٠ الف ، وتبلغ مساحته (١٦٠١٦٨) مترا مربعا ، في الصورة منظر رائع لأحد مداخله بعد التوسعة الأخيرة وهو تحفة فنية جميلة .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد الحادى والسبعون

ذى القعدة سنة ١٣٩٠ هـ

٢٩ ديسمبر « كانون الأول » ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت

وقل رب زدني علما

تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم فى الساعة الرابعة من بعد ظهر السبت — ١٩٧٠/١٢/٥ بافتتاح الاجتماع الثانى للدورة الرابعة لمجلس اتحاد الجامعات العربية وحفل توزيع شهادات الدرجات العلمية على خريجى الدفعة الاولى من جامعة الكويت .

وقد بدأ الحفل بالسلام الأميرى ، ثم مر موكب أعضاء مجلس الجامعة والأساتذة وبعد ذلك أحد طلبة الجامعة آيات مباركة من كتاب الله . ثم قام وزير التربية صالح عبد الملك الصالح ومدير الجامعة الدكتور عبد الفتاح اسماعيل بدعوة صاحب السمو الأمير المعظم لالقاء النطق السامى التالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات الضيوف الكرام ، حضرات السادة ، ابنائى الطلاب والطالبات .

انه لمن دواعي سرورى ان افتتح اليوم الاجتماع الثانى للدورة الرابعة لمجلس اتحاد الجامعات العربية ، هذا الاتحاد الذى كان انشاؤه فى عام ١٩٦٤ فكرة موفقة ونرجو ان يحقق اهدافه السامية بتوثيق عرى التعاون بين الجامعات العربية الممتدة من الخليج الى المحيط ورفع مستوى العلم الجامعى بما يكفل للشباب العربى بلوغ القدر الامكن من الكفاية والنهوض بالبحوث العلمية والتطبيقية بشتى المجالات . كما يسرنا ان نحتفل اليوم لأول مرة بتوزيع شهادات الدرجات العلمية على خريجى الدفعة الأولى من طلاب وطالبات جامعتنا .

وهكذا شاءت الظروف أن تشاركنا الجامعات الشقيقة فرحتنا بقطف الثمار الأولى لجامعتنا الفتية . كما شاركتنا من قبل منذ حوالى أربعة اعوام فى حفل افتتاح هذه الجامعة التى اردنا لها أن تتوج هامة التعليم فى بلادنا لتكون صرحا شامخا وحصنا للفكر والبحث العلمى .



سمو أمير البـــلاد
يتفضل بافتتاح الاجتماع الثانى للدورة الرابعة لمجلس اتحـــاد الجامعات العربية وحفل توزيع شهادات الدرجات العلمية علـــى خريجى الدفعة الاولى من جامعة الكويت .

ودعامة راسخة للمستقبل نصون بها نهضتنا ونقيها عوامـــل الجمـــود والتخلف .

لقد هيأ لكم وطنكم السبل للتزود من العلم فى اعلى مراتبه لـــكى تحملوا نصيبكم انتم ومن يأتى بعدكم من الخريجين ، من المشاركة فى بناء هذا الوطن على أساس الايمان والاخلاص والوفاء . وبهـــذا يستطيع بلدنا الحبيب أن يجابه تحديات عصر أصبح العلم فيه أمضى الاسلحـــــة ، ويسهم فى جهود امتنا العربية من اجل احياء تراثها المجيـــد ، وتحقيق المزيد من تقدمها وازدهارها .

ويطيب لى فى هذه المناسبة ان اقدم لكم من كل قلبى اخلص التهنئة لتخرجكم متمنيا لكم مستقبلا سعيدا مثمرا ، كما يطيب لى أن أوجه التهنئة الى ابناء الخليج العربى وابناء البلاد الشقيقة والصديقة الـــذين تخرجوا معكم بعد أن نهلوا من نفس نبعكم .

وانه ليسعدنى فى ختام هـــذه الكلمة ان أوجه أطيب التحية والتقدير الى اساتذة جامعتنا وجميع العاملين فيها والى الضيوف الكـــرام الذين شاركونا يومنا هذا .

والله اسأل ان يوفقنا جميعا لما فيه الخير العميم لبـــلادنا وأمتنا العربية والاسلامية والانسانية جمعاء وأن يهىء لنا سبل النصر المؤزر من عنده .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتـــه .

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

الهَدْيُ في الحج

تكثر الاحاديث فى هذه الايام حول الذبائح التى يتقرب بها الحجاج الى الله تعالى فى موسم الحج ، ومن خلال هذه الاحاديث نلمح ظاهرة غريبة تبدو هينة فى نظر المتحدثين ، ولكنها كبيرة عند الله ، فكل واحد منهم يعطى نفسه ببساطة وسهولة حق الفتيا والجراة على شريعة الله ، ولو أن هؤلاء المفتين الجرءاء على دين الله ردوا الامر الذى اختلفوا فيه الى الله ورسوله واولى العلم لما وقعوا فى هذا الحرج ، معرضين انفسهم لغضب الله ومقته ، ورحم الله السلف الصالح الذين كان الفرد منهم يوزن بالدنيا علما وفضلا ، ومع ذلك فقد كان لا يفتى فى أمر من أمور الدين الا عن روية ودراية خوفا من أن يدخل تحت طائلة « أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار » .

أمامى احصائية نشرتها حديثا احدى المجلات الاسلامية ، ونسبتها الى أحد الاطباء البيطريين الذين أشرفوا على المسلخ فى منى خلال موسم الحج الماضى .. تقول الاحصائية أن (٧٤٥٠٠٠) رأس ذبحت فى المسلخ أيام عيد الاضحى ، ولكن التى خرجت من هذه الكمية الضخمة للانتفاع بها هى (٢٠٠٠٠) عشرون الف رأس فقط يعنى أن الباقى من الذبائح وقدره (٧٢٥٠٠٠) رأس دفنت فى التراب ، وذهبت هدرا دون أن ينتفع بها أحد هذا فضلا عن الماشية التى ذبحت خارج المسلخ ، وهذا يعنى على أقل تقدير أن ثلاثة أرباع المليون من الانعام بلحومها وجلودها وأصوافها تذهب كل عام هدرا .

هذه أعداد ضخمة ، وثروة طائلة من غير شك ، وهذه مشكلة قائمة تستلزم التفكير والحل السريع ، ولكن المفتين وأصحاب الحلول يختصرون الطريق ، ويندفعون الى التحلل من أحكام الله ، ويرون الاستعاضة عن الذبح بالنقود وتوزيعها على الفقراء وأصحاب الحاجة ،

ان الأمر لو ترك لأمثال هؤلاء يحللون ويحرمون ، ويتأولون ما لا يفقهون باسم يسر الشريعة وتطورها مع كل زمان ومكان ــ لأدى ذلك على ممر الايام الى التعديل والتغيير فى صور العبادات ، وما أيسر ذلك على أصحاب القلوب المريضة والافكار الشاذة .

وقد تنبه الى خطر هذه الجراة علي دين الله العلماء الراسخون . قال

الشيخ محمود شلتوت : ان الهدى من شعائر الله التى يجب المحافظة عليها ، ولا يصح التهاون فيها واغفالها ، وحسبنا « لا تحلوا شعائر الله » والشعائر هى العلامات الواضحة الظاهرة التى اعتبرها الدين مظهرا من المظاهر العامة ، وهذا لا يتحقق الا بعمل ظاهر يراه الناس فى مناسبات خاصة .

ان للشعائر فى نظر الاسلام مكانة الفروض المقدسة ، وعلى هذا اتفقت كلمة الفقهاء فى ذبائح الحج ، ولم نر لواحد منهم خلافا فى ذلك نزولا على حكم الآية الصريحة الواضحة وهو التقرب الى الله باراقة الدم ، ولله سبحانه أن يتعبد عباده بما يشاء . بما يدركون حكمته ، وبما لا يدركون ، وما كان اختلاف الفرائض فى عدد الركعات والكيفيات وتحديد الاوقات واختلاف مقادير الزكاة والكفارات وسائر ما دخل فى العد أو اعتبرت فيه الكيفية الا نوعا من التعبد الذى يتجلى فيه بوضوح مقتضى العبودية الحقة .

ان النفع المادى ليس هو كل المقصود من الذبح واراقة الدم ، والذين ينظرون الى الهدى من خلال هذه الزاوية يبعدون كثيرا عن فقه التشريع الذى يربط بين الهدى الذى ينحره الحاج وتقوى القلوب ، ان التقوى هى الغاية من مناسك الحج وشعائره وقد كان المسلمون الاولون يغالون فى الهدى ويختارونه سمينا غالى الثمن ، يعلنون بذلك تعظيمهم لشعائر الله ... روى عن عبد الله بن عمر قال : أهدى عمر نجيبا ، فأعطى بها ثلاثمائة دينار ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله انى أهديت نجيبا ، فأعطيت بها ثلاثمائة دينارا ، أفأبيعها واشترى بثمنها بدنا ؟ قال : لا انحرها اياها .

ان الذين يحملون التشريع مسئولية ضياع هذه الثروة غير منصفين ، والذين يتأولون النصوص الصريحة ، ويرون استبدال النقود بالهدى بعيدون عن الصواب ، فكثرة الذبائح فى منى يرجع الى أمرين :

١ ــ عدم الالمام بأحكام الشرع فى الهدى ، فالشريعة لا تفرض على كل حاج ان يذبح وانما أوجبته فى بعض الحالات كالتمتع أو ترك واجب من واجبات الحج ، أو فعل محرم من محرمات الاحرام ، وليس كل الحجاج متمتعا ولا تاركا لواجب ولا فاعلا لمحظور ، كما أن الشريعة لم تفرض على كل من وجب عليه الدم أن يذبح فى منى وفى أيام النحر .

٢ ــ الاهمال والتقصير فى استخدام الطرق العلمية الحديثة فى حفظ اللحوم والانتفاع بها على مدار العام ، فلماذا لا تنشأ هيئة اغاثة اسلامية تقوم بجميع هذه الذبائح وحفظها وتوزيعها على مئات الالوف من المسلمين المشردين المنكوبين فى العالم الاسلامى ... اننا فى عصر تغمر فيه أسواقنا اللحوم المثلجة والمعلبة المستوردة .. ان دين الله يسر ، ولكن فى العقول ضيق وفى الجهود قصور ، ولا يمكن أن نحمل التشريع آثار هذا الضيق ، ولا نتائج هذا القصور .

رضوان السبلى

مدير ادارة الدعوة والارشاد

من هدي السنة

من الكلم الطيب

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية .

عن ابن عباس رضى اللـه عنهما قال :كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال : « يا غـلام انى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل اللـه ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لن ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على ان يضروك بشىء لن يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الاقلام وجفت الصحف » .
حديث حسن صحيح

١ ـ أردف رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا عبد اللـه بن عباس رضى الله عنهما خلفه ، وتحدث اليه طويلا موجها الى الله ، ودافعا الى أساس السعادة ومصدرها ، وحكى ذلك ابن عباس فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ألقى الى قولا حكيما ، ورسم لى خطة شاملة للسير فى الحياة الدنيا ، وبدأ حديثه الشريف بقوله عليه الصلاة والسلام : « يا غلام أو يا غليم : احفظ الله يحفظك » وبدهى لدى ذوى البصائر أن الله مالك كل شىء وخالقه ومدبره ، لا يعزب عن علمه ، ولا يبعد عن قدرته كائن ، لأنه سبحانه المكون ، والبارىء والموجد ، والمبدىء والمعيد ، فمن أراد القوة والسيادة والقيادة الحقة المنتجة للخير ، النافعة للبشرية ، فلينشدها فى رحاب الله ، ومن أحب علم ما لم يعلم ، وفقه ما لا يدرى ، وانفتاح سبل وكوى المعرفة الكلية والجزئية ، فليتجه الى الله وحده ، ومن طلب المال والجاه والبسطة فى الرزق واتساع السلطان فلن يجد أسس ذلك كله الا عند الله ، ومن رام ما يرام من فضائل الوجود ومزاياه المتمثلة فى جمال اتساقه ، وبداعة تنسيقه ، وعمق دلالته على موجده الحق ، فلا مناص له من أن يطرق أبواب رحمة الله ، فكل ما ترى وما لا ترى مما يحس وما لا يحس من كائنات علوية وأرضية مكونة ومقدرة ومرسومة على الواح الطبيعة من ابداع رب كل شىء .

واقتضت حكمة الله وقامت على ذلك البراهين الواقعية والعقلية على أن الأخذ فى الأسباب للوصول الى الأهداف شىء لا بد منه ، ولا مناص

عنه ، ولا محيص من التمسك به ، فمن أراد اجتياز قناة صغيرة لا يتأهب له كما يعد عدته للسفر الطويل على متن الأوقيانوس مثلا ، ومن رغب الوصول الى هدف قريب يقاس بالأمتار ، لا يهيء له القوى التى تلزم للمسافات البعيدة أميالا ، ومن أحب مشاهدة منظر الى جواره على حائط أو بساط الطبيعة لا يحتاج الى منظار يقرب ما نأى عنه وبعد ، فلكل شيء وسيلة مناسبة ، ولكل عمل جهد يوافقه ، والنفوس تتفاوت فى الهمم ، والعقول لا تتساوى فى الادراك ، والقوى لا تتقارب فى الشدة والضعف ، تلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنته تبديلا .

٢ ــ ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقاس به فى توجيهه وقيادته بشر ، وان كان من طينة الأناس فهو المختار ، والمصطفى لمهمة لا نظير لها ولا مشابه ولا مماثل ، مهمة دون الوصول الى غايتها تدق الأعناق ، وتتلاشى القوى ، تلك هى وضعه أسس كمال انسانى فى كل صور ذلك الكمال ، مهمة هى تبليغ تعاليم رب القوى والقدر الى من فضلوا على بعض من خلق ليقودوا كل من خلق ، وأوجدوا لغاية أرادها الله ، ومن أجلها براهم ، مهمة تتمثل ــ ان صح القياس ــ فى قوة أصول كل ما يفكر فيه بشر من خير يرقى بالانسانية ويعلو بها الى مدارج السماء وأسبابها ليتصلوا بالملأ الأعلى ملائكة ويتجافوا عن الارض فلا يلتصقوا بترابها شياطين ، تتعهد الطفل والصبى بحكمته والشاب والشارخ والكهل والشيخ برعايته ، وهدايته باذلا صلى الله عليه وسلم جهدا لا يقوى عليه بشر من البشر الا رسول مشمول برعاية الله وهدايته وتوجيهه وارشاده واعداده الطويل لتلك المهمة الشاقة ، ولكل هذا صبر مع صنوف الناس حتى وصل بهم الى ما أراد الله من معرفة بالدين وفقه للقواعد وادراك للأحكام ، ما ترك شيئا الا دل عليه ، وأخبر عنه ، ووضحه ، وأبرزه لذى عينين ، وفقه ذلك صحابة وتابعون وتابعوهم ، وما كان ذلك مهما كان ليمنع وقوع بعض الشرور التى تغتال الارواح وتعدو على المال ، وتنتهك الأعراض لأن هذا من سنة الله أيضا ، وهو أن يتعاور الخير والشر على هذا الوجود ، والموفق السعيد من لاذ بحمى الله وقوته ، وعزف عما يرديه فى مهاوى الشر والهلاك ، وتمسك بحبل الله ، والقى رحاله فى رحابه ، ولا يجيء ذلك عفوا دون اعمال جهد وارهاق نفس ، وتقويم معوج فلا بد من عمل ولا مناص من ارهاق فى سبيل الهدف ، ولا يمكن أن يصلك أو تصل الى ما تبغى دون جهد جهيد ، وعمل دائب ، وتجاف عن الراحة ، واطراح للذات الأنفس الفانية ، فمن تواكل تآكل ، ومن ضعف عن السير هلك فى صحراء الوجود ، وتاه فى بيدائه ، ومن لم يعمل جهده البدنى والفكرى والعصبى ويلقى بلدوه فى الدلاء يموت ظمأ على حافة بئر ملىء بالماء ، ولكن لا بد من الأسباب يا أبناء الدنيا .

٣ ــ ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) وانقلب الناس على أعقابهم وخاصة فى عصرنا وما سبقه من عصور تتصل بأسواره وتلاصق جدرانه ، وحقت كلمة الله (نسوا

الله فأنساهم أنفسهم) وتوالت المحن وولجت الى الدور الخاصة والعامة ، فلا تجد بيتا مسلما على شرعة اسلامية ولا مجتمعا حمل الاسم الا وقد تخلى عن الأسس ، ولا رجلا أو امرأة الا ما ندر (والنادر لا حكم له) الا شاكيا من لحمة دم ، ووشيجة رحيم ، وطغى الفساد وزاد ، وعم وتراكم ، وجاء دور جنى القطوف ، ولسوء حظنا عاصرنا بعض ألوانه ، اختلاف فى الاقطار ، وتطاحن بالآراء ، ونفاق فى عمل ، وانتهاك لكل حرمة ، ثم تعد على الأرواح ، واستهانة بمقدرات الآخرين ، ونسيان كامل لكل علاج ورفض شامل لرأى نطس الأطباء ، ولوى الجميع أعناقهم بعيدا عن النور ، وأحبوا السير فى الظلام ، وسائر الظلام مرتبك حيران قد يصيب نفسه حين تزل به قدمه فى مغارة ، وحين تحمله ساقاه الى متاهة ، فهو لا يفكر الا فى شحم ولحم حمل ، والا فى غرائزوهوايات بها اتسم ، فلا يعرف بعيدا عن هيكله مستحقا لرحمة أو معونة ، فليمت الجميع ليحيا ، ويفنى الكل ليعيش الفرد ، وساد استعمال انتاج معامل السلاح ومصانعه ، ودر ذلك الثراء على تجار الحديد والنار ، وركب زعيمهم طائرته ليحلق فوق الرمم التى ضاقت بها القبور ، وليسعد ناظريه بلون الدماء يخضب الأرض ، وتأبى الارض اخفاءها ، وليشم رائحة الجثث المحترقة ، والحقول المبادة ، ولم يرعو أمام أطفال لا حول لهم ولا طول ، ولم يحرك عواطف الرحمة فيه بطون حوامل تبقر ، وأعراض تنتهك ، وصار قلبه حجرا من الحجر ، أو حديدا صلدا من نوع لا يلين بالنار ولا يخضع للطرق ، وسار الكل الى الهاوية ، وها هم سائرون ولات حين مناص .

٤ — وجملة واحدة من توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (احفظ الله يحفظك) تلوى عنان الشر وتقضى على الظلام ، وتعلى راية الحق ، ولكن كيف ؟! هذا لا يكون الا بالتربية من الأساس ، والتنبه لمآسى الانحراف ، والضرب بشدة على أيدى قادة الحروب الذين يعيشون للعمل ضد الانسانية ، وما وسيلته الا تنشئة جيل وتربية أطفال وتبديل أنواع الألبان التى يتكون منها العظم حين يبدأ فى الاشتداد ، والاعصاب حين تحاول احتلال مكانها فى الميدان ، ووضع مرائى جديدة أمام الاعين الناشئة ، وملاحقة ذلك باخلاص ونور ، بأخلاص الأنبياء ونور الله وهدايته ، ليتكون جيل على نفس المبادىء النابعة من (أحفظ الله) لتحقق النتيجة الحتمية (يحفظك) وانى ذلك وكيف يتدارك ؟ انه ممكن وليس محالا ، فما فى الدنيا محال ما دامت للرجال عزائم ، وللنساء قلوب ، ولدى الجميع تراحم، وأمامهم قيادة ، والكل ممكن تحققه حين نؤمن بأننا جديرون بحياة كريمة وحقيقون بسلام اسلامى ، ومحتاجون لراحة أبدان وعقول فالمدى طويل والبون شاسع ، والمتاهة مخيفة والغد غيب ومفتاحه مع اليوم ، فمن لا يوم له لا غد يدرك ولا مستقبل يبنى .

٥ — واقول وأكرر وأعيد ولن آتى بجديد فكم من قائل للخير ومنبه عليه، وداع الى سلوكه ، ولكن ما هى النتيجة !! تكمن النتيجة فى تحمل الآلام التى تتسلق الى قمة الداعى ، وتتمكن منه ، فنحقق قول سيد البشر (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ، فقد خبا يا قوم ضوء الهداة ، وتضاءل نفوذهم ، وظهر عليهم ضعفاء الفكر

المنقادون لتوجيه الدرهم والدينار ، والسائرون مع المعـدات والفتحات والأنابيب،وعرف العادى على الأخلاق كيف يصل ، فاختار ذات الابتسامـة الفاتكة ، والقد الأهيف ، واستسلم مقابلـوه للترهـات ، ولاذوا بحمى ابليس اخترعوه ، بـل كـان ميتا فأحيوه ، فالنجاء النجاة ، وان شئت فاللطيمـة اللطيمـة ، والصحـو الصحـو .

وها هو الخط المرسوم والصـور الهادية ، والكلمة الهادفـة (احفظ الله يحفظك) ، وكفى ذلـك توجيها لمن اراد هداية .

واخيرا ــ هل نستطيع أن نجـد من نقرأ عنه بديلا عن أن نقرأ له ، ومن نلوذ بظله من حر أنفاسه ، ومن تدمع العين معـه حين يلين القلب عوضا عن تمثيل العين ، ومن يضع نفسه موضع خصمه دون لجاجـة ، ومن يتصور الواقف أمام عرشـه جالسا عليه ، ومن يدرك سائـل العطاء مالك المال ، ومن يتأكـد من وجوده لخير غيره لا للقضاء عليه ، ومن لا ينسى أن المقام قصير مهما طال فما دام الفناء ملاحقا فلا خلود ، ومن يتأمل الأمثال فى الطبيعـة فيعـلم يقينا أن الوردة الناضرة ستذبل وتلقى على الارض وتداس ، بعد عز البقاء فى روض وجمال وتنسيق بأرق أنامل، ولثم ثغور تعز أن تضاهى ، وأن هذا البناء الجميل سيصبح أثرا بعد عين ، وأن أنهارا غاض ماؤها ، وأن قفرا صار عامرا ، وأن أمما بادت ومضى بها الزمان لا الى عـودة ، لعل وعسى وما ذلك على الله بعزيز ولكن واحسرتاه (وكأى من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) .

اخى فى الله : ليس هذا وعظـا تمر به عينك دون لقاء مع قلبك وانما هى ثقة مصدور ، تبين حقائق غيـر خافية ، وتكشف ما انكشف من أوادم فى ثياب سباع ، وانس ينطوون على وحوش ، وهل يا ترى أعاد الزمان نفسه فيستطيع الحـديث أن يردد مقالة القديم :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذعوى
وصوت انسان فكـدت أطير

والعلة ــ نسيان : احفظ الله يحفظك فهل من مدكر ؟!



الضمير

للدكتور : أحمد الحوفي

أية قوة هذه التى تراقب فى دقة ، وتحاسب فى شدة ، وتضفى على مطيعها لباسا من الأمن والرضا والراحة ، وتعاقب عاصيها بوخزات من القلق والأسى والندم والحسرة ، وتحصى على الانسان ما يعمل سرا أو جهرا ، ولقد يحاول أن يخدعها بتسويغ يصطنعه ، أو تعليل يخترعه ولكنها حصيفة لا يخدعها تسويغ ولا تعليل ، ولا محاولة للفرار ؟

انها الضمير . فما هو الضمير ؟

(١)

اننا نخطىء اذا حاولنا أن ندرك حقيقته ، فانه قوة نفسية لا ترى ولا تسمع و لاتلمس ولا تشم ولا تذاق .

وأنى للحواس المحدودة أن تدرك ما يستخفى على الحس ، ويستعصى على الادراك ؟

ولماذا نتطلع الى ادراك خفايا النفس ونحن نجهل كثيرا جدا مما عداها ؟ فهل رأينا ما بالذرة من كهارب والكترونات ، ونحن لا نعرفها الا بآثارها التى كشفت عنها الأجهزة العلمية التى فجرتها ؟

وهل ابصرنا النتح والتمثيل الكلوروفلى بالشجرة الخضراء التى نستظل بها ، ونعجب بمرآها ، ونطعم من ثمرها ، ونحن لا نعلم هذا الا بأجهزة ومخابر ؟

وهل نسمع أو نبصر ما يزخر به الفضاء المحيط بنا من أصوات وأنغام وأحاديث وصور الا اذا ضغطنا على زر المذياع أو التلفزيون ؟

وهل ننظر بأعيننا ، أو نسمع بآذاننا ، أو نلمس بأصابعنا ، أو نشم بأنوفنا ، استحالة الطعام الذى نأكله أو الشراب الذى نشربه الى دم يجرى فى الشرايين والأوردة قوة وحياة ؟

وماذا نعلم عن الكهرباء الا أنها قوة تسرى فى أسلاك تبدو آثارها اذا ما أدرنا زرا من الأزرار المعدة على نظام خاص ؟

فلا علينا أن نجهل حقيقة الضمير كما نجهل كثيرا من حقائق الكون ، ولا علينا أن نؤمن بالضمير من آثاره التى نحس ، كما نؤمن بمستواه مما يتبدى لها من مظاهر وآثار ، ولقد صدق الله تعالى فى قوله : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

(٢)

لكن الضمائر تتفاوت قوة وضعفا، وتتباين يقظة وغفلة ، وتتغاير نشاطا وخمولا ، وتختلف رهافة وغلاظة .

ففى الناس من منح ضميرا دائم اليقظة والنشاط والرهافة ، كأنه حارس البيت الحريص لا يفتأ يعس حوله طوال الليل ، يتسمع كل نأمة ، ويتحسس كل حركة ، أو كأنه شرطى المرور يراقب مسير السيارات ليصرفها باشاراته الحمراء والخضراء لتتوقف أو تمضى .

وفى الناس من يصحو ضميره حينا ، ويغفو حينا ، وينشط تارة ، ويكسل تارة ، ويسيطر مرة ، وينقمع مرة ، كشمس الشتاء تسفر ساعة ، وتحتجب خلف السحاب ساعة .

وفيهم من يصاب ضميره بالخدر والخور ، فيسترخى ويطول به الاسترخاء ، ويهجع ويمتد به الهجوع وقد ينام ويستطيل به زمن المنام .

وبين هذه الحالات درجات وطبقات ومنازل مختلفات .

على أن الضمير اليقظ ربما يغفو ، والضمير المترجح بين اليقظة والغفوة قد يصحو ، والضمير الهاجع قد ينشط ، لأن بصيص نوره قد يوقظ صاحبه ، أو يحاول أن يوقظه ، ولقد يهزه هزة عنيفة لا تمكنه من رقاد .

أكتب هذا وأنا على شاطىء البحر وقد رأيته يوما يمور ويفور ، وتتلاحق كتل أمواجه كفيالق الجنود فى الميدان وأبصرته يوما آخر يتوسط بين الهدوء والهياج ، ونظرته يوما ثالثا ساجيا كبساط أو دارة فى الصحراء .

وأحسب أن الضمائر على هذا الغرار .

فالضمير الحى متحرك دائم الحركة ، يقظ متلاحق اليقظة ، لا تعتريه فترة ولا هدأة ، كالبحر المائج والضمير المترجح بين اليقظة والغفلة كالبحر يهيج يوما ويسكن آخر . والضمير النائم هو البحر الذى سجا وسكن وركد .

والضمائر فى تنقلها من حال الى حال كالبحر يصخب يوما ويهدأ يوما ثم يتوسط بين هذا وذاك .

وكما أن البحر الساجى قد يسرى فى أعماقه تيار لا يرى ، فكذلك الضمير النائم قلما يموت ، وقلما يطغى عليه الرقاد .

(٣)

ومن نعم الله على عباده أنه كرمهم بالعقل وبالنطق وبالشرائع التى بعث بها الرسل ، وكرمهم أيضا بهذه القوة السامية التى تميزهم من الحيوان وهى « الضمير » .

فهل نعدو الصواب اذا تخيلنا الضمير الحى شعاعا إلهيا ينير الطريق الى الحق والى الخير ، أو صوتا ربانيا يحذر من الشر ومن الباطل ؟

ان الضمير مظهر من مظاهر تقوى الله ، لأنه يخضع النفس للطاعة وان اطمأنت الى النجاة من تبعة الجريمة والعصيان .

هـذا الضمير الحى هو ضمير الاتقياء الانقياء الذين وصفهم الله تعالى فى قوله : « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » . (المؤمنون) .

وهم أصحاب عزائم قوية تقمع وساوس الشيطان ، وتردهم الى الطاعة والى الحق والخير ، قال تعالى : (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ، فاذا هم مبصرون » .

لهذا يتحامون الشبهات عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع فى الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه . الا وان لكل ملك حمى ، الا وان حمى الله فى أرضه محارمه ، الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهى القلب » .

وهو ــ فى حالة أخرى ــ النفس اللوامة التى كرمها الله تعالى بالقسم بها ، فقال : « لا أقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة ، أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوى بنانه » . (سورة القيامة)

وهذه النفس اللوامة هى بعض صفات المتقين فى قوله تعالى : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ، والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين » . (آل عمران) .

وهم سرعان ما يرجعون الى الله بالتوبة نادمين فيتوب عليهم : « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ، فأولئك يتوب الله عليهم ، وكان الله عليما حكيما . وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال : انى تبت الآن ، ولا الذين يموتون وهم كفار ، أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما » .

أما الضمير النائم فهو ضمير المعاندين المكابرين الذين يعلمون الحق وينكرونه ، ويعرفون الخير ويجتنبونه ، ويسيرون وراء أهوائهم كل مسير .

وهؤلاء ينطبق عليهم قول الله تعالى : « فى قلوبهم مرض ، فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون » .

وقوله سبحانه : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ، فهى كالحجارة أو أشد قسوة ، وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وان منها لما يهبط من خشية الله ، وما الله بغافل عما تعلمون » .

وقوله تعالى : « ومن الناس من

يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما فى قلبه ، وهو الد الخصام . واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد . واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم ، فحسبه جهنم ، ولبئس المهاد » .

هذا الضمير كالطفل أو كالفسيلة ، يحتاج الى تربية وتغذية وتنمية ، كما يحتاج الجسم ، وكما يفتقر الشجر .

فالدين يربيه ، والقدوة الصالحة تغذيه ، والبيئة الخيرة تنميه ، والسلوك القويم يدربه ويهديه ، على حين أن ضعف التدين ، أو فساد القدوة أو نغل البيئة أو انحراف السلوك يضل الضمير ويصمه ويعميه .

فلا عجب أن كانت الضمائر الحية أوفر كثرة ، واحد يقظة ، واقوى أثرا ، فى المتدينين ، وفى الذين يحيون فى مجتمعات خيرة ، وفى الذين يجدون الأسوة الفضلى والقدوة المثلى منذ سن مبكرة .

لهذا أوصى الاسلام بمخالطة الأخيار ، وحذر من معاشرة الاشرار ، فقال صلى الله عليه وسلم : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد ، لا يعدمك من صاحب المسك اما أن تشتريه أو تجد ريحه ، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة » .

وقال : « ما استخلف خليفة الا له بطانتان : بطانة تأمره بالخير ، وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر ، وتحضه عليه ، والمعصوم من عصم الله » .

ورغب الاسلام فى القدوة الصالحة ، فجعل ثوابها مضاعفا يعدلها ويعدل ثواب من عملوا بها ، وخوف من القدوة الطالحة فجعل عقابها معادلا لها ولذنوب من عملوا بها ، قال عليه الصلاة والسلام : « من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » .

وحض على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، قال تعالى : « كنتم خير أمة اخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » .

وهكذا يحرص الاسلام على تربية الضمائر بشتى الوسائل ، لأنها لو صلحت صلح الفرد والامة ، ولو فسدت فسد الفرد والأمة ، فهى كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهى القلب » .

بعد هذا العرض للضمير ، وانواعه ، وحالاته ، ووسائل تنميته وعناية الاسلام بتربيته .

ننظر الى بعض آثار الضمير فى الفرد وفى الامة ، لندرك مدى قيمته وخطورته وآثار يقظته وانتصاره .

١ ــ هنالك شخص يعلم من أسرار أمته الحربية ما يكفل لها النصر الحاسم أن حاربت ، وقد حاول أعداء وطنه أن يغروه بالذهب الوفر ليطلعهم على ما يعلم ، ولو انه كشف لهم عما ارادوا لم يعلم به احد . فهل استجاب لهم ؟

ولماذا لا يستجيب والذهب يجاذبه ويخادعه ؟

لماذا يرفض وهو بمنجاة من ذل الفضيحة وشقاء العقوبة ؟

واى بأس فى أن يسعد هو ويشقى غيره ؟

لكن ضميره صاح به : اياك وما

يغريك به أعداؤك وأعداء وطنك ، فان ذهبهم ثمن لذل يحيق بـــك وباخوتك ، ومكافأة على جريمـــة لا يغفرها لك الدين ولا القانـــون ولا الخلق الكريم ، وستجد هذا الذهب جمرات تكوى جبهتك وجنبيك وظهرك وقلبك ، ولن تنعم بشيء وأنت شقى ووطنك تعيس .

فلتعش عفيف (اليد) نزيه (النفس) طاهر (الضمير) سعيدا بأن وطنك فى عزة ، وبأن مواطنيك أعزة .

فلم يتردد فى أن آثر الشرف على الخسة ، فقال لضميره : لبيك لبيك ، ورد الأعداء فى خزى بما عرضوا .

ثم انتصر وطنه ، وســـعد بنوه بانتصارهم ، وشعر هو فى أعماق نفسه بسعادة مضاعفة لا تعدلهـــا قناطير من ذهب ولا من نشب .

وبهذا سلم من جناية الخيانة ووبال المال المحرم ، وعمل بقوله صلى الله عليه وسلم : « أد الأمانة الى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك » وقوله : « أيما رجل أصاب مالا من غير حله وانفق منه لم يبارك له فيه ، وان تصدق لم يقبل منه ، وما بقى فزاده الى النار ، أن الخبيث لا يكفر الخبيث ولكن الطيب يكفر الطيب » .

٢ ـــ وهنا قاض يفصل فى قضية كبيرة الحق فيها مع ضعيف ، والباطل مع قوى ثرى ، فيحاول القـــوى أن يستميل القاضى الى جانبه ، فيغريه بسيارة انيقة يقدمها له بطريقة ملتوية مستورة . فاذا بالقاضى النزيه ينفر من هذا العرض الموبوء ، ويقـــول لنفسه : وأين سلطـــان العدالـــة الذى اقسمت أن أرعاه ؟ ومن أين لى أن أتهرب من رقابة الله وشديد عذابه يوم يحاسب كل امرىء على ما فعل فى دنيـــاه ؟

وكيف يسوغ لى أن امتلـــك ما لا بوسيلة محرمة تحريما لا يخفف من شدته وشناعته دين ولا عـــرف ولا قانون ؟

ومن للضعفاء اذا سطا عـــلى حقوقهم الاقوياء ؟

وماذا يكون شعور الناس أن فقد العدل سلطانه على الناس ؟

ألا تتقلص قيمة العدالة ؟ وتتضاءل رهبة القانون ، وتتخـــاذل أقدار القضاة ، ثم تشيع الفوضى والظلم والفساد ؟

لخير لى أن أمشى على قدمى وأنا حى الضمير ، نقى النفس ، طيب الأحدوثة من أن أركب سيارة أنيقـــة والاوزار تركبنى ، وأثقال اللوم والندم تبهظنى ، ومخاوفى من عقاب اللـــه تلحق بى وتسبقنى .

لقد قرأت ووعيت قوله تعالى : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، ان اللـــه نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعـــا بصيرا » .

وقوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفســـكم أو الوالدين والاقربين ، ان يكن غنيا أو فقيـــرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا ، وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا » .

وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقـــوى ، واتقوا الله أن الله خبير بما تعملون » .

وقرأت وفهمت قوله صلى الله عليه وسلم : « من أعان ظالمـــا ليدحض بباطله حقا فقد برئت منه ذمـــة الله وذمة رسوله » .

وقوله : « من ابتلى بالقضـــاء بين المسلمين فليعدل بينهم فى لحظـــه واشارته ومقعده ومجلسه » .

وعرفت من عدالة النبى أن امرأة من

مخزوم سرقت ، فأحزن قريشا شأنها ، فقالوا : ومن يكلم فيها رسول الله ؟ ومن يجترىء عليه الا أسامة بن زيد حبيبــه ؟

فلما كلمه أسامة قال رسول الله : اتشفع فى حد من حدود الله ؟

ثم قام فخطب ، وجاء فى خطبته قوله : « انما أهلك الذين قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

فليرفع العدل علمه خفاقا ، وليزدد ضميرى الحى قوة واشراقا ، وليذهب الثرى برشوته الى أمثاله من موتى الضمائر ، وساء المصير ، وليعتقل لسانى بالشلل ان نطق بحكـــم يأباه ضميرى الذى اكرمنى به اللـــــه تعالى .

٣ ــ وهذا أستاذ بالجامعة معروف بوثاقة الحزم ، وقوة العزم ، وسداد القصد ، وسلامة التقدير .

رسب فى علم يدرسه شاب وحيد لوالد موسع متطلع فى لهفـــة الى أن يحمل وحيده شهادة ، وتكـــــرر رسوبه ، فظن الوالد أنه قدير على رشوة الاستاذ ، فعرض عليه فى خفاء قدرا من المال يزيد على ما يتقاضاه فى عام .

لكن الاستاذ فكر وقدر ، فقالت له نفسه : انك تقضى فى مصير الشباب ــ وهم فتيان اليوم ورجال الغد ــ بسلطان من نفسك ، وبرهان مـــن علمك ، ونور من ضميرك ، فكيف تمنح نجاحا من يصر على رسوب ؟

وأنى لك أن تتيح الصحـــــة من يؤثر المرض ؟

وهل لك أن تصف بالعلم من يؤثر الجهل ؟

ومتى تساوى الغبى والذكى ، والمهمل والجاد ، والخامل والعامل ؟

ولو أنك فعلت ذلك ، وفعل غيرك مثل ذلك ، فماذا يصير حال الامة فى مستقبلها القريب والبعيد ؟

وأية خيبة تصيب الشباب التواق الى المعرفة ، وتصيب الاسر الحريصة على أن ينجح بنوها بالحق والعدل ؟

وماذا تصنع بمال كل قرش منه يسمك بالضلال ، ويصمك بالخزى ، ويكويك بالألم ؟

ولئن احتملت هذا ــ ولن تحتمله فبم تدافع عن نفسك أمام الله يوم لا ينفع مال ولا بنون ؟

انك اذن قاض ظالم زينت لـــه الرشوة أن يعصى ربـــه ، ويخالف ضميره ، ويميل مع الهوى ، فليتبوأ مقعده من النار .

فقال الاستاذ لنفسه : سمعا لك سمعا ، وسمعا لضميرى سمعا ، وسحقا للمال ، وبعدا للضـــــلال ، وليرسب الشاب أو ينجح جزاء وفاقا لما اجاب ، ولتقطع يمينى لو وقعت على ورقته بنجاح وهو لا يســـتحق النجاح .

٤ ــ وثمة رجل أغراه الشيطان بامرأة ، وتكرر الاغراء ، ثم كـــانت خلوة دبرتها المصادفة ، فهم بها وهمت به ، لكنه سمع هتافا عاليا من ضميره أتقترف اثما حرمه الله لتحظى بلـــذة عاجلـــة تصطلى بعدها بنار الآجلة ؟

اتقوم على ما تأباه لامك وابنتك وأختك وزوجتك ؟

أتعتـــدى على عرض ترتبط به سمعة أسرة وشرف رجال ونساء ؟

أتلوث نسلا بدخيل لا هو ينتسب اليك قانونا وشريعة ، ولا هو ممن سينسب اليه حقيقـــة وطبيعة ؟

وبم تسوغ فعلتك أمام ضميرك اذا أفاق من غفوته ، وجعل يقطعك مزقا وأشلاء ؟ .

وماذا تقول لربك حينما تعرض

عليك صحيفتك السوداء لتقرأها ، وقد أحصت صغائرك وكبائرك ؟

أليس في الحلال الذي شرعه الله غنية عن الفحشاء التي حرم الله ؟

ألم تسمع قوله تعالى : « ولا تقربوا الزنا ، انه كان فاحشة ، وساء سبيلا » وقوله سبحانه : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله أن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » ألم تسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم في وصف السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل الا ظله « ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : انى أخاف الله » ؟

فلتبرأ من نزغة الشر ، ولتنصرف عن نزعة المنكر ، ولتفر من هذه الهوة ولتطب نفسا بأنك أصخت لضميرك ، واهتديت بهداه ، فسرعان ما نجا الرجل ، وطابت له النجاة .

٥ — وذلك صانع ماهر حرفته اصلاح السيارات ، سول له الشيطان يوما أن يضاعف كسبه بالتمويه والغش ، فيضع قطعا بالية يزعم أنها جديدة ، ويصلح الظاهر ويدع الباطن ، ليتقاض أجر الذى أصلح الفاسد ، وبدل التالف .

ولكن ضميره استيقظ ، فأنبأه بما يلحقه عمله من أذى بالذين ائتمنوه ، فقد تحترق السيارة بمن فيها ، وقد تنحرف الى هاوية فتقلب ، وربما تتأبى على التوقف فتصدم شخصا أو عدة أشخاص ، والمسئول الحقيقى هو الذى زعم أنه أصلحها وهو لم يصلح ، فكيف ينجو من عذاب الضمير ؟ وأين يهرب من أشباح جريمة تلاحقه ؟

ومن الذى يضمن له أنه لا يحيق به شر أنكى من الذى أوقعه بسواه ؟

وكيف يبتذل سمعته بالامانة ، وشهرته بالدقة ، واقتران اسمه بالاتقان ؟

وأى عذر له وقد سمع وفهم قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، الا أن تكون تجارة من تراض منكم » .

وقوله سبحانه : « أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين ، وزنوا بالقسطاس المستقيم » .

وقوله تعالى: «ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، الا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين » .

وأى فرق بين غش في صناعة ، وتطفيف الكيل والميزان ؟

ولقد سمع وفهم قوله صلى الله عليه وسلم : « من غشنا فليس منا » وقوله : « من انتهب فليس منا » .

وقوله : « ان أطيب الكسب كسب التجار الذين اذا حدثوا لم يكذبوا ، واذا ائتمنوا لم يخونوا ، واذا وعدوا لم يخلفوا واذا اشتروا لم يذموا ، واذا باعوا لم يطروا ، واذا كان عليهم لم يمطلوا ، واذا كان لهم لم يعسروا » .

فلم يلبث أن أصلح التالف ، واتقن الاصلاح ، وقنع راضيا بالأجر الحلال على ما عمل وما أصلح .

٦ — أما بعد فهذا هو الضمير ، وهذه لمحة الى آثاره .

وهكذا تتكرر الأمثال فتتسع للناس جميعا ، ذكورا وأناثا ، رجالا ونساء ، فتيانا وفتيات ، وتسع أحوالهم جميعا في وظائفهم وفي أعمالهم ، وفي معاملهم وفي مصانعهم ، وفي حقولهم وفي متاجرهم وفي مدارسهم وفي جامعاتهم وفي صلة كل منهم بنفسه وبأخيه وبالمجتمع الذى يعيش فيه .

الأحاديث الضعيفة والقويّة

للأستاذ : محمد ناصر الدين الألباني

لا يخفى على أهل العلم أن من الواجب اليوم على كل من يريد أن يستقل فى الفهم عن الله ورسوله ، ان يكون على علم بقسم كبير من العلوم التى تساعده على ذلك ، مثل أصول التفسير ، والفقه ، ومصطلح الحديث وما يتفرع منه من المعرفة بما صح من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لم يصح ، وأن يكون على جانب كبير من الثقافة والمعرفة باللغة العربية وآدابها .

بيد أن الواقع يشهد أن من النادر جدا ، أن يكون الفرد متمكنا فى كل علم من هذه العلوم وغيرها ، متقنا اياها ، كما لو كان متخصصا فى علم واحد منها ، ولذلك فان من البدهى أن نرى أهل العلم والعقل يتخصصون فى علم واحد أو اثنين ، مع المشاركة طبعا فى العلوم الأخرى الضرورية منها ، فكان فيهم المفسر والمحدث ، والفقيه والمؤرخ ، واللغوى والأديب وغيرهم ، مما هو معروف .

ومن المشاهد حقا أن مثل هذا التعاون قائم الى حد كبير بين المتخصصين واذا كان الأمر كذلك ، فمن الواجب حينئذ أن يستعين كل متخصص بعلم ما ، بعلوم غيره من ذوى التخصصات الأخرى حينما يكون هناك ارتباط وثيق بين علمه وعلومهم ، وذلك ليكون على ثقة فيما يذهب اليه من فهم أو يصدره من حكم .

فى العلوم الشرعية ، فالمفسر مثلا يستعين بالمحدث واللغوى ، وهذا يستعين بالمفسر والمحدث ، وهذا يستعين باللغوى والفقيه ، وهذا يستعين بأولئك وغيرهم وهكذا ، فكل قد أخذ حظه من الأجر والفضل باستعانة غيره به ، والاستفادة من علمه وتخصصه .

غير أن أهل العلم بالحديث والتخصص منهم بالجرح والتعديل والمعرفة بصحيح الحديث وسقيمه ، من القدامى منهم والمحدثين ، كانوا أقل العلماء حظا فى الاستعانة بهم والاستفادة من علمهم ، لا سيما فى القرون المتأخرة كهذا الذى نحن فيه وما قبله من القرون الثلاثة بصورة خاصة ، فقد انصرف العلماء فضلا عن غيرهم عن العناية بهذا العلم وتدريسه دراسة تليق بجلاله وعظمته ، حتى فى المدارس الشرعية ، بل ان بعض المدارس التى كانت مخصصة لتدريس الحديث فيها فيما قبل ذلك من القرون صارت اليوم خرابا يبابا ، وبعضها تدرس فيها العلوم الشرعية ، وأما الحديث فدراسته رمزية ! ليس فى أساتذتها متخصص فى علم الحديث كدار الحديث بدمشق وغيرها ! .

ومن المعلوم أن علم الحديث النبوى هو أوسع العلوم الشرعية قاطبة وأغزرها فائدة ، وأكثرها اتصالا وارتباطا بالعلوم الأخرى ، فما من مفسر أو فقيه أو مؤرخ أو لغوى الا وهو بحاجة اليه ، والى الاستعانة بالمتخصص فيه ، والاعتماد عليه . ومع ذلك فالواقع أن القليل من المتخصصين فى العلوم الأخرى من استفاد من علمهم وتحقيقهم ، فكان من آثار ذلك انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة والتى لا أصل لها بين المسلمين الخاصة منهم والعامة لا أستثنى منهم خطيبا ولا مدرسا ، ولا واعظا ولا مرشدا ، ولا كاتبا ولا محاضرا ، الا من شاء الله وقليل ماهم . ذلك لأن ثقافتهم مستقاة من كتب — هى على اختلاف بحوثها ومواضيعها — جلها مشحونة بمثل تلك الأحاديث ، لم يلتزم من ألفها هذا النهج العلمى من الاستعانة بأهل التخصص والمعرفة بها .

فكم من عارف بعلم الكلام — ولا أقول علم التوحيد — أودع فى كتابه من الأحاديث هى عند أهل العلم موضوعة مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تستحق أن تذكر فى كتب الوعظ والتصوف والرقائق ، بله كتب العقائد والتوحيد والحقائق مثل حديث : (ان الله لما خلق العقل قال له : أقبل ، فأقبل ، ثم قال له أدبر ، فأدبر ، فقال : وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أشرف منك ، فبك آخذ ، وبك أعطى) (١) .

وكم من ماهر فى علم أصول الفقه أقام أصلا ، أو قعد قاعدة على أساس حديث منكر أو موضوع عند المحققين كحديث معاذ : (بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فان لم تجد ؟ قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فان لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيى ..) الحديث (٢) و (اختلاف أمتى رحمة) (٣) .

بل وكم من محدث مكثر حافظ ، يحتج بأحاديث فى الأحكام وغيرها من

---

(١) انظر المقاصد الحسنة (رقم ٢٣٣) و (كشف الخفا) (رقم ٧٢٣) .

(٢) تكلمت عليه فى (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة) ولما ينشر بعد ومحله منها قبيل المائة التاسعة .

(٣) انظر فى السلسلة المذكورة برقم (٥٧) .

أبواب الشريعة هى ـــ عند ذوى التخصـــص منهم بالجرح والتعديـــل والمعرفة بصحيح الحديث وسقيمه ـــ أما ضعيفه أو موضوعه ، فالأحاديث التى يصححها الحاكم وغيره من المتساهلين . (!)

وكم من مفسر بارع تأول آية ، أو ذكر سبب نزولها أو ساق قصة متعلقة بها ، أو لمناسبة ما ، اعتمادا على حديث لم يتثبت من صـــحته ، هو عند أهله العارفين به ضعيف وموضوع ، مثل حديث قصة الملـــكين هاروت وماروت ، وارتكابهما عدة فواحش !(٤) ، وحديث قصة الغرانيق وأن الشيطان تكلم على لسان النبى صلى الله عليه وسلم بآية مدح بها آلهة المشركين : (تلك الغرانيق العلى . وان شفاعتهن لترتجى) ! ولنا فى بيان ضعفه وبطلانه رسالة بعنوان : (نصب المجانيق ، لنسف قصة الغرانيق) وهى معروفة(٥) .

وكم من فقيه جامع أوجب على الناس ما ليس بواجب . أو أســـقط عنهم ما هو واجب ، أو حرم عليهم ، ما ليس بحرام ، وأحل لهم ما ليس بحلال أو أبطل عليهم عبادة صحيحة ، أو صحح لهم عبادة باطلة ، أو سفك دما محرما ، وحرم دما مهدورا ، أو شرع لهم عبادة ليست مشروعة . كل ذلك لم يكن منهم عن هوى أو غرض ، حاشـــاهم ، وانما كان اعتمادا منهم على أحاديث توهموها ثابتة ، وليست كذلك ، ولو أنهم رجعوا الى أهل التخصص والمعرفة بالحديث لعلموا أنها ضعيفة أو موضوعة ، لا يجوز تشريع شىء ما بهـــا ، ولـــو فى حـــدود الندب والاستحباب ، فكيف فى التحريم والتحليل ، والابطال والايجاب ؟ ! والأمثلة على ماذكرت كثيرة جدا تبلغ المئات بل الألوف .

وأما الصوفية وأمثالهم ممن ألف فى علوم الدين ، والأخـــلاق ، والآداب والمواعظ ، فحدث عن أحاديثهم ، وما وقع فيها من الأباطيل ولا حرج وحسبك أن تطلع على كتاب (المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار فى تخريج ما فى الإحياء من الأخبار) للحـــافظ زين الدين العراقى ، انك ان فعلت ذلك فســـترى ما هو أعجب وأعجب !! .

ولما كنا على أبواب حركة علمية واسعة النطاق ، فى شتى أنواع العلوم ومنها الفقه والتشريع الاســـلامى ، كان طبيعيا جدا أن يكتب كثير من العلمـــاء والكتاب فى مواضيع معينة من أبواب الفقه ، وخصوصا ما كان منهـــا متعلقا بالحقوق والقانون والاجتماع والاقتصاد . . وتلقى محاضرات كثيرة فى مثل هذه المواضيع ، وبعضهم شرع فى تأليف كتب خاصـــة فى الفقه الاســـلامى أو فقه السنة جامعا لجميع أو أكثر الأبواب الفقهية التى يحتاجها المسلم مبتدئين بـ (كتاب الطهارة) ، ثم (الصلاة) ، ثم (الزكاة) وهكذا الى آخر الكتب التى جرى الفقهاء قديما على نسقها .

ولكنى رأيت أكثر هؤلاء العلماء والكتاب والمحاضرين ، قد سرت اليهم عدوى من قبلهم من الفقهاء من ترك الاستعانة بأهل التخصص والمعرفة بالحديث ، فلا تكاد تجد حديثا واحدا فى كل ما يكتبون من البحوث الخطيرة مخرجا مصـــححا أو مضعفا على طريقة أهل الحديث ، اللهم الا قليلا منهم ، وخيرهم صـــنعا من يقول : (رواه فلان) ثم يسكت ، ولا يبين درجته من الصحة أو الضعف ، وهو قد

---

(٤) قد بينت بطلانها وأنها من الاسرائيليات فى السلسلة المتقدمة ، فمن شاء الاطلاع فليرجع اليها رقم ١٧٠ .

(٥) قام بطبعها المكتب الاسلامى بدمشق لصاحبه الاخ زهير شاويش .

يكون موضوعا مكذوبا عند أهل الحديث ! وقد أقام عليه من أشرنا اليهم علالى وقصورا » .

واليك بعض الأمثلة :

١ ــ قال بعض الأفاضل ممن ألف فى فقه السنة :

« يحرم على الجنب أن يمكث فى المسجد لحديث عائشة قالت : (جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجوه بيوت أصحابه شارعة فى المسجد فقال : وجهوا هذه البيوت عن المسجد .. فانى لا أحل المسجد لحائض ولا لجنب » . رواه ابو داود . وعن أم سلمة قالت : (دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم صرحة هذا المسجد فنادى بأعلى صوته : ان المسجد لا يحل لحائض ولا لجنب) رواه ابن ماجه والطبرانى .

أقول : فقد حرم المكث فى المسجد بناء على هذا الحديث ، وأنا أعلم انه ليس هو أول من فعل ذلك بل هو مقلد لبعض من سبق من الفقهاء ، وما أوقعه فى ذلك الاعدم رجوعه الى أهل التخصص فى الحديث . ولو صنع لوجد قول البيهقى : (ليس بقوى) . وقول عبد الحق الاشبيلى : (لا يثبت) وقول الخطابى : (ضعفه جماعة) . ذكر هذا الامام النووى فى المجموع (شرح المهذب) (١٦٠/٢) .

ثم انه لو رجع الى مصدر الحديث مباشرة ألا وهو أبو داود وابن ماجه ، وكان من أهل العلم بتراجم الرواة وأحوالهم ، لوجد أن مدار الحديث على جسرة بنت دجاجة ، وقد قال البخارى فيها : (عندها عجائب) ! ولما وقع فى هذا الايهام الفاحش وهو أن للحديث طريقين : أحدهما عن عائشة ، والآخر عن أم سلمة ، وحقيقة الأمر أن الطريق واحدة مدارها على جسرة هذه كما أشرت اليه آنفا ، غاية ما فى الأمر ، أن بعض الرواة اختلفوا فى اسناده عن جسرة . فقال أحدهم : عنها عن عائشة . وقال آخر : عنها عن أم سلمة . فيتوهم من لم يرجع فى الحديث الى الأصول والأمهات أن للحديث طريقين زد على ذلك أن هذا الاختلاف يعتبر عند أهل الحديث اضطرابا يزيد الحديث ضعفا على ضعف ، فكيف يجوز لعالم أن يحرم بمثله شيئا ؟ ! .

وليس غرضى الآن تحقيق القول والافاضة فى بيان ضعف الحديث وما قيل فيه ، .

٢ ــ وقال آخر من الأفاضل المشهورين والعلماء البارزين فى رسالة له فى (الحقوق العامة لأهل الذمة) :

(دم الذمى كدم المسلم ، فان قتل مسلم أحدا من أهل الذمة اقتص منه له ، كما لو قتل مسلما) .

ثم استدل على ذلك بحديث ابن عمر عند الدارقطنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل مسلما بمعاهد وقال : أنا أكرم (وفى رواية : أحق) من وفى بذمته (٧) .

مع أن هذا الحديث عند أهل المعرفة به ضعيف دون أى اختلاف بينهم ،

---

(٦) انظر (فقه السنة) للسيد سابق (ص ١١٧ ــ ١١٨) الطبعة الأولى .

(٧) انظر كتاب (نظرية الاسلام وهديه) ص ٣٤١ للأستاذ المود ودى .

فقــد ضعفه الطحاوى والدارقطنى والبيهقى ونقل عن الامام صــالح بن محمد الحافظ أنه قال : (هو مرسل منكر) .

ولو أن الفاضل المشار اليه استخرج الحديث بنفسه من (سنن الدارقطنى) لوجد كلام الدارقطنى عقبـــه صريحــا فى تضــــعيفه اياه ، وذلك قوله (ص٣٤٥) : (لم يســنده غير ابراهيم بن ابى يحيى ، وهو متروك الحديث ، والصواب عن ربيعة عن ابن البيلمانى مرسل عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وابن البيلمانى ضــعيف لا تقوم به حجــة اذا وصــل الحديث ، فكيف بمــا يرسله ؟ !) ..

وقد فصلت القول على هذا الحديث وذكرت طرقه وعللها ونصوص أهل العلم فى تضعيفه فى الجزء الخامس من « سلســلة الأحــاديث الضــعيفة والموضوعة » رقم (٤٦٠) ، .

٣ ــ وقال ثالث فى (بحث الدور الفقهى الأول : عصر النبوة) ، وقد ذكر طائفة من الأحاديث كأمثلة لجملة من الأصول والقواعد الكلية التى تركها صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضى الله عنهم ، منها حديث : (الشفعة كحل العقال) ثم قال الفاضل المشار اليه : (فهذا الحديث مثلا يصلــح أساسا لفكــرة مرور الزمن ، وتحديد المدد للمطالبة ببعض الحقوق ، ولاســتعمال بعض الخيــارات كخيار الرؤية والعيب ، و ..) (٨) .

فلو أن المذكور رجع الى بعض المتخصصين فى الحديث والعارفين بصحيحه وضعيفه ، لما جزم بنسبته الى النبى صلى الله عليه وسلم ولما اتخذه مثلا للفكرة الذى ذكرها ، فقد قال أبو زرعة (حديث منكر) وقال ابن حبان : (لا أصل له)

وأورده البيهقى فى (الســنن الكبرى) (١٠٨/٦) فى جملة أحــاديث ساقها بأسانيدها فى : (باب رواية ألفاظ منكرة يذكرها بعض الفقهاء فى مسائل الشفعة) ! .

٤ ــ حديث (أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى أهل الذمة : لهم مالنا وعليهم ما علينا) .

لقد اعتدنا ان نســمع هذا الحــديث من كثير من خطبائنا ومرشــدينا ومحاضرينا ، وهم يتكلمون عن حقوق أهل الذمة فى الاسلام ، جازمين بنسبته الى النبى عليه الصلاة والسلام ، حتى أصبح ذلك عقيدة راسخة فى قلوب كثير من الدعاة المعروفين بالاصــلاح والتجديد ، فضــلا عن غيرهم من المسلمين الصالحين ، فهذا أحد دعاتهم يصرح بمعنى ذلك فى بيان أذاعه على الناس بمناسبة الجدل الذى قام حول محاولة بعض اخواننا الاســلاميين لادخــال دين الدولة الاسلام ، فى دستور سنة ١٩٥٠ فقال : (المواطنون متساوون فى الحقوق ، لا يحال بين مواطن وبين الوصول الى أعلى مناصب الدولة بســبب الدين أو الجنس أو اللغة) . يشــير بهذا الكــلام الى هذا الحديث ، والحديث المتقدم برقم (٢) .

والواقع أن هذا الحديث لا أصل له عن النبى صلى الله عليه وسلم بهذا السياق الذى اعتادوا ذكره ، وانما أورده هكذا بعض الفقهاء الذين لا علم عندهم بالسنن ، فقاده من أشرنا اليهم ، ثم أذاعوا الحديث على الناس ونشروه بينهم

---

(٨) انظر كتاب (المدخل الفقهى العام الى الحقوق المدنية فى البلاد السورية) (٦٧/١و٦٨) الأستاذ الفاضل مصطفى الزرقا .

كتابة ووعظا ، دون أن يحاولوا الرجوع به الى ذوى التخصص فى الحديث ليكونوا على بينة من أمره ، ولا ينسبوا الى النبى صلى الله عليه وسلم ما ليس من حديثه ، بل هو معارض له أشد المعارضة ، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال هذه الجملة : (لهم مالنا وعليهم ما علينا) فى الذين يسلمون من المشركين ، ورد ذلك عنه صلى الله عليه وسلم من حديث بريدة بن الحصيب وسلمان الفارسى وغيرهما ،) .

٥ ــ حديث (اذا صعد الخطيب المنبر ، فلا صلاة ولا كلام) .

وهو حديث متداول على ألسنة بعض الفقهاء ومسطور فى غير ما كتاب فقهى ، واشتهر على ألسنة الناس حتى توجت به بعض المنابر فى بلادنا الشامية ، ولا أصل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ ، بل ان معناه مخالف لبعض الأحاديث الصحيحة كقوله صلى الله عليه وسلم : (اذا جاء أحدكم يوم الجمعة والامام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما) أخرجه الامام مسلم وغيره ..

وقد بينت حال هذا الحديث ، وما قاله أهل العلم فيه فى (سلسلة الأحاديث الضعيفة) (رقم ٨٧) فليراجعه من شاء التحقيق ، .

ومن الأمثلة المتقدمة ــ وهى غيض من فيض ــ يتبين لكل عاقل أن الأحاديث الضعيفة مع الجهل بها هى من أكبر العوامل ــ ان لم أقل : هى أكبرها اطلاقا ــ على حمل بعض المسلمين على الانحراف عن دينهم ، انحرافا أعتقد أنه أخطر ما أصيب به المسلمون من الانحرافات الكثيرة ، ذلك لأنهم فى اتباعهم اياها ، وتمسكهم بها ، يظنون أنهم انما يتبعون كلام من أوجب الله عليهم اتباعه ، والتسليم لكلامه ، ووصفه بقوله : (وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى) ، وصدق الله ، وأخطأ أولئك حين استسلموا لكل ما ينسب اليه صلى الله عليه وسلم من الأحاديث ، ولم يتحروا ما صح منها مما لم يصح ، مع علمهم ويقينهم بانه ليس كل ما يعزى اليه صلى الله عليه وسلم من الحديث صحيح ثابت عنه ، فكان المفروض أن يكون هذا وحده كافيا ليحملهم على البحث والتنقيب وتتطلب الحديث الصحيح ، فكيف ورسول الله صلى عليه وسلم قد أخبرهم فيما صح عنه أن بعض الناس سيكذبون عليه ، فى مثل قوله صلى الله عليه وسلم : (ان كذبا على ، ليس ككذب على أحد ، فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) رواه مسلم من حديث المغيرة رضى الله عنه ، ثم حذرهم صلى الله عليه وسلم من الاغترار بهؤلاء الكذابين والاعتماد على حديثهم فقال صلى الله عليه وسلم : « يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، لا يضلونكم ولا يفتنونكم) . رواه مسلم أيضا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ..

وان من حرصه صلى الله عليه وسلم على حديثه ، وسلامته من أن يلوث بأحاديث الكذابين عليه أنه اعتبر الذين يروجون الأحاديث دون أن يتثبتوا من صحة نسبتها اليه صلى الله عليه وسلم فى حكم الكاذبين عليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : (من حدث عنى بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين) . وقال صلى الله عليه وسلم : (كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع) . رواهما مسلم . وروى عن الامام مالك رحمه الله انه قال لابن وهب : (اعلم انه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع ، ولا يكون اماما أبدا وهو يحدث بكل ما سمع) .

وعن عبد الرحمن بن مهدى قال : (لا يكون الرجل اماما يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع) .

ولذلك اتفق العلماء على أنه لا يجوز الاحتجـاج بالحديث الضـعيف فى الاحكام (٩) ا فضلا عن العقائد ، ذلك لأن الحديث الضـعيف لا يفيد الا الظن المرجوح والأخذ به مذموم بنص الكتاب والسنة ، فقال تعالى : (ان الظن لا يغنى من الحق شيئا) وقال صلى الله عليه وسلم : (اياكم والظن ، فان الظن أكذب الحديث) متفق عليه . وفى حديث آخر : (اتقوا الحديث عنى الا ما علمتم ، فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) (١٠) .

واذا كان الأمر كذلك ، فكان الواجب على الفقهاء الذين هم المرجع لعامة الناس فى التعرف على أحكام الشريعة مفصلا أن يكونوا أبعد الناس عن مخالفة هذه النصوص ، ومناقضة ذلك الاتفاق الذى انعقد بأمثالهم من العلماء الذين قالوا به ذلك ما يقتضيه حسن الظن بهم وجلالة قدرهم .

ولكن الواقع يشهد ـــ والأسف يملأ قلبى ـــ أن جمهورهم على اختـلاف مذاهبهم ، قد امتلأت كتبهم بمئات الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، التى رتبوا عليها أحكاما شرعية كثيرة على اختلاف أنواعها وخطورتها ، مما سبق تفصيل القول فى بعضها والتمثيل لها بأحاديث هم مصدرها والمستدلون بها ، تبعهم على ذلك بعض المعاصرين ! .

وهذا أمر يشهد به كل من له معرفة بعلم الحديث ، وله اطلاع لا بأس به على الكتب الفقهية المبسوطة فى المذاهب الأربعة ، ومن أجل ذلك وضع جماعة من أئمة الحديث على بعض الأمهات منها كتب التجريحات المعروفه (١١) . وألف ابن الجوزى الحنبلى كتابه (التحقيق فى مسائل التعليق) وذكر فى مقدمته الحامل له على تأليفه فقال : : (كان السبب فى اثارة العزم لتصـنيف هذا الكتاب أن جماعة من اخوانى ومشايخى فى، الفقه ، كانوا يسألونى فى زمن الصبى جمع أحاديث التعليق ، وبيان ما صـح منها ، وما طعن فيه ، وكنت أتوانى عن هذا لسببين :

احدهما : اشتغالى بالطلب .

والثانى : ظنى أن مافى التعاليق من ذلك يكفى ، فلما نظرت فى التعاليق رأيت بضاعة أكثر الفقهاء فى الحديث مزجاة ، يعول أكثرهم على أحاديث لاتصح ، ويعرض عن الصحاح ويقلد بعضهم بعضا فيما ينقل . ثم قد انقسم المتـأخرون ثلاثة أقسام :

القســم الأول : قوم غلب عليهم الكسل ، ورأوا أن فى البحث تعبـا ، وكلفة ، فتعجلوا الراحة ، واقتنعوا بما سطره غيرهم .

والقسم الثانى : قوم لم يهتدوا الى أمكنة الأحاديث ، وعلموا أن لا بد من سؤال من يعلم هذا ، فاستنكفوا عن ذلك ! .

والقسم الثالث : قوم مقصودهم التوسع فى الكلام طلبا للتقدم والرياسة ،

---

(٩) انظر (المجموع شرح المهذب) للامام النووى (٥٩/١) و (الاجوبة الفاضلة) لابى الحسنات للكنوى ص (٥٦) .

(١٠) انظر مقدمة (صفة الصلاة ص ٧ الطبعة الثالثة) .

(١١) انظر مقدمة (صفة صلاة النبى صلى الله عليه وسلم ص ٤ ـــ ٥) و (الرسـالة المستطرفه للكتانى (ص ١٤١ ـــ ١٤٢) .

واشتغالهم بالجدل والقياس ، والالتفات لهم الى الحديث لا الى تصحيحه ، ولا الى الطعن فيه .

وليس هذا شأن من استظهر لدينه ، وطلب الوثيقة فى أمره .

ولقد رأيت بعض الأكابر من الفقهاء يقول فى تصنيفه عن ألفاظ قد أخرجت فى الصحاح : (لا يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذه الألفاظ) ! ويرد الحديث الصحيح ، ويقول : (هذا لا يعرف) ! وانما هو لا يعرفه ، ثم رأيته قد استدل بحديث زعم أن البخارى أخرجه : وليس كذلك ثم نقله عن مصنف آخر كما قال تقليدا له ، ثم استدل فى مسألة فقال : (دليلنا ما روى بعضهم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كذا) ! ورأيت مشايخنا يقولون فى تصانيفهم : « دليلنا ماروى أبو بكر الخلال باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، و « دليلنا ماروى أبو بكر عبد العزيز باسناده » .

و « دليلنا ما روى ابن بطه باسناده » ، وجمهور تلك الأحاديث فى (الصحاح) ، وفى (المسند) وفى (السنن) غير أن السبب فى اقتناعهم بهذا ، التكاسل عن البحث . والعجب ممن ليس له شغل سوى مسائل الخلاف ، ثم قد اقتصر منها فى المناظرة على خمسين مسألة ، وجمهور هذه الخمسين لا يستدل فيها بحديث ! فما قدر الباقى حتى يتكاسل عن المبالغة فى معرفته ؟ ! .

وألوم عندى ممن قدمته من الفقهاء ، جماعة من كبار المحدثين عرفوا صحيح النقل وسقيمه ، وصنفوا فى ذلك ، فاذا جاء حديث ضعيف يخالف مذهبهم بينوا وجه الطعن فيه ، وان كان موافقا لمذهبهم سكتوا عن الطعن فيه . وهذا ينبىء عن قلة دين ، وغلبة هوى (ثم روى بسنده عن الدارقطنى وهذا بسنده عن وكيع أنه قال) : أهل العلم يكتبون مالهم وما عليهم ، وأهل الأهواء لا يكتبون الا مالهم)(١٢) .

قلت : ومن المؤسف أن الوصف الذى ذكره ابن الجوزى ينطبق تماما على رجلين كبيرين ، أحدهما شافعى المذهب وهو الامام البيهقى ، والآخر حنفيه وهو علاء الدين ابن التركمانى ، وذلك ظاهر فى كتاب الأول منهما (السنن الكبرى) ، وفى كتاب الآخر (الجوهر النقى فى الرد على البيهقى) . بل ان ابن الجوزى نفسه لم ينج من هذا البلاء ، .

وأعتقد أن السبب فى ذلك ، انما هو التعصب لمذهب معين ، فذلك هو الذى يحمل البعض على السكوت عن الحديث الضعيف اذا كان له . ويسارع الى الكشف عن علته اذا كان عليه ، بل ان بعضهم ، قد يصحح الضعيف ، ويضعف الصحيح حمية لمذهبه ، . فلو لم يكن للتعصب من شؤم الا هذا لكفى ... فالحمد لله الذى عافانا من العصبية المذهبية ، ورزقنا التمسك بالسنة المحمدية فقط دون غيرها ..

قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى (منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة القدرية) (ج ٤ ص ١٠) :

(قاعدة : المنقولات فيها كثير من الصدق ، وكثير من الكذب ، والمرجع فى التمييز بين هذا وهذا ، الى علم الحديث ، كما نرجع الى النحاة فى الفرق بين

---

(١٢) رواه الدارقطنى فى سننه ص ١٠ ، وفيه ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن سالم السلولى أبو سالم عن أبيه عن وكيع ، ولم أر من ترجمه هو وأبوه ، وقع فى (التحقيق) (السكونى) بدل (السلولى) ، ولم يورده السمعانى فيهما .

نحو العرب ، ونحو غير العرب ، ونرجع الى علماء اللغة فيما هو من اللغة ، وما ليس من اللغة ، وكذلك علماء الشعر والطب وغير ذلك ، فلكل علم رجال يعرفون به ، والعلماء بالحديث أجل قدرا من هؤلاء ، وأعظمهم صدقا ، وأعلاهم منزلة ، وأكثر دينا ، وهم من أعظم الناس صدقا وأمانة وعلما وخبرة فيما يذكرونه من الجرح والتعديل ، مثل مالك وشعبة وسفيان ويحيى بن سعيد والشافعى وأحمد .. و .. البخارى ومسلم وأبى داود .... وابن عدى وأبى حاتم البستى والدارقطنى وأمثال هؤلاء خلق كثير لا يحصى عددهم من أهل العلم بالرجال والجرح والتعديل ، وان كان بعضهم أعلم بذلك من بعض ، وبعضهم أعدل من بعض فى وزن كلامه كما أن الناس فى سائر العلوم كذلك . (قال :) وهذا علم عظيم من أعظم علوم الاسلام . (قال ص ١١) : « والاسناد من خصائص هذه الأمة ، وهو من خصائص الاسلام ، ثم هو فى الاسلام من خصائص أهل السنة) ثم قال (ص ١٢) :

« فالأصل فى النقل أن يرجع فيه الى أئمة النقل وعلمائه ، ومن يشركهم فى علمهم ، وأن يستدل على الصحة والضعف بدليل مفصل عن الرواية فلا بد من هذا وهذا ، والا فمجرد قول القائل : » رواه فلان « لا يحتج به ، لا أهل السنة ؟ ولا الشيعة ، وليس فى المسلمين من يحتج بكل حديث رواه كل مصنف » ثم قال فى فصل آخر (٤/١١٥) :

« وقد يكون الرجل صادقا كثير الحديث ، كثير الرواية فيه ، لكن ليس من أهل العناية بصحيحه وسقيمه ، فهذا يستفاد منه نقله ، فانه صادق ضابط ، وأما المعرفة بصحيحه وسقيمه ، فهذا علم آخر ، وقد يكون مع ذلك فقيها مجتهدا، وقد يكون صالحا من خيار المسلمين ، وليس له كثير معرفة ، لكن هؤلاء وان تفاضلوا فى العلم ، فلا يروج عليهم من الكذب ما يروج على من لم يكن له علم ، فكل من كان بالرسول أعرف ، كان تمييزه بين الصدق والكذب أتم . فقد يروج على أهل التفسير والفقه والزهد والنظر أحاديث كثيرة ، اما يصدقون بها ، واما يجوزون صدقها ، وتكون معلومة الكذب عند علماء الحديث ، وقد يصدق بعض هؤلاء بما يكون كذبا عند أهل المعرفة مثل ما يروى طائفة من الفقهاء ، حديث : (لا تفعلى يا حميراء فانه يورث البرص) وحديث (زكاة الأرض يبسها .) وحديث .. وحديث .. الى أمثال ذلك من الأحاديث التى يصدق بعضها طائفة من الفقهاء ، ويبنون عليها الحلال والحرام ، وأهل العلم بالحديث متفقون على أنها كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم موضوعة ، وكذلك أهل العلم من الفقهاء يعلمون ذلك » .

وقال العلامة محمد بن عبد الهادى بعد أن نقل قول ابن تيمية : « فقد يروج ... » . :

« وهذه الأحاديث التى ذكرها ، منها مالا يعرف له اسناد ولا أصل كحديث : « زكاة الأرض يبسها » ومنها ما هو موضوع ، وما هو ضعيف الاسناد كحديث « لا تفعلى يا حميراء » رواه الدارقطنى وابن عدى وغيرهما وهو موضوع ، وحديث « نهى عن بيع وشرط » رواه البيهقى باسناد ضعيف .. » ثم قال ابن عبد الهادى : « ويشبه ما ذكره شيخنا من هذه الأحاديث ما يذكره بعض الفقهاء والأصوليين ، أو المحدثين محتجا به أو غير محتج به ، مما ليس له اسناد ، أو اسناد ، ولا يحتج بمثله النقاد من أهل العلم كحديث (النهى عن بيع الكالىء بالكالىء) وحديث .. و حديث .. » . ثم ختم ذلك بقوله .

« واعلم أن غالب هذه الأحاديث مروية بالأسانيد ، ومنها ما لا يعرف له اسناد أصلا ، وهى على أقسام : فمنها ما هو موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم بيقين ، ومنها ما يشك فى وضعه ، ومنها ما اسناده ضعيف ، ومنها ما قد يحسنه بعض الأئمة ، والله الموفق للصواب) (١٣) .

وقال العلامة ابن الحسنات اللكنوى فى (الأجوبة الفاضلة) (ص٢٩ــ٣٠) بعد أن ذكر أصنافا من الوضاعين ، منهم من وضعوا أحاديث فى الأحكام ، وتقولوا بالحلال والحرام :

ومن هنا نصوا على أنه لا عبرة للأحاديث المنقولة فى الكتب المبسوطة ما لم يظهر سندها ، أو يعلم اعتماد ارباب ــ الحديث عليها ، وان كان مصنفها فقيها جليلا ، يعتمد عليه فى نقل الأحكام ، وحكم الحلال والحرام ، الا ترى الى صاحب (الهداية) من أجلة الحنفية ، والرافعى شارح الوجيز من أجلة الشافعية ــ مع كونهما ممن يشار اليه بالأنامل ، ويعتمد عليه الأماجد والأماثل ــ قد ذكرا فى تصانيفهما مالا يوجد له أثر عند خبير بالحديث يستفسر ، كما لا يخفى على من طالع (تخريج أحاديث الهداية) للزيلعى ، و « تخريج أحاديث شرح الرافعى » لابن حجر العسقلانى . واذا كان حال هؤلاء الأجلة هذا ، فما بالك بغيرهم من الفقهاء الذين يتساهلون فى ايراد الأخبار ، ولا يتعمقون فى سند الآثار ؟

ولذا قال على القارى فى (رسالة الموضوعات) : حديث « من قضى صلاة من الفرائض فى آخر حجته من رمضان كان ذلك جابرا لكل صلاة فاتته فى عمره الى سبعين سنة » باطل قطعا ، ولا عبرة بنقل صاحب (النهاية) ، وغيره من بقية شراح (الهداية) فانهم ليسوا من المحدثين ، ولا أسندوا الحديث الى أحد من المخرجين . انتهى .

وقال السيوطى فى (مرقاة الصعود الى سنن ابى داود) تحت حديث (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتمشط أحدنا كل يوم : (فان قلت : نقل أنه صلى الله عليه وسلم « كان يسرح لحيته كل يوم مرتين » قلت : لم أقف على هذا باسناد ، ولم أر من ذكره الا الغزالى فى (الأحياء) ولا يخفى ما فيه من الأحاديث التى لا أصل لها انتهى .

وقال اللكنوى فى كتابه الآخر (النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير) (ص ١٢٢ ــ ١٢٣) بعد أن ذكر مراتب كتب الفقه الحنفى ، وما يعتمد عليه منها وما لا يعتمد :

« كل ما ذكرنا من ترتيب المصنفات ، انما هو بحسب المسائل الفقهية وأما بحسب ما فيها من الأحاديث النبوية فلا ، فكم من كتاب معتمد ، اعتمد عليه أجلة الفقهاء مملوء من الأحاديث الموضوعة ، ولا سيما الفتاوى ، فقد وضح لنا بتوسيع النظر ، أن أصحابها وان كانوا من الكاملين ، لكنهم فى نقل الأخبار من المتساهلين » .

ثم قال اللكنوى فى الكتاب الأول (ص ٣٥) : « فان قلت : فما بالهم أوردوا فى تصانيفهم الأحاديث الموضوعة مع جلالتهم ونباهتهم ؟ ولم لم ينقدوا الأسانيد مع سعة علمهم ؟ قلت : لم يوردوا ما أوردوا مع العلم بكونه موضوعا ،

---

(١٣) نقلته من مجموع بخط محمد بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن زريق ، فيه عدة كتب منها فصل قال : رأيته بخط الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الهادى رحمه الله تعالى فى أثناء كلام له وهو محفوظ فى المكتبة الظاهرية برقم (٤٠٥ حديث) .

بل ظنوه مرويا ، وأحالوا نقد الأسانيد على نقاد الحديث ، لكونهم أغنوهم عن الكشف الحثيث ، اذ ليس من وظيفتهم البحث عن كيفية رواية الأخبار ، انما هو من وظيفة حملة الآثار ، فلكل مقام مقال ، ولكل فن رجال » .

قلت: وفى جوابه رحمه الله نظر كبير وتسامح ظاهر ، فان كون نقد الاحاديث ليس من وظيفة الفقهاء ، فذلك لا يسوغ لهم مطلقا أن يوردوها محتجين بها ، ومؤيدين بها مئات الفروع المذهبية ، وهذا معناه أحد شيئين :

اما أنهم يرون صحتها ، فلذلك احتجوا بها ، وهذا بعيد لأن شهادة الأئمة المتخصصين ترد ذلك .

واما انهم لا يعلمون صحتها ومع ذلك استدلوا بها ، وهذا هو الذى نعتقده ، وهم على هذا متساهلون كما صرح اللكنوى فيما تقدم ، فلعل الله عز وجل يغفر ذلك لهم لخدمتهم للشرع بعلم الفقه ، وان كان تساهلهم هذا له آثاره السيئة من نشر الأحاديث الضعيفة والموضوعة بين طلاب الفقه ، حتى صار من الصعب اقناعهم بضعفها وصرفهم عنها الى الأحاديث الصحيحة لثقتهم العمياء بمن أوردها من الفقهاء ، وتوهمهم أنهم كانوا على معرفة تامة بالأحاديث صحيحهاوسقيمها وانهم لم يوردوا الا ماصح منها !، ويصرح بعض غلاتهم بقولهم: « كل فقيه محدث ، وليس كل محدث فقيها » وجهلوا أو تجاهلوا قول الرجل الحكيم : (ولكل فن رجال) .

ونحن بعد هذا ، لا نريد من فقهائنا اليوم ، أن يصير كل واحد منهم محدثا ، الى جانب كونه فقيها ، يستطيع حين يتطلب الأمر أن يستخرج الحديث من مصادره وأصوله القريبة منها والبعيدة ، وأن يحكم عليه بالصحة أو الضعف ، ليس ذلك تقليدا منه لغيره ، بل بدراسته بنفسه لاسناده ، وبمعرفته لرواته ، وتتبعه لعلله ، كلا لا نريد منهم هذا ، فانه شىء صعب حقا ، ولم لا ؟ وأكثرهم لم يدرسوا من علم الحديث الا ما يعرف اليوم بـ (مصطلح الحديث) دراسة سطحية نظرية لم يقترن منها تطبيق عملى ، على نحو دراستهم سائر العلوم الأخرى مثل (الفيزياء) و (الكيمياء) وغيرها من العلوم التى اذا لم ينضم اليها دراسة تطبيقية ، فسرعان ما ستتبخر من اذهانهم بعد انتهائهم من الدراسة وحصولهم على الشهادة !

وانما نريد من فقهائنا اليوم شيئا وهو سهل على من سهل الله له :أن يعتبروا بصنيع من قبلهم ، فلا يحتجوا بالأحاديث الضعيفة لاثبات أى حكم شرعى وأن يتعرفوا عليها بالرجوع الى أهل التخصص والمعرفة بها من المحدثين ، وهؤلاء لهم كتب كثيرة معروفة فى تخريج بعض الكتب الفقهية ، ولهم كتب أخرى متنوعة تساعد الفقهاء على تمييز الحديث الصحيح من الضعيف وبذلك يصح اعتبارهم ويكون فقههم نافعا صالحا مشكورا .

---

(١٤) للشيخ الفاضل عبد الوهاب عبد اللطيف المدرس بكلية الشريعة فى الأزهر مقدمة على (المقاصد الحسنة) وأخرى على (تنزيه الشريعة) كاد أن يحيط فيها بالكتب المؤلفة فى الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، والمشتهرة على الألسنة ، مع التنبيه على المطبوع منها ، فليرجع اليهما .

نداء

يا رفيقاً أَعطى الحياةَ كَثيرَا جَدِّد العزمَ لا تملَّ المسيرَا
أنت ما زلت سيداً وستبقى سيِّدَ الكَون أولا وأخيرَا
أنت أنت الذى أقام وأرسى دولة الحق عزةً وضميرَا
فاستحالت ناراً على كل باغٍ أكلته وأصبح الكونُ نورَا
أنت من دوَّخ الطغاةَ فعادت هجماتُ التَّتار تبكى المصيرَا
أنت من رَّغ الغزاةَ فَأَمسَى في يَدَيْك الطاغوتُ عبداً أَسِيرَا
ياحفيداً لخالدٍ ولعمروٍ وصلاحٍ مازلت نصراً كَبِيرَا

★ ★ ★ ★

يارفيقاً أعطى الحياة كثيرا جَدِّد العزمَ لا تملَّ المسيرَا
أنت روح الحياة قيثارَ حُبّ يهب اللَّحْنَ والهُدَى والعَبيرَا
لا تخَاذلْ فالطَّبلُ أجوف يُدَوِّى مِن فراغٍ وَيستَطِيلُ غُرُورَا
واللَّهيبُ الّذى تراه صِيَاحٌ رَاعبٌ حاقِدٌ يفحُّ سَعِيرَا
هُـو يخشى مصيره حيث ينهـا .... رُ وَيهوى أرضـا رَماداً حَقِيرَا
إنَّ تلكَ الأمواجَ يقذفُها الريـــحُ وَيمضى مُقَهْقِهاً مذعُورَا

للأستاذ : بكر موسى

حيثُ يمتصه الفضاءُ وتُدمى   جبهةَ البحر حين تلقى الصُّخورا
والبراكينُ لعنةُ الكَبْتِ تقْضِي   نَحْبَها ذلةً تمنى المُجيرا
إنها رعدَة الشتاءِ ضَبابٌ   يتعالى ويَنْتَهي زَمْهَريرا
وخريفٌ من الرُّعونةِ يعدو   ساكباً دَمْعَه غزيراً غزيرا
ذاكَ صوتُ الضَّلالِ مهما تعالى   باهتَ اللَّحنِ لاَ يمسُّ الشُّعورا
صرخةٌ مالها صدى وصُراخٌ   لاغِبُ الخَطْوِ لم يُحرِّك ضَميرا

* * * *

يارَفيقاً أعطى الحياةَ كثيرا   جَدِّدِ العَزْمَ لاتملَّ المَسيرا
أنت تحيا للحقِ . والحقُ يمضِي   واثقَ الخَطْوِ ناصراً مَنْصُورا
وَطريقُ الأحرار شَوكٌ ولمَّا   يَجِدِ الحرُّ في الدُّروبِ زُهورا
ياأخي لا تقُلْ هُزِمْنَا فَنصرُ المُـ   ـؤمِنِ الحَق قَدْ يَكُونُ أخيرا
فشلُ الخَصْمِ أن يَراكَ قويًّا   مُستَمِيتاً على البَلاءِ صَبُورا
إنَّها مِحنةٌ يَطُولُ مَداها   فتَجلَّدْ تَلْقَ العَسِيرَ يَسِيرا
ربَّ ضُرٍّ تَضيقُ منهُ طويلاً   يجعلُ اللهُ فيه خيراً كثيرا
والحياةُ الحياةُ عزمٌ وحزمٌ   فتقدَّمْ ولاَ تملَّ المسيرا

المعتدون على الفقه الإسلامي

للدكتور : وهبة الزحيلي

الاسلام النظام القائم بذاته المستقل عن أى تشريع آخر : لا يعرف منطقة ولا تقبل صراحته الا تصنيف الناس الى فريقين : فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير ، فريق المتقين المؤمنين الأخيار ، وفريق العصاة والكفار والمنافقين والأشرار .

والفريق الثانى لا خطورة فكرية منه على الاسلام ، لأنه يكره المسلمين بدافع الحقد ، والتعصب والتقليد الموروث عن الآباء والأجداد ، وبالتالى لا يقبل تطبيق نظام الاسلام فى نطاق الحياة العامة وفى مجال التقنين النافذ الملزم لكراهية فى الصدور وبسبب ممارسة طقوس دينية مخالفة للاسلام ، فان أريد تطبيق الاسلام فى بلد اسلامى يوما ما ، ظن من يعرف بالأقليات ظنا خاطئا أن الاسلام ينتقصهم حقوقهم ، ويفرض عليهم واجبات وأعباء خاصة تتنافى مع المستوى اللائق للانسان وكرامته فى العصر الحديث . غير أن المنصفين من هذا الفريق بعيدون كل البعد عن أمثال هذه الترهات والأباطيل ، فهم يترفعون عن دوافع التعصب الأعمى وبواعث العصبية الجاهلية ، فيعملون افكارهم المجردة ، ويقدرون ماجاء به الاسلام من اصلاحات جذرية لتنظيم الحياة العامة والخاصة ، ويعترفون بسلامة واعتدال قواعد الاسلام وأحكام فقهه ونظرياته العامة التى تعتبر من أرقى وانضج وأوفق لما توصل اليه الفكر القانونى المعاصر ، لذا فانه لا غرابة اذا وافق بعضهم على تطبيق أحكام الفقه الاسلامى باعتبارها وليدة البيئة العربية وتراث القومية العربية .

وفى انطباعاتنا أن هؤلاء سواء أكانوا ظالمين أم مقسطين عادلين لا يهمنا

امرهم ، ولا يزعجنا موقفهم من الاسلام ، بل ولا يزيدنا تناؤهم أو تقديرهم ايمانا وحبا وتقديرا لفقهنا الاسلامى العظيم ورجاله الأفذاذ .

وانما الأدهى والأمر ، والأنكى والأعجب أن نجد أناسا من الفريق الثانى — فريق المسلمين — يسيئون الى أنفسهم ودينهم ، ويستهينون باخوانهم العاملين فى حقل الاسلام الذين لا يشاركونهم فى الظاهر فى اختصاصهم ونشاطهم ، أو لا يسيرون معهم سير الأتباع فى كل شىء ، سواء أكان خيرا أم موصوفا بالخيرية .

وجناية هؤلاء فيما سنوضحه فاحشة منكرة ، لأننا كما نعلم لا يؤتى الاسلام الا من أهله وعشيرته :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند .

والاسلام فى عقيدة اتباعه هو المحكم فى الخلافات ، ومرد النزاع ، وعلى مائدته وفى هديه تفض المنازعات وتهدأ ثورة النفوس عند الخصام : « فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » « وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله » .

والاسلام كما هو معروف حرب على الجهالة والجهلاء ، وعدو للتخلف والهزيمة ودعاة الانهزام ، ودعوة الى الحرية والفكر والعقل والنور والمدنية والعرفان .

لكن الجاهل المعروف بجهله شأنه يسير ، وانما الخطر الذى نعانيه اليوم هو بسبب الجهل النصفى وهو جهل المتعلمين والكتاب والأدباء والمتخصصين فى شتى أنواع العلوم والمعارف الحديثة بحقيقة الاسلام ، ومع ذلك فهم بحكم اسلامهم وغيرتهم على دينهم يتصورون نظام الاسلام وتشريعه حسبما يتراءى لعقولهم « الذكية » وأفكارهم « العميقة » وآرائهم « السديدة » ، وغاب عنهم أن مثل هذا الذكاء والفكر محصور فى حدود اختصاصهم وفى دائرة أدبهم أو علمهم الذى تعلموه على مقاعد جامعات الغرب الشهيرة ، وفيما وراء ذلك يعدون جهلاء مغرورين مفتونين ان ادعوا علمهم مثلا بفقه الشريعة الاسلامية وأصولها ودقائق علومها وقدر فقهائها الأوائل ، بل ربما فى أحكام العبادة الدينية التى يؤدونها خمس مرات فى اليوم أو مرة فى العام أو فى العمر ، وهى فى الحقيقة مشتملة على أخطاء ، ومردودة فى وجوههم يوم القيامة ، لأن الله سبحانه لا يقبل من العبادة الا ماكان صحيحا خالصا من الشوائب .

وعند أدنى التأمل نقول : رحم الله امرءا عرف قدره فوقف عنده ، فلا عيب مثلا ان كنت جاهلا بعلم الطب أو الهندسة أو الفلك أو الفلسفة ، وأنا الآن أمارس اختصاصا آخر ، وعندئذ لا يعقل بداهة أن أتهجم على أرباب العلوم الأخرى وان كان الجاهل بالشىء عدوا لما جهل .

ولكن مع كل هذه البدهيات والمسلمات الضرورية فى منطق الأشياء ، تطلع علينا الآن بعض المؤلفات الاسلامية ، وتنشر بعض المجلات الاسلامية فى صفحاتها الأولى ، ويتواتر النقل عن بعض الجماعات والأشخاص الاسلاميين من دعوة سافرة الى التهوين من شأن دراسة الفقه الاسلامى واعتبار أن العمل فى ميدانه « ليس عملا للاسلام ، ولا هو من منهج هذا الدين ولا من طبيعته ، وانه مضيعة للعمر والأجر أيضا » .

هذا القائل أحد فئات خمسة تستهين بدراسة الفقه الاسلامى ، وتلتقى فى مآل الأمر — وان كان بغير شعور — مع النزعة الاستشراقية الآثمة التى

تطفح قلوب أصحابها بحقد دفين معاد للاسلام فى جملته ، وموجه الى القلعة الحصينة فيه بعد القرآن الكريم والسنة النبوية ، وهذه الفئات الخمســـة هى مايأتى :

الفئة الأولى :

تقول : لا فائدة من دراســـة هذا الفقه المســـطور فى الكتب « القديمة » الكثير الفروع ، المشتت الأصول ، الموزع الأفكار ، المعقد الألفاظ والاصطلاحات ، والمشـــتغلون به هم « أهل الظاهر » وعلمهم علم الظاهر ، وأما هم فيأخذون العلم من مصدر الوحى ومفتاح النبوة وصاحب الرســـالة مباشرة بالاتصـــال القلبى ، أو عن حضرة الله بطريق العلم اللدنى : « وعلمناه من لدنا علما » .

وهذا محض الكذب والافتراء والغرور ، لأن الوحـــى لا ينزل الا على نبى أو رسول ، ولا يطلع الله سبحانه على علمه وغيبه أحدا الا بوحى سماوى منزل : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول » . وأما الالهام المزعوم فلا يصلح دليلا من أدلة الشرع ، ولا طريقا لمعرفة أحكام الاسلام ، لأنه طريق غير مأمون العاقبة اطلاقا ، وليس بالموثوق عقلا ونقلا ، لاحتمال الخطأ والفوضى والتخليط الناجم عنه . ومن المعروف أن شرع الاســـلام انما يؤخذ عن صاحب الرسالة مباشرة وينقل الى من بعد أصحاب النبى بالسند المتصل الذى تميزت به الامة الاســـلامية عن غيرهـــا من الامم الاخـــرى ، وكـــان ذلـــك هو السبب فى الحفاظ على سلامة احكام الاسلام من التغيير والتبديل ، والتحريف والتأويل ، والله ســـبحانه وتعالى نهـــانا عن التكلم فى الدين بغير علم ، قال عز شـــأنه : « ولا تقف ماليس لك به علم » « ان يتبعون الا الظن ، وان الظن لا يغنى من الحق شيئا » .

هؤلاء الروحانيون عابثون تائهون يفترضون أشياء من بنات الخيال وعالم الأفكار البعيدة ان لم يلتزموا بضوابط الشريعة كما تلقاها صحابة رسول الله ، وعملوا بها ، وعرفوها واضحة جلية ، لأن شريعتنا تعتمد أو لا ــ كما أشرت ــ على النقل الصحيح الثابت عن رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا مجال للعقل فى تقرير أو اثبات أو افتراض شىء بغير اعتماد على نقل ثابت ، أما فى مجال التحقق من صحـــة النقل أو التثبت منه فان للعقل دورا فى ذلك لتزييف النقل أو رده أو اقراره فى ضوء معرفة أصول الشرع ومقاصده العامة وأهدافه الاصلاحية ، ولن تتوفر تلك المعرفة بغير دراسة مستمرة طويلة تتمثل كل ماجاء به الاسلام من عقيدة وعبادة وتشريع وحكم وتوحيد وتصوف وتفســـير وحديث وفقه واصول . . . الخ .

وحينئذ فقط يتهيأ لنا أمثال أولئك الرجال الذين كانوا ينخلون الحديث نخلا بحس صادق وذوق مرهف وصفاء أصيل ، فصانوا السنة النبوية عن كل دخيل ، وحموها من افتراء المفترين ، ووضع الوضاعين للأحاديث المزعومة المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الفئة الثانية :

بعض الدعاة الى الاســـلام : وهذه اخطر الفئات ، لانى والناس يحبون بالفطرة كل عامل مخلص لدين الله ، ويثقون بأشخاص الدعاة ، لأنهم مؤتمنون

على نقل رسالة الاسلام للأجيال المتلاحقة وتقريبها من اذهان الناشئة وعرض فلسفة الاسلام لهم عرضا شيقا رائعا ، وتصوير أهداف الدين ومراميه القريبة والبعيدة تصويرا أدبيا حديثا ومبتكرا أحيانا .

لكن هؤلاء ان أصابوا في مجال الدعوة الى الاسلام والمطالبة بتطبيق نظامه عقيدة ودستورا وحكما وادارة وقانونا نافذا ، فهم فيما يبدو متناقضون ، لأنهم ان ارادوا تطبيق دستور الاسلام ، فهل يمثل هذا الدستور تمثيلا بارزا جوهريا سوى الفقه الاسلامى يعنى الأحكام العملية الصادرة عن الانســان قولا وفعلا وتصرفا وهل تغنى الغيرة الدينية والعاطفة الصادقة والايمان الصحيح عن الربط العضوى الكامل بفقه الاسلام الذى يرسم للمجتمع حسبما تقضى به السياسة الشرعية نظام الاسلام الاقتصادى والسياسى والاجتماعى والثقافى .

وهل الأمل الباسم باقامة مجتمع اسلامى مستقيم يعيد مجد الاسلام الأول وصفوه الأمثل يكون بغير قواعد الاسلام الفقهية وانظمته التفصيلية ؟ !!

واما احكام الاســلام الاعتقادية والخلقية ، فهذه فى الغالب ليست مثار نزاع ، الا لهوى شخصى ، اذ من النادر بين المسلمين من يتنكر لعقيدته وفطرته وقواعد الأخلاق التى وضعها الاســلام وبلورها على نحو يحقق الخير للجماعة والنفع العام للعالم من غير تمييز بين الناس فى الجنس أو اللــون أو العرق أو اللغة او الدين . وقلما تجد احدا لا يسلم بأصالة الأخلاق الاسلامية وسموها وواقعيتها واعتدالها لمسايرتها متطلبات المادة والروح ، والدين والحياة ، والعمل والعبادة فى اتم نظــام وأحكم أساس .

واما الفقه الاســلامى الذى هو مصدر الدسـتور والقانون فلا تســهل معرفته ، ولا يعرفه الناس بدون دراسة مستمرة له تعرف المســلمين بأحكامه وتبين لهم ماهو خالد باق منه لا يتغير للنص القاطع الوارد بشأنه ، وما هو قابل للتطور والتبدل او التعديل لانبنائه فى اصله على نحو مرن متجاوب مع المصالح المتجددة والحاجات المتغيرة . كما انه لا بد من بيان ما يجوز للحكــام فعله وما لايجوز من تقييد المباح ، وسد الذرائع ، وايقاف النص مؤقتا ، والســبل التى يسوغها الشارع فى بدء الحكم واثنائه ، وما يصادم الشريعة من الوسائل المحرمة لتحقيق الغايات المرجوة .

اننتظر قيام دولة الاسلام الراشدية لنبدأ دراسة الفقه الاســلامى فيعم الجهل ويسوء الفهم وتختلف الآراء ، وتتجلى آثار ذلك فى وضع دستور اسلامى فوضوى مشبع بروح التعصب والهوى والاجتهاد القلق ، كما يحلو لأمثال هذا الأديب الكاتب !!

الا نعلم أن الناس اليوم افلسوا من بضاعــة الوعظ والارشاد واثارة العواطف ، كما يفعل هذا الكاتب ، وكما يفعــل الخطباء فى محاضراتهم وعلى منابرهم ، وسبب الافلاس أن الناس أصبحوا لا يتحمسون للمبادىء الرائعة دون أن يلمسوا فائدتها او يعرفوا حقيقتها وأهدافها ، أو يدركوا المصــالح المترتبة عليها ، كما يفعل الفقيه فى تبيان كل ذلك وايضاحه .

الا ندرك ادراكا تاما ان كفالة الله لحفظ القرآن الكريم لا تقتصر فقط على حفظ آياته السامية بين دفتي المصحف دون تحريف أو تبديل ، وانما الحفظ شامل لكل الروافد التى تساعد على حفظ القرآن ، ومن اهمها واولها مدارس الشرع وحلقاته وكلياته وجامعاته ؟ !!!

كيف يصح القول بأن دراسى الفقه يشبهون مصممى الأزياء والملابس التى تتغير حسب الفصول والأعوام ، علما بأن فقه الاسلام يرتد فى الحقيقة الى المصدر الالهى بطريق الوحى ، اذ لا خلاف بين المسلمين فى أن مصدر جميع الأحكام الشرعية انما هو الله سبحانه بعد البعثة النبوية ، سواء أكان ذلك بطريق النص المباشر فى القرآن والسنة ، أم بواسطة الفقهاء المجتهدين ، لأن المجتهد مظهر للحكم لا منشىء له من عند نفسه .

واذا كان هناك « قسط كبير من الأحكام الفقهية من ثمرات التفكير الاجتهادى اهتدى اليها بوسائل استنباطية مختلفة » فلا يعنى ذلك كما يتبادر للأدباء مثلا أن هذا الاجتهاد من محض الفكر الشخصى والهوى الذاتى ، لأن الاسلام الذى هو تشريع سماوى يتقيد الاجتهاد فى نطاقه اما بتفسير نص قرآنى ، أو حديث نبوى صحيح ، أو أصل شرعى مستنبط منهما ، أو قاعدة فقهية مأخوذة من وقائع التشريع وأسباب النزول أو من المقاصد العامة والأهداف الكبرى أو الأساسية التى ينشد الاسلام تحقيقها وتنظيم المجتمع على هديها ان كان ما يكتبه هذا الكاتب الأديب الذى يجعل العمل فى الأدب والفن والتجارة أفضل من دراسة الفقه وأجدى سبيلا هو زلة قلم وشططا فى القول ، فالخطب يسير ، لأن الكاتب أحيانا يكون متأثرا بالخيالات ، وقد يجمح به الغرور ودافع التجديد الى اسفاف فى الكلام ، وقد يجرى على قلمه شطحات شيطانية تشبه شطحات الشعراء وغلواءهم والشعراء يتبعهم الغاوون .

وأما ان كان ذلك فكرة وتخطيطا كما هو المرجح من أمثاله وأعوانه والناشرين لكلامه لتهوين دراسة الفقه وتقليل أهميته وجدواه ، والاستخفاف برجالاته وأساتذته وطلابه ومعاهده ومدارسه ، فهذا ما نرفضه رفضا أبديا ، ونعلن تخطئته ، ونقرر أنه جهل فاضح بالفقه وأحكامه وانظمته ، كما بينا فى بدء المقال .

فهل دراسة تفسير القرآن الكريم والحديث النبوى لها ثمرة عملية فى الغالب غير ثمرة استنباط الأحكام الشرعية منهما ، فهما فى الحقيقة وأغلب علوم الاسلام قد تبلورت وتمثلت فى الفقه والفقهاء ؟ !

وهل يعرف الغربيون عن حضارة العرب وأفكار المسلمين القانونية غير فقه الاسلام الذى يصور المجتمع فى نشاطه الفكرى والاقتصادى والاجتماعى ؟ !

وهل المؤتمرات الدولية اعتمدت غير الفقه الاسلامى مصدرا من مصادر التشريع العام فى العالم ؟ !

وهل يستطيع امرؤ الغض من قدر فقهائنا العظام الذين هم مفخرة الاسلام الكبرى وأعجوبته النادرة بما أعقبوه من تراث مجيد غزير صالح الى الآن ومنذ اثنى عشر قرنا ، لأن رائدهم كان هو الاخلاص والتفانى فى الوصول الى الحق وخدمة العلم ، ولأنهم يستمدون من روح الاسلام وأصوله الأبدية ؟ !

وهل خلد الرومان ذكرهم بالرغم من عظمة دولتهم ومضى آلاف السنين عليها بغير الفقه الرومانى الذى هو شىء يسير اذا قيس بالفقه الاسلامى والذى اشتغل به فقهاؤهم الاقدمون ، حتى كانت آراؤهم ونظرياتهم أساسا أوليا للفقه اللاتينى المعاصر فى أوروبا ، مما بوأ تاريخ الرومان القانونى منزلة جعلته يحتل مقررا دراسيا فى مختلف كليات الحقوق الحديثة ؟ !

ثم انه هل يفتخر الفرنسيون واضعو القوانين فى العالم الغربى بغير مجموعة نابليون بونابرت التى تمخضت عنها الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ م بفضل الفقهاء القانونيين الذين كانوا من ورائها . وكذلك شأن الجرمان والفقه الجرمانى وغيره .

وهل الفقهاء فى كل عصر على ممر التاريخ الا اولئك العمالقة الذين يعكسون لنا صورة المجتمع الذى يعيشون فيه ، ويرسمون لنا صورة نظامه القانونى وحياته التى تسير فى فلكه ودائرته ، فنستفيد بالتالى من تجارب الماضى ونخطط للمستقبل على نحو متزن واضح .

ان الذين يهونون من شأن الفقه ودراسته ويقولون مثلا : انه « فقه العوام » للصلاة والصيام والأعمال ، الم يكونوا هم بالأولى احرص الناس على الاستفادة من هذا الفقه لتصحيح عباداتهم ، وقد شاهدت بنفسى خللا فيها عند بعضهم ، ثم ترغيب الناس وحمل انفسهم بالذات على جعل البيوع والأشرية والشركات والرهون والتجارات على أساس اسلامى ؟ !

ثم الم يعلموا أن فقه الاسلام راجع اما الى آية قرآنية ، أو حديث نبوى ، او اصل اسلامى ، وان عمل الفقهاء ليس بضاعة مزجاة كما يزعمون وانما هو عمل خالد باق مثمر ، وثروة تشريعية كبرى ، وخدمة جلى للاسلام ، ونحن بأمس الحاجة الى دراسة انتاجهم ، واقتناء حصاد افكارهم ؟

وهل أصحاب الفن والأدب والتجارة قليلون حتى نترك دراستنا الفقهية ، ونزاحمهم على عملهم « الشريف » ؟ ! واذا تعرضت مؤسسة تعليمية للعلوم الشرعية للالغاء من سلطة ما ، فلماذا نتألم ونأسف اذا كان هذا الأديب الكبير وداعية الاسلام يرى ان الاشتغال بالفقه الاسلامى مضيعة للعمر والأجر معا : « كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا » .

لا يصح لى أن اقول وفق منطق الكاتب المذكور : ان الاسلام هو الفقه مثلا ، وانما هو كل علم له صلة بالشريعة ، مما يوجب على احترام المختصين فيه ، وتقدير القيم الناتجة عنه ، ذلك لأن الاسلام كل لا يتجزأ وكل علم فيه يخدم العلم الآخر ، والاسلام بنيان كبير يحتاج الى مهرة متعددين متعاونين لا قامة صرحه ورفع لوائه ، والاسلام بحاجة ماسة الى تعاون ايدى كل أتباعه ، فهو يحتاج الآن الى المفسر والمحدث والفقيه والاصولى والمتكلم (عالم الكلام أو التوحيد) والفيلسوف والمؤرخ والداعية ، كما انه محتاج لتطبيق مبادئه ونهضته الى الخبراء الاجتماعيين والاقتصاديين والسياسيين والكتاب والأدباء والمترجمين ، والمخترعين والصناع والتجار والزراع والمثقفين والقضاة واعوانهم ... الخ . هكذا يقوم بنيان الاسلام : « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ، أم أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم ، والله لا يهدى القوم الظالمين » .

ومن يستطيع الزعم بأن دارس الفقه لا يدعو الى الاسلام واقامة دولته ، والجهاد فى سبيل الله ، ومقاومة الأعداء مهما كان لون العدوان ، وطرد المحتلين والمستعمرين من كل جزء من اجزاء بلاد الاسلام ، وهل حمل لواء الجهاد بحق الا الفقهاء على ممر العصور ، فنحن فداء للاسلام بالروح والمال عقيدة وجهادا وتضحية وبذلا وسياسة وعملا واخلاصا ونصحا . قال أستاذنا الجليل

الشيخ محمد أبو زهرة : « ومن يحاول أن يفهم الشريعة الاسلامية على أنها قوانين مجردة ومعالجات لاصلاح طوائف من المجتمع وتنظيم معاملاتهم من غير أن يربطها بالاسلام ، فلن يفهمها على وجهها الصحيح ، لأن الفهم المستقيم : ما قام على رد الفروع الى أصولها ، والنتائج الى مقدماتها ، والأحكام الى غاياتها ، والآراء الى مقاصد قائليها ... » .

وان دراستنا للفقه لا تعنى فقط معرفة آراء فقهائنا العظام فى عصر الازدهار الفقهى فى القرن الثانى الهجرى ، وانما هى دراسة نقدية ايجابية متحركة نامية تقرر ما عليه الفقه فى الماضى — واغلبه جيد — وتبين مدى ملاءمته للحاضر وتطلعات المستقبل ، وعندئذ نستفيد من تراثنا العظيم ومن طرائق المجتهدين فى استنباط الأحكام الشرعية ، ثم نحاول تنمية هذا التراث وتطويره ووضع الضوابط الصحيحة المستفادة من فقهائنا للانطلاق المتعقل نحو المستقبل المنتظر والحاضر القائم .

هذا فضلا عن معرفة أحكام الحلال والحرام والصفة الدينية التى يتصف بها الفقه الاسلامى وبيان أوجه صحة العبادة الشرعية والمعاملات المدنية ، ونوع العقوبات الجزائية التى يجب تطبيقها على الجناة ، وأحكام الأسرة أو الأحوال الشخصية من زواج وطلاق ومواريث ووصايا ، وأصول المعاهدات وأحوال السلم والحرب والأوضاع الدستورية والادارية ، والعلاقات الخارجية والداخلية مع غير المسلمين . كل ذلك يعرف فى كتب الفقهاء ، فهل الاشتغال بذلك يعتبر مضيعة للعمر والأجر معا ، وهل هو فقه أوراق رخيص ؟ !!

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوص بشىء غير العلم والفقه فقال : « أفضل العبادة الفقه » « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » « ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم ... » الحديث . واذا كان الفقه المراد فى الأحاديث المذكورة أعم من فقه الفقهاء ، فهو على كل حال من مشمولاته وأخص ما يراد منه .

والزهد بدراسة الفقه زهد فى الحقيقة بالاسلام ؟ لأن غاية الفقه الاسلامى تنظيم الحياة الخاصة والعامة واسعاد العالم كله ، وتحقيق مصالحهم ، ودفع السوء والمفاسد عنهم ، ووضع أسس المجد المرتقب ، واصلاح العلاقات الانسانية وتقوية الصلة بالله .

فهل العناية بدراسة هذا الفقه لا تخدم رسالة الاسلام ، أو أن العمل فيه عمل مريح لا خطر فيه كما يتصور أديبنا الكاتب الكبير ؟ !

أجل ! انه عمل ثقيل لمن يعرف الفقه ومشتملاته ، ومسئولية عظمى وأمانة كبرى عند من يحسن فهم الفقه ، فالفقيه اذا سئل عن قضية فأفتى فيها بما يخالف ارادة الحاكم مثلا تعرض لكل أنواع الضغط والتعذيب والتنكيل ، كما حصل للامام مالك فى عهد أبى جعفر المنصور حيث أفتى بعدم وقوع طلاق المستكره ، فجلد ، وكما ثبت الامام أحمد أمام سياط الخليفة المأمون فى محنة خلق القرآن ، فثبتت بثباته عقيدة الأمة .

ومع كل ذلك ، هل الحكام والأمراء ودعاة الاصلاح بغنى عن فقهاء يعتبرون عونا أوليا لهم ، وسندا دائما معهم ، وقوة فكرية تؤصل سياستهم أو دعوتهم على أساس علمى رصين ، وفكر ثاقب ، ورأى نافذ ؟ !

فليس الاسلام عاطفة فقط ، ولم يقم مجتمعه على غير هدى ونور ، وعلم وفقه ، ونظام وتخطيط .

وهل اثبات صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان ، او اثبات مرونته وتطوره وقابليته للحياة الحاضرة يكون بغير دراسة الفقه وانضاج احكامه ، وسبر اغواره ، ورصد تطلعاته ومراميه وابعاده ؟!

واذا كان منهج الاسلام وطبيعته فى بادىء أمره فى مكة هو محاربة عوامل الانحراف الاساسية للمجتمع ، والقضاء على مفاسد الجاهلية ، فلا يعنى ذلك أن يكون الحفاظ على الاسلام الآن وتهيئة عوامل الاستقرار لأنظمته رهينا باصلاح العقيدة فقط ، بل لابد من تعاطف جميع القوى الاسلامية وقوانين الاسلام لاقامة حياة منظمة ومجتمع مسلم ، وهل القوانين الوضعية الآن التى تخطط لأفكار الناس ونشاطاتهم سوى فقه الفقهاء وصنيع العلماء ؟!

أجل !! ان محاربة دراسة الفقه من بعض المسلمين ، أو قادتهم ان كانوا كما يحسبون قادة لموقف غريب مدهش ، بل هو اشد ما رأيته غرابة فى حياتى فى عصرنا الحاضر الذى لا تقوم فيه دولة بغير دستور وقانون . وعلى كل حال فالتهوين من دراسة الفقه بكل ابوابه مصدره جهل به ، وغرور مسيطر على نفوس بعض الأشخاص ، ولعلى لا أبالغ فى اثبات صحة ما أقول ان تحديت أو امتحنت أمثال أولئك المستهينين ليفهمونا حقيقة نص فقهى أو منشأ قاعدة أصولية ، أو طريق الخلوص من تعارض دليلين شرعيين ، ان لم يحتكموا الى مجرد عقولهم ومنطق اقوالهم ، وما ابعدها احيانا عن المنطق الصحيح والفكر الاسلامى الأصيل .

ان الفقه الاسلامى الذى عرف احدث النظريات القانونية الجديدة مثل نظرية الظروف الطارئة والقوة القاهرة ، ونظرية تحمل التبعة ، ومسئولية عديم التمييز ، والتعسف فى استعمال الحق ، والضرورة ، وضمان الاعتداء أو المسئولية المدنية والجنائية .. الخ : هذا الفقه أى عار فى دراسته وهلا نعترف بأنا مازلنا مقصرين بحقه للاستفادة منه ، ولرفد الفكر المعاصر بأصول ومبادىء كثيرة من معينه الذى لا ينضب . وعند ئذ تتجلى الحقيقة الدامغة ، وتتبدد أوهام القائلين بأن دراسة الفقه الاسلامى هى مجرد دراسة تاريخية محضة متذرعين بعدم تطبيقه الآن ؟ !

الفئة الثالثة :

بعض دعاة الاصلاح للدراسات الاسلامية فى المعاهد والجامعات : لقد طالعتنا أحداث « المجددين العصريين » بالعجب العجاب استجابة لصيحات سابقة باصلاح مناهج الدراسات الاسلامية منذ أكثر من ربع قرن ، مطالبة تلك الصيحات بالنهوض بدراسة المشكلات المعاصرة وتغيير الكتب المقررة ، وتبسيط المقررات الشرعية ، والابتعاد عن دراسة الفروض والقضايا النظرية والمسائل الخيالية والأبحاث غير الموجودة فى وقتنا .

لكنا مع الأسف بعد أن ترقبنا المولود السعيد القوى « تمخض الجمل فولد فأرا » فكان الاصلاح الجامعى على غير المراد ، اذ جاء مسخا وتقصيرا وقتلا

أو اضعافا للدراسات الاسلامية ، فبدلا من وضـــع المناهج الجديدة فى مرحلة التعليم الثانوى والجامعى على اساس اسلامى صرف يؤصل الاحكام الاسلامية ويربطها بأصولها الأولى ونظرياتها العامة ومقاصد التشريع وتعميق الأفكار وعقد الصلة بالحياة الحاضرة ، وبدلا من توسيع دائرة تدريس العلوم الاســـلامية ، بدلا من كل ذلك تركز الاتجاه نحو تقريب الفقه الاسلامى مثلا من القانون الوضعى على انه الأصل « الأسمى » وأصبحت المقارنة مع الفقه تستهدف تذليل الأحكام المخالفة للقانون على نحو يتقبله سدنته وتصـــورات رجاله ، ناسين بأن فقهنا الاسلامى له طابعه الاستقلالى ، وأن القانون لم يستقر بعد ، وهو من وضع المستعمرين والأعداء الحاقدين .

واصبح مع الأسف الشديد حظ دراسة العلوم الاسلامية بمقدار الخمس ، وخصصت الأربعة الأخماس الباقية للعلوم العصرية .

الفئة الرابعة :

الزعانف والطفيليون : وهؤلاء أمرهم جلل حقير اذ أن كل الناس يعرفونهم ، فهم لنقص فى تكوينهم لاهم لهم الا التطفل على العلم ومحاولة مد الرءوس على موائد العظام ليختلسوا عظمة تسد جوعتهم ، وترفع خسيستهم ، وتعوضهم عن دناءة طبعهم وانحطاط اقدارهم ، ليظهروا بذلك فى مصـــاف العلماء ، بل فوق الفقهاء ، بل المجددون المصـــلحون كما يروق لهم وكما يزعمون ، ولكن لا يعدو امرهم عن أنهم كالحجاب الـــذين اعتادوا السطـــو على ما فيه جيوب الناس ، أو التسلط على سدة الحكم وتقلد السلطة كما حصل فى دور انحطاط الخلافة العباسية .

وطريق هؤلاء فى الظهور تتبع شـــواذ الآراء الفقهية ومحاولة ترجيحهـــا وتقويتها بظواهر الأحاديث النبوية ، ثم يطلعون على الناس بالجديد « المحقق » والرأى « الصائب الدقيق » المستقى من سنة النبى صلى الله عليه وسلم وفقه السلف الصالح ، وكأن فقهاءنا كانوا لا يعرفون السنة فى عهد تدوين الســـنة وفى القرن الذى شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالخيرية ؟ !

وان أردت معرفة هؤلاء فهم بسطاء فى العقل ، قساة فى الطبع ، شذاذ فى الآراء ، يزعمون التجديد ، ويزيفون اقوال فقهائنا الغابرين الذين شهد لهم الشرق والغرب بفقهم ، يعادون اساتذة الفقه ويصـــفونهم بالجهل ، ويتكلمون بكلام اخرق لا ادب فيه ولا ذوق ولا ميزان ولا اصول ، ويتشـــدقون بالأقوال ، وينادون بتوحيد المذاهب الاسلامية والزام الناس براى واحد من بين هذه الآراء التى هى « ركام » أو « خيام » أو خرافات » . وأما هم فلا يقولون الا حقا ، ولا ينطقون الا بالحكمة ، ولا يرون رأيا أصح أو أرجح فى الاسلام من رأيهم « الفج » وصدق الله حيث يقول : « ولا تقولوا لمـــا تصف السنتكم الكذب : هذا حـــلال وهذا حرام . . » الآية .

هؤلاء فى الحقيقة عنوان الخرق والسفه والجهل والطيش والغرور ، لأن الدعوة مثلا الى **توحيد المذاهب دعوة فارغة وكلام شاعرى** اذ كيف يمكن جعل الاثنين فى واحد أو الاناءين فى وعاء واحد ؟ فاختلاف المذاهب الفقهية أمر ضرورى

لمن اشتغل بالدراسات الفقهية وعرف ادلة الشريعة وطبيعتها وكيفية استنباط الاحكام منها وتنوع الفاظ اللغة العربية فى الدلالـــة عــلى الحكم ، وهو ايضا اختلاف يعد بحق رحمة للامة لما فيه من توسعة وتيسير فى اتبـــاع الشخص ما يسهل عليه عند الحاجة ووفق متطلبات الحياة . وبذلك يعتبر اختلاف المذاهب الاسلامية مفخرة كبرى ، لأنه ثروة تشريعية عظيمة يأخذ منها الناس ماهم بحاجة اليه ، لا سيما وان الحاجات متجددة ، والمصـــالح متغيرة ، والأنظمة متبدلة ، والحياة فى حركة وفاعلية ونمو وتبدل مطرد ، فاذا الزمنا الناس براى واحد أو بمذهب معين ــ وهو مالم يجرؤ عليه كبار الخلفاء العباسيين ــ نكون بذلك قد حفرنا بأيدينا قبورنا لأنفســـنا . والتوفيق بين المذاهب يخلق نوعا جــديدا من التعقيد والتضييق اعقد بكثير مما عليه الفقه الحاضر ، بل انه يزيدنا حيرةوارتباكا كبيرين فى التزام وتطبيق الأحكام الشرعية .

نعم انه لا مانع من الأخذ باى راى او مذهب اســـلامى فى مجال التقنين الموضوع ، لأن للحاكم ترجيح أحد الآراء الفقهية ، ثم قد يجد حاكم آخر بعـــده تجافيا لهذا الراى مع المصلحــــة الزمنية . ومن هنـــا اصـــاب مخططـــو الموسوعة الفقهية فى الكويت وغيرها بالاقتصار على عرض احكام الفقه الاسلامى كما هى دون تدخل من الكاتب براى شخصى الا فى الحاشـــية ، حتى لا يكون هناك حجر فى المستقبل على الأخذ براى آخر ، لا سيما اذا كان المرجـــح غير اصيل النظرة الفقهية ، بله العالة على الفقه ؟ !

الفئة الخامسة :

دعاة الاتجاه النظرى للفقه : وهؤلاء يقولون : ان الفقه الاسلامى فى بدء تكوينه اتجه اتجاها نظريا منفصلا عن الحياة العملية الواقعية ، او انه فقه ورقى مثالى لا يتعدى جدران منزل الفقيه وتصوره المجرد . وهذا الفريق ممن تتلمذ على بعض كبار المستشرقين من اصل يهودى مثل جولد تسيهر ، وكأن هؤلاء تأثروا بما كان يصدر عن الخلفاء الأمويين والعباسيين من مخالفات لأحكام الفقه . وهذا لا يصلح حجة ، فان مخالفة الحاكم السياسى لحكم فقهى لا يصـــلح دليلا على مثل هذه الدعوى الخطيرة الفارغة التى تلتقى مع انصار الفئة الثانية التى تكلمنا عنها ، وكلهم كما أوضحنا مخطئون فى تصورهم عن الفقه والفقهاء ، لأن فقه الاسلام يعتمد فى الدرجة الأولى على النصوص الشرعية التى لا مجال للادعاء بأنها لم تجىء للحياة العملية ، واما المخالفات فهى حجة على اصحابها فقط .

واما فقهاؤنا ــ كما هو معروف عن حياتهم وسيرتهم ــ فقد كانوا على صـــلة وثيقة بالحياة بدليل اعتمادهم على الأعراف والعادات والاستحســـان والاستصلاح والقرائن العرفية ، واستقراء الحوادث وتتبع أحوال الناس ، وسؤال التجار والاختلاط بهم ومعرفة مايدور فى الأسواق وتعاطى الصـــنعة والتجارة احيانا ، والتنقل فى البلدان طلبا للحديث ، ومعرفة الأحوال السائدة فى الأمصار وفى العواصم والأقطار ، مما يكون سببا أحيانا للرجوع عن مذهب كامل أو عن آراء فى مسائل جزئية ، لذا كان الفقهاء المتأخرون يقولون عن اختلاف بين ائمة المذاهب المتقدمين : هذا اختلاف عرف وزمان ، لا اختلاف حجة وبرهان .

وكان بعض الفقهاء يوجهون الحكام بطريقة غير مباشرة فى وضع الخطط السياسية والاقتصـــادية والاجتماعية ، لما كان للفقهاء من منزلة مرموقة بين الناس ، حتى ان الخلفاء العباسيين وجدوا حاجة ماسة للتقرب من الفقهاء .

وقد يوجهون الخلفاء بطريقة مباشرة باصدار الفتاوى واقتراح الترتيبات اللازمة لاصلاح الادارة والنظم المالية لتأمين الواردات ، والعدالة فى النفقات . وكان الفقهاء هم الذين يضعون أنظمة القضاء وطريق الفصـــل فى المنازعات والأقضية وشروط القضاة ، ويفيدون أيضا بلفت الأنظار نحو مبدأ السياســـة الشرعية والضرورات العملية الطارئة التى تقتضيها شؤون الحياة والعمران والدولة والأفراد .

هذا فضلا عن أن الفقهاء كانوا المرجع الأوحد لافتاء الناس فى قضاياهم المدنية والجنائية ، وكان المسلمون حريصين فى كل زمن على الاستفادة من علم الفقيه واجتهاد المجتهد .

فهل كان هذا الفقه بعد كل هذا عملا مثاليا نظريا غير مطبق ولا متفاعل مع الحياة العملية ؟ !

ان هذه دعوى من أبطل الباطلات ، وسبحانك اللهم هذا بهتان عظيم .
نعم كان هناك ما يعرف بالفقه الفرضى أو الافتراضى اى افتراض حوادث ووقائع لم تقع ، والحكم عليها سلفا ، الا أن هذا لا يعنى أن تكون الحادثة نظرية بحتة ، وانما احتمالات وقوعها كثيرة ، وهذا يدل على بعد نظر الفقهاء وعمق تفكيرهم ، مما أكسب الفقه وبخاصة فقه الحنفية خصوبة وسعة وحيوية .

هؤلاء هم المعتدون على الفقه الاسلامى من اهله وذويه ، والمسلمون عموما اشد عدوانا باهمالهم المطالبة بتطبيق أحكام الاسلام واحترام مبادئه ، والتزام اهدافه ، وتنفيذ شرعه عملا ، الا انه بالرغم من كل صنوف العدوان الأثيمة ، والوان الظلم والقطيعة ، سيظل الفقه الاسلامى فقها ذا مدلول وقيمة حضارية كبرى ، ولن يهون من شأنه اقلام وأشخاص وفئات نكرات عنه ، وليطمئن الناس الى أن من يستهين بالفقه ومدارسه واساتذته شأنه شأن قول القائل :

كناطح صخـــرة يوما ليوهنها ... فلم يضرها ، وأوهى قرنه الوعل



النشـــاط الصهـيوني الأمـريكي

« عود على بدء »

لمطّلع كبير

وبمناسبة الحديث عن النشاط الصهيونى بالولايات المتحدة الامريكية الذى نشر بعدد شهر رجب ١٣٩٠ بمجلة « الوعى الاسلامى » الغراء يحسن أن نتنبه الى أن نفوذ ذلك النشاط واثره يتجاوز الحدود الامريكية ويتعداها الى سائر الاقطار فى أوربا وآسيا وافريقيا واستراليا ، حيث تتجاوب له جيوب المنظمات الصهيونية العلنية والخفية المنبثة فى جميع الاركان . فمما لا شك فيه أن السنة الاعلام الامريكي اقوى منها فى اى بلد آخر واكثر موارد واقوى نفوذا ، فما تنشره الصحافة الامريكية التى يسيطر عليها الصهيونيون بصفة تكاد تكون كاملة تتلقفه السنة الاعلام بالبلاد الاخرى وخاصة فى الاقطار الموالية للغرب فتعكس ما فيه وتكرر الاكاذيب والتلفيقات التى يحتوى عليها ، وفى ذلك من الخطورة ما فيه .

ويجب أن نعلم أن خصومة الصهيونية للعرب والاسلام لا تقتصر على الناحية العسكرية ، بل هم يحاربوننا فى عقائدنا ، ويحاربوننا ثقافيا وحضاريا وتاريخيا ، ويعملون على طمس المعالم ودفن الحقائق ، ويبنون على انقاضها اكاذيب ملفقة يروجونها ، ويكررونها فيغيرون الحقائق التاريخية ، ويصفون الكتاب الكريم بما ليس فيه ، بل يحرفونه ويغيرونه ، ويقللون من اهمية حضارة

الاسلام ويمسحون عقيدته ، والخطر كل الخطر ما يترك ذلك من اثر فى عقول الناشئة ، ولو أن قادة الفكر الاسلامى اهملوا هذا الجانب فواصلنا تغافلنا ولم نعد العدة لمواجهة هذا الخطر بطريقة علمية فعالة ، فانه يخشى أن تنشأ الاجيال الجديدة وخاصة فى البلاد الغربية ذات النفوذ متشبعة بهذه الاكاذيب متقبلة لها على انها حقائق تاريخية او ثقافية او دينية .

ولنضرب بعض الامثلة لتلك الاكاذيب التى اضحت لدى شعوب الغرب — الا لدى من عصمه الله — وكأنها من التنزيل .

يكذبون — لعنهم الله — نبوة الرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويزعمون انه انما تعلم من اهل الكتاب الذين يدعون انهم كانوا يكثرون فى مكة والمدينة وانه اخذ عنهم وخاصة عن اليهود ثم كون افكاره ، وزعم انه يوحى اليه ونسب كتابه الى الله — استغفر الله — فيمثلون لذلك باتخاذ القدس قبلة فى الصلاة ايام مكة وفى بدء عهد الهجرة بالمدينة ، ولكنه لما حقد على اليهود جدلهم وفضيحتهم اياه (هكذا) غير اتجاه القبلة وجعلها تجاه الكعبة نكاية فى اليهود ، ويضربون المثل ايضا باحترام الاسلام ليوم عاشوراء تقليدا لليهود ، وباتخاذ احد ايام الاسبوع يوما ذا صفة دينية خاصة اتباعا لهم ، ولكنه كى يخالفهم جعله يوم الجمعة بدلا من يوم السبت !

ثم انهم ليكذبون على القرآن ويصفونه بما ليس فيه ، ويكذبون على الرسول صلى الله عليه وسلم وينسبون اليه مالم يقل او يفعل ويروجون الزعم بان النبى صلى الله عليه وسلم فرض دينه على عرب الجزيرة بحد السيف ، ثم تبعه فى ذلك اصحابه فنشروا دينه بجيوشهم الجرارة وبعامل الرعب والفزع لا بالاقناع والحجة متغافلين عن الحقائق التاريخية وعن نصوص القرآن نفسه التى تعارض هذه الاكاذيب !

والعجب كل العجب ان تلك المفتريات تلقى اذنا صاغية متقبلة ، وليس ادل على ذلك مما ذكره قاض امريكى كبير كان الى عهد قريب عضوا بارزا بالمحكمة العليا ، زعم فى سياق الحديث عن التعليم الدينى بالمدارس ان فاتحة الكتاب التى يكررها المسلمون فى صلاتهم تحض على قتل غير المسلمين ، ونشرت الصحف ذلك الحديث فاحدث ضجة بين مسلمى امريكا الشمالية وكتبت اليه احتجاجات مشددة من جانب البعض واستفسارات مهذبة من بعض السادة سفراء الدول الاسلامية ، فكانت اجابته غير مقنعة ولم يبال بتصحيح ما ذكره فى الصحف كما كان ينبغى .

ومما قرانا اخيرا فى صحيفة يسارية موالية للصهيونية مقالا لاحد مراسليها عاد من زيارة للمغرب العربى فصار يسب فى اهله ويطعن فى اخلاقهم ويصف الكتاتيب وصبيانها وصفا مزريا وزعم انهم يتعلمون هناك قصصا منها ان محمدا (صلى الله عليه وسلم) رأى اصحابه مرة يتكلمون مع النصارى بالمدينة فغضب لذلك ونهرهم وزجرهم .

ثم انهم ادخلوا فى روع العالم ان الوجود الاسرائيلى الحديث هو ما بشرت به نصوص العهد القديم التى يؤمن بها ويقدسها اليهودى والمسيحى على السواء ، اعنى تلك النصوص التى وعد الرب فيها ابراهيم ان تكون أرض

فلسطين لذريته ، متناسين ان من العرب ايضا من هو من ذرية ابراهيم ، ومتجاهلين للحقيقة اعنى أن زعماء الصهيونيين الافاقين صادرون من سلالات لا تمت لابراهيم عليه السلام بصلة وانما اعتنق اسلافهم دين اليهودية ، فليس كل يهودى من ذرية ابراهيم كما انه ليس كل مسلم من ذرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم !

ثم يزعمون أن الوجود الاسرائيلى حقيقة تاريخية ثابتة ، بمعنى انه منذ قامت دولة اسرائيل على يد دواد لم ينقطع ابدا وجود عدد من اليهود بفلسطين او بمدينة اورشليم (القدس) بصفة خاصة قل ذلك العدد أو كثر ، حتى قامت دولة اسرائيل الحديثة عام ١٩٤٨ ، بينما حل العرب بفلسطين مع الفتح الاسلامى فقط أى منذ مادون اربعة عشر قرنا ، ثم يقولون ان فلسطين لم تكن ابدا دولة عربية مستقلة ، بل كانت تحكمها المدينة او الكوفة أو دمشق أو بغداد أو القاهرة أو استانبول حتى فرض عليها الانتداب البريطانى عقب الحرب العالمية الأولى . ويتغافلون عن الحقيقة التاريخية وهى ان العرب كانوا مستقرين بفلسطين قرونا قبل الفتح الاسلامى الذى حطم دولة الغساسنة العربية الموالية للدولة البيزنطية فى ذلك العهد ، وان اليهود كانوا ممنوعين عن الاقامة بمدينة القدس حتى الفتح الاسلامى ، ثم انهم يقيسون الامور على ضوء مفهوم القومية الحديث متجاهلين الحقيقة ، وهى ان فلسطين جزء من الامبراطورية الاسلامية المجيدة لا يعنيها اذا كان مقر خليفتها المسلم الكوفة أو دمشق أو استانبول ، والعجيب ان تلك الترهات يبتلعها ويتقبلها من يظهر مواليا للقضية العربية من الغربيين وتنعكس فى كتاباتهم !

ومن الأكاذيب التى اصبحت حقائق مسلمة تتكرر دائما على الالسنة وعلى صفحات الجرائد وبالكتب والنشرات وعلى شاشة التلفزيون زعمهم أن لاجئى عرب فلسطين ضحية اخطاء الحكومات العربية المجاورة ، فيدعون انه فى عام ١٩٤٨ ــ عندما حصلت اسرائيل على ما يسمونه الاستقلال ــ عملت الدول العربية على احراق اليهود بالنار وقذفهم فى البحار وسيرت جيوشها الى فلسطين لهذا الغرض ونشرت نداءات لعرب فلسطين باخلاء بيوتهم والخروج الى الصحراء كى لا يتعرضوا لاهوال الحرب حتى اذا تم تطهير البلاد من اليهود عادوا على ديارهم ، ولكن يقولون هزمت الجيوش العربية ونجحت اسرائيل فى استقلالها ثم لم تكن اسرائيل لتقبل عودة هؤلاء لخطورتهم على سلامتها ، ثم انهم لا يذكرون شيئا مما يقوله الطرف الآخر من اثر اعمال عصابات الارهاب الصهيونية حتى قبل قيام اسرائيل ــ كما حدث فى مذبحة قرية ديرياسين فى ١٠ ابريل ١٩٤٨ التى ملأت قلوب السكان العزل المساكين فزعا ورعبا وحفزتهم على الهرب بعد أن ذبح فيها ٢٥٤ من رجالهم ونسائهم واطفالهم ، وكان هذا فى الحقيقة الهدف المبيت لهذه الاعمال الوحشية ، كما طردت اسرائيل وتطرد عشرات الآلاف من اصحاب البلاد ، وتنسف بيوتهم وتستحل اموالهم على مسمع من الغرب الاعمى المطموس على قلبه !

لا يذكرون هذا حتى على سبيل الجدل ويحاولون الرد عليه وذلك كى تكون دعواهم وحدها هى التى تشغل افكار الناس وعقولهم ولا يزاحمها فى ذلك قول آخر .

لقد استشرى الخطب واستفحل المصاب ، ولكن اليأس والقنوط عجز ، والكتاب الكريم يقول « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

ولكن ليس معنى حفظ الله لهذا الذكران يتحقق باعجوبة او عن طريق المعجزات ، فقد انتهى عهد تنزل الملائكة مسـومين أو مردفين ، وانما يكون ذلك عن طريق العمل الاسلامى الصحيح والكفاح الواعى المستنير .

لذلك ينبغى علينا معشر المسلمين أن نعى حقيقتين ثابتتين ، ثم نخطط كفاحنا على اساسـهما ، الحقيقة الأولى هى ماذكرنا من قبل من أن الخطر الصهيونى ليس قاصرا على الناحيتين السياسـية والعسـكرية فحسب بل هو خطر يتهدد ديننا ويحاول تحـطيمه ، واليوم نرى المسـجد الاقصى اولى القبلتين وثالث الحرمين بيد العدو وتحت رحمته . ولولا بعض الاعتبارات لهدم وبنى المعبد على انقاضه ، ويخشى أن يتعرض القبر الشريف والمسجد الحرام لغارات العدو وقنابله ، وقد سمعنا أن متحدثا من قادتهم أنذر بذلك ، لذلك لا يسـوغ للعرب أن يعتبروا كفاحهم من اجل قومية عربية بل يجب ان يكون جهادا دينيا اسلاميا ، كما أن على المسلمين خارج الأمة العربية أن يتيقظوا الى الخطر الذى يهدد اماكنهم المقدسة ويتعرض بالتالى لشرف دينهم ومستقبل اسلامهم .

والحقيقة الأخرى هى أن الصهيونية ليست عقيدة يهودية محضـة بل فلسـفة يهودية تؤديها وتعتنقها المسـيحية الغربية يتزعمها اليهود ومن خلفهم ساسة المسـيحية الاوربية واموالها وعتادها ، ويجب أن نذكر أن الخصـومة بين الاسلام والمسـيحية الغربية أمر قديم بدأ منذ قهرها الاسـلام فى القرن السابع الميلادى واوقف امتداد نفوذها السياسى شرقا بل ازاله من بلاد الشرق الاوسط كله ، لقد تعايشت المسيحية الشرقية مع الاسلام منذ ذلك الحين فى سلام وذلك لما ابداه الاسلام من مبادىء العدل والتسـامح ولكن المسـيحية الغربية المنهزمة لم تحتمل الصدمة بسهولة بل ابطنت حقدها علـى الاسـلام ونقلته الى اجيالها الناشئة جيلا بعد جيل ، عن طريق تغذيتها بافكار مسمومة واتهامات باطلة عن الاسلام وكتابه وحياة رسوله ، ثم تحينت للاسلام الفرص حتى واتتها ايام زحف المغول على الجناح الشرقى من الخلافة الاسلامية فحملوا على الجناح الغربى منها حيث حشدوا جيوشهم واساطيلهم فيما سمى بالحروب الصليبية وارتكبوا من الفواحش والمنكرات والتمثيل بالمسلمين ما يعجز عنـه الوصف ، كما انتهزوا ضعف المسلمين وتفرق كلمتهم فى اسبانيا فطردوهم منها بطريقة وحشية آثمة شنوا بها ما انطوت عليه قلوبهم من غل واحقاد ، ولكن آمال المسيحية الاوربية فى الشرق الاوسط تحطمت على يد صلاح الدين الذى عاملهم معاملة كريمة نبيلة فما رضخوا ولا سكنوا بل ارسلوا جيوشهم فورا لاكتشـاف موانى البـلاد الاسـلامية فى آسيـا وجـزر الهنـد الشرقيـة ليحتلوها بقوة السلاح وليذيقوا أهلها المسلمين الويلات وصنوف البلاء والتعذيب وليصرفوا اهلها المسلمين عن دينهم الحنيف الى المسيحية ان استطاعوا ، ولمـا لم يستطيعوا اذاقوا اهلها الويلات وصنوف التعذيب دون رحمة أو شفقة .

لقد ضـج الغرب كله هذه الايام ورفع عقيرته بالاتهام والغضب عندما تعرض الفدائيون الفلسطينيون لبعض الطائرات المملوكة لبلاد معادية وخشوا على حياة ركابها ، ونسوا أن اسلافهم فى القرنين السادس عشر والسابع عشر احرقوا سـفنا تحمل حجاجا آمنين فى طريقهم الى البيت الحرام بمن فيها من نساء واطفال بل كانوا يصفرون ويسـخرون ، يستمتعون بمنظر ضـحاياهم

الذين اصبحوا وقودا لنيرانهم ، ولقد كانوا يضحكون من امهات استغثن بهم والقين اليهم باطفالهن فيتذفون بالاطفال المساكين فى النار كما يقذف الفحم للوقود ، اننا لا نبرر ايذاء آدمى ولا نرضى عنه ولكننا نود ان نذكر الغرب باعماله وما كسبت يده الآثمة وما تكسب ، الا تحرق اسرائيل بغاراتها عشرات الآدميين ومثاتهم وتهدم عليهم بيوتهم على مسمع من هؤلاء الذين يزعمون انهم اتباع المسيح واحباؤه ؟ لماذا لا يفوهون بكلمة انسانية طيبة ؟ لماذا يمدونهم بالاسلحة الفتاكة الاجرامية وهم يعلمون انها لتخريب المدن والقرى وقتل من بها من نساء وشيوخ وصبيان ؟

اننا لا نتهم المسيحيين جملة بالظلم والتعسف ، بل نحفظ الجميل لكثير منهم من اصدقائنا الذين عاشوا بيننا وشهدوا ابلغ انواع الظلم والمكيدة تنزل باهلنا وذريتنا ، انهم يحاولون الدفاع عن قضيتنا وان يصلوا الى اسماع اهليهم وقلوبهم بمنطق العدل والرحمة ، ولكن ابواق الصهيونية المدوية وعقائرها الوقحة العالمية ، وامكانياتها الواسعة واموالها الطائلة ونفوذها الجبار يطغى على صوت العدالة الخافت ويجرف بجبروته وعنفه اثر تلك الجهود لهذه البقية الصالحة الكريمة .

يساعد على ذلك تشتتنا وتفرقنا وخلافاتنا وانانيتنا وعجزنا حتى امام هذا الخطر الاعظم الذى يهدد ديننا وكياننا عن أن نتفق امام العالم على مواجهة العدو الخبيث ، وعصياننا فى صراحة فاضحة لتعاليم ديننا وارشاد كتابنا وهدى نبينا ، فكان لذلك خطران ، الاول أن الاجيال الاسلامية الناشئة التى تتلقى المعرفة والقيم من جيل الآباء والاجداد تعانى من تعارض عقلى ونفسى يجعل تاثير ما يتعلمونه سطحيا غير عميق ، ويعودهم على الاستهانة بهذه القيم والارشادات حيث يتعلمون شيئا ثم يجدون المشاهد مخالفا ومعارضا له ، فيمرض ضميرهم أو يموت ، ويهون عليهم العصيان والمخالفة ، فينذر ذلك بخراب الامة وضياع الدولة وفساد الجماعة ويفقد الامل فى اصلاحها واعادة هيبتها وضمان مصيرها ، كما ان العالم الخارجى يشهد حال المسلمين فيتهم الاسلام بانه دين يودى باهله الى القهقرى ولا يعينهم على مواجهة حاجات العصر ومقتضياته ، ولا ينهض بهم على التعاون والاتحاد أمام خطر يهدد مصيرهم ومصير تراثهم فينفرون منه ويزدرونه ، يحسبون سلوك الناس ومستواهم انعكاسا لدينهم ، ونتيجة لعقائدهم وتقاليدهم ، والاسلام فى ذلك — والله — لمظلوم !



منزلة العبادة في المسجد

منزلة المسجد الحرام بين المساجد . شد الرحال إليه .

تحديد المراد بالمسجد الحرام .

فضل الصلاة فيه .

العبادات الأخرى هل تضاعف ؟

الجوار فيه . الصد عنه .

الزيادات بعد العهد النبوي هل لها حكم المسجد الأول . ؟

الحرام والمسجد النبوي

للشيخ : محمد الأشقر

تتبين منزلة المسجد الحرام بين المساجد المبنية لله ، لمن يعلم (١) انه أول مسجد فى الأرض بنى لعبادة الله . و (٢) انه قبلة الصلاة والدعاء والدفن للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها مع اقتران ذلك بأن الاسلام ناسخ لما قبله من الشرائع . و (٣) أنه مخصوص بمزيد من العناية الالهية و (من يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) سورة الحج / ٢٥ . و (٤) أن الحج اليه ركن من أركان الاسلام . و (٥) أن الصلاة فيه مأجورة بمائة ألف صلاة فى ما سواه . و (٦) أن من دخله كان آمنا رعاية لحرمة الله وتعظيما لجنابه و (٧) أن الوحش والطير يأمن فيه مما يؤذيه ، بأمر الله الشرعى فيسرح ويمرح فى جواره آمنا . وكذلك النبات . و (٨) ان اشراع السلاح فيه للقتال ممنوع ولو على الكافر الا دفاعا عن النفس . و (٩) انه يحرم السماح للكافر بدخوله لأن الكافر نجس ، والبيت مطهر . و (١٠) أن حرمه يستوى فيه العاكف والبادى من المسلمين . أى المقيم والغريب يستويان فى حقوق الاقامة فيه و (١١) انه لا تشد الرحال الى مسجد من المساجد أو مكان من الامكنة بقصد زيارته والعبادة فيه ، ما عدا هذا المسجد والمسجد النبوى والمسجد الاقصى . و (١٢) أن تأسيسه كان على يد ابراهيم خليل الله واسماعيل الذبيح وفيه مقام ابراهيم والحجر الاسود و (١٣) أن فيه عبادة لا تصلح فى مكان آخر وهى الطواف والسعى . وبعض هذه الميزات ناشىء من بعض .

١ ــ اما الميزة الأولى ، فقد قال الله تعالى (ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين) سورة آل عمران / ٩٦ . وقال ابو ذر للنبى صلى الله عليه وسلم : اى مسجد فى الأرض وضع اول ؟ قال «المسجد الحرام» قلت : ثم اى ؟ قال : « المسجد الاقصى » قلت كم بينهما ؟ قال « أربعون سنة » رواه البخارى ومسلم (ابن كثير ، التفسير ، سورة آل عمران /٩٦) وأوضح ما قيل فى تفسير ذلك أن ابراهيم بنى البيت الحرام ، ويعقوب بنى المسجد الاقصى ، ويعقوب حفيد ابراهيم فالمدة بينهما قريبة .

٣ — وأما القبلة فبقول الله (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) البقرة / ١٤٤ .

٤ — وأما الحج فبقول الله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) سورة آل عمران / ٩٧ مع قول النبى صلى الله عليه وسلم « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وحج البيت وصوم رمضان » رواه البخارى ومسلم .

٥ — وأما مضاعفة الصلاة فيه فتأتى فى اواخر هذا البحث .

٦ ، ٧ ، ٨ — وأما الا من فيه للبشر والحيوان والنبات فلقول الله تعالى (ومن دخله كان آمنا) سورة آل عمران / ٩٧ وقوله (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) سورة البقرة / ١٩١ . وقوله (أو لم يرو أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) سورة العنكبوت / ٦٧ . مع قول النبى صلى الله عليه وسلم « مكة حرمها الله تعالى ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة « وفى لفظة » « ولا يصاد صيدها » .

٩ — ومنع المشركين من دخوله لقول الله (انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) سورة التوبة / ٢٨ .

١٠ — وأما استواء المواطن والغريب فى حقوق الاقامة فيه ، فلقول الله تعالى (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد) سورة الحج / ٢٥ .

١١ — وأما جواز شد الرحال اليه والى المسجدين النبوى والاقصى للعبادة دون المساجد الأخرى فلقول النبى صلى الله عليه وسلم « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى » رواه البخارى ومسلم .

١٢ ، ١٣ — وأما تأسيسه على يدى ابراهيم خليل الله واسماعيل الذبيح بأمر الله ، والطواف فيه والسعى فلقول الله (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود) (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) سورة البقرة / ١٢٥ ، ١٢٧ .

هذا وانما ذكرت من الادلة اصرحها ولم اقصد الحصر .

تحديد معنى (المسجد الحرام) : باستقراء مواضع ورود هذا اللفظ فى الكتاب والسنة نجده (١) احيانا يعنى به (الكعبة) فقط دون ما حولها (٢) واحيانا يعنى به (الكعبة وما حولها مما هو مهيأ ومعد للصلاة فيه) فقط دون ما حول ذلك من ارض مكة وحرمها .

(٣) واحيانا يعنى به (مكة كلها وما حولها من حرمها) .

(٤) واحيانا أخرى يدور اللفظ بين هذه المعانى الثلاثة .

مثال الأول : قول الله تعالى (فول وجهك شطر المسجد الحرام) مع قول ابن عباس عن الكعبة (البيت كله قبلة) .

٢ ــ ومما عنى به مسجد الصــلاة المحيط بالكعبة قوله تعالى (اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ...) سورة التوبة / ١٩ . وقوله تعالى (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) فليس المقصــود به كل الحرم المكى . والا لقال (ولا تقاتلوهم فى المسجد الحرام) .

٣ ــ ومما عنى به (الحرم المكى كله) قوله تعالى / (سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام ...) سورة الاسراء / ١ . على رواية من روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ليلة الاسراء يبيت فى بيت ابنة عمه أم هانىء بنت ابى طالب . وهو طبعا خارج مكان الصلاة .

وغالب ما ورد من ذكر (المسجد الحرام) دائر بين هذه المعانى الثلاثة دون تحديد (١) ومثال ذلك (ان الذين كفروا ويصدون عن ســبيل الله والمسجــد الحرام) (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) (انما المشركون نجس فــلا يقربوا المسجد الحرام) .

وانمــا دار اللفظ بين المعــانى الثلاثة لأن (الكعبــة) بنيت لأجــل أن يصلى فيها فهى (المسجد الحرام) ثم حدد حولها مكان للصلاة فهو (المســجد الحرام) وكل مكة وعمرانها ومساكنها انما انشئت وتوسعت وتتوسع **لأجل** الكعبة والصلاة فيها وخدمتها وخدمة ضيوفها . وهى حريم (البيت الحرام) أى فناؤه الملحق به الآخذ حكمه كما أن لكل بيت (حريما) . ولذلك لولا (الكعبة) لم تكن (مكة) فما احراها اذن بهذه التسمية (المسجد الحرام) .

انطباق احكام المسجد الحرام على المعانى الثلاثة :

(١) هناك احكام تتعلق بالمسجد الحرام من ناحية كونه مســجدا ، فهى تنطبق على المكان المعد للصلاة حول الكعبة ولا ينطبق على باقى اجزاء مكة وما حولها . وذلك كتحريم البيع والشراء فى المسجد . وتحريم قضــاء الحاجة فى المسجد . وتحريم انشاد الضالة فى المسجد . ووجود المصلين المقتدين بامــام صلاة الجماعة فى المسجد . ونحو ذلك .

(٢) وهناك احكام تتعلق بالمسجد الحرام من ناحية كونه محرما بأمر الله ، وأن تعظيمه يبتغى به وجه الله ، فهذه تنطبق على مكة وما حولها . وذلك كأمن الداخل فى الحرم وأمن حيوانه ونباته ، وتحريم أخذ اللقطة فيه . ومضــاعفة العقوبة لمن ألحد فيه واتخذه مكانا للمعصــية ، أو صد الناس عن القدوم اليه واعاقهم عن ذلك .وحرمان المشركين من دخول المسجد الحرام واستواء الغريب والمواطن فى حقوق الاقامة فيه .

(٣) وهنالك احكام تدور بين الناحيتين السابقتين وذلك كما ورد فى الحديث « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فى ما سواه الا المسجد الحرام » رواه البخارى / ك ٢٠ ب ١ ومسلم . وفى لفظ فى غير الصحيحين « وصــلاة

فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة فى هذا) فهل الصلاة فى بيوت مكة وسائر بقاع الحرم مأجورة بمائة ألف صلاة فى المواضع الأخرى ؟

فقيل (١) أن ذلك الفضل فى الصلاة هو لكل مكة وحرمها . وممن قال بذلك عطاء بن أبى رباح رواه عنه الطياسى كما ذكره فى فتح البارى . وقدمه أبن حجر فى الفتح وصححه النووى (فتح البارى ك ٢٠ ب ١) .

وقيل (٢) أن ذلك الفضل خاص بالموضع الذى يصلى فيه دون البيوت وغيرها من أجزاء الحرم . وقد قرره المحب الطبرى ، واحتج له بقول النبى صلى الله عليه وسلم « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه » فجعل الفضل لنفس المسجد لا لكل المدينة ، فينبغى أن يكون الأمر بمكة كذلك .

والذى جنح اليه ابن حجر مذهب حسن ، وخلاصته :

١ — أن صلاة الفرض بالمسجد فى مكة أفضل من صلاة الفرض فى بيوتها وفى غير حرمها .

٢ — وأن صلاة النافلة فى بيوت مكة أفضل من صلاتها فى المسجد الحرام .

٣ — وأن صلاة النافلة فى بيوت مكة أفضل من النافلة فى البيوت فى غير مكة .

وكان ذلك جمعا منه بين الحديث المشار اليه (صلاة فى مسجدى هذا ... الخ) والحديث الآخر (خير صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة) .

حكم الزيادات المضافة الى المسجد الحرام : ان كل ما أضيف الى المسجد الحرام من الزيادات فله — ان شاء الله — فضل المضاعفة المذكورة فى الحديث السابق ، لأنها بضمها الى (المسجد) اصبحت (مسجدا) وهى (حرام) لأنها من الحرم ، فان نص الحديث أن (صلاة فى المسجد الحرام خير من ...... الخ) ولا خلاف فى ذلك — فيما نعلم — بحمد الله .

حكم الزيادات فى المسجد النبوى : أما الزيادات فى المسجد النبوى فهل تعتبر من المسجد النبوى فى حكم المضاعفة فيه .

نقل أبن حجر عن النووى أنه قال : ينبغى أن يحرص المصلى على الصلاة فى الموضع الذى كان فى زمانه صلى الله عليه وسلم دون ما زيد فيه بعده ، لأن التضعيف انما ورد فى مسجده ، وقد اكده بقوله (هذا) . هذا قول النووى . ونقل مثله عن أبى الوفاء ابن عقيل الحنبلى . والذى يظهر لى غير هذا — والله اعلم — لما يلى :

أن ميزة المسجد النبوى أنما جاءت ، والله اعلم ، من كونه أسس على التقوى على يدى نبى كريم كما أن مسجد مكة أسس على يدى ابراهيم واسماعيل كما ذكر الله عنهما أنها بوأ لهما مكان البيت ، وأمرهما برفع بنيانه ، وتطهيره من الشرك ، ليعبد الله فيه . فلما كانت الاضافات فى مسجد مكة تابعة فى الحكم للمسجد الأصلى لأنها تؤدى نفس الغرض ، فكذلك ينبغى أن يكون الامر بالمدينة .

وأما قول النبى صلى الله عليه وسلم (صلاة فى مسجدى هذا) وتأكيده بقوله (هذا) فيظهر والله أعلم أن كلة (هذا) لم يقصد بها نفى مضاعفة الاجر فى الاضافات الحادثة ،ولكن لئلا يظن أن المقصود كل مسجد بناه النبى صلى

الله عليه وسلم كمسجد قباء ومسجد الفتح وغير ذلك . فأما الاضافات فهى من المسجد قطعا ، بدليل أنه لو صلى رجل فيها ثم أقسم بالله أنه صلى فى المسجد النبوى لكان قسمه صادقا. وبهذا يتضح ما فى قول النووى من التناقض لتفرقته بين المسجدين النبوى والحرام فى أمر واحد ، شمله حديث واحد .

ومهما قيل فى الاضافات فى المسجد النبوى فلا ينبغى أن يغفل عن أن الاضافة التى فى جهة القبلة — اعنى أمام المحراب النبوى الى جدار القبلة الآن ، انما زادها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، والصحابة متوافرون ، واتفقوا على ذلك ، وكان قيام عمر رضى الله عنه فى الصلوات الخمس اماما بالصحابة ، فى تلك الزيادة . وكانت الصفوف الأول التى هى افضل الصفوف تقوم فى تلك الزيادة . فهل يظن بهم أنهم كانوا يعتقدون أن الصلاة فى غير موضعهم أفضل ؟

هذا ، واذا علم أن النبى صلى الله عليه وسلم أشار فى حياته بالزيادة فى المسجد علمنا أن تلك الزيادة التى فى القبلة لها حكم المسجد من كل وجه . وذلك ما رواه الامام احمد أن عمر قال : لولا أن سمعت النبى صلى الله عليل وسلم يقول « ينبغى أن نزيد فى مسجدنا » . مازدت . ورواه غير الامام أحمد أيضا .

اذن فالقول بأن الزيادة فى المسجد له حكم المسجد الأصلى تصح نسبته الى الصحابة ، الذين صلوا فى المقدمة . ولم ينقل أن أحدا منهم أنكر ذلك فيما نعلم ، وذلك ينبغى أن يكون اجماعا . ولذلك قال ابن فرحون : لم يخالف فى هذه المسألة غير النووى . ونقل المحب الطبرى أن النووى رجع عن هذا القول . (انظر : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ١ / ٣٥٧ وما بعدها) .

ومن هذا يتبين خطأ قوم يتركون الصلاة فى الصفوف الأولى فى المسجد النبوى ويتأخرون الى الصفوف المتأخرة ، وكثيرا ما تنقطع الصفوف فيما بين ذلك ، مع قول النبى صلى الله عليه وسلم « من وصل صفا وصله الله ومن قطع صفا قطعه الله » (الحاكم والنسائى عن ابن عمر الجامع الصغير) وكأن هؤلاء يستنكرون ما فعله عمر رضى الله عنه وصحابة رسول الله معه ، الذين هم اعلام الدين ونجوم الهداية . وقد قال الله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) .

وما هى الحجة التى بأيدى هؤلاء الذين يتركون الصفوف المتقدمة رغبة عنها ؟ ليس لهم دليل منير ولا حجة قائمة . وهم لا شك قد حملهم حبهم للنبى صلى الله عليه وسلم ومسجده على ذلك ، ولكنهم فعلوه على غير هدى ، وبغير دليل . فهى محبة غير مستبصرة . واكمل العمل ما كان على طريق واضحة . وأصدق المحبة ما حمل المحب على أن يتبع طريق المحبوب . وقد قال الله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) والله أعلم .

---

(١) هذا بخلاف لفظ (الكعبة) (والبيت الحرام) فهما لفظان خاصان بالبنية التى يطاف حولها . وبخلاف لفظ (الحرم) فان المقصود به مكة كلها وما حولها الى (الاميال) المعروفة .

ومما يجدر التنبه له أن بعض الناس اذا كان بمكة يقول دخلت (الحرم) يعنى به دخوله (المسجد) . وهذا استعمال غير سديد . كما أن بعض الناس يطلق لفظ (الحرم) على مساجد أخرى فيقول (حرم الاقصى) ، أو (الحرم الزينبى) أو غير ذلك ، وهذا أيضا خطأ ، فان ابراهيم حرم مكة ، ومحمدا صلى الله عليه وسلم حرم المدينة ، فهما الحرمان الوحيدان فى الاسلام يحرم صيدهما ونباتهما .

فلينظر الإنسان مم خلق

٣

وأثر هذه النظرة في تثبيت العقيدة وتقويم الخلق

للدكتور : محمد سلام مدكور

« أطوار الجنين فى الرحم »

بينا قبل الصلة الوثيقة بين الانسان وأمه الارض وتنوع الآيات التى أشارت الى خلق الانسان ، وكيف خلق الانسان الأول من الطين، وأشرنا الى النظريات التى قيلت بالنسبة لأصل خلق الحياة البشرية وأشرنا الى ما خرج عن دائرة الجنين كخلق آدم من طين ، ثم خلق حواء من ضلع آدم ، وخلق عيسى من غير أب ، وكل ما جاء على غير السنة الكونية ولا يندرج تحت هذه الآية ، وسنبدأ الكلام هنا عن أطوار الجنين .

الجنين هو المادة التى تتكون فى الرحم من عنصرى الحيوان المنوى والبويضة ، وسمى جنينا لاستتاره . فالجنين فى أصل اللغة المستور فى رحم أمه بين ظلمات ثلاث كما يقول الله تعالى (١) : « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » ، والأطوار التى يمر بها الانسان فى الرحم قبل خروجه الى الحياة وانفصاله عن أمه بينها الله سبحانه فى قوله (٢) : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر . فتبارك الله أحسن الخالقين » وسنقصر هذا المقال على الكلام عن (النطفة فى القرار المكين) .

جاء فى اللغة : النطفة ماء الرجل والمرأة ، ويعبر القرآن عن النطفة فى بعض آيات التكوين بقوله (٣) فى الآية التى ندور فى فلكها : « خلق من ماء دافق . يخـرج مـن بين الصلب والترائب » ويقـول (٤) « أيحسب الانسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من منى يمنى » وبقوله (٥) : « والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمـل من أنثى ولا تضع الا بعلمه » وبقوله (٦) : « أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين » .

وقد وصف العلماء تلك النطفـة بأنها جسم متناسب الأجزاء يخلق الله فيه أعضاء مختلفـة وطباعـا متباينة . وهذا الكلام يشير الى مظهر من مظاهر قدرة الله وعظمتـه فى تخليق هذه المتباينات المختلفة الصور والوظائف من تلك المـادة ، ينقـل البستانى فى دائرة معارفـه عند كلامـه عن الجنين (٧) عن كتـاب العرب « القوى كلها موجودة فـى نفس النطفة فاذا أخذت فى العقل أول الأمر أمعنت أمعانا فصيرتهـا لحما ، ثم أمعنت فتكونت الأغشية والأوعية التى فيها باحداث النفخ ثم بتحرك جميع القوى فيها .. وتعمل كلها عملها فى وقت واحد لا عـلى التوالى » .

وقد أختلف المفسرون فى معنى النطفة . فذهب قليل منهم الى أنها نطفة الرجل وحده اذ الدفق لا يكون الا فى ماء الرجل . والذى عليـه جمهـور العلمـاء والباحثين من المفسرين — وأيده علم الأجنة فى الطب الحديث — أن هـذه النطفة تخرج من صلب الرجل وترائب المرأة وأيده من رأى ذلـك من المفسرين بالسنة النبوية الكريمة فيما ورد فى وصف الجنين بالذكورة والأنوثة اذ يقول عليه السلام : « اذا غلب ماء الرجل يكون الولـد ذكرا .. واذا غلب ماء المرأة يكون أنثى » وواضح من هذا الحديث أن الجنين يتكون من النطفة المتزجة من ماء الرجل وماء المرأة ، ولم يثبت أن الدفق خاص بماء الرجل وأن الـدفق يتحقق فى ترائب المرأة عندما يبدأ انفصالـه منها .

وأما علم الأجنة فى الطب الحديث فان المشتغلين به متفقون عـلى أن الحمل لا يتحقق الا نتيجة اتصـال الحيوان المنوى من الذكر بالبويضة ، التى يفرزها مبيض المرأة وأن كان بعضهم يذهب الى أنه لا يسمى نطفة الا قبل اتصال ماء الرجل بالبويضة ، يقول الدكتـور نجيب محفـوظ فى كتابه « فن الولادة » (٨) « الحمـل نتيجة اتحاد عنصرى التوليد فى الذكر والانثى أى الحيوان المنوى والبويضة أى البويضة الملقحة ، والتلقيح هو قذف الحيوانات المنوية فى البويضات الأنثوية ، ويتم التلقيح أما خارجيا أو داخليا ، والتلقيح الخارجى يحدث عادة فى الحيوانات المائية . فتقوم الأنثى بوضع البيض فى الماء ثم يرشه الذكر بالسائل المنوى الـذى يحتوى على الحيوانات المنوية . وأما التلقيح الداخلى فيحـدث فـى الـديدان والحشرات والحيوانات الثديية ومنها الانسـان ، وفـى هـذا النـوع من الاخصـاب تصـب الافرازات الجنسـية الذكريـة فى داخـل الفتحـات الجنسيـة الانثويـة وعمليـة الاخصـاب تحـدث عادة بواسطة حيوان منوى واحد ، وفى بعض الاحيان يشترك فى عمليـة الاخصاب عدة حيوانات منويـة . ونتيجة لاتحاد البويضة بالحيـوان المنوى يتم الاخصاب وتتكون خليـة

مخصبة تحتوى على صفات كل من الأبوين وتنتقل بالوراثة الى الكائن الحى الجديد .

على أن التلقيح لا يحدث وقت وصول أول حيوان منوى اليها بل بعد وصول جملة من الحيوانات بجوارها ، وكانما البويضه تتردد فى اختيار رفيقها ، وباتصالهما يتحدان ويتقرر نوع الجنين وشخصه وصفاته المتوارثة من أبويه بارادة الله . ففى هذه البويضة الملقحة تكمن الطاقه التى تجعلها تتطور وتنمو الى حيوان كامل وفيها الصفات حلوها ومرها ، وفيها قوة العقل وقوة الجسم ، وفيها يكمن كل ما يتصل بهذا الجنين .

وهذا التلقيح يحدث فى الثلث الأعلى لقناة « فالوب » بالنسبة للمرأة ، ثم تستمر البويضة الملقحة فى سيرها متجهة الى الرحم ، وفى طريقها اليه تنقسم ويستمر انقسامها بنظام دقيق حتى تتطور من خلية واحدة الى مجموعة خلايا تصل الى ست عشرة خلية فى أربعة أيام ، ويطلق عليها فى هذه المرحلة من مراحل النمو اسم الجرثومة التوتية لما بينها وبين ثمرة التوت من شبه ، وعند هذه المرحلة تكون قد وصلت الى فراغ الرحم ، وهى محاطة بدائرة من الخلايا ، وتحاط هذه الدائرة بالغشاء الذى كان يحيط بالبويضة أصلا . ثم تلتصق بجدار الرحم فتفقد الحركة بحرية ويكون هذا فى اليوم الثامن تقريبا . وبذلك يبدأ الحمل فى القرار المكين — الرحم — .

ومعنى كون الرحم مكينا أنها متمكنة ، فهى لا تنفصل لثقل حملها ، ولا تمج بما داخلها ، وهو كناية عن جعل النطفة مصونة . وهذا يشير الى أن الله سبحانه لم يهمل تلك النطفة منذ أول طور من أطوارها ، ولكنه هيأ لها ذلك المكان يحملها ويحميها ويضطلع بأعبائها التى تلاقيها حتى ينتهى بها الى آخر المراحل باخراجها منه على أنه برغم ذلك باق على مكانته ، معد لاستقبال غيرها من الوافدين حتى يرحل كما رحل النازل الأول ، ولهذا لفت الله سبحانه الانظار والبصائر الى موضع العبر والقدرة .

ومدة رحلة النطفة حتى تستقر فى الرحم بالعلوق فى جداره هى ثمانية أيام على ما قال الاطباء ، أما علماء الشريعة فان من خاض منهم فى تحديد هذه المدة تأثر بظاهر حديث الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك .. » الحديث . فقال : ان طور النطفة يكون أربعين يوما .

والواقع أن الحديث روى برواية أخرى نصها : « أن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك .. » ولا معنى لقيد (فى ذلك) : الا ما تفيده دلالة الالفاظ وهى أن طور العلقة يكون فى أثناء المدة الاولى ، وكلمة ثم حينئذ تكون للترتيب الذكرى لا للترتيب الخارجى حتى لا يكون هناك منافاة بين كلمة (ثم) وكلمة فى ذلك .

واذا أخذنا بهذا القيد الوارد فى هذه الرواية كان معناه أن مرحلة العلقة فى نفس المدة الاولى ، فيمكن تفسير بدئها بما ذهب اليه الاطباء ، وبه يتفق

الحديث مع الطب فلا يكون هناك ما يدعو الى رفض ما قال به الطب ولا التوقف فى دلالة الحديث ولا يكون هنالك تناقض بين ما قاله الطب وما دل عليه الحديث ، واذا فان الطب مع دلالة الحديث . واذا ما لاحظنا أن الحديث يفيد أن الروح لا تنفخ الا بعد مائة وعشرين يوما كما هو اجماع المفسرين وقد أيده العلم الحديث . فاننا نقول : ان أصل معنى كلمة (ثم) يدل على التراخى ، ومعنى التراخى تأخر المدة الثانية عن الاولى فترة من الزمن فلتكن هذه الفترة هى المتممة للأربعة أشهر ، ويؤيد ذلك أن هناك بعض المراحل التى لم ينص عليها الحديث وهى مرحلة العظام واللحم فلتكن هذه فى مدة التراخى المشار اليها بثم الأخيرة فى الحديث ، وليكن نفخ الروح بعد ذلك .

ويؤيد ما اتجهنا اليه ما قاله الامام الرازى (٩) نقلا لتصوير الاطباء فى عهده لمراحل الجنين : من أن الجنين يصير علقة بعد خمسة عشر يوما ، ثم تتميز الرأس والقلب والكبد فى صورها فى اثنى عشر يوما ثم تنفصل الرأس عن المنكبين والاطراف عن الضلوع ، وفى تمام الاربعين يوما يتم انفصال الاعضاء .. وأن هذه المرحلة هى مرحلة التجمع التى يشير اليها حديث « أنه يجمع أحدكم فى بطن أمه أربعين يوما .. » .

وقد يكون من المناسب أن نشير هنا الى ما قاله الفقهاء بالنسبة للأحكام الشرعية التى تتعلق بالنطفة وان ذلك وان كان يخرج بنا عن موضوع النظر والتأمل فى خلق الله فان فى طبيعة دراستى الفقهية ، وطبيعة مجلة (الوعى الاسلامى) ما يشجعنى بل يدفعنى الى ذلك ، ولا يجعل تناول هذه الاحكام أمرا استطراديا ، فليكن بجانب النظر والتبصر الوقوف على الاحكام الشرعية العملية التى نحتاج الى تعرفها فى عباداتنا وأعمالنا .

ومن هذا الكلام عن حكم طهارة أو نجاسة المنى ــ وهو السائل الخارج من الجهاز التناسلى من الانسان بلذة واشتياق ، وهل اذا أصاب الجسم أو الملابس أو المفروشات أثناء احتلام أو مداعبة فهل هو نجس يتنجس به الموضع الذى اتصل به فيجب غسله وتطهيره أو يكتفى بفركه أو هو طاهر وتجزىء الصلاة معه ؟

وخلاصة آراء الفقهاء فى هذا : أن مذهب أصحاب الرأى أنه نجس ويجزئه فرك يابسه لحديث السيدة عائشة أنها كانت تغسل المنى من ثوب رسول الله ، وقد جاء الفرك أيضا فى رواية عنها أن النبى صلوات الله عليه قال فى المنى يصيب الثوب: «ان كان رطبا فاغسليه وان كان يابسا فافركيه » ومذهب الشافعى والمشهور عن أحمد ومذهب الظاهرية أنه طاهر ، وقال مالك انه نجس ويجب غسله ، وهو المروى عن الزيدية والشيعة الجعفرية وفقهاء الأباضية .

وتنقل بعض كتب الحنابلة عن الامام أحمد أنه فرق بين منى الرجل وما ينزل من المرأة فقال : انما يفرك منى الرجل ، أما منى المرأة فلا يفرك لأن الذى للرجل ثخين والذى للمرأة رقيق فلا يبقى له جسم بعد جفافه يزول بالفرك فلا يفيد الفرك فيه شيئا .

والقائلون بنجاسة المنى مطلقا لا بد عندهم من غسل منى المرأة أيضا

رطبـا كان أو يابسا ، والقائلـون بطهارته قالوا : يستحب غسل منى المرأة كما يستحب فرك منى الرجل . وينص الحنفية على أن «نجاسة المنى عندنا مغلظة ويطهر محل المنى اليابس عندنا بالفرك ، ولا يضر بقاء أثـره كبقاء أثره بعد الغسل ولا فرق بين منى الرجل ومنى المرأة » وهنـاك تفصيل فى كتب المذهب .

ونصت كتبهم أيضا عـلى أنه لا فرق فى هذا الحكم بين منى الآدمى ومنى غيره ، ونقل ابن عابدين عن الطهطاوى أن منى كل حيوان نجس والرخصـة بالفرك وردت فى منى الآدمى على خلاف القياس .. بينما ينص الشافعية على أن«المنى طاهر من جميع الحيوانات الا الكلب والخنزير أما منى الآدمى فلحديث عائشة وأما منى غيره فلأنه أصل حيوان طاهر فأشبه منى الآدمى . ثم قالـوا : ويستحب غسل المنى» . وينص المالكية على أن « النجس منى ، ومـذى ، وودى من الآدمى ، أو حيوان محرم الأكل ، أما المباح أكله فقيل بنجاستها وقيل بطهارتها » ..

والى لقاء آخر لنتكلم عن مرحلة التخلق ان شاء الله حتى يكمل النظر ويتم التبصر .

---

(١) سورة الزمر آيـة (٦) .
(٢) سورة المؤمنون آية (١٤/١٢) .
(٣) سورة الطارق آيـة (٦ ، ٧)
(٤) سورة القيامة آيـة (٣٦ ، ٣٧) .
(٥) سورة فاطر آيـة ١١ .
(٦) سورة يسن آيـة ٧٧ .
(٧) جـ ٦ ص ٥٦٩ .
(٨) فن الولادة ط ٤ . ص ٦٩ .
(٩) التفسير الكبير جـ ٢٣ ص ٨٤ .



شاعر الرسول

للأستاذ : حسن القضاة

يسرنا أن نكتب هذه الترجمة القصيرة عن حسان بن ثابت الانصارى مستعرضين بايجاز حياته وشعره من خلال ديوانه ، ومفندين بنفس الوقت أو واضعين على بساط البحث والحقيقة تلك الفرية ــ بل الفريات ــ التى أوردها كثير من الرواة والاخباريين حول شخصيته ، لا سيما وأن سيرة هذا الشاعر الكبير مرتبطة ــ الى حد بعيد ــ بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لقد دعى بشاعر الرسول .

فمن هو حسان بن ثابت ؟!

نسبه :

نسبوه لأبيه فقالوا : هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، وينتهى نسبه بيعرب بن قحطان .

ونسبوه لأمه : الفريعة بنت خالد بن حنيس بن لوذان بن عبدون بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج . واذن فهو خزرجى من جهة أبيه وأمه معا .

عمــره :

بالرغم من أن معظم الرواة اتفقوا على أنه عاش ما يقرب من مائة وعشرين عاما الا أنهم اختلفوا فى سنة وفاته (١) فمنهم من قال : انه توفى فى السنـــة الاربعين من الهجرة ، ومنهم من قال : بل فى السنة الخمسين ، وآخرون : فى سنة أربع وخمسين .

أما الطبرى فقد وضعه فيمن توفوا فى السنة الثمانين من الهجرة .

ونحن يمكننا أن نعتبر الرواية التى تقول بوفاته فى سنة أربعين من الهجرة تقريبا هى الصحيحة حيث أن أخباره تتوقف فى أواخر عهد الخليفة الراشدى الرابع على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

وان تحديدنا لسنة أربعين من الهجرة زمنا لوفاته يجعلنا نرفض فكرة أنه عاش ما يقرب من مائة وعشرين عاما . فقد روى أنه عندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة كان حسان يبلغ من العمر ستين عاما تقريبا ، ومعنى ذلك أنه عاش ما لا يزيد عن مائة عام ، ويكون بذلك قد ولد فى منتصف العقد السابع من القرن السادس الميلادى (٢) .

أســـرته :

وحسان من أسرة كانت ذات شأن عظيم سواء فى الجاهلية أو الاسلام . فوالده ثابت بن المنذر ، حكمته قبيلتا الاوس والخزرج فى حرب (ســـمير) المشهورة فى الجاهلية ، والتى تقاتلت فيها القبيلتان بسبب فرس نحوا من عشرين سنة ، أوشك أن يفنى بعضهم بعضا . ولم يدرك حسان تلك الحرب ، ولكنه رد فيها على شاعر الاوس قيس بن الخطيم عندما فخر عليه بهذا اليوم (٣) وأخوه أوس بن ثابت ممن شهد العقبة مع السبعين من الانصار ، كما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين الخليفة الراشدى الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه .

وهناك من الرواة من يقول : ان أوس بن ثابت شـــهد بدرا ، وأحدا ، والخندق ، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفى فى خلافة عثمان ، ومنهم من يقول : انه قتل يوم أحد شهيدا . ويبدو أن الرأى الاخير هو الصواب اذ جاء فى قصيدة لحسان ما يشير الى استشهاد أخيه أوس هذا عندما قال :

ومنا قتيل الشعب أوس بن ثابت   شهيدا وأسنى الذكر منه المشاهد

أما الاخ الثانى لحسان فهو أبى بن ثابت ، وكان يكنى بأبى شيخ ، وقد شهد بدرا ، وأحدا ، وقتل يوم بئر معونة شهيدا فى صفر على رأس ســـتة وثلاثين شهرا من الهجرة .

وعرف لحسان أكثر من أخت ، اتفق الرواة فى اثنتين منهن ، وهما كبشة ولبنى بنتا ثابت بن المنذر (٤) وقد أسلمتا وبايعتا الرسول ، وحسن أسلامهما . أما الاخريان فهما فارعة وخولة بنتا ثابت بن المنـــذر ، فقد اختلفت الروايات فيهما (٥) .

كما عرف من زوجات حسان ثلاث ـــ اثنتان تزوجهما قبل الاسلام ، وهما عمرة بنت صامت بن خالد من الاوس ، وشعثاء بنت سلام بن مشكم اليهودى ،

أو بنت كامن الاسلمية . وثالثة وهبها له رسول الله صلى الله عليه وسلم هى سيرين القبطية التى كانت هدية المقوقس حاكم مصر الى الرسول عليه السلام .

وعمرة هى التى أحبها حسان حبا عظيما . وحدث أن أسر الاوس مخلد بن صامت الساعدى ، فتكلم حسان فى أمره بكلام أغضب عمرة فعيرته بأخواله ، وفخرت عليه بالاوس ، وهو الخزرجى المتعصب ، وكان يحب أخواله ويغضب لهم ، فطلقها ، فأصابها من ذلك شدة ، وندم حسان بعد ذلك ندما شديدا (٦) .

يقول من قصيدة له مشببا بها :

أجمعت عمـــــرة صـــرما فابتكر انمــــا يدهــن للقلب الحصر (٧)
لا يكن حبـــك خبـــا ظـــاهرا ليس هــذا منك يا عمــر بسر (٨)
ســـألت حســـان من أخـــواله انما يســأل بالشىء الغمـــر (٩)
قلت : أخـــوالى بنـــو كعب اذا أسلم الابطـــال عورات الدبر (١٠)
رب خـــال لى لو أبصـــــرته سبط الكفين فى اليوم الخصر (١١)

وعمرة هى التى شبب بها قيس بن الخطيم الاوسى غريم حسان ومهاجيه فى الجاهلية عندما قال :

أجــد بعمرة غنيانهـــا فتهجر أم شأننا شانها ؟

وذلك لأن حسان كان يشبب بأخت قيس ليلى بنت الخطيم فى شعره .

أما شعثاء فقد اختلف فى أمرها . قال بعض الرواة انها بنت سلام بن مشكم اليهودى ، وقال آخرون هى امرأة كانت تحت حسان ، وهى بنت كامن الاسلمية من خزاعة . وربما كان الرأى الاخير أقرب الى الصواب . ويبدو أنه لم يكن على وفاق زوجى معها فقد قال فى ابنه منها :

غلام أتاه اللؤم من شطر خاله له جانب واف وآخر أكشم

فقالت تجيبه :

غلام أتاه اللوم من نحو عمه ومن خير أعراق ابن حسان أسلم

أما الزوجة الثالثة فهى التى وهبها الرسول صلى الله عليه وسلم اليه ، وهى التى كانت هدية المقوقس حاكم مصر الى الرسول الكريم ، وأخت مارية القبطية زوج الرسول . وقد أخلف حسان من هذه الزوجة ابنه الشاعر المشهور عبد الرحمن الذى ورث الشعر عن والده .

واستمر يحمل لواءه مدة فى العصر الاموى .

ويذكر الرواة أن لحسان ابنتين : احداهما أم فراس ، وهى من زوجــه شعثاء ، ولا نجد من أخبارها شيئا (١٢) ، أما الاخرى فهى ليلى بنت حسان التى يروى ابن عساكر فى تاريخه (١٣) عن الاصمعى أنه كان لحسان ابنة تدعى ليلى ، وحدث يوما أن كان حسان جالسا فبدا له أن يقول الشعر ، فقال :

أنمى الى افنــــاء عمـــرو وعـــامر سمت لمعاليهـــا وعـــزت كهولهـــا
متـــاريك أذناب الامور اذا التوت أخـــذنا الفـــروع واجتثثنـــا أصولها
الى أسرة طـــابت وعولى فرعهـــا فليس لفـــرع غيـــرها أن يطولهـــا

ثم انقطع . فقالت له ابنته من الخدر : كأنك قد انقطعت ! فقال : نعم .

فانثنت تقول :

مقاويل بالمعروف خرس عن الخنـــا كرام يعـــاطون العشـــيرة سئـــولها

فقال حسان :

وقافية عجت بليـــــل ثقيـــــــلة تلقيت من جـــو الســـماء نزولهـــا
يهاب الذى لا ينطق الشعر سؤلهـــا ويعجـــز عن أمثالهـــا أن يقولهـــا

ثم غضب على ابنته لقولها الشعر ، وقال : لهممت أن أحلف أن لا أقول بيت شـــعر ما دمت حية . فقــالت : أنا أؤمنك ، والله لا أقــول بيت شعر ما صحبتك .

كما يظن أن لحسان ابنا يسمى الوليد ، فقد كان يكنى بأبى الوليد ، واشتهر بذلك . ولكن الرواة لم يذكروا من شأن هذا الابن شيئا .

شــخصيته :

ان ما يعنينا لدى التحدث عن شخصية حسان جانبان مهمان هما :

الاول : البحث فى صفاته الجسمانية التى جاءت متفرقة فى أخباره لدى كثير من الرواة .

والثانى : بحث تلك المسألة التى شغلت الباحثين على مدى الازمنة ، وهى الصاق تهمة الجبن به ، ومدى صحة هذا الاعتقاد .

فقد ذكر الرواة أنه كان لحسان ناصية يسدلها بين عينيه ، وكان يضرب بلسانه روثة أنفه من طوله ، ويقول : ما يسرنى به مقول أحد من العرب . والله لو وضعته على شعر لحلقه ، أو على صخر لفلقه . ثم كان يخضب شـــاربه وعنفقته بالحناء ، ولا يخضب سائر لحيته . وقد سأله ابنه عبد الرحمن يوما : يا أبت لم تفعل هذا ؟ فقال : لأكون كأنى أسد والغ فى دم (١٤) .

ومن هذه الرواية يتضح لنا مدى نفوذ حسان فى الجاهلية ، وخوف العرب من أهاجيه . لأن اللسان الذى يحلق الشعر ، ويفلق الصخر ، هو لســـان تخافه القبائل وتحرص على أن تتقى شر صاحبه . وأما أنه كان يخضب شاربه وعنفقته بالحناء ، ليكون كالاسد الوالغ فى الدم ، فهذا ما حاول الباحثون أن يتخذوه وغيره كمظهر من مظاهر الجبن .

روت صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها بهذه المناسبة : أنها كانت فى فارع ــ أطم (١٥) حسان ــ يوم الخندق ، وقالت : كان حسان معنـــا فيه ، والنساء والصبيان ، فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة ، وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله والمسلمون فى نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا الينا عنهم ، اذ أتانا آت فقلت : يا حسان ان هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن ، وانى والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانــزل اليه فاقتله . فقال : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب ، لقد عرفت ما أنا بصـــاحب هذا . فقالت :

فلما قال ذلك ، ولم أر عنده شيئا احتجزت (١٦) ثم أخذت عمودا ثم نزلت اليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت : يا حسان انزل اليه فاسلبه ، فانه لم يمنعنى من سلبه الا أنه رجل . فقال مالى بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب (١٧) .

وقد وردت روايات أخرى تشبه الى حد كبير موقفه من القتال فى هـــذه الرواية ، وكلها تدل على أنه كان يخاف المشاركة فى قتال ، سيما وهو لم يساهم قط فى غزوة من غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم .

فهل يعتبر هذا الخوف جبنا ، الا توجد هناك علة أخرى تمنعه من الاشتراك فى الحرب ؟ قد يكون السن هو السبب ، فهذه الاخبار جميعا رويت عن حسان ، وقد بلغ الستين على الاقل . ورجل فى الستين من عمره قد يضعف عن أن يدخل حربا أو يساهم فى قتال (١٨) .

غير أن هناك سببا آخر أشار اليه صاحب الاغانى ، وهو أن أكحل (١٩) حسان كان قد قطع ، فلم يكن يضرب بيده (٢٠) ، وقال الواقدى مدافعا عن حسان وعن تهمة الجبن الموجهة اليه (٢١) : ان قومه كانوا يدفعون أن يكون جبانا ولكنه أقعده عن الحرب أن أكحله قد قطع ، فذهب منه العمل فى الحرب . ويؤيد هذا الرأى قول حسان نفسه :

أضر بجسمى مر الدهور وخان قراع يدى الاكحل
وقد كنت أشهد وقع الحروب ويحمر فى كفى المنصل

ويدفع الاصمعى عن حسان تهمة الجبن بقوله : الدليل على أن حسان لم يكن جبانا أنه كان يهاجى خلقا فلم يعيره أحد منهم بالجبن .

وجدير بالملاحظة أن الوقائع التى استشهد بها الاخباريون على جبن حسان كلها وقائع اسلامية ، وعلى هذا يمكن أن نرجح أن قطع أكحل حسان حدث فى الجاهلية ، أو قبل دخوله فى الاسلام . ولا شك أن مثل هذا السبب الى جانب كبر سنه ، وضعف روح المغامرة عنده ، يجعله حذرا متمهلا فى الوقت الذى نجد فيه شباب المسلمين وشيوخهم مندفعين بقوة الدين وبروح الرسول نحو الجهاد الذى كان المظهر الحقيقى للمسلم المؤمن فى هذه الفترة (٢٢) .

شعره الجاهلى :

لا نكاد نظفر بمصدر ينبؤنا بحياة حسان فى الجاهلية ، من حيث نشأته الاولى ، وبدء قوله الشعر ، وعن الاحداث المهمة أو الغزوات التى شارك فيها . واذ عرفنا أنه عاش ما يقرب من ستين عاما فى الجاهلية فاننا لا نستطيع — اذن — أن نصور شخصيته فى تلك الفترة المهمة من حياته — ولذا فلا بد لنا من أن نلجأ الى ما بقى من شعره الجاهلى ننقب فيه عن أبعاد تلك الشخصية .

وعلى الرغم من قلة هذا الشعر ، وما وقع فيه من اضطراب على مر السنين ، فانه يصور شخصية حسان القبلية ، تلك التى كانت لسان حال قومه الخزرج ، وصحيفتهم اليومية الناطقة باسمهم ، والمنافحة عنهم بأشعارها أمام أعدائها من القبائل الاخرى .

وقد استطاع أن يشيد بأيام الخزرج فى قصائده يوم الربيع ، ويوم خطمه ، ويوم بعاث ، وأن يقف من قيس بن الخطيم شاعر الاوس موقف المبارز .

اقتتلت الاوس والخزرج قتالا مرا بمكان اسمه الربيع ، حتى كاد يفنى بعضهم بعضا ، فقال حسان قصيدته :

لقد هاج نفسك أشجانها وعاودها اليوم أديانها

فرد عليه قيس بن الخطيم — شاعر الاوس — معارضا :

أجد بعمرة غنيانها فتهجر أم شأننا شانها ؟

ولو قارنا القصيدتين لوجدنا أن حسان يقف فى بيتين من قصيدته متذكرا أحباءه ، ويصف فى بيتين آخرين واديا صعب الاجتياز فاجتازه — رغم عزيف الجن فيه — على ظهر ناقة هوجاء ، يسألها عن حال حبيبته وقد رحل أهلها عن

الديار ، ثم يتحدث بأبيات أخرى بلسان قومه معددا أمجادهم فيقول :

ويثـــرب تعـــلم أنا بهـــــا اذا التبس الحـــق ميزانهـــا
ويثـــرب تعـــلم أنا بهـــــا اذا خـــافت الاوس جيرانهـــا
فلا تفخـــرن والتمس ملجـــأ فقـــد عاد للأمس أديانهـــا

بينما يبدأ قيس قصيدته المناقضة بالغزل فى عمرة بنت صامت زوج حسان وذلك فى خمسة أبيات منتقما بذلك من حسان فى التشبيب بها على طريقة الجاهليين . وبالرغم من أنه ينعتها بنعوت جميلة فى تلك الابيات الا أن ذلك يضايق العربى الشريف ويزعجه ، يقول قيس :

فمـــا روضـــة من ريـــاض القطـــا كأن المصـــابيح حوذانهـــا (٢٣)
بأحسن منهـــا ولا مزنـــــــة دلوح تكشــف أرجانهـــا (٢٤)
وعمـــرة من ســـروات النســـا ء تنفـــح بالمســك أردانهـــا(٢٥)

ثم ينتقل قيس بعد ذلك الى الفخر بلسان قومه كما فعل حسان :

نحن الفـــوارس يوم الربيـــــع قد علمـــوا كيف فرســـانها
جنبنـــا الحراب وراء الصريـــخ حتى تقصف مرانهـــا (٢٦)

ولم يقتصر حسان فى شعره الجاهلى على تمثيل القبيلة فحسب ، بل لقد زار ملوك الغساسنة ومدحهم . وكان اتصاله بهم اتصالا بذوى قرباه ، فقد يسر له نسبه فيهم أن يتردد على بلاطهم كثيرا ، وأن يجيزوه فى كل مرة . أما زيارته للمناذرة فقد اختلف فيها ، وان كان هناك ما يشير الى حدوثها .

وقد عرف أنه كان صديقا وفيا للأمير الغسانى جبلة بن الايهم . وقد مدحه بقصائد جيدة ، وعرف له جبلة هذا حتى بعد أن تنصر وسافر الى بلاد الروم . فقد حدث أن أرسل معاوية — فى أثناء ولايته فى الشام — رسولا اليه ليعود الى الاسلام ، فرد جبلة الرسول وقد سأله عن حسان ، فقال له الرسول :

شيخ كبير قد عمى . فدفع اليه جبلة ألف دينار ، وقال : ادفعهـــا الى حسان . قال الرسول : فلما قدمت المدينة ودخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت فيه حسان بن ثابت فقلت له : صديقك جبلة يقرأ عليك السلام . قال : فهات ما معك . فقلت : يا أبا الوليد كيف علمت ؟ قال : ما جاءتنى منه رسالة قط الا ومعها شىء (٢٧) . وعن الاصمعى أن جبلة بعث اليه بخمسمائة دينار ، وكسى ، وقال للرسول : ان وجدته قد مات فابسط هـــذه الثياب على قبره ، واشتر بهذه الدنانير ابلا فانحرها على القبر . فوجده حيا فأخبره ، فقال حسان : لوددت أنك وجتنى ميتا (٢٨) .

وعندما ارتد جبلة عن الاسلام وتنصر دافع حسان عنه أمام الخليفة عمر . اذ أنه لمـــا علم عمر بارتداد جبلة صعب عليه ذلك ، وقال لحسان : يا أبا الوليد ، أما علمت أن صديقك جبلة بن الايهم ارتد نصرانيـــا ؟ قال : انا لله وانا اليه راجعون ، ولم أرتد ؟ قال لطمه رجل من مزينة . فقال حسان : وحق له . فقام اليه عمر رضى الله عنه بالدرة فضربه بها .

وربما كانت أهم قصيدة جاهلية بقيت لحسان فى مدح الغسانيين هى التى مدح بها الملك الغسانى عمرو بن الحارث ، وفيها تمكن من الوصول الى الذروة الفنية فى مدحه للغسانيين ، وفى وصفه لمجالسهم وندواتهم ، يقول :

لله در عصـــــابة نادمتهـــــم يومـــا بجلق فى الزمان الاول (٢٩)
أولاد جفنـــة عنـــد قبر أبيهـــــم قبـــر ابن مارية الـــكريم المفضـــل

يســـقون من ورد البريص عليهـــم بردى يصفق بالرحيق السلسل (٣٠)
بيض الوجـــوه كريمـــة أحســـابهم شم الانـــوف من الطـــــراز الاول

اســـلامه :

مما لا ريب فيه أن شاعرنا قد تهيأ لاعتناق الدين الجديد فى الوقت الذى تهيأت فيه قبيلته . واذا كانت قبيلته الكبرى (الخزرج) عامة ، وقبيلته الصغرى (بنو النجار) بشكل خاص ، قد حالفوا الرسول صلى الله عليه وسلم واستعدوا للدخول فى دينه قبل أن يهاجر الى مدينتهم ، فلا شك أن حسان قد حذا حذوهم هو الآخر .

ولكن .. هل كان اسلامه اسلام المؤمن الصادق بمعنى الكلمة أم مرحلة انتقال من دين الى آخر ، شأنه فى ذلك شأن من يتبع قبيلته فى كل أمر ولا يتخلف عنها أبدا ؟! كما أن الدارس لشخصيته عليه أن يتناول أيضا هـــذه الشخصية بالبحث من جميع جوانبها دون أن يترك فيها شبهة كتلك التى أثارها القدماء والمحدثون ، ولم يخلصوا فيها الى نتيجة ، وهو اشتراكه فى حديث الافك وتقوله فيه .

وقصة الافك كما وردت فى سيرة ابن هشام (٣١) وفى غيرها من كتب السيرة :

لـــما أن خرجت السيدة عائشة رضى الله عنها زوج الرسول عليه السلام فى غزوة بنى المصطلق مع جيش المسلمين ، وأثناء رجوع الجيش تخلفت عنه لقضاء حاجة ، فتأخرت وسبقها المسلمون الى المدينة . ثم وجدها صفوان بن المعطل السلمى ، وكان قد تأخر هو أيضا ، فأركبها ناقته ، ودخل المدينة ، فلما رآهما المنافقون تقولوا فى ذلك . وحزن الرسول عليه السلام حزنا شديدا حتى أنزل الله وحيه ببراءة السيدة عائشة وتكذيب المنافقين « ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم » (٣٢) وتكاد تجمع كتب الاخبـــار والتفسير على أن هذه العصبة التى أشار اليها القرآن الكريم تتكون من عبد الله ابن أبى بن سلول ، ومسطح بن أثاثة ، وحمنة بنت جحش ، وحسان بن ثابت . وزادت بعض هذه الكتب أن الثلاثة الآخرين قد حدهم الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد كان للمسلمين موقف من هؤلاء المتقولين بحديث الافك ، سيما بعد أن ثبتت براءة السيدة عائشة من لدن رب العالمين . والذى يعنينا هنا موقفهم من حسان .

فقد هجا حسان يوما صفوان بن المعطل ، فذهب اليه صفوان واعترضه وضربه بالسيف . فوثب ثابت بن قيس بن الشماس على صفوان حين ضرب حسان فجمع يديه الى عنقه بحبل ثم انطلق به الى دار بنى الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟

قال : أما أعجبك ضرب حسان بالسيف ؟ والله ما أراه الا قـــد قتله ! قال له عبد الله بن رواحة : هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء ممـــا صنعت ؟ قال : لا والله . قال : لقد اجترأت ، أطلق الرجل . فأطلقه . ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له ، فدعا حسان وصفوان . فقال

صفوان : يا رسول الله آذانى وهجانى فاحتملنى الغضب فضربته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : (أحسن يا حسان . أتشوهت على قومى أن هداهم الله للاسلام ؟) ثم قال : (أحسن يا حسان فى الذى أصابك) . قال : هى لك يا رسول الله . ومن هذا يتضح أن حسان لم ينل عطف الرسول فى هذه الحادثة .

وروى المحدث الاندلسى ابن عبد البر أن قوما ذكروا أن حسان كان ممن خاض فى الافك على عائشة رضى الله عنها ، وأنه جلد فى ذلك . ثم ان قوما آخرين أنكروا أن يكون حسان قد خاض فى الافك أو جلد فيه .

أما حسان فقد حاول أن ينفى فى شعره أنه خاض فى هذا الحديث ، وذكر أن كل ما نسب اليه فيه انما هو محض افتراء واشاعة .

يقول فى مدح السيدة عائشة :

مهذبة قد طيب الله خيمها ... وطهرها من كل سوء وباطل
فان كنت قد قلت الذى قد زعمتم ... فلا رفعت سوطى الى أناملى
وكيف وودى ما حييت ونصرتى ... لآل رسول الله زين المحافل
فان الذى قد قيل ليس بلائط ... ولكنه قول امرىء بى ما حل

شاعر الرسول :

ومهما يكن من أمر فان الرسول عليه السلام وضع حسان فى منزلة كبيرة من نفسه ، كما وضعت قصائد حسان صاحبها فى منزلة كبيرة من نفوس المسلمين .

فعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن حسان : (لا يحبه الامؤمن ، ولا يبغضه الا منافق) ، وروى الاصفهانى وغيره : لما كان عام الاحزاب ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : من يحمى أعراض المسلمين ؟. فقال كعب بن مالك أنا يا رسول الله ، وقال عبد الله بن رواحة : أنا يا رسول الله . وقال حسان بن ثابت : أنا يا رسول الله . فقال عليه السلام : (نعم أهجهم أنت (يعنى حسان) فانه سيعينك روح القدس) . وروى أيضا : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان فشفى واشتفى) .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب أن يستمع الى شعر حسان ، فقد سأل عنه مرة فى سفر قائلا : أين حسان بن ثابت ؟ فقال حسان : لبيك يا رسول الله وسعديك . قال عليه السلام : أحد . فجعل حسان ينشد والنبى صلى الله عليه وسلم يصغى ويستمع . فما زال يستمع اليه وهو سائق راحلته ، فلما فرغ من انشاده ، قال صلى الله عليه وسلم : (لهذا أشد عليهم من وقع النبل) ويعنى بذلك المشركين .

لقد اعتمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسان فى الرد على شعراء المشركين ، أمثال عبد الله بن الزبعرى ، وأبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وضرار بن الخطاب ، وعمرو بن العاص . واستطاع أن يكون ندا لهم وأن يتفوق عليهم .

وان اعتلاءه منصب شاعر الرسول الرسمى جعل المسلمين يصنعون له

منبرا خاصا فى مؤخرة المسجد ليقف فوقه ينشد شعره الذى يذب به عن الرسول والمسلمين .

شعره الاسلامى :

ويعتبر شعر حسان الاسلامى تسجيلا حيا لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وغزواته . ولذا فقد اعتمد عليه شراح السيرة فى تفسير بعض ما غمض من تاريخ هذه الفترة ، وقد مدح الرسول بمعان كثيرة منها الجاهلى القديم ، ومنها الاسلامى المستحدث . واتخذ مدحه له صفة الفخر بالمسلمين جميعا وخاصة الانصار ، والرد على المشركين ومهاجاتهم ، وكان سلاحا خطرا فى أيدى المسلمين لا يقل عن أسلحتهم الحربية الاخرى .

وكان الرسول يدعو له قائلا : (اللهم أيده بروح القدس) .

قال من قصيدة مفتخرا بانتصار المسلمين يوم موقعة بدر الكبرى :

بكرت على بسحرة بعد الكرى ... وتقارب من حادث الايام
زعمت بأن المرء يكرب يومه ... عدم لمعتكر من الاصرام (٣٣)
ان كنت كاذبة الذى حدثتنى ... فنجوت منجى الحارث بن هشام (٣٤)
وبنو أبيه ورهطه فى معرك ... نصر الاله به ذوى الاسلام

وفى معركة احد نراه يفخر باستشهاد أخيه أوس بن ثابت فيقول :

ومنا قتيل الشعب أوس بن ثابت ... شهيدا وأسنى الذكى منه المشاهد
ومن جده الادنى أبى وابن أمه ... لام أبى ذاك الشهيد المجاهد

ومن قصيدة مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

ان الذوائب من فهر واخوتهم ... قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الاله وبالامر الذى شرعوا
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع فى اشياعهم نفعوا
ان كان فى الناس سباقون بعدهم ... فكل سبق لأدنى سبقهم تبع

وقال من قصيدة يهجو فيها الوليد بن المغيرة ، من كبار مشركى قريش :

ان التى القتك من تحت رجلها ... وليدا لمجهال العشى خبوب
فمالك من كعب حصاة تعدها ... وان قلت من شجع فأنت كذوب
فمالك فى الركنين حق حجاجة ... ولا لك فى صهر النبى نصيب

وكان حسان قاسيا فى هجائه ، سيما اذا تعرض للأنساب فانه يقذع فيها ، والنسب عند العربى أهم ما يحرص عليهويدافع عنه . فكان هجاء المشركين من خلاله أشد عليهم من وقع النبل ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأما فى الرثاء فاننا لا نجد خيرا من الابيات التالية فى رثائه للرسول صلى الله عليه وسلم :

بطيبة رسم للرسوم ومعهد ... منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تمتحى الآيات من دار حرمة ... بها منبر الهادى الذى كان يصعد
بها حجرات كان ينزل وسطها ... من الله نور يستضاء ويوقد
معارف لم تطمس على العهد آيها ... اتاها البلى فالآى منها تجدد
ظللت بها أبكى الرسول فأسعدت ... عيون ومثلاها من الجفن تسعد
وهل عدلت يوما رزية هالك ... رزية يوم مات فيه محمد ؟

وهى قصيدة طويلة تدل على مدى حبه للرسول الكريم وللاسلام ، وعلى تأثره وتأثر المسلمين بموته صلى الله عليه وسلم ....

وقد رثى حسان بعض شهداء المسلمين فى حياة الرسول ، أمثال سعد بن معاذ ، ونافع بن بديل ، وجعفر بن أبى طالب ، وحمزة وزيد بن حارثة ، وخبيب . ونجد له أبياتا فى الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وقد اختلف فيها ، فمن الرواة من قال : انها فى مدحه ، ومنهم من قال : انها فى رثائه :

اذا تذكرت شجوا من أخى ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها بعد النبى وأوفاها بما حملا
والثانى الصادق المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا

كما أنه رثى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما توفى بأبيات منها :

وفجعنا فيروز لا در دره بأبيض يتلو المحكمات منيب
رؤوف على الادنى غليظ على العدا أخى ثقة فى النائبات نجيب
متى ما يقل لا يكذب القول فعله سريع الى الخيرات غير قطوب

وكان حسان ممن ذب عن عثمان قبل مقتله . وقد حفظ لنا ديوانه استصراخه المسلمين لأخذ ثأر عثمان :

شدوا السيوف بثنى فى مناطقكم حتى يحين بها فى الموت من حانا
لعلكم أن تروا يوما بمغبطة خليفة الله فيكم كالذى كانا
ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرآنا
لتسمعن وشيكا فى ديارهمو الله اكبر يا ثارات عثمانا

ونلاحظ اتقاد العاطفة فى رثائه لعثمان رضى الله عنه ، على خلاف عادته فى رثائه لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما . بل انه ليهجو قومه من الانصار ، وخاصة بنى النجار لأنهم لم يدافعوا عن عثمان وايدوا القتلة ، فيقول :

أوفت بنو عوف وأوفت نذرها وتلونت غدرا بنو النجار
وتخاذلوا يوم الحقيقة انهم ليسوا هنالكم من الاخيار
ونسوا وصاة محمد فى صهره وتبدلوا بالعز دار بوار

مما يدل على أن حسان كان متشيعا لعثمان ، بل ورد انه كان واحدا ممن لعبوا دورا هاما فى حادثة مقتله ، فهو احد الذين اقنعوا المصريين بالرجوع الى بلادهم ، كما جاء فى رواية الطبرى ، واستمر فى معارضة على بن أبى طالب كرم الله وجهه طوال فترة خلافته القصيرة . ولا نجد له بيتا واحدا فى مدح أو ذم أو رثاء الخليفة على ، اذ ان اخبار حسان تختفى بعد مقتل عثمان مما يؤكد انه مات قبيل موت على أو بعده مباشرة .

وفاته :

كان تطاحن الاحزاب واحداث الفتنة قد شغلت المسلمين عن كل شىء ، فلم يفطن أحد الى وفاة شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم . وكان بصره قد كف فى أواخر حياته ، وقد اختلف المؤرخون فى تحديد سنة وفاته ، مثلما اختلفوا فى تحديد سنة ولادته كما مر ، ولكن يمكننا أن نأخذ بالرواية التى تقول بوفاته فى سنة أربعين من الهجرة ، حيث ان اخباره تنقطع فى أواخر عهد الخليفة الراشدى الرابع على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

رحم الله شاعر الرسول .

---

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب ـــ مادة حسان .
(٢) الدكتور سيد حنفى حسنين : اعلام العرب ـــ حسان بن ثابت .
(٣) ابو الفضل ابراهيم والبجاوى : ايام العرب فى الجاهلية .
(٤) اختان لحسان من ابيه ، وأمهما سخطى بنت حارثة بن عبدود (الطبقات الكبير المجلد ٨ : ٢٢٩ طبعة أوربا) .
(٥) الاغانى ٣ : ٣٣ .
(٦) المخطوطة رقم ٢٥٣٤ من الديوان بمعهد مخطوطات الجامعة العربية : الورقة ـــ ٧٥ .
(٧) الصرم : الهجر . ابتكر : عجل . الادهان : الخضوع . الحصر : الضيق .
(٨) عمر : ترخيم عمرة .
(٩) الغمر : المجهول .
(١٠) اسلم الابطال عورات الدبر ـــ انهزموا .
(١١) سبط الكفين : سخى وكريم . اليوم الخصر : الشديد البرد . يقول : ان اخواله كرماء فى وقت الشدة والعسر .
(١٢) الروض الانف : ٢ : ٢٨٠ .
(١٣) تاريخ ابن عساكر ٤ : ١٣٤ .
(١٤) الاغانى ٤ : ١٣٥ .
(١٥) أطم : حصن .
(١٦) احتجزت : شددت ردائى على وسطى .
(١٧) الاغانى ٤ : ١٦٥ـــ١٦٦ ، تاريخ الطبرى ٣ : ٥٠ .
(١٨) الدكتور سيد حنفى حسنين : اعلام العرب : حسان بن ثابت .
(١٩) الاكحل عرق فى اليد (الفاضل للمبرد ص ١٣) .
(٢٠) الاغانى ٣ : ١٦٦ .
(٢١) تاريخ ابن عساكر ٤ : ١٢٦ .
(٢٢) الدكتور سيد حنفى حسنين : اعلام العرب : حسان بن ثابت .
(٢٣) الحوذان : نبت طيب الرائحة .
(٢٤) المزنة : السحابة البيضاء ، دلوح : كثيرة الماء . تكشف ادجانها : تكشف ظلمتها . وذلك بانزالها ما تحمل من الماء .
(٢٥) أردانها : اعطافها .
(٢٦) جنبنا الحراب : حملوا حرابهم بايديهم الى جنوبهم . الصريخ : المستغيث . المران : الرماح .
(٢٧) طبقات الشعراء لابن سلام .
(٢٨) طبقات الشعراء لابن سلام .
(٢٩) جلق : دمشق او موضع قريب منها .
(٣٠) البريص وبردى : نهران بدمشق .
(٣١) سيرة ابن هشام : ٣ : ٣٠٨ ، الاغانى ٤ : ١٥٤ .
(٣٢) سورة النور : آية ١١ .
(٣٣) يكرب : يحزن من الكرب . المعتكر : الابل التى ترجع فى عدد غفير ، فلا يمكن عدها لكثرتها . والاصرام : جمع صرم ، وصرم جمع صرمة وهى القطعة من الابل ، ولعل يكرب هنا معناها يقرب ، فيكون معنى البيت زعمت بان الرجل يقرب يومه ، اى اجله ـــ الفقر . تامره بعدم الاسراف .
(٣٤) وكان قد فر من المعركة فى بدر .



تقويم أثر الفتاوى علمياً ومقارنتها بعمل جوستينيان في القوانين الرومانية

للأستاذ : أنور أحمد قادري

لعل من المفيد أن نلاحظ بأن الفتاوى العالمكيرية بالنسبة للفقه الاسلامى وتدوينه من حيث التفسير والتأويل والاجتهاد على أيدى العلماء والفقهاء يمكن مقارنتها بلوائح جوستنيان بالنسبة للقانون الرومانى الذى سبقها ، فنلاحظ مثلا بأن جوستنيان أصدر فى عام ٥٢٨ بعد الميلاد أوامره لأجل وضع المجموعة القانونية الجديدة التى تستند على المجموعات القانونية السابقة الموضوعة فى عام ٥٠٠ و٥٠٦ بعد الميلاد ، وقد عهد جوستنيان بهذه المهمة الى مجموعة مؤلفة من عشرة علماء قانونيين .

وبعد أن انتهى هؤلاء العلماء من عملهم فى شهر نيسان من عام ٥٢٩ م صادق الامبراطور على عملهم ، والغى جميع اللوائح القانونية السابقة ، الا انه نظرا لمعرفة القانونيين الشاملة عن المشرعين القدامى فقد عمل الامبراطور فى شهر كانون الاول من عام ٥٣٣ م على تجميع ما يسمى مجموعة الفقه مؤلفة من خمسين كتابا . وكانت هذه العملية عبارة عن استخلاص حرفى لآراء ٣٩ مشرعا كان أشهرهم المشرعين بول وأولبيان ، على انه لما كانت هذه المجموعة كبيرة الاتساع ، وبغية وضعها بشكل يمكن من جعلها كتابا مدرسيا ، فقد عين الامبراطور بعض الاساتذة البارزين فى مدارس الحقوق فى القسطنطينية وبعض المدن الاخرى لكى يعملوا على وضع كتاب ابتدائى سمى فيما بعد (بكتاب الاحكام القانونية) ، الا ان تشريع جوستنيان كان يقصر عن الاجابة على جميع النقاط

التى كان اثارها المشرعون القدامى ، ولذلك ، ورغبة فى سد هذا الفراغ فقد تم نشر عدد من (القرارات) عن طريق تعديل مجموعة عام ٥٢٩ ، وجعل هذه القرارات جزءا متمما لها ، وعلى هذا الاساس فقد صيغت مجموعة قانونية فى شهر كانون الاول من عام ٥٣٤ م وسميت (المجموعة القانونية الثانية) ، وهى مؤلفة من ١٢ قسما ، كما هى معروفة بشكلها هذا فى الوقت الحاضر ، وقد اعلن الامبراطور فى هذه المجموعة بأنه سيعمل على ادخال اصلاحات تشريعية على شكل دساتير جديدة ، وتم نشرها ما بين ٥٣٥ و٥٦٤ م ، وكان عددها ١٦٥ دستورا ، وقد تم ترتيب مجموعات جوستنيان على أساس أن تتضمن : أولا ملاحظات عامة عن طبيعة القانون وتقسيماته ومصادره ، ثم يتبع ذلك القوانين المتعلقة بالاشخاص والاشياء والتركات والالتزامات والمعاملات (١) ، ولا شك بأن هذا العمل التشريعى جدير بالاعجاب باعتبار أن الانظمة التشريعية الحديثة للعالم الغربى تنحدر جميعها من مبادىء جوستنيان القانونية ومجموعاته القانونية على أنه ليس من الخطأ أن نلاحظ أن هذه المجموعات والمبادىء القانونية قد قصرت فى التمييز بين الاجتهاد والقوانين المحلية وبين القانون والاخلاق باعتبار أنه من المتفق عليه أنها لم تبين الاسس الفلسفية التى قامت على أساسها عملية تجميع النصوص القانونية (٢) .

واذا ما قورنت الفتاوى العالمكيرية بأعمال جوستنيان ضمن الاطار التحليلى نفسه ، لوجدت أنها تتفوق عليها ، فلم تكن الفتاوى عملا علميا عظيما تميز بالجد والبحث فحسب ، بل كانت أكثر من ذلك ، واستنادا الى نظام الشريعة الاسلامية فان الموقف الاسلامى من علم الفقه لم يكن مجرد علم نظامى خال من العوامل الاخرى المتعلقة بالحياة البشرية ، فقد تناول مناقشة النظريات المتعلقة بالقانون وخصائصه العامة ، وتطبيقات هذه النظريات على تصرفات الانسان عن طريق مزاولته للحقوق والالتزامات ، مع ضبط وتصنيف المفاهيم القانونية عن طريق ادخال مبادىء (الاصول) الى علم القانون أو (الفقه) ، وقد مزجت القواعد الدينية والاخلاقية والدنيوية على أساس أن ما كان مأمورا به أو مسموحا فى الدين فهو مشروع ، وما عدا ذلك فهو غير مشروع ، وبعبارة أخرى : ان هذه الدراسة العلمية وشرح الاجتهاد تشكل جميعها ما يسمى (بأصول الفقه) التى تتصل بجذور أو مبادىء القانون ، أما الآراء الفقهية فيما يتعلق بالمظاهر المختلفة للقانون وتأثيراته التى يمكن رؤيتها فى تصرفات الفرد وحقوقه والتزاماته فانها تفرع عن علم (أصول الفقه) زمرة أخرى تدعى (علم الفروع) ، الذى يجزىء المعرفة القانونية الى فروع متعددة وفقا لأنماط التطبيقات التفصيلية (٣) .

وعلى هذا الاساس فان مجموعة عالمكير التى تم اعتمادها بالاستناد الى الخطوط العريضة المذكورة أعلاه كانت أكثر شمولا وأوسع مجالا فى التطبيق من مجموعة جوستنيان ، فمجموعة عالمكير كانت عبارة عن توطيد للآراء القانونية التى تم جمعها ضمن اطار من التدقيق والتحليل بشكل لا تعارض فيه مع فحوى القوانين السابقة ، وعلى خلاف جوستنيان فان عالمكير لم يكن لديه أية مصالح انتهازية من شأنها الافتئات على القوانين المقدسة حتى أنه — أى عالمكير — ترك غير المسلمين يتبعون قوانينهم الخاصة بهم فيما يتعلق بأحوالهم الشخصية (٤) .

وقد جمعت الفتاوى العالمكيرية فى ضوء ما تقدم ، وقسمت الى مختلف أقسام الفقه من أحكام العبادات والقانون والاجتهادات وفقا للمذهب الحنفى ، وعزى فيها كل مسألة وحكمها الى المرجع الفقهى الذى أخذت منه .

هذا ، واننا بمقارنة الفتاوى العالمكيرية مع الخمسين كتابا العائدة لمجموعة جوستنيان ، والكتب الاثنى عشر الخاصة بالمجموعة الثانية لجوستنيان نرى أن مجموعة عالمكير التى شملت ميادين اكثر اتســاعا لجوانب الحيــاة الفردية والاجتماعية لعامة المسلمين كانت مقسمة الى كتب أكثر عددا تضمنتها اجزاء عديدة ضخمة ، وتشكل عملية جمع الفتاوى أسلوبا جديدا من أساليب التطور فى تدوين القانون بكل ما فى هذه العبارة من معنى حديث ، اذ أنها ربطت ما بين النظريات المدرسية الصرفة وتأثيرات الحياة العملية لكى يمكن التوفيق ما بين المطالب النظرية وحاجات المجتمع الاسلامى المتغيرة بشكل تدريجى . الا أنه لا يمكن أن ننكر هنا أن‌الذين قاموا بعملية الجمع كانوا يرون أنفسهم ملتزمين بأحكام المذاهب الاسلامية القائمة ، وبالتالى عملوا على تطويــر صفات التغير الذاتية التى تقتضيها ضرورات الظروف الزمنيــة ضمن حدود ما تســمح به الشريعة .

فطالما أن الفتوى هى رأى قانونى رسمى صادر عن مفت رسمى أو عن عالم شرعى مشهود له بشأن مسألة عرضت عليه من قبل القاضي أو من قبل فرد ما أو حتى من قبل الدولة فان القاضى يمكنه بالاستناد الى هذا الرأى اصدار حكم فى القضية المعروضة عليه كما يمكن للفرد أن ينظم حياته الخاصة بالاستناد الى الفتوى التى تلقاها ، وبما أن هذه الآراء الفقهية تتناول قضايا واقعية وهى منطبقة مع النصوص الشرعية فان نشرها له قيمة كبيرة باعتبار أنهــا تتعلق بأوضاع قائمة (٥) .

وهكذا نجد ما للفتاوى العالمكيرية من دور قيم فى تاريخ العلوم الشرعية الاسلامية ، ونجد بالتالى أن هذه الفتاوى بوضعها الحدود والصيغ المناسبة لتطبيق القانون وفقا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أغنت السلطات القضائية عن التحرى فى مراجع أخرى ، لأن هذه الفتاوى تتضمن أحكاما بالنسبة لأية نقطة من النقاط القانونية بلغة سهلة وواضحة .

وتتأكد أهمية الفتاوى أيضا عنــدما نرى كيف أنه تم اتباعها فى تطبيق الشريعة الاسلامية فى أرجاء العالم الاسلامى أجمع منذ أن تم جمعها فى القرن السابع عشر الميلادى ، فبصرف النظر عن المذاهب الدينية المتبعة فى مختلف الاقطار الاسلامية فانه من الطريف أن نلاحظ بأن الاحكام القضائية الصادرة فى هذه الاقطار تستند الى المبادىء القانونية التى احتوتها هذه الفتاوى وعرضتها بشكل سهل وواضح ، كما أن هذه المبادىء قد تم تبنيها فى كثير من الحالات فى تشريعات السلطات القضائية فى العديد من الاقطار الاسلامية ، ومن الامثلة البارزة فى هذا الصدد مجلة الاحكام العدلية التى كان معمولا بها فى مختلف أصقاع الامبراطورية العثمانية ، وبالاضافة الى ذلك تم طبع الفتاوى نفسها فى القاهرة فى سنة ١٣١٠ هـ فى ستة أجزاء ضخمة ، وسميت بالفتاوى (الهندية والعالمكيرية ، كما أننا نرى أن عدة بلاد قامت بتطبيق هذه الفتاوى بكل ما تحمل هذه العبارة من معنى ، فمن مراكش الى اندونيسيا ، ومن تركيا الى جنــوبى افريقيا ، استخدمت مجموعة الفتاوى كمرجع جاهز لاصدار الاحكام القضائية فى تطبيق نظرية الشريعة الاسلامية من حيث الشكل والموضوع (٦) .

وفى نطاق التطبيق القضائى للفتاوى نجد تطبيقها الحسى وتقليد طريقة عرضها للأحكام فى كل من ميدانى الجوهر والشكل لقوانين الاسلام ، ومنــذ اصدارها من قبل عالمكير ، قامت الادارة القضائية المغولية باتخاذها كأداة من أدوات الادارة القضائية للمسلمين ، وبالنسبة لغير المسلمين ــ كالهندوس الذين

تركوا يمارسون قوانينهم الخاصة بهم لادارة احوالهم الشخصية المتعلقة بالارث والزواج والتبنى ونظام الطبقات وما شابه ذلك ـ فقد كانت تطبق بحقهم احكام الشريعة بالقدر الذى يسمح به كونهم من اهل الذمة فى دولة اسلامية ، على ان اهل الذمة كانوا يخضعون لقانون العقوبات الاسـلامى ، والقانون المدنى الاسلامى فى الشؤون المتعلقة بالتجارة والمقاصة والتبادل والبيع والعقود ، وبالنسبة للمنازعات كان القانون الاسلامى هو القانون المطبق فيمـا اذا كان الطرفان المتنازعان مسلمين (٧) .

وقد استمر هذا الوضع حتى عهد شركة الهند الشرقية ، كما أن نظـام الدولة فى كالكوتا وغيرها من المناطق استمرت على تطبيق قانون العقـوبات الاسـلامى ، وعلى سبيل المثال قد استند على الفتاوى العالمكيرية فى قضية (سبيا) ضد (مويونولا) فى عام ١٨١٨ م ، حيث جاء فى قرار المحكمـة أن **« القانون الاسلامى يقر بحق السلطة الحاكمة بانزال العقاب فى حالات الجرائم الخطيرة تحقيقا لمبادىء العدالة على الرغم من أن الطرف المتضرر قد تنازل عن حقه الخاص »** .

وبالاستناد الى الفتاوى العالمكيرية ايضا تقرر أن الصبى البالغ من العمر أربع عشرة سنة ، والذى قتل صبيا آخر عمره احدى عشرة سنة ، يجب أن يحكم عليهما بعقوبة (التعزير) الاسلامية باعتبار أن القصاص لا يجوز انزاله بحق طفل لم يبلغ سن الرشد . وحتى الآن بعد ادخال قوانين العقوبات فى كل من الهند والباكستان ما يزال قانون الجنايات الاسلامى سارى المفعول فى كثير من الدول الافريقية ، وما تزال الفتاوى العالمكيرية مقبولة ومتبعة فى هـذه الدول .

ـ ٤ ـ

وبالاضافة الى ما ذكر فان المجموعة العالمكيرية يستند اليها بشكل ملحوظ فى كثير من القرارات القضائية التى تظهر قيمتها العملية : ففى الهند والباكستان يتحتم الاشارة الى الفتاوى العالمكيرية كسوابق موثوقة ، كما يتحتم الاستشهاد بها ومناقشتها واتباعها فى غالبية القضايا التى تتعلق بتطبيق القوانين الاسلامية فى مسائل الاحوال الشخصية ، وأن مؤلفى كتب النصوص القانونية الاسلامية يستشهدون بسلطة الفتاوى العالمكيرية ، ويظهرون تفوقها فى عرض نصوص القوانين (الاحكام) الاسلامية .

وفى بعض البلاد الاسلامية الاخرى تتبع الفتاوى بشكل مباشر ، وبصورة خاصة تعتبر كتب النصوص القانونية المستندة الى الفتاوى مراجع اساسية فى كل من الهند والباكستان ، وفى بلاد ماليزيا ، وبورما ، وسيلان وكينيا واوغندا وبلاد افريقيا الشرقية ، ويتضمن العديد من القرارات المتعلقة ببعض القضايا القضائية استشهادا بهذه الفتاوى ، وكذلك الحال فى بلاد الشرق الاوسط ، ولعل اهم مثال على اتباع الفتاوى فى هذه المنطقة هو قضية (سعدات كامل خاتم) ضد المدعى العام فى فلسطين ، اذ اعتمدت المحكمة بعض النصـوص الواردة فى الجزء الثانى من الفتاوى ، وتتعلق هذه القضية بمسألة تطبيق التقادم (مرور الزمن) لاجل استرجاع أملاك العائلة المشار اليهـا من الحكومة التى استولت عليها . وقد اقر مجلس القضاء البريطانى الحكم الصادر عن المحكمة العليا بفلسطين بالاستناد الى الفتاوى العالمكيرية ، وقد تداولت المحكمة فى

هذه القضية مداولة واسعة فى القانون المدنى العثمانى (الكتاب الرابع عشر ، المواد من ١٦٦٠ — ١٦٦٧ من المجلة) ، وكذلك بعض كتب النصوص الفقهية ككتاب عمر حلمى افنــدى (مجمــوعة قوانين الاوقاف المترجمــة عن تايسر وديماتريادس ١٨٩٩ نيقوسيا) ، واستشهدت أيضا ببعض القضايا المماثلة فى قبرص ، ووجدت أخيرا مقطعا فى الجزء الثانى الصفحة ٤٧٤ من الفتاوى بشرح الموقف الصحيح بالنسبة لنقطة الخلاف ، واتخذت حكمها النهائى بالاستناد على المقطع المذكور (٨) .

ان القانون الانكلو — أمريكى المعاصر ، وكذلك انظمة القوانين المدنيــة الاوروبية ، تستند فيما يتعلق بنظرية القرابة الى القوانين الرومانية . وتحدد هذه النظرية درجة التحريم فى موضوع الزواج ، وقد وضع قانون نلبليون ضمن اطار مجموعة جوستنيان القانونية (٩) ونجد بالمقــارنة أن الانظمة القضائية المعاصرة فى كثير من البلاد فى العالم الاسلامى قد اقتبست أحكامها من الفتاوى العالمكيرية الا أن مدى اتباع أحكام جوستنيان يختلف كثيرا عن اتباع الفتــاوى العالمكيرية . فالانتهازية والنزعات السياسية دخلت الانظمة القضائية الغربية ، وتراث القانون الرومانى اتخذ أشكالا مختلفة والوانا متعددة ، وفى مقابل ذلك نجد أن المصدر الالهى للشريعة الاسلامية ومبدأ الاخوة البشرية فيها قد حد الى مدى كبير من ادخال المفاسد السياسية الى الانظمة القانونية ، ولو أن بعض مفاهيم القانون الغربية قد تسربت فى السنوات الاخيرة الى الانظمة القانونية فى البلاد الاسلامية ، وكان ذلك بتأثير السيطرة السياسية الغربية على البلاد الاسلامية والسياسة الاستعمارية التى اتبعتهــا الدول الغربية تجــاه البلاد الشرقية ، وفى الوقت الحاضر يلاحظ أن مبادىء الفتاوى العالمكيرية وتطبيقاتها العملية ما تزال تحظى الى درجة كبيرة بتبعية فى البلاد الاسلامية .

ونصوص الفتاوى المستندة الى نظام الشريعة الاسلامية بالرغم من أنها قد وضعتها السلطة الزمنية للامبراطور المغولى فانها قد ازدادت عمقــا فى التطبيق من قبل السلطات اللاحقة فى انظمة الادارة الاســلامية ، ولعله من الصعوبة بمكان أن نجد ما يمــاثل ذلك فى تاريخ العــالم القانونى ، والسبب الرئيسى لذلك يكمن فى أن الفتاوى قد تم جمعها من قبل هيئة مختارة من العلماء المتشرعين والقضاة الذين وحدوا الآراء المشتتة المتعلقة بالشريعة ، وجعلوا منها مرجعا يسهل الاسترشاد به ، وبمقارنة هذه الفتاوى بما قام به علماء القانون والمستشارون القانونيون من كتابات أو تعليقات فى موضوع القانون والاجتهاد الاسلاميين نجد أن الفتاوى قد تضمنت مبادىء وقواعد تم التعارف عليها ، وعمل بها فى الانظمة القضائية الاسلامية فى ظل السلطة الزمنيــة للمغول ، ولهذا السبب نجد أنه حتى فى ظل الادارة البريطانية فى الهند أقرت المحاكم بأصالة الفتاوى وصحتها .

فمن ذلك ما أورده القاضى البريطانى (بيمان) فى موضوع قضية (تجبى) ضد (مولى خان) . فان هذا القاضى العالم بشرحه لأصالة الفتاوى فى موضوع عدم شرعية زواج أخت الزوجة اثناء قيام زواج الاخت الاخرى قد قال : « أيا كان التفسير الحرفى المعاصر لآية فى القرآن الكريم فان المحاكم لا تستطيع أن تنسى أن الحكم المستخرج من هذه الآية القرآنية قد استمر قائما لفترة عشرة قرون فى ظل حكم سلاطين المسلمين وأباطرتهم ، ولذلك فان هذا القانون الذى وضع نصوصه فطاحل العلماء المتوافرين فى عصرهم وكبار المتشرعين الذين كانوا فى خدمة (أورانك زيب) يجب أن يحظى منا بأعلى مراتب الاحترام .. وقد

اوردت المحكمة فى سياق شرحها لدور هذه الفتاوى فى القوانين الاسلامية مايلى (ان الاستشهاد بوثوق كتاب ككتاب الفتاوى العالمكيرية سواء احتمل معناه تفسيرات أخرى أم لا فان ذلك لا يقدم ولا يؤخر فى الامر باعتبار أن ما جاء فيه بالنسبة للرأى الراجح لدى مؤلفى الفتاوى العالمكيرية هو القانون الصحيح) وقد رفض القاضى المذكور اتباع كتاب رد المحتار ، واشار الى (أننا لا نستطيع أن نقر بأن كتابا ككتاب رد المحتار الذى كتب فى عام ١٨١٧ م يمكن الاخذ به كمرجع له قيمة الفتاوى العالمكيرية ذاتها) .

وتجريحا لحكم صدر سابقا عن المحكمة العليا فى كالكوتا بشأن قضية (عز النساء خاتون) ضد (كريم النساء خاتون) ، وبعد استشهاد دقيق بعدد من كتب القانون الاسلامى ، كالفتاوى التتار خانية ، والهداية وشرح الوقاية ، وكنز الدقائق والعناية ، وغيرها من الكتب ، ومقارنتها بمقاطع من الفتاوى العالمكيرية التى تعطى النص المناسب بشأن الموضوع المطروح على البحث ، قررت المحكمة « بأن الامبراطورية الاسلامية فى الهند قد انقرضت منذ وقت طويل ، وان المؤلف (الذى استند الى كتاباته بشكل مشتت وبدون أية رابطة واتخذت كملحق للحكم الصادر عن المحكمة العليا بكالكوتا) هو مؤلف كثير التصلب ، يوحى بدلائل على أنه كثير الغرور بالآراء الصادرة عنه ، واعتقادنا بأنه من دواعى الحيطة أن نقول : بأنه ليس هناك من مسلم يضع هذا المؤلف على مستوى مماثل أو مقارب لمستوى العلماء الذين قاموا بجمع الفتاوى العالمكيرية ، وليس لنا الحق بأن نقلل من شأن هذه الفتاوى العالمكيرية على أساس أن رد المحتار القى بعض الشك على وثوقها » .

ونعود الآن الى الفتاوى العالمكيرية نفسها لنجد أن هذه الفتاوى قد كتبت أصلا باللغة العربية ، ثم ترجمت فيما بعد الى الفارسية من قبل جلبى عبد الله ، وهو ابن مولانا عبد الحكيم من سيالكوت أثناء عهد الامبراطور ، وقد أعيدت طباعتها فى دول الشرق الاوسط عدة مرات ، وترجمت أيضا الى اللغة الاوردية ، وبعد أن أعيدت طباعتها فيها عدة مرا تمتم طبعها مؤخرا (عام ١٩٦٤) فى لاهور فى الباكستان وديوباند فى الهند ، وكان نيل بـ . ا . بيلى أول المستشرقين الذين ترجموا أجزاء من الفتاوى الى اللغة الانجليزية الا ان تصرفه بالترجمة قد أسقط المراجع ، وفى كثير من الاحيان أسقط مسائل على غاية من الاهمية منها التعليقات والتعليلات ، لدرجة تجعل القارىء الذى لا يستطيع الرجوع الى الاصل يجد كثيرا من عدم التكامل ، بل ويجد أحيانا اختلافات ليس لها أصل فى الطبعة العربية ، وبعبارة أخرى فان كتاب بيلى الذى سماه « مختارات من القانون الاسلامى » هو فى الحقيقة كما يستدل على ذلك من مقدمة الكتاب افتئات على الموضوع من قبل المترجم نفسه وباستثناء ما جاء فى هذا الكتاب من ترجمات صحيحة لبعض المراجع فانه ليس له اية قيمة أكثر من أى كتاب مدرسى باللغة الانجليزية ، كما أن فصول بعض الكتب المدرسية ككتاب (الاحوال الشخصية للمسلمين) لمؤلفه أمير على لا يمكن الاعتماد عليها كدليل فى هذا المضمار ، والسبب فى ذلك يعود الى أن هذه المراجع ذاتها أسىء فهمها فى بعض الاماكن من قبل بيلى عندما كان يستشهد بالنص العربى الاصلى لهذه المراجع ، وقد كان ذلك من الاسباب التى أثرت تأثيرا كبيرا فى التطبيق القضائى الصحيح لمبادىء القانون الاسلامى فى الهند ، حتى انه يمكن القول بأن الباكستان لم تسلم من ذلك فى ظل قاعدة مرور الزمن التى اعتمدت بموجب نظرية السوابق القضائية .

وأريد هنا أن أستشهد بمثال عملى لسوء الفهم الذى يتبين من قضية

(فاطمة بيبى) ضد (أحمد بخش) ۱۹۰۳ م ، والتى هى دليل حسى على سوء ادراك القانون الاسلامى من قبل المحاكم الانكلو ــ هندية ، ومؤلفى الكتب المدرسية فى الهند ، ففى هذه القضية أسىء فهم مبدأ جوهرى من مبادىء القانون الاسلامى ، وهو المتعلق بمرض الموت .

فقد اعتمدت المحكمة العليا فى كالكوتا على مجموعتى بيلى وامير على بغية الاستدلال بالفتاوى العالمكيرية حول النقطة موضوع البحث ، فقد عمى على القضاة أن ما جاء فى كتاب امير على حول هذا الموضوع لم يكن اقتباسا من الفتاوى الاصلية وانما كان اقتطافا من كتاب مجموعة بيلى . فقد ادعى أمير على خطأ بأن المقطع الوارد فى كتابه حول الموضوع كان ترجمة لمقطع كامل من الفتاوى ، واذا ما قورن هذا المقطع بما ورد حول الموضوع ذاته فى مجموعة بيلى يتبين أن ما زعم أمير على أنه ترجمة مباشرة من الفتاوى لم يكن فى الحقيقة سوى نقل من كتاب بيلى .

وبذلك يكون أمير على الذى يدعى الترجمة المباشرة من الفتاوى قد قام بالفعل بنقل ما جاء فى كتاب بيلى بكل ما تضمنه هذا الكتاب من اخطاء واغلاط ، ومع أن بيلى كان يتظاهر بالصدق الى حد القول بأن ترجمته كانت تسير جنبا الى جنب مع ما كان يستخلصه هو نفسه من الفتاوى (كما تثبت ذلك الحواشى) فانه يمكن بسهولة رؤية جزء المقطع من « التعريف الاصح لمرض الموت » الى « يؤدى أو لا يؤدى الى جعلها عاجزة عن ممارسة الشؤون الضرورية فى الداخل » بأنه لم يكن ترجمة لأى مقطع من مقاطع الفتاوى العالمكيرية على الاطلاق ، انما كان ذلك استنتاجا منه من مقطع من الدر المختار الذى كان ذاته عديم الاساس ، وقد خدع جميع القضاة بكتاب أمير علي ، وظنوا بأن المقطع جاء من أصل الفتاوى دون أن يحملوا أنفسهم عناء قراءة كتاب بيلى وشروحه الذيلية ، ومع الاسف فان القضية لم تحصل على الرعاية الكافية من قبل اللجنة القضائية التى عالجت النقطة الاساسية فى دعوى الاستئناف على أنها مجرد مسألة وقائع ، وصدقت على الحكم الصادر عن المحكمة العليا فى كالكوتا .



وبعد ما القينا من نور على قيمة الفتاوى العالمكيرية فاننا سنأتى ببعض الملاحظات العامة الهامة ، فى يومنا هذا : ان مسألة جعل القوانين الاسلامية متوافقة ومتناسبة مع مقتضيات الحياة العصرية تشغل بال كثير من الاشخاص المهتمين بالموضوع ، كما أن مسألة التقنين الاسلامى للقوانين فى جمهورية الباكستان هى من أدق المسائل التى تطرح فى يومنا هذا ، ولقد دل التاريخ القانونى فى الهند على أن النظام البريطانى قد الغى احكام الاجراءات الاسلامية (أصول المحاكمات أو المرافعات) وحتى فى ميدان القوانين الموضوعية تسربت بعض المفاهيم القانونية الانجليزية أو الغربية ، وكان ذلك نتيجة طبيعية من قبل حكومة أجنبية ، وان ادخال الاساليب الاجنبية جاء سهلا فى نظام الادارة العدلية فى البلاد ، ويمكن القول الى حد ما بأن عدم امكانية تطبيق القانون الاسلامى لعدم توافقه مع متطلبات الحياة العصرية قد تسبب فقط من جراء الفصل بين قوانين الاجراءات الاسلامية وقوانين الموضوع ، ومن المتفق عليه ان الاثنين يشكلان جزءا متكاملا لنظام واحد ، وكل منهما يتأذى من عدم رعاية الآخر ، ولذا فان الحاجة ماسة للتقيد بقوانين الاجراءات الاسلامية عند تطبيق قوانين

الموضوع ويجب أن يكون هذا دليلا يهتدى به فى مجال تطبيق النظام القضائى ، وهنا تبدو القيمة العصرية العملية والمـادية وتظهر المسـاعدة التى يمكن أن تحصل عليها الادارات العدلية من الفتاوى العالمكيرية ، فوضع تقنين اسلامى نموذجي على أساس مبادىء قانونية تشمل النواحى الاجرائية والموضوعية يمكن بسهولة استخلاصه من هذه الفتـاوى ، وبالنسبة للمذاهب الاخرى ، خلاف المذهب الحنفى ، فانه من السهولة أخـذها بعين الرعاية فى هـذه التقنينات النموذجية عن طريق اعتبار الميزات البارزة والمبادىء القانونية عندما تختلف الآراء بين مذهب وآخر ، وهذه التشريعات النموذجية يجب أن يحتفظ بها كوسيلة لشحذ الذاكرة ، وكمرشد للمحاكم بشكل عام ، وذلك بغية تجنب كل ما من شأنه أن يفتئت على المفاهيم الاسلامية للادارة القضائية ، واذا ما أمكن عمل مثل ذلك فانه يمكن الاقرار بأن معالجة جدية صحيحة لموضوع الاجتهاد الاسلامى يتوجب البدء بها ، وبذلك تتخذ البـلاد الخطوات الفعالة فى سبيل اقامة أوضـاع المؤسسات القضائية وفق التعاليم الاسلامية .

---

(١) من المسلم به أن امبراطور روما كان تحت سيطرة ملكته تيودورا (وهى امرأة من أصل منحط رفعها الامبراطور) وبذلك تسرب التاثير الشخصى الى المجموعة ت. س. ساندرز : الاحكام القانونية لجوستنيان ص ٣١ (١٩٥٢ لندن) .

(٢) المصدر السابق ، راجع أيضا هـ. ف. جولوفيتش : الاسس الرومانية للقانون الحديث (١٩٥٧ أكسفورد) .

(٣) راجع أ. أ. قادرى : الفقـه الاسـلامى فى العالـم الحديث ٤٤ ، ٨٣ ، ٨٤ (١٩٦٣ بومباى — ترىباتى) .

(٤) انظر مقدمة الفتاوى العالمكيرية والكتاب الثالث عشر : كتاب السير ، شارل هاملتون ، هداية ، مجلد ١ النظرة التمهيدية ص ٨٦ (١٧٩١) .

(٥) انظر دائرة المعارف الاسلامية الموجزة ١٠٢ (١٩٥٣ ليدن بريل) ، انظر أيضا المقريزى ، كتاب الخطط المجلد الرابع ١٤٣ .

(٦) انظر مثلا : لويس ميليو : مقدمة لدراسة القانون الاسلامى (١٩٥٣ باريس : سيرى) ، شكرى قرداحى الفصل ١٤ تنازع القوانين ، فى : القانون فى الشرق الاوسط (١٩٥٥ واشنطون معهد الشرق الاوسط) ، جورج يونج ، مجموعة القانون العثـمانى (١٩٠٥ ، ١٩٠٦ اكسـفورد) شارل أ. هوبر : القانون المدنى لفلسطين وشرق الاردن . المجلد ١ (١٩٣٣ القدس) .

(٧) انظر الهداية (الترجمة الفارسية) الكتاب ٢١ هاملتون : الترجمة الانجليزية للهـداية المجلد الثانى ٦٨٤ — ٦٩٠ — ٦٩١ .

(٨) لمراجع أخرى عن (الفتاوى) والكتب الهندية ، انظر التقارير القانونية للدول التى تطبق الشريعة الاسلامية . انظر مثلا فاطمة بنت محمد ضد محمد بن سالم ١٩٥٢أ. س ١ — ١٠ ص ٧ — ٨ ، رزيتى بنت عبد الله ضد شريفة بنت محمد بن حامد : استئناف المجلس الخاص رقم ٦٣ فى ١٩٦٠ المحكوم فيـه فى ديسمبر ١٩٦٢ (دعاوى الدول الافريقية) ، انظر أيضـا المراجع المذكورة فى فيتزجيرالد : القانون المحمدى (١٩٣١ اكسفورد) .

(٩) انظر مثلا سوينبون : كتاب الوصايا الطبعة الخامسة (١٧٢٨) القسم ١ الجزء ١٦ ص ٥٩ ل ٤٥—١—١٣٤ س ٥١ ، ١ الغ من جوستنيان ، هوايت ضد هوايت (١٧٧٨) ١ بر. س. س. ١٢ .

الصبر

أعظم درجات السمو العقلي والنفسي

للأستاذ : أحمد مختار قطب

لعل أخطر ما يتعرض له اى مجتمع من المجتمعات هو تشكيكه فى القيم التى يقوم بنيانه عليها ، ذلك ان مجرد النجاح فى ذلك ينتهى بالمجتمع الى الأنهيار الكامل ويصير كما قلنا فى مقال سابق فريسة لأى غزو جديد .

والى جوار الهدم الأصلى فى المجتمع الاسلامى عن طريق اقناعه بأن الدين فى حد ذاته لم يعد صالحا لحل المشكلات التى يواجهها الانسان على الارض وأن دوره يجب ان يقتصر على الغيبيات فقط وانه أسوة بكل الأديان لا يزيد عن كونه مرحلة معينة لابد أن يمر بها الانسان فى مراحل تطوره حتى يبلغ رشده الوجدانى ويغنيه هذا الرشد عن صوت السماء الذى كان يتخيل أنه يتصل به عن طريق الرسل وان عليه وقد وصل الى هذه المرحلة ان يعرف سبيله بنفسه وأن يشرعه وينحته من واقع تجاربه تاركا الفروض الغيبية التى كان يغرق فيها الأقدمون .

وهم يستندون هذا الغزو العام بغزو خاص بهدم كل قيمة على حدة فاذا انهدمت القيم كلها انهار البنيان من قواعده وخر السقف على أصحاب العقيدة التى لم يتلقوا قدرا كافيا من الحماية الذهنية لها .

• يقـوم على الفـهم الصَحيح للأمُـور
• ويَكون في اختيار الموقف الآجـل عَلى العَاجل

فهم يهدمون فكرة التوكل على الله قائلين انها فى الاسلام لاتحمل الا معنى التواكل ويهدمون فكرة الصبر قائلين انه صنو الاستسلام ، ويهدمون فكرة التوحيد قائلين انها تبعد بالانسان عن الواقع متمثلا فى الاسـباب الظاهرة التى يرونها ويهدمون فكرة الايمان بالآخرة زاعمين انها حيلة الضعفاء تعزية عن ضـعفهم المتمثل فى أمل فى معيشة فى عالم آخر قد يجدون فيها مايعوضهم وهكذا يمضون فى تصوراتهم حتى لا يبقى لدى المسلم الا أن يفر من هذه العقيدة التى تؤدى به الى التواكل والاستسلام وعدم الواقعية ، وخيال العاجزين فيتلقـاه شياطين العقائد الأخرى وهو هش تخربت نفسيته وفراغها قابل للامتلاء بغثهم وزخرف قولهم .



ولقد تحدثنا فى مقال سـابق عن معنى التوكل على الله وكيف أنه شىء مختلف تماما عن التواكل ونتكلم فى هذا المقال عن معنى الصبر قائلين انه على العكس تماما مما يقولون فهو شىء آخر غير الاستسلام .

والواقع أن القرآن الكريم تكلم عن الصبر بمعنى الاستسلام حيث يكون الأمر متصـلا بموقف من يعصى الله ثم يجازيه الله على ذنبه فهنا ليس له من سبيل ازاء أمر الله الا الاستسلام والرضوخ لا اختيارا منه ، بل لأنه لا يملك الا هذا الموقف فلا يفلح فى دفع عقاب الله عنه شىء فليس هناك بديل عن الصبر وهو هنا بمعنى الاستسلام أو الرضـوخ كأمر لا ثانى له وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة الطور الآية ١٦ .

« اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سـواء عليكم . انما تجزون ما كنتم تعملون » .

وفى سورة ابراهيم الآية ٢١ .

« وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء . قالوا لو هدانا الله لهدينـاكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص » .

واضح أن هذه الآيات تعنى بالصبر الخضوع والرضوخ والاستسلام حيث لا سبيل ولا طريق الا هو .

اما المعنى الآخر الذى أورده القرآن الكريم للصبر وهو الذى نقول انه أحد اعمدة العقيدة واهم دعامة للنجاح فى الحياة نجاحا يشملها ويشمل الدار الآخرة فهو عبارة عن موقف يتميز بالعزم والصدق حيث يكون على الانسان ان يختار طريقا من طريقين احدهما فيه طاعة الله وتنفيذ ما أمر به والثانى أيسر من هذا الطريق اذ يستجيب فيه الانسان لأهوائه وميوله أو ربما مخاوفه وهو عندما يختار بين الأمرين يتعرض لضغوط كثيرة قد تؤدى به الى اختيار الطريق الأسهل ... فهو يتعرض لضغوط من داخل نفسه تتمثل فى أهوائه وميوله وضغوط خارجية كمقاومة فتنة الناس وايثاره السلامة عن طريق مسايرتهم والتفريط فى طريق الله التماسا للأمن العاجل او المنفعة العاجلة .

والانسان دائما مواجه بعملية الاختيار هذه وفى كل لحظة من لحظات حياته عليه أن يختار بين أمرين ولكل أمر أسباب داعية لترجيحه وتفضيله وهذه الاسباب تدور بين الرغبة فى العاجل وبين ايثار الآجل فمن يستطيع أن يخدع المتعامل معه ليكسب مكسبا عاجلا يؤثر هذه الرغبة مادام قادرا عليها على كل النتائج الآجلة لاستقامة المعاملات سواء فى الدنيا أو الآخرة والذى يفر عند لقاء العدو يخضع للرغبة فى السلامة العاجلة ، ويؤثرها على كل النتائج الآجلة مهما هبط به الفرار الى اى درك .

والصبر يكون فى اختيار الموقف الآجل على العاجل وهو عندئذ وعندئذ فقط يكون فضيلة .. وهى فضيلة تقوم على الفهم الصحيح للامور فاختيار العاجل يقوم على الاستجابة غير المحسوبة لاحكام اى موقف يوجد فيه الانسان وأما اختيار الآجل فهو عبارة عن الاستجابة المحسوبة للمواقف .. فاذا فجأ الانسان أمر فهذه المفاجأة لها حكمها ولها الحل الذى توحى به كل مفاجأة من اثارات أيا كان نوعها فالذى يستجيب لعاطفة الغضب الجامح فيقتل من أغضبه انما يخضع للظروف المادية التى أحاطت به وقت انفعاله ويجعل لها عليه السلطان الكامل فهى تعميه عن ادراك غيرها وتجعل بصيرته بالنسبة للنتائج التالية فى الدرجة الثانية أو الثالثة أو مادون ذلك بكثير بالنسبة لقدرة تركيزه وتصوره للموقف الآنى الذى يواجهه فحدة البصر تكون منصرفة للمحيط المادى فقط ولاتتعداه الى غيره .. وأما الاستجابة المحسوبة فيلزمها بادىء الأمر ان يتحرر الانسان من حكم المفاجأة حتى يتمكن من الابصار وهو لايتحرر الا بالفهم والتحليل الصادق وهذا لا يكون الا باجراء عملية ضبط سريعة للانفعالات حتى لا يورطه فيما لا يستطيع التخلص منه ثم يباشر عملية ممارسة شاقة لا سباب الحل الآجل حتى تستجيب له الاحداث وهذا هو نصر الله .

فالاستجابة العاجلة تكون خضوعا غير مبصر من الشخص للاثارات المادية أو ردودا مباشرة لها . وأما اختيار الآجل فهو التحليل والتروى مع عدم الانخداع بالفوريات حتى تستجيب الاحداث فيصبح الشخص هو سيد الموقف وليس عبدا له .

والمشاهد أن الانسان اذا لم يبادر بشفاء نفسه من أي انفعال فورى فان هذه الانفعالات تنقلب الى أدواء نفسانية مزمنة ربما يصعب أو يستحيل التخلص منها وتسيطر على الانسان سيطرة كاملة فانفعال الغضب الجامح ان لم يعالجه الانسان بالفهم الصحيح والصبر على هذا الفهم انقلب مع الزمن الى رغبة فى الانتقام والفرار من العدو ينقلب مع الزمن الى استكانة متأصلة فى النفس والركون الى اللذة العاجلة ربما ينتهى بالانسان الى التحلل ووهن الشخصية وتبعثرها وهكذا الأدواء النفسية كالأدواء العضوية سواء بسواء ان لم تعالج فى البداية انقلبت الى أدواء مزمنة وربما ضاعت حياة الانسان هباء وهو خادم لرغبة خاطئة محدودة هدامة ، فالراغب فى الانتقام تكاد تشكل هذه الرغبة الاطار الذى لا يعدوه ذهنه وتفكيره مهما كان صاحب ملكات خلاقة ، وأسير شهواته ونزواته يجعل هذه الشهوات والنزوات بمثابة التكاليف التى تحمل بها ملكاته العقلية والذهنية ، وهى اما أن تستنفدها أو تبقى منها فائضا ضئيلا .

فالصبر علاج لكل هذه الأدواء النفسية وهو أعظم درجات السمو العقلى والنفسى وغاية ما يطمح اليه الانسان من تحرر . فالصابر هو الانسان الكامل القادر على التسامى فوق الاحداث وفوق الانفعالات وفوق العواطف الهدامة .



والعقيدة الاسلامية كانت وما تزال خير مخرج للصابرين فما من أحد اعتنقها عن فهم الا وأحدثت فيه تحولات تدنيه من الكمال بقدر قدرته على هضمها وكلما ازداد هضمه ازداد كماله .

وفى مجال الصبر يرسى القرآن الكريم الدعامة العقلية الاولى له ويقرنه بها وجودا وعدما . وهذه الدعامة هى العقيدة المبنية على التحليل العقلى الذى لابد وأن ينتهى بالانسان الى التوحيد واذا ما اعتقد الانسان ان الله واحد لا شريك له وأن كل القوى التى تظهر طافية على سطح الحياة هى قوى من طبيعتها الأفول والذهاب وانه قد تكون لهذه القوى بعض السلطان أو كل السلطان على عقول الناس وهى ان لم يكن لها سلطان على العقول فقد يكون لها سلطان على الارادات فينصرف الانسان بذلك عن الجوهر الى المظهر وعما ينفع الى الزبد وعندئذ تبرز فضيلة الصبر مستندة الى هذه الدعامة العقلية العقائدية وهى الثقة بأن **وعد الله حق** وان كل ما يظهر على سطح الحياة من أحداث تبدو وكأنها ذات قوى فعالة انما هى مما لا يجوز أن يربط الانسان مصيره بها وانما يربطه بما وراءها من ارادة مسيرة ومهما توهم انه يصارع التيار فلا بد وان ينتصر لأن الامر كله لله وليس لهذه المظاهر .

« فاصبر ان **وعد الله حق** ولا يستخفنك الذين لا يوقنون » .

ووعد الله سبحانه وتعالى بالجزاء الحسن فى الدنيا والآخرة انما يكون للملتزمين لأوامره سواء كانت هذه الاوامر تكليفا بأداء أو بامتناع .. وهذه الأوامر تكون السنة والطريقة المثلى للوصول الأمثل ومهما ابطأ ذلك فهو لا بد واقع .

« فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم » .

(سورة الاحقاف آية ٣٥)

ويزود اللـــه المؤمنين بأن وعده الحق بتحليل عقلى عقائدى آخر يثبت به قلوبهم ويعصمهم أن ينخدعوا فى المظاهر ويخرجهم من ظلمات التشكك والارتياب الى نور اليقين .

فعندما كلف المؤمنين بالقتال فى سبيل الله دفاعا عن كيانهم افهمهم أن القعود عن هـــذا الواجب لن يدرأ عنهم الموت أو يؤخره ... وان الأخطر من ذلك أن المساومة على النجاة وان غلفها العدو بأى وعد معسول لا يجب أن يخفى عنهم الحقيقة وهى أن المهزوم معرض للنتائج الطبيعية لكل هزيمة وهى الخزى والمذلة ثم فتنته فى كل معتقداته .

« كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة . يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون » .

(سورة التوبة الآية ٨)

وهكذا يمضى كلام الله تعالى فى تبصرة المؤمنين وحمايتهم ذهنيا وعقائديا حتى تكون عقولهم فى خدمة ارادتهم عندما يصبرون ولا تكون ممارســـة الصبر مجرد امتناع مرهق غير مفهوم « وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا » .

ولن نمضى فى ضرب الأمثال فبوسع القارىء أن يختار أى مسلك فاضل يرضى عنه الله الا ويجد بدل السند أسانيد عقلية تدعمه ولن يجده تكليفا معلقا فى الهواء بغير أساس ثابت .



والتطبيق الأمثل لفضيلة الصبر نراه فى مسلك الرسول صـــلوات الله عليه ، فقد كانت حياته كلها امتحانا لتمسكه بهذه الفضيلة واثباتا للنجاح فى هذا الامتحان .

فقد منى فى حياته الخاصة بالكثير مما تنوء به عقيدة الضعفاء وتدفعهم الى البرم والتشكك .

ومنى فى حياته العامة فى سبيل الدعوة بالكثير مما تنوء به النفوس .

وما كان قوله الا أن قال مخاطبا ربه « ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى »

هذا هو التطبيق الأمثل للصبر على الاعتقاد بأن وعد الله حق وما يستتبعه من تنفيذ صارم لكل ما أمر به الله ايجابا وسلبا والسمو بهذا الاعتقاد فوق كل احداث وأزمات .

رُكن الموسوعة الفقهية

تحرره : إدارة الموسوعة

الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامى

انتهينا فى الاعداد السابقة من بحث وجوه الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على الصعيد العالمى .

ونتناول بدءا من هذا العدد بحث وجوه الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامى .

ونستعرض هذه الوجوه تباعا على النحو التالى :

١ — الحاجة الى الموسوعة لتدعيم وحدة الامة الاسلامية .

٢ — الحاجة الى الموسوعة لتيسير معرفة الفقه المنتثر فى امهات المراجع القديمة .

٣ — الحاجة الى الموسوعة من حيث انها مرحلة تمهيدية للاجتهاد والتشريع المعاصر .

٤ — الحاجة الى الموسوعة لفهم وتفسير وتطبيق بعض القوانين المعاصرة المستمدة من الشريعة الاسلامية ، سواء كانت هذه الاخيرة مصدرا تاريخيا أم رسميا لها ، أو قانونا عاما يرجع اليه فى حالة الفراغ التشريعى ، أى عند عدم وجود نص قانونى فى موضوع .

* * *

أولا — الحاجة الى الموسوعة الفقهية لتدعيم وحدة الامة الاسلامية :

— قد يبدو غريبا أن يكون عرض الخلافات المذهبية عاملا فى تدعيم وحدة المسلمين ، بل ان البعض قد أبدى مخاوفه من أن يكون فى عرض هذه الخلافات اثارة لروح التحزب المذهبى وتوسيعا لشقة الخلاف . والواقع خلاف ذلك ...

— فان الهوة القائمة بين اتباع المذاهب المختلفة انما نشأت واتسعت نتيجة لتجميد حركة الاجتهاد والنمو الفقهى ، ولتشجيع التقليد الاعمى لائمة المذاهب دون معرفة الادلة ، وحرص كل فريق

على تكثير اتباع مذهبهم ومقاومة المذاهب الاخرى والطعن فيها خلافا لما كان عليه أئمة المذاهب أنفسهم من التقدير المتبادل .

ـ ان الخلاف فى الرأى هو طبيعة فى البشر ، وان اباحته فى الاسلام يسر فى الدين .

ـ فطالما ان بعض النصوص تحتمل الاختلاف فى تفسيرها ، وان بعض الاحاديث مختلف على صحة ورودها ، وان العديد من المسائل التى تجد مع اختلاف الامكنة وتطور الازمنة وتجدد الحاجات البشرية لم يرد نص يحكمها وتختلف الانظار فى الحكم الملائم لها ، طالما ان الامر كذلك فالاختلاف بين الفقهاء فى تفسير كثير من النصوص واستنباط الاحكام منها هو الامر الطبيعى وليس العكس .

ـ ولقد كان أئمة المذاهب أنفسهم لا يجدون حرجا فى الرجوع عن رأى أبدوه اذا تبين لهم خلافه أو تغيرت البيئة التى يفتون فيها كما حدث للامام الشافعى عندما انتقل من العراق الى مصر كما نقل عنهم النهى عن تقليدهم تقليدا أعمى ، والامر بترك أقوالهم اذا تبين فيها مخالفة للسنة الثابتة :

فأبو حنيفة يقول :

اذا صح الحديث فهو مذهبى . لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه . حرام على من لم يعرف دليلى أن يفتى بكلامى فاننا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غدا ... الى آخر ما روى عنه .

ومالك يقول :

انما أنا بشر أخطىء وأصيب فانظروا فى رأيى فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه . ليس أحد بعد النبى صلى الله عليه وسلم الا ويؤخذ من قوله ويترك الا النبى صلى الله عليه وسلم .

كما رفض محاولتين للخليفة ابى جعفر المنصور ومحاولة للخليفة هارون الرشيد لحمل الناس على مذهبه ، وكان مما رد به عليهما : ان أصحاب رسول الله اختلفوا فى الفروع وتفرقوا فى البلدان وكل مصيب .

والشافعى يقول :

اذا صح الحديث فهو مذهبى . اذا وجدتم فى كتابى خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ما قلت . كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أهل النقل بخلاف ما قلت فأنا راجع عنها فى حياتى وبعد موتى . مثل الذى يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل ... الى غير ذلك ... مما روى عنه .

وأحمد بن حنبل :

وهو أكثر الأئمة جمعا للسنة يقول : لا تقلدنى ولا تقلد مالكا ولا الشافعى ولا الاوزاعى ولا الثورى وخذ من حيث أخذوا . (ينظر فى هذا المقام كلام ابن القيم رحمه الله فى اعلام الموقعين ج ٢ ص / ٣٠١ ـ ٣٠٢) .

وهذا مما يؤكد سماحة الأئمة واتساع صدورهم للخلاف وعدم جمودهم على الرأى أو تعصبهم له ...

— ثم خلف من بعدهم خلف تعصبوا لمذاهبهم وأئمتها ، وقلدوهم تقليدا أعمى وصار التقليد هو الاصل بعد ان كان الاجتهاد هو الاصل ، ووضعوا للتقليد قواعد وأحكاما ، وأصبح فى نظرهم ان الآراء التى فى المذاهب الاخرى خاطئة كلها ، ويرى كل فريق منهم ان كل ما قاله الامام الذى يقلده صحيح لا يحتمل الشك بل كل ما يقيسه كبار مذهبه والمخرجون فيه كذلك !! وقد وصل هذا التعصب المذهبى الى أن يقول الكرخى وكانت له رئاسة الفقه الحنفى بالعراق فى منتصف القرن الرابع الهجرى : « كل آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ » بل وصلوا فى التحيز للأئمة السابقين الى درجة التشاحن فى جدلهم ، وأخذت العصبية تتزايد الى أن بلغت التقاتل ، وأصبح فى كثير من المساجد أربعة محاريب كل واحد لواحد من المذاهب الاربعة يصلى فيه امام باهل مذهبه فينتظرون الصلاة معه دون غيره كأنهم أصحاب أديان مختلفة ...

واذا كان ذلك قد حدث بين اتباع مذاهب السنة الاربعة ، فان ما بين السنة والشيعة أو الشيعة والاباضية أشد ويغنى فيه التلميح عن التصريح ...

— وقد ولج من باب الخلاف المذهبى كثير من اعداء الاسلام والمسلمين يوسعون شقته ويستغلونها لمآربهم الدينية والسياسية أخذا بقاعدة الاستعمار الذهبية الرهيبة « فرق تسد » . وقد نجحوا فى تأليب بعض الطوائف على البعض الآخر وناصروا فئة على فئة واستعانوا بقوم على قوم ، كل ذلك على أساس مخطط مدروس حتى أصبحوا أعلم من المسلمين بما بين المسلمين من فرق واختلافات وحزازات وعداوات مذهبية .

— وعلاج هذا الواقع المؤلم لا يكون الا بتوعية المسلمين بدينهم وتبصيرهم بأنهم أمة واحدة كتابها واحدا ، ونبيها واحد ، وان ما حدث من خلافات فى الاصول او الفروع انما مرده اسباب تتعلق بمنهج الاستنباط أو درجة الوثوق بالحديث أو الاختلاف فى تفسير النصوص .. ونحو ذلك وكله محتمل ولا يجوز أن يترتب عليه اختلاف القلوب والتعادى ، وتفرق الامة شيعا ...

— وهنا تتضح أهمية الموسوعة الفقهية اذ تعرض الحكم فى كل مسألة من مختلف وجهات النظر موضحة دليل كل رأى ، وبذلك تزول حدة الخلاف ، ويحل محله روح التسامح والتيسير ، اذ تتبين الاسباب الحقيقية لاختلاف وجهات النظر والتى نذكر منها :

١) — غفلة كثير من المتأخرين عن تحذير الاسلام من التشدد فى الدين وعن حثه على التيسير على الناس ...

٢) — عدم عناية المتأخرين بالتحرى عن ظروف كثير من أوامره صلى الله عليه وسلم وارشاداته : هل المراد منها أن تكون تشريعا عاما دائما ، أو تدبيرا خاصا ببعض الظروف دون بعض ، وقد يكون لها

قيود وملابسات اذا تخلفت لا يبقى الامر أو النهى أمرا أو نهيا .

٣) ــ غفلة كثير من العلماء عن أنه صلى الله عليه وسلم كثيرا ما كان يجيب السائل أو يأمر الرجل بما يناسب حاله هو ، وقد لا يناسب غيره ، فيكون الجواب النبوى خاصا به فلا يعمم على غيره من الناس ممن تختلف حالهم عن حاله .

٤) ــ اغترار كثير من المتأخرين بما نقل اليهم عمن سبقهم من دعوى الاجماع فى مسائل ليست فى الواقع ــ عند التحرى ــ محل اجماع .

٥) ــ تشديد بعض العلماء فى المندوبات والمواظبة عليها حتى اعتقد بعض العامة انها واجبة يأثم الانسان بتركها ، فزال الفارق المهم بين الفرعى والاساسى من الاحكام ، وما يستتبعه ذلك من التسامح فى الاول دون الثانى ، فكان ذلك من عوامل التنفير .

٦) ــ أن يكون العمل الذى حصل من النبى صلى الله عليه وسلم قد حضره جمع من أصحابه ، ولما تفرقوا فى البلاد روى كل واحد جانبا فقط مما حصل لانه هو المتعلق بالمقصود المبحوث عنه وأغفل غيره أو لم يتنبه له . فمن لم يتحروا الدقة فى مثل ذلك بجمع جميع الروايات لتظهر الحقيقة كاملة تتفرق بهم السبل ويختلفون ، وينكر كل منهم على صاحبه ما هو حق فى الواقع لا يصح انكاره .

٧) ــ ان يخفى على العالم المجتهد حال راوى الحديث ، فيروى عنه مع أنه ليس بثقة فى الواقع ، وبذلك يكون الحكم الذى أخذ من الحديث غير صحيح ، فيخالفه فيه غيره ممن يعلم حقيقة حال الراوى .

(والامثلة على هذه الاسباب كثيرة فليراجعها القارىء ان شاء فى « الاحكام » لابن حزم « ورفع الملام » لابن تيمية « والموافقات » للشاطبى و « ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين » للشيخ عبد الجليل عيسى « وأسباب اختلاف الفقهاء » للشيخ على الخفيف ، وفى غيرها من المصادر القديمة والحديثة) .

ــ وسيتضح أيضا نتيجة لمنهج الموسوعة فى عرض اختلاف الآراء الفقهية ــ ان الخلافات ليست مقتصرة على المذاهب فيما بينها ، وانما حدثت الخلافات الكثيرة داخل المذهب الواحد فاختلف فى كثير من المسائل ــ داخل المذهب الحنفى مثلا ــ الامام أبو حنيفة نفسه مع صاحبيه ابى يوسف ومحمد ، كما اختلف ابو يوسف مع الامام ومحمد ، وكما خالف الجميع زفر ...

وهذا نفسه أيضا قائم فى المذاهب الاخرى ... ولم يترتب على ذلك ان انقسمت هذه المذاهب وتعادى أصحاب كل منها فيما بينهم نتيجة لهذه الخلافات الداخلية فى المذهب الواحد . وما ذلك الا لان وجود المذهب وتميزه انما يرجع الى مبادىء وأصول يبنى عليها وليس الى العصبية لاصحاب الرأى نتيجة اختلافهم مع الرأى الآخر ؟

فما صلح سببا لهذا التسامح بين أصحاب المذهب الواحد وان اختلفوا يصلح سببا لتسامح مماثل مع أهل مذهب آخر لان منشأ الاختلاف واحد فى الحالين .

ــ ويتضـــح كـــذلك من بحـــث الخلافات الفقهية ان هناك مذاهب أخرى غير التى يتبعها المســـلمون الآن اندثرت ولم يـــعد لها اتـــباع كمذهب الاوزاعى والليث والثـــورى ... ، بل ان بعضها لم تدون له كتب وانما عرفت آراؤها مبعثرة من كتب التفســـير أو كتـــب المـــذاهب الاخرى .

ــ والمذاهب التى بقيت لا يرجع بقاؤها الى حيويتها فحســـب وانما الى نشاط اتباعها فى خدمتها وجمعها ونشرها وتعليمها ، وفرضها أحيانا بواسطة الحكـــام اما مباشـــرة أو بصورة غير مباشرة نتيجة لتعييـــن القضاة من مذهب معين . (تراجع رسالة أحمد تيمـــور عن انتشـــار المذاهب الاربعة) .

ــ ويتضح كذلك ــ نتيجة لمنهج الموسوعة فى عرض الخـــلافات ــ ان مسألة معينة قد يتفق فيها رأى المذهب الحنـــفى أو أحـــد أئمته ــ مع رأى المالكية والاباضية ، بينما يتفق المذهب الحنفى فى مسألة أخرى مع رأى الامامية والزيدية والحنابلة ، وهكذا ... أى أن تصنيف المواقف المختلفة لا يأتى على نظام رتيب واحد بأن تكون مذاهب أهل السنة مثلا على رأى واحد وتخالفها مـــذاهب غير أهل السنة ، أو أن يكون رأى الاباضية مثلا مختلفا على طول الخط مـــع رأى الشيـــعة ... ذلك لان الخلاف فى الحقيقة لا يأتى نتيجـــة التعصب والتحزب وانما للاسبـــاب التى اشرنا الى بعضها ...

نخلص مما تقدم الى ان اخـــراج موسوعة فقهية تضم آراء المذاهب الاسلامية يحقق مصلحة جوهـــرية هى تأكيد وحدة الامة الاسلامية رغم تعدد المذاهب الفقهية فيها ، وتنبيه أتباع هذه المـــذاهب الى الاســـباب الحقيقية للخلاف فى الرأى مما يخفف حدة النزاع وينشر التسامح ويحقق المبدأ الحكيم بأن نتعاون فيما اتفقنا عليه ، وأن يعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ، وهذا أول الطريق نحو الوحدة الاسلاميـــة المنشـــودة باذن الله .



اعرف وَطنكَ أيّـهَا المسْـلم

الصومال

نبذة جغرافية

تقع الصومال فى الزاوية الشرقية من القارة الافريقية فتمتد على الساحل الافريقى المطل على باب المندب (بوابة البحر الاحمر الجنوبية) حتى حدود كينيا جنوبا .

وهى بمحاذاة القسم الجنوبى من شـبه جزيرة العرب . وتبلغ مسـاحة الصومال حوالى ٢٧٠٫٠٠٠ ميل مربع . اما سكانها فكلهم مسـلمون ينطقون العربية الى جانب لغتهم الافريقية وعددهم يقارب الخمسـة ملايين وعاصـمة الصومال مقديشيو ، وأهم موانئها بربرة وزيلع وبندر قاسم . ومعظم أراضيها صحراوية وخاصة فى الشمال حيث تكثر المراعى والثروة الحيوانية ، أما المناطق الجنوبية وهى التى اسـتولت عليها الحبشـة عنوة ففيها أخصـب الأراضى الزراعية .

لمحة تاريخية

تنتسب القبائل التى يتألف منها الشعب الصومالى اليوم الى قبيلة قريش العربية التى هاجر بعض أفرادها من العرب المسلمين الى الصـومال فى القرن السابع الميلادى ، وكان على رأس هؤلاء ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم عقيل بن أبى طالب .

قام هؤلاء المسلمون بنشر الاسلام فى بلاد الصومال حتى تكونت سلطنات اسلامية فى كل من زيلع ومقديشيو ولقد تأسست سلطنة زيلع فى القرن الميلادى نفسه ، وما أن جاء القرن الثالث عشر الميلادى حتى اتسـعت رقعتها ، وحلت محلها امبراطورية اسلامية سـميت امبراطورية العدل ، وكانت تمتد من خليج

إعداد: إدارة الشؤون الاسلامية

بين الأمس واليوم

عدن حتى مدينة هرر التى تقع تحت سلطان أثيوبيا فى الوقت الحاضر ، وكان أبرز حاكم لهذه الامبراطورية رجلا يدعى الامام أحمد بن ابراهيم الغازى (١٥٠٦ — ١٥٤٣) فقد استطاع هذا الحاكم الاستيلاء على اجزاء كبيرة من أثيوبيا (الحبشة) وتغلغلت قواته شمالا حتى وصلت الى منطقة كسلا فى عام ١٥٣٥ ميلادية كما نجح فى القضاء على القوات الأثيوبية قضاء تاما مما اضطر امبراطور أثيوبيا الى الهرب الى الجبال .

لكن الأثيوبين استعانوا بالبرتغال فجاءت قواتها لنجدتهم فى عام ١٥٤١ واستطاعت بمعاونة الأثيوبين الحاق الهزيمة بالامام أحمد ثم تمزقت امبراطورية العدل عند وفاته فى عام ١٥٤٣ . أما سلطنة مقديشيو فقد ظلت مزدهرة فى القرن الرابع عشر وحافظت على استقلالها حتى القرن السادس عشر ، أما فى مسقط الى عمان وزنجبار وذلك فى مطلع القرن التاسع عشر أعطيت مقديشيو الى سلطان زنجبار ، أما بقية المناطق فقد ظلت مدة طويلة تحت حكم شيوخ صوماليين .

الاطماع الاستعمارية

لم تنج الصومال من الاطماع الاستعمارية ففى نهاية القرن التاسع عشر وضعت بريطانيا قدمها فى البلاد وجعلت لنفسها منطقة نفوذ فيها ثم تلتها فرنسا التى استولت على منطقة جيبوتى فى الشمال ، وأقامت ما يسمى بالصومال الفرنسى . وبعدهما جاءت ايطاليا وأقامت لنفسها منطقة نفوذ فيما تبقى من البلاد .



الصومال قبل الاستقلال

الاســـــتقلال

هب الشعب الصومالى المسلم لمقاومة النفوذ الاستعمارى فأخذ يناضـــل من أجل الاســـتقلال ، وحارب تحت قيادة الســيد محمد بن عبد الله حسن لمدة عشرين عاما ونيف قاوم خلالها كلا من الانجليز والايطاليين لكنه لم يكســب تلك الجولة .

وفى عام ١٩٤١ خرج الحلــفاء منتصرين من الحرب العالمــية الثانية ، واستولوا على ممتلكات دول المحور فاستولت بريطانيا على جميع الصــومال ومنطقة أوجادين وأخضعتها لارادتها العسكرية ، ومنحت أثيوبيا استقلالها بعد أن أخضعها الايطاليون ابان الحرب .

ثم عقدت بريطانيا معاهدة مع الحبشـــة ســـلمتها فيها منطقة اوجادين الصومالية وفى عام ١٩٥٠ وضعت الصومال الايطالى تحت وصاية الامم المتحدة وبعدها بقليل سلمت بريطانيا منطقتى هود والمنطقة المحايدة الى الحبشة وهكذا اصبحت ثلاث مناطق صومالية تحت نير الاحتلال الأثيوبى . ثم أعلن اســـتقلال



- خارطة الصومال -

القرن السابع عشر فقد ضمها سلطان مسقط تحت لوائه ولما تم تقسيم دولة الصومال وبقيت تلك المناطق غير محررة وهاهى تناضل من أجل التحرير ، فقد قامت فيها ثورة يزداد أوارها يوما بعد يوم .

الموارد الاقتصادية

تعتبر الثروة الحيوانية اهم الموارد الاقتصادية فى الصومال فيبلغ عدد الابل فيها اكثر من مليون ونصف رأس ، هذا بالاضافة الى الماشية والأغنام ، ومن موارد البلاد الصيد اذ توجد كميات هائلة من سمك التونه فى المحيط الهندى ، هذا بالاضافة الى الثروة الزراعية فى الجنوب ، كذلك توجد ثروة معدنية فى البلاد ، ويعتبر الصومال من أهم البلاد المنتجة للبخور فى العالم .

الاسلام فى الصومال

لما كان انتشار الاسلام فى الصومال يعنى تسربه الى بقية مناطق افريقيا

الشرقية ، فقد قام أعداء الاســلام باغلاق الأبــواب دونه وحصره ، ومن ذلك ما قامت به بريطانيا فى منتصف الخمسينيات من تسليم ثلاث مناطق من أخصب بلاد الصومال الى الحبشة ، وبالاضافة الى الثروات الضخمة التى تنتجها هذه المناطق ، والى جانب أسباب القوة التى تستفيدها الحبشة منها لمحاربة المسلمين وتغيير معالم حياتهم أصبحت هذه المناطق بمثابة أقفال كبيرة أوصدت الباب أمام التيار الاسلامى .

والمعروف أن الصومال لم تتأثر بحملات التبشير المتكررة والاســلام فيها لم يضعف ولم يهن ، بل ظل كيوم دخوله اليها ، بل لقد ادت حملات التبشــير النصرانية الى تمسك الصوماليين بدينهم ، وقد حدثنا بعض الأخوة القادمين من الصومال بما يثلج الصدر ، فعلى سبيل المثال لاتجد فى الصــومال كلها مسلما يســتطيع أن يشرب الخمر علانية مهما أوتى من ســلطة حتى غدا ذلك طبيعة الصومالين ، كذلك فقد لاحظ الأخ الزائر الذى قدم من الصومال أن الصوماليين يتمتعون بأخلاق فاضلة فلا يكذبون ولا ينافقون ولا يعتقدون الا فى خالق السماء والأرض ويؤمنون بالعمل والجد ، كما أن لديهم اهتماما خاصا بالمساجد فيقومون بمحض اختيارهم ببنائها وصيانتها كما أن المساجد زاخرة بالمصاحف الشريفة ، والصوماليون يحافظون على الصلوات الخمس فى المساجد لا فرق عندهم بين صلاة وأخرى .

وهناك تعليم دينى خالص فى الصومال ففى العاصمة معهد دينى ضــخم وآخر للدراسات الاسلامية ومدرسة للقضاء الشرعى ، كما أن اكثر المســاجد فى المدن تضم دراسات مسائية دينية ، كما أن من أهم المراكز الاسلامية المركز الثقافى الاســلامى الذى يقوم بتنظيم المحاضرات الاســلامية وعرض الأفلام الدينية ، كما أنه يشــتمل على ركن خاص بالخدمات الطبية المجانية وركن آخر للمكتبة .

الطرق الصوفية

وهناك اهتمام كبير بالطرق الصوفية فهناك القادرية والصالحيه والرفاعية وقد لعبت هذه الطرق دورا بارزا فى حماية المســلمين من الغزو التبشــيرى النصرانى .

وبعد ، فمما هو جدير بالذكر أن الصومال تعتبر نفسها بلدا عربيا ، ومن هنا تقدمت بطلب للانضمام الى جامعة الدول العربية فهى تهتم بقضايا المسلمين ، وشاركت فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ فأرسلت مجاهدين ولقد آن الآوان أن يعرف العرب المسلمون اخوانهم ، وأن يشدوا على أيديهم فذلك نصف الطريق الى العزة والنصر .

والى حلقة أخرى من اعرف وطنك أيها المسلم والله الموفق .....

مكتبة المجلة

الربا ودوره فى استغلال موارد الشعوب

كتاب يتناول فيه مؤلفه **الدكتور عيسى عبده** السياسات الاقتصادية وتمويل البلاد ، وقرض الاستهلاك وتوزيع الثروات بين الشرق والغرب ، ورؤوس الأموال ، مع عرض عام لمجرى الأحداث الاقتصادية بين عام ١٩٥٣ م وعام ١٩٥٩ م . والكتاب ضمن سلسلة **مفاهيم اقتصادية** التى تصدرها دار البحوث العلمية فى بيروت ويشتمل على ٨٦ صفحة .

خصائص اجتماعية خالدة

الجزء الاول من السلسلة التى تصدر بهذا العنوان من تأليف فضيلة العلامة الشيخ عبد الوهاب الأعظمى ، وفى هذا الجزء دعوة الى الاصلاح والنهوض بالكرامة البشرية التائهة فى بيداء الضلالات واحياء العدالة الاجتماعية والرجوع الى رسالة السماء التى تهدف الى الحق ، طبع الكتاب فى مطبعة أسعد ببغداد .

بدع التفاسير فى الماضى والحاضر

كتاب يوضح اتجاهات المفسرين ويبين الانحرافات التى وردت فى كتب المفسرين على اختلاف عصورها ومذاهبها ، وقد جمع مؤلفه **الدكتور رمزى نعنانه** هذه الافكار المنحرفة والتأويلات المحرفة لكتاب الله ، وارجعها الى أسبابها ودوافعها التى دفعت بقائليها الى أن يسودوا بها صحائف تفاسيرهم .

والكتاب يحتوى على ثمان وثمانين صفحة ، ومن منشورات وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالمملكة الأردنية الهاشمية .

نظرية الضمان

كتاب يبحث فى نظرية ضمان الأنفس والأموال بسبب الاعتداء عليها عمدا أو خطأ مع الاهتمام بالنواحى العملية والحلول الواقعية لمشكلة التضمين ، والكتاب يعتبر دراسة مقارنة فى الفقه الاسلامى لأحكام المسئولية المدنية والجنائية وهو من تأليف الدكتور وهبه الزحيلى أستاذ الشريعة الاسلامية بجامعة دمشق ، ومن طبع دار الفكر ويحتوى على ٣٦٦ صفحة .

عالم الفكر

مجلة دورية تصدر كل ثلاثة اشهر عن وزارة الارشاد والأنباء فى الكويت وهى مجلة أدبية علمية تهتم بالموضوعات العصرية فى شتى مجالات الفكر والمعرفة ، وقد صدر منها حتى الآن العددان . الأول والثانى . ويحتوى كل عدد على ٢٨٠ صفحة وتطبع فى مطبعة حكومة الكويت .

المملكة العربية السعودية عند مفترق الطرق

كتاب من تأليف الاستاذ فهد خالد السديرى .. استعرض فيه تاريخ المملكة العربية السعودية منذ نشأتها الى وضعها الحالى ، وقد أفرد فيه فصولا عن التطور الاجتماعى والوضع الاقتصادى فى المملكة والكتاب من طبع دار الكتاب العربى فى بيروت . ويقع فى ١٢٨ صفحة .

قصة إسلامية قصيرة

سيف

محمد موزون



الله



للدكتور : نجيب الكيلاني

كلمات وداع لا ينطق بها اللسان ، ولكنها ترف فى القلوب ، وتطل من العيون الدامعة ، بل وتلمسها فى لفتات الناس وتعبيرات وجوههم ، وهم يشهدون محمدا ورجاله يرحلون عن مكة بعد الايام الثلاثة المشهودة التى زاروا فيها البيت الحرام وأدوا الشعائر ، طبقا لما قرره صلح الحديبية ، وعاد محمد والمسلمون الى الطريق الذى سيؤدى بهم الى يثرب ..

وتمتم خالد بن الوليد ، بينه وبين نفسه :

ذهبوا .. وتركونى وحدى أتمرغ فى أوحال الضلال والكبرياء الزائفة وداعا أيها الرجال لقد أحببتكم برغم الدماء والصراع الرهيب والعداء المستحكم ..

وكادت تفلت من عينيه الدموع لولا أنه عصى الدمع ، متمالك لأعصابه وعواطفه ، وتطلع خالد حواليه ، نفسه تطفح بكراهية شديدة لكل ما يراه ، انه يشعر الآن بنفور شديد من الناس والارض .. والبناء .. والجياد ، يسمع حوار القوم وصخبهم ، فتموج نفسه بضيق بالغ واشمئزاز لا حد له ، لقد أصبح يشعر بغربة قاتلة ..

أجل .. غربة .. الضجيج من حوله ، والاصدقاء يلقون عليه التحيات ، ويبتسمون له ، وأبو سفيان يبش لمقدمه ، ويحدثه عما تطورت اليه الامور ، وعكرمة بن أبى الجهل يجادله فى أمر المعارك التى لا بد أن تبدأ من جديد ، مظهرا عدم اكتراثه بالصلح المؤقت .. وخالد صامت .. زاهد فى كل شىء يكره أن يتكلم أو يأكل أو يشرب .. نومه متقطع مرهق تثقله الاحلام والافكار والحيرة .. وشعور الغربة يزداد رسوخا فى روحه وعقله .. حسنا .. فليذهب الى بيته ، لعله — بين أهله — ينسى ما يعانيه من آلام وأحزان وغربة .. ودلف الى البيت ذاهلا شارد النظرات ، يشوب وجهه شحوب خفيف ، يا للمأساة .. البيت هو الآخر يبدو لعينيه وكأنه سجن ضيق رهيب يكاد يكتم أنفاسه .. لا يتنسم فيه ريح الالفة أو يشم منه عبير الحنان والامان ..

وهتفت زوجه فى قلق :
ـ ما بك يا ابن الوليد ؟؟
تمتم فى شرود حزين :
ـ لقد رحلوا ..
ـ لا أفهم شيئا ..
أفاق الى نفسه ، وأدرك أن الكلمات تخرج منه دون وعى فاستدرك قائلا :
ـ أشعر بكرب شديد ..
لمست جبهته ، فخيل اليها أنها تلتهب ، فهتفت فى قلق :
ـ أمحموم أنت ؟؟
ابتسم وقد تندى جبينه بالعرق وقال : لا شىء من ذلك .. اننى بخير عنـدما ينشغل الفكر بأمور خطيرة ينسى كل ما حوله ، تتجسم الافكار .. تتحول الى أشباح تتحرك ، فيبدو فكرى وكأنه ميدان قتال ، وتنهد فى شىء من الارتياح بينما فغرت زوجه فاها دهشة ، ثم صرخ :
ـ أيمكن أن يكون كل ذلك زيفا وخداعا ..؟
قالت ، وقد استبد بها الخوف والحيرة :
ـ مـاذا ؟؟
قال : الماضى الطويل .. المعارك المدوية .. البطولات العريقة .. الخطب الرنانة .. آرائى التى كان يطرب لها السامعون ، ويصفق لهـا أشراف مكة .. هل هذا كله كان وهما وسرابا ؟؟ أنا لا أصدق ..
حسنا .. يجب أن أعترف .. الصمت جريمة أحيانا .. الكذب جريمة ، الكلام الزائف دعارة ، والخوف راس الرذائل ، والمعارك التى ينتصر فيهـا الشر عار أبدى .. بل هزيمة نكراء لروح الانسان .. ليس هناك أى عذر لرجل يعرف الحق ولا يعبر عن ذاته .. كان محمد وحده .. ونادى بأعلى صوته أيها الناس انى رسول الله انصرفوا عنه كذبوه سخروا منه .. طاردوه .. لكنه قالها ، أية سعادة عظمى شعر بها بعد أن نادى بتلك الكلمات وحده دون خوف أو تردد ؟؟
دقت زوجه على صدرها فى خوف وقالت :
ـ اننى لا أصدق أذنى .. انك تهذى .. الصمت جريمة ، الكلمـات دعارة .. ماذا ؟؟
أخذ يلهث ، ويجفف عرقه . ثم جلس وهو يتمتم :
ـ هل أنت هنا ؟؟
ـ واكرباه .. لقد ألم بك داء خبيث .
رفع خالد عينيه الى السماء ، وهمس فى خشوع ورقة وضراعة :
ـ لا أرى سواه ..
ـ من يا خالد ؟؟
ـ ذلك الذى أثرى وجودى ، وأنار بصرى وبصيرتى ، واستطاعت كلماته أن تهزنى من الاعماق ، وأنا الذى تتزلزل الجبال ولا أتزلزل ..
دق قلبها ، نذر العاصفة تتجمع فى أفق البيت العريق ، لم يعد الامر خافيا عليها ، لكنها برغم ذلك اقتربت منه ، وجلست الى جواره ترتجف ، ولمست كتفه فى حنان ، فسمعته يقول :
ـ لقد رحلوا .. تركونى وحدى غريبا .. تسمرت قدماى فى الارض

القذرة ، وتيبست أعضائى حاولت أن أتحرك فلم أستطع .. حاولت أن أهتف بكلمة وداع ، فتساقطت حروف الكلمات مبعثرة .. ساخرة دون معنى .. قيود خبيثة كانت تشدنى الى الارض ، وتخرس لسانى لأنى .. لأنى خائف .. أتصدقين ؟؟ خالد يخاف ؟؟ أنت فارس العرب المغوار .. كيف تخاف ؟؟

ــ أجــل ..

وقهقه فى سخرية مرة وقال :

ــ بالامس كانت تلك الكمات تسكرنى ، أما اليوم فهى كلمات سخيفة تثيرنى : وتتسلل الى نفسى كسهام العار .. أية فروسية تقصدين ؟؟ البطولة الحقيقية لم أتوج بها حياتى بعد .. آه .. فى يوم « أحد » زحفت بخيلى أريد قتل محمد .. لو حدث ذلك .. لــكتب التاريخ : فى عنق خالد دم نبى .. ولأصبحت سبة الاجيال ..

قالت فى دهشة :

ــ دم نبى ؟؟!

ــ نعــــم ..

ــ أتؤمن بنبوته ؟؟

ــ نعم .. نعم .. حينما حطمت القيود وأزحت العصابة عن عينى ، وفتحت نوافذ قلبى وعقلى ، تدفق النور فرأيت الحقيقة ، لا يصح أن أقولها هنا .. سوف أخرج الى الشارع ، وأصيح بأعلى صوتى .. أيها الظمــاء هذا النبع ، أيها الجياع الى الزاد الذى لا ينفد .. يا أبالسة الشر حطمــوا مزاميركم ، وأهرقوا الكؤوس .. وامحقوا الاناشيد اللعينة فعالمكم هباء .. واقصدوا محمدا ..

وخرج خالد الى الشارع ، وأخذ يحث الخطــا مرفوع الهامة ، يدق الارض بقدميه وكأنه يسحق الخوف والوجوم والزيف ، فرأى جمعا من الناس فقصدهم على الفور ، ورفع عينيه عاليا ، ونادى بكلمات واضحة قوية :

ــ أيها الناس ..

لقد استبان لكل ذى عقل أن محمدا ليس بشاعر ولا ساحر ، وأن كلامه من كلام رب العالمين ، فحق على كل ذى لب أن يتبعه ، لكأنما انقضت على الرءوس صاعقة مباغتة ، فأخرست الالسنة وجحظت العيون ، بينما أخذ خالد يشق طريقه بينهم جيئة وذهابا ، ويسدد اليهم نظرات الثقة والاصرار والتحدى ..

لكن قهقهة انطلقت وسط الصمت المثير ، وتقدم عكرمة بن أبى جهل قائلا : ــ « انه مزاح ثقيل » ..

قال خالد ، وقد تصلبت ملامح وجهه :

ــ أنظر الى جيدا .. أنت تعرف من أنا ..

اربد وجه عكرمة وقال :

ــ لقد صبؤت يا خالد وتنكرت لدين الآباء ..

ــ لم أصبؤ ، ولكنى أسلمت ..

ــ والله ان كان أحق قريش ألا يتكلم بهذا الكلام لأنت .. ــ لم ؟؟ لأن محمدا وضع شرف أبيك حين جرح ..

وقتل عمك وابن عمك ببدر ..

فوالله ما كنت لأسلم ولأتكلم بكلامك يا خالد ... أما رأيت قريشــا يريدون قتاله ؟؟ لم تثره الضغائن القديمة ، ولم يحنقه حديث عكرمة الماكر ، بل رد فى هدوء :

ــ هذا أمر الجاهلية وحميتها لكنى والله أسلمت حين تبين لى الحق .

وساد هرج ومرج ، وانطلق حملة الانباء يجرون هنا وهناك ليذيعوا النبأ الخطير ، بعضهم هرول الى أبى سفيان بن حرب ، والبعض الآخر طرق الباب الخلفى لهند زوجة أبى سفيان ، وطائفة ثالثة وقفت ، ترقب الاحداث ، أترى تسل السيوف من أغمادها ، وتندلع الفتنة ، وتغرق مكة فى بحر من الدماء .. وتنهزم مكة من داخلها قبل أن يفكر محمد فى فتحها ؟؟

وتمتم عكرمة بن أبى جهل بينه وبين نفسه : لو انقضت قواتنا على محمد وصحبه وهم يطوفون بالبيت العتيق لاستطعنا أن نخمد تلك الفتن ، ولاستطاعت الحرب بوهجها وعنفها ودمائها ، أن تسحق كل فكر متردد ، أو عابث متمرد ، لكن حماقة ((العقلاء)) المتشبثين ببنود الصلح ، قد أضاعت الفرصة .. فليجنوا جزاء تقاعسهم وحكمتهم الرعديدة .. واختلطت الكلمات وحمى الجدل ، وخالد صامد كالطود ، وساد الصمت حينما نادى المنادى :

((يا ابن الوليد ، ان أبا سفيان قد أرسلنى فى طلبك)) .. وازداد الناس شغفا بتتبع الاحداث ، ان رجلين كبيرين عاشامعا ، وحاربا معا ، قد دب الشقاق بينهما ، وكل منهما قادر على التحدى ، وهمس أحد الحاضرين فى أذن زميله : عندما يتناطح كبشان قويان أشعر بسعادة عظمى ، معركة ممتعة لاشك .. واصطدام الرؤوس له صوت جميل يأسرنى ، هيا بنا ..

لا شك أن الحادث قد أثار أبا سفيان لأبعد مدى ، حتى انه لم يجادل خالدا فى شيء من الهدوء والاناة والذكاء تلك الصفات التى عرف بها ، لقد صاح أبو سفيان متوعدا :

ــ أحق ما بلغنى عنك يا خالد ؟؟

ــ أجل ..

ــ واللات والعزى لو أعلم أن الذى تقول حق لبدأت بك قبل محمد ..

هتف خالد فى اصرار وتحد :

ــ والله انه لحق على رغم من رغم ..

ارتجت رأس أبى سفيان بدوى عاصف ، هم قاتل يمتزج بحقد هائل ، وماض رائع من زمالة الحرب والفكر ، وحاضر أسود يوحى بالقطيعة والفشل وشماتة الاعداء ، ومستقبل غامض تتشابك فيه الرؤى والاحداث تشابكا مخيفا ، واندفع أبو سفيان نحو خالد يريد أن يهوى على رأسه ووجهه بقبضته المتشنجة لكن عكرمة حال بينهما ..

وقال عكرمة فى حزن عميق :

مهلا يا أبا سفيان ، فوالله لقد خفت للذى خفت ، أن أقول مثلما قال خالد ، وأكون على دينه ، أنتم تقتلون خالدا على رأى رآه ، وقريش كلها تبايعت عليه .. والله لقد خفت ألا يحول الحول ، حتى يتبعه أهل مكة كلهم ..

ودمدم أبو سفيان فى حنق ويأس :

اذهبوا عنى ، لا أريد أن أرى وجوهكم ، انفض الناس ، ومضى خالد ، بينما بقى عكرمة ، وظل الى جوار أبى سفيان مهموما حزينا ، ثم قال :

لا تأس يا أبا حنظلة .. لن يضير المعركة أن يتخلف عنها رجل ، أطرق أبو سفيان مرتعش اليدين وغمغم :

ــ يا له من رجل ..

وعلمت يثرب باسلام خالد حينما بعث الى الرسول بأفراس أصيلة كهدية ، وتعبيرا عن حبه وولائه وبعد أيام شهدت مشارف المدينة ، سيف الله خالد ، يدخل خاشعا الى قلعة النور والايمان ..

مــع الخالدين

أحمد بن حنبل

* الامام الفقيه الاسلامى الورع احمد بن محمد بن حنبل من بنى شيبان .
* ولد ببغداد فى ربيع الأول عام ١٦٤ هجرية (نوفمبر ٧٨٠ ميلادية) .
* تلقى علومه الأولى فى مسقط راسه حتى عام ٨٣ هـ (٧٩٩م) ثم رحل بعد ذلك لطلب العلم فى الشام والحجاز وانتهى باليمن .
* عنى فى هذه الأسفار الطويلة بدراسة الحديث بنوع خاص ولم يأخذ بالرأى الا عند الحاجة الماسة ، ولما عاد الى مسقط رأسه حضر دروس الشافعى فى الفقه وأصوله من عام ١٩٥ الى ١٩٧ هجرية (٨١٠ — ٨١٣ م) .
* منهجه يقوم على الكتاب والسنة واقوال الصحابة والتابعين والقياس عند الضرورة .
* حددت عقائد أهل الحديث وجهــة تفكيره فى العقائد والشريعة على نحو ثباته هذا فى عهد الخليفة المأمون والمعتصم والواثق .
* فى عهد الخليفة المأمون حدثت فتنة القول بخلق القرآن ، وكان ابن حنبل احد هؤلاء الذين أصابتهم المحنة ، وفى عهد المعتصم احتمل فى صبر بالغ ما ناله من ايذاء وسجن دون أن يتسامح فى شىء من عقائد السلف ، وفى عهد المتوكل اخذت الدولة تعود الى مذهب أهل السنة فقربه الخليفة اليه ودعاه الى بلاطه وأجرى معاشا على أسرته دون علم منه .
* توفى فى الثانى عشر من ربيع الأول عام ٢٤١ هجرية (٣١ يولية ٨٥٥ ميلادية) ودفن فى مقابر الشهداء فى حي الحربية ببغداد .

من كتبه :

١ — المسند فى الاحاديث وبه تسعة وعشرون الف حديث .
٢ — الرد على الزنادقة (كتبه فى سجنه) .
٣ — طاعة الرســـول .
٤ — كتاب الســـنة .

مائدة القارئ

ان أول بيت وضع للناس للذى بمكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين .

ـ صدق الله العظيم ـ

الحق والقوة :

لا خير فى حق لا تدعمه قوة ، وان الساكت عن حقه محروم وان الدخول من باب الذل لا ينتج غير الذل ، ومن لا ينطق بحاجته يكون أولى به الخرس .

ذكاء العرب

صحب رجل كثير المال عبدين فى سفر ، فلما توسطا الطريق هما بقتله ، فلما أحس بذلك قال : أقسم عليكما اذا كان لا بد لكما من قتلى أن تمضيا الى دارى وتنشدا ابنتى هـذا البيت .

قالا : ما هو ؟

قال : من مبلـغ بنتـى ان اباهمـا ... للـه دركمـا ودر ابيكمـا !

فقال احدهما للآخر : ما نرى فيه باسا .

فلما قتلاه جاءا الى داره ، وقالا لابنته الكبرى : ان اباك قد لحقه ما يلحق النـاس ، والى علينا أن نخبركما بهذا البيت . واخبراها .

فقالت : ما أرى فيه شيئا تخبرانى به ، ولكن صبرا حتى استدعى أختى الصغرى .

فاستدعتها فانشدتها البيت فخرجت حاسرة الرأس وقالت : هـذان العبدان قتلا أبى يا معشر العرب ..

ما انتم فصحاء !

قالـوا : وما الدليل ؟

قالت : الشطر الاول يحتاج الى ثان . والثانى يحتاج الى ما يكمله ، ولا يليق احدهمـا بالآخر !

قالوا : فما ينبغى ان يكـون ؟

قـالت :

من مبلـغ بنتـى أن أباهمـا ... امسى قتيـلا بالفـلاة مجنـدلا
للـه دركمـا ودر أبيكمـا ... لـن يبرح العبـدان حتى يقتـلا

فاستخبروهما وحققوا معهما فوجدوا الامر كما ذكرت .

العجوز والوديعة

ذهب رجلان الى عجوز وقالا لها : انا نستودعك هذا المال ، على أن تعطيه لنا اذا جئنا معا نطلبه ، وبعد فترة جاء أحدهما وطلب المال من العجوز وقال لها ان صاحبه قد قتل ، فان لصوصا هاجموهما فى الطريق ، فقتلوه . وصدقت العجوز كلام الرجل فأعادت اليه المال .

ثم جاء الثانى عند العجوز وطلب المال ، فقالت ان صاحبك قال انك قتلت وقد أعطيته الوديعة ، فليس لك شىء عندى .

فذهب الرجل الى الحاكم وشكا العجوز ، لأنها امتنعت عن تسليم ماله له ففكر الحاكم طويلا ثم قال :

هذه المرأة لم تقصر ، وقد اشترطتما عليها أن تعطيكما الوديعة اذا جئتما معا ، فاذهب وأحضر صاحبك ، وطالباها برد الوديعة ! .

حق الله

روى أن « عمرو بن عبيد » دخل على معاوية بن عمرو الفلابى وهو يجود بنفسه فقال له :

ان الله تعبدك فى حال الصحة بالعمل بجوارحك وبقلبك ووضع عنك فى هذه الحال عمل الجوارح ، ولم يكلفك الا العمل بقلبك ، فأعطه بقلبك ما يجب له عليك .

يا فلسطين :

يا فلسطين سامحينى فانى كنت فى صبرى الطويل ضحية
ها أنا اليوم مارد يرفض الظلم ويهوى الردى ويأبى الدنية
ومن الظلم يخلق الثائر الصلب وتدوى مدافع الحرية
فاهتفى أمتى فقد طلع الفجر وثارت تلك الخيام الشقية

— احمد السقاف —

النصح الأثيم :

امر ملك بقتل اسير ، فاخذ يشتم الملك ، فانه وقد يئس من حياته لم يقم وزنا لقدر احد ، واذا يئس الانسان طال لسانه .

وكان الملك يجهل لغة الاسير ، فسال ماذا يقول : فقال وزير طيب انه يقول : « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس » فاشفق الملك عليه وعفا عنه .

وكان فى الحضرة وزير خبيث فقال : لا يليق بنا نحن الوزراء ان نكذب على الملك : ان الاسير يشتم الملك ويطيل لسانه فى سبه .

فتجهم وجه الملك وقال لهذا الوزير الخبيث : ان كذب صاحبك احب الى من صدقك ، فقد قصد الخير وقصدت الشر ، ولم يعدل الملك عن عفوه .

الفتاوى

مهر السر

السؤال :

اتفقت مع والد زوجتى على صداق قدره الف ليرة سورية وعند عقد العقد طلب منى ان أوافق أمام الناس على أن المهر خمسة آلاف ليرة ، وأن يثبت ذلك فى وثيقة الزواج ، وذلك نظرا لمركز الأسرة الاجتماعى ، ولأن بنات الأسرة تأخذ هذا القدر عادة فى الصداق وتعهد بأنه لا يطالبنى بأكثر من الألف فوافقت ، وتم العقد ولكنه جاء بعد ذلك يطالبنى بخمسة آلاف ليرة ، فما حكم الشرع ؟

ق . ش — درعا

الاجابة :

اذا اتفق العاقدان فى السر على مهر ، ثم تعاقدا فى العلانية على اكثر منه ، ثم اختلفا الى القضاء . قال ابو يوسف : يحكم بما اتفقا عليه سرا لأنه يمثل الارادة الحقيقية وهو مقصد العاقدين .
وقيل يحكم بمهر العلانية لأنه هو المذكور فى العقد ، وما كان سرا فعلمه الى الله ، والحكم يتبع الظاهر ، وهو مذهب أبى حنيفة .

قدر المهر

السؤال :

هل هناك حد شرعى لأقل المهر واكثره ؟

سعيد — ن — العراق

الاجابة :

لم تجعل الشريعة حدا لقلة المهر ، ولا لكثرته ، لأن الناس ، يتفاوتون

فى العسر واليسر ، ويتفاوتون فى العادات والتقاليد ، ولهذا تركت الشـريعة التحديد ليتصرف كل انسان عـلى قدر طاقته وحسب حالته وعادات امثاله ، غاية ما جاءت به النصوص الكثيرة أن المهر لا يشترط فيه الا أن يكون شيئا له قيمة دون نظر الى القلة والكثرة فيجوز أن يكون خاتما من حديد ، أو قدحا من تمر ، وما شابه ذلك اذا تراضى عليه المتعاقدان ، وقـد زوج سعيد بن المثيب من التـابعين ابنته على درهمين ولم ينكر عليه احد ، بل عد هـذا من مناقبه وفضائله ، وتزوج عبد الرحمن بن عوف على صداق خمسة دراهم ، واقـره النبى صلى الله عليه وسلم .

والاسلام يحرص على تيسير فرص الزواج لاكبر عدد ممكن من الرجال والنساء ، ليستمتع كل بالحلال الطيب ، ولا يتم ذلك الا اذا كانت وسيلته مذللة بحيث يقدر عليه الفقراء الذين يجهدهم بذل المال الكثير وهم الأكثرية ، ولهذا كره الاســلام التغالى فى المهور ، وأخبر ان المراة كلما كان مهرها قليلا كان الزواج مباركا ، وان قلة المهر من يمن المراة ، عن عائشـة رضى الله عنها ان النبى صـلى الله عليه وسـلم قال : « ان اعظم النـكاح بركة أيسره مؤنة » وقال : « يمن المراة خفة مهرها ويسر نكاحها ، وحسن خلقها ، وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها » .

وكثير من الناس جهل هذه التعاليم ، وتعلق بعادات التغالى فى المهور ، ورفض التزويج الا لمن يدفع اكثر كان المراة سلعة يساوم عليها ، وقد ادى ذلك الى كثرة الشـكوى ونتج عنه كثير من الشرور والمفاسـد ، فليتق الله اولياء الأمور ، وليؤثروا الدين والخلق على الغنى والحسب والنسب .

سن اليأس

السـؤال :

ما هى السن التى اذا بلغتها المرأة لم تحض ؟

م ـ ع ـ الكويت

الاجابة :

اختلف العلماء فى سن الياس ، فقال بعضهم انها خمسون ، وقال آخرون انها ستون . ولكننا اذا استقرانا وتتبعنا أحوال النساء ونظرنا فى نتيجة هذا الاحصاء وجدنا ان سن الياس يختلف باختلاف النساء ، فقد ينقص عن الخمسين وقد يزيد عن الستين ، ولهذا يقول شـيخ الاسلام ابن تيمية (الياس يختلف باختلاف النساء ، وليس له حد يتفق عليه النساء والمراد به فى الآية الكريمة « واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر » ان اياس كل امراة من نفسها لأن الياس ضد الرجاء ، فاذا كانت المرأة قد يئسـت من المحيض ، ولم ترجه فهى آيسة وان كان لها اربعون او نحوها ، وغيرها لا تياس منه وان كان لها خمسون .

السـؤال :

امسكت عصفورا ولم أجد فى ذبحه منفعة تذكر ، فضربت به الجدار فمات ، فهل يعتبر هذا العمل حراما ، وما كفارته ؟

اسماعيل ـ ذ ـ لبنان .

الاجابة :

الحيوانات التى يحل قتلها شرعا لضررها هى الغراب والحداة والعقرب والفار والكلب العقور والوزغ وما اشبهها فى الضرر مثل النمر والفهد والأسد ، اما العصفور فلا يحل قتله . بل يحل ذبحه واكله ، وقد روى النسائى عن ابن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من انسان يقتل عصفورا ، فما فوقها بغير حقها الا ساله الله يوم القيامة عنها ، قيل يا رسول الله : وما حقها ، قال : يذبحها وياكلها ، ولا يقطع راسها ويرمى بها » .

واذا قتلها الانسان فعليه ان يتوب الى الله ، وليس عليه شىء .

ستر العورة

السـؤال :

نشاهد بعض الرجال يصلون ورؤسهم عارية ، وبعضهم يصلى بسروال قصير لا يستر كل الفخذين ، كما أن بعض السيدات تصلى فى منازلهن وشعر رؤسهن غير مغطى ، فهل تصح صلاة هؤلاء وما هى حدود العورة التى تستر فى الصلاة ؟

الاجابة :

ستر العورة شرط من شروط صحة الصلاة . ولو صلى انسان وجزء من عورته غير مستور بطلت صلاته ، والعورة التى يجب على الرجل سترها فى الصلاة هى ما بين السرة والركبة عند جمهور العلماء ، واستدلوا بما رواه احمد والحاكم والبخارى فى تاريخه عن محمد بن جحش قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على معمر وفخذاه مكشوفتان ، فقال : غط فخذيك فان الفخذين عورة » .

وبدن المراة كله عورة يجب عليها ستره ما عدا الوجه والكفين فاذا صلت وجزء من بدنها غير مستور غير الوجه والكفين لم تصح صلاتها . عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقبل الله صلاة حائض (بالغة) الا بخمار (غطاء الراس) رواه الخمسة الا النسائى .

وعن ام سلمة انها سالت النبى صلى الله عليه وسلم : اتصلى المراة فى درع وخمار بغير ازار ؟ قال : (اذا كان الدرع (القميص) سابغا يغطى ظهور قدميها) رواه أبو داود .

ويستحب للمصلى رجلا كان او امراة ان يتزين ويلبس انظف ثيابه للمثول بين يدى ربه الذى يقول : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » .

بأقلام القراء

الصهيونية والأحقاد القديمة

من كلمة كان قد بعث بها الشيخ سـليمان حسن عبد الوهاب من علماء الأزهر عن احقاد اليهود حكى فيها :

يقول التلمود (كتاب مقدس لدى اليهود) الاسرائيلى خلق من طينة سامية غير طينة البشر وجميع البشر الذين لا يعتنقون اليهودية حيوانات لا تعقل وهم خدم واتباع لليهود ، والسموات والأرض خلقت لليهود ولم تخلق لأحد سواهم وهم آلهة الأرض ولعل خير دليل نسوقه على محاربة الصهيونيـة للمسيحين ما كتبه الاب الامريكى « همفرى والتز » الذى أصبح صديقا للعرب ، وخرج عن الصـهيونية نائبا بعد أن قابل المطران حكيم نفسـه فى حيفا وقال الخبر الآتى : « الذى نزل على رأسه كالصاعقـة ، أذ قـال له المطران (ان عدد المترددين على الكنائس للصلاة يتدهور بسرعة نتيجة للارهاب اليهودى ، وأن أراضى المسيحيين العرب تصادر ، كما تصادر أراضى المسلمين وان منازلهـم وأحيانا قراهم ، تهدم عن بكرة أبيها دون سبب وان قبور الكاثوليك فى حيفـا قد نبشها اليهود عام ١٩٥٦ وانهم أحالوا بعض الكنائس الى استطبلات وثكنات عسكرية وانهم لا يستطيعون الانتقال من بلدة الى أخرى ولو للعلاج الا بصعوبة بالغة ، وأن الحكومة الاسرائيلية تشجع روح الاحتقار ضد المسيحيين والمسلمين على السواء) وما نشر هذا التصريح عن الآب الامريكى والتز ، حتى أصـبح هدفا لغارات عنيفة من السفارة الاسرائيلية فى واشنطن والممولين الصهيونيين فى أمريكا وأن التلمود والتوراة يمتلآن بنصوص كثيرة جدا حول احتقار اليهود للأديان الأخرى ، واستباحة دمهم وحقوقهم وممتلكاتهم كما أن الانجيل يحفل بنصوص كثيرة حول وحشية اليهود وخياناتهم الفاجرة ضد الانسانية ، واليوم قد تجسد اجرام صهيون وتصعد عدوان اليهود على العرب ، وارتفعت درجة الطغيان عندهم الى قمة السفه والطيش والحمق والبطش حيث أعلـنوا فى وقاحة وكبرياء ضـم الأراضي العربية المحتلة الى ارض يهودا ، وانهم يتخذون الاجراءات التعسـفية لامتلاك أرض فلسـطين العربية ، ولتكون تلك البلاد العربيـة التى استولوا عليها منا خلسة واغتصابا من سيناء الى الاردن ومن فلسطين والعريش الى مرتفعات سـوريا ، ومن القدس الى الضفة الغربية لنهر الأردن (اسرائيل الكبرى) وقد اذاعوا فى صـفاقة تعديل مناهج التعليم العربية فى تلك البلاد المغصـوبة الى مناهج اسرائيلية وقاموا بحذف بعض

آيات القرآن . التى تشهد بلعنتهم وبغيهم وهم فى سبيل تغيير اللغة العربية واستبدالها باللغة العبرية اليهودية ، كما ينشئون ادارات للجمارك ليستولوا على رسوم الصـــادرات والواردات باســـم حكومة اسرائيل ، ويجعلون من الاحتلال المهزوز صـــفة الامتلاك (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) ولتعلم اسرائيل أن هذا التغيير والتبديل فى الكيان العربى ، واتخاذ الاجراءات التعسفية ، من تغيير البطاقات الشخصية العربية الى بطاقات صهيونية استعدادا لتهويد العرب ، و لتحويل هذه البلاد العربية الأصيلة الى بلاد اسرائيلية واجراءات اسرائيل هذه ، بجرة قلم أو اذاعة خبر ، أمر لا تملكه ولن تقدر عليه . وليس فى اســـتطاعتها أن تنفذه ، لأنه سيكون وراء ذلك أحداث عظام لا تطيق مواجهتها ، فاقدام اسرائيل على هذا العمل المخزى ، وقيامهم بتلك الاجراءات الســـفيهة دليل على نزق عقولهم وذهاب صـــوابهم . وانهم يســـعون الى حتفهم بأظافرهم ويحفرون قبورهم بأيديهم ، واننا نحن العرب لن نرضى عن هذا الضيم ولن نســـكت عن تلك المهانة . ولن نصبر على هذه الرعونة فلا بد أن نقاومهم بكل ما نملك من ارواح ومال وأن نكافحهم حتى آخر رمق من الحياة ، ونأخذهم أخذا شديدا ، حتى نزيلهم من المحيط العربى ونطردهم من فلسطين وما حولها من الأردن الى سيناء ، وان نخرجهم أذلاء مشردين ، ليعودوا الى حياتهم الأولى (حياة الذل والتشريد) الذى الفـــوه منذ التـــاريخ السحيق المتوغل فى القدم ، لأن البلد بلدنا . وذلك القطاع العربى المحتل ملك لنا دون غيرنا . والعروبة فيه قائمة من قبل ابراهيم واسماعيل . ومن قبل عيسى وموسى . والعروبة بتلك البلاد متأصلة وثابتة بالتاريخ الصحيح من أيام العرب العاربة التى كانت تسكن تلك البقاع من شمال المحيط الهندى واليمن الى البحر الابيض المتوسط . ولا تزال آثارهم باقية بمدائن صالح بين المدينة وسوريا . وكان الكنعانيون يسكنون تلك البلاد من قبل ولادة اسرائيل . سيدنا يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام « بأربعة آلاف من السنين ، وتزويج اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام » من قبيلة جرهم ، التى كانت من نســـل يعرب بن قطحان ، وملأ الجزيرة العربية بنسله الطيب المبارك . ثم جاء الاسلام على يد سيدنا محمد صـــلى الله عليه وسلم النبى العربى المنزل عليه القرآن الكريم بلغة العرب فازداد العرب تمكينا وتشريفا بتلك الرســـالة العربية ، وســـتبقى هذه العروبة قائمة وتعيش فى بلادها عزيزة مكرمة ، رغم أنف الصهاينة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ..

(الكاسيات العاريـــات)

تحت هذا العنوان بعث الينا الأخ عبد الخالق محمد يونس شركة الخزف والصينى بالقاهرة :

ويح النســـــاء الســـافـــرا ت الوجـــه فـــى هـــذى العصـــور

العاريات الجســـــم فى		برد وفـى وقت الحـــــرور
البائعات العـــــرض فى		أســواق دنيا بالشــــرور
فـى النار تلقـى رغمهـــا		هيهات تنجـــو من ثبـــور

• • •

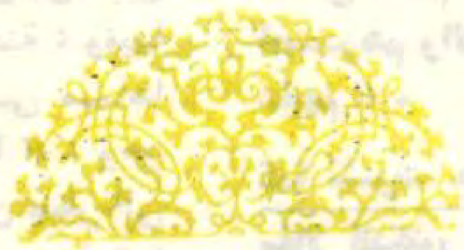
راحت تعـــرى بعضهـــا		بعضـــا فما أشقـــى الغـــرور
تبدو بثـــوب فاضـــح		مخــز ، ومــؤذ للشعـــور
هانت عليهـــا نفسهـــا		لم أرض تبيانـــا حـــذور
العين عفـــوا ان تـــراه		النفس من ضعـــيـف تثـــور
يا كل أنثـــى كلهـــا		عـــارى حيـــاء لا ســـفور
اللـــه أوصـــى ذاكـــرا		يدنـــين من زى ستـــور
جـــازوا النســـا لا ترحمـــوا		ان شـــئتموا جازوا الذكـــور

• • •

والـــزوج بالصـــمت اكتفـــى		صمت الخنا صمـــت القبـــور
يرضى لهـــا ما قد تـــرى		ســـاء امرؤ ، ســـاء المثـــور
لو كـــان ذو عقـــل يعـــى		أو كـــان ذو حـــس غيـــور
لم يـــرض زوجا ترتـــدى		(مكرو) ولا يـــبدى نفـــور
زى السمـــا أولـــى ولا		تصمـــيم من يـــدعى (ديور)
يا ليت شعـــرى يقتنـــى		تاج الحيـــا غال المهـــور

• • •

يا قـوم ما هذا العمـــى		بعد الهدى ، فسق وبـــور
نسعـــى وراء الغـــرب فى		طيـــش وفى حمـــق نســـير
هذا وبـــاء قد طغـــى		اثـــم وبهتـــان وزور
قد ضـــل من ظن الدجـــى		هديـــا وخســـران الدهـــور
هل بعد شـــرع الله مـــن		شـــرع ، وشرع اللـــه نور
بالذكر نحيـــا ليتنـــا		للذكـــر نحيـــا .. للطهـــور





قالت صحف العالم

حضارة الانسان
بين الاسلام والعصر الحديث

تحت هذا العنوان كتبت مجلة الفكر الاسلامى اللبنانية فى افتتاحيتها تقول :

ان نظرة الاسلام الى الانسان ، ومركزه فى الكون ، مختلفة اختلافا اساسيا عن النظرة التى تنظر بها اوروبا ، وكل مجتمعات الفكر المادى الى الانسان ، منذ اللحظة الاولى ، لحظة الولادة « **ولقد خلقناكم ثم صورناكم** » واذا كان الانسان فى صورته الظاهرة كائنا ماديا بحتا ، فليس كذلك فى « **تصويره** » ، والتصوير هو الذى أوضح القرآن انه « **السمع والابصار والأفئدة** » ، « **انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا** » . والانسان المسلم عندما ينظر الى الكون ، ويتحرك فيه ، ويستغله لمصلحته ، يراعى فى ذلك أنه وحدة واحدة « **ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه** » فيها المادة البحتة ، وفيها الروحية الانسانية ، التى سماها الله عز وجل « **تصويرا** » ، وهو بناء على هذا لا يستطيع أن ينظر الى الكون من عل ، كفكرة مجردة كما فعل العقل اليونانى ، كما لا يستطيع ان ينظر اليه كمعطى حسى محض كما فعل العقل الاوروبى ، بل لا بد أن تسود الواقعية العملية الجانب الحسى من النظرة الى العالم ، على أن تكون محكومة بالغائية الانسانية التى هى ميزة الانسان الاولى ، فانطلاقا من وحدة الانسان ، الى وحدة العالم ، ثم الى وحدانية الله ، باعتباره عز وجل غاية الغايات ، ومناط اتجاه الروحية الانسانية فى حفاظها على ميزة الانسان الأولى ، وهى « **انسانيته** » ، تتشكل نظرة الانسان المسلم الى العالم ، تلك النظرة الاخلاقية التى توقف الانسان وحده أمام الله « **وان ليس للانسان الا ما سعى . وان سعيه سوف يرى** » والتى تدفعه بالتالى فى اتجاه الروحية الانسانية التى هى عمل علمى جاد فى ظل الله ، والعمل فى ظل الله ضمان لعدم الانحراف عن سواء الصراط ، « **اقرأ باسم ربك الذى خلق** » ، «**فاذا فرغت فانصب . والى ربك فارغب** » ولا يعنى ذلك الا حرية الانسان وكرامته ، واستعلاءه على الميكانيكية والعضوية التى حكمت انسان العلم الحديث « **ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم** » .

كما نشرت جريدة الاهرام القاهرية مقالا للدكتور محمد ابراهيم كاظم بعنوان :

معالم تربية اسلامية لعصر حديث

قال فيه :

فى ضوء فهم للاسلام كحياة كاملة تقوم على الايمان بوحدانية الخالق ، ايمانا تظهر آثاره فيكل سلوك للفرد والمجتمع **« اياك نعبد واياك نستعين »** وفى ضوء تسليم بشمول الأسلام كرسالة لا ينظر الى جانب منها الا مرتبطا ببقية الجوانب **« أتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض »** وفى ضوء معرفة لظروف الحياة الحديثة وتحليل لها وربط العصرية والتقدمية بمدى الاستفادة باقصى ما وصل اليه عقل الانسان ووضعه فى خدمة الانسانية ضمانا لانطلاق وتقدم دون لبس أو تقليد اعمى لمجتمعات قصر تقدمها على نواحى المادة فتمزق انسانها المنطلق فى فراغ العدم ، حيث ذبل الايمان وذبل النور الذى يمشى به هذا الانسان ، والذى يعطى لحياته حرارة ولوجوده معنى واستمرارا لا ينتهى بالموت .

فى ضوء هذا كله لا بد أن يقوم للمجتمع المسلم نظام تربوى قادر على تخريج افراد يملأهم الايمان بالله والثقة بالنفس كما يمتلئوا بأحاسيس الحرية والكرامة مع الرحمة والمحبة.

وفى واقع الامر فان للتربية الأسلامية عناصر محددة قد تظهر فى صور مختلفة باختلاف الامكنة والظروف ومراحل التاريخ ، ومن الضرورى أن نتنبه الى أن صيغ التربية الاسلامية فى عصر من العصور ليست بالضرورة صيغا ملزمة لعصر آخر .

فالنظام التربوى فى العصر الاموى أو العباسى أو قبل ذلك ليس اكثر او اقل اسلامية من اى نظام تربوى يقوم فى مجتمع اسلامى آخر الا اذا رجعنا فى حكمنا هذا للعناصر المحددة الخاصة بالاسلام كدين وعقيدة ، وهى العناصر المشتقة من مبادىء الاسلام .

عناصر التربية الاسلامية

أ ــ اذا اعتبرنا أن المسلمين سواسية كأسنان المشط ، واذا التزمنا بأن المؤمنين أخوة يسعى بذمتهم أدناهم فلا مناص من التسليم بأن يكون مبدأ تكافؤ الفرص بين افراد المجتمع هو الأساس فى اى نظام تربوى اسلامى ، لا فرق فى هذا بين غنى وفقير ولا بين ذكر وأنثى .

ب ــ اذا سلمنا بأن غاية الخلق هو عبادة الخالق **« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »** فان مهمة التربية هى تطوير بصيرة الفرد واتاحة الفرص امامه لكى يصل الى الايمان ، وأن يكون لهذا الايمان انعكاسات سلوكية حميدة فيكون خيرا ، شجاعا فى الحق ، قادرا على التفكير لنفسه واتباع الحق ، على أن يتم ذلك دون قهر أو اكراه . **« لا اكراه فى الدين » « وقولوا للناس حسنا » « وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن »** .

ج ــ واذا كان الانسان قد استخلف فى الارض ، وسخرت لمنفعته الشمس والقمر والسموات والأرض فمهمة التربية أن تمد الفرد بكل المعارف التى يصل اليها الناس ، كما أن مهمة التعليم أن تشحذ قدرة الفرد على الوصول الى المعرفة وفك أسرار الكون وكشف مجاهله .

وباختصار فان عناصر التربية الاسلامية تتجه بالفرد والمجتمع الى مزيد من النمو والكفاية ، ولكن النمو الذى نقصده ليس نموا فى فراغ ولا الى غير وجهة ، بل نمو متكامل متوازن .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد الأستاذ
عبد المعطى بيومى

التبــرج

ما هى حدود التبرج المنهى عنه فى الاسلام ؟

وماذا ترون من العلاج لهـــذه الظاهرة التى جاوزت كــل منطق وتحدت كل خلق ؟

عائشة المسلمى — الخرطوم

يقول فضيلة الشيخ سيد سابق فى الرد على هــذه الرسالة :
التبرج : اظهار ما يجب اخفاوءه ، واصله الخروج من البرج وهــو القصر ، ثم استعمل فى خروج المراة من حشمتها ، واظهار مفاتنهــا ، وابراز محاسنها ، وقد ورد التبــرج فى القرآن فى موضعين :

الموضع الأول فى ســورة النور حيث يقول الله عز وجل : « **والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحــا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينــة وان يستعففن خير لهن** » .

والموضع الثانى ورد فى النهــى عنه ، والتنفير منه فى ســورة الأحزاب قال سبحانه : « **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى** » .

والتبرج غير التزين والتجمــل ، فالتبرج مناف للدين والمدنية ، وذلــك أن أهم ما يتميز به الانســان عن الحيوان هو اتخاذ الملابس وأدوات الزينة ، يقول الله تعالى : « **يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباســا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلــك من آيات اللــه لعلهــم يذكرون** » .

والحيــاة وهى تسير سيرهـــا الطبيعى لا يمكن أن ترجع الى الوراء الا اذا حدثت لها نكسة تبدل آراءها وتغير أفكارها ، وتجعلهـــا تعود القهقرى ناسية أو متناسية مكاسبها الحضارية ورقيها الانسانى .

واذا كان اتخاذ الملابس لازما من لوازم الانسان الراقى ، فانه بالنسبة للمراة الزم لأنه هو الحفاظ الـــذى يحفظ عليها دينها وشرفهـا وكرامتها وعفافهـــا وحياءها ، وهذه الصفات الزم بالمراة ، ومن أجل هـــذا كانت الحشمة أولى بها وأحق .

ان أعز ما تملكه المـــراة الشرف والحياء والعفاف ، والمحافظة على هذه الفضائل محافظة على انسانية المراة فى أسمى صورها ، وليس من صالح المراة ولا من صـــالح المجتمع أن تتخلى المراة عـــن الصيانـــة والاحتشام ، ولا سيما وأن الغريزة الجنسية هى أعنف الغرائز وأشدها على الاطلاق ، والتبذل مثير لهـــذه الغريزة الحيوانية ومطلق لهـــا من عقالها .

ووضـــع الحـــدود والســـدود

امامها مما يخفف من حدتها ، ويطفىء من جذوتها ، ويهذبها تهذيبا جديـرا بالانسان وكرامته ، ومن أجل هـذا عنى الاسلام عناية خاصة بمـلابس المراة ، وتناول القرآن ملابسهـا مفصلا لحدودها عـلى غير عادة الكتاب الكريم فى تناوله المسائـل الجزئية بالتفصيل ، فالله يقول :

« يا ايها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المـؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلـك ادنى ان يعرفن فلايؤذين » .

وتوجيه الخطاب الى نساء النبى وبناته ونساء المؤمنين دليل على أن جميـع النساء مطالبات بتنفيذ هذا الامر دون استثناء واحدة منهن مهما بلغت مـن الطهر ، ولو كانت فى طهارة بنـات النبى ونسائه ، ومهما كانت مكانتها من العلم والثقافة .

ويولى القرآن هـذا الامر عناية بالغة ، ويفصل ذلك تفصيلا فيبين ما يحل كشفه وما يجب ستره ، فيقول سبحانه :

« وقل للمؤمنات يغضضن مـن ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منهـا وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن » .

حتى ولو كانت المراة عجـوزا لا رغبة لها ولا رغبة فيها يقول الله عز وجل : « **والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن** » .

ويهتم الاسلام بهذه القضيـة ، فيحدد السن التى تبدأ بها المراة فى الاحتشام ، فيقول عليه الصـلاة والسلام « يا اسماء ان المـراة اذا بلغت المحيض لم يصلح لها أن يرى منها الا هذا وهذا .. واشار الى وجهه وكفيه » .

وابداء المراة مفاتنها ، وتكشفهـا وعريها يسلبها اخص خصائصهـا ، ويهبط بها عن مستواها الانسانى ، وفى عهد النبوة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بعض مظاهـر التبرج فيلفت نظر النساء الى أن هذا فسق عن أمر الله ، ويردهن الـى الجادة المستقيمة ، ويحمل الأولياء والازواج تبعة ذلـك الانحراف ، وينذرهم بعذاب الله .

١ ــ عن موسى بن يسار قـال : مرت بأبى هريرة امراة ريحها تعصف فقال لها : أين تريدين يا أمة الجبار ؟ قالت الى المسجد ، قال : وتطيبت ؟ قالت : نعم . قال : فارجعى فاغتسلى فانى سمعت رسول الله صلى اللـه عليه وسلم يقول : « لا يقبل الله صلاة من امراة خرجت الى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل » .

٢ ــ وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجـد دخلت امراة من مزينة ترفل فى زينة لها فى المسجد فقال النبى « يا ايها الناس : انهوا نساءكـم عن لبس الزينة والتبختر فى المسجد فان بنى اسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبختروا فى المسجد » .

وقد بلغت ظـاهرة التبرج فى عصرنا هذا مبلغا يأباه كل خلق وكل دين ، فأصبح من المعتاد ان يجـد المسلم المراة المسلمة متبذلة ، عارضة مفاتنها ، خارجة فى زينتها كاشفـة عن صدرها ونحرها وظهرها وذراعها وساقها وما فوق ساقها ، ولا تجد

غضاضة فى ذلك ، واصبح من المألوف أن تعقد مسابقات الجمال تبرز المرأة فيها أمام الرجال ، ويوضع تحت الاختبار كل جزء من بدنها ، ويقاس كل عضو من أعضائها على مرأى ومسمع من المتفرجين والمتفرجات والعابثين والعابثات ، وللصحف وغيرها من أدوات الاعلام مجال واسع فى تشجيع هذه السخافات ، والتغرير بالمرأة للوصول بها الى المستوى الحيوانى الرخيص .

وقد بلغ هذا الانحراف حدا لم يكن يخطر بالخاطر ولا مناص من وضع خطة حازمة للقضاء على هذه الظاهرة ونرى ان ذلك يكون باتخاذ ما يأتى :

١ ـ نشر الوعى الدينى وتبصير الناس بخطورة الاندفاع فى هذا التيار المدمر .

٢ ـ سن قانون يحمى الاخلاق والآداب ومعاقبة من يخرج عليه بشدة وحزم .

٣ ـ منع الصحف وجميع ادوات الاعلام من نشر الصور العارية ، ووضع رقابة على مصممى الازياء .

٤ ـ منع مسابقات الجمال والرقص الفاجر ، وتحقير كل ما يتصل بهذا الأمر .

٥ ـ اختيار ملابس مناسبة تتفق مع حكم الاسلام .

٦ ـ يبدأ كل انسان بنفسه ، ثم يدعو غيره مع الاشادة بالفضيلة والصيانة والتستر ، وشغل أوقات الفراغ حتى لا يبقى مجال لهذا العبث .

ادعياء الطب

مرض ابنى ، فأشار على بعض الناس بعرضه على رجل يمارس علاج المرضى دون اجازة رسمية ، وكانت نتيجة العلاج أن فقد ابنى احدى عينيه ، فهل هناك مسئولية قانونية وشرعية على هذا الرجل المعالج .

سعيد الهاشمى ـ البصرة

لم يختلف العلماء فى أن الانسان اذا لم تكن له بالطب دراية فعالج مريضا فأصابته من ذلك العلاج عاهة ، فانه يكون مسئولا عن جنايته ، وضامنا بقدر ما أحدث من ضرر لأنه يعتبر بهذا متعديا ، ويكون الضمان فى ماله ، روى أبو داود والنسائى وابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من تطبب ، ولم يعلم منه قبل ذلك الطب فهو ضامن » .

وقال عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : حدثنى بعض الوفد الذين قدموا على أبى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما طبيب تطبب على قوم لا يعرف له تطبب قبل ذلك فأعنت (أضر بالمريض) فهو ضامن » .

واما المسئولية القانونية المدنية فيقع هذا الدعى تحت طائلتها ، وقبل أن تلوم هذا المشعوذ يجب أن تلوم نفسك وأنت ولا شك تتحمل أمام الله عز وجل مسئولية هذا الضرر الذى اصاب ابنك بلجوئك الى هؤلاء المشعوذين ونحن فى زمن تيسرت فيه وسائل العلاج .

اعـــداد ع.ب

الكويت : تفضل حضرة صاحب السمو أمير البـــلاد المعظم فى ٧٠/١٢/٥ فافتتح الاجتمـــاع الثانى للدورة الرابعة لمجلس اتحاد الجامعات العربية وحفل توزيع الشهادات على خريجى الدفعة الأولى لجامعة الكويت .

● قام سمو الأمير نواف بن عبد العزيز المستشار الخاص لجلالة الملك فيصل بزيارة للكويت وقال ان الغاية من زيارته هو زيادة توثيق الروابط الأخوية القائمة بين البلدين الشقيقين .

● صدر بيان عن التحولات فى سياسة التعليم وتطوره النوعى بالكويت بحيث أصبح يشمل انواعا جديدة من المعاهد المهنية بحيث تتمشـــى السياســـة العلمية مع السياســـة الاقتصـــادية والاجتماعية .

● بعثت الكويت فى الشهر الماضى عشر شاحنات كبيرة تحمل ١٢٠ طنا من المواد الغذائيـــة والثياب والبطانيات الى الأردن لمساعدة منكوبى الفتنة بين الجيش والفدائيين .

● تبدأ هذا الشهر الانتخابات لاختيار اعضاء مجلس الأمة الجديد .

● دعت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية لتشييد مدينة لاستقبال الحجاج الذين يمرون بها فى طريقهم الى الحج وقد زودت المدينة بكافة المرافق اللازمة .

● اقيمت صلاة الغائب فى الشهر الماضى على ضحايا الاعصار فى باكستان الشرقية .

القاهرة : خرجت بعثات دبلوماســـية الى مختلف دول العـــالم بعد أن اعلن الرئيس انور السادات ان الجمهورية العربية المتحدة لا يمكن ان توافق على تجديد فترة وقف اطلاق النار مرة ثالثة الا اذا كان هناك جدول زمنى لانسحاب اسرائيل من المناطق العربية المحتلة .

● ستنشأ جامعة ازهرية جديدة خاصة للبنات .

● تقرر انشاء معهد دينى فى محافظة مطروح لا ستيعاب الطلاب الراغبين فى التعليم الدينى من محافظات طبرق ومطروح والواحات .

السعودية : أصدرت وزارة الصحة بيانا أعلنت فية سلامة الأماكن المقدسة من اى وباء وان المملكة ستستقبل الحجاج ككل عام نفيا لاشاعة بخلاف ذلك .

● بدأت البلاد منذ الشهر الماضى تستقبل وفود الحجاج الى بيت الله الحرام ، وقـــد اتخذت الترتيبات الصحية لتجنب الحجاج اى خطر من اى مرض .

العراق : ستساهم الكويت بمبلغ ٣ ملايين دينار لتمويل مشروع المحطة الكهربائية على سد سامراء فى نطاق التعاون الاقتصادى بين البلدين .

الأردن : تجددت الاشتباكات فى أوائل الشهر الماضى ــ للمرة الثانية ــ بين الجيش الأردنى والفدائيين الا ان اللجنة العربية لمراقبة تنفيذ اتفاقية القاهرة وعمان استطاعت اخماد الاشتباكات .

● اعلن وزير شئون المهاجرين فى اسرائيل ان اسرائيل تتوقع وصول ربع مليون يهودى فى السنوات الخمس القادمة الا انها فشلت فى اقناع مائة الف يهودى هاجروا من اسرائيل بالعودة اليها .

سوريا : زار سوريا رئيس الوزراء اللبنانى فى محاولة لتوثيق الروابط واعادة التعاون بين سوريا ولبنان عقب تشكيل الحكومة السورية الجديدة .

لبنان : وجهت رابطة مشروع بيت مال المسلمين لجباية فريضة الزكاة وتنظيمها مذكرة الى المجلس الاسلامى الاعلى بشان عقد جلسة مفتوحة لاطلاع الراى العام على المشروع الذى يقرر مدخوله بنحو ٥٠ مليون ليرة لبنانية .

ليبيا : بعد رحيل الايطاليين الذين كانوا فى ليبيا تحولت الكاتدرائيتان الايطاليتان الى مسجدين وافتتحتا يوم عيد الفطر حيث اقيمت شعائر صلاة العيد فى كل منهما .

تونس : قرر الرئيس التونسى الاسراع فى ترميم جامعى الزيتونة والقيروان وعدد من الجوامع التاريخية من ميزانية رئيس الجمهورية .

الجزائر : اعلن الرئيس بومدين ان عام ٧٠ شهد حل المشكلة بين الجزائر والمغرب وقال ان اقامة المغرب الكبير لا يتعارض مع الوحدة العربية .

المغرب : افتتح فى المغرب فى الشهر الماضى سد تبلغ تكاليفه ١٢ مليون جنيه استرلينى ساهمت ايران بنسبة ٥٥٪ بينما ساهمت الكويت بالباقى .

● اعلن جلالة الملك الحسن فى حفل اعتماد سفير تونس لدى المغرب اننا عازمون على تشييد صرح المغرب العربى الكبير واننا نعول على الرئيس بورقيبة فى هذا السعى .

تركيا :

● أنشئت فى استانبول وكالة انباء اسلامية باسم وكالة الأنباء الشرقية لأخبار العالم الاسلامى وقد بدأت الوكالة عملها فى اذاعة ونشر الأخبار الاسلامية .

● أعلن معهد الاحصاء التركى أن عدد السكان فى تركيا بلغ وفق آخر احصاء سنة ١٩٧٠ م (٣٥/٦٦٦/٥٤٩) .

باكستان : قام وفد تجارى ماليزى بزيارة الى باكستان فى نطاق تدعيم التعاون التجارى والصناعى بين البلدين المسلمين .

الهند :

● عقد الطلبة الخريجون من الجامعة الاسلامية بعليكرة اجتماعا فى دلهى لبحث الوضع الناجم من مشروع قانون تعديل الجامعة المقدم الى البرلمان الهندى .

ماليزيا : قبلت ١١ دولة الدعوة للاشتراك فى المباراة الدولية السنوية فى تلاوة القرآن التى ستبدأ فى ١٧ يناير ١٩٧١ وهذه الدول هى باكستان ايران ماليزيا تايلاند كمبوديا الهند اندونيسيا سنغافورة برونى هونجكونج .

كينيا : انشا التجمع الاسلامى فى كينيا جمعية اسلامية وطنية جعل مقرها نيروبى وهدفها العمل على تنسيق جهود الجمعيات المختلفة فى نشر الدعوة الاسلامية بمختلف الوسائل .

غينيا : صدت غينيا عدة هجمات برتغالية للاطاحة بنظام الحكم فى البلاد وقد بعثت الامم المتحدة بلجنة لتقصى الحقائق واصدرت المنظمة الدولية بيانا يدين فيه البرتغال .

اخبار متفرقة

فرنسا: قررت عدة جامعات فرنسية تدريس اللغة العربية لطلابها كلغة ثانية وانتدبت لهذه المهمة مدرسين عرب .

اليونسكو : أيدت اللجنة الادارية لمنظمة اليونسكو فى دورتها الحالية جعل اللغة العربية لغة رسمية على قدم المساواة مع اللغات الرسمية للمنظمة .

لندن : وجهت الجمعية الاسلامية فى مانشستر بيانا الى المسلمين فى العالم يناشدهم فيه بالتبرع لاكمال المركز الاسلامى فى مانشستر والذى يتكلف مائة الف جنيه استرلينى وجمع منها ١٨ الفا .

عقب اصدار قانون باباحة الطلاق تقدم حتى الآن حوالى ٢٧ الف طلب من راغبى الطلاق .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ـــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ـــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة .

جدة : الدار السعودية للنشر ـــ ص.ب (٢٠٤٣)

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـــ السيد محمد سعيد بابيضان .

بغداد : المؤسسة العامة للصحافة والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـــ المنامة ـــ السيذ فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ـــ السيد محمد قائد محمد .

حضرموت : مكتبة الشعب ـــ ص.ب (٢٨) المكلا .

دبى : مكتبة دار الحياة ص. ب ١٨٨٤ .

مسقط : المكتبة الحديثة / يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية ـــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ـــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ـــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ـــ بيروت ـــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء ـــ مكتبة الوحدة الوطنية ـــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ـــ ص.ب (١٣٢) ـــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ـــ ص.ب (٢٨٠) ـــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

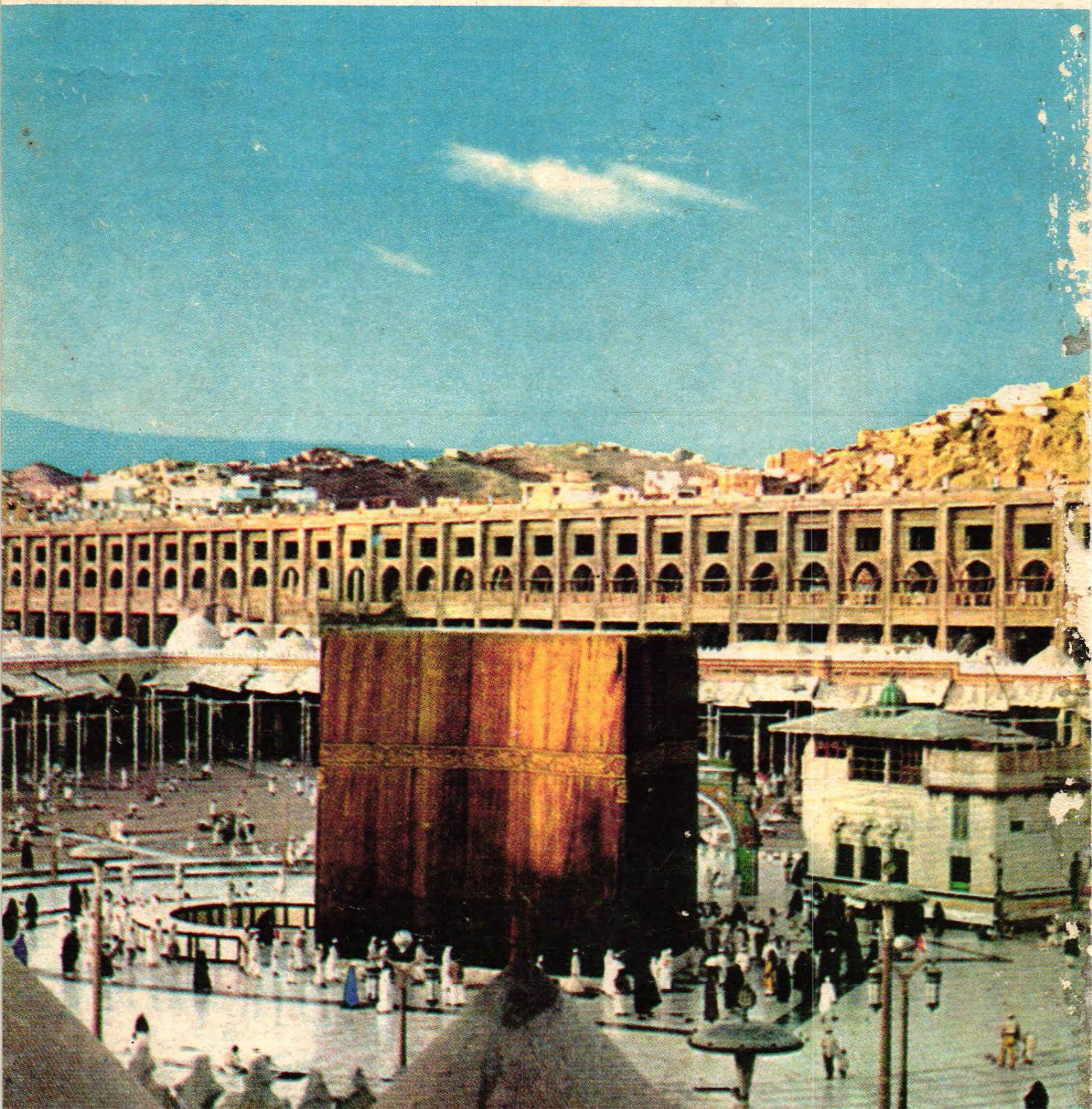
ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة ـ العدد ٧٢ ـ ذى الحجة ١٣٩٠ هـ ـ ٢٨ يناير (كـانون ثانى) ١٩٧١ م



ملحق بهذا العدد :

فهرس عام للمجلة

في عامها السادس

١٣٩٠ هـ

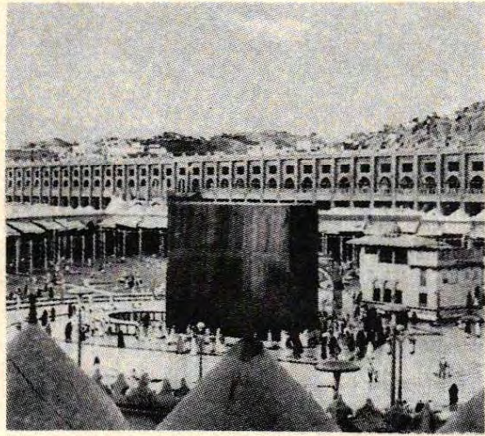
١٩٧٠ - ١٩٧١ م

يشتمل على الموضوعات والكتّاب

هديتك مع العدد القادم :

التقويم الهجري الجديد لعام ١٣٩١ هـ

ومعه صور نادرة لأشهر المساجد في العالم



منظر فريد للكعبة المشرفة عند شروق الشمس ويظهر خلفها المسعى فى فنه العربى الرفيع .

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد الثانى والسبعون

ذى الحجة سنة ١٣٩٠ هـ

٢٨ يناير (كانون ثانى) ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر	دينار وربع	
المغرب	درهم وربع	
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الأفراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت

بسم الله الرحمن الرحيم



التضحية

التضحية هى البرهان العملى على قوة العقيدة ، والمثل الحى على انسانية الانسان ، والركيزة الاولى لحيوية الامة وقوتها .

وكل قلب فارغ من العقيدة لا يقدم على التضحية ، ولا يعرف لها معنى .

وكل انسان لا يبصر الا نفسه ، ولا يتحرك الا ليشبع انانيته حيوان شره يشقى بحيوانيته ، ويشقى به مجتمعه .

وكل أمة يدور كل فرد فيها حول نفســـه ، ويضن بمقدرته وكفايته على غيره امة مفككة متعـــادية تاكل الانانيـــة قواها ، وتجعلها فريســـة للضياع والهوان .

والتضحية تقترن فى اذهان الناس بالاقدام فى مواطن الخطر ، والبطولة فى ميدان القتال ، وتبلغ غايتها بالاستشهاد فى ساحات الجهاد دفاعا عن حق وحفاظا على عرض ، واستنقاذا لشرف .

وهذا النوع من التضحية أسمى درجاتها ، وأشرف منازلها ، وهو ليس بالامر الهين ، ولا بالمطلب السهل المنال الا على أصحاب العقيدة الراسخة .

والتضحية فى هذا المجال محسوبة فى ميزان الله بهبة الريح وذرة التراب وعضة الجوع ، وحرقة الظمأ ، وخفقة القلب ، وفتحة الجفن ونقطة الدم .

« ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون » .

والحديث عن الاجزية المرصودة للمجاهد فى فترة الجهاد ، وعن النماذج الحية للبطولة ، هو ما تحتاج اليه أمتنا فى هذه الفترة الحرجة من تاريخها .

ان المجاهد من حين يخرج من بيته الى أن يظفر باحدى الحسنيين ـ لا تعد حسناته ، ولا يحصى ثوابه .. فله من غبار المعركة وثيقة تأمين عند الله عز وجل يوم الفزع الاكبر « ما من رجل يغبر وجهه فى سبيل الله الا آمنه دخان النار يوم القيامة » « لا يجتمعان فى جوف عبد غبار فى ســبيل الله ودخان جهنم » « ما من رجل تغبر قدماه فى سبيل الله الا آمن الله قدميه من النار يوم القيامة » .

وحتى خفقات القلوب وقشعريرة الابدان وتوتر الاعصاب مما يجد المجاهد من قعقعة السلاح له ثوابه وان نجا من التهلكة « ما خالط قلب امرىء رهج (خوف) فى سبيل الله الا حرم الله عليه النار » .

ويقظة الحــواس فى ســبيل الله لمراقبة تحركــات عدو الله تعدل أو تزيد عن مجافاة الجنوب للمضاجع في جوف الليل للتعبد والتهجد : « عينــان لا تمسهما النــار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله » .

والجروح والعاهات والاصابات فى سبيل الله شامات للمجاهدين تميزهم عن سواهم يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت « من جرح جرحا فى سبيل الله ، أو نكب نكبة فانها تجىء يوم القيامة كأغزر ما كانت ، لونها لون الدم وريحها ريح المسك » .

أما الاستشهاد فهو الفرحة الكبرى والامنيــة العظمى والحياة المنشودة « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احيــاء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين » « والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فاقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل » .

والتضحية فى ميدان القتال اغلى انواع التضحية ـ كما قدمنا ـ فالجود بالنفس أقصى غايات الجود ، وهى ترتكز قبل كل شىء . قبل التدريب والتعليم ، قبل التسلح بأحدث معدات الحرب ـ ترتكز على العقيدة المكينة الراسخة . العقيدة التى ترى المجاهدين وهم فى ساحات الوغى فراديس الجنة ، وتحمل الى أنوفهم ريحها العطرة ، ولا يغنى عن العقيدة الالمام بأحدث فنون الحرب ، ولا الخبرة بأساليب القتال .

والامة الاسلامية كتبت فى تاريخ الدنيا أروع صفحات البطولة والتضحية ، والجيل الاول فى هذه الامة سجل بمواقفه البطولية أن العقيدة أقوى سلاح ، فهى التى تملأ قلب المجاهد بكراهيته الدنيا وحب الموت .

ان أثر العقيدة فى التضحية ليس مجالا للشك أو التردد ، فامام المؤمنين اندحرت قوى الشر والطغيان ، وانهزمت جيوش الجبابرة والطغاة .

واننا نتجاوز الحديث الى النماذج الحية للعقيدة كيف تحمل اصحابها على ارتياد المهالك دون رهبة أو وجل .

فى غزوة بدر استنهض الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه الى عير قريش ، فقال خيثمة بن الحارث لابنه سعد : انه لابد لأحدنا أن يقيم فى المدينة ، فأقم أنت مع نسائنا ، ودعنى أخرج للجهاد ، فأبى سعد ، وقال : لو كان غير الجنة لآثرتك ، انى لأرجو الشهادة — لم يكن هناك قانون تجنيد اجبارى ولا عقوبات بالحبس والجلد والحرمان من الوظائف العامة لمن يتخلف عن الجندية ، ولم يكن هناك سن معينة للتجنيد — لما اختلف خيثمة وابنه سعد اقترعا ، فخرجت قرعة سعد ، فخرج مع رسول الله فأستشهد بينما بقى أبوه فى المدينة ، فلم يجزع ولم يرهب ، بل حرص على أن ينال وسام الشهادة ، فلما كانت غزوة احد خرج خيثمة داعيا الله أن يكتب له الشهادة ، ويلحق بابنه فى الجنة ، فاستشهد وحقق له أعز امانيه .

وفى هذه الغزوة خرج اهل بيت باجمعه الى الجهاد فى سبيل الله : خرجت نسيبة بنت كعب مع زوجها زيد بن عاصم وولديهما عبد الله وخبيب ، وابلوا فى المعركة بلاء حسنا ، وقال صلى الله عليه وسلم : « بارك الله فيكم أهل بيت » وقال « اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة » وقال فى نسيبة : « ما التفت يوم أحد يمينا ولا شمالا الا وأراها تقاتل دونى » وقد ضربها ابن قميئة وهى تدافع عن النبى ، فأصاب عاتقها بجرح أجوف غائر ، وجرحت فى هذه الغزوة اثنى عشر جرحا من بين طعنة وضربة .

وفى هذه الغزوة استعرض الرسول غلمان الأنصار ، فمر به رافع بن خديج ، وسمرة بن جندب ، فردهما ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، فقيل له : يا رسول الله : ان رافعا شاب يحسن الرمى ، فأجازه والحقه بالجيش فقال سمرة : يا رسول الله : لقد أجزت غلاما ، ورددتنى ولو صارعنى لصارعته ، فقال له صلى الله عليه وسلم : فصارعه ، فقال سمرة : فصارعته فصرعته ، فأجازنى رسول الله .

أى معهد . أى منهج يربى لنا جيلا كهذا الجيل ، لاشىء غير العقيدة والاسلام والقدوة المؤمنة المثالية .

وان الانسان ليعجب اشد العجب حين يقف على هذه التضحيات البالغة ، ويرى سحر العقيدة وأثر الايمان فى النفوس التى لم تعرف غير الاسلام دينا وخلقا وسلوكا .

عن شداد بن الهاد ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فآمن به ، ثم قال له : أهاجر معك — وكان من الأعراب البدو — فأوصى به النبى بعض أصحابه ، وضمه الى جيشه ، ثم كانت غزوة انتصر فيها المسلمون ، وغنم النبى فيها شيئا ، فقسمه على من معه ، وارسل الى الأعرابى نصيبه ، فلما وصل اليه . قال : ما هذا ؟ قال : حظك من الغنيمة قسمته لك ، قال : ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أرمى بسهم الى ها هنا — واشار الى حلقه بيده — فأموت فأدخل الجنة ، فقال له الرسول : ان تصدق الله يصدقك ، ثم نهضوا فى قتال العدو ، وما لبثوا الا قليلا حتى جىء بالأعرابى محمولا وقد أصابه سهم فى حلقه حيث اشار بيده . قال النبى صلى الله عليه وسلم أهو هو ؟ قالوا : نعم ، قال : صدق الله فصدقه ، ثم كفنه فى جبته وكان من دعائه له

اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا فى سبيلك فقتل شهيدا وانا على ذلك شهيد .

ان فى وزارات الدفـاع في معظم الدول العربيـة ادارات للتوجيـه المعنوى .. لتوجيـه الجنود لتثقيفهم . لتوعيتهم ، وفى هذه الادارات أئمة يؤمونهم فى الصلوات ووعاظ يرشـدونهم وان وجود هذا النوع من التوجيه ضرورى جدا لتكوين الجندى الذى يفتدى دينه ووطنه وامته بحياته ، وحاجة هؤلاء الجنود الى معرفة الأحكام الفقهية التى يصـححون بها عبادتهم — مع اهميتها — امر ميسور المنال لا يحتـاج الى علم غزير ولا جهد كبير وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للمسلمين صلوا كما رأيتمونى أصلى ، وخذوا عنى مناسككم .

ان على الموجهين وهم من خيرة العلماء ان يسيروا سيرة الرسول فى اعداد جيشه الذى حقق انتصارات اذهلت العالم .

وفى هذا المجال يقول مؤلف كتاب الرسالة المحمدية : ان الفضل فى اعداد النبى صلى الله عليه وسـلم لجيشه الظافر يرجع الى قوة العقـائد والتعاليم الاسلامية واثرها فى النفوس .

دعا الاسلام الى الايمان باله واحد قوى قدير سميع بصير حكيم خبير ، ومن شان هذه العقيدة ان تجمع قلوب المؤمنين وتوحدها . من شانها ان تنفخ فيهم روح العزة والكرامة ، فلا يرضوا بأن يتاله عليهم مخلوق ، .. شانها أنها تشـحذ العزائم وتلهبها وتمد الجنود بقوة غلابة يستمدونها من القوى العزيز .. فيقبلون على المعارك ، ارضاء الله بروح مؤمنة لا يتسرب اليها اليأس ولا يتسلل اليها خور . مطمئنة الى ان الله معها يمدها بنصره ، ويؤيدها بجنده (وما يعلم جنود ربك الا هو) (ولله جنود السموات والارض) (وما النصر الا من عند الله) .

دعا الاسلام الى الايمان بانه لا بقاء الا لله ، وان الموت مكتوب على كل من عداه ، والمولى وحده حدد الأجل ، فلا ينقص العمر باقتحـام الحروب ولا يزيد بالفرار والهروب (لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) وكثير من الناس بالغوا في اخذ الحيطة لأنفسهم حذر الموت فلقوا مصرعهم من حيث لا يعلمون .

هذه العقيدة اذا استقرت فى قلب انسان نزعت منه الخوف والجبن وجعلته لا يبالى اوقع على الموت أم وقع الموت عليه .

يجب التركيز فى توعية الجنود على العقيدة مع عرض تاريـخ الغزوات والفتوحات الاسلامية ، ودراسة الشخصيات الاسلامية المحاربة .

وهناك مظاهر اخرى للتضحية غير المعـارك والحروب ، بل كل عمل من الأعمال مجال للتضحية ، يحتاج الى العطاء اكثر من الأخذ والى محاربة الأنانية والحد من الشهوات والغرائز وأبسط معنى للتضحية هو أن تحب النـاس كما تحب نفسك ((لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) . والظروف التى تمر بها الأمة الاسلامية الآن فى حاجة الى المزيد من التضحية التى تعبىء الجهود كلها لاستنقاذ الوطن المفقود والشرف السليب .

ضوان النبيل

مدير ادارة الدعوة والارشاد

من
هدي
السنة

الحج والجهاد

للدكتور: علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

روى الامام البخارى فى صحيحه قال :
« حدثنا عبد الرحمن بن المبارك : حدثنا خـالد : اخبرنا حبيب بن ابىعمرة عن عائشة رضى الله عنها انها قالت : يا رسول اللـه ، نرى الجهاد أفضل العمل ، قال : لكن أفضل الجهاد حج مبرور » (١) .

١ ــ الباحث عن الحق المتأمل فى أصـول الاسلام وقواعده يجزم عن اقتناع عقلى ــ ان كان منصفا ــ أنها بصورتها الصافية المتلقاة عن رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، تحقق بما لا يقبل الجدل نظام الحياة المثالية ، واسس المدنية الفاضلة التى تعطى الطمأنينة الكاملة من كل وجوهها ، والتى لا تترك ثغرة يلج منها مكدر أو مسىء قل أو جل ، وفى ظلها يشعر الانسان

---

(١) عبد الرحمن بن المبارك : هو العيشى بالتحتانية والشين المعجمة بصرى وليس أخا لعبد الله ابن المبارك المروزى الفقيه المشهور وشيخه خالد ، هو ابن عبد الله الواسطى ، واختلف فى ضبط (لكن) فقد رويت بضم الكاف ، قال القابسى : وهو الذى تميل اليه نفسى ، وفى رواية الحموى بكسر الكاف وزيادة الف قبلها بلفظ الاستدراك ، وسماه جهادا لما فيه من مجاهدة النفس « .. ذكر هذا ابن حجر العسقلانى فى شرح الحديث المذكور ص ١٢٥ من الجزء الرابع من فتح البارى ــ طبع مصطفى الحلبى بالقاهرة سنة ١٣٧٨ هـ .

والذى ارجحه فى ضبط (لكن) ان تكون للاستدراك ، وليست للنساء خاصة (بضم الكاف) وتعليل ذلك تجده مسطورا فى صلب الموضوع والله وحده اعلم بالصواب ، ولكل محاول خيرا نصيب من الأجر بفضل الله ذى المنة والطول .

بقيمته ، وينمى شخصيته ، ويدرك مهمته التى ندب لها من رب العالمين ، كما يتأكد دارسها المتزن المتروى المتعقل من صلاحيتها التامة لكل زمان مهما تقلب وتبدل ، ولكل مكان ولو اختلف وتنوع ، وأجزم — مع استطاعة تقديم البرهان — أن النظم الاجتماعية البشرية المختلفة ، والطرائق الاقتصادية المتنوعة والمذاهب المتعددة المتشعبة ، التى تخالف الاسلام وتجافيه ، قد ظهرت على المسرح واولاها النظارة عناية واهتماما فى وقت غاب فيه الاسلام ، وكان منزويا فى مسطورات عفى عليها الزمان ، أو مكنونة فى صدور خربة ، ثم ترددت فى الوجود الواقعى أصداء مختلطة لا تتبين وجهتها ولا تدرك مراميها ومقاصدها ، فشالت نعاقها ، وتقلصت حتى عن ديارها ، فى الوقت الذى داهم فيه الغريب المريب حصونها واقتحم معاقلها ، وسدنتها نيام فى هياكل يقظى ، وعمى فى سمت مبصرين ، فاجأتهم الفتن ففغروا أفواههم من هول القارعة ، وتداعت قواهم من المفاجأة الفاجعة ، فألفى العدو الديار بلاقع من حماتها ، أشباه الرجال ، ولا رجال على وفق تعبير سيدنا على كرم الله وجهه يوما ما ، واستطاب الداهمون المرعى فنمت أفكارهم وسمنت وانتشرت مبادئهم وعمت وصاياهم ، وصار باطلهم حقا وما هو بحق فى حقيقته وأضحى الحق الصراح باطلا وما هو بباطل فى واقعه .

٢ — ولما كنا نعيش فى عصر تخصص ، وعالمنا الاسلامى — كما يبدو — عامر بكثير من الذين درسوا الاسلام مبرزين فى فروعه ، ولكل دور حق عليه أن يؤديه كاملا غير منقوص وهو مسئول عنه أمام الله والناس ، دفعا للعلمانية الزاحفة مع التصنيع ، والمدرك بيسر أن الذين اتخذوا العلوم العقلية والفلسفية طريقهم الذى سلكوه ، ما فرطوا فى جنب الاسلام ، فقد شرعوا أقلامهم يقدمون حقائقه جلية واضحة ، ويصرعون بها الخصوم الألداء ، ولئن كان الأثر ضئيلا فليس مرجع ذلك الى ضعف فيهم ولا لعيب فى أسلحتهم ، وانما مصدره تهافت الدولة ، وتمزق الألوية ، وتفرق الكلمة ، ومع كل العوائق ها هم أولاء يؤدون دورهم فى ثبات وعزم واصرار لا يصدهم وعيد ، ولا يردهم تهديد ، فهم ماضون فى طريقهم يقرعون الحجة بمثلها ، وكلما بدا للشر ناجذ حطموه بقوارع البرهان ، وبارع القول .. فلندع هؤلاء ولنعرج على طائفة أخرى من علماء الملة فللمسلمين معهم حساب يطول ، وللاسلام عليهم عتب ولوم شديدين ، ولتوضيح ما اليه قصدنا نقول :

المال عدل النفس ، والنفوس به شحيحة ، وهى عليه حريصة حرصها على الحياة ، حاول الانسان تثميره وتفنن فى تنميته بكل الوسائل المشروعة ، تقابلها أضعافها غير المشروعة ، وسئل المتخصصون فى الفقه الاسلامى بالمعنى الاصطلاحى أعنى المعاملات عن رأى الدين الصالح لكل تقدم حضارى كما هى الدعوى المبرهنة ، فصمتوا طويلا ، وترك القادرون على الجواب الضعفاء ينثرون الفتاوى هنا وهناك ، وقامت مجامع دينية ثم نامت والتقى علماء المعاملات ثم تفرقوا ، واختلفوا ولم يجتمعوا ولم ينتهوا الى رأى يقال فيه انه الرأى الذى يرد الحق الى نصابه ، والسيف الباتر الى قرابه ، فقامت مؤسسات وشيدت بنوك اقتضتها مصالح العصر ، ولكن على قواعد بعيدة عن الخط

الاسلامى ومالت الى نظم تدر الربح مهما كانت مصـــادره ، والذى أهدف اليه وأريد أن أوضحه هو أن يعطى علماء المعاملات الاسلامية الراى صريحا فى حل أو حرمة وقبل أن يطلعوا على الناس باجماعهم القاضى بتحليل او تحريم يجب أن يضعوا أولا الطرق السليمة الموصلة الى بديل لا يعطل المال ولا يحرمه يرسمون سبيل الاسلام الواضـــح المفيد للناس فى حزم وقوة باجمـــاع كامل تام مؤيد بالبراهين العقلية التى تقنع ولا تشكك ، وتصحح ولا تلتوى وما وراء ذلك من التنفيذ أو عدمه متروك لأولى الأمر واصحاب الشأن فى التصرف ، وبهذا يخرج علماء الملة من المسئولية أمام الله والناس ، وليشترك فى القرار النهائى كل علماء المسلمين من جميع أقطاره حتى لا يندد شاذ بما سيكون من اجماع ، وحتى لا توجد اهواء تذهب بالراى السديد ، وتحوك حوله الشبهات التى ربما تعفى آثاره ، وتطمس معالمه ، وتطفىء أضواءه ، فيظل المسلمون فى ظلام الشك ، ومقعد الفاقد الثقة بكل ما يقال . .

٣ ــ ولعل الناظر فى الموضوع قد شعر بابتعاد القول عن عنوانه ، فما الربط بين الحج والجهاد وبين العلوم والفلسفات والمعاملات ، والواقـــع ان الارتباط واضح جلى ، فالجهاد هو المرابطـــة على ثغور المسلمين ، ويختار لهذا الرباط الأشداء فى دينهم الأقوياء فى الحفاظ على عقائدهم المؤمنون بالله الذين يطلبون احدى الحسنيين ، وفى ذلك من جهاد النفس مـــا فيه ، ولقد تعددت الثغور وتنوعت فلم تعد محددة بمكان من الأرض وكفى ، وانما تدك الحصون من الداخل الآن فى وضوح ، وقبل الآن فى تلصص ، ولهذا يجب أن يتنوع الحماة الكماة فحملة السلاح المادى لهم مكانهم المعلوم ، ورجال الأقلام أصحاب العلم بالدين المخلصون الأكفاء لهم وضعهم الأقوى والأشد ، فمن غلب على ثقافة أمة ، وملك عقلية أبنائها وحورها حسب ما يريد دك قلاعها المادية فى يسر ، حيث يجد الطريق ممهدا والأبواب مشرعـــة ، لأنه ملك الفكر أولا ، والأمـــة التى ينبرى علماؤها ، ورعاة ثقافتها ليصدوا عدوان علوم وثقافات غازية هى التى تنتصر فى المعركة الحاســـمة ، والحج ركن من أركان الاســـلام لم يشرع لمجرد سفر ومشقة وتعرية جسد وتحمل متاعب الطريق ووعثائها ، وانما شرع على القادرين والقادرين فقط ليتلاقى المسلمون من أطراف الأرض فى اجتمـــاع عام كل عام ، يضم زعماءهم فى كل اتجاه حياتى (بتشديد الياء) زعمـــاء فى العلوم الكونية والنظريات الاقتصادية فى الثقافة ، فى السياسة ، فى الفن، فى الحروب ، فى كل نواحى الحياة ، يتدارسون أمورهم ، ويبحثون فى جد واخلاص لوجه الحق كل فى اختصاصه ، واللقاءات توثق الروابط ، وتقوى العرى ، وتحقق الاتحاد ، ووحدة الاتجاه ، وتبعث فى الأمة الاســـلامية القوة التى تجعلهـــا خير أمة فى التقدم الحضارى المنشود . .

حاول الانســـان العلمانى أن يوجد مثل هذا التلاقى ولكن هيهـــات فقد أنشأت الدول المتذئبة عصبة للأمم ، ومن بعدها البديل هيئة الأمم المتحدة اسما، المتفرقة واقعا وحقيقة ، فلم تؤت ثمارا مفيدة بل بدت فى الواقع احدى وسائل تغلب القوى على الضـــعيف وفقدت قيمتها واســـتهانت بها شـــعوب وضربت بقراراتها المتتالية عرض الحائط ، فلو أدرك المسلمون حقيقة الحج ومقاصده

لجنوا ثمارا طيبة كل عام ، افليس من الممكن ان يجعل المسـلمون من حجهم هيئة اسلامية تقرر مصائرهم ؟ أليس من المستطاع أن يكون رجـال جامعـات العالم الاسلامى (يونسكو) اسلاميا يدرس كل انواع العلوم والثقافات والفنون ويخرج بما ينميها ، ويعيد أمجاد المسلمين الذين بنوا حضارة وشادوا صروحا علمية شامخة شهد بفضلها الأعداء قبل الأصدقاء .

٤ ـ ولحكمة سامية لا يقبل الله الا الحج البعيد عن الرفث والفسـوق والجدال « الحج أشهـر معلومـات فمن فرض فيهن الحـج فـلا رفث ولا فسـوق ولا جدال فى الحج ومـا تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب » « الآية ١٩٧ من سورة البقـرة » ، وما ذلك الا لأن لقاء المسلمين فى الحج مؤتمر عام يجب أن يبتعدوا فيه عما يسىء العلاقات بينهم ويتجنبوا كل ما مؤداه الى التباغض والعداء ويحملوا أنفسهم على أن يتبادلوا المنافع فيما بينهم ، فلا يصح مطلقا لحاج أن يأتى شـيئا مما نهت عنه الآية الكريمة لأنه مقبل على الله راج رضـاه محقق لدعوة ابراهيم عليه السلام ، وذلك كله لجمع كلمة المسـلمين وازالة الفوارق من بينهم حيث يتساوى هناك ـ فى اللباس والهيئة ـ القوى والضـعيف والحاكم والمحكوم والغنى والفقير ، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » فهل حقق المسلمون ما أراده الله من حجهم ؟ الجواب تمليه أحوال المسلمين وهو أنهم بعدوا عن روح الحج كما بعدوا عن روح العبادات جميعا ، فلا ألفة حققوا ولا ترابط أوجدوا ، بل عادوا كما ذهبوا ، وسيظل هذا حالهم حتى يثوبوا الى رشـدهم ، وينفذوا وصـايا قرآنهم ، ولا يتبعوا السبل التى تفرقت بهم عن سبيل الرشد .

٥ ـ والحديث الشريف ليس خاصـا بالنسـاء ، وان كان من الممكن توجيهه هذا الاتجاه ، ولكن عمومه افضل واجدى على الأمة ، فالحـج المبرور هو الذى تتحقق منه الغايـات التى شرع من اجلهـا ومن ابرزها جمـع كلمة المسلمين ودراسة أوضاعهم فى العالم دراسة دقيقة مشـمولة بروحية كريمة تبعد بها عن شوائب الأنانية التى تزعزع المؤتمرات الدولية الأخرى البعيدة عن الايمان بالمثل العليا ، ففى مثل هذه المؤتمرات ، كل يود الخير لدولته ولو هلك العالم ، وكل يرى الفضل لأمته التى يمثلها مهما كانت النتائج بالنسـبة للأمم الأخرى ، وهذا ما يلمس فى اجتماعات المنظمات الدولية التى تسيطر عليها القوى التى تستطيع بقانون وضعته هى شجب كل ما لا يرضيها وطرد كل من لا يدور فى فلكها بكلمة واحدة (الاعتراض) أو حق (الفيتو) . أما حجاج بيت الله فهدفهم واحد لا يتعدد وهو تداعى كل الأعضاء لألم أحدهم ، ومـا مس أحدهم من ضر مسهم جميعـا ، وما جنى من غنم فهم شركـاء فيه ، وتوحدهم الناشـىء عن الايمـان يشد أزرهم فى الميـادين والمجتمعـات الدولية ويكتلهم أمام الأعداء التقليديين ، ويضفى على قرارات يتخذونها طابعا روحيا كريما يلاشى الأنانية المقيتة ، ويذيب الشخصية المنفردة ، ومن أهم ما يعنيه وجود المسلمين كأمة هو ذيادتهم عن حماهم وحراسة ثغورهم وجهادهم فى سبيـل نشر الـروح

الاسلامى فى العالم ليسيطر ويمحو اختلافاته وشقاقه بعد أن ـ يزيلهـا من بين معتنقيه أنفسهم ، فالانطلاق الى الجهاد العام بعد الحج المبرور يعد ثمرة له وغاية ترجى منه ، وليست هذه مثاليات لا تتحقق واقعيـا وانما الذى يبديهـا مثاليات غير قابلة للتحقق هو الخور وضعف العزيمة ، وواقع المسلمين هـو الذى يسىء الى أصوله اساءة بالغة ما بعدها اساءة ، كما أن دعاة الاسـلام ليسوا خياليين أو يرددون أحلاما يعز وجودها ، وانما هم واقعيون يعرضـون فى كتاباتهم وخطبهم وأحاديثهم خطة العمل الصريحـة الصادرة من المشرع الأعلى للنهوض بالمجتمعات الانسانية وازالة ركام الفساد المفسـد لجوائها ، وتنقيتها مما شابها ، من تضليل وافد عدا على مقدارتها ، واشـترك فى اثمه للأسف الشديد بعض المتسمين بالاسلام الناطقين بشـهادتيه ، وما كانت ولن تكون الدعوة الى الاسلام خيالية أبدا وانمـا هى الدواء الذى يطب لكل داء ، فهيا استعملوا ما حوت صيدليته ولا تدعوها مغلقة على ما فيهـا ، فلم تتنزل شريعة الاسلام لتبقى مسطورة على صحائف مهملة ، أو لتوضع فى قبو ، أو فى صرح مشيد ليطاف حولها ويطلق لها البخور ويتبرك بها ، وانما وردت للتطبيق والتنفيذ ، وعلى عارضيها أن يؤمنوا بجدواها ، وعلى أبنائها أن لا يتـأبوا عن الالتزام بها فى دولتهم وأحكامهم ، حتى تستقر فى الارض آخذة وضعها الحقيقى المراد منها ، فهل من مستجيب لنداء الله تبارك وتعالى : **« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم .. »** .

فالحق أبلج والباطل لجلج والطريق لا حب والصوى مشرعة .. **« قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين »** .



المحبوسون في سجن المادة

للشيخ : محمد الغزالي

فى غضون القرن التاسع عشر للميلاد كانت نزعات الالحاد تغلب على العقل الغربى ، وبدا كأن العلم الطبيعى يتجه بالناس وجهة مادية تتنكر للدين وتضيق بتعاليمه ، ولما كان الغربيون سادة الدنيا يومئذ فقد صبغوا الفكر العالمى تقريبا بهذه الصبغة الداكنة ..

وقد تسأل : ماذا كان موقف المتدينين بازاء هذا الكفر الزاحف ؟

والاجابة : أن المسلمين كانوا فى حالة ذهول أنستهم رسالتهم المحلية والعالمية على سواء ، فهم لا يريدون من دينهم شيئا طائلا ينفعون به أنفسهم بله أن ينفعوا به غيرهم ..!!

واما بنو اسرائيل فقد شرعوا عقب تقرر الحقوق السياسية فى الاقطار الحديثة يجمعون شملهم ، ليعيدوا ملك « يهوه » على الارض ، ويستعدوا لحكم العالم كله من « أورشليم » وما كان عليهم أن تكتسح ظلمات الشك كل ضمير ..!!

وأما النصارى فلو تفرغوا لمواجهة هذا الخطر لكانوا كالذى يرد الطوفان بالراحتين ، فكيف وهم مشغولون بالقضاء على الاسلام المريض !!

لذلك نجح الالحاد فى فرض أفكاره ، وأحكامه على أغلب ميادين النشاط الانسانى ، وربما سمح للأديان أن تبقى ميولا فردية ، واتجاهات أدبية ، وحسبها ذلك .. على أن القرن العشرين للميلاد أخذ يتجه ـ خصوصا فى أواسطه

ونهاياته ــ وجهة مغايرة ، وظهر فى كتابات كثير من العلماء الطبيعيين نزوع واضح الى الايمان بالغيب والتسليم بوجود اله حكيم قدير ، عالم خبير !!

وتدين العلم كسب انسانى جليل !!

والصورة التى تكونت لدى العلماء الطبيعيين عن الله قد تكون أدنى الى الحقيقة مما يهرف به كثير من رجال الاديان .. !!

ولو كان للاسلام رجال يحسنون عرضه كما نزل فى اصوله الاولى لكان الاسلام دين الحاضر والمستقبل على سواء ، ولكن الفكر الاسلامى وقع فى محنة رهيبة !!

ولست أزعم أن كل العلماء الكونيين نزاعون الى التدين ، فهناك من ضل الطريق !! ولكن تيار الايمان لو مضى فى طريقه بين هؤلاء دون عوائق سياسية ، ودون ارهاب خارجي ، لتغير الوضع ، فان جمهرتهم سوف تدخل فى دائرة الدين بلا ريب ..!!

والمشكلة التى نواجهها نحن فى بلادنا الاسلامية هى تأخر مثقفينا فى مضمار التقليد !!

فعدد كبير منهم لا يزال يعيش فى العقلية المادية للقرن التاسع عشر .

وعدد آخر قد يعدو هذا النطاق ، ليرنو ببصره الى المسجونين كرها داخل بعض المذاهب المادية الحاكمة ، وهم قوم كفروا عن ارهاب لا عن اختيار ففيم يقلدون ؟؟

والغريب أن نفرا من علماء الاسلام يزعمون أن الدين ــ كسائر القضايا الادبية ــ لا صلة له بالعقل !! اى أن التفكير الالحادى للقرن التاسع عشر مازال هو الذى يسيطر عليهم ، فأى بلاء هذا ؟؟

ونحن نناشد احرار العقول أن يراجعوا انواع المعرفة التى تعرض عليهم ، فان للاستعمار الثقافى دخلا فى تلويثها وغشها ..

ان أعظم شىء فى رسالة الاسلام احترامها للعقل البشرى ، وحفاوتها بالعلم الطبيعى ، وبناؤها اليقين على النظر الصائب فى ملكوت الارض والسماء .

ولا يوجد كتاب سماوى حث العقل على النظر ، وقاد العلم فى مضمار البحث كهذا القرآن الكريم .

اننا بمنطق القرآن نرفض الظنون ونخضع لليقين ، نرفض الاوهام ونستكين للحقيقة وحدها ..

ان التدين الذى تعلمناه من كتابنا ليس تحميل العقل ما لا يطيق ، ولا الهيمان فى عالم الاخيلة .. انه تدين ذكى عملى .

ثم هو يضم الى هذا الفكر الناضج قلبا سليما ، لا مكان فيه لنية خبيثة او غرض صغير ، على اساس أن الانسان لا يسيره العلم النظرى قدر ما تسيره مقاصده وآماله ..

وما أكثر أن يكون الذكاء سلاحا يستعمل فى الخير والشر على سواء ، فاذا صدق الايمان صلح القلب واستقام المنهج « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » « ان فى ذلك لذكرى لمن كان قلب أو القى السمع وهو شهيد » .

وفى معرفة الكون وخالقه ، والنفس وهداها يقول ابن عطاء الله السكندرى هذه الكلمة الحاسمة :

« لا ترحل من كون الى كون فتكون كحمار الرحى يسير والمكان الذى ارتحل اليه هو الذى ارتحل منه ، ولكن ارحل من الاكوان الى المكون « وأن الى ربك

المنتهى » (١) . وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم : فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » (٢) . فافهم قوله عليه الصلاة والسلام وتأمل فى هذا الامر ان كنت ذا فهم » .

يقول الله تعالى : « والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون . والارض فرشناها فنعم الماهدون . ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون . ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين . ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين » (٣) .

هذه آيات خمس ، الثلاثة الاولى منها وصفت الاكوان علوها ، وسفلها ، وما انبتت فيها من حياة وأحياء ..

والاثنتان الاخريان انتقلتا من الاكوان الى المكون فتحدثتا عن وجوده ثم توحيده .

ولفت الناس هنا الى الله ، جاء بصيغة عجيبة « ففروا الى الله .. »

وهذا الفرار انما يكون مما يحذر ويعاب .

والحق أن الانحصار فى الكون والاحتباس بين مظاهره فواحش عقلية ونفسية لا يرضاها أريب لنفسه ، بل ينفر منها أولو الالباب .

ان من له أدنى مسكة يعرف ــ من العالمين ــ رب العالمين ، ويعرف ــ من الاكوان ــ صاحب هذه الاكوان !!

ان هذا الملكوت الضخم الفخم من ودائع ذراته الى روائع مجراته شاهد غير مكذوب على أن له خالقا أكبر وأجل ..

انها لجهالة أن يغمط هذا الاله العظيم حقه ، وانها لنذالة أن يوجد بشر ينكره ويسفه عليه .

ولكن : « خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين » (٤) .

والعاقل ينظر فى الكون فيتعلم منه تسبيح الله وتحميده ، ويستنتج من قوانين الحياة وأحوال الاحياء ما يستحقه المولى الاعلى من أسماء حسنى ، وصفات عظمى ..

والناس صنفان ، صنف يعرف المادة وحدها ويجهل ما وراءها ، ولا نتحدث الآن مع هؤلاء .. فقد ذكرنا نبأهم فيما مضى .

وصنف مؤمن بالله مصدق بلقائه ، ولكنه هائم فى بيداء الحياة ، ذاهل وراء مطالب العيش ، مستغرق المشاعر بين شتى المظاهر ، فهو لا يكاد يتصل بسر الوجود ، أو يتمحض لرب العالمين .

ومع هذا الصنف المؤمن نقف لنرسل الحديث ..

هناك قوم لا تخلص لله معاملاتهم ، بل هى مشوبة بحظوظ النفس ورغبات العاجلة ، وهؤلاء لن يتجاوزوا أماكنهم ما بقيت نياتهم مدخولة ، حتى اذا شرعت افئدتهم تصفو بدءوا المسير الى الامام .

وهناك قوم يعاملون الله وهم مشغولون بأجره عن وجهه أو بمطالبهم منه عن الذى ينبغى له منهم ، وهؤلاء ينتقلون عن انفسهم من طريق ليعودوا اليها عن طريق أخرى .

انهم مقيدون بسلاسل متينة مع انانيتهم فهم يسيرون ولكن حولها ، لو حسنت معرفتهم بالله ما حجبتهم عنه رغبات مادية ولا معنوية ، بل لطغى عليهم

الشعور به ، وبما يجب له ، وتخطوا كل شيء دونه ، فلم يهدأوا الا في ساحته ، ولم يطمئنوا الا لمـا يرضيه هو جل شأنه ، على حد قول أبى فراس :

فليتك تحلو والحيـاة مريرة وليتك ترضى والانام غضـاب
وليت الذى بينى وبينك عامر وبينى وبين العـالمين خراب
اذا صح منك الود فالكل هين وكل الذى فوق التراب تراب

وابن عطاء الله يرى أن العامة يترددون بين مآربهم ، كحركة بندول الساعة لا تتجاوز موضعها على طول السعى ، أو هم على حد تعبيره كحمار الرحى ينتقل من كون الى كون ، والمكان الذى ارتحل اليه هو الذى ارتحل منه .

والواجب على المؤمن أن يقصد وجه الله قصدا ، وأن يتفصى تفصيا عن الوف الاربطة التى تشده الى الدنيا ، وتخلد به الى الارض !!

ومن خدع الحياة أن المرء قد يعمل لنفسه وهو يحسب انه يعمل لله ، ولو وضعت بواعثه الكامنـة تحت مجهر مكبر لاستبان أن كثيرا من دواعى غضبه وسروره وتعبه وراحته ، يصلها بوجه الله خيط واه ، على حين تصلها بحظوظ النفس حبال شداد .

وهنا الخطر المخوف ، ان الهجرة اذا كانت لله فقد مضت وقبلت ، والا فالامر كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « من هاجر الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » .



والشعور بوجود الله ليس أمرا يتكلف له الانسان شيئا ، انه شـعور بالواقع !!

قد يكون لـك حبيب مسافر مثلا فأنت اذا اشتقت اليه تتخيل صورته ، وتحاول الانس بالوهم عن الحقيقة .

ولكن الشعور بالله ليس تقريبا لبعيد ولا تجسيدا لوهم ، انه شعور بالواقع الذى يعد تجاهله باطلا ، كشعورك مثلا — وأنت فى البيت — بأنك فى البيت ، أو شعورك — وأنت فى القطار — بأنك فى القطار . .

انه الواقع الذى لا معدى عن الاعتراف به ، وبناء كل تصرف على أساسه .
ان الالوهية لا تفارق العباد لحظة من ليل أو نهار ، ومن ثم فان الغفلة عن الله غفلة عن الحق المبين .

واذا كان الاعمى يعجز عن رؤية الاشياء فان الاشياء لم تزل فى مكانها لأن عينا كليلة لم تتبينها .

واذا كان الناس مذهولين عن الحق المصاحب لهم المحيط بهم ، فذلك عمى تعود عليهم وحدهم معرته .

وقد كثر القرآن الكريم من اشعار الناس بهذه المعانى ، وصاح بهم وهم يفرون عنهـا ، الى أين ؟ « فأين تذهبون ؟ » أين المذهب « والله من ورائهم محيط » .

قال تعالى : « هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم .

هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلمما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير » (٥) .

هو بصير بما نعمل ، وهو معنا حيثما كنا ! الا تعين هذه الحقائق على صدق المعرفة وحدة الشعور بوجوده واشرافه ؟

ثم الا يدل ذلك على أن ذكرك لله ليس استحضـــارا لغـــائب ؟ انما هو حضورك أنت من غيبة ، وافاقتك أنت من غفلة !!

ولا بد هنا من توكيد التفرقة بين وجود الله ووجود العالم ، فان بعض الناس يستغلون المعانى التى شرحناها للبس الحق بالباطل .

ان وجود الله مغاير لوجود سائر المخلوقات ، وهذا العالم منفصل عن ذاته جل شأنه انفصالا تاما .

وقد تسمع بعض الفلاسفة أو بعض المتصوفين يقول : انه يرى الله فى كل شىء .

وهذا التعبير صحيح ان كان يعنى انه يرى آثاره وشواهده .

اما ان كان يعنى وحدة الخالق والمخلوق ، أو وحدة الوجود كما يعرف الكذبة ، فالتعبير باطل من ألفه الى يائه ، والقول بهذا كفر بالله والمرسلين .



ووصف الاحاطة الالهية فى هذا المجال وسيلة لا غاية ، وسيلة لتصحيح النية والجهد والهدف ، واهابة بالانسان أن يدير نشاطه البدنى والعقلى على مرضاة الله وحده .

وليت الناس يسعون فى هذا الطريق بنصف قواهم ! لو أن امرءا حاول استرضاء الله بنصف الجهد الذى يبذله فى كسب المال ، أو التمكين فى الارض لقطع مرحلة رحبة فى طريق الارتقـــاء الروحى والخلقى ، ولو أن امرءا كره الشيطان ووساوسه بنصف الشعور الذى يكره به الآلام ، والخصوم لنال من طهر الملائكة حظا .

ان الله قد يقبل نصف الجهد فى سبيله ، ولكنه لا يقبل نصف النية .
اما ان يخلص القلب له ، واما أن يرفضه كله .

وقد أسلفنا القول أن الإنسان قد تحتل قلبه مقاصد شتى هى التى تبعثه على الحركة والسكون ، وعلى الرضا والسخط ، وأن هذه المقاصد تنبعث عن أنانيته لا عن ايمانه بربه ، وابتغائه ما عنده .

والعلماء المربون يطاردون هذه المقاصد المتسللة الى القلب ، ويمنعونها أن تثوى فيه ، ولا يتوانون فى مطاردتها حتى تخفى ويطهر القلب منها .

ذلك أن الاسلام دقيق جدا فى تقويم العمل بالنية الباعثـــة عليه والغاية المصاحبة له ، فمن لم يكن الله وجهته فى هجرته فلا عمل له ولا خير فيه .

فى الحياة الآن الوف من المدرسين والاطباء والمهندسين والضباط والعمال والتجار والموظفين .. الخ يزحمون ظهر الارض بحركة واسعة المدى ، فأما ما كان للتكاثر والتظاهر فسوف يلصق بالتراب ، وربما بقى لصاحبه طول حياته ، وربما افتقده قبل أن يموت ، وأما ما كان لله فهو مبارك الثمر ممتد الاثر ، ان البقاء لما قصد به رب السماء « من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب (٦) .



ونعود الى الصنف المسجون بين عناصر المادة لا يعرف غيرها ، انه ينتقل من عنصر الى عنصر ، وينسب مادة الى مادة ، ويجحد ما بعد ذلك .

وقد ناقشنا هؤلاء ، ودحضنا ما ساقوا من شبه ، ونريد هنا كشف الستر عن بعض دعاوى القوم .

ان وصف الايمان بأنه حركة رجعية ، والالحاد بأنه حركة تقدمية وصف كاذب ، فالكفر قديم قدم الغرائز الخسيسة ، والافكار السفيهة ، وتاريخ الحياة يتجاور فيه الخير والشر ، والصلاح والفساد ، فمن قال : ان الايمان طبيعة أيام مضت وانتهى دورها ، وان الكفر يجب أن يفسح له الطريق فهو دجال ..

كذلك وصف الايمان بأنه حركة فكر محدود ، والالحاد بأنه حركة عقل ذكى أووصف الايمان بأنه منطق الدراسة النظرية ، والالحاد بأنه منطق الدراسة العلمية والبحوث الكونية ، هذا كلام خرافى لا حرمة له ، فان جمهرة كبرى من قادة العلم الكونى والدراسات الحيوية يؤمنون بالله ، ويرفضون الزعم بأن الكون خلق من غير شىء .

والواقع أن الالحاد يعتمد على الظنون والشائعات ، لا على اليقين والبراهين ، وأنه لم يثبت فى معمل أو مختبر بأن الله غير موجود ، وكل ماهنالك أن الماديين نسبوا لغير الله من النظام والابداع ما لا تصح نسبته الا لله .

ووراء هذا النسب المنتحل ساروا ، وأيديهم خالية من اى يقين ، بل هم كما وصف القرآن الكريم « وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون (٧) » .

أما الدلائل التى تغرس الايمان فى القلوب ، عن طريق التفكير السليم فى هذا الكون الكبير فهى قائمة ناهضة .

---

(١) النجم : ٤٢
(٢) البخارى
(٣) الذاريات من ٤٧ الى ٥١
(٤) النحل : ٤
(٥) سورة الحديد : ٣ ، ٤
(٦) سورة الشورى ٢٠
(٧) سورة يونس : ٣٦

نقد ودراسة

لكتاب

المصاحف

لابن أبي داود

للشيخ : محمد صادق عرجون

كتاب « المصاحف » لابى بكر عبدالله بن أبى داود السجستانى أحد كتب كثيرة فى موضوعه ، وبعضها مسمى باسمه ، وقد ذكر منها الدكتور المستشرق « آرثر جفرى » فى مقدمته لكتاب ابن أبى داود أحد عشر كتابا ، وقال : ولـم يصل الينا من هذه الكتب الا كتاب « المصاحف » لابن أبى داود .

وهذه الكتب كانت معروفة عند جمهور العلماء المشتغليـن بالبحـوث القرآنية ، وكانت متداولة بينهم ، ووصل منها كثير الى عصر « جلال الدين السيوطى » باعتبارها مراجع فى موضوعها ، وقد ذكر السيوطى بعضها فى مقدمة كتابه « الجامع » المسمى « الاتقان فى علوم القرآن » فى ضمن ما أتيح له النظر فيه حين تأليفه كتابه « المشحون » وذكر منها كتاب « المصاحف » لابن أبى داود ، وهو هذا الكتاب الذى نكتب عنه هذا البحث فى نقده ودراسته لبيان ما فيه من زيف وأباطيل .

وهو كتاب اعتبر من كتب التراث الاسلامى ، ومرجعا من مراجع المؤلفين

فى علوم القرآن وفنونه ، وقد استغله وأمثاله كتاب المستشرقين استغلالا شنيعا .

وقد عاش ابن أبى داود فى القرن الثالث الهجرى الذى ألف كتابه فيه ، وهو قرن كان يموج بالمذاهب والنزعات ونحل الفرق ، وآثار الفكر الغريب عن الاسلام فى أسلوبه وموضوعاته الى جانب النهضة العلمية الاسلامية التى بلغت فى هذا القرن مبلغا كانت أساسا لجميع الدراسات التى جاءت بعده .

وكتاب « المصاحف » لابن أبى داود يجرى فى طريقة بحثه وأسلوبه على طريقة القدامى من جامعى الآثار ، تلك الطريقة التى تعتمد على الرواية والنقل أكثر مما تعتمد على التحليل والاستنباط ، فهو من هذه الناحية صورة من صور التأليف تمثل فى تاريخ « الثقافة » الاسلامية مرحلة من مراحل التأليف فيما يختص بعلوم القرآن وفنونه ، وما يتعلق به .

ومن هنا يمكن « وزن » قيمة الكتاب التاريخية ، وهو الى جانب ذلك يعطى القارىء صورة من البحث فى جمع القرآن وكتابة مصاحفه ، واختلاف مصاحف الصحابة قبل المصحف الامام ، وكذلك بالنسبة للقراءات وتاريخها وروايانها ورواتها وخط المصحف الى جانب مسائل أخرى فرعية تتعلق بالمصحف عنى بذكرها ابن أبى داود فى كتابه مما قد يضفى عليه أهمية تاريخية .

بدأ ابن أبى داود كتابه « المصاحف » بباب جعل عنوانه **(من كتب الوحى لرسول الله)** صلى الله عليه وسلم وهو عنوان يعطى القارىء بالنظر المجرد أن المؤلف سيتحدث عن النفر الذين عرفوا فى تاريخ الوحى من بين الصحابة بكتابة الوحى ، وسموا فى السيرة النبوية (كتاب الوحى) وهم كما ذكرهم بأسمائهم وأنسابهم مؤلفو فى السيرة ومترجمو الصحابة فى كتب المناقب وغيرها ــ أكثر من ثلاثين رجلا ، وممن ذكر أكثرهم شمس الدين بن القيم فى كتابه العظيم (زاد المعاد) وقد زاد عليه القسطلانى فى المواهب عديدا منهم .

ولكن ابن أبى داود صاحب هذا العنوان فى كتابه « المصاحف » لم يذكر فى هذا الباب من « كتاب الوحى » المعروفين سوى زيد بن ثابت ، وروى فى شأنه حديثين ، أحدهما فى تعلمه السريانية بأمر النبى صلى الله عليه وسلم ، ليقرأ له كتبا تأتيه بلسانها ، وثانيهما فى اجابة نفر طلبوا منه أن يحدثهم بعض حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحدثهم زيد بأنه كان جار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان اذا نزل الوحى أرسل اليه فكتب الوحى ، ثم حدثهم عن بعض شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته مع أصحابه يشاركهم كأحدهم فى حديثهم ، اذا ذكروا الآخرة ذكرها معهم ، واذا ذكروا الدنيا ذكرها معهم ، واذا ذكروا الطعام ذكره معهم ، فهو واحد منهم ، لا يتميز فى عشرته معهم عن أحد منهم .

ــ ثم ماذا ؟ ثم وثبة الى الخلف هوى بها ابن أبى داود الى ذكر قصة خرافية ، لا تعدو أن تكون اسطورة من أباطيل الوضاعين ، فهى لا تثبت أمام البحث العلمى الذى عرفه المسلمون فى أسانيد الروايات وتمحيص رجالها ،

ولا تثبت للبحث العلمى الجديد الذى اصطنعه المستشرقون من أساتذة آثر جفرى الذين زعموا أو زعم لهم أنهم أعادوا دعائمه على التنقيب والتحليل ، واعتبار المتن الملائم للزمان والمكان وظروف الاحوال ولو لم يكن له سند أو كان له سند ضعيف أو باطل ، واهدار السند ولو كان متواترا .

ـــ ذلك أن هذه القصة الخرافية تذكر (رجلا) مجهولا كان يكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتذكر من شأن هذا الرجل فى كتابة الوحى أنه كان يتعمد الخيانة فى الكتابة فاذا أملى عليه النبى صلى الله عليه وسلم (سميعا بصيرا) كتب سميعا عليما) ـــ واذا أملى عليه النبى صلى الله عليه وسلم (سميعا عليما) كتب (سميعا بصيرا) وهذه الصيغة (كان اذا أملى عليه) تفيد أن ذلك الصنيع دأبه وديدنه عامدا متعمدا ، فهو صنيع يصدق بما فوق المرة والمرتين والثلاث وأكثر من ذلك ، وهنا يثب سؤال فى خاطر كل من يقرأ هذه القصة الخبيثة وذلك السؤال هو : هل كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلم بتلاعب هذا الكاتب الذى ـــ استكتبه وحى الله اليه ؟ ـــ ورواية ابن أبى داود لا تجيب على هذا السؤال بصراحة ا ولكنها تذكر من حال هذا الرجل المجهول الذى خان الله ورسوله فى أمانة الوحى أنه كان ممن طال به الزمن حتى قرأ قرآنا كثيرا ، والنبى صلى الله عليه وسلم يستكتبه الوحى وهو يتلاعب به فيكتب غير ما يمليه عليه ، فاستمرار النبى صلى الله عليه وسلم فى استكتاب هذا الرجل المجهول وائتمانه مع خيانته يحمل فى طياته احدى الكبر التى تهدم الثقة فى الوحى من أساسه ، لانه ان كان يعلم بحاله وسكت عنه ، فذلك أشنع ما ينسب الى نبى من الانبياء ، وهو ما لا يقوله مسلم ، وكيف وان صح فماذا بقى للنبوة ؟ وان لم يكن يعلم حاله فكيف يوثق بسائر الوحى وهذا حال كاتبه ؟

ويمضى ابن أبى داود فى قصته ، فيقول ان هذا الرجل المجهول فقد الثقة فى دين الاسلام ، لانه عبث أو تعابث بوحيه ، ولم يجد من يرده عن هذا العبث اللعين ، فتنصر الرجل وخرج الى الناس بنصرانيته يقول لهم : ان محمدا استكتبنى وحيه فكنت أكتب ما شئت عنده ، ولم ينكر على شيئا من ذلك على طول ما مكثت عنده فى ظل دينه أكتب له غير ما يملى على واتعابث به وبوحيه .

ولكن يظهر أن واضع هذه القصة كان حصيفا حصافة بلهاء تغلب عليه الغفلة البليدة ، فقد اكتشف أخيرا أن ذلك شىء لا يصح أن يمضى هكذا دون أن تكون له خاتمة مدهشة فى غرابتها فاخترع هذه الخاتمة : قال فمات ـــ أى الرجل المجهول ـــ فدفن فلفظته الارض ثم دفن فلفظته الارض ـــ ثم خاف واضع هذه القصة التافهة أن أبسط العقول تأبى تصديق هذا الزعم السخيف فأراد أن يجعل من شهادة الحس مصدقا لها ـــ فذكر ابن أبى داود أن أبا طلحة قال : فأنا رأيته منبوذا على وجه الارض ـــ ولكن ابن أبى داود لم يذكر لقرائه عمن وصل اليه خبر أبى طلحة ؟ كما لم يذكر ، هل دفن الرجل بعد ذلك وقبلته الارض فى بطنها ؟ أو ظل منبوذا على ظهرها ؟ وهل بقى سليما معافى فى جسده كما نجى الله فرعون ببدنه ليكون لمن خلفه آية ؟ أو تخطفته السباع الجائعة ؟

هذا عبث ما كان ينبغى أن يدون فى كتاب ، بله كتابا فى المصاحف ، وحديثا عن الوحى ولكن ابن أبى داود مؤلف كتاب « المصاحف » يبدو أنه لا يبالى بشىء أمام تكثره فى الروايات واغرابه ، ولو كانت تلك الروايات تهدم أصول النبوة ، وتنقض دعائم الرسالة ، وتقدم لاعداء الاسلام أفتك الاسلحة للتقول عليه والصد عنه ، والرجل أمام حبه للاغراب فى الروايات يخلط بين روايات من هنا وروايات من هناك ، فيعمد الى رواية جاءت على ألسنة قصاص السيرة برواية جاءت على ألسنة بعض المفسرين فى معان مختلفة ، وأشخاص متعددة ، وأزمان متباعدة ويجعل منها قصة واحدة فى رواية واحدة ، وهو هنا يجىء بقصة ذكرها الطبرى وغيره من المفسرين عن رجل يدعى « محلم بن جثامة » بعثه النبى صلى الله عليه وسلم ــ كما تقول الرواية ــ مبعثا ، فلقيهم عامر بن الاضبط ، فحياهم بتحية الاسلام ، وكانت بينهم احنة فى الجاهلية ، فرماه (محلم) بسهم فقتله ، فجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء (محلم) فى بردين ، فجلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم (لا غفر الله لك) فقام (محلم) وهو يتلقى دموعه ببرديه ، فما مضت ساعة حتى مات ودفنوه فلفظته الارض ، ثم دفنوه فلفظته الارض ، فجاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكروا له ذلك فقال صلى الله عليه وسلم (ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ، ولكن الله جل وعز أراد أن يعظكم) ثم طرحوه بين صدفى جبل وألقوا عليه الحجارة .

فهذه قصة الرجل الذى تقول الرواية ان الارض لفظته بعد دفنه فيها ، وليس فى رواية من رواياتها رائحة تصلها بكتابة الوحى ، والتقول على اللــه فى كتابه ما لم يقله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى عبث خبيث .

ومن الانصاف لابن أبى داود أن يذكر له أن موضوع قصة رجل كان قد كتب من الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأملى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم آيات فى أطوار خلق الانسان حتى انتهى الى آخر طور منها فى ابداع الله له نطق بالفاظ أربعة فى جملة تثنى على الله بما هو أهله ، وهذه القصة مذكورة فى السيرة ، وفى بعض كتب التفسير ، وهى قصة تسند فى بعض رواياتها الى عبد الله بن أبى سرح العامرى ، أسلم واستكتبه النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم ارتد ولحق بالمشركين (ولم ينتصر) وكان سبب ردته ــ فيما قيل انه لما نزلت آية (المؤمنون » التى يذكر فيها أطوار خلق الانسان (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) دعاه النبى صلى الله عليه وسلم فأملاها عليه ، فلما انتهى الى قوله (ثم أنشأناه خلقا آخر) عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال (تبارك الله أحسن الخالقين) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هكذا أنزلت على) فشك عبد الله حينئذ ، وقال : لئن كان محمد صادقا لقد أوحى الى كما أوحى اليه ، ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ، فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ، وأنزل الله تعالى فى شأنه ــ كما يقول بعض المفسرين ــ وشأن أمثاله ممن يتشبث ببعض ما يسوق اليه معنى الكلام وجوه العام والخاص من كلمات يختم بها سياق قصة عجيبة فى بيان عظمة الله وابداعه والثناء عليه (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شىء ومن قال سأنزل مثل ما أنزله الله) وليس

فى روايات قصة ابن أبى سرح أو قصة كاتب وحى خيط عنكبوت يصلها من قريب أو بعيد بقصة رجل لفظته الارض بعد دفنه فيها .

والحذاق من النقدة المهرة قد زيفوا الرواية التى تسند هذه القصة التى ورد فيها تكلم من سمع خلق الانسان وأطوار أبداعه بما ختمت به آيات ذلك الخلق الى عبد الله بن أبى سرح ، لانها تتكىء على الكلبى فى سندها ، والكلبى زائف عند أئمة الجرح والتعديل ، والرواية الصحيحة تسند الموافقة فى انزال قوله تعالى (فتبارك الله أحسن الخالقين) الى المحدث صاحب الموافقات القرآنية الثابتة فى أكثر من موضع الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ففى مسند الطيالسى عن عمر رضى الله عنه قال : لما نزلت (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) قلت أنا : فتبارك الله أحسن الخالقين ، فنزلت : (فتبارك الله أحسن الخالقين) .

وأخرج ابن أبى حاتم من طريق جابر الجعفى ، عن عامر الشعبى عن زيد ابن ثابت أن الذى قال (فتبارك الله أحسن الخالقين) أثر سماعه لآيات خلق الانسان وابداعه فى أطوار مختلفة انما هو (معاذ بن جبل) وقد زيف هذه الرواية ابن كثير فى تفسيره ونقدها نقدا فنيا فقال : قال زيد بن ثابت : أملى على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ــ الى قوله ــ خلقا آخر) فقال معاذ بن جبل : (فتبارك الله أحسن الخالقين) فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له معاذ : مم تضحك يا رسول الله ؟ فقال (بها ختمت . فتبارك الله أحسن الخالقين) قال ابن كثير : وفى اسناده جابر الجعفى ضعيف جدا ، وفى خبره هذا نكارة شديدة ، وذلك أن هذه السورة مكية ، وزيد بن ثابت انما كتب الوحى بالمدينة ، وكذلك اسلام معاذ بن جبل انما كان بالمدينة أيضا ، فالله أعلم .

وفى روايتى عمر ومعاذ لم يذكر الرواة أنهما أو أحدهما شك فى صدق الوحى وزعم أنه قال قرآنا قبل انزاله ، لانه معلوم بداهة أن أربعة الفاظ تؤلف جملة تختم بها آية سيقت فى بيان أمر عجيب فى ابداع الله وخلقه ، يسوق اليها روح الكلام وسياقه لا تبلغ أن تكون انزالا بمثل ما أنزل الله مما يوجب الشك والارتياب فى الوحى وصحة النبوة ، ولهذا لم يقع التحدى بمثل هذا القدر ، وانما وقع بسورة ، وأقصر سور القرآن ثلاث آيات ، وبهذا القدر وقع التحدى فى بيان اعجاز القرآن .

والذين يسندون ردة ابن أبى سرح وشكه الى آية خلق الانسان من سورة (المؤمنون) ــ على ضعفهم وتهافت رواياتهم لا يعرجون فى شأنه على هذا الخلط والخبط الذى جاء به ابن أبى داود فى غرائبه المنكرة ، وهم ــ بعد ذلك ــ محجوجون بالرواية الصحيحة التى تسند الامر فى الموافقة الى عمر ابن الخطاب ، وهو باجماع الامة صاحب موافقات قرآنية بأكثر من هذه الجملة ، وتبقى قصة ردة ابن أبى سرح المرتبطة ــ فى رواية الضعفاء ــ بآية خلق الانسان هى مخرج قصة ابن أبى داود التى ذكرها تحت عنوان (من كتب الوحى لرسول الله) وذكر فيها كاتب الوحى المجهول الذى لفظته الارض بعدما دفن

فيها ، بما زاد فيها من التهافت من نبذ الارض وتنصر الكاتب المجهول ، لا يقبلها الا من رمى بعقله وقلبه وايمانه فى أحشاش الكنائس المهجورة .

ويسوق الطبرى قصة عبد الله بن أبى سرح فى شكه وردته مساقا يقربها من قصة الرجل المجهول الذى كتب من الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وعبث ما شاء له العبث فى سياق ابن أبى داود فى جملتها ، وذلك فى روايتين، احداهما عن عكرمة مولى ابن عباس ، والاخرى عن السدى ، فأما التى عن عكرمة فقوله (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، أخى بنى عامر بن لؤى ، كان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم ، وكان فيما يملى (عزيز حكيم) فيكتب (غفور رحيم) فيغيره ثم يقرأ عليه (كذا وكذا) لما حول ، فيقول (نعم سواء) فرجع عن الاسلام ، ولحق بقريش .

وأما التى عن السدى فقوله (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شىء) الى قوله : (تجزون عذاب الهون) قال : نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، أسلم وكان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم ، فكان اذا أملى عليه (سميعا عليما) كتب هو (عليما حكيما) واذا قال (عليما حكيما) كتب (سميعا عليما) فشك وكفر ، وقال : ان كان محمد يوحى اليه ، فقد أوحى الى ، وان كان الله ينزله فقد أنزلت مثل ما أنزل الله . وليس فى واحدة من الروايتين ما خلط به ابن أبى داود من قصة الرجل المجهول الذى لفظته الارض بعد دفنه .

وقد ذكر الطبرى فى مقدمة تفسيره رواية عن سعيد بن المسيب موقوفة عليه فى قوله تعالى (انما يعلمه بشر) شبيهة بعض الشىء برواية ابن أبى داود عن رجله المجهول الذى كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن المسيب : ان الذى قال : (انما يعلمه بشر) هو كاتب الوحى الذى افتتن (من هو ؟) وانما افتتن أنه كان يكتب الوحى ، فكان يملى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (سميع عليم) أو (عزيز حكيم) أو غير ذلك من خواتم الآى ، ثم يشتغل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الوحى ، فيستفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول (أعزيز حكيم) أو سميع عليم) أو (عزيز عليم) ؟ فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم (أى ذلك كتبت فهو كذلك) ففتنه ذلك ، فقال : ان محمدا وكل ذلك الى فأكتب ما شئت . وهذه رواية لا تقوم على ساق ، ويجب ردها وعدم قبولها لانها تسند الى النبى صلى الله عليه وسلم أمرا عظيما خطره ، وذلك فى قول الرواية على لسان النبى صلى الله عليه وسلم (أى ذلك كتبت فهو كذلك) والمتأمل فى هذه الكلمة يراها متهافتة تهافتا يجب أن ينزه عنه مقام الوحى والنبوة ، والا فكيف يكون (عزيز حكيم) فى معناه وحقيقة وصفه الالهى هو عين (سميع عليم) فى معناه وحقيقة وصفه الالهى ، والبداهة العقلية حاكمة باختلاف معانى وحقائق النعوت الالهية .

هذا . وقد ذكر السيد رشيد رضا فى تفسيره المنار روايتى الطبرى عن عكرمة والسدى ، وعلق عليهما ناقدا فقال : وهاتان الروايتان باطلتان ، فانه ليس فى شىء من السور المكية (سميعا عليما) ولا (عليما حكيما) ولا (عزيزا حكيما) الا فى سورة لقمان ، والمروى عن ابن عباس أنها نزلت بعد الانعام ،

وأن الآية التى ختمت بقوله (عزيز حكيم) منها وثنتين بعدها مدنيات ، وهذا نقد فنى محكم ، نضعـــه فى نحر أصحاب المنهج الجديد فى البحث المعتمد عـــلى التنقيب والتحليل واعتبار المتن فى النصوص مع ملاءمة الزمان والمكان وظروف الاحوال ، دون نظر الى السند ولو كان متواترا على ما يقولـــه المستشـــرقون وتلاميذهم الذين عبر عن أفكارهم الدكتور (آثر جفرى) فى مقدمتـــه لكتـــاب « المصاحف » .

معذرة ؟؟ لقد أطلت الوقوف مع ابن أبى داود فى أول باب من أبواب كتابه (المصاحف) بل أول صفحة من صفحات أول طبعة أخرجها الدكتور (آثر جفرى) لهذا الكتاب ، ومرة أخرى معذرة ؟؟ لانى مع اطالة هذه الوقفة لم استوف ما فى هذا الباب من مآخذ ، لان ابن أبى داود وضع لهذا الباب عنوانا ضخما ، وكان يتوقع منه أن يتحدث عن كتاب الوحى ، يستقصيهم ، ويذكر تراجمهم وأسانيدهم الصحيحة ، وما تميز به كل واحد منهم ، وما اختص به من الموضوعات ، فمنهم من كان كاتب وحى القرآن ، ومنهم من كان كاتب رسائل الملوك والرؤســـاء ، ومنهم من كان يكتب المعاهدات ووثائق الصلح ، وهم عدد غير قليل ، فقد بلغ بهم بعض المؤلفين فى السيرة الى أكثر من ثلاثين رجلا ، فيهم الخلفاء الراشدون ، روى الطبرى فى فضائل عثمان بن عفان رضى الله عنه عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : ان رسول الله صلى الله عليـــه وسلم لمسند ظهره الى وان جبريل ليوحى اليه القرآن ، وانه ليقول (اكتب يا عثيم) وروى البيهقى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس ، جلس أبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره ، وعثمـــان بين يديه ، ــ وكان كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لكن ابن أبى داود اكتفى بصفحـــة واحدة سود بهـــا بياض هذا الباب ، وأعطى لزيد بن ثابت ، وهو الفحل لا يجدع أنفه ــ نصفها ، ولكاتبه المجهول الذى لفظته الارض بعد دفنه نصفها الآخر ، فكانت قســـمة هذه الصفحة بين الرجلين ، أخص الناس بكتابة الوحى فى جميع موضوعـــاته ، وألزمهم لذلك ، وقد أثبت ابن أبى داود فى نصف هذه الصفحة أن زيدا كان جارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان اذا نزل الوحى أرسل اليه فكتب الوحى ، وهو جامع مصحف الأمامين الصديق وذى النورين ، وبين رجل مجهول ، يقول عنه ابن أبى داود انه ارتد وتنصر ، ومات فلم تقبله الارض فى بطنها ، وانها لتقبل شر جيفة لأخس حيوان مشى عليها ــ كانت هذه القســـــمة كقسمة مسيلمـــة الكذاب الارض بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه نصفين ، ونحن اقتداء بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رده على مسيلمة قسمته بقوله (ان الله يورثها من يشاء من عباده) نقول : ان التاريخ وقضايا العلم الاسلامى بيد الله ، يلقيها على لسان وقلم من يشاء من عباده ، وحسب زيد بن ثابت شهادة الشيخين : الصديق والفاروق رضى الله عنهما فى حديث البخارى فى قولهما لزيد : (انك شاب عاقل ، لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم) .



نظرات



في الأدب والعربية والقرآن

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

المدرس بجامعة دمشق

بين هـذه العناصر الثلاثة تفاعل مستمر ، ما فى ذلك شك .

فعمق الدراسة فى العربية ، يورث اهتماما أكثر بالأدب العربى ومقوماته ، وكل منهما يحمل صاحبه على مزيد من الاهتمام بالقرآن والتقدير له والاستفادة منه ، ويستتبع ذلك الاطلاع على مزيد من دلائل روعته واعجازه وتذوق قدر أكبر من فنونه الجمالية المختلفة .

فاذا شغف الرجل بالقرآن هذا الشغف ، رده شغفه الى مزيد من البحث فى العربية وآدابها ، يتلمس قيمها ويستظهر فنونها ، بما كان قد أورثه القرآن اياه من الذوق البيانى الرفيع .. ولا يزال هذا الباحث يستجلى فى خصائص أحد هذين العنصرين مزيدا من خصائص العنصر الآخر ، حتى يسمو به النظر الى ذلك الشأو الباسق البعيد الذى يمضى فيه مظاهر البيان القرآنى واعجازه الى غير نهاية ، وعندها ينقلب النظر خاسئا وهو حسير ، ليقف عند الحد الذى وقفت عنده قدرات البشر وامكانه ، وقد أيقن ان هذا البيان الخارق ما ينبغى أن يكون الا من كلام خالق البيان ...

والضعف فى العربية وعلومها ، يورث مثل ذلك فى الأدب ومباحثه ، والضعف فى كل منهما يحمل صاحبه على مزيد من التبرم والجهل بالقرآن ، اذ كان مفتاح القرآن تذوقا وفهما انما هو العربية وآدابها .

ويستتبع ذلك غموض ما يتسم به القرآن من روعة واعجاز ، فلا يفهم منه هذا الرجل البعيد عن العربية وآدابها الا أنه كلام كسائر الكلام ، ولا يلمس فى صوغه وبيانه أى دلالة تكشف عن أنه من كلام خالق البشر وليس من كلام أحد سواه ..

ليس فى هذه الحقيقة أى خفاء ، ولا أظن أن أحدا من الباحثين يتمارى فيها .

ومع ذلك فانها لا تحظى لدينا بأى اهتمام ، وانما هى تحظى (وهذا أمر مؤسف للغاية) باهتمام دعاة (التغريب) الذين يمارسون عداوة أصيلة للقرآن ، ومن ثم يمارسون معاداة لغته وآدابه .

أما عداوتهم للقرآن ، فلست بحاجة الى تأكيدها واعادة الحديث عن أدلتها ، ولا أظن ان أحدا من عامة المثقفين يطالبنى بأى برهان عليها ، والذين يعلمون خبر هذه العداوة يعلمون سرها واسبابها .

وأما معاداتهم للغة العربية وآدابها ، فربما اتخذت سبيلا خفيا لا يدركه من لم يستبطن الامور ويتجاوز عناوينها وشعاراتها المكشوفة .

ولعل من الخير ان نكشف عن هذه السبيل ، وان كانت فى حقيقتها سبيلا مكشوفة لا تغيب عن أى باحث اسعفه الحظ بشىء من الوعى والفهم .

ان قطع الطريق الى القرآن وتبصر قيمه يتمثل فى الكيد لكل من الأدب العربى واللغة العربية ويتجسد هذا الكيد فى المظاهر التالية :

أولا — فى ميدان الأدب :

تعتمد خطوات هذا الكيد على غاية أساسية كبرى ، هى تجريد الأدب العربى عن مضمونه الطبيعى المتفق مع طبيعة اللغة العربية ، وحشوه بمضامين أخرى لا علاقة لها بشىء من العربية أو فلسفتها أو قيمها الجمالية المختلفة .

والأدب العربى فى حقيقته انما هو تأريخ الكلمة العربية وتقويمها ، ثم السعى بها الى عرض جميع القيم الفكرية والانسانية المختلفة فى مراتبها .

والأدب بعبارة أخرى ، انما هو شحذ اللسان العربى وتقويمه ثم التعبير به عن كل ما يشيع بين الناس من أفكار وعواطف ووجدان سواء أكان ذلك على سبيل النقد أم الوصف المجرد .

ويتمثل سبيل هذا التجريد فى الخطوات التالية :

أ — سلخ الأدب العربى من اطاره الاخلاقى . والاطار الاخلاقى لادبنا العربى حقيقة قائمة لا ينكر نسجه تاريخنا الحافل الطويل مع ما نسجه من القيم الادبية ذاتها ، والحديث عن أحدهما يستلزم الحديث عن الآخر السلوكية مجتمعتا ضوابط وقيود آمن بالحديث عن فكرة ، وللافكار والقيم السلوكية فى مجتمعنا ضوابط وقيود آمن بها المجتمع ايمانا راسخا لا تبعية فيه ولا تقليد ، فلا بد أن يكون لسان الأدب ترسيخا لهذه الضوابط وتأكيدا لأهميتها .

وسبيل سلخ الأدب من هذا الاطار هو ترويج الدعوة الى ما يسمى بالأدب للادب وهى دعوة غريبة تقوم على دافع الانطلاق

من كل ضابط وحد وقيد ، وهى تريد ان تستعين بالأدب تزويقا لها وتحبيبا بها وتهوينا من أمر الهمجيـة التـى تتراءى فى تضاعيفها .

وليس أرباب هذه الدعـوة ، فى الحقيقـة من الأدب فى شىء وليس لهم فيه لذاته أى مقصد أو أرب ، فهم اذا أبعد ما يكونون عن مـذهب : (الأدب للادب) وهم الصق ما يكونون بعكس هذا المذهب تماما ، اذ انهم يطلبون الأدب ترويجا لدعوة أخرى لا بد لها من طلاء يستر من سوئهـا ويحبب الناس بها .

على ان مذهب الأدب للادب مذهب وهمى لا حقيقة له ، فالأدب فى واقعه لا بد ان يكـون فى خدمة أى شىء آخر ، اذ هو لسان ينطق فى تحبيب ورشاقة ولا بد لهذا اللسان أن يختار موضوعا يتكلم عنه موجها أو ناقدا ، وهذا الموضوع لا بد أن يكون مما له أهمية وأثر فى المجتمع وتقويم علاقات الناس بعضهم ببعض ، وهو شىء يقوم على معايير وأسس مضبوطة معينة مهما كـان نـوع ذلـك المجتمـع وطابعه .

ب ــ سلخه عن القيم اللغويـة ودراساتها والتوسع فى ابحاثهـا ، مع العلم بان ذلـك يعتبر سلخا لـه عن أهم مقومات وجوده ، ومهما كان الأدب عند غير العرب من الغـربيين وأمثالهم بعيدا عن التأثير والاثر فى القيم الجمالية للغاتهم ، فانه عندنـا لشديد الاثر والتأثر باللغـة العربية وليس له أى جوهر ولاقيمة بعـد قطع هذه الصلـة بها أو توهينها . ان لغتنا العربية هى اللغة الوحيدة التى تمتاز باتساع عظيم فى متنهـا وافتتان عجيب فى أساليبها الدلالية انها اللغة الوحيدة التى تستطيع أن تسخر ثلاث كلمات منها لثلاثة معان مختلفة حسب تأليفك لتلـك الكلمات مع بعضها وترتيبها فى النسق ، ومن ثم فقد كان ثلاثة ارباع الجهد الأدبى فى هذه اللغـة منصرفا بطبعه الى فقه هذه الاساليب ودراسة ذلـك البحر الزاخر من الكلمات وفقهها .

أما اللغات الاخرى فان ضمورها من هذه الناحية على تفاوت بينهـا فى مقدار هذا الضمور ــ جعل آدابها بطبيعة الامر تنصرف الى العنايـة بناحية أخرى وهى الموضوع ولقد كان ان تولدت عن العناية المستمرة بتلك الناحية ، مذاهبهم وابتداعاتهم فيها من واقعية وخيالية ورمزى ومكشوف وغير ذلك .

ولقد كان من نتيجة هذا السلخ البطىء الذى يمكننا أن نقول عنه انه كاد أن يتم بنجاح ودون أى ضجيج ان الالفاظ العربية أصبحت على السنـة كثيـر من الادباء مسـخرة لمعان واصطلاحات أوربية ليس لهـا أى ارتباط بجوهر الأدب العربى فى أى عصر من تاريخـه .

ومن تتمة الخزى المخجل انك ترى الاديب فى كثير من الاحيان غائصـا الى قمة رأسه فى تحليل تلـك الاصطلاحات والمذاهب الغربية فى نشوة وطرب ، بينما العفونة اللغوية الظاهرة تتصاعـد من المادة الأدبية التى يتناول بها نقده وتحليله .

بل الأدب العربى عند كثير من أهله اليوم ليس الا تراجم للأدب الغربى يساق الى العربية كما هو ، أو يقتبس منه الهيكل الكامل ويرمم بعد ذلـك بكسوة ممزقـة من الافكار الأخرى .

ويعلم كل باحث لـــه نصيب من الوعى ، ان أدب كل أمة انمـــا هو المرآه التى تنعكس اليها ثقافتهـــا وطبيعتها ، الفكرية والاجتماعية ، لكل أمة من ذلـــك مالا تجده عند الامم الاخرى ، والفرق بين الثقافة والعلم ان الثقافة هى مجموعة الافكار التى نسجتها طبيعة البيئـــة المعينـــة ، أما العلم فهو الحقيقة الذاتية للأشياء من حيث هى اينما وجدت .

ولذلـــك فقد كان العلم هو وحده الفائدة القابلـــة للتصدير والاستيراد والاقتباس .

أمـــا الثقافـــــة فـــلا معنـــى لاقتباسهـــــا أو استيرادهـــــا كما هى ، الا اســـتيراد الاســـــتعمار والاستعباد الفـــــكرى والاجتماعى بابشع أشكالها ، وعندما تعمد أمة من الامم الى أدبها فتفرغه من محتـــواه الذى انعكس اليـــه من واقعهـــــا وتاريخها ثم تتخذ منه كيسا تملأ به ثقافات الامم الأخرى وأفكارها ، فانها بذلـــك لا تمد عنقها ذليلة الى طوق الاستعباد الفكرى فقط بل هى تقضى بالاعـــدام على نفسها بمقصلـــــة الاستعمار ...

جـ ــ القفز به الى خارج الدائرة العربية التى هى قاعدة الأدب العربى وروحه عن طريق الدعـــــوة الى ما يسمى (بالادب العالمى) ، وكلمة الادب العالمى قبة كبرى قائمـــة على سحابة من الوهم الكثيف ، وليس من وراء هـــذه السحابة الا حقيقة واحدة مخبوءة قلما تظهر ، الا وهى الترويج لشخصيات غربية معينة ، اقحامـــا لما عرفوا به من أفكار واتجاهـــات واعتقادات فى مجتمعنا وفرضه على واقعنا من أيسر طريق .

لا معنى للادب العـــالمى ، مادام الادب كما قلنا ، ليس الا مرآة صقيلة تنعكس اليها أفكار أمة معينـــــة من النـــاس ، ومهمـــا كـــان لاقطـــاب الادب العالمى من شهرة عالمية اطبقت الآفاق فان ذلك لا يعنى ان أفكارهم الادبية غـــدت بذلـــك أفكارا عالمية ، لست أقصد بهذا ان الادب العربى ينبغى ان يعيش فى عزلة لا يحس فيها مما يجرى حوله ولـــكنى أقصد ان الادب الغربى وغيره ، فى أى مظهر مـــن مظاهـــــره ، مـــــا ينبغـــى أن يفرض نفسه على الاخرين بامتياز (العالمية) وليس له الى أدب أى أمة من سبيل تحت هذا الشعار الوهمى الكبير .

انما هو فكر أدبى كغيره ينبغى أن يخضع للبحث والنقـــد ثم هو قد يكون بعد ذلك مجال استفادة أو محـــــل تحذير .

د ــ فصله وابعاده عن الشـــعر العربى الرصين ، وسبيل ذلك عندهم اقامة حواجز اصطناعية بينها مـــن الكلام المسمى بالشعر الحر .. أو الشعر الحديث .. أو الشـــــعر المنثور ..

وللشعر العربى الرصين أهميـــة كبرى فى دعم كل من الادب واللغـــة ذلك أنه اشهى ثمار كل منها وابقاها على مر الزمان وانما قيمة الشجرة ومدى أهميتها عندما تذوق من ثمارها وتجد لذة مذاقها ، وللشعر الرصين أثر كبير فى الافئـــدة والنفوس ، ذلك أعظم داع الى محبة اللغـــة العربية وادبها والى اقتحام السبل المختلفـــة لدراستها ، واتقانهـــا والمحافظـــــة عليها والدفـــاع عنها .

وليس أدل على ذلك من ان الحملة التى قادهـــا كل من سبيتا وويكلكس وكارل فورلروس ومجلة المقتطف ، على اللغة العربية الفصحى ما بين عـــام ١٨٨٠ وعام ١٨٩٠ داعين الى

استبدال العامية المصرية بها ، قام لها سوق كبير فى مصر وظهرت لها اصداء هنا وهناك ، ولكنها انما اختفت رغم ذلك كله بسبب ظهور شعراء فطاحل من أمثال اسماعيل صبرى ومحمود سامى البارودى ثم أحمد شوقى وحافظ ابراهيم فقد كان لشعر هؤلاء أبعد الاثر فى اذكاء محبة الفصحى فى الصدور والتعلق بها من جديد ونبذ كل دعوة تعارضها مهما كانت الحيلة والاسباب ، علم هذا كله من لا يريد خيرا باللغة العربية وكتابها العظيم ... فاتخذوا السبيل الى ابعاد منبر الشعر عن المجتمع العربى والى كسر عموده ، وتحطيم موازينه وتفعيلاته .. ولكن ذلك لا يتحقق الا باتباع طريقة التعويض أىبالاسراع الى وضع منبر اخر يخلف منبر الشعر العربى السليم ويملأ مكانه فلا يشعر المجتمع بأى فراغ فكان التعويض عن ذلك كله بما يسمى الشعر الحديث .

على ان لهذا الذى سموه بالشعر الحديث فائدة أخرى عندهم فهو وحده الذى يستطيع أن يقوم بعمليات الاجهاض لدى كل من تعتلج بين جنبيه روح شاعرية قد توجد منه شاعرا مثل شوقى .

ان الزمن لا يمكن أن يصبح عقيما بحال ، ولا يعقل أن تكون العبقرية وقفا على دفعات معينة من القرون فكل زمن ينطوى على عظماء فى الفكر والادب والعلوم ، وكل جيل يحمل فى مجموعة من بذور العبقرية مالو اسعفه المجتمع بتعهده وعدم الاضرار به لفاض هذا المجتمع بالعباقرة العظام من كل صنف وفى كل ميدان واختصاص .

ولكن العوامل المختلفة الاخرى هى التى تسحق هذه البذور والقابليات فى مهدها ، فيعقم الزمن وما هو بعقيم وتركد عقلية الجيل باكمله ، وما ركدت عقليته وانما قتلت شخصيته .

ان احبولة (الشعر الحديث) واحد من هذه العوامل ، فهى تقف بالمرصاد لكل أديب ذواق يعتلج جنانه بالشعر ويسعى الى انشاده ، لتقول له دونك فهذا هو الشعر وليس وراءه من شعر يسمو عليه وليس لك من مطمع ان تتسلق عموده وتمتلك ناصيته من هناك فقد كسر عمود الشعر .... ومات ... مات موتا أبديا بموت أميره شوقى ... فينكص الرجل على عقبه ويقنع بما حمله المجتمع عليه من (الشعر الحديث) حيث يعكف على ، نثر كلمات متقطعة مدبجة بنقاط متلاحقة ، تطبع على ورق وردى ثمين بحروف وضاءة أنيقة ، واذا بها انقلبت شعرا بقدرة قادر حكيم ...

وتشيع فى المجتمع هذه الجمل المتقطعة ، وتحتل مكان الشعر الذى يهز الرؤوس ويأخذ بالالباب حتى اذا قامت من وراء ذلك دعوة الى نبذ الفصحى واهمالها لم تجد فى طريقها أى مقاومة ضارية كتلك التى انبعثت من شعر البارودى وشوقى واسماعيل صبرى ، أما الشعر الحديث فلسوف يتنحى للدعوة الهدامة عن الطريق ، ويحييها بانحناءة ذليلة وهى تجتازها الى نهاية الطريق .

تلك هى خطوات الكيد الذى يتمثل فى ميدان الادب .

ثانيا — فى ميدان (اللغة العربية)

ان الكيد الذى لقيته وتلقاهاللغة العربية على أيدى رسل (التغريب) ليس عجيبا فى حد ذاته فان له ما يسوغه فى نظر أهله ودعاته .

ولكن العجيب حقا أن ترى السبيل الى مقاومته فارغة ، والحركة اليه

مشلولة ، وأن تجدنا نبصر ظاهرة التدنى المطرد فى علاقتنا باللغة العربية وثقافتها ، ثم لا نحرك ساكنا، ولا نقلق أو نتعجب من شيء .

وأضعاف اللغة العربية فى ألسنة أهلها ، هو السلم الطبيعى الى القضاء عليها وعلى قواعدها ومقوماتها بحجة صعوبتها ونفارها من النطق المسترسل ، والتواء قواعدها على اللسان ، فلئن لم يسبق هذه الدعوى عكوف على أضعافها بشتى الوسائل والأساليب فان أحدا لن يصدق ما يقال عن ضعفها لأنها فى الحقيقة ليست كذلك .

ويتخذ السير الى اضعافها وتعقيد السبيل اليها المراحل التالية :

أ — تحوير مناهجها الدراسية على نحو يضمن اقامة العقبات المختلفة بينها وبين الناشئة وهو تحوير يستهدففى مجموعه تبديد (الموضوع) واهماله عن طريق البسط والتوسع (فى الشكل) ويستند هذا التحوير الى نظريات تربوية ظاهرها فيه الفائدة وباطنها من قبلها المحق والكيد .

على أن المشكلة الكبرى التى تواجه الطالب فى أولى مراحله الدراسية للغة العربية انما تتمثل فى عجزه عن دفع ما استحكم من سلطان العامية على لسانه ، وهذه المناهج التى يؤخذ بها فى دراسته للعربية أقل شأنا وقيمة من أن تزحزح شيئا من قوة هذا السلطان .

من أجل ذلك لا تجد لهذه المناهج أى ثمرة ذات جدوى مهما أحيطت بمزيد من الساعات الدراسية ، أو بمزيد من الدرجات المشروطة فى الامتحان .. يخوض الطالب غمار هذه المناهج ويجتازها وان لسانه لا يزال يلتوى ويترطن ، وفكره لم يتبين من فقه العربية الا غواشى مختلطة فى بعضها لم يخلص منها الى شيء ولم يقطف منها ثمرة أى تطبيق .

وقد علم الباحثون أن لا سبيل لتخليص لسان الطفل — فى مقتبل دراسته للعربية — من العامية وعوجها الا أن يؤخذ بتلاوة القرآن تلاوة سليمة ويتمرس عليها . فبذلك ينشأ الطفل وان جرس الجزالة العربية ليطن فى أذنه ، ووقع التقطيع العربى الموزون مندمج فى نفسه مهما كان سلطان العامية مسيطرا عليه فى حياته العامة بين أقرانه وأهله ، وبقدر ما يتوفق الطفل فى هذه السن الى الاكثار من تلاوة القرآن وترتيله يكون انطباع الجزالة العربية فى نفسه أتم وأمكن ، وبقدر ما يخونه التوفيق فى ذلك يكون عوج العامية ولكنتها ألصق به وأمكن .

وليس يضير بالطالب — لكى تتحقق لديه هذه الظاهرة — أن تكون تلاوته للقرآن واتقانه لترتيله فى هذه المرحلة مجرد درج للألفاظ وسرد للآيات بدون فهم للمقاصد والمعانى ، بل ولا حاجة الى أن يكون الطالب قد درس فى تلك الفترة مع تلاوة القرآن معانيه أيضا ، ووقفه معلمه على شرح لغوياته وتحليل جمله .

ذلك لأن هذه الممارسة ليست عملية تربوية تتعلق بالنفس بمقدار كونها وظيفة لغوية تتعلق بتقويم اللسان ، ومن شأن التلاوة السطحية السليمة اذ يستمر عليها الطفل حينا من الزمن أن تخزن فى نفسه قوالب التعبير العربى الصحيح ، وتنسج فى خياله الصور الجمالية لألفاظه وتراكيبه ، فيصبح بعد ذلك سبيل هضمه للقواعد العربية وفقهها

وآدابها سهلا ميسورا اذ هو يتلقى كل ذلك وكأنه توضيح لما كان قد انطبع مبهما فى نفسه ، أو كأنه تربية واستثمار للنواة الصالحة التى كانت قد غرست فى ذوقه وانك لتجده سرعان ما يتذوق قواعد الاعراب ، ويسير فى طريق تطبيقها لأنها جاءت موافقة لما يستسيغه طبعه ، ولما درج عليه لسانه الذى لينه تكرار القرآن ، بل وانك لتجده سرعان ما يتذوق روح التراكيب ، ويستشعر الفوارق الدقيقة التى بين المترادفات لما كان قد مر عليه من أمثال هذه اللغويات وانطبع فى مخيلته من معانى كثير من التراكيب .

ثم انه كان من المأمول أن يتوفر فى منهاج التربية الدينية ما يجبر هذا النقص فى مناهج العربية ، ويصلح من شأنها اذ كان كل من هاتين المادتين دعما للأخرى ، ولكن الذين يستهدفون أضعاف اللغة العربية فى ألسنة أهلها لم يفتهم أن يقطعوا الروافد التى تسرى فيما بينهما وأن يطوروا من مناهج الدين أيضا حتى يصبح ضعف كل منهما دعما لضعف الأخرى .

ان مناهج الدين فى مدارسنا لا تكلف الطالب أن يقرأ خلال سنوات دراسته كلها سوى بضع نصوص أو سور يسيرة من القرآن ، وهو عندما يكلف بقراءتها لا يحمل على تجويد ولا على تقويم نطق وانما يدرسها كما يدرس قطعة من نصوص الأدب ، وياليتها تلقى من العناية ما تلقاه النصوص الأدبية المختارة .

وينتهى الشاب العربى المسلم من مرحلة الدراسة الثانوية ، وان صلته بالقرآن المبين أشبه ما تكون بصلة السائح الاجنبى ببلاد لم يرها ولم يسمع عنها يحتاج لكل خطوة فيها الى معرف ودليل .

ب ــ اقصاء مناهج قسم اللغة العربية فى المرحلة الجامعية عن معين العربية وجذورها الأصلية بقدر يضمن بقاء تلك العقبات المختلفة بين الناشئة واللغة العربية .

ووجه التنسيق بين هذا العامل الثانى والذى قبله هو ايجاد أكبر قدر من التوفيق بين كل من ضعف المناهج المرسومة وضعف المدرس المطبق لها .

فلن يغنى ضعف المناهج شيئا اذا كان القائمون بتدريسها أقوياء فى العربية متذوقين لآدابها وعلى صلة بينبوعها .

ولذلك تجد منهاج قسم اللغة العربية فى أكثر جامعاتنا العربية أمشاجا من دراسات لا صلة لها بجوهر هذا القسم ولبه ، فالأدب الحديث وأدب المهجر والفنون الجمالية وما الى ذلك هو الذى يؤلف مركز الثقل من عناية القسم .

أما قواعد العربية والأدب الجاهلى والاسلامى وفنون البلاغة فليست الا نثارا من دراسات ضائعة فى غمار تلك المقررات الأخرى ، فهى أقل من أن تعطى ملكة أو تقوم لسانا أو تمنح صاحبها أى أصالة .

ومن أجل ذلك فقد كان طبيعيا أن تبصر خريج هذا القسم وان لسانه لا يفرق فى النطق بين كل من أداة التعريف القمرية والشمسية ، وأن تجده وهو يجاهد فى تلاوة آيتين من القرآن كما لو كان يجاهد فى حل خط أثرى وجد على جدار بناء يرجع فى تاريخه الى القرون الاولى .

فهؤلاء هم الذين يكلفون بعد ذلك بتدريس اللغة العربية لطلاب مرحلة الدراسة الثانوية وتلك هى المناهج التى توضع أمامهم لالتزامها والسير عليها مقدمتان من الضعف والالتواء والتعقيد لا بد أن تتولد

منهما نتيجة من الضعف المركب يتمثل فى الثقافة العربية لـــدى النشء العربى الجديد ..

جـ ــ ترويج اللهجات العاميـــة واشاعة الدعوات المختلفـــة الى الدفع بها لمزاحمة الفصحى بـــل ولوضعها فى مكانهـــا اذا وجـد السبيل .

وتأتى هــذه الخطوة بعد الخطوتين السابقتين بمثابـــة تكثيف وحصر للأصداء المنطلقة من وراء ظاهـــرة الضعف التى تحدثنا عنها .

فقد نجح التخطيط فى كلا مرحلتيه الاوليين ، واستشعر الناس ضعفهم فى العربية وبعدهم عنهـا وأحسوا بأن العامية أدنى اليهم وأحنى عليهم ، فأسرعت الخطوة الثالثة تستغل هذا الشعور وتكثفه وتحصره ، ثم راحت تقطره دعوة الى استبدال العاميـــة بالفصحى ، والى احياء اللهجـات العربيـــة على صعيد الكتاب والمذياع والمكالمات الرسمية بعد أن كـــانت حياتها مقتصرة علـــى الاســـواق والحوانيت وفى ملاعب الاطفال .

وراحوا يسوغون ذلــك بحجـــة أخرى من الطرافة والدجل بمكـــان فاللغة العربية الفصحى تتقاصر عن القدرة على التعبير عـــن حقيقـــة المشاعر ، وهى انما تقف منها عند سطح العموميات فقط ، أما اللهجات العامية فهى وحدها التى تغوص فى أعماق المشاعر ثم تستل صورهـــا الدقيقة فى تعابير رائعة دقيقة .

اللهجات العامية التى هى حصيلة الاختزالات من أصولها العربيـــة ، وحصيلـــة ما التصق بالألسن من الكلمات الاعجمية المختلفة والتعابير المشوهة ، هـــذه اللهجات هى التى تملك من الاشراق ما تنعكس اليهـــا خلجات المتكلم وأحاسيسه بدقـــة وصفاء دون أن تملك اللغـــة العربية الفصحى ميزة أو اشراقا من هـــذا القبيل ... أى عاقـــل فى الناس ينطلى عليه هـــذا السخف أو يسمعه فلا يرى فيه أعجوبة الأكاذيب التى تأبى الا أن تقوم على قرون تناطح بها الحقيقة القائمة وجها لوجه .

ان الذى يبحث حقا عن اللغة التى تجسد الخلجات والمشاعر ، وتستل أعمق الأحاسيس التى فـــى النفس فتبسطها أمام فكر القارىء أو السامع فى أتم وضوح ، انما يجد غرضـــه فى لغة القرآن .. أجل لغة القرآن التى سمت باللغة العربية الى ذروة الاعجاز البيانى هى التى تملك هذه المقدرة دون أى لغة أخرى سواها .

وان دراسة يسيرة للكلمة القرآنية توضح لك كيف أن التعبير القرآنى يدل على المعنى المقصـــود بأدق الألفاظ التى تؤدى ذلـــك المعنى ، حتى اذا استنفدت اللغـــة طاقتها ، وتقاصرت عن تكميل الصورة الدقيقة فى ذهن القارىء أو السامع جاءت الصياغة مع الجرس والايقاع لتتمم ما عجزت اللغـــة عن تتميمه ولتصور أدق ما عجزت اللغة عن تصويره .

ان الذى يبحث حقـــا عن أدق وسائل التعبير انما يعكف عـــلى دراسة القرآن وتحليل نهجـــه فى التعبير والصياغة ، ولسوف يعـــود بعد ذلك بثروة كبرى الى هـــذه اللغة فى استعماله لها ، كما عـــاد بمثلها سائر علماء الأدب والبيان فى العصور المختلفة ، ولا يبحث عن ذلك بين ألسنة السوقة وعوام الناس ، التى لم تقم فى طبيعتها وأســـباب انتشارها الا على أساس من ضرورة التفاهم بين أناس لا شأن لهم بأكثر من التفاهم حـــول المعانى والمشاعر العامة التى يعتمدون عليهـــا فـــى معاملاتهم وأسباب عيشهم ، فمن أين تأتيها أسباب الروعة البيانية ،

ومقومات الرقة والدقة فى الأحاسيس والمشاعر ، وذلك هو المحيط الذى نشأت وترعرعت فيه ؟

ولقد عمد لبنانى معروف فى تبشيره بالعامية ، وحقده على الفصحى وينبوعها ، عمد الى مقاطع من الكلام العامى اللبنانى يعرضه على الناس زاعما أن فيها من الرواء والعذوبة ودقة الدلالة والتعبير مالا يتوفر مثله فى الفصحى ، واشهد أنى ما وقفت على أسمج ولا أسخف ولا أثقل من تلك المقاطع ، وليس الذى حببها اليه ما فيها من رواء مزعوم ، وانما هو ما خيل اليه من أنها وأشباهها قد تصلح ان تكون سلاحا يقضى به على الفصحى وآدابها ، وأنت قد تجد انسانا ينحنى على كلبه القذر بالضم والتقبيل لمجرد أنه قد أنس منه أن سيأتيه بصيد ثمين .

ومن أجلى عبر الزمن أن الذين اثاروا الحرب على العربية الفصحى وأعلنوا عن غرامهم المدنف بالعامية قديما أو حديثا فى القاهرة أو فى لبنان أو فى أى صقع عربى آخر — انما هم فلول من الأجانب الذين ليسوا من هذه اللغة ومصدرها وآدابها فى شىء ، بدءا من وليم سبيتا الى كارل فولرس الى ويلككس الى عقل ، وأشباهه ، اذا فهى دعوة أجنبية حاقدة ، تتسلل الينا فى حطة وخبث اصبح يعلم هذا أصغر طالب فى صف الكفاءة فى أى بلد من البلاد العربية .

ولكن ما الذى تهدف اليه هذه الدعوة الغريبة الاجنبية الحاقدة ؟ أهى حقا لا تبغى سوى استبدال العامية بالفصحى ولا شأن لها بأى أمر من وراء ذلك ؟

ان أى متأمل فى الأمر يعلم أن الغرض الأول والاخير من هذه الدعوة انما هو حشد العقبات الكبرى بين العرب وقرآنهم الذى لا يزالون ينتمون بنسب ما اليه ، وهو نسب يظل يخيفهم على ضعفه وضآلته ، فمن المحتمل أن يقوى هذا النسب بينهم وبينه من جديد لسبب ما على حين غرة . .

وليس من ضمانة لقطع هذا النسب واقامة الحواجز والعقبات الحصينة الا تقويض ما بين العرب والقرآن من ترجمان اللغة والبيان على غرار ما تم فى كثير من البلدان ولدى كثير من الأسر والافراد . واذا كان هذا هو الغرض فما هو وظيفة أولى الأمر فى البلاد العربية ، وما الذى يترتب على الادارة الثقافية للجامعة العربية ؟

اننا لم نسمع بعد أى جواب على هذا السؤال ، ولكن مناهج التربية فى معظم البلاد العربية تتولى اجابة مؤسفة لا يشرف الآذان أن تسمعها ولا أن تصغى اليها .

وهيهات أن يغنى عن واجب وزارات التربية أى غناء ما يذاع على العالم العربى من المصحف المرتل أو ينشر فيه من نسخه الجميلة الأنيقة على ما فى ذلك من فائدة لا تنكر فى جانب آخر غير الذى نتحدث عنه .

انما الذى يجب عليها فى هذا الصدد هو أن تقيم مناهج اللغة العربية على محور القرآن ، وأن تجعل من دعم مناهج التربية الدينية أهم مقوم لمناهج العربية وأسباب نجاحها .

أما ما ينبغى أن يتوفر من ذلك فى مناهج الجامعات لا سيما فى قسم اللغة العربية من كليات الآداب فللحديث عن ذلك مناسبة أخرى ، ولعل فى هذا الهمس واللمح ما يغنى عن البحث والشرح .

الاسلام أولا

للدكتور ..
محمد عبد المنعم خفاجي

— ١ —

نزل الاسلام شريعة عامة خالدة ، تجدد الحياة ، وتصحح العقيدة ، وتعيد الأمن والسلام للانسانية ، وتؤثل للحضارة مجدا باذخا ، وللتطور البشرى منزلة سامقة .

وذاع الاسلام فى كل مكان ، وانتشر فى كل صقع ، واعتنقته الملايين المحرومة المضطهدة المعذبة فى الأرض ، وآمنت به الشعوب من كل قارات الدنيا المعروفة آنذاك ، وانتصر فى مواجهته الكبرى للامبراطوريتين العالميتين الكبيرتين : الامبراطورية الفارسية ، والامبراطورية الرومانية الشرقية ، وكان انتصاره حينئذ كاملا ، وعملا رائعا ، لم يشهد التاريخ البشرى له مثيلا .. وخرج هرقل الامبراطور الرومانى العظيم من الشام باكيا حزينا بعد هزيمة جيوشه الكثيفة فى معركتها الكبيرة مع جيوش المسلمين حول دمشق فى العام الرابع عشر من الهجرة — ٦٣٦م، وهو يودع أرض سورية ويقول : — سلام عليك يا سورية ، سلاما لا لقاء بعده ، وزالت سيادة بيزنطة على الشام الى الأبد .

وامتد الاسلام فبلغ حدود الصين شرقا ، وشواطىء المحيط الاطلسى غربا ، وجنوب أوروبا شمالا ، وأواسط أفريقيا جنوبا فى زمن يسير .. مما يعد معجزة فى تاريخ الأمم والانتصارات .

وفتح العرب اسبانيا عام ٩٢ هـ : ٧١١ م ، وبسط خلفاء بنى أمية نفوذهم وسلطانهم عليها .. وتوغلوا فيها شمالا حتى غزا فرنسا الحر بن عبد الرحمن عام ٩٩ هـ : ٧١٧ م .. ، واستولى بعد ذلك السمح بن مالك بسنوات ثلاث على مدن كثيرة منها ،

وقام عبد الرحمن الغافقى عام ١١٤هـ ٧٣٢ م بهجوم كبير عليها ، ووصل بجيشه الكبير الى « بواتييه » بالقرب من باريس ، فقابله شارل مارتل بجيش كبير ، وحالفه الحظ فتمكن من هزيمة الغافقى وجيشه فى يوم الجمعة الثانى من أكتوبر ٧٣٢ م — السابع من شعبان عام ١١٤ هـ ، وقتل الغافقى ، وانسحب المسلمون ، وفى هذه الهزيمة يقول أديب ومفكر فرنسى كبير هو مسيو كلود فارير :

« فى سنة ٧٣٢ م حدثت فاجعة كانت من أشأم الاحداث التى نكبت بها الانسانية فى القرون الوسطى ، وكان من آثارها أن غمرت العالم الغربى طبقة عميقة من التوحش ، لم تبدأ بالتبدد الا على عهد النهضة هذه هى الفاجعة التى أريد أن أمقت ذكراها ، وأعنى بها ذلك الانتصار البغيض الذى ظفر به أولئك المحاربون من الافرينج بقيادة شارل مارتل على كتائب العرب المسلمين الذين كان يقودهم الغافقى . ففى ذلك اليوم المشئوم تراجعت المدنية ثمانية قرون الى الوراء ، ويكفى المرء أن يطوف بفكره فى الأندلس ومدنها وحدائقها وحضارتها الخالدة ليعرف ماذا عسى أن تكون قد بلغته فرنسا منذ ذلك العهد السحيق لو انقذها الاسلام العمرانى الفلسفى المتسامح السلمى .

وامتد الاسلام الى سواحل ايطاليا حتى وصل الى قرب روما ، وخفقت رايته على مراكش والجزائر وتونس وطرابلس وبرقة ومصر ، وشمل الشام والجزيرة العربية ، والعراق وفارس ، وخراسان وداغستان وأفغانستان .

وأغار الأمويون فى الشام على القسطنطينية عدة مرات ، وشنوا الغارات السنوية على الأناضول ، وعلى جزر البحر الأبيض المتوسط ، صقلية ، وسردانية ، ومالطة ، وفتحوها ، وفتحوا كذلك قبرص ، وكريت ، ورودس ، ودخلت بلاد ما وراء القوقاز فى حكمهم ، فدانت كلها لهم بالطاعة فى عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦ — ٩٩ هـ ٧١٥ — ٧١٧ م) ودخلت كذلك بلاد النوبة فى حكم المسلمين ، وأجزاء كثيرة من سواحل افريقية الشرقية .

وفى عام ٨٧ هـ — ٧٠٦ م غزا قتيبة بن مسلم بلاد ما وراء النهر ، ففتحت بخارى ، وسمرقند ، والصغد وغيرها ، وتعمق فى بلاد الهند حتى وصل الى كاشغر ، وهى أدنى مدن الصين ، وأرسل عام ٩٦ هـ — ٧١٥م رسالة الى امبراطور الصين يدعوه فيها الى الاسلام ، وبذلك امتد الاسلام وانتشر فى أجزاء كثيرة من الصين ، وفتح محمد بن القاسم السند للأمويين عام ٩٣ هـ — ٧١٢ م فأصبحت ولاية اسلامية .

وسار الاسلام مع التجار المسلمين الى سومطره ، وجاوه ، والملايو ، وسيلان والفلبين ، ومدغشقر ، وانحاء كثيرة من قلب أفريقيا فى مدى يسير .

ولك أن تتصور عظمة الدولة الاسلامية التى كانت لا تغيب عنها الشمس ، حينما كان الرشيد يجلس فى قصر الخلافة ببغداد ، ويتطلع الى غمامة بين السحاب ، فيقول لها : أمطرى أين شئت فسوف يأتينى خراجك .

وانتشرت فى العالم الاسلامى الثقافات الرفيعة ، وقامت فى المدن

الاسلامية الكبرى الجامعات والمدارس والمكتبات ، واستظلت هذه المدن بظلال وارفة من حضارة الاسلام ، وحسبنا ما بلغته من حضارة ومجد : قرطبة ، وطليطلة ، واشبيليه ، وغرناطة ، وفاس ، والقيروان ، وتونس وطرابلس ، والفسطاط ودمشق ، ومكة المكرمة والمدينة ، والبصرة والكوفة وبغداد ، والرى وجرجان ، وغيرها من العواصم الاسلامية الكبرى فى ابان ذلك العهد البعيد .

وبينما كان العلماء المسلمون فى قرطبة يترددون على خزائن كتبها السبع عشرة ، ويعودون الى بيوتهم فيتنعمون بالاستحمام فى حمامات بلغت الغاية فى النظافة والاناقة ، كان الاساتذة فى اكسفورد يستنكرون الاستحمام ، ويحسبونه من ملذات العيش الشهوانية التى يجب الترفع عنها . وحينما كان فلاسفة المسلمين مكبين على تآليف أرسطو فى دار الحكمة فى بغداد ، يقرأونها ويترجمونها أيام الرشيد ، كان شارلمان ورجال بطانته يحاولون جاهدين اتقان كتابة أسمائهم ، وتصوروا أن فى جوف الساعة الدقاقة التى أهداها اليه الرشيد شيطانا يتحرك .

وبينما كانت أوربا لا تعرف الطب ولا الأطباء كان فى بغداد فى عهد المقتدر بالله العباسى عام ٣١٩ هـ : ٩٣١م ، ٨٦٠ طبيبا ، وكان يفرض على الصيادلة والأطباء فيها منذ زمن المأمون والمعتصم اجتياز امتحان خاص ، وقد أجرى لهم سنان بن ثابت ابن قرة امتحانا بأمر الخليفة العباسى .

أى مجد هذا المجد الذى بلغه المسلمون الاولون فى زمن يسير ؟ وأية حضارة تلك الحضارة الوارفة التى عاشوا فى ظلالها بعد ظهور الاسلام بقليل ؟!

ذلك كله وغيره ، مما لا نستطيع أن نذكره فى هذه الصفحات انما ناله المسلمون بالاسلام أولا ، بالاسلام وحده ، بالاسلام العظيم ، فهو الذى أثل لهم الملك ، ومنحهم السيادة ، وفجر لهم كنوز الارض ، ووهبهم السلطان على أمم كثيرة ، كانت لها السيادة فى العالم كله قبل الاسلام ، وفى بدء ظهور الاسلام .

لقد تذكرت حينئذ كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه فى مكة بعد نزول الوحى عليه بسنوات معدودات :

« ما جئت بما جئتكم به ، أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم . ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل على كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربى ، ونصحت لكم .. فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وأن تردوه على أصبر حتى يحكم الله بينى وبينكم » .

وذكرت كيف بدأ الاسلام ، وأنا اقرأ حديث عفيف بن قيس الكندى قال : —

« كنت فى الجاهلية عطارا ، فقدمت مكة ، فنزلت على العباس بن عبد المطلب ، فبينما أنا جالس عنده انظر الى الكعبة ، وقد تحلقت الشمس فى السماء ، أقبل شاب كأن فى وجهه القمر ، حتى رمى ببصره الى السماء ، فنظر الى الشمس

ساعة ، ثم أقبل حتى دنا من الكعبة ، فصف قدميه يصلى ، فخرج على أثره فتى كأن وجهه صفيحة يمانية ، فقام عن يمينه ، فجاءت امرأة متلففة فى ثيابها فقامت خلفهما ، فأهوى الشاب راكعا فركعا معه ، ثم أهوى الى الأرض ساجدا فسجدا معه ، فقلت للعباس : يا أبا الفضل ، أمر عظيم ، فقال : أمر — والله عظيم — اتدرى : من هذا الشاب ؟ قلت : لا ، قال : هذا ابن أخى محمد بن عبد الله اتدرى : من هذا الفتى ؟ قلت : لا ، قال : هذا ابن أخى ، هذا على بن ابى طالب ، اتدرى : من المرأة ؟ قلت لا ، قال : هذه ابنة خويلد ، هذه خديجة زوج محمد هذا . وان محمدا يذكر ان الهه — اله السماء والأرض أمره بهذا الدين ، فهو عليه ، كما ترى ، ويزعم أنه نبى ، وقد صدقه على قوله على ابن عمه هذا الفتى ، وزوجه خديجة هذه المراة .

نعم صدقه على ، ثم صدقته خديجة .

ثم صدقه العرب ، ثم صدقته المشارق والمغارب ، واهتزت الدنيا كلها ايمانا به وتصديقا له ، ولرسالة الاسلام التى نزلت عليه .

ولقد بكيت وأنا اتابع امتداد الفكر الاسلامى فى عهد عمر بن الخطاب ، وما شرعه للناس من شرائع الاسلام العظيمة فى العدل والحرية والمساواة وفى مراقبة الخليفة عمر لله فى شعبه وامته ، وهو يقول فى آخر سنة من خلافته :

« ان عشت لأسيرن حولا ، فأقيم فى الشام ومصر والبحرين والكوفة والبصرة وغيرها ، فانى أعلم أن للناس حوائج تقطع عنى ، اما هم فلا يصلون الى ، وأما عمالهم فلا يرفعونها الى » .

رعاك الله يا عمر ، لقد كانت رعيتك عندك آثر عليك من أهلك وولدك ، وأحب اليك من مالك ونفسك ، وكنت بها برا رحيما ، تقيم العدالة بين الناس ، الضعيف عندك قوى اذا كان الحق معه ، والقوى عندك ضعيف اذا خذله الحق ، فارتكب جورا على أحد من الضعفاء المساكين من عامة الشعب .

— ٢ —

امتد الاسلام وامتد .

ومع ما تألب عليه من قوى الوثنية والعدوان فقد ظل يمتد ويمتد ، لأنه شريعة الله ودينه ورسالته الى نبيه محمد صلوات الله عليه وسلامه .

وقف فى وجه الاسلام الامبراطورية الرومانية الشرقية بجيوشها وأساطيلها وقوتها وحضارتها ومن حولها اوروبا كلها ، فلم تستطع أن تطفىء نوره .

وجندت أوربا لحربه حملاتها الصليبية المشهورة ، فما استطاعت أن توقف بها سيره وامتداده .

ودمر التتار حضارة الاسلام وعواصمه وجامعاته ومدارسه ومع ذلك ذهب التتار وبقى الاسلام .

وصب الاستعمار الاوربى جام غضبه على الاسلام والمسلمين فى العصر الحديث ، ومع ذلك انحسر مد الاستعمار وبقى الاسلام يدوى صوته فى كل مكان .

ومع ما دمر الاستعمار وعصره من

تراث الاسلام وحضارته وكنوزه ، وما بدد من ثقافاته وخيرات بلاده وما نهب من ثروات المسلمين ، وما نشر بينهم من كل الوان الكفر والفساد والالحاد والعداء للاسلام والحرب لمبادئه ، ونقل الكثير من الأمم الاسلامية من حياتهم الاسلامية الوارفة الى الحياة الغربية بكل مظاهرها وألوان العيش والحضارة والفكر فيها .. مع ذلك كله فقد بقى الاسلام .

ويجند الاوروبيون انفسهم لحرب الاسلام فى كل مكان عن طريق النفوذ والسيادة والتجارة والثقافة والحضارة الاوروبية ، ويتعاونون مع دعاة المادية وحماتها لخلع مبادىء الاسلام من النفوس ، ولغزوهم غزوا فكريا الحاديا سافرا، بل يتعاونون مع الشيطان ومع غير الشيطان من اجل القضاء على الاسلام فى بلاده ، ومع ذلك يفشلون وينتصر الاسلام .

ـ ٣ ـ

ان حاضر العالم الاسلامى اليوم ليتمثل فى حرب العالم الغربى للاسلام حربا سافرة فى بلاده وفى خارج بلاده : البعثات التبشيرية فى كل مكان ، المساعدات تنهال على كل من يقف فى وجه الاسلام ، المذاهب اللادينية فى غزوها المستمر للشرق العربى وللعالم وللعالم الاسلامى ، دعاة العنصرية يحاربون الاسلام ويطردون المسلمين من بلادهم أو يقتلونهم ويشردونهم باسم القومية ـ اسرائيل تقام فى قلب العالم الاسلامى وتشن ثلاث حروب ضروس على قوة صاعدة فيه ، وتعمل من قريب ومن بعيد على الدس لكل حركة اسلامية يمكن أن تقف فى وجهها فى يوم من الايام .

ومع ذلك كله فلسوف يبقى الاسلام ولسوف ينتصر الاسلام .

ان علاج جميع مشكلات العالم الاسلامى والعربى المعاصرة ، لا يمكن حلها الا بالاسلام أولا وأخيرا ، وبازدياد الوعى الاسلامى فى جميع ربوعه وأرجائه ، وبالاقبال على التراث الاسلامى فى كل جوانب الفكر والثقافة والمعرفة والعلم اقبال المتفهم المستزيد المستضىء بما فيه من طاقات خلاقة ، وحياة متجددة وروح حضارية أصيلة .

ولقد كان طاغور شاعر الهند الكبير يرى أنه لحل الأزمة الهندية يجب أن يدرس الهندوس الكتب العربية لفهم الروح الاسلامية بطموحها وتساميها فهما حسنا .. فلماذا لا ينادى المسلمون بما نادى به طاغور البوذى من نصف قرن ؟!

مشكلات العالمين الاسلامى والعربى لا يمكن أن تحل الا عن طريق الالتقاء الاسلامى بالاسلام وأفكاره ومثله وقيمه ومبادئه وحضارته .

بل ان مشكلات العالم كله لا يمكن أن تحل فى يوم من الايام الا بالاسلام الذى سوف تهرع البشرية الى الايمان به والدخول فيه فى يوم من الأيام ، قصر أمد الوصول اليه أم طال .

وما ذلك على الله بعزيز ، ولسوف تردد الدنيا والحياة والبشرية قاطبة ما نردده اليوم فى وجه الأحداث الزاحفة علينا من الشرق والغرب : الاسلام أولا . .

قصة مساء

للأستاذ : يوسف حسن نوفل

هناك في بلدى يعيش شعبى حياة نضاله ضد قوى البغى الممثلة فى الصهيونية وهذه قصة ليلة من ليالى كفاحنا الطويل على ارضنا العربية بفلسطين ..

بلدتي نامتْ على النار وموجُ البحرِ أغفَى
ريثما ينداحُ ليلٌ ريثما نلمحُ كفًّا
وصباحاً عبقريَّ الرُّوح كالزهرةِ عفَّا

□ ■ □

وصغيرِى مثل فجر ناعسِ الوَمضةِ نائِمْ
مقلتي عشٌ حواهُ تغزلُ الصمت تمائِمْ
ربما يحفظه الله ولا يجثو لظالِمْ

□ ■ □

ويهزُ الباب عات طائشُ القبضةِ حاقِدْ
قد أتى للبيت تِنّيناً له مليون سُاعِدْ
جاء كَي يسرقَ زوجي ظَنّه بالباب ساجِدْ

□ ■ □

جئت كى تهدم داري.زوجى المطلوب غائِبْ
اطلبوه من ضميرِ الغيب من موجٍ وقاربْ
من شراعٍ تائه اللفتةِ يشتاقُ لصاحِبْ

□ ■ □

ربما تلقونه استندَي بفم الشط ربْوَه

ربما تلقونه فوق بناح الموج جثـــــه
لن تطيقَ العيش حتي في سبات الموتِ سُخْرة

□ ■ □

غير أن الغاصب الأحمقَ قد ساقَ رياحَه
يتحدّى قلبيَ المهدودَ يجتاحُ جراحَـه
ويشقُّ الثوبَ عن طفلى ويستلُ صياحه

□ ■ □

مثلما زقزق طيرٌ مثلما غردَ بلبُـــلْ
مثلما رفرف حلمٌ راقصُ الأطياف مخْضَل
راح طفلى يملأُ البيتَ صِياحاً وهُو يسْعَا

□ ■ □

وبعينين كعصفورين مقرورين يرنُـــو
لير الضابطَ مثل الليل يدنو ثم يدنُـــو
ظنه يمنحُه الدفء يناغيه ويحنُـــو

□ ■ □

غير أن الظّن قد ذاب على صـدرِ الحقيقـة
فإذا الكفُّ التي يحسبُها كفاً صديقَـــه
غدرتْهُ وغدَتْ تمتصُ من غلٍ عروقَـــه

□ ■ □

وأنا بين ضلوع الدربِ قد ذَابتْ خطـايَا
ضاع مَن جمَّلَ بالزهرِ وبالحبِ صبــايَا
وأبوه خلفَ سرٍ مبهمٍ أورَى أسَــايَا

□ ■ □

غير أنّي أزرعُ الدربَ شرودًا غَثيـــانَا

قاتلي جوعانُ لم يشبَعْ ولم يهدَأ جِنَانا
مُذْ رأيِ زوجيَ هذا الشهمَ لم يرضَ امْتهَانَا

□ ■ □

قاتلي قد ظنَّ زوجيَ مُجبَراً يتبَعُ أمرَه
مثلما ساقُوا كثيرا من بني الإنسانِ غيرَه
سخَّروه مثلما قد سَخَّرَ الفلاحُ ثورَه

□ ■ □

غير زوجي لم يشأْ أن يصبحَ الشاهَ الحَلُوبَا
لم يشأْ أن يجدلَ الليّلَ ضياعاً وشحُوبَا
ويرى نجمَ الليالي مظلمَ العينِ كئيبَا

□ ■ □

مذ رأى قافلةً تلهثُ من ذلٍ ورقٍ
كُلُّها محنيةُ الرَّأسِ على غصةِ حلقٍ
وخيوطاً راعشاتٍ لمَّها الأفقُ برفقٍ

□ ● □

ودعاه من وراء الصمتِ صوتٌ كالصباحِ
أنجُ يا سعدُ فركبُ البَغْيِ قتَّالُ الجراحِ
وحُدَاه أخرسُ الدمعِ وصخّابُ النواحِ

□ ● □

ومضى من يومها لم أحتضِنْ غير أنيني
حيثُ أحيا في ضياعِ الليلِ في وهمِ ظنوني
وصَدَاهُ الحلْوُ يحيا بينَ طيّاتِ حنيني

□ ● □

وأمانيَّ لدى السفحِ غدَتْ أشلاءَ حُلْمِ
وتعرَّى ليلَ التائهَ في ظلماتِ وهْمِ

حَشرجاتٌ بين آلام تباريحِي وهَمِّي

□ ● □

كَمْ وكَم أرسَى على شاطىءِ صبحى أغنياتِ
مثل رشّاتِ نسيمٍ مثل همسِ السُنْبُلاتِ
مثل شَدْوِ الجدْوِلِ الرَّقراقِ تهفو راجفاتِ

□ ● □

كَم مشَى فوق جبينِ الشطِّ يوماً بخطاهُ
وهو يغدُو بشباكٍ نسجَتْها ساعدَاهُ
ويداهُ نبعُ حبٍ ، كَرْمَتِي ، ظِلّى يداهُ

□ ● □

راحتَاه مِثْلمَا يضفرُ نورٌ طوْقَ فُلٍّ
عِنْدَما يعتكرُ الليلُ أراهَا دفءَ ليلِي
بعدَهُ صرتُ أناجى شمعةً ترسمُ ظِلّى

□ ● □

بعدَهُ عذَّبنِى اللّيلُ وأضنَانِى النَّهارُ
بَعدَهُ ضاعَ صغيرى ضاع ذاك الاخْضِرارُ
عمرىَ الضائعَ غطّاهُ من الدنيا غبارُ

□ ● □

وهنا أرخى الدُّجى السَّاجى على (يافَا) جنَاحَهْ
وغَدَا يبتلعُ الصمْتَ ويكْسُوهُ وشَاحَهْ
حينذ ياك وسوطُ الظُلم يغْشَى كلَّ ساحَهْ

□ ● □

بلدَتِى نامتْ على النَّارِ وموجُ البحرِ أغفَى
ريثَما ينداحُ ليلٌ ريثما نلمحُ كفَّا
وصباحاً عبقرىَّ الروحِ كالزّهرةِ عِفَّا

قُطْبَة بن قَتَادة السَدُوسيّ

فـاتح البصرة (الخُرَيْبَة)

اللواء الركن: محمود شيت خطاب

نسبه واسلامه :

هو قطبة بن قتادة بن جرير السدوسى ابو الحويصلة (٣) من بنى ثعلبة ابن سدوس بن ذهل بن شيبان (٤) فهو شيبانى .

كان صحابيا ، فقد أتى النبى صلى الله عليه وسلم فبايعه . قال : « قلت يا رسول الله ابسط يدك أبايعك على نفسى وعلى ابنتى الحويصلة » (٥) .

وقتادة قريب القرابة من المثنى بن حارثة الشيبانى ، وقد وفد المثنى على النبى صلى الله عليه وسلم سنة تسع الهجرية مع وفد قومه بنى شيبان (٦) ، ومن المحتمل جدا أن يكون قطبة قد أسلم مع بنى شيبان ، فقد كانت وفود القبائل العربية تأتى النبى صلى الله عليه وسلم مجتمعة ، فلا يذكر المؤرخون غير قسم من رؤساء القبائل ويغفلون ذكر الآخرين .

وجوز ابن الأثير أن يكون قطبة بن قتادة السدوسى هو قطبة بن قتادة العذرى لان ثعلبة بن عكابة بن صعب بن وائل كان له ولد هو ضنة ، وقد دخل بنوه فى بنى عذرة فهم من بنى شيبان أيضا . ولكن هـذا التجويز فيه بعد (٧) لأن العذرى شهد غزوة (مؤتة) (٨) ، التى كانت سنة ثمان الهجرية (٩) ، ولم يكن السدوسى قد أسلم بعد ، لذلك فهما اثنان .

والظاهر أن قطبة بعد اسلامه عاد مع بنى قومه الى ديارهم ، لذلك نال قطبة شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهـاده :

ارتدبت أكثر القبائل العربية ــ ومنهم ربيعة ــ التى كانت فى منطقة

(البحرين)، فثبت قطبة مع من ثبت من قومه على الاسلام ، فكتب العلاء بن الحضرمى الى من أقـــام على اسلامه من بكر بن وائل ، أن يعينوه على قتال المرتدين حتى يعودوا الى الاسلام . فكان المثنى بن حارثة الشيبانى عـــلى رأس الذين أعانوا العلاء بن الحضرمى من بنى شيبان فى مهمته الشاقة ، اذ ضيق الخناق على المرتدين واخذ الطريق عليهم (١٠) .

ولا نعرف هل كان قطبة مع المثنى أم مع غيره من بنى شيبان ، فقد كان أسلوب قتال القبائل العربية فى أيام الردة وأيام الفتح الاسلامى ، هو أنهـــا كانت تقاتل تحت راية رئيسها ، ولكن قد تتعدد جبهات القتال ، فتقاتل القبيلـــة تحت رايات رؤسائها ، وقد كان قطبة من رؤساء بنى شيبان ، لأن قسما منهم قاتل تحت رايته فى الأيام الاولى من أيام الفتح الاسلامى .

ولقدكان لقطبة جهاد فى حرب الردة فى منطقـــة (عمان) والخليج العربى فلما عادت للعربالوحدة تحت لواء الاسلام، كان له جهاد مع المثنى بن حارثة الشيبانى فى منطقة (الخريبة) وهى منطقة البصرة الحالية .

وبعث أبو بكر الصديق خالد بن الوليد بعد انتهاء واجبه فـــى حروب الردة الى العراق ، وكان قطبة مع رجاله فى منطقة (الأبلة) (١١) ، فحل خالد فى خيلـــه على قطبة ورجاله ، فقالوا : انا مسلمون ، فتركهم خالد ، وغـــزا قطبة على رأس رجاله مع خالـــد (الأبلة) . قال قطبة : حمل علينا خالـــد بخيله ، فقلنا : انا مسلمون ، فتركنا . وغزونا معه (الأبلة) ، فقسمناهـــا بأيدينـــا .

فقد كان قطبة يغير فى ناحية (الخريبة) من البصرة على العجم ، فلما قـــدم خالد بن الوليد سنة اثنتى عشرة الهجرية أعانه قطبة على غزو أهـــل (الأبلـــة) (١٢) . وحين وصل خالد الى منطقة البصرة كان بها قطبة من بكر بن وائل ومعه جماعة من قومه ، وهو يريد ان يفتح تلـــك المنطقـــة ، فقال قطبة لخالد : « ان أهل (الأبلـــة) قد جمعوا لى ، ولا أحسبهم امتنعـــوا منى الا لمكانك » . فقال خالـــد : « فالرأى أن أخرج من البصرة نهارا ، ثم أعود ليـــلا فأدخل عسكرك بأصحابى ، فان صبحوك حاربناهم » . وفعل خالد ذلـــك ، وتوجه نحو الحيرة ، فلما جن عليه الليل انكفأ (١٣) راجعا حتى صـــار الـــى عسكر (١٤) قطبة . وأصبح أهل (الأبلـــة) وقد بلغهم انصراف خالد عن منطقة البصرة ، فأقبلوا نحو قطبة ، فلما رأوا كثرة من فى عسكره سقط فى أيديهـــم وانكسروا . فقال خالد : « احملوا عليهم ، فانى أرى هيئة قـــوم قد القى الله فى قلوبهم الرعب » ، فحمل المسلمون عليهم فهزموهم وكبدوهم خسائرفادحـــة بالأموال والارواح ، اذ قتل قسم منهم وغرق فى النهر قسم آخر ، ثم مر خالـــد بالخريبة ففتحها وسبى من فيها ، وكانت (الخريبة) مسلحة للأعـــاجم .

لقد كان قطبة أول من فتح (الأبـــلة) و (الخريبة) ، وقيل : ان أول من فتح (الأبلة) هو عتبة بن غزوان . ولا تناقض بين القولين ، فقد كـــان قطبة أول من فتحها سنة اثنتى عشرة الهجرية فتح غارة أو فتحا مؤقتا ، أما عتبة فقـــد فتحها سنة أربع عشرة الهجرية فتحا مستداما .

وعندما سار خالد بن الوليد الى فتح (السواد) خلف قطبة عـــلى منطقة البصرة .

وبقى قطبة مع رجاله فى جنوب العراق ، حتى بعث عمـــر بن الخطاب عتبة بن غزوان سنة أربع عشرة الهجرية الى منطقـــة البصرة ، وكـــان بها قطبة يغير على تلك الناحية ، فكتب قطبة الى عمر يعلمه مكانه ، وأنه لو كان

معه عدد يسير ظفر بمن كان قبلـه من العجم ، فنفاهم عن مكانهم ، فكتب عمر الى قطبة يأمره بالمقام والحذر ، ووجه اليه شريح بن عامر احـد بنى سعد بن بكر ، فأقبل الى منطقة البصرة وترك بها قطبة ، ومضى الى (الأهـواز) فقتل شريح هناك .

ولما وصل عتبة بن غزوان الى منطقة البصرة ، أقام فيها نحو شهر ، ثم خرج اليه أهل (الأبلـة) فقاتلهم ، وجعل قطبة وقسامة بن زهير المازنى فى عشرة فوارس ، وقال لهما : « كونوا فى ظهرنا ، فتردان المهزوم ، وتمنعان من أرادنا من ورائنا » ولكن المعركة بين المسلمين والفرس لم تطل كثيرا حتى انهزم الفرس ، فدخل المسلمون (الأبلة) فاتحين ، وأصابوا فيها متاعـا وسلاحـا ومالا كثيرا .

الانسان :

لا نعرف شيئا مذكورا عن قطبة : متى ولد ، وكيف عاش ، وأى نوع من الرجال كان ، وما هى اعماله فى المجالات غير العسكرية ، ومتى توفى ؟

روى عنه مقاتل السدوسى ، وقد كان صحابيا بدون شك ، لأنهم كانوا لا يؤمرون فى الفتوح الا الصحابة (١٥) .

وبلغ من اهمال المؤرخين وأصحاب السير لقطبة ، أنهم اختلفوا فى اسمه ، فقال قسم منهم : سويد بن قطبة الذهلى ، وليس ذلك بشىء ، لأن النصوص المتيسرة بين أيدينا لا تعرف هذا الاسم ، بل تذكر قطبة بن قتادة ، وتذكر معه جهاده فى جنوب العراق ، فلا مجال للتشكيك فى اسم قطبة بن قتادة .

القائـد :

كان قطبة قائدا يطبق مبدأ (المباغتة) فى حروبه ، وكان يبنى خطته لمباغتة أعدائه استنادا على استطلاع دقيق ، يكشف فيه نياتهم ومقدار قوتهم ، فقـد عرف مبكرا بأن أهل (الأبلة) قد حشدوا جموعهم لقتاله ، ولكنهم أحجمـوا عن مبادرته بالقتال لتزايد جموع المسلمين بعد قدوم خالد بن الوليد ، فكانت مجمل خطـة المسلمين هى : انسحاب خالد ورجاله نهارا من منطقة (الأبلة) ، وعودة خالد تحت جنح الظـلام ، ليورط أهل (الأبلة) بالالتحـام بقوات قطبـة ، على أمل القضاء عليها ، ظنا منهم بأن قطبة أصبح ضعيفا بعد انسحاب خالد الذى سيكون بعيدا عن الميدان فى أثناء نشوب القتال .

وهـكذا خدع أهل (الأبلـة) بانسحاب خالد وقواته نهارا ، ولم يقدروا أن خالدا سيعود بقواته ليلا ، ليكون مع قطبة فى قتال حماة (الأبلة) .

وحين اطمأن أهل (الأبلة) الى انسحاب خالد ، اجمعوا أمرهم على قتال قوات قطبة وحدها .

ولكنهم فوجئوا بعد أن أنشبوا القتال ، بأن قطبة لم يكن وحده فى الميدان ، بل كـان خـالد معه ، فغلبـوا على أمرهم ، وفتحت (الأبلـة) أبوابهـا للمسلمين .

وهذا يدل على أن قطبة كان متشبعا بروح مبدأ (المباغتة) ، أهم مبادىء الحرب على الاطـلاق .

كما أن تجمع قوات قطبة وقوات خالد فى المكـان والزمان الجازمين لمجابهـة أهل (الأبلة) ، يدل على تطبيق قطبة لمبـدأ (التحشد) ، وهو من مبادىء الحرب المهمة أيضا .

لقد كان قطبة قائدا عقيديا ، يتسم بالشجاعة والأقدام ، له عقلية عسكرية ، تتميز بالاستطلاع والحصول على المعلومات الدقيقة عن العدو ، مبنى خططه العسكرية استنادا على تلك المعلومات ، لذلك كان قائدا ناجحا كل النجاح .

قطبة فى التاريخ :

يذكر التاريخ لقطبة انه اول من فتح (الأبلة) .
ويذكر له أنه فاتح (الخريبة) التى هى جزء من الموضع التى ارتفعت عليه البصرة فيما بعد .
ويذكر له أنه من أوائل قادة الفتح الاسلامى .
ويذكر له أنه نهض بواجبه فى حرب أهل الردة .
رضى الله عن الصحابى الجليل ، القائد الفاتح ، قطبة بن قتادة السدوسى .

---

(١) نسبة الى سدوس (بفتح السين) وكذلك فى جميع العرب حاشا فى طىء وحدها ، فانهم سدوس (بضم السين) . وهو سدوس بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن وائل . انظر التفاصيل فى جمهرة أنساب العرب (٣١٧) وانظر طبقات خليفة بن خياط (١٤٧/١).

(٢) الخريبة : تصغير خربة ، موضع بالبصرة ، وسميت بذلك لأن المورزبان كان قد ابتنى بها قصرا وخرب بعده ، فلما نزل المسلمون البصرة ابتنوا عنده وفيه أبنية وسموها : الخريبة . أنظر التفاصيل فى معجم البلدان (٤٢٦/٣ ، ٤٢٧).

(٣) الاصابة (٢٤٢/٤)

(٤) أسد الغابة (٣٠٦/٤) ..

(٥) الاصابة ٢٤٢/٥ .

(٦) أسد الغاية (٢٩٩/٤) والاصابة (٤١/٦) والاستيعاب (١٤٥/٤) وانظر طبقات خليفة بن خياط (١٤٧/١) .

(٧) جمهرة أنساب العرب (٣١٥)

(٨) ابن الاثير (٣١٤/٢) .

(٩) طبقات ابن سعد (١٢٨/٢) والعبر (٩/١) وانظر الرسول القائد (٢٩٦) .

(١٠) الطبرى (٥٢٦/٢) وانظر التفاصيل فى قادة فتح العراق والجزيرة (٢٧) .

(١١) الأبلة : مدينة كانت مرفأ للسفن القادمة من الصين ، أنظر الطبرى (٩٣/٣) . وتقع جنوب البصرة القديمة بمسافة خمسة عشر ميلا وجنوب مدينة أبى الخصيب الحالية بحوالى ميلين . أنظر ما جاء عن الابلة فى معجم البلدان (٨٩/١) .

(١٢) البلاذرى (٤٧٥) .

(١٣) انكفأ على الشىء : مال . وانكفأ عنه : انصرف . وانكفأ اليه : رجع يقال : انكفأ الى وطنه .

(١٤) العسكر : الجيش ، ومجتمعه . وعسكر هنا : معسكر .

(١٥) الاصابة (١٩٤/٢) ، وقد شكك قسم من المستشرقين فيه ، فقالوا : يحتمل أنه لم يكن مسلما ، وقد ارتد عن الاسلام وتابعهم فى ذلك قسم من المستغربين ، ولا صحة لهذا الادعاء . ذلك لان أبا بكر الصديق رضى الله عنه لم يسمح لمرتد بالاشتراك مع الفاتحين جنديا أو قائدا . ولان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان لا يؤمر غير الصحابة ولا يولى القيادة من ارتد عن الاسلام كما هو معروف .

فاذا شكك المستشرقون بقطبة جهلا أو دسا ، فما عذر المستغربين ، وكيف يسمحون لانفسهم تدريس ادعاءات المستغربين فى الجامعات العربية الاسلامية ؟؟ !

مائدة القارئ

« اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فــلا تخشــوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

صدق اللــه العظيم .

اضحية النبى

روى أبو داود عن جابر أن النبى صلى الله عليه وســـلم ذبح يوم النحر كبشين أقرنين أملحين موجوأين ، فلما وجههما قال : وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا ومــا انا من المشركين . ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى للــه رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وأنا أول المســلمين . اللهم منك ولك عن محمد وأمته بسم الله واللــه أكبــر ، ثم ذبح .

عبادة العــلانية

ان معظــم العبــادات فى الاسلام تتم فى السر ، تتم بين المــرء ونفســـه ، التسبيح والصدقة والصوم يكره الاعلان عنها .

غير أن هناك عبادة ينبغى الاعلان عنها بتبديل الثياب ورفع الصوت بالتلبية ، وهى الحج والعمرة .

الناس والحق

الناس والحق اصناف ثلاثة :

قليلون جدا ينصرون الحق ، ويتشجعون فى الجهــر بــه والدفاع عنه .

وقليلون مجرمون يقفون فى وجه الحق لمصالح شخصية .

وأكثر الناس يحبون الحق ، ويحبون نصرته ، ولكن ينتظرون من يجهر به ليكونوا أتباعه .

اعتراف عالم

أعترف بأنى جبــان بقــدر شجاعتى فى قول الحق ... أخاف التعذيب وأخاف السجن، وأخاف الشنق ، وربما كان هذا هو السبب فى أنى أفضل العلم على السياسة ، فالعلم طريق غير محفــوف بالأشــواك ، والسياسة طريق وعر محفوف بالأشواك ، وربما كان هذا هو السبب فى أنـــى تخلفت عن زملائى السياسيين حيث تقدموا الى كانوارؤساء زملاء .

خواطر

فى الايام القديمة الطيبة كان أجدادنا يقاسون اهوالا فى طريقهم الى الاراضى المقدسة .

انهم كانوا يركبون الدواب الى شاطىء البحر ، ثم يركبون البحر الى شاطىء الصحراء ثميركبون الجمال ، وينامون أياما فى الطريق ، ويتعرضون للحر والبرد والعطش والجوع والخوف .

وفى القرن العشرين قصرت الطيارات والبواخر والسيارات المسافات ، ولكن اجراءات السفر والجوازات وتأشيرات الدخول والخروج والمصارف والعملة الصعبة كل ذلك أطالت هذا القصر ، ولكن بأسلوب آخر .

الطمع

يحكى أن غنيا وعد أن يعطى فلاحا أرضا بمقدار ما يجرى ، على أن يرجع قبل غروب الشمس ، فجرى وكلما جرى ازداد طمعا فى الارض التى بعدها ، حتى اذا قاربت الشمس الغروب بدأ يعود ، واستحثه قرب الغروب على سرعة العدو ، فمن كثرة عدوه انبت ، وفقد القدرة على الحركة فوقف مكانه ، وغربت الشمس ولم يعد للغنى فى موعده فلم يعطه شيئا من الارض فلا مال اقتنى ، ولا هو أبقى على نفسه .

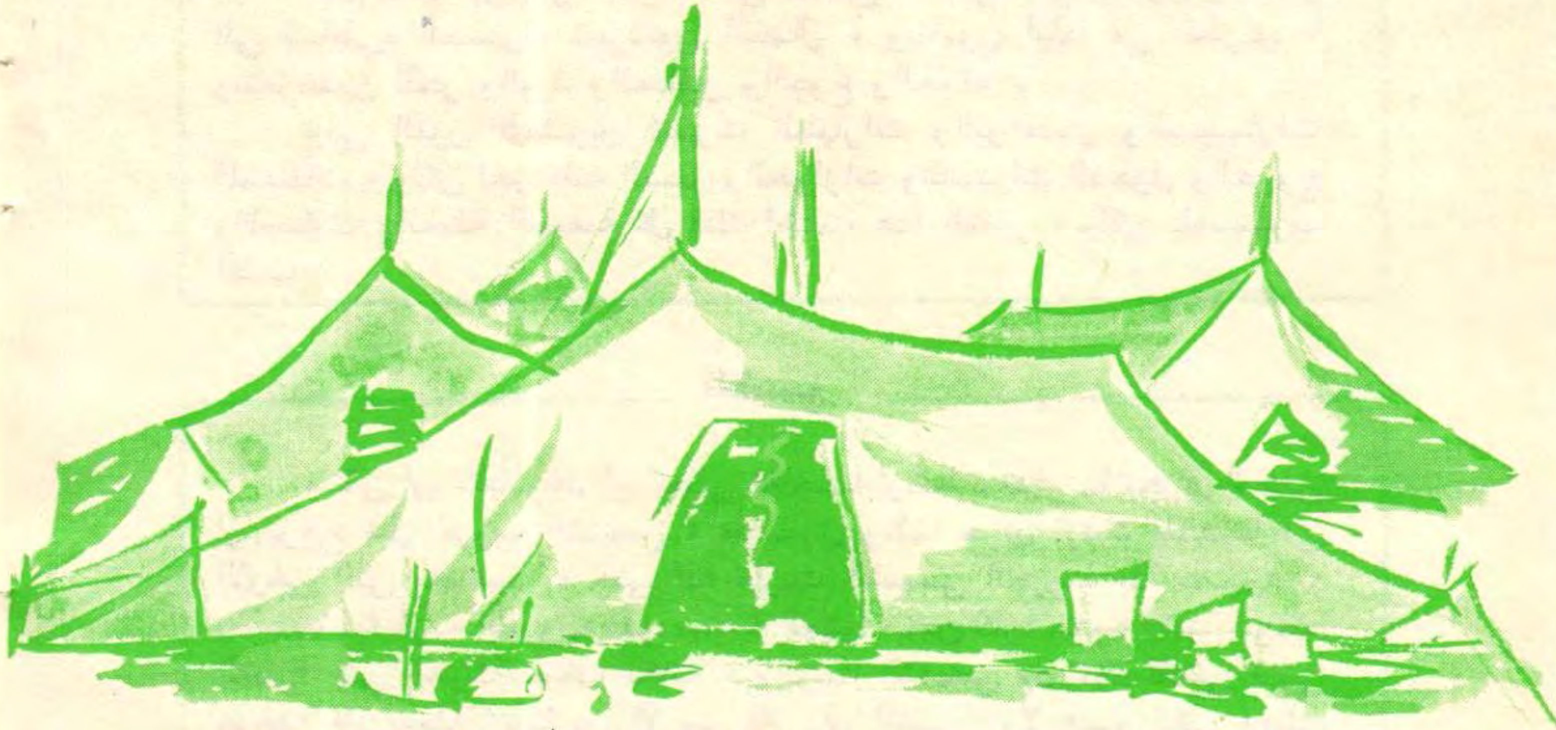
فى البداية

فى البداية القديمة لم تكن هناك كعبة ، ولا مسجد ، ولا شجرة ، ولا ثمرة ولا قطرة ماء ـ المكان واد غير ذى زرع . صحراء قاحلة تماما . فيما رواه البخارى عن ابن عباس : [جاء بها (هاجر أم اسماعيل) ابراهيم ، وبابنها اسماعيل وهى ترضعه ، حتى وضعهما عند البيت وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء وضعهما هناك ، ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ، ثم قفل ابراهيم منطلقا ، فتبعته أم اسماعيل ، فقالت : يا ابراهيم اين تذهب ، وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنس ولا شىء ، قالت ذلك مرارا ، وجعل لا يلتفت اليها ، فقالت له : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : اذن لا يضيعنا .ـ

ثم رجعت ، فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا ربه : « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

كل ماتراه اليوم من شعائر وطواف وسعى ومتعة روحية .. كل ما تجده من فواكه الارض وثمارها تجىء الى مكة المكرمة فى أوانها ، وتجىء فى غير أوانها ولد من شفاه ابى الانبياء . كان دعوة واستجيبت .

حياة الحجيج في الخيام



للدكتور محمد كامل الفقي

ليس فى وسع هذا القلم ، ولا من هدفه ، أن يستقرىء حياة الحجيج من شتى وجوهها ، أو أن يصف كل ما فى جوانبها ، فهى أشبه ما يكون بالمحيط البعيد المدى ، تمخر الجوارى ولكن فى بعض مسالكه ، ويصف الوصافون لكن لا يصفون الا طرفا من مقوماته .

حياة الخيام فى الحج ، حياة تنم كل خاطرة فيها عن غاية ، وترمز كل لحظة فيها لمبدأ ، وما كان الله ليعذب عباده قط بشعيرة الحج ، يفدون الى عرفات ومزدلفة ومنى وجبال وقفار دون أن يكون ذلك أكثر ربحا من اية تجارة مهما درت أخلاف الرزق ، وصدق الله العظيم اذ يقول (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم) .

ولعل التعبير عن ادراك هذه المنافع بعد ايرادها بصيغة الجمع بمشاهدتها اى برؤيتها رأى العين تجسيم لهذه المنافع وأنها تحس احساسا لا ينكر .

ما سمعنا أن ملكا من جبابرة الأرض أراد أن يحج بيت الله فأقيم له فى عرفات أو فى مزدلفة أو فى منى قصر شاهق ذو أبهاء وشرفات وحدائق وجنات وهيئت له اذ ذاك الوان من الراحة والنعيم فهو يخلع تاجه وثيابه الذهبية بمجرد أن يحرم ويدخل فى عداد الحجاج ، ويصبح على صورة لا تنم عن أدنى فرق ولا مميز بينه وبين من عاشوا فى جوع وعرى وحرمان وشظف عيش طول حياتهم ، وعسى القارىء أن يطير بخياله الى تراب مزدلفة الوثير ليشهد

ما يتقلب عليه من ناس هم ملك وسوقة ومترف ومحروم ، بل لعل هذا الذى عاش حياته أخا فقر وصبر وجوع ، وعرى ، وحرمان ، أكثر سعادة بالحج منه ، فهو فى حياة ألفها ، وهو قد خلا من الضيق والتبرم وعلى أى شىء يأسف ، وهذا العيش الجاف الذى يعيشه فى الحج امتداد لخط حياته .

ثم انه كما ينطق الواقع أرجى للمغفرة من كثير من ذوى الجاه ، وأعظم أملا من الموسرين ذوى النعمة فما حظ الاولين من الجنات الا بقدر شكرهم ، وقليل من عبادى الشكور .

ليس مظهر المساواة فى الحج هو ما نهدف اليه فى هذه الكلمات ، فمظهر المساواة فى الحج ومظهر المساواة فى سائر الاركان التى بنى عليها الاسلام واضح مشرق يمد القول بروافد غزار .

هذه الخيام المضروبة على التراب المشدودة على الحجر والصخر ، التى تحميها الشمس وتسفى عليها الرياح يحيا على أرضها الضيقة التى تعلو وتهبط أسر وفدت من القصور ومن الأكواخ تضم كل واحدة منهن ما تضم من رجل وامرأة وشيخ وشيخة ، وصبى وطفل ، وما تنال شيئا من متاع الحياة الا بجهد وكفاح ، حتى الماء ما يصل اليها ولا تصل اليه الا بسعى وجهاد ومثابرة ، ثم ان كل صغير وغر فى هذه الأسرة يتناوله بقدر ، ولا يلقى بالمستعمل منه فوضى ، وكما يكون ، فله جيران ملاصقون ، فهو لا يؤذيهم كما لا يحب أن يؤذوه .

ان الأسرة الحاجة مهما ضخمت عدتها وقلت عدتها تحصل بالحكمة والعقل والتدبير راحتها فى هذا الصندوق الصغير الذى لا يقبل سعة فهو بما فيه من تلاحم وتداخل اشارة الى حياة المرء كلها ما نقص منها شىء فالحاج يأكل ويشرب ، ويلبس ويتوضأ ، ويصلى ويفرش ، ويلتحف ويهىء النور بسراج وهاج أو غير وهاج وما تكون جزئية واحدة من هذه الحياة عفوا ولا مصادفة ، فهو قد رسمها وأعدها وقدرها وفكر فيها وذلك هو سر الحياة أن يقدر الانسان المسلم حياته من شتى وجوهها ، وأن يواجه حياة الصحراء بما يواجه بها حياة الروض ، بل لعله أكثر سعادة حين يحفر لخيامه بيده ، وحين يوقد سراجه ، ويذكى ناره ، ويحمل طعامه ويجلب ماءه وحين يتوقل فى جبال الارض المقدسة ووهادها . متوقيا الشمس لكنه غير خائف منها متجنبا الضلال لكنه لا يكف عن المسير .

انه فى رحلة ، ولو عقل الناس لأدركوا أنهم فى كل لحظة من حياتهم فى رحلة ، رحلة عمل ورحلة راحة ، رحلة يقظة ورحلة نوم ، رحلة عافية ورحلة سقم ، رحلة غنى بعد رحلة فقر ، ورحلة ضيق بعد رحلة نعمة ، وكل هذه النقل تقوم على مقومات تختلف عن صاحبتها أشد الاختلاف ، وظواهر هذا الاختلاف بادية على المرء أحس بها أو لم يحس ، شكى منها أو صبر عليها ، والا فما هذا السرور الذى يغمر الوجوه وبه تشرق ، وما هذا الضيق الذى يزوى ما بين الحاجبين ، وبه تظلم القسمات ؟

والحياة فى الخيام رمز الى رحلة أخرى يستوى الناس فى الافاضة اليها ، والنفور منها وان كانوا يختلفون فيما يجدونه من جزاء .

وما يتقدم حاج من الهند أو المهجر أو روسيا أو جنوب أفريقيا أو أقصى الارض الى الحجاز الا وقد دبر كل أمره ، وفكر فى كل ما يتصور فى حياة حجة ، بل أكاد أزعم أن الحاج ولو كان من مكة يعد ويهىء ويستعد ويقدر .

والعمل للغد والحذر من المستقبل من أرقى الغايات فى الاسلام ، والتذكير الذى يزخر به القرآن يهدف الى هذه الغاية أن نعمل ، فسيرى

الله عملنا ورسوله ، وأن نتزود بخير الزاد التقوى .

تختلف أساليب التذكير بالآخرة لكنها تلح علينا الحاحا ، أن نتذكر دائما أن الدار الآخرة هى الحيوان ، وأن الحياة الدنيا ليست فى الآخرة الا متاعا ، وأنها متاع الغرور .

مبدأ النظام الذى تؤسس عليه كل دعائم الحياة الاسلامية ، ويحرص الدين القيم أشد الحرص عليه ، يشد اليه الحاج فى حياته شدا ، ويلتزمه التزاما لا يكاد يحيد عنه فى سمت عسكرى دقيق لا يفرضه عليه أحد انما تفرضه عليه فطرته الاسلامية حين يعود الى حياة البساطة ، ويقيم المشاعر متجردة من كذب الدنيا وغلوائها ، ولو أن الناس أخذوا أنفسهم بما فرضه الاسلام من نظام فى معاملاتهم مع غيرهم وفى معاملاتهم أنفسهم لكان آخر هذه الأمة كأولها سعادة وراحة واستقرارا .

كلمة النظام مرادفة لحياة الحج وكأن النظام فى هذه الرحلة حبات عقد يضيع العقد بقدر ما ينتثر من حباته .

هذه المناسك تؤدى فى وقتها وعلى ترتيبها ، فالاحرام قبل الطواف ، والوقوف بعرفة قبل المبيت بمزدلفة ، وطواف الافاضة بعد العودة من عرفة والحلق أو التقصير أو الذبح بعد ذلك ، والرمى فى وقته ، وبحصيات سبع يتفق عددها ، ويكاد أن يتفق حجمها والسعى بين الصفا والمروة على نظام دقيق غريب ، الكل يبدأ بالصفا والرمل بين العمودين الأخضرين والجميع يستقبل الكعبة مكبرا مرددا أن الصفا والمروة من شعائر الله .

والطواف حول الكعبة فى نظام أنيق دقيق ، تزخر أفواج الناس لكنهم يتفقون فى لباسهم وعدد طوافهم ، ولا يقابل فريق فريقا بل الكل يمشى فى اتجاه واحد .

والأحكام الشرعية التى يتقبلها الحجيج برضا وشكر أحكام عامة تؤدى مرتبة من سائر الناس . وكثير من الناس من يغفل عن صلاة الفجر فى مدنهم وقراهم ، لكن قرآن الفجر مشهود مسموع النغم بين هؤلاء ، فما ينادى المنادى به الا استجاب كل حاج وهب من نومه سعيدا قرير العين .

من حرص الناس ولو كانوا على خط ضئيل من اليسر أن يجودوا ويبذلوا ؟ من حض القوى أن يلطف بالضعيف ؟ من حث الجار على أن يرعى شعور جاره ؟

من حبب كلا فى كل وأوصى كلا بكل ..؟

هذه الميادين السحرية التى تشرق فى نفوس المؤمنين ، فاذا هم يد واحدة وروح واحد ، حياة الخيام فى الأرض المقدسة ، وفى ظل هذه المشاعر الزكية ، هى مدرسة الصبر والارادة .

كل مترف ناعم وكل مرفهة نؤومة الضحى ، وكل شيخ فان ، أو طفل باغم يتعرض لمشقات ومتاعب لا مندوحة من الصبر عليها والرضا بها . وبقدر استعداد النفوس ولهفتها على الأجر والمثوبة يكون الاقبال على وعثاء الحج وصعبه ووعره .

كل حاج يزاحم بالمناكب وبالرمق القليل فى الطواف حول الكعبة والسعى بين الصفا والمروة ورمى الجمرات وهو فيما أرى قمة المتاعب .

الاعتماد على النفس والصبر والارادة من أبرز حياة الحجيج .

وعبث أشد عبث أن يروض الناس أنفسهم على عز هذه الخلال ثم يعودوا بعد الحج للطيش والغضب والفوضى ونسيان المستقبل ، والجمود وأذى الناس .

كم فى حياة الحجاج من مغاز كريمة ، ومقاصد نبيلة ، ودلالات رفيعة ، انها والله فرصة العمر ، ولا يقل الفرح فى موسم الحج عن الفرح بما نرجوه من مغفرة والله عند حسن الظن .

التأمين التعاوني

وكيف يمكن تطبيقه في المجتمع الإسلامي

للأستاذ : محمد الدسوقي

١ — فى البحث الذى نشرته مجلة « الوعى الاسلامى (١) » الزهراء تحت عنوان « التأمين بين النظرية والتطبيق فى ضوء الشريعة الاسلامية » انتهيت الى أن التأمين التجارى لا يخلو فى أحسن حالاته من شبهة محرمة ، وأنه لا يقوم على التعاون ، كما أنه لا يشبه بعض صور المعاملات الفقهية المعروفة ، فضلا عن أن المجتمع الاسلامى ليس فى حاجة ماسة الى الاخذ بهذا اللون من التأمين بحيث اذا أهملنا الاخذ به وقع الناس فى عنت وحرج وتعرضوا لخطر وضرر لا قبل لهم بدفعه أو تحمل آثاره .

وقد انتهيت أيضا الى أن التأمين التعاونى نظام تبيحه الشريعة الاسلامية لانها جعلت التعاون أمرا مفروضا بين أفراد المجتمع الاسلامى وأكدت أن الفردية أو السلبية ليست من خلال المؤمن لأن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

والفرق بين التأمين التجارى والتعاونى أن الاول تزاوله شركات تجارية لا رغبة فى أداء رسالة اجتماعية ولكن سعيا وراء الربح والثروة ، ومن ثم يخضع عقد التأمين التجارى لقواعد ومبادىء لا تحقق التعادل الكامل بين المؤمن والمستأمن .

وأما التأمين التعاونى فان القائمين به لا يسعون الى جر مغنم مادى منه ، فكل منهم يجمع بين صفة المؤمن والمستأمن ، وهم يسهمون فيه ليدرأوا عن أنفسهم وأموالهم ما قد يتعرضون له من أخطار وأضرار فى صورة تكافلية لا تعرف الاستغلال أو الاثراء على حساب الغير .

٢ — والجدير بالذكر أن كلا النظامين بمفهومهما القانونى الوضعى عرف فى أوروبا وأمريكا قبل أن يعرف فى العالم الاسلامى وقد شهد القرن الماضى زحف النظام التجارى الى بلادنا تحركه بواعث السيطرة والاستغلال ، وعملت الدعاية الرأسمالية اليهودية على التمكين لهذا النظام ، والحيلولة دون انتشار النظام التعاونى غير أن هذا النظام وجد أنصارا ودعاة أثبتوا أنه أولى من غيره فأخذ يشيع فى أوروبا وأمريكا فى الوقت الذى تضاعف القول فيه بوجوب تعميم النظام التجارى فى البلاد الاسلامية ، واختلاف الفقهاء المسلمين حول شرعية هذا النظام .

واذا كان المفهوم الوضعى للتعاون (٢) يقوم على تبادل المنافع بين أفراد المجتمع دون أن يكون هناك استغلال من شخص لآخر أو من جماعة لأخرى ، فان مفهوم التعاون فى الاسلام أشمل وأكرم من هذا المفهوم ، لأن الفرد فى المجتمع الاسلامى لا تربطه بأخيه المصلحة المادية فحسب ولكن تربطه أولا صلة العقيدة التى هى أسمى وأقوى من وشائج القربى والنسب ، ولهذا لم يقف التعاون فى الاسلام عند تبادل المنافع المادية كما أنه فى الغالب كان وما يزال اعطاء دون انتظار لأخذ .

ان المجتمع الاسلامى مجتمع يؤمن كل أفراده بأنهم خلفاء على ما بأيديهم من ثروات ، فلا يعرفون الشح والأثرة ولا يكنزون الذهب والفضة ، ولكنهم ينفقون مما استخلفهم الله فيه كما أمرهم الله ، انه مجتمع شعاره الاخاء والتكافل والتعاون ولهذا كان كالجسد الواحد أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

٣ — ولهذا فان التأمين التعاونى الذى أعرض له هنا برسم صورة عامة لما يمكن أن يكون عليه من حيث التطبيق ليس هو نفس هذا التأمين بمفهومه الوضعى ، وان كان يسترشد به فى بعض القواعد ، وذلك لأن المجتمع الاسلامى يجب ألا يلجأ الى التطبيق الحرفى لكل الانظمة التى يأخذها عن غيره مهما تكن صالحة ، وانما عليه أن يصبغها بالصبغة الاسلامية ليظل دائما متميزا بطابعه الخاص الذى مازه الله به .

ولهذا فان أول ما يجب العمل على تنفيذه فى المجتمع الاسلامى لتحقيق أهداف التأمين التعاونى هو انشاء شركة تأمين حكومية تكون مهمتها جمع الزكاة وانفاقها فى مصارفها المشروعة ، فالزكاة ضريبة تكافل بين القادرين والعاجزين فى المجتمع الاسلامى ، وهى ليست احسانا من المعطى ، وليست شحاذة من الآخذ ، فما قام النظام الاجتماعى فى الاسلام على التسول ولن يقوم ، ولكنها حق معلوم له وظيفة اجتماعية محددة ، والدولة مسئولة عن جمعها وتوزيعها، حتى تؤدى رسالتها على أكمل وجه نحو من تجب عليهم ومن يستحقونها .

٤ — واذا كانت بعض الدول الاجنبية تتيه فى هذا العصر لأنها دعت الى الضمان الاجتماعى (٣) فاننا مع تقدير كل عمل يحفظ للانسان انسانيته وكرامته ، نلاحظ أن لجوء هذه الدول الى الأخذ بالضمان الاجتماعى لم يكن خالصا من الدوافع السياسية والرغبات الذاتية وتملق الطوائف التى يخشى ثورتها وعصيانها ، فمثلا عندما قامت الحرب العالمية الثانية رأت بريطانيا وأمريكا ضرورة كسب ولاء الشعوب وبخاصة طبقاتها الفقيرة المساقة الى ميادين

القتال بشيء ملموس ذى أثر فعال ، لذلك أعلنتا ميثاق الاطلسى الذى بينت مادته الخامسة رغبة الدولتين فى التعاون الاقتصادى الوثيق بين الأمم لكى يتحقق للجميع خير الظروف للعمل والتقدم والرفاهية والضمان الاجتماعى ، كذلك اتهم بعض المسئولين الامريكيين الرئيس روزفلت بأنه نادى بمشروع الضمان الاجتماعى لكسب أصوات الناخبين فى المعركة الانتخابية .

أما الشريعة الاسلامية فانها نادت بالضمان الاجتماعى منذ أربعة عشر قرنا على أسس وطيدة من المبادىء الانسانية الخالدة والتكافل الاجتماعى الشامل الذى يرعى كل فرد يعيش فى المجتمع الاسلامى دون نظر الى عقيدته أو جنسيته ، والشواهد التاريخية أشهر من أن تذكر .

والزكاة ليست غير فرع من فروع التكافل الاجتماعى فى الاسلام ، وهى نظام يحقق غايات التأمين التعاونى لمن هم فى أمس الحاجة اليه ولكنهم لا يقدرون على الاسهام فيه ، ومن هنا ، فان انشاء شركة تأمين حكومية تكون مهمتها جمع الزكاة وانفاقها فى وجوهها المشروعة — فضلا عن أنه واجب الدولة فى الاسلام — هو خطوة على الطريق السديد للوصول بالمجتمع الاسلامى الى ما يجب أن يكون عليه من التعاون الكامل والترابط الوثيق والاخاء الصادق والايثار الكريم .

وتجدر الاشارة الى أن ضريبة الزكاة لا تغنى عنها ضريبة أخرى من الضرائب التى يفرضها ولى الأمر — عن طريق الشورى — رعاية للمصالح العامة ، لأن لها وظيفة اجتماعية لا سبيل الى القيام بها الا عن طريق أداء الزكاة ، وهى كما أشرت آنفا ليست استجداء فهى حق وضريبة تكافل بين القادرين والعاجزين فى الأمة .

٥ — على أن انشاء تلك الشركة التى تتولى جمع الزكاة وانفاقها اذا كان يحقق الضمان والامان لمن هم فى أمس الحاجة الى الرعاية والمعاونة ولكنهم لا يقدرون على الاسهام فى التأمين التعاونى ، فان الذين يقدرون على الاسهام فى هذا النظام يمكن تقسيمهم من حيث نوعية العمل (٤) وتقوم كل جماعة يضمها عمل مشترك مثل أساتذة الجامعات والقضاة والمدرسين والاطباء والعمال على اختلاف أنواعهم بانشاء جمعية تعاونية للتأمين يدفع كل فرد فيها نسبة معينة من راتبه الشهرى ، ثم تستثمر هذه الاموال بالطرق المشروعة وترصد لسد حاجات أفراد هذه الجماعة سواء فى حالات انتهاء الخدمة أو الحوادث أو العجز أو المرض أو الوفاة أو تزويج الاولاد ، طوعا لقواعد تفصيلية يمكن وضعها وفقا لحاجة الجماعة وظروفها الخاصة .

وتقوم نقابات المهن التعليمية فى مصر بلون من هذا التأمين فهى تأخذ من كل مدرس شهريا نحو ٢٥ قرشا فضلا عن ربع العلاوة السنوية ، وتدفع فى نهاية مدة الخدمة مبلغا يكاد يكون عين ما أخذته النقابة مقسطا ، واذا توفى المدرس فى أثناء الخدمة ودون أن يكون لاولاده معاش محدد فان النقابة تدفع لهم الفرق بين ما يحصلون عليه من الدولة وما يجب أن يكون عليه معاشهم حتى يستطيعوا مواجهة أعباء الحياة .

وما تقوم به هذه النقابات يمكن التوسع فى مجاله ليشمل حالات

المرض والسرقة وتزويج الاولاد حتى لا يلجأ بعض العاملين الى ما يسمى باستبدال المعاش لأن هذا الاستبدال يؤثر على رواتبهم سواء فى أثناء الخدمة أو بعد انتهائها .

٦ — وكانت وزارة الاوقاف فى مصر تؤمن على عقاراتها السكنية — وهى كثيرة — لدى الشركات التجارية للتأمين ، وبعد مرور عدة أعوام أدركت الوزارة أن أموالها ضاعت هباء ، وأن شركات التأمين قد ابتزت منها أموالا ضخمة ثم لم ترزأ الا بمبلغ تافه ، ودفعها هذا الى انشاء صندوق اعتبارى فى الوزارة للتأمين تدفع اليه الاقساط التى كانت تدفع الى شركات التأمين ، وتقوم هيئة مسئولة بالاشراف على أعمال هذا الصندوق واستثمار أمواله ، وترصد هذه الاموال لتعويض الخسائر التى تتعرض لها تلك العقارات من اصلاح أو تجديد أو غير ذلك .

والطريقة التى أخذت بها هذه الوزارة يمكن أن تأخذ بها كل المؤسسات الحكومية على أن تقوم هيئة للتأمين التعاونى على عقارات الدولة بمهمة الصندوق الذى أنشأته وزارة الأوقاف .

أما العقارات الخاصة فانها تقسم من حيث تبعيتها لأقسام الشرطة أو المدن ويدفع كل مالك سنويا قسطا معينا ، وتتولى هيئة للتأمين التعاونى على العقارات الخاصة جمع الاقساط واستثمارها وتعويض الخسائر التى تتعرض لها هذه العقارات .

٧ — وبعد ما تقدم يمكن عرض هذا الاقتراح الذى يتمشى فيما أرى مع روح الشريعة ومبادئها ولا تحوم حوله الشبهات ، وهو مع ذلك يحقق معنى التعاون الكامل فى المجتمع الاسلامى :

أولا : أن تنشأ مؤسسة عامة للزكاة لها فرع فى كل اقليم ، ويقوم كل فرع بجمع الزكاة واعطائها الى من تجب لهم ، وتكون مهمة المؤسسة الاشراف على التحصيل والانفاق واستثمار ما يفيض عن الحاجة وادخاره لوقت الضرورة ، وهذا يؤدى الى تأمين حياة من هم فى حاجة الى التأمين ولكنهم لا يقدرون على دفع أقساطه .

ثانيا: أن تنشأ مؤسسة عامة للتأمين التعاونى تكون رسالتها الاشراف على الجمعيات التعاونية التى تكونها كل جماعة يجمعها عمل مشترك .

ثالثا : أن تنشأ مؤسسة عامة للتأمين على العقارات الحكومية وغيرها تقوم بتحصيل الأقساط ورصدها لترميم آثار الاخطار التى تتعرض لها تلك العقارات .

وهذا الاقتراح ليس سوى فكرة مجملة أما التفاصيل فيمكن وضعها بعد ذلك .

٨ — ورب لقائل أن يقول ان تأميم شركات التأمين قد حل المشكلة لأن الدولة هى التى تحصل على الارباح وهذه تنفق فى المصالح العامة ، ولكن المشكلة أن هذه الشركات تخضع لنفس (٥) المبادىء التى كانت تسير عليها قبل التأميم ومن ثم فان الشبه العديدة التى أثيرت حول التأمين قبل تأميمه ما زالت قائمة بعد التأميم .

وهناك نقطة هامة تتعلق بالقسط وذلك لأن الشركات التجارية مؤممة

أو غير مؤممة تريد الحصول شهريا على قسط لا يقدر عليه كل فرد ولهذا يحجم كثيرون عن التـأمين لا لأنهم لا يطمئنون اليه دينيا ولكن لأنهم يعجزون عن دفع ما يطلب منهم ، أما القسط فى التأمين التعاونى فانه يكون يسيرا وبخاصة اذا كان عدد المشتركين كثيرا وبذلك يستطيع أصحاب الدخول المحدودة الاسهام والافادة منه ، ونظرا لأن التأمين التعاونى ليست غايته تحقيق ربح لمساهمين وخدمات لآخرين كالتأمين التجارى فان مرور الأعوام واستثمار الاقساط قد يؤدى الى تخفيض قيمة القسط فى التأمين التعاونى الى درجة أن يصبح قروشا زهيدة لا تؤثر على دخل الفرد مهما يكن (٦) قليلا ، وقد لا يدفع القسط فى بعض السنوات .

٩ — ويرى بعض رجال الاقتصاد (٧) ضرورة الابقاء على الشركات التجارية للتأمين حتى بعد تأميمها بحجة أننا نستفيد من اعادة (٨) التأمين لدى الشركات الاجنبية فى كسب عملات صعبة تقدم لنا منها ، ولأن هذه الشركات تضم أجهزة فنية وآلافا من الموظفين الذين اذا نقلوا الى وظائف أخرى فان هذا يؤدى الى تبديد طاقات فى غير محلها، كما أن لشركات التأمين دورا هاما فى الوقاية من حدوث الكوارث فلها أجهزتها الفنية التى تقوم بتوجيه الارشادات اللازمة لوقاية المصانع والأفراد من مختلف الاخطار .

ولكن هذا لا يسوغ استمرار التأمين التجارى لان هؤلاء الموظفين يمكن أن يعملوا فى مؤسسات التأمين التعاونى كما تقوم الاجهزة الفنية بأداء مهمتها فى هذا المجال كذلك .

وأما العملات الصعبة التى نحصل عليها من الشركات الاجنبية عندما نعيد التأمين لديها فان ما يدفع لهذه الشركات بالعملات الصعبة قد يكون أكثر مما يرد الينا ، وقد لا يرد الينا شىء مطلقا فيؤدى هذا الى خسارة تلحق بالاقتصاد القومى .

وقد كانت شركات التأمين فى مصر قبل سنة ١٩٥٦ مسرحا للفوضى والتلاعب ، وكانت اعادة التأمين لدى الشركات الاجنبية وسيلة لتهريب الأموال الى الخارج ، وكان صافى خسائر البلاد عن طريق اعادة التأمين فى الخارج يقدر بنصف مليون جنيه تخرج من مصر فى صورة عملات أجنبية ، ولهذا أنشأت الدولة فى مصر شركة لاعادة التأمين فى البلاد حتى لا تتسرب الاموال الى الخارج (٩) .

١٠ — وبعد فان الذى لا خلاف عليه أن الحياة الراهنة قد تعددت مشكلاتها وأن الناس يتوجسون كل يوم من أخطارها ، وأنهم فى حاجة الى نظام يكفل لهم الضمان والأمان ، بيد أن هذه الحاجة لا تفرض علينا أن نأخذ عن سوانا دون نظر الى علاقة ما نأخذ بأصول شريعتنا وقواعد ديننا . ان الاسلام دين صالح لكل زمان وكل مكان وهذه الصلاحية مصدرها حيوية هذا الدين واحترامه للعقل البشرى ، ولكن من الخطورة بمكان أن تستغل دعوى صلاحية الاسلام هذه استغلالا يجعلنا نتخلى عن تعاليم هذا الدين شيئا فشيئا لان ذلك سيقود هذه الأمة — لا قدر الله — الى زمن لا يبقى لها فيه من دينها الذى مكن لها فى الارض وجعلها خير أمة أخرجت للناس الا اسمه فقط .

ومن أجل الاسهام فى تقديم ما يحقق للناس ما يتطلعون اليه فى هذا

العصر من أمان وضمان عرضت هذا المنهج الذى لا أزعم أنه كامل أو صالح كل الصلاحية للتطبيق . ولكنه محاولة نطمع أن تنال من المختصين بعض العناية والاهتمام بغية الوصول الى منهج تأمينى يتفق مع أصول ديننا ويحقق للمجتمع التكافل والتضامن والأمان والاستقرار .

والذى أود الاشارة اليه أخيرا أن الاسلام كل لا يتجزأ وأن العبادات فيه لا تنفصل عن المعاملات ، وأنه بعد ذلك لا بد أن تكون له دولة تحميه وترعاه حتى لا يساء اليه أو يفرط فى أداء شعائره .

---

١) العدد الستون .

٢) أنظر التعاون من الناحيتين المذهبية والتشريعية للدكتور محمد حلمى مراد ص ١٢ .

٣) الضمان الاجتماعى تعبير لم يعرف الا فى العصر الحديث وقد ظهر لأول مرة فى عالم التشريع عام ١٩٣٥ حين أصدرت أمريكا قانون الضمان الاجتماعى ، ويقصد به ضمان قدر معين من الدخل للفرد كحد أدنى أو تقديم مساعدة له فى حالة البطالة أو المرض أو الشيخوخة (انظر مقدمة الضمان الاجتماعى للدكتور مهدى السعيد) .

٤) كان المرحوم الاستاذ محب الدين الخطيب من الداعين الى هذا النظام من التأمين بدلا من النظام التجارى الذى حكم عليه بأنه غير جائز شرعا .

(انظر مجلة الأزهر المجلد السادس والعشرون العدد ٥ ، ٦) .

٥) الوسيط فى شرح القانون المدنى الجديد للدكتور السنهورى ج ٧ ص ١١٠٩

٦) أنظر فلسفة النظام التعاونى ص ١٧٩

٧) أنظر لمحات فى اقتصادنا المعاصر للدكتور مظلوم حمدى ص ٢٣١

٨) اعادة التأمين : عقد بمقتضاه تلتزم احدى شركات التأمين بالمساهمة فى تحمل أعباء المخاطر المؤمن منها لدى شركة أخرى .
(راجع شرح القانون المدنى الجديد فى التأمين للدكتور محمد على عرفه ص ١٧٥)

٩) أنظر مجلة الاهرام الاقتصادى العدد ١٨٨



موقعة عين جالوت

الموقعة التي قضت على أطماع التتار وخلّصت العالم من شرّ مستطير

للأستاذ : محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

« ولينصرن اللـــه من ينصره ان الله لقوى عزيز » **(صدق الله العظيم)**
آية (٤٠) من سورة الحج .

عاش « التتار » فى الهضبة الآسيوية الشاسعة المترامية الاطراف ، والتى تمتد من أطراف « الصين » الى أواسط « آســيا » ، واشتغلوا بالرعى ، والانتقال السريع على ظهور الخيل ، حتى تبدو حركاتهم وراء الرزق زحفا حربيا سريعا .

وفى ظل هذه الحياة القاسية نشأت قبائل « التتار » ، وترعرعت على أعمال العنف ، وتحايلت فى الحصول على أسباب العيش ، وأصبحت مظاهر حياتهم متميزة بالخشونة .

ولم يبدأ التاريخ الاسود لهذه القبائل الا بعد ظهور زعيمهم « جنكيزخان » الذى لم شملهم وجمعهم تحت شعار تميز به ، وعرف عنه ، وهو : أن الحيــاة للقوى وحده ولا مكان للضعيف فيها .

ومعنى كلمة (جنكيزخان) فى لغة « التتار » أعظم الحكام ، أو امبراطور البشر كله . وقد صار هذا اللقب عنوانا على الظلم ، والجبروت ، والتدمير ، والتخريب ، وعلى كل ما اقترفه « التتار » فى تحركاتهم التوسعية ، كما أصبح اسم « جنكيزخان » دلالة على غضب الله عز وجل ، ونذيرا بنقمتـــه اذا نزل « التتار » بأى أرض أو حلوا بأى قطر .

وقد تميزت خططهم الحربية بالدقة والعنف ، وحسن تنفيذ القائمين عليها ، وذلك لأنها درست دراسة وافية مستفيضة ، واستغرقت وقتا كافيا لاعدادها ، وقد جرت عادة « التتار » على أن يحكموا خططهم احكاما دقيقا حتى يفاجئوا عدوهم ، ولا يتيحوا له أية فرصة ينجو بها من خطرهم ، ويفلت من شباك الدمار والخراب والموت التى ينصبونها له ، ويضاف الى ذلك أن خطط « التتار » بنيت على أساس متين من المعلومات الدقيقة .

وهذه المعلومات كان ينقلها اليهم جواسيسهم المدربون تدريبا كاملا ، والذين كانوا منتشرين فى الاقطار المجاورة لبلادهم .

جنكيز خان والشرق العربى :

بعد أن تمكن (جنكيز خان) من اخضاع معظم « التتار » لسلطانه ونفوذه ، اتجه ناحية الغرب ، فاصطدم بالسور الامامى الذى يحمى بلاد الشرق العربى ، من خطر قبائل البدو فى وسط آسيا وكان هذا السور ممتدا فى أرض خراسان بالشمال الشرقى من فارس ، وفى بلاد ما وراء النهر التى يجرى فيهـــا نهرا سيحون وجيحون ، وقد انتشرت فى تلك المنطقـــة المدن العـــامرة ، والمواقع الاستراتيجية الهامة ، التى تؤدى مباشرة الى اقليم العراق من أرض الشرق العربى ، ومن هذه المدن (بخارى) التى علا صيتها ، وذاع اسمها بعلمائهـــا المشهورين فى الحديث الشريف والفقه الاسلامى ، ومدينة (سمرقند) التى اشتهرت بأسوارها الحصينة المنيعة ، وحدائقها الغناء النضرة .

وقد حل بتلك المدن وغيرها الدمار والخراب على أيدى (التتار) الذين قتلوا أهلها ، وذبحوا علماءها وفقهاءها ، واحتلوا رقعتها الواسعة .

غزو العراق وسقوط بغداد :

تحرك « هولاكو » بعد أن قضى على الدولة الاسماعيلية وســـار مباشرة صوب « بغداد » ، وبعث فى الوقت نفسه جيشا آخر للزحف على « بغداد » عن طريق « تكريت » و « الموصل » ، تحت قيادة « بايجونوين » ، وكان عدد القوات المقاتلة التى تحت امرة « هولاكو » وحده ثلاثين ألف مقاتل .

وزحفت جيوش « التتار » زحفا سريعا نحو « بغداد » وأصبحت قوات « بايجونوين » على مقربة من « بغداد » واشتبكت مع جيوش الخليفة العباسى فى قتال عنيف ، على الضفة الغربية من نهر « دجلة » وهزمتهم هزيمة فادحة ، حيث غرق عدد كبير وانسحبت القوات الباقية ، ثم أخذ القائد التتارى يوالى

زحفه حتى اقترب من دار الخلافة نفسها ، وصار لا يفصله عنها سوى نهر « دجلة » .

وفى نفس الوقت هاجم « هولاكو » مدينة « بغداد » من الضفة الشرقية وأحاط بها ، وأصبحت (بغداد) أسيرة الحصار التتارى ، وسرعان ما سقطت حاضرة الخلافة الاسلامية فى أيدى (التتار) ، فقتلوا الخليفة أشنع قتلة ، ثم مضوا ينتهبون المنازل ويعتدون على الاعراض ، ويريقون الدماء ، ويخربون المساجد ، والجوامع ، وعمدوا الى المكتبات فألقوا بما فيها فى نهر (دجلة) ، واتخذوا منها جسرا تمر عليه خيولهم ، وظلوا فى عدوانهم الاثيم مدة أربعين يوما قتل خلالها قرابة مليونى نفس من المسلمين ، وكان ذلك فى شهر المحرم سنة ٦٥٦ من الهجرة ، التى تعتبر أسوأ سنة مرت بالشرق العربى ، وقد وصفها خطيب بغداد فى الجمعة الاخيرة بقوله : « اللهم أجرنا فى مصيبتنا التى لم يصب الاسلام وأهله بمثلها وانا لله وانا اليه راجعون » .

المماليك :

صاحب قيام دولة المماليك فى مصر تطورات داخلية سريعة ، ذلك أن شجرة الدر قد تآمرت على زوجها عز الدين أيبك ودبرت خطة لقتله ، فأثار قتله غضب المماليك ، فولوا مكانه ابنه المنصور نور الدين الذى كان طفلا لا يتجاوز الخامسة من عمره ، وقتلوا شجرة الدر انتقاما لرئيسهم ، غير أن مدة حكم المنصور لم تطل ، فسرعان ما ظهر خطر التتار على البلاد الاسلامية ، وسقطت بغداد فى أيديهم وقضوا على الخلافة العباسية ، ثم ابتدأوا يتحركون صوب بلاد « الشام » ، وحينئذ أدرك المماليك أن هذا الخطر يتطلب سلطانا قويا ، قاهرا يوقفه عند حده ويقضى عليه ، والملك المنصور طفل لا يقدر على القيام بأعباء الحكم وتدبير شئون المملكة .

وتم عزل المنصور ، ونصب سيف الدين قطز نفسه سلطانا على « مصر » ، وفى ذلك الحين كانت بلاد « الشام » الاسلامية قد وقعت فى قبضة « التتار » ودانت لسلطانهم ، ولم يبق خارج نطاق نفوذهم غير الحجاز ، ومصر ، واليمن .

انذار من التتار :

رسالة هولاكو الى قطز :

بعث هولاكو أثناء وجوده فى بلاد الشام بانذار الى سيف الدين قطز ، يطالبه فيه بالاستسلام ، ويذكر له أن التتار قد غزوا جميع البلاد ، ولم تستطع أى قوة أن تردهم أو تقف فى طريقهم .

« انا نحن جند الله فى أرضه ، خلقنا من سخطه وسلطنا على من حل به غضبه ، فلكم بجميع البلاد معتبر ، ومن عزمنا مزدجر ، فاتعظوا بغيركم ، وأسلموا الينا أمركم قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا ، ويعود عليكم الخطأ ، فنحن ما نرحم من بكى ، ولا نرق لمن شكا ، وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد ، وطهرنا الارض من الفساد ، وقتلنا معظم العباد ، فعليكم بالهرب وعلينا الطلب ، فأى

أرض تؤويكم ؟ وأى طريق تنجيكم ؟ وأى بلاد تحميكم ؟ فما لكم من سيوفنا خلاص ولا من مهابتنا مناص » .

وكان الوفد الذى حمل رسالة « هولاكو » الى قطز يتألف من بضعة عشر رجلا يرأسهم خمسة من كبار « التتار » الذين يجيدون التحدث باللغة العربية اجادة تامة . وكان بصحبة الوفد صبى تترى .

وعندما قرأ قطز رسالة « هولاكو » جمع أمراء المماليك لأخذ مشورتهم فيما يجب أن يفعله ، فكان رأى أكثرهم التلطف فى الرد على رسالة « هولاكو » دفعا لشره ، ثم يتفقون معه على قدر معين من المال يدفعونه اليه كل عام بصفة جزية ، وبذلك يتحاشون هجومه على البلاد واهلاك الحرث ، والنسل ، وكاد اجماعهم يكون عاما ، على أنه لا فائدة من محاربة « التتار » ، واللين فى مثل هذا الموقف أفضل من الشدة ، فانه لا طاقة لهم بهم .

أثار هذا الرأى غضب قطز عقب سماعه ، وبدت آثار الغضب على وجهه ، وتغير لونه حتى كاد يقطر دما من شدة احمراره ، ثم عمد الى رئيس الجماعة الذى يمثلهم ويتحدث بلسانهم وانتزع منه سيفه وحطمه على ركبته ، ثم ألقاه على الارض فى وجهه وصاح فيه قائلا : « ان السيف الذى يجبن حامله على القتال لخليق به أن يكسر هكذا ويلقى فى وجه صاحبه » .

تصرف حاسم :

أمر قطز باحضار أعضاء الوفد للمثول بين يديه ، فأحضروا ، فقال لرجاله : « اصنعوا بهم ما أمرتكم به » فخرجوا بهم من مجلسه ما عدا أحد الرسل فقد استبقاه عنده ، ونودى فى الناس ليخرجوا ويشاهدوا أعضاء وفد هولاكو فخرج الرجال ، والنساء ، والاطفال لرؤيتهم ، وقد أركبوا على ابل وقد شد وثاقهم ، ووجوههم متجهة نحو ذيول الابل ، وسارت جموع الناس تحيط بهم ، وأخذوا يهتفون ، ويصيحون ، ويشيرون بأيديهم فرحا ، وبعد وصول الموكب الى سوق الخيل قتلوا أحد الرسل وعلقوا رأسه بالسوق ، وعندما بلغوا باب زويلة قتلوا الثانى وعلقوا رأسه بالباب ، وعلقوا رأس الثالث على باب النصر ، والرابع بصحراء الريدانية ، ثم أنزل الباقون وقتلوا دفعة واحدة .

وأمام باب القلعة أمر قطز باحضار الرسول الذى كان قد استبقاه واستثناه من القتل ، ليجعله يرى ما يحل باخوانه ، ويشاهد أيضا استعراضا للجيش الاسلامى ، ثم قال له : « أخبر مولاك اللعين بما شاهدته من بعض قواتنا ، وقل له ان رجالنا ليسوا كمن شاهدهم من الرجال قبلنا ، وقل لمولاك اننا استبقينا الصبى التترى لنملكه فى بلادكم عندما نكسركم ونمزقكم كل ممزق » ثم كلف فرقة من جنوده بحراسته والمحافظة على حياته ، وتوصيله الى حدود البلاد حتى يعود الى « هولاكو » سالما .

وهنا قد يسأل سائل فيقول : كيف يتأتى لحاكم مسلم يفهم الشريعة الاسلامية ويفقهها أن يأمر بقتل رسل أعدائه ، وهو يعلم تمام العلم أن الاسلام يحرم ارتكاب مثل هذا العمل ؟

فيكون الجواب : ان التتار لم يكونوا فى يوم ما أهلا للتعامل بقوانين

الشريعة الاسلامية ، أو بأى قانون آخر من القوانين ، فعوملوا بمثل معاملتهم ، فقد كانوا يقتلون الرسل .

الاستعداد للمعركة :

لم يكتف سيف الدين قطز بتجهيز جيش ضخم قوى لمواجهة « التتار » ، بل صمم على أن يقيم أمامهم جبهة قوية موحدة من ملوك « الشام » وكان يعلم مقدار خوفهم من « التتار » وميلهم الى مسالمتهم وموادعتهم ، فأرسل الى كل ملك من ملوك الشام رسالة يبين له فيها صدق عزمه على مقاتلة التتار ، وانه قد أعد لهم جيشا لا طاقة لهم به ، وأنه يعتبر بلاد الشام قلاعا وحصونا أمامية لـ « مصر » ، وأن سقوطها فى أيدى التتار يعد خطرا على بقية الدول الاسلامية ويهدد سلامتها ، ويؤكد لهم قطز فى رسالته أنه لا يطمع فى ملك الشام ، وانما هدفه هو صد ووقف هذا الزحف التترى الجارف الذى يكتسح كل شىء فى طريقه ويدمر ويهلك كل من يقف فى طريقه .

بيد أن هجمات التتار كانت قد اشتدت على بلاد الشام ووقعت غالبية البلاد فى قبضتهم فلجأ ملوكها الى قطز فأكرم وفادتهم ، وجعلهم يشتركون معه فى تحمل تبعة الجهاد فى سبيل الله .

وكان قطز يريد تأجيل التحرك بجنوده الى ما بعد انقضاء شهر رمضان الذى حل ، الا أن تحركات التتار صوب مصر كانت أسرع من أن تدع له فرصة الانتظار حتى ينقضى شهر رمضان ، فقد أتت اليه الانباء بأن طلائع التتار قد وصلت الى مدينة غزة ، وبلدة الخليل ، وقتلوا الرجال ، وسبوا النساء ، والصبيان ، ونهبوا الاسواق ، وارتكبوا من الجرائم ما تتفتت له الاكباد ، وتقشعر منه الابدان ، فلم يعد أمام قطز الا أن يسرع لمجابهتهم ، والتعجيل بالخروج لمناجزتهم ، فنودى فى الناس بالاستعداد للخروج جهادا فى سبيل الله .

وأمر قطز قواته بالتحرك الى « الصالحية » ، وفى الصالحية انتظر قطز حتى تكاملت عدة الجيش وعتاده ، وانتظر أيضا تكامل الامراء .

وعندما تكامل جميع الامراء عقد مجلسا عسكريا للمشاورة وتبادل الآراء ، وتحدث قطز عن المسير لمواجهة التتار ، وعن ضرورة تحركهم لملاقاتهم ، فأبى عليه ذلك عدد كبير من الامراء ، وتمسكوا بعدم مغادرتهم الصالحية ، حتى تأتى جيوش التتار فيصدوها عن البلاد

استشاط قطز غضبا عند سماعه لكلامهم هذا ، وتأثر تأثرا شديدا لدرجة أن لسانه انعقد فلم يستطع النطق لبضع لحظات ، ثم ما لبث أن انفجر فيهم صائحا وهو يقول : « بئس الرأى الضعيف رأيكم ، أما والله ما حملكم على هذا الا الجبن ، والهلع من سيوف التتار أن نقطع رقابكم هذه « ألم تعلموا أنه ما غزى قوم فى عقر دارهم الا ذلوا » . ثم استطرد فى كلامه قائلا : والله لأتوجهن بمن معى لقتال أعداء الله ، فمن اختار الجهاد منكم فليصحبنى ، ومن لم يشأ فليرجع غير مأسوف عليه ، فان الله مطلع عليه » .

ولم يكد قطز يتم حديثه حتى أسرع بالاشارة الى الامراء الذين أيدوا رأيه

بالزحف أن ينعزلوا فى ناحية ، ثم طلب منهم أن يبايعوه على المسير لقتال أعداء الله والاسلام ، فبايعوه على النضال ، والقتال ، حتى الموت ، فلم يجد بقيـــة الامراء الذين خالفوه فى الرأى مناصا من الموافقة على المسير ، وهكذا وحد قطز الرأى فى جيشه وجمعه على كلمة واحدة .

زحف ومناوشات :

أمر قطز جيشه بأن يأخذ نصيبا من الراحة استعدادا للمهمة الخطرة التى ستواجهه ، ورتب فرقا من الجنود لتسهر على حراسة الحدود وبخاصة الجهات الامامية نحو الشام حتى لا تأتى طلائع التتار فتفاجئهم وتأخذهم على غرة .

وفى الربع الاخير من الليل قام قطز من نومه وأيقظ قواده ، وطلب منهم اصدار الاوامر للجنود بالتحرك ، وكلف ركن الدين بيبرس أن يستطلع أخبار التتار ، وكانت استطلاعاته على درجة ممتازة من الكفاءة ، وجعله قائدا على القوات الطليعية للجيش .

وقد دلت هذه الخطة العسكرية التى رسمها قطز على مدى ما كان يتمتع به من ذكاء ، وخبرة ودراية واسعة بالفنون الحربية ، فقد كان يرى أن الهجوم خير من انتظار الاعداء حتى يصلوا اليه ، وأن عنصر المباغتة والمفاجأة من أعظم الاسلحة الحربية .

وبقدر ما كان قطز قائدا حربيا كان سياسيا محنكا يدرك الاثر القوى الذى تحدثه العوامل النفسية فى رفع الروح المعنوية فى نفوس الجند ، ولذلك فقد وفق تمام التوفيق فى اختياره لركن الدين بيبرس ليكون قائدا للجيش الاستطلاعى ويعتبر هذا الاختيار بمثابة وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ، فبيبرس صاحب انتصارات باهرة فى كل معركة خاضها .

ونجح قطز فى أولى مراحل زحفه ، فبمجرد وصول بيبرس الى أطراف الحدود المصرية علم أن طلائع جيش التتار موجودة فى مدينة غزة فأسرع الى مجابهتها غير هياب ولا وجل ، وسرعان ما دب الوهن فى نفوس التتار الذين فوجئوا بالجيش الاسلامى يزحف عليهم زحفا لم يكن فى حســـبانهم فهـــربوا من غزة مسجلين أول انسحاب لهم فى تاريخهم الحربى ، ودخل بيبرس « غزة » ، ومهد الطرق المؤدية اليها لتستقبل القوات الرئيسية .

ووصل قطز الى مدينة غزة ، فمكث بها ليلة ، ثم تابع زحفه لمواجهة التتار ، واختار طريق الساحل حتى وصل الى مدينة عكا ، التى كانت معقلا وملاذا للبقية الباقية من الصليبيين ببلاد الشام ، بعد أن فقدوا كل ما كانـــوا يحتلونه من أراضى تلك البلاد على يد صلاح الدين البطل المسلم .

ولقد أظهر قطز مهارة سياسية وبعد نظر ، وانتفاعا بكل ما مر بـــه من التجارب ، فلم ينس محاولات الصليبيين عقد محالفات مع التتار ضد المسلمين ، لذلك لم يغتر بمظاهر ترحيبهم به ، بل كان يشعر ازاءهم بشعور الحذر المرتاب عندما أبدوا له استعدادهم لمعاونته بكل ما يحتاج اليه فى حربه مع عدوه .

ولم يبين لهم قطز أنه مرتاب فى أمرهم ، بل وضح لهم أن كل ما يطلبه

ويبتغيه منهم هو أن يقفوا موقفا حياديا فلا يكونون معه أو ضده ، وأقسم لهم أنه لو تبعه فارس منهم أو راجل بغية الحاق أذى أو ضرر بجيش المسلمين ، لرجع اليهم وحاربهم قبل أن يواجه التتار .

واستمر قطز فى تنفيذ خطته التى تعتمد على المبادأة أو المبادرة بالهجوم ، فأصدر أمره الى بيبرس بأن يتابع هجماته وغاراته الجريئة على قوات التتار المتفرقة فى نواحى بلاد الشام ، والتصدى لطلائعهم التى كانت توالى ارهاب الاهالى وتشيع الفزع والرعب بينهم ، فقام بيبرس بتنفيذ هذا الامر وأظهر مهارة حربية جبارة فى مناوشة التتار ، وفى الكر والفر ، حتى وقف على أخبارهم ، وعرف مدى امكانياتهم ، وقوتهم وأماكن تجمعهم ، وصار على علم تام بكل خططهم وتكتيكاتهم ، ثم بعث بكل هذه المعلومات الى قطز .

موقعة عين جالوت :

وظل قطز يتابع سيره حتى انضم الى بيبرس عند « عين جالوت » ، وهناك نظم قواته وجعلها فى حالة استعداد وتأهب ، ثم عقد مجلسا عسكريا لرسم خطة المعركة ودراستها ، وقد اشترك فى هذا المجلس الامراء ، وقواد الفرق ، وألقى قطز فى المجلس كلمة بليغة مؤثرة ملأت صدور الحاضرين حماسة ، وتعطشا للجهاد ، فذكرهم بأنهم فى معركة الهدف منها نصر الاسلام ، وانقاذ المسلمين ، فهى معركة جهاد ، ونضال فى سبيل الله ، وحذرهم من غضب الله سبحانه وعقابه اذا هم وهنوا ، أو تقاعدوا ، أو تهاونوا فى المعركة ، فلا مفر من الاقدام والتضحية ، والثبات ، حتى لا ينزل بهم التتار ما أنزلوه بغيرهم من قتل ، وأسر ، وخراب ، وتدمير .

ومضى قطز فى كلمته يزيد من حماستهم بذكر العديد من مساوىء التتار ، حتى تأثر الامراء ، وقواد الفرق الحربية وأجهشوا بالبكاء من شدة تأثرهم ، وصمموا على القتال حتى يتم لهم احراز النصر ، أو يموتوا شهداء فى سبيل الله والوطن .

وفى صبيحة يوم الجمعة ١٥ من رمضان سنة ٦٥٨ هـ ، التقت طلائع الجيش الاسلامى بطلائع التتار فهزمتها هزيمة ساحقة ، بيد أن التتار تمكنوا فى صباح اليوم التالى من اعادة تنظيم قواتهم ، واحتلوا المنطقة الجبلية من أرض المعركة ، وأصبح منظرهم يثير الرهبة والرعب ، خاصة وأنهم كانوا يستعدون للانتقام للضربة التى لحقت بهم ، متأهبين للدخول فى معركة فاصلة وحاسمة ، ومما زاد من خطورة الموقف كثرة الضوضاء والرعب الذى حل بأهالى القرى المجاورة .

المعـــركة :

وحلت ليلة الجمعة الخامس والعشرين من رمضان ، وقطز مخيم بجنوده فى « عين جالوت » ، وفى مواجهته معسكر التتار الذى تتوافد عليه جماعاتهم

طوال الليل ، وكلا الفريقين ينتظر بفارغ الصبر طلوع النهار ، وهو على يقين من أن الغد سيكون هو اليوم الفاصل الحاسم .

وطوال تلك الليلة لم يأو قطز الى فراشه ، وانما ظل ساهرا مسهدا ، وعندما غلبه النعاس من شدة التعب نام على مقعده ، ولم يضع جنبه على الارض .

وكان « هولاكو » قد رحل عن بلاد الشام راجعا الى بلاده عندما وصلته الانباء بوفاة أخيه « منكوخان » ملك التتار ، فأناب عنه فى قيادة الجيش «كتبغا» وأمره بمواصلة القتال والزحف حتى يصل الى مصر .

وفى الصباح وقف الجيشان وجها لوجه ، وخشى كل منهما لقاء الآخر ، فقد كانت هذه المعركة بالنسبة لكل منهما معركة مصيرية ، وعاق كل منهما أمر أخر دخوله فى المعركة ، فالتتار وقفوا ينتظرون وصول قائدهم « كتبغا » الذى لم يكن موجودا وقتئذ ، والمسلمون ينتظرون موعد حلول صلاة الجمعة ليبدأوا فى قتال عدوهم .

ولم تطل مدة المواجهة بين الجيشين ، فقد وصل « كتبغا » ، ونظم جنوده ، وسرعان ما تقارب الفريقان ، فأخذت سهام التتار تمرق بين صفوف المسلمين ، وعندما اشتد الامر أمر قطز جنوده بالهجوم ، فتقدموا الى الامام حتى تلاحمت الصفوف وتصافحت السيوف ، ودارت رحى الحرب واشتعلت نيرانها ، وأظهر كل من الفريقين استبسالا عظيما ، غير أن كفة المسلمين كانت هى الراجحة على كفة عدوهم .

وكان قطز فى قلب الجيش الاسلامى يتابع القتال بصدر منشرح ، والفرحة تطل من عينيه ، فقد سره أن يرى جنوده يهاجمون التتار بعد أن كانوا يتهيبون لقاءهم ، ويظنون أنهم قوم لا يقهرون .

وكان الصبى التترى الذى أبقى قطز على حياته ليكون ملكا على التتار واقفا على فرسه بين مماليك قطز ، فقال له قطز : « تقدم يا ملك التتار » ، فشق الصبى صفوف المسلمين أمامه ، ثم اقتحم صفوف التتار وراح يضرب فيهم بسيفه يمينا ويسارا ثم يتخلص منهم ويعود الى صفوف المسلمين ، ويقف فى نفس مكانه الاول على يسار قطز الذى يشجعه قائلا : « مرحى يا ملك التتار » .

وقد حدث هذا الفعل من الصبى مرارا ، فصار المسلمون يفسحون له الطريق اذا ذهب منطلقا كالسهم الى صفوف التتار ، أو اذا قفل عائدا اليهم ، وهم مندهشون من بطولته وشجاعته ، ويقولون له : « احمل يا ملك التتار ، مرحى يا ملك التتار » .

بيد أن الصبى التترى لم يكن يقوم بهذا العمل الا بدافع حبه لبنى جنسه ، فقد كان يبلغهم كل ما يريدون معرفته من معلومات عن الجيش الاسلامى فى كل مرة من مرات ذهابه اليهم ، ودلهم على المكان الذى به قطز ، وقد تم وضع خطة مؤداها أن يتبع فرسان من التتار الصبى أثناء رجوعه الى جيش المسلمين ، فيتمكنوا من قتل قطز قائد الجيش ، فتتحطم بذلك معنويات الجنود ويسهل عليهم الحاق الهزيمة بالمسلمين .

وقد لاحظت « جلنار » زوجة قطز ذلك ، اذ كانت ممتطية صهوة جوادها تلاحظ ما يدور فى المعركة ، وانها لكذلك اذ رأت الصبى التترى يهجم على التتار كعادته ، ثم يرجع مسرعا ووراءه خمسة جنـــود تتاريين مندفعين نحو قطز ، ففوجىء قطز ودهش ، وبهت الرجال من حوله واضطربوا ، ولكن قطز واجههم بسيفه فقتل منهم ثلاثة ، وأصيب فرسه فترجل ، وعند ذلك قصده الفارســـان التتاريان فأخذ يقاتلهما ، ثم قصد أحدهما وضرب قوائم فرســـه فوقعت به ، وأوشك الفارس التترى الآخر أن يعلو ظهر قطز بسيفه الا أن فارسا ملثما برز له شغله عن قطز ، فتبادلا ضربتين بالسيف سقطا صريعين على أثرهما ، وصاح الفارس الملثم قائلا : « يا سلطان المسلمين ، ها قد سبقتك الى الجنة » ، وكان هذا الفارس قد قتل الصبى التترى .

وتنبه فرسان الحرس لــ؛ يرمى اليه التتار فالتفوا حول قطز ، وقتلوا الفارس الذى ضرب قطز فرسه ، وضموا الصفوف الامامية ، ووقفوا ســـدا منيعا لحماية قطز ، فلم يتركوا لأحد فرصة الوصول الى قطز أو الاقتراب منه .

وتذكر قطز صوت الفارس الملثم الذى كان السبب فى نجاته ، وشك فى أمره ، فذهب اليه وكشف عنه نقابه ، فاذا هو زوجته « جلنار » التى كانت تلفظ أنفاسها الاخيرة ، فراعه الامر وحملها بين يديه وهو لا يدرى ماذا يفعل ، وأرسل الى بيبرس الذى كان يتولى قيادة ميسرة الجيش أن يتولى مكانه ، وحمل زوجته الجريحة الى خيمته وأرقدها على فراشه ، وأخذ يقبل جبينها والدموع تنهمر من عينيه وهو يقول لها : « وازوجتاه ، واحبيبتاه » ففتحت عينيها على صوته ، وظهرت ابتسامة على شفتيها عندما رأت وجهه ، وقالت له فى صوت خافت واهن : « لا تقل واحبيبتاه . . قل واإسلاماه » ، وما لبثت أن لفظت آخر أنفاسها بين يديه ، فطبع على جبينها قبلة الوداع ، وجفف دموعه ، وقلبه يكاد ينفطر من الالم ، وقام من فوره وخرج من خيمته وركب فرســـا أسرع به الى ميـــدان الجهاد .

وعندما رآه جنوده يأخذ مكانه فى قلب المعركة هتفوا جميعا فى صـــوت واحد : « الله أكبر » ، وتمثلت لهم بطولة السلطانة الشهيدة فهانت عليهم أنفسهم وتحمسوا للقتال ، وقاتلوا فى بسالة قتال المستميت ، ولمـــا رأى « التتار » ذلك هجموا على المسلمين واستبسلوا فى القتـــال ، فحدث اضطراب فى ميمنـــة المسلمين ، وواجه قلب الجيش حملات شديدة من التتاريين ، فاضـــطر تحت الضغط الى أن يتقهقر قليلا الى الوراء ، وعندما رأى قطز ذلك تقدم الى الامام وكشف عنه خوذته وألقاها على الارض ، وصاح بأعلى صوته : « واإسلاماه ، واإسلاماه ، وإسلاماه . يا الله ، انصر عبدك قطز على التتار » ، وهجم بعزم وشدة وصلابة بمن معه هجمة صادقة ، وراح صوته يدوى فى أنحاء غور « عين جالوت » ، فردد جنوده النداء معه ، وهجموا معه هجوما عنيفا قويت به الميمنة ، فتقدمت ببطء شديد من جموع « التتار » الذين حاولوا منهـــا تطويق الجيش الاسلامى ورأى قطز « كتبغا » قائد التتار يصول ويجول ويضرب بسيفين ، وكلما أصيب فرسه استبدله بآخر ، وهو يتحين الفرصة ليشق لبعض رجاله طريقـــا يصلون منه الى قطز .

وأبصر قطز وهو يحارب عارى الرأس سهما مسددا نحوه ، فشد عنـــان

جواده ، فوثب الجواد قائما على رجليه ، فنفذ السهم فى صدره وتداعى ، فنزل من فوقه قطز وظل يقاتل وهو مترجل ويقول : « الى بجواد » ، فأراد أحد جنوده أن يتنازل له عن فرسه فرفض وأبى وقال له : « اثبت مكانك . ما كنت لأمنع المسلمين الانتفاع بك فى هذا الوقت » . وأخذ يحث جنوده على أن يوسعوا الطريق الذى شقوه فى صفوف العدو ليصنع بذلك حاجزا قويا بين ميسرة العدو وسائر جيشه ، ولم يزل هذا الحاجز يتسع بصفوف جيش المسلمين التى تندفع فيه حتى انكشف المكان الذى به « كتبغا » قائد التتار ، وأراد قطز أن يلقاه ولكن جنوده تقدموه محاولين صده ، غير أن قطز زجرهم قائلا : « دعونى له ، ليس له قاتل غيرى ، أريد أن أقتله بيدى » .

ولم يتحقق أمل قطز ، فقد قتل قائد التتار أحد الامراء ، وعلم المسلمون بمصرع قائد الاعداء الذى لا يقهر ، فصاحوا جميعا مكبرين تكبيرة ألقت الذعر والرعب ، فى نفوس التتار ، فازداد هلعهم ، واختلت صفوفهم ، وتزعزعت ، وابتدأوا يتقهقرون .

وعندما رأى قطز ذلك أمر جنوده الذين كونوا حاجزا بمساعدة صفوف الميمنة على أن يطوقوا ميسرة العدو تطويقا كاملا ، ثم اندفع بالقلب لمساعدة ميسرة المسلمين التى عليها بيبرس فى تطويق من لم يستطع الهرب من قلب العدو وميمنته ، فحوصر معظم جيش التتار فى هاتين الدائرتين ، ولم يتمكنوا من الفرار ، فأعمل فيهم المسلمون القتل ، ولم ينج منهم سوى عدد قليل استطاعوا أن يفروا .

وتحصنت فرقة من التتار بتل مجاور لميدان المعركة ، وأخذوا يمطرون المسلمين وابلا من سهامهم ، فأحاط بهم المسلمون وجالدوهم على القتال حتى أوقعوا بهم الهزيمة وسحقوهم سحقا .

وانتهت الموقعة بانتصار المسلمين واندحار المعتدين ، واستجاب الله عز وجل لدعاء قطز ، وتهللت وجوه المسلمين بالبشر والسرور بما أنعم الله عليهم من نصر مؤزر كريم .

ونزل قطز من على فرسه وقبل الارض ، ومرغ وجهه فى ترابها ، وصلى ركعتين شكرا لله عز وجل ، ثم أخذ يتلو قوله تعالى : « وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم » (١٠ – الأنفال) .

هذه هى موقعة « عين جالوت » ، التى تعد من أهم المواقع الحاسمة فى تاريخ الاسلام ، وفى تاريخ العالم كله ، فالتتار منذ خروجهم من موطنهم الاصلى لم يذوقوا طعم الهزيمة والانكسار أبدا ، ولهذا أشاعوا الرعب وأثاروا الذعر فى العالم الاسلامى كله .

ويعترف المؤرخون الاوربيون عند التأريخ لهذه الموقعة ، بأنها لم تنقذ العالم الاسلامى من خطر التتار المخرب المدمر فحسب ، بل أنقذت العالم المسيحى كذلك ، لأنه لم يكن فى أوروبا المسيحية وقتذاك ملك قوى يستطيع مقاومة التتار ومحاربتهم لو ظلوا على انتصاراتهم المتوالية وتقدموا فى اتجاههم الطبيعى نحو أوروبا .

الرؤى والأحلام

الرؤيا الصالحة جزء من النبوة

• هدف هذه الدراسة • الأنبياء والرسل والرؤى

• رسول الله صلى الله عليه وسلم والرؤيا وتعبيرها •

نماذج من رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبيرها وتأويلها

للأستاذ : عاصم الأدفوي

روى أبو قتادة بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« الرؤيا الصالحة من الله ، والرؤيا السوء من الشيطان ، فمن رأى رؤيا فكره منها شيئا فلينفث عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان لا تضره ولا يخبر بها أحدا ، فان رأى رؤيا حسنة فليبشر ولا يخبر الا من يحب » ..

(صحيح مسلم)

أولا ــ هدف هذه الدراسة :

تهدف هذه الدراسة الى لفت أنظار المسلمين الى موضوع يمس حياة كل منا .. يؤثر فينا .. يتأثر بنا .. وهو الرؤى والاحلام التى يراها كل منا فى رحلة النوم كل يوم .. فالانسان منا يقضى ثلث عمره نائما .. وعند النوم تتحرر الروح بعض التحرر من اسار الجسم الانسانى وتنطلق الى عوالم مختلفة ومتباينة .

وان ما نراه فى ساعات نومنا من رؤى خيرة أو أحلام سيئة هو نتاج أو انعكاس لحياتنا .. وما قابلناه فى نهارنا .. وخلال ساعات العمل .. أو الفراغ ، كما أن الرؤى والاحلام ترهص بما يصيب الفرد فى المستقبل القريب أو البعيد ، ولكن باختلاف بين فرد وآخر .

ولدراسة الرؤى والاحـــلام فى بلاد الشرق والغرب المتقدمة مكانتهـــا واحترامها .. وقوانينها العلمية .. وقواعدها .. ومناهجها .. وأساليبها ، فعلى سبيل المثال فى العيادات النفسية (السيكولوجية) والاكلينيكية يلجـــأ أخصائيو العلاج النفسى الى دراسة أحلام الافراد وذلك من أجل الوصول الى المرض النفسى .. جذوره .. أسبابه .. متى بدأ ..؟ كيف تطور ..؟ ما هى الخبرات المختلفة التى أدت الى اصـــابة المريض نفسيا حتى يصف العـــلاج المناسب .

وكما حملت الانباء أخيرا أن بعضا من علماء الطب فى الغرب والشرق يستطيعون التنبؤ بالامراض التى تصيب جسم انسان ما فى أيامه المقبلة ، وذلك عن طريق دراسة أحلامه ورؤاه .

واذا فالهدف الرئيسى من هذه الدراسة هو محاولة توجيه والقاء بعض الاضواء الكاشفة الى هذا الموضوع الروحى .. وأثره فى حياة كل منا .. وكيف تؤثر الروح فى الجسم .. وكيف تتأثر به ، فالانسان مكون من روح وجسم .. وليست الحياة مادة فقط .

وقد اختلفت النظريات .. وتعددت وجهـــات النظر فى موضوع الرؤى والاحلام .. وفى تعبيرها وتأويلها وتفسيرها ..

فهناك التفسير الجنسى أو التفسير الفرويدى الذى قال به عالم النفس « سيجموند فرويد » فى كتابه عن تفسير الاحلام ، فمن المعروف أن سيجموند فرويد يصدر فى كل آرائه ونظرياته عن عامل أساسى لديه هو غريزة الجنس ودورها فى صياغة حياة الفرد ، ولا ينكر انسان ما دور الغريزة الجنسية فى حياة الفرد ، لكنها مع غيرها من غرائز ومكونات للشخصية تساهم فى صياغة الفرد والمجتمع .

وقد وجهت الى فرويد وآرائه نقاط نقد من علماء النفس الآخرين وأهمهم أدلر ويونج اللذان اهتما بباقى العناصر والمكونات التى تصوغ حياة الافراد فى غير الجنس .. أو فى غير الغريزة الجنسية .

والا فأين يتلمس تلاميذ سيجموند فرويد ومعتنقو آرائه ونظريته فى رؤيا وحلم يمكن أن يراها شاب عربى رأى فى نومه السماء وهى تمتلىء بالطائرات ، طائرات العرب وطائرات اسرائيل وهى تشتبك مع بعضها .. هل يمكن أن يفسر هذا الحلم لهذا الشاب العربى — الذى يعايش يوميا أخبار حرب الطيران بين العرب واسرائيل — بالتعبير الجنسى أو بالتفسير الفرويدى ؟

أم أنه يعبر ببساطة شديدة على أنه قلق ومعاناة للصراع بين العـــرب واسرائيل ؟!

ثم هناك التفسير الشعبى للرؤى والاحلام ، والذى يعتمد على كل التراث الفولكلورى لشعب من الشعوب من حيث لغته اليوميـــة وألفاظه .. عاداته وتقاليده .. أعرافه الشائعـــة .. أمثالـــه الشعبيـــة (الجوعان يحلم بسوق العيش) .

وأيضا هناك التفسير الدينى الذى يعتمد على الكتب السماوية والاحاديث النبوية .. والقصص والحكايات والامثال الدينية .

.. هذه هى بايجاز بعض وجهات النظر والتى تقف وراء تعبير وتأويل الرؤى والاحلام ، ولكن ليس فى هذا المقال مجال لمناقشتها .. وانما نقطة البدء — كما نظن — ستكون عن رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم باعتباره معلم الانسانية .. ورسول الله الى الناس .. وهادى الخلق أجمعين .

ولكن قبل أن نحيا بين هذه الصور عن رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسن أن نذكر طرفا من أشهر الرؤى التى وردت عن الرسل والانبياء الذين اختتموا بمحمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .

الانبياء والرؤى :

ذكر القرآن عددا من الرؤى التى رآها الرسل والانبياء .. ولقد عظمت قيمة الرؤيا بأنها جزء من النبوة (١) ففى الحديث الشريف : عن أبى هريرة رضى الله عنه بسنده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة » .

ومن أشهر الرؤى : رؤيا سيدنا ابراهيم عليه السلام ، والرؤى الثلاث التى وردت فى سورة يوسف عليه السلام .

رؤيا سيدنا ابراهيم عليه السلام :

وهى التى رأى فيها سيدنا ابراهيم عليـــه السلام أمرا الهيا بذبح ابنـــه اسماعيل عليه السلام (٢) : « رب هب لى من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه ان يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم » .

يقول أستاذنا الشيخ محمد فريد وجدى — رحمه الله تعالى — فى تفسيره المختصر عن رؤيا ابراهيم عليه السلام فى ذبح اسماعيل عليه السلام (٣) « فلما بلغ ابنه السن الذى يسعى فيها معه فى أعماله قال له : يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك قربانا لله ، فانظر ماذا ترى ؟ قال يا أبت افعل ما يأمرك الله به ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ، فلما استسلما لأمر الله وصرفه على وجهه ، ليذبحه ، وناديناه قائلين قد حققت الرؤيا فكان ما كان من سرورهما وشكرهما لله على ما أنعم عليهما » .

الى أن يقول (٤) « انا كذلك نكافىء المحسنين . وفديناه بكبش يذبح بدله عظيم » .

سيدنا يوسف عليه السلام :

وكما كان لكل نبى ورسول معجزة يهبهـــا الله له ، خص — ســـبحانه وتعالى — سيدنا يوسف عليه السلام بتأويل الرؤيا وتعبيرها وتفسيرها (٥) : « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السمـــوات والارض انت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » .

وفى سورة يوسف عليه السلام ثلاث رؤى :

الاولى : خاصة به .

والثانية : كانت لرفيقيه فى السجن : الخباز والساقى .

والثالثة : كانت لملك مصر وحاكمها .

فأما الرؤيا الاولى الخاصة به فقد كانت رؤيا رآها وقصها على أبيه (٦) :

« اذ قال يوسف لأبيه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » .

ومرت سنوات وسنوات امتلأت بالاحداث حتى عبرت هذه الرؤيا (٧) :

« فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين . ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم » .

وفى السجن قضى يوسف عليه السلام بضع سنين كان معه فيها خباز الملك وساقيه : « وعرضا عليه رؤياهما (٨) :

« ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما انى أرانى أعصر خمرا وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين » وقد عبره لهما يوسف (٩) :

« يا صاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الامر الذى فيه تستفتيان » .

وقد كان الامر كما عبره يوسف وبقى ساقى الملك حيا .

ثم كانت الرؤيا الثالثة التى رآها حاكم مصر (١٠) : « وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون . قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين . وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون . يوسف أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون » .

وقد عبرها يوسف : ثم ليعلو بعدها شأنه فى مصر (١١) : « قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون . ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون . ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون » .

ثالثا ــ الرسول الكريم والرؤى وتأويلها :

تلك كانت بعضا من رؤى الانبياء والرسل عليهم جميعا أفضل الصلاة وأزكى السلام . . فالعلاقة اذا وثيقة بين النبوة والرؤيا ، فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : (١٢) « أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة » .

وتعددت روايات الاحاديث النبوية الشريفة عن نسبة الرؤيا الى النبوة : فقيل ان الرؤيا الصالحة جزء من خمس وأربعين جزءا من النبوة ، وقيل ان الرؤيا الصالحة جزء من ست وأربعين جزءا من النبوة وقيل ان الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءا من النبوة .

وأيا كان الامر . . وأيا كانت النسبة فلقد كان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يطلب من أصحابه أن يقصوا رؤاهم ليتأولها (١٣) : « عن ابن عباس بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان مما يقول لأصحابه من رأى منكم رؤيا فليقصها اعبرها له » .

ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم قواعد تعبير الرؤيا والاحلام الصالحة (١٤) :

١ ـ هناك نوعان من الرؤى : رؤى صالحة وأخرى سيئة .

٢ ـ اذا رأى المسلم أو المسلمة رؤيا سيئة فلينفث عن يساره ثم يستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولا يخبر بها أحدا أبدا .

٣ ـ اذا رأى المسلم رؤيا حسنة فليخبر بها كل من يحب من الاهل والاصدقاء والمعارف والجيران .

رابعا ـ نماذج من رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأويلها وتعبيرها :

١ ـ رؤيا الرفعة فى الدنيا والعاقبة فى الآخرة (١٥) : « عن أنس بن مالك بسنده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأنى فى دار عقبة بن رافع فأتينا برطب من رطب ابن طاب فأولت الرفعة لنا فى الدنيا والعاقبة فى الآخرة وان ديننا قد طاب » .

٢ ـ رؤيا السواك (١٦) :

حدث عبد الله بن عمران بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أرانى فى المنام أتسوك بسواك فجذبنى رجلان : أحدهما أكبر من الآخر فناولت السواك الاصغر منهما فقيل لى كبر فدفعته الى الاكبر » .

٣ ـ رؤيا الهجرة الى يثرب .. وغزوة أحد (١٧) :

عن أبى موسى بسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة الى أرض بها نخل فذهب وهلى الى أنها اليمامة أو هجر فاذا هى المدينة يثرب ، ورأيت فى رؤياى هذه أنى هززت سيفا فانقطع صدره فاذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد . ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان فاذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين . ورأيت فيها أيضا بقرا والله خير فاذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد واذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد وثواب الصدق الذى آتانا الله بعد يوم بدر » .

٤ ـ رؤيا ليلة القدر وسوارا الذهب (١٨) :

عن أبى سعيد الخدرى بسنده ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس على منبره ، وهو يقول « أيها الناس ، انى قد رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها ورأيت فى ذراعى سوارين من ذهب ، فكرهتهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما هذين الكذابين صاحب اليمن وصاحب اليمامة » .

وفى صحيح مسلم أنهما مسيلمة الكذاب والاسود العنسى المتنبئان المشهوران .. فى حديث قريب من هذا فى روايته .

٥ ـ رؤيا غزوة أحد (١٩) :

قبيل غزوة أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين :

« انى قد رأيت والله خيرا ، رأيت بقرا (تذبح) ، ورأيت فى ذباب سيفى ثلما ، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة » قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« رأيت بقرا لى تذبح ، قال فأما البقر فهى ناس . من أصحابى يقتلون ، وأما الثلم الذى رأيت فى ذباب سيفى : فهو رجل من أهل بيتى يقتل . وفى غزوة أحد قتل حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٦ ــ رؤيا ما حدث فى بنى جذيمة بعد اسلامهم من قتل (٢٠) :

وكان خالد بن الوليد قد قتلهم بعد أن أسلموا وتبرأ الرسول صلى الله عليه وسلم من فعلته .

« قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أنه حدث : عن ابراهيم بن جعفر المحمودى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت كأنى لقمت لقمة من حيس فالتذذت طعمها فاعترض فى حلقى منها شىء حين ابتلعتها فأدخل على يدى فنزعه » . فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : « يا رسول الله ، هذه سرية من سراياك ، تبعثها ، فيأتيك منها بعض ما تحب ويكون فى بعضها اعتراض فتبعث عليا فيسهله » .

وقد حدث أن دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طـــالب للذهاب الى بنى جذيمة ودفع دياتهم .

ويورد كمال الدين محمد بن موسى الدميرى فى معجمه عن حياة الحيوان الكبرى ثلاثا من رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان للدميرى فى معجمه هذا اهتمام خاص بالرؤى وتعبيرها .

٧ ــ رؤيا الغنم البيض والغنم السود (٢١) :

يقول الدميرى : « روى الحاكم فى مستدركه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت غنما سوداء دخلت فيها غنم كثير بيض » قالوا : فما أولته يا رســـول الله ؟ قال : العجم يشركونكم فى دينكم وأنسابكم ، قالوا : العجم يا رسول الله ، قال : لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال **من العجم** » !!

وفى رواية قال صلى الله عليه وسلم : « رأيت فى المنام غنما سوداء يتبعها غنم عفر : يا أبا بكر عبرها ، قال : هى العرب تتبعك ثم يتبعها العجم ، فقـــال صلى الله عليه وسلم : هكذا عبرها الملك سحرا » .

٨ ــ رؤيا النبى ينزع فى قليب :

وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم أنه ينزع فى قليب وحوله أغنام سود وغنم عفر . ثم جاء أبو بكر فنزع نزعا ضعيفا ، والله يغفر له ، ثم جاء عمر فأستحالت غربا (يعنى الدلو) فلم أر عبقريا يفرى فريه . فأولها الناس بالخلافة لأبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما . ولولا ذكر الغنم السود والعفر لبعدت الرؤيا عن معنى الخلافة والرعاية .

اذ الغنم السود والعفر عبارة عن العرب والعجم.

وأكثر المحدثين لم يذكروا الغنم فى هذا الحديث وذكره الامام أحمد والبزار فى مسنديهما وبه يصح المعنى .

٩ ــ رؤيا العذق المدلى فى الجنة :

وينقل الدميرى عن كتاب بهجـــة المجالس وأنس المجالس : « ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه أنه دخل الجنة فرأى فيها عـــذقا مدلى فأعجبه ، فقال : لمن هـــذا : فقيل : هذا لأبى جهل ، فشق عليه صلى اللـــه عليه وسلم ذلك ، فقال : ما لأبى جهل والجنة ، والله لا يدخلهـــا أبدا ، فانه لا يدخلها الا نفس مؤمنة ، فلما أتاه عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه مسلما ، فرح به وقام اليه ، وتأول ذلك العذق عكرمة ابنه .

كل هذه الرؤى التى رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تدور حول الايمان والاسلام وانتشاره بين العرب والعجم والحرب والهجرة أى كل ما كرس له الرسول الأعظم حياته وتترجم قصص جهاده لانقاذ أمته .. وانقـــاذ الانسانية .. كما عاشها فى يقظته .. وكما انعكست وبدت فى منامه ورؤياه .. فقد قال الرسول عليه أفضل الصـــلاة وأزكى السلام : (ان عينى تنامـــان ولا ينام قلبى) ..

---

(١) صحيح مسلم ــ كتاب الرؤيا ــ
(٢) القرآن الكريم : سورة الصافات من الآية ١٠٠ ــ ١٠٧ .
(٣) المصحف المفسر محمد فريد وجدى مطابع الشعب ١٣٧٧ صفحة ٥٩٣ .
(٤) نفس المصدر السابق ص ٥٩٣
(٥) القرآن الكريم سورة يوسف الآية رقم ١٠١ .
(٦) سورة يوسف الآية (٤) .
(٧) سورة يوسف رقم ٩٩ ، ١٠٠ .
(٨) سورة يوسف الآيـــة ٣٦ .
(٩) سورة يوسف الآية ٤١ .
(١٠) سورة يوسف الآية ٤٣ ــ ٤٦ .
(١١) سورة يوسف ٤٧ ــ ٤٩
(١٢) صحيح البخـــارى
(١٣) صحيح مسلم ــ كتاب الرؤيا
(١٤) صحيح مسلم ــ كتاب الرؤيا
(١٥) صحيح مسلم ــ كتاب الرؤيا
(١٦) صحيح مسلم ــ كتاب الرؤيا
(١٧) صحيح مسلم ــ كتاب الرؤيا
(١٨) سيرة ابن هشام الجزء الرابع ص ٢٠٩
(١٩) سيرة ابن هشام الجزء الثالث ص ٦
(٢٠) سيرة ابن هشام الجزء الرابع ص ٤٤
(٢١) حياة الحيوان الكبرى ــ كمال الدين محمد بن موسى الدميرى الجزء الثانى ص ٣٣٦ .
(٢٢) حياة الحيوان الجزء الثانى ص ٣٣٦
(٢٣ حياة الحيوان ــ الجزء الثانى صفحة ٤٩٤

دور الكتب

محمد مؤذن

اذا نحن أخذنا أنفسنا بالحديث عن دور الكتب ، فى نشأتها وتاريخها قبل أن تبلغ ما وصلت اليه اليوم ، من التقدم والتنظيم والتنسيق . فلا بد لنا من الرجوع الى الأعصر الأولى لبداية الحضارة الانسانية بمفهومها العلمى ، كى نلقى نظرة سريعة على الدوافع النفسية التى تختلج فطريا فى صدور الأفراد والجماعات ، وتثير فيها الشوق التلقائى الى تجميع الكتب وحيازتها والحفاظ عليها .

وليس من شك فى أن هذه الدوافع ، لا تعدو أن تكون أثرا طبيعيا لغريزة الفضول التى جبل عليها الانسان مع باقى طبائعه الأصلية .

ونحن نلاحظ ، من خلال معطياتنا العفوية ، أن كل واحد منا ، يحس فى أعماقه ميلا لا شعوريا ، للاطلاع على ما يختلج فى صدر الآخرين من الآراء والأفكار ، وذلك حتى تتم له القدرة على الموازنة بين هذه الآراء والأفكار ، وبين ما يحمله هو بالذات منها فى نفسه .

ومن هنا بدأت الخطوات الأولى فى طريق المعرفة التى هى ، فى الواقع ، قوام الحضارة وأساس التمدن .

وعلى هذا يكون الكتاب ، وهو مستودع الرأى وحصيلة المخاض الفكرى ، الوسيلة الأولى التى تذرع بها الانسان ليعرب عن ذات نفسه ، ويتبين فى ذات الوقت ، ما فى نفس غيره ، على حد سواء .

ولسنا الآن بصدد الامعان فى تقصى مجاهل التاريخ البشرى ، لندرك البداية فى هذا الصدد ، ونسير معها الى غايتنا من هذا الحديث ، فهذا أمر ليس لنا فيما نحن فيه مكان ولا متسع من زمان . بل نحن نؤثر أن نكتفى الآن بما أثبته ثقاة المؤرخين ، عن أقدم ما عرف من المكتبات وتنظيمها فى العهود التى لم تعد مجهولة من التاريخ القديم .

يقول المؤرخون : — ان أقدم من أنشأ المكتبات فى العالم هم البابليون . وذلك حوالى سنة ١٧٠٠ قبل الميلاد . فقد عثر علماء الآثار فى حفرياتهم

نشأتها وتاريخها عند الأقدمين

للشيخ : طه الولي

بوادى الفرات على آجرة بابلية ، فيها كتابة بالقلم المسمارى تتضمن قائمة بأسماء ملوك بابل . ومن جملتهم ملك اسمه « شرجينا » (سرجون) ويظهر أن هذا الملك كان سامى الأصل ، عربى العنصر ، وكان محبا للعلم والعمارة ، مولعا بالكتب ، فأنشأ فى مدينة « ورفة » ما سماه « مدينة الكتب » ، وعهد الى رجل من خاصته بجمع الكتب لها من كل مكان ، وانتدب فى هذه المكتبة ثلة من العلماء للانصراف الى التدوين ، والتأليف والشرح ، والتعليق ، كما استعان بأهل الفكر من سائر الأمصار لينقلوا ويترجموا ما عندهم من المعارف والفنون الى اللغة البابلية .

وعلى هذا يمكننا القول بأن الملك البابلى (شرجينا) هو أول من اهتم بتدوين العلوم وألوان الثقافة بشكل منسق وشامل ، كما يمكننا اعتبار « مدينة الكتب » فى ورفة من اعمال العراق ، أول مكتبة فى التاريخ .

ومن حسن الحظ ، أن بقايا هذه المؤسسة الثقافية وجدت فى حالة لا بأس بها ، فنقلت الى المتحف البريطانى حيث ما تزال حتى اليوم ، وهى عبارة عن الواح من الطين المشوى منقوش عليها بالحرف المسمارى باللغة السامية البابلية .

وكذلك ، فقد اكتشف الرائد الأثرى الانجليزى « لايارد مفيل » أثناء حفرياته فى مدينة « نينوى » بالعراق ، مقر الملك « آشوربنى بال » ، وفى أحد أقبيته مكتبة ، وتتألف هذه المكتبة من ألواح نظمت بعناية فائقة ، ورتبت بانتظام دقيق ، وبلغ عددها عشرة آلاف لوحة من الآجر ، وفى هذه الألواح ما يفيد بأن الملك (آشور بنى بال) المذكور أباح لرعاياه أن يرتادوا هذه المكتبة للمطالعة والدراسة ، وأنه كان يحرضهم على الكتابة والتأليف بقوله : —

« من يتفوق فى الكتابة على الآجر فانه يتألق كالشمس .... » .

ويبدو أن القدماء كانوا يختارون لمكتباتهم أماكن ملحقة بالمراكز الدينية ، أى بالمعابد والهياكل والأضرحة القديمة . فلقد عثر المنقبون فى مدينة ، طيبة ، بمصر على مقبرتين تدل كتابتهما على أن صاحبيهما — أبا وابنه — كانا يحملان

لقب « مكتبى » ، ولا ريب أن المذكورين كانا ينتسبان الى أكبر هيئة للعلماء فى زمانهما ، وهى طبقة رجال الدين .

ولقد ترك لنا المؤرخ « ديود وروس » وصف مكتبة عثر عليها فى جملة مخلفات الملك « أوسـيمند ياس » فى مقبرته على نحو ما كان يفعل الفراعنة فى جمع ما يتوسـمون الافادة منه ، بعد انتقالهم الى الدار الآخرة فى المعابد التى تضم أضرحتهم الملكية .

ولقد ذكر « ابن النديم » فى كتابه المعروف (بالفهرست) « ان ملوك الفرس بلغ من عنايتهم بصـيانة العلوم ، وحرصـهم على بقائها على وجه الدهـر ، واشفاقهم عليها من أحداث الجو ، وآفات الأرض ، أن اختاروا لها من المكاتب أصبرها وأبقاها ، وأبعدها عن التعفن ، والدرس ،وهو لحاء شجر الخدفك ، ويسمى « التوز » ، وبهم اقتدى أهل الهند والصين ، ومن يليهم من الامم ... فلما حصلوا لمستودع علومهم أجود ما وجدوه فى العالم من المكاتب ، طلبوا لها من بقاع الأرض ، وبلدان الأقاليم ، أصحها تربة ، وأقلها عفونة ، وأبعدها من الزلازل والخسوف ، وأهلكها طينا ، وأبقاها على الدهر بناء ، فأودعـوه علومهم ، وقد بقى الى زماننا هذا ، ويسمى « ساوويه » (أى القصر المنيف) ، ويتابع ابن النديم قوله : ؟ .. ولما كان قبل زماننا تهدمت من هذه المصـنعة ناحية ، فظهرت فيهـا على أزج معقود من طين الشـقيق ، فوجدوا فيه كتبا كثيرة من كتب الأوائل مكتوبة كلها فى لحاء التوز ، مودعة أصناف علوم الأوائل بالكتابة الفارسـية القديمة . وكان فيها كتاب منسـوب الى بعض الحكماء المتقدمين » .. الخ ..

والذى يبدو لنا من كلام المؤرخين اجمالا عن أمثال هذه المكتبات أنها كانت فى جملة الممتلكات الخاصة للملوك ، ومن هم فى حكمهم ، من الامراء وأصحاب الجاه والنفوذ والسلطان ، وأنها لم تكن توضع تحت تصرف الجمهور للمطالعة الحرة والافادة العامة .

اما المكتبات العمومية التى يلحظ فيها أن تيسر اشاعة المعرفة بين أفراد الأمة وسائر الأوسـاط الشـعبية ، وفق المفهوم الحديث للمكتبات العصرية الراهنة ، فانه يمكن القول بأن اليونان ، كانوا بلا شـك ، أول من عنى بهذا النوع من المؤسسات الثقافية ، وأنشـأوها لتكون منهلا عذبا يرتادها الناس للقراءة والمطالعة ، من كل فئة أو طبقة دون أى حجاب أو قيد .

من ذلك المكتبة التى أنشأها البطالسة بالاسكندرية ، وهى المكتبة التى أحرقها البطريرك كيرللس فى القرن الخمس للميلاد ، وجـعل محتوياتها التى بلغت ٧٠٠ الف كتاب طعمة للنيران التى أججتها الاختلافات الكنيسية فى ذلك الحين .

ولما بزغت شمس الرومان ، **وازدهرت امبـراطوريتهم بعـد اليونـان ،** اكتفوا بالاستيلاء على ما كان هؤلاء الأخيرون قد أنشأوه من المكتبات فى مختلف البلدان ، ومن أشـهرها مكتبة « برغاموس » التى نقلوهـا من مكدونية الى حاضرة ملكهم روما . ومحتويات هذه المكتبة لم تكن تقل على ما يروى المؤرخون عن ٢٠٠ الف مجلد فى سنة ١٦٧ قبل الميلاد ، عندما أهداها « مرك انطونيو » لصـديقته « كليوباترا » ملكة مصر ، كما نقل الـرومان كذلك مكتبة أثينا الى بلادهم فى سنة ٨٦ قبل الميلاد ، حتى اذا وسد الأمر فى روما الى قسطنطين الاكبر ، صرف هذا الامبراطور اهتمامه الى شـؤون العلم والمعرفة ، وأسس مكتبته الكبرى فى عاصمة الامبراطورية سنة ٣٥٥ بعد الميلاد .

على أن العرب على خلاف من سبق ذكرهم من سائر الأمم ، فانهم لم يتركوا لنا فيما تقدم من جاهليتهم ــ ويا للأسف ــ أى أثر يساعدنا على التعرف الى تراثهم المكتبى .

وان المعلومات اليسيرة والمتفرقة عن آثارهم المكتوبة قبل الاســـلام ، لا تستهوينا للوقوف عندها كثيرا .

ومن الجــائز أن من عاش من مفكريهــم فى غمرة الجــاهلية ، ونعت بالكاتب ، من الجائز أن يكون هــؤلاء قد ســجلوا أحوالهم مجتمعة ، وتابعوا أنســـاب قبائلهم ، ودونوا أخبار العرب وأشـــعارهم فى الكتب ، غير أن هذه المصنفات لم تصمد أمام تقلبات الزمن ، أو لم تحفظ فى أمكنة معينة ، فلم يصل الينا منها شىء يفيدنا عنها .

والظاهر أن أمر هذه الكتب العربية ومجامعها قد أهمل بسبب انشغال الناس بالحركة الاسلامية التى انبثقت بمكة المكرمة فى أوائل القرن الســابع للميلاد ، فضاعت الكتب ، وعفى أثر المكتبات ووجد الناس فى البعث الفكرى الجديد ما يغنيهم عن تراث الماضى وآثاره .

ولم تكن مثل هذه الظاهرة غريبة لأن المواد التى كانت تستعمل فى حينها للتدوين والكتابة كانت بدائية وسريعة التلف .

غير أنه بالرغم من ســحابة الغموض والابهام التى ضربت رواقها على الحياة العربية فى العصر الجاهلى ، وحجبت كثيرا من مظاهر نشاطاتهم الفكرية يومئذ فى ذلك العصر ، وعلى الرغم من وصف القرآن الكريم العرب بالأميين ، الذين أرســل الله اليهم واحدا منهم ، أى أميا مثلهم ، وعلى الرغم من تحدث النبى محمد صلى الله عليه وسلم عن أمته (الأمية) التى لا تقرأ ولا تكتب ، على الرغم من كل ذلك فقد وردت فى الكتاب والسنة أكثر من اشارة الى أن العرب كانوا يقرأون ويكتبون ، وهذا أمر طبيعى اذ لا يعقل أن يخاطب كل من القرآن الكريم ، والذى أنزل عليه ، قوما ببلاغة القرآن ، وعمق الحديث ، لو لم يكونوا على علم وبصيرة بالقراءة والكتابة ، وذلك مع العلم بأن المصادر القديمة التى تحدثت عن أيام الجاهلية حملت الينا قصصا عن « مجلة لقمان » « والزبر » « وصحيفة لقيط » وغيرها ، وكل ذلك يوحى بالطبع الى أن العرب كانوا على معرفة بالقراءة والكتابة ، وأنهم بلغوا فيها الشــأو الذى يمكنهم من التجاوب مع الدعوة الاسلامية الجديدة التى جعلت من الأســلوب القرآنى أداة لتحدى هذه الأمة فى ادعائها للبلاغة والفصاحة والبيان .

وما دمنا قد تواضــعنا على صحة ما نســب للعرب من احاطة معقولة بالقراءة والكتابة ، فليس يضيرنا بعد هذا أن نشير الى اهتمامهم بما يشــبع فضولهم الى الاســتمتاع بألوان المعرفة ، وضروب الثقافة من خلال الكتاب المسطور . فقد ورد فى الأخبار أن النسابة الراوية هشام بن محمد بن السائب الكلبى كان يقول : ــ

« كنت استخرج أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن ربيعة ، ومبالغ أعمار من ولى منهم لآل كسرى ، وتاريخ نسبهم من كتبهم » بالحيرة ...

كما ذكر المؤرخون أن النعمان ملك الحيرة ، أمر فنسخت له أشعار العرب فى (الطنوج) (أى الكراريس) فكتبت له ثم دفنها فى قصره الأبيض ، فلما كان

المختار بن عبيد الله ، قيل له : ان تحت القصر كنزا فاحتفره ، فأخـــرج تلك الأشعار ، قالوا ...

فمن ثم ، كان أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة .

وكذلك قيل ان النعمان بن المنذر كان عنده ديوان فيه أشعار الفحول ، وما مدح به هـــو وأهل بيته ، فصـــار ذلك الى بنى مروان من خلائف الأمويين بالشام .

وننتقل بعد هذا الى الحديث عن الكتب والمكتبات بين الجاهلية وصدر الاسلام

يقول شيخ العروبة أحمد زكى باشـــا فى دراسة له عن الحفظ والتدوين عند العرب : « قد علمنا أن الأمة العربية فى زمن الجاهلية لم تكن من الكتابة فى شىء ، ونزيد الآن أنها لم تكن منذ برأها الله حتى منبثق فجر الاسلام تعرف من العلوم الا ما تقتضيه أدنى معيشة ، كتربية بعض الدواب ، وانتجاع منازل الغيث ، والعلم بالأنســـاب ، وبرمى الســـهام ، وغير ذلك من المبادىء التى لا يسع البدوى جهلها .. غير أن نصيبهم من العلوم كان قليلا فلم يبلغوا فيها اذ ذاك مبلغا يضطرهم الى الـــتدوين ، فكانوا يكتفون بالحـــفظ ولم يفطـــنوا للتدوين لقلة حاجتهم اليه ...

ويتابع شيخ العروبة رحمه الله قوله : ــ « وما كانوا ــ أى العرب ــ يعرفون الكتب ، بل كانوا ينهون الطلبة عن النظر فيها ، والاعتماد عليها ، لئلا تتناولها أيدى التصحيف والتحريف والتزوير المقصـــود ، فيقعوا فى شر أعمال المفسدين ، أو خوفا من أن يقصروا همتهم على اللفظ دون المعنى ، أو يعتمدوا على الكتب فيهـــملوا الرواية التى هى عندهم قوام العلوم ، لاســـيما الأدبية والنقلية منها ، ولقد كان العلماء وقتئذ يفاخر بعضهم بعضـــا بالحفظ ، وقلما يكون لأحدهم كتاب واحد يعتمد عليه فيما يزاول ، وكان بعضهم يهلك كتبه خوفا من الاتكال عليها » .. اهـ .

غير أننا نجد فى كلام زكى باشا عن موقف العرب فى جاهليتهم من الكتابة والتدوين جنوحا الى الاطلاق والتعميم ، دون أى مبرر ، فجاء حكمه على أسلافنا قبل اسلامهم قاسيا ومتزمتا . لا يخلو فى الواقع من التطرف والغلو والمبالغة .

ولو أننا رجعنا الى غيره من المـــؤلفين والمؤرخين لوجدناهم فى حديثهم عن أوائل عهد العرب بتدوين المعارف والعلوم ، وجمعها فى صفحات ، أكثر اعتدالا ، وأدنى الى الحق والانصاف . فقد نقل الأديب المصرى احمد امين عن ابن خلدون فى مقدمته قوله : ــ

« ... كان عرب الحيرة أرقى من عـــرب الجزيرة ، كان منهم من يعرف الفارســـية ويجيدها ،وان عدى بن زيد الحميرى كان من تراجمة ابرويز ملك الفرس ، وأبو زيد ، كان شاعرا وخطيبا وقارئا كتاب العـــرب والفرس .

كما نجـــد العلامة العراقى جواد على ، فى كتابه « تاريـــخ العرب قبل الاسلام » يقول : « انه كان بين سكان الحيرة أناس يحسنون الكتابة والقراءة واللغات الأعجمية كالفارسية والسريانية واليونانية وقد ظهر فيهم من ألف فى الموضـــوعات اللاهوتية ومباحث فى الكتاب المقدس ، وفى الشـــؤون الطبية واللغوية والتاريخية » .

وفى كتاب « الفهرست » لابن النديم ، أن أول من وضع الكتاب العربى :

نفيس ، ونضر ، وتميم ، ودومة ، من ولد اســماعيل ، وأنه لما هدمت قريش الكعبة ، وجد فى ركن من أركانها حجر مكتوب فيه : الســلف ابن عبقر ، يقرأ على ربه السلام . ويقول ابن النديم : انه كان فى خزانة المأمون كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم فى جلــد أدم ، ذكر فيه : حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة ، على فلان بن فلان الحميرى من أهل وزل صنعا ، عليه ألف درهم فضة كيلا بالحديد ، ومتى دعاه بها أجابه ، شهد الله والملكان .

واذا صح ما يزعمه بعض المؤرخين من أن حمورابى ، الذى عاش قبل أربعة آلاف ســنة . كان عربيا فانه يمكننا القول بأن كتابه المعروف بشريعة حمورابى يمكن اعتباره أقدم كتاب عربى فى التاريــخ حتى الآن ، ولــقد عثر على هذا الأثر العلمى سنة ١٩٠١ ميلادية فى السوس من بلاد فارس ، وجد منقوشا على مسلة طولها ســبعة أقدام من الحجر الصــلد ، كتب بالحرف المسمارى ، الذى كان معروفا عند البابليين ، والمعدود أصلا من أصول الخط العربى ، ولغته بابلية قريبة من اللغة العربية .

واذا نحن تجاوزنا ظلام الجاهلية ، وأقبلنا على ضياء فجر الاســلام ، فاننا سنجد أنفسنا حيث كنا من قبل فيما يتصل بالكتابة والتدوين ، كما سنجد حرجا كبيرا ، بل عجزا مطبقا اذا طمعنا فى العثور على كتاب آخر الى جانب كتاب الله ، القرآن الكريم ، ذلك أن الرسول الأعظم سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم لم يدخر وسعا الا وبذله فى سبيل الحفاظ على امتياز هذا الكتاب المقدس ، ومستواه السامى ، لما يضــم بين دفتيه من تعاليم دينية تنزلت بها العناية الالهية على بنى الانسان من سكان هذه الأرض .

ولقد آزر التوفيق النبى عليه الســلام فى بلوغ اربه الى أبعد الحدود ، واستطاع بما أوتى من دراية ومرونة ولباقة أن يحبط كل محاولة لتدوين كلام غير « كلام الله » حتى ولو كان هذا الكلام مما كان يحدث به هو نفســه فى المناسبات المختلفة التى لم يكن لها صلة بالوحى المنزل .

ولسنا نملك الا اعتماد الرأى التقليدى فيما يتصل بانفراد القرآن الكريم بالتدوين دون غيره فى عهد النبوة ، وهو رأى يوحى بتحديد غاية النبى صــلى الله عليه وسلم فى الاحتراز من الخلط بين الدستور الاساسى للدين الاسلامى ، وبين ما يتصل بهذا الدستور من شروح وتفاسير توضيحية ، ولعلنا نســتطيع أن نبيح لأنفسنا تفسير هذا الموقف الحازم ، من خلال رغبة صاحب الرسالة الجديدة فى أن يحيط كتاب دعوته السماوية باطار من الفراغ الزمنى والفكرى ، يحول دون اضطراب هذا الكتاب مع المدونات الأخرى التى يجب أن تبقى دونه فى الزمان والمكان والقيمة .

واذا كان النبى محمد صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب ، فانه اتخذ لنفسه نفرا من صــحابته الذين كانوا على علم بالقراءة والكتابة ليكونوا « كتبة الوحى » وبالفعل فان هؤلاء الكتبة وقفوا أنفســهم على تدوين ما كان يوحى به الى النبى صلى الله عليه وســلم من الآيات القرآنية ، واثباته على ما كان يقوم يومئذ مقام الورق اليوم من العسب واللخاف والرقاع وأحيانا من الحــرير وقطع الأديم ، والأكتاف (عظام الابل) وذلك على عادة العــرب ، حينها ، بالكتابة على هذه المواد التى كانت تطلق عليها اسم : الصحف .

وبلغ من اهتمام النبى محمد صلى الله عليه وسلم وحرصــه على تدوين القرآن وجمعه وتأليفه فى كتاب واحد ، أنه جعل يوصى ابن عمه على بن أبى

طالب رضى الله عنه اذا أزفت ساعته الأخيرة فى هذه الدنيا وواراه فى حفرته ألا يخرج من بيته حتى يجمع كلام الله من جرائد النخل وأكتاف الابـل ويؤلفه (أى يجمعه) فى كتاب واحد .

وهذا الاهتمام الايجابى بتدوين القرآن الكريم ، وجمع آياته ، وسوره ، بين دفتى كتاب واحد كان يقابله من قبل النبى صلى الله عليه وسـلم اهتمام سلبى بعدم السماح بكتابة ما يحدث به من غير الوحى الرسمى ، فلقد نقل الينا الثقاة من الرواة أحاديث كثيرة بصرف الناس عن تسـجيل الحديث الشريف بالكتابة والتدوين ، منها ما روى مسلم فى صحيحه عن ابى سـعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ــ

« لا تكتبوا عنى ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عنى فلا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

ولقد التزم الصحابة الكرام رضى الله عنهم بما أوصاهم به النبى صلى الله عليه وسلم ، سواء فى حياته أو بعد انتقاله الى الرفيق الأعلى ، فلم ينقل عنهم أنهم تسامحوا بوجود كتاب آخر الى جانب كتاب الله الوحيد ، فى شؤونهم الدينية ، حتى ولو كان هذا الكتاب وصاة نبوية أخيرة لصلاح أمور المسلمين ، وعدم انحرافهم الى الغى والضلال ، فلقد روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه قال : لما اشتد بالنبى صـلى الله عليه وسلم وجعه قال : ــ ايتونى بكتاب اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده . قال عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع ، وعندنا كتاب الله حسبنا .

وحين يتصدى عمر بن الخطاب لهذا ، فانما هو يتجاوب مع ما كان النبى نفسـه يدعو اليه ، ويلح عليه فى كل مناسبة من ضرورة الابقاء على القرآن الكريم مدونا وحده ، كيلا يتداخل فيه كلام ليس منـه من جهـة ، ولا يلتبس موضوعه ، وهو بعد غض طرى فى غيره مما هو مدون من جهة ، يؤيد ذلك ما ذكره صاحب « مختصر جامع بيان العلم وفضله » ابن عبد البر النمرى عن عروة : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أراد أن يكتب السـنن ، وهو على امرة المؤمنين فاستفتى أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، فأشاروا عليه أن يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله شهرا ، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له ، فقال : انى كنت أريد أن اكتب السنن ، وانى ذكرت قوما كانوا يكتبون قبلكم كتبا ، فأكبوا عليها ، وتركوا كتاب اللـه ، وانى والله لا أشوب (وفى نسخة لا أنسى) كتاب الله بشىء أبدا .

ومثل عمر ابن مسعود الذى صحب النبى صلى الله عليه وسلم ، وفقه رسالته ، ثم أصـبح بعد وفاته عليه السـلام واحدا من المراجع الموثوقة فى التشريع والسنة ، فلقد ذكر أنه أخذ من بعض زائريه صحيفة عليها كتابة من غير القرآن ، وطلب الى جاريته أن تسكب عليها الماء ، ومحاها بيده قائلا : ــ ان هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ، ولا تشغلوها بغيره .

بيد أن هذا الحظر الذى أحكم طوقه على الكتاب فترة النبوة ، وما بعدها زمن الخلفاء الراشدين ، لم يدم طويلا ، فطبيعة الأمور ، وتطور الحياة ، وتداخل العناصر الانسانية المتباينة ، التى آلف بينها الدين الجديد ، كل ذلك أدى فى النهاية الى انفراج الأفكار بعد تزمتها ، واتسـاع الصـدور بعد تحرجها ،

واستعادت الكلمة المكتوبة سبيلها الى الصحف ، وان لم تكن وحيا منزلا فى قرآن كريم .

وها هو ابن النديم ، فى كتابه الفهرست ، يذكر لنا أن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ما ان اطمأن الى استقرار الخلافة فى سلطانه وآل بيته ، حتى أرسل الى عبيد بن شرية الجرهمى أن يقبل عليه من صنعاء اليمن ، ليروى بين يديه الأخبار المتقدمة ، وما يتصل بملوك العجم والعرب ، وسبب تبلبل الألسنة ، وأمر افتراق الناس فى البلاد ، وأمر موظفيه بأن يدونوا ما يرويه عبيد ، وينسب اليه . ثم ان ابن النديم يضيف الى ذلك قوله : ـ ان لعبيد هذا مؤلفات كثيرة منها (كتاب الأمثال) فى نحو خمسين ورقة رآها هو بنفسه .

والذى حكاه لنا ابن النديم من أمر معاوية رضى الله عنه مع صاحبه اليمانى ، يدلنا بما لا يقبل المناقشة والشك ، أن الكتاب العربى وجد له مكانا كريما فى رحاب الحاكمين من العرب ، الذين اولوه اهتمامهم ، واقبلوا عليه يلتمسونه من صدور الرجال ليثبتوه فى متون الصحف ، ويتخذوا منه مرجعا أمينا فى معرفة مصادر التاريخ ، والوان العلوم المختلفة .

والناس ، شأنهم فى كل مكان وزمان ، على دين ملوكهم ، واهواء هؤلاء الملوك ، يتنافسون فى محاكاتهم وتقليدهم فى تقاليدهم ، محبة لهم ، أوزلفى اليهم ، أو تساميا الى ادراك سويتهم فى الجاه والمقام .

فاذا كان أمير المؤمنين قد أفرد للكتب فى مقره مكانا يعوذ به كلما آنس من نفسه رغبة بالانصراف عن شؤون الحكم وشجونه ، فانه جدير بواحد من رعاياه أن يتخذ من داره ناديا ، يتداعى اليه الناس لازجاء أوقات فراغهم بالمطالعة فى الكتب ، أو فى محاورة احجار الشطرنج ، وما الى ذلك مما يكون فى النوادى عادة ، فقد حدثنا ابو الفرج الاصبهانى فى اغانيه قال : ـ كان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحى ، قد اتخذ بيتا فجعل فيه شطرنجين وزادت وقرقات (من ألعاب الصبيان) ودفاتر (كتب) فيها من كل علم . وجعل فى الجدار أوتادا فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ،ثم جر دفترا فقرأه ، أو بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم . . الخ .

. . أجل ، كان للعرب فى أيام مؤسس الدولة الأموية ، دار مستقلة ، فيها غرف متعددة خصص بعضها للكتب يطالع بها من يشاء ، وأخرى لألعاب التسلية يقصدها من يشاء ، وقاعة للاستراحة ، وعلى الجدران مشاجب ، وما اليها ، تعلق عليها المعاطف ، وما يثقل كاهل الرواد من رداء أو قباء ، والذين يطلبون العلم من كل طبقة ، ومن كل لون ، يتوافدون عليها ، ويتداولون على رفوفها ، ليتنا ولوا الكتاب الذى يطلبونه من المكان المخصص له ، بحسب مادته ومؤلفه ، وموضعه ، حتى اذا استوفوا حاجتهم من القراءة ردوه حيث كان من قبل . .

صورة من الماضى طويت دونها مئات السنين ، ليس فى حاضرنا ما يختلف عنها فيما اعتقد الا بعض الفروق والتفاصيل التى فرضتها ظروف الحياة المتطورة ، خلال أربعة عشر قرنا من الزمان .

وبعد ، فلعلنا نستطيع بعد الذى قدمناه أن نزعم بأن العرب كان لهم فى جاهليتهم ، وعند انبثاق الاسلام فى ربوعهم صلة رحم موصولة مع الكتاب والمكتبات جديرة بأن تقنع المؤرخين بأن هذه الأمة لها فى تاريخ الفكر نصيب من التقدير والاحترام.



الانسان
ذلك المجهول
تأليف
ألكسيس كاريل
تعريب
شفيق اسعد فريد

الانسانُ ذلكِ المجهولُ

تأليف الدكتور : الكسيس كاريل
تقديم الاستاذ : رمضان لاوند

لم يحدث فى تاريخ الكتاب المعاصر لجيل الحرب العالمية الثانية أن الراى العام المثقف والدوائر العلمية ذات العلاقة ، قد تأثرت بكتـاب معين بين مؤيد ومعارض كما تأثرت بكتاب الدكتور الكسيس كاريل الذى قدمه بعنوان « الانسان ذلك المجهول » .

فمن هو الدكتور المؤلف لهذا الكتاب اولا ؟ ولماذا كانت الشهرة الخاصـة لهذا الكتاب ثانيا ؟ وما هى المواقف الرئيسة التى تميزت بها مادة الكتاب ثالثا ؟ وهل استطاع المؤلف أن يسلط بمادته العلمية فى هذا الكتاب ضوءا على الحقائق النهائية التى يسعى اليها الانسان منذ عرف نعمة القراءة وقيمة تقليب النظر فى خلق السموات والأرض والحياة ؟ .

الاجابة عن هذه التساؤلات تفرض علينا أن نقسم موضوع هذه المقالة الى اربعة اقسام .

من هو الكسيس كاريـل ؟

الدكتور الكسيس كاريل من مواليد قرية قريبة من مدينة ليون الفرنسية

لعام ١٨٧٣ . تابع مراحل دراسته كلها حتى بلغ نهاية المرحلة الجامعية فى هذه المدينة وحصل على اجازة الطب من جامعتها . ثم انتقل الى مدينة ديجون الفرنسية ايضا فحصل من جامعتها على اجازة فى العلوم .

وبعد سنوات انتقل الدكتور كاريل الى الولايات المتحدة حيث شارك فى نشاط العلماء فى معهد روكفلر للابحاث العلمية فى نيويورك .

ومنح عام ١٩١٢ م جائزة نوبل تقديرا لابحاثه الطبية الفريدة . وفى عام ١٩٣٩ وكان قد أمضى ثلاثين عاما فى معهد روكفلر اعتزل العمل الوظيفى الرسمى وانصرف الى تعميق أبحاثه المتعلقة (بالقلب الميكانيكى) الذى يقال ان فى امكانه توفير اسباب الحياة للمريض بدلا من القلب الاصلى لمدة غير محدودة .

فى اثناء الحرب العالمية الثانية اشترك مع أطباء آخرين فى القيام بمهمات خاصة عهدت اليه من قبل وزارة الصحة فى بلاده . وتوفى عام ١٩٤٤ عن عمر ناهز الواحد والسبعين من أعوام قضى اكثرها عاملا من اجل المعرفة .

وقبل وفاته بسنوات أصدر كتابه « الانسان ذلك المجهول » فأحدث بما ضمنه من النظرات النفاذة والأصيلة ضجة واسعة فى الراى العام المثقف وفى عدد من الدوائر العلمية ذات العلاقة .

اسباب شهرة الكتاب :

يبدو لنا أن شهرة كتاب « الانسان ذلك المجهول » تعود أولا الى طبيعة الموضوع نفسه. فالملاحظ أن منجزات العلم الغربى منذ بداية النهضة بعد القرون الوسطى حتى اليوم هى منجزات تتصل بالجانب المادى البحت بسبب من سهولة البحث فيه وملاحظة وقائعه واكتشاف القوانين والسنن الثابتة التى تنظم وجوده . من أجل ذلك ابتعد العلم الغربى عن الابحاث البيولوجية فى بداية الامر واهتم بالابعاد المادية الجامدة للموجودات . وبعد أن حقق العلم الحديث قفزات واسعة فى ميدان الفيزياء والكيمياء المعدنية وما يتصل بهما من موضوعات وحقق اكواما من الاختراعات التكنيكية المدهشة وجد نفسه أمام معميات « الحياة والأحياء » فاضطر لتعبئة جهوده من اجل التعرف الى أسرارهم واكتشاف القوانين التى تنتظم بها تحركاتهم . ولما كان الانسان هو فى طليعة الكائنات الحية من حيث الاهمية ومن أكثرها تعقيدا واثارة للاهتمام فقد جاء كتاب « الانسان ذلك المجهول » بمثابة الخطوة الكبرى التى حققتها موجة البحوث الانسانية المعاصرة .

وتعود شهرة الكتاب ثانيا الى ما يتميز به من الشمول . فالواقع ان المؤلف لم يصدر فيما حققه وناقشه عن تجاربه الخاصة وحسب بل لجأ الى مجموعة الابحاث والدراسات التى قام بها زملاؤه فى المعهد المذكور وهم فئات متخصصة فى جملة من العلوم المادية والانسانية . وقد جاء فى مقدمة المؤلف بهذا المعنى ما يلى : « من حسن حظى أن سمح لى مركزى بأن أدرس دون بذل أى مجهود او الطمع فى أى ثناء ظواهر الحياة فى تعقيدها المخيف .. فلاحظت كل وجه من وجوه النشاط البشرى بصفة عملية . كما اننى عليم بكل ما يكتنف الفقير والغنى ، الصحيح والسقيم ، المتعلم والجاهل ، ضعيف العقل والمجنون ، الذكى والمجرم الخ » ثم يقول : « لقد القت بى الظروف فى طريق الفلاسفة والفنانين والشعراء والعلماء ، والعباقرة والقديسين .. كما درست فى الوقت

نفسه التركيب الميكانيكى الغائر فى أعماق الأنسجة كتلافيف المخ الذى هو فى الحقيقة الأساس العميق للظواهر العضوية والعقلية » . وأما عن نشاطه فى المعهد بخاصة فيقول : « هناك افكر فى ظواهر الحياة حينما يحللها الخبراء الذين لا يبارون أمثال ملتزر وجاك لويب ونجيوشى وكثيرون غيرهم الخ » .

ولو أتيحت لنا فرصة لنقل كل ما ذكره عن المعلومات التى توفرت بفضل جهوده وجهود عشرات من المتخصصين فى مختلف فروع المعرفة لاتضحت لنا ظاهرة الشمول التى تميز بها كتابه . فهو اذن لم يعتمد الأبحاث المخبرية وحسب فى هذا الكتاب بل لجأ الى كل الدراسات الانسانية من تاريخ وعلم نفس وتربية واجتماع واخلاق ودين وفلسفة الخ ..

أما السبب الثالث لشهرة كتاب « الأنسان ذلك المجهول » فهو فى أنه لم يرتفع فى تعقيده الى مستوى الخبراء المتخصصين ولم يهبط فى تبسيطه الى تعميمات السطحية الابتدائية . لقد جعل من موضوعاته مادة لا يرفضها المتخصص بل لعلها تثير اهتمامه ولا تستعصى على القارىء المثقف العادى بحيث يعجز عن متابعة قراءته ويقول فى تبرير المحاولة التى قام بها لتأليف الكتاب « اننى عالم تماما بالصعوبات التى تقترن بالاقدام على هذا العمل .. ومع ذلك فقد حاولت أن أودع جميع المعلومات التى تتصل بالانسان صفحات كتاب صغير . اننى لا أرضى الاخصائيين لأنهم يعرفون أكثر مما أعرف ولن اسر الجمهور لأن هذا الكتاب يشتمل على كثير من التفصيلات الفنية ومع ذلك فانه لم يكن لى مفر من تلخيص معلومات عدة علوم » .

وأما السبب الرابع لشهرة الكتاب فيعود الى جدة الموضوع وطبيعته اللتين فرضتا نفسيهما أمام الاحتمالات الشديدة للتدهور والانحطاط فى حضارة اليوم .

المؤلف يعلن فى مقدمة الكتاب قوله « لقد فتنهم « أى ناس اليوم » جمال علوم الجماد .. انهم لم يدركوا ان أجسامهم ومشاعرهم تتعرض للقوانين الطبيعية وهى قوانين أكثر غموضا ، وان كانت تتساوى فى الصلابة ، مع قوانين الدنيا .. كذلك فهم لم يدركوا انهم لا يستطيعون أن يعتدوا على هذه القوانين دون أن يلاقوا جزاءهم » ثم يقول بعد قليل « ان الانسان يعلو كل شىء فى الدنيا فاذا انحط وتدهور ، فان جمال الحضارة ، بل حتى عظمة الدنيا المادية ، لن تلبث أن تزول وتتلاشى » ..

مادة الكتاب :

وهنا نجد انفسنا أمام السؤال الثالث الذى طرحناه مع غيره فى بداية هذا الحديث « ما هى المواقف الرئيسية التى تميزت بها مادة الكتاب ؟ » .

من الممكن ان نجيب عن هذا السؤال بكلمة واحدة مقتبسة من العنوان نفسه :

ان مادة الكتاب التى تميزه من سواه هى « الانسان » . ومما يؤكد هذه الحقيقة العناوين التى قدمت بها الفصول الثمانية لكتابنا هذا . انها كلها تدور حول الانسان نفسه « الحاجة الى معرفة الانسان معرفة أفضل ــ علم الانسان الجسم ووجوه النشاط الفسيولوجى ــ النشا طالعقلى ــ الزمن الداخلى ــ الوظائف التنسقية ــ الفرد ــ اعادة صياغة الانسان » ..

ولما كانت هذه العناوين اطارات واسعة لجملة كبيرة من المعانى والحقائق التى تتجاوز الآلاف عدا فان اى محاولة لتلخيص الكتاب تبقى محاولة عاجزة عن استيعاب الحقائق الرئيسة فيه ولكن هذا لا يمنعنا من تقديم صورة تقريبية لما يحتويه لا لتغنى القارىء عن متابعة الحقـــائق فى صفحـــاته بل لتكون بمثابة الحافز الذى يدفع القارىء الى البحث عنه والتامل فيما ورد فيه .

معرفة افضل بالانسان :

المؤلف الدكتور الكسيس كاريل يؤكد الحقيقة المتفق عليها وهى أن علوم الطبيعة الجامدة قد سبقت علم الحياة باشواط كثيرة مما سبب جهلنا الفاضح بحقيقة تكويننا الجسدى والنفسى . وهو يرى أن المنجزات الضخمة التى حققها الانسان فى الفيزياء والكيمياء والتى بلغ بها قمة التكنولوجيا الحديثة ان فى ميدان غزو الفضاء أو تحليل معادن الارض وفلذاتها المختلفة وصـــنع مركبات جديدة منها أو فى ميدان العقول أو الآلات الحاسبة .

ويرى أن السبب فى ارتفاع الاكوام العظيمة من المعلومات المادية فقط مع جهلنا التام نسبيا بحقيقتنا الانسانية راجع الى طريقة وجود اسلافنا والى تعقد التركيب الانسانى من الناحيتين الجسدية والعقلية .

ثم يطرح المؤلف عددا غير قليل من الأسئلة الاساسية المتعلقة بالانسان ويقول انها لم تجد الاجابات الصحيحة لها فى الدوائر العلمية المختصة من مثل .

١ ـــ كيف تتحد جزئيـــات المواد الكيماوية لكى تكون المركب والاعضـــاء المؤقتة للخلية ؟

٢ ـــ ما هى ، طبيعة تكويننا النفسانى والفسيولوجى ؟

٣ ـــ كيف تقرر الجينس (١) الموجودة فى نواة البويضة الملقحة صفات الفرد المشتقة من هذه البويضة . ؟

٤ ـــ ما هى طبيعة العلاقات بين الشعور والمخ ؟

٥ ـــ كيف تنتظم الخلايا فى جمـــاعات من تلقاء نفســـها مثل الأنســـجة والأعضاء ؟

٦ ـــ ما هى مصادر وطبيعة العمليات الميكانيكية الخفية التى تبنى الجسم البسيط والمعقد فى الوقت ذاته الخ ..

وهناك أسئلة أخرى كثيرة منها ما ورد فى الفصل الأول من الكتاب وفى الصفحة ١٨ منه بصـــورة خاصـــة ومنها ما لم يرد وهى كلها تشكل علامات استفهام يقف العلم الحديث أمامها عاجزا حتى اليوم . ولعل أهم سؤال معجز يهمنا نحن البشر هو « كيف نستطيع أن نحول دون تدهور الأنسان وانحطاطه فى المدنية العصرية ؟ » .

والمؤلف يرى أن حياتنا الصناعية الحديثة قد حققت تغييرات شديدة فى بيئتنا المادية وفى أنواع أغذيتنا وفى ظروفنا العقلية والنفسية . وقد انهارت بسبب ذلك كل الثقافات القديمة بما فيها المعتقدات الدينية فى الغرب بخاصة .

---

(١) الجينس وتسمى الناسلة وهى المركب الحيوى الذى تتقرر به وباعداده ذكورة الانسان وانوثته وخصائصه المختلفـــة .

المجهود اصبح اقل .. والمتعة اصبحت أوفر .. والتلهف على السلع تزايد بصـــورة تلفت النظر والرغبة فى الشراء قد بدأت تتجـــاهل القيم الاخلاقية .. والاحساس بالنهم يزيد بصورة مخيفة .

أما التقدم الصحى فقد أصبح قادرا على انقاذ الضـــعفاء والاقويـــاء من المرضى وبالتالى أصبح قادرا على تمديد حياة الانسان لفترة تتفاوت طولا وقصرا وهى ظاهرة تحول دون أن يلعب قانون بقاء الأصلح دوره فى صـــنع المجتمع الصحى القوى .

ويعلن المؤلف بعد عرض مطول للظروف العصرية الجديدة أن الحضارة اليوم « تجد نفسها فى موقف صعب لأنها لا تلائمنا ، فقد انشئت دون أية معرفة بطبيعتها الحقيقية ، اذ انها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية ، وشهوات الناس واوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم وعلى الرغم من انها انشئت بمجهوداتنا الا انها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا » .

ثم ينهى المؤلف مناقشته لهذا الموضوع فيؤكد فى ص ــ ٤١ ــ وجوب أن يكون الانسان مقياسا لكل شىء . ولما كان غريبا فى واقع أمره عن العالم الذى ابدعه بفضل التقدم الاعتباطى للعلوم المادية فقد وجب أن يعاد النظر فى خطة الدراسة القائمة .

ما هو علم الانســـان : ؟

وينتقل المؤلف الى الفصل الثانى ليقول لنا الحقـــائق التالية التى نوردها على صورة عناوين سريعة لا تفى بالغرض المطلوب .

يقول :

١ ــ معلوماتنا عن الانسان كثيرة ولكنها مشوشـــة غير متجانسة .

٢ ــ يجب أن نحقق توازنا فى الجهود المبذولة لدراسة نواحى الانسان المختلفة والاهتمام بالظواهر المعقدة تماما كالاهتمام بالمظاهر البسيطة .

٣ ــ علم الانسان يجب أن يجزأ الى علوم فرعية كثيرة وهو فى حاجة الى فنون متعددة . ومن الممكن اعطاء صورة عددية تقريبية لهذه الفنون التى منها بالاضافة الى الالكترونات والذرات والخلايا والانسجة والاخـــلاط ووظـــائف الاعضاء ــ علوم النفس والاحتماع والتربية والاخلاق والاقتصاد والدين وفلسفة الفنون الجميلة الخ ..

كما يقرر فى ص ٤٨ أن « علماء الفسيولوجيا فى القرن التاســـع عشر وتلاميذهم الذين لا يزالون يتسكعون حولنا ارتكبوا مثل هذا الخطأ حينما حاولوا ان يختزلوا الانسان اختزالا تاما الى كمياء مادية » .

ولا ينسى المؤلف تسليط الضوء على ظاهرة لافتة للنظر عند العلماء . انه يقرر أن هؤلاء العلماء يختارون من بين الوقائع ما يساعدهم على اثبات فرضية لهم خاضعين فى ذلك لاحساساتهم الخاصة وتكوينهم العلمى والفلسفى . انهم يهملون الموضوع الصعب أو الغامض أو يخفون جزءا من الحقيقة فى الجداول التى ينظمونها ذلـــك لأن العقل الانسانى بطبيعته يميل الى الحلول الدقيقـــة الواضحة والمتميزة بالسهولة البالغة .

والمثل على ذلك أن علماء وظائف الاعضـــاء العصريين هم أشد اهتماما

بالظاهرات الطبيعية الكيمائية عند الحيوانات الحية منهم بالتركيبات الوظيفية المعقدة للاعضاء . يضاف الى ما سبق أن كثيرا من العلماء المتخصصين فى علم الانسان يتجاهلون الحقائق التى لا تتفق مع معتقداتهم العلمية أو الفلسفية كما هو شأن جان روستان الذى توفى منذ عام ونيف فى فرنسا والذى كانت ابحاثه العلمية وطريقة اختياره للوقائع خاضعة لفلسفته المادية ولالحـــاده بالحقيقة الالهية .

ان جان روستان بالرغم من معرفته وخبرته الكبيرة باسرار علوم الحياة يبدو متحيزا فى تقرير الحقائق لأنه لا يقبل منها بوعى أو بغير وعى منه غير تلك التى تثبت نظرياته الفلسفية السائدة أو المسبقة التى تبناها لنفسه .

ومع ذلك فان صاحب كتاب « الانســـان ذلك المجهول » لا يلبث أن يقرر حقيقة علمية هامة فى قوله ص ٥٤ « تبدو الوسيلة العلمية للنظرة الأولى غير قابلة للتطبيق على تحليل جميع وجوه نشاطنا » .

يقصد بذلك أن الحقائق التى لا بعد لها فى المكان والزمان لا يمكن ان تقاس بالاجهـــزة العلمية . فهذه الاجهزة مثلا لا تســـتطيع أن تقيس الغرور والحقد والحب والجمال أو الأحلام والالهام ولكنها تسجل بسهولة بالغة الانعكاسات المادية الوظيفية لهذه الحالات النفسية على الأعضاء البشرية .

الدكتور الكسيس يعتقد ان فى وسع العلم ان يغزو مملكة النفس وميدان الوظائف الاخلاقية والادبية الغامضة ولكن هذا الغزو يتم بطريقة غير مباشرة .

هكذا تتوفر للعلماء معرفة متكاملة بالانسان وبالتالى يتحقق التوازن بين الجانبين المادى والروحى . والخلاصة أن صاحب الكتاب الدكتور كاريل يعلن فى نهاية هذا الفصل المهم من كتابه ص ٥٩ « أن علم الانسان يستخدم جميع العلوم الأخرى . وهذا سبب من أسباب بطئه وصعوبته » .

الجسم ووجوه النشاط الفسيولوجى :

وفى فصل آخر ناقش الدكتور موضوع الجسم البشرى من خلال نشاطه الوظيفى ، فلاحظ حقيقة أساسية هى أحساس الانسان باصالة شخصيته . قال ص ٧٥ « اننا شاعرون بوجودنا ، وبأننا نملك نشاطـــا خاصا بنـــا ، أى بشخصيتنا .. ونعلم ايضا أننا نختلف عن الأفراد الآخرين ، ونعتقد أن ارادتنا حرة ، ونشعر بالسعادة أو التعاسة .. وهذه البديهيات تعين لكل منا الحقيقة النهائية » .

وفى فقرة أخرى من هذا الفصل يلاحظ وجود علاقة بين طبائع الانسان وشكله وطريقة شد قامته بل وشكل وجهه الخ .. ثم ينتقل الى التفصيل فيبدأ بالحديث عن الجلد الذى يغطى السطح الخارجى للجسم فاذا به يسلط الضوء على وقائع مدهشة معجبة فى مميزات الجلد وخصائصه لا يســـعنا أن ننقلها الى القارىء بسبب من ضخامة المادة وتنوعها . فاذا انتهى من التعرض للجلد أعلن حقيقة أخرى هى أن « جســـمنا الداخلى لا يشـــبه تعاريف التشريـــح الكلاسيكى . فعلم التشريح فى نظره هو اعجز مـــا يكون عن اعطاء صــــورة حقيقية للجسد البشرى . ولا ينسى فى أثناء العرض الدقيق والمكثف فى الوقت نفسه لأسرار الجسم البشرى ، أن يحدثنـــا عن الاخلاط التى تلعب دورا بالغ

الأهمية فى جعل الحياة مستمرة وفى تحقيق التوازن المطلوب . ثم ينتقل بعد ذلك الى جملة من الموضوعات يأتى فى مقدمتها دور الغدد الجنسية ووظائفها التى تتجاوز حفظ الجنس . انه يقرر انها تزيد من قوة النشاط الفسيولــوجى والعقلى والروحى ويعقب على هذا قــائلا فى ص ١٠٨ « فليس هناك خصى أصبح فيلســوفا عظيما او عالما خطير الشــأن أو حتى مجرمــا عاتيا ، لأن للخصيتين والمبايض وظائف على أعظم جانب من الأهمية » .

وتبلغ دهشة الدكتور مبلغا شديدا حين يتعرض لراى القائلين بتساوى المراة والرجل . انه يؤكد ان اهمية الجنسين غير متساوية فيما يتعلق بتكاثر الجنس « وأن الاختلافات الموجودة بين الرجل والمراة لا تأتى من الشكل الخاص للاعضاء التناسلية ومن وجود الرحم والحمل أو من طريقة التعليم . اذ أنها ذات طبيعة اكثر اهمية من ذلك . أنها تنشأ من تكوين الانسجة ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيماوية محددة يفرزها المبيض » ص ١٠٨ — اما الأعصاب وما فيها من عوالم غريبةومدهشات وتعقيدات فىكلجزءمناجزاءالجسم البشرىوبصورةخاصة فى الدماغ فقد تحدث عنها المؤلف حديثا مطولا قرر فيه عجز العلم عن التعرف للكثرة الساحقة من اسراره الخفية .

النشاط العقلى :

وبعد أن يلخص الدكتور المؤلف قصة الجسم البشرى فى فصل يشــغل ستين صــفحة من الكتاب ينتقل الى موضــوع النشــاط العقلى فيناقش فيه الموضوعات التالية :

١ — النشاط العقلى وعلاقته بجميع وجوه النشاط الجسدى .

٢ — قياس النشــاط العقلى وشروط نموه والعقول المنطقية والسريعة الادراك والبصر المغناطيسى وتراسل الأفكار .

٣ — النشاط الأدبى مع ما يرافقه من التغييرات الكيماوية .

٤ نشاط علم الجمال . الجمال واهميته العملية .

٥ — راى فى تجارب ما لا يدركه العقل .

٦ — التناسق بين الاحساسات العقلية والاخلاقية والذوقية .

٧ — العلاقة بين وظائف الاعضاء والنشاط الذهنى .

٨ — التفكير والعمل والصلاة والمعجزات .

٩ — تأثير البيئة الاجتماعية على وجوه النشاط العقلى .

١٠ — الأمراض العقلية والبيئة الاجتماعية .

والملاحظ ان هذه الموضوعات ليست مما يسهل تقديم صــورة عنه الى القارىء .

ان كلا منها فى حاجة الى عدد من الصفحات فى اقل تقدير . ولذلك فاننا نقصر عرضنا هنا على تقرير الحقيقة التالية التى قررها المؤلف فى اثناء تعرضه لظاهرة الصلاة وتأثيرها فى تحقيق تغيرات أساسية فى بناء الجسم . وبعد أن يستعرض عددا من هذه التغيرات التى حصلت بالفعل يقول ص ١٧٣ « ان لمثل هذه الحقائق مغزى عظيما فانهمـا تدل على حقيقة علاقات معينة ذات طبيعة ما زالت غير معروفة ، بين العمليات السيكولوجية والعضوية .. وتبرهن على

الأهمية الواضحة للنشاط الروحى الذى اهمل علماء الصحة والمربون ورجال الاجتماع دراسته اهمالا يكاد يكون تاما .. هذه الدراسة تفتح للانسان عالما جديدا » .

الزمن الداخلى :

وهنا نبلغ أعقد الفصول فى الكتاب واكثرها اثارة للاهتمام . ذلك أنه يحاول فيه أن يدرس علاقة الزمن بالحياة البشرية . انه يعرف الزمن الداخلى فى ص ١٨٩ كما يلى : « ان الزمن الداخلى هو تعبير عن تغييرات الجسم ونشاطه ابان الحياة .. وهو مساو لذلك التتابع المستمر لحالاتنا التركيبية والأخلاطية والفسيولوجية والعقلية التى تكون شخصيتنا » .

ثم يستشهد المؤلف بفقرة مما كتبه ويلز فى كتابه « آلة الزمن » فيقول نقلا عنه « ان صورة الانسان فى سن الثامنة والخامسة عشرة والسابعة عشرة والثالثة والعشرين وهلم جرا هى أجزاء ، أو بالأحرى صورة فى ثلاثة أبعاد لمخلوق ثابت غير قابل للتعديل ومكون من اربعة ابعاد . والبعد الرابع هنا هو الزمن » .

ولننقل رايا آخر لبرغسون الفيلسوف الفرنسى استشهد به المؤلف أيضا فى ص ١٩٠ قال : « ان العمر ليس لحظة تأخذ مكان أخرى .. فالعمر هو التقدم المستمر للماضى الذى ينهش المستقبل ويتورم كلما تقدم .. وتكدس الماضى فوق الماضى يستمر دون تراخ . وفى الحقيقة أن الماضى يحفظ نفسه آليا ومن المحتمل أن يتبعنا بكليته فى كل لحظة .. ولا شك فى أننا نفكر بقسم صغير فقط من ماضينا . بيد اننا نرغب ونصمم ونعمل بكل ماضينا بما فى ذلك الميل الأصلى لروحنا » .

ويعقب المؤلف على كلام برغسون فيقول فى الصفحة نفسها :

« اننا تاريخ .. وطول هذا التاريخ ، يعبر عن غنى حياتنا الداخلية أكثر مما يعبر عنه عدد سنوات حياتنا . ونحن نشعر بشكل غامض اننا لسنا اليوم مثلما كنا بالأمس .

اذ يبدو كأن الأيام تطير بسرعة اكثر فاكثر . الا انه لا يوجد بين هذه التغييرات ما هو دقيق أو مستمر الى درجة كافية بحيث يمكن قياسه » .

مما سبق يتبين لنا ان الانسان يحتفظ بوحدته لا فى فترة معينة ثابتة بل عبر حياته كلها . انه يحس بهذه الوحدة مهما تغير فى مظهره الخارجى رغم احساسه بوجود تطورات نفسية فى اعماق ذاته . هذه الوحدة المستمرة تتمثل فى حركة أعضائه من ناحية وفى تتابع مشاعره واحساساته من ناحية اخرى . وفى كلتا الحركتين تبرز حقيقة الزمن الداخلى عنده .

الوظائف التنسيقية :

هل يعلم الكثيرون بأن العمر مشروط بوظائف التنسيق فى داخل الجسم البشرى ؟ وهل يعلمون أن التكيف مع الاحداث والوقائع فى كل عضو من الأعضاء هو الذى يرمز الى وجود الوظائف التنسيقية ؟ وهل يعلمون أن عملية

التنســيق هذه يجب أن تواجه كل تغيير وكل طارىء بحيث تخلق المناعة فى الجسم ضد كل الاخطار ؟ وهل يعلمون أخيرا بأن الحضارة الحديثة بما حققته من التغييرات العنيفة فى نظــام العيش فى التنقل وطبيعة الســكن والعمل والأغذية والتعليم وغيرها قد أحدثت عجزا ظاهرا فى قدرة الوظائف التنسيقية على النهوض لمسؤولياتها التى تحتفظ معها باستمرار الحياة ؟

كل هذه الأسئلة يجد القارىء اجابات واضحة عنها فى الفصل السادس من الكتاب تحت عنوان « الوظائف التنسيقية » .

الفرد واعادة صياغته :

كيف نظر الدكتور الكسيس كاريل الى الفرد ؟ ما هى حقيقة الدور الذى يقوم به ؟ وما علاقته بالبيئة الاجتماعية أو الطبيعية ؟ هل نجح المجتمع الحديث فى بناء هذا الفرد واعداده الاعداد الذى يتيح له فرصة ممارسته لحياة قوية سعيدة ؟ واذا لم ينجح فما الذى يجب أن يفعله العلم المعاصر ؟

يجيب المؤلف عن هذه التساؤلات بتقرير الوقائع والملاحظات التالية :

١ ـ الأنسان نتيجة الوراثة والبيئة وعادات الحياة والتفكير .

٢ ـ انه عاجز عن تكييف نفسه مع البيئة التى خلقتها التكنولوجيا .

٣ ـ مصيره هو الانحلال فيما اذا استمرت هذه البيئة بظروفها القائمة .

٤ ـ نحن مسؤولون عن هذا المصير لا الميكانيكا ولا العلم .

٥ ـ الانســان المعــاصر نقض القوانين الطبيعية فاســتحق العقوبة الحتمية .

٦ ـ ان مبادىء الدين العلمى والآداب الصناعية سقطت تحت وطــأة غزو الحقيقة البيولوجية .

٧ ـ الحضارة آخذة فى الانهيار لأن علوم الجمــاد قادتنا الى ميادين ليست لنا . فاصبح الفرد بها ضيقا متخصصا فاجرا غبيا غير قادر على التحكم فى نفسه وفى مؤسساته .

٨ ـ هناك أمل فى بعث قوة الأجداد وجراتهم فى ارادة الانسان العصرى الخ . .

ويتساءل المؤلف بعد ذلك قائلا : ترى هل ما يزال هذا الانسان قادرا على تحقيق مثل هذا البعث ؟ ويجيب عن هذا السؤال فى فصل اخير وطويل بعنوان « اعادة صياغة الانسان » خلاصته المطالب التالية التى يعتبرها المؤلف ضرورية التحقيق . انها :

١ ـ ضرورة تغيير مظهرنــا العقلى بحيث نتخلص من تفوق الكم على النوع والمادة على الروح .

٢ ـ اعداد نوع من العلماء قادر على استيعاب احدث النتائج التى تم الحصول عليها فى كل العلوم الانسانية .

٣ ـ انشــاء معاهد جديدة قادرة على تحــرير الانســان من مذاهب الحضارة الصناعية والمبادىء التى يرتكز عليها كيان المجتمع العصرى .

٤ ـ يجب تكوين ثقافة بغير راحة وجمال بغير ترف وآلات بغير مصانع

مستعبدة للانسان وعلم بغير عبادة للمادة .. وهذه كلها تعيد الى الانسان ذكاءه واحساسه الأدبي وحيويته .

ويحاول المؤلف من بعد أن يكشف عن مواطن الضعف في مختلف فئات المجتمع وينتهي الى تقرير الصورة التي يتخيلها لانسان المستقبل القادر على تحمل المتاعب والارتفاع الى مستوى المسؤولية ومواجهة الهزيمة والنصر يقول في ص ٣٤٤ « فالعدو فوق أرض خشنة ، وتسلق الجبال ، والمصارعة ، والسباحة والعمل في الغابات والحقول ، والتعرض لتقلبات الطقس ، والمسؤولية الأدبية المبكرة ، وقسوة الحياة بصفة عامة تؤدي الى تناسق العضلات والعظام والاعضاء والشعور » .

وبعد أن يقرر سلسلة من الوقائع والملاحظات يعلن في الفقرة الأخيرة من الصفحة الأخيرة ما يلي :

« لأول مرة في تاريخ الانسانية ، تستطيع حضارة متداعية أن تميز اسباب انحلالها ولأول مرة تجد مثل هذه الحضارة قوة العلم الهائلة تحت تصرفها .. ترى هل ستستخدم هذه المعرفة وتلك القوة ؟ انها أملنا الوحيد في الفرار من المصير المشترك لجميع حضارات الماضي العظمى .. أن مصيرنا بين ايدينا .. فيجب أن نسير قدما في الطريق الجديد » .

هل نجح المؤلف في التشخيص ووصف الدواء ؟

الواقع أن الحقائق التي سجلها المؤلف في كتابه « الانسان ذلك المجهول » هي من الأصالة والقوة بحيث أنها تفرض علينا اعادة النظر فيها وتدبر ما فيها من الوضوح والواقعية . ولكن هذا كله لا يمنعنا من أن نقرر بعض الملاحظات الخاصة بمنهجه في عرض الموضوع ومناقشته .

١ ــ اعلن المؤلف أن المنهج العلمي المتبع حتى اليوم قد فشل في فهم الانسان وبالتالي في انقاذه .

٢ ــ الاقتراحات التي يقدمها لتحرير الانسان من المخاطر نابعة من المنهج العلمي نفسه .

٣ ــ انه بالرغم من اهتمامه بالجوانب الأخلاقية والأدبية واعتباره اياها ذات أهمية اساسية يجهل المصدر الأساسي للوعي الاخلاقي والادبي الذي لم يعترف به العلم الغربي وهو الدين .

٤ ــ اهمال الكسيس كاريل للجانب الديني نابع من فشل الكنيسة الغربية في مواجهة اخلاقيات الحضارة الجديدة واستيعاب مشكلاتها الانسانية .

٥ ــ اننا بالرغم من موافقتنا على جوانب التشخيص في كتابه واستفادتنا البالغة من الوقائع العلمية التي اوردها ما نزال نؤمن بأن الحس الاخلاقي الذي يحقق التوازن في الحياة الانسانية مع النمو العلمي المادي في حاجة الى الاسلام الذي هو وحده من دون كل الاديان قد اعتبر حركة الحياة في ضوء قوانينها الطبيعية الميدان الأساسي لمسيرة الوعي الديني . وقد أعلن عن جوهره هذا حين رفض الكهانة وجعل من تشريعاته وآدابه واخلاقياته توكيدا لقوانين الطبيعية والحياة .

قصة اسلامية



النذر والمسجد

للأستاذ : عبد اللطيف فايد

جلس امير المؤمنين ((عمر بن الخطاب)) يفكر بعد ان فتح الله على المسلمين بلادا كثيرة ، ودخل اهلها فى دين الله افواجا .. فمن قبل ، وعلى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، دانت جزيرة العرب كلها للدين الحق .. وايام خلافة ابى بكر ، دكت جيوش المسلمين حصون الفرس والروم فى العراق وفى الشام ، وانضمت جموع جديدة تحت راية الايمان ، كلها تعلن اعتناقها لدين التوحيد .. والآن ، وخلال الأعوام الزاهرة التى انقضت من خلافة عمر ، تم القضاء على سلطان الاكاسرة ودخل الفرس فى الاسلام افواجا .. وها هو ذا عمر يفكر في اجابة ((عمرو بن العاص)) على رايه فى فتح مصر ، وما هى الا فترة قد تطول قليلا او تقصر حتى تحرر جيوش المسلمين مصر من ظلم الروم وعسفهم وجبروتهم ، وسيجد أهلها من سماحة دين الاسلام ما يدفعهم الى الدخول فيه مؤمنين به معتنقين له ..

مرت هذه الخواطر بفكر عمر بعد ان فرغ من صلاة الجمعة بالمسلمين ذات يوم من ايام العام السابع عشر للهجرة ، وقد ازدحم مسجد الرسول بالمؤمنين حتى ضاق بهم على سعته .. وتساءل : كيف يتسع هذا المسجد للوفود الجديدة التى آمنت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا ، ولمن سيشرح الله صدورهم بعد ذلك ، وبخاصة فى موسم الحج ، والمسجد ليس مكانا للصلاة فحسب ، ولكنه منتدى المسلمين يتحلقون فيه فيقراون القرآن ويتدارسون آياته ويفقهون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مكان المشورة فى الرأى بين المسلمين ومقر الحكومة !!

وسرعان ما وجد امير المؤمنين المخرج .. لقد زاد النبى فى المسجد ايام حياته ، فقد مكث هذا المسجد على حاله منذ اقام جدرانه رسول الله

والمسلمون لأول مرة ست سنوات كاملة .. ولما فتح الله على المسلمين « خيبر » فى السنة السابعة من الهجرة ، واصبحت مدينة الرسول كلها خالصة للمسلمين ، ووفد عليها كثير ممن هداهم الله للاسلام واعتنقوه دينا ، يتخذونها سكنا ومقاما وظهرت الحاجة الى توسعة المسجد حتى يجد فيه هذا العدد الكثير من المسلمين مكانا حينما يؤدون فرائضهم او يسمعون من النبى او يتشاورون فى امر من امور دينهم ودنياهم ، فوسع النبى لهم مسجده بمقدار نصف مساحته الاولى او اقل قليــلا .. وعمر يذكر عنه انه قال بعد ان دانت له جزيرة العرب كلها : « ينبغى ان نزيد فى المسجد » .. وقطع هذا القول حين ذكره عمر ، ما كان قد راوده من تردد قبل ذلك : هل يترك مسجد الرسول كما تركه الرسول ؟ ام يزيد فيه ليتسع للجموع التى تفد الى ارض النبى وتقبل على هذه البقعة الطاهرة من الديار ، تحج البيت العتيق ، وتؤدى المنــاسك ، وتزور المسجد النبــوى وتصلى فى الروضة الشريفة .



لكن كيف له ان يوسع رقعة المسجد ويخرج بجدرانه الى ما وراءها ، ودور جماعة من المسلمين تتحلق المسجد من عدة جوانب . الا ان هذه الدور لم تكن عائقا امام فكر عمر ورايه وعزمه ، فجمع اصحابها واعلن فيهم قراره ، وانه ليس هناك بد من ازالة دورهم ليتسع مسجد الرسول للمسلمين .. ولكل منهم الخيار بين ثلاث : اما ان يبيعه داره فيرسل اليه من يقدر قيمتها ويعطيه الثمن من بيت مال المسلمين ، واما ان يقدمها هدية فله الشكر على ما اهدى ، واما ان يتصدق بها على مسجد رسول الله ، ومثل هذه الصدقة عند الله جزاؤها ..

وارتفعت الاصوات بالموافقة .. هذا فى عسر من امره ويحتاج الى المال يبنى به دارا اخرى ياوى اليها ويظل تحت سقفها عياله ، وهذا فى بسطة من الرزق ، وسيجد عند الله ثواب ما يبذل من دار لمسجد النبى .

صوت واحد ارتفع يرفض ما عرض عمر من خيار .. لم يكن صوت شخص بعيد القرابة من النبى ، او مسلما تأخذه الشبهة فى دينه او فى بلائه عن هذا الدين بالنفس والمــال ، وانما كان قريبــا من النبى قرابة تجعله اول من يقدمون دورهم لمسجد الرسول عن نفس طيبة ، وقلب مطمئن وحب لأن تتسع رقعة المسجد كثيرا وكثيــرا على حساب دورهم ومــا يملكون .. انه « العباس بن عبد المطلب » عم النبى .. ان داره تقع على يمين المسجد ، ولا بد منها لتضم الجدران الجديدة الرقعة الفسيحة ، التى رسمها عمر فى ذهنه لواحد من المساجد الثلاثة التــى لا تشد الرحال الا اليها ..

وعلى عادة عمر فيما يصدر من قرارات واجه هذا الرفض فورا بما يستحق . قال للعباس : « اذا اهدمها » .. وظن عمر انه بهذا القرار

واصل الى بغيته ، فالمسجد للمسلمين جميعا ، ليس حكرا على عمر ، ولا على من سيلى شئون المسلمين بعده ، ولا على واحد من هذه الامة التى وصفها الله بانها خير أمة اخرجت للناس .. وهو حينما يقضى بهدم دار « العباس بن عبد المطلب » ، لن يجد أحدا يطعن فى قضائه ، أو ينكر عليه ما يفعل .. لكن « العبـــاس بن عبد المطلب » واجـــه قرار عمر ، واصراره على تنفيذه ، باصرار على الاعتراض يصل الى حد الرفض ، قائلا له : انها دارى ، اشتريتها من مالى ، ولا حق لك فى اخراج أهلى منها ، وهدمها على كره منى ، ولو كان ذلك لتوسعة مسجد الرسول ..

* * *

واخذ العجب من منطق العباس على عمر كل جوانب نفسه .. كيف يحدث هذا من عم النبى ! .. وكيف يضن بداره على المسلمين ، يوسع بها عليهم مسجدهم ! ان عمر والمســـلمين يذكرون له مواقفـــه الطيبة من النبى واتباعه وهو لا يزال على دين آبائه وأجداده :

يذكرون له حمايته لابن اخيه من ايذاء قريش له ولصحبه ..

ويذكرون له انه شهد مع النبى بيعة العقبة الكبـــرى ، حين اقبل الحجيج من يثرب فى عام البيعة ، وفيهم من المسلمين ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ، ودبر النبى امر اللقاء بهم عند العقبة ، ليبـــايعوه على التاييد والنصرة ان هو قدم اليهم مهاجرا ، فذهب اليهم مع عمه هذا « العباس ابن عبد المطلب » ، وقبل ان يتكلم النبى أو يتكلم احد من اهل يثرب ، تكلم هو .. فقال : « يا معشر الخزرج ، ان محمدا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل راينا فيه ، وهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده ، وقد ابى الا الانحياز اليكم ، فان كنتم ترون انكم وافون له فيما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه ، فانتم وما تحملتم من ذلك ، وان كنتم مسلميه وخاذليه بعد خروجه اليكم فمن الآن فدعوه » ..

ويذكرون له بعد ان منيت قريش بالهزيمة فى غزوة بدر واعتزامها الانتقام من المسلمين فيما سمى بعد ذلك بغزوة احد ــ انه بعث فى سر الى النبى بكتاب مع رجل من قبله يطلب اليه فيه ان ياخذ حذره ، فقد تهيات له قريش تطلب الثار ، وخرجت اليه فى ثلاثة الوية ، كل لواء من ألف رجل ، وعلى راسهم سادتهـــا ونقباؤها يستحـــثون مائتى فارس ، ويستعينون فى القتال والرمى بثلاثة آلاف بعير ، ومعهم من العدة والسلاح كثير وكثير ، وقد صحبوا نساءهم يدفعنهم الى القتال ، ويهددنهم بالعار ان فروا مهزومين ..

ويذكرون له انه كان صاحب المشورة على النبى فى زواجه من ميمونة شقيقة زوجه « أم الفضل » ، بعد ان شرح الله صدرها للاسلام حينما شاهدت عظمة المسلمين فى عمرة القضاء .. لم ينكر عليها اسلامها ، وانما اغتبط لها ، ودفعها الى هذا الشرف العظيم الذى اصبحت به من

امهات المؤمنين ، وهذه من خصوصيات حياة النبى لا يشير بها الا صاحب مكانة من قلب النبى ..

ويذكرون له ان النبى قبل جواره لابى سفيان ليلة فتح مكة وكانت سيوف المسلمين توشك أن تضرب عنقه ، بل ان النبى زاد لأبى سفيان بعد اسلامه وبناء على رأى العباس ، فوضع على صدره شارة الفخر حينما قال : « من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ، ومن اغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » ..

يذكرون له ذلك كله . وغير ذلـك كله ، وهو لم يدخل بعد فى دين الاسلام ، ويذكرون له الاخيرة وهو فى ساعات اسلامه الاولى ..

ويذكرون له بعد اسلامه ان النبى ولاه من مناصب البيت الحرام سقاية الحجيج من زمزم ..

ويذكرون له صيحته المدوية فى جيش الاسلام يوم حنين حين تفرقت جموعه فى اول المعركة وكادت الهزيمة أن تلحق بهم بعد انصرافهم عن النبى .. لقد صاح العباس يومها فى المســلمين : « يا معشر الأنصار الذين آووا ونصروا ! .. يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة ! .. ان محمدا حى فهلموا ! » وكرر هذه الصيحة حتى سمعتها جنبات الوادى ، واستعاد المسلمون فى لحظات ذكريات امجـادهم وشرفهم ، فاجتمعوا بعد تفرق ، وكانت هذه الصيحة هى صيحة النصر ، وكروا على العدو ، فاعزهم الله بنصره بعد ان كان الخذلان سيلحق بهم عقب الجولة الاولى ..

ويذكرون له مكان الشرف والصدارة بين الصحابة المستشارين فى عهد الخليفة الاول « ابى بكر الصديق » وفى عهد الخليفة الثانى « عمر بن الخطاب » الذى يرفض الآن خياره فى اعطائه داره لتدخل ارضها فى ساحة مسجد الرسول بعد توسيعه ..

* * *

ماذا فى نفس « العباس بن عبد المطلب » من وراء هذا الرفض .. ان المسلمين لا يزالون يذكرون مع ما يذكرون من المواقف الطيبة للعباس ابن عبد المطلب ، ان النبى اعلن حمايته للعباس يوم بدر ، فاصدر امرا بألا يتعرض له واحد من اصحابه وان لقيه احدهم فلا يقتله .. وهم يذكرون كذلك ان النبى صعد على منبره ذات يوم حين علم ان بين بعض الناس وبين العباس شيئا ، وهم يريدون ايذاءه ، فقال يا ايها الناس : اى اهل الارض اكرم على الله ؟ .. قالوا : انت .. قال : فان العباس منى وانا منه ، لا تؤذوا العباس فتؤذونى ، ومن سب العبــاس فقد سبنى » .. ان هذه القرابة للعباس من النبى ، وهذه الحمـاية من النبــى له حتى لا يتعرض له احد بفعل يؤذيه او قول يسىء اليه من شانهما ان يدفعا العباس الى أن يكون من السابقين الى وضع دورهم بين يدى عمر امير

المؤمنين ، ليوسع بها مسجد الرسول ، حتى يتسع للمسلمين بعد ان فتح الله عليهم بلادا كثيرة .. ولكن العباس اتخذ موقف الرفض !!

★ ★ ★

عمر لا يرضى بان يكون هذا الموقف من العباس خاتمة لفكرته فى توسيع مسجد الرسول ، فاختصم العباس وابى ان يتـركه حتى يجعل بينهما واحدا من اصحاب رسول الله يحكم بينهما ، فاختار العباس صحابيا جليلا هو « ابى بن كعب » ليقول رايه فى القضية .. وما كان عمر ليرفض

اختيار « ابى بن كعب » حكما ، وما كان ليرفض له قضاء ، فابى بن كعب هو الملقب بسيد المسلمين ، وهو واحد من اصحاب بيعة العقبة الكبرى وهو كاتب وحى النبى ، وهو الذى امر الله رسوله ان يقرا عليه القرآن ، وهو الذى وصفه النبى بانه اقرا امته للقرآن ، وهو الذى شهد مع النبى بدرا واحدا والخندق والمشاهد كلها ، وهو صاحب اكبر حلقة فى مسجد الرسول لتعليم القرآن وتفقيه المسلمين فى دينهم .. لقد رحب عمر بتحكيم هذا الصحابى الجليل بينه وبين عم النبى ، واثقا من ان الحكم سيكون فى جانب رايه بهدم دار العباس لادخال ارضها فى المسجد ..

غير بعيد تقع دار « ابى بن كعب » .. وما هى الا لحظات حتى كان عمر والعباس يطرقان باب الدار .. ويلقاهما سـيد المسلميـن بالبشر والترحاب ، ويقص عليه عمر قصة موقف العباس ، فيقول ابى : ان شئتما حدثتكما بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم .. واخذ يقول : « ان الله اوحى الى داود ان ابن لى بيتا اذكر فيه . فخط داود خطة بيت المقدس ، فاذا تربيعه ببيت رجل من بنى اسرائيل ، فساله داود ان يبيعه اياه فابى . فحدثت داود نفسه ان ياخذه فاوحى الله اليه ان يا داود امرتك ان تبنى لى بيتا اذكر فيه فاردت ان تدخل فى بيتى الغصب وليس من شانى الغصب . ان عقوبتك الا تبنيه . قال : يا رب فمن ولدى؟ ، قال : فمن ولدك ، وبناه سليمان بن داود » فاخذت الدهشة بكل قسمات وجه عمر بينما ارتسمت على وجه العباس ابتسامة ساخرة .. لقد اراد خليفة المسلمين ان يرغم العباس على امر ليس من حقه ان يفعله دون ان يدرى ، فابى عليه العباس ، ليس كعم للنبى ، وانما كواحد من عامة المسلمين ، جادله فيما يريد ، ومن حقه ان يجادل ، وان يرفع صوته بكلمة الرفض ما دام على حق ، حتى ولو كانت تتعلق بادخال دار فى مسجد الرسول .. وقال « ابى بن كعب » كلمة الحق فى القضية ، ومن واجبه ان يقول كلمة الحق لا يخشى فيها امير المؤمنين حتى ولو كان هذا الامير « عمر بن الخطاب » نفسه ، فقد كان المسلمون وقتئـذ يؤمنون بالحق وحده ، يلقون كلمته فى وجه من يحيد عنه او يتحيف فيه ، ولا يخشون سطوة خليفة او وال عليهم ، فالخلفاء والولاة انفسهم كانوا يعترفون بالحق لأصحابه حتى ولو خالف هوى فى نفوسهم او رايا سبق لهم ان اعلنوه بين عامة المسلمين او خاصتهم ، مؤمنين بان الرجوع الى الحق فضيلة ، وانه

اساس لاستمرار عزة الامة ، وقد اعلن هذا المبدا عمر نفسه ذات يوم حينما قال باعلى صوته من فوق منبر الرسول « اصابت المراة واخطا عمر » ..

وبقى العباس وابى بن كعب فى جانب ، بينمـا امير المؤمنين فى الجانب الآخر لا يستطيع ان يفعل شيئا ، لكنه اخذ بمجامع ثياب « ابى بن كعب » ، وابى رجل ضعيف البنية ، هزيل الجسم ، لا يقوى على مقاومة جذبة من يد عمر .. وقال له : « يا صـاحب رسول اللـه ، ويا سيد المسلمين ، جئتك بشىء فجئتنى بما هو اشد منه » . وجعل يقوده حتى ادخله المسجد ، فأوقفه على حلقة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشهد عليه الناس .. ونادى عمر فى اصحاب النبى ان يذكر منهم

من سمع حديث بيت المقدس عن رسول الله، فاجابه عدد منهم بانهم سمعوه عن رسول الله نفسه .. فانفكت على الفور قبضة عمر عن مجامع ثياب « ابى بن كعب » ، فالتفت اليه وقال : يا عمر ! اتتهمنى على حديث رسول الله ! .. قال عمر : والله يا ابا المنذر ما اتهمتك ، ولكنى اردت ان يكون الحديث عن رسول الله ظاهرا .. ثم قال للعباس : اذهب فلا اعرض لك فى دارك ..

« العباس بن عبد المطلب » واقف الى جوارهما كالعملاق ، ليس بالقامة الطويلة التى اشتهر بها فى أوصافه الجسدية ، ولا بعرض منكبيه اللذين يتميز بهما فى زحام لا يبين فيه وجهه ، ولا بقرابته من النبى ، وانما بالحق الذى رفض به راى أمير المؤمنين ..

* * *

مشكلة توسعه مسجد الرسول لا تزال قائمة .. وما كان العباس ليقف هذا الموقف ويضن بداره لتبقى المشكلة قائمة ، فهو يعلم كما يعلم جميع المسلمين أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده ، وانه وداره الى زوال ، وان مكانا فى مسجد الرسول بعد توسعته لواحد من عامة المسلمين ، خير من داره بما شملت من أرض وسقف وجدران ، وبما ضمت من أهل ومال .. وحنا على عمر مربتا على كتفه ، وقال له : فى وقت الخصومة لا تستطيع بسلطانك ان ترغمنى ما دام الحق فى يدى ، ولقد اردت برفضى تاكيد ذلك بين المسلمين فى أمر من أهم أمورهـم وهو توسعـة مسجد رسولهم .. أما الآن فدارى صدقـة للمسلمين ، اوسـع بها عليهم فى مسجدهم ..

وانطلق المسلمون يهدمون الدور التى تحلقت المسـجد وعمر بينهم يعفره تراب انقاضها ، وكان اول معول يضرب فى جدار دار عم النبى يحمله بنفسه « العباس بن عبد المطلب » ..

* * *

رُكْن الموسُوعَة الفقهيَّة

تحَرره : إدارة الموْسوعَة

الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامى

تناولنا فى العدد الماضى فكرة تدعيم وحدة الأمة الاسلامية كوجه من وجوه الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامى .

ونبحث اليوم وجها آخر من وجوه الحاجة الى الموسوعة ، وهو تيسير معرفة الفقه المنتشر فى أمهات الكتب القديمة .



يمكننا أن نعدد الصعوبات الرئيسية التى يجدها الباحث فى أمهات كتب الفقه فى النواحى التالية :

أولا — لم يكن الكتاب الأقدمون يعرفون طريقة الفهارس التحليلية التى تعين القارىء على سرعة الوصول الى ما يبتغيه فى لحظات قليلة ، وقد خلت أمهات الكتب الفقهية من هذه الفهارس .

— كذلك تحرص ادارة الموسوعة على فهرسة أمهات هذه المراجع فى كل مذهب تسهيلا للباحثين ، وقد أتمت عمل معجم لكتاب « المغنى لابن قدامة » فى الفقه الحنبلى والمقارن ، كما سبق لموسوعة كلية الشريعة فى جامعة دمشق أن أنجزت معجم كتاب « المحلى لابن حزم » فى الفقه الظاهرى والمقارن . وفهرس «حاشية ابن عابدين » فى الفقه الحنفى ، والفرق بين التعجيم والفهرسة أن الفهرست يقتصر على بيان موضع الحكم المبحوث عنه فى كتابه الأصلى، بينما يزيد المعجم بالاضافة الى ذلك ببيان موجز الحكم لمن أراد الاكتفاء بالمعجم عن الرجوع الى الكتاب الأصلى .

فالفهرسة ، وهى الخدمة المشتركة فى النظامين ، ضرورة أساسية لكتب الفقه الكبيرة التى تبلغ عدة مجلدات ، خاصة وان كثيرا من ابحاثها تقع فى غير المظان التى تخطر على بال الباحثين ، مما يعجزون معه عن معرفة حكم المسألة التى يبحثون عنها .

ثانيا — كثير من كتب الفقه الكبيرة هى شروح وحواش على متون ومختصرات ، وكان أصحاب الحواشى يكتفون ببيان أول الجملة التى يريدون

الكلام عنها من الشرح ثم ينصرفون الى شرحه أو التعليق عليه ، ولم يهتم الناشرون لهـذه الشروح والحواشى بربـط تعليقـات الحـواشى بمـا تتصـل بـه مـن المتـن أو الشرح بالاستعانة بالأرقام التى تربط أول كل تعليقة بما يتصل بها من النص الأصلى ، وبدون هـذا يجد الباحث نفسه أمام نصوص متفرقـة لا يجمعها سياق واحد ، ويصعب على معظمهم العثور على الحكم الـذى يبحثون عنه ، هذا على فرض توافر العزيمة والمثابرة على البحث .

ونورد على سبيل المثال نصا مـن حاشية الدسوقى على الشرح الكبير للدردير ، وهو أحد المراجع الأساسية للفقه المالكى : (والمثال من باب الدماء ص ٢٥٢ جزء ٤) بصدد عدم القصاص اذا لم يتماثل محل الجناية ومحـل الاقتصاص ، فينتقل الـى العوض المالى . قال : (كذى شـلاء عدمت النفع) فجنى عليها فيؤخذ عقلهـا (بصحيحة) أى من ذى صحيحة جنى عليها (وبالعكس) أى جنى صاحب الشلاء عادمة النفع على الصحيحـة فلا قصاص ويتعين العقل ، ويجوز أن يكون المعنى كذى شلاء عدمت النفع جنى على صحيحة فلا يقتص منهـا بالصحيحة ، وظاهره ولو رضى .

ــ أضاف هنا الدسوقى : (قوله ويجوز أن يكون الخ) حاصل هـذا الاحتمال جعل الباء فى قوله بصحيحة بمعنى على . وحاصل الاول جعلها بمعنى من ، وفى الكلام حذف مضاف (قوله وظاهره ولو رضى الخ) أى ظاهره أنه لا يقتص من الشـلاء بالصحيحة ولو رضى الخ .. والكتاب كله على هذه الوتيرة ..

ثالثا ــ غالبية الكتب القديمة طابع أسلوبها التركيز الشديد (وهذا واضح من المثال السابق) ، وهى بهـذه الصورة لا يفهمها الا من اعتاد قراءة هذه الكتب ، ولا يخلو الامر مع ذلك بالنسبة للعلمـاء الدارسين مـن الاختلاف فى فهم النصوص المركزة .

رابعا ــ بعض الكتب القديمـة تعتمد على اصطلاحات ورموز يتعذر معها فهم المقصود ولا بد من الرجوع الى قائمة المصطلحات والرموز ــ أن وجدت ــ وان لم توجد بقى الكتاب لغزا مستعصى الفهم على غير العلماء . والأمثلة على ذلـك متوافرة عند مراجعة أى نص فقهى ، فـلا يكاد القارىء يجاوز جملة أو اثنتين حتى يتعثر بكلمات مختزلة أشير بهـا الى أسماء المراجع أو المؤلفين مثـل (در ، بحر ، قنية ، هندية) وأحيانا بحروف (ط ، سم ، ز ، ح) ويريدون بالكلمات المفردة تلـك أسماء مراجع من العسير على الأكثرين أن يدركوا ذواتها ، أما الحروف فلها دلالات ، ربما بينها المؤلفون فى أول كتبهم وربما اغفلوا ذلك . وأحيانا يرمزون بحروف مثل (ط ، سم ، ز ، ح) والمراد بتلك الحروف على التتالى (الطحاوى ، أبو يوسف ومحمد ، زفر ، الحلبى المدارى وللحاء اصطلاح آخر عند المالكية فهى للحطاب ، ولهم (بن) للبنانى ، كما للشافعية (ع ش) على الشبراملسى (شب) للشبرخيتى وهكذا .

ونضرب لذلك مثالا آخر مفصلا من كتاب البحر الزخار من كتب الفقـه الزيدى والمقارن (الجزء ٥ ص ٥٦ فى الوكالة) : « مسألة » (ى ٥ قين) ولا تصح فيما عظمت جهالته ، كوكلتك فى كل قليل وكثير ، وصامت وناطق ، ومنقول وغيره لما مر (لى) تصح .

قلت : وهو قريب (لهب) كما مر وتتناول الحفظ الا حيث عين العمل ، كوكلتك ببيع كل كثير وقليل من مالى ونحوه . . .

ولا بد من الرجوع الى قائمة الرموز فى أول الجزء الاول لتعرف ان **ى ه** تعنى « حكى يحيى القول عن صاحب الرمز (العترة) » وان **قين** تعنى « للفريقين الحنفية والشافعية » وان **لى** تعنى « عبد الرحمن بن أبى ليلى » وان **لهب** تعنى « نسبة أحدهم للمذهب » .. وهكذا .



اما المصطلحات فأقرب أمثلتها من كتب الحنفية : الامامان أو الشيخان وهما أبو حنيفة وأبو يوسف والصاحبان وهما أبو يوسف ومحمد والطرفان وهما أبو حنيفة ومحمد ، والثانى : أبو يوسف ، والأئمة الاربعة المعروفون ، والأئمة الثلاثة أبو حنيفة وابو يوسف ومحمد . والامام الاعظم أبو حنيفة ، وعند الشافعية يراد بالامام امام الحرمين ابن الجوينى . اما فى كتب التفسير والاصول فالامام هو الرازى ، وغير ذلك كثير . . .

خامسا ــ وهناك نوع آخر من المصطلحات يؤدى عدم المام القارىء به ، وبالاختلاف بين المذاهب فى مضمونه الى الخطأ فى فهم الحكم نفسه ، مثال ذلك اصطلاح الفساد والبطلان عند الحنفية اذ يميزون بين الفاسد والباطل فالأول يقابله الصحة والثانى يقابله عدم الانعقاد ــ وغير الحنفية يجعل الفاسد كالباطل ، وكالوجوب عند الحنفية فهو بين الفرض والسنة أما غيرهم فهو والفرض شىء واحد . وكذلك الكراهة فهى حيث تطلق عند الحنفية تحمل على المكروه تحريما القريب للحرام . ومثل عبارة (لا بأس به) عندهم فهى لخلاف الأولى غالبا ، وليس لغيرهم هذا التمييز . وبالمقابل نجد للمذاهب الاخرى مصطلحات ينفرد بها كل مذهب .

سادسا ــ كثير من أمهات الكتب لم يصنف على منهج الكتب وانما صدر من مؤلفيها على صورة فتاوى أفتوا بها فى وقائع عرضت عليهم ، ثم جمعت هذه الفتاوى فى عصرهم أو بعد وفاتهم . ومن أوضح الامثلة على ذلك « الفتاوى المهدية » حيث يجرى الكتاب فى سبعة مجلدات كبار على نسق واحد : سئل فى كذا فأجاب بكذا . . .

سابعا ــ كما ان غالبية الكتب الفقهية القديمة ــ عدا كتب الفتاوى المشار اليها ــ تعرض أحكام الفقه فى صورة فروع ومسائل تطبيقية ، لا فى صورة أبحاث ومبادىء تأتى المسائل تطبيقا لها أو مثالا عليها .

ولا يخرج عن هذا الاتجاه سوى كتب قليلة لعل أروعها كتاب « بدائع الصنائع » للكاسانى حيث جرى على سنن التأليف الحديثة من تجريد الأحكام عن الفروع والامثلة ، وعرضها فى صورة تحليلية توضح فيها الأركان والشرائط والعلل والأدلة . . .

ثامنا ــ جمع معظم الناشرين لهذه الكتب القديمة من عدة كتب فى آن واحد بوضع أحدها فى داخل اطار ، والكتاب أو الكتب الأخرى فى الحواشى خارج هذا الاطار . بل ان بعضهم وصل به الأمر الى جمع

خمسة كتب فى الصفحة الواحدة ثلاثة داخل الاطار يفصل بينها خطان واثنان فى الحاشية خارج الاطار يفصل بينهما خط آخر ، كما حدث فى طبعة الحلبى لشرح فتح القدير لابن الهمام ، مع تكملته نتائج الأفكار لقاضى زاده على الهداية للمرغينانى مع الكفاية للكرلانى وذلك فى صلب الصفحة مفصولا بينهما بجدولين ، وبهامشها شرح العناية على الهداية للبابرتى ، وحاشية سعدى حلبى مفصولا بينهما كذلك بجدول .

تاسعا — معظم الفقهاء الأقدمين لا يعزون الآراء التى يوردونها الى الكتب السابقة عليهم التى نقلوا عنها هذه الآراء ، فيجد الناظر فيها مادة فقهية جمة لا يدرى من أين اخذت مسائلها لكى يتاح له استئناف النظر فيها من خلال مراجعها الأصلية . وهذا الملحظ هو الطابع الغالب فى الكتب القديمة ، وقد شذ عنه صنيع بعض المتأخرين فى حدود لا تخرج عن الندرة .

عاشرا — لا يعتنى المؤلفون فى الفقه — من أصحاب المذاهب — بذكر الأدلة — فيما عدا صدور الابواب الفقهية — ثم انهم اذا أوردوا الدليل لم يحاولوا أن يمحصوا أمره ، وخاصة الأدلة من الحديث ، فيسردون عديدا من الاحاديث بعضها لم يستجمع شروط الصحة او الثبوت ، بل يقع عندهم أحيانا بعض الاخبار الموضوعة أو التى لا أصل لها ، (ومن أجل هذا نشط المحدثون فى تأليف كتب التخاريج لتمحيص الأخبار الواردة فى المراجع الفقهية ، كنصب الراية لأحاديث الهداية ، والتلخيص الحبير وغيرهما) .

حادى عشر — بالاضافة الى المصطلحات والاختزالات الكلمية لدى فقهاء كل مذهب للدلالة على المراجع او المؤلفين ، قد تكونت مصطلحات فى القيمة الاعتبارية لفئة من الكتب أو لون من المؤلفات ، بسبب أسلوبها الموغل فى الاختصار (كالمتون ، فهى لا يفتى بما فيها الا بعد مراجعة شروحها وحواشيها) أو تبعا لاعتماد مؤلفيها وطبقتهم فى الترتيب المذهبى لفقهاء المذهب (اجتهاد فى المذهب ، أو تخريج ، أو ترجيح ، أو اختيار الخ . . .) وهذه المصطلحات توجد متناثرة ومتداخلة بالمادة الفقهية غالبا وربما عنى بعض الفقهاء بافرادها فى كتب تحت اسم (مدخل الى مذهب كذا) أو (رسم المفتى) ونحو هذه العناوين .



هذه هى أهم الصعوبات التى يجدها الباحث فى كتب الفقه القديمة ، والتى تكون حائلا بينها وبين استفادة الباحثين منها .

لذلك تقوم الموسوعة الفقهية على أساس علاج هذا الموقف وتفادى هذه الصعوبات حتى يمكن للشخص العادى فضلا عن المتخصص ان يعرف الآراء الفقهية — فى المسائل المختلفة التى تعرض له — ببساطة ويسر ، ودون حاجة الى وسيط يقوم « بترجمة » هذه الكنوز القديمة الى أسلوب حديث .

اما كيف تقوم الموسوعة بهذه المهمة ، فمحل تفصيل ذلك عند الكلام على منهج الموسوعة وخطة الكتابة فيها فى مقالات قادمة باذن الله .

الفتاوى

الطبيب الشرعى

السؤال :

توفيت امرأة ، واشتبه فى وفاتها أهى بسبب جنائى أم بغيره ، ولا تعرف الحقيقة الا بوساطة كشف الطبيب عليها ، فهل يجوز الكشف عليها من طبيب اجنبى ؟
نرجو بيان حكم الشرع .

على خالد ـ القاهرة .

الجواب :

من القواعد المقررة فى الشريعة الاسلامية ان الضرورات تبيح المحظورات ومعرفة سبب الوفاة فى هذه الحالة شان ضرورى تهتم به الشريعة ، وبناء على ذلك يجوز للطبيب أن يرى المتوفاة ويكشف عليها فى هذه الحـالة لمعرفة سبب الوفاة .

فى الميراث

سؤال :

رجل توفى وترك اخا لأب واختين شقيقتين وبنتين وزوجة ، فما نصيب كل مع أن المرأة لها مؤخر صداق ؟

حسين جاسم ـ البصره .

الجواب :

اولا يخرج مؤخر الصداق من التركة ويعطى للزوجة ثم يقسم الباقي على النحو التالى الثلثان للبنتين ، والثمن للزوجـة ، والباقى للأختين الشقيقتين ، ولا شىء للأخ لأب .

التبرج

السؤال :

يجوز للمرأة أن تكشف وجههـا وكفيها ، فهل يبقى هذا الجواز اذا كان الوجه والكفان مصبوغان بالأصباغ المعروفة .

هند العزيزى ـ عمان

الجواب :

كشف الوجه واليدين مزينة بالأصباغ المعروفة نوع من التبرج الذى يمقته الشرع ، ويشدد فى النكير عليه ، والكشف المباح انما هو للوجه واليدين على طبيعتهما التى خلقها الله عليها خالية من الأصباغ والألوان .

تركة اليهودى

السؤال :

توفى يهودى فى بلد اسـلامى ، ولم يترك من يرثه ، وترك مالا كثيرا ، فهل يحل بناء مسجد فى هذه البلد من تركة هذا اليهودى ؟

اسماعيل بكداش ــ الجزائر .

الاجابة :

تركة هذا اليهودى تؤول الى الخزانة العامة للدولة ، ولا يجوز لاهل البلد التصرف فيها ولو ببناء مسجد .

فى الزكاة

السؤال :

عندى مائة جنيه أدخرها لعواقب الأيام ، فهل تلزمنى زكاتها كل عام ؟

سيد بكر ــ ج . ع . م

الاجابة

هذا المبلغ كما يبدو من السؤال فاضل عن حاجـات السائل الأصلية ، واذا كان كذلك وجب على مالكه أن يخرج زكاته عن كل سنة وهى ربع العشر .

الاكتحال فى الاحرام

السؤال :

هل يجوز لى فى حال الاحرام بالحج أو العمرة أن اكتحل ؟

سعيد جلول ــ طرابلس

الاجابة :

روى عن ابن عمر انه قال ــ يكتحل المحرم باى كحل شاء ما لم يكن فيه طيب ، وقالت عائشة لا مراة سالتها ــ اكتحلى بأى كحل شئت غير الاثمد ، اما انه ليس بحرام ولكنه زينة ونحن نكرهه .

وعلى ذلك يجوز للمحرم استعمال القطرات والمراهم لعـلاج العيون ، وليس عليه شىء فى ذلك ما دامت جميعها ليس طيبا ولا زينة والله أعلم .

بأقلام القراء

فى رحـــاب الحرم

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ حسين ابو هاشم يقول :

« والله انك لخير ارض الله ، وأحب أرض الله الى الله،ولولا انى اخرجت منك لمـــا خرجت » بهذا الحديث الذى أودعه الرسول صلى الله عليه وســـلم شوقه وحبه لهذا البلد الطيب التى اختصها الله بأول بيت وضع للناس ، وكرمها بأن جعلها مجالا لأداء فريضة الحج ، ذلك الركن الأساسى من أسس الاسلام الثابتة ، والذى اشترط الله لتحققه أداء مناســـكه فى هذا البلد الأمين مع أن سائر الفروض لا يشترط لها مكان معين ، وبذلك يظهر فضل هذا البلد ، اذ أنه تتم فيه كل أركان الاسلام بخلاف غيره من أرجاء الدنيا .. ولهذا الشرف العظيم والقدر الكبير اقسم الله عز وجل به فى موضعين من كتـــابه الكريم اذ يقول جل شأنه **« لا اقسم بهذا البلد » « وهذا البلد الأمين »** .

ولا يوجد فى غير مكة من هذا العالم موضع يشرع اســـتلامه وتقبيله ، وتغفر الذنوب عنده الا الحجر الأسود والركن اليمانى ، ولا يوجد بلد اشترط الله لدخوله الاحرام الا هذا البلد ، كما أن هذا البلد يضم المسجد الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا والذى قال عنه الرسول صلى الله عليه وســـلم « صلاة فى مسجدى هذا افضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام .. وصلاة فى المسجد الحرام افضل من صلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة » رواه ابن حبان فى صحيحه .

وفى كل مكان .. فان من هم بسيئة ولم يفعلها لم يحاسب عليها ، ولكن فى الحرم ــ لقداسته وعظمته ــ فان الله تعالى يعاقب من يهم بفعل ســـيئة فيه على مجرد الهم بقوله تعالى **« ومن يرد فيه بالحاد بظـــلم نذقه من عـــذاب اليم »** .

ولا ادل على فضل هذا البيت من اضافته اليه سبحانه فى قوله **« وطهر بيتـــى »** ومبالغة فى تعظيم هذا المكان جعلت له حدود فى أطرافه البعيدة لا يتجاوزها الا مسلم .. وهذه الحدود تحيط به من جميع جهاته فمن الشرق نجد الجعرانة التى تبعد عن مكة ١٢ كم ، ومن الشمال الشرقى وادى نخلة ويبعد مسافة ١٤ كم وتقع أجناء فى حدهـــا الجنوبى وينفصـــلها عن مكة ١٢ م ، أما شمالى مكة فحد الحرم التنعيم وبينه وبين مكة ٦ كم والحد الخامس الشميس وهى بمكان قريب من الحديبية التى تم عندها الصـــلح الذى عقد بين الرســـول صلى الله عليه وسلم وقريش وهو صلح الحديبية .

وبذلك كان المسجد افضل مكان فى الأرض على الاطلاق .

الأســتاذ والد

وكتب الاستاذ عبد الرحمن احمد شادى تحت هذا العنوان يقول :

ذكر الأبشــيهى المولود عــام ٧٩٠ والمتوفى ســنة ٨٥٠ هـ فى كتــابه « المستطرف من كل فن مســتظرف » أنه تتلمذ على شــيخة أبى بكر بن عمر الطرينى المالكى خمسة عشر عاما ، فلم يقطع بره يوما واحدا عنه فى هذه المدة حتى ظن انه أخص تلاميذه ، ثم اكتشف أنها عادته مع جميع تلامذته ، وقد عاش هذا المدرس نيفا وستين ســنة ، وتوفى ليلة الجمعة الحــادى عشر من ذى الحجة عام ٨٢٧ هـ ، فحضر غسله والصلاة عليه بجامع الخطبة بالمحلة ، ودفن بزاويته التى انشأها بسندفا مع والده عمر الطرينى (١) .

فليقارن القارىء المنصف بين عمل هذا الشيخ طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه ، وبين غيره من المدرسين والمعلمين الذين يغالون فى أجــور الدروس الخصوصية ، ويتخذونها مغنما ، والذين يرفعون اثمان الكتب الدراســية ، ويتخذونها متجرا ، ويؤدون أعمــالهم فى المدارس والمعاهد والجامعــات اداء شكليا يرفع اللوم والعتاب والمؤاخذة فقط أمام المدرس الاول والناظر والمفتش والعميد وان وجد المدرس ظهرا من هــؤلاء أو من غيرهم ترك عملــه ، واكتفى بالجلوس فى غرفة المدرسين والثرثرة مع الزملاء بعيدا عن الفصل ، واجتهد فى تحــويل التلاميذ اليه فى البيت ليزيد الأجر الذى يقبضــه من كل تلميذ عن الحصة التى يأخذها مع زملائه .

أما الصلة الروحية بين الأجيال التى تلقن العلم والتى تتلقاه فهى شىء فى حكم العدم ، والتلميذ أو الطالب يرى نفسه شيئا ضائعا وكما مهملا كقطرة الماء فى البحر ان التقط المعلومات التقاطا فبها ونعمت ، وان لم يستطع فشل وخاب وسلك طريقا آخر فى زحمة الدنيا .

أما الشيخ أبو بكر فلم يكتف بالتعليم المجانى طوال خمسة عشر عاما ، وانما كان ينفق على طلاب العلم ، فأى فرق ضخم بين أداء العمل كعبــادة ، وبين أدائه كأكل عيش وتجارة ، الفرق شاســع بينه وبين آلاف المدرســين والمعلمين الذين يحرصون على الثلاجة والغسالة والسيارة والمذياع والتلفاز والهاتف والمروحة أكثر من حرصهم على المعانى الكبيرة الخــالدة فى صــدور الأجيال الغضة التى ينقلون اليها العلم ومسطور المؤلفين الذين يقتبسون عنهم ، وما داموا سيحققون ربحــا ماديا مجزيا فلتذهب الأجيــال التى تتلقى العلم ولتذهب المعانى الى الجحيم ، ولو جعلوا فى مركبهم شيئــا لله وحشــدوا فيها اليتيم والفقير الذى أوتى الفطنة ، ولكن يده قصيرة لا تستطيع أن تسابق زملاءه فى دفع الأجر لأدوا زكاة العلم .

ولو كانت العلة هى القوت لهان الامر ولوسعهم العذر ، ولكن العلة هى النعيم الموقوت والمستوى العالى والغنى المفرط والتسابق مع الظل ، ولا بد من حمد الحسن وذم القبيح ..

جعل الله للشيخ أبى بكر بن عمر الطرينى المالكى لسان صدق فى الآخرين فأصبح من النماذج البشرية .

---

(١) جـ ١ ص ١٤٥ ط ١٣٥٤ هـ ــ ١٩٣٥ القاهرة .

« عبد المعطى بيومى »

التكرار .. فى القرآن الكريم

لماذا اشتمل القرآن الكريم على تشابه كثير من الآى المسوقة لمعنى واحد ، وعلى تكرار كثير من القصص فى كثير من السور ؟

فتحى عبد العظيم — ج . ع . م

ليس كل تكرار يؤدى الى الملل اذ قد يكون التكرار صورة بلاغية يحسن بها الكلام وتأخذ به المعانى زينتها ، بل قد يكون التكرار ضرورة يفرضها المقام حيث يتأكد به المعنى ولا يتأكد حينئذ بغيره . وفيما يتعلق بالتكرار الذى وقع فى القرآن الكريم .

أ) فى مجال القصة فقد كان التكرار فيها من أجمل المظاهر فى بلاغة التكرار وأرقاها على الاطلاق ، فالقصة الواحدة تكرر عرضها فى صور متنوعة بعضها موجز وبعضها شارح وبعضها يركز على جانب معين من جوانب العبرة ليترك بعضها هذا الجانب الى جانب غيره يلائم السياق ويضيف الى القصة معنى جديدا أو صورة جديدة مع ايراد لفظ بعينه أو مع تغيير طفيف ليعيد الى نفس السامع أو القارىء جو المناسبة السابق وملابساته ليظهر المعنى الجديد ظهورا بينا أو لتتأكد بعض التفاصيل الهامة مع ملاحظة أن القصة لا تتكرر كلها .. بجميع الفاظها ومعانيها .

فعلى سبيل المثال والتعليل لما نقول فان قصة آدم تعرض لأول مرة فى سورة البقرة فنرى تركيز هذا العرض على استخلاف الله لآدم وتعليمه الأسماء كلها ، ثم تعقب على عصيان ابليس لله وخروجه من الجنة وتوبته دون أن تعرض السورة للشبهة التى تعلل بها ابليس فى رفضه السجود أو تعرض للخطة التى عزم ابليس على تنفيذها فى المستقبل لتأتى بعد ذلك القصة فى سورة الاعراف لتسكت عن موضوع الاستخلاف والتعليم اللذين ذكرا فى سورة البقرة لتركز على معصية ابليس لربه .

وتذكر الشبهة التى تعلل بها « **أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين** » ثم تبين السورة زيادة على ما سبق ذكره فى سورة البقرة — الخطة التى أعلن الشيطان عن محاولة تنفيذها « **لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين** » كما بينت طرد الله ولعنته لابليس « **قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم اجمعين** » .

ولكن سورة الاعراف لم تبين بعد المادة التى خلق منها آدم غير اشارة جاءت عرضا لا قصدا وفى خلال شبهة ابليس لتأتى سورة الحجر لتبين هذه المادة وكيفية تكوينها فى مراحلها المتقدمة « **ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون** » ثم تضيف هذه السورة معنى جديدا لم يسبق اليه من قبل

وهو اعلان عجز الشيطان عن اغواء المخلصين من عباد الله « **ولأغوينهم اجمعين .. الا عبادك منهم المخلصين** » « **ان عبادى ليس لك عليهم سلطان** » ولكن مادة الخلق فى مراحلها الأولى لم تبين بعد حتى تأتى سورة « المؤمنون » لتبين المراحل الأولية للخلق حيث يقول الله « **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين** » .

اما سورة طه ــ وهى تسبق سورة « المؤمنون » فانها تركز على جانب آخر غير ما سبق فتذكر أن الله عهد الى آدم ولكن آدم نسى عهد الله « **ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما** » **وتلقى** السورة بعض الضوء على هذا العهد « **أن لك الا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمؤ فيها ولا تضحى** » .

وهكذا كل قصص القرآن بلا أستثناء تبدو للنظرة العجلى كانها مكررة بكل تفاصيلها ، ولكن الواقع أنها لا يتكرر فيها الا المشاهد التى تعيد الى الذهن الصورة العامة لتضيف كل سورة معنى جديدا لم يسبق اليه فى السور السابقة بما يتلاءم مع السياق والغرض الذى سيقت من أجله القصة .

فهو تكرار اذن من نوع خاص يبرز اعجاز القرآن وبلاغة فى عرض الصور بأشكال متنوعة لا يستطيعها الا الله وحده سبحانه .

.. أما التكرار فى بعض الآيات أو الالفاظ فهو تكرار أتى به فى كل الأحيان لتضيف وقعا خاصا وقد ذكر الألوسى أنه تكرار فى المعنى وان تكررت الألفاظ فى مثل قوله تعالى « **فبأى آلاء ربكما تكذبان** » وقوله تعالى « **ويل يومئذ للمشركين** » لا ختلاف المتعلق فى كل واحدة عن الأخرى .

ففى سورة الرحمن مثلا يركز الله عز وجل خلق الانسان وتعليمه القرآن والشمس والقمر والنجم الخ ثم تذكر اللازمة التى تتكرر بعد ذلك « **فبأى آلاء ربكما تكذبان** » أى فبأى نعم الخلق أو التعليم أو الشمس الخ تكذبان ثم يقول الله بعد ذلك « **خلق الانسان من صلصال كالفخار . وخلق الجان من مارج من نار . فبأى آلاء ربكما تكذبان** » أى فبأى النعم تكذبان خلق الانسان من صلصال أو خلق الجان من مايع من نار فالمتعلق فى الآيتين هنا مختلف وهكذا فى كل آيات السورة فلا تكرار اذن الا فى اللفظ .

ومن صور البديع تكرار اللفظ دون المعنى ــ كما يقول الامام الباقلانى ــ كقول الشاعر ــ .

هلا سألت جموع كندة يوم ولوا أين اينا .

فاذا كان الكلام على هذه الصورة من صور البديع ــ تكرار اللفظ دون المعنى مكررا للتأكيد والتقرير ــ كما يقول الامام الفخر الرازى ــ كان الكلام حينئذ بديعا ومؤكدا .

وقد جرى ذلك كثيرا فى كلام العرب ــ دون مستوى القرآن طبعا ــ ومن ذلك قصيدة طويلة للمهلهل بن ربيعة يرثى أخاه كليبا .

على أن ليس عدلا من كليب ... اذا ما ضيم جيران المجير
على أن ليس عدلا من كليب ... اذا خرجت مخبأة الخدور
على أن ليس عدلا من كليب ... اذا خيف المخوف من الثغور



قالت صحف العالم

امتنا بخير

نشرت صحيفة جوهر الاسلام التونسية كلمة تقول فيها ..

ما تزال هذه الأمة بخير تتحاماها الخطوب وتتحطم على صخورها النوائب ما تمسكت بكتاب الله وأحيت سنة رسوله ، تلتفت اليهما كلما احلولكت الأجواء ، وتلبدت الغيوم لتجد منهما المشاعل التى تنير الطريق ، وتمزق الغيهب ، وتحقق المغنم والسلامة ، فخليق بها أن توليهما من الاهتمام والعناية ما يناسب مقامهما الرفيع ، ويليق بأمة وعت رسالتها الانسانية ، وقدرت دورها الحضارى الذى اناطته الأقدار السماوية بعنقها .

ولقد مرت بالأمة الاسلامية حقب رأت فيها كثيرا من الهزات العنيفة واللطيفة ، مرت كلها دون أن تصيب منها العظم أو تهشم الرأس لأن بقية صالحة من ابنائها ما تزال ممسكة بحبل الله المتين وآخذة بحظها من الآيات والذكر الحكيم .

وانه لمن السلم به لدى ذوى الانصاف من اهل البحث العلمى الذين عنوا بتاريخ الشعوب ، أن النافذة الوحيدة التى تطل منها النوائب على المسلمين لم تكن غير نافذة الابتعاد عن الهدى القرآنى والارشاد المحمدى أو محاولة الاستغناء عنهما بما لا يسد الفراغ ولا يحقق المرغوب ، ولقد اعطت التجارب المتكررة عبر العصور أن امتنا الاسلامية كلما حاولت الخلاص مما حل بها أو حلت به من ضيق ومكروه لم يكن خلاصها أبدا الا عن طريق العودة الى القرآن ولغته وعلومه وأحكامه ، ففيه وفى السنة النبوية الطاهرة تجمعت جميع عناصر المنعة والخلود بما حققاه من مزج والتئام بين القوتين المتحكمتين فى مصائر الأكوان والانسان ، قوة المادة بجميع ما فى الكلمة من معنى ، وقوة الروح بما فيها من ملائكية وعفاف وطهر .

وانه لمن العته والجنون أن يقوم غير المتبصرين من ابناء هذه الأمة بحملات تشكيكية سافرة على صلاحية القرآن ولغة القرآن ونجاعة أسلوبهما فى مواجهة مشكلات الحياة ، لكن الذى يثلج الصدر ، ويبعث على الاطمئنان هو أن نرى جمهرة طيبة من الراسخين فى العلم . من ابناء الاسلام ومن غير ابنائه أوقفتهم حقائق العلوم والمخترعات على مدى سبق القرآن واعجازه التى لا تحد ولا تعد ، واعلنوا على رؤوس الأشهاد ايمانهم بالقرآن وبمن جاء به من عند الله وبأنه ((**لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**)) فهو الذى قال منزله يخاطب البشرية قاطبة ((**يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا**)) ..

سر الانتصار

وتحت هذا العنوان تقول مجلة التربية الاسلامية البغدادية ..

لكل أمة فى تاريخها انتصارات وهزائم ولكل عواملها ، والأمة الاسلامية قد حققت انتصارات عظيمة فى تاريخها الطويل ، هذا التاريخ الذى اختطه القائد العظيم محمد صلى الله عليه وسلم ، ووقف ليبرهن للعالم أن الايمان يصرع الالحاد ، وأن القيم ستنتصر مهما صال الباطل وجال فى الميدان ..

والتفاتة قصيرة الى الحروب الصليبية تكشف لنا عن مدى انتصار الايمان متى ما رجعنا اليه .. تلك الحروب التى دامت زهاء قرن واحد ، والتى كانت رحاها تدور على نفس الأرض التى تدور عليها الآن رحا حرب أخرى بين الكفر والايمان .. تلك الحروب الصليبية التى هيأ الله فيها للمعسكر الاسلامى يومذاك قيادة مؤمنة واعية شديدة الصلة بربها وبدينها استعاد المسلمون بها عزتهم ومجدهم وغيروا وجه التاريخ .

وكانت معركة حطين والمسلمون قد عادوا لا جئين الى ربهم ، فالقائد يقضى ليلته قبل يوم حطين فى تبتل وخشوع وابتهال الى الله ، ويصبح يوم المعركة صائما وقد تلا من القرآن ما تلا والجنود بين قائم يصلى وآخر يدعو الله وثالث يقرأ القرآن .

وهكذا كان الجنود والقائد فى تلك العبق الروحى والصلة الربانية .

وبذلك جعلوا روابى حطين يومها تشهد انتصارا نفسيا دقيقا فى معانيه ومقاصده قبل الانتصار الساحق الذى ذهب مثلا فى التاريخ .. تلك كانت سر الانتصار فى حطين سر انهاء التمرد على الله والرجوع اليه مع اعداد القوة المتكافئة روحيا .. ويمضى الزمن .. ويأتى على المسلمين نتيجة تفككهم وتمردهم على الله ، يأتى عليهم داهية أعظم حين وقعت معركة التتار التى احتلت الشرق الاسلامى الا ما شاء الله ويصحو المسلمون وهم فى وسط النكبة وكأن صحوتهم جاءت على دوى الآية الكريمة .. « **وان عدتم عدنا** » .. وتأتى معركة عين جالوت تلك المعركة التى تحالفت فيها الوثنية المتقدمة مع الصليبية المهزومة للاغارة على العالم الاسلامى والقضاء على الاسلام .. فالحملة المغولية تتقدم بعد أن قضت وطرها من الدولة العباسية الى أن أتت مشارف البحر الابيض المتوسط فى بلاد الشام غير متعرضة للمناطق التى كانت فى حوزة الصليبيين آنذاك بل متواطئة معهم على المسلمين فالوضع الداخلى كان فى العالم الاسلامى آنذاك وضعا متفككا انهكته الحروب مع التتار والصليبيين وضع كله ضعف وهوان وتفكك يدمى لها القلب .. ويشاء الله ان قيض للمسلمين فى وسط هذه الظروف قيادة مؤمنة .. بقيادة « قطز » الذى ادرك تبعة الدور الذى أهله الله تبارك وتعالى للقيام به خاصة بعد أن اشبعت روحه بنفحات الايمان والجهاد التى كانت تشع من أعماق شيخ الاسلام فى مصر فى تلك الأيام العز بن عبد السلام .. وأخيرا يأتى النداء الا من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليخرج لملاقاة الأعداء .. وتنطلق الحملة لتقضى على مهزلة التحالف الوثنى الصليبى .

وهكذا تأتى قيادة عين جالوت صدى لقيادة حطين .. سر الانتصار فيها واحد الهدف من المعركة واحد .. ولكن هل للتاريخ أن يعيد نفسه حيث الادوار اليوم تمثل على المسرح مع اختلاف بسيط حيث تحالف الصليبى الحاقد مع اليهودية المجرمة الحاقدة محل التحالف مع الصليبى ـ الوثنى .. ولنا فى الله الأمل القوى فى انهاء مهزلة الالحاد على الايمان .

إعداد الأستاذ عبد المعطى بيومى

الكويت : تناولت المباحثات التى أجراها الرئيس السودانى مع المسؤولين قضية الشرق الأوسط، والعلاقات الثنائية بين البلدين ، وذلك أثناء الزيارة الرسمية التى قام بها سيادته للبلاد بدعوة من صاحب السمو أمير البلاد المعظم ، واستغرقت أربعة أيام .

● قررت وزارة التربية دعم مادة التربية الدينية ، وتنظيم مسابقة لحفظ القرآن الكريم ، وقد خصصت جوائز للفائزين .

● أجرى وزير الشئون الاسلامية فى موريتانيا مباحثات مع المسئولين تناولت وسائل تدعيم الدعوة الاسلامية فى موريتانيا وذلك أثناء زيارته للبلاد بدعوة من معالى وزير الخارجية الكويتى .

● صرح معالى وزير التجارة والصناعة الشيخ عبد الله الجابر الصباح بان أهم قرارات المجلس الاقتصادى العربى الذى عقد مؤخرا بالقاهرة هى انشاء صندوق انماء عربى برأسمال قدره مائة مليون دينار تساهم الكويت فيها بحوالى الثلث .

● أعربت وفود البلاد الاسلامية التى مرت بالكويت فى طريقها الى الحج عن شكرها لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية على سبل الراحة التى هيأتها لهم فى مدينة الحجاج .

● قررت لجنة المساعدات الاسلامية الخارجية رفع توصياتها الى مجلس الوزراء لاتخاذ قرار بامداد بعض الجهات الاسلامية بالمعونة اللازمة لها .

● ستقوم وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بطرح مناقصة لبناء ١٠ مساجد جديدة فى الجهات التى تفتقر الى المساجد .

● تجرى المباحثات بين الكويت والمعهد الألمانى الغربى للأبحاث الشرقية حول تبادل التراث الاسلامى الذى تنوى الوزارة احياءه .

● تلقت الاوقاف والشئون الاسلامية عن طريق وزارة الخارجية النص الحرفى لقرارات مؤتمر رابطة العالم الاسلامى الذى انعقد فى شهر ١٠/ ٧٠

القاهرة : استقبل الرئيس السادات فى الشهر الماضى رئيس اتحاد المسلمين فى توجو ، وقد اجرى المسئول التوجى مباحثات فى القاهرة لتدعيم الدعوة الاسلامية فى توجو .

● قام رئيس الوزراء الدكتور محمود فوزى بزيارة شيخ الأزهر حيث تم التشاور فى عدة أمور اسلامية هامة .

● قام وفد اسلامى مصرى بحضور مؤتمر الدعوة الاسلامية فى ليبيا كما قام بجولة فى الفلبين والباكستان وبعض الدول الاسلامية .

● يقوم وفد من علماء الأزهر برياسة الدكتور عبد الحليم محمود بزيارة الى تسع دول افريقية . هى : تشاد ، مالى ، موريتانيا ، داهومى ، توجو ، السنغال ، سيراليون ، النيجر ، فولتا العليا ، .

● اجرى فضيلة الشيخ محمد خاطر مفتى الجمهورية اتصالات مع الهيئات الاسلامية العالمية لتحديد بدايات الشهور العربية وخاصة ما يتعلق منها بالعبادة .

● تم بحث تعديل قانون تطوير الأزهر وسوف تعدل خطط الدراسة فى بعض كليات الجامعة .

السعودية : أصدر معالى وزير الاعلام قرارا يمنع ظهور المغنيات فى التلفزيون السعودى ، وشكلت لجنة لفحص الأغانى لمنع اذاعة اى أغنية تتعارض مع الدين أو الأخلاق .

● وضعت عدة عقوبات مشددة على الشباب الذين يقلدون الخنافس .

● اصدر أمير منطقة مكة المكرمة أمرا بتشكيل لجنة لمراقبة الحرم الشريف ورعايته من جميع النواحى ، وسيشرف الأمير بنفسه على أعمال اللجنة .

● قام الأمير تنكو عبد الرحمن أمين عام منظمة الدول الاسلامية بزيارة المملكة بعد انتهاء جلسات مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى الذى انعقد فى كراتشى فى الشهر الماضى .

الاردن : صرح السيد حسين الشافعى نائب رئيس هيئة الاغاثة العربية للاردن بأن ما جمعته الهيئة حتى الآن ١٢ مليون دولار بينما الحد الادنى للاغاثة هو (٢٠) مليونا .

● أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا بالاعتراف ــ لأول مرة ــ بحقوق الشعب الفلسطينى وخاصة فى تقرير مصيره .

● صرح السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية لمجلة « المجتمع » الاسلامية الكويتية أنه لم يدع الى دولة علمانية كما نسب اليه ، وقال اننا سائرون فى طريقنا ولن يثنينا أى شىء عن الجهاد حتى النصر .

العراق : قال الرئيس العراقى فى الذكرى الخمسين لتأسيس الجيش العراقى ان تحسينات اقتصادية وتعليمية وصناعية وزراعية ستتم بالبلاد عن قريب .

سوريا : صرح نائب رئيس الوزراء بأن اقامة جبهة وطنية يعد من المهام الرئيسية فى هذه المرحلة ، وقال ليس من شك فى أن قيام الحكم الجديد فى سوريا سيقرب اليوم الذى يتحقق فيه قيام الجبهة الشرقية لتؤدى دورها فى خدمة المعركة .

لبنان : عقد فى يناير الماضى فى بيروت المؤتمر العربى الأول لمحو الأمية تحت رعاية جامعة الدول العربية ومنظمات محو الأمية فى الدول العربية .

اليمن : تم فى الشهر الماضى تأسيس جمعية يمنية ألمانية لتنشيط التعاون وابداء المشورة لليمن اقتصاديا وثقافيا وعلميا وأثريا ، وقد بعث القاضى الأيريانى الى الجمعية يعدها بأن يقدم مزيدا من تشجيعه الشخصى .

ليبيا : عقد فى الشهر الماضى فى طرابلس مؤتمر للدعوة الاسلامية ، وقد حضره مندوبون عن معظم الدول الاسلامية حيث ناقشوا مشكلات الدعوة ووسائل تعزيزها .

● وجه سفير ليبيا فى المتحدة الدعوة الى فضيلة شيخ الأزهر لزيارة ليبيا ، وقد قبل فضيلته الدعوة التى سيحدد موعدها قريبا .

تونس : وجه مجلس الوزراء التونسى فى الشهر الماضى نداء يناشد فيه الفدائيين والجيش الأردنى الالتزام باتفاقيتى القاهرة وعمان حرصا على الأخوة والدم العربى .

المغرب :

● قامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية باعادة بناء وتجديد عشرة مساجد فى مدينة مراكش وبناء مسجدين بضواحيها .

● افتتح المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربى بالرباط مكتبة للعلوم تضم اكثر من أربعة آلاف كتاب باللغة العربية فى مختلف العلوم .

تركيا : أجرى وزير التعليم التركى مباحثات فى مصر تناولت موقف تركيا من قضية فلسطين .

باكستان : اتخذ مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى قرارات هامة منها : المطالبة بانسحاب اسرائيل فورا من الاراضى العربية المحتلة ومساعدة شعب فلسطين ، وانشاء وكالة أنباء اسلامية فى طهران ، وعهد المؤتمر الى مصر باعداد مشروع بنك اسلامى .

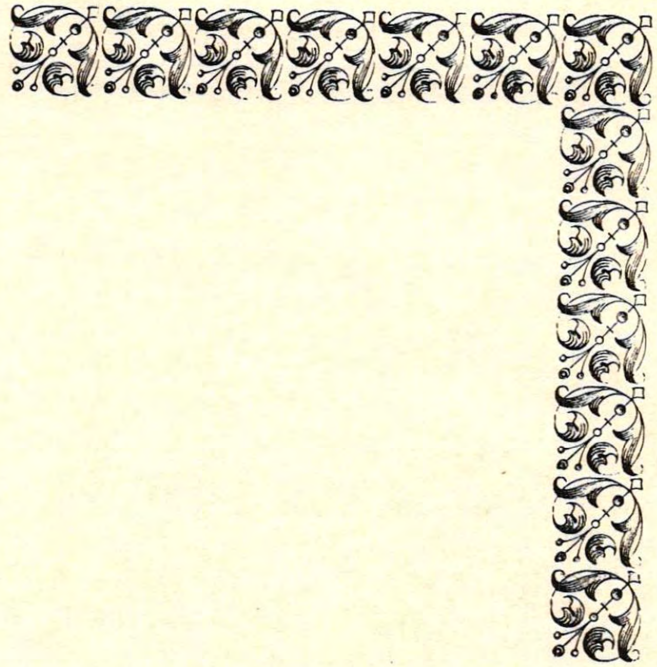
الهند : قرر بعض كبار الزعماء المسلمين فى ولاية بيهار الهندية تشكيل منظمة اسلامية تحت اسم (عوامى تنظيم) تكون مهمتها رعاية شئون المسلمين التعليمية والاقتصادية .

افغانستان : سينعقد المؤتمر الاسلامى القادم فى كابول فى سبتمبر القادم ١٩٧١ م .

اخبار متفرقة :

لوس انجلوس : دعا الدكتور صبرى الفرا رئيس المؤسسة الاسلامية فى نورث كاليفورنيا الى تعزيز الدعوة الاسلامية فى الولايات المتحدة الامريكية ، وأعلن أن مؤتمر الجاليات الاسلامية سيعقد فى لوس انجلوس فى ٢ ــ ٥ يوليو القادم .

سان باولو : تم التباحث بين وفد الجمعية الخيرية الاسلامية فى بارناجدا وبين مدير المركز الاسلامى بالبرازيل والمشرف على الدعوة الاسلامية فى أمريكا الجنوبية بشأن وضع حجر الاساس للجامع والمدرسة فى بارناجدا .



فهرس عام للمجلة

في عامها السادس

١٣٩٠ هـ — ٧٠/١٩٧١ م

يشتمل على الموضوعات والأعلام

حديث الشهر

للشيخ رضوان رجب البيلى

من هدى السنة

للدكتور على عبد المنعم عبـدالحميد

دراسات قرآنية

عقيدة

فقه وتشريع واقتصاد

تاريخ وحضارة

مناسبات اسلامية

ركن الموسوعة

تحرره ادارة الموسوعة

تربية واجتماع

أدب

تتمة الفتاوى

تحقيقات وموضوعات عامة

مكتبة المجلة

اعداد : الاستاذ عبد الستارمحمد فيض

اسم الكتاب	المؤلف	العدد/الصفحة
الابحاث النافعة فى التربية والأخلاق	الاستاذ محمد سعيد أحمد الشبيب	٥١/٦٣
أبو ذر الزاهد	الاستاذ محمد سعيد ريه	٥١/٦٢
أوراق من دفتر مسافرة	الاستاذة هداية سلطان السالم	٥١/٦٣
بدع التفسير فى الماضى والحاضر	الدكتور رمزى نعنانة	٩٣/٧١
خصائص اجتماعية	الشيخ عبد الوهاب الأعظمى	٩٣/٧١
الديوان	الاستاذ العوضى الوكيل	٨٢/٦٧
الربا ودوره	الدكتور عيسى عبده	٩٣/٧١
الرسالة المحمدية وشواهدها	الشيخ محمد عبد الوهاب فايد	٥١/٦٢
عالم الفكر	مجلة وزارة الارشاد والانباء الكويت .	٩٣/٧١
عبير من دمشق	الشاعر عدنان مردم بك	٨٢/٦٧
الفكر الاسلامى	مجلة لجنة الفتوى بلبنان	٥١/٦٢
قطرات من نور الهداية	الاستاذ محمد أبو عجوة عبد المطلب	٨٢/٦٧
من أعلام العارفين	الاستاذ صادق محمود الجميلى	٥١/٦٣
من الفكر والقلب	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	٥١/٦٣
المملكة العربية السعودية	الاستاذ فهد خالد السديرى	٩٣/٧١
المؤتمر والمهرجان	الاستاذ العوضى الوكيل	٨٢/٦٧
نظرية الضمان	الدكتور وهبة الزحيلى	٩٣/٧١

مائدة القارئ

العدد/الصفحة **أعدها : أبو نزار**

٣٨/٦١	٩٢/٦٥	٧٠/٦٩
٦٤/٦٢	٦٤/٦٦	٧٦/٧٠
٦٠/٦٣	٨٨/٦٧	١٠٠/٧١
٥٢/٦٤	٩٥/٦٨	٤٨/٧٢

قصائد

قصص

بريد الوعي

الاعلام

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
ابن باديس	الاستاذ عبد الحليم عويس	٨٣/٦٧
ابن رشد	الدكتور محمد عاطف البرقوقى	٥٢/٦٣
أبو حنيفة	الدكتور محمد محمد ابو شهبة	٧٠/٧٠
ابو الريحان البيرونى	الاستاذ عبد المعطى بيومى	١٠٠/٦٤
ابو العباس المبرد	الاستاذ العوضى الوكيل	١١٦/٦٦
أحمد بن حنبل	الاستاذ عبد الستار محمد فيض	٩٩/٧١
جادالله الزمخشرى	الاستاذ العوضى الوكيل	١٠٠/٦٢
حسان بن‌ثابت	الاستاذ أحمد حسن قضاة	٥٩/٧١
صلاح الدين الايوبى	الاستاذ عبد المعطى بيومى	٩٩/٦٨
عبدالله بن عتيك	التحرير	٣٥/٦٤
عمر بن عبدالعزيز	الدكتور عماد الدين خليل	٧٠/٦٨
الفاضل بن عاشور	الاستاذ أنور الجندى	٦٨/٦٥
قطبة بن قتادة السدوسى	اللواء محمود شيت خطاب	٤٤/٧٢
محب الدين الخطيب	الاستاذ أنور الجندى	٨٣/٦١
محمد اقبال	الاستاذ أنور العطار	٨٤/٦٦
محمد عبدالله العربى	الاستاذ أنور الجندى	٦٥/٦٤
محمد فريد وجدى	الاستاذ محمد الصالح آل ابراهيم	٦٠/٦٢

كتاب الشهر

الكتاب	المؤلف	الناقد	العدد/ الصفحة
الاسلام الصراط المستقيم	مجموعة من الأساتذة	الاستاذ عبد العزيز شرف	٧٢/٦٢
الانسان ذلك المجهول	الكسيس كاريل	الاستاذ رمضان‌لاوند	٨٤/٧٢
الخليج العربى .	سيرارنولدت . ويلسون	الاستاذ عبد المعطى بيومى	٦٢/٦٣
دائرة المعارف الاسلامية	مؤسسة الشعب	الشيخ كمال أحمد عون	٥٤/٦٤
الدين بحوث ممهدة	الدكتور محمد عبد الله دراز	الاستاذ حمدى متولى مصطفى	٨٩/٦١
الفتاوى العالمكيرية (١)	مجموعة من علماء الهند	الاستاذ أنور أحمد قادرى	٨٧/٧٠
الفتاوى العالمكيرية (٢)			٧٠/٧١
المطالب العالية	الحافظ بن حجر	الاستاذ عبد الحميد محمد البسيونى	٧٢/٦٩
الوحدة العسكرية العربية	اللواء محمود شيت خطاب	الدكتور محمد بديع شرف	٨٥/٦٨

قالت صحف العالم

الموضوع	الصحيفة	العدد/الصفحة
الأثرياء عندنا وعندهم	مجلة الهدف الكويتية	٩٣/٦٣
الاسلام والعالم	جريدة الاهرام المصرية	١١٢/٧٠
أعظم ثروة	مجلة هدى الاسلام الاردنية	١١٠/٦٦
أمتنا بخير	مجلة جوهر الاسلام التونسية	١١١/٧٢
أوليات العصر	مجلة هدى الاسلام الاردنية	٩٢/٦٣
بشائر معركة المصير	مجلة جوهر الاسلام التونسية	٩٥/٦٤
بيان	مجلة الفكر الاسلامى اللبنانية	٩٥/٦٢
الثورة الفكرية	مجلة هدى الاسلام الاردنية	١٠٠/٦٦
حضارة الانسان	مجلة الفكر الاسلامى اللبنانية	١٠٨/٧١
الحلال والحرام (رد من الازهر)	مجلة صباح الخير المصرية	١٢٥/٦١
الدين والشباب	مجلة دعوة الحق المغربية	١١١/٦٧
سر الانتصار	مجلة التربية الاسلامية العراقية	١١٢/٧٢
شبهات فى وجه الفكر الاسلامى	مجلة الدراسات الاسلامية العراقية	١١١/٦٨
الصحافة سلاح	مجلة الرائد الهندية	١١٢/٦٨
الغارة الصهيونية	مجلة الفكر الاسلامى اللبنانية	١١٢/٦٧
فى مرضاة الله	مجلة حضارة الاسلام السورية	١١١/٦٦
القرآن هو كل شىء	مجلة المجتمع الكويتية	١١١/٦٧
كيف دخل الاسلام الصين	جريدة الاخبار المصرية	١١١/٧٠
لبنان	جريدة الرأى العام الكويتية	٩٤/٦٤
ليس بالأمانى	مجلة حضارة الاسلام السورية .	١١٢/٦٩
معالم تربية اسلامية	جريدة الاهرام المصرية	١٠٨/٧١
مهمة الصحافة الاسلامية	مجلة البلاغ الكويتية	١١١/٦٩
يقظة اسلامية رائعة	مجلة دعوة الحق المغربية	٩٤/٦٥
يوم النكسة	مجلة البيان الكويتية	٩٥/٦٥

بأقلام القراء

كلمات وأحاديث

الأغلفة

الكتاب

الكـــــاتب	الموضـــوع	العدد/الصفحة
عبد الحميد السائح	فى هجرة الرسول	١٩/٦١
	الحقوق المزعومة لليهـود فى فلسطين	٥١/٦٧
عبد الحميد محمد البسيونى	المطالب العالية (كتاب الشهر)	٧٢/٦٩
عبد الخالق محمد يونس	الكاسيات العاريات (قصيدة)	١٠٦/٧١
عبد الرحمن أحمد شادى	عادات ومخترعات شرقية	١٢٨/٦١
	الهـدايا	٩٠/٦٣
	ابواق شرقية	٩٣/٦٤
	كلمـة المسلم	١٠٩/٦٩
	اخوان شقيقان	١٠٧/٧٠
	الاستاذ الوالـد	١٠٧/٧٢
عبد الستار محمد فيض	مـع الأسرة	١٠٠/٦٨
	مكتبة المجلة	جميع الاعداد
	أحمد بن حنبل	٩٩/٧١
عبد العال سالم مكـرم	من دراسات المستشرقين حول القرآن الكريم	٤٢/٦٤
	جوانب من أخطاء المستشرقين	٥٦/٦٩
عبد العزيز بن باز	شهر رمضان	٤٨/٦٩
عبد العزيز شرف	الاسلام الصراط المستقيم (كتاب الشهر)	٧٢/٦٢
عبد الفتاح ابو غدة	دليل نجاسة الخمر من السنة المطهرة	٩٢/٦٦
عبد الفتاح عزت سالم	حول تحضير الارواح	١٠٥/٦٦
عبد الكريم الخطيب	الشورى فى الاسلام	٤٠/٦٩
عبد اللطيف فايـد	الدار والمسجد (قصة)	٩٤/٧٢
عبد الله التـل	تجار الحروب	٦٧/٦٧
عبد الله المشارى الروضان	أبعاد الهجرة	٤/٦٢
عبد المعطى بيومى	مؤتمر علماء المسلمين	٧٩/٦٢
	الخليج العربى (كتاب الشهر)	٦٢/٦٣
	حديث مع الشيخ الباقورى	٧٠/٦٤
	صلاح الدين الايوبى	٩٩/٦٨
عبد المقصود حبيب	كرسى المتفجرات (قصة)	٨٢/٦٢
عثمان خليل	حول تحضير الارواح	٨٦/٦٤
عماد الدين خليل	عمر بن عبد العزيز	٧٠/٦٨
على أحمد باكثير	يوم الوشاح (قصة)	١١٢/٦١
على البولاقـى	فتوى فى الوكالة	٨٩/٦٢
	وقت العمـل	٨٩/٦٢
	حد السرقـة	٨٩/٦٣
	لمس المـرأة	٩٠/٦٤



مؤسسة فهــد المرزوق الصحفية

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة .

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان .

بغداد : المؤسسة العامة للصحافة والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيذ فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

حضرموت : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) المكلا .

دبى : مكتبة دار الحياة ص. ب ١٨٨٤ .

مسقط : المكتبة الحديثة / يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد احمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ صب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد